

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَخْلَامُ الْقُوَّةِ
فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضَرِ مَوْتِ

إحلام القوت

فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتِ

مُعْجَمٌ: جُغْرَافِيٌّ - تَارِيخِيٌّ - أَدَبِيٌّ - اجْتِمَاعِيٌّ

تَأَلَّفَ

عَلَّامَةُ حَضْرَمَوْتِ وَمُفْتِيهَا

السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

طَبَعَتْ: مُحَقَّقَةً - مُهَذَّبَةً - مُتَمِّمَةً - مُفَهِّمَةً

دارُ البَیِّنَاتِ

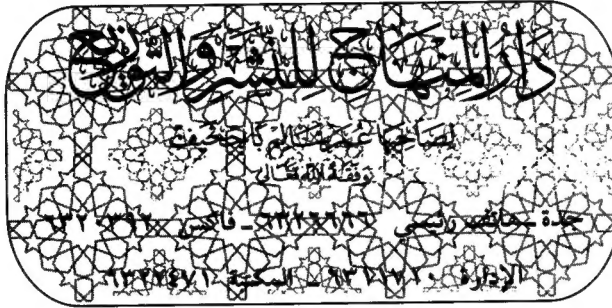
لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو
أي جزء منه، وبأي شكل من
الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في
أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي
يمكن من استرجاع الكتاب أو أي
جزء منه، وكذلك لا يسمح
بالاقتباس منه أو ترجمته إلى أي لغة
أخرى دون الحصول على إذن
خطي مسبقاً من الناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م
جميع الحقوق محفوظة للناشر



دار المنهاج

لبنان - بيروت - فاكس: ٧٨٦٢٣٠
ص. ب: ٥٥٧٤ / ١٣ بيروت



فروع المنهاج

- السعودية: دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة
هاتف: ٦٣١١٧١٠ - فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
مكتبة دار كنوز المعرفة - جدة
هاتف: ٦٥١٠٤٢١ - فاكس: ٦٥١٦٥٩٣
مكتبة المؤيد - جدة - هاتف: ٦٨٧٧٠١٤
مكتبة المأمون - جدة - هاتف: ٦٤٤٦٦١٤
مكتبة الأسدي - مكة المكرمة - هاتف: ٥٥٧٠٥٠٦
مكتبة المصيف - الطائف - هاتف: ٧٣٣٠٢٤٨ - ٧٣٣٦٨٨٤٠
مكتبة الإيمان - المدينة المنورة - هاتف: ٨٢٢٥٨١٧
مكتبة الزمان - المدينة المنورة - هاتف: ٨٣٦٦٦٦٦
مكتبة العيكان - الرياض
هاتف: ٤٦٥٠٠٧١ - ٤٦٥٤٤٢٤ - فاكس: ٤٦٥٠١٢٩
مكتبة الرشيد - الرياض - هاتف: ٤٥٩٣٤٥١
مكتبة جرير - الرياض - هاتف: ٤٦٢٦٠٠٠
وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها
دار التدمرية - الرياض - هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦
مكتبة المتني - الدمام - هاتف: ٨٤١٣٠٠٠
- الإمارات العربية المتحدة: مكتبة دبي للتوزيع - دبي
هاتف: ٢٢١١٩٤٩ - ٢٢٢٤٠٠٥ - فاكس: ٢٢٢٥١٣٧
دار الفقيه - أبو ظبي - هاتف: ٦٦٧٨٩٢٠ - فاكس: ٦٦٧٨٩٢١
مكتبة الجامعة - أبو ظبي
هاتف: ٦٢٧٢٧٢٦ - ٦٢٧٢٧٢٩ - فاكس: ٦٢٧٠٧٢٩
● الكويت: دار البيان - الكويت
هاتف: ٢٦١٦٤٩٠ - فاكس: ٢٦١٦٤٩٠
دار الضياء للنشر والتوزيع - الكويت - تلفاكس: ٢٦٥٨١٨٠
● مصر: دار السلام - القاهرة
هاتف: ٢٧٤١٥٧٨ - فاكس: ٢٧٤١٧٥٠
● سوريا: دار السنابل - دمشق
هاتف: ٢٢٤٢٧٥٣ - فاكس: ٢٢١٦١١٧
● جمهورية اليمن: مكتبة تريم الحديثة - تريم (اليمن)
هاتف: ٤١٧١٣٠ - فاكس: ٤١٨١٣٠
مكتبة الإرشاد - صنعاء - هاتف: ٢٧١٦٧٧
● لبنان: الدار العربية للمعلوم - بيروت
هاتف: ٧٨٥١٠٨ - ٧٨٥١٠٧ - فاكس: ٧٨٦٢٣٠

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

أسماء اللجنة العلمية للكتاب

عُني به تاريخياً

محمد أبو بكر عبد الله باذيب

عُني به أدبياً

محمد مصطفى الخطيب

كله ورقه

مازن سميح البيات

من نسخه الخ

أحمد المحمد	داوود بوخاري	سميح رسلان
صافي شحادة	محمد شادي عريش	

معه وراجه

أحمد بركات	السيد صالح عبد الرحمن البيض	بوجمعة مكري
قاسم الحلبيه	قصي الحلاق	محمد شادي عريش

من تنفيذ جميع نصه

عماد علي باشا	غالب أكرثم	محمود المدني
---------------	------------	--------------

من فهرسه الع

قصي الحلاق	محمد شادي عريش
------------	----------------

تشرف برئاسة لجنته

محمد غسان نصوح عرقول

مقدمة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر^(١)

حَضَرَمَوْتُ : بلادها وسكانها :

أتحنني الصديق الحبيب ، الأستاذ هادون بن أحمد العطاس^(٢) بكتاب يتعلّق بتاريخ جزء عزيز من وطننا العربي^(٣) ، من الجزيرة العربية نفسها ، يوشك أن يكون مجهولاً أو منسياً ، مع ما لكثير من أهله من الصّلات القويّة بمختلف الأقطار في أنحاء المعمورة ، وما لهم من نشاط متميّز في السّعي وراء اكتساب الرّزق بأذكي الطّرق وأنزهرها وأشرفها ، حتّى حازوا بأمانتهم وصدقهم ثقة غيرهم .

وتميّز عددٌ منهم في مختلف النّشاطات الأخرى ؛ كالسّياحة والهجرة .

وبرز آخرون في المجالات الثّقافيّة ، فعرف منهم علماء وأدباء وشعراء ، وباحثون ومؤلّفون في مختلف العلوم ، قديماً وحديثاً ، ممّن كان لهم في التّعريف ببلادهم ما لم

(١) هذه المقدّمة كتبها الجاسر مع نشره لهذا الكتاب على حلقات في مجلّة العرب ، وقد استغرق نشره للكتاب حدود خمس سنوات ، ولعموم الفائدة . فقد أعدنا كتابتها ، وعلّقنا عليها ، وقد قام بجهد مشكور في إخراج هذا العمل رحمه الله تعالى .

(٢) توفي بمكة صبيحة يوم عرفة الأربعاء الثّاسع من ذي الحجّة عام (١٤١٧هـ) . والسّيّد هادون مؤرّخ وباحث في التراث اليمني وممن يرجع إليهم في تاريخ حضرموت ، وله مؤلّفات تاريخيّة ، وتحقيقات نشرت بعضها جامعة الرّياض - كليّة الآداب ، ولّد بالمشهد بحضرموت سنة (١٣٣٧هـ) - كما أخبرني هو رحمه الله - ورحل إلى العراق لطلب العلم وعيّن في بعض المناصب الحكوميّة في عهد السّلطنة الفعيطيّة بحضرموت ، وهاجر إلى الحرمين الشّريّفين ، وقطن بمكة المكرّمة منذ عام (١٣٧٠هـ) ، رحمه الله تعالى .

(٣) السّيّد هادون العطاس أهدى الجاسر كتاب « حول مصادر التّاريخ الحضرمي » للمستشرق سارجنت ، الذي عرّبه د . سعيد التّوبان ، والذي أهدى الجاسر نسخة من « إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت » هو السّيّد عبد الله بن محمّد الحبشي . فليتبّه لذلك .

يَتِيهَاتُ لَهُ مِنَ الْإِنْتِشَارِ مَا يُسِيرُ الْإِطْلَاعَ عَلَيْهِ لِكُلِّ رَاغِبٍ فِي الْإِسْتِفَادَةِ مِنْهُ فِي مَعْرِفَةِ جَمِيعِ أَحْوَالِ ذَلِكَ الْجُزْءِ مِنَ الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ .

مِنْ هُنَا كَانَ لِمَا أَتَحَفَنِي بِهِ ^(١) الْأُسْتَاذُ هَادُونُ - وَقَدْ تَحَدَّثْتُ عَنْهُ فِي « الْعَرَبِ » فِي هَذَا الْجُزْءِ - الْأَثَرُ الْعَمِيقُ فِي نَفْسِي ؛ لِأَنَّهُ أَحْدَثَ فِي الْقَلْبِ شَجَنًا وَتَأَثَّرًا ، لَا لِكَوْنِ مُؤَلِّفِ ذَلِكَ الْكِتَابِ غَرِيبًا عَنَّا وَعَنْ بِلَادِنَا ، وَأَنَّهُ كَانَ يَعْمَلُ فِي دَائِرَةِ الْبَحْثِ فِي وَزَارَةِ الْمُسْتَعْمَرَاتِ الْبَرِيطَانِيَّةِ - الَّتِي جِئْتُ كَابُوسُهَا عَلَى تِلْكَ الْبَقْعَةِ الْحَبِيبَةِ مِنْ بِلَادِنَا حِقْبَةً مِنَ الزَّمَنِ - فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةٌ الْمُؤْمِنِ ، وَالْحَقُّ يَتَطَلَّبُهُ الْعَاقِلُ وَيَقْبَلُهُ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ .

وَلَكِنِّي أَحْسَسْتُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْخَجَلِ حِينَ أَدْرَكْتُ أَنَّ هَذَا الْبَاحِثَ الْغَرِيبَ - الَّذِي لَا تَرْبِطُهُ بِلَادِنَا رَابِطَةٌ مِنْ رَوَابِطِ الْحُبِّ ، أَوْ عَاطِفَةٌ مِنْ عَوَاطِفِ الصَّلَةِ وَالْإِخَاءِ - يَعْرِفُ مِنْ أَحْوَالِ تِلْكَ الْبِلَادِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْرِفُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُهْتَمِّينَ بِالْبَحْثِ وَالْدِّرَاسَةِ فِي تَارِيخِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ كُلِّهَا ، مِمَّنْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ صِلَتُهُمْ بِهَا أَعْمَقَ ، وَعِنَايَتُهُمْ بِمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا أَشَدَّ ، وَمَعْرِفَتُهُمْ بِتَارِيخِهَا أَوْسَعَ ، وَسَعِيَّتُهُمْ لِتَقْوِيَةِ أَوَاصِرِ الْأُخُوَّةِ وَالْإِرْتِبَاطِ بِهَا أَقْوَى وَأَشْمَلُ .

وَلَقَدْ حَفَزَنِي هَذَا إِلَى مُحَاوَلَةِ تَحْوِيلِ اتِّجَاهِ مَجَلَّةِ « الْعَرَبِ » - قَدَرِ اسْتَطَاعَةِ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا - لِلِإِسْهَامِ بِجَهْدِهَا - عَلَى ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ جَدْوَاهُ - فَتُقَدِّمَ لِقَرَائِهَا مَا تَتِمَكَّنُ مِنْ تَقْدِيمِهِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ تَتَعَلَّقُ بِتَارِيخِ تِلْكَ الْبِلَادِ وَجُغْرَافِيَّتِهَا ، وَتَرَاجِمِ مَشَاهِيرِهَا ، مِمَّا يَمُدُّهَا بِهِ أَوْلَئِكَ الْقُرَّاءُ مِنْ ثَمَرَاتِ قَرَائِحِهِمْ ؛ فَهُمْ ذَوُوا الْفَضْلِ عَلَى مَجَلَّتِهِمْ ، قُرَّاءٌ وَكُتَّابٌ :

(١) أَي : كِتَابُ الْمُسْتَشْرِقِ سَارْجَنْتِ السَّابِقِ الذَّكْرُ ، وَسَارْجَنْتُ هُوَ : مُسْتَشْرِقٌ بَرِيطَانِي ، وَلَدَ سَنَةِ (١٩١٥م) تَعَلَّمَ فِي إِدِنْبُرَا وَكِمْبَرِيدْجِ ، وَانْتَدَبَ بَاحِثًا لَشُؤُونِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَدْرَسَةِ الدِّرَاسَاتِ الشَّرْقِيَّةِ وَالْإِفْرِيقِيَّةِ سَنَةِ (١٩٤٠م) ، وَمَحَاضِرًا لِلغَةِ الْعَرَبِيَّةِ سَنَةِ (١٩٤١) ، وَمَوْظِفًا فِي الْإِذَاعَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ سَنَةِ (١٩٤٢ - ١٩٤٥م) ، وَمُنْقَبًا فِي حَضْرَمَوْتِ سَنَةِ (١٩٤٧ - ١٩٥٤م) ، وَمُنْقَبًا فِي جَنُوبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْخَلِيجِ الْفَارْسِيِّ سَنَةِ (١٩٥٣ - ١٩٥٤م) ، لَهُ مَوْفَلَاتٌ قِيَمَةُ مِنْهَا : « مَخْتَارَاتُ مِنَ الْأَدَبِ الْعَامِيِّ الْحَضْرَمِيِّ » طُبِعَ سَنَةِ (١٩٥١م) بَلَدْنِ ، وَغَيْرِهَا فِي مَجَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ أُخْرَى .

كَالْبَحْرِ يُنْظِرُهُ السَّحَابُ وَمَا لَهُ فَضْلٌ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَائِهِ^(١)

ولقد سبق أن قدّم لي الأستاذ الكريم عبد الله بن محمّد الحبشي^(٢) نسخة مصوّرة لمؤلف عالم حضرموت ومؤرخها في عصرنا : السيّد عبد الرّحمن بن عبيد الله السّقاف ، المتوفى سنة (١٣٧٥هـ) وصفه الأستاذ عبد الله بأنّه من الكتب القيّمة النادرة في موضوع جغرافيّة حضرموت .

فرايتُ في تقديم هذا الكتاب على صفحات المجلّة ما قد يكون من البواعث للاهتمام بما قد يتعرّض له من أبحاث ، أو يعرضه من معلومات ؛ ليتّسع المجال أمام الباحثين .

ويبدو أنّ مؤلّف السّقاف هذا هو خلاصة ممّا كتّب عن تلك البلاد ؛ فقد أنتهى من تأليفه سنة (١٣٦٧هـ) قبل وفاته بثماني سنوات . وقال بأنّه ألفه بأقتراح من بلخير - ولعله الأستاذ عبد الله عمر بلخير - وقدمه لسعود بن عبد العزيز حين كان ولياً للعهد قبل أن يتولّى الملك ، وكان بلخير مستشاراً له .

ولقد خلا الكتاب ممّا شاب كثيراً من مؤلّفات بعض أحيابنا الحضارمة ، ممّا يتعلّق بطغيان العواطف في تقدير العلماء والسّادة ، بدرجة تُقلّل الثّقّة بكثيرٍ من تلك المؤلّفات من الوجهة التاريخيّة البحتة .

ويبدو أنّه لحصّه^(٣) من كتابه : « إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت » ، فكثيراً ما يختتم بعض العبارات بقوله : (وهذا مفصّل في أصله) أو : (وقد أوردناه في الأصل) وهو يعني : ما لم يرد ذكره .

(١) البيت للمتنبي .

(٢) السيّد عبد الله الحبشي : باحث موسوعي في التراث اليمني ، له جهود علميّة كبيرة وبارزة في مخطوطات التراث الإسلامي ، وله مؤلّفات فريدة في هذا الباب ، وهو حالياً في المجمّع الثقافي بـ (أبو ظبي) ، مظهر من مظاهر النفع فيما يخرج من الكتب المحقّقة والدراسات . حفظه الله تعالى .

(٣) اختلط الأمر هنا على الشيخ الجاسر ، والصّحيح أنّ كتاب « إدام القوت » مختصر من الكتاب الكبير « بضائع التّأبوت في نف من تاريخ حضرموت » ويقع في ثلاثة مجلدات ضخام ، وقد اختصره المؤلّف بطلب من الشيخ عبد الله بلخير ، ومن ديباجة الكتاب يتضح كل ذلك .

السَّيِّدُ السَّقَّافُ مُؤَلِّفُ الْكِتَابِ (١) :

تُعَدُّ أُسْرَةُ السَّقَّافِ مِنْ أَشْهُرِ الْأُسَرِ الْحَضْرَمِيَّةِ ، وَأَكْبَرِهَا ، وَأَوْسَعِهَا أَنْتِشَاراً فِي الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ ، فِي الْمَدِينَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ وَفِي الْقَاهِرَةِ ، فَضْلاً عَنْ بِلَادِ الْيَمَنِ .

وَهِيَ تُنَمَّى إِلَى السَّيِّدِ سَقَّافِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ الْصَّافِي (٢) ، الْعُلُوِّيَّ النَّسَبِ .

وَأَشْتَهَرَ مِنْهَا عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَالْجُوهَاءِ وَالْأَثْرِيَاءِ ، وَمِنْ فَضْلِيَّاتِ النِّسَاءِ ؛ حَيْثُ عُرِفَتْ سَيِّدَةٌ جَلِيلَةٌ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مَمَّنْ يُقِيمُ فِي الْقَاهِرَةِ بِرِعَايَتِهَا لِلْأَدَبِ ، فَكَانَ لَهَا مَتْنَدَى يَرْتَادُهُ الْمُتَقَفُّونَ (٣) .

وَمِنْ مَشَاهِيرِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ : السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ (٤) السَّقَّافُ ، أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٨٧ هـ) ، مِنْ الْعُلَمَاءِ الْبَارِزِينَ .

وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ : « تَارِيخُ الشُّعْرَاءِ الْحَضْرَمِيِّينَ » ، طُبِعَ سَنَةَ (١٣٥٣ هـ) فِي خَمْسَةِ أَجْزَاءٍ (٥) .

(١) للتوسع في الاطلاع على ترجمة المؤلف انظر « التلخيص الشافي » وترجمته في كتاب « العود الهندي » من منشورات دار المنهاج .

(٢) بَلْ تُنَمَّى إِلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ الْمُتَوَفَّى بِتَرِيمِ سَنَةِ (٨١٩ هـ) عَنْ (٨٠) عَاماً .
أَمَّا السَّيِّدُ سَقَّافُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَذْكُورُ : فَهُوَ سَقَّافُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِ (الصَّافِي) بْنِ الْمَعْلَمِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، مَوْلِدُهُ بِسُيُونِ ، وَبِهَا وَفَاتَهُ سَنَةَ (١١٩٥ هـ) . أَفْرَدَهُ بِالْتَّرْجُمَةِ ابْنُهُ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ سَقَّافِ (ت ١٢١٠ هـ) وَجَاءَتْ فِي مَجْلَدٍ وَسَطٍ ، سَمَّيْتُ (نَشْرُ مَحَاسِنِ الْأَوْصَافِ) ، صَدَرَتْ مَطْبُوعَةً فِي حَلَّةَ بَهْيَّةٍ عَنْ (دَارِ الْحَاوِي) فِي (٣٥٧) صَفْحَةٍ . وَالْحَبِيبُ سَقَّافُ هَذَا هُوَ الْجَدُّ الثَّلَاثُ لِلْعَلَامَةِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُؤَلِّفِ هَذَا الْكِتَابِ .

(٣) هِيَ السَّيِّدَةُ (خَدِيدَةُ) بِنْتُ السَّيِّدِ الْأَدِيبِ الْمُؤَرِّخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ السَّقَّافِ صَاحِبِ « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ الْحَضْرَمِيِّينَ » الَّتِي ذَكَرَهُ عَقِبَهَا .

(٤) صَوَابُهُ : مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدِ بْنِ عَمْرِ . . . وَلَيْسَ كَمَا ذَكَرَ الْأَسْتَاذُ الْجَاسِرُ .

(٥) كَانَ طُبِعَ الْجُزْءُ الْخَامِسُ بَعْدَ سَنَةِ (١٣٦٣ هـ) ، وَبَقِيَ جُزْءٌ سَادِسٌ ، يَقَالُ : إِنَّهُ لَدَى ابْنَتِهِ خَدِيدَةَ بِمَعْرِ ، تَرْجَمَ فِيهِ لِبَعْضِ أَقْرَانِهِ وَمُعَاصِرِيهِ .

و « تاريخ حَضْرَمَوْتِ السِّيَاسِي » وغيره^(١) .

ومنهم علماء وشعراء آخرون لا يَسْعُ المجالُ لِذِكْرِهِمْ .

ومن مشاهير متأخري هذه الأسرة : السَّيِّدُ عمرُ السَّقَّاف^(٢) ، الَّذِي كَانَ وزيراً لخارجية هذه البلادِ حَتَّى تُوْفِيَ .

والأستاذ أحمدُ زينُ السَّقَّاف^(٣) ، الَّذِي أَسْتَقَرَّ فِي الْكُوَيْتِ مِنْذُ قَبْلِ نِصْفِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ ، مُشَارِكاً فِي إِنْمَاءِ الْحَرَكَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْثقَافِيَّةِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، فِي مَجَالَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي التَّلْعِيمِ ، وَفِي إِنْشَاءِ الصَّحَافَةِ ، حَيْثُ أُنْشِئَتْ « مَجْلَةُ كَاظِمَةَ » فِي آخِرِ السَّنِينَ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي ، وَفِي تَنْظِيمِ حَرَكَةِ الْأَدَبِ بِالمُشَارَكَةِ بِتَأْسِيسِ رَابِطَةِ الْأَدْبَاءِ ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَجَالَاتِ الْحَيَوِيَّةِ . وَهُوَ مِنْ كِبَارِ أَدْبَاءِ الْعَصْرِ وشِعْرَائِهِ .

وهناك كثيرون من مشاهير هذا البيت ، لَيْسَ الْمَجَالُ مَجَالُ الْحَدِيثِ عَنْهُمْ .
أَمَّا مَوْلُفُ هَذَا الْكِتَابِ : فَعَلَيْهِ يَنْطَبِقُ نَعْتُ « السَّقَّافِ الْكَبِيرِ » فِي الْعَهْدِ الْآخِرِ ؛ لِمَا بَلَغَهُ مِنَ الشُّهُورَةِ دَاخِلَ بِلَادِهِ وَخَارِجَهَا فِي الْأَقْطَارِ الْعَرَبِيَّةِ ؛ لِمَا أَشْتَهَرَ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَفَضْلِ .

فَفَضْلاً عَمَّا لِأُسْرَتِهِ فِي حَضْرَمَوْتِ مِنَ الْمَكَانَةِ وَعِلْوِ الْمَنْزِلَةِ فِي نَفُوسِ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ . . بَلَغَ مَرْتَبَةً مِنَ الْعِلْمِ أَهْلَتْهُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ يَحُلَّ أَرْفَعَ الْمَقَامَاتِ ، فَعُرِفَ بِـ (عَالِمِ حَضْرَمَوْتِ) وَ (مِفْتَاحِ الدِّيَارِ الْحَضْرَمِيَّةِ) .

(١) مِنْهَا كِتَابُ هَامٍّ أَيْضاً ، يُسَمَّى : « الْمَعْرُوضَاتُ النَّقِيَّةُ فِي الشَّخْصِيَّاتِ الْحَضْرَمِيَّةِ » ، أَكْثَرُ مِنْ ذِكْرِهِ فِي « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » وَفِي « التَّعْلِيقَاتِ عَلَى رَحْلَةِ بَاكْتِير » ، تَرْجَمَ فِيهِ لَغَوِيَّ الشُّعْرَاءِ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الْحَضْرَمِيَّةِ عِلْماً وَثَرَاءً وَاجْتِمَاعاً وَسِيَاسَةً ، رَأَى شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجَنِيدُ عِنْدَ مُصَنِّفِهِ فِي مَنْزِلِهِ بِحَضْرَمَوْتِ ، عِنْدَمَا زَارَهُ بِمَعِيَّةِ شَيْخِهِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدَ بْنِ سَالِمِ بْنِ حَفِيزٍ ، فِي رَبِيعِ الثَّانِي سَنَةِ (١٣٦٨ هـ) ، كَمَا ذَكَرَ فِي « الْعُقُودُ الْجَاهِزَةُ » ص (١٣٣) (مَخْطُوطٌ) وَلَا نَعْلَمُ مُصِيرَهُ الْآنَ .

(٢) السَّيِّدُ الْوَزِيرُ إِبْرَاهِيمُ السَّقَّافُ ، هَكَذَا شَهْرَتُهُ فِي الْأَوْسَاطِ السَّعُودِيَّةِ وَالْحِجَازِيَّةِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ آلِ (الْعَطَّاسِ) ، وَاسْمُ أَبِيهِ « سَقَّافٌ » ؛ فَتَنَسَّبَ إِلَيْهِ وَاشْتَهَرَ بِذَلِكَ .

(٣) الْأُسْتَاذُ الشَّاعِرُ الْكَبِيرُ ، أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ السَّقَّافِ أَصْلُهُ مِنْ آلِ السَّقَّافِ سُكَّانُ الْوَهْطِ - قَرْيَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ عَدَنَ - وَنَسَبُهُمْ خَارِجُ أُسْرَةِ آلِ السَّقَّافِ الصَّافِي سُكَّانُ سَيْثُونِ ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَبِيرِ .

وكان ذا نفوذ قوي في الشؤون العامة في تلك البلاد ، وصلة قوية بحكام أقاليمها ، وإسهام بارز في السعي لتوحيد أجزائها وأستقلالها ، ورفع كابوس الاحتلال البريطاني الذي كان جائماً عليها .

كما كان قوي الصلة بإمام اليمن يحيى بن حميد الدين ؛ بحيث كان يرجع إليه في معالجة بعض القضايا العامة المتعلقة بالخلافات التي تقع بين حكام تلك البلاد ، كما يتضح من إشارات وردت في كتابه .

وقد ولد السيد عبد الرحمن بن عبيد الله بن محسن بن علوي بن سقاف في بلدة سيون من حضر موت ، وفيها نشأ وتوفي ، على اختلاف في تاريخ ولادته .

فالأستاذ الزركلي يحدده في « الأعلام » بعام (١٣٠٠ هـ) ويشير إلى رأي آخر هو سنة (١٢٩١ هـ) ، ولكنه لا يأخذ به ، معللاً بأن مظهر الرجل عند وفاته لا يدل على أنه بلغ من العمر (٨٤) عاماً ؛ فقد توفي سنة (١٣٧٥ هـ) .

وقد عرفه الأستاذ الزركلي وأجتمع به في صفر سنة (١٣٦٩ هـ) في جدة ، وأطلعته على بعض مؤلفاته ، فطالعها وأستفاد منها ، ووصفه بأنه مؤرخ بلداني ، من شيوخ العلم بالأدب والأخبار ، وفقه الشيعة والسنة ، له شعر حسن ، وأنه كان مفتي الديار الحضرية .

وقد أجمع به المستشرق البريطاني ، المعني بالدراسات الحضرية (سرجنت) SERJENANT.R.B ، فوصفه في مقاله عن المؤرخين ، وكتابه التاريخ الحضري المعرب في كتاب : « حول مصادر التاريخ الحضري » (١١) فقال عنه : (معروف أساساً كحجة في الشريعة ، ذو ذكاء حاد ، ولقد أستمعت بمجالسه عدة مرات ، لقد كسب احترام حضر موت ، وهو لا شك عالم فذ ، وقد درّب أبناءه على ذلك) .

ويشير (سرجنت) إلى موقف من مواقف السيد السقاف جدير بالذكر ؛ هو : موقفه في النزاع الذي حدث بين السادة العلويين وبين الإرشاديين ، في آخر النصف الأول من القرن الماضي ، في البلاد الأندونيسية ، فيقول :

(لقد شارك^(١) في النزاع العلوي الإرشادي في أندونيسيا ، وبحوزتي خطبة له قالها في أحد الجوامع في بتافيا عام (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م) ، وفي العام التالي حاول أن يصلح بين الطرفين ، وأخبرني أن الرسائل المتبادلة ضمت إلى مخطوطاته التاريخية « بضائع التابوت » .

ثم يضيف (سرجنت) : (لقد أحترمه الكثيرون ، خصوصاً عندما يتخذ موقفاً مخالفاً لموقف العلويين المتزمتين) اهـ

ويتجلى ما كان يتحلى به السقف من اعتدال في مواقفه فيما لقيه من تقدير وإجلال بين طبقات مثقفي عصره ، كما يبدو ذلك واضحاً في احترامه وأعداده بآراء العلماء المحققين من مختلف المذاهب .

ولكن هذا المستشرق لم يفته غمزه بقوله : (والرأي الحضرمي عنه أنه ساذج ، وغير مفرط في النقد كمؤرخ ، لكنّه عالم له صيته ، ولا بد أن يُقدّم إسهاماً هاماً لصياغة التاريخ الحضرمي) .

ولعله يعني بهذا الغمز : أن السيد السقف - فيما يبدو من أبحاثه التاريخية - لا يكلف نفسه عناء مناقشة ما يورده من نقول تغلب على كثير منها السذاجة^(٢) ، ولا سيما حين ينقل عن معتقد فيهم الصلاح والتقوى .

ومهما يكن . . فإن فيما قدمه للباحثين عن تاريخ بلاده أوضح دليل على ما يتمتع به من سعة الاطلاع ، وشدة الغيرة والحرص على الاهتمام بهذا الجانب ، وهو - بدون شك - مما لا غناء لكل معني بدراسة التاريخ العربي بصفة عامة عن الرجوع إليه .

(١) القول بأنه شارك في النزاع ، كلام يوهم خلاف الحقيقة ؛ لأنه لم يكن متحيزاً إلى أحد الطرفين كما يبدو ، لأنه إنما قدم إلى جاكارتا بصفته داعية للصُلح بين الفريقين ، والحديث عن دوره في ذلك النزاع يطول ، ولديّ وثائق ورسائل تؤرّخ وتكشف بدقة كل الملابسات التي لاتعرف عن بعض خفايا الموضوع ، يسر الله جمعها ودراستها عمّا قريب .

(٢) ونحن نقف من هذا النبز المكشوف موقف الرادّ له ، لأن وصف فكر ابن عبيد الله ولو في بعض ما كتبه بالسذاجة أمر نراه سخيفاً ؛ فالرجل كان من الجلالة بمكان ، وهلم إلى مناقشة بعض تلك السذاجات المزعومة لتقف على حقيقة ما قيل بدلاً من مجرد النبز والتعريض .

ومع أَنَّ السَّيِّدَ السَّقَافَ لَمْ يَتَلَقَّ الْعِلْمَ - فيما علمتُ عنه - خارجَ الجزيرةِ . . . إِلَّا أَنَّ المرأةَ حينَ يُطَالَعُ أَحَدَ مَوْلَفَاتِهِ ؛ ككتابِهِ عَنِ الْمُتَنَبِّي^(١) . . . يَعْجَبُ مِنْ سَعَةِ أَطْلَاعِهِ ، وقُوَّةِ اسْتِحْضَارِهِ لِلشَّوَاهِدِ وَالنُّصُوصِ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وسُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ .

ولاشكَّ أَنَّ دراستَهُ الْأُولَى كانتْ وفقَ الطَّرِيقَةِ الْمُتَّبَعَةِ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ ، وفي غيرها مِنْ الْبِلَدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، مِنْ حَيْثُ اتَّجَاهُ لِلدِّرَاسَاتِ الدِّينِيَّةِ . وبِلَادُهُ فِي عَهْدِهِ عُرِفَتْ بِنُوعِ الْمَحَافِظَةِ وَالْمِيلِ إِلَى مَا يُشْبِهُ الْانْقِطَاعَ أَوْ الْانْعِزَالَ لِلْعِبَادَةِ وَالتَّجَرُّدِ الرُّوحِيِّ ، ويَظْهَرُ أَنَّهُ تَأَثَّرَ فِي أَوَّلِ مَرَاكِحِ حَيَاتِهِ الدِّرَاسِيَّةِ بِمَنْ تَلَقَّى عَلَيْهِمُ الْعِلْمَ وَاسْتَفَادَ مِنْهُمْ بِدَرَجَةٍ أَحَلَّتْهُ مِزْلَةً رَفِيعَةً بَيْنَهُمْ ، حَتَّى بَلَغَ أَعْلَى مَنْصَبٍ دِينِيٍّ ، حَيْثُ عُرِفَ بِمِفْتِي حَضْرَمَوْتِ . ويلمحُ الْبَاحِثُ أَثَرَ هَذَا مِنْ خِلَالِ مَوْلَفَاتِهِ الَّتِي ذَكَرَ مِنْهَا الْأُسْتَاذُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ فِي كِتَابِهِ : « مَصَادِرُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْإِسْلَامِيِّ فِي الْيَمَنِ » :

١- « نسيم حاجر في مذهب الإمام المهاجر » .

لَعَلَّ الْمَقْصُودَ بِـ « الْمُهَاجِرِ » جَدُّ السَّادَةِ الْحَضْرَمِيِّينَ ، الَّذِي هَاجَرَ إِلَى حَضْرَمَوْتِ ؛ فَقَدْ أَلْفَ عَنْهُ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ طَاهِرٍ الْحَدَّادُ (١٢٩٠ / ١٣٨٠ هـ) مِفْتِي حَضْرَمَوْتِ كِتَابًا دَعَاهُ : « إِثْمُ الْمُهَاجِرِ » ، حَاولَ إِثْبَاتَ أَنَّهُ شَافِعِي الْمَذْهَبِ ، بَيْنَمَا يَرَى السَّيِّدُ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَامِدُ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٨٧ هـ) أَنَّهُ إِمَامِي الْمَذْهَبِ .

قَالَ (سَرَجَنْت) بَعْدَ ذِكْرِ هَذَا : (وَقَدْ أَضَافَ السَّيِّدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُلْحَقًا يَقَالُ : إِنَّهُ نَشَرَ فِيهِ مَا يُؤَيِّدُ رَأْيَ السَّيِّدِ صَالِحِ) .^(٢)

٢- حَاشِيَةٌ عَلَى « فَتْحِ الْجَوَادِ » .

٣- حَاشِيَةٌ عَلَى « تَحْفَةِ الْمُحْتَاجِ » .

٤- « صَوْبُ الزَّكَامِ فِي تَحْقِيقِ الْأَحْكَامِ »^(٣) .

(١) أي كتاب « العود الهندي عن أمالي في ديوان الكندي » وهو عبارة عن مجالس أدبية تناولت نقدً وتحليل

وشرح بعض أشعار المتنبّي ، كتاب فريد في بابهِ ، وهو من منشوراتنا والله الحمد والمِنَّة .

(٢) وهكذا الملحق سمّاه ابن عبيد الله : « سُموّم ناجر » يوجد مسودة لدى أحفاده بسيئون .

(٣) طبع في مجلّدين .

٥- « أَلْسَيْفُ الْحَاذِ الْقَاطِعُ لِأَعْنَاقِ الْإِلْحَادِ » قَالَ عَنْهُ الْأُسْتَاذُ الْحَبَشِيُّ : (أَلْفَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى كِتَابِ « تَوْحِيدِ الْأَدْيَانِ »)^(١) وَطُبِعَ فِي عَدَنَ سَنَةَ (١٣٦٩ هـ) . وَيَبْدُو أَنَّهُ أَلَفَ هَذِهِ الْكُتُبَ فِي عَهْدِ مَبَكَّرٍ مِنْ حَيَاتِهِ .

أَمَّا آثَارُهُ الْأَدَبِيَّةُ ، فَمِنْهَا :

١- « الْإِمَامِيَّاتُ » : قِصَائِدُ فِي مَدْحِ الْإِمَامِ يَحْيَى ، طُبِعَتْ فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةَ (١٣٤٥ هـ) .

٢- « بَلَابُلُ التَّغْرِيدِ فِي مَا أَفَدْنَاهُ فِي أَيَّامِ التَّجْرِيدِ » . قَالَ عَنْهُ الْأُسْتَاذُ الزَّرْكَلِيُّ : (هُوَ أَشْبَهُ بِكُتُبِ الْأَمَالِيِّ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ) اهـ^(٢)

عَلَى أَنَّهُ وَرَدَ فِي ذِكْرِهِ فِي « الْغُودِ الْهِنْدِيِّ » (٣٧٦) بِمَا نَصَّهُ : (وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي تَفْسِيرِ الْفَاتِحَةِ فِي كِتَابِنَا : « بَلَابُلُ التَّغْرِيدِ » مَا تَنْشُرُ بِهِ صُدُورُ الْمُؤْمِنِينَ) مِمَّا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّهُ فِي التَّفْسِيرِ ، وَلَكِنَّ كُتُبَ الْأَمَالِيِّ قَدْ تَحْوِي تَفْسِيرَ بَعْضِ آيَاتِ .

٣- « دِيْوَانُ شِعْرِ » طُبِعَ فِي مِصْرَ سَنَةَ (١٩٥٩ م) فِي (٥٥٢) صَفْحَةً . ذَكَرَهُ الزَّرْكَلِيُّ وَغَيْرُهُ .

٤- « الرُّحْلَةُ إِلَى دُوعَن » : أَرْجُوزَةٌ طُبِعَتْ فِي عَدَنَ سَنَةَ (١٩٤٨ م) عَلَى مَا ذَكَرَ الْحَبَشِيُّ .

٥- رَحْلَةٌ تَحْوِي بَعْضَ الْمَعْلُومَاتِ التَّارِيخِيَّةِ ، طُبِعَتْ فِي (الْقَاهِرَةِ) سَنَةَ (١٣٤٥ هـ) عَلَى مَا ذَكَرَ (سَرْجَنْت) ، وَأَخْشَى أَنْ تَكُونَ الَّتِي قَبْلَهَا^(٣) .

٦- « الْغُودُ الْهِنْدِيُّ عَنْ أَمَالِي فِي دِيْوَانِ الْكَنْدِيِّ » : كَذَا وَرَدَ الْأَسْمُ فِيمَا أَظْنُهُ مَسْوَدَةً

(١) وَكِتَابُ « تَوْحِيدِ الْأَدْيَانِ » تَأَلَّفَ السَّيِّدُ حَسِينُ الصَّافِي ، مِنْ أَدْبَاءِ جِيزَانَ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، وَقَدْ تَرَاوَعَ عَنْهُ فِيمَا بَعْدَ ، كَمَا أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ السَّيِّدُ جَعْفَرُ السَّقَّافُ الَّذِي اجْتَمَعَ بِالصَّافِي بَعْدَ تَأَلِّفِ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ (لُـ) السَّيِّفِ) .

(٢) الْأَعْلَامُ (٣ / ٣١٥ - ٣١٦) .

(٣) وَمَا خَشِيَ مِنْهُ الْجَاسِرُ هُوَ الصَّوَابُ ، وَالسَّيِّدُ الْحَبَشِيُّ أَعْرَفَ بِابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْ سَرْجَنْتٍ .

المؤلف ، وسمّاه الأستاذ الحَبْشِيُّ : « العودُ الهنديُّ عن مجالس في ديوان الكندي »
يعني المتنبي .

وقال الحَبْشِيُّ : (في ثلاثة مجلّدات) ولكِنَّهُ أَنَحَفَنِي بنسخة مصوَّرة منه تقعُ في
(٥١٦) صفحة ، جاءَ فيها بعدَ المقدِّمة :

(تنبيهٌ : كنتُ بيَّضْتُ هذه الأُمالي حسبما ذكرتُ في الخطبة ، ثمَّ بعثْتُ بها إلى
مصرَ لُطْبَع بِمعرفة الفاضلين الشَّيْخَيْن : أحمدَ باغفارٍ وعليٍّ باكثير ، فلمَ يتيسَّر الطَّبْعُ ،
ولمَ يَرَجِع الكتابُ ، فأحتجتُ إلى استئنافِ الغاية ، مع إعادة النَّظَر في المراجع ؛ إذ
كانت حاضرة ، بخلافها عندَ الأوَّل ، فجاءَ وفيه نقصٌ وفضلٌ ، وصحَّةُ رواية
ونضْلٌ^(١) ، فليُعَلِّم ذلك ، وبالله التَّوفيقُ) .

وقالَ في المقدِّمة : (وقد بيَّضْتُها لولدي حسنٍ - بركَ اللهُ فيه وفي إخوانه وأبيه -
رجاءً أن تكونَ لَهُ فاتحةٌ تهذيبٍ ، ولائحةٌ تأديبٍ ، وسميراً وجليساً ، وخليطاً
وأنيساً) .

وأنتهى مِنَ التَّأليفِ مساءً (١٧) جمادى الأولى ، سَنَةَ (١٣٥٢ هـ) وقد قَسَمَ
الكتابَ إلى سِتَّةَ عشرَ مجلساً وخاتمةً . ويُعدُّ مِنَ أحفلِ كتبِ الأدبِ بالفوائدِ والفرائدِ
مِنَ الأشعارِ والأخبارِ ، ممَّا يدلُّ على ما يتَّصفُ بِهِ مؤلِّفُهُ مِن سَعَةِ الاطِّلاعِ ، مع رِعايةِ
الصِّدْرِ في إيرادِ ما قد يتحاشى البعضُ مِن إيرادِهِ مِنَ النُّكْتِ والنُّوادرِ ، وقد يسوقُ بعدَ
ما يوردُ مِنَ الشَّواهِدِ طرائفَ مِنَ الشُّعْرِ أو القِصَصِ الحديثةِ .

٧- « النِّجْمُ المُضَيِّ ، في نقدِ كتابِ عبقريةِ الشَّريفِ الرُّضِيِّ » : أنتقدَ بِهِ بعضَ
ما جاءَ في : « عبقريةِ الرُّضِيِّ » للدُّكتورِ زكي مبارك في جزءٍ لطيفٍ ، ويُسمَّى :
« مفتاحُ الثَّقَافَةِ » على ما ذكرَ الأستاذُ الزُّركليُّ .

أما مؤلِّفاتهُ المتعلِّقةُ بتاريخِ البلادِ الحضرميّةِ ، ووَصَفِ قراها وموانئها وأوديتها
وما يتعلَّقُ بذلك .. فمنها :

(١) أي : غلبة .

١- « إِدَامُ الْقَوْتِ فِي ذِكْرِ بِلْدَانِ حَضْرَمَوْت » ، قَالَ عَنْهُ الزَّرْكَلِيُّ : (فِي مَجْلَدِ ضَخْمٍ) .
وَقَالَ الْحَبْشِيُّ : (خَطٌّ بِمَنْزِلِ الْمُؤَلَّفِ بِمَدِينَةِ سَيْنُونِ) .

وَقَدْ أَطْلَعَ عَلَيْهِ الزَّرْكَلِيُّ ، فَنَقَلَ عَنْهُ فِي تَرْجُمَةِ عَوْضِ الْقَعِيطِيِّ فِي « الْأَعْلَامِ » ،
وَلَا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَصْلُ^(١) الَّذِي يُحِيلُ إِلَيْهِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي بَيْنَ يَدَيِ الْقَارِئِ
مَقْدَمُهُ ؛ حَيْثُ نَجَدُ النَّصَّ الَّذِي أوردَهُ الزَّرْكَلِيُّ فِي تَرْجُمَةِ الْقَعِيطِيِّ مِنْهُ فِي كِتَابِنَا ، إِلَّا
أَنَّهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى حَجَرٍ لَا الشَّخْرِ كَمَا فِي « الْأَعْلَامِ » .

٢- « بَضَائِعُ الثَّابُوتِ فِي نَتْفٍ مِنْ تَارِيخِ حَضْرَمَوْت » . قَالَ الزَّرْكَلِيُّ : (ذَكَرَ أَنَّهُ زَارَ
الْيَمَنَ ، وَكَانَ ضَيْفًا عَلَى الْإِمَامِ يَحْيَى حَمِيدِ الدِّينِ ، فَأُبِيحَ لَهُ الْأَطْلَاعُ عَلَى خِزَانَةِ
كُتُبِهِ ، فَكَانَ كَلِمًا وَقَفَ عَلَى شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِحَضْرَمَوْتِ ، أَوْ يَسْتَرْفُهُ . . . نَقَلَهُ وَأَلْقَى
مَا كَتَبَ فِي سَلَّةِ الْمَهْمَلَاتِ ، وَوُسِّمِيهَا « الثَّابُوتُ » ، ثُمَّ جَمَعَهَا فِي كِتَابِهِ هَذَا^(٢) ،
وَهُوَ فِي ثَلَاثَةِ مَجْلَدَاتٍ ، جَعَلَهُ كَالشَّرْحِ لِقَصِيدَةٍ مِنْ شِعْرِهِ سَيْنِيَّةٍ ، عَارِضَ بِهَا شَوْقِي فِي
مَعَارَضَتِهِ لِلْبَحْثِيِّ ، وَأَتَى فِيهِ بِعِلْمٍ غَزِيرٍ فِي تَارِيخِ حَضْرَمَوْتِ وَبَيُوتِهَا ، وَحُكَاِمِهَا
وَأَعْلَامِهَا ، إِلَى اسْتِطْرَادَاتٍ فِي فَنُونٍ مُخْتَلِفَةٍ ، مِنْ أَدَبٍ وَحَدِيثٍ وَنَقْدٍ ، إِلَى وَثَائِقَ
سِيَاسِيَّةٍ وَمُعَاهَدَاتٍ وَمُلْحُوظَاتٍ) .

وَقَالَ عَنْهُ الْحَبْشِيُّ : (خَطٌّ بِمَنْزِلِ الْمُؤَلَّفِ فِي سَيْنُونِ) .

وَذَكَرَ (سَرَجَنْتِ) أَنَّهُ فِي الْمَكْتَبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْمَكْلَأِ مَعَ مَخْطُوطَاتٍ أُخْرَى .

وَأَشَارَ الزَّرْكَلِيُّ إِلَى أَنَّ فِهْرَسَ هَذَا الْكِتَابِ طُبِعَ فِي (٦٤) صَفْحَةً .

وَذَكَرَ (سَرَجَنْتِ) أَنَّهُ جَمَعَ مَعْجَمًا جُغْرَافِيًّا تَارِيخِيًّا لِحَضْرَمَوْتِ وَلَمْ يَذْكُرْهُ الزَّرْكَلِيُّ
وَلَا الْحَبْشِيُّ ، وَلَا أَسْتَبْعِدُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمَعْجَمُ هُوَ كِتَابُنَا هَذَا ، وَهُوَ خِلَاصَةٌ مِمَّا

(١) يَرْجِعُ إِلَى مَا كُتِبَ عَنْ ذَلِكَ فِي حَاشِيَةِ (٣) صَفْحَةِ (٩) ، فَقَدْ وَهَمَ الْجَاسِرُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا .

(٢) إِنَّمَا نَقَلَ عَنْ كُتُبِ أَهْلِ الْيَمَنِ لِقَلَّةِ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ الْمُتَعَلِّقَةِ وَالْمَخْتَصَّةِ بِتَارِيخِ حَضْرَمَوْتِ ، كَمَا ذَكَرَ
الْمُصَنِّفُ فِي مَقْدَمَةِ « الْبَضَائِعِ » : ص (٢) (خ) . وَأَمَّا وَصْفُ الثَّابُوتِ بِأَنَّهُ « سَلَّةُ مَهْمَلَاتٍ » فَهَذِهِ
لَعَلُّهَا مِنْ (زِيَادَةِ الرَّأْيِ) .

أَلَفَهُ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ عَنْ تَارِيخِ حَضْرَمَوْتَ وَجُغْرَافِيَّةِ بِلَادِهَا .

تُوفِّيَ السَّيِّدُ الْكَسَّافُ فِي بَلَدَتِهِ (سِيثُون) سَنَةَ (١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م) عَلَى مَا ذَكَرَ الْأُسْتَاذُ الزَّرْكَلِيُّ ، وَقَالَ :

(وفي « الْبَرَقِيَّاتِ » : يَوْمَ وَفَاتِهِ أَنَّهُ عَاشَ (٨٤) سَنَةً) . ثُمَّ يُضَيَّفُ : (وَكَانَ مَظْهَرُهُ دُونَ ذَلِكَ . وَفِي « نَيْلِ الْحُسَيْنِيِّ » (١٣٨) : أَنَّهُ مَاتَ عَنْ (٧٥) سَنَةً ، وَأَخَذْتُ بِهِذِهِ الرِّوَايَةَ ، وَ« مُرَاجِعِ تَارِيخِ الْيَمَنِ » (٢٤٥-٢٦١) هـ .

عَلَى أَنَّ (سَرَجَنْت) قَالَ مَا تَعْرِيبُهُ : (يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تُوُفِّيَ سَنَةَ (١٩٥٥ م) وَقَدْ تَرَجَمَهُ « فَا نِ دَرْمُولِن » ^(١) وَنُشِرَتْ صَوْرَتُهُ فِي « الْمُسْتَمْعِ ») . وَلَا شَكَّ أَنَّ الزَّرْكَلِيَّ

(١) فَا نِ دَرْمُولِن ، رَحَّالَةٌ هُولَنْدِيَّةٌ ، مِنْ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْمُهْتَمِّينَ بِتَارِيخِ حَضْرَمَوْتَ ، يَتَسَبَّبُ إِلَى مَدْرَسَةِ الْمُسْتَشْرِقِ الشَّهِيرِ سَنُوكِ هِرْخَرْوْنِيَّةِ ، قَامَ بِرِحَالَاتٍ عَدَّةً إِلَى حَضْرَمَوْتَ فِي السَّنَوَاتِ : (١٩٣١) ، (١٩٣٩) ، (١٩٤٥) م .

نُشِرَتْ جَامِعَةٌ عِدَنُ الرِّحْلَةِ الْأُولَى - مُتَرَجِمَةٌ - عَامَ (١٩٩٨ م) ، وَأَتْبَعَهَا بِنَشْرِ الثَّانِيَةِ سَنَةَ (١٩٩٩ م) .

وَهَذِهِ الرِّحْلَةُ الثَّانِيَةُ تَعْتَبِرُ التَّجَرِبَةَ الْأَكْثَرَ نَضْجاً مِنَ السَّابِقَةِ ، قَامَ بِتَعْرِيبِهَا د . مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْقِدَالِ ، وَاحْتَوَتْ عَلَى تَرَجْمَةِ مُؤَلِّنٍ لِفَضِيلَةِ الْعَلَامَةِ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ . . وَيَحْسَنُ بِنَاهُنَا أَنْ نَسُوقَ مَا كَتَبَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ فِي تِلْكَ الرِّحْلَةِ ؛ فَفِيهَا كَلَامٌ هَامٌّ يَحْسَنُ وَيَجْمَلُ إِيرَادُهُ لِعُمُومِ الْفَائِدَةِ .

قَالَ (فَا نِ دَرْمُولِن) ص (٢٢٠) مِنْ رِحْلَتِهِ الْمَسْمُومَةِ : « رِحْلَةٌ فِي جَنُوبِ شِبْهِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ » . . الَّتِي قَامَ بِهَا سَنَةَ (١٩٣٩ م) = (١٣٦٠ هـ) تَقْرِيباً : (فِي بَدَايَةِ إِقَامَتِنَا فِي سِيثُونِ تَفَضَّلَ السَّيِّدُ أَبُو بَكْرٍ بِتَقْدِيمِنَا لِرَجُلٍ كَبِيرٍ مَقْبُولٍ ، لَهُ لَحِيَّةٌ بَيَضَاءُ ، السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، الَّذِي سَمَّاهُ مُفْتِي حَضْرَمَوْتَ ، سَافِرٌ هَذَا الْعَالَمِ الْإِسْلَامِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَى جَاوَةِ . وَقَابَلَ هُنَاكَ مُسْتَشَارَ حُكُومَةِ هُولَنْدَا لِلشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، بَلْ ادَّعَى أَنَّهُ قَابِلُ الرَّجُلِ الَّذِي يَعْتَبِرُ الْمُؤَسَّسَ لِلسِّيَاسَةِ الْهُولَنْدِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْحَدِيثَةِ ، الْبَرُوفِسُورُ سَنُوكِ هِرْخَرْوْنِيَّةِ . وَفِيمَا بَعْدَ ، عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ كِتَابِ جُمُعَتٍ فِيهِ كُلُّ أَحَادِيثِ الرَّسُولِ ﷺ وَيَعْتَبَرُ ذَا قِيَمَةٍ كَبِيرَةٍ لِأَيِّ مُتَعَلِّمٍ مُسْلِمٍ ، خَطَأً - ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ - هَذَا الدَّارِسُ لِلْإِسْلَامِ بِخُلْفَتَيْهِ الْوَاسِعَةِ ، وَالْمُعْتَبَرَةُ مِنْ وَضْعِ الْبَرُوفُسُورِ (فِينْسِنِك) خَلِيفَةُ هِرْخَرْوْنِيَّةِ .

ثُمَّ سَأَلْتُ بِشَكْلِ غَيْرِ مُتَوَقَّعٍ : إِنْ كُنَّا أَخَذْنَا تَارِيخَ وَحْيَاةٍ وَمَعْتَقَدَاتِ الْمُسْلِمِينَ الْمَعَاصِرِينَ عَلَى أَنَّهَا تُمَثِّلُ الْإِسْلَامَ الْحَقِيقِيَّ كَمَا فَعَلَ غَالِبِيَّةُ الْمُسْتَشْرِقِينَ ؟ أَمْ هَلْ نَعْرِفُ الْإِسْلَامَ الْحَقِيقِيَّ فِي جَوْهَرِهِ وَتَارِيخِهِ ؟ .

كَانَتْ لِجَابِتِنَا : أَنَّنَا حَاوَلْنَا تَحْتَ التَّوَجُّهِ الصَّارِمِ لِسَنُوكِ هِرْخَرْوْنِيَّةِ أَنْ نَقْتَرِبَ إِلَى الْإِسْلَامِ =

والحبشي أوثق وأعرف بتاريخ الرَّجُل .

و« المستمع » هي : المجلَّة التي يُصدرها القسم العربي في (إذاعة لندن)^(١) .

ولاشكَّ أنَّه كُتِبَ الكثيرُ عن ترجمة السيِّد السَّقَافِ ، ولكنَّ ليسَ بينَ يديَّ الآنَ سوى ما أوردتُ خلاصتهُ .

ولقد عرفتُ مِنْ أبناءِ السيِّد السَّقَافِ - أثناءَ إقامتي في (مكَّة) في أوَّلِ النِّصفِ الثاني مِنْ القرنِ الماضي - : ابنُهُ الأستاذُ السيِّدَ حسنَ ، أديباً شاعراً ، لطيفَ المعشرِ ، فكَّها ، محبّاً للبحثِ وكثرةِ المطالعةِ . ثمَّ علمتُ بأنَّهُ سافرَ إلى الحبشةِ ، وأنَّهُ توفيَ بعدَ ذلكَ .

= الحقيقي ، وأنا نعي تماماً حقيقة أن الدين والنظرة العامة للإسلام تمر هذه الأيام بأزمة محرجة بشكل عام .

لم يكن المفتي مرتاحاً أبداً لأوضاع الإسلام في الوقت الحاضر ، العديد من علماء الدين الذين سبقوه قلقون مثله ، وينظرون بأسى إلى الأيام المثالية الذهبية لقرون الإسلام الأولى من أجل إعادة تأسيس الإسلام النقي وانتصار الإسلام في العالم ؛ فإنهم يتطلعون إلى قدوم (المهدي) وهو رسول يرشده الله إلى الطريق القويم ، شخص مسيح .

انتقلنا إلى مسائل ماديّة ، سأل زائرنا الموقر (هيرمان) - مرافق للرَّحالة مُولن - بعض الأسئلة عن جغرافيّة وجيولوجيا البلاد ، ثمَّ قليلاً قليلاً بدأ يسألنا عن الأوضاع في الغرب :

كيف نفسر أنّ قارة لها مثل هذا المستوى الحضاري الرفيع تبرز فيها دائماً أمة يبدو أنّها على استعداد لإبادة الأخرى بوحشيّة؟

وكانت إجابتنا في نفس اتّجاه إجابتنا على تحسُّره بتدهور الإسلام : الأمم والحكومات في الغرب فقدت مخافة الله والإيمان العميق في الاتكال على هداية الله ، لقد أصبحوا يعتمدون على قدرتهم فقط لتعزيز سعادة البشريّة . هذا الزُّهو سيُقود إلى كارثة مفعجة ، نرى كلّنا أنّها قادمة لا محالة . استأذن المفتي من الانصراف ، ووعد بالعودة لمواصلة الحوار (أهـ) .

هذا هو الحوار الَّذي دار بين علامتنا الجليل وهذا المستشرق ، ولولا ضيق نطاق هذا الهامش لعلّقت على بعض مواضع من هذا النصِّ أراها لازمة ، ولكنني أرجئُ هذا إلى موضع آخر في الترجمة الموسّعة التي لازلت أجمع مادّتها عن حياة العلامة ابن عبيد الله السَّقَافِ .

(١) واسمها : « المستمع العربي » .

الكتاب :

كَانَ فِي حَاجَةٍ إِلَى بَذْلِ عَنَایَةٍ ؛ لَضَبْطِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي وَرَدَتْ فِيهِ بِدُونِ إِتْقَانٍ لِكِتَابَتِهَا ، بَلْ قَدْ يَكُونُ قَدْ وَقَعَ تَحْرِيفٌ فِي بَعْضِهَا مِنَ النَّاسِخِ ، مِثْلُ : (رِسُوت) حَيْثُ كُتِبَ الْأَسْمُ (رِيبُوت) وَكَثِيرٌ مِنَ أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ وَالْقَبَائِلِ مِمَّا لَمْ يَرِدْ فِيهَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الْمَرَاجِعِ .

أَمَّا الْمُؤَلَّفَاتُ الْكَثِيرَةُ الَّتِي رَجَعَ إِلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ . . فَلَمْ أَعْرِفْ أَسْمَاءَهَا قَبْلَهُ ، فَضْلاً عَنِ الْأَطْلَاعِ عَلَيْهَا ، وَلِهَذَا وَرَدَتْ أَسْمَاءٌ وَعِبَارَاتٌ وَنُصُوصٌ كَثِيرَةٌ يَكْتَنِفُهَا الْغُمُوضُ .

وَلَاشَكَّ فِي أَنَّ الْأَخُوَّةَ الْمُتَقَفِّينَ الْحَضَرَمِيِّينَ يَعْرِفُونَ عَنْ بِلَادِهِمْ مَا لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمْ^(١) ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُسَرُّ بِالْمِشَارَكَةِ فِي إِفَادَةِ الْقُرَاءِ تَجَاةً مَا يَعْضُ لَهُمْ مِنْ إِشْكَالٍ ، أَوْ حِينَ يَتَطَلَّعُونَ إِلَى مَزِيدٍ اسْتِفَادَةٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِ هَذَا الْجَزْءِ مِنْ وَطَنِهِمْ ، وَمِنْ هُنَا كَانَ عَرْضُ الْكِتَابِ كَمَا هُوَ بِإِضَافَةِ بَعْضِ الْحَوَاشِي الْمَوْجُزَةِ .



(١) وَقَدْ حَاولْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَا كَانَ يَطْمَحُ إِلَيْهِ الْجَاسِرُ فِي عَمَلِنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ، وَذَلِكَ بِوَضْعِ تَرَاجُمٍ لِلشَّخْصِيَّاتِ الْوَارِدَةِ ، وَكَذَلِكَ لِلْمَوَاضِعِ الْمَذْكُورَةِ ، وَكَذَلِكَ شَرَحَ لِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ .

بين يدي الكتاب

بقلم الدكتور

محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل

حمداً لمن أزاح حجب الغفلة عن أفئدة المخبئين ، وجعل تعاقب الجديدين عظة للمعتبرين .

وصلاة وسلاماً على من أنزل عليه : ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ ، وعلى آله وصحبه ، ومن اهتدى بهديه ، وبعد :

فإن السيد العلم السقاف جامعةً من المعارف ، تتربع على قمة الفضل ، وطود من جهابذة المتأخرين ، لم تتقاصر مداركه العلمية عن مراتب المتقدمين . . فكأنه مرجع الضمير المتأخر لفظاً المتقدم رتبةً ، وما أقرأ له كتاباً . . إلا وأزداد بعلو كعبه إعجاباً ، والمتأمل في مؤلفات هذا الإمام يتحقق من صدق تلك المقولة : (إن الله تعالى تفضل على الخلف كما تفضل على السلف) ؛ فقد ذاع صيت هذا المفتي حتى أخمل القراء ، وتكشفت بفتاواه غياهب الظلماء .

يرفعه إلى أوج العلا ورع طوى عليه ضميره ، واجتهادٌ كان فيه العلم ضجيعه وسميره .

بلغ الشَّأْوُ الْقَصِيَّ في معارف الشريعة الغراء ، وكان المجلِّي في التضلُّع من معين الآداب ، فارتفعت في كافة الأنحاء منزلته ، وملأت مسامع الدنيا آثاره ، وصافحت كفَّ العلا أمجاده ، فهو علمٌ شامخٌ من أعلام النهضة الإسلامية البارزين .

فَهُوَ الَّذِي أَجْمَعَ كُلُّ عَالِمٍ فِي عَظَمِهِ مِنْ نَائِرٍ وَنَاطِمٍ
بِأَنَّهُ الْحَبْرُ نَسِيجُ وَخْدِهِ فِي عِلْمِهِ وَدِينِهِ وَرُؤْيَاهِ

وبالأمس كنا نمتّع الأفكار بروضه النضير ، ونجني من فواكهه الجنية كل معنى خطير ، ونهلنا من أماليه على ديوان أبي الطيب . . فأفدنا وانتفعنا ، وقال حكيمنا : (لقد أعطي هذا السيد مقاليد الفصاحة) .

وها نحن اليوم إزاء كتاب تاريخي لهذا التحرير الألمعي ، تهش الأفكار إلى ما حوى من فرائد ، ويشني عليه لسان الزمان ، وتفرح بإخراجه جزيرة العرب ، وتتغنى به مطوّقات التاريخ ، وتتلو من فوائده صحفاً^(١) .

وَمَنْ يَعْيِ التَّارِيخَ فِي صَدْرِهِ أَضَافَ أَعْمَاراً إِلَى عُمْرِهِ
والمؤرخ الثقة الثبت - كهذا الإمام - تتميز كتابته بالصيانة عن الهذر ؛ إذ هي متزينة بحلل الإتقان ، مقبولة عند الخاص والعام ، مقدمة على ما سواها ، مبرأة من وصمة التحامل المرذول ، والتعصب الممقوت ، سالمة من نفثات الجهل .

إِذَا قَالَتْ حَذَامٌ فَصَّدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامٌ
ولموقع هذا الكتاب وعظيم نفعه كان أحد اهتمامات علامة الجزيرة حمد الجاسر رحمه الله تعالى^(٢) ؛ إذ اندفع منجذباً إلى العناية به ، والإفادة من كتابته ، ونشره حلقات تترى في (مجلة العرب) على مدار خمس من السنين ، وما حداه إلى القطف من جناه الشهى والعبء من منهله الروي . . إلا لأنه يسلط أضواء التاريخ على جزء من جزيرتنا المباركة ، ويرسم بخطوط يراعته لوحات ناطقة لناحية كانت قبل مهّد الملوك من غابر الأزمان ، ومنبتاً لعلماء وحكماء ، وحكام وأمرء .

واعترافاً بفضل المتقدم ، ووفاء لعلامة الجزيرة . . فقد آثرت دار المنهاج أن تحلّي جيداً الكتاب بعقود مقدمته ، وأن تزين الطروس بمذهّبات كليمه .

(١) مقتبس من قول ابن سنان الخفاجي في وصف قمرية :

علينا وتتلو من صبايتها صحفا
لما ليست طوقا ولا خضبت كفا

ونائحة بالبان تملّي غرامها
ولو صدقت فيما تقول من الأسى

(٢) توفي (١٤٢١/٦/١٥ هـ) .

- ومما يزيد الكتاب أهمية : أنه يؤرخ لأرض هي مكنونة عذراء ، لم تعتورها أقلام الباحثين ، ولم تَجْلُهَا يَرَاة المؤرخين ، فهي من الأبيكار الحسان ، والمراتع المجفوة في الماضي والحاضر ، على ما بها من مآثر .

- وإن تعجب.. فعجب لأولئك الأجانب من مختلف الجنسيات من عشاق الآثار ، المغرمين بالتراث العربي ، والتراب الحضرمي ، فتراهم بين الفينة والأخرى يؤمون هذه المناطق على ما بها من مناخ مغاير لأجواء بلادهم التي غادروها ، وعلى تباين العادات والمطعمات والتضاريس .

ورغم ذلك نراهم في قمة النشوة مستمتعين بتلك المناظر والمآثر ، ويعتقدون أنا لا نقيم لمآثر أجدادنا وزناً .

- ومما جعل الكتاب من الأهمية بمكان : أنه يترجم لأعلام موفقين وعلماء مجاهدين ، ساهموا في بناء الفكر الإسلامي ، بل وامتداد رقعته ، فحُطُّوا بشرف الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتبيان محاسن الإسلام ، والتطبيق الفعلي لأحكامه ، وآدابه ، فهدى الله تعالى بهم في جنوب شرق آسيا خلائق لا تحصى ، بدون أن تراق قطرة محجم ، وهذا مصداق للحديث الصحيح :
« والحكمة يمانية » .

وكان من عوامل الدفع لدار المنهاج لاستخراج هذا السفر من مكانته ما يلي :

أولاً : أن من المقاصد الشرعية التي تجلت في مواضع عدة من التنزيل الحكيم العظة والاعتبار بمن مضى ، وتذكر من قضى ممن طواهم الزمان ، ولم تبق إلا مآثرهم الحسان .

وإِنَّمَا أَلْهَرُهُ حَدِيثٌ بَعْدَهُ فَكُنْ حَدِيثًا حَسَنًا لِمَنْ وَعَى

وهذا السفر يحقق هذا المقصد .

ثانياً : يقول الحافظ ابن الجوزي في « المنتظم »^(١) : (للسير والتواريخ فوائد ؛ أهمها فائدتان :

إحدهما : إن ذكرت سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله . أفادت حسن التدبير ، واستعمال الحزم ، أو سيرة مفرط ، ووصفت عاقبته . أفادت الخوف من التفريط ، فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ، ويكون روضة للمتنزه في المنقول .

والثانية : أن يطلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار) .

وفي « شذور العقود في تاريخ العهود » : (إن التواريخ وذكر السير راحة القلب ، وجلاء الهم ، وتنبيه للعقل ؛ فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات . دلت على عظمة الصانع ، وإن شرحت سيرة حازم . علمت حسن التدبير ، وإن قصت قصة مفرط . . خوف من إهمال الحزم ، وإن وصفت أحوال ظريف . . أوجبت التعجب من الأقدار ، والتنزه فيما يشبه الأسمار)^(٢) .

ثالثاً : ومما يفصح عن مكانة التاريخ الساحقة : قول ابن خميس في مقدمة تاريخ مالقة - وقد أجاد - : (إن أحسن ما يجب أن يعتنى به ويلم بجانبه بعد الكتاب والسنة : معرفة الأخبار ، وتقيد المناقب والآثار ؛ ففيها تذكرة بتقلب الدهر بأبنائه ، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه وأنبائه ، وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبّع آثارهم ، وتُدوّن مناقبهم وأخبارهم ؛ ليكونوا كأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ، ومتصرفون ومخاطبون لك في كل حال ، ومعرفون بما هم به متصفون ، فيتلو سُورَهم من لم يعاين صُورَهم ، ويشاهد محاسنَهم من لم يعطه السنُّ أن يعاينَهم ، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم ، ويعلم المتصرف منهم في المعقول والمفهوم ، والمتميز في

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٢١) .

(٢) المصدر السابق .

المحسوس والمرسوم ، ويتحقق منهم من كسته الآداب حُلِيَّهَا ، وأرضعته الرياسة
ثُدِيَّهَا ، فيجدُّ في الطلب ليلحق بهم ، ويتمسك بسببهم) اهـ

ولله در القاضي الأرجاني^(١) إذ يقول :

إِذَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ أَخْبَارَ مَنْ مَضَى تَوَهَّمَتْهُ قَدْ عَاشَ مِنْ أَوَّلِ الدَّهْرِ
وَتَخَسَّبُهُ قَدْ عَاشَ آخِرَ عُمْرِهِ إِذَا كَانَ قَدْ أَبْقَى الْجَمِيلَ مِنَ الذِّكْرِ
فَقَدْ عَاشَ كُلَّ الدَّهْرِ مَنْ كَانَ عَالِمًا حَلِيمًا كَرِيمًا فَأَغْتَنِمَ أَطْوَلَ الْعُمْرِ

رابعاً : إن حضرموت المعركة آثاره في القدم ، والمنطقة التي أزاح الستار عن
مآثرها السيد السقاف بصفة خاصة . . جفاها الحظ قديماً ، وأشاح بوجهه عنها حديثاً ،
على الرغم من عطائها الثر على المستويين الإقليمي والعالمي ، اللهم إلا شذرات منتشرة
لا تبل الصدى ، ولا تشبع القُرْم ، ولا تقيم الأود ، ولا عجب إذا نعتها الواصفون بأنها
شبه مجهولة ؛ فأعلامها الأعلام لم يحظوا بما يستحقونه من اهتمام ، ومن ليالٍ قريبة
فقط دار في مطالعتي لكتاب معاصر يتعلق بأحكام الأوراق النقدية دار ذكر علامة
حضرمي ، له وزنه على البساط الفقهي - كما نعته الباحث - فجهدني التنقير المتتابع في
كتب التراجم للبحث عن إضاءة ترفع حجب الجهالة بهذا الفقيه . . فضنت مصادر
بالبغية ، وشحنت بالمطلب ، ثم أنحيت باللائمة على غيري ، وهذا هو الداء
العضال ، الذي ينخر في عزائنا ، ويجعل التقاعس ملء أُهْبُنَا ، وربما كان للتكوين
الجغرافي الذي يشكل صعوبة المواصلات في القديم دخل في هذا التعقيم التاريخي ،
هذا بالإضافة إلى أن هؤلاء الصفوة يؤثرون الخمول ويعادون الشهرة ، كأنما هي
عندهم السُّم لزعاف الذي يدني حُفَّ السليم^(٢) .

وسواء كان السبب هذا أو ذاك . . فإنَّ هذا السفر العزيز سدَّ فجوة في هذا الباب ،

(١) الأرجاني : يسكون الرء : نسبة إلى أرجان ، وهي من كور الأهواز من بلاد خوزستان « الباب في
تهذيب الأنساب » (٤٠ / ١) .

(٢) السليم : الملدوخ ؛ سمي بذلك تفاقولاً .

وأما اللثام عن منطقة ومواقع ربما لم تلامس أسماع طلبة الآداب ، فضلاً عما يعادي الكتاب ويضيق ذرعاً بالأقلام .

خامساً : ومما يجعل لـ « إدام القوت » أهمية بالغة : أن كاتب تاريخ هذه المنطقة هو أحد أبنائها ، العليم بحاضرها وماضيها ، وأعمالها وأعلامها ، وقيعانها وآكامها ، وجبالها ووديانها ، ومآثرها ومثالبها ، إلى غير ذلك مما قيده يراعة هذا المفكر ، وجاد به خاطر هذا العبقرى .

ونحن لا نقول : إن « إدام القوت » قد سد النقص ؛ إذ لا شيء قبله ؛ اللهم إلا خطوطاً مرمطة لا تكاد تبين . . ولكن نقول : إن هذه بداية قوية تدفع الباحثين في الحلقات التاريخية إلى الإضافات ، واستنطاق التاريخ الحضري ، وعصر أحداثه ، والاستيحاء من قيعانه ، واستخلاص الأحاديث الشيقة من بطون الأعوام ، وتسطيرها للأنام ؛ فإن في ذلك ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

سادساً : إن البلاد الحضرمية أنعم الله تعالى عليها بالآلاء الجسام ، ومنَّ عليها بعلماء أئمة امتلأت بهم بيوت المجد ، وتمخضت عنهم دُور الفكر ، حتى أَرْبَوْا على كل توقع ، فما من ركن من أركانها ولا موقع من زواياها . . إلا وقد شهد حلقة علمية لعلامة راسخ ، حتى أصبحت كلمة حضرمي تساوي غالباً الفقيه المتمكن ، أو العلامة المتفنن ولعل هذا أحد مدلولات الحديث الصحيح : « وَأَلْفَقَهُ يَمَانٍ » .

ولقد شاهدت من قريب النهضة العلمية النشطة التي تسطع في تريم وجاراتها ، وأعجبت بطلبة العلم الذين هرعوا إليها من أقطار عديدة عربية وإسلامية وقد انقطعوا لطلب العلم في هذه الديار المباركة ، « وليس الخبر كالمعاينة »^(١) .

فما دامت هذه البلاد قد أنجبت أفذاذاً موهوبين ، وعباداً زاهدين ، وأعلاماً مفكرين . . فلا مراء أنها قمنةٌ بالبحث في تاريخها ، جدرةٌ بالتنقيب عن مناقبها ومآثرها ، فَطَيَّ تاريخها نوع من الغبن ، وتناسي محاسنها ضرب من الجحود ،

(١) جزء من حديث صحيح .

لا سيما ونحن في عصرٍ لم تعد بقعة من الدنيا إلا وهي تحت أقدام النسر الطيار ، وغدا الكون الأرضي كله موطناً لكل قدم ، وآضت البسيطة خوافها قوادماً ، وزواياها النائية دانية بفضل الإبداع الحضاري في ميدان المواصلات .

فمن العبث الممجوج أن يتقاعس أولو الأقلام اللامعة عن الكتابة عن أولئك المرموقين الذين أسهموا في بناء الفكر الإسلامي حقبةً من الزمن ، فذلك نكرانٌ للجميل .

وأخيراً : فقد توجت دار المنهاج العامرة هذا الكتاب بقيادة مديرها اللوذعي ، الأديب الألمعي الشيخ عمر سالم باجخيف بتتيمات وتكميلات بالهوامش ، منتزعة من كتاب « الشامل » للدواعي وصاحب البيت أدرئى بالذي فيه ، فما من مواقع أغفلها المؤلف ، أو أعلام لم ينتظموا في سمط كتابه . . إلا وتم إلحاقها بالهوامش ، فكان هذا الكتاب قسماً وثماره نوعان .

فلدار المنهاج أن تفخر بإخراجه المتميز ، وأن تعتز بإنجازاتها المتتابة ، بإشراف مباشر من ذي العزمات الجادة في سبيل خدمة العلم وأهله ، أبي المكارم عمر بن سالم ، كما قلت في « رحلتي » لتلك المعالم ، وكنا رفيقين في تلك الرحلة المباركة :
فَعَمَرُ هُوَ الصَّدِيقُ فِي السَّفَرِ وَهُوَ الْأَدِيبُ الْأَلْمَعِيُّ فِي الْحَضَرِ
لا زالت نعم الله تعالى على الجميع تترى ، وفيضه علينا يتوالى ، فهو الجواد المنان .

أبو عبد الباري

د . محمد عبد الرحمن شميلة الأهدل



وصف النسختين الخطيتين

ألف العلامة ابن عبيد الله رحمه الله تعالى كتابه « إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت » - الذي اختصره من كتابه « بضائع التابوت في تنف من تاريخ حضرموت » - بإشارة من الشيخ الأديب عبد الله بن عمر بن محمد بلخير رحمه الله تعالى ؛ فقد اقترح عليه أن يلتقط منه ما يخص بلاد حضرموت وأخبارها ورجالاتها ، وأن يجعله على طريقة المعاجم ليسهل الرجوع إليه ، فأخذ الاقتراح من نفسه مأخذ الإجابة ، فابتدأ بجمعه في سنة (١٣٦٦ هـ) حتى فرغ منه - كما ذكر في خاتمته - سنة (١٣٦٧ هـ) .

ثم ترك الكتاب ، ومراً عليه زمن ليرجع المؤلف إلى ما ألف ممحّصاً مدقّقاً ، فزاد عليه الكثير المستطاب ، ونقص منه ما قد يعاب ، فخرج الكتاب بهوامش مليئة بالحواشي والاستطرادات ، ولا شك أن هذه النسخة المزينة أفضل وأدق ؛ إذ أنها صارت نسخة مسبوكة سبكاً كاملاً بالإضافات والإلحاقات .

ويلاحظ أن النسخة الأولى حوت مقدمة للمؤلف رحمه الله تعالى على حين أن الثانية خلت عنها .

أما وصف النسخ :

فالأولى : تتكون من (٢٥٢) ورقة ، عدد سطور الورقة الواحدة (٢٦) سطراً ، متوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٩) كلمة ، خطها نسخي معتاد ، كتبت أسماء المدن الرئيسة بخط مغاير ، ورمزنا لها بـ (أ) .

والثانية : تتكون من (٩٤٠) صحيفة ، عدد سطور الصحيفة الواحدة (٢١) سطراً ، متوسط كلمات السطر الواحد (١١) كلمة ، خطها مستعجل ، كتبت أسماء المدن الرئيسة بخط مغاير ، ورمزنا لها بـ (ب) .

* * *

عملنا في الكتاب

- ١- نسخنا المخطوط (أ) وعارضناه على النسخة (ب) ولم نُعَنَ بالفروق المتشابهة التي لا تغير معنى ولا تخلّ بمتنٍ ، لثلا يثقل الكتاب بالهوامش .
- ٢- ضبطنا مادة الكتاب بطريقة تكون - إن شاء الله تعالى - كما أراد مؤلفه رحمه الله تعالى .
- ٣- رصّنا الكلمات بالحركات الإعرابية المناسبة ، وشيّنناه بعلامات الترقيم ، وقسّمناه حسب القواعد المعتمدة لدى الدار ؛ تسهيلاً للقارئ .
- ٤- أضفنا ما كان مناسباً من العبارة لتقويم المعنى وميزناه بـ [] .
- ٥- خرّجنا أحاديث الكتاب - وهي قليلة - وعزوناها إلى مظانها في دواوين السنة المطهرة .
- ٦- خرّجنا معظم النصوص الشعرية مع ذكر بحرهما .
- ٧- ضبطنا الشعر العامي الحضرمي كما يُنطق به ، وكذلك أسماء المدن والأعلام .
- ٨- شرحنا الكلمات الغامضة .
- ٩- أحلنا معظم النصوص الواردة في الكتاب إلى مظانها .
- ١٠- ذكرنا بهامش الكتاب بعض الفوائد العريضة .
- ١١- صنعنا للكتاب فهرس خاصة تُعنى به ، وهي :
 - فهرس الأعلام التي ذكرها المؤلف وترجم لها في طيات الكتاب .
 - فهرس الأعلام التي ترجمناها في هوامش الكتاب .
 - فهرس ألفبائي للمواضع التي ذكرت في الكتاب .
 - فهرس موضوعات الكتاب .
- ١٢- عهدنا إلى بعض أهل العلم المختصين بالتراث الحضرمي بمراجعة الكتاب وتدقيقه والاستدراك عليه .



خاتمة

- نسأل الله حسننها -

بعد حمد الله ، والصلاة والسلام على خير أنبيائه . . فإننا نرجو أن نكون قد وفّقنا فيما عملنا في هذا الكتاب ، ولا ندّعي أننا بذلك قد وصلنا إلى إرضاء الجميع ، وإرضاء الناس غاية لا تُدرَك ، وهنا يكمن الإشكال ، وتبرز الحاجة إلى تبيان ما يلي :

١- هذا الكتاب يتناول الجانب التاريخي لهذا القطر ، وعليه : فربما نرى هناك من سيقول : إن هذا الكتاب لم ينصف هذه الواقعة أو هذه المرحلة ، وربما سيقول مثل ذلك من كانت الأحداث أو الوقائع في غير صالحه . ولهؤلاء جميعاً نقول : إنّ ما ذُكر هو دليل على أن الكتاب أخذ جانب الاعتدال بين جميع الأطراف .

٢- ربما أغفل المؤلفُ أو المحققون للكتاب مواقع أو أعلاماً ، إما بعدم ذكرها ، أو سلوك الاختصار الشديد في بيانها ، وعليه فإننا نطلب من كل قارئ إذا وقف على فائدة أو معلومة تفيد الكتاب . . أن يرسلها إلينا لتتداركها في الطباعات اللاحقة لهذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

٣- القبائل والأعلام والشخصيات الواردة في الكتاب . . لم نخرج عن منهج المؤلف فيما أورد ، وعليه : فإننا نعتذر لكل من يشعر أن هناك جوانب أو أحداثاً شابها أيُّ تقصير أو قصور ؛ فهذا الكتاب يعدُّ من أوائل الكتب التي تحدثت عن هذه المنطقة المجهولة ، مع أننا نعدُّ - إن شاء الله تعالى - بأن نَسْتَدْرِكَ جوانب الضعف إن كان هناك روافد تصبُّ في المنهج العام للكتاب .

وأخيراً : نتمنى للقارئ الكريم أن يُنحر معنا في سفينة هذا الكتاب ؛ ليصل إلى التعرف على هذه المنطقة ؛ بجغرافيتها ، وأحداثها ، وأعلامها ، وعاداتها ، وغير ذلك .

والله وَلِيُّ التوفيق ، وهو حَسْبنا ونِعَمَ الوكيل

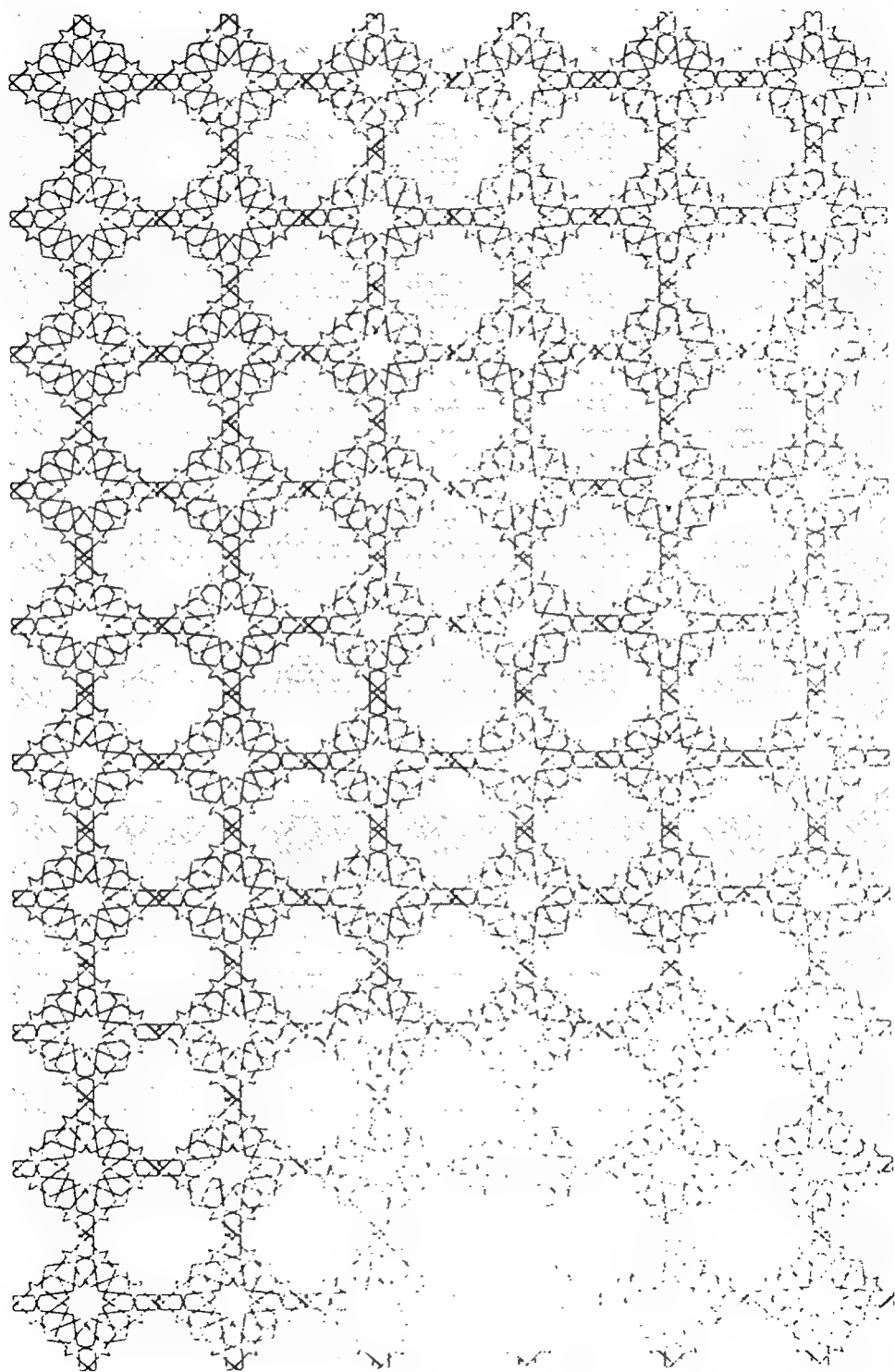
وكتبه رئيس اللجنة

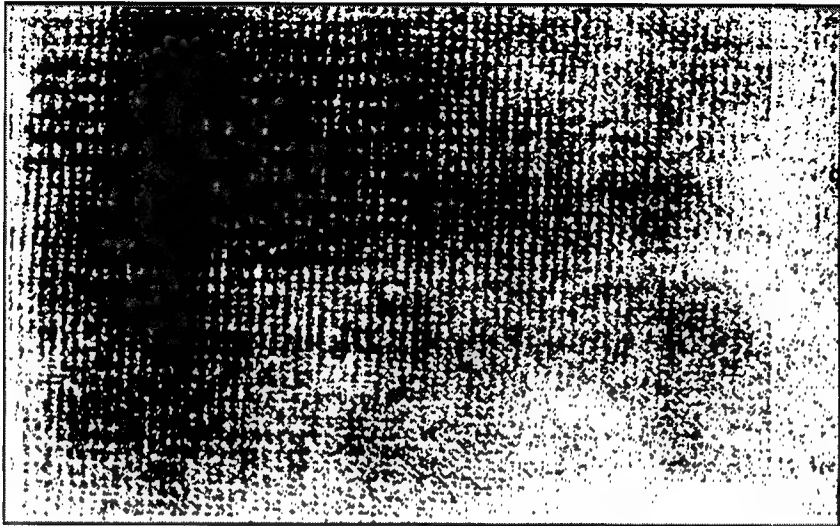
أبو نصوح

محمد غسان نصوح عزقول



صور المنحوطات المتعان بها

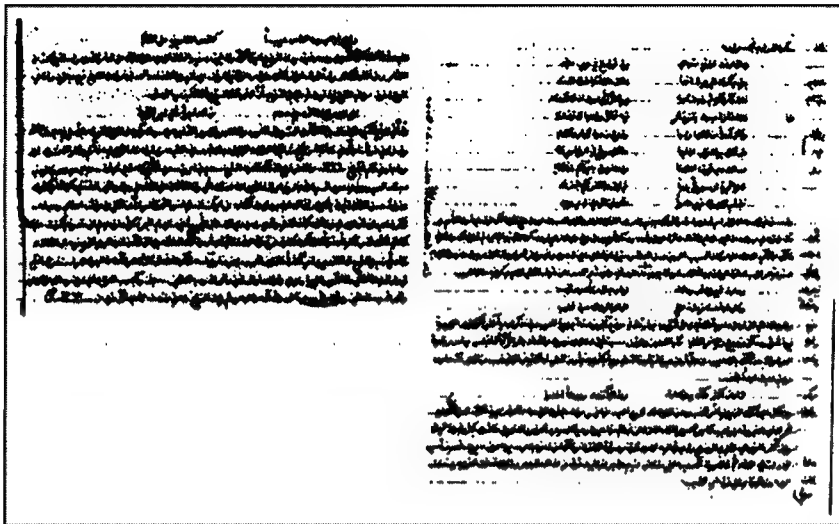




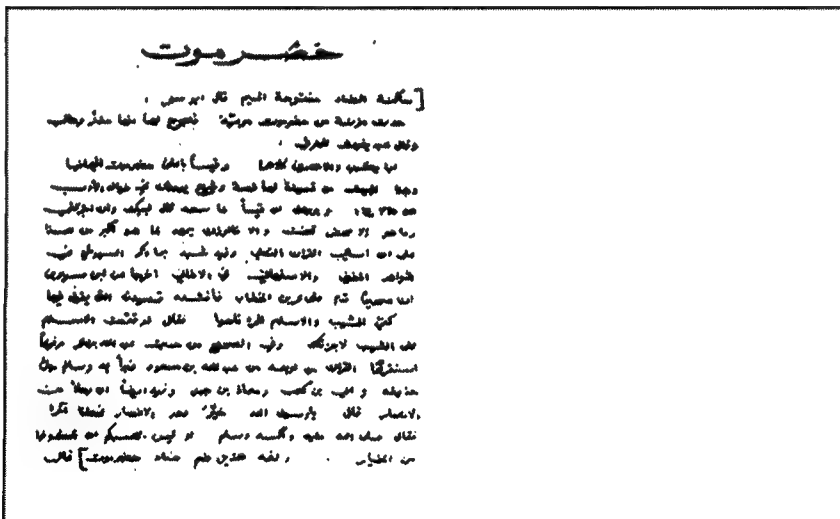
راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)



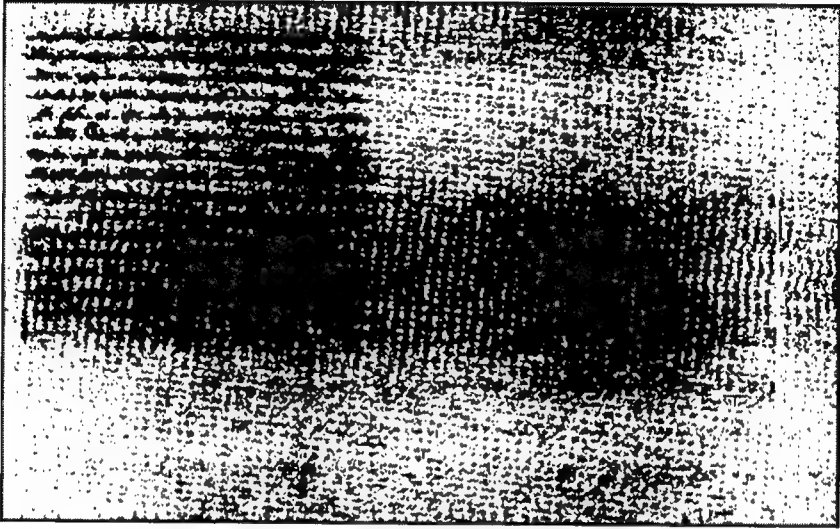
راموز الورقة الثانية للنسخة (أ)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (أ)



راموز الورقة الأولى للنسخة (ب)



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ب)

إِحْلَامُ الْقَوْتِ

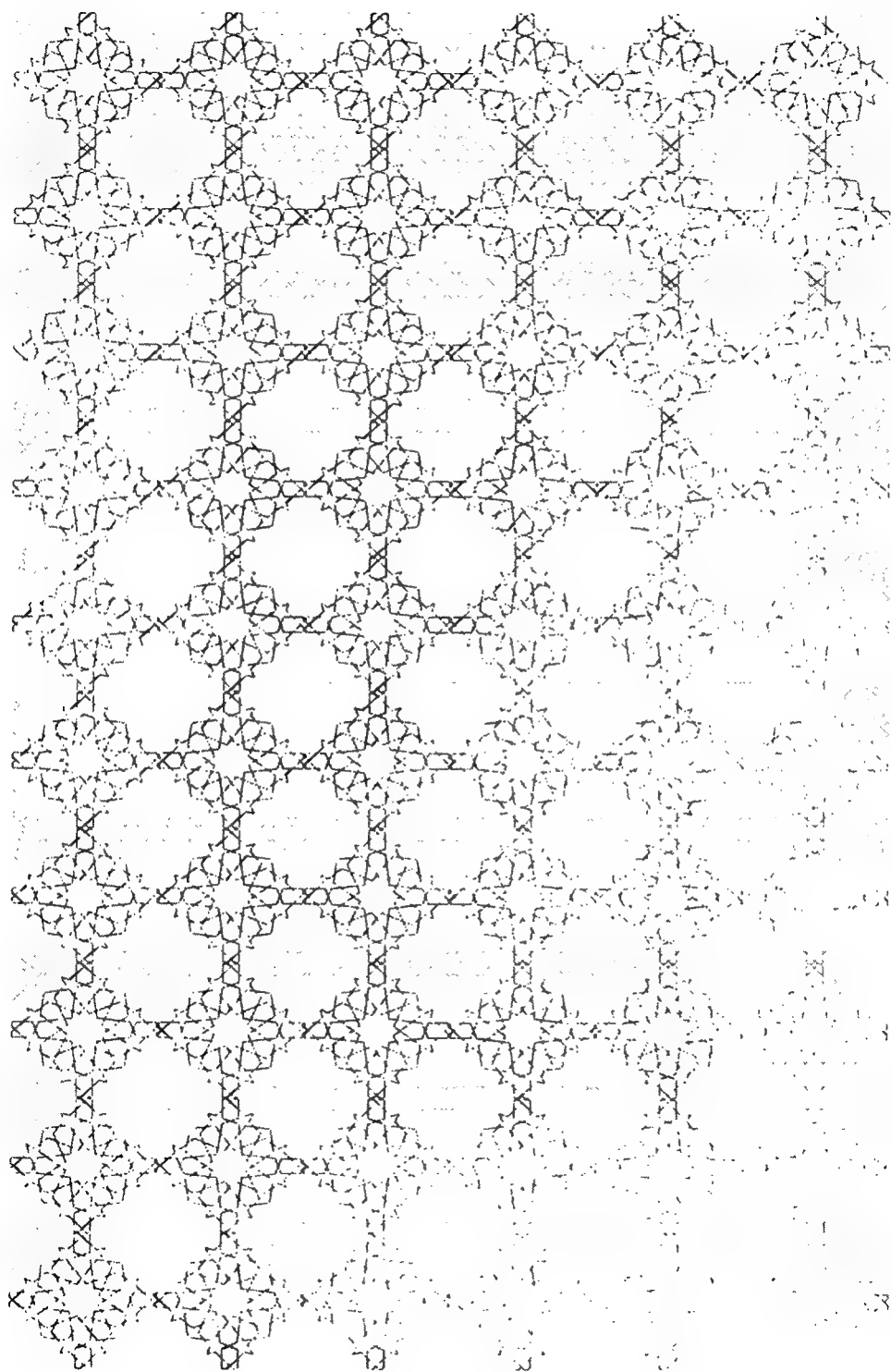
فِي ذِكْرِ بُلْدَانِ حَضْرَمَوْتَ

تَأَلَّفُ

عَلَّامَةُ حَضْرَمَوْتَ وَمُفْتِيهَا

السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[المقدمة]

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ لِكَمَالِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ وَأَصْحَابِهِ وَآلِهِ . . . فِهَذَا مَا أَنْتَهَى بِهِ السَّيْرُ ، فِي اقْتِرَاحِ بَلْخَيْرِ^(١) ، وَمَا ظَنَنْتُهُ كَذَا ، فَقَدْ لَقَانِي أَدْنَى ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِثَالٌ يُحْتَدَى ، لَقَدْ خِلْتُهُ أَدْنَى مِنْ أَلْقَابِ^(٢) ، فَإِذَا هُوَ أَنَايُ مِنَ الْعُقَابِ^(٣) ؛ فَالْحَاصِلُ كَثِيرٌ مِمَّنْ خَنَقَ دِقَاقَهُ الرِّقَابَ^(٤) ، وَبِمَا أَنَّ مِثْلَهُ يُدِيمُ الذِّكْرُ فِي الْأَعْقَابِ ، وَيُخَلِّدُهَا طَوْلَ الْأَحْقَابِ^(٥) . . . فَقَدْ أَهْدَيْتُهُ لِمَنْ أَخَذَ عَلَى الْكِرَامِ الْأَنْقَابَ^(٦) ، وَغَنَى عَنِ

(١) عندما أَطَّلَعَ الأستاذ بلخير على كتاب ابن عبيد الله المسمَّى « بضائع التابوت » . . . اقترح عليه أن يلتقط منه ما يخصُّ البلدان الحضرمية ويجعله على شكل معجم ؛ ليسهل الاطلاع عليه والرجوع إليه . . . فخرج كتابنا هذا « إدام القوت » . ويلخير المشار إليه هنا ، هو معالي الشيخ الأديب الوزير المعمَّر عبد الله بن عمر بن محمد بن عمر بن حسين بن عمر دحدوح ابن أحمد بن حسن بلخير الحضرمي الدوعني ، مولده بغيل بلخير سنة (١٣٣١هـ) ، نشأ في بيئة علمية محافظة وهاجر بصحبة والده إلى الحجاز سنة (١٣٤٥هـ) ، ثم التحق بالمدرسة الأهلية في الشبيكة سنة (١٣٤٦هـ) ، ثم التحق بمدرسة الفلاح سنة (١٣٤٨هـ) ، وتخرج منها سنة (١٣٥٣هـ) وفي سنة (١٣٥٤هـ) أُنْتُخِبَ إلى بيروت لإتمام دراسته في جامعتها الأمريكية ، وصحب ثلة من أبناء العائلة المالكة وأبناء الوزراء لنجابه ولعناية الحكومة به ، تقلد مناصب حكومية هامة ، منها : أنه أول وزير إعلام في المملكة العربية السعودية ، توفي يوم الأحد (٤/شوال/١٤٢٣هـ) .

(٢) الْقَابُ : المقدار ، وقاب القوس : مقبضه ، وهو كناية عن القرب ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ .

(٣) الْعُقَابُ : طائر من الجوارح ، يُحَلَّقُ بعيداً في الفضاء فلا يناله أحد بسهولة . أو الْعُقَابُ - جمع عقبة - وهي : المرقى الصَّعْبُ من الجبال ، والظاهر الأوَّل . والله أعلم .

(٤) الدِقَاقُ : ما دَقَّ وَصَغُرَ ، والمعنى : أن ما تحصَّل من المجموع كثير للجوامع الذي حمل عبثاً يخنق حمل صغاره الرقاب فضلاً عن كبارها .

(٥) الْأَحْقَابُ : الدُّهُور .

(٦) الْأَنْقَابُ - جمع نقب - وأصله : الشقُّ في الجبل ، ومنه الحديث : « فَإِنَّ عَلَى أَنْقَابِهَا مَلَائِكَةً » . والمقصود : أنه منعهم من التَّقدُّم في حلبة المكارم بوفرة نداه ؛ حيث لا يقوون على مجاراته .

الأوصافِ والألقابِ ، طلائعُ ثنایا الشَّرَفِ والمجد ، ووليَّ عهدِ الحجازِ ونجد^(١) ، مَنْ
أنطقَ يراعَ الإشادة ، بما تسمعُ إنشادة [مِن الطَّوِيل] :

يَقُولُونَ : سُوقُ الْعِلْمِ بَعْدَ قِيَامِهَا أُصِيبَتْ عَلَى طُولِ الْمَدَى بِقُعُودِ
فَقُلْتُ لَهُمْ : قَدْ أَدْرَكَ اللَّهُ أَهْلَهَا وَخَوَّلَهُمْ مِنْ جُودِهِ بِسُعُودِ
فَقَالَ لِأَيَّامِ الرَّشِيدِ وَنَجْلِهِ وَأَيَّامِ أُنْبَاءِ الْعَنَابِسِ : عُودِي^(٢)
فَبَشَّرَ رِيَاضَ الْعِلْمِ مِنْهُ فَهْلِهِ مَخَايِلُهُ فِي بَارِقِ وَرُعُودِ^(٣)

عبدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ

* * *

(١) يعني بهذا من صرَّحَ بذكره في البيت الثاني الآتي ذكره ، وهو الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ، المولود بالكويت سنة (١٣١٩هـ) ، والمتوفى بأثينا اليونان سنة (١٣٨٨هـ) . وكان المذكور إبان تأليف هذا الكتاب ولياً للعهد في حياة والده الملك عبد العزيز ، وتولَّى حكم المملكة العربية السعودية عقب وفاة أبيه سنة (١٣٧٣هـ) . ينظر : « الأعلام » (٩٠ / ٣) ، « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » (٧٧٣) ، (١٤٠٤) .

(٢) العنابسُ : العنابس من قریش هم أولاد أُمَيَّةَ الْكَبِيرِ ابْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وهم : أَبُو سَفِيانٍ - وهو أكبرهم ، كان يلقب عنبة كما في « التَّيْبِينَ » - وسفيان ، وحرب ، وأبو حرب ، وعمرو ، وأبو عمرو . هؤلاء سِتَّةٌ ، ولهم أربعة إخوة آخرين يلقَّبون الأعياص ، وهم : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص . والله أعلم .

(٣) المخايلُ : السَّحَاب ، ويُطلق أهل حضرموت اسم (المَخِيلَه) على السَّحَابِ إِذَا كَانَ مَتْرَافِئاً وَبَرَقَتْ بَرُوقُهُ . وكانَّ جوده يغمر النَّاسَ في الكرم كما يغمرهم السَّحَابُ بالمطر .

حَضْرَمَوْتُ^(١)

ساكنة الضَّادِ ، مفتوحة الميم ، قال أبو صخر الهذلي [مِن الطَّوِيلِ] :

حَدَّثَ مُزْنَةً مِنْ حَضْرَمَوْتٍ مَرِيَّةٌ ضَجُوجٌ لَهَا مِنْهَا مُدِرٌّ وَحَالِبٌ^(٢)
وقال عبد يغوث الحارثي [مِن الطَّوِيلِ] :

أَبَا كُرَبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتِ الْيَمَانِيَا
وهذا البيتُ مِنْ قصيدةٍ لها قصَّةٌ وشرحٌ يوجدان في « خزانة الأدب »
[٢٠٢-١٩٤/٢] .

ويروى : أن قيساً لما سمعه . . قال : لبيك ، وإن أخرتني .

وما هو إلا محض تعنت ، وإلا . . فالوزن يمهّد لما هو أكبر من هذا ، على أن
أساليب القرآن التعلّي ، وفيه شبه بما ذكر الشيوطي في « شواهد المغني » ،
والأصفهاني في « الأغاني » [٣٠٨/٢٢] أخرجنا عن ابن سيرين أن سحيماً قدم على
عمر بن الخطاب . . فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

فقال : لو قدّمت الإسلام على الشَّيْبِ . . لأجزتكَ .

وفي « الصحيح » [خ ٣٧٥٨] من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : « استقرئوا
القرآن من أربعة ؛ من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة ، وأبي بن
كعب ، ومعاذ بن جبل » .

(١) حَضْرَمَوْتُ : بالفتح ثم السكون وفتح الراء والميم . ومنهم من يضم الميم فيجعلها (حَضْرَمَوْت) ،
على وزن : عنكبوت .

(٢) البيت الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى . . لشاعر هذلي ، وهو عندهم بضم ميم (حَضْرَمَوْت) ؛ إذ
هي لغة هذيل قبيلة الشاعر ، وذكره في « معجم ما استعجم » (١ / ٤٥٥) شاهداً على ذلك . المزنة :
السحابة البيضاء . المريّة : الناقة الغزيرة الدرّ ؛ من المرّي وهو الحلب . الضجوج : الناقة التي تضجُّ
إذا حلبت ، فالشاعر هنا شبه السحابة بالناقة الكثيرة اللبن . المدرّ : التي يدرّ لبنها .

وفيه أيضاً [ج ٣٧٩١] أَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْأَنْصَارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ خَيْرَ دَوْرٍ الْأَنْصَارِ فَجَعَلْنَا آخِرًا ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « أَوْلَيْسَ بِحَسْبِكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِّنَ الْخِيَارِ » .
ولغة هذيل ضمُّ ضادِ حضرموت^(١) .

قَالَ الْهَمْدَانِيُّ : (وحضرموتُ هي جُزءُ الْيَمَنِ الْأَصْغَرُ ، نُسِبَتْ إِلَى حَضْرَمَوْتَ بْنِ حَمِيرَ الْأَصْغَرِ ، فغَلَبَ عَلَيْهَا أَسْمُ سَاكِنِهَا ، كَمَا قِيلَ : خَيَوَانٌ وَنَجْرَانٌ ، وَالْمَعْنَى : بِلْدُ حَضْرَمَوْتَ ، وَبِلْدُ خَيَوَانٍ ، وَوَادِي نَجْرَانٍ ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ رِجَالٌ نُسِبَتْ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الْمَوَاضِعُ) اهـ^(٢)

وقيلَ في تسميتها غيرُ ذلك .

وهي الْمَنْطَقَةُ الْحَارَّةُ عَلَى بُعْدِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ أَوْ خَمْسَ عَشْرَةَ دَرَجَةً مِّنْ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ ، هَوَاؤُهَا عَلَى مَقَرِيَّةٍ مِّنَ الْأَعْتَدَالِ ، وَقَدْ يَشْتَدُّ الْحَرُّ وَالْبَرْدُ فِيهَا ، وَالْغَالِبُ أَنَّ لَا تَطُولُ مَدَّةُ تِلْكَ الشَّدَّةِ ، وَرَبَّمَا أَمْتَدَّ الْحَرُّ مِّنْ نِّيسَانَ إِلَى تَشْرِينَ الثَّانِي ، وَالْبَرْدُ إِلَى آذَارٍ ، وَكَثِيرًا مَا يَحْرَقُ الزَّرْعُ وَبَعْضُ الْأَشْجَارِ ، وَعَنِ الشَّيْخِ الْمُؤَرِّخِ سَالِمِ بْنِ حَمِيدٍ : أَنَّ الْبَرْدَ أَشْتَدَّ مَرَّةً بِحَضْرَمَوْتَ ، وَأَحْرَقَ فِي نَجْمِ الْإِكْلِيلِ ، وَهُوَ شَيْءٌ مُخَالَفٌ لِلْعَادَةِ .

وحرُّ حضرموتَ في الْأَزْمَنَةِ الْمَتَأَخِّرَةِ أَشَدُّ وَأَطْوَلُ مِنْ بَرْدِهَا ، وَفِي مَرْوَحَةِ الْأُسْتَاذِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ [مِنَ الْوَاوِي] :

وَمَرْوَحَةٌ تَذُوذُ الْحَرَّ عَنَّا ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ لَا بُدَّ مِنْهَا
حُزَيْنَرَانٌ وَتَثْمُورٌ وَأَبٌ وَفِي أَيْلُولٍ يُغْنِي اللَّهُ عَنْهَا
وقد سبقَ أَنَّهُ قَدْ لَا يَغْنِي اللَّهُ عَنْهَا فِي أَيْلُولٍ وَمَدْخَلِ حَزِيرَانَ فِي نَحْوِ الثَّلَاثَةِ عَشَرَ مِنْ يُولَيَّةِ ، وَالثَّاسِعِ مِنْ نَجْمِ الْقَلْبِ .

وحضرموتُ مَظَنَّةُ الْكَنُوزِ وَالْمَعَادِنِ ، وَالْكِتَابَاتُ بِالْمَسْنَدِ الْحَمِيرِيِّ مَوْجُودَةٌ بِكَثْرَةٍ عَلَى حِجَارَةِ أَطْلَالِهَا مِّنَ الْبِلْدَانِ الْقَدِيمَةِ ، وَفِي (ص ١٢٢ ج ٦) مِنْ « الْحَدِيقَةِ » :

(١) تَقَدَّمَ أَنَّ لُغَةَ هَذِيلِ ضَمَّ مِيمَ حَضْرَمَوْتَ لَا ضَادَهَا . وَانْظُرْ « مَعْجَمٌ مَا اسْتَعْجَم » (١ / ٤٥٥) .

(٢) صَفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (١٦٥ - ١٦٦) .

(أَنَّ مَدِينَةَ أَوْفِيرَ الَّتِي جَاءَ فِي سَفَرِ الْمُلُوكِ الثَّلَاثِ مِنْ « التَّوْرَةِ » أَنَّ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَلَبَ مِنْهَا سِتَّ مِائَةٍ وَسِتَّةَ وَسِتِينَ قَنْطَارًا مِنَ الذَّهَبِ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ . . هِيَ فِي شَرْقِيَّ عَدْنِ ، عَلَى مَسَافَةِ أَرْبَعِ مِائَةِ مِيلٍ) اهـ

وَذَلِكَ صَالِحٌ لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي حَضْرَمَوْتَ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُ فَرْطِ الْحَمِيرَا فِي مَوْضِعِهِ ، قُبَيْلَ الْقَارَةِ .

وَفِي ذَلِكَ السَّفَرِ أَيْضًا : ذِكْرُ الْأَتْفَاقِ بَيْنَ مَلِكِ أُورُشَلِيمَ - وَهُوَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَمَلِكِ صُورَ - وَهُوَ حِيرُومَر - عَلَى إِنْشَاءِ الْسُّفُنِ لِمَخْرَجِ الْبَحْرِ الْمَحِيطِ الْهِنْدِيِّ وَغَيْرِهِ ، وَتَرْسُوَ بَمَرَّاسِي الْكُشْحَرِ وَظَفَارِ ، الْمَسْمَاةِ لِذَلِكَ الْعَهْدِ بِزَفَرٍ ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ مَقَرَّ ثَرَوَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَوَاسِطَةً اتِّصَالٍ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ كَمَا يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ .

وَيُخَذُّهَا شِمَالًا : صَحْرَاءُ الْأَحْقَافِ . وَجَنُوبًا : بَحْرُ عُومَانَ . وَشَرْقًا : سُلْطَنَةُ مَسْقَطَ . وَغَرْبًا : وَلايَةُ الْيَمَنِ . وَهَذَا أَوْسَعُ الْحُدُودِ عِنْدَ يَاقُوتَ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ ، أَمَّا مِنَ جِهَةِ الشَّمَالِ . . فَلَا ؛ لِأَنَّهُ كَالصَّرِيحِ فِي إِخْرَاجِ صَحْرَاءِ الْأَحْقَافِ عَنْ حَدِّهَا ، وَقِيلَ : إِنَّهَا - أَوْ بَعْضُهَا - مِنْهَا ، لِأَنَّهَا وَالْخَطُّ الَّذِي يَمْتَدُّ مِنْ سُلْطَنَةِ مَسْقَطَ إِلَى الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ يَشْمَلُهَا ، بَلْ يَشْمَلُ أَكْثَرَ مِنْهَا ، فَلِئِنْ خَرَجَتْ فِي كَلَامِ يَاقُوتَ مِنْ نَاحِيَةٍ . . فَقَدْ دَخَلَتْ فِيهِ مِنَ النَّاحِيَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ ^(١) .

(١) وَمِنْ أَدَقِّ مَا حَدَّثَتْ بِهِ حَضْرَمَوْتَ : مَا وَرَدَ فِي « الشَّامِلِ » (٢٦ - ٢٧) مِنْ بَدْءِ الْحُدُودِ مِنْ عَيْنِ بَامْعَبِدَ ، وَهِيَ بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ كَمَا قَرَّرَهُ الْمُؤَلِّفُ ، وَتَقَعُ عَيْنُ بَامْعَبِدَ عَلَى خَطِّ الْعَرْضِ (٢٥ - ٢ - ١٤) (أَرْبَعُ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَدَقِيقَتَيْنِ وَخَمْسَ وَعَشْرِينَ ثَانِيَةً) مِنْ خَطِّ الْعَرْضِ الشَّمَالِيِّ وَهِيَ فِي السَّاحِلِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ الْجَنُوبِيِّ بَيْنَ حَضْرَمَوْتَ وَأَحُورَ ، فَتَدْخُلُ : بَيْرَ عَلِيٍّ وَبِلْحَافَ . ثُمَّ يَمْتَدُّ خَطُّ الْحُدُودِ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ بِخَطِّ مُعْتَرِضٍ يَزْدَادُ مِيلًا إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ ، حَتَّى يَتَهَيَّ إِلَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ مَخْرَجِ وَادِي جَرْدَانَ إِلَى الصَّحْرَاءِ . وَهَذَا الْحَدُّ غَيْرُ مُسْتَقِيمٍ بَلْ هُوَ مُتَقَدِّمٌ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ فِي جَرْدَانَ وَإِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ فِي عَيْنِ بَامْعَبِدَ وَخَطُّ الْعَرْضِ الْوَاقِعُ عَلَيْهِ جَرْدَانَ (١٤ - ١٥) (خَمْسُ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ دَقِيقَةً) . . فَالْبَعْدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ (الْعَيْنِ) نَحْوَ (٧٢) مِيلًا إِلَّا رُبْعًا مِنْ جِهَةِ خَطِّ الْإِسْتَوَاءِ .

ثُمَّ الْحَدُّ الثَّانِي : مِنْ عَيْنِ بَامْعَبِدَ إِلَى مَخْرَجِ وَادِي الْمَسِيلَةِ ، بَيْنَ سِيحُوتَ وَدَرْفُوتَ ، وَطُولُ هَذَا الْخَطِّ الْمَمْتَدِّ : (٢١٠) أَمْيَالًا .

وَالْحَدُّ الثَّلَاثُ : خَطُّ هَلَالِيٍّ غَيْرِ مُنْتَظَمٍ التَّقْوِيسَ ، يَبْتَدِئُ مِنْ سِيحُوتَ وَيَمْتَدُّ إِلَى الْبَرِّ فِي نَحْوِ نِصْفِ =

وفي تواريخ حَضْرَمَوْتَ أَنَّ حَدَّهَا : مِنْ جِهَةِ السَّاحِلِ : عَيْنُ بَامْعَبِدٍ ، وَبُرُومُ ،
وَالشُّخْرُ ونواحيها ، إِلَى أَرْضِ الْمَهْرَةِ شرقاً . وَمِنْ جَزْدَانَ ونواحيها الْغَرْبِيَّةِ إِلَى أَرْضِ
الْمَهْرَةِ أَيْضاً شرقاً^(١) .

وعلى هذا . . فلا تدخلُ فيها ظَفَارُ الْحَبُوطِيِّ ، وَجَزَمَ كثيرونَ بدخولها في حَدَّها ،
وتفصيلُ ذلكَ في «الأصل»^(٢) .

= دائرة ، فيمر بخط يقطع بين الرمل والنجد ، حتى يصير أعظم تقويسه أمام ريدة الصيغر ، ثم ينعطف
على الجبل الأبتَر ، فرمال شُبوة ، حتى ينحط قرب مخرج وادي جردان .

هل حضرموت هي الأحقاف؟

صنيع المؤلف هنا قاض بأن صحراء الأحقاف هي الواقعة في شمال حضرموت ، وهذا هو الواقع ،
وإن كان بعض المتأخرين يدعون وادي حضرموت بوادي الأحقاف .

قال العلامة الحداد في « الشامل » (١٨ - ١٩) (وادي الأحقاف : هذا الاسم أشهر في الزمن
الأخير ، وأما الأحقاف . . فقد قال الله تعالى : ﴿ وَادَّكَّرْنَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ﴾ ، والمراد
بالأحقاف : جبال الرمل الموجودة في الرمل المعروف بالبحر السَّافِي - هو الربع الخالي - شمالي
حضرموت ، أضيف وادي حضرموت إليها لقربه منها ، وليس في حضرموت أحقاف رمل كما يتوهم
ذلك من لا يعرفها ؛ فإن حضرموت جبل متصل بجبال اليمن الجنوبية ، يشرف جنوبيه الغربي على
البحر ، وشماليه وغربيه الشمالي على رمل الأحقاف .

... ولا يتوهم أن أحد أن منازل عاد كانت رملًا ؛ فإن الرمل لا تكون فيه عيون جارية ،
ولا جنات ، ولا مصانع ، وإنما طغى عليها الرمل بعد ذلك ، وكانت قبل ذلك أرضاً متسعة طيبة ،
ذات عيون جارية ، وجنات وخصب ، كما أخبرنا الله في كتابه اهـ

وقال ياقوت (١١٥ / ١) : (والأحقاف المذكورة في الكتاب العزيز : وإد بين عمان و أرض
مهرة ؛ عن ابن عباس . قال ابن إسحاق : الأحقاف رمل فيما بين عمان إلى حضرموت . وقال قتادة :
الأحقاف رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن وهذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى)
اهـ .

قال في « الشامل » (ص ١٩) عقب هذا : (وهذا هو الذي يطلق عليه علماء العرب لفظ :
(أرض وَيَار) غالباً) اهـ

(١) مما اعتمد عليه الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى في ذكر حدود حضرموت كتاب : « الهدية السنية »
للعلامة أحمد بن حسن الحداد وهو بدوره اعتمد على : « الثور السافر » ، و « المشرع الروي » ،
وغيرهما ؛ كـ « مناقب آل باقشير » ، ذكر ذلك في « بضائع التابوت » (٩٨ / ١) .

(٢) حاصل ما أحال عليه من تفصيل : أن مؤلف « الهدية » أطال التردد في دخول ظفار ومشقاص المهرة في

وَالْأَقْرَبُ : أَنَّ حَدَّهَا الْمَصْغَرُ هُوَ : حَدُّهَا الدَّوْلِيُّ فِي أَيَّامِ بَنِي قَحْطَانَ ؛ بِأَمَارَةِ أَنَّهُمْ يُسَمُّونَ ذَلِكَ : وَادِيَّ بْنِ رَاشِدٍ ؛ يَعْنُونَ : عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَاشِدٍ الْقَحْطَانِيَّ الْمَشْهُورَ .
وَحَدُّهَا الْمَكْبَرُ هُوَ : حَدُّهَا الطَّبِيعِيُّ .

وَقَالَ الطَّبِيبُ بِامْخَرَمَةَ فِي كِتَابِهِ « نَسْبَةُ الْبُلْدَانِ »^(١) [٩١ خ] : (قَالَ الْقَاضِي مَسْعُودٌ : هِيَ مِنْ قَبْرِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْقَطْنِ . وَعَرْضُهَا مِنَ الشَّامِ : الصَّيْغَرُ وَبَنُو عَكِيرٍ وَالشَّامُخُ وَتَمِيمٌ ، إِلَى رَيْفِ الْبَصْرَةِ وَعُمَانِ . وَعَرْضُهَا مِنَ الْجَنُوبِ : الْغَيْلُ الْأَعْلَى وَالْغَيْلُ الْأَسْفَلُ إِلَى حَدِّ سَيِّبَانَ ، وَالْحُمُومُ وَالْمَهْرَةُ) اهـ .
وَفِي هَذَا الْكَلَامِ خَبْطٌ كَثِيرٌ ؛ لِأَنَّهُ يُضَيِّقُهَا مِنَ الْحُدُودِ الثَّلَاثَةِ وَمِنْ الشَّامِ بِإِيْهَامِهِ خُرُوجَ أَرْضِ الصَّيْغَرِ عَنْهَا ، وَهِيَ - كَمَا يَأْتِي آخِرَ الْكِتَابِ - كَنَجْدِ آلِ كَثِيرٍ وَالْعَوَامِرِ وَالْمَنَاهِيلِ : نَجُودُ حَضْرَمَوْتَ .

وَيُوسَعُهَا مِنْ هَذَا الْحَدِّ بِقَوْلِهِ : (إِلَى رَيْفِ الْبَصْرَةِ) وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ .
وَلِلْحَضَارَةِ أَصْطِلَاحٌ آخِيرٌ مَصْغَرٌ فِي حَدِّهَا ، فَيَجْعَلُونَهَا مِنَ الْعَقَادِ ؛ وَهُوَ مَكَانٌ يَقْرُبُ مِنْ شِبَامٍ فِي غَرْبِهَا إِلَى قَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَكِنَّ الْمَعْتَبَرَ فِي الْإِيمَانِ وَالنُّذُورِ وَالْوَصَايَا . . الْأَوْسَعُ ، كَمَا قَرَّرْتُهُ فِي « الْأَصْلِ »^(٢) .

= حدود حضرموت ، ونقل عن بعض مصادره ما يفيد دخول ظفار والمشقاص كله في الحد الحضرمي .
ثم قال : وظاهره دخول ظفار والمشقاص كله فيه ، لكن مؤلف « الهدية » تردّد في ظفار - كما قدّمنا - نفياً وإثباتاً ، وتوسّط في المشقاص ؛ فقال بدخول مشقاص الظني ، وخروج مشقاص المهري الذي أوّله بديعوت ، واستقرب بعد ذلك خروج ظفار . . إلخ . من « بضائع التابوت » (٩٨/١) .
والمشقاص الظني : أي الذي يسكنه بنو ظنة التميميون ، وهو بمحاذاة الموضع المسمّى (بديعوت) في ساحل المهرة .

- (١) أي : كتاب « النسبة إلى المواضع والبلدان » .
(٢) هذا الحدّ هو ما قرّره الشيخ أبو بكر بإشراحيل - من أهل القرن العاشر - في « مفتاح السّنة » كما نقل نصر عبارته في « بضائع التابوت » (١٠١/١) وهي : (حضرموت بلاد مشهورة متّسعة ، من بلاد اليمن ، تجمع أودية كثيرة ، وقد اختصّ بهذا الاسم وادي ابن راشد ، طوله نحو مرحلتين أو ثلاث من العقاد إلى قبر هود عليه السلام ، ويطلق على بلاد كثيرة) اهـ .
وكذلك قرّره الإمام أحمد بن حسن الحدّاد في « الهدية السّنية » ، وعبارته : (لا يطلق لفظ =

إِلَّا أَنَّهُ نَجَمَ إِشْكَالٌ ذَكَرْتُهُ مَعَ جَوَابِهِ فِي قِيدُونٍ . . فانتظره ؛ فكلُّ آتٍ قريبٌ .

وفي مادَّتَي : (عَبْدٌ) و (عَبْدَلٌ) مِنْ « التَّاج » ^(١) : أَنَّ أَسْمَ حَضْرَمَوْتَ الْأَوَّلَ هُوَ : عَبْدَلٌ .

وقال بعضهم : إِنَّ حَضْرَمَوْتَ كَانَتْ تُسَمَّى وَبَارٍ ، ثُمَّ سُمِّيَتْ : وادي الْأَحْقَافِ ، ثُمَّ سُمِّيَتْ : حَضْرَمَوْتَ .

ولاحظتُ عليه تَأَخَّرَ حَضْرَمَوْتَ بْنِ حَمِيرِ الْأَصْغَرِ وَوَبَارٍ عَنْ هُودٍ وَالْأَحْقَافِ كَمَا يَشْهَدُ لَذَلِكَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الْقَدِيمِ ، وَيَأْتِي فِي الشَّحْرِ أَنَّهَا تُسَمَّى : الْأَحْقَافِ ، وَفِي « التَّاج » عَنْ « الْمَعْجَم » [١١٥ / ١] : (روي عن ابنِ عَبَّاسٍ أَنَّهَا وَادٍ بَيْنَ عُمَانَ وَأَرْضِ الْمَهْرَةِ . وقال ابنُ إِسْحَاقَ : الْأَحْقَافُ رَمْلٌ فِيمَا بَيْنَ عُمَانَ وَحَضْرَمَوْتَ . وقال قتادةُ : الْأَحْقَافُ رَمَالٌ مُشْرِفَةٌ عَلَى هَجَرٍ بِالشَّحْرِ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ . قال ياقوتُ : فهذه ثلاثة أقوالٍ غيرُ مختلفةٍ في المعنى) اهـ

= حضرموت الآن - بل ومن زمان - إلا على وادي ابن راشد فقط ، وحده : من العقاد إلى قبر نبي الله هود عليه السلام) اهـ « بضائع التابوت » (٩٩ / ١) . أمّا ما يتعلّق بالوصايا والأيمان والتّدور . فهي مسألة عرضت للمصنّف أثناء بحثه موضوع حدود حضرموت . قال في « بضائع التّابوت » (٩٩ / ١ - ١٠٠) : (وتعرضنا في طريق الموضوع مسألة لها أهمّيّتها الكبرى ، وهي : ما الذي يعتبر من حدّي حضرموت للأيمان والطلاق والتّدور وما أشبه ذلك ؟ وساق الجواب على هذه المسألة أو الاستشكال في أكثر من ثلاث صفحات . . نقل فيها كلاماً عن الشيخ ابن حجر في « التحفة » في تخصيص اللفظ العامّ بالعرف الخاصّ ، وهل العرف ينقل اللفظ عن مدلوله اللّغوي إلى ما هو أخصّ منه . . وخلص كلام الشيخ ابن حجر إلى أنّ الأصل أنّ العمل يكون باللّغة (قبل تخصيصها بالعرف) متى شملت واشتهرت ولم يعارضها عُرْفٌ أشهر منها . . فإن اختلّ أحدهما . . اتّبع العرف إن اشتهر وأطرد . . إلخ .

وبنى على هذا : أنّ حدّ حضرموت الأصغر الذي تقدّم آنفاً نقله عن باسراحيل والحدّاد . . إنّما هو من باب اطّراد العرف لغلبة الشهرة به على شهرته اللّغوية بالحدّ الأوّل الأوسع ، وعليه : فلا اعتبار في الأبواب الفقهيّة المذكورة إنّما هو بالوضع اللّغوي الأصلي لا الوضع العرفي الطاريء ، وإيّده بكلام ابن حجر في « الفتاوى الكبرى » (١٥٨ / ٤) و (٢٦٤ / ٤) .

(١) أي : كتاب « تاج العروس في شرح القاموس » للإمام الحافظ محمد مرتضى الزبيدي الحسيني ، مطبوع في (٤٠) مجلداً .

وفيه أيضاً : أَنَّ الْحِقْفَ أَصْلُ الْجَبَلِ ، وَمَنْ الشَّحْرُ إِلَى الدَّهْنَاءِ سِلْسِلَةُ جِبَالٍ تَخْلُلُهَا
الْأَوْدِيَةُ .

وفيه عن « اللسان » : (أَنَّ كُلَّ مَا طَالَ وَأَعَوَجَّ . . فَقَدْ أَحْقَوَفَ) اهـ

وكذلك حضرموتُ جبلاً ورمالاً ، وكثرةُ أَحْقَافِ الرَّمْلِ بالدَّهْنَاءِ فِي شِمَالِ
حضرموتَ لَا يُغَبِّرُ عَلَى إِطْلَاقِهِ عَلَى الْبِلَادِ بِأَسْرِهَا ، لَا مَجَازاً فَقَطْ مِنْ إِطْلَاقِ الْجَزْءِ
عَلَى الْكُلِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي إِذَانِهِمْ ﴾ . . . بل حَقِيقَةً ؛ لِمَا عَلِمْتَ أَنَّ
حضرموتَ سِلَاسِلُ جِبَالٍ وَرِمَالٍ . . . فَالْأَحْقَافُ أَسْمٌ لَجَمِيعِ حَضْرَمَوْتِ ، لَا لِلرَّمَالِ الَّتِي
فِي شِمَالِهَا فَقَطْ .

وقال الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِأَشْرَاحِ الْحَضْرَمِيِّ الشَّبَامِيِّ فِي كِتَابِهِ : « مِفْتَاحِ
السُّنَّةِ » : حَضْرَمَوْتُ بِلَادٌ مَشْهُورَةٌ مَتَّسِعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، تَجْمَعُ أَوْدِيَةٌ كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ
أَخْطَصَ بِهَذَا الْأَسْمِ وَادِي أَبِي رَاشِدٍ ، وَسَاحِلُهَا : الْعَيْنُ وَبَرْوَمٌ إِلَى الشَّحْرِ وَنَوَاحِيهَا ،
وَالْأَحْقَافُ بِلَادُ عَادٍ .

وفي « سيرة ابن هشام » : بِلَادُ عَادٍ بَيْنَ حَضْرَمَوْتِ وَعُمَانَ ، وَقِيلَ : الْأَحْقَافُ رَمْلَةٌ
الشَّحْرِ ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ . . . إِلَّا أَنَّ يُرَادُ بِالرَّمْلَةِ مَاوَرَاءَ جَبَلِ الشَّحْرِ الَّذِي عِنْدَ ظَفَارِ
الْحَبْوَظِيِّ ؛ فَتَمَّ رَمْلَةٌ مَتَّصِلَةٌ بِطَرْفِ عُمَانَ ، وَهَذَا لَا يُغَبِّرُ عَلَى إِطْلَاقِ الْأَحْقَافِ عَلَى
سَائِرِ بِلَادِ حَضْرَمَوْتِ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كَمَا سَبَقَ ، وَلِأَنَّ مِثْلَانِي أَوْدِيَةَ الْأَحْقَافِ رِمَالاً كَثِيرَةً ؛
مِنْهَا : الَّتِي فِي جَنْبِ بَوْرٍ ، وَالَّتِي مَا بَيْنَ السَّوْمِ وَقَسَمَ ، وَيتَأَكَّدُ بِمَا سَيَأْتِي فِي الشَّحْرِ
عَنْ « مَرْوَجِ الذَّهَبِ » لِلْمَسْعُودِيِّ .

وفي (ص ٥٧ ج ٥) مِنْ « صُبْحِ الْأَعَشَى » عَنْ « الْعَبْرِ » : أَنَّ عُماناً كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ
لِعَادٍ مَعَ الشَّحْرِ وَحَضْرَمَوْتِ وَمَا وَالَاهُمَا .

فالشَّحْرُ وَحَضْرَمَوْتُ : بِلَادُ عَادٍ ، وَبِلَادُ عَادٍ هِيَ الْأَحْقَافُ . . . فَلَا مُشَاحَّةَ فِي شَيْءٍ ،
وَفِي وَجُودِ قَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَخْرِ حَضْرَمَوْتِ . . . أَقْوَى تَأْكِيدٍ لَذَلِكَ .

وفي « الرِّبَاضِ الْمُؤَنَّفَةِ » لِلْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ : (الْأَرْضُ

الْجُرْزُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا سَوَّيْنَا الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ ﴾ . . هي حضرموت ، يحدثها المشقاصُ إلى عينِ بامعبد ، إلى الشَّحْرِ ، إلى مَأْرَبَ ، وليست غيرها ، وذلك لما ذكره الإمام البخاري في « صحيحه » في تفسيرِ سورةِ الْجُرْزِ : أَنَّهَا الَّتِي لَا يَصْلُهَا مِنَ الْمَاءِ إِلَّا دُونَ كَفَايَتِهَا .

ولا نعلم أرضاً أولى بهذا من هذه الجهة الحضرمية ، ولا أجزَرَ ولا أسنَّت^(١) ، ولا أغلى أسعاراً ، ولا أقل ثماراً اهـ

ومنه^(٢) : مثل غالب أهل حضرموت ، مِنْ السَّاحِلِ إِلَى مَأْرَبَ ، وَمِنْ عَيْنِ بامعبدِ إِلَى سِيحُوتَ ، فِي الْأَسْعَى الْمَمْقُوتَ ، وَضَعْفِ الْبُخُوتِ . . كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ . . إِلَى آخِرِ مَا أَطَالَ بِهِ فِي ذِمِّ أَهْلِهَا . وَنَقَلَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بِاسْمِ دُودَانَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي تَرْجَمَ بِهِ لِلْعَلَامَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ وَوَسَمَهُ بـ : « جَوَاهِرِ الْأَنْفَاسِ » ، وَقَالَ : (وَتَحْدِيدُ حَضْرَمُوتَ فِي الْعَرَفِ الْعَامِّ - كَمَا حَقَّقَهُ شَيْخُنَا عَلِيُّ بْنُ شَهَابٍ فِي رِسَالَةٍ مُخْتَصَرَةٍ - : مِنْ مَرْبَاطِ الْحَبُوطِيِّ إِلَى حَبَّانَ ، فَيَدْخُلُ مَرْبَاطُ الْحَبُوطِيِّ دُونَ حَبَّانَ . وَأَمَّا الْعَرَفُ الْخَاصُّ : فَمِنْ شَبَامِ إِلَى تَرْيَمِ) اهـ

وَأَسْمُ حَضْرَمُوتَ فِي التَّوْرَةِ كَمَا نَقَلَهُ يَاقُوتُ [٢٧٠/٢] عَنْ أَبِي الْكَلْبِيِّ^(٣) : حَاضِرُ مَيْتَ .

وَكَانَ يُقَالُ لَهَا : وَادِي سُكَّاكَ أَيْضاً .

وَأُنْشِدَ يَاقُوتُ [٢٧٠/٢] لِبَعْضِ شُعْرَاءِ الْحَضَارِمِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

جَابَ التَّنَائِفَ مِنْ وَادِي سُكَّاكَ إِلَى وَادِي الْأَرَاكِ إِلَى بَطْحَاءِ أَجْيَادِ^(٤)

(١) قوله : أسنَّت : أجذب .

(٢) أي : كتاب « الرياض المؤنقة » .

(٣) ابن الكلبي هو : هشام بن محمد بن السائب الكلبي الكوفي ، أبو المنذر ، المتوفى سنة (٢٠٤هـ) ، مؤرخ نسابة كآبيه ، له مصنفات كثيرة ؛ منها : « جمهرة الأنساب » (خ) ، و « ملوك كندة » ، و « بيوتات اليمن » ، و « تسمية من بالحجاز من أحياء العرب » .

(٤) التَّنَائِفُ : الصُّحْرَاءُ . والبيت عند ياقوت :

جَابَ التَّنَائِفَ مِنْ (وَادِي سُكَّاكَ) إِلَى (ذَاتِ الْأَمَاحِلِ) مِنْ (بَطْحَاءِ أَجْيَادِ)

وهو في عدة أبيات لها قصة طويلة ، أوردها الهمداني في « الإكليل » [١٣١/٨] وغيره^(١) .

(١) والقصة كما في « الإكليل » : قال هشام بن محمد قال : أبو يحيى السجستاني عن مرة بن عمر الأيلي عن الإصيص بن نباتة قال : إنا لجلوس عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مدة أبي بكر رضي الله عنه . إذ أقبل رجل حضرمي من بلاد حضرموت لم أر أطول منه ، فاستشرفه الناس وراعه منظره ، وأقبل جواداً حتى وقف وسلم وجاء ثم جلس ، فكثر إثناء الناس منه مجلساً ، فقال : من عبيدكم ؟

فأشاروا إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
فقال : أهذا أبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعالم الناس المأخوذ عنه ؟
قيل : نعم .

فقال الحضرمي :

أَبْلَغُ كَلَامِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْ هَادٍ
جَابِ التَّنَائِفِ مِنْ وَادِي سُكَاءَ إِلَى
تَلَفُّهُ الدَّمَنَةُ أَبْزَغَاءُ مُعْتَبِداً
سَمِعْتُ بِالدِّينِ دِينَ الْحَقِّ جَاءَ بِهِ
فَجِئْتُ مُتَقِلّاً مِنْ دِينِ طَاغِيَةٍ
وَمِنْ ذَبَائِحِ أَغْيَادٍ مُضَلَّلَةٍ
فَاذْلُلْ عَلَى الْقَصْدِ وَأَجْلُ الرِّيبِ عَنْ خَلْدِي
وَأَلْثُمْ بِهِذِي هَذَاكَ اللَّهُ مِنْ شَعْبِي
إِنَّ الْهَدَايَةَ لِلْإِيمَانِ نَائِبَةٌ
وَلَيْسَ يَنْفِرُ رَيْبُ الْكُفْرِ عَنْ خَلْدٍ
قال : فأعجب علياً شعره ، وقال له : لله درك ما أرحمن شعرك !! ممن أنت ؟

قال : أنا من حضرموت . قال : فسر به علي رضي الله عنه وشرع عليه الإسلام . . فأسلم علي يديه ، ثم أتى أبا بكر وأسمعه شعره . . فأعجبه وحسن إسلام الرجل .

ثم أتى علياً رضي الله عنه يسأله ذات يوم ونحن مجتمعون للحديث ، فقال : أعالم أنت بحضرموت . قال : إذا جهلتها . . فما أعلم غيرها . قال : أتعرف موضع الأحقاف ؟ قال : كأنك تسأل من قبر هود . قال علي : لله درك ما أخطأت . قال : نعم ، خرجت وأنا في عنفوان الشباب في أغلمية من الحي ونحن نريد أن نأتي قبره لبعده صورته فينا ، وكثرة من ينكره .

فسرنا في وادي الأحقاف أياماً ، وفينا رجل قد عرف الموضع حتى أنهينا إلى كتيب أحمر فيه كهوف مشرفة . . فأنتهى بنا ذلك الرجل إلى كهف منها ، فدخلناه ، فأمعنا فيه ، فأنتهينا إلى حجرين قد

ثُمَّ قَالَ ياقوتُ [٢٢٩/٣] : وَشُكَاكُ مَوْضِعِ بَحْضَرَمَوْتِ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مِنْ أَسْمَائِهَا : بَرْكُ الْغِمَادِ .

وَكَانَتْ حَضْرَمَوْتُ أَرْضَ خَصْبٍ وَرَخَاءٍ بِمَا كَانَتْ تَشْرَبُ مِنْ فَضُولِ مِيَاهِ مَأْرَبَ حَسَبَمَا يَأْتِي فِي الْمَبْحَثِ الْخَامِسِ مِنَ الْحَسِيسَةِ وَغَيْرِهِ ، وَبِمَا فِيهَا مِنْ أَلْعْيُونِ السَّائِحَةِ عَلَى الْأَرْضِ ، وَالْمُنْبَقَّةِ مِنَ الْجِبَالِ . . إِلَى أَنْ سَدَّهَا مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ ؛ إِذْ فَعَلَ فَعَلَتَهُ الَّتِي فَعَلَ بِأَهْلِ حَضْرَمَوْتِ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا أَخَاهُ ، كَمَا أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ مِرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي قَوْلِهِ لَهُ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

وَطُنْتَ خُدُودَ الْحَضْرَمِيِّينَ وَطَاءَةً بِهَا مَا بَنَوْا مِنْ عِزَّةٍ قَدْ تَضَعُضَعَا
فَأَقَعُوا عَلَى الْأَسْتَاهِ إِفْعَاءَ مَعْشَرٍ يَرُونَ أَتْبَاعَ الذَّلِّ آخَرِيٍّ وَأَنْفَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَرْبِ كُلِّهَا لَأَقَعُوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَرْبِ إِضْبَعَا

وَفِي « التَّوْرِ السَّافِرِ » وَ« الْمَشْرِعِ الرُّوِّيِّ » وَ« الْفَوَائِدِ السَّنِّيَّةِ » : أَنَّ بَعْضَ الْمَغَارِبَةِ جَاءَ فِي أَيَّامِ بَدْرِ بُوَطُورِقٍ ، وَتَعَهَّدَ بِفَتْحِهَا ، وَلَكِنْ بَدْرًا خَافَ مِنْ رَغْبَةِ الْأَتْرَاكِ فِيهَا ، وَيتَأَكَّدُ مَا ذَكَرَ بِمَا جَاءَ فِي (ص ٦٣) وَ(ص ٦٤) مِنْ « تَارِيخِ الْمُسْتَبْصِرِ » لِابْنِ الْمَجَاوِرِ : (أَنَّ مَوْضِعَ زَبِيدَ كَانَ حِمَى لِكُلَيْبٍ وَائِلٍ وَأَخِيهِ مَهْلَهْلٍ ، وَكَانَ رِيفًا وَاسِعًا ، بِهِ سِتُّ مِثْقَةٍ ، أَوْ سِتُّونَ عَيْنًا سَائِحَةً لَمْ تَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى رَدَّمَهَا بَعْضُ الْمُلُوكِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيُّ) اهـ

وَلَا يُحْصَى مَا أَنْجَبَتْ حَضْرَمَوْتُ مِنْ رِجَالِ الْعِلْمِ وَالْمَجْدِ وَالشَّرَفِ وَالزَّرْعَامَةِ

= أَطْبَقَ أَحَدُهُمَا دُونَ الْآخَرِ ، وَبَيْنَهُمَا خِلَلٌ يَدْخُلُ فِيهِ النَّحِيفُ مُتَجَانِفًا . . فَدَخَلَتْهُ .
فَرَأَيْتُ رَجُلًا عَلَى سُرِيرٍ شَدِيدَ الْأُدْمَةِ ، طَوِيلَ الْوَجْهِ ، كَثَّ اللَّحْيَةِ ، قَدْ بَيَسَ عَلَى سُرِيرِهِ ، وَإِذَا مَسَسَتْ شَيْئًا مِنْ جَسَدِهِ . . أَصْبَتْهُ صَلْبًا لَمْ يَتَغَيَّرْ .
وَرَأَيْتُ عِنْدَ رَأْسِهِ كِتَابًا بِالْعَرَبِيَّةِ : (أَنَا هُوْدُ الَّذِي آمَنْتُ بِاللَّهِ ، وَأَسَفْتُ عَلَى عَادٍ وَكُفْرِيهَا ، وَمَا كَانَ لِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ مَرْدٍ) . وَسَيَاتِي لِلْحَدِيثِ شَوَاهِدٌ فِي مَبْحَثِ قَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي آخِرِ الْكِتَابِ .

والعروبة قديماً وحديثاً ، كما تشهد معاجم الرجال وكُتُبُ التَّاريخ ، وفي هذه المجموعة و«أصلها» الكثير الطَّيِّبُ مِنْ ذَلِكَ .

ومما يؤكدُ تسميتها ببرك الغمادِ : أنَّها مضربُ المثل في البُعدِ .

وقد قالَ المقدادُ - وهوَ حضرميٌّ - للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : فوالَّذي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لو سِرْتَ بنا إلى بَرَكِ الغمادِ . . لَجالدنا معَكَ مِنْ دُونِهِ^(١) .

وقالَ الشَّمرُ دُلُ بْنُ شَرِيكَ يَصِفُ الرِّياحَ [مِنَ الرِّجْزِ] :

بَلَّغْنَ أَقْصَى الرَّمْلِ مِنْ يَبْرِينَا وَحَضْرَمَوْتَ ، وَبَلَّغْنَ الصَّيْنَا^(٢)

وقالَ قيس [في «ديوانه» ٢٢٧ مِنْ الطُّويلِ] :

وَلَوْ أَنَّ وَاشٍ بِالْيَمَامَةِ دَارُهُ وَدَارِي بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ اهْتَدَى لِيَا
وَبَعْضُهُمْ يرويه : (أَقْصَى حَضْرَمَوْتَ) وهوَ أَنَسَبُ .

وقيلَ : إِنَّ بَرَكَ الغمادِ وادٍ مَخْصُوصٌ مِنْهَا فَقَطْ ، وهوَ الَّذِي فِيهِ بَنُو بَرَهُوتِ .

قالَ أبْنُ دُرَيْدٍ [مِنْ مَجْزُوءِ الكَامِلِ] :

وَإِذَا تَنَكَّرَتِ الْبِلَالُ دُفَاؤُلُهَا كَنَفَ الْبِعَاذِ
وَأَجْعَلَ مَقَامَكَ أَوْ مَقَرَّكَ جَانِبِي بَرَكَ الْغَمَاذِ

وفي «الصَّحِيحِ» [خ ٣٩٠٥] أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ
الْغَمَادِ . . لَقِيَهُ أَبْنُ الدَّغْنَةِ . . إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ ، وَذَكَرَ الشُّرَاحُ فِيهِ أَقْوالاً ؛ أَحَدُهَا :
أَنَّهُ بِحَضْرَمَوْتَ .

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٧٧٩) عَنْ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ لَا عَنْ الْمَقْدَادِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ .

(٢) وَأَصْلُ الْآيَاتِ كَمَا وَرَدَتْ :

حَيْثُ يُقَالُ لِلرِّياحِ اسْفِينَا هُوجٌ يُصَبِّحُنَ فَلَا يُبْنِيَا
وَكُلٌّ وَجْهٌ لِلشُّرَى يَسْرِينَا بَلَّغْنَ أَقْصَى الرَّمْلِ مِنْ (يَبْرِينَا)
(حَضْرَمَوْتَ) وَبَلَّغْنَ (الصَّيْنَا)

وكما كانت حَضْرَمَوْتُ مَضْرِبَ الْمَثَلِ فِي الْبُعْدِ . . . فَكَذَلِكَ كَانَتْ مَضْرِبَهُ فِي أُمُورٍ
كثيرةٍ ، منها كما في «الأصل» :
- الْجَمَالُ .

وحسبك شاهداً عليه ما جاء في كتابه صلى الله عليه وآله وسلم لوائلِ بنِ حُجْرٍ مِنْ
وصفِ أَقْيَالِ حَضْرَمَوْتُ بِالْمَشَائِبِ^(١) ، ومعناه كما في «التاج» وغيره : الرُّؤُوسُ
الزُّهُرُ الْأَلْوَانِ^(٢) ، كأنما أوقدت وجوههم بالنار ؛ لِحُسْنِهَا وَإِشْرَاقِهَا .
ومعلومٌ أنَّ وَفْدَ كِنْدَةَ اسْتَجْهَرُوا النَّاسَ بِجَمَالِهِمْ وَحُسْنِ شَارَتِهِمْ ، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مِنْ
الْحَبِرَاتِ مَا شَبَّ الْوَانِهِمْ^(٣) .
وذكر المبردُ : أَنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ مِنَ الْغَفَرِ الَّذِينَ فَرَعُوا^(٤) النَّاسَ طَوْلًا وَجَمَالًا ،
وَكَانَ مِنْ مُقْبَلِي الظُّعْنِ^(٥) .

وذكر أيضاً قولَ أَبِي ذَهَبِلٍ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

أَعْرِفْتَ رَسْمًا بِالنُّجْدِ — عَفَا لَزَيْنَبَ أَوْ لِسَارَةَ
لِعَزِيزَةٍ مِنْ حَضْرَمَوُ تَ عَلَى مُحَيَّاهَا النَّضَارَةَ
وروى الجاحظُ : أَنَّ حَضْرَمِيَّةً - وَكَانَتْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ جَمَالًا - تَجَرَّدَتْ أَمَامَ زَوْجِهَا ،
وَقَالَتْ : مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، فَقَالَ لَهَا : أَرَى فُطُورًا ، فَاسْتَحْيَيْتَ .
وقال عمروُ الْقَيْسِ [فِي «دِيوانه» ١٤١ مِنْ الطُّوِيلِ] :

تَنَوَّزْتُهَا مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَأَهْلُهَا — يَنْتَرِبُ أَدْنَى دَارِهَا نَظْرٌ عَالِي

(١) عندما أسلم وإل بن حُجْرٍ . . . كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم عِدَّةَ كُتُبٍ ، فَكُتِبَ كِتَابًا إِلَى أَقْيَالِ -
مُلُوكِ - حَضْرَمَوْتُ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْتُبُ يَا مُعَاوِيَةُ ، إِلَى الْأَقْيَالِ الْعَبَاهِلَةِ ، وَالْأَزْوَاعِ
الْمَشَائِبِ » .

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ : (الرُّؤُوسُ الْأَعْيَانُ) . وَالتَّصْحِيحُ مِنْ «تاج العروس» .

(٣) أَي : زَادَهَا حَسَنًا . وَالْحَبِرَاتِ : ثِيَابٌ وَبُرْدٌ مَعْرُوفَةٌ .

(٤) فَرَعُوا : عَلَوْا .

(٥) الظُّعْنُ - جَمْعُ ظُعْنَةٍ - يُقَالُ : فَلَانٌ مُقْبَلُ الظُّعْنَةِ ؛ أَيِ الْمَرْأَةِ فِي هَوْدَجِهَا وَجَمَلُهَا قَائِمٌ ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّهُ
فَارِعَ الطُّولَ ، وَقَدْ نَعَتَ بِذَلِكَ جَمَاعَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَصَدَرَ الْإِسْلَامَ .

ويترب - بالمشناة الفوقية - : مدينة بحضرموت - كما قال ألهمداني - نزلتها كندة^(١) ، وإياها يعني الأعشى بقوله [في «ديوانه» ١١٧ من الكامل] :

بِسَهَامٍ يَثْرِبُ أَوْ سَهَامٍ الْوَادِي

وقال ابن عبيد الأشجعي [من الطويل] :

وَعَدَتْ وَكَانَ الْخُلْفُ مِنْكَ سَجِيَّةً مَوَاعِيدَ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ يَثْرِبُ

وقد أجمعوا على روايته بالثاء المشناة ، ولئن كان الأكثر يزعمون أن يثرب الحضرمية بالثاء المشناة أيضاً ، ويتأكد ذلك بوجود طائفة من الحضارم يقال لهم : (آل يثرب) لا يزال منهم ناسٌ حتى اليوم يحترفون بالحدادة .

وقد وصفت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة من كندة بالجمال . . فرغب فيها ، ولما قال له أبوها : وأزيدك أنها لم تتجع قط في عمرها . . رغب عنها^(٢) ، وهي غير الجونية^(٣) ، وغير أخت الأشعث التي حُرمت السعادة بامتناعها من الارتحال إلى المدينة^(٤) ، وهي التي أقرنت بعد بعكreme بن أبي جهل ، وجرى لها مع أبي بكر شأن .

- ومنها : حُسنُ النَّسجِ .

ففي حديث الهجره : (أَنَّ عَلِيًّا تَسَجَّى بِبُرْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْحَضْرَمِيُّ الْأَخْضَرُ)^(٥) .

وأخرج ابن سعد بسنده إلى عروة بن الزبير : أَنَّ ثَوْبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ فِيهِ إِلَى الْوَفْدِ وَرِداءُهُ : حَضْرَمِيٌّ ، طَوْلُهُ : أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ ،

(١) صفة جزيرة العرب (١٧٠) .

(٢) ذكر ذلك ابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٩/٥) .

(٣) واسمها : أسماء بنت كعب الجونية ، لم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلقها ، قال الزهري : استعاذت منه . . فقال : «لقد عُدتِ معاذاً ، إلحقي بأهلك» . «السير» (٢٥٥/٢) .

(٤) واسمها : قتيلة بنت الأشعث بن قيس .

(٥) الخبر في «دلائل النبوة» لأبي نعيم (٢٦١/١) ، و«دلائل البيهقي» (٤٦٨/٢) ، وفي «عيون

الأثر» (١٧٨/١) ، والطبري (٥٦٧/١) .

وَعَرَضُهُ : ذِرَاعَانِ وَشَبْرٌ ، فَهُوَ عِنْدَ الْخُلَفَاءِ ، قَدْ خَلَقُوهُ^(١) وَطَوَّوْهُ بِثَوْبٍ يَلْبَسُونَهُ يَوْمَ الْأَضْحَى وَالْفَطْرِ^(٢) .

وَقَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ فِي مَشُوبَتِهِ [في «ديوانه» ٧٩ مِنْ الطُّوِيلِ] :
يُدِيرُ عَلَيْنَا كَأْسَهُ وَشِوَاءَهُ مَنَاصِفُهُ وَالْحَضْرَمِيُّ الْمُحَبَّرَا
(وَالْمَنَاصِفُ) : هُمُ الْخَدَمُ .

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [في «ديوانه» ١٩١ مِنْ الطُّوِيلِ] :
كَأَنَّ عَلَيْهَا سَخَقَ لِفَقٍ تَنَوَّقَتْ بِهِ حَضْرَمِيَّاتُ الْأَكْفِ الْحَوَائِكِ^(٣)
وَقَالَ جَرِيرٌ [في «ديوانه» ١٣٤ مِنْ الْكَامِلِ] :
وَطَوَى الطَّرَادُ مَعَ الْقِيَادِ بَطُونَهَا طَيَّ التَّجَارِ بِحَضْرَمَوْتَ بُرُودَا^(٤)
وَقَالَ كَثِيرٌ [في «ديوانه» ١٢٥ مِنْ الطُّوِيلِ] :
رَأَيْتُ نِيَابَ الْعَصَبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى بِنَا وَبِهِمْ وَالْحَضْرَمِيُّ الْمُخَصَّرَا^(٥)
وَقَالَ حَبِيبٌ^(٦) [في «ديوانه» ٢٢٤/١ مِنْ الْكَامِلِ] :
كَشَقِيقَةَ الْبُرْدِ الْمُسَهَّمِ وَشَيْءُهُ فِي أَرْضٍ مَهْرَةً أَوْ بِلَادٍ تَزِيدُ^(٧)

(١) خَلَقُوهُ : طَيَّبُوهُ .

(٢) الطَّبَقَاتُ (٤٥٨/١) .

(٣) السَّحَقُ : الثَّوْبُ الْبَالِي . اللَّفْقُ : الثَّوْبُ الَّذِي ضُمَّ شَقَاهُ إِلَى بَعْضِهِمَا وَخُيِّطَا . تَنَوَّقَتْ : تَرَفَّقَتْ .

(٤) الطَّرَادُ : الْمَطَارِدَةُ وَالْجَرِيُّ خَلْفَ الْعَدُوِّ . الْقِيَادُ : الْحَبْلُ الَّذِي يُسَاقُ بِهِ الدَّابَّةُ . التَّجَارُ : كِرْجَالُ ، جَمْعُ تَاجِرٍ . «الْقَامُوسُ» .

(٥) الْبَيْتُ فِي «الدِّيَّانِ» وَ«الْأَغَانِي» عَلَى الشَّكْلِ التَّالِيِ :

لَبَسْنَا نِيَابَ الْعَصَبِ فَأَخْتَلَطَ السَّدَى بِنَا وَبِهِمْ وَالْحَضْرَمِيُّ الْمُخَصَّرَا
الْعَصَبُ : ضَرْبٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ . السَّدَى : الْخِيُوطُ الطَّوِيلَةُ الَّتِي يَتَكَوَّنُ مِنْهَا النَسِيجُ . وَعَكْسُهَا :
اللُّحْمَةُ ، وَهِيَ الْخِيُوطُ الْعَرَضِيَّةُ . الْحَضْرَمِيُّ : النَّعْلُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ . الْمُخَصَّرُ : مَا قُطِعَ
خَصْرَاهُ حَتَّى صَارَا مُسْتَدَقِّينَ .

(٦) هُوَ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ أَبُو تَمَّامٍ ، الشَّاعِرُ الْمَعْرُوفُ .

(٧) كَشَقِيقَةٍ : جَارٌ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِحَالٍ مَحْذُوفٍ مِنَ الْفِعْلِ (خَذَهَا) فِي الْآيَاتِ قَبْلَهُ ، وَهُوَ =

وَتَزِيدُ - زِنَةٌ جَمِيلٌ - هُوَ كَمَا فِي « التَّاجِ » : (أَبْنُ حَيْدَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِ بْنِ قِضَاعَةَ ، وَهُمْ الَّذِينَ تُنسَبُ إِلَيْهِمُ الْبُرُودُ التَّزِيدِيَّةُ) .

قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ [مِنَ الْكَامِلِ] :

يَعُزْنَ فِي حَدِّ الطُّبَاةِ كَأَنَّمَا كُسِيتَ بُرُودَ بَنِي تَزِيدَ الْأَذْرُعُ

وَقَالَ عُلُقَمَةُ [مِنَ الْكَامِلِ] :

رَدَّ الْقِيَانُ جِمَالَ الْحَيِّ فَاخْتَمَلُوا فَكُلُّهَا بِالتَّزِيدِيَّاتِ مَعْكُومٌ^(١)

وَكَانَتْ حَضْرَمَوْتُ تَفِيضُ بِالْأَكْسِيَةِ إِلَى صَنْعَاءَ فَمَا دُونَهَا مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ . وَفِي « مَجْمُوعِ كَلَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ سَمِيطٍ » أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ شَبَامِ يَسْتَحِيكُ شِيَاذِرَ فَيَذْهَبُ بِهِمْ بَعْضُ أَوْلَادِهِ إِلَى صَنْعَاءَ فَيَبِيعُهُمْ عَلَى الْإِمَامِ أَوْ بَعْضِ حَاشِيَتِهِ مِنْ ثَمَانِينَ رِيَالًا وَمِئَةَ رِيَالٍ .

وَلَمْ يَزَلْ أُمَرَاءُ لَحَجٍّ إِلَى عَهْدِ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ فَضْلِ الْعَبْدَلِيِّ يَسْتَحِيكُونَ الشِّيَاذِرَ التَّزِيمِيَّةَ ، وَإِلَى تَزْيِينِ حَوَاشِيهَا بِخِيُوطِ الْحَرِيرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ الْمَقْصَبِ الْمُتَخَالَفِ النَّسِيجِ . . يَشِيرُ ذُو الرُّمَّةِ بِقَوْلِهِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١٦٤ مِنْ الطُّوِيلِ] :

بِهِ مَلْعَبٌ مِنْ مُعْصِفَاتٍ نَسَجْنَهُ كَنَسَجِ الْيَمَانِيِّ بُزْدَةً بِالْوَشَائِعِ^(٢)
إِذِ الْوَشَائِعُ : الطَّرَائِقُ الْمُخْتَلِفَةُ ؛ مِنْ : (وَشَعَتِ الْمَرْأَةُ الْغَزَلَ عَلَى يَدَيْهَا) ؛ أَيِ : خَالَفَتْهُ ، وَتَوَشَّعَتِ الْغَنَمُ فِي الْجَبَلِ . . اخْتَلَفَتْ .

وَكَانَ بِصَنْعَاءَ دَلَالُونَ مَخْصُوصُونَ بِالْبَزِّ الْحَضْرَمِيِّ^(٣) ، يَرْجِعُ نَسَبُهُمْ إِلَى آلِ

خُأَهَا مُتَقَفَّةَ الْقَوَافِي رُبُّهَا
حَدَاءَ تَنَلُّ كُلَّ أُذُنٍ حَكْمَةً

وَالْمَعْنَى : خَذَاهَا قَصِيدَةً مَرْتَبَةً مُنْقَحَةً كَالْبُرُودِ الْجَمِيلَةِ الْآنِيقَةِ الَّتِي تَنْسَجُ فِي الْيَمَنِ وَبِلَادِ تَزِيدَ .

(و) (بِلَادِ تَزِيدَ) : قَبِيلَةٌ تَنْسَبُ إِلَيْهَا الْبُرُودُ الْفَاخِرَةُ ، وَهِيَ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ : قَبِيلَةٌ لِلْجُنِّ .

(١) مَعْكُومٌ : مَرْبُوطٌ وَمَشْدُودٌ .

(٢) الْمُعْصِفَاتُ : الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ .

(٣) دَلَالُونَ - جَمْعُ دَلَالٍ - وَهُوَ : الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الْبَائِعِ وَالْمَشْتَرِي ، يُقَالُ لَهُ : سَمْسَارٌ .

السَّقَافِ بَسِيتُونَ ، وَلَمَّا انْقَطَعَ الْبَرْزُ الْحَضْرَمِيُّ مِنْذُ نَحْوِ مِنْ نَصْفِ قَرْنٍ . . سَاءَتْ
أَحْوَالُهُمْ .

وَكَانَ الْحَضَارْمَةُ فِي عَهْدِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلَوِيٍّ يَجْلِبُونَ الْخَيْلَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلَى
ظَفَارٍ كَمَا يُعْرَفُ مِنَ الْحِكَايَةِ (١٥٦) مِنْ « الْجَوْهَرِ الشَّقَافِ » لِلخَطِيبِ [١٨٢ / ١ خ] .

وَسَيَاتِي عِنْدَ ذِكْرِ آلِ بَامَاجِدٍ فِي تَرْيَمٍ : أَنَّ مِلَاحَةَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ بِأَسْرِهِ كَانَتْ
لِلْحَضَارْمِ مِنَ الْقَرْنِ الثَّانِي الْهَجْرِيِّ .

- وَمِنْهَا : جُودَةُ الْإِبِلِ .

قَالَ الْبُعَيْثُ الْحَنْفِيُّ يَمْدَحُ نَاقَتَهُ [فِي « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ » ٣٨٠ / ٢ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

مُفَرَّجَةٌ مَنفُوجَةٌ حَضْرَمِيَّةٌ مُسَانِدَةٌ سِرِّ الْمَهَارَى أَنْتَقِيْتُهَا^(١)

وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

حَرَاجِيحُ مِمَّا ذَمَّرَتْ فِي نَتَاجِهَا بِنَاحِيَةِ الشُّخْرِ الْغُرَيْرِ وَشَذَقَمُ^(٢)

وَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ مَا جَاءَ فِي مَدْحِ الْإِبِلِ الْمَهْرِيَّةِ بِمَا لَا يَضِبُّهُ الْحَصْرُ ؛ لِأَنَّ مَهْرَةَ
دَاخِلَ حَضْرَمَوْتَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَقْوَالِ^(٣) .

- وَمِنْهَا : فَرَاهَةُ الْحُمُرِ^(٤) .

فَقَدْ جَاءَ فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » لِلْهَمْدَانِيِّ : إِنَّ أَحْسَنَ الْحَمِيرِ : الْحَضْرَمِيَّةُ .

(١) مفرجة : التي بعلت مرافقها واتسعت آباطها ، يريد أنها فتلاء المرافق . المنفوجة : الواسعة الجنبين .
الحضرمية : من نسل إبل حضرموت . المساندة : القوية الظهر . سِرُّ المَهَارَى : خيارها .
والمَهَارَى : نسبة إلى مهرة بن حيدان .

(٢) حراجيج - جمع حرجوج - وهي : الناقة الضامرة القوية القلب . ذمَّرت : أدخل المذمَّرُ يده في رحمها
ليرى الجنين أذكر هو أم أنثى . الغرير وشذقم : اسمتا قبيلتين . والمعنى : أنها من إبل هؤلاء القوم
فهم يذمرونها .

(٣) ينظر تفصيل طويل ، وعرض موسَّع حول المهرة في « الشَّامِل » (٢٢٢-٢٤) .

(٤) الفراهة : جودة السير .

- ومنها : جودةُ الْخَمْرِ .

فقد جاءَ في مادةِ (بَنَى) مِنْ « أَلْتَّاجِ » قوله [مِنْ الْوَافِرِ] :

سَبَبَتْهُ مُعْصِرٌ مِنْ حَضْرَمَوَاتٍ بَنَاءُ اللَّحْمِ جَمَاءُ الْعِظَامِ^(١)

- ومنها : جُدُلُ الثُّوقِ^(٢) .

فقد جاءَ في آخرِ مادةِ (ثَنَى) مِنْ « أَلْتَّاجِ » قولُ شاعرٍ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

تَلَاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كَأَنَّهُ تَعْمُجُ شَيْطَانٍ بِذِي خِرْوَعٍ قَفَرٍ^(٣)

- ومنها : جودةُ النَّمَالِ .

وهو أَلْبَابُ الْوَاسِعِ الَّذِي لَا يَضْبُطُهُ عَدٌّ ، ومنه ما سبقَ مِنْ قولِ كَثِيرٍ :

رَأَيْتُ ثِيَابَ الْعَصَبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى بِنَا وَبِهِمْ وَالْحَضْرَمِيَّ الْمُخَصَّرَا

وقوله أيضاً [في « ديوانه » ٣٣٩ مِنْ الطَّوِيلِ] :

لَهُمْ أَزْرٌ حُمْرُ الْحَوَاشِي يَطْوُنَهَا بِأَقْدَامِهِمْ فِي الْحَضْرَمِيِّ الْمُلْسَنِ^(٤)

وقولُ مروانَ بنِ أَبِي حفصةَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَمَا قَاسَ نَعْلًا حَضْرَمِيٍّ فَقَدَّهَا عَلَى أُخْتِهَا لَمْ يَأْنِ أَنْ يَتَجَرَّدَا

(١) يَرْحَمُ اللَّهُ الْمُؤَلِّفَ ؛ فَقَدْ ظَنُّ أَنْ (الْمُعْصِرِ) الْخَمْرِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ .. بَلِ الْمُعْصِرِ : الْفَتَاةُ أَوَّلُ مَا تَحِيضُ ، وَكَأَنَّ رَحِمَهَا يَعْصِرُ .

ومنه قول عمر بن أبي ربيعة مِنَ الطَّوِيلِ :

فَكَانَ مِجْنَى دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّقِي ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَاعِبَانِ وَمُعْصِرُ

بَنَاءُ اللَّحْمِ : طَيِّبَةٌ رَائِحَةُ اللَّحْمِ . جَمَاءُ الْعِظَامِ : لَيْثَةٌ كَأَنَّ لَيْثًا لَهَا عِظَامٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) الْجُدُلُ : جَمْعُ جَدِيلٍ ، وَهُوَ حَبْلٌ مَفْتُولٌ مِنْ أَدَمٍ أَوْ شَعْرٍ ، يَكُونُ فِي عِقْقِ الْبَعِيرِ أَوْ النَّاقَةِ .

(٣) الْمَثْنَى : زِمَامُ النَّاقَةِ . التَّعْمُجُ : التَّلَوِّيُّ فِي السَّيْرِ وَالْإِعْجَاجُ . شَيْطَانٌ : نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَيَّاتِ .

الْخِرْوَعُ : كُلُّ نَبْتٍ ضَعِيفٍ يَشْتَلِي . وَالْمَعْنَى : أَنَّ نَاقَتَهُ تَلَاعَبَ حَبْلُهَا الَّذِي يَشْبَهُ فِي تَشْنِيهِ الْحَيَّةَ الَّتِي

تَطُوفُ بَيْنَ لَزْرِعِ الطَّرِيِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٤) يَطْوُنَهَا : يَلْمُؤُونَهَا .

وقول حبيب [في « ديوانه » ١٧/٢ من الكامل] :

حُذِثَ حِذَاءَ الْحَضْرَمِيَّةِ أُرْهَفَتْ وَأَجَادَهَا التَّخْصِيرُ وَالتَّلْسِينُ^(١)

وقول الرضي [في « ديوانه » ١٧٧/٢ من الأوافر] :

وَتَمَّ عَلاؤُكُمْ بِي بَعْدَ نَقْصِ تَمَامِ الْحَضْرَمِيَّةِ بِالْقَبَالِ^(٢)

وكما يُضْرَبُ المثلُ بالسُّيُوفِ اليمانية.. فإنَّ أهلَ اليمنِ يَضْرِبُونَ المثلَ بالجنابي ؛
أي : الخناجرِ الحَضْرَمِيَّةِ ، ويتنافسون في أَقْنَانِهَا ، ويتمدِّحُونَ بها في أشعارِهِمْ .

وسَيَأْتِي في وِبارٍ من آخرِ الكتابِ مَضْرَبُ المثلِ بنخيلِها ، ولا جرم ؛ فَإِنَّهُ كثيرٌ ،
معتدلُ الحلاوةِ ، رقيقُ القِشْرَةِ ، كثيرُ اللَّبِّ ، رقيقُ النَّوَى.. . فلهُ أن يتفَضَّلَ بحقٍّ عن
سائرِ الثُّمُورِ^(٣) .

ونقلوا عن الصَّاعِغَانِي أَنَّ ذَا النُّخَيْلِ يُطَلِّقُ عَلَى بَقَاعٍ ؛ منها : واحدٌ دُوَيْنَ
حَضْرَمُوتَ ، وهو المرادُ من قولِ أَبِي حَرْبٍ الأَعْلَمِ ، أَحَدِ بَنِي عَقِيلٍ ، أو ليلي الأَخِيلِيَّةِ
[مِنَ الرَّجَزِ] :

نَحْنُ اللَّذُونَ صَبَّحُوا أَصْبَاحًا يَوْمَ النُّخَيْلِ غَارَةَ مِلْحَاخَا
مَذْجَجَ فَأَجْتَنَحْنَاهُمْ أَجْتِيَاخَا وَلَمْ نَدْعِ لِسَارِحِ مُرَاخَا

(١) حُذِثَ : قِيسَتْ . حِذَاءَ : قِياسَ . أُرْهَفَتْ : لَطُفَتْ وَرَقَّتْ . التَّلْسِينُ : خُرْطُ صَدْرِ النَّعْلِ ، وجعلُ
شيءٍ له يشبه اللِّسانَ .

(٢) الحَضْرَمِيَّةُ هنا : النعلُ . القَبَالُ : الزمام الذي بين الإصبع الوسطى والتي تليها .

(٣) وكذلك من الأمور التي اشتهرت بها حَضْرَمُوتُ ما يلي : غزارة المياه وعذوبتها ؛ فإن مياه حَضْرَمُوتِ
الجوفية غزيرة ، وقد اكتشفت بها كميات كبيرة . وكما أن النفط اكتشف أيضاً في وادي المسيلة
بكميات تجارية كبيرة . وكذلك العسل الحَضْرَمِيّ ، الذي تغني شهرته عن التعريف به . واشتهار أهلها
بعلم الفقه ، وخدمتهم لمذهب الإمام الشافعي مما لا يخفى على أحد . ودخول كثير من الأئم في
الإسلام على أيدي علماء وتجار حَضْرَمُوتِ الصالحين الدعاة إلى الله ، وهذا كالتاج على هامة كل
حَضْرَمِيّ . وشهرة أهلها بالأمانة ، وحسن سياستهم للأمور ، ونجاحهم في أمور التجارة مع النزاهة و
العصامية ؛ حتَّى إنَّ بعضهم يعد من أغنى رجالات العالم .

وذكر مذحج يُؤكِّد ذلك ؛ لأنها بلادهم ، وفي [٢٣/٦] من « خزنة الأدب » عن ابن الأثير^(١) : أَنَّ ذَا النُّخَيْلِ - بضمُّ النُّونِ وفتحِ الحاءِ - : عَيْنُ قُرْبِ الْمَدِينَةِ ، وَأُخْرَى قُرْبِ مَكَّةَ ، وموضعٌ دُوَيْنَ حَضْرَمَوْتَ . ومثله في (ص ٥٠٧) .

ومن قصيدة هائِثَةَ لصخرِ بنِ العودِ الحَضْرَمِيِّ يذكرها النُّحاةُ في ذكرِ لنخلِ حَضْرَمَوْتَ في قوله [في « الأغاني » ٣٩/٢٢] مِنَ الطَّوِيلِ :

تَذَكَّرْتُ كَأْساً إِذْ سَمِعْتُ حَمَامَةً بَكَتْ فِي ذُرَى نَخْلٍ طَوَالِ جَرِيدِهَا^(٢)
وروى الهمدانيُّ : عن أبي الحسنِ الخُزَاعِيِّ - وَكَانَ يَسْكُنُ بَأَرْضِ نَجْدِ الْعُلَيَّا - : أَنَّهُ أَصَابَ النَّاسَ أَرْمَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَأَقْبَلُوا مِنْ نَجْدٍ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَ فِيهِمْ شَاعِرٌ يَقَالُ لَهُ :
الْحَزَارَةُ الْعَامِرِيُّ ، فَأَنشَدَ شِعْراً يَذْكُرُ فِيهِ مَا كَانَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عِنْدَهُمْ ، فَقَالَ آلَتَهَا مَيُوثُونَ
لِشَاعِرِهِمْ أَبِي الْجِيَّاسِ : قُلْ مِثْلَهُ .
فَأَنشَدَ شِعْراً ؛ مِنْهُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

سُقِيتَ حَضْرَمَوْتُ مِنْهَا مَعَ الْآخِ قَافِ رِيّاً وَعُلَّتِ الْأَسْعَاءُ^(٣)
طُبِّقَتْ بِالْأَسْيُولِ أَبْيَنُ حَتَّى (لَحْجُهَا) فَهِيَ وَالسَّمَاءُ سَوَاءُ^(٤)
تنبيه : إِنَّمَا قُلْتُ سَابِقاً : إِنَّ الْأَنْسَبَ فِي بَيْتِ قَيْسٍ أَنْ يُقَالَ : (بِأَقْصَى حَضْرَمَوْتَ) ؛ لِأَنَّ أَعْلَاهَا يَقْرُبُ مِنْ نَجْدٍ . . فلا يليقُ أَنْ يَكُونَ غَايَةً لِلْبَعْدِ ، وَعَاصِمَةٌ نَجْدٍ : الْيَمَامَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي حَجَرٍ ، وَكَانَ أَسْمَاهَا جَوْاً فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ .

قَالَ الْأَعَشِيُّ مِنْ قَصِيدَةٍ عَذْبَةٍ يَمْدَحُ هُوذَةَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ ثَمَامَةَ الْحَنْفِيَّ [في « ديوانه » ٢٤١
مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَلَمَّا أَتَتْ أَطَامَ جَوْ وَأَهْلَهُ أُنِيخَتْ فَأَلْقَى رَحْلَهَا فِي فَنَائِكَا

(١) لكنَّهُ غَيْرُ مَا قُلْتُ عَنْ ابْنِ الْأَثِيرِ فِيهَا .

(٢) كَأْسٌ : اسْمُ مَحْبُوبَتِهِ ، وَاسْمُهَا كَامِلًا : كَأْسُ بِنْتُ بَجِيرِ بْنِ جَنْدَبٍ .

(٣) الْأَسْعَاءُ : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مَدِينَةِ الشَّحْرِ ، وَقَدْ يَخْفَفُ فَيُقَالُ : لِسَعَاءٍ .

(٤) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (٣٣٣-٣٣٦) .

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى [فِي « دِيوانه » ٣٢٣ مِنْ الْوَافِرِ] :

عَرَفْتَ الْيَوْمَ مِنْ نَيَّا مَقَامَا بِجَوٍّ أَوْ عَرَفْتَ لَهَا خِيَامَا

وَقَالَ أَيْضاً يَمْدَحُ هُوَذَةَ ، وَيَذِمُّ الْحَارِثَ بْنَ وَعْلَةَ [فِي « دِيوانه » ٩٨ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَإِنَّ أَمْرًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هَذِهِ بِجَوٍّ لَخَيْرٍ مِنْكَ نَفْسًا وَوَالِدَا

وَلَمَّا ضَلَبَتْ الْإِمَامَةَ عَلَى بَابِهَا . . سُمِّيَتْ بِأَسْمَها ، وَالَّذِي سَمَّاهَا بِذَلِكَ الْأَسْمِ :

هُوَ تَبِعُ الْحَمِيرِيِّ قَاتِلُ الْإِمَامَةِ ، وَقَالَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَقُلْنَا فَسَمَّوْهَا الْإِمَامَةَ بِأَسْمِهَا وَسِرْنَا وَقُلْنَا لَا نُريدُ إِقَامَةَ

وَالْإِمَامَةَ أَمْرًا تُبْصِرُ مِنْ ثَلَاثٍ ، وَحَدِيثُهَا مشهورٌ ، وَإِلَيْهَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ

[فِي « الْعُكْبَرِيِّ » ١٥/٤ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَأَبْصَرَ مِنْ زُرْقَاءِ جَوٍّ لَأَنْتَنِي إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ شَاءَهُمَا عِلْمِي^(١)

وَقَبْلَهُ يَقُولُ النَّعْمُ بْنُ تَوَلَبٍ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَقَتَاتُهُمْ عَنْزُ عَشِيَّةٍ أَبْصَرَتْ مِنْ بَعْدِ مَزَائِي فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعٍ

قَالَتْ : أَرَى رَجُلًا يُقْلِبُ نَعْلَهُ أَصْلًا وَجَوٍّ آمِنٌ لَمْ يَنْزِعِ

فَكَأَنَّ صَالِحَ أَهْلِ جَوٍّ غُدُوَّةً صَبَحُوا بِذِيْفَانِ السَّمَامِ الْمُنْقَعِ

(وَأَصْلًا) : جَمْعُ أَصِيلٍ . وَ(الذِيْفَانِ) : أَقْتُلُ الشُّمُومَ .

وَكَانَتْ بَلَدُ الْإِمَامَةِ لِأُمْتَيْنِ ؛ إِحْدَاهُمَا طَسْمُ بْنُ لَوْذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَالْأُخْرَى

جَدِيسُ بْنُ عَابِرِ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ .

وَمِنْ قَرِيبِهَا إِلَى نُوحٍ يَضَعُ الْقَوْلُ بَأَنَّ الَّذِي أَهْلَكَ جَدِيسًا حَسَّانُ بْنُ تَبِعٍ ؛ لِتَأْخُرِهِ ،

وَالْكَلَامُ مُنْتَشِرٌ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى لَقَدْ قِيلَ : إِنَّ هُودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَإِنَّهُ

وَعَشِيرَتُهُ مِنْ عَادِ الثَّانِيَةِ ، وَهُوَ غَيْرُ الْمَعْرُوفِ الْمَشْهُورِ . قَالَ أَبُو هِشَامٍ : (وَبَعْضُ أَهْلِ

الْيَمَنِ يَقُولُ : إِنَّ قَحْطَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَإِنَّ إِسْمَاعِيلَ أَبُو الْعَرَبِ كُلِّهَا) .

(١) أَبْصَرَ : مَعْطُوفٌ بِالنَّصْبِ عَلَى الْبَيْتِ السَّابِقِ . شَاءَهُمَا : سَبَقَهُمَا . وَلِلْبَيْتِ رَوَايَاتُ أُخْرَى .

وَقَالَ : (قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : عَادُ بْنُ عَوَيْنَ ^(١)) بَنِي إِدْرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَثُمُودُ وَجَدِيسُ أَبْنَا عَابِرِ بْنِ إِدْرَمَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَطَسْمُ وَعَمْلَاقُ وَأُمَيْمُ بَنُو لَؤْذَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحٍ . . . عَرَبُ كُلُّهُمْ) اهـ ^(٢)

وأطال فيه صاحب « التاج » ، وذكر : (أَنَّ عَاداً وَثُمُوداً وَأُمَيْمًا وَعَبِيلًا وَوَبَارًا هُمُ الْعَرَبُ الْعَارِبَةُ ، وَمَنْزِلُهُمُ الْأَحْقَافُ وَمَاجَاوِرُهَا) اهـ

وقال الهمداني في أوائل « الإكليل » : أَمَّا الَّذِينَ ذَكَرُوا أَنَّ قَحْطَانَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ . . . فَإِنَّهُمْ تَعَلَّقُوا بِظَاهِرِ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي حَدَرٍ قَالَ : مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِنَاسٍ مِنْ أَسْلَمٍ خِزَاعَةً وَهُمْ يَتَضَلُّونَ . . . فَقَالَ : « ازْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ » ^(٣) ، وَهُمْ مِنَ الْأَزْدِ ، وَالْأَزْدُ مِنْ قَحْطَانَ .

وجوابه : أَنَّ الْعَرَبَ اخْتَلَطَتْ بِالصُّهُورِيِّ . . . فَالْقَحْطَانِيُّ أَبْنَاءُ إِسْمَاعِيلَ مِنْ جِهَةِ الْأُمَهَاتِ ، وَالتَّزَارِيَةُ أَبْنَاءُ لِقَحْطَانَ بَهَنَ ؛ كَمَا نُسِبَ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ إِلَى آبَاءِ أُمِّهِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ لُوطٍ : ﴿ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي ﴾ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ نِسَاءَ الْقَرْيَةِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَلَّةً أَيْبَكُمُ الْيَزِيدِ ﴾ فَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ ؛ إِذْ قَدْ أُولَدَ الْجَمِيعَ بِالرَّجَالِ وَالنِّسَاءِ .

ثمَّ أَطَالَ فِي ذَلِكَ بِأَشْعَارٍ تَرَكْنَاهَا ، ثُمَّ قَالَ : وَمِنْ الْحُجَّةِ الْأَكِيدَةِ : مَا رُويَ مِنْ جِهَاتٍ كَثِيرَةٍ : أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسُلَيْمٍ فِي مَسْكِنِهِمْ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ آيَةِ . . . قَالَ نَاسٌ : مَا سَبَّأُ؟ أَرْضٌ أَمْ أَمْرَأَةٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا ذَا ، وَلَا ذَاكَ ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ أُولَدَ عَشْرَةَ أَبْطَنَ ، فَتَيَّامَنْتُ سِتَّةً ، وَتَشَاءَمْتُ أَرْبَعَةً » قَالُوا : فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : أَمَّا الَّذِينَ تَيَّامَنُوا . . . فَكِنْدَةُ ، وَمَذْحِجٌ ، وَالْأَشْعَرُونَ ، وَحِمَيْرٌ ، وَأَنْمَارٌ ، وَالْأَزْدُ . وَأَمَّا الَّذِينَ تَشَاءَمُوا . . . فَجَذَامٌ ،

(١) فِي « السِيرَةِ النَّبَوِيَّةِ » : (عَوْص) .

(٢) السِيرَةُ النَّبَوِيَّةُ (١١٤ / ١) .

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٨٩٩) ، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ لَا عَنْ ابْنِ أَبِي حَدَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . يَتَضَلُّونَ :

يَتَسَابِقُونَ فِي رَمِي السَّهَامِ .

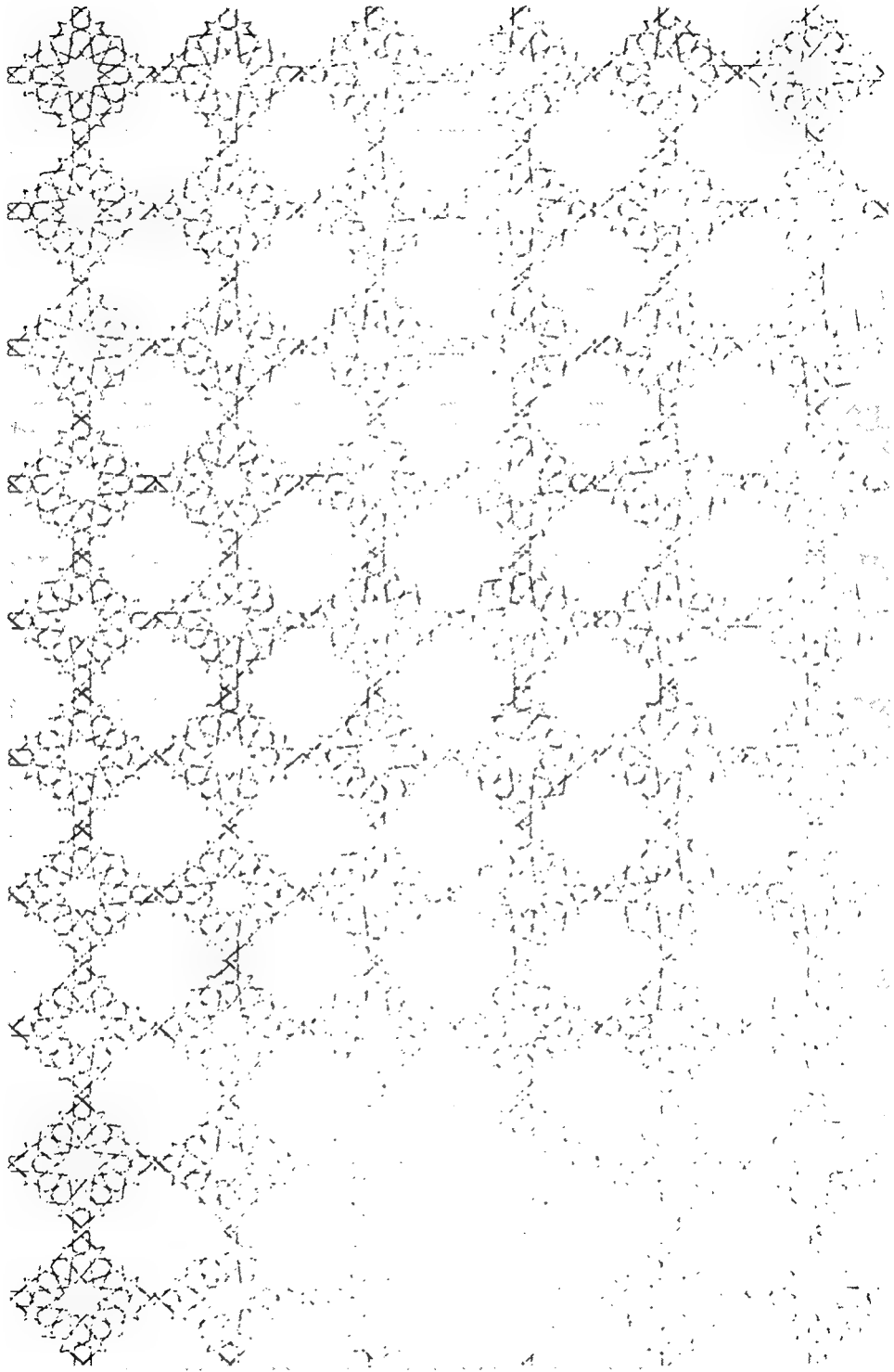
وَلَخْمٌ ، وَعَامِلَةٌ ، وَغَسَّانٌ « قالوا : فما خَشَعُمْ وَبَجِيلَةٌ؟ قال : « بَطْنَانِ مِنْ أَنْمَارٍ » .
وَأَسْهَبَ بِمَا لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَيْهِ ، وَحَدِيثُ سُبَا مَوْجُودٌ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ [٣٢٢٢] بِزِيَادَةٍ ،
وَقَالَ : إِنَّهُ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

* * *



الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

في مرافىء حَضْرَمَوْتِ وَمَا دَانَاهَا
مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَدْنَاهَا



الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

في مرافىء حَضْرَمَوْت وَمَا دَانَاهَا مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَدْنَاهَا

عَيْنُ بَامَعْبِدٍ

هي قرية صغيرة ، واقعة في حدِّ حَضْرَمَوْت الجنوبي الغربي ، ويأتي في ميفع أنَّ بهِ ناساً مِنْ آلِ بَامَعْبِدٍ لا يزالونَ إلى اليومِ . فِيْهِمْ مِنْهُ أَنَّ الْعَيْنَ منسوبةٌ إلى جدِّهم^(١) .

ولا يزالُ بالعينِ منهم خلقٌ إلى الآنَ ، وقد نجعَ كثيرٌ منهم إلى تريم ، ولما مسَّهم ظلمٌ يافعٍ انتقلَ بعضهم إلى دُثُون ، وبعضٌ إلى السويريِّ .

وفي ترجمة الشيخ الكبير عبد الله بن علويِّ ابنِ الفقيه المقدَّم : أَنَّهُ مرَّ في طريقه مِنْ الْحِجَازِ إلى حَضْرَمَوْت بعينِ بَامَعْبِدٍ . . فاستقبله شيخُها محمَّدُ بنُ عبدِ الله بَامَعْبِدٍ ، وأجلَّه وأحترمه .

وكانت وفاةُ الشيخِ عبدِ الله بنِ علويِّ المذكور في سنة (٧٣١هـ) عن إحدى وتسعين عاماً .

وفي صفحة [٣٥٣] مِنْ « النُّورِ السَّافِرِ » للشيخ عبد القادر بن شيخ العيدروس : (أَنَّ الشَّيْخَ بَامَعْبِدَ ائْتَفَعَ بِالشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعَمُودِيِّ) ، ائْتَفَقَ سَنَةً (٦٧١هـ) ، فِيمَكُنْ أَنْ يَكُونَ هُوَ صَاحِبَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ أَبَاهُ^(٢) .

(١) قوله (إلى جدِّهم) : قال في « الشَّامِلِ » (ص ٤٩) : (آل بامعبد : ذُرِّيَّةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَعْبِدِ الدَّرْعِيِّ ، المعروف بأبي معبد ، توفي سنة (٧٢٠هـ) ، وأصله من دوعن ، وحلَّ بِالْعِمَادِ قَرْيَاً مِنْ عَدَن ، ثُمَّ انتقلَ إلى نواحي عين بامعبد ، تفقَّه من ولده : مُحَمَّدُ الْغَزَالِي ، وعبد الله ، وكانَ لَهُمْ رِبَاطٌ ، ولم تزلْ ذُرِّيَّتُهُ هُنَاكَ وفي ميفعة) اهـ

(٢) يستفادُ بِمَدِّ التَّمْحِيصِ والسُّبْرِ : أَنَّ الَّذِي أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ سَعِيدِ الْعَمُودِيِّ هُوَ الشَّيْخُ الْوَلِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ =

أَمَّا رَجُوعُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوَيٍّْ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ . . فَقَدْ كَانَ فِي سَنَةِ (٦٨٠ هـ) .

وَفِي عَيْنِ بَامْبَعِدِ عَيُونُ مَاءٍ عَلَيْهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ ، وَسَكَّانُهَا آلَانٌ مِنَ الرِّجَالِ نَحْوِ أَلْمَتَيْنِ مِنْ آلِ بَامْبَعِدِ وَآلِ عَبْدِ اللَّهِ وَغَيْرِهِمْ ، وَهِيَ تَبْعُدُ عَنِ السَّاحِلِ بِنَحْوِ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ لِلْمَاشِي ، وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحُسَيْنِ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ أَمْبَارِكِ بْنِ عَمْرِ بْنِ بَامْبَعِدِ ، وَوُلِدَ بِالسُّوَيْرِيِّ حَوَالِي سَنَةِ (١٣٠٥ هـ) ، وَبِهَا قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى الْمَعْلَمِ عَمْرِ بْنِ عُبُودٍ بِاعْطَبَ ، ثُمَّ أَقَامَ زَمَانًا عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ بِتَرِيمَ ، وَهُوَ الْآنَ بِالْمَكَلَاءِ ، وَلَهُ تَنْقُلَاتٌ .

وَالْتَّسِمِيَّةُ بَعْدَ الْحُسَيْنِ مَمْنُوعَةٌ كَمَا فِي « الثَّحْفَةِ » [٣٧٣ / ٩] وَغَيْرِهَا ؛ لِإِيْهَامِ التَّشْرِيكِ ، وَلَعَلَّ الْحَرَمَةَ مَقْصُورَةٌ عَلَى الْوَاضِعِ الْأَوَّلِ ، أَمَّا إِذَا وُضِعَ لِلْإِنْسَانِ وَأَشْتَهَرَ بِهِ . . فَلَا يَحْرُمُ ؛ لِلْحَاجَةِ ، وَلِأَنَّ النَّهْيَ لَا يَشْمَلُهُ ، كَمَا أَعْتَذَرُوا عَنْ تَكْنِيَةِ الرَّافِعِيِّ بِأَبِي الْقَاسِمِ ، مَعَ حَرَمَتِهَا مَطْلَقًا كَمَا اعْتَمَدَهُ الرَّمْلِيُّ وَأَبْنُ حَجَرٍ ؛ تَبَعًا لِمَا صَحَّحَهُ النَّوَوِيُّ ، وَإِنْ كَانَ اخْتِيَارُ تَخْصِيصِ الْحَرَمَةِ بِزَمَنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَاعْتِمَادُ الرَّافِعِيِّ اخْتِصَاصَ ذَلِكَ بِمَنْ أَسَمُهُ (مُحَمَّدٌ) ، وَبِمِثْلِ ذَلِكَ الْأَعْتِذَارِ الْتَلْقِيبُ بِمِثْلِ الْأَعَشَى ، وَمِنْ إِطْلَاقِ : (جَارِ اللَّهِ) فِي الدَّوَامِ عَلَى الزَّمْعَشْرِ ، مَعَ حَرَمَةِ ذَلِكَ فِي الْبَدءِ ، كَمَا فِي « الثَّحْفَةِ » [٣٧٤ / ٩] وَغَيْرِهَا .

وَبِنَحْوِهِ الْأَعْذُرُ عَنْ تَكْنِيَةِ التِّرْمِذِيِّ بِأَبِي عَيْسَى ، مَعَ الْقَوْلِ بِكَرَاهَتِهَا فِي الْإِبْتِدَاءِ ، أَمَّا تَسْمِيَةُ ابْنِ الْصَّبَّاحِ بِعَبْدِ السَّيِّدِ . . فَلَا إِشْكَالَ فِيهَا ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ هُوَ اللَّهُ كَمَا وَرَدَ . وَلَا حَرَجَ فِي إِطْلَاقِ : (اللَّعِينِ) عَلَى الْمُنْقَرِيٍّ ^(١) ، أَمَّا فِي الدَّوَامِ . . فَوَاضِحٌ ، وَأَمَّا فِي الْإِبْتِدَاءِ . . فَلِأَنَّ الْوَاضِعَ مُجْتَهِدٌ ، وَهُوَ ابْنُ الْخَطَّابِ ، وَقَدْ سَمِعَهُ يَنْشُدُ شِعْرًا وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ .

= مُحَمَّدُ بْنُ مَعْبُدٍ ؛ لِأَنَّ مَوْلَدَهُ كَانَ بِدُوعَنَ ثُمَّ رَحَلَ عَنْهَا . وَتَرْجَمَتُهُ فِي « طَبَقَاتِ الْخَوَاصِّ » (ص ٣١٢ - ٣١٣) . . مُفِيدَةٌ . وَفِيهِ أَنَّهُ اشْتَهَرَ بِكَرَامَاتٍ كَثِيرَةٍ ، وَفِي « الطَّبَقَاتِ » : أَنَّ الَّذِي تُوُفِيَ سَنَةَ (٧٢٠ هـ) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بِأَمْعِدَ ، وَلَيْسَ وَالِدُهُ مُحَمَّدًا ، كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ « الشَّامِلِ » وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) هُوَ مَنَازِلُ بْنُ زَمْعَةَ التَّمِيمِيِّ الْمُنْقَرِي . قَالَ فِي « الْأَعْلَامِ » (٢٨٩ / ٧) سَمِعَ سَيِّدَنَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَجُلًا يَنْشُدُ الشَّعْرَ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ . . فَقَالَ : مَنْ هَذَا اللَّعِينُ ؟ فَعَلِقَ بِهِ لِقَبًا .

بِالْحَاف^(١)

هُوَ مِنْ وَرَاءِ عَيْنٍ بِامْعَبِدٍ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ ، وَهُوَ مَرَسَى لَّآلِ أَحْمَدَ بْنِ هَادِي آلِ عَزَّان^(٢) .

وَالسُّلْطَانُ فِيهِمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحْسِنٍ الْوَاحِدِيِّ^(٣) ، وَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَوْقِعِينَ عَلَى

(١) بلحاف : ميناء يطل على البحر العربي ، عداده من مديرية رُضُوم وأعمال محافظة شبوة ، أقيم فيه ميناء حديث لاستقبال وتصدير الغاز الطبيعي المسال القادم عبر أنبوب الغاز من محافظة مأرب ، ومن شبوة . ونظراً لجمال المنطقة الطبيعي فإن السياح يرتادونها من حين لآخر .

منها : الشيخ سعيد بن عمر بلحاف (القرن السابع الهجري) أحد كبار الأولياء العارفين بالله ، ومن أعيان صوفية حضرموت في العصور الوسيطة ، تخرج بالإمام الكبير الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي (ت ٦٥٣هـ) ، ولعل هذه المنطقة تنسب إليه أو إلى أسرته المعروفة بها . كان هذا الرجل من الأكابر ، ولكن لم تصل إليه أقلام المؤرخين ولم يترجموه في كتبهم ، واكتفوا بإشارات عابرة فقط . كان من أهل الذوق والوجدان والعرفان ، له شعر رمزي عجيب غريب . عثرت في بلدنا شبام على مجموعة صغيرة من شعره ، وقد كان للسادة بني علوي اهتمام بشعره ، واعتنى جماعة منهم بشرح بعض قصائده الغريبة الفريدة - سنأتي على ذكرهم - ومن الآخذين عنه والمصاحبين له : الشيخ الجليل عبد الله باعلوي حفيد شيخه الفقيه المقدم ، كما ذكر في ترجمتهما من « المشرع » .
أما شرح شعره :

السيد الإمام العيدروس الأكبر عبد الله بن أبي بكر ، الملقب بسلطان الملا ، المتوفى بتريم سنة (٨٦٥هـ) ، له شرح على قصيدة بلحاف التي مطلعها :

نحن لكم من قبل أن يولد نوح
ذكره الشلي في « المشرع » (٣٤٦/٢ - ٣٤٧) .

السيد العلامة عقيل بن عمر باعمر باعلوي العُماني ، المتوفى سنة (١٠٦٢هـ) ، أحد شيوخ صاحب « المشرع » . له شرح قصيدة « جلبة المسافر » ، اسمه : « فتح الكريم الغافر » ، منه نسخة بتريم .

(٢) آل أحمد بن هادي هم فخذ من فخاذ آل الواحدي حكام تلك النواحي ، ولمعرفة المزيد من التفاصيل حول هذه الأسرة الواحديّة ، ومعرفة أخبارهم .. يُنظر : « الشامل » (٥٥-٦٣) ، وفيه تفصيل لم يسبق إلوه مثله ، و« بضائع التأبوت » (٣٢١-٣٢٨/٢) ، و« ما جاد به الزمان من أخبار مدينة حَبَّان » (١١٤-١٠٢) ، و« معالم تاريخ الجزيرة العربيّة » (٢١٦-٢١٨) .

(٣) عبد الله بن محسن بن ناصر بن عبد الله بن أحمد بن هادي الواحدي .. كان سلطاناً عَزَّان =

الوثيقة الَّتِي أَمْضَى عَلَيْهَا أَعْيَانُ تِلْكَ الْجِهَاتِ وَسُلَاطِينُهَا بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِي عَلَى نَصْرِ الْحَقِّ فِي الْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ^(١) .

كما أَنَّ مِنْ جَمَلَةِ الْمَوْقِعِينَ عَلَيْهَا : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْبَلِ الْعُودَلِيِّ بِالنِّيَابَةِ عَنْ السُّلْطَانِ صَالِحِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ جَعْبَلٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ إِذْ ذَاكَ صَغِيرًا ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِأُمُورِ السُّلْطَانَةِ .

وَمِنْ الْمَوْقِعِينَ عَلَيْهَا : السُّلْطَانُ حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ الزَّرْصَاصِ ، وَمَشَايِخُ الْمَصْعَبِينَ وَالْمِيَّاسِرِ وَالْحَسَنَةِ^(٢) ، وَمَنَاصِبُ السَّادَةِ آلِ الْمُحَضَّرِ بِمَرْخَةِ وَحْبَانَ ، وَرُؤَسَاءُ آلِ بَامَسْدُوسِ وَالذَّيْنِ ، وَغَيْرُهُمْ ، وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ بِرَأْيِ الْمَغْفُورِ لَهُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ مُحَمَّدِ ابْنِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَادَ بِذَلِكَ نُصْرَتِي لِمَا نَالَنِي مِنَ الْاِهْتِضَامِ بِحَضْرَمَتِ إِزَاءِ قِيَامِي بِنَصْرِ الشَّرِيعَةِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَقَدْ اسْتَنْجَدْتُ بِوَالِدِهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ . فَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ مُسَاعَدَتِي عَلَنًا ؛ لِتَلَبُّدِ الْجَوِّ السِّيَاسِيِّ بِالْغَيُومِ . وَلَقَدْ تَمَّ كُلُّ مَا يُرَامُ مِنْ أَخِذِ الْعُهُودِ عَلَى أَوْلَئِكَ ، وَلَوْلَا أَنَّنِي شَاوَرْتُ مَوْلَانَا الْإِمَامَ يَحْيَى فِي الْتَهْوِضِ بِهِمْ فَتَنَانِي - أَدَامَ اللَّهُ مَجْدَهُ - عَنِ الْاِعْتِمَادِ عَلَيْهِمْ . . لَكَانَ لِذَلِكَ نَبَأًا عَظِيمًا ، وَلَكِنَّهُ - أَعْلَى اللَّهُ شَأْنَهُ - كَانَ أَعْرَفَ بِأَحْوَالِهِمْ ، وَمَا كُنْتُ لِأَقْدِمَ عَلَى أَمْرِ وَيَعْتُهُ فِي غُنْفِي بِدُونِ إِشَارَتِهِ ؛ لِأَنَّ طَاعَتَهُ وَاجِبَةٌ ، وَرَأْيُهُ الْأَعْلَى وَالْأَصُوبُ ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى السَّلَامَةِ^(٣) .

= فقط ، أَمَّا حَبَّانُ : فَإِنَّهَا بَعْدَ مَقْتَلِ سُلْطَانِهَا نَاصِرِ بْنِ صَالِحِ بْنِ نَاصِرِ الْوَاحِدِيِّ سَنَةِ (١٣٣١ هـ) صَارَتْ تَحْتَ سُلْطَانِ الْعَوَالِقِ ، فَحَكَّمَهَا مُحْسِنُ بْنُ فَرِيدٍ مِنْ ذَلِكَ التَّارِيخِ إِلَى سَنَةِ (١٣٥١ هـ) ، حَيْثُ نُصِّبَ عَلَيْهَا حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاحِدِيُّ . وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحْسِنٍ . . فَقَدْ قُتِلَ فَجَاءَ بَعْدَهُ سَنَةِ (١٣٥٨ هـ) .
(١) هَذِهِ الْوُثِيقَةُ كُتِبَتْ وَسَارَ بِهَا عَلَى الْمَذْكُورِينَ السَّيِّدُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ (١٣٤٩ هـ) كَمَا ذَكَرَ فِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » (٣٠٨ / ١) .

(٢) الْمَصْعَبِينَ : مِنْ بُلْدَانِ نَاحِيَةِ حَبَّانَ . الْمِيَّاسِرُ : جَمَاعَةٌ مَفْرَدُهُمْ مَيْسَرِي . الْحَسَنَةُ : هُمْ قِبَائِلُ آلِ الْحَسَنِ ، بِتَسْكِينِ السَّيْنِ .

(٣) ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ فِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » (٣٠٨ / ٢) : أَنَّهُ فِي أَوَّلِ سَنَةِ (١٣٤٩ هـ) وَفَدَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامِ يَحْيَى حَمِيدِ الدِّينِ يَسْتَجِدُّ بِهِ فِي التَّدْخُلِ فِي سِيَاسَةِ حَضْرَمَتِ الدَّخَالِيَّةِ ؛ لِكَثْرَةِ الْفِتَنِ فِيهَا ، وَعَدَمِ انضِبَاطِ أُمُورِهَا ، لَكِنَّ الْإِمَامَ اعْتَذَرَ ، قَالَ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ : (وَلَمَّا اعْتَذَرَ عَنِ الْمُبَادَرَةِ بِتَلَبُّدِ =

وأخبرني الشيخ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَجَرِيِّ أَنَّ الْأَسْلِحَةَ الْمَطْلُوبَةَ لِذَلِكَ مِنَ الْأَمَانِيَا وصلت ، لكنَّ بَعْدَ وَفَاةِ الْمَرْحُومِ السَّيْفِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنْتَهَاءِ الْحَاجَةِ .
وَمِنْ آلِ بَالْحَافِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ نَجَعَتْ إِلَى الشُّخْرِ .

وفي الْحِكَايَةِ (١٦٨) مِنْ « الْجَوْهَرِ » (١٩٣ / ١) : أَنَّ آلَ بَالْحَافِ تَلَقَّوْا السَّيِّدَ عَلِيَّ بْنَ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ ^(١) بِالسَّمَاعِ .

وفي أَخْبَارِ سَنَةِ (٨١٣ هـ) : أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ فَارَسٍ أَخَذَ قَرْيَةَ آلِ بَالْحَافِ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا ، فَخَرَجُوا إِلَى الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عَمَرَ ، فَأَرْسَلَ بَعْضَ الْفُقَرَاءِ فَلَمْ يُجِبْهُ ، فَسَارَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي رَجَبٍ ، فَرَدَّهَا عَلَيْهِمْ وَرَجَعَ هُوَ - أَعْنَى الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عَمَرَ - فِي شَعْبَانَ . ١ هـ مِنْ « تَارِيخِ بَاشِرَا حَيْلِ » ^(٢) .

وَمَا أَدْرِي مَنْ هُوَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَمَرَ ، أَمِنْ آلِ بَاشِرَا حَيْلٍ ، أَمْ الشَّاذِلِيُّ صَاحِبُ الْمَخَا ، الْمَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (٨٢٨ هـ) ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ صَاحِبِ الْحَوِطَةِ ، الْآتِي ذِكْرُهُ فِيهَا عَمَّا قَلِيلٍ ، وَأَنَّ سَقُوطَ أَسْمِ أَبِيهِ فِي الْعِبَارَةِ السَّابِقَةِ سَهْوٌ مِنَ النَّاسِخِ .

وَقَدْ أَنْعَقَدْتُ بَيْنَ سُلْطَانِ بَالْحَافِ وَهُوَ مُحَسِّنُ بْنُ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاحِدِيِّ وَالْإِنْكَلِيزِ مَعَاهِدَةً بِتَارِيخِ (١٣) نَوْفَمْبَرِ سَنَةِ (١٩٠٥ م) عَلَى يَدِ مَيسُونِ وَالِيِ عَدَنَ ، وَشَهِودُهَا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنِ الْوَاحِدِيِّ ، وَأَحْمَدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ نَاصِرِ الْوَاحِدِيِّ ، وَهَادِي بْنُ صَالِحِ الْوَاحِدِيِّ ، وَحُسَيْنُ بْنُ صَالِحِ الْوَاحِدِيِّ . . عَلَى غَرَارِ الْمَعَاهِدَاتِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ الْقَعِيطِيِّ وَالْإِنْكَلِيزِ .

= غِيَوْمُ السِّيَاسَةِ ، وَوَعْدَنِي هُوَ وَوَلِيُّ عَهْدِهِ - لَكِنْ إِلَى أَجَلٍ غَيْرِ مَعْلُومٍ . . اقْتَرَحَ عَلِيُّ زَيْنَةُ الْعَصْرِ ، سَيْفُ الْإِسْلَامِ ، الشَّهِيدُ الْبَذْرُ : أَنْ أَذْهَبَ إِلَى هَذِهِ الْأَطْرَافِ لِإِرْشَادِهِمْ وَوَعظِهِمْ ، ثُمَّ أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فِي الْمُنَشْطِ وَالْمَكْرَهِ ، وَالسَّعَةِ وَالضُّيْقِ ، مُتَعَهِّدًا بِمَا يَلْزَمُ لِذَلِكَ مِنَ النَّفَقَاتِ . . فَفَعَلْتُ ، وَقَرَنَ اللَّهُ الْمَسْعَى بِالنَّجَاحِ . . (إلخ .

(١) تَوَفَّى مَجَاوِرًا بِمَكَّةَ . « الْمَشْرِع » (٢ / ٤٩٧ - ٤٩٩) .

(٢) وَمِثْلُهُ فِي « تَارِيخِ شَنْبَلِ » (ص ١٥٩) ، وَ« الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » (١ / ١٣٧) .

ثمَّ أُنْعَقِدَتْ بِأَثَرِهَا عَلَى الْقُرْبِ بَيْنَهُمْ مَعَاهِدَةٌ أُخْرَى بِتَارِيخِ (٢٢) نَوْفَمْبَرٍ^(١) مِنْ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، جَاءَ فِي الْمَادَةِ الثَّلَاثَةِ مِنْهَا : (أَنَّهُ مَتَى قَذَفَتْ مِاءُ الْبَحْرِ بِيضَاعَةً أَوْ بِمَرْكَبٍ ، فَإِنْ عُرِفَ مَالِكُهُ فِي ظَرْفِ شَهْرٍ . . فليسَ لِلْمُتْلَطَانِ الْوَاحِدِيَّ إِلَّا ثُلُثُ الْمَوْجُودِ . وَإِنْ لَمْ يُعْرَفْ فِي ظَرْفِ شَهْرٍ . . فَكُلُّهُ لَهُ) اهـ .

وهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْقَرْصَنِ^(٢) ؛ كَالِ كَثِيرٍ فِي رَيْدَةِ أَبْنِ حَمْدَاتٍ ، حَسَبَمَا يَأْتِي فِيهَا .

وَفِي أَوَاخِرِ الْحَرْبِ الْعَظْمَى الْأُولَى وَرَدَنِي بَرِيدٌ مَخْصُوصٌ بِكِتَابٍ مِنَ السَّيِّدِ بُوْبَكْرِ بْنِ سَالِمٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِو الْمُحْضَارِ^(٣) ، مُحَرَّرًا فِي (١٧) ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ (١٣٣٥ هـ) يَقُولُ لِي فِيهِ : إِنَّ آلَ طَالِبٍ بْنِ هَادِي يَرِيدُونَ أَنْ يُحَالِفُوا آلَ كَثِيرٍ ، فَإِذَا كَانُوا رَاغِبِينَ . . أَفِيدُونَا .

وَلَكِنَّ آلَ كَثِيرٍ قَدْ رَكَنُوا إِلَى الدَّعَةِ ، وَقَصُرَتْ هِمَّتُهُمْ ، فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمْ حُرْكََةً لشيءٍ ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُوَافِقًا لِهَوَانَا ؛ إِذْ قَدْ غُمِسْنَا فِي صِدَاقَةٍ مَعَ الدَّوْلَةِ الْقُعَيْطِيَّةِ لَا يُمَكِّنُ مَعَهَا أَنْ نَوَلِّبَ الْأَعْدَاءَ عَلَيْهَا ، وَإِنْ كَانَتْ صِدَاقَتُهَا لَا تُسَمِّنُ وَلَا تُغْنِي مِنْ جُوعٍ ، لَا مَعْنَا فَقَطْ ، بَلْ مَعَ سَائِرِ حُلَفَائِهَا وَأَصْدِقَائِهَا ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ حُسَيْنَ بْنَ حَامِدٍ الَّذِي يُمَثِّلُهَا إِذْ ذَاكَ إِنَّمَا يَنْفَقُ مِنْ

(١) نَوْفَمْبَرٍ : اسْمُ الشَّهْرِ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ الْمِيلَادِيَّةِ بِحَسَبِ التَّقْوِيمِ الرُّومِيِّ ، يُقَابِلُهُ شَهْرُ تَشْرِينَ الثَّانِي ، الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شُهُورِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ الْمِيلَادِيَّةِ حَسَبِ التَّقْوِيمِ السَّرْيَانِيِّ . وَالشُّهُورُ عَلَى الشَّكْلِ التَّالِي :

سرياني*	رومي*		سرياني*	رومي*	
تموز	يوليو	٧-	كانون الثاني	يناير	١-
آب	أغسطس	٨-	شباط	فبراير	٢-
أيلول	سبتمبر	٩-	آذار	مارس	٣-
تشرين الأول	أكتوبر	١٠-	نيسان	أبريل	٤-
تشرين الثاني	نوفمبر	١١-	أيار	مايو	٥-
كانون الثاني	ديسمبر	١٢-	حزيران	يونيو	٦-

(٢) الْقَرْصَنَةُ : السَّطَوُ عَلَى السُّفُنِ الَّتِي فِي الْبَحْرِ . وَالْقَرْصَانُ : لَصُّ الْبَحْرِ .

(٣) تُوْفِيَ بِحَبَّانَ سَنَةِ (١٣٥٧ هـ) .

بضائع المجاملة والمعانقة التي لا تنفذ ، بدون أية نتيجة ، ومن بعده من الوزراء شر منه ،
فهي دولة غنية مترامية الأكناف^(١) ، ولكن بلا رجال أكفاء مخلصين .

بير علي

هي إحدى موانئ البحر الشحري ، في شرقي بالحاف ، وهي لآل طالب بن هادي
الواحد .

والسلطان فيهم : ناصر بن طالب ، وقد زار حضر موت قريباً ، وكان يزورني بعد
الظهر في أكثر الأيام .

وكانت حكومته عدن تحاول اتحاده مع آل أحمد بن هادي وجعلهم دولة واحدة .
فأمّا آل أحمد بن هادي . . فرضوا ، وأما هو . . فابى . ولكنه توفي فجأة بعدن في
(١٤) أبريل من سنة (١٩٤٠ م) ، ولا أعرف الآن ما يوافقها بالضبط من التاريخ
الهجري^(٢) .

ومن تلك السنة و (٢٨) ديسمبر توفي أيضاً بعدن فجأة نقيب المؤسسة الشيخ
بوبكر ، بعقب مقابله لوالي عدن في الحادي عشر من الشهر المذكور .

وكذلك كل من لم يوافق حكومة عدن على هواها يموت فجأة ؛ لأنّ لهم جنوداً من
العسل !!

حصن الغراب

هو في بير علي ، وكان أحد مراشي حضر موت^(٣) ، وهو مبني بالحجارة المنحوتة -
يبلغ بعض أحجاره أربعة أذرع وستة أذرع - على قمة جبل ، يحيط به البحر من الجهات

(١) الأكناف : الجوانب .

(٢) الذي يوافقها من التاريخ الهجري (١٣٥٩ هـ) . والله أعلم .

(٣) مراشي - جمع مزأى - هو : المكان العالي ، الذي ترى منه الأشياء ، وكأن المقصود هنا : ما يشبه برج
المراقبة .

الثلاث على عمق غزير ، يُمكنُ لكبريات البواخر أن ترسو بقربه ، وليس له طريق من البر إلا من جهة شماله فقط .

وهو حصن منيع ، باقية آثاره ، وحواليه كتابات بالمسند^(١) ، يظهر أنها تعريف به وبأهله^(٢) .

هكذا وصفه لي السلطان ناصر بن طالب .

وقد ذكره ابن الحائك الهمداني بقوله : (وفي المنتصف من هذا الساحل شرقاً بين عُمان وعدن . ريسوت^(٣) وهو موئل كالقلعة ، بل قلعة مبنية على جبل ، يحيط بها البحر إلا من جانب واحد ، وبها سكن الأزد من بني جديد ، حتى طردتهم بنو خنزريت من القمر ، ففرقوا في بلاد المهرة .

ويقال : إن ساكن ريسوت القدماء هم اليباسرة ، والقمر زنة قمر السماء ، بخلاف مدغشقر وما حوالها ؛ فإنها تسمى : جزائر القمر بضم القاف والميم .

وفي موضع آخر يقول : ودهلك من معاقل البحر ، وكذلك ريسوت : حصن منيع لبني رثام وسقطرى وجبل الدخان) اهـ

ولريسوت ذكرٌ عند ياقوت : في موضعه ، وفي التعريف باليمن [٤٤٨/٥] ، وهو ناقلٌ عن ابن الحائك ، وما ذكره ينطبق في الكيف على حصن الغراب .

(١) الخط المسند : خط حمير القدماء ، وهو مخالف لكتابتنا اليوم .

(٢) ورد في « تاريخ اليمن القديم » (ص ١٥٧-١٥٨) . ما يدل على أن هذه النقوش والكتابة وضعت سنة (٦٢١ م) ، وهي تؤرخ مرحلة من الصراع الدامي الذي لاقاه نصاري نجران على يدي (ذي نواس) الملك اليهودي . والذي نقش ذلك النقش هو (سميفع أشوع) من أبناء شرحبيل يعفر السبيئي اليهودي ، أحد أبناء حكام اليمن التابعة . ومما يستفاد منه : أن حصن الغراب هذا كان يسمى (عرماويه) . . وكان قد قام السمييع المذكور بترميم سورهِ وبابه وصهاريجهِ وطريق العقبة الصاعدة إليه ، وتحصن هو وجنوده به بعد عودتهم من أرض الحبشة . . وللمزيد من التفاصيل يراجع الكتاب المذكور ، وكتاب « خلاصة السيرة الجامعة لعجائب أخبار الملوك التابعة » (١٧٥) .

(٣) في المخطوط (ريبوت) - بالباء الموحدة - وفي « صفة الجزيرة » و« معجم البلدان » : ريسوت بالسُّين ؛ وهو الصُّواب . . ولذا عدلنا إليه .

وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ ياقوتُ مِنَ الْآيِنِ وَالْمَوْقِعِ . . فلا يَنْطَبِقُ إِلَّا عَلَى رَيْسوتِ الْقَرْيَةِ مِنْ ظَفَّارٍ وَهِيَ الَّتِي يَفْرُقُ بَيْنَ طَرِيقِهَا وَبَيْنَ الطَّرِيقِ الْمَسْلُوكِ إِلَى ظَفَّارٍ نَحْوُ مِيلٍ ، وَهِيَ الَّتِي تَلَقَّتْ فِيهَا عَسَاكِرُ الْمَلِكِ الْمَظْفَرِ الرَّسُولِيِّ ، ثُمَّ تَقَدَّمُوا مِنْهَا إِلَى مَوْضِعٍ مِنْ أَعْمَالِ ظَفَّارٍ ، يُقَالُ لَهُ : عَوْقِدٌ ، حَيْثُ كَانَتْ الْوَاقِعَةُ الْهَائِلَةُ الَّتِي دَارَتْ فِيهَا الدَّائِرَةُ عَلَى سَالِمِ ابْنِ إِدْرِيسَ الْحَبُوطِيِّ ، وَأَسْتَوْلَى بَعْدَهَا عَسْكَرُ الْمَظْفَرِ عَلَى ظَفَّارٍ ، وَعَلَى سَائِرِ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ . وَكَانَتْ تِلْكَ الْمَوْقِعَةُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ (٢٧) رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ (٦٧٨ هـ) ^(١) وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَوِيَ كُلُّ هَذَا عَنْ ابْنِ الْحَائِكِ ؛ إِذْ كَانَتْ وَفَاتُهُ بِسَجْنِ صَنْعَاءَ فِي سَنَةِ (٣٣٤ هـ) كَمَا فِي « بَغِيَةِ الْوَعَاةِ » لِلشَّيْطَانِيِّ ^(٢) ، وَإِنَّمَا أُنْشِئَتْ ظَفَّارٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ .

أَمَّا مِرْبَاطُ : فَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » ، وَمِنْهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ [ص ٩١] : (أَنَّ أَهْلَ رَيْسوتِ تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ بَعْدَ مَا بَيَّنَّهُمْ بَنُو خَنْزَرِيَّتِ ، فَسَكَنُوا مَوْضِعاً مِنَ الْغُبِّ يُقَالُ لَهُ : حَاسِكٌ وَمِرْبَاطٌ) .

وَمِنْ هُنَا نَشَأَ وَهَمُّ ياقوتٍ ، فَذِكْرُ حَاسِكٍ وَمِرْبَاطٍ هُنَا يُمَهِّدُ الْعُذْرَ لَهُ ، لَكِنَّ الْغُبَّ بِأَسْرِهَا مِنَ الْمَهْرَةِ .

وَبِذَلِكَ يَقْوَى الْإِشْكَالُ ، وَيَشْتَدُّ الْأَشْتَبَاهُ ، وَقَدْ عَرَفْتُ بَعْدُ مِنْ سَوَالِ الْمَلَّاحِينَ : أَنَّ رَيْسوتَ الظَّفَّارِيَّةِ شَبُهَ قَلْعَةٍ يَحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ أَلْجِهَاتِ الثَّلَاثِ ، وَهِيَ فِي مِنتَصَفِ الطَّرِيقِ بَيْنَ عُمانَ وَعَدَنَ ؛ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ فِي الشَّفَنِ الشَّرَاعِيَّةِ بِالرَّيْحِ الْمَعْتَدِلِ مِنْ مَسْقَطِ إِلَى رَيْسوتِ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَمِنْ رَيْسوتِ إِلَى الْمَكْلَأِ يَوْمَانٍ ، وَمِنْ الْمَكْلَأِ إِلَى بَيْرِ عَلِيٍّ نِصْفُ يَوْمٍ ، وَمِنْهَا إِلَى عَدَنَ يَوْمَانٍ . . فَالْوَصْفُ مَنْطَبِقٌ عَلَى رَيْسوتِ ظَفَّارٍ أَكْثَرَ مِنْهُ عَلَى حِصْنِ الْغُرَابِ .

وَمِنْهَا - أَعْنِي « صِفَةَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » - : (أَنَّ شَطُوطَ بَحْرِ الْعَرَبِ ^(٣) : مِثْلَ سَفْوَانِ

(١) وَقَدْ قُتِلَ فِيهَا الْحَبُوطِيُّ ، وَتَفَاصِيلُ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ التَّارِيخِيَّةِ مَذْكُورَةٌ فِي « الْعُقُودِ الْوُلُؤِيَّةِ فِي تَارِيخِ الدَّوْلَةِ الرَّسُولِيَّةِ » (٢٠٧-٢١٦) ، وَ« تَارِيخُ حَضْرَمَوْتَ » لِلْحَامِدِ (٢٠٢-٦٠٤) ، وَغَيْرِهَا .

(٢) وَالتَّحْقِيقُ فِي وَفَاةِ الْهَمْدَانِيِّ : أَنَّهُ تَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ (٣٤٤ هـ) ، حَقَّقَ ذَلِكَ الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَكُوْعِي فِي مَقَالٍ نُشِرَ فِي (مَجَلَّةِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ) بِدَمَشَقٍ ، الْمَجْلَدُ رَقْمُ (٢٥) (ص ٦٢) ، بِتَارِيخِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ (١٣٦٩ هـ) . وَأُورِدَ ذَلِكَ التَّحْقِيقُ الْعَلَّامَةُ حَمْدُ الْجَاسِرِ فِي مَقْدَمَةِ « صِفَةِ الْجَزِيرَةِ » الْمَطْبُوعَةِ .

(٣) شَطُوطٌ - جَمْعُ شَاطِئٍ - وَهُوَ : جَانِبُ النَّهْرِ وَالْبَحْرِ .

وكاظمة وأغباب مهرة وسفلى حصر موت والأحقاف وتيه آيين وفلاة الفرسان وحيق بني مجيد (اهـ [٢٤٠] .

وحيق بني مجيد : هو ثغر عدن ، ولعله منهم آل ماجد الآتي ذكرهم في تريم ؛
بأمانة أن العرب يقولون عن الملاح الخبير الآتي ذكره معهم : (أحمد باماجد) ،
والإفرنج يقولون : (أحمد بن مجيد) . فالأمر قريب من بعضه ، ويأتي أن في تأليفه
ما يصرح بأنه من عمان . والله عالم .

وفي « القاموس » : (أن غب القمر موضع ما بين الشجر وظفار) .
وقال الطيب بامخرمة : (وغب القمر هو المعروف اليوم بعشة القمر ، وهو موضع
خطر ، إذا سقطت إليه السفن . . قل أن تسلم) اهـ

وقال الهمداني [٢٤٠] : (ورؤوس هذا البحر - يعني بحر العرب - المتعالمة
بالخطر والصعوبة : الفرتك ، ورأس الجمجمة ، وباب المندب) .

ثم ذكر غيرها مما لا حاجة بنا إليه ، وسيعاد بعض ما هنا قبيل القسم الثاني ، فلا مؤاخذه .
ورأس الفرتك قريب من حصويل ، والملاحون يعرفون غب القمر ويسمونه : (غبة) ؛
لأنه في البحر لا في البر ، وهي قرية قريبة جداً من ظفار ، وقد مر بك قريباً عن الهمداني
ما يفيد أن أغباب المهرة هي شواطئ ، مع أن الملاحين لا يعرفونها ؛ إلا أغباباً بحرية ،
وأذكرها بينهم : غبة قمر ، ومن المرافئ التي تقرب منها : غيبة غبة القمر ، وهيرك
غبة قمر ، وفوري غبة قمر ، وخور خلفوت غبة قمر ، ورأس نشطون آخر غبة قمر ،
وكلها واقع بين غيبة ابن بدر وجبل يقال له : رأس الغنطاس ، وهو شرقي رأس الفرتك .

ورأيت في « الشهاب الراصد » : (أن ضابطاً إنكليزياً نقل بعض النقوش التي في
حصن الغراب ، وعرضها على العلماء العارفين ، فإذا فيها : أن سميغ أشوى وأولاده
نقشوا هذا التذكار في حصن مريجث - غراب - لكاً وصلوا أسوارهم ، ومهدوا
دروبهم ، وتحصنوا فيه ، بعد أن فتحوا اليمن وغلبوا أهلها ، وفتحوا طريق التجارة في
أرض حمير ، وقتلوا ملكها وأقياله^(١) الحميريين .

(١) أقياله : الملوك الذين تحت يد الملك الكبير .

وشبيه أن يكون هذا المقتول هو ذا نواس الحميري ؛ فإنه الذي قتله الأحباش) اهـ
وفي مذكراتي عن بعض التواريخ اليمنية أن أول نائب من جهة الحبشة كان عربياً
مسيحياً يقال له : (سيمافع أشوع) ، ثم تبعه أبرهة المشهور . اهـ وهي فائدة حسنة ؛
لتقارب الاسمين .

وسمعت أن هذا الضابط الذي نقل الثقوش يقال له : (والستمد) ، وهو صادق
في قوله : (أن الأحباش قتلوا ذا نواس) ؛ لأنهم إن لم يقتلوه مباشرة . . فقد ألقى
بنفسه في البحر ، لما أنهزم من أرياط وأبرهة الحبشيين .
وذو نواس هذا هو الذي أجبر أهل نجران على اليهود ، وخد لهم الأخدود ،
فكان في غزو الأحباش له انتصار للمسيحية ، وأخذ بالتأثير^(١) .

أمّا مدّة الأحباش باليمن : فقد كانت قصيرة ، حسبما هو مفصل «بالأصل» .
وموجود في « سيرة ابن هشام » [١٥١/١] وغيرها : (وأول من ملك منهم أرياط ،
بعثه صاحب الحبشة على جيوشه لما تهوّد ذو نواس ، وأحرق الإنجيل . . ففتح أرياط
اليمن واستقرّ في ملك ذي نواس ، ثم ملك بعده أبرهة الأشرم ، وهو صاحب ألفيل ،
ثم ملك بعده ابنه أكسوم^(٢) ، ثم ملك بعده أخوه مسروق ، وهو آخر من ملك اليمن
من الحبشة ، وذلك أن سيف بن ذي يزن استعاذ بكسرى على مسروق . . فأمدّه
بجيش ، ففتح به اليمن ، وبقي نائباً عن كسرى حتى قتله بعض من استخلصه من

(١) الملك هذا هو : الملك ذو نواس الأصغر ؛ واسمه : زرعة بن عمرو بن زرعة الأوسط ابن حسان
الأصغر بن عمرو بن زرعة الأكبر ابن عمرو بن تبع الأصغر بن حسان بن أسعد تبع .

وهو صاحب الأخدود ، سمي يوسف لما تهوّد ، وقيل : سمي ذا نواس ؛ لذوّابتين كانتا تنوسان
على رأسه . وكان على دين اليهود ، فشكا إليه يهود نجران غلبة النصارى . . فنهض بالجنود إلى نجران
فحفر الأخدود ، وأضرّم النار فيه . . وفيهم نزلت الآيات .

ثم ذكر أن : ذو ثعلبان الأصغر الحميري مضى إلى النجاشي - ملك الحبشة - وكان نصرانياً
واستغاث به . . فأرسل معه قائداً على رأس جيش عداة ثلاثون ألفاً . . فغدر بهم ذو نواس ، وقتل منهم
أعداداً كثيرة ، فغضب نجاشي الحبشة فأرسل جيشاً أعظم من الأوّل على رأسه أرياط وأبرهة . . فلمّا
لاقاهم ذو نواس ورأى عجزه عن قتالهم . . اقتحم البحر بنفسه وفرسه ، فغرق فيه . اهـ بتصرف يسير
واختصار من : « خلاصة السيرة الجامعة » (١٧٥-١٧٦) .

(٢) في « سيرة ابن هشام » : (يكسوم) . والله أعلم .

الحبشة ، فولّى كسرى وَهْرَزَ مكانَهُ ، وَلَمَّا هَلَكَ . . أَقَامَ كسرى الْمَرْزَبَانَ ، وَلَمَّا هَلَكَ . . أَقَامَ خَذَخْسَرُو ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَوَلَّى بِأَذَانَ ، وَفِي عَهْدِهِ كَانَتْ أَلْبَعَثَةُ . . فَأَسْلَمَ بِأَذَانُ وَفُشَا الْإِسْلَامُ بِالْيَمَنِ ، وَتَتَابَعَتْ مِنْهُ أَلْفُ فَوْدٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَبَقِيَ بِأَذَانُ نَائِبًا عَلَى الْيَمَنِ حَتَّى مَاتَ بَعْدَ حَجَّةِ الْوُدَاعِ ، فَوَلَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبْنَهُ شَهْرًا عَلَى صَنْعَاءَ ، وَعَلَى كُلِّ جِهَةٍ وَاحِدًا مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَى أَنْ خَرَجَ الْأَسْوَدُ الْعَنْسِيُّ . . فَقَتَلَ شَهْرَ بْنَ بِأَذَانَ ، وَأَخْرَجَ عَمَّالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ ، وَلَمَّا قُتِلَ . . عَادُوا إِلَى أَعْمَالِهِمْ) اهـ من « صبح الأعشى » [٢٦-٢٥ / ٥] .

وقد دخلت بئر عليّ تحت الحماية الإنكليزية على يد والي عدن لذلك العهد ، المسمى : هرغ .

وسلاطيتها : محسن بن صالح ، وصالح بن أحمد بن صالح ، وعبد الله بن أحمد بن صالح ، وناصر بن حسين بن محسن ، وبو بكر بن حسين بن محسن ، وصالح بن عبد الله بن صالح بن محسن ، وعلي بن عبد الله بن صالح بن محسن ، وناصر بن طالب بن هادي بتاريخ (٢٠) أبريل سنة (١٨٨٨ م) .

وبالحجاز حصن خراب يُقال له : حصن الغراب ، وهو الذي يُقال له أيضاً : حصن الهجوم . قال ابن المجاور في (ص ٢٠) من « تاريخه » : كان جبلاً مدوراً في قاع صفصيف ، حوله قلعة بُنيت بالحجارة المنحوتة ، طول كل حجر سبعة أذرع في عرض ثلاثة ، يحاذي طول ذروة ذلك الجبل ، وقد فتح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذلك الموضع ، وبقي الحصن بحاله حتى انتهى الملوك إلى قتادة بن إدريس . . فهدمه ؛ كي لا يعتصم به الأعراب ، وسُمِّيَ الآن : حصن الغراب . والله أعلم بحال هذا الخبر ؛ ففي الكتاب كثير من الأفاصيص التي لا تطمئن إليها النفس . قال : وهو من بناء الأنباط اليونانيين ، وليس من بناء العرب ؛ لأنه لا يتدبر لهم فيه عمل ، ولا يصلح على أيديهم . . فلا يتصور في خواطرهم ، وإنما هو وما أشبهه من عمل الجبابرة ، وحكمة الأوائل . اهـ مختصراً بالمعنى ، ويأتي في هذا الكلام ما سيحيى عليك في العرّ .

عَزَّانُ^(١)

هو في شمالِ بِأَلْحَافِ ، على مسافةِ ثلاثةِ أَيَّامٍ مِنْهَا لِلْجَمَالِ .
وهو حصنُ آلِ أَحْمَدَ بْنِ هَادِي ، وقد جَرَتْ لَهُمْ خُطُوبٌ ، وتَقَلَّبَتْ بِهِمُ الْأَحْوَالُ ،
حَسَبَمَا فُضِّلَ «بِأَلْأَصْلِ» .
وفي غربيِّ عَزَّانَ على مسافةِ ساعتينِ بِالتَّقْرِيبِ . . تكونُ حَوْطَةُ الْفَقِيهِ عَلِيٍّ .

حَوْطَةُ الْفَقِيهِ

هِيَ بِلَادٌ تِجَارِيَّةٌ مَعْمُورَةٌ ، فِي غَرْبِهَا عَلَى بُعْدِ تِسْعِ سَاعَاتٍ لِلْجَمَالِ يَكُونُ : مَوْقِعُ
حَبَّانَ ، وَمِنْهَا إِلَى يَبْنُوتَ فِي شَرْقِهَا مَرَحِلَتَانِ بِسِيرِ الْأَثْقَالِ^(٢) .
وَالْحَوْطَةُ الْمَذْكُورَةُ مَنْسُوبَةٌ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ : عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ بْنِ رَاشِدِ بْنِ
خَالِدِ بْنِ مَالِكٍ ، الْمَالِكِيِّ نَسَبًا ، الشَّافِعِيِّ مَذْهَبًا .
وَبِهَا كَانَتْ وَفَاتُهُ أَوَائِلَ سَنَةِ (٨٣٢ هـ) ، وَعَلَيْهِ قَبَّةٌ كَبِيرَةٌ إِلَى جَانِبِ جَامِعِهِ الَّذِي
كَانَتْ عِمَارَتُهُ فِي سَنَةِ (٧٧١ هـ) .

وَقَالَ الطَّيِّبُ بِامْخَرَمَةِ فِي مَادَةِ (الرَّحْبِيِّ) : (إِنَّ بِالْيَمَنِ بِقُرْبِ قَرْيَةٍ مُحْفَنٌ -
الْمَعْرُوفُ بِحَصْنِ الْمَخَارِمِ الْكِنْدِيِّينَ - قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا : الرَّحْبَةُ ، أَنْشَأَهَا الْفَقِيهُ الْعَالِمُ ،
الصَّالِحُ الْوَرَعُ : نُورُ الدِّينِ عَلِيُّ ابْنُ جَمَالِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ الْمَالِكِيِّ .
قَدِمَ وَالِدُهُ مِنْ أَيْبِنَ ، ثُمَّ أَقَامَ بِالْمَصْنَعَةِ - وَهِيَ حَبَّانُ - فَأَوْلَدَ الْوَلَدَ الصَّالِحَ عَلِيًّا

(١) كانت عزان هذه عاصمة السلطنة الواحدية قبل استقلال الجنوب في (١٩٦٧ م) ، وهي من أعمال
محافظة شبوة ، وقد أقيم بجوارها جسر يربط مناطق وأنحاء ميفعة بغيرها من مديريات شبوة . ويوجد
في عمود اليمن (٢٢) اثنان وعشرون موضعاً كلها تحمل نفس هذا الاسم ، أوردها المقحفي في
« معجمه » .

(٢) أي : بسير الجمال المحملة بالاثقال .

المذكور ، والفقيه شرف الدين إسماعيل ، والفقيه إسرائيل ، والفقيه أبا بكر .
 وكانت هذه الرحلة مواتاً ، طلبها من أهل تلك الجهة ، وبنى بها جامعاً حسناً ،
 وفطر^(١) فيها آباراً ، وأولد فيها أولاده الفقهاء يطعمون الطعام .
 توفي الفقيه عليّ بالمحرم سنة (٨٣٢ هـ) ، كذا ذكره القاضي مسعود . هذا
 آخر كلام الطيّب ، وهو موافق لما تقدّم^(٢) .

روضة بني إسرائيل

هي واقعة في شمال حوطة الفقيه عليّ ، منسوبة إلى أخيه إسرائيل بن محمد ، وهم
 بيت علم وصلاح ، ولهم مؤلفات وفتاويات كثيرة في فقه الإمام الشافعيّ ، منهم :
 الشيخ الشهير محمد بن عبد القادر ، مؤلف « غرائب القرآن » وغيره ، ذكره صاحب
 « المشرح » في (ص ١٩٨ / ج ٢)^(٣) .

وقد صدر لإسماعيل - المذكور في كلام بامخرمة ، أخي إسرائيل هذا - مرسوم
 سلطانيّ بولاية القضاء من باب بروم إلى باب آبين وما بينهما من القرى ، مثل : دثينة
 وأحور وميفعة والعين وغيرها .

(١) فطر : ابتداء واختراع . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كنت لا أدري ما فاطر السماوات
 والأرض . حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر ، فقال أحدهما : أنا فطرتها ؛ أي : أنا ابتدأت
 حفرها .

(٢) النسبة (١٣٠ خ) .

(٣) ذكره في « المشرح » (٤٣٥ / ٢) ، في ترجمة السيّد عبد الله بن محمد صاحب الشبيكة القديم ،
 المتوفى بمكة المكرمة سنة (٩٧٤ هـ) . والفقيه محمد بن عبد القادر الإسرائيليّ هذا . . . معدود من
 تلامذة السيّد صاحب الشبيكة المذكور ، وقد ترجم له في « تاريخ الشعراء » (٢١١ / ١ - ٢١٣) ، وأورد
 نسبه مغايراً لما هنا . . . فقال : محمد بن عبد القادر بن أحمد بن أبي بكر بن إسرائيل بن إسماعيل بن
 محمد بن عمر . . . وما ورد في « عقد البواقيت الجهرية » (١١٦ / ٢) يؤكّد هذا .

ولد الفقيه محمد بن عبد القادر في روضة أجداده سنة (٩٥٧ هـ) ، ونشأ محباً للعلم وأهله ،
 وطلبه أولاً على أبيه ، ثم على علماء عصره ، وكان له ولابنه وجهة دينية بوادي حبان ، ولهم بها
 ثروة وأراض . . . توفي في (١٨) رجب (١٠١٥ هـ) .

وكان ذلك المرسوم بتاريخ (١٠) محرّم سنة (٨١٥ هـ) ، وكانت وفاة إسماعيل هذا بمدينة حبان في (٧) ربيع الثاني سنة (٨٣٥ هـ)^(١) .

ولإسماعيل بن محمّد بن عمر هذا ذكرٌ كثيرٌ في « مجموع الجدّ طه بن عمر » ، وهو ممّن أفتى بصحّة العهدِ المعروفة بحضرموت .

مِيفَعَة^(٢)

هي أرضٌ واسعةٌ ، فيها قرىٌ وآبارٌ كثيرةٌ ، عاصمتُها قريةٌ في أثنائها تسمّى : أصبوعون ، على شفا جُرفٍ هارٍ من الدّمارِ .

وهي في شرقيّ عزّان ، بينها وبينه مسافةٌ نحو ساعتين ، ومن أرباضِ ميفعة في جنوبها : الصّعيّد ، وجولُ آلِ عبدِ المانع ، والحوش ، ورضوم ، وفي شمالها : الرّقة ، والعلطوف ، وريدة آلِ بارشيد .

(١) هذه التّولية صدرت من حاكم اليمن كما في « الشّامل » (ص ٦٨) ، وكان الحاكم آنذاك - أي في عام (٨١٥ هـ) - هو الملك النّاصر أحمد بن إسماعيل بن العباس بن عليّ بن داود بن يوسف بن عمر بن عليّ بن رسول الرّسولي الغساني ، الَّذي تولّى حكم اليمن من سنة (٧٧٨ هـ) إلى سنة وفاته عام (٨٢٩ هـ) ، كما في « بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولّى ملك اليمن من ملِك وإمام » (ص ٤٦) .

وقد أورد الحذّاد نصّ التّولية ورسالة الشّيخ العلّامة عبد الرحمن بن حيدر الشّيرازي لبعض قضاة اليمن في التّعريف بحال العلّامة الشّيخ إسماعيل الإسرائيلي ، ولا نطيل بإيرادها . . فليطالع « الشّامل » (٦٨-٦٩) .

(٢) ميفعة غبر ميفع ، وبينهما (١٠٠) كيلومتر تقريباً ، وميفعة وادٍ في جنوب حبان من أعمال محافظة شبوة ، وسمّي باسم ميفعة القديمة التي كانت عاصمة مملكة حضرموت القديمة في عصور ما قبل الإسلام ، والتي كانت مركزاً تجارياً ذات أسوار عالية ومعابد مما يدل على أنها كانت ذات شأن . وقد تعرضت ميفعة القديمة للخراب من جراء السيول ، فقامت بدلاً منها مدينة جول الريدة وهي الآن عاصمة مديرية ميفعة ، وتقع المدينة القديمة بمحاذاة الطريق الإسفلتية التي تربط بين شبوة وحضرموت بالقرب من عزّان .

ويدخل في حدود مديرية ميفعة : عزان ، بلحاف ، بيرعلي ، الروضة ، الصدارة ، وادي عماقين ، جول بن نشوان ، فرتك ، رأس الكلب ، وعين بامعبد ، وغيرها .

وفي عطفها : جماعة من أعقاب السيد فذعن بن محمد بن عبد الله بن أمبارك بن عبد الله المشهور بوطب .

ولآل باقظمي^(١) اعتقاد في شريفة مقبورة هناك ، يقال لها : علوية ، يُشاع أنها من آل البغدادي ، والأثبت : أنها من آل جنيد سگان عزان .
ومن شرطهم : أن لا يكون القائم بمنصبها^(٢) إلا بنت بكر من أسرتها ، ولا يمكن لها أن تتزوج .

وعلى منصبها اليوم شريفة يقال لها : سيدة ، تبرز للرجال وتحادثهم ، ولها جاه واسع لدى آل باقظمي وغيرهم ، وهي تُكرم الضيفان .

وفي ميفعة كانت وفاة الشيخ عبد الله الصالح المغربي^(٣) ، وكان من خبره : أن الشيخ أبا مدين أرسل بخزقة التصوف^(٤) للفقير محمد بن علي بن محمد ، بمعية الشيخ

(١) باقظمي - بضم القاف - : قبيلة من آل بابحر من نعمان . كما في « إدراك الفوت في ذكر قبائل حضرموت » . وآل نعمان من عرب حمير . وفي « الشامل » (ص ٧٠-٧٣) . تفصيل وافٍ شاف لهذه القبائل وأصولها .

(٢) المنصة : هي القيام في مقام الشخص الوجيه ، أو المعتقد ، وهو عرف عام في حضرموت كلها ، بل وفي تهامة اليمن . فعندما يظهر شخص بمظهر ديني أو زعامة روحية ويأتيه الناس من كل مكان ، ويظهر صيته في الآفاق . . . يخلفه بعد وفاته أحد أبنائه ، وهكذا دواليك يستمر الاستخلاف في الذرية ، الأصلح فالأصلح ، وقد قام المناصب في حضرموت بأدوار تاريخية وسياسية كبيرة وكثيرة على مرّ العصور .

(٣) وفي « المشرع » (١١/٢) : أنه من تلامذة الشيخ عبد الرحمن الحضرمي المغربي .

(٤) خرقه التصوف : هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده ، وقد صنف وتكلم جمع من السلف الأكابر في الإلباس وحكمه وبيان أصله الشرعي ؛ منهم :

١- الحافظ جلال الدين السيوطي في رسالته المسماة « إتحاف الفرقة برفق الخرقه » مطبوع ضمن المجلد الثاني من « الحاوي للفتاوي » : (١٩١-١٩٧) . أثبت فيها سماع وأخذ الحسن البصري من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

٢- السيد الشريف الإمام أبو بكر العدني بن عبد الله العيدروس (ت ٩١٤ هـ) في كتابه « الجزء اللطيف في التحكيم الشريف » . مطبوع .

٣- السيد الإمام الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف (ت ٨٩٥ هـ) بكتاب سمّاه : « البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقه الأنيفة » ، طبع بمصر في مجلد لطيف سنة (١٣٤٧ هـ) . =

عبد الرحمن بن محمد الحضرمي^(١) ، فأدركته الوفاة بمكة المشرفة ، فعهد للشيخ عبد الله الصالح المغربي بإيصالها للفقير المقدم ، فألبسه إياها ، وغضب لذلك شيخه علي بامروان ، وقال له : أذهبت نورك بعد أن رجوت أن تكون كابن فورك ، فتفقرت .

فقال له الأستاذ الفقيه المقدم : ألق فخرى .

ثم سار الشيخ الصالح لإلباس الشيخ سعيد بن عيسى العمودي عن إشارة الشيخ أبي مدين ، ثم توجه إلى ميفعة ، وفي طريقه إليها ألبس صاحب غورة : الشيخ باعمر ، عن نفسه لا عن الشيخ أبي مدين ، ولما صعد إلى ميفعة . . اتصل بباحمران .

وذكر الشلبي [١٢/٢] وغيره : أن الفقيه المقدم سار إلى ميفعة لعيادة الشيخ عبد الله الصالح - وكان بلغه توغكه^(٢) - وهناك اجتمع به وبتلاميذه ، وشهدوا وفاته ودفنه بميفعة ، ولم يذكروا تاريخ موته ، غير أنه كان قبل موت الفقيه الذي كانت وفاته سنة (٦٥٣هـ) .

ومن العجب أن العلامة السبذ علي بن حسن العطاس يقول في « سفينة البضائع » : (إن الفقيه المقدم ، والشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، والشيخ عبد الله بن عمر صاحب الدلق ، والشيخ باحمران . . اجتمعوا بشيخهم الشيخ عبد الله الصالح المقبور ببلد كنيئة - بلد بالشق البحري ، قريب من حجر - وهي الجهة التي يقال لها : ميفع) اهـ^(٣) .

= ٤- العلامة المسند الحافظ الشريف أحمد بن محمد الصديق الغماري الحسيني المغربي

(ت ١٣٨١هـ) بكتاب حافل جليل سماه : « البرهان الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي » ، ط بمصر سنة (١٣٨٩هـ) ، وقد عقد فصلاً في آخر هذا الكتاب ذكر فيه أئمة علماء المسلمين ممن لبسوا الخرقة ، ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني وتلميذه السخاوي والشوطي والشيخ زكريا الأنصاري . . وغيرهم . ويُنظر : « أدوار التاريخ الحضرمي » (١/٢٥٣-٢٥٧) .

(١) المعروف عند المؤرخين بالمُقعد ؛ لمرض أصابه فأقعه عن الحركة . وهو حضرمي مغربي . . كذا في « المشرح الروي » ، فلعل أصله من حضرموت كما هو حال كثير من أعلام المغرب كابن خلدون ، ويؤكد هذا وصف الشلبي له بأنه : (من أكابر تلامذة الشيخ أبي مدين) . . « المشرح » (١/٢) .

(٢) التوكة : التعب الذي يجده الإنسان من المرض ، أو هو أذى الحمى .

(٣) سفينة البضائع (خ ١/٦٤) .

ففيه أوهام ، وكأنَّ النَّظَرَ انْتَقَلَ عَلَيْهِ مِنْ مِيفَعَةٍ إِلَى مِيفَعٍ ، ثُمَّ مَا كَانَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ
بشَيْخٍ لِلْمَقْدَمِ وَلَا لِلْعُمُودِيِّ ، وَإِنَّمَا هُوَ سَفِيرٌ مُحَضَّرٌ فِي إِيْصَالِ الْخِرْقَةِ لَهُمَا^(١) .

ونَقَلَ الْحَبِيبُ شَيْخُ الْجَفْرِيِّ فِي « كِتَابِ الْبَرَاهِينِ » عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْعِيدَرُوسِ :
(أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ الصَّالِحَ لَمَّا رَجَعَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ . . أَقَامَ بِمِيفَعَةٍ ، وَهِيَ بَلَدٌ أَقْصَى
حَضْرَمَوْتَ ، قَرِيبٌ مِنْ سَاحِلِ عَيْنِ بَامْعِيدٍ ، وَتَزَوَّجَ بِقَرِيْبَةٍ مِنْ قَرَاهَا ، يُقَالُ لَهَا :
السُّوقُ ، أَعْلَى مِنْ أَصْبَعُونَ ، فَوْقَ الزَّبُورَةِ ، وَكَانَ لَهُ بَنَتَانِ ؛ حَمَادَةُ وَمَحْمُودَةُ ، فَلَمَّا
مَرَضَ . . جَاءَ الْمَشَايِخُ الَّذِينَ حَكَّمَهُمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَزُورُونَهُ ، وَهُمْ : الْفَقِيْهُ
الْمَقْدَمُ ، وَالشَّيْخُ سَعِيدُ الْعُمُودِيِّ ، وَبَاعِمِرُ ، وَبَاحْمَرَانُ ، وَقَالُوا : تُشِيرُ إِلَى أَحَدٍ
بَعْدَكَ ؟ فَسَكَتَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَوْلَادِي ؛ مَا اسْتَقَلَّ مِنْكُمْ إِلَّا صَاحِبُ السُّبْحَةِ ،
وَأَنْتُمْ مَشَايِخُ ، وَمِيرَاثِي أَرْبَاعٌ بَيْنَكُمْ ، وَالْبَنَتَانِ عَلَى يَدِكَ يَا شَيْخُ سَعِيدُ ، فَلَمَّا مَاتَ . .
قَسَمُوا مِيرَاثَهُ بِالْقِرْعَةِ ، فَخَرَجَ الْمَشْعَلُ وَالْقَدْرُ لِلشَّيْخِ سَعِيدٍ ، وَالسُّبْحَةُ وَالْعَكَازُ لِلْفَقِيْهِ
الْمَقْدَمِ - فَكَانَ هُوَ الْمَشَارَإِلِيْهِ بِالْأَسْتِقْلَالِ - وَالدَّلَقُ لِبَاعِمِرُ ، صَاحِبِ عَوْرَةٍ ، وَالْحَبُورَةُ
وَالْبَسْطَةُ لِبَاحْمَرَانِ . وَقَبْرُ الشَّيْخِ الصَّالِحِ بِأَصْبَعُونَ) اهـ

وَقَسَمَةُ الْمِيرَاثِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ إِشْكَالٌ ؛ لِأَنَّهُ إِنْ أَرَادَ السَّرَّ . . غَبَرَ عَلَيْهِ ذِكْرُ
الْمَقْتَسَمَاتِ ، وَلَعَلَّ الْمَرَادَ الْوَصِيَّةُ ، وَالسَّرُّ تَبِعٌ لِمَا جَرَتْ فِيهِ الْقَسْمَةُ ، ثُمَّ إِنْ قَوْلُهُ
يَا أَوْلَادِي لَا يَخَالِفُ مَا نَقَلُوهُ أَنْ لَيْسَ لَهُ مَشِيخَةٌ عَلَى الْفَقِيْهِ وَلَا عَلَى الْعُمُودِيِّ ؛ إِذْ
لَا مَانَعَ مِنَ التَّغْلِيْبِ وَتَقْدُّمِ السَّنِّ .

وَفِي مِيفَعَةٍ بِأَحْمَرَانَ آخَرُ غَيْرُ الْأَوَّلِ ، هُوَ مِنْ تَلَامِيذِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلُوِيٍّ^(٢) .

وَكَانَ فِي مِيفَعَةٍ جَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْإِبَاضِيَّةِ ، حَسَبَمَا يُعْرَفُ مِنْ شِعْرِ الْإِمَامِ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَيْسٍ الْآتِي فِي ذِكْرِ شِبَامِ .

(١) الَّذِي فِي « الْمَشْرِعِ الرَّوِّيِّ » (١٢ / ١) ، وَكَمَا تَقَدَّمَ قَرِيبًا مِنْ قَوْلِ الْمُؤَلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ : أَنَّ الشَّيْخَ
الصَّالِحَ أَلَيْسَ بِبَاعِمِرٍ وَبَاحْمَرَانَ عَنْ نَفْسِهِ لَا عَنْ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينٍ كَمَا فَعَلَ مَعَ الْفَقِيْهِ الْمَقْدَمِ وَالْعُمُودِيِّ . .
فَلَعَلَّ الْحَبِيبَ عَلِيَّ بْنَ حَسَنِ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : (شَيْخُهُمُ) التَّغْلِيْبُ ، أَوْ هُوَ شَيْخُهُمْ مَجَازًا لَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ،
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) كَذَا وَرَدَ فِي « الْمَشْرِعِ » (٤٠٦ / ٢) ، بِالنَّصِّ .

أَمَّا سُلْطَنَةُ مَيْفَعَةَ وَحَبَّانَ : فَقَدْ كَانَتْ فِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ لِلدَّوْلَةِ الطَّاهِرِيَّةِ ^(١) .

وَأَمَّا فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ . . . فَسُلْطَنَةُ حَبَّانَ لِلوَاحِدِيِّ ، وَمِنْهُمْ : عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ صِلَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ صِلَاحِ بْنِ رَوْضَانَ ، وَهُوَ مَمْدُوحُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ الْإِسْرَائِيلِيِّ .

تُوفِّيَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَذْكُورُ فِي سَنَةِ (٩٩١ هـ) وَسُلْطَنَةُ مَيْفَعَةَ لِابْنِ سَدَّةَ .

وَكَثِيرًا مَا جَاءَ ذِكْرُهُ فِي « دِيْوَانِ » الشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَمْخَرَمَةَ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ يَهْيُجُ بَذَرَ بُوْطُوَيْرِقَ عَلَيْهِ :

فَالْمَرَّةَ زَاهِلُهُ لِلْعَفْذِ مَا عَاذَ عِدَّهُ مَا يَبَا أَلَّا حِصَانَكَ قُلْ لِعَبْدِكَ يَشِدُّهُ
حَجَزُ فِي شَهْرِنَا وَالْعَوْلَقِي وَأَبْنِ سَدَّةَ

وَهُوَ ^(٢) وَالْأَبْنِ عَبْدِ الْمَنِيعِ وَالْأَبْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ سُلَاطِينُ الطَّاهِرِ ، يَرْجِعُونَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ فِي النَّسَبِ ^(٣) .

(١) الدَّوْلَةُ الطَّاهِرِيَّةُ : نَسَبْتُهَا لَطَاهِرِ بْنِ تَاجِ الدِّينِ بْنِ مُعُوضَةَ الْيَمِينِي ، تَمَكَّنَ أَبْنَاؤُهُ مِنْ تَأْسِيسِ دَوْلَتِهِمُ الطَّاهِرِيَّةَ فِي الْيَمَنِ سَنَةَ (٨٥٨ هـ) ، عَلَى أَنْقَاضِ دَوْلَةِ بَنِي رَسُولَ ، اسْتَمَرَّتْ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً لَتَنْتَهِيَ قَبِيلُ دُخُولِ الْأَتْرَافِ الْعُثْمَانِيِّينَ إِلَى الْيَمَنِ سَنَةَ (٩٣٣ هـ) .

(٢) أَيُّ : ابْنِ سَدَّةَ .

(٣) هَذَا النَّصُّ مِمَّا كَثُرَ تَدَاوُلُهُ عِنْدَ مُتَأَخِّرِي الْمَوْرُخِينَ وَالنَّسَّابَةِ ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَنْقُلُهُ عَنِ الْآخِرِ ، وَلَيْسَ فِيهِ تَحْقِيقٌ وَلَا تَمْحِصٌ . . . وَلَكِنَّ السَّيِّدَ الْمُحَقِّقَ الْعَلَّامَةَ عَلَوِيَّ بْنَ طَاهِرِ الْحَدَّادِ تَكَلَّمَ عَنْهُ وَعَنِ عَدَمِ الْإِعْتِنَاءِ بِالنَّسَبِ وَكَثْرَةِ التَّلَاعُبِ فِيهِ مِنْ قَبْلِ مَنْ لَا يَحْسُنُ هَذَا الْفَنَ ، فِي « الشَّامِلِ » (٥٣-٥٥) .

وَأَنْقُلْ هُنَا بَعْضَ كَلَامِهِ لَشِدَّةِ أَمِيَّتِهِ ، قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ وَطِيبَ ثَرَاهُ : كَانَتْ كِنْدَةُ تُسَمَّى (كِنْدَةُ الْمُلُوكِ) ؛ لِتَطَاوُلِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَحِرْصِهِمْ عَلَيْهِ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَعْتَرِفُ لَهُمْ بِذَلِكَ . . .

. . . وَلَعَلَّ وَجُودَ اسْمِ (مُعَاوِيَةَ) فِي أَنْسَابِهِمْ - أَيُّ وَلاَةِ حَبَّانَ - هُوَ الَّذِي حَمَلَ أَصْحَابُ التَّعَالِيقِ عَلَى نَسَبِهِ وَلاَةِ حَبَّانَ إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ؛ لِأَنَّهُ عَامِرٌ هُوَ ابْنُ وَهْبِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ الْكَنْدِيِّ ، وَأَهْلُ الزَّمَنِ الْآخِرِ قَدْ تَرَكُوا الْبَحْثَ فِي الْأَنْسَابِ ، وَخَلَّتْ أَيْدِيهِمْ مِنْ كِتَابِهَا ، فَإِذَا سَمِعُوا بِقِيَّةِ إِشَاعَةٍ عَنْ نَسَبِ . . . فَهَمُّوهُ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ مِنْ قَلَّةِ الْعِلْمِ ، وَهُمْ إِنَّمَا يَعْلَمُونَ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ لَشَهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ فِي حَضْرَمُوتَ وَجِهَاتِهَا كَمُّ مِنْ مُعَاوِيَةَ . وَفِي كِنْدَةِ قَبِيلَةٍ تَسْمَى : (يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ) ، وَمِنْهُمْ بَقِيَّةٌ إِلَى الْآنَ ، فَلَعَلَّ ذَلِكَ مُصْدَرٌ مَا جَاءَ فِي بَعْضِ التَّعَالِيقِ : (أَنَّ ابْنَ سَدَّةَ ، وَيَاوَاحِدَةَ ، حُرِّكَتَ بِحَضْرَمُوتَ . . . أُمُوثُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَأَنَّ آلَ عَبْدِ الْمَنِيعِ بِالْجَوْلِ =

وفي حوادثِ سَنَةِ (٩١٥ هـ) مِنْ « تاريخِ شنبِل » [ص٢٣٧-٢٤٨] : أَنَّ عَبْدَ الْوُدودِ بَنَ سَدَّةَ صَالَ عَلَى بِيحَانَ ، فَأَفْسَدَ ضُمُرًا^(١) فِيهَا ، ثُمَّ لَاقَاهُ آلُ بِيحَانَ مَعَ رَجوعِهِ عَنْ وَادِيهِمْ ، فَقَتَلُوا مِنْ عَسْكَرِهِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ ، وَأَخَذُوا عَلَيْهِ عبيدًا وَعَتَادًا وَأَسْلَحَةً .

ومنه : فِي أَخْبَارِ سَنَةِ (٩١٧ هـ) [ص٢٥٣] : تَوَفَّى السُّلْطَانُ الْعَادِلُ عَبْدُ الْوُدودِ بَنُ سَدَّةَ .

وينهرُ إِلَى مِيفَعَةَ كُلِّ مِنْ جِبَالِ عَمَقِينَ^(٢) وَوَادِي هَدْيَ وَوَادِي سَلْمُونَ ، وَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَادِي حَبَّانَ جَبَلٌ يَمْنَعُ مِنْ وَصُولِ مَائِهِ إِلَيْهَا ، وَلَكِنْ أَحَدُ الْمُلُوكِ السَّابِقِينَ فَتَحَ فِيهِ نَفَقًا يَخْتَرِقُهُ ، فَصَارَ مَاءُ حَبَّانَ يَفِيضُ فِيهِ إِلَى مِيفَعَةَ . كَذَا أَخْبَرَنِي بَعْضُهُمْ عَنْ مَشَاهِدَةٍ ، وَإِنَّهَا لَأَمَارَةٌ مُلْكٍ ضَخْمٍ وَسُلْطَانٍ عَظِيمٍ .

وما بَيْنَ عَطْفِ مِيفَعَةَ الْمَسْمُومِ عَطْفَ بِالرَّشِيدِ وَمِيفَعَةَ . . . آثَارُ مَدِينَةٍ قَدِيمَةٍ يُقَالُ لَهَا : الْهَجْرُ^(٣) ، كَانَ يُقَالُ : إِنَّهَا ثَانِي بِلَادِ ذَلِكَ الصَّقْعِ بَعْدَ مَدِينَةِ شَبَوَةَ ، وَلَا تَزَالُ آثَارُهَا مَائِلَةً وَأَسَاطِينُهَا قَائِمَةً ، وَعَلَيْهَا كِتَابَاتٌ كَثِيرَةٌ بِالْمَسْنَدِ ، وَحِجَارَاتُهَا مَنْجُورَةٌ ،

= قرشيون أمويون ، ومنهم آل عبد الواحد سلاطين الظاهر . ١ هـ

ومع أَنَّ آلَ عبد الواحد ليسوا سلاطين الظاهر . . . فالقول بنسبتهم إِلَى بني أُمَيَّةٍ وَهَمَّ مِنَ الْأَوَامِ . وقد جَاءَتْ جِيُوشُ الْمَنْصُورِ الْعَبَّاسِيِّ مَعَ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ فَمَا تَرَكَتْ مِنْ مَتَرَدٍّ ، فَكَيْفَ يَصُحُّ أَنْ تَرَكَ أَحَدًا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ حَتَّى يَمْلِكَ وَيَسْلُطَنَ ، وَهَمَّ قَدْ قَتَلُوا مِنْ أَهْلِ حَضْرَمُوتَ فِي وَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا لِأَنَّهُمْ خَوَارِجٌ ، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ أَحَدُ مِنْهُمْ مَعَ ذَلِكَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ أَعْدَائِهِمْ الْأَلْدَاءُ؟! . . . إلخ وهو كلام محرَّر نفيس .

(١) الضُّمُرُ - بضمين ، جمع ضمير - وهو : السَّدُّ الصَّغِيرُ الَّذِي يَبْنِيهِ الْمَزَارِعُ لِيَسْتَفِيدَ مِنْ مِيَاهِ الشُّيُولِ وَالْأَمْطَارِ .

(٢) وَادِي عَمَقِينَ : بفتح العين والميم ، وقد أَطْنَبَ فِي وصفه صَاحِبُ « الشَّامِلِ » (ص ٤٧) بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ . . . فَلْيَنْظُرْ هُنَاكَ .

(٣) يوجَدُ بِحَضْرَمُوتَ ثَلَاثَةُ مَوَاضِعَ تَسْمَى (الْهَجْرُ) . . . وَرَدَتْ فِي كِتَابِ « تَارِيخِ الْيَمَنِ الْقَدِيمِ » وَهِيَ : (هَجْرُ النَّابِ) بِوَادِي مَرْحَةٍ ، وَفِيهِ آثَارُ قَدِيمَةٍ ، لَعَلَّهَا تَعُودُ إِلَى عَهْدِ مَمْلَكَةِ أَوْسَانَ . (وَهَجْرُ كَحْلَانَ) وَهَذَا بِمَنْطَقَةِ بِيحَانَ ، وَهُوَ مَوْقِعُ مَدِينَةٍ تَمْنَعُ ، عَاصِمَةُ الدَّوْلَةِ الْقَتَبَانِيَّةِ الَّتِي يَعُودُ عَهْدُهَا إِلَى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ أَوِ الْحَادِي عَشَرَ قَبْلَ الْمِيلَادِ . (وَهَجْرُ بَنِ حَمِيدِ) وَهُوَ الْعَاصِمَةُ الْجَدِيدَةُ لِمَمْلَكَةِ قَتَبَانَ بَعْدَ خَرَابِ تَمْنَعِ ، وَهَذَا هَجْرَانِ الْأَخِيرَانِ لَعَلَّهُمَا الْأَقْرَبُ إِلَى مُرَادِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وضخامتها تدلُّ على أنَّه كانت عندهم آلاتٌ غريبةٌ للنَّقلِ ؛ لأنَّ نقلَ تلكَ الحجارةِ الضَّخمةِ لا يسهلُ للجِمالِ ولا للرِّجالِ .

وقبائلٌ ميفعةٌ هم :

آلُ بابجرٍ ، ينقسمونَ إلى أربعِ فصائلٍ ؛ آلُ بارشيدٍ ، وآلُ باقظمي ، وآلُ باديانَ ، وآلُ بافقيهٍ يقدِّرونَ - حسبَما أخبرني بعضهم - بأكثرَ من ألفٍ وخمسينَ مئةٍ رامٍ . واللهُ أعلمُ بحقيقةِ الحالِ^(١) .

وما سبقَ من خرقِ الجبلِ ليسَ بالكبيرِ في جانبٍ ما ذكره ياقوتٌ في مادةِ (مَنْدَب) [٢٠٩/٥] : (مِنْ أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّهُ ، فَدَبَّ الرِّجَالُ إِلَى الْمَنْدَبِ - وَكَانَ جَبَلًا يَحْجُزُ الْبَحْرَ ، وَيَمْنَعُهُ أَنْ يَنْبَسِطَ بِأَرْضِ الْيَمَنِ - فَقُدُّوهُ ، فَنفَذَ الْبَحْرُ إِلَى أَرْضِ الْيَمَنِ ، وَغَلَبَ عَلَى بِلْدَانٍ وَقَرَى كَثِيرَةٍ ، وَأَهْلَكَ أُمَمًا ، وَصَارَ مِنْهُ بَحْرُ الْيَمَنِ الْحَائِلُ بَيْنَ أَرْضِ الْيَمَنِ وَالْحَبَشَةِ ، الْآخِذُ إِلَى عَيْنَذَابٍ وَالْقَصِيرِ إِلَى مُقَابِلِ قُوصٍ مِنْ بِلَدِ الصَّعِيدِ ، وَعَلَى سَاحِلِهِ أَيْلَةٌ وَجُدَّةٌ وَالْقَلَزْمُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْبِلَادِ) . واللهُ أعلمُ .

هذا آخرُ كلامِ ياقوتٍ ، وفيهِ مِنَ الْبَعْدِ ما لا يقبلُهُ الْعَقْلُ ؛ لأنَّ هذا الْبَحْرَ الْمُسَمَّى بِالْأَحْمَرِ قَدِيمٌ جَدًّا ، وَلأنَّ الْمَسَافَةَ ما بَيْنَ رَأْسِ دِمَارِ الْوَقَاعِ فِي أَفْرِيْقِيَا وَالْجَبَلِ الْمُسَمَّى الْمَنْهَلِي - الْمَنْسُوبِ لِلشَّيْخِ سَعِيدٍ ، وفيهِ قَلْعَةٌ - تَقْرُبُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِيلًا^(٢) ، تَمْخَرُهَا كِبَرِيَّاتُ الشُّفَنِ بِلَا تَوَقُّفٍ ، فَمَا هُوَ - إِنْ صَحَّ - إِلَّا أَمْرٌ عَظِيمٌ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ الْغَرَبِيُّونَ الْآنَ ، وَلَا إِلَى قَرِيبٍ مِنْهُ ، وَظَاهِرُ كَلَامِ يَاقُوتٍ أَنَّهُ لَذَلِكَ سُمِّيَ الْمَنْدَبُ .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْيَمَنِ يَقُولُ : إِنَّمَا سُمِّيَ الْمَنْدَبُ لَوَاقِعَةٍ بِيْتِهَامَةٍ كَثُرَتْ الْقَتْلُ فِيهَا ، فَانْتَشَرَتْ النَّدْبَةُ^(٣) فِيهِ وَفِي كُلِّ ما وَرَاءَهُ مِنَ الْبِلْدَانِ ، فَلِذَلِكَ قِيلَ : بَابُ الْمَنْدَبِ . وَاللهُ أَعْلَمُ .

(١) الَّذِي فِي « الشَّامِلِ » (ص ٧٢) : أَنَّ الْبَاقِطِيَّ يَتَرَاوَحُ تَقْدِيرُهُمْ بَيْنَ (١٥٠) وَ (٥٠٠) ، عَلَى اخْتِلَافِ بَيْنِ الْقَائِلِينَ . وَنَعْمَانُ كُلُّهَا تَقْدَّرُ بِنَحْوِ (١٥٠٠) مَقَاتِلٍ .

(٢) يُقَدَّرُ عَرْضُ فَتْحَةِ بَابِ الْمَنْدَبِ بِنَحْوِ (٢٤) كَمْ فَقَطْ .

(٣) النَّدْبَةُ : لِبُكَاءِ عَلَى الْمَيِّتِ ، وَتَعْدَادِ مُحَاسِنِهِ .

ثمَّ زارني البَحَّاثَةُ المؤرِّخُ سارجنت يحملُ كتاباً أسمهُ : « تاريخ المستبصر » طبع بليدن سنة (١٩٥١م) ، مؤلَّفُهُ جمالُ الدِّينِ أبو الفتح يوسفُ بنُ يعقوبَ الشَّيبانيّ الدَّمشقيّ المعروفُ بأبنِ المجاورِ ، فإذا بعبارةٍ ضعيفةٍ ، ومناقضاتٍ وتجازيفٍ تطلبُ كثيراً مِنَ البَساطَةِ ، وقد نقلَ في (ص ٩٥) منه عن المَفيِدِ بجياشِ أبنِ نجاحِ الحبشيّ قال : إنّ ذا القرنينِ لَمَّا وجدَ شِدَّةَ الحرِّ . . . نقَبَ بابَ المَندَبِ ، فخرجَ البحرُ حتّى وقَفَ عرقٌ منه بالقَلزمِ ، وحصلَ الفرقُ بذلكَ بينَ العربِ والحِشِ ، وبنى بعضُ العربِ على جبلِ المَندَبِ حصناً .

وقال في (ص ١٠٦) : إِنَّهُ كَانَ لَا يُرَى مِنْ عَدَنٍ إِلَّا رُؤُوسُ الْجِبَالِ ، حتّى فُتِحَ بابُ المَندَبِ ، فجرى البحرُ إلى القَلزمِ وعرضَ وأنبسطَ . . فبانَتْ أرضُ عَدَنٍ .

ومثله في (ص ١٠٧) و (١١٥) ، وغير ذلك ، ودلّ في (ص ١٠٦) بما أكثره عليه لا لهُ ؛ منه : أَنَّ شَدَّادَ بَنِ عَادٍ لم يَبنِ إِرَمَ ذاتِ العِمَادِ إِلَّا مابينَ اللَّحْيَةِ ولحجٍ ، وبينَ المَعادي أَلتّي على طريقِ المَفاليسِ ، ولم يكنِ ثَمَّ بحرٌ ، وإنَّمَا أَسْتَجَدَّ البحرُ بفتحِ ذي القرنينِ . اهـ مختصراً .

فإنَّه لو كانَ موضعُ إِرَمِ ذاتِ العِمَادِ مغموراً بالبحرِ . . لما أمكنَ البناءُ فيه ، وقد قال في (ص ١٤٨) : إِنَّ المَعادي قَريبٌ من عَدَنٍ ، فهل كانَ قاعاً صَفصفاً ثَمَّ أنغمَرَ بالبحرِ حتّى كانَ فُتْحُ ذي القرنينِ لِبَابِ المَندَبِ فَعادتِ إلى حَالِهَا أَلوْلَى!؟

وسَيأتِي في العُرِّ أَنَّهُ أَسَمَ لِجَبَلِ عَدَنٍ ، وقالَ أبنِ المجاورِ في (ص ١٠٧) ناقلاً عن « تفسير أبي عبد الله الكيساني » : لَمَّا خرجَ شَدَّادُ بَنِ عَادٍ مِنْ أرضِ أَليمنِ . . طالباً أَعراضَ حَضرموتَ ، ووَصَلَ لَحْجاً . . نظرَ جَبَلَ العُرِّ في مَسافَةٍ بعيدَةٍ ، فقالَ لأَصحابِهِ : اغدوا فَانظُرُوا ما دُونَ هَذَا الجَبَلِ ، فقالوا : وادٍ فيه شَجَرٌ وَأَفَاعٍ عَظَامٌ ، وَهُوَ مُشْرِفٌ على البحرِ المَالحِ ، فَتَزَلُّ بِلحجٍ ، وَأَمَرَ بَأَن تُحَفَرَ آبَارُ أَلتّي يَشْرَبُ مِنْهَا أَهْلُ عَدَنٍ ، وَأَمَرَ أَنْ يَنْقَبُوا لَهُ بابَ المَندَبِ في صَدْرِ الوادي ، وَأَسْتَعانَ عليه بِعَفْريتٍ مِنَ الجِنِّ ، فَنَقَرَهُ لَهُ في سَبْعِينَ سَنَةً ، وَتَمَّ لَهُ الأَمْرُ على ما أَرَادَ . اهـ باختصارٍ ، فهذا كُلُّهُ شاهدٌ بَأَن أرضَ عَدَنٍ كانت كحالِها اليَومَ في أَيَّامِ شَدَّادٍ ، وهو في غيرِ موضعٍ من

« تاريخه » ، مصرّح بتأخر ذي القرنين عن شدّاد كما عليه الناس ، ثمّ إنّهُ يَعِدُّ كما في صفحة (١٤٧) بغرق عدن ، ورجوعها لجةً من لُجَجِ البحر ، وعلى الجملة . . ففي الكتاب تجازيفٌ - كما قلنا - لا تبرك عليها الإبل ، ولا يُسَلَّمُ بها من يعقل .

ومنها قوله بصفحة (٣٢) : إنّ بالحجاز نهراً يُسمّى : نهر السَّبْتِ ، يشتدّ جريهُ ليلة الجمعة إلى غداة السَّبْتِ ، حتّى لا يقدرُ الإنسانُ يعبرهُ ، ثمّ يسكنُ باقي الأسبوع ، ووراء هذا النهر مئة ألف ألفٍ من اليهود مابين رجلٍ وأمرأة ، ولم يذكر الصّبيان .

أمّا زمنُ ابن المجاور مؤلّف الكتاب . . فيُفهم من قوله في صفحة (١٥) رأيت في المنام ليلة السبت (٦) شعبان (٦٢٤هـ) . . إلخ ، وقوله في صفحة (٩٥) : حدثني بدوي من أهل البلاد بهذا المنزل سنة (٦١٩هـ) . . إلخ .

إلّا أنّ ذلك لا يلتئم مع ما ذكرهُ في صفحة (١١٧) من خرابِ عدن إلى أن جاء الفرسُ ووقع سلطانُ شاه بن جمشيد بن أسعد بن قيصر في عدن ، وتوطّن بها ، فانعمرت بمقامهِ ، وكان يجلب إليهم ماء الشرب من زيلع ، ثم بنوا الصّهريج لماء الغيث . . إلى أن قال : ووضعَ مربوطَ فيله في سنة (٦٢٥هـ) ، فلمّا رأى ذلك . . تولى السّلطنة ، وذكر له من الألقاب ما تُستخفّر له الأقاليمُ الواسعة ، ومنها :

مالك رقاب الأمم ، سيّد سلاطين العرب والعجم ، غياث الدّنيا والدّين ، ركن الإسلام والمسلمين ، ظلّ الله في الأرض ، محيي السّنة والفرض ، سلطان البر والبحر ، ملك الشرق والغرب . . إلى غير ذلك من الأوصاف التي أضجرتني . . فتركْتُ أكثرها ، ثمّ ذكر بعده ألقاب تسعة من ملوكهم ، كلّها ضخمة تتفسّخ منها الآكام ، ثم قال :

فهؤلاء ملوك العجم الذين تولّوا عدن ؛ فإنّ عمرهُ لا يتّسع لزمان هؤلاء ، مالم تكن مدّة كلّ منهم أقصر من ظمء الحمار^(١) ، وبين يديّ الآن « صبح الأعشى » [٣٣-١٨/٥] وقد ذكر ملوك اليمن جاهليّة وإسلاماً ، وجعلهم عشر طبقات : العاديةُ ،

(١) مثل يُضرب في شدة قصر المدة ، قال الميداني في « مجمع الأمثال » (١٢٦/٢) : (قالت العرب ذلك ؛ لأنّ الحمار لا يصبر عن الماء) .

فَالْقَحْطَانِيَّةُ ، فَالْتَّابَعَةُ ، فَالْحَبَشَةُ ، فَالْفَرَسُ الْأُولَى ، فَعَمَّالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدِينَ ، فَبَنُو زِيَادٍ ، فَبَنُو مَهْدِيٍّ ، فَبَنُو أَثْيُوبَ أَصْحَابُ مِصْرَ ، فَبَنُو رَسُولٍ ، وَلَمْ يَذْكُرْ حَرْفًا وَاحِدًا عَنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ عَظَّمَ ابْنُ الْمَجَاورِ مِنْ أَمْرِهِمْ حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ بِهِمْ عَنَانَ السَّمَاءِ ، وَحَسْبُكَ بِذَلِكَ دَلَالَةٌ عَلَى صَغَرِهِمْ مَعَ أَنْطَوَائِهِمْ فِي مَلِكِ آلِ رَسُولٍ .

ثُمَّ ابْنُ الْمَجَاورِ نَاقِضَ كَلَامَهُ ؛ إِذْ قَالَ فِي ذِكْرِ خَرَابِ عَدَنَ صَفْحَةَ (١٤٧) : قَالَ قَوْمٌ : تَخَرَّبُ عَدَنُ سَنَةَ (٦٤٧ هـ) ، وَدَلَّ عَلَى تَصْدِيقِ الْمَقَالَةِ دُخُولُ نُورِ الدِّينِ عَمَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الرَّسُولِ إِلَى عَدَنَ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ (٢٦) رَجَبِ سَنَةِ (٦٢٤ هـ) ، وَذَكَرَ مِنْ إِرْهَاقِهِ الرِّعَايَا بِالضَّرَائِبِ الْبَاهِظَةِ ، الَّتِي وَضَعَهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مَا عَدَا السَّمَكَ وَالْمَاءَ مَدْلَلًا بِذَلِكَ عَلَى مَا تَفَرَّسَهُ مِنْ خَرَابِ عَدَنَ . فَمَا هُوَ إِلَّا مُتَخَبِّطٌ فِي الْأَحْلَامِ وَالْأَوْهَامِ . . فَكَيْفَ يَزْعُمُ أَنَّ عَدَنَ عَمُرَتْ بَعْدَ الْخَرَابِ عَلَى يَدِ سُلْطَانٍ شَاهٍ ، وَسُلْطَنَتُهُ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ دُخُولِ عَمَرِ بْنِ عَلِيٍّ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِ السَّابِقِ ، عَلَى أَنَّ عَمَرَ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ رَسُولٍ إِنَّمَا اسْتَقَرَّ عَلَى الْمَلِكِ بِالنَّبَايَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ بَنِي أَثْيُوبَ مُلُوكِ مِصْرَ فَتَلَقَّبَ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبِيهِ عَلَى مَا فِي « صَبْحِ الْأَعَشَى » سَنَةِ (٦٣٠ هـ) ، عَلَى أَنَّ الَّذِي فِي « التَّلَاجِ » أَنَّهُ - أَعْنِي عَلِيَّ بْنَ رَسُولٍ - أَوَّلُ مَنْ عَهَدَ إِلَيْهِ الْخُلَيْفَةُ الْمُسْتَعْصِمُ قَتِيلُ هَوْلَاكُو آخِرُ مُلُوكِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي الْعِرَاقِ ، وَالَّذِي فِي « حَيَاةِ الْحَيَوَانِ » [١٢٣ / ١] لِلدَّمِيرِيِّ : (أَنَّ بَيْعَةَ الْمُسْتَعْصِمِ هَذَا لَمْ تَكُنْ إِلَّا سَنَةَ (٦٤٠ هـ)) ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ . . فَفِي كَلَامِ ابْنِ الْمَجَاورِ أَغْلَاطٌ تَمْنَعُ مِنَ الْأَعْتِمَادِ عَلَيْهِ .

أَمَّا قَوْلُهُ : الرَّسُولُ فِي قَوْلِهِ : عَمَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الرَّسُولِ . . فَلَا يُسْتَنْكَرُ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنْ عِبَارَاتِهِ عَلَى هَذَا النَّمِطِ مِنَ الضَّعْفِ الَّذِي يُخْلِجُ بِالشَّكِّ فِي نَسَبِهِ لِعَالَمٍ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ، وَسَيَاتِي فِي ثُبَيِّ عَنْ الْهَمْدَانِيِّ أَنَّ عَدَنَ كَانَتْ مُحَاطَةً بِالْجِبَالِ ، لَا يَظْهَرُ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَسَنَّمَهَا ، إِلَّا أَنَّ حَمِيرَ فَتَحَتْ لَهَا بَابًا فِي الْجَبَلِ تَمُرُّ فِيهِ الْمَحَامِلُ وَالذَّوَابُّ ، وَهُوَ مُخَالَفٌ لِمَا سَبَقَ عَنِ ابْنِ الْمَجَاورِ ، وَمِنْ أَنَّ نَاقِرَهُ هُوَ عَفْرِيتُ شَدَادَ ،

وبعد هذا رأيتُ سيدي عبدَ القادرِ بنَ شيخِ العيدروسِ ينقلُ في « الكُتُورِ السَّافِر » عن « تاريخِ ابنِ المَجاوِرِ » هذا ، وأسمه : « المستبصر » ، ومن جملة ذلك ما نقله عنه في (ص ٧١) في ذكر سدِّ ماربَ ، ولكنَّه لا يَسلِّمُ مِنَ الخَبطِ ؛ إذ زعمَ أَنَّ المَلِكَ الَّذِي تَواطأَ معَ ابنِهِ على المِشادَةِ والضَّرْبِ .. هوَ التُّعْمَانُ بنُ المَندَرِ ، وإنَّما هوَ عمرو بنُ عامرٍ كما ذَكَرَ السَّيِّدُ عبدُ القادرِ عن غيرِهِ ، وهوَ الَّذِي عليه المَؤرَّخونَ .

ميفع^(١)

هو ساحلٌ يَبعُدُ عن البحرِ بنحوِ ساعةٍ ونصفٍ ، في شرقيِّ بَيرِ عليٍّ وغربيِّ بروم .
عليه أراضٍ واسعةٌ ، وفيه مِياهٌ غزيرةٌ تُدفعُ إليه من حَجَرٍ .

وفي أخبارِ الشَّيخِ عبدِ الله بنِ عمرَ بامخرمةَ - المَتوفى سنة (٩٧٢ هـ) - : أَنَّ لَهُ مدائنَ في سُلطانِ ميفعَ سَندِ بنِ مُحَمَّدٍ الودادِ الثَّعيرِيِّ^(٢) .

(١) ميفع الآن مركز إداري في الساحل الحضرمي ، وإليه تدفع مياه حجر وتذهب بعد ذلك إلى البحر عند رأس الرجيمة وحصن بن طالب ، وتكثر على جانبيه أحراج النخيل والأشجار والأعشاب . وفي عام (١٤١٧ هـ) دهمه سيل عظيم فتح منافذ جديدة له في الأرض . وأغلب السكان فيه من قبيلة (نوح) ، وأكبر بلدانه : السفال ، ثم جول الهنا ، وشرمه ، والغبره . وبالقرب من السفال تمر الطريق الإسفلتية الذاهبة شرقاً إلى المكلا ، وغرباً إلى وادي ميفعة .

(٢) ههنا حصل تصحيّف من النسخ أدّى إلى وجود هذه العبارة والمعلومة المغلوطة .

وتصويب العبارة : أن للعلامة الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة مدائن في سلطان ميفعة - وليس ميفع - واسمه أحمد بن محمد بن عبد الودود بن سدة ، الذي كان يحكمها في منتصف القرن العاشر ، وكان حاكماً لها سنة (٩٤٥ هـ) حيث ذكره المؤرخ باسنجلة في « تاريخه » ، ونقله عنه صاحب « الشامل » (٦٩) . ومنشأ الوهم والخطأ من نسخة « السنا الباهر » للشلي ، ويعلم ذلك من الآتي :
١- عدم وجود قوم يقال لهم آل الوداد ، بل هم آل عبد الودود . ٢- النسبة (الثعيري) لا تعرف ، إنما المعروف : الثَّعِينِي ، وهم من بني ظنة . ٣- أن آل سده معروفون بكونهم حكام المنطقة كما يؤخذ من « الشامل » وغيره . ٤- تبع صاحب « السنا الباهر » في نقل هذا الخبر على علائجه عدد من المؤرخين ؛ منهم المصنف ، وباوزير في « الصفحات » وصاحب « تاريخ الشعراء » . ٥- النص الذي اعتمد عليه هؤلاء هو في حوادث سنة (٩٧٢ هـ) في ترجمة بامخرمة من كتاب « السنا الباهر » (ص ٦٣٣) ،
(و ٦٣٧) من نسخة دار الكتب المصرية ، وهو نص محرف .

وقال السيّد سالم بن أحمد المحضار : (وفي سنة « ١٣١٤هـ » أستولى الجَمْعُدار^(١) غالب بن عوض القعيطي على وادي ميفع ، أخذه بالشراء الصحيح من آل بامزاحم ، وآل باحفيظ ، وآل بامعبد .

ولما علم بذلك آل عبد الواحد . . رفعوا عليه دعوى في عدن وطال التّزاعُ ، ولكنه انتهى بفوز القعيطي .

وفي سنة « ١٣١٥هـ » بنى المصانع والحصون بميفع وساق الأكرّة والعَمّال من المُكَلّا ، وحصّنها بالعساكر ، وهي بالحقيقة أرض آل عبد الواحد ، ولكن القعيطي غلبهم عليها مع ضعفهم^(٢) . هذا حاصل كلامه باختصار وتلخيص .

وقوله : (غلبهم القعيطي) لا يخالف ما قبله من قوله : (أخذه بالشراء الصحيح) ؛ لأنّ الشراء واقع على ملك اليد ، والغلبة واقعة على الإمارة ، ولما تؤخذ إلا غصباً .

قال المتنبي [في ديوانه « ١٢١/١ » من البسيط] :

فَأَلَمْتُ أَغْدُرُ لِي وَالصَّبْرُ أَجْمَلُ بِي وَالْبُرُّ أَوْسَعُ ، وَالْدُّنْيَا لِمَنْ غَلَبَا

وقال [في ديوانه « ١٤٧/٣ » من الخفيف] :

مَنْ أَطَاقَ التَّمَسَّ شَيْءٌ غَلَبَا وَأَغْتَصَابَا . . لَمْ يَلْتَمِسْهُ سُؤَالَا

= فائدة : كان وادي ميفع - وهو قطعة من وادي حجر ممّا يلي الساحل - في القديم من أملاك كندة وفي القرن العاشر غار عليه آل سدة حكام ميفعة ، ثم كان لآل عبد الواحد بها ملك . اهـ « الشامل » : ص (٧٤) .

(١) الجَمْعُدار : (رتبة عسكرية) كلمة هندية الأصل ، وتعادل هذه الرتبة في أيامنا رتبة ملازم أول ، وكانت تعني في عصر المؤلف : رئيس الجماعة ، وقد يصل عدد هذه الجماعة إلى ألفين أو أكثر من الجنود التابعين لجيش نظام حيدر آباد .

(٢) ومثله في « الشامل » (ص ٧٤-٧٥) ، ولم يذكر فيه أنّها لآل عبد الواحد حقيقة كما هنا ، وزاد بعد هذا : (ولكن حُمى الصغرى وحُمى الوحَم كانت تُنقص من أعداد العسكر والعَمّال ، ولم يستفد السلطان منها شيئاً يذكر) اهـ

وقال [في «ديوانه» ٦٢/٢ من الطويل] :

إِذَا لَمْ تُجْزِمْهُمْ دَارَ قَوْمٍ مُودَّةٍ أَجَارَ الْقَنَاءَ ، وَالْخَوْفُ خَيْرٌ مِنَ الْوُدِّ^(١)

وقال [في «ديوانه» ٦٠/١ من الطويل] :

وَمَنْ تَكُنِ الْأَسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيْلُهُ صُبْحاً وَمَطْعَمُهُ غَضَباً^(٢)

وأصل المعنى فيما أحفظ : ما أنشده مروان يوم وثب على الملك بعد معاوية بن

يزيد ، وهو [كما في «الطبقات الكبرى» ١٦٩/٤ من البسيط] :

إِنِّي أَرَى فِتْنَةً تَغْلِي مَرَاجِلَهَا وَالْمُلْكُ بَعْدَ أَبِي لَيْلَى لِمَنْ غَلَبَا

وأرض ميفع صالحة للزراعة لكثرة ما فيها وحسن تربتها ، فهي مظنة ارتفاع هائل ، إلا أنها موبوءة^(٣) ، قلَّ مَنْ أَقَامَ بِهَا إِلَّا زَارَتْهُ الْحُمَّى مِنْ دُونِ حَيَاءٍ ، ثُمَّ لَمْ تُفَارِقْهُ حَتَّى توردَهُ شَعُوبٌ^(٤) ، ولكن ما أظنه يصعب مع تقدّم الطّب في الأيام الأخيرة أَنْ يُعَالَجَ هواؤها حَتَّى يَصِحَّ ، فتنبعث نية السّلطان لِمَمارَتِها ، حَتَّى يتوفّر على الخزينة ربح عظيم ، ومال كثير تنتعش به البلاد ويتنفع به العباد ، إن لَمْ يُولِ الْأَمْرُ إِلَى مِثْلِ قَوْلِ الْكَرَّصَافِيِّ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّمْلِ] :

مُوْ مُلْكٌ مَشْرِقٌ — فِي الضَّرْعِ غَرِيبِي الْمَلَابِنِ

(١) المعنى : إذا بلغوا في أسفارهم منازل قوم لَمْ يكن بينهم وبين سكانها مودة . . أجازتهم رماحهم فلم يخافوا أهل الناحية . ثم قال : وأن تخاف خير من أن تحب ؛ لأن من أطاعك خوفاً منك . . كان أبلغ من أن يطيعك بالمودة . والله أعلم .

(٢) المعنى : من كان ولد الشّجعان ، وكان جدوده كالأسود التي تعودت أكل اللحوم . . يكن اللّيل له نهاراً ؛ لأنّه لا تعوقه الظلمة عن إدراك ما يريد ، وكان مطعمه ممّا يَغْضِبُ من الأعداء ، فهو يركب اللّيل لقضاء حاجته .

(٣) تحدّث عن وباء ميفع صاحب «الشّامل» ص (٧٥) فقال : (وفي ميفعة مستنقعات ، كثر من أجلها البعوض ، وكانت العرب تقول : إنه عشّ الحمّى ، وقد صدّق قولهم أهل علم الطّب الحديث ؛ فإنه يوجد منه جنس يتسبّب عن قرصه الحمّى الصفراوية ، ويقال لها : (الملاريا) ، وهذه الحمّى منتشرة بميفع وبخجر وبادي ساه ، وبعض الغياض . وقد قلّ سكّان ميفع لوبائها ووخمها . .) اهـ

(٤) شعوب : اسم من أسماء المنيّة (الموت) .

غَيْرَ أَنَّ الْوَلَدَ حَامِدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْمُحْضَرَّ كَثِيرًا مَا يَغْضُ مِنْ شَأْنٍ مِيفَعٍ هَذِهِ ،
وَيَجْزُمُ بَضْيَاعَ الْأَمَالِ الَّتِي تَعَلَّقُ عَلَى خَيْرَاتِهَا ، وَمَا أَدْرِي أَهْوَى بَارٌّ فِي ذَلِكَ أَمْ مِنْ أَثَرِ
حَقْدِهِ عَلَى تِلْكَ الْحُكُومَةِ بِسَبَبِ عَزْلِهِ .

وَفِي أَخْبَارِ سَنَةِ (٩١٦ هـ) مِنْ « تَارِيخِ بَاشِرَا حِيلِ » : أَنَّ ابْنَ سَدَّةَ أَغَارَ عَلَى مِيفَعٍ ،
وَنَهَبَ عَيْدًا وَبَهَائِمَ ، ثُمَّ لَاقَاهُ ابْنُ دَغَارٍ إِلَى نَحْوِ عَيْنٍ بِامْعَبِدِ ، فَأَنهَزَمَ ابْنُ دَغَارٍ أَنهْزَامًا
فَاحْشًا فَأَسْرَ ، وَقُتِلَ مِنْ قَوْمِهِ نَحْوُ خَمْسَةِ عَشَرَ ، وَأُسِرَ الْبَاقُونَ .

حَجَرٌ (١)

ذَكَرَ فِي « الْتَّاجِ » وَ « أَصْلِهِ » : (حَجَرَ ذِي رُغَيْنٍ مِنْ حِمَيْرَ . وَحَجَرَ الْأَزْدِ) .

قَالَ : وَبِالْيَمَنِ مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ : حَجَرُ ، عَلَى مَسَافَةِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ مِنْ زَيْدٍ (٢) .

وَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِ مُهَلِّهِلٍ [مِنْ الْوَاغِي] :

وَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ بِحَجَرٍ صَلِيلَ أَلْيَضِ تُقْرِعُ بِالذُّكُورِ (٣)

(١) حَجَرٌ - بفتح فسكون - : واد عظيم في ساحل حضرموت ، على بعد خمسين كيلومتراً غرب المكلا ،
يتمتد مِنْ يَبُوتٍ وَمِيفَعٍ شَمَالاً إِلَى السَّاحِلِ جَنُوباً ، بطول (٢٠٠ كم) تقريباً ، ثم يصب في البحر بالقرب
من رأس الكلب ، وتوجد على امتداده قرى بها مساحات واسعة من الأراضي الزراعية . ويعتبر من
أخصب المناطق في حضرموت وأكثرها ماءً ، وفيه بعض عيون الماء الحار ، وأغلب سكانه من نوح
وحضرموت القليلة ، وحالكة ومراشدة وخامعة ، وجماعة من العلويين .

(٢) زَيْدٌ هِيَ : البلدة المشهورة ، صُنِفَ فِي تَارِيخِهَا مَصْنُفَاتٌ ، وَأَجُودَهَا لَابِنُ الدَّبِيعِ الشَّيْبَانِيُّ ، وَمِنْ
أَجْمَلِ مَا كُتِبَ عَنْهَا : الْكِتَابُ الْمُسَمَّى : « زَيْدٌ مَسَاجِدُهَا وَمَدَارِسُهَا الْعِلْمِيَّةُ فِي التَّارِيخِ » لِلْأَسْتَاذِ
الْفَاضِلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَضْرَمِيِّ (١٩٣٣-١٩٩٣ م) رَحِمَهُ اللَّهُ ، صَدَرَ عَنِ الْمَرْكَزِ الْفَرَنْسِيِّ
لِلدِّرَاسَاتِ الْيَمَنِيَّةِ بِصَنْعَاءَ فِي (٢٠٠٠ م) .

(٣) الصَّلِيلُ : الصَّوْتُ . وَالْبَيْضُ : السِّیُوفُ . وَالذُّكُورُ : السِّیُوفُ الْفُولَاذِيَّةُ ، وَسِيفٌ ذَكَرٌ : يَابِسٌ شَدِيدٌ
جَيِّدٌ . وَيُقَالُ : إِنَّ هَذَا أَكْذَبَ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْنَى : قَاتَلْنَاهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ ،
وَضَرْبْنَاهُمْ ضَرْبًا عَنِيفًا . . حَتَّى إِنَّ صَوْتَ سِیُوفِنَا لَوْلَا وَجُودَ الرِّيحِ لَيُسْمَعُ مِنْ بَعْدِ عَشْرَةِ أَيَّامٍ ، وَقَبْلَ هَذَا
الْبَيْتِ قَوْلُهُ :

أَلَيْلَتْنَا بِذِي حُسْمٍ أَيْرِي إِذَا أَنْتَ أَنْقَضَيْتَ فَلَا تَحُورِي=

وكانت الواقعة بالذنائب^(١) ، وهي على مقربة من زبيد .

وعَلَّ هذه الواقعة هي التي كثرت على هلكاها الندبة ، فيما تقدم .

ولا أدري أحجر هذه بضم الحاء أم بفتحها ؟ ولكن ياقوت [٢٢٣/٢] يقول : (قال

أبو سعد : حُجر - بالضم - اسم موضع باليمن ، إليه يُنسب أحمد بن علي الهذلي

الحجري) ، وأطال في حُجر اليمامة ، وهي غير التي نحن بسبيلها ، وهي عاصمة

نجد ، وأسمها اليوم : الرياض ، وإليها الإشارة بقول عروة بن حزام في نونيته

المشهورة [في « الأغاني » ١٢٢/٢٤ من الطويل] :

جَعَلْتُ لِعَرَّافِ الْيَمَامَةِ حُكْمَهُ وَعَرَّافِ حَجَرٍ إِنْ هُمَا شَفَيَانِي

وقول جحدر بن مالك الحنفي [من الوافر] :

فَيَا أَخَوَيَّ مِنْ جُشَمِ بْنِ سَعْدٍ أَقِلَّا أَلَلُّومَ إِنْ لَمْ تَنْفَعَانِي

إِذَا جَاوَزْتُمَا سَعَفَاتِ حَجَرٍ وَأَوْدِيَةِ الْيَمَامَةِ فَانْعَيَانِي

وقول النابغة [الذبياني في « ديوانه » ٦٧ من الطويل] :

وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحَجَرِ عَنُوةً أَخَا جَابِرٍ وَأَسْتَكْحُوا أُمَّ جَابِرٍ

وقول زهير [من الكامل] :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُتَّةِ الْحَجَرِ (٢)

وأذكر أبو عمرو أن يكون المراد من هذا قصة اليمامة ، وقال : لأنَّ (أل) لا تدخلها .

ولكن قال الجوهري : (الحجر - بالفتحة - : قصة اليمامة ، يذكر ويؤث) .

= فَإِنْ يَكُ بِالذَّنَائِبِ طَالَ لَيْلِي فَقَدْ أَبْكِي مِنَ اللَّيْلِ الْقَصِيرِ
فَلَرُبُّ نَبَشِ الْمَقَابِرِ عَنْ كُلِّبِ فَيَعْلَمُ بِالذَّنَائِبِ أَيُّ زِيرِ
يَوْمَ الشَّغَمِ مِنْ أَوْرَعَيْنَا وَكَيْفَ لِقَاءِ مَنْ تَخَتِ الْقُبُورِ
وَأُنْسِي قَدْ تَرَكْتُ بِوَارِدَاتِ بُجَيْرٍ فِي دَمٍ مِثْلِ الْعَبِيرِ
« البلدان اليمنية عند ياقوت » (ص ٢٤) . والزير : الذي يعجبه كلام النساء ، أو : جلسهن .

(١) الذنائب : بلدة في أسفل جبل ملحان ، بالقرب من المهجم .

(٢) القُتَّة : أعلى الجبل . والبيت - كما سيأتي بعد قليل - في « خزنة الأدب » (٤٣٩/٩) .

وبيتا زهير والتابغة يؤيدان ما قال ؛ لأنهم كثيراً ما يدخلون آله التعريف على
الأعلام كما في قوله [من الطويل] :

وَجَدْتُ الْوَلِيدَ بْنَ الْيَزِيدِ مُبَارَكًا
وهذا يُنَزَّلُ عليه .

وقال في «صبح الأعشى» [٥٩/٥] : (ومن بلاد أليمة حجر ، بفتح الحاء ،
وسكون الجيم وراء مهملة في الآخر ، وهي في الغرب عن مدينة أليمة ، على
مرحلتين منها ، وبعضهم يجعلها قاعدة أليمة . وبها قبور الشهداء الذين قتلوا في
حرب مسيلمة الكذاب) اهـ

وهو في هذا ناقل عن «المشرك» .

ويأتي في الكشفي من قرى وادي العين ذكر سوق حجر ، وفي [٤٣٩/٩] من
«الخرانة» أن قوله :

لَمَنْ الدِّيارُ بِقَنْةِ الْحَجَرِ

ليس لزهير ، وإنما أنتحلها حماد ، لما سألته المهدبي عن المشار إليه بقوله :

دَغْ ذَا وَعَدُّ الْقَوْلِ فِي هِزْمٍ
فانتحل الأبيات الثلاثة التي قبله .

وقال الطيب بامخرمة : (وحجر بفتح ثم سكون ، قال القاضي مسعود : هذا
الاسم مشترك بين موضعين : أحدهما : حجر علوان ، وهو واد باليمن ، فيه قرى
وحصون ، طيب الماء والهواء والثربة . والثاني : حجر ابن دغار الكندي ، وهو كثير
المياه والنخيل ، له غيال لا تنقطع ، وهي وخيمة جداً بضد الأولى) اهـ

وهو صقع واسع^(١) ، كثير المياه والنخيل . ومن مدنه : كنيمة ومحمدة ويون^(٢) .

(١) الصقع : بالضم ، الناحية .

(٢) وقد وصف صاحب «الشامل» وادي حجر وشعابه ومدنه وقراه (ص ٧٦-٨٣) . وذكر : أن الجاني =

ومن نواحيه الخُضْبِيَّة : المكانُ المسمَّى بالصَّدَاة ، فيه نحوُ مئةِ عينٍ نَضَّاخَةٍ^(١) .
ولا يزالُ آلُ أحمدَ بنِ هادي الواحدي يدعونَ لَهُمُ حقوقاً فيه ، فلمَ تُسمَعْ لَهُمُ
دعوى .

وفي غربي حَجَرِ جبال ، فيها المكانُ المعروفُ بصيقِ العَجَر ، وهو الَّذي قُتِلَ فيه
السُّلْطَانُ عُبودُ بنُ سالمٍ الكثيري غدرًا ، قَتَلَهُ أَحَدُ آلِ خَلِيفَةِ - وكانَ خفيرا^(٢) معه -
بِجِعَالَةٍ^(٣) وقعتْ لَهُ مِنْ جَانِبِ القَعِيطِي ، حَسَبَمَا فَصَّلَ بـ «الأصل» .

وفي شِمَالِهِ لِبْنَةُ بارشيد ، بأعلى الجبلِ الَّذي يَنْهَرُ إلى حَجَرٍ ، وهي الحُدُ الفاصِلُ
ما بينَ الدَّيْنِ ونَوَّح . وَمِنْ ورائِهَا رِيْدَةُ الدَّيْنِ وسيان وجبالُ دَوْعَن وجبالُ نُعْمان .

وفي شِعْرِ الإمامِ إبراهيمَ بنِ قيسٍ الإباضي - وهو مِنْ أَهْلِ القَرْنِ الخامسِ - ذِكْرُ كثيرٍ
لابنِ دَعَّارٍ المُنسوبِ إِلَيْهِ هَذَا الوادي ، مِنْهُ قَوْلُهُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

سَيَعْلَمُ دَعَّارُ ابْنُ أَحْمَدَ وَالْفَتَى سَلَالَةُ مَهْدِيٍّ وَكُلُّ مُخَالِفِ
إِذَا نَزَلَ الْمُسْتَنْصِرُونَ بِجَحْفَلٍ يَهْرُونَ بِيضاً كَأَبْرُوقِ الْخَوَاطِفِ
وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَبُو حَجَرٍ الَّذِي يُنسَبُ إِلَيْهِ هَذَا الوادي .

وفي مَسَوْدَةٍ بقلمِ ضَعِيفٍ : إِنَّ بِلَادَ مَدُورَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ لَازِمِ وَالشُّورِ كَانَتْ بِلَاداً قَوِيَّةً
مَعْمُورَةً .

أَمَّا مَلُوكُهَا فَهُمْ : ابْنُ دَعَّارٍ ، وَبَانِقِي ، وَالصَّيْعَرُ ، وَابْنُ دَخِيَاخ .

وَأَمَّا سُوقُهَا فَهُمْ : بَاصْفَارٍ ، وَبِامْحُفُوظٍ ، وَآلُ شَحْبَلٍ .

ثُمَّ لَمَّا طَغَوْا . . سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّهْدِيَّ ، وَأَتَى لَهُمُ بَابِنِ سَهْلٍ مِنَ الْقِبْلَةِ ، فَدَمَّرَهَا

= من فُتُوهُ إلى حَجَرٍ يَأْتِي أَوَّلًا إلى وادي يُؤَن ، وهي بلدة قديمة بها آثار وقبور قديمة العهد ، والمسافة بين
يون وكيننة مسيرة يوم ، ثم يسير الرَّاكِبُ في وادي عود مغرباً إلى وادي فُخْمَةِ ، وينعرج إلى الجنوب
الغربي فتأتيه بلدة مِحْمِدَةَ بكسر الميمين وسكون الحاء .

(١) نَضَّاخَةٌ : فُؤَارَةٌ ، كَثِيرَةٌ المِياه .

(٢) الخفيرا : الحارس .

(٣) الجِعَالَةُ : مَا يُعْطَى لِلْإِنْسَانِ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ .

تدميراً ، وهربَ أَبْنُ دَغَارٍ وباقي أَهْلِهَا ، وَسَكَنُوا خِرَايَتِ سَبَايَ ، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجُوْهِيَّ وَطَرَدَهُمْ ، فَانْتَقَلَ أَبْنُ دَغَارٍ إِلَى حَجْرٍ ، وَاسْتَوْلَى عَلَى بَاحُوْتِهِ وَبَاحِيُوْتِهِ ، وَاتَّخَذَهَا لَهُ مَوْطِنًا .

ثُمَّ جَاءَ مَرْكَبٌ مِنْ مَسِيْطَبَةَ إِلَى حَصْنِ الْغُرَابِ فَمَاتَ رُبَّانُهُ ، فَأَخَذَهُ أَبْنُ دَغَارٍ ، وَاتَّخَذَ الْمَسِيْطَبَةَ الَّذِينَ بِهِ عَسْكَرًا ، فَهَلُوْا لِأَلْحَجُوْر مِنْ ذُرِّيَةِ أَوْلَئِكَ .

ثُمَّ إِنَّ أَبْنَ دَغَارٍ قَهَرَ الَّذِينَ وَالْمَشَاجِرَةَ ، وَأَخَذَ مِنْهُمْ الْعَشُوْرَ^(١) ، وَمَلَكَ دَوْعَنَ وَطَنِيَّ ، فَتَقَلَّصَ مَلِكُهُ مِنْ دَوْعَنَ ، وَلَمَّا أَيقَنَ بِالزَّوَالِ . . خَتَمَ الْأَنْهَارَ بِالْأَخْشَابِ ، ثُمَّ بِالرَّصَاصِ الْكَثِيْرِ الْمَذَابِ .

وَكَانَ الَّذِي خَلَفَهُ عَلَى الرَّشِيْدِ وَطَائِفَةٌ مِنْ دَوْعَنَ : آلُ بِالْحِمَانِ .

وَتَارِيْخُ زَوَالِ مُلْكِهِ عَنْ دَوْعَنَ حَسَبَمَا يُفْهَمُ مِنْ تِلْكَ الْمَسُوْدَةِ فِي حُدُوْدِ سَنَةِ (٧٨٢هـ) .

وعن بارضوان عن « شجرة الأنساب » لأبي الحسن الأشعري : (أَنَّ بَنِي دَغَارٍ بِمَدُوْرَةٍ) اهـ

وفيه تأكيدٌ لبعض ما تقدّم .

وفي ترجمة الشيخ مبارز بن غانم الزبيدي^(٢) مِنْ « طبقات الشرجي » [٢٦٣-٢٦٤] :
(أَنَّهُ انْتَقَلَ إِلَى حَجْرٍ - وَهِيَ جِهَةٌ مَتَّسِعَةٌ ، تَشْتَمِلُ عَلَى قَرْيٍ وَمَزَارِعَ ، خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِيْنَ - وَابْتَنَى بِهَا رِبَاطًا لَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى مَاتَ هُنَاكَ ، وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ) . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ - حَسَبَمَا يُفْهَمُ مِنَ السِّيَاقِ - فِي الْعَقْدِ^(٣) الثَّامِنِ مِنَ الْمِئَةِ السَّابِعَةِ .

وهذا الاسم وإن كان مشتركاً بين حجر علوان وحجر ابن دغار . . فهو إلى الثاني أقرب ؛ لِأَنَّ انْتِقَالَ الشَّيْخِ مُبَارِزٍ إِلَيْهَا كَانَ مِنْ عِنْدِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ بَآبِيْنَ ، وَهِيَ إِلَى هَذِهِ أَدْنَى ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي مَنْ أَثْبَتَ بِهِ أَنَّ حَجَرَ علوان في قعطبة على مقربة من الضالع وأبين . . فهو المراد إذن ، والله أعلم .

(١) العُشْر : ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها ، ولعل المراد هنا : الضرائب .

(٢) هو بضم الزاي ، نسبة إلى القبيلة المشهورة لا إلى البلدة .

(٣) العقد : عشر سنوات ، أي : في سنة ست مئة وثيف وسبعين .

وبعد أن تقلصَ ملكُ أبنِ دَعَارٍ مِنْ دَوَعَنَ . وَهَتْ أَسْبَابُهُ فِي حَجَرٍ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي
الْتَّلَاشِي حَتَّى أَضْمَحَلَّ مَلِكُهُمْ ، وَبَقِيَتْ مِنْهُمْ فِرْقَتَانِ ، يُقَالُ لِإِحْدَاهُمَا : آلُ فَارَسِ ،
يَسْكُنُونَ الْآنَ فِي مِيفَعِ ، لَا يَزِيدُ عَدْدُهُمْ عَنْ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا ؛ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ
سَعِيدُ بْنُ طَالِبٍ . وَالْأُخْرَى : آلُ أِبْنِ يُمَيْنٍ ، وَعَدَّتُهُمْ نَحْوُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ، يَسْكُنُونَ قَرْيَةً
صَغِيرَةً ، تَبْعُدُ خَمْسَةَ أَمْيَالٍ عَنْ جَوْلِ بَاخِيوَةِ ، يُقَالُ لَهَا : الْحُسَيْنِ .

وَحَلَفَتْهُ عَلَيْهَا نَوْحٌ ، وَهِيَ مِنْ سِييَانَ ، وَسِييَانٌ كَمَا فِي « بَغِيَةِ شَيْخِنَا الْمَشْهُورِ »
[ص ٢٩٩] ، نَقْلًا عَنِ الْغَسَّانِيِّ : مِنْ وَلَدِ حَضْرَمَوْتَ بْنِ سِبَا .

وَهِيَ شَعْبٌ كَبِيرٌ تَتَفَرَّغُ مِنْهُ عِدَّةٌ قِبَائِلَ :

مِنْهُمْ : الْحَالِكَةُ^(١) ، تَشْمَلُ : بَلْحَمَرَ ، وَبَانْخَرَ ، وَبِاسْعَدَ ، وَهُمْ نَحْوُ أَرْبَعِ مِئَةِ رَامٍ .
وَمِنْهُمْ : الْخَامِعَةُ ، تَشْمَلُ : بَاصِرَةَ^(٢) ، وَبِاقْدِيمَ ، وَبِاسْلُومَ ، وَبِازْشِيدَ ، وَهُمْ
نَحْوُ ثَلَاثِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ رَامِيًا .

وَمِنْهُمْ : الْمَرَّاشِدَةُ^(٣) ، يَدْخُلُ فِيهِمْ : آلُ بَادْحِيدُوحَ ، وَبَابَعِيرَ ، وَبِاضْرِيحَ ،
وَبَاكَزْدُوسَ ، وَبِاضْرُوسَ ، وَهُمْ نَحْوُ خَمْسِ مِئَةِ رَامٍ .

وَمِنْهُمْ : الْقُشْمُ ، يَدْخُلُ فِيهَا : آلُ بَامَغْرُومَةِ ، وَبِاصْقَعَ ، وَبَنِي مَقْدَمَ ، وَبَنِي عَلِيٍّ
بِامْسَلَمَ ، وَهُمْ نَحْوُ ثَلَاثِ مِئَةِ رَامٍ .

(١) فِي « تَارِيخِ حَضْرَمَوْتِ السِّيَاسِي » (١٠١ / ٢) : الْحَالِكَةُ ، قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ سِييَانَ ، تَسْكُنُ غِيلَ الْحَالِكَةِ
فِي وَادِي دَوَعَنِ الْأَيْسَرِ ، وَالنَّسَبُ إِلَيْهِمْ (أَحْلَكِي) بَفَتْحِ الْحَاءِ وَسُكُونِ اللَّامِ ، وَهُمْ : آلُ بَادْقِيلَ ، آلُ
بَانْخَرَ ، آلُ بِاسْعَدَ ، الْإِبَاضَةُ . وَآلُ بَادْقِيلَ مِنْهُمْ : آلُ بَلْحَمَرَ ، آلُ بَلْغِيثَ ، آلُ بَاغَعِفَرَ ، آلُ
بَلْشَرَفَ ، آلُ بِاحْمِيدَ . وَبِاحْمِيدُ هُنُوزَاءُ هُمْ سَكَانُ دَوَعَنَ غَيْرِ بِاحْمِيدَ سَكَانُ مَدُودَةِ الْآتِي ذَكَرَهُمْ فِيهَا .
وَبَانْخَرَ مِنْهُمْ : آلُ بَقْشَانَ ، آلُ بَاكَزْمُومَ ، آلُ بَاضْرَاحَ ، وَآلُ بَاطُولَ ، وَسِيَّاتِي فِي دَوَعَنَ أَنَّ بَاطُولَ
أَسْرَةً مِنْ آلِ الْعَمُودِيِّ وَهُمْ غَيْرُ هُنُوزَاءَ . وَزَادَ فِي « أَدْوَارِ التَّارِيخِ الْحَضْرَمِيِّ » (٣٥٩ / ٢) :
الْخَنَابِشَةُ ، أَيُّ : آلُ الْخَنِيشِيِّ .

(٢) آلُ بَاصِرَةَ هُنُوزَاءُ غَيْرُ آلُ بَاصِرَةَ سَكَانُ حَوْفَةِ وَتَوْلِبَةِ مِنْ بِلَادِ وَادِي دَوَعَنِ الْأَيْسَرِ ؛ فَإِنَّ أَوْلَثَكُمْ سَادَةَ
أَشْرَافَ مِنْ بَنِي عَلَوِيِّ الْحُسَيْنِيِّينَ ، وَسِيَّاتِي التَّنْبِيهِ عَلَى هَذَا فِي مَوْضِعِهِ لَاحِقًا .

(٣) وَهُمْ غَيْرُ الْمَرَّشِدِيِّ الْيَافِعِيِّ .

ومنهم : آل باخشوين ، لا يزيدون عن ستين رامياً ، ومنهم الآن رجل أبيض السريرة ، وأسمه محمد بن سالم ، يحب الخير ، عمر عدة مساجد في ممباسا ، وبها سكناه ، وهو من أتلادها^(١) .

ومنهم : باعمروش ، نحو عشرة رميان .

ومنهم : الشموح^(٢) ، وهم : الجهضمي ، والشاكة ، وبامنصور ، والجوداني ، والغويثي ، والحسني ، وباوسيم^(٣) ، وعددهم قليل .

ومقدم الشموح أو السماح بأسرهم الآن : حسن باعمر .

وأكثر هذه القبائل بدو عن وجبالها وما حوالها .

ومساكن السماح روبه وهي : على مقربة من لبنة بارشيد وحنور ومسايل الصيوق وهذه كلها نجود يدفع مأوها إلى حجر .

ومن مساكنهم يون وهي : سبع قرى فوق أعلى وادي حجر .

ومن سيان الإمام العظيم ، أحد علماء الإسلام : أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي^(٤) ، كما في (السنين) من كتاب «المغني في النسب» للعلامة ألفتني .

وقال الطيب بامخرمة : (سيان بطن من حمير ، وهم الذهبي فجعلهم من مراد) اهـ والطيب جعل سيان بطناً ، والعمارة أكبر منه ، والقبيلة أكبر من العمارة^(٥) .

ونحن ذهبنا بها بعيدة ، فجعلنا سيان شعباً تفرغ منه تلك القبائل التي لا تعد إلا

(١) من أتلادها ؛ أي : ممن سكنوها قديماً .

(٢) والنسبة إليهم : سومي .

(٣) والأشكعي وهم أكثرهم ، والأشولي ، والحسني ، والغويثي ، وبامنصور ، وغيرهم .

(٤) الإمام الأوزاعي (٨٨ - ١٥٧ هـ) ، كان أعلم أهل الشام في زمانه ، وجده اسمه يحمّد - بالياء - وليس محمداً .

(٥) رتب العرب القبائل والشعوب فجعلتها أقساماً : فأكبرها : الشعب ، ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ .

أَفْخَاذًا أَوْ فَصَائِلَ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَلَكِنْ لَا مِشَاحَةً فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، وَلَا سِيَّامَا مَعَ تَطَاوُلِ
الْأَيَّامِ وَكَثْرَةِ التَّوَالِدِ . وَمَهُمَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ . . فَإِنَّهُ قَرِيبٌ .

وعندما جاءَ ذِكْرُ أَعْقَابِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَوَاصِ الْجِفَرِيِّ^(١) مِنْ
« شَمْسِ الظَّهِيرَةِ » . . أَشَارَ إِلَى أَنَّ بَعْضَهُمْ بِحَجَرِ الْعَوَالِقِ ، وَمِنْهُ يُفْهَمُ أَنَّ هُنَاكَ حَجَرًا
ثَالِثًا ، إِلَّا أَنَّهُ خَفِيَ لَا شَهْرَةَ لَهُ .

وَقَدْ عَلِمْتَ مِمَّا سَبَقَ عَنِ الطَّيِّبِ بِامْخَرَمَةِ : أَنَّ حَجَرَ بَنِ دَعَارٍ كُنْدِيَّ النَّسَبِ ، لَيْسَ
مِنْ سِيَّانَ فِي رُطَبٍ وَلَا عِنَبٍ .

وَفِي حَجَرٍ مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ : الْوَادِ ، زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ الْمَرَادُ مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ :
﴿ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ وَقَدْ يُسْتَظْهَرُ لَهُ بِقُرْبِهِ مِنْ حَصَنِ الْغَرَابِ ، وَبِمَا حَوَالِيهِ مِنْ
الْآثَارِ الْمَوْجُودَةِ وَالْحِجَارَةِ الْمَنْحُوتَةِ ، وَإِلَيْهِ يَذْهَبُ الْعَلَامَةُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ شَهَابٍ ، بَلْ
يَقُولُ : إِنَّ حَجَرًا هَذَا هُوَ حَجَرُ ثُمُودَ ، لَكِنَّهُ مُخَالَفٌ لِمَا فِي « الصَّحِيحِينَ » [خ ٣٣٧٨-
م ٢٩٨٠] مِنْ مَرُورِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِهِ فِي مَسِيرِهِ إِلَى تَبُوكَ ، وَلَمْ يُذَكَّرْ أَنَّهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ هَذَا وَلَا قَارِيَهُ ، إِلَّا إِنْ تَنَاءَتْ بِالتَّعَدُّدِ لانتشارِ الْأُمَّةِ
وَضَخَامَتِهَا ، وَالْعَرَبُ كَثِيرًا مَا تَسْمِي مَهَاجِرَاتِهَا بِأَسْمَاءِ أَوْطَانِهَا ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ فِي
(الشُّعْرَاءِ) بِلَادَ ثُمُودَ بِأَنَّهَا فِي جَنَاتٍ وَعَيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ ، طَلْعُهَا هَضِيمٌ ، وَإِنَّ
أَهْلَهَا يَنْحَتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بَيُوتًا فَرَهِينًا^(٢) . وَكُلُّ ذَلِكَ مُنْطَبِقٌ عَلَى حَجَرٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَبِعَقَبِ مَا اشْتَرَى السُّلْطَانُ غَالِبُ بْنُ عَوْضٍ الْقُعَيْطِيُّ أَرْضَ مِيفَعٍ - بِالنَّبَايَةِ عَنْ أَبِيهِ -
أَشْتَدَّ طَمَعُهُ فِي حَجَرٍ ، إِلَّا أَنَّهَا تَمَنَعَتْ عَلَيْهِ بِعَقْبَةِ كَادَاءِ^(٣) لَا طَرِيقَ لَهَا إِلَّا مِنْهَا ، فَكَلَّمَا
أَرْسَلَ الْقُعَيْطِيُّ بِجَيْشٍ . . كَمَنُوا لَهُ فِي مَخَارِمِهَا فَأَبَادُوهُ - أَوْ كَسَرُوهُ عَلَى الْأَقْلَ - حَتَّى
لَقَدْ جَهَّزَ لَهُمْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ مِقَاتِلٍ بِزَادِهِمْ وَعَتَادِهِمْ ، فَلَمَّا كَادُوا يَتَسَمُّونَ تِلْكَ الْعَقْبَةَ ،
وَأَيَقِنُوا بِالظَّفَرِ . . سَيَّرُوا بِالْكَتَبِ إِلَى السُّلْطَانِ غَالِبِ بْنِ عَوْضٍ ، فَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ الْمَدَافِعِ ،

(١) السيد عبد الرحمن هذا ، توفي في مطلع القرن العاشر .

(٢) والآيات المشار إليها في سورة الشعراء هي (١٤٧-١٤٩) .

(٣) كَادَاءُ : تَنَاقُّعٌ .

ورفع شارات الأفرّاح ، ولكن نوح غدرت بهم ، فتداعت عليهم وهزمتهم ، وقتلت ثلاثين ، وأسرت ثلاثين ، وفرّ ألباقون ، وكانت معدّاتهم غنيمة لنوح ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

يا حَجَرِ رِيضِي وَأَزْقِيي وَأَسْتَامِنِي ما دَامُوا أَصْحَابِش يَدِيرُونَ النُّقُوسَ
إِلَّا أَنْ بَغَيْتِي أَلْيَافِي مِنْ خَاطِرِش أَنَا عَلَيَّ الْعَقْدِ وَأَمْسِي لُهُ عُرُوسُ
والمراد بالنقوس : البارود .

ولَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَرْعٌ بِالْمِطَاوِلَةِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ عَوْضُ قُوَيِّ الْعَزِيمَةِ ، شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ ، لَا تَنْفَسُخُ لَهُ نِيَّةٌ مِنْ هَزِيمَةٍ . . أَخَذَ يُوَالِي الزُّحُوفَ ، وَيَبْذُلُ الْأُلُوفَ ^(١) ، وَيَشْتَرِي مَا يَقْدُرُ عَلَيْهِ مِنَ الضَّمَائِرِ بِوَاسِطَةِ السَّادَةِ ، حَتَّى انْقَطَعَتْ أَسْبَابُ نَوْحٍ ، وَتَعَطَّلَتْ مَعَايِشُهُمْ ، فَجَعَلُوا لِتَحْكِيمِ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ الْعَطَّاسِ - صَاحِبِ (عَمْدٍ) - وَالسَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ صَاحِبِ حُرِيضَةٍ ^(٢) .

وفي ذِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ (١٣٢٨هـ) تَوَجَّهَ السَّيِّدَانِ - وَكَانَ الْأَوَّلُ مَحْمُولاً عَلَى الْأَعْنَاقِ ؛ لِضَعْفِهِ وَكِبَرِ سِنِّهِ - فَحَكَمَا بَأَنَّ جَمِيعَ وَادِي حَجَرٍ وَنَوَاحِيهِ - كَنِينَةً وَمِخْمِدَةً وَيُؤَنَ وَمَا تَعَلَّقَ بِهَا - يَكُونُ تَحْتَ سُلْطَانَةِ السُّلْطَانِ عَوْضِ بْنِ عُمَرَ وَأَوْلَادِهِ : غَالِبٍ ، وَعُمَرَ ، وَصَالِحٍ ، وَمَا تَنَاسَلُوا .

فَلَهُمْ سُلْطَانُ الْأَرْضِ ، وَلِنَوْحٍ إِعْفَاءُ أَمْوَالِهِمُ الْخَاصَّةِ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُومِ الدَّلَوِيَّةِ ،

(١) وقد استمر في المناوشات مدة تقرب من (١١) أحد عشر عاماً ، من (١٣١٧هـ) إلى (١٣٢٨هـ) حين تم التحكيم .

(٢) ومثله في « الشامل » (ص ٨١) ، وحاصله : أنه عقب هزيمة الجيش القيعطي في وقعة (حوته) سنة (١٣١٧هـ) غضب السلطان غالب ممّا حدث ، حتّى أنّه طرد بعض القوّاد من الجيش ، أمّا والده السلطان عوض . . فلم يعلم بما جرى إلّا بعد مدّة ، ولمّا رجع السلطان عوض إلى الهند . . كان ابنه غالب والوزير السيد حسين بن حامد يدبّرون لضرب أهل حجر ، فكان غالب يذهب إلى ميفع ويزعج أهلها ، ويرهبهم ويرجفهم ، فلمّا استمرّ عليهم هذا الحال . . ضاقوا ، ورغبوا في الصّلح ، فتوسّط السّادة آل العطّاس .

قال السَّيِّدُ علويّ : طلع شيخنا - يعني الإمام أحمد بن حسن العطّاس - ومن معه من كبار آل العطّاس ، وكاتبوا بَوَادِي نَوْحٍ ، فَأَقْبَلُوا فِي عِدَدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْمَكْلَأِ ، وَتَمَّ الصِّلْحُ عَلَى سَلَامَةِ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ (١٣٢٩هـ) اهـ

فلا عَشُورَ ولا مُكُوسَ^(١) عليهم ، ولا على مناصبهم : آل البيت ، وآل العُطَّاسِ ، وآل باراس ، وآل الشَّاطِرِيِّ ، وبافقيه ، وباعلوِيّ ، وأبن مالِك .

وعلى أن يبقى عَشُورُ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عِيسَى الْعَمُودِيِّ بِحَجَرٍ عَلَى حَالِهِ^(٢) .

وعلى قِبَائِلِ نَوْحٍ أَنْ يَضْعُوا رَهَائِنَ مِنْ أَوْلَادِهِمْ - لِلوفاءِ بِذَلِكَ - مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ ، وَهُمْ : بامسعود ، وبافقاس ، وبادُبَيَّانَ ، وبازشيد ، وهذه هي أقوى قبائلهم ، وفيها رئاستهم العامة^(٣) .

وعلى أن تكون الرّهائنُ بنسبة القبائل كثرةً وقلةً .

وكتب بينهم في ذلك عِدَّةٌ وثائقٌ موجودةٌ بنصّها في «الأصل» [٢٦٥-٢٦٩] .

ويتمام الأمرِ أنتهت البشارةُ إلى السُّلْطَانِ عوضٍ وهو على فراشِ الموتِ ، فقرّت عينه ، ولم يُسلم روحه لبارئها إلاّ مثلُوج الصّدرِ من جهةِ حَجَرٍ ، باردِ ألفؤادٍ .

وكانَ أهتمامُهُ بها يشغلُ أكبرَ موضعٍ منِ باله ، حتّى لقد قالَ في حَجِّهِ وهو متعلّقُ بِأَسْتارِ الكعبةِ في سَنَةِ (١٣١٧هـ) - حَسَبَما أخبرني بذلك السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ حَامِدٍ المِحْضَارُ - : أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَبِّ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، إِلَّا مِنْ حَجَرٍ وَحَضَرَمَوْتِ^(٤) .

ولآلِ حَجَرٍ عوارضُ قويّةٍ في الأشعارِ العاميّةِ - كما يُعرف ممّا مرَّ - أخبرني السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ حَامِدٍ المِحْضَارُ بأنّها كثيراً ما تحصلُ المهادناتُ بينهم أثناءَ الحربِ ،

(١) المكوس : الضرائب .

(٢) قال في « الشامل » (ص ٧٩) عند ذكره الموضع المسمّى : جول باحوية قال : (وإليه يأتي عامل الشَّيْخِ العُمُودِيّ والي بضه ، فيستلم ربع العَشُورِ من الثَّمَرِ ، وكان ذلك مستمراً يورّد لزواية الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عِيسَى العُمُودِيّ الوَلِيِّ الصَّالِحِ المشهور) اهـ

(٣) وكان رئيس القبائل في الصُّلح المذكور هو : الشَّيْخُ عبد الله بن أحمد الحاج .

(٤) زاد في « بضائع التابوت » (٢/ ٢٦٤) قوله : (فَإِنَّهُ لَا بَدَ لِي مِنْهُمَا) . . قال المصنف معقّباً : فكان في ذلك كم . قال أخو عامر وهو مُنْسِكٌ بوسائل البيت :

أَتُوبُ إِلَيْكَ يَا رَحْمَنُ مِمَّا
جَنَيْتُ فَقَدْ تَكَائَرَتِ أَلْدُنُوبُ
وَأَمَّا مِنْ هَرَى لَيْلَى وَحُبِّي
زَيَّارَتَهَا فَإِنِّي لَا أَتُوبُ

فيتبادلون الزيارات بين الأراجيز ودويّ البنادق ، وإن كان الواحد ليرتجل العشرين بيتاً . فلا يرتجزون إلا بالأخير منها .

ومن أشعارهم الدالة على الإباء : قول أحدهم ^(١) :

والقعيطي نطح بالراس لما أنكسر جاء ختوب من حرب النمر في صنيفه
والله إن عشا نوح ومبقي ضحايم حاملين البنادق والمقاصص اللطيفة
واللقا والوفا والوعذ لى راس حوته بانعارضة بانلقي حراوة وضيفه
لو يقع من مئة مقتول في قبر واحد والنبي ما التوى يده لعقد الشريفه

فبيث من هذا حزاؤه في نفس السيد حسين بن حامد ، لم يستطع أن ينفث بما يشفي صدره في جوابها إلا ليلة دخولهم إلى المكلا بعد إبرام المعاهدات ، فقال :

قالوا لي اليوم الشريفه وكلت من بغد ما غلبت وصاليها غلب
بيدي عوادي شاريين المسكرة حملوا على (حوته) وخلفوا في السلب

و (حوته) : هي العقبة الكداء التي أعجزتهم عن أخذها عنوة ^(٢) ، ولكن طفقوا يفتلون في الدري والغوارب ^(٣) حتى وطؤوا أكنافهم بالبدل ، ولهذا أجابه بعضهم قبل أن يبلع الرقيق بما نسيته ، ومعناه : لم تنفعك الأسلحة ولا الرجال ، وإنما نفعك ما بذلت من المال ، وكادوا يتواثبون إثر تلك المراجعات بالأراجيز الحارة ، ولكن هدأهم المناصب .

وأخبرني السيد حسين بن حامد : أنه قال في إحدى مراجزه لهم في هذنة ذات الأيام :

-
- (١) واسمه : عمر با محمد با مهدي (بامزود) ، من الباديان .
(٢) لمعرفة موقع عقبة حوته جغرافياً . ينظر الوصف الدقيق الذي أورده صاحب « الشامل » (ص ٧٨) . وهي الطريق الوحيد لمريد الوصول إلى المكلا من حجر . كما في « بضائع التابوت » . ووقعة حوته التاريخية تنظر في « الشامل » (ص ٦٤) .
(٣) الدري : أعالي كل شيء . الغوارب : أعالي الموج . والمعنى : أنهم يحيكون المكائد ويوقعون الفتن حتى انصاع لهم ما يريدون .

يَا حَجْرُ بْنُ دَعَّازٍ مَا شِئِ مَعْدِرَةٌ لَوْ بَانِرَادِفٍ فِي الْمَقَابِرِ مِنْ ثِنِينَ
 إِنَّ عَادَ شَيْ تَرْكُوبٌ وَالْأُتْبَصِرَةُ وَالْأُتْبَعَةُ
 فَأَجَابَهُ أَحَدُهُمْ - لَا عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ خَضَعَ الْجَنَاحَ شَيْئًا بِمَا جَبَلُوا عَلَيْهِ مِنْ كَرَمِ
 الضَّيَافَةِ - فَقَالَ :

حَيًّا وَسَهْلًا بِالْوُجْهِ الزَّاهِرَةِ بِالسَّيِّدِ الْمُخْضَرِ بْنِ حَامِدٍ حُسَيْنٍ
 أَنْتُوا وَصَلُّتُوا وَالْبَشَارَةَ ظَاهِرَةَ وَالزَّيْنَ يُخْرِجُ مِنْهُ الْأَكْلَ زَيْنُ
 قَالَ : فَأَخْجَلَنِي بِهَذَا اللَّطْفِ ؛ لِأَنِّي نَزِلُهُمْ عَلَى ضِيَافَتِهِمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَخْضَعْ
 صَرِيحًا ، لَا سِيَّمَا وَالْبَشَارَةُ مُحْتَمَلَةٌ لِلطَّرْفَيْنِ ، وَالْمَسَاجِلَاتُ الَّتِي بَيْنَهُمْ تَدْخُلُ فِي
 جُزْءٍ . وَعَلَى أَلْسِنَةِ الرُّوَاةِ مِنْهَا الشَّيْءُ الْكَثِيرُ^(١) .

وَقَالَ شَيْخُنَا الْمَشْهُورُ فِي « شَمْسِ الظَّهْرِ » [٢١٥/١] : (وَلِلَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ الْبَيْتِيُّ
 ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّقَّافِ عَقِبٌ مَشْتَرٌ بِحَجْرٍ وَكُنْيَةٌ وَمَحْمَدَةٌ)^(٢) .
 وَفِيهَا أَيْضًا [٣٦٨/١] : (أَنَّ لِلَّيِّدِ أَبِي نُمَيٍّْ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَنْدَرَجِ
 أَعْقَابًا بِكُنْيَةٍ وَيُونُ)^(٣) .

(١) وَمِنْ أَرَاغِيزِ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ لَمَّا قَدِمَ السَّادَةُ آلَ الْعَطَّاسِ لِلصَّلْحِ بَيْنَ نَوْحٍ وَالْقَعِطِيِّ :
 اللَّيْلَةَ الْعَطَّاسُ جَاءَ بِالنَّوْحِيِّ مَقْضِيٍّ وَمَرْضِيٍّ بَعْدَ ضَرْابِ النَّلَامِ
 وَلَعَادَ بِاتِّكَلَمٍ وَلَا بِاقُولِ شَيْءٍ مَقْبُولٍ عِنْدِي كُلِّ مَا قَالَهُ تَمَامٌ
 (٢) وَمِنْ عُلَمَاءِ السَّادَةِ آلِ الْبَيْتِيِّ هَؤُلَاءِ : الْقَاضِي الْفَقِيهَ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ رِشَادَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
 شَيْخِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْخِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْبَيْتِيِّ . . .
 إِلَى آخِرِ النَّسَبِ . وَلِدَ بِكُنْيَةٍ (٢٠) رَمَضَانَ سَنَةِ (١٣٤٤ هـ) ، وَتَوَفَّى وَالِدَهُ بِمَحْمَدَةِ وَعُمَرُ (١١)
 سَنَةً ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ بِيَلَدِهِ ، وَتَخَرَّجَ بِالْفَقِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَوْضِ الْعَمُودِيِّ الْآتِي ذِكْرَهُ ، وَتَخَرَّجَ فِي الْقَضَاءِ
 بِالسَّيِّدِ مُحَسِّنِ بُونُمِيٍّ ، وَلَهُ شَيْوخٌ عَدَّةٌ ، وَأَثَارٌ عِلْمِيَّةٌ ، وَهُوَ مُقِيمٌ بِجِدَّةٍ نَفَعَ اللَّهُ بِهِ .
 وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ الْقَاضِي : أَحْمَدُ الْغَزَالِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَشْهُورِ الْبَيْتِيِّ ، وَلِدَ بِكُنْيَةٍ ، وَطَلَبَ
 الْعِلْمَ ، ثُمَّ تَوَلَّى الْقَضَاءَ فِي حَجْرٍ ، وَانْتَقَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى عُثْمَانَ ، وَهُوَ صَهِرُ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ حَامِدِ
 الْجِيلَانِيِّ الْآتِي ذِكْرُهُ فِي الْخَرِيَّةِ ، وَهُوَ مِنْ شَيْوِخِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ رِشَادَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٨٠ هـ)
 تَقْرِيْبًا .

(٣) صَوَابُهُ : أَبُو نُمَيٍّْ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَطَب . وَفِي « الْمَعْجَمِ اللَّطِيفِ » (ص ١٠٨ - ١٠٩) :
 أَنَّ الَّذِي أُقْبِ بِالشَّاطِرِيِّ مِنْ آلِ أَبِي نُمَيٍّْ هُوَ : السَّيِّدُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ

وفيها [٤٢٠] : (أَنَّ لَعْلُوِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلُوِيَّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْكَافِ عَقِبًا بِحَجَرٍ وَكِنِينَةً)^(١) .

وفيها [٤٢١] : (وَأَمَّا عَمْرُ الْجَفْرِيِّ : فَذُرِّيَّتُهُ بِحَجَرٍ) .

وفيها : (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ التَّرِيسِيَّ أَبَنَ عَلُوِيَّ الْجَفْرِيِّ الْخَوَاصِرَ لَهُ ذَرِيَّةَ بَرْدَاعٍ وَحَجَرٍ ، وَكَانَ نَجْوَعُهُمْ مِنْ حَجَرٍ إِلَى رِدَاعٍ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، ثُمَّ هَاجَرُوا فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ إِلَى السَّوَاخِلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ ؛ فِي مِمْبَاسَا جَمَاعَةً ؛ مِنْهُمْ السَّيِّدُ عَلُوِيُّ بْنُ شَيْخِ الرَّدَاعِيِّ ، وَفِي السُّوْمَالِ الْإِيطَالِيِّ نَاسٌ ؛ مِنْهُمْ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ صَالِحِ بْنِ حَامِدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّرِيسِيِّ) .

وفيها [٥٣٨] : (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ الْأَعْيَنَ النَّسَّاحَ بِأَفْقِيهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَيْدِيدَ لَهُ ذَرِيَّةٌ بِحَجَرٍ وَكِنِينَةً)^(٢) .

وبكِنِينَةٍ كَانَتْ خِزَانَةٌ مَلَأَتْ بِالْكِتَابِ الْخَطِيئَةِ النَّفِيسَةِ لِلشَّيْخِ الْعَمُودِيِّ ، وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي مَنْ رَأَاهَا بِالْآخِرَةِ : أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ بِهَا مِنْ تِلْكَ الْأَعْلَاقِ^(٣) إِلَّا مَا لَا يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ . فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ^(٤) .

= أَبِي نَمِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَطَب . . إلخ . بسبب تزوجه من السَّادَةِ آلِ الشَّاطِرِيِّ أَهْلِ تَرْيَمِ .

(١) واستدرك في « الشَّامِلِ » (ص ٧٨) بقوله : (وَذَكَرَ فِي « الشَّجَرَةِ » : أَنَّ بِهَا مِنْ آلِ الْكَافِ عَقِبًا قَلِيلًا لَزِينَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَلُوِيَّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلُوِيَّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَافِ ، وَلَمْ نَسْمَعْ بِأَحَدٍ مِنْ آلِ الْكَافِ بِحَجَرٍ فَلَعَلَّهُمْ انْقَرَضُوا أَوْ نَقَلُوا إِلَى بَعْضِ الْوُدَيَانَ الْآخَرِيَّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ) اهـ .

(٢) « شَمْسُ الظُّهَيْرَةِ » (ص ٥٣٨) ، وَقَدْ نَبَّهَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ ضِيَاءُ شَهَابِ عَلِيٍّ وَجُودَ سَقَطَ فِي بَعْضِ نَسَخِ « الشَّمْسِ » ، وَذَكَرَ أَنَّ الَّذِينَ بِحَجَرٍ وَكِنِينَةٍ مِنْ آلِ بَأْفَقِيهِ هُمُ مِنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْيَنِ النَّسَّاحِ بِأَفْقِيهِ . . وَلَعَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا أَخُو مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ ، تَوَفَّى بِتَرْيَمِ سَنَةِ (١٠٠٧ هـ) « الْفَرَايِدُ الْجَوْهَرِيَّةُ » (٣/ ٨٢٨) . وَمِمَّنْ بِحَجَرٍ مِنَ السَّادَةِ أَيْضًا : آلُ الْعَطَّاسِ . . مِنْ ذُرِّيَّةِ مُحَسِّنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ ، كَمَا فِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » (ص ٢٥٠) . وَفِي « الشَّامِلِ » (ص ٧٨) نَقْلًا عَنْ « الشَّجَرَةِ الْعُلُويَّةِ » : أَنَّ بِحَجَرٍ ذُرِّيَّةَ سَالِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَسِّنِ بْنِ الْحُسَيْنِ . . ثُمَّ قَالَ : إِنَّ بِحَصْنِ بَاقِرَوَانَ ذُرِّيَّةَ سَالِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَسِّنِ بْنِ الْحُسَيْنِ . . إِلَى آخِرِ النَّسَبِ . اهـ .

(٣) الْأَعْلَاقُ - جَمْعُ عِلَقٍ - وَهُوَ : النَّفِيسُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(٤) وَبِحَجَرٍ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ الْعَمُودِيِّ : مِنْهُمْ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ مُحَمَّدُ بْنُ عَوْضِ الْعَمُودِيِّ ، طَلَبَ الْعِلْمَ =

وفي كنيئة ناسٍ من آل العمودي ؛ منهم الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَوْضِ العمودي ، نهشته أفعى في رجله.. فورمت ، فأشارَ عليه الطَّيِّبُ بقطعها ، ففعلَ وكانَ ذلك سببَ عكوفِه على العلم ، حتَّى حَصَلَ منه جملةٌ ، فأفادَ وأستفادَ ، وكانَ في قصَّته شبهٌ بعروة بن الزُّبير .

ومنهم آلُ بن دحمان ، كانوا بكنينة ، ثمَّ انتقلوا إلى محمَّدة ، نجع أحمدُ بن دحمان وأخوه عمرُ إلى السَّواحِلِ الإفريقيَّة . وعمرُ خيرٌ من أحمدَ .

وأكثرُ حاصلاتِ حَجَرٍ : الثَّمَرُ ، فالَّذي يَخْرُجُ منها زائداً عن حاجاتِ أهلها شيءٌ كثيرٌ^(١) .

ومن الغرائب - كما حدَّثني الثَّقَّةُ السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَامِدِ الْمُحَضَّرُ - : أنَّ الغرابَ لا يتعرَّضُ لثمارِ حَجَرٍ بسوءٍ أبداً .

ومن عادتهم : إباحةُ الثَّمَرِ الَّذِي تتساقطُ بعصفِ الرِّيحِ ، وأنَّ لا حَرَجَ على أيِّ إنسانٍ في تسلُّقِ نخلةٍ أرادَ للأكلِ فقط ، أمَّا أخذُ شيءٍ إلى المنزلِ .. فممنوعٌ .

بروم^(٢)

هي مرسى حصينٌ من عواصفِ الرِّيحِ ، أحصنُ من مرسى المُكَلَّا - على حصانته - فإليه تأوي السفنُ عندَ اضطرابِ الأمواجِ وهيجانِ البحرِ . وهو واقعٌ بينَ ميفعَ والمُكَلَّا .

= بقيدون عند السيدين علوي وعبد الله ابني طاهر الحداد ، وعليهما جل انتفاعه ، وقد حصل به نفع كبير لما عاد إلى وادي حَجَر ، فكان إماماً لجامع مسجد كنيئة ، ومن تخرج به : العلامة السيد القاضي محمد رشاد البيتي ، ومقروءاته عليه مفصلة في مقدمة كتاب « التقريرات البهية » .

(١) قال الحدِّد في « الشَّامِل » (ص ٧٧) يصف نخل حجر : (والنَّخل بوادي حجر إذا غرس .. يثمر على سنتين ، وفي غيرها على خمس سنين وأقل وأكثر) .

(٢) بروم : مبناء صغير غربي مدينة المكلا بمسافة (٣٠ كم) تقريباً ، كان بندراً شهيراً مأموناً للسفن الشراعية أيام الرياح الموسمية ، تأوي إليه السفن عند اضطراب الأمواج وهيجان البحر ، ثم خمل دوره بعد عمارة المكلا ، إلا أنه أعيد إنشاؤه حديثاً لكي يستوعب استقبال السفن وإمكانية تفريغها . وقد شهد العديد من الحوادث سيذكرها المؤلف هنا .

قَالَ الطَّيِّبُ بامخرمة : (بُرُومُ بِلْدَةٍ بَيْنَ الشَّخْرِ وَمِيفَعٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ . كَانَتْ بِلْدَةً قَدِيمَةً مِنْ أَعْمَالِ فُوّه ، يُجْلِبُ إِلَيْهَا الصَّبْرُ الصَّقَطْرِيُّ ^(١)) ، وَكَانَ بِهَا قَلْعَةٌ تَسْمَى : « عُرْفَةٌ » - بَضْمُ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسَكُونِ الْكِرَاءِ - وَهِيَ رَدِيئَةُ الْمَاءِ ، وَأَكْثَرُ أَهْلِهَا الْمُتَقَدِّمِينَ صَيَّادُونَ) اهـ ^(٢)

وَفِيهِ شَاهِدٌ لَأَنَّ الْمَكْلَأَ لَمْ تَكُنْ إِذْ ذَاكَ شَيْئاً مَذْكُوراً ، وَإِلَّا . . . لِأَشَارَ إِلَيْهَا .

وَالِى بُرُومَ يُنْسَبُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلَوِيِّ ^(٣) .

وَقَدْ تَرَجَّمَ فِي « الْمَشْرِعِ » [٥٤ / ٢] لِابْنِهِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ ^(٤) ، وَذَكَرَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَمَّرَ مَسْجِدَ آلِ جَدِيدٍ ^(٥) بِتَرِيمَ ، وَأَنْشَأَ لَهُ بَرَكَةً فِي سَنَةِ (٩١٩ هـ) فَنُسِبَ إِلَيْهِ ، فَهُوَ أَلِیَوْمَ يُعْرَفُ بِمَسْجِدِ بُرُومَ .

(١) الصَّبْرُ : هُوَ الْمَادَّةُ الْمَعْرُوفَةُ . الصَّقَطْرِيُّ : مَنْسُوبٌ إِلَى سَقَطْرَى ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، تَابِعَةٌ لِدِ الْيَمَنِ) فِي بَحْرِ الْعَرَبِ .

(٢) نِسْبَةُ الْبُلْدَانِ (ق ٣٨) .

(٣) تَوَفَّى السَّيِّدُ حَسَنُ بَرُومَ هَذَا بِتَرِيمَ سَنَةَ (٩٢٧ هـ) . « الْفَرَائِدُ الْجَوْهَرِيَّةُ » (٢٠٩) - بِالْهَامِشِ .

فَائِدَةٌ هَامَّةٌ : قَالَ فِي « الْمَعْجَمِ اللَّطِيفِ » (ص ٥٨ - ٥٩) : وَلَقَّبَ حَسَنَ الْمَشَارِ إِلَى بَرُومَ لِسُكْنَاهُ فِي قَرْيَةٍ بِرُومَ بِسَاحِلِ حَضْرَمَوْتِ ، وَتَبَعْدَ عَنِ الْمَكْلَأِ عَاصِمَةِ السُّلْطَانَةِ الْقَعِيطِيَّةِ سَابِقاً بِنَحْوِ (٢٠ كَم) . وَهُمْ يَخْتَصِرُونَ وَيَحْذِفُونَ الْمِضَافَ ، فَلَا يَقُولُونَ سَاكِنُ بَرُومَ ، وَلَا صَاحِبُ بَرُومَ ، وَلَا مُوَلَّى بَرُومَ ، وَيَكْتَفُونَ بِالْمِضَافِ إِلَيْهِ الدَّالَّ عَلَى الْمِضَافِ ، فَيَقُولُونَ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ سُلَالَتِهِ : بَرُومَ ، كَمَا يَدْعُونَهُ هُوَ نَفْسَهُ . فَكَأَنَّهُ تَجَسَّدَ فِي كُلِّ مِنْهُمْ كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَمْثَالِهِ . وَرَبِّمَا قَالُوا فِي هَذَا الْعَصْرِ - وَفِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ - : بَارُومَ ، وَخَرَجُوا عَنِ اللَّقَبِ الْقَدِيمِ إِلَى الْكُنْيَةِ جَرِئاً عَلَى الْغَالِبِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْحَضَرَمِيِّينَ - وَبِالْأَخْصِ الدَّوْعَنِيِّينَ - الْكُنْيَةَ أَكْثَرَ ، وَمَا بَيْنَهُمَا هُنَا وَبَيْنَ اللَّقَبِ إِلَّا زِيَادَةُ الْأَلْفِ فَقَطْ ، وَلَكِنْ الْمَعْنَى يَتَغَيَّرُ هُنَا كَمَا لَا يَخْفَى . اهـ

(٤) تَوَفَّى السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنٍ بَرُومَ فِي جَمَادَى الْأُولَى (٩٥٧ هـ) ، وَمِنْ مَصْنُفَاتِهِ : « جَوْهَرَةُ الْجَوَاهِرِ » فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ ، كَانَ مَوْلَاهُ بِتَرِيمَ .

(٥) الْمَنْسُوبُ لِلْسَّادَةِ بَنِي جَدِيدٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَهَاجِرِ ، وَقَدْ انْقَرَضُوا عَلَى رَأْسِ الْقَرْنِ السَّادِسِ الْهَجْرِيِّ . « الْمَعْجَمُ اللَّطِيفُ » (ص ٨٥) .

وترجمَ في « المَشْرِع » [١٩٤/٢] أيضاً لابنِ حفيده ، وهو : عبدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّد بنِ أحمدَ بنِ حَسَن بُرُوم ، المتوفى سنة (١٠٣٩ هـ)^(١) .

ولبرُوم هذه ذِكرٌ كثيرٌ في الحروبِ الواقعةِ بينَ الكساديِّ والقعيطيِّ^(٢) .

وهي أوَّلُ ما رَسَتْ بها سفائنُ النَجدةِ التُّركيَّةِ في سَنَةِ (١٢٦٧ هـ) الَّتِي كانَ على رَأْسِها شيخُ السَّادةِ بِمَكَّةَ السَّيِّدُ : إِسحاقُ بنُ عقيلِ بنِ يحيى^(٣) .

وَمِنْ أَعْيَانِ بُرُومٍ في القَرْنِ الثَّامِنِ^(٤) : العارفُ بِاللَّهِ الشَّيْخُ مزاحمُ بنُ أحمدَ باجابر ، أَخَذَ عَنْهُ سَيِّدُنَا الإِمَامُ الكَبِيرُ الشَّيْخُ عبدُ الرَّحْمَنِ السَّقَّافُ ، المتوفى بِتَريمَ سنة (٨١٩ هـ) .

وفي الحِكَايَةِ (٣٠٤) مِنْ « الجَوْهَرِ » [٥٣/٢] لِلخَطِيبِ : (عن عبدِ اللَّهِ بنِ نافعِ بنِ أَبِي منذرٍ قَالَ : لَمَّا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ في بِلَادِي الْهَجْرَيْنِ . . سِرْتُ إِلَى بُرُومٍ عِنْدَ الشَّيْخِ الكَبِيرِ مزاحمِ بنِ أحمدَ باجابر ، فَأَحْبَبَنِي ، وَسَارَ بِي إِلَى أَحْوَر ، وَكَانَتْ مَعَ الشَّيْخِ خِيْمَةٌ مِنْ سُلْطَانِ الْيَمَنِ ، فَلَمَّا وَصَلْنَا أَحْوَرَ . . نَصَبْنَا تِلْكَ الْخِيْمَةَ ، وَمَضَى الشَّيْخُ

(١) توفي بتريم عن عمر آناف على السبعين .

(٢) تفاصيل تلك الحروب والوقائع في الجزء الثالث من « بضائع التَّابُوتِ » .

(٣) السَّيِّدُ إِسحاقُ ؛ هو : إِسحاقُ بنُ عقيلِ بنِ عمرِ بنِ عقيلِ بنِ شيخِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عقيلِ بنِ أحمدَ بنِ يحيى . . كذا ساقَ نسبُه المَصْنُفُ في « بضائع التَّابُوتِ » (٩/٣) . وانظر ما يَأْتِي في قَارَةِ الشَّناهِزِ . وهذه الحملةُ أَوْ النَجْدَةُ أُرْسِلَتْ لِفَتْكِ الحِصَارِ الَّذِي ضَرَبَتْهُ إِمَارَةُ الكَسَادِيِّ وابْنِ بَرِيكٍ في السَّاحِلِ عَلَى الشَّعْبِ في الدَّاخلِ الَّذِي هو تحتُ سُلْطَانَةِ عَدُوَّتِهَا السُّلْطَانَةُ الكَثِيرِيَّةُ النَّاشِئَةُ عَلَى إِصْلَاحِ ما يُمْكِنُ إِصْلَاحِهِ بِوَاسِطَتِهَا ، وَإِنْقَاذِ ما يُمْكِنُ إِنْقَاذُهُ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَصْحَبْهَا التَّوْفِيقُ لِأَسْبَابٍ طَبِيعِيَّةٍ وَعَسْكَرِيَّةٍ . « أَدْوَارُ التَّارِيخِ الحَضْرَمِيِّ » (ص ٣٨٦) . ولمعرفة تفاصيل حملة الأتراك على السَّاحِلِ الحَضْرَمِيِّ . . ينظر « بضائع التَّابُوتِ » (٩/٣-١٥) ؛ ففيه ما لا يوجد في غيره ، و« تاريخ ابن حَمِيد » : نِهَايَةُ الْجُزْءِ الأوَّلِ وَبِدَايَةُ الْجُزْءِ الثَّانِي ، و« تاريخ أُمَرَاءِ الْبِلَدِ الحَرَامِ » (٣١٧) ، وَذَكَرَ في هَذَا الْأَخْبَرِ خَبَرَ مَقْتَلِ السَّيِّدِ إِسحاقِ بنِ عقيلِ سنة (١٢٧١ هـ) مَسْجُوناً في قَلْعَةِ الْمُشَنَّاةِ بِالطَّائِفِ . ينظر : « تَعْلِيقَاتُ السَّيِّدِ ضِيَاءِ شَهَابٍ عَلَى شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » (ص ٣١٤) .

(٤) صوابه : اقْرَنِ الثَّاسِعَ ، وَإِنَّمَا لَمْ يَقِفِ الْمُؤَلِّفُ عَلَى تَارِيخِ وَفَاتِهِ فَظَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ كَمَا فِي « تَارِيخِ شَنْبَلِ » (ص ١٦١) : سَنَةِ (٨١٧ هـ) ، وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ فِي بُرُومَ ، وَعَلَيْهِ قَبَّةٌ صَغِيرَةٌ إِلَى جِوَارِ الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ .

مُزَاحِمٌ لِبَعْضِ شَأْنِهِ ، فَسَأَلَنِي بَعْضُ السَّادَةِ عَنْ حَالِي فِي بُرُومٍ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا رَأَيْتُ أَنْجَسَ مِنْهَا وَلَا مِنْ سَاحِلٍ بَرَبَرَةٍ (١هـ)

أَمَّا الَّذِي أَهْدَى الْخِيْمَةَ لِلشَّيْخِ مُزَاحِمٍ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ ^(١) ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ :

الْأَفْضَلُ عَبَّاسُ ابْنُ الْمَجَاهِدِ عَلِيٍّ ؛ لِأَنَّهُ - كَمَا فِي « التَّاج » - اسْتَوْلَى عَلَى الْمُلْكِ فِي سَنَةِ (٧٦٤هـ) وَمَاتَ فِي سَنَةِ (٧٧٨هـ) . أَوْ الْأَشْرَفُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْأَفْضَلِ ، وَكَانَ تَوَلَّى بَعْدَ أَبِيهِ إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَةَ (٨٠٣هـ) . أَوْ ابْنُ الْأَشْرَفِ ^(٢) الَّذِي بَقِيَ عَلَى الْيَمَنِ - كَمَا فِي « صَبِيحِ الْأَعَشَى » [٣١ / ٥] - إِلَى سَنَةِ (٨١٢هـ) .

وَأَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْأَشْرَفُ إِسْمَاعِيلُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُحِبًّا لِلْعِلْمِ وَالْعِلْمَاءِ .

وَفِي الْحِكَايَةِ (٣٤٤) مِنْ « جَوْهَرِ الْخَطِيبِ » [٨٧ / ٢] : (عَنْ السَّيِّدِ أَحْمَدَ ابْنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بَا جَابِرٍ قَالَ : كُنْتُ إِذَا اجْتَمَعْتُ بَعَمِّي الشَّيْخِ مُزَاحِمٍ . . يُثْنِي عَلَى السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ وَيَقُولُ : إِنَّهُ الْقَطْبُ) . وَكَانَ ذَلِكَ قَبْلَ سَنَةِ (٨٠٥هـ) .

وَقَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ فِي « سَفِينَةِ الْبُضَائِعِ » : (وَفِي سَنَةِ « ٨٨٧هـ » تَوَفَّى الشَّيْخُ الْأَجَلُّ ، ذُو الْأَخْلَاقِ الرَّضِيَّةِ : أَبُو الْغَيْثِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُزَاحِمٍ بُرُومٍ) ^(٣) .

وَسَيَّاتِي فِي عُنْدَلٍ - مِنْ أَطْرَافِ وَادِي عَمْدٍ - التَّعْرِيفُ بِنَسَبِ الشَّيْخِ مُزَاحِمٍ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ وَآلُ جَابِرٍ - أَصْحَابُ عُنْدَلٍ - مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَسَيَّاتِي فِي الشَّخْرِ ذَكَرَ أَحَدُ عِلْمَاءِ آلِ مُزَاحِمٍ بَا جَابِرٍ ، وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ .

وَفِي أَوَاخِرِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ « الْأَصْلِ » عَنْ قَصِيدَةِ لِلشَّيْخِ عَمَرَ بَا مَخْرَمَةَ مَا يَشْهَدُ بِأَنَّ

(١) وملوكها آنذاك : آل رسول .

(٢) ابن الأشرف هو : الملك الناصر أحمد ابن الملك الأشرف إسماعيل ، ولكنه بقي ملكاً على اليمن إلى أن توفى سنة (٨٢٩هـ) ، كما في « بلوغ المرام » للقاضي العرشي (ص ٤٦) .

(٣) مثله في « تاريخ شنبل » (ص ٢٠٠) حوادث سنة (٨٨٧هـ) . وعنه نقل ابن حميد في « العدة المفيدة » (١ / ١٥٠) ، وصالح الحامد في « تاريخ حضرموت » (٢ / ٢٩٧) .

بُروماً كانت للحبوظي ، ثُمَّ صَارَتْ لعلِّي بنِ عمرَ الكثيري ، وذلكَ حيثُ يقولُ للسُّلطانِ
عبدُ اللَّهِ بنِ جعفرٍ :

خَاطِرُ كَمَا خَاطَرَ عَلِي جَدَّكَ وَخَاصَّ أَغْمَارَهَا
حَتَّى سَكَنَ بَعْدَ الْحَبْوِ ظِي فِي بُرُومِ اخْتَارَهَا

المُكَلَّا^(١)

هُوَ أَسْمٌ دَالٌّ عَلَى مَسْمَاةٍ ؛ إِذْ جَاءَ فِي مَادَّةِ (كَلَا) مِنْ « التَّاجِ » وَ « أَصْلِهِ » : (أَنْ
الْكَلَاءَ - كَكْتَانٍ - مَرْفَأُ السُّفْنِ . وَهُوَ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ : فَعَالٌ ، مِثْلُ جَبَّارٍ ؛ لِأَنَّهُ يَكْلَأُ السُّفْنَ
مِنَ الرِّيحِ . وَسَاحِلُ كُلِّ نَهَرٍ كَالْمُكَلَّا ، مَهْمُوزٌ مُقْصُورٌ) اهـ بِإِختصارٍ .

(١) المكلا : هي ميناء حضرموت الشهير ، وكان يقال لها : بندر يعقوب ؛ نسبة للشيخ يعقوب المقبور بها
- ستأتي ترجمته - تقع بين خليجين ، وخلفها جبل شاهق يبلغ ارتفاعه (٦٠٠) قدم . وقد شهدت
المكلا اتساعاً عمرانياً مذهلاً في السنوات الأخيرة ، وأقيمت بها المستشفيات والفنادق الفارهة .
وربطت بحضرموت الداخل (سيئون) بخط إسفلتي حديث ، يبلغ طوله (٣٢٠ كم) ، وخط آخر
يربطها بعدن يجري العمل على إعادة سفلته وترميمه . كما بها مطار دولي وهو مطار الريان في
غربيها . والميناء اليوم يقع في منطقة خلف .

طول المكلا وعرضها - جغرافياً - : ورد في « الشامل » (ص ٨٨) ، تحديد طول المكلا وعرضها
استناداً لما ورد في « التَّقْوِيمُ الْفَرَنْسِيّ » وَ « جَدُولُ الْأَوْضَاعِ الْجُغْرَافِيَّةِ » لـ (كولييه) ، كما هو ملحق
بكتاب « الثَّرَرُ التَّوْفِيقِيَّة » لسعادة إسماعيل بيك مصطفى المصري . . وحاصل ما ورد أَنَّ : طول
المكلا : (٤٦٤٧-٣٥) ؛ أي : ستٌ وأربعون درجة ، وسبع وأربعون دقيقة ، وخمس وثلاثون
ثانية .

وعرضها : (١٥-٣١-١٤) ؛ أي أربع عشرة درجة ، وإحدى وثلاثون دقيقة ، وخمس عشرة
ثانية . وفي بعض الخرائط الأخرى تفاوت يسير . قبله المكلا : في « الشامل » : (وَإِنَّ سَمْتَ الْقِبْلَةِ
عَلَى أَرْبَعِينَ دَرَجَةً وَسَبْعَ دَقَاقٍ مِنَ الْقُطْبِ (الجاه) إِلَى الْمَغْرِبِ الْأَصْلِ .

ولمعرفة سمت القبلة في المكلا قاعدة أخرى ، وهو : أَنَّ يَتَرَقَّبَ مَرِيدُ ذَلِكَ يَوْمِ ثَلَاثِينَ آيَّارَ وَهُوَ
يُوافِقُ (٨) فِي (نَجْمِ الْإِكْلِيلِ) ، أَوْ (١٨) (تَمُوز) وَهُوَ يُوافِقُ (٥) فِي (نَجْمِ الْبَلَدَةِ) بَعْدَ السَّاعَةِ
الثَّانِيَةِ عَشَرَ ظَهراً ؛ أَي : السَّاعَةِ (٦) ظَهراً لِلسَّاعَاتِ الْمَغْرِبِيَّةِ ، فَإِذَا مَضَى بَعْدَ ذَلِكَ إِحْدَى وَأَرْبَعُونَ
دَقِيقَةً وَعَشْرَ ثَوَانٍ . . فَلْيَنْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ فَإِنَّهَا فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ فَوْقَ الْكَعْبَةِ . وَإِنْ جَعَلَ شَاخِصاً فَإِنَّ ظِلَّ
الشَّاخِصِ يَكُونُ عَلَامةً عَلَى اتِّجَاهِ الْقِبْلَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ) اهـ

ومنه تعرف أنه عربي فصيح، لم تتصرف فيه العامة على ممر السنين إلا بالشيء اليسير . وكانت المكلأ خيصة^(١) صغيرة لبني حسن والعكابة^(٢) ، وملجأ تعود به سفائن أهل الشحر ، والواردين إليه من الآفاق عندما يهتاج البحر في أيام الخريف ؛ لتأمن به من عواصف الرياح ؛ لأنه مصون بالجبال ، بخلاف ساحل الشحر . فإنه مكشوف . وقد اتخذ الصيادون به أكواخاً ، ففرضت عليهم العكابة ضريبة خفيفة إزاء استيطانهم بها ؛ لأنها من حدود أرضهم ، ثم ازدادت الأكواخ ، وأستوطنها كثير من العكابة أنفسهم وناس من أهل روكب .

ويقال : إن آل الجدياني - وهم من يافع - مروا بها في أواخر سنة (٩٨٠ هـ) مجتازين ، فأعجبته ، فاستوطنوها ، وصار أمر أهل تلك الخيصة إلى رئيسهم يشاورونه في أمورهم حتى صار أميراً عليهم .

وكان كبير آل كساد - وأسمه : سالم - موجوداً بالمكلأ إذ ذاك ، فأغتال الجدياني وأستقل بأمر المكلأ .

ثم جاء سالم بن أحمد بن بخجم الكسادي ومعه ولده صلاح وأخوه مقبل ، فأغتالوا سالم الكسادي في البير المعروفة إلى اليوم ببيز بشهر ، وأستولوا سالم بن أحمد بن بخجم على البلاد ، وحكمها سنة ثم مات ، وخلفه عليها ابنه صلاح ثم مات ، وله ثلاثة أولاد : عبد الرب ، وعبد الحبيب ، وعبد النبي .

وكان النفوذ لعبد الحبيب ؛ لأنه الأكبر ، ولما مات . . خلفه عليها أخوه عبد الرب ، وبقي يحكم المكلأ إلى أن توفي في سنة (١١٤٢ هـ) ، وخلفه عليها ابنه صلاح ، فأخذ محمد بن عبد الحبيب ينازعه حتى اتفقوا على تحكيم صاحب عدن ، فركبوا إليها ، ففضى بها لمحمد بن عبد الحبيب .

(١) والخيصة عند أهل الساحل الحضرمي هي الفُرْضة ؛ أي : الميناء الصغير .

(٢) بنو حسن : قبيلة من سيبان ، يسكنون الجبال القريبة من ساحل البحر ، ومنهم : آل باخميس ، وآل باضمن ، وآل بارعيدة ، وآل باحاج . « أدوار التاريخ الحضرمي » (ص ٣٥٨) . نقلاً عن « الشامل » .

فسافر صلاح وأخوه مطلق وعمُّهم عبدُ النبيِّ إلى السَّواحلِ الإفريقيَّةِ ، وبقيَ مُحَمَّدُ عبدِ الحبيبِ يحكُمُ المُكَلَّا .

وفي أيَّامِهِ بُنِيَتْ حَافَةُ الْعَبِيدِ ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَا بُنِيَ بِهَا بَيْتٌ لِعَبِيدِ آلِ كِسَادِ .

وَلَمَّا مَاتَ مُحَمَّدُ عَبْدُ الْحَبِيبِ فِي سَنَةِ (١٢٠٧ هـ) . . قَامَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَدُهُ صَلَاحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَبِيبِ ، وَكَانَ عَمُّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْحَبِيبِ يُنَازِعُهُ الْإِمَارَةَ ، وَلَكِنَّهُ تَغَلَّبَ عَلَيْهِ بِمُسَاعَدَةِ عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْحَبِيبِ ، وَبَقِيَ عَلَى حُكْمِ الْمُكَلَّا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ (١٢٩٠ هـ) .

وَقَامَ بَعْدَهُ وَلَدُهُ عُمَرُ بْنُ صَلَاحٍ ، وَكَانَ صَلَاحٌ فِي أَيَّامِهِ أَسْتَدَانَ مِئَةَ أَلْفِ رِيَالٍ مِنْ عَوْضِ بْنِ عُمَرَ الْقَعِيطِيِّ فِي سَنَةِ (١٢٨٥ هـ) - وَهِيَ حَصَّتُهُ فِي نَفَقَةِ غَزْوَةِ الْمُحَايِلِ عَامِئِدٍ^(١) - وَبِإِثْرِ مَوْتِهِ . . وَصَلَ عَوْضٌ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى الشَّخْرِ ، وَأَقَامَ بِهَا أَشْهُرًا ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْمُكَلَّا بِهَيْئَةِ التَّعْزِيَةِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَجْتَمَعَ لَهُ بِهَا مِنْ عَسْكَرِهِ نَحْوُ ثَلَاثِ مِئَةِ دَخَلُوا أَرْسَالًا . . طَالِبَ بِذَلِكَ الَّذِينَ ، فَسَفَرَ النَّاسُ^(٢) بَيْنَ عُمَرَ بْنِ صَلَاحٍ وَالْقَعِيطِيِّ عَلَى أَنْ يَحْتَلَّ الْقَعِيطِيُّ نَاصِفَةَ الْمُكَلَّا إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ مَالَهُ مِنَ الَّذِينَ ، وَلَكِنْ عُمَرَ صَلَاحٍ أَسْتَدْعَى عَسْكَرَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَأَذْكَى نَارَ الْحَرْبِ ، وَعِنْدَمَا أَحْسَنَ الْقَعِيطِيُّ بِالْهَزِيمَةِ . . أَسْتَوْقَفَ الْحَرْبَ ، وَنَجَا بِنَفْسِهِ .

هَذِهِ إِحْدَى الْوَرَايَاتِ فِي إِمَارَةِ آلِ كِسَادِ عَلَى الْمُكَلَّا .

وَالْأُخْرَى^(٣) : (أَنَّ فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ - أَوْ أَوَائِلِ الثَّانِي عَشَرَ - وَرَدَ الْمُكَلَّا أَحَدُ آلِ ذِي نَاخِبٍ^(٤) وَهُوَ جَدُّ آلِ كِسَادِ ، وَبِمَجْرَدِ مَا أَسْتَقَرَّتْ قَدَمُهُ

(١) تفاصيل هذه الغزوة أو الواقعة في « بضائع الثَّابُوت » (٢٢٢-٢١٥/٢) والمحايِل : حَسَبًا وَرَدَ فِي « الْعُدَّةِ الْمَفِيدَةِ » (٢٨٢/٢) : أَنَّهَا حَصُونٌ أَوْ بِيوتٌ صَغِيرَةٌ بَنَاهَا الْعَسَاكِرُ الْيَافَعِيُّونَ لَضَرْبِ بَعْضِ مَنَاوِئِهِمْ .

(٢) سفر الناس : تَوَسَّطُوا بَيْنَهُمْ لِلصَّلَاحِ .

(٣) أَسْتَدْعَاهَا فِي « بضائع الثَّابُوت » (١٠٨/٢) ، عَنْ بَعْضِ الْمُعَمَّرِينَ .

(٤) ذُو نَاخِبٍ : وَادٌ كَبِيرٌ مَعْرُوفٌ فِي مَرْتَفَعَاتِ بِلَادِ يَافَعِ الشُّفْلَى ، وَهُوَ الْوَادِي الرَّئِيسُ الَّذِي يَمْتَدُّ مِنْ =

بِالْمَكْلَأ^(١) . . أَتَجَهْتُ هِمَّتُهُ لِلتَّجَارَةِ وَالْمُضَارَبَةِ مَعَ أَهْلِ السُّفَنِ ، ثُمَّ أَتَّفَقَ هُوَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى شَيْءٍ يَدْفَعُونَهُ إِلَيْهِ بِرِسْمِ الْحِرَاسَةِ ، يُعْطِي الْعُكَابِرَةَ وَبَنِي حَسَنِ بَعْضَهُ ، وَيَسْتَأْذِنُ بِالْبَاقِي ، إِلَى أَنْ أَسْتَقْوَى أَمْرَهُ ، وَضَعْتُ أَمْرُ أَوْلَئِكَ وَأَنْشَقُّ رَأْيَهُمْ ، فَمَا زَالَ يَتَدَرَّجُ حَتَّى صَارَ أَمِيرَ الْمَكْلَأِ .

وَالثَّلَاثَةُ : عَنِ الشَّيْخِ الْمُعَمَّرِ أَحْمَدَ بْنِ مَرْعِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ نَاجِيٍّ الثَّانِي^(٢) : (أَنْ صَلَاحَ بْنِ سَالِمٍ الْكَسَادِيِّ كَانَ بَغِيلَ ابْنِ يَمِينٍ ، فَكَثُرَ شَرُّهُ ، فَطَرَدَهُ الْيَافَعِيُّونَ السَّنَاطِيرُ^(٣) ، فَالْتَجَأَ إِلَى عَلِيٍّ نَاجِيٍّ الْأَوَّلِ بْنِ بَرِيكِ^(٤) بِالشَّحْرِ ، فَأَجَارَهُ هُوَ وَأَوْلَادُهُ : عَبْدَ الْحَبِيبِ ، وَعَبْدَ الرَّبِّ ، وَعَبْدَ النَّبِيِّ .

وَكَانَتْ لَصَلَاحَ بِنْتٌ تُدْعَى عَائِشَةً ، جَمِيلَةٌ الْطَّلَعَةِ ، أَسْتَهْوَتْ قَلْبَ عَلِيٍّ نَاجِيٍّ ، فَطَلَبَ يَدَهَا ، وَأَسْتَأَى آلَ بَرِيكِ مِنْ بَنَائِهِ عَلَيْهَا ؛ لِمَا يَعْلَمُونَ مِنْ شَيْطَنَةِ صَلَاحٍ ، وَخَافُوا أَنْ يَسْتَوْلِيَ بِوَاسِطَةِ بِنْتِهِ عَلَى خَاطِرِ السُّلْطَانِ عَلِيٍّ نَاجِيٍّ فَيَتَنَمَّرَ^(٥) لَهُمْ ، فَيَبْتِغُوا قَتْلَ

= مشارف حدود يافع الأعلى وحدود البيضاء ، ويعرف أيضاً بوادي سلب لمروره عبر بلدة سَلَبَ ، ويصبُّ في البحر غرب مدينة شقرة . « رحلة إلى يافع » (ص ٣٦) . وفي « الصفة » للهمداني ذكر له في (ص ١٧٢ - ١٧٣) ، وفيها : أنه لبني جَبَرٍ من يافع . اهـ وإليه ينسب آل الناجي ، وأشهر شخصية عرفت منهم : هو العلامة الشيخ المعمر : عبد الله بن أحمد الناجي .

(١) ورد في « بضائع التابوت » (١٠٨/٢) أنه زار تريم أولاً ودخل على الإمام الحدَّاد وطلب منه الدعاء لضائقة نزلت به ، فأشار عليه بالذهاب إلى المكلا .

(٢) رواها المصنّف - كما في « بضائع التابوت » (١٠٨/٢) . عن السيّد المنصب حسن بن سالم ابن الحبيب أحمد بن حسن العطّاس ، المتوفى بالمكلا سنة (١٣٦٤هـ) ، وهو سمعها من المعمر المذكور ، الذي كان عمره حين حدث بها : مئة وعشرين عاماً .

(٣) السَّنَاطِيرُ - جمع شَنْظِير - وهو : الفاحش الغُلُقُ من الرِّجَال ، الَّذِي يَشْتَمُ أَعْرَاضَ النَّاسِ ، وَهُوَ لَقَبٌ أُطْلِقَ عَلَى فِتْنَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ الْيَافَعِيِّينَ الَّذِينَ حَكَمُوا بَعْضَ مَنَاطِقِ حَضْرَمَوْتَ إِثْنَانَ فِتْرَةِ الْفَوْضِيِّ ، وَكَانَ قَدْ اسْتَقْدَمَهُمْ فِي مَطْلَعِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ الْهَجْرِيِّ السُّلْطَانُ بَدْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُرْدُوفِ الْكَثِيرِيِّ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١١٢٠هـ) . ينظر : « معالم تاريخ الجزيرة العربية » (ص ٢٦٥-٢٦٦) ، و« تاريخ الدولة الكثيرة » (ص ٩١) وما بعدها .

(٤) توفى عليُّ بن ناجي بن أحمد بن بريك بالشحر سنة (١٢٢٠هـ) كما في « نشر النّفحات المسكية » للسيّد محمد جمل اللّيل باحسن (٩٩/٢) « مخطوط » .

(٥) يَتَنَمَّرُ : يَتَغَيَّرُ عَلَيْهِمْ ، وَيَصُولُ عَلَيْهِمْ كَمَا يَصُولُ التَّيْمُرُ .

صلاح بن سالم الكسادي ، فغدر بهم علي ناجي .

فذهب به إلى المُكَلَّا - وهي إذ ذاك خيصة للعكابة وبني حَسَنٍ - فبنى بها ألسُلطان علي ناجي حصناً على ساحل البحر ، سمَّاه : حصن عبد النبي ؛ احتفاظاً بالاسم لولده ، وعاهد أهل المُكَلَّا لِعَمِّهِ صلاح بن سالم ، وأجلسه بها مع عائلته (اهـ^(١))

وقد نزع^(٢) ألسَّيْطَانُ آخرَ بَيْنِ علي ناجي وعبد الرَّبِّ بنِ صلاح بنِ سالم الكسادي . وجاءَ في « تاريخِ باحسَنِ الشُّخْرِيِّ » [٩٨/٢ - ٩٩ خ] : (أَنَّ علي ناجي نفى آلَ هُمَامٍ إلى المُكَلَّا ، فاستنجدوا بعبدِ الرَّبِّ بنِ صلاح - صاحبِ المُكَلَّا - فجهَّزَ قوماً ألتقوا بعسكرِ علي ناجي في الحِدْبَةِ^(٣) ، وقتلَ محسنُ بنُ جابرِ بنِ همام ، وأنكسرَ عسكرُ الكسادي ، وغنمَ آلُ بريكٍ جميعَ ما معهم) اهـ

وسياتي في تريم أَنَّ الكساديَّ لم يَجْءْ إلى المُكَلَّا إِلَّا بعدَ سَنَةِ (١١١٧ هـ) .

وفي أواخرِ سَنَةِ (١١٦٣ هـ)^(٤) : غزا ناجي بنُ بريكِ المُكَلَّا بسبعِ مئةٍ مِنَ الحُمُومِ وغيرِهِم ، فلاقاهُم آلُ كسادٍ إلى رأسِ الجبلِ ، فهزموهُم ، وقتلوا مِنْهُم نحوَ العشرينَ ، ولم يُقتلَ مِنَ الكَساديِّ إِلَّا أربعةٌ ، ولا تزالُ قبورُهُم ظاهرةً برأسِ الجبلِ . ولَمَّا ماتَ صلاحُ بنُ سالم - على هذهِ الرِّوَايَةِ - خَلَفَهُ على المُكَلَّا ولَدُهُ

(١) إلى هنا انتهت رواية ذلك المعمر ، وسيظهر للقارئ المتابع أَنَّ ما بعدها من الكلام مناقض لما ورد فيها ، والحال أَنَّ المصنَّف رحمه الله رَدُّها حَسَبَما توسَّع فيه في الأصل ولكنه اختصر الكلام هنا . وحاصل كلامه : أَنَّ هذهِ الرِّوَايَةَ تخالفُ أَوَّلًا : ما ورد في « تاريخِ باحسن » من أَنَّ أمرَ الكساديِّ وظهوره كان متقدِّماً على هذا الزَّمان ؛ إذ تقدم أَنَّ وفاةَ عليِّ ناجي كانت سنة (١٢٢٠ هـ) بينما ظهور آل كساد كان سنة (١١١٥ هـ) . . فهذا يناقضه ، هذا أَوَّلًا . وثانيًا : أَنَّ ماجرى بعد هذهِ الرِّوَايَةِ من قيام الخصومة والحرب بين عليِّ ناجي وعبد الرَّبِّ الكسادي لا يتناسب مع ما بينهم من الرَّحم والصَّهَابَةِ . . فهذان دليلان يطلان هذهِ الرواية . والله أعلم .

(٢) نزعٌ : أنسد .

(٣) الحدبة : قرية صغيرة بريدة المشقاص .

(٤) الذي في « نشر التَّفَحَات » ، و « يافع في أدوار التَّاريخ » : أَنَّ تملكُ ناجي بنِ عمر الشُّحر ومبايعته

عليها كان سنة (١١٦٥ هـ) ، وكانت وفاته سنة (١١٩٣ هـ) . . ولم تذكر هذه المصادر مصادمته لآل

كساد ، ولكن ذكرت مصادمة ابنه عليِّ ناجي لهم .

عبدُ الرَّبِّ بنُ صلاحٍ ، ثُمَّ أخوه عبدُ الحبيبِ ، وكانَ شهماً صارماً حازماً . ثُمَّ تَوَلَّى بعدهُ ولدهُ مُحَمَّدٌ .

وفي أَيَّامِهِ : أَخَذَ آلُ عبدِ الرَّبِّ بنِ صلاحٍ يُدَبِّرُونَ المَكَايِدَ لاغتِيالهِ ، فَأَحْسَرَ بذلكَ ، فوطأَ لَهُم كَنَفُهُ ، وكانَ ذلكَ في أَقْتِبَالِ رَمَضَانَ ، فَأَظْهَرَ النُّسْكَ واشْتَغَلَ بِالْعِبَادَةِ ، فَخَفَّ حَقْدُهُمْ عَلَيْهِ ، وَهُوَ يَعْمَلُ عَمَلَهُ لِيَتَغَدَّاهُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَعَشَوْهُ .

وفي اللَّيْلَةِ السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ : هَجَمَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ غَاوُونَ^(١) نَائِمُونَ ، بَعْدَ أَنْ اشْتَرَى ذِمَمَ عِبِيدِهِمْ فَفَتَحُوا لَهُ الْبَابَ ، فَأَبَادَ خَضِرَاءَهُمْ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ وَمِنْ حَاشِيَتِهِمْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهَرَبَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِخِيَطِ رَقَبَتِهِ إِلَى السَّوَاحِلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ .

وَلَمَّا مَاتَ مُحَمَّدٌ بنُ عبدِ الحبيبِ . . وَقَعَتْ عَصَابَتُهُ^(٢) عَلَى ابْنِهِ صَلَاحِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الحبيبِ ، وَكَانَتْ لَهُ مُحَاسِنٌ ، وَعَدْلٌ تَامٌ ، وَشِدَّةٌ قَاسِيَةٌ عَلَى أَهْلِ الْفَسَادِ ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى فِي رَجَبِ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ (١٢٩٠ هـ) .

وَحَلَفَهُ وَلَدُهُ عَمْرٌ بنُ صَلَاحٍ ، وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ عَوْضٌ بنِ عُمَرَ الْقَعِيطِيِّ خُطُوبٌ أَنَهَزَمَ فِي أَوَّلِهَا الْقَعِيطِيُّ ، ثُمَّ اسْتَعَانَ بِحُكُومَةِ عَدَنَ ، فَاسْتَدَعَتْ عَمْرَ صَلَاحٍ ، وَخَيَّرَتْهُ - بَعْدَ أَنْ أَخَذَتْ التَّحْكِيمَ مِنَ الطَّرْفَيْنِ - بَيْنَ أَنْ يَدْفَعَ الْمِئَةَ الْآلِفَ حَالًا ، أَوْ يَتَسَلَّمَ مِئَةَ آلْفِ رِيَالٍ مِنَ الْقَعِيطِيِّ ، وَيَتْرَكَ لَهُ الْبِلَادَ . وَبَيْنَ أَنْ يَتَسَلَّمَ بُرُومًا مِنَ الْقَعِيطِيِّ ، وَقَدْرًا دُونَ الْأَوَّلِ مِنَ الرِّيَالَاتِ . فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَأَجْبَرُوهُ عَلَى الْجَلَاءِ مِنَ الْمُكْلَا ، فَذَهَبَ إِلَى السَّوَاحِلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ - حَسَبَمَا فَضَّلْنَاهُ بـ «الْأَصْلِ» - وَاحْتَفَظُوا لَأَنْفُسِهِمْ مِئَةَ كَبْرَى عَلَى الْقَعِيطِيِّ بِهَذَا الصَّنِيعِ .

وَكَانَ لِيَوْمِ سَفَرِ النَّقِيبِ مِنَ الْمُكْلَا رَنَّةٌ حُزْنٍ فِي جَمِيعِ الدِّيَارِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَفَانِينَ فِي مُحَبَّتِهِ .

(١) غَاوُونَ : غَافِلُونَ .

(٢) كِنَايَةٌ عَنْ اسْتِخْلَافِهِ بَعْدَهُ .

سَارَتْ سَفَائِنُهُمْ وَالنَّوْحُ يَنْبُهُمَا كَأَنَّهُا إِبِلٌ يَخْدُو بِهَا الْحَادِي
وَالنَّاسُ قَدْ مَلَّؤُوا الْعَبْرَيْنِ وَأَعْتَبَرُوا وَأَرْسَلُوا الدَّمَعَ حَتَّى سَالَ بِالْوَادِي
كَمْ سَالَ فِي الْبَحْرِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ أَفْلَاحِ أَجْبَادٍ^(١)

هذا حال أهل المكلا في توديعهم ، وأما هم (أعني آل النقيب) . . فكما قال
الرَّضِيُّ [في « ديوانه » ٥٧١/٢ مِنْ الطُّوِيلِ] :

تَرَحَّلْتُ عَنْكُمْ لِي أَمَامِي نَظْرَةٌ وَعَشْرٌ وَعَشْرٌ نَخَوُكُمْ مِنْ وَرَائِيَا
وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ صَاحِبَ زَنْجِبَارَ لَذَلِكَ الْعَهْدِ - وَهُوَ السُّلْطَانُ سَعِيدُ بْنُ سُلْطَانٍ^(٢) -
مَنْعَ السُّلْطَانِ عُمَرَ بْنِ صِلَاحٍ مِنَ التَّنْزُولِ بِيَلَادِهِ ؛ لِمَا سَبَقَ مِنْ فَعْلَةٍ جَدَّهِ الشَّنْعَاءِ
بِأَقَارِبِهِ ، وَكَأَدَ يَرْجِعُ أَدْرَاجَهُ ، وَلَكِنْ بَقَايَا الْمَوْتُورِينَ^(٣) مِنْ آلِ عَبْدِ الرَّبِّ أَظَارَتْهُمْ^(٤)
الرَّحِمُ عَلَيْهِ ، فَشَفَعُوا إِلَى سُلْطَانِ زَنْجِبَارَ فِي قَبُولِهِ ، فَقَبِلَ نَزْوَلَهُ . وَلَا تَزَالُ الدَّرَاهِمُ
مُرْصَدَةً لَهُ بِأَرْبَاحِهَا فِي خَزِينَةِ عَدَنَ ، كَذَا يَقُولُ بَعْضُهُمْ .

ويزعم آخرون أَنَّ الْحُكُومَةَ اخْتَلَقَتْ مُبَرَّرًا لِحِرْمَانِهِ مِنْهَا . وَلَا بَأْسَ بِإِيرَادِ وَثِيقَتَيْنِ
تَتَعَلَّقَانِ بِالْقَضِيَّةِ . هَذِهِ صُورَةُ الْأُولَى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأُ أَنَا عُمَرُ صِلَاحٍ ، نَقِيبُ بَنْدَرِ الْمَكْلَا بِأَنِّي قَدْ قَبَلْتُ بِتَوْقِيفٍ وَقَطَعَ الْعِدَاوَةَ الَّتِي
بَيْنِي وَبَيْنَ عَوْضِ بْنِ عَمَرَ الْقُعَيْطِيِّ وَأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ حَاكِمِ بَنْدَرِ الْكُشْحَرِ ، وَأَنَّ

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) الواقع التاريخي يخالف هذا الزعم ، لأنَّ السُّلْطَانُ سَعِيداً هَذَا تُوُفِّيَ فِي صَفَرِ سَنَةِ (١٢٧٣هـ) ، كَمَا
فِي سِيرَتِهِ الْمُسَمَّاةِ : « بَدْرِ التَّمَامِ فِي سِيرَةِ السَّيِّدِ الْهَمَامِ سَعِيدِ بْنِ سُلْطَانٍ » لِلْفَقِيهِ الْإِبَاضِيِّ حَمِيدِ بْنِ
مُحَمَّدَ بْنِ رُزَيْقٍ (ص ٤٥٩-٥٦٥) . وَإِنَّمَا وَرَدَ الْكَسَادِيُّ زَنْجِبَارَ إِذَا كَانَ حَكَمَ ابْنُهُ السُّلْطَانُ بَرِغَشِ بْنِ
سَعِيدٍ لَهَا ، لَصَدَاقَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمَا ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ حَتَّى تُوُفِّيَ . . ذَكَرَ هَذَا السَّيِّدُ
مُحَمَّدُ بْنُ هَاشِمٍ فِي « رَحْلَةِ الثَّغْرَيْنِ » بِهَامِشٍ (ص ٤١) .

(٣) الموتورون : مَنْ قُتِلَ لَهُمْ قَتِيلٌ وَلَمْ يَدْرِكُوا ثَأْرَهُ ، وَهُمْ أَقَارِبُهُ أَبْنَاءُ صِلَاحٍ وَمُطَلَقُ ابْنِي عَبْدِ الرَّبِّ
الْكَسَادِيِّ الَّذِينَ هَاجَرُوا بَعْدَ أَنْ غَلِبَهُمْ عَلَى الْحَكْمِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَبِيبِ بِمَعُونَةِ الْإِنْكَلِيزِ .

(٤) أَظَارَتْهُمْ : مِنْ الظَّارِ وَهُوَ الْعُطْفُ .

أَجْرِي وَأَقْبَلَ صَلَاحَ هُدْنَةِ لَمْدَةِ سَتَيْنِ مِنْ هَذَا التَّارِيخِ ، وَكَذَلِكَ أَقْبَلُ وَأُلْزِمُ نَفْسِي بِنَيَّْةِ صَالِحَةٍ بِأَنْ لَا أُعَاوَنَ وَلَا أُسَاعِدَ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا كُلَّ عَدُوٍّ لِلْقَعِيطِيِّ الْمَذْكُورِ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْهَدْنَةِ الْكَسْتَيْنِ الْمَذْكُورَةِ ، وَقَدْ رَضِيتُ وَصَحَّحْتُ هَذِهِ الشُّرُوطَ بِرِضَايَ وَأَخْتِيَارِي ، وَاللَّهُ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ .

النَّقِيبُ عَمْرُ صَلَاحٍ

ثُمَّ الْخَتَمَ

حُرَّوْ فِي الْمَرْكَبِ كَوْنَتَكَ

الدَّوْلَةُ الْعُظْمَى الْإِنْكِلِيزِيَّةُ (٢٢) دَيْسَمْبَرُ سَنَةِ (١٨٧٦ م) ، (٦) الْحِجَّةُ سَنَةِ (١٢٩٥ هـ) .

وَالْأُخْرَى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأُ أَنَا الْجَمْعُدَارُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ الْقَعِيطِيُّ حَاكِمُ بَنْدَرِ الشُّحْرِ بِأَنِّي قَبِلْتُ بِتَوْقِيفِ وَقَطْعِ الْعِدَاوَةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَ النَّقِيبِ عَمْرِ صَلَاحِ نَقِيبِ الْمَكْلَأُ ، وَأَنْ أُجْرِيَ وَأَقْبَلَ صَلَاحَ هُدْنَةِ لَمْدَةِ سَنَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذَا التَّارِيخِ ، وَكَذَلِكَ أَقْبَلُ وَأُلْزِمُ نَفْسِي بِنَيَّْةِ صَالِحَةٍ بِأَنْ لَا أُعَاوَنَ وَلَا أُسَاعِدَ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ ظَاهِرًا أَوْ بَاطِنًا كُلَّ عَدُوٍّ لِلنَّقِيبِ عَمْرِ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْهَدْنَةِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَقَدْ رَضِيتُ وَصَحَّحْتُ هَذِهِ الشُّرُوطَ بِرِضَايَ وَأَخْتِيَارِي ، وَاللَّهُ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ .

صَحِيحُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ الْقَعِيطِيِّ

حَرَّرَ فِي الْمَرْكَبِ الْحَرْبِيِّ الْمَسْمُومِ : عَرَبُ تَعْلُقِ الدَّوْلَةِ الْعُظْمَى فِي (٧) مِي سَنَةِ (١٨٧٩ م) ، الْمَوْافِقُ (١٢) جَمَادَى أُولَى سَنَةِ (١٢٩٦ هـ) .

وَفِي الْأُولَى إِمضَاءُ الْوَكِيلِ السِّيَاسِيِّ صَالِحِ جَعْفَرٍ ، وَفِي الْآخِرَى كَوْمَنْدُورُ الدَّارَعَةِ فَرَانْسِيْسُ لُوكَ ، الْمَقِيمُ السِّيَاسِيُّ . عَدَنَ .

وَفِي مَعْنَى الْوَثِيقَةِ الْأُولَى وَلَفْظُهَا وَتَارِيخُهَا وَمَوْضِعُهَا وَثِيقَةٌ بِإِمضَاءِ السُّلْطَانِ

عوض بن عمر ، وهو : صحيحُ عوض بن عمر القعيطي عن نفسه وعن أخيه عبد الله بن عمر حاكم الشَّحْرِ .

ثمَّ وجدتُ عريضةً تضمُّ ما أنتشر ، وتفصّل ما أجمل ، تُشبهُ أن تكونَ بأمرِ النّقيبِ عمرَ صلاحٍ قدّمها فيما يُظنُّ لدولةِ الإنكليز ، جاءَ فيها :

أولاً : كانَ بينَ النّقيبِ صلاحٍ بنِ محمّدٍ الكساديّ سلطانِ المكلّاء ، وبينَ الجمعداريّةِ صالحٍ وعبدِ الله وعوضِ أبناءِ عمر بنِ عوضٍ القعيطيّ صداقةً ، وكانوا تابعينَ للنّقيبِ ، حتّى عزمَ على حربِ الشَّحْرِ ، فجهزَ ومعهُ عوضُ بنُ عمرَ على الشَّحْرِ ، وأخذوها على أنّها أنصافٌ بينهم ، وبقيَ عوضُ بنُ عمرَ حاكماً عليها .

وبعدَ ستِّ سنينَ منَ أخذِ الشَّحْرِ . توفّي النّقيبُ صلاحُ بنُ محمّدٍ ، وخلفه ولدهُ عمرُ صلاحٍ ، فاشتبكَ في حربٍ معَ آلِ العموديّ وقبائلِ دوعنَ ، فأنتهزَ عوضُ بنُ عمرَ الفرصةَ ، وأستاذنَ في الوصولِ إلى المكلّاء ؛ للتّوسّطِ بينَ النّقيبِ عمرَ صلاحٍ وآلِ دوعنَ في الصّلحِ ، فوصلَ على حينِ غفلةٍ ، فخرجَ عمرُ صلاحٍ لاستقباله . . فاستنكرَ كثرةَ العساكرِ الّتي جاءَ بها معهُ ؛ لأنّها تُقدّرُ بسبعِ مئةٍ ، فقالَ له : لِمَ لَمْ تبعثَ برسولٍ يُخبرنا بوصولك ؟

فاعتذرَ وأظهرَ أنّ قصدهُ المصالحةُ بينَ النّقيبِ وبينَ قبائلِ دوعنَ ، وفي ثاني يومٍ وصوله . . أدعى بمئةٍ وستينَ ألفَ ريالٍ عندَ النّقيبِ صلاحٍ بنِ محمّدٍ . . فأجابه النّقيبُ عمرُ ب : (لا أعلمُ شيئاً على والدي ، وقد عاشَ ستُّ سنينَ بعدَ أخذِ الشَّحْرِ ولم تطلبوا بشيءٍ ، وإن كانَ بها سندٌ صحيحٌ على والدي . . فأنا مستعدٌّ للوفاء) .

لكنَّ عوضَ بنَ عمرَ لمَّا رأى المكلّاء خاليةً . . اعتمدَ على القوّة ، وقالَ لعمرَ صلاحٍ : إن لم تُمضِ على بيعِ ناصفةِ المكلّاء لي بالمبلغِ المذكورِ . . أخذتها بالقوّة ، فامضى النّقيبُ مضطراً ، ثمَّ استدعى عساكرَهُ من دوعنَ ، وحصلَ منَ عسكرِ القعيطيّ تعدُّ بقتلِ أحدِ عسكرِ النّقيبِ ، فنشبتِ الحربُ ثلاثةَ أيّامٍ ، أنهزمَ في آخرها عوضُ بنُ عمرَ ، فطلبَ الأمانَ لنفسه . . فأمنه النّقيبُ .

فسارَ إلى الشَّحْرِ بِسِلَاحِهِ وَعَسَاكِرِهِ فِي عَدَّةِ سَفِينٍ ، وَبَعْدَ وَصُولِهِ إِلَى الشَّحْرِ . .
أَسْتَمَرَّتِ الْمَنَاوِشَاتُ بَيْنَ النَّقِيبِ وَالْقَعِيطِيِّ ثَلَاثَ سَنِينَ ، حَتَّى وَصَلَ الْجُنَرَالُ سَنْدَرُ مِنْ
عَدَنَ ، وَعَقَدَ هَدَنَةً لِمُدَّةِ سِتِّينَ ، وَلَمَّا أَنْقَضَتْ . . وَصَلَ وَالِي عَدَنَ فِرَانْسِيْسُ لُوكَ ،
وَعَقَدَ هَدَنَةً لِمُدَّةِ سَنَةٍ ، وَلَمَّا أَنْقَضَتْ . . مَنَعَ الطَّرَفَيْنِ عَنِ جِهَةِ الْبَحْرِ ، وَلَكِنَّ عَبْدَ
الْقَعِيطِيِّ جَهَّزَ عَسَاكِرَهُ بِحَرًّا ، وَهَجَمَ عَلَى بَرُومَ فِي اللَّيْلِ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَأَرْسَلَ
النَّقِيبُ سُلْطَانُ الْمَكْلَأُ خَبْرًا لَوَالِي عَدَنَ . . فَتَغَافَلَ عَنْ تَعْدِي الْقَعِيطِيِّ ، فَطَلَبَ النَّقِيبُ
أَلَّ كَثِيرَ ، وَجَهَّزَ عَلَى بَرُومَ ، وَجَهَّزَ عَسَاكِرُ الْقَعِيطِيِّ بِهَا مِنْ جِهَةِ الْبَرِّ .

وَفِي (٢٥) دِيْسَمْبَرِ سَنَةِ (١٨٨١ م) وَصَلَ مَرْكَبُ إِنْكَلِيزِيٍّ فِيهِ صَالِحُ جَعْفَرٍ مَنْدُوبٌ
مِنْ وَالِي عَدَنَ . . فَوَجَدَ عَسَاكِرَ الْقَعِيطِيِّ مُحْصُورِينَ فِي بَرُومَ ، وَسَفَّنَهُ فِي الْمَرْسَى مَلَانَةً
بِالْزَّوَانِ وَالزَّانَةِ ، فَرَبَطَ سَفِينَتَيْنِ مِنْهَا بِمَرْكَبِهِ إِلَى عَدَنَ ، وَهَرَبَتْ أَرْبَعُ سَفِينٍ إِلَى
الشَّحْرِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ الْوَالِي بِمَرْكَبٍ حَرْبِيٍّ أَسْمُهُ (سِيْجَلُ) ، يَرَأْسُهُ الْقَبْطَانُ بِيْلَسُ ،
وَأَقَامَ هَدَنَةً خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

وَفِي (٢٢) فَبْرَوِي وَصَلَ الْمَرْكَبُ (دَجْمَارُ) وَفِيهِ صَالِحُ جَعْفَرٍ وَوَكِيلُ الْقَعِيطِيِّ
الْوَاِصِلُ مِنَ الْهِنْدِ . . فَدَفَعَ صَالِحُ جَعْفَرٍ لِلنَّقِيبِ عَمَرَ كِتَابًا مِنْ وَالِي عَدَنَ يَقُولُ لَهُ فِيهِ :
وَاصِلَكَ مَرْسُولُنَا صَالِحُ جَعْفَرٍ . . فَأَقْبَلَ مَا أَوْدَعْنَاهُ لَكَ مِنْ خُطَابٍ ، فَقَالَ صَالِحُ
جَعْفَرٍ : إِنَّ الدَّوْلَةَ حَرَّرْتُ بَيْنَكُمْ مَعَاهِدَةً عَلَى ثَلَاثَةِ شُرُوطٍ ، كُلُّ شَرْطٍ فِي وَرْقَةٍ ؛
لِتَخْرُجَ عَسَاكِرُ الْقَعِيطِيِّ مِنْ بَرُومَ بِغَيْرِ سَفْكٍ دِمَاءٍ ، وَبَعْدَ خُرُوجِ عَسَاكِرِ الْقَعِيطِيِّ
بِأَسْلَمَتِهَا لَكَ ، وَبِأَنْعَاطِكَ حِمَايَةَ لِبِلَادِكَ ، وَتَكُونَ تَبَعٌ لِلدَّوْلَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ .

فَلَمَّا وَقَفَ النَّقِيبُ عَلَى الشُّرُوطِ الثَّلَاثَةِ . . أَمْتَنَعَ عَنِ الْإِمْضَاءِ ، وَبَقِيَ صَالِحُ جَعْفَرٍ
يَرْغَبُهُ وَيَقُولُ لَهُ : إِنَّمَا هِيَ وَسِيلَةٌ إِلَى خُرُوجِ عَسَاكِرِ الْقَعِيطِيِّ مِنْ بَرُومَ ، وَتَكُونُ الشُّرُوطُ
تَحْتَ اخْتِيَارِكَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَكَانَ النَّقِيبُ وَائِقًا بِصَالِحِ جَعْفَرٍ . . فَأَمْضَى عَلَى الشُّرُوطِ
الثَّلَاثَةِ ، كُلُّ شَرْطٍ فِي وَرْقَةٍ ، فَتَوَجَّهَ صَالِحُ جَعْفَرٍ وَنَزَعُوا عَسَاكِرَ الْقَعِيطِيِّ مِنْ بَرُومَ ،
وَسَلَّمُوهَا لِلنَّقِيبِ .

وَبَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا . . وَصَلَ الْقَبْطَانُ هَنْتَرُ وَصَالِحُ جَعْفَرٍ ، وَقَالُوا لِلنَّقِيبِ : إِنَّ وَالِي

عدن أستحسن أن تبيع بلادك المكلأ لعدوك القعيطي بثلاثة لك^(١) ريال ، وطلب إمضاءه على ورقة بيع مكتوبة بالإنكليزية . . فأبى ، فألزموه أن يواجهه الوالي بنفسه في عدن ، فتوجه على أمل من إنصاف الوالي ، فلم يكن منه إلا أن ألزمه الإمضاء على ورقة البيع . . فامتنع ، وبقي خمسة وعشرين يوماً في مراجعة مع الوالي .

ثم عاد إلى المكلأ في نفس المركب الذي سار فيه ، وأسمه (دجمار) ومعه صالح جعفر ، ولما وصل المكلأ . . وجد المنور الحربي المسمى (دراقين) راسياً بالمكلأ ، وفي اليوم الثاني . . نزل قبطانه - وأسمه هلتن - ورافقه صالح جعفر وأعطى للنقيب ورقة مكتوبة بالعربي : إنك راضي أن تفارق بلدك وحدودك ما عدا بروم ، ونسلم لك لاکين وعشرين ألف ريال ، فامتنع النقيب عن الإمضاء عليها ، فعاد هلتن للمنور المسمى (دراقين) ومعه صالح جعفر . . فضربوا ثلاثة مدافع ؛ إعلاناً بحصر المكلأ ، ومنعوا السفن الواردة ، فضربوا السفن الراسية ، وبقي ذلك المنور محاصراً للمكلأ ستة أشهر ، وبعدما وصل المنور (دجمار) من عدن وفيه حاكم صغير اسمه (والش) . . قال للنقيب عمر : إن دولة الإنكليز رفعت الحصر عن بلادك ، وإنها لا تتداخل بينك وبين القعيطي .

وبعد عشرين يوماً وصلت المناور الحربية (دراقين) و (عرب) و (دجمار) ، وفيها القبطان (هولتن) والقبطان (هتر) ، وألزموا النقيب صلاح يصحح على ورقة بيع بلاده للقعيطي بثلاثة لك ريال . . فامتنع ، فتوجه المنور (دراقين) والمنور (دجمار) إلى الشحر عند القعيطي ، وأقاما خمسة أيام ، وفي اليوم السادس . . وصلت مناور إنكليزية شاحنة بعسكر القعيطي وآلات الحرب ، ومعهم عبد الله بن عمر القعيطي ، ونزل هتر إلى بروم ، وقال لحاميتها : إن لم تفرغوها . . أثرنا عليكم الحرب ، وفي أول يوم من نوفمبر سنة (١٨٨١ م) . . أطلقوا المدافع ، وهدموا القلاع ، فهزمت عسكر النقيب ، وأستولت المناور على بروم ، ثم سلموها لعبد الله بن عمر القعيطي ، ثم توجه (دراقين) وسفن القعيطي بحراً ، وبعض عساكره

(١) اللك : عند أهل الهند وإيران واليمن : مئة ألف ، وعند المولدين : عشرة ملايين ، وجمعه : لكوك .

براً حتّى وصلوا بلادَ فَوْةَ ، فنزلَ هولتن وطرَدَ عسكرَ النَّقِيبِ ، وسلّمَ فوةَ للقعيطيّ .
ثمّ توجّهَ المنورُ والسّفنُ إلى المكلّا ، وحصروا المكلّا ، وقطعوا واردَ ألماءٍ مِنَ
البرّ ، فطفقَ النَّقِيبُ يخاطبُ هولتن ويذكرُهُ الصّدَاقَةَ والمعاهدةَ ، ولمّا رآه مصمّماً على
حربه بما لا طاقةَ لَهُ بِهِ . . طلبَ الأمانَ ، وسلّمَ بلادَهُ للقبطانِ هولتن ، ونزلت عساكرُ
الإنكليز ، وركبَ النَّقِيبُ عمرُ صلاحٍ في حاشيته ونسائه وأطفاله ورجاله المقدرين
بألفين وسبع مئة نفسٍ ، سار بهم القبطانُ هولتن إلى عدن بعد أن سلّمَ المكلّا
للقعيطيّ ، ولمّا وصلَ النَّقِيبُ بحاشيته إلى مرسى عدن . . طلبَ مواجهةَ الوالي . . فلم
يُجِبْهُ ، بل شدّدَ عليه الحصرَ في السّفن ، ومنعهمُ التّزوّلَ إلى البرّ ، وأشدّدَ عليهمُ
الضّيقَ والزّحامَ حتّى مات منهمُ نحوُ مئتي نفسٍ ، وبقوا في الحصرِ اثنين وعشرين
يوماً ، يطلّعُ إليهم هتتر وصالحُ جعفرٍ إلى البحرِ في كلّ يومٍ يتهدّدونَ النَّقِيبَ عمرَ
بالحبسِ والقيّدِ إذا لم يُمضِ على خطِّ البيعِ . . فلم يوافقهم ، ولمّا أيسوا من موافقته . .
نزلوا فرقةً من عسكره تقدّرُ بسبع مئة إلى برّ عدن ، ورخصوا لَهُ بالسّفَرِ ، فتوجّهَ مظلوماً
مقهوراً من مأموري عدن إلى بندرِ زنجبارَ ، وآلآن لَهُ مدّةُ سنتين يخاطبُ دولةَ الهندِ
فيما حصلَ من ظلمِ مأموري عدن ، ويطلبُ الإنصافَ من دولةِ الإنكليز بوجهِ الحقِّ . .
فلم تُفدْهُ بجوابٍ ، وهو في انتظارِ الإنصافِ إلى هذا الوقتِ ، وقد حرّرَ هذا لأعتابِ
دولتكم ؛ ليكونَ الأمرُ معلوماً ، والسّلامُ . اهـ بنوعِ اختصارٍ .

ومنها يُعرَفُ أنَّ الوثيقةَ الأولى هي الّتي انعقدت على يدِ سندر سنة (١٢٩٥هـ) ،
والثّانية هي الّتي انعقدت على يدِ فرانسيس لوك سنة (١٢٩٦هـ) ، واللهُ أعلمُ .

ومن ذلكَ اليومِ صفتِ المكلّا لآلِ القعيطيّ ، يتداولُ حُكْمُها بينَ السّلطانِ عوضٍ
وأخيه عبدِ الله بنِ عمرَ ، إلى أن ماتَ الثّاني في سنة (١٣٠٦هـ) عن ولدين ، كانَ
لَهُما معَ عمّهما عوضٍ نبأ يأتي ذكرُ بعضِهِ في الشّخَرِ .

وفي سنة (١٨٨٨ ميلاديّة) - ولعلّها موافقةُ سنة (١٣٠٥ هجريّة) ^(١) - انعقدت

معاهدةُ بينَ الحكومةِ الإنكليزيّةِ والحكومةِ القعيطيّةِ ، هذا نصّها :

(١) فائدة : لتحويل التّاريخ الميلاديّ إلى هجريّ نفعل الآتي : (ميلادي - ٦٢٢) × ٣٣ ÷ ٣٢ = الهجري .

المادة الأولى : تلبية لرغبة الموقع أدناه : عبد الله بن عمر القعيطي ، بالأصالة عن نفسه ، وبالنيابة عن أخيه عوض . . تتعهد الحكومة البريطانية بأن تمتد إلى المكلأ والشحر ومتعلقاتهما التي في دائرة تفويضهما وحكهما المنة السامية ، وحماية صاحبة الجلالة الملكة الإمبراطورة .

المادة الثانية : يرتضي ويتعهد عبد الله بن عمر القعيطي ، بالأصالة عن نفسه ، وبالنيابة عن أخيه عوض وورثائهما وخلفائهما . . بأن يتجنب الدخول في مكاتبات أو اتفاقيات أو معاهدات ، مع أي شعب أو دولة أجنبية إلا بعلم وموافقة الحكومة البريطانية .

ويتعهد أيضاً : بأن يقدم إعلاماً سريعاً لوالي عدن ، أو لضابط بريطاني آخر عند محاولة أية دولة أخرى في التدخل في شؤون المكلأ والشحر ومتعلقاتهما .

المادة الثالثة : يسري مفعول هذه المعاهدة من هذا التاريخ .

وشهادة على ذلك فقد وضع الموقعون أدناه إمضاءاتهم أو ختماتهم في الشحر باليوم من شهر مايو سنة (١٨٨٨ م) اهـ

وكنتم أنوهم هذه أول معاهدة بين القعيطي والإنكليز ، ولكن رأيت قبلها أخرى بواسطة (جايمس بلار) والي عدن بتاريخ (٢٩) مارس سنة (١٨٨٢ م) و (١٢) رجب سنة (١٢٩٩ هـ) جاء فيها ما يوافق التي قبلها ، مع زيادات :

أولها : أن عبد الله بن عمر وأخاه عوض بن عمر تمكنا - بواسطة المساعدة لهما من الحكومة البريطانية - من الاستيلاء على مرفأي بزم والمكلأ في أكتوبر سنة (١٨٨١ م) ، وعلى الأراضي التي كان يحتلها النقيب .

وبما أن الحكومة قد أسدت إليهما مساعدات ومنن أخرى . . فقد وافقوا على المعاهدة الآتية ، وهي معاهدة سنة (١٨٨٨ م) .

والزيادة الثانية هي : بما أن الممتلكات التي كانت سابقاً في قبضة النقيب عمر بن صلاح قد انتقلت إلى يد عبد الله بن عمر القعيطي ، وهو قد دفع مئة ألف ريال للوالي

في عدن لقاء نفقات النقيب عمر بن صلاح . . فإن هذا المبلغ سيُصرفُ بنظرِ الوالي في عدن عن النقيب عمر بن صلاح المذكور .

والزبادة الثالثة هي : تعهّد الحكومة البريطانية بمعاش سنويّ لآل القعيطي ، قدره : ثلاث مئة وستون ربيّة ، ما داموا قائمين بشروط هذه المعاهدة . اهـ
ولكنّ آل القعيطي ترفعوا عن ذلك المعاش الزهيد ، ولم يقبضوا منه شيئاً من يوم المعاهدة إلى اليوم .

ومُقَدَّم تربة المكلّا^(١) هو : الشّيخ يعقوب بن يوسف باوزير ، وهو آخر مَنْ وصل إليه العلم من أجداده^(٢) المشايخ آل باوزير ، وكانت وفاته بالمكلّا في سنة (٥٥٣هـ) .
وقال السيّد علوي بن حسن مذهب : (إنّ آل باوزير يرجعون إلى الشّيخ حسن الطّرفي ، المقبور بجزيرة كمران) .

وقال الشّيخ عبد الله بن عمر بامخرمة : (إنّ آل باوزير يُنسبون إلى قرية يقال لها : وزيرية من شرّعت باليمن ، على مقربة من تعز ، بينهما مرحلة ، تطلّ على تهامة) .
وقد اجتمعت بالفاضل السيّد : محمّد بن محمّد بن عبد الله بن المتوكل ، فحدّثني عن وزيرية هذه وقال : (إنّها الوزيرة^(٣) لا وزيرية ، وهي ما بين شرّعت وأعدّين ، بلاد خصبة جداً ، يمرّ فيها غيل غزير ، لا تزال به خضراء صيفاً وشتاءً) .
وزعم قوم : أنّ الشّيخ يعقوب بن يوسف من آل الجيلاني^(٤) .

(١) مقدّم الثّروة : أي هو أشهر أو أقدم من قبر بها ؛ لذا فهو المقدّم على غيره بالزيارة لسابقتها .
(٢) كذا في الأصل بزيادة هاء الضمير ، ولعلّ الأصوب بدون الهاء ؛ لأنّ آل باوزير يتنّهون في النسب إليه .
(٣) الوزيرة : عزلة من ناحية الفرع من العدين ، والعزلة أصغر من القرية ، وظهر من هذه العزلة علماء أجلاء ؛ منهم : الفقيه عبد الله بن أسعد الوزيري ، شارح « اللّمع » لأبي إسحاق الشّيرازي ، توفي بعد سنة (٦١٣هـ) . وله أولاد علماء أعلام ؛ منهم : الفقيه أحمد الذي بنى الملك المنصور عمر بن عليّ الرّسولي مدرسة عرفت بالوزيرية نسبة إليه ، توفي الفقيه أحمد بن عبد الله هذا سنة (٦٦٢هـ) . .
ينظر : « البلدان اليمانيّة عند ياقوت » (ص ٣٠٠) ، و« المدارس الإسلاميّة في اليمن » (ص ٤٦-٥٠) .

(٤) فصل هذا الموضوع صاحب « الشّامل » (ص ٨٦) بقوله : وبها الشّيخ يعقوب ، مُتَعَقِّد يزَار ، =

وكان لآل باوزير منصب عظيم ، وجاه واسع ، حتى لقد كانت لهم دولة بأنقزيجة وهي من جزائر القمر ، وآخر سلاطينهم بها يقال له : (مرسى فوم) ، ولكن السيد علي بن عمر المسيلي طلب منه أن يوليّه على بعض البلاد . فلم يرض ، فخرج عن طاعته ، وأستعان بفرنسا . فساعدته بالأموال والعتاد ، وبباخرة حربيّة حاصر بها مرسى فوم ، ولما رغب في الصلح . . أتعدّه هو وإيائه إلى مكان أعدّ فيه الرّجال ، وبمجرّد ما وصل . . غدر به وقتلّه خنقاً ، وأستولى على ملكه ، وكان جباراً ظالماً ، معاصراً لسيد أحمد بن أبي بكر بن سميط ، ولا تزال لأولاده سلطنة أسميّة إلى اليوم ، وأمه من ذريّة السيد أحمد بن علي ، أحد آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، وكان له

= ويقال : إنّه ليس من أهل البلد ولكنه غريب جاء إليها فمات ودفن هناك ، وإنّه قديم العهد ، وهذا شيء يتناقله الناس شفاهاً ، وقد دوّنه بعضهم فيما بعد .

وقيل فيه : إن اسمه يعقوب بن يوسف ، وإنّه شريف حسنيّ النسب ، ونقل في الجزء الثاني من « نشر التفحات المسكية » : أن للعلامة السيّد الشريف عبد الرحمن بن محمّد بن عبد الرحمن العيدروس العلويّ الحسينيّ المعروف بـ (صاحب الدشته) قصيدة مدحه فيها ونسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني .

وقال بعض المتأخّرين من المشايخ آل باوزير : إنّه جدّهم ، وإنّه عبّاسيّ النسب . كلّ هذا قيل ، ولكن لم نر لشيء من ذلك مستنداً في كتاب قديم يمكن أن يؤثّق به ، والتّاريخ نقل ورواية (اهـ كلامه .

أقول : والذي عليه بعض مؤرّخي آل باوزير إثبات أنّهم عبّاسيون ؛ فقد صنّف الشيخ مزاحم بن سالم بن مزاحم باوزير كتاباً سمّاه : « البدر المنير في رفع الحجاب عن نسب آل أبي وزير » أو « دفع الالتباس عمّن لا يعلم أنّ آل أبي وزير من بني العبّاس » . . طبع بمصر بمطبعة التّقّدّم العلميّة سنة (١٣٢٩ هـ) ملحقاً به كتابان لبعض آل باوزير في التّصوّف .

وكتب المؤرّخ سعيد عوض باوزير في « صفحات من التّاريخ الحضرميّ » قصّة نزوح جدّهم الشيخ يعقوب من العراق (ص ٩٧-١١٢) .

وأبيات السيّد العيدروس التي ذكرها صاحب « الشامل » تشير إلى أنّ الشيخ يعقوب هو سبط الشيخ عبد القادر الجيلانيّ ، وهي قوله من الخفيف :

لا يقـاس عـلاؤه بعـلاء	وهو نسل الرسول ذاك الحبيب
سبه شيخ الشيوخ قطب المعالي	الشريف الجيلاني المرغوب
العفيف المنيف حقاً وصدقاً	ناده باسمه العلّم (يعقوب)
إلخ ، وإنّما أوردتها لتكون شاهداً على قول المصنّف . والله أعلم .	

أولادُ يزيدونَ عَنِ المِئَةِ ، وسلطتُهُ على أنقريجة أنتهت بِآلِ باوزيرٍ ، ثمَّ أنتهت دولة آلِ باوزيرٍ بحكم عليِّ بنِ عمرٍ ، وليسَ مِن آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَكِنَّ أُمَّهُ مِنْهُمْ ، وَأَمَّا هُوَ . . فَمِنَ آلِ الْمَسِيلَةِ ، ولهَذَا قِيلَ لَهُ : الْمَسِيلِي .

وللْمَكْلَأِ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي أَخْبَارِ بَدْرِ - أَبُو طَوِيرٍ - الْكَثِيرِيُّ ، الْمَتَوَفَّى بِسَيْتُونَ سَنَةَ (٩٧٧ هـ) ، وَشَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ لَا يُنَافِي كَوْنَهَا خَيْصَةً صَغِيرَةً لِّذَلِكَ الْعَهْدِ ، لَمْ تَعْمَرْ إِلَّا فِي أَيَّامِ الْكِسَادِيِّ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُنْكَرُ وَجُودُهَا مِّنْ زَمَنِ مُتَقَدِّمٍ ، وَصُغُرُهَا لَا يَمْنَعُ ذِكْرَهَا ، فَمَنْ ذَكَرَهَا . . فَقَدْ نَظَرَ إِلَى مُجَرَّدِ وَجُودِهَا ، وَمَنْ لَمْ يَذْكُرْهَا . . فَلَحَقَارَتِهَا ، وَلَأنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ إِذْ ذَاكَ .

إِلَّا أَنَّهُ يُشْكَلُ عَلَى ذَلِكَ شَيْئَانِ :

أَحَدُهُمَا : أَنَّ الشَّيْخَ عُمَرَ بْنَ صَالِحٍ هَرَهْرَةَ^(١) لَمْ يَذْكُرْهَا فِي « رَحْلَتِهِ » الَّتِي أَسْتَوْلَى فِيهَا عَلَى حَضْرَمَوْتَ وَالشُّخْرِ ، وَلَقَدْ ذَكَرَ فِيهَا أَنَّهُ أَقَامَ بِالشُّخْرِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، وَأَنَّ مَا جَبَاهُ مِنْهَا فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ : خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ رِيَالٍ ، مَعَ أَنَّهُ مُتَأَخِّرُ الزَّمَانِ فِي سَنَةِ (١١١٧ هـ) ؛ فَإِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى فُرْطٍ تَأَخَّرِهَا ، إِلَّا أَنْ يُقَالَ : إِنَّ الشَّيْخَ عُمَرَ صَالِحٍ أَحْتَرَمَهَا لِمَكَانِ إِخْوَانِهِ أَلْيَافَعِيِّينَ فِيهَا ، وَلَكِنَّهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا جَوَاباً عَنِ الْغَزْوِ لَا عَنِ الذِّكْرِ .

وِثَانِيَهُمَا : أَنَّ كَثْرَةَ الْمَقَابِرِ بِهَا تَدُلُّ عَلَى عُمَرَانَ قَدِيمٍ .

وَقَدْ يُجَابُ بِأَنَّهَا : رَبَّمَا كَانَتْ كُلُّهَا مَقْبَرَةً لِلْعَكَابِرَةِ وَبَنِي حَسَنِ وَمَنْ دَانَاهُمْ ؛ حِرْصاً عَلَى مُجَاوَرَةِ الشَّيْخِ يَعْقُوبَ ، كَمَا هِيَ عَادَةُ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَأَهْلُ الْبَادِيَةِ أَكْثَرُ النَّاسِ حِرْصاً عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ .

وَقَدْ عُمِّرَ كَثِيرٌ مِّنْ تِلْكَ الْمَقَابِرِ بَعْدَ دُثُورِهَا مَسَاكِنَ وَمَسَاجِدَ ، وَكَنتِ أَشْتَدُّ فِي إِنْكَارِ ذَلِكَ ، حَتَّى رَأَيْتُ كَلَامَ « الْتُحْفَةِ » وَ« الْإِيْعَابِ » فِي ذَلِكَ .

وَحَاصِلُ مَا فِيهِمَا : (أَنَّ أَلْمَوَاتَ الْمَعْتَادَ لِلدَّفْنِ بِلَا مَانِعٍ يَدْخُلُ فِي قِسْمِ الْمُسَبَّلِ ، وَيَجُوزُ زَرْعُهُ وَبِنَاؤُهُ مَتَى يُثَبَّنَ بِلَاءُ مَنْ دُفِنَ بِهِ ، وَلَا سِيَّماً إِذَا أَعْرَضَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَنِ الدَّفْنِ

(١) آل هرهره : فخذ من آل الطيبي بطن من يافع ، كانوا سلاطين يافع العليا . وأخبار عمر بن صالح هرهره في « العدة المفيدة » : (٢٤٩ / ١ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢) .

فيه حالاً وأستقبلاً . وإنما يمتنع الإحياء والتصرف فيما تُقَنَّ وقفها ، أو أنَّ مالكا سَبَّلَهَا) .

وقال العيني - وهو من الحنفية - : (ذكر أصحابنا أنَّ المقبرة إذا دَثَرَتْ . . تعود لأربابها ، فإنَّ لم يُعرف أربابها . . كانت لبیت المال) . اهـ وفي شروح « المنهاج » ما يوافقه .

وقال ابن القاسم من المالكية : (لو أنَّ مقبرة عَفَتْ ^(١) ، فبنى عليها قوم مسجداً . . لم أرَ بذلك بأساً) اهـ ^(٢)

وهذا شامل لما تُحقَّق وقفها أو تسبيلُ مُسَبَّل لها .
أمَّا ما لم يُتحَقَّق فيه ذلك . . فنحن وإياهم على اتفاقٍ في جواز إحيائه والتَّصرف فيه .

وقال بعضُ الحنابلة : (إذا صار الميْتُ رميماً . . جازت زراعة المقبرة والبناء عليها) .
وهذا في غير قبور الأولياء والعلماء والصَّحابة ؛ أمَّا هؤلاء . . فلا تجوزُ على قبورهم مطلقاً .

وفي شرحي بيتي السلطان غالب بن محسنٍ من ثالثِ أجزاء « الأصل » ما يُصرِّح بأنَّ المكلاً لم تزل خيصةً في سنة (١٢٤٩ هـ) ، وأنَّ سكَّانها إذ ذاك لا يزيدون عن أربعة آلاف وخمسين مئة نفس .

ثمَّ إنَّه لم يكن للعلم شأنٌ يُذكرُ بالمكلاً ^(٣) ونواحيها ^(٤) ؛ لانصراف وزير الحكومة

(١) عَفَتْ : زالت وذهب آثارها .

(٢) التاج والإكليل (٣٢ / ٦) .

(٣) ذكر السيد محمد بن هاشم في « رحلة الثغرين » عندما ورد المكلا في سنة (١٣٥٠ هـ) ، أن بها خمس مدارس وهي : المدرسة السلفية ، والمدرسة الوطنية ، ومدرسة الفلاح ، والمدرسة الهاشمية ، والمدرسة السلطانية .

(٤) ونواحيها : ما قرب منها من المناطق الساحلية ، ولا يدخل في هذه النواحي غيل باوزير ؛ فقد كان للتعليم به شأنٌ وأي شأن ؛ إذ كان رباط ابن سلم يقدق على الساحل الخريجين الفقهاء وطلاب العلم الشرعي ، كما سيأتي معنا في الغيل لاحقاً .

القعيطيّة السيّد حسين بن حامد المحضار إذ ذاك عن هذه الناحية ، بل كان - رحمه الله - يتعمّد ذلك ؛ لأنّ في العلم والمدارس تنبيه الأفكار ، وهو يكره وجود التّابغيين ؛ لئلاّ يزاحموه أو يغلبوه على السّلطان ، أو يطالبوه بحقوقهم^(١) .

وإنّما كان يوجد فيها الأفذاذ النّاقلون بحكم الفلّات ؛ كالشيخ عوض بن سعيد بن محمّد بن ثعلب ، الذي تولّى القضاء بها فيما قبل سنة (١٣١٣هـ) ، والشيخ عبد الله بن عوض باحشوان^(٢) ، والشيخ سعيد بن أنبارك باعامر في قليل من أمثالهم ، لا تحضرني أسماؤهم .

ومن أواخرهم : الشيخ عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن عوض باوزير ، قرأ على الشيخ محمّد بن سلّم ، وله رحلات في طلب العلم إلى الحجاز وعدن وحضرموت ، وكان ذا لسان ونفس طيب في الوعظ والتّذكير ، توفي بالغيل في سنة (١٣٥٤هـ) ، ودُفن إلى جانب شيخه ابن سلّم .

وبإثر وصول السّادة آل الدّبّاغ^(٣) إلى المكلّا في حدود سنة (١٣٤٣هـ) . فتحو المدارس وأحسنوا التّعليم ، وكان حزب الأحرار الحجازي^(٤) يُغدق عليهم الأموال ، وتصلّهم مع ذلك المواساة من العراق .

(١) لقد أطال المصنّف وأفاض في ترجمة السيّد حسين بن حامد في « بضائع التّابوت » ، وذكر أموراً خاصّة جرت بينهما ، (٢٨٨/٢ - ٢٩٦) .

(٢) عالم فقيه من سكّان المكلّا ، توفي قبيل وفاة السّلطان عمر بن عوض ؛ أي في بداية الأربعينيّات الهجريّة ، وكان بارعاً في الفرائض كما يقول معاصره فضيلة الشيخ النّاجي حفظه الله .

(٣) وهم السّادة : طاهر الدّبّاغ ، وأبنا أخيه : حسين وعليّ ، وهم أشراف حسينيّون ، من أهالي الحجاز .

(٤) حزب الأحرار الحجازي : تأسّس إبّان نشوب الحرب بين جلاله الملك عبد العزيز آل سعود وجلالة الشريف الحسين بن عليّ ؛ إذ تنادى طائفة من أعيان مكة وجدة إلى الحضور إلى دار الشيخ محمّد حسين نصيف ، حيث قرّروا بأغليّة الأصوات إنشاء حزب يدعى (الحزب الوطني الحجازي) ، وانتخبوا اثني عشر شخصاً من أعيان الأُمّة في مكة وجدة ؛ ليكونوا الهيئة الإداريّة للحزب ، وقد اختير لرئاسة هذا الحزب الشيخ محمّد الطّويل ، كما اختير لأمانة سرّه السيّد طاهر الدّبّاغ ، وقد أصدر الحزب بجملة عدّة نشرات موجهة إلى الأُمّة تدعوها إلى الاتّحاد والتّضامن . « من أعلام التّربية والفكر في بلادنا » للسيّد محسن باروم : (٥٨-٥٩) .

إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يُضْمَرُونَ مِنَ التَّلْعِيمِ غَيْرَ مَا يُظْهِرُونَ ، وَحَاحِلُوا تَرْبِيَةَ الْأَوْلَادِ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْحَزْبِيَّةِ ؛ لِيُعِدُّوهُمْ لَغْزْوِ الْحِجَازِ ، وَاسْتَمَالُوا رُؤُسَاءَ يَافِعَ ، وَكَانَ لَهُمْ إِذْ ذَاكَ أَكْبَرُ النُّفُوزِ فِي الْمَكَلَّا ، وَرَبَّمَا تَرَكَوا صَنْدُوقَ الذَّهَبِ مَفْتُوحًا لِيَرَوْهُ عِنْدَمَا يَزُورُونَهُمْ ، وَبِالْآخِرَةِ طَالِبُوهُمْ بِعَسْكَرٍ عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا لَهُمْ مَرْتَبَاتٍ ضَخْمَةً ، فَالْتَزَمُوا لَهُمْ بِخَمْسَةِ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ مِنْ يَافِعَ ، وَلَكِنَّ آلَ الدَّبَّاحِ تَأَخَّرُوا بَعْدَ ذَلِكَ لِمَوْثَرٍ إِمَّا مِنَ الْحِجَازِ ، وَإِمَّا مِنَ الْعِرَاقِ ، وَحَاحِلُوا إِثَارَةَ حَفِيزَةِ مَلِكِ الْعِرَاقِ^(١) لَغْزْوِ الْمَكَلَّا وَحَضَرَ مَوْتَ .

وَفِيمَا كَانَتْ فِرْقَةُ الْكُشَّافَةِ مَارَّةً بِسُوقِ الْمَكَلَّا ، تَرَفَّرَ عَلَيْهَا الْأَعْلَامُ الْعِرَاقِيَّةُ . . تَكَدَّرَ لِذَلِكَ الشَّيْخُ الْأَدِيبُ عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَدُ النَّاخِبِيُّ^(٢) ، وَكَانَ شَرِيكَهُمْ فِي التَّلْعِيمِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى هَذَا التَّطَرُّفِ ، فَنَبَّهَ الْوَزِيرَ^(٣) ، وَلَكِنَّهُ^(٤) خَافَ مِنْ يَافِعَ - وَكَانَ

(١) هُوَ الْمَلِكُ فَيضِلُ بْنُ الشَّرِيفِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْحُسَيْنِيِّ الْهَاشِمِيِّ (١٣٠٠-١٣٥٢ هـ) أَبُو الْمَلِكِ غَازِي وَلَدَ بِالطَّائِفِ ، وَتَوَفَّى فَجَاءَةً بِسَكْنَةِ قَلْبِيَّةٍ فِي الْعَاصِمَةِ السُّوَيْسِيَّةِ بَرْنِ ، وَنَقَلَ جُثْمَانَهُ إِلَى بَغْدَادٍ وَدْفَنَ بِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَشْهُرِ السَّاسَةِ الْعَرَبِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ ، نُوْدِي بِهِ مَلَكًا عَلَى الْبِلَادِ السُّورِيَّةِ سَنَةَ (١٣٣٨ هـ) ، ثُمَّ نُوْدِي بِهِ عَلَى عَرْشِ الْعِرَاقِ فِي السَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا (١٣٣٩ هـ) ، يَنْظُرُ : « الْأَعْلَامُ » (١٦٥/٥-١٦٦) ، « مَا رَأَيْتُ وَمَا سَمِعْتُ » (١٧٩) .

(٢) هُوَ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ الْمُؤَرِّخُ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَسَّنِ بْنِ نَاجِي النَّاجِي الْيَافِعِي ، مَوْلَدُهُ بِجَبَلِ يَافِعَ فِي بِلَدَةٍ تَسَمَّى : حُمُخْمَةً - بَضْمُ الْحَاحِنِ الْمَهْمَلَتَيْنِ - الْمَشْرِفَةِ عَلَى وَادِي ذِي نَاجِبٍ ، وَلَدَ عَامَ (١٣١٧ هـ) ، وَهُوَ يَحْفَظُ أَنَّ تَارِيخَ مَوْلَدِهِ أَيَّامَ مَوْقَعَةِ حُوتِ التَّارِيخِيَّةِ أَيَّ مَا بَيْنَ أَجْوَاءِ (١٣١٤ هـ) وَ(١٣١٧ هـ) وَكَانَ وَالِدُهُ ضَمَّنَ الْجُنُودَ الَّذِينَ شَارَكُوا فِيهَا مِنْ جَانِبِ الْقَعِيطِيِّ ، ثُمَّ أَخَذَهُ وَالِدُهُ إِلَى تَبَالَةٍ ، فَدَرَسَ بِهَا عَلَى يَدِ الشَّيْخِ سَالِمِ الْكَلَالِيِّ ، وَهُوَ شَيْخٌ فَتَحَهُ وَتَخْرِيجَهُ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَكَلَّا فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ عَمْرٍ ، وَشَارَكَ فِي النُّهُوضِ بِالتَّلْعِيمِ بِهَا ، وَعُدَّ فِي أَعْيَانِهَا ، وَلَهُ مَوَاقِفُ وَأَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ ، وَتَقَلَّدَ عِدَدًا مِنَ الْمَنَاصِبِ الْحُكُومِيَّةِ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ صَالِحٍ ، وَأَضْفَى عَلَيْهِ الْمَذْكُورَ لِقَبِّ : (شَاعِرُ الدَّوْلَةِ) ، وَهُوَ الْآنَ مُقِيمٌ بِجِدَّةٍ ، أَطَالَ اللَّهُ عَمْرَهُ فِي خَيْرٍ وَعَافِيَةٍ .

(٣) كَانَ ذَلِكَ فِي عَهْدِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدِ الْمُحَضَّرِ ، وَيَقُولُ الشَّيْخُ النَّاخِبِيُّ : إِنَّ آلَ الدَّبَّاحِ اسْتَمَرُّوا فِي التَّدْرِيسِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ حَتَّى نَهَايَةِ عَهْدِ السُّلْطَانِ عَمْرٍ ، وَكَانَ ابْنُ أَخِيهِ السُّلْطَانِ صَالِحٍ فِي الْهِنْدِ ، فَبَلَغَتْهُ أَنْبَاءُ عَنْ تَوَجُّهِ آلِ الدَّبَّاحِ السِّيَاسِيِّ ، فَكَتَبَ رِسَالَةً مِنَ الْهِنْدِ إِلَى عَمِّهِ السُّلْطَانِ عَمْرٍ بِالْمَكَلَّا أَيْلُغُهُ فِيهَا بِمَا نُمِّي إِلَيْهِ مِنْ أَخْبَارِهِمْ .

(٤) أَيُّ : الْوَزِيرُ الْمَذْكُورُ ؛ الَّذِي اسْتَمَرَّ فِي الْوِزَارَةِ إِلَى حُدُودِ سَنَةِ (١٣٤٩ هـ) .

خوَاراً^(١) - فسكتَ على مضضٍ ، حتَّى قدِمَ الفاضلُ السَّيِّدُ طاهرُ الدَّبَّاعُ^(٢) ، فعرفَ تهوُّرَ أصحابِهِ ففدَعَهُمْ^(٣) ، ولكنَّهُ بارحَ المُكَلَّأِ وشيكاً ، فعادتِ القضيَّةُ إلى أسوأ ممَّا كانت ، إلَّا أنَّ المسألةَ انحَلَّتْ بطبيعة الحالِ ؛ إذ سافرَ عليُّ الدَّبَّاعُ إلى جازانَ ؛ لتدبيرِ الثَّوْرَةِ ، ففرقَ هناك ، وكانَ آخِرَ العهدِ به^(٤) .

(١) الخوَّار : الضَّعيفُ الَّذِي لا بقاءَ له على الشَّدَّةِ .
(٢) السَّيِّدُ مُحَمَّدُ طاهر بن مسعود الدَّبَّاعُ ، ولد بالطَّائِفِ سنة (١٣٠٨ هـ) ، وتوفِّي بالقاهرة في شهر رجب سنة (١٣٧٨ هـ) . أرسله والده إلى مصر للدراسة بها . فدرس المرحلة الابتدائية ، ثمَّ عاد وأكمل تعليمه في رحاب المسجد الحرام على أيدي شيوخ العلم بمكَّة ، وكانت ملازمته لشيخه العلامة سيبويه الحجازي الشَّيخ مُحَمَّد علي المالكي . عيِّن مدرساً في مدرسة الفلاح سنة (١٣٣٠ هـ) ، ثمَّ مديراً لمالية جدَّة في عهد الشَّريف حسين بن عليٍّ ، وعند اضطراب جبل الأمن في الحجاز سنة (١٣٤٣ هـ) عيِّن أمين سرِّ الحزب الوطنيِّ الحجازيِّ وسكرتيراً له ، ولم يلبث أن غادر الحجاز بعدها إلى مصر واليمن وحضرموت ، ثمَّ إلى الهند وجاوة ، فسنگافورة سنة (١٣٥٠ هـ) ، وغادرها إلى عدن ومكث بها إلى أواخر (١٣٥٤ هـ) .

وفي سنة (١٣٥٥ هـ) عاد إلى بلاده ، ولقي إكراماً وعظفاً من الملك عبد العزيز آل سعود ، وعيِّن مديراً عاماً للمعارف في المملكة إلى سنة (١٣٦٤ هـ) . ثمَّ عيِّن عضواً في مجلس الشورى إلى عام (١٣٧٢ هـ) حيث طلب إحالته للتقاعد . ترجمته في : « سير وتراجم » (٢٨٢-٢٨٥) ، « من أعلام التربية والفكر في بلادنا » (٨٨-٥٣) ، « الدليل المشير » (٢١٢-٢١٤) ، « الانطلاقة التعليمية في المملكة » (١٩٧-٢٠١) .

(٣) قدَّعهم : أفحش القول فيهم .

(٤) لكنَّ شاعر الدولة القعيطية الشَّيخ عبد الله النَّأخبي ، وهو أحد معاونيهم في مدرسة الفلاح يقول عن نهاية آل الدَّبَّاع : إنَّه بعد أن أمر السُّلطان عمر بإغلاق المدرسة في أواخر الأربعينيات الهجرية - حوالي (١٣٤٨) أو (١٣٤٩ هـ) - توجه الأخوان عليٍّ وحسين آل الدَّبَّاع إلى عدن ، وفتحوا بها مدرسة سمَّوها مدرسة الفلاح أيضاً ، وأقاموا في عدن بضع سنوات - أربع أو خمس سنوات - وبعدها راحوا إلى لحج وفتحوا مدرسة أيضاً بها ، وأدخلوا الموسيقى في المدرسة . فكانت أوَّل فرقة موسيقية رسمية تكونت على أيديهم في بلاد لحج .

وعادوا إلى عدن في حدود (١٣٥٥ هـ) ، وحاولوا أن يكوِّنوا جيشاً لغزو الحجاز به ، وأعدُّوا عدَّة ليست بالقليلة ، وكانت خطتهم : أن يقوم حسين بالذهاب إلى يافع ليجلب الجنود ، ويذهب عليٌّ إلى الحبشة لشراء السِّلاح . ونفذت أوائل هذه الخطة ، وسار عليُّ الدَّبَّاع إلى الحبشة ليجلب الأسلحة ، لكنَّ منيَّته عاجلته . ففرق في زورق بقرب السَّواحل الحبشية ، وليس بالقرب من جيزان وأما حسين فسيذكر المؤلف خبره .

وَأَمَّا حَسِينٌ : فَلَمْ يَزَلْ مُصْرَعاً عَلَى رَأْيِهِ فِي الْإِنْتِقَامِ مِنَ الْحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ ، وَكَانَتْ خَاتَمَةُ أَمْرِهِ أَنْ نَزَلَ بِالْحَالِمِينَ^(١) مِنْ بِلَادِ يَافِعَ ، فَمَنْعَهُ^(٢) أَهْلُهَا أَلْ مُفْلِحَ^(٣) ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ ، ثُمَّ نَشِبَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ مِنْ يَافِعَ أَيْضاً فِتْنَةٌ ، وَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّهُ السَّبَبُ فِيهَا . . . اعْتَزَمُوا قَتْلَهُ ، فَغَدَرَ بِهِمْ فَهَرَبَ - كَمَا فَعَلَ الْكُمَيْتُ^(٤) - فِي زِيٍّ أَمْرَاءَ ، وَذَهَبَ إِلَى الْحَمْرَاءِ^(٥) فِي آخِرِ حَدُودِ يَافِعَ ، فَأَذْكَى شَرّاً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آلِ الْقُويَمِيِّ مِنْ الزَّيْدِيَّةِ^(٦) ، وَكَثُرَتْ بَيْنَهُمْ الْقَتْلَى . . . وَلَمَّا أَحْسَنَ بِالْفُشْلِ^(٧) . . . هَرَبَ إِلَى . . .

(١) الحالمين : في بلاد رَذْفَانَ ، وهي من أعمال محافظة لحج ، وهي منطقة أثرية ، عُثِرَ بِهَا سَنَةَ (١٩٩٩م) عَلَى قِطْعٍ أَثَرِيَّةٍ تَعُودُ إِلَى عَهْدِ سَبَا وَحَمِيرَ .

(٢) أَي : حَمَوْهُ مِنْ أَعْدَائِهِ وَكَانُوا ظَهْرَ آلِهِ .

(٣) النِّسْبَةُ إِلَيْهِمْ : مُفْلِحِي ، وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ فِي يَافِعَ الْعَلِيَا ، وَيُطْلَقُ اسْمُهَا عَلَى مَرْكَزٍ إِدَارِيٍّ تَابِعٍ لِمَدِيرِيَّةِ يَافِعَ .

(٤) كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ قَدْ حَبَسَ الْكُمَيْتَ بَعْدَ أَنْ قَالَ فِيهِ :
وَإِنِّي وَتَمْدَاحِي يَزِيدُ وَخَالِدُ ضَلَالاً لَكَ الْخَادِي وَلَيْسَ لَهُ إِنْ بُلُ
فَكَانَتْ أَمْرَاتُهُ تَدْخُلُ عَلَيْهِ . . . حَتَّى عَرَفَ أَهْلَ السُّجْنِ وَبَوَابَهُ ثِيَابَهَا وَهَيْئَتَهَا ، وَلَمَّا عَلِمَ بِأَنَّهُ سَيُقْتَلُ بِالسُّجْنِ . . . أَرْسَلَ إِلَيْهَا بِأَمْرٍ بِأَن تَجِيَّهُ وَمَعَهَا ثِيَابٌ مِنْ لِبَاسِهَا ، وَخُفَّانَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَنِي لِبْسَةُ الْنِسَاءِ ، فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ : أَقْبِلْ . . . فَأَقْبَلَ ، وَأَدْبَرَ . . . فَأَدْبَرَ ، فَقَالَتْ : مَا أَرَى إِلَّا يَسَافاً فِي مَنْكَبِكَ ، إِذْ هَبَ فِي حِفْظِ اللَّهِ .

فَخَرَجَ ، فَظَنَّ السُّجَّانَ أَنَّهُ الْهَرَاءُ ، فَلَمْ يَتَعَرَّضْ لَهُ ، فَجَاءَ وَأَنشَأَ يَقُولُ :
خَرَجْتُ خُرُوجَ الْقِدْحِ قِدْحِ ابْنِ مُقْبِلٍ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ تِلْكَ النَّوَابِغِ وَالْمُشْلِيِّ
عَلَيَّ ثِيَابُ الْفَانِيَاتِ وَتَحْتَهَا عَزِيمَةُ أَمْرِ أَشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّضْلِ
وَلِلْقَصَّةِ ذِيُولٌ وَأَسْبَابٌ غَيْرُ مَا ذُكِرَ فَرَاغَهَا - إِنْ شِئْتَ - فِي « طَبَقَاتِ فَحُولِ الشُّعْرَاءِ »
(٣١٩/٢) ، وَدِ الْأَغَانِي « (٢٠/١٧) . وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

(٥) وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ لَحْجَ ، وَإِلَيْهَا يَنْسَبُ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عُمَرُ صَاحِبُ الْحَمْرَاءِ ابْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٨٨٩هـ) .

(٦) هُمْ مِنْ يَافِعَ ، وَلَيْسُوا مِنَ الزَّيْدِيَّةِ ، كَمَا يَقُولُ الْعَلَامَةُ النَّاخِيَّةُ الْيَافِعِيُّ . وَهُوَ أَذْرَى بِهِمْ .

(٧) فِي سَرْدِ مِثْلِهِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي أَوْرَدَهَا الْمَصْنُفُ بَعْضُ خَلَطٍ كَمَا يَقُولُ الشَّيْخُ النَّاخِيَّةُ ؛ إِذْ إِنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ : أَنَّ حُسَيْنَا الدَّبَّاعَ ذَهَبَ إِلَى يَافِعَ لِيَعْدَّ عَدَّتَهُ ، وَيَجْلِبَ مِنْهَا رِجَالاً يَكُونُونَ سِنْدَ لَهُ فِي تَنْفِيزِ خَطَطِهِ الْهَجُومِيَّةِ ، الَّتِي سَبَقَ ذِكْرُهَا فِي كَلَامِ الْمَصْنُفِ - قَبْلَ أَنْ يَجْلِبَهُمُ السُّلْطَانُ عُمَرُ مِنَ الْمَكَلَّا إِلَى عَدَنَ - وَمَا الْفِتْنَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمَصْنُفُ هُنَا إِلَّا فِتْنَةُ نَشِبَتْ بَيْنَ يَافِعَ وَالْإِمَامِ يَحْيَى ؛ إِذْ إِنَّ حُسَيْنَا الدَّبَّاعَ لَمْ يَزَلْ =

الْقُطَيْبِ^(١) - وهي إحدى المحميات - فألفى هناك ضابطاً إنكليزياً ، فأغرى به بدوياً فقتله بجعل دفعه له ، فطلبته حكومة عدن ، بهذه التهمة فحماه حسن بن علي القطيبي ، وأبى أن يخيس بجواره وذمته ، وبعد أن أقام لديه مدة . . خطر له أن يخرج متنكراً إلى حضرموت ، وكانت الحكومة الإنكليزية جعلت أربعة آلاف^(٢) ربيّة لمن يلقي القبض عليه ، فلما أنهى إلى أرباض الهجرين . . أمسك به عاملها - وهو الشيخ محمد بن عوض النقيب ، وكان أحد تلاميذه بمدرسة النجاش^(٣) بالمكلا - وهناك أخذه الضابط السياسي انجراس^(٤) وهو يصيح ويستثير حفاظ المسلمين ، وقد حضر كثير فلم يتحرك من أحد عرق .

ولما وصلوا به إلى عدن . . طلبه ملك الحجاز^(٥) ، وأمر بإنزاله مكرماً في جيزان ، وأعلن له عاملها عفو الملك عنه ، وأنه حرّ في نفسه تحت حراسة عسكري بمثابة خدم له ، حتى يعرف سلوكه .

= يتوغل في بلاد يافع حتى وصل إلى حدود مملكة الإمام يحيى ، وكانت معركة بسبب تحرّشات جرت بين الفريقين ، كانت نهايتها هزيمة يافع وفرار حسين الدباغ إلى حضرموت عبر السواحل كما سيقص المصنف .

- (١) قرية تقع بالقرب من بلدة السواط في وادي ميفعة من أعمال محافظة شبوة .
- (٢) الذي يحفظه الشيخ الناجي : أنها خمسة آلاف رويّة .
- (٣) بل هي « مدرسة الفلاح » . . ولعلّ هذا سبق قلم .
- (٤) انجراس ؛ اسمه : هارولد وليم انجراس ، بريطاني ، ولد سنة (١٨٩٧ م) ، شارك كجندي في أحداث الحرب العالمية الأولى ، نال ترقية إلى رتبة ملازم أول عام (١٩١٤ م) ، ابتعثته بريطانيا إلى زنجبار كمساعد لحاكمها سنة (١٩١٩ م) ، زار حضرموت لأول مرة كسائح عام (١٩٣٤ م) ، وكان حينها ضابطاً سياسياً في عدن . ثم صار مستشاراً مقيماً في المكلا سنة (١٩٣٧ م) ، وغادر حضرموت سنة (١٩٤٤ م) ، وخلفه مستشارون آخرون . ومات في بريطانيا ، وكان له ولزوجته (دورين) أعمال خيرية في حضرموت . . ينظر : « مذكرات انجراس » واسمها (Arabic And The Isles) .
- الصادرة عن (John Marry - 1966 London) ، ومذكرات زوجته دورين المسماة : (A time in Arabia) الصادرة عن نفس الدار سنة (١٩٧٠ م) ، و « حياة السيد الزعيم » ومقدمة « ديوان شاعر الدولة » الشيخ عبد الله الناجي .
- (٥) بل كان يلقب آنذاك : ملك نجد والحجاز وملحقاتها ، وهو الملك عبد العزيز آل سعود ، رحمه الله ، الذي صار لقبه فيما بعد : ملك المملكة العربية السعودية .

فَلَمْ يَزَلْ يُخَاطَبُ رُؤَسَاءَ الْعَشَائِرِ ، وَيَعْمَلُ أَعْمَالاً لَا تَنْطَبِقُ مَعَ الْمَنْطِقِ ، وَكَانَ ذَلِكَ
إِثْرَ مَرَضٍ لَمْ يَزَلْ يَتَزَايَدُ بِهِ حَتَّى تَوَفَّى وَهُوَ مَشْمُولٌ بِإِكْرَامِ الْحُكُومَةِ السُّعُودِيَّةِ
وَسَمَاحِهَا .

فَمِنْ حِينَ فَتَحَ آلَ الدَّبَّاحِ الْمَدَارِسَ . . . بَدَأَتْ الْمَعَارِفُ تَتَقَدَّمُ بِخَطَى قَصِيرَةٍ ، حَتَّى
لَقَدْ عَنَيْتُ مَدَارِسَ الْمَكْلَأَ بِمَا ذَكَرْتُهُ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِي « الْنَّجْمُ الْمُضِي فِي نَقْدِ عُبُقَرِيَّةِ
الرَّضِيِّ » .

إِلَّا أَنَّ السُّلْطَانَ الْحَالِيَّ^(١) لَمَّا كَانَ مِنْ جَمَلَةِ الْعُلَمَاءِ . . أَخَذَ يُنَاصِرُ الْمَدَارِسَ ،
وَأَغْدَقَ عَلَيْهَا الْأَمْوَالَ ، حَتَّى لَقَدْ قِيلَ لِي : إِنَّ مَا يَنْفَقُهُ عَلَيْهَا سَنَوِيّاً أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ مِثَّةِ
أَلْفِ رُبِيَّةٍ ، عِبَارَةً عَمَّا يَقَارِبُ رُبْعَ إِيرَادِ الْمَكْلَأَ . وَقَدْ اسْتَجَلَبَ لَهَا نَاضِراً^(٢) خَبيراً
مُحَنِّكاً مِنَ السُّودَانِ ، هُوَ الْفَاضِلُ الشَّيْخُ سَعِيدُ الْقَدَالِ^(٣) ، فَأَدَارَهَا أَحْسَنَ إِدَارَةٍ ،
وَوَظَّهَرَ الْأَثَرُ وَيَنَعُ الثَّمَرُ . فَالْمَكْلَأُ بَلَّ وَسَائِرُ الْمَوَانِيءِ الْيَوْمَ فِي الْمَعَارِفِ غَيْرُهَا
بِالْأَمْسِ .

إِلَّا أَنَّنِي اقْتَرَحْتُ عَلَى السُّلْطَانِ يَوْمَ كَانَ بِمَنْزِلِي فِي سَنَةِ (١٣٦٥ هـ) أَنْ يَهْتَمَّ بِإِيجَادِ

(١) وَهُوَ السُّلْطَانُ الْعَالِمُ الْفَقِيهُ صَالِحُ بْنُ غَالِبِ بْنِ عَوْضِ الْقَعِيظِيِّ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٧٥ هـ) .
(٢) النَّاضِرُ : لُغَةً : الَّذِي يَحْفَظُ الشَّيْءَ ، وَفِي الْأَصْطِلَاحِ : وَظِيفَةُ اسْتَحْدَثَتْ فِي الْعَصْرِ الْأَيُّوبِيِّ ،
وَأَسْتَمَرَّتْ بِالَّذِي بَعْدَهُ ، عُدَّ صَاحِبَهَا مِنْ أَرْبَابِ الْوُظَائِفِ الدِّيْنِيَّةِ ، وَالنَّظَارُ وَفْقَ هَذَا الْمَعْنَى كَثِيرُونَ ،
مِنْهُمْ : نَاضِرُ الْأَشْرَافِ : وَهُوَ عَادَةً مَمَّنْ يَنْتَهِي نَسَبُهُ بِأَهْلِ الْبَيْتِ ، وَإِلَيْهِ رِئَاسَةُ الْأَشْرَافِ . نَاضِرُ
الْحِسْبَةِ : مِهْمَتُهُ التَّحَدُّثُ عَنْ أَرْبَابِ الْمَعَاشِ ، كَبِيراً أَوْ صَغِيراً . نَاضِرُ الْأَحْبَاسِ : مِهْمَتُهُ النَّظَرُ بِشُؤْنِ
الْأَوْقَافِ . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْآخَرَى . ثُمَّ تَطَوَّرَ هَذَا الْأَصْطِلَاحُ لِيَصْبِحَ فِي الْعَصْرِ الْعُثْمَانِيِّ إِلَى
زَمَنِ الْمَوْلَفِ مَنْسُوباً إِلَى (نِظَارَةٍ) بِمَعْنَى (وَزَارَةٍ) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) اسْمُهُ : الْقَدَالُ سَعِيدُ الْقَدَالِ ، وَلَدَ بِالسُّودَانِ سَنَةَ (١٣٢٣ هـ) ، كَانَ قُدُومُهُ إِلَى الْمَكْلَأِ سَنَةَ (١٣٥٩)
أَوْ (١٣٦٠ هـ) ، مُشْرِفاً عَلَى مَعَارِفِ الدَّوْلَةِ بِالْمَكْلَأِ ، بِإِعَازٍ مِنَ الْمُسْتَرِ انْجِرَامَسْ ، وَأَوَّلَ عَمَلٍ قَامَ بِهِ
الْقَدَالُ هُوَ تَأْسِيسُ (مَكْتَبِ إِدَارَةِ الْمَعَارِفِ) ، الَّذِي عُرِفَ فِيمَا بَعْدَ بِـ (نِظَارَةِ الْمَعَارِفِ) ، وَعِينَ فِيهِ
النَّاحِيَّةُ وَبِاعْتِقَادِهِ ، وَغَيْرُهُمَا ، ثُمَّ صَارَ الْقَدَالُ نَاضِراً لِعُمُومِ مَعَارِفِ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ رَفَّاهُ السُّلْطَانُ إِلَى مَرْتَبَةِ
سَكْرَتِيرِ الدَّوْلَةِ . . فَضُجَّ عَلَيْهِ الشَّعْبُ ، وَصَارَ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ : (حَادِثَةُ الْقَصْرِ) الشَّهِيرَةِ سَنَةَ (١٣٧٠)
هـ . ثُمَّ غَادَرَ الْقَدَالُ الْبِلَادَ عَقِبَ وَفَاةِ السُّلْطَانِ صَالِحِ . . وَتَوَفَّى فِي السُّودَانِ سَنَةَ (١٣٩٥ هـ) .
كُتِبَ عَنْهُ كِتَاباً كَامِلاً ابْنَهُ د . مُحَمَّدُ سَعِيدُ ، الْأَسْتَاذُ بِجَامِعَةِ عَدَنَ ، صَدَرَ مِنْ سَنَوَاتٍ عَنْ جَامِعَةِ عَدَنَ .

مدرسة تحضيرية لتربية التلاميذ على الأخلاق الفاضلة ؛ فإنَّ الهمم قد سقطت ،
والذمم قد خربت ، ولن تعود سيرتها الأولى إلا بمدرسة تأخذ بطريق التربية الصوفية ،
أو قريب منها ، مع الابتعاد عن الخلطة^(١) ؛ لأنَّ أكبر المؤثرات على الصبيان
المشاهدة ، فلن ينفعهم ما يسمعون إذا خالفه ما ينظرون ؛ إذ المنظور لا ينمحي من
الذاكرة ، بخلاف المسموع . . فإنه لا يبقى إلا عند صدق التوجه ، فلا مطمع في
إصلاح نشء مع اختلاطه بمن لا تحمد سيرته البتة ؛ ولذا لم يكن لبني إسرائيل علاج
من أمراضهم الأخلاقية إلا بإهلاك الجيل الفاسد في التيه ، وتكوين ناشئة لم تتأثر
بهم .

وفي « الصحيح » [خ١٣١٩] : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ ، أَوْ
يُنَصْرَانِهِ ، أَوْ يُمَجَّسَانِهِ » .

فنحن بحاجة ماسة إلى إيجاد البشرية الصحيحة قبل العالمية ، ومعلوم أنَّ التخلية
مقدمة على التخلية ، والتلاميذ ظلُّ آبائهم وأمهاتهم ومعلميهم ، إن خيراً . . فخير ،
وإن شراً . . فشر ، وكثيراً ما أذكرُ المعلمين بخاتمة قصيدة جزلة لي في الموضوع ،
وتلك الخاتمة هي قلبي [في « ديوان المؤلف » ٢٠٧ من البسيط] :

وَقُوا الْكَلَامَ وَكُونُوا فِي الذَّمِّ وَفِي خَوْفِ الْمَلَامِ عَلَى مَا كَانَتْ الْعَرَبُ
ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي تَصَوُّرٌ لِمَنَاحِي التَّعْلِيمِ وَأَخْلَاقِ الطُّلَّابِ وَالْمُدْرِسِينَ
بِالسَّاحِلِ . . حَتَّى يَسُوغَ لِي الْحَكْمُ ؛ فَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ ثَنَائِي مَا ظَهَرَ مِنْ جَمَالِ الْأُسْلُوبِ ،
وَحَرَكَةِ الْأَنْقِلَابِ ، وَعُمُومِ التَّقْيِظِ وَالْإِتْبَاهِ ، وَإِجَادَةِ بَعْضِهِمْ فِي الشَّعْرِ حَتَّى يَسُوغَ لِي
الْحَكْمُ .

وفي المُكَلَّأ : ديوان للحكومة ، وإدارة للكهرباء ووزارة للمالية ، وليسَ للسلطان
إلا مرتبٌ مخصوصٌ قدره عشرة آلاف ربيية في الشهر ، ثمَّ رُفِعَ إِلَى خَمْسَةِ عَشَرَ أَلْفَ
رَبِيَّةٍ ، مع إضافاتٍ معينة لا يتجاوزها .

(١) مراد المصنّف هنا بالخلطة : مخالطة الأضداد ، ويقصدُ بهم : ذوي الطباع السيئة والأخلاق الرذيلة ،
المضادة للطباع السليمة والأخلاق القويمة .

وفيها غرفة تجارية تراعي أغراض التجار وتقدمها على مصالح الشعب .

وفيها إدارة للقضاء ، ومجلس عالٍ ، لكن ذلك المجلس العالِي هو أكبر حجار العِثار في طريق العدالة!!

فالحقوق مهضومة ، والحقايق مكتومة ، وطالما رُفِعَتْ إِلَيَّ أحكام ذلك المجلس . . فإذا بها شرٌّ ممَّا نتألمُ منه بسيتون ؛ وذلك أَنَّ وزيرَ الدَّولة الَّذِي يقولون له : (السكرتير) - وهو الشَّيخُ سيفُ أبو علي - جعلَ كلمةَ ذلك المجلس النهائيَّة لا معقَّبَ لها بحالٍ ، فسقطت عنه مُؤنَّة التَّحَقُّظِ ، ولمَ يَحْتَجْ إلى مراجعة الكتب ؛ إذ هو في أمانٍ مِنَ النَّقْصِ ، والشَّعبُ مَيِّتٌ ، والخاصَّةُ نفعيُّون يتساکتون .

وإلا . . فلَوِ احتجُّوا لدى السُّلطان . . لَعَدَلَ الأمرُ ؛ لأنَّه يكره الجورَ .

أما الآن . . فإنَّ المجلسَ يفعلُ ما يشاء بدونِ رقيبٍ ؛ فبعدَ أَنْ يُنْشَقَّ الخصومُ إنشاقَ الخردلِ . . يصكُّهم^(١) بتلك الأحكام - المضحكة المبكية - صكَّ الجندل^(٢) .

وللهِ درُّ العَبسيِّ في قوله [في « البيان والتبيين » ١٦٤/١ من البسيط] :

إِنَّ الْمُحَكَّمَ مَا لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَبًا أَوْ يَزْهَبِ السَّيْفَ أَوْ حَدَّ الْقَنَّا . . جَنَفًا

ودفاترُ التَّسْجِيلِ شاهدةٌ بصدقِ ما أقولُ ، لا تخفى على مَنْ لَهُ أدنى إلمامٍ بالفقه .

وفي الحفظِ عن « جمع الجوامع » : (أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ أَنْ قِيلَ لِنَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ : أَحْكُمْ بِمَا شِئْتَ فِيهِ الصَّوَابُ ، وَإِنَّمَا الْأَخْتِلَافُ فِي الْجَوَازِ)^(٣) .

(١) يصكُّهم : يضربهم .

(٢) الجندل : الحجارة .

(٣) ما عناه المصنَّفُ صحيح ، ونصُّ عبارة « جمع الجوامع » : (مسألة : يجوز أن يقال لنبيٍّ أو عالم : احكم بما تشاء فهو صواب . ويكون مدركاً شرعياً ، ويسمَّى التَّفْوِيضُ . وتردَّد الشَّافعيُّ ، قيل : في الجواز ، وقيل : في الوقوع . وقال ابن السَّمْعانيُّ : يجوز للنبيِّ دون العالم . ثمَّ المختار : لم يقع)^{١٨١} -

فالمشهور على عدم الوقوع مطلقاً ، وخالفهم موسى بن عمران من المعتزلة فقال بالوقوع ؛ مستنداً =

غَيْرَ أَنَّ الْحَفَظَ يَخُونُ ، وَالْعَهْدَ بَعِيدٌ .

ومثله عند غيره من أهل الأصول ، وقد قال تعالى لأشرف الخلق : ﴿ أَتَبِعَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ وقال لداود عليه السلام : ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

فإن قيل : إن في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ تفويضاً مطلقاً . قيل : لا ، وإنما هو بما أراه الله من الحق ، كما يشهد السياق ، وقد جاء في « الثَّحْفَةِ » [٩٨/٧] قبيل (الوديعه) ما نصّه : (قال بعضهم : وفيما إذا فوّضَ للوصي التفرقة بحسب ما يراه . . يلزمه تفضيل أهل الحاجة . . إلخ) .

على اتساع شقّة الفرق بين ما تراه وبين ما أراك الله ، وقد روي عن عمر رضي الله عنه : لا يقولنّ أحدكم : قضيتُ بما أراني الله ؛ فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبية صلى الله عليه وآله وسلم . ولكن ليجهتد رأيّه ؛ لأنّ الرأي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مصيباً ؛ لأنّ الله كان يُريه إياه ، وهو منّا الظنُّ والتكلفُ . ثمّ ما أبعد البون بين ما تراه الأدنى ممّا أراك الله - كما تقدّم - وبين ما تشاء في الآية (٤٨) من (المائدة) : ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ وفي آتي بعدها : ﴿ وَأَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرُهُمْ أَنْ يَقْتُلُواكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ .

ولكنّ المجلسَ العاليَ بالمكلاً وقع من وزير الدولة على ما لم تحصل عليه الأنبياء

= إلى حديث السّواك ، وإيجاب الحج : « لو قلت نعم . . لوجبت » ، ورد عليه الجمهور بعدم دلالة ذلك على المدعى ، لجواز التّخيير أو الوحي . . « شرح الجمع » (٣٩١-٣٩٢) ، مع حاشية البناني .

ومعنى : (ففيه الصّواب) أو (فهو صواب) كما هو النصّ : أي موافق للحكم الإلهي ، قال البناني : فهو صواب . . من جملة المقول للنبي أو العالم . . وحاصل ذلك : أن يجعل الله تعالى مشيئة المقول له ذلك دليلاً على حكمه في الواقع ، بأن لا يلهمه إلا مشيئة ما هو حكمه في الواقع . اهـ

مِنْ رَبِّهَا ، فَصَارَتْ أَحْكَامُهُ شَرّاً مِنْ الْأَحْكَامِ الْعُرْفِيَّةِ ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ إِلَّا عِبَارَةً عَنْ مَشِيئَةِ وَهْوَى الْأَسْتِنَافِ ، بَلْ رُئِيسِهِ فَقَطْ ، مِنْ دُونِ تَقْيِيدِ بَقَانُونِ شَرْعِيٍّ وَلَا عُرْفِيٍّ ، وَإِنَّمَا قَلْنَا شَرّاً مِنْ الْحَكَمِ الْعُرْفِيِّ ؛ لِأَنَّ الْحَاكِمَ الْعُرْفِيَّ بِمَصْرٍ وَغَيْرِهَا يَكُونُ تَحْتَ مِرَاقَبَةِ الْبِرْلَمَانِ ، بِخِلَافِ هَذَا . فَلَا مِرَاقَبَةَ عَلَيْهِ أَصلاً ، وَهَلْ تَقْبَلُ هَذَا أُمَّةٌ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهَا نَبْضٌ مِنَ الْحَيَاةِ!!؟ كَلَّا ، وَلَكِنْ أَلْمَتْنِي يَقُولُ [فِي « الْعَكْبَرِيِّ » ٩٤/٤ مِنْ الْخَفِيفِ] :

مَنْ يَهْنُ يَسْهَلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لِيُجْرَحَ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ
هَذَا مَعَ أَنَّ هَوَى السُّلْطَانِ - كَمَا سَبَقَ - الْعَدْلُ ، وَغَايَةُ مَا يَتِمَنَّاهُ الْإِنصَافُ ، لَكِنَّ
الْأُمَّةَ أَتَهَتْ إِلَى ذَلِكَ أَلْحَدٌ مِنَ السُّقُوطِ وَالْإِنْحِطَاطِ . . فَسَحَقاً ، سَحَقاً .

وَسَيَأْتِي فِي الظَّاهِرَةِ مِنْ أَرْضِ الْكُسْرِ مَا يَسْتَخْرِجُ عِنْدَ التَّمَثِيلِ الْعَجَبَ الْعَجَابَ ،
وَيَسْتَلْفِتُ أَنْظَارَ طَالِبِي الْحَقِيقَةِ فِي هَذَا الْبَابِ .

وَسَكَّانُ الْمُكَلَّا الْيَوْمَ يَزِيدُونَ عَنْ خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ أَلْفاً .

وَفِيهَا عِدَّةُ مَسَاجِدَ ، أَشْهَرُهَا :

الْجَامِعُ الْقَدِيمُ^(١) . وَمَسْجِدُ الرُّوضَةِ : بَنَاهُ صَاحِبُ الْأَحْوَالِ الْغُرَبِيَّةِ ، السَّيِّدُ عُمَرُ -
الْمَشْهُورُ بِبُعَاةٍ - أَبْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَيْخِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ أَبْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ،
الْمُتَوَفَّى فِي شِبَامِ سَنَةِ (١٢٧٨ هـ)^(٢) ، وَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ بِنَاءَهُ بِشَطِّ الْبَحْرِ مُحْتَجاً
بِمَا جَاءَ فِي رِسَالَةِ السُّيُوطِيِّ فِي الْمَوْضُوعِ ، وَهِيَ مَدْرَجَةٌ بـ « الْحَاوِي »^(٣) . وَجَامِعُ
السُّلْطَانِ عُمَرَ^(٤) : وَهُوَ أَنْزَعُ مَسْجِدٍ رَأَيْتُ .

(١) وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِجَامِعِ الْبِلَادِ ، وَتَعْرِفُ الْمَنْطَقَةَ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا بِحَافَةِ الْبِلَادِ ، وَهُوَ مَسْجِدٌ قَدِيمٌ يَعُودُ بِنَاؤُهُ إِلَى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْهَجْرِيِّ كَمَا قِيلَ لِي .

(٢) وَفِي بَعْضِ الْمَصَادِرَ : أَنَّ وَفَاتِهِ سَنَةُ (١٢٧٩ هـ) فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ ، وَمَسْجِدُ الرُّوضَةِ بُنِيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٢٥٠ هـ) .

(٣) وَاسْمُ الرِّسَالَةِ : « الْجَهْرُ بِمَنْعِ الْبُرُوزِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ » ، انْظُرْ « الْحَاوِي لِلْفَتَاوِي » (١/١٣٣) .

(٤) بَنَى مَسْجِدَ السُّلْطَانِ عُمَرَ سَنَةَ (١٣٤٩ هـ) تَقْرِيباً ، كَمَا يَقُولُ الْعَلَامَةُ النَّاخِبِيُّ ، وَكَانَ قَدْ حَضَرَ بِنَاءَهُ ، وَكَانَ مَوْضِعُهُ مَبْرَكَاً لِلْجَمَالِ عَلَى أَكْمَةِ صَغِيرَةٍ .

ومسجد النور^(١) . ومسجد باخليوة . ومسجد السلطان غالب بن عوض^(٢) .
وغيرها^(٣) .

وبها كانت وفاة العلامة الجليل الصادق بالحق ، الناطق بالصدق ، السيد شيخان بن علي بن هاشم السقف^(٤) العلوي ، وكان رباؤه بالغرفة ، ثم تنقل في أقرى ، ثم سار إلى جاوة ، ثم عاد إلى الوهط ولحج ، وكان له جاء عند سلاطينها عظيم ، ثم عاد إلى الشحر ، وجرت بينه وبين السيد عبد الله عديد^(٥) أمور ، ثم سار إلى المكلا ، وبها توفي سنة (١٣١٣ هـ) ، وعليه قبة صغيرة لا يزال أبنائه في شجار بشأنها ؛ إذ كان علوي يحمل صكاً بشرائها ، وعمر يدعي تسبيلها .

وترك أولاداً: أحدهم: محمد^(٦) بلخج . والثاني : جعفر^(٧) ، وهو حافظ للقرآن ، مشهور بالصلاح ، بسرбая من أرض جاوة . والثالث : عبد الله^(٨) كان خفيف الظل ، مقبولا ، راوية لأخبار من اتصل بهم من الرجال ، وفيهم كثرة . والرابع : - وهو أكبرهم - : علوي^(٩) ،

(١) ويقع إلى جانبه رباط النور ، بناء بعض فضلاء المكلا .

(٢) وهو المعروف بالغالي .

(٣) وقد بنيت في المكلا بعد عصر المؤلف مساجد كثيرة ، من أكبرها : (جامع الإمام الشافعي) ، و (جامع الشرح) ، و (جامع الشهداء) ، و (جامع خالد بن الوليد) ، والأخيران في الدير .

(٤) وكان مولده سنة (١٢٤٨ هـ) ، أخذ عن جمع من علماء حضرموت الداخل ، ومن أجلهم الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر .

(٥) هو السيد عبد الله بن سالم عديد ، من أهل الشحر ، توفي سنة (١٣٠٦ هـ) ، ترجم له في « نشر النفعات » (٣٢٦/١ - ٣٣٠) .

(٦) محمد هذا . تربيه الثالث بين الأبناء ، وكان قد توطن مدة بلخج ، ثم انتقل إلى دار سعد ، وبها توفي ، وأخواله من العوالق .

(٧) جعفر بن شيخان ، ولد بالمكلا ، ثم هاجر صغيراً إلى جاوة ، وكان يرسل أولاده إلى حضرموت ليريهم عنهم علوي بن شيخان .

(٨) توفي بالمكلا قبل أخيه علوي ، وهو شقيقه .

(٩) علوي بن شيخان ، أكبر أبناء السيد شيخان ، شقيق عبد الله المتقدم ، أمهما من آل باعباد ، كان عالماً جليلاً زاهداً مهاباً ، كان إذا دعاه السيد الوزير حسين بن حامد . أنه ، ولم يأكل ولم يشرب شيئاً من ضيافته ، وجاءه مرة السلطان عمر بن عوض القعيطي فكلّمه من سطح داره ولم يخرج إليه ، فعاد السلطان بعد أن تصبّب عرقاً ، توفي بالمكلا عن عمر ناهز التسعين في حدود عام (١٣٧٠ هـ) . وهو =

بِالْمَكَلَّاءِ ، وَلَهُ أَوْلَادٌ^(١) فَتَحَوْا بِهَا مَدْرَسَةً أَهْلِيَّةً مِنْ عَشْرِ سِنَوَاتٍ . وَالْخَامِسُ : عُمَرُ ، وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ ، بِالْمَكَلَّاءِ أَيْضاً^(٢) .

وَلَيْتَنِي قَلَّ الْعِلْمُ بِالْمَكَلَّاءِ فِي الْأَزْمَنَةِ السَّابِقَةِ . . فَقَدْ كَانَتْ مَلَأَتْ بِفَحُولِ الرِّجَالِ .

وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي الثَّقَةُ أَنَّ وَسْطَ الْبَقْعَةِ - الْمَسْمَاةِ بِالْحَارَةِ مِنْهَا - كَانَ مُزْدَانًا^(٣) - فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٢٨ هـ) - بِرِجَالٍ لَمْ تَعُوضْ عَنْهُمْ ؛ كَالسَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ ، وَأَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَسَعِيدِ وَأَحْمَدَ وَعُوضِ آلِ بُوَسْبَعَةَ ، وَعَلِيِّ بِامْخِتَارٍ وَأَوْلَادِهِ ، وَآلِ زِيَادٍ مِنْ يَافِعٍ ، وَسَعِيدِ بَاعَمَرٍ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْضٍ بِاحْشَوَانَ وَعُوضِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ ثَعْلَبِ السَّابِقِ ذِكْرُهُمَا ، وَعُمَرُ وَأَحْمَدُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ آلُ لَعَجَمِ^(٤) ، وَعَقِيلُ بْنُ عَوْضِ بِلَرِييَعَةَ الشَّبَامِيِّينَ ، وَبُوبَكِرٍ وَعَبْدُ الصَّمَدِ وَعَبْدُ الْكَرِيمِ آلُ بَقْلَحَ ، وَسَالِمُ عُمَرَ وَعُوضِ عُمَرَ آلِ قَيْسَانَ ، وَالشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عِبَادَ ، وَأَبْنِ عَمِّهِ الشَّيْخِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عِبَادَ ، وَأَحْمَدَ وَمُحَمَّدَ وَسَعِيدَ آلِ مُسْلَمِ الْغُرْفَتَيْنِ ، وَعُمَرُ الْجُرُودِ ، وَوَلَدِيهِ : عَبْدُ اللَّهِ وَعَلِيُّ ، وَسَالِمُ وَسَعِيدُ آلِ بَشِيرٍ هَؤُلَاءِ مِنْ خَلْعِ رَاشِدٍ ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بَارِحِيمَ ، وَآلِ غَزْيٍ ، وَآلِ غَرِيبٍ ، وَغَيْرِهِمْ .

فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ نَقْطَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْحَارَةِ - دَعَا مَا سِوَاهَا - كَانَتْ أَلْعْيُونُ بِقُرْبِهِمْ تَقَرُّ ، وَالنَّفُوسُ بِجَوَارِهِمْ تَسْتَبْشِرُ ، فَتَوَاتَرَ نَعِيُّهُمْ ، وَأَشْتَدَّتِ الْوَاعِيَةُ^(٥) بِهِمْ .

= أَحَدُ شُيُوخِ الْعَلَمَةِ النَّاخِيَّةِ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) إِنَّمَا هُمَا وَلَدَانِ ، وَهُمَا السَّيِّدَانِ : مُحَمَّدٌ وَمُحْسَنٌ ، وَهَذِهِ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُصَنِّفُ سَمَّيَاهَا : (الْمَدْرَسَةُ الْهَاشِمِيَّةُ) ، قَامَتْ عَلَى أَنْقَاضِ (مَدْرَسَةِ الْفَلَاحِ) الَّتِي تَقَدَّمَ ذَكَرَهَا . وَكَانَ قِيَامُ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ فِي حُدُودِ (١٣٦٠ هـ) .

(٢) تَنْمَّةٌ : وَمِنْ أَوْلَادِ الْحَبِيبِ شَيْخَانِ مِمَّنْ لَمْ يَذْكُرْهُمُ الْمُصَنِّفُ : عَلِيُّ بْنُ شَيْخَانَ ، وَلَدُ بَقْرَسِيِّ بِجَاوَةَ ، وَعَاشٌ وَنُوفِيٌّ بِهَا . وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ شَيْخَانَ ، تُوْفِيَ بِشُقْرَةٍ ، أُمُّهُ مِنْ آلِ الْفَضْلِيِّ .

(٣) مُزْدَانًا : مُزَيْنًا .

(٤) آلُ لَعَجَمِ فَرْعٌ مِنْ أَسْرَةِ آلِ بَازِيبٍ ، مِنْ شَبَامٍ .

(٥) الْوَاعِيَةُ : الصُّرَاخُ عَلَى الْمَيِّتِ .

فَلَوْ قِيلَ هَاتُوا فِيكُمْ الْيَوْمَ مِثْلَهُمْ لَعَزَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تَجِئُوا بِوَاحِدٍ^(١)

وفي غربي المَكَلَّا قرية يُقال لها : شرجُ باسم^(٢) ، وفي شمالها إلى الغرب بستانٌ مسوَّرٌ يُسمَّى (القرية) ، وذلك أَنَّ كثيراً مِنَ الْأَيَّامِ نَجَعُوا مِنَ الْمُنَاطِقَةِ الْكَثِيرَةِ بِحَضْرَمَوْتَ فِي أَيَّامِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي أَبْتَدَأَتْ مِنْ سَنَةِ (١٣٦٠ هـ) إِلَى الْمَكَلَّا ، فَأَدْرَكَهُمْ عَطْفُ السُّلْطَانِ ، وَتَصَدَّقَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الْبَسْتَانِ ، وَبَنَوْا لَهُمْ فِيهِ بَنَائِتٍ تُؤْوِيهِمْ ، فَأَنْقَذُوهُمْ مِنَ الْمَجَاعَةِ ، وَعَلِّمُوهُمْ مِنَ الْجِهَالَةِ ، وَقَدْ نَيْفَ عَدَدُهُمْ عَلَى الْمِثْنَيْنِ وَالْخَمْسِينَ ، وَلَكِنَّ كُلَّ مَنْ أَشْتَدَّ سَاعِدُهُ ، وَعَرَفَ أَهْلُهُ . رَجَعَ إِلَيْهِمْ ، وَالْباقُونَ بِهَا الْيَوْمَ يَزِيدُونَ عَلَى الْمِئَةِ ، فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ ، وَتَعْلِيمٍ نَافِعٍ ، وَحَالٍ مُشْكُورٍ^(٣) .

وفي شمالها : الْبُقْرَيْنِ ، وَالْدِّيسِ^(٤) . ثُمَّ : الْخَزْبَةُ . وَالْحَرْشِيَّاتُ . وَثَلَّةُ عَصْدٍ^(٥) .

وهذه هي ضواحي المَكَلَّا وأرباضها ومُخْتَرَفَاتُ أَهْلِهَا^(٦) .

وفي شرقي المَكَلَّا على السَّاحِلِ : رُوكِبٌ^(٧) وفيها جامعٌ . ثُمَّ : بُوَيْشٌ^(٨) ، تَبَعْدُ قَلِيلاً عَنِ السَّاحِلِ ، وفيها عيونُ ماءٍ جاريةٌ ، ومزارعٌ^(٩) .

(١) البيت من الطَّوِيل .

(٢) والشرح لهذا صار اليوم من ضمن أحياء المكلا ، ولم يعد قرية مستقلة كما ذكر المؤلف .

(٣) وتوجد هذه الأيام منطقة حديثة على غرار هذه القرية التي ذكرها المصنف تسمى : قرية الصومال ، تقع قريباً من فوه ، أقيمت لسكنى المنكوبين من بلاد الصومال الفارين من جحيم الحرب الأهلية بها ، والفضل في إنشائها يعود للسيد مفتي الساحل العلامة عبد الله محفوظ الحداد رحمه الله .

(٤) وهما الآن في ضمن أحياء المكلا ، واتصل العمران بهما .

(٥) في « الشامل » (٨٨) أنها : ثَلَّةُ العَلِيَا ، وهي للمشايخ آل باعمر العمودي .

(٦) مخترفات أهلها : أي متزهاتهم في زمن الخريف ، لكنَّ الدِّيسَ اليوم يعتبر حيّاً من أحياء المكلا .

(٧) روكب : قرية ساحلية قديمة ، تقع على بعد (١٥ كم) إلى الشرق من المكلا ، وبها سوق للوَزَيْفِ ؛ أي : السمك المجفف ، وسكانها العكابرة .

(٨) بويش : وهي تبعد عن مدخل المكلا بنحو (٥ كم) ، وقد أخضت المزارع والعيون التي ذكرها المصنف ، وبرزت فيها نهضة عمرانية في السنوات العشر الأخيرة .

(٩) لمن أراد التَّوَسُّعَ ومعرفة القرى الواقعة خارج المكلا والشَّحَرِ والتي تربط بين المدينتين ، وكذلك =

شَحِير

كانت بلدة لا بأسَ بها ، ولكنها خربت من سابق الزَّمان ، ولهذا قلَّ ذكرُها .
ويقال : إِنَّ ألبرتغالَ جاؤوا إليها فهزَمَهُم أهلُها^(١) ، وقتلَ منهم في هذه الواقعة خلقٌ كثيرٌ ، فخافوا أَنْ يعودوا إليها بتجهيز أقوى .. فهجروها ، ولم يَبْقَ بها إلاَّ العواينة^(٢) .

وعندما تولَّى بدرٌ بوطويرق على الشَّحِير .. استرضى قبائلها على خُمسِ ألوزيف^(٣) الَّذي يأتي به الصَّيَّادون ، واشترطَ عليهم أَنْ يُقاتِلوا معه .. فرَضُوا بذلك .
وكان يُقالُ للشَّيخ عبد الرَّحْمَنِ - الملقَّب بِالْعَكْظَةِ^(٤) - ابنِ أحمدَ بنِ عبد الرَّحِيم مولى الدَّعامة باوزير : صاحبُ شحير .

ولا يبعدُ أَنْ يكونَ هوَ أوَّلَ مَنْ أختطَّها ؛ فَإِنَّ ألبرتغاليينَ الَّذينَ حاربوا أهلها إِنَّمَا كانوا أَثناءَ القرنِ العاشرِ ، وقد توفِّي جدُّه عبدُ الرَّحِيم سَنَةَ (٧٤٧هـ)^(٥) فالأمرُ محتملٌ جدًّا .

وفي حدودِ سَنَةِ (١٢٥٥هـ) : استولى علي ناجي على شَحِير ، وولَّى عليها رجلاً مِنْ آلِ أَبْطَاطِي كانَ معه ، ولا تزالُ أطلالُ حصنِهِ قائِمةً إِلَى الآنَ ، وبقيت تحتَ أيدي آلِ بُرَيْك ، حتَّى أنتهت دولتُهُم بالكثيري .

= وصف الطُّرق والوديان .. ينظر « الشَّامل » (١٠٨٨) .

(١) كان مجيءُ ألبرتغال في النِّصْفِ الأوَّلِ من القرنِ التَّاسعِ الهجريِّ ، في زمنِ السُّلطان بدر بوطويرق .
« أدوار التَّاريخ الحضرمي » (٢٣٨-٢٣٩) ، و « تاريخ الشَّحِير » (١٥٧) ، و « تاريخ الدَّولة الكثيرة » (٤٠) ، و « الشُّهداء السَّبعة » ، و « تاريخ باحسن » ، و « حاضِر العالم الإسلامي » (١٧٠/٣ - ١٧١) .

(٢) العواينة : قبيلة معروفة ، الواحد منهم : عويناثة .

(٣) ألوزيف هو صغار السَّمَك ، يجفَّف ويملَّح .

(٤) العكظة : بلهجة الحضارمة تعني : الزرع الذي يقطع ويبقى أصله (جذره) في التربة ، فينمو مرة أخرى عقب الجذاذ ، وفي المثل العامي : العِيضة في العكظة .

(٥) « تاريخ شنبِل » : (١٢٢) .

ثُمَّ أَسْتَوْلَىٰ عَلَيْهَا عَوْضُ بْنُ عُمَرَ بَعْدَ أَنْ اشْتَرَطَ عَلَيْهِ قَبَائِلُهَا الْإِعْفَاءَ مِنَ الضَّرَائِبِ ،
وإِيقَاءَ عَوَائِدِهِمْ .
وَسَكَّانُهَا نَحْوُ أَلْفِ نَسْمَةٍ .

الْغَيْلُ^(١)

هُوَ وَاقِعٌ فِي شِمَالِ شُحَيْرَ ، وَهُوَ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ ، فِيهَا عَيُونُ مَاءٍ غَزِيرَةٌ جَارِيَةٌ ، عَلَيْهَا
نَخْلٌ كَثِيرٌ ، وَأَكْثَرُ مَا يُزْرَعُ عَلَيْهَا التَّبَغُ ، وَهُوَ أَجُودُ مَا يَكُونُ ، يُرْسَلُ مِنْهَا إِلَىٰ عَدَنَ
وَالْإِلَىٰ مَصْرَ وَإِلَىٰ الْحَجَازِ ، يَتَغَالَىٰ فِيهِ أَهْلُ تِلْكَ الْأَجْهَاتِ ؛ لِأَنَّهُ مُضْرَبُ الْمَثَلِ فِي
الْجُودَةِ ، وَيَكُونُ لَهُ إِيرَادٌ عَظِيمٌ .

و(الْغَيْلُ) مَنْسُوبٌ إِلَىٰ : الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بَاوَزِيرَ - مَوْلَى الدَّعَامَةِ - ابْنِ عُمَرَ -
صَاحِبِ الْغَيْلِ الْأَسْفَلِ^(٢) ، الْمُسَمَّى بِغَيْلِ عُمَرَ ، وَغَيْلِ بَاسُودَانَ - ابْنِ مُحَمَّدٍ - صَاحِبِ
عَرَفَ - ابْنِ سَالِمَ - الْمُقْبُورِ بِالْجُؤَيْبِ^(٣) قَرِيباً مِنْ حَوْرَةَ - ابْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ - مَوْلَى
الْمَحْطَةِ بِالشُّخْرِ - ابْنِ عُمَرَ ابْنِ الشَّيْخِ يَعْقُوبَ بْنِ يَوْسَفَ بَاوَزِيرَ مُقَدِّمِ تَرْبَةِ الْمُكَلَّا ،
السَّابِقُ ذَكَرَهُ .

وَفِي الْحِكَايَةِ رَقْمَ (١٦٤) (١٩٠ / ١) مِنْ « الْجَوْهَرِ الشَّفَافِ » لِلْخَطِيبِ مَا يُعْرَفُ مِنْهُ
أَنَّ هَذَا الْغَيْلَ كَانَ مَوْجُوداً مِنْ قَبْلِ سَنَةِ (٧٤٣ هـ) ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِأَنَّ وَفَاةَ الشَّيْخِ

(١) الْغَيْلُ : الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ ، أَوْ الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ مِنَ الْغَابَةِ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الْأَسَدُ ، وَالْغَيْلُ : الْمَاءُ الَّذِي
يَجْرِي عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ ، وَكِلَاهُمَا مَقْصُودُ هُنَا ، وَقَدْ صَارَ الْغَيْلُ عَلَمًا عَلَىٰ بَلَدَةِ غَيْلِ بَاوَزِيرَ هَذِهِ .
(٢) يَرَادُ بِالْغَيْلِ الْأَسْفَلِ : الَّذِي دَاخَلَ وَادِي حَضْرَمُوتَ ؛ احْتِرَازًا مِنَ الْأَعْلَى الَّذِي بِالسَّاحِلِ ، وَهُوَ الَّذِي
يَجْرِي الْكَلَامُ عَنْهُ وَعَنْ تَارِيخِهِ . وَسُمِّيَ الْغَيْلُ الْأَسْفَلُ بِغَيْلِ عُمَرَ نَسْبَةً لِلشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاوَزِيرَ ،
وَهُوَ فِي وَادِي عِدَمَ بِكُسْرِ الْعَيْنِ وَالدَّالِ الْمَهْمَلَتَيْنِ ، وَنَسَبَ أَيْضًا لَّآلِ بَاسُودَانَ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْكُنُونَ بِهِ
قَبْلَ وَلَادَةِ الشَّيْخِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاوَزِيرَ الَّذِي هُوَ سَبَطُ آلِ بَاسُودَانَ . كَذَا فِي « حَدَائِقِ الْأَرْوَاحِ »
(٤١١) (خ) .

(٣) الْجُؤَيْبُ : بَقْعَةٌ بِحَضْرَمُوتِ الدَّاخِلِ بِالْقَرَبِ مِنْ حَوْرَةَ فِي وَادِي الْعَيْنِ .

عبد الرّحيم بن عمر باوزير كانت سنة (٧٤٧هـ) ، وقد أختطه قبل وفاته بزمان^(١) .
 وأوّل من بنى بالغيل الأسفل : الشّيخ عمر بن محمّد بن سالم باوزير ، سنة
 (٧١٦هـ) - حسبما يأتي عند ذكره .
 وكان أمر الغيل لآل باوزير . والعوايشة المذحجيّون ينتمون إليهم بالخدمة ويذبّون
 عنهم^(٢) .

وفي أوائل القرن التاسع : استولت على بعض الأمر فرقة من العوايشة ، يقال لهم :
 آل عمر باعمر^(٣) ، فغلبوا آل باوزير على بعض النّهي والأمر ، وكونوا لهم دولة - أو
 شبهها - داموا عليها حتّى أنقضوا بالسلطان عوض بن عمر القعيطي ، على ما فصلناه
 بـ «الأصل» ، ونزيّد هنا ما تلقّيناه بعد عن المعمرين ومنهم : الشّيخ صالح بن
 محمّد بن أحمد بن همام صاحب الغيل : أنّ الذي سجنهم القعيطي من آل عمر باعمر
 مثنان - عبيداً وأحراراً - ثمّ إنّه أطلق سراح العبيد ، وبقي في سجنه مئة وخمسون كلّهم
 أحرار ، فتمكّنوا من الهرب بعد عامين إلّا أحدهم ؛ إذ لم يقدر على الهرب ، ووصل

(١) تقول المصادر التي بين أيدينا : إنّ الشّيخ عبد الرّحيم بن عمر قدم إلى الساحل سنة (٧٠٦هـ) ، باحثاً
 عن المنطقة الصّالحة للإقامة له ولعقبه من بعده ، فوقع اختياره على البقعة التي تدعى الآن بغيل
 باوزير ، وقد بنى بها أوّل منزل لسكناه غربيّ مسجده الجامع المشهور ، ثمّ حفر في النّاحية الشّمالية
 للمسجد غير بعيد منه أشهر العيون بها . . إلخ . اهـ عن «صفحات من التاريخ الحضرمي»
 (١٠٩) .

(٢) يذبّون : يدافعون .

(٣) آل عمر باعمر : تقول بعض الروايات التاريخية : إنّ في منتصف القرن التاسع الهجريّ بالتّقريب ،
 جاءت امرأة من قبيلة العوايشة القاطنين في قارة ابن مخرّكة شماليّ الغيل إلى الشّيخ عبد الرّحيم باوزير ،
 ومعها طفل رضيع بعد أن توفي والده قبل أن تلده أمّه ، وطلبت من الشّيخ رعايته وكفّالته ، فوافق ،
 وأسماء : عمر بن عمر ، وفقاً لاسم والده المتوفّى ، ومع مرور الوقت أصبح هذا الاسم يلفظ (عمر
 باعمر) ، حسب اللهجة السّيبانية .

كبر عمر في رعاية الشّيخ عبد الرّحيم وأشتدّ عوده ، فقرّر الرّحيل إلى قرية بضة بدوعن ، واستقرّ
 بها ، ثمّ تزوّج من إحدى كرائم الأسر هناك . فأنجبت له ولدين هما : شدّاد ، وسعيد . واستمرّ آل
 عمر باعمر في التّكاثر من هذين الجدّين ، وكثرت ذريّتهم وانتشروا حتّى حدود وادي العين ، ليعودوا
 بعدها إلى غيل باوزير ويستقروا بها ويشكّلوا قوّة سكّانية متميزة . عن «تاريخ الغيل» (٢٤-٢٥) ،
 وعن «تاريخ البكري» (١٥٣) .

خمسونَ منهم إلى المكلأ ، فأمنوا عند النقيب ، وسارَ الباقونَ عند صائِلِ البحسني . .
فغدرَ بهم ، وردَّهم إلى القعيطي ، فأودعهم السَّجَنَ ثانياً ، حتَّى لم يبقَ منهم إلا سبعةُ
أطلقهم ، ولا يزالُ منهم بالغيلِ اليومَ نحوُ من خمسةٍ وخمسينَ رجلاً بعائلاتهم ، ونجعَ
كثيرٌ منهم إلى الشُّومالِ الإيطاليِّ ؛ فيه منهم في ماركة ومقدشوه نحوُ من ثلاث مئةٍ
 وخمسينَ رجلاً بعائلاتهم ، ولهم في ماركة مسجدان ، وفي مقدشوه مسجدٌ .

ومنهم : الشَّيخُ سالمُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سالمِ بنِ مساعدِ بنِ عمرَ باعمرَ ، وهو عالمهم
ومدرَّسُ مسجدِهِم بمقدشوه .

ومنهم في براوة من الشُّومالِ الإيطاليِّ أيضاً نحوُ متني رجلٍ ، عالمهم : الشَّيخُ
محمَّد بنُ عبدِ اللهِ بنِ شدَّادٍ ، وهو من أخصَّ أصحابِ السَّيِّدِ عليِّ بنِ أبي بكرِ بنِ محمَّدٍ
النَّضيريِّ وولده عيروس الآتي ذكرُهُما في قارَّة الصَّناهجة .

ومنهم بماركة : الشَّيخُ سعيدُ بنُ أحمدَ بنِ مساعدٍ ، من تلاميذِ الشَّيخِ محمَّد بنِ
عمرَ بنِ سلَم ، توفِّي في حدودِ سنة (١٣٥٣ هـ) .

ومنهم بها : الشَّيخُ محمَّد بن عبدِ اللهِ بنِ مقدادٍ .

ومرجعُ العواثِ في النِّسبِ^(١) إلى عوبَّتانِ بنِ زاهرِ بنِ مرادِ بنِ مَدْحِجٍ .

وقد جرَّثَ بينهم وبينَ السُّلطانِ محمَّد بن عبدِ اللهِ أخي بدرٍ بوطويرق^(٢) حوادثُ في
سنة (٩١٩ هـ) ، وقتلَ منهمُ اثْنينِ وثلاثينَ ظلماً^(٣) .

ثمَّ ساكنَهُم في الغيلِ آلُ همامٍ^(٤) من يافعٍ ، فغلبوهُم بسطوةِ عشائِرِهِم على شيءٍ من
أمرِ الغيلِ^(٥) .

(١) للتَّوَسُّعِ ينظر : « أدوار التَّاريخ » (٣٧١) ، و « حضرموت » (١٥١ - ١٥٢) . والعواثِ أقسامٌ ؛
منهم : آلُ باعنس ، وآلُ بازور ، وآلُ الحيق ، وآلُ عمرَ باعمر .

(٢) السُّلطانُ محمَّد بن عبدِ اللهِ بن جعفرِ الكثيريِّ ، تولَّى سنة (٩١٠ هـ) بعد أبيه ، وتوفِّي بالشَّحر سنة
(٩٧٥ هـ) كما في « تاريخ الشَّحر » لبافقيه (٣٨٨) .

(٣) « تاريخ شنبُل » (٢٥٢) ، « تاريخ الدَّولة الكثيريَّة » (٣١) ، وفيه أنَّه قتلهم بظفار .

(٤) وهم من قبائلِ يافع السُّفلى .

(٥) قدم آلُ همام في أوائلِ القرنِ الحادي عشر الهجريِّ تقريباً واستقرُّوا في النَّاحية السُّماليَّة من الغيل ، =

وفي سنة (٩٤٣هـ) : أبتدأ السلطان بدرٌ بعمارة حُصْنِ غِيلِ باوزير^(١) .
وقد أنجب الغيلُ كثيراً من العلماء .

وجاء في ترجمة السيّد عليّ بن أبي بكرٍ ، المتوفى سنة (٨٩٥هـ) من
« المَشْرِع » [٤٧٠/٢ - ٤٧٥] أَنَّهُ : (رحلَ إلى الشَّخْرِ والغِيلِ ، ومكثَ هناك أربعَ سنينَ ،
يقرأُ على ألفقهاء : آلِ باهارونَ ، وآلِ باعمارٍ ، وألفقيهِ مُحَمَّدِ بنِ عليٍّ باعديلةَ ،
والعلامةِ إبراهيمَ بنِ مُحَمَّدٍ باهرمزٍ ، وألفقيهِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ باغشيرٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ
مُحَمَّدٍ باغشيرٍ^(٢) ، والشيخِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ باوزيرٍ) اهـ

وفي « البرقة » : أَنَّ الشيخَ العالمَ العاملَ الزَّاهِدَ الْوَرَعَ ، عفيفَ الدِّينِ عبدَ اللَّهِ بنَ
عبدِ الرَّحْمَنِ باوزيرٍ كتبَ الإجازةَ لمؤلَّفها أربعَ مرَّاتٍ .

وفي سنة (٩٠٣هـ) : توفيَ بها ألفقيهُ العارفُ بِاللَّهِ الشيخُ مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ باجرِفيلِ
الدَّوْعَنِي .

وقد أوردَ سيدي الأستاذُ الْأَبْرُ إجازةً^(٣) منه للشيخِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي
بَكْرٍ بأفضلِ التَّريميِّ ، عدَّ فيها بعضَ مشايخه ؛ كالشيخِ أَبِي بَكْرٍ الْعَدْنِيَّ ابْنَ عبدِ اللَّهِ
الْعِيدْرُوسِ ، عن شيخه عبدِ اللَّهِ بنِ أَحْمَدَ باهراوه ، عن شيخه فضلِ بنِ عبدِ اللَّهِ
بافضلٍ ، عن شيخه أَبِي بَكْرٍ بنِ مُحَمَّدٍ عُبَّادٍ .

ومن مشايخِ باجرِفيلِ : الشيخُ سعيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بابصيلٍ ، يروي عن أَبِي بَكْرٍ بنِ
عبدِ اللَّهِ بنِ سالمٍ ، عن الشيخِ مُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ عُبَّادٍ .

= ونصبوا بها منازلهم التي عرفت بحصون آل هُمام . وهم أوَّل من قدم إلى حضرموت من قبائل يافع .
« تاريخ الغيل » (٢٦) .

(١) « تاريخ الطَّيِّب بافقيه » حوادث سنة (٩٤٣هـ) (ص ٢٣٨) .

(٢) آل باغشير بالغين المعجمة : غير آل باقشير ، الآتي ذكرهم في بور .

(٣) وهي برمتها في « عقد اليواقيت » (١٢٠ / ٢) .

وَمِنْ مَشَايخِهِ أَيْضاً : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ بَاشْكِيل ، عَنْ أَبِي كَيْسٍ^(١) ، وَعَنْ
عُمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بَانَقِيبٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُمَرَ بَاعْفِيفٍ .

وَمِنْ مَشَايخِهِ أَيْضاً : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ بَاوَزِيرٍ وَغَيْرُهُمْ .

وَفِي الْحِكَايَةِ (٣٩٨) مِنْ « الْجَوْهَرِ » [١٦٢ / ٢] : (أَنَّ الْفَقِيهَ أَبَا بَكْرٍ بَاقْتِيلَ كَانَ
يَقْرَأُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ عَلَى الشَّيْخِ عُمَرَ الْمِحْضَارِ بِمَسْجِدِ غِيلِ بَاوَزِيرِ) . وَلَا يَزَالُ بِالْغِيلِ
حَتَّى الْآنَ نَاسٌ مِنْ آلِ بَاقْتِيلِ .

وَمِنْ أَهْلِ الْغِيلِ : الشَّيْخُ الْجَلِيلُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بَاحْمِيشَ ، كَمَا ذَكَرَهُ السَّخَاوِيُّ
فِي « الْقُصُورِ اللَّامِعِ » [١٢٤ / ٧] ؛ إِذْ كَانَ تَرْجَمَ لَهُ فِيهِ . وَلَا يَزَالُ بِهَا وَبِالشَّخْرِ جَمَاعَةٌ
مِنْهُمْ .

وَلَا بَأْسَ أَنْ نَعُدَّ الْعَلَامَةَ الْكَبِيرَ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بَافْضَلٍ^(٢) مِنْ عِلْمَاءِ الْغِيلِ ؛
لأنَّهُ وَلَدَ بِتَرْيَمَ سَنَةَ (٨٤٠ هـ) ، وَنَشَأَ بِالْغِيلِ الْمَذْكُورِ ، وَاشْتَغَلَ فِي الْفَقْهِ عَلَى
بَاعْدِيلَةٍ^(٣) ، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى عَدَنَ يَقْصِدُ الْقَاضِي مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بَاحْمِيشَ ، وَلَمَّا مَاتَ . .
جَلَسَ مَجْلِسَهُ ، وَاقْتَرَنَ بِأَمْرَاتِهِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بَعْدَ سَنَةِ (٩٠٣ هـ) .

قَالَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ الطَّيِّبِ عَمْدَةُ الْفَتْوَى بَعْدَ : (وَكَانَ بَيْنَهُمَا مِنْ
التَّوَادُّ وَالتَّنَاصُفِ مَا هُوَ مَشْهُورٌ ، وَفَضَائِلُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ ، وَأَشْهُرُ مِنْ أَنْ تُذَكَرَ ،
وَمِنْ مَوْلايَاتِهِ : « الْعُدَّةُ وَالسَّلَاحُ فِي أَحْكَامِ النِّكَاحِ » لَا مُسْتَغْنَى عَنْهُ لِمَنْ يَتَصَدَّى لِعُقُودِ
الْأَنْكَحَةِ ، وَلَهُ شَرْحُ « الْمَدْخَلِ » وَ« الْبَرَامُويَّةِ » ، وَكَتَابَتْ عَلَى تَرَاجُمِ الْبُخَارِيِّ بَيِّنَ فِيهِ

(١) هُوَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ كَيْسٍ الطَّبْرِيُّ الْعَدَنِيُّ ، الْمَوْلُودُ بِهَا سَنَةَ (٧٧١ هـ) ، وَالْمُتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ
(٨٤٢ هـ) ، لَهُ مَشِيخَةٌ كَبِيرَةٌ ، وَمِنْ أَجْلِ شَيْوْخِهِ الْإِمَامِ مُحَمَّدَ بْنَ سَعْدِ بَاشْكِيلَ ، وَالْحَافِظِ مُحَمَّدَ بْنَ
الْجَزْرِيِّ ، وَغَيْرِهِمَا ، وَقَدْ خَرَّجَ لَهُ الْحَافِظُ النُّجْمُ ابْنُ فَهْدٍ الْمَكِّيُّ أَرْبَعِينَ مَوْصُولَةَ الْأَسَانِيدِ ، تَوْجِدُ
بِخَطِّ مَوْلايَاتِهِ فِي مَكْتَبَةِ الْحَرَمِ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ .

(٢) صَاحِبُ الْمَصْنُفَاتِ الشَّهِيرَةِ الْمُبَارَكَةِ ؛ مِنْهَا : « الْعُدَّةُ وَالسَّلَاحُ فِي أَحْكَامِ النِّكَاحِ » ، وَهُوَ مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ
أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَعَلَيْهِ شَرْحَانِ ، أَحَدُهُمَا لِلْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ بِامْخَرَمَةِ ، وَالْآخَرُ لِلْفَقِيهِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ
بِحَرْقٍ ، وَلَهُ مَصْنُفَاتٌ أُخْرَى . يَنْظُرُ : « صِلَةُ الْأَهْلِ » ، وَ« النُّورُ السَّافِرُ » .

(٣) اسْمُهُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ .

مناسبة التَّرجمة للحديث ، وله رسالة في الرُّبْع المُجَبِّب ، وله « مختصر الأنوار » ،
وأختصار « قواعد الزركشي » قال الطَّيِّب بامخرمة : وغالب ظنيَّ أَنَّهُ مجددُ قرْنِه ،
وَدُفِنَ بترية حافة البصاليين بعدن (اهـ

وَمِنْ أَهْلِ الْغِيلِ : الْفَقِيهُ الْجَلِيلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودٍ بَاشْكِيل^(١) - السَّابِقُ ذِكْرُهُ فِي
مَشَايِخِ بَاجَرْفِيل - وَقَدْ رَحَلَ إِلَى عَدَن ، وَبِهَا كَانَتْ وَفَاتُهُ .

وَمِنْهُمْ : الْفَقِيهُ أَحْمَدُ بَارَعِيَّة ، تَلَمِذُ الْعَلَامَةِ أَبِي حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ ، وَلَهُ مِنْهُ مَكَاتِبَاتٌ
كَثِيرَةٌ نَافِعَةٌ ، لَا يَزَالُ مَشَايِخُنَا يَوْصُونَ بِقَوْلِهِ مِنْ أَثْنَاءِ إِحْدَاهَا : (فَبِاللَّهِ عَلَيْكَ . . ثُمَّ بِاللَّهِ
عَلَيْكَ . . أَنْ تَجْعَلَ جُلًّا وَقَتِكَ لَيْلًا وَنَهَارًا فِي الْبَحْثِ فِي الْفَقْهِ وَالْتَّحْقِيقِ ، وَالتَّنَاقُلِ
وَالْتَّدْقِيقِ ، مَعَ نَشْرِهِ بَيْنَ طَالِبِيهِ وَغَيْرِهِمْ) أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ .

وَمِنْ « خِلَاصَةِ الْأَثَرِ » لِلْمَحْبِيِّ [٤٤٢/٤] : (أَنَّ آلَ بَازَرْوُوعِ وَآلَ بَازَرْفِ قَنَازِلَةٌ ،
وَهُمْ فَخَذٌ مِنْ كِنْدَةَ) .

وَسَيَأْتِي لِبَعْضِ الْقَنَازِلَةِ ذِكْرٌ فِي قَرْيَةِ الْوَاسِطَةِ ، الْوَاقِعَةِ فِي شِمَالِ الْعِجْزِ مِنْ أَسْفَلِ
حَضْرَمَوْتَ .

وَقَدْ نَجَعَ آلُ بَازَرْفِ مِنْ رَيْدَةِ الصَّبِيْعِرِ إِلَى الْهَجْرَيْنِ ، وَتَفَقَّرُوا ، وَتَرَكَوا السِّلَاحَ ،
إِلَّا أَنَّ آلَ مُسَاعِدٍ - عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُمْ مِنْهُمْ - عَادُوا إِلَى حَمْلِهِ ، كَمَا يُعْرَفُ مِمَّا سَيَأْتِي فِي
الْهَجْرَيْنِ ، ثُمَّ أَفْتَرَقُوا فِي الْبِلْدَانِ ، وَاخْتَلَطُوا فِي الْأَعْمَالِ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ
بِمُدَوْدَةِ خَوَاصُونَ^(٢) وَنَجَّارُونَ .

وَأَوَّلُ مَنْ نَجَعَ مِنَ الْهَجْرَيْنِ إِلَى الْغِيلِ مِنْ آلِ بَازَرْفِ : الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي
بَكْرٍ ، وَكَانَ صَاحِبَ يَسَارٍ ، فَأَشْتَرَى بِالْغِيلِ أَطْيَانًا كَثِيرَةً تُسْقَى مِنْ مِغْيَانِ الْحَرِثِ^(٣)

(١) المولود بالغيل سنة (٨٠٤ هـ) ، والمتوفى بعدن سنة (٨٧١ هـ) ، إمام جهيد علامة ، له مصنفات
شاهدة بعلو كعبه ؛ منها : « شرح على المنهاج » في الفقه ، سلك فيه مسلَكاً غريباً لم يعهد مثله ،
ترجم له السخاوي في « الضوء » .

(٢) الخواص : الذي يبيع الخوص ، والخوص : ورق النخل .

(٣) المعيار : بالذَّارِجَةِ الحَضْرَمِيَّةِ يقصد به : عين الماء ، أو النَّعْج .

الَّذِي اشْتَرَاهُ أَيْضاً ، وَوَقَفَ جَمِيعَ ذَلِكَ عَلَى الْبَطْنِ الْأَعْلَى ثُمَّ الْأَعْلَى مِنْ ذُرِّيَّتِهِ .
وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْقَعِيطِيُّ عَلَى أَمْوَالِ آلِ عَمْرِو بَاعَمَر . . كَانَ مَعِيَانُ الْحَرْثِ فِي جُمْلَةٍ
مَا أَخَذَ فِيهَا ، وَيَانْقُطَاعِ الْمَاءِ أَوْ قُلْتِهِ عَنْ أَوقَافِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِامْطَرَفٍ . . كَادَتْ
تَتَلَاشَى غِلَاظُهُ .

وَفِي سَنَةِ (١٠٧١ هـ) : كَانَ الْقَاضِي بِالْغِيلِ أَحَدَ ذُرِّيَّةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بِامْطَرَفٍ ، وَكَانَ الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ مُؤَدِّنُ بَاجِمَالٍ يَصِفُهُ بِالتَّهَوُّرِ فِي قَبُولِ الْأَهْلَةِ ،
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ مِنْهُمْ ، ثُمَّ تَوَلَّاهُ الْفَقِيهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِامْطَرَفٍ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ سَنَةَ (١١٠٠ هـ) .

وَمِمَّنْ تَوَلَّاهُ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ بُوبَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِامْطَرَفٍ ، وَكَانَتْ وَلَايَتُهُ بِالْمُكَلَّا سَنَةَ
(١٢٦١ هـ) ، أَيَّامَ النَّقِيبِ صَلاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَسَادِيِّ ، وَلَهُ : « فِتَاوَى » مَوْجُودَةٌ لَدَى
الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ بِامْطَرَفٍ الْمَوْجُودِ بِالْمُكَلَّا الْآنَ ، وَهُوَ وَالِدُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِ الْقَادِرِ
بِامْطَرَفٍ ^(١) ، الْكَاتِبِ الْأَوَّلِ بِإِدَارَةِ الْمُسْتَشَارِ بَسِيثُونَ ، وَهُوَ وَلَدُ نَبِيَّةٍ ، سَهْلُ الْخُلُقِ ،
بَعِيدُ الْغُورِ ^(٢) ، يُحِبُّ الْمَطَالَعَةَ وَالْبَحْثَ .

وَيُعْجِبُنِي مِنْهُ أَنَّهُ لَمْ يُقْلِدِ الْأَجَانِبَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْيَائِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ ، مَعَ انْقِطَاعِهِ
إِلَيْهِمْ وَشِدَّةِ اخْتِلَاطِهِ بِهِمْ ، وَكَانَ بِمَعِيَةِ النَّاسِكِ الْعَلَامَةِ سَيْفِ الْإِسْلَامِ : الْحَسَنِ ابْنِ
الْإِمَامِ ، يَتَرَجَّمُ لَهُ فِي وَفَادَتِهِ إِلَى الْجَزَائِرِ الْبَرِيطَانِيَّةِ ، وَكَانَ يَحْدُثُنَا عَنْهُ بِمَا يُشْنَفُ

(١) مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بِامْطَرَفٍ ، الْمُؤَرِّخُ الْأَدِيبُ ، مَوْلَاهُ بِالشُّحْرِ فِي (١٢) شَعْبَانَ (١٣٢٣ هـ) ،
تَلَقَّى دِرَاسَتَهُ الْأَوَّلِيَّةَ بِمَدْرَسَةِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِالشُّحْرِ ، وَالْقَانُونِيَّةَ بَعْدَهُ ، وَوَأَصَلَ دِرَاسَاتِهِ الْعِلْمِيَّةَ
بِجَامِعَةِ كَامْبَرْدِجَ بَلْنَدِنَ ، وَالْخُرُطُومَ بِالسُّودَانِ . تَدَرَّجَ فِي وَظَائِفَ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْهَا : مُتَرَجِّمٌ ،
وَمُسْتَشَارٌ ، وَسَكْرَتِيرٌ لِلدَّوْلَةِ الْقَعِيطِيَّةِ ، فَالْكَثِيرِيَّةُ . لَهُ عِدَّةُ مُصَنَّفَاتٍ أَدَبِيَّةٍ وَتَارِيخِيَّةٍ ، طُبِعَ مِنْهَا (١٤)
كِتَابًا ، وَلَهُ دَوَاوِينُ شَعْرٌ لَمْ تُطْبِعْ ، وَمُسَرَحِيَّاتٌ أَدَبِيَّةٌ .

مِنْحَ وَسَامِ الْمُؤَرِّخِ الْعَرَبِيِّ مِنْ اتِّحَادِ الْمُؤَرِّخِينَ الْعَرَبِ ، كَمَا نَالَ وَسَامُ الْأَدَابِ وَالْفُنُونِ عَامَ
(١٩٧٧ م) . تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ بِالْمُكَلَّا فِي (١٧) ذُو الْقَعْدَةِ (١٤٠٨ هـ) . « مَدْرَسَةُ مَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ ، ثَمَانُونَ عَامًا مِنَ الْجُهْدِ وَالْعَطَاءِ » (ص ٤٥) .

(٢) الْغُورُ : قَعْرُ كُلِّ شَيْءٍ ، وَبَعِيدُ الْغُورِ : دَقِيقُ الاسْتِنْبَاطِ .

الأسماع ، ولكنه متى وقف به الحال بين نصرة مظلوم ورضا وزير الدولة المحلية . .
أثر الثاني تمكيناً لمركزه بسيئون .

وقد رأى عين الذئب^(١) في المكرمين : عمر محيرز ، ومصطفى رفعت^(٢) . وهو يكره
الرجوع إلى المكلا ؛ إذ كان وزيرها أنهمم بهمة براه الله منها ، وظهر له تحاملهم عليه ،
فحقدّها عليهم ، ولم يبرح يكدّ للدولة القعيطي بكل ما في وسعه . وكثير من أهل المكلا
يجعلون الفشل القعيطي في مسألة الحدود راجعاً إلى تلقينه الكثيري الحجة .

توفي الشيخ بوبكر بن محمد بامطرف بالغيل سنة (١٢٨٤ هـ) .

ومن تولّى القضاء منهم : الشيخ عوض بن سعيد بامطرف ، تولاه بالشحر في
عهد آل بريك ، وتوفي سنة (١٢٨٧ هـ) .

والقاضي الابتدائي في المكلا لهذا العهد هو عبد الله بن عوض بامطرف .

ومن أواخر علماء الغيل : الشيخ محمد بن عمر بن بكران بن سلم^(٣) ، كان ركناً

-
- (١) يقال : فلان رأى عين الذئب ، كناية عامة بمعنى : رأى ما يعتبر به من النكال فتجنبه تهيأ .
- (٢) عمر محيرز من أهالي المكلا ، ومصطفى رفعت من عدن ، وكلاهما كانا كاتبين في مكتب المستشار
البريطاني في المكلا . وكان محيرز يترب أخبار المستشار إلى بعض أقاربه ، ويقوم بنشر الدعايات
ضده ، فنكل بهما انجراس .
- (٣) الشيخ الفقيه العلامة محمد بن عمر بن سلم ولد علامة عصره وفريد مصره بالشحر في حارة تسمى :
حارة عديد ، من أسرة عرفت بالبُل والفضل ، ونسب آل أبي سلم في العقليين كما يقول بعض
المؤرخين . تلقى مبادئ العلوم على يد شيخه الفقيه الشيخ ناصر بن صالح أبن الشيخ علي - الياغمي -
ولازمه مدة طويلة ، وكانت وفاة الشيخ ناصر سنة (١٣٠٠ هـ) . سافر الشيخ محمد إلى مصر لطلب
العلم ، ودرس في الأزهر الشريف ، ويخمن الأستاذ سعيد باوزير أن رحلته ابتدأت سنة (١٣٠٦
هـ) ، وكانت عودته سنة (١٣١١ هـ) ؛ أخذاً من تاريخ الإجازة التي حصل عليها من الأزهر . وبعد
عودته من مصر . . خرج إلى وادي حضرموت ، ولقي به عدداً من الشُّمس المضيئة ، على رأسهم
سيدنا الإمام عيدروس بن عمر الحبشي ، والإمامان : أحمد بن حسن العطاس ، وعلي بن محمد
الحبشي . وقام المترجم بتأسيس رباط العلم بغيل باوزير سنة (١٣٢٠ هـ) ، وتخرج من تحت يده
كبار العلماء والمرشدين ، والفقهاء والقضاة . وقد انبعث عن هذا الرِّباط أكبر حركة علمية فقهية
عرفتها السواحل الحضرمية على مرّ أزمانها ، وكلّ الموجودين اليوم من علماء الساحل الحضرمي
يدينون بالولاء العلمي لصاحب الترجمة ، وإليه ترجع أسانيدهم وطرق أخذهم . توفي الشيخ محمد بن =

ركبنا من أركان العلم ، له وفادات إلى حضر موت ، ثافن^(١) فيها العلماء ، وأخذ فيها عن مُسَيِّدِ حَضْرَمَوْت - بلِ الْيَمَنِ ، بلِ الدُّنْيَا - سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبْرَّ عِيدروسِ بْنِ عُمَرَ الْحَبَشِيِّ ، ولعلَّ ذلك في حدودِ سَنَةِ (١٣١١ هـ) .

وكان معه في تلك القدمة ابنٌ له منوّر القلب ، صافي السَّريرة ، مستوفدُ الذِّكَا ، يحفظُ عدَّةً من المَتونِ على صغرِ سِنِّهِ ، ولكنَّهُ نَغَصَ شِبابُهُ فماتَ عِبْطَةً^(٢) مرجعُهُ مِنْ حَضْرَمَوْت .
ويقالُ : إِنَّ سَبَبَ موْتِهِ أَنْبَهَارُ قَلْبِهِ ممَّا رَأَى مِنْ الْأَشْعَةِ النُّورَانِيَّةِ على غَرَرِ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ بِحَضْرَمَوْت ؛ كَالسَّادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ سُمَيْطٍ ، وَالْأُسْتَاذِ الْأَبْرَّ عِيدروسِ بْنِ عُمَرَ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ الْبَحْرِ ؛ إِذْ كَانَ رَأَهُمْ مجْتَمِعِينَ في حَفْلٍ مشهودٍ فأنشَقَّتْ مرارَتُهُ ، فعَظُمَ عَلَيْهِ وَجَدُ أَبِيهِ .

وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سِلْمٍ هُوَ مُؤَسَّسُ رِبَاطِ الْغِيلِ ، وكانت وفاته سَنَةَ (١٣٢٩ هـ) ، وأَبْنُهُ أَحْمَدُ الْآنَ مِنْ مشاهيرِ الرُّوَّاقِ الْيَمَانِيِّ بِالْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ .
وَأَلَّ ابْنِ سِلْمٍ بَيْتُ عِلْمٍ وَصِلَاحٍ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ سِلْمٍ ، تَلْمِيزُ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلُوِيِّ الْمَتَوْفَى سَنَةَ (٧٣١ هـ) .

وفي الْغِيلِ الْمَذْكُورِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ أَبِي نُعْمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَنْدَرَجِ ابْنِ فِدْعَقَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَمْبَارِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَطَبْ ، مِنْهُمْ الْآنَ :
الْفَاضِلُ السَّيِّدُ مُحَسَّنُ بْنُ جَعْفَرٍ بُونُومِيٍّ^(٣) ، فَقِيهٌ ذَكِيٌّ بِحَاثَةٍ ، تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِالْمُكَلَّا وَالْغِيلِ مَرَّاتٍ .

= عمر بن سلم في (٦) محرم (١٣٢٩ هـ) ، عن أربعة وخمسين عاماً رحمه الله تعالى . ينظر « صفحات من التاريخ الحضرمي » (٢٠١-٢١٣) .

(١) ثافن : لازم .

(٢) يقال : مات فلان عِبْطَةً . أي شاباً سليماً لم تصبه علة .

(٣) السَّيِّدُ مُحَسَّنُ بْنُ جَعْفَرٍ بُونُومِيٍّ ، مولده بغيل باوزير سنة (١٣٠٦ هـ) ، وكان من أوائل الطَّلَبَةِ الملتحقين برباط الغيل عند افتتاحه سنة (١٣٢٠ هـ) ، وكان من أبرزهم استفادة وحرصاً على دروس العلامة ابنِ سِلْمٍ ، فتوسَّعت معلوماته الفقهية واللُّغوية ، إلى شغفه بالقراءة والمطالعة ، حتَّى لا يكاد يُرى إلَّا وفي يده كتاب . وكان ينفق على شراء الكتب بسخاءٍ نادر ، ويبحث عن القيم منها والجيد ، فكان يحوز على مكتبة عامرة بشئى العلوم والفنون . وصار بعد ذلك مرجعاً للفتوى والاستشارات =

وهو الآن مدير رباط الغليل ، وهو أفقه رجال الساحل وبما أن مدارسهم - على ما ذكرنا من نظامها - محدودة المعارف . . فما إلا عليه يتخرج من يرشحونه للقضاء - وفيهم كثرة - إلا أنه لا يعامل بمقتضى ما يستحق ؛ فإن مرتبة الشهري لا يبلغ المئنة الروبية ، مع أن عائلاته^(١) تقارب الأربعين نفساً .

غير أن الشيخ الفاضل سعيد القذال يعرف له فضله ، ويسعى في ترفيهه ، ولقد صدق الذي يقول : (إنما يعرف ذا الفضل ذوهه) .

وكان بالغيل جماعة من ذرية السيد عبد الرحمن بن محمد عديد ، لا أدري أيوجد الآن به أحد منهم ، أم لا ؟

وكانت بالغيل مدرسة للسيد محمد بن جعفر العطاس ، وهو رجل غزير العلم والعبادة ، صحيح التقوى والزهادة ، وكان له إخوان فتح الله عليهم أبواب الرزق بجاوة ، فبعثوا له برسالة مع خمس مئة ريال فرانصة . . فأمر أحد تلاميذه بالجواب ، وشكرهم على الرسالة ، وفرحه بعافيتهم ، وإرجاع الدارهم إليهم ، والإشارة بأن يتابعوا الرسائل بدون صلة مالية ، فلم ير التلميذ ردّها ، بل أرسلها إلى من يشتري بها مالاً للسيد محمد بحريضة ، وهكذا يفعل بما تواتر بعدها من الصلات ، حتى أجمع

= القضاة ، وأناط المجلس العالي برئاسة الشيخ عبد الله عوض بكير - بصاحب الترجمة مهمة تخرج القضاة وتدريبهم ، فكان ممن تخرج على يديه في (كورسات القضاء) وفيما يلي بعض أسماء أعلام أولئك القضاة على حسب ترتيبهم :

فمن الكورس الأول : القاضي سعيد بن علي بامخرمة ، وعبد الله عوض بامطرف ، والسيد مصطفى بونمي ابن المترجم . ومن الكورس التالي : السيد عبد الله محفوظ الحداد ، والشيخ عبد القادر الحاج ، وعبد الله بن علي بامخرمة ، وسالمين بن سرور . ومن الكورس التالي : الشيخ سعيد بالرعية ، والسيد علي المديحج ، وسالم بامخرمة . ومن الكورس التالي : السيد محمد رشاد البيتي ، وسعيد علي سلومة . ومن الكورس التالي : السيد حسين المديحج ، والسيد أحمد عديد ، وسعد بانكيل . هذا ما ذكره العلامة السيد رشاد البيتي حفظه الله ، وقد نسي بعضهم . وكانت وفاة السيد محسن . . بغيل باوزير في شعبان (١٣٧٩ هـ) ، ودفن بجوار ضريح شيخه ابن سلم . « شذور من منجى الأحقاف » (١٠٦-١٠٨) .

(١) عائلته : من يعولهم ويتفق عليهم ، وهو بهذا يشير إلى أن السيد محسن كان يعيل أكثر من أسرة ؛ إذ كان متزوجاً بأربع نسوة ، وله من كل واحدة نسل مبارك .

لَهُ مِنْ ذَلِكَ مَالٌ دَنْتَرٌ^(١) ، وَكَلَّمَا جَاءَتْ رِسَالَةٌ . قَرَأَهَا عَلَيْهِ ، وَكَفَّ عَنْ ذِكْرِ الصَّلَةِ ، وَهُوَ مَعَ ثِقَتِهِ بِالتَّلْمِيزِ وَشُغْلِهِ بِرَبِّهِ لَا يَبَاشِرُ قِرَاءَةَ الْكُتُبِ ، وَفِي آخِرِ أَمْرِهِ . طَالَعَهُ بِالْحَالِ ، فَعَاتَبَهُ سِيراً ، ثُمَّ وَقَفَ ذَلِكَ الْمَالَ عَلَى أَوْلَادِهِ سَوَاءً فِيهِمُ الذَّكَرُ وَالْأُنْثَى ، وَالْعَالِي وَالسَّافِلُ ، لَا يَنْقَطِعُ إِلَّا نَصِيبُ مَنْ يَمُوتُ ، وَلَا يَزَالُ يَصُلُّ لِلسَّيِّدِ بُو بَكْرِ بْنِ حَسَنِ صَاحِبِ الْحَدِيدَةِ الْآتِي ذِكْرُهُ فِي الرِّبَاطِ ، يَصُلُّ نَصِيبَهُ وَنَصِيبُ أَوْلَادِهِ مِمَّا يَفْضَلُ عَنْ أَيْدِي الْعَابِثِينَ مِنْ غَلَاتِ ذَلِكَ الْوَقْفِ .

وَالِىَ جَانِبِ الْغَيْلِ الشَّرْقِيِّ : الرَّقِيمِيُّ وَالسَّاحَةُ الَّتِي حَوَالِيهِ ، وَهِيَ إِقْطَاعٌ مِنَ السُّلْطَانِ عُمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ الْكَثِيرِيِّ لَهُمَّامُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ هَمَّامٍ ، وَلَا يَزَالُ بِيَدِهِمْ أَصْلُ ذَلِكَ الْإِقْطَاعِ ، وَفِي أَوَّلِهِ الْبِسْمَلَةُ ، وَعَنْ يَمِينِهَا الْخَاتَمُ ، وَعَنْ يَسَارِهَا الْإِمْضَاءُ ، وَنَصُّهُ بِخَطِّهِ : عُمَرُ بْنُ جَعْفَرٍ أَشْهَدُ الْخَطَّ أَنْتَ ؛ لِأَنَّ الْعَمْدَةَ عَلَيْكَ بَأَنَّا أَعْطَيْنَا الْنَقِيبَ هَمَّامُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ هَمَّامٍ الرَّقِيمِيُّ وَالسَّاحَةُ ؛ الصَّائِرَةَ إِلَيْهِ بِالْمَشْتَرَى ، وَمَلَكْنَاهُ ذَلِكَ تَمْلِكاً شَرْعِيّاً فِي مَقَابِلِ مَصَارِيفَ مَنْكَسَرَةٍ لِأَوْلَادِهِ فِي بَيْتِ الْمَالِ ، يَعْتَمِدُ ذَلِكَ الْوَقْفُ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَّالِ وَالْخَدَّامِ ، وَمَنْ خَالَفَ . . فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ ، ثَانِي شَهْرِ الْحَجَّةِ الْحَرَامِ سَنَةِ (١١٢٤هـ) .

وَفِيهِ ذِكْرُ بَعْضِ الْحُدُودِ ؛ فَبَحْرِيّاً : دَارُ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ بُو بَكْرِ ، وَشَرْقِيّاً : السَّاقِيَةُ . وَفِيهِ خَرْمٌ أَصْلَحْنَاهُ بِالذُّوقِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِي أَخْبَارِ الْفَتَنِ الَّتِي بَيْنَ الْقَعِيطِيِّ مِنْ جِهَةِ وَآلِ كَثِيرٍ وَالْعَوْلَقِيِّ مِنَ الْآخَرَى : أَنَّ آلَ كَثِيرٍ وَآلَ عُمَرَ بَاعَمَرَ وَالْعَوْلَقِ . . أَحَاطُوا بِثَمَانِينَ مِنْ عِبِيدِ الْقَعِيطِيِّ ، يَرَأْسُهُمْ عُنْبُرُ عُبَيْدٍ ، وَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الْأَسْرِ أَوْ الْهَلَاكِ . . اسْتَغَاثُوا بِهِمَّامُ بْنُ أَمْبَارِكٍ وَجَمَاعَتِهِ آلَ هَمَّامٍ أَصْحَابِ حَصَنِ الرَّقِيمِيِّ ، وَبَقِيَتْ مَدَافِعُ آلِ كَثِيرٍ وَالْعَوْلَقِيِّ وَالْفَافِيهِمْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَهِيَ تَدَوِّي عَلَيْهِمْ ، تَبَاكَرُهُمْ وَتَمَاسِيهِمْ .

وَفِي الْغَيْلِ مَدْرَسَةٌ دَاخِلِيَّةٌ ، كُلُّ نَفَقَاتِهَا عَلَى الْحُكُومَةِ الْقَعِيطِيَّةِ ، تَسْمَى : (الْوَسْطَى) لِارْتِفَاعِهَا عَنِ التَّلْعِيمِ الْإِبْتِدَائِيِّ ، وَقُصُورِهَا عَنِ التَّلْعَالِيمِ الْعَالِيَةِ ، غَيْرَ أَنَّ الْحُكُومَةَ تَرْسُلُ الْبَعَثَاتِ مِنْ خَرَجِجِيهَا إِلَى الشَّامِ وَالسُّودَانِ ؛ لِيَتِمَّمُوا بِهَا دَرَأْسَهُمْ ،

(١) مَالٌ دَنْتَرٌ : كَثِيرٌ .

وهي الآن تضم بين جدرانها زهاء المئة والخمسين طالباً . ومحلها الموقت قصر الأمير
منصور بن عبد الله بن عمر القعيطي ، الذي سمّاه : (الأزهر) .
ومما يستحق الإعجاب : أن المنازل العليا من ذلك القصر مخصصة للتدريس
والطلبة ، وأما المنازل السفلى . . فللمالية وللمحاكم العرفية والشرعية . ورفع التعليم
على الأولين ملبح ، وأما على الأخيرة . . فلا .

النقعة (١)

هي في شمال الغيل إلى جهة الغرب .
والنقعة - كما في « فتح الرحيم الرحمن » للشيخ عمر بن عبد الرحمن صاحب
الحمراء - : (في عرف أهل اليمن مرادف للحوطة في اصطلاح أهل حضرموت) .
وأول من سكنها : الشيخ أحمد بن محمد بن سعيد بن محمد باوزير ، صاحب
عرف . وآل باوزير أهل النقعة المذكورة من ذريته .
ومن كان يسكنها : السيّد محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن محمد
صاحب (مرباط) العلوي^(٢) ، وبها كان موته ودفنه .
وكان يكتفي لخزجه بشجرة واحدة بها من اللّيمون ، وفي ذلك دلالة على
حسن تربيتها وبركة عيشتها .
وفي « ديوان الشيخ عبد الصمد باكثير »^(٣) ذكر واقعة النقعة بين آل العمودي وآل

(١) هذه هي النقعة القديمة وهي بلدة كبيرة تتبع مديرية المكلا ، وباسمها سميت نقعة آل جنيد التي في
حضرموت الداخل قرب حوره .

(٢) وهو المعروف بالنقعي في كتب الأنساب والطبقات ، مولده بتريم ووفاته بالنقعة ، أخذ عن والده الفقيه
أحمد المتوفى بتريم سنة (٧٢٠ هـ) ، وصحب جماعة من العارفين ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ،
واختار العزلة عن أبناء زمانه ، وأقام بالنقعة وتخلّى للعبادة ، وكان يزرع اللّيمون ، وكان يجني من
ثمار اللّيمون ألف حبة ، ينفق ثمنها في وجوه البرّ ، وله كرامات ، ولم يؤرّخ لسنة وفاته ، إلا أنها في
النصف الثاني من القرن الثامن الهجري . « المشرع » (١٧٢/١ - ١٧٣) .

(٣) عبد الصمد باكثير ؛ علامة فقيه ، شاعر أديب ، مولده بتريس سنة (٩٥٥ هـ) ، ووفاته بالشحر سنة
(١٠٢٥ هـ) . ترجمته موسّعة في « البنان المشير » (٦٢-٧٣) ، وفي « خلاصة الأثر » (٤١٨/٢) ، =

كثير ، وهي التي كان فيها قتل الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العمودي على يد السلطان عمر بن بدر بوطويق^(١) ، وقد هنأه عبد الصمد بقصيدته المستهله بقوله [من البسيط] :

الله أكبر هَذَا الْفَوْزُ وَالظَّفَرُ فَتَحاً مُبِيناً مَعَ التَّأْيِيدِ يَا عُمَرُ^(٢)
وعلى اسم هذه النقة كانت نقة آل جنيذ^(٣) الواقعة شمالي حوره بالكسري .

وفي حوادث سنة (٩١٧ هـ) من « تاريخ شنبل » [ص ٢٤٧] : (أن العواينة قطعوا بعض خريف النقة^(٤) وغيل باوزير ، وعطلوا الحرث) .

ومن فضلاء النقة : العالم العامل المعمّر الشيخ سالم بن محمد باوزير^(٥) ، ولد

= و ملحق البدر الطالع « (١٢١) » ، و « الأعلام » « (١١ / ٤) » ، و « سلافة العصر » « (٤٣) » .

أمّا « ديوان عبد الصمد » . . فمته نسخة بمكتبة الشيخ محمد بن محمد باكثير ، مؤلف « البنان » ، آلت إلى ابنه عمر (ت ١٤٠٥ هـ) ، ولعلها محفوظة عند ورثتهما ، وذكر الشيخ محمد أن الحبيب علياً الحبشي لديه نسخة منه .

وفي « مصادر الفكر الإسلامي » « (٣٧٢) » : أن نسخة آل باكثير آلت إلى الأديب محمد عبده غانم ، ومنه نسخة أخرى بمكتبة عارف حكمت بـ (المدينة المنورة) على ساكنها الصلاة والسلام ، صورتها جامعة الملك سعود بالرياض .

ومن المصادر التي تحدّثت عن عبد الصمد وشعره : « تاريخ الدولة الكثيرة » « (٦٤-٦٦) » ، و « نشر النفحات المسكية » لباحسن ، « الحركة الأدبية في حضرموت » للصّبّان « (٨٨-٩٣) » .

(١) السلطان عمر ابن السلطان بدر بوطويق ، وخليفته من بعده ، كان عالماً فاضلاً عادلاً حسباً تقول المصادر ، له سياسة مرضية ، وأخلاق سوّية ، توفي سنة (١٠٢١ هـ) . وقد كان الشيخ عبد الصمد يكنّ له حباً جمّاً ، وله قصائد كثيرة فيه ، مدائح ومراثٍ ، تسمّى بـ : « العمريّات » ، ينظر المراجع التي سبق ذكرها في ترجمة عبد الصمد .

(٢) ويلي هذا البيت قوله :

فَمَنْ رَعَتْهُ عَنَائِتُ الْإِلَهِ فَلَا يَخْشَ الْمَعَادِينَ إِنْ قَلُّوا وَإِنْ كَثُرُوا
مَنْ كَانَ مُعْتَصِماً بِاللَّهِ كَانَ لَهُ عَوْنًا وَسَارَ بِمَا يَخْتَارُهُ الْقَدَرُ
وَكُلُّ بَاغٍ فَإِنَّ اللَّهَ خَاذِلُهُ وَلَمْ يَقْضَ مَنْ بَغَى اللَّهَ يَنْتَصِرُ

(٣) آل جنيذ أحد بيوت آل باوزير .

(٤) الخريف : الثمر الذي يُجنى في فصل الخريف ، ولا يراد به عند الحضارمة سوى الرطب .

(٥) الشيخ سالم بن محمد باوزير (١٢٠٠-١٣١٨ هـ) ، ولد بالنقة وبها توفي ، ورحل إلى مصر والشّام وفلسطين ، وأقام بالحرمين مجاوراً (١٤) عاماً في مكة ، و (٧) سنين في المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ، ثم عاد إلى الشّحر . ترجمته في : « تعليقات السقاف على رحلة الأشواق =

بها ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ بِالشَّخْرِ وَحَضَرَ مَوْتَ وَالْحِجَازِ وَمِصْرَ وَالشَّامِ ، وَأَقَامَ مَدَّةً طَوِيلَةً يَنْشُرُ الْعِلْمَ بِالشَّخْرِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى النَّقْعَةِ ، وَبِهَا تُوَفِّيَ سَنَةَ (١٣١٨هـ) عَنْ مِئَةٍ وَسِتَّةٍ عَشَرَ رُبْعًا تَقْرِيبًا ، وَكَانَ مَتَمِّكُنًا مِنْ عِلْمِ الْأَوْفَاقِ وَالْحُرُوفِ .

الْقَارَةُ

وَبِإِزَاءِ النَّقْعَةِ وَشِمَالِ الْغَيْلِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ فِي غَرْبِي الْحَزَمِ . . قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا : الْقَارَةُ ، لَا يَزَالُ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَوَائِثَةِ ، وَآلِ عُمَرَ بَاعِمَرٍ ، وَآلِ بُكَيْرٍ ، وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْكُؤَيْدَةِ الْقَرْيَةِ الَّتِي فِي شِمَالِ بَوْرِ إِلَى الْغَرْبِ فِي أَطْرَافِ وَادِي مَدِيرٍ ، يَحْتَرِفُونَ بِإِثَارَةِ الْأَرْضِ وَبِنَاءِ الْمَسَاقِي .

وَمِنْ آلِ بُكَيْرٍ أَصْحَابُ الْقَارَةِ : قَاضِي الْقَضَايَةِ الْآنَ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْضٍ بُكَيْرٍ^(١) ، وَهُوَ رَجُلٌ دَمَتْهُ الْأَخْلَاقُ^(٢) ، بَعِيدُ الْقَعْرِ^(٣) ، مَرْنٌ ، هَشٌّ بَشٌّ ، وَلَهُ ابْنٌ يُسَمَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ^(٤) ، ذَكِيٌّ ، نَبِيَّةٌ ، لَهُ شِعْرٌ جَمِيلٌ .

= القوية « (٤) وفيه : أَنَّهُ تُوَفِّيَ عَنْ (١١٨) سَنَةٍ .

(١) الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ عَبْدُ اللَّهِ عَوْضُ بُكَيْرٍ . عَالِمٌ ، فَقِيهٌ ، قَاضٍ ، وَلَدَ بِغَيْلٍ بِأَوْزِيرِ سَنَةِ (١٣١٤هـ) ، وَانْتَقَلَ فِي سُنٍّ مُبَكِّرَةٍ إِلَى الْقَارَةِ حَيْثُ قَرَأَ بِهَا الْقُرْآنَ فِي كُتَّابٍ صَغِيرٍ بِالْقَرْيَةِ ، ثُمَّ بَدَأَ دِرَاسَتَهُ عَلَى الشَّيْخِ عَمْرِو أَمْبَارِكٍ بِأَدْيَاهُ فِي قَرْيَةِ الصُّدْعِ ، وَأَكْبَرَ عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْمُطَالَعَةِ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، لَا سِيَّمَا الْفِقْهِ . التَّحَقَّقَ بِخِدْمَةِ الْقَضَايَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الدَّوْلَةِ الْقَعِيطِيَّةِ سَنَةَ (١٣٥١هـ) ، وَتَقَلَّبَ فِي الْوِظَائِفِ حَتَّى صَارَ رَئِيسَ الْقَضَايَةِ الشَّرْعِيَّةِ عَامَ (١٣٥٦هـ) . وَتَطَوَّرَ الْقَضَاءُ فِي عَهْدِهِ ، وَامْتَازَتْ أَيَّامُ رِئَاسَتِهِ لِلْقَضَايَةِ الشَّرْعِيَّةِ بِإِصْلَاحَاتٍ هَامَّةٍ ، وَاتَّسَعَ نِطاقُ الْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَتَضَاعَفَ نَفُوذُهَا وَسُلْطَانُهَا ، وَأَصْبَحَتْ كُلُّ مَنْطِقَةٍ فِي السُّلْطَانَةِ تَخْتَصُّ بِمَحْكَمَةٍ شَرْعِيَّةٍ وَقَاضٍ شَرْعِيٍّ . وَهُوَ الَّذِي طَلَبَ مِنَ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ مُحْسِنِ بُونَمِي أَنْ يَقُومَ بِتَدْرِيبِ فَرِيقٍ مِنَ الْقَضَايَةِ وَيَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ نِظَامُ الْكُورَسَاتِ الَّذِي قَدَّمْنَا الْحَدِيثَ عَنْهُ ، وَأَرْسَلَ بَعْضُهَا مِنَ النَّابِهِيْنَ لِإِكْمَالِ دِرَاسَتِهِمْ فِي السُّودَانِ ؛ مِنْهُمْ : ابْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ - الْآتِيَةِ تَرْجَمَتُهُ - وَالسَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ مُحْفُوظُ الْحَدَّادِ . لَهُ مَصْنُوعَاتٌ نَاقِصَةٌ ، تُوَفِّيَ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ (١٣٩٩هـ) . عَنْ كِتَابِ « شَذُورٌ مِنْ مَنَاجِمِ الْأَحْقَافِ » (١٠٦-١٠٣) .

(٢) دَمَتْ الْأَخْلَاقُ : لَيْتِنِ الْأَخْلَاقُ .

(٣) بَعِيدُ الْقَعْرِ : بَعِيدُ الْغُورِ ؛ أَيُّ : دَقِيقُ النَّظَرِ .

(٤) الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بُكَيْرٍ . وَلَدَ بِقَرْيَةِ الصُّدْعِ سَنَةَ (١٣٤٢هـ) ، وَدَرَسَ عَلَى يَدِ وَالِدِهِ ، وَعَلَى عِدَّةٍ مِنْ عُلَمَاءِ السَّاحِلِ ، رَحَلَ إِلَى السُّودَانِ لِدِرَاسَةِ الشَّرِيعَةِ بِجَامِعَةِ الْخُرُطُومِ ، وَحَصَلَ عَلَى =

وبالقارة المذكورة ناسٌ من آلِ باعمروه ، وآلِ باسويد ، وآلِ بايمن ، وآلِ بالجعد .
 وفيها عيونٌ غزيرةٌ ، أستأثرَ الغيلُ بنسبتها إليه لاشتهاره وخمولها ، كما أستأثرَ
 المَخَابِئُ الكيمنُ ؛ لاشتهاره به من القديم ، مع أنه لا يوجد به شيءٌ منه الآن .
 ويقالُ : إنّ القارة أقدمُ من الغيلِ ، وإنَّ الشيخَ عبدَ الرَّحيمِ باوزيرٍ كان يجلبُ
 الأكَرةَ منها ؛ لبناءِ مسجده بالغيلِ .

وفيها جامعٌ منسوبٌ للسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ المغربيِّ ، يقالُ : إنّهُ بناهُ في القرنِ الثَّامنِ .
 وكان أهلُها - من العواثِ وغيرهم - في ليلِ حالِكٍ من الجهالةِ ، فما زالَ المغربيُّ
 المذكورُ يَنشرُ فيهم دعوةَ الإسلامِ ، ويُعلِّمُهم مبادئَهُ ، حتَّى أنكشفَ عنهم ليلُ الجهلِ ؛
 إذ صادفتُ دعوتَهُ ثرى طيباً ، ونفوساً سليمةً . وقد قالَ يزيدُ ابنُ الطَّحْطِيةِ [من الطَّويلِ] :
 أتاني هواها قبلَ أن أعْرِفَ الهوى فَصَادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتَمَكَّنَا

الحَزْمُ وَصَدَاغُ

هو أرضٌ واسعةٌ من أعمالِ غيلِ باوزيرٍ ، كانت بها عَيْنُ ماءٍ وَشِلَّةٌ^(١) ، فما زالَ
 الأميرُ عبدُ اللهِ بنُ عليٍّ العولقيُّ في علاجها حتَّى أنبثقت ماءً غزيراً ، وفيه اليومَ
 معيانان ، وله جامعٌ .
 ومن سكَّانه : الشَّيْخُ الصَّالِحُ المَعْمَرُ عُمَرُ بادُبَّاهُ^(٢) ، يقالُ : إنّ سِنَّةَ اليومِ ينتهي إلى
 مئةٍ وأحدٍ عشرَ عاماً .

= الامتياز سنة (١٩٥٣م) . عيّن مساعداً إدارياً بمجلس القضاء الشرعي الأعلى . ثمّ مفتشاً قضائياً ،
 وعضواً بالمجلس العالي الشرعي . ثمّ مستشاراً قضائياً عام (١٩٦٧م) . ولا زال الشيخ المترجم يفيد
 الطالبين ، وهو مقيم بالمكلا ويتردد على القارة حفظه الله ونفع به المسلمين .
 (١) وَشِلَّةٌ : قليلة الماء .

(٢) هو الشَّيْخُ العَلَّامةُ الصَّالِحُ ، المربِّي القدير ، والعالم النحرير ، والنَّاسك الأَوَّاب عمر بن أمبارك بن
 عوض بادُبَّاه الحضرمي (١٢٥٧-١٣٦٧ هـ) . ولد المترجم له في حصن العولقي ، وحصن العولقي
 عبارة عن قرية تلتفتُ بهضبة صخرية ، يتوجها الحصن الكبير الذي لم تبق إلا آثاره . نشأ المترجم له في
 هذا الحصن ، وترعرع فيه ، ثمّ مع بلوغه سنَّ الإدراك والتَّمييز . سافر إلى الهند سنة (١٢٨٢ هـ) ، =

وفي حوالي سنة (١٢٦٠ هـ) : كانت المنافسات قائمة على قدم وساق بحيدر آباد الدكن بين الأمير عمر بن عوض القعيطي والأمير عبد الله بن علي العولقي وفي جانبه الأمير غالب بن محسن الكيرتي ، وكلهم في خدمة الجيش الأصفي .

فاتفق العولقي وغالب بن محسن على تكوين دولة لهم بحضرموت ، وكان العولقي كثير المال ، كريم النفس ، شجاع القلب ، فطفق يرسل إلى حضرموت بكثير من الأموال ؛ لمواصله العلويين ، ولبناء المساجد والسقايا وما أشبه ذلك .

ولما بدأ غالب بن محسن بشراء الغرف من أسافل حضرموت . . بدأ العولقي بشراء الخزم هذا ، واختار القارة المعروفة هناك لبناء حصنه الحصين عليها ، وهو المعروف بحضن صداع ، الذي يقول فيه شاعرهم :

سَلَامَ الْفَيْنِ يَا حُصْنَ مَبْنِي فَوْقَ قَارَةِ بَنَّاكَ الْعَوْلَقِي مَا يُعَوِّلُ بِالْخَسَارَةِ
ولما شعر القعيطي بذلك . . أرسل أولاده محمداً وعبد الله وعلياً وعوضاً إلى القطن من أرض حضرموت ، وزودهم بالأموال الطائلة ، وبعث معهم بعبدين داهيين مُحَنَكَيْنِ ، يقال لأحدهما : ألماسُ ، وللآخر : عنبرُ ، ووافق ذلك هوى من يافع ،

= ثم عاد إلى وطنه سنة (١٢٩٣ هـ) بعد أن حصل على معلومات قيمة دينية وطيبة واجتماعية وعسكرية . وبعد عودته إلى بلده . . تحرّكت همته إلى الاتصال بالسيد الكبير علي بن محمد الحبشي في سيئون ، الذي كان يواصل الجهود لإخراج أكبر مجموعة من العلماء في الساحل والداخل ؛ لتقوم بواجبها في عموم القطر .

فحصل الاتصال بين المترجم له مع الإمام الحبشي ، ونهل من علومه ومعارفه ما برز فيه ، وفي أحد المرات كان الإمام الحبشي يمازح تلميذه المترجم له . . فقال المترجم له : ما أنا إلا دُبَّاه - يشير إلى شجرة القرع - فقال له شيخه : ولكنها ستلقي قحازيز . (وهي كلمة عامية ، معناها : صغار القرع) . ثم استمر عند شيخه في سيئون خمس سنوات ، كلها جِدَّ ودرس وتحصيل . ثم أستاذن شيخه في العودة إلى بلده صداع . . فأذن له شيخه ، فعاد إلى بلده وقد سبقه إليها صيته ومكانته العلمية ، وما إن مرّت سنوات قليلة حتّى صارت بلدة الصداع مقراً وموطئاً لطلبة العلم ، ومقصداً للعلماء وطلاب العلاج . ولم يقتصر على هذه الناحية ؛ فقد باشر أعمال الإصلاح بين الناس . . حتّى سرت محبة في القلوب ، وأخذ ينشر الدعوة والتعليم في القرى . تخرّج عليه جملة صالحة من العلماء ؛ منهم : الشيخ العلامة سالم بن أمبارك الكلاي ، والشيخ العلامة عبد الله بن عوض بكير ، والشيخ عبد الله الناحي وغيرهم ، وكانت وفاته سنة (١٣٦٧ هـ) .

إِلَّا أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا مَعَ عَبْدِيهِ فِي مَخْزَنِ التَّمْوِينِ ، فَأَرَادَ الْعَبْدَانِ أَنْ يَكُونَ بَسِيتُونَ ،
فَامْتَنَعَتْ يَافَعُ خَوْفًا مِنْ رَسُوخِ قَدَمِ الْقُعَيْطِيِّ فِيهَا وَهُمْ لَا يَيَّغُونَ بِهَا بَدِيلًا .

وَلَمَّا أَحَسَّ آلُ كَثِيرٍ - بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتْيَا^(١) ، وَبَعْدَ هَرُوجٍ وَمَرْوَجٍ مُسْتَوْفَاةٍ
بِـ« الْأَصْلِ »^(٢) - بِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مَنَاضِيَةِ الْقُعَيْطِيِّ . . عَقَدُوا حِلْفًا ثَلَاثِيًّا مِنْ أَلْكَسَادِيِّ
- الَّذِي أَسْتَمَالُوهُ إِلَيْهِمْ ، وَكَانَ هُوَ وَالْقُعَيْطِيُّ عَلَى رَأْيٍ لَأَنَّهُمْ يَافَعِيُونَ - وَمِنْ أَلْعَوْلَقِيِّ
وَالْكَثِيرِيِّ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٢٩٠ هـ) .

وَكَانَتْ لِلْعَوْلَقِيِّ عِدَّةٌ مَرَكَبٍ شِرَاعِيَّةٍ تَمُخَّرُ عُبَابَ الْبَحْرِ ، وَتَقْلُ مَا يَحْتَاجُهُ مِنْ
الْهِنْدِ إِلَى الْحِزْمِ وَصَدَاعٍ .

وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ حُرُوبٌ كَثِيرَةٌ ، كَانَتْ أَلْنَهَايَةُ فِيهَا - كَمَا بِـ« الْأَصْلِ »^(٣) - أَنْهَزَامُ
أَلْعَوْلَقِيِّ وَالْكَسَادِيِّ وَآلِ عُمَرَ بَاعَمَرَ ، وَتَرَاجُعُ آلِ كَثِيرٍ ، وَأَسْتِيلَاءُ الْقُعَيْطِيِّ عَلَى الْغِيلِ
وَعَلَى الْحِزْمِ وَعَلَى صَدَاعٍ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٢٩٣ هـ) .

وَسَمِعْتُ مِنْ أَلثَّقَاتِ : أَنَّ نَفَقَاتِ أَلْعَوْلَقِيِّ عَلَى الْحِزْمِ وَصَدَاعٍ بَلَغَتْ ثَمَانِيَةَ آلَافٍ
أَلْفِ رُوبِيَّةٍ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْكُدَمِ عَلَى مَا كَانَ فِي أَيَّامِ حَيَاتِهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَتَمَنَّى أَنْ لَوْ كَانَتْ
فِي سُبُلِ الْخَيْرَاتِ .

(١) بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتْيَا : مِثْلُ عَرَبِيٍّ مَعْنَاهُ : بَعْدَ الذَّاهِيَةِ الْكَبِيرَةِ وَالصَّغِيرَةِ . وَكُنِيَ عَنْ الْكَبِيرَةِ بِلَفْظِ التَّصْغِيرِ
تَشْبِيهًا بِالْحَيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا إِذَا كَثُرَ سَهْمُهَا . . صَغُرَتْ ؛ لِأَنَّ السَّهْمَ يَأْكُلُ جِسْمَهَا . وَقِيلَ : أَصْلُ هَذَا الْمِثْلُ :
أَنَّ رَجُلًا مِنْ جَدِيدِ تَزْوُجِ امْرَأَةٍ قَصِيرَةٍ ، فَقَاسَى مِنْهَا الشَّدَائِدَ ، وَكَانَ يَعْبرُ عَنْهَا بِالتَّصْغِيرِ ، فَتَزَوَّجَ امْرَأَةً
طَوِيلَةً ، فَقَاسَى فِيهَا ضَعْفَ مَا قَاسَى مِنَ الصَّغِيرَةِ ، فَطَلَّقَهَا وَقَالَ : بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتْيَا . . لَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا .
فَجَرَى ذَلِكَ عَلَى الذَّاهِيَةِ .

(٢) كَانَ انْعِقَادُ الْحِلْفِ فِي رَمَضَانَ (١٢٩٠ هـ) ، كَمَا نَقَلَ ذَلِكَ فِي الْأَصْلِ عَنْ « تَارِيخِ الْحَيْدِ » وَالْكَلامِ
فِي هَذَا يَطُولُ ، وَهُوَ فِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » : (٣٤-٢٦/٣) .

(٣) كَانَتْ بَدَايَةُ نَهَايَةِ الْحِلْفَاءِ فِي وَقْعَةِ شَحِيرٍ فِي صَفَرِ (١٢٩٢ هـ) ؛ إِذْ هَجَمُوا عَلَى شَحِيرٍ بَعْدَ طُلُوعِ
الْفَجْرِ ، فَلَقَاهُمْ عَسْكَرُ الْقُعَيْطِيِّ مِنْ يَافَعٍ وَغَيْرِهِمْ إِلَى خَارِجِ شَحِيرٍ ، وَاشْتَدَّ الْحَرْبُ وَانْتَهَى بَعْدَ أَنْ
اسْتَحَرَّ بِالْحِلْفَاءِ الْقَتْلَ وَالْهَزِيمَةَ . ثُمَّ جَهَّزَ الْقُعَيْطِيُّ فِي رَجَبٍ عَلَى غِيلِ بَاوَزِيرٍ ، وَانْهَزَمَ الْحِلْفَاءُ أَيْضًا ،
وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلْجَأٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا إِلَى الْحِزْمِ وَصَدَاعٍ مَعَ فُلُولِ الْأَحْلَافِ . وَفِي شَوَالِ (١٢٩٣ هـ) . .
جَهَّزَ السُّلْطَانُ عَوْضُ بْنُ عُمَرَ الْقُعَيْطِيُّ عَلَى حِصْنِ صَدَاعٍ وَالْحِزْمِ بِثَلَاثِ فُرُقٍ ، وَحَاصِرَ مَنْ فِيهَا أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ حَتَّى اسْتَسَلَمَتْ حَامِيَةُ الْحِصْنِ وَهُمْ الْعَوَالِقُ ، وَآلُ عُمَرَ بَاعَمَرَ ، فَسَفَّرَ الْعَوَالِقُ بَعْضُهُمْ إِلَى أَرْضِهِمْ
جِهَةَ الْقِبْلَةِ ، وَبَعْضُ إِلَى الْهِنْدِ ، وَسَجَنَ آلُ عُمَرَ بَاعَمَرَ .

وللعامة في تمنيه ذلك أشعار كثيرة ، وَمَنْ يَكُ وكلاؤه آل كثير^(١) . . فإنه جدير بمثل ذلك .

وما أدري ، أَكَانَ ما أَنفَقَهُ وَلَدُهُ محسنٌ بعدَ وفاته في حروبِ الحزمِ وصداعِ داخلاً في ذلك القدرِ ، أَمْ كَانَ علاوةً عليه ؟

إِلَّا أَنَّهُ أَتَبَهُ لآلٍ كَثِيرٍ وَأَحْتَاطَ مِنْهُمْ ، وَلِذَا لَمْ يُحَمِّدْ بَيْنَهُمُ الْمَالَ وَلَمْ يَبْلُغُوا أَلَمَالَ .
ويتهي نَسَبُ الْعَوْلَقِيِّ إِلَى ذِي يَزْنَ الْحِمَيْرِيِّ ، وَقِيلَ : إِلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ مِنْ آلِ بَاحْلَوَانَ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي حُلَوَانَ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةَ ، وَإِنَّ الْأَمِيرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ الْعَوْلَقِيَّ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ بْنِ زَمْلِيِّ بْنِ عَمْرِو الْفَهْمِيِّ الْآتِي ذِكْرُهُ فِي الْغُرَفَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ ، وَمَهُمَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ . .

فَمَا سَوَّدَتْهُ عَامِرٌ عَنْ وَرَائِهِ أَبَى اللَّهِ أَنْ يَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبٍ^(٢)
وَلَهُ أَخْبَارٌ عَظِيمَةٌ ، وَمَنَاقِبُ كَرِيمَةٌ ، وَأَنْفٌ حَمِيٌّ ، وَقَدَرٌ سَمِيٌّ .

وَاللَّهُ أَغْطَاهُ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى وَحَبَاهُ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ
نَفْسٌ مُشَيَّعَةٌ وَرَأْيٌ مُخَصَّصٌ وَيَدٌ مُؤَيَّدَةٌ وَرَأْيٌ فَيَصِلُ^(٣)

إِلَى جُودٍ ضَخْمٍ ، وَمَجْدٍ فَخْمٍ ، وَعَقْلٍ رَاجِحٍ ، وَسَيْفٍ طَامِحٍ .
وَزُنُوزُوا الْأَصَالَ مِنْ جِجَاهُ وَإِنَّمَا وَزَنُوا بِهَا طَوْدًا مِنَ الْأَطْوَادِ
وَوَرَاءَ ذَلِكَ الْحِلْمِ لَيْتُ خَفِيَّةٍ مِنْ دُونَ حَوَزَتِهِ وَحَيَّةٍ وَادِي^(٤)

وَلَمْ تَكُنِ الْهَزَائِمُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا فِي الْحَزْمِ وَصَدَاعٍ إِلَّا بَعْدَ خُمُودِ رِيحِ دَوْلَتِهِ بِمَوْتِهِ فِي
حَيْدَرِ أَبَادٍ أَلَدَكُنْ سَنَةَ (١٢٨٤ هـ) .

(١) الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يَزْجُ بِالْعَوْلَقِيِّ فِي تِلْكَ الْوَقَائِعِ هُوَ الْأَمِيرُ عُبُودُ بْنُ سَالِمِ الْكَثِيرِيِّ ، وَقَدْ فُرِّمَ مِنَ السَّاحِلِ
بَعْدَ هَزِيمَتِهِ وَالْعَوْلَقِيُّ فِي صَدَاعٍ .

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الطُّوِيلِ ، وَهُوَ لِعَامِرِ بْنِ الْأُفَيْلِ بِنَحْوِهِ كَمَا فِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » (٥٩٣ / ١١) .

(٣) الْبَيْتَانِ مِنَ الْكَامِلِ ، وَهُمَا لِلْبَحْتَرِيِّ فِي « دِيْوَانِهِ » (٣٣ / ١) . رَأْيٌ مُخَصَّصٌ : رَأْيٌ سَدِيدٌ .

(٤) الْبَيْتَانِ مِنَ الْكَامِلِ ، وَهُمَا أَيْضًا لِلْبَحْتَرِيِّ فِي « دِيْوَانِهِ » (١٨٦ / ١) .

والمشهور : أَنَّهُ ماتَ على فراشه ، وقال بعضهم : إِنَّها وقَعَتْ بينَهُ وبينَ الشَّواشِ
صلاح الضَّبِّي اليافعي واقعة قُتِلَ فيها صلاحٌ وجماعةٌ من عسكرِ الطَّرفين ، ولكنَّ مَلِكَ
حَيندرَ آبادٍ أَصلَحَ بينهم ، غيرَ أَنَّ يافعاً بعدَ عامينِ من الصُّلحِ كادتِ للأميرِ عبدُ اللهِ بنِ
عليِّ العولقيِّ معَ خروجِهِ لصلاةِ العَصْرِ ، وأطلقتِ عليه الرِّصاصَ ، وكانَ كما قالَ
الأوَّلُ :

مَضَى مِثْلَ مَا يَمْضِي السَّنَانُ وَأَشْرَقَتْ بِهِ بَسْطَةً زَادَتْ عَلَى بَسْطَةِ الرُّمَحِ
فَتَى يَنْطَوِي الْحَسَادُ مِنْ مَكْرُمَاتِهِ وَمِنْ مَجْدِهِ الْأَوْفَى عَلَى كَمَدِ بَرْحِ^(١)

وقد وقعَ رداؤُهُ على ولدهِ مُحسِنٍ^(٢) ، وكانَ على قِدَّةِ أبيهِ^(٣) ، جوداً ونجدةً
وشهامَةً ، ولكنهَ لَمْ يَكُنْ مثلهُ - ولا بقريبٍ منه - لا في العِلْمِ ولا في الدِّينِ ، فأنطبقَ
عليه قولُ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ [مِن الطَّوِيلِ] :

فَنِعْمَ فَتَى الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ فَاجِراً وَفَوْقَ الْفَتَى لَوْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ
وهذا ألبيتُ مِنَ الكَلَامِ الْجَزَلِ^(٤) ، الَّذِي لَا يعلِكُهُ إِلَّا لَحْيُ بَازِلٍ فَحِلٍ^(٥) ، فَمَجِيئُهُ
مِنْ لِسَانِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ يَفْتَحُ لِلنِّسَاءِ أَبْوَابَ الْفَخْرِ وَالاحتِجَاجِ عَلَى الرُّجَالِ بِمَصَارِيعِهَا ،

(١) البيتان من الطويل ، وهما أيضاً للبحراني في « ديوانه » (١ / ٧٤) .

(٢) خلف محسن بن عبد الله والده في حكم الحزم وحصن صداع ، وهو الذي جرت بينه وبين القعيطي
الحوادث السالفة الذكر ، عقب دخوله في الحلف الثلاثي . وقد ترك له والده تركة وميراثاً يقدر بعشرين
مليون روية أو تزيد ، ويروى عن الأمير عبد الله بن علي قوله : تركت لولدي محسن عشرين ألف ألف
روية نقداً ، فضلاً عما يناسبها من العقار والأثاث والمجوهرات ، ثم إن كان فحلاً . فلن يحتاجها ،
وإن كان فسلاً . فلن تنفعه . « بضائع التابوت » (٣ / ٢٦) . قال السلطان غالب بن عوض القعيطي
- الأخير - : ولقد سمعت بنفسي من مجموعة من الثقات المسنين بأنه عندما أحترق قصره في أيام
أحفاده نتيجة لإصابته بصاعقة . . شوهدت المعادن - مثل الفضة وغيرها - تسيل في المجاري بسبب
الحرارة .

(٣) قِدَّة : طريقة .

(٤) الجزل : ضد الركيك .

(٥) في هذا الكلام كناية على رفعة هذا الكلام ، وأنه لا يتكلم به إلا الفحول من الرجال .

فلقد أراد حبيب أن يتعلّق به . . فأنهار رجاءه ، وأخطأته النّجاه ؛ إذ لم يأت إلا بقوله [في ديوانه « ٣٧٧/١ من الكامل] :

إِنَّ الطَّلَاقَةَ وَالنَّدَى خَيْرٌ لَهُمْ مِنْ عِفَّةٍ جَمَسَتْ عَلَيْكَ جُمُوسًا^(١)
لَوْ أَنَّ أَسْبَابَ الْعَفَافِ بِلاَ نَدَى نَفَعَتْ . . لَقَدْ نَفَعَتْ إِذَا إِيْلَيْسَا^(٢)

وقوله [في « ديوانه » ٤٢٧/١-٤٢٨ من الكامل] :

إِنْ كَانَ بِالْوَرَعِ ابْتَنَى الْقَوْمُ الْعُلَا أَوْ بِالثَّقَى صَارَ الشَّرِيفُ شَرِيفًا
فَعَلَامَ قُدَّمَ وَهُوَ زَانٍ عَامِرٌ وَأَمِيطَ عِلْقَمَةٌ وَكَانَ عَفِيفًا^(٣) ؟

ثم رأيت المبرّد يقول في أواخر « الكامل » [١٤١٠-١٤١١/٣] : (لقد كانت الخنساء وليلى متقدّمتين لأكثر الفحول ، وربما تتقدّم المرأة في الصّناعة ، ولكنه قليل ، والأغلب ما قال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ يُنشِئُوا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾) ، وأطال في هذا الباب ، ويرد عليه : أنّ هذا ليس من كلام الله ، وإنّما هو محكي عن فرعون^(٤) ، ولقائل أن يستثني منه بفرض الرواية عند البُحترّي أو الشّجري في « الحماسة » إبدال (فاجر) بفاجر . . فقلت له : ليس الفخر بعاب عند العرب حتّى يسلك به فجه فهو ظاهر الغلط ، لاسيّما وقد قال توبة [الخفاجي من الطويل] :

لَقَدْ زَعَمْتَ لَيْلَى بِأَنِّي فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فَجُورُهَا^(٥)

(١) جمست : جمدت . يقول : طلاقه وجهك وجودك . . خير لهم من عفّتك ؛ لأنّ هذه يعود نفعها عليك ، أمّا الطّلاق والنّدَى . . فنفعهما عليهم .

(٢) يقول : إنّ أسباب العفاف بلا تقى لا تنفع ؛ لأنّها قد توجد مع البرّ والفاجر ، وقد توجد مع إبليس ، ولو أنّها تنفع بلا تقى . . لنفعته ؛ لأنّه لا يأكل حراماً ، ولا يأخذ أموال النّاس بالباطل ، وكذلك عفّتك إنّ لم يكن معها تقى ولا ندى . . فهي لا تنفع .

(٣) عامر : هو عامر بن الطفيل ، وكان زناً . علقمة : هو ابن علاثة وكان عفيفاً . وأشار بقوله : قُدَّمَ : إلى أنّ الأعشى قدّم عامراً على علقمة حينما تنافرا إليه . وقصّة منافرتهما موجودة في « جمهرة خطب العرب » (٤١/١) ، فليرجع إليها من أحب .

(٤) في قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَرَأَيْتُمْ مَنِ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ ، والله أعلم .

(٥) البيت من قصيدة رائعة لتوبة الخفاجي ، الذي هو أحد عشاق العرب ، ومحبوبته هي ليلي الأخيالية الشاعرة العفيفة ، التي لم يحظ منها بشيء ؛ إذ زوّجها أبوها لغيره ، ومن أشعارها فيه :

أَمَّا قَوْلُ لَيْلَى [مِنَ الطَّوِيلِ] :

مَعَاذَ الْكُتْهِى قَدْ كَانَ وَاللَّهِ تَوْبَةً جَوَاداً عَلَى أَلْعَلَّاتِ جَمّاً نَوَافِلُهُ
أَغْرَ خَفَاجِيّاً يَرَى الْبُخْلَ سُبَّةً تُحَالِفُ كَفَّاهُ الْكُنْدَى وَأَنَامِلُهُ
عَفِيفاً بَعِيدَ أَلْهَمٍ صُلْباً قَنَاتُهُ جَمِيلاً مُحَيَّاهُ قَلِيلاً غَوَائِلُهُ

إِنَّمَا جَاءَتْ بِهِ مَكَابِرَةٌ لِقَوْلِ مُعَاوِيَةَ - أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ - وَيَحْكُ يَا لَيْلَى ؛ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ عَاهِراً فَاجِراً . وَرَأَيْهَا مَعَ النَّاسِ أَقْوَى حِجَّةً مِنْ وَصْفِهِ بِالْعَفَافِ مَعَ الضَّعْفِ ؛ بِأَمَارَةٍ الْإِيجَازِ الَّذِي لَمْ يَتَجَاوَزِ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ فِيهِ .

وَسَمِعْتُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ حَيْدَرِ أَبَادٍ أَنَّ بَغِيّاً قَالَتْ لِمُحْسِنٍ هَذَا : أَتَوْجَدُ مِثْلَهُ أَلْفَ رُوبِيَّةٍ مُجْمُوعَةً مَعاً فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ ؟ فَقَالَ لَهَا : نَعَمْ .

فَقَالَتْ : أَمَّا أَنَا فَلَا أَصْدُقُ بِذَلِكَ ، وَإِنْ كَانَ وَاقِعاً . فَإِنِّي أَتَمَنَّى أَنْ أَرَاهُ .
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ مِثْلِ أَلْفِ رُوبِيَّةٍ ، وَنَثَرَهَا فِي بَقْعَةٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ أَمَرَهَا أَنْ تَرْقِصَ عَلَيْهَا ، لَا أَدْرِي أَبَشَابِهَا أَمْ عُرْيَانَةً ، ثُمَّ سَوَّغَهَا إِيَّاهَا .
وَمِنْ مُحَاسِنِهِ : وَقَفُّهُ لِيَشْحَرَ الْآتِي ذِكْرُهُ بِمَوْضِعِهِ^(١) .

وَقَدْ أَثَّرَتْ عَلَى حَيَاةِ مُحْسِنٍ حَادِثَةُ الْهَزِيمَةِ فِي الْحَزْمِ وَالصَّدَاعِ ، لِاسْتِمَا وَأَنَّ آلَ الْقُعَيْطِيِّ أَحْضَرُوا سِدَّةَ^(٢) صَدَاعٍ إِلَى حَيْدَرِ أَبَادٍ وَوَضَعُوهَا فِي الطَّرِيقِ الْوَاسِعَةِ ، فَمَاتَ غَبْنًا^(٣) فِي سَنَةِ (١٢٩٤ هـ) عَنْ وَلَدٍ يُقَالُ لَهُ : حَسِينٌ ، لَمْ يَكُنْ بِدُونِ أَبِيهِ فِي

= وَذِي حَاجَةٍ قَلْبَالِهِ لَا تَبْكَحُ بِهَا فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيَّيْتَ سَبِيلَ
لِنَا صَاحِبٍ لَا يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ وَأَنْتِ لِأَخْرَى صَاحِبٌ وَخَلِيلُ
وَلِلْبَيْتِ الَّذِي مَعْنَا قِصَّةٌ رَاقِعَةٌ ، مَوْجُودَةٌ فِي « جُمُوعَةُ خُطَبِ الْعَرَبِ » (٤١١ / ٢) . . . فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهَا .

(١) وَنَصْرٌ وَثِيقَةُ الْوَقْفِيَّةِ فِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » (٣٧ / ٣) كَتَبَتْ سَنَةَ (١٢٨٦ هـ) .
(٢) السِّدَّةُ : هِيَ بَوَابُةٌ مَدْخَلُ الْبَلَدَةِ الْمَسُورَةِ ، وَإِنَّمَا فَعَلَ آلُ الْقُعَيْطِيِّ ذَلِكَ نَكَايَةً وَأَذِيَّةً لِلْعَوْلَقِيِّ وَسُخْرِيَةً مِنْهُمْ بِهِ .

(٣) فِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » : أَنَّ مُحْسِنًا مَاتَ مَسْمُومًا ، سَمَّهُ طَبِيبٌ ، وَلَمَّا فَطِنَ وَلَدُهُ حَسِينٌ بِالْأَمْرِ . . . اسْتَلَّ خَنْجَرَهُ وَطَعَنَ الطَّبِيبَ .

الشَّجَاعَةِ ، وَلَكِنَّهُ مَاتَ بَعْدَهُ وَشِيكَا بِسْمٍ - حَسَبَمَا يَقَالُ - دُسَّ إِلَيْهِ ، وَبِمَوْتِهِ أَنْقَرَضُوا
عَنْ غَيْرِ وَارِثٍ ثَابِتٍ ، فَصَارَتْ نَقُودُهُمْ - الْمَقْدَرَةُ بِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ رَوِيَّةٍ ،
فَضْلاً عَمَّا يُنَاسِبُهَا مِنَ الْمَجُورَاتِ وَالْعَقَارَاتِ الْكَثِيرَةِ - طَعْمَةً لِبَيْتِ الْمَالِ^(١) .

وَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَنَازِلُهُمْ قَفراً سِوَى الذِّكْرِ وَالْآثَارِ إِنْ ذُكِرُوا^(٢)

وَسَبْحَانَ مَنْ لَا يَدُومُ إِلَّا مُلْكُهُ^(٣) وما هنا ليس إلا نموذجاً لِمَا فِي « الْأَصْلِ » مِنْ
أَخْبَارِهِمُ الشَّيْخَةِ ، وَكُلُّهُ دُونَ مَا يَسْتَحِقُّونَ ؛ لِأَنَّ خَبَرَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ أَكْبَرِ
أَخْبَارِهِ ، فَلَوْ أَنَّ كَتَبْنَا كُلَّ مَا سَمِعْنَاهُ عَنْهُ رَأَهُ . لَكَانَ عَجَباً ! وَمَوْتُهُ مِنْ غَيْرِ وَارِثٍ قَدْ
يَنَافِي كَوْنَهُ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بِاحْلَوَانَ ؛ لِأَنَّهُمْ مَعْرُوفُونَ فِي الْغُرْفَةِ بِأَنَسَابِهِمْ إِلَى الْآنَ .

الشَّخَرُ^(٤)

لَهَا عِدَّةُ إِطْلَاقَاتٍ :

الْأَوَّلُ : أَنَّهَا أَسْمٌ لِكُلِّ مَا شَمِلَهُ حَدٌّ حَضْرَمَوْتَ السَّابِقُ ذِكْرُهُ أَوَائِلَ الْكِتَابِ .

الثَّانِي : أَنَّهَا أَسْمٌ لِسَاحِلِ الْمَشْقَاصِ بِأَسْرِهِ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ لِبَنِي ظَنَّةَ . فَهُوَ دَاخِلٌ فِي

(١) وَلَمْ يَكُنْ بِالْهِنْدِ آنَذَاكَ بَيْتُ مَالٍ إِسْلَامِيٍّ ، إِنَّمَا أَسْتَوْلَتْ عَلَى الثَّرَكَةِ الْحُكُومَةُ الْإِنْكَلِيزِيَّةُ ؛ إِذْ كَانَتْ
مُسْتَعِمِرَةً الْهِنْدِ الَّتِي كَانَتْ تَسْمَى آنَذَاكَ : دَرَّةُ النَّجَاحِ الْبَرِيطَانِيَّ .

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الْبَسِيطِ .

(٣) قَالَ الْمَصْنُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » : (وَلَقَدْ رَأَيْتُ قَصْرَهُ الْفَخْمَ الضَّخْمَ بِحِيدَرِ آبَادٍ عِنْدَمَا
اجْتَزَتْ بِهَا فِي سَنَةِ (١٣٤٩ هـ) خِرَاباً يَبَاساً) .

(٤) لِلطَّبِيبِ بَامْخَرْمَةِ كَلَامٍ مُفِيدٍ عَنِ الشَّحْرِ فِي كِتَابِهِ « نَسَبَةُ الْبُلْدَانِ » سِذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي مَوْضِعٍ لَاحِقٍ ،
وَكَانَ حَقُّهُ أَنْ يَذْكَرَ هُنَا ، وَقَدْ كَانَتْ الشَّحْرُ تَطْلُقُ قَدِيمًا عَلَى الْمُنَاطِقَةِ السَّاحِلِيَّةِ الْوَاقِعَةِ مَا بَيْنَ عَمَانَ
وَسَاحِلِ حَضْرَمَوْتَ جَمِيعِهَا . أَمَّا الْيَوْمَ . . فَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ مَدِيرِيَّاتِ حَضْرَمَوْتَ ، وَتَضُمُّ أَرْبَعَةَ مَرَاكِزَ
مَتَابَعَةٍ وَمَتْرَامِيَّةِ الْأَطْرَافِ وَهِيَ : الدِّيسُ الْحَامِي ، وَالرِّيدَةُ ، وَقَصِيْعِر ، وَغَيْلُ بْنُ يَمِينٍ . وَهِيَ مَنَاطِقَةٌ
غَنِيَّةٌ جَدًّا بِتَرَاثِهَا وَخَيْرَاتِهَا النَّفْطِيَّةِ وَالسَّمَكِيَّةِ . وَهِيَ تَقَعُ عَلَى سَطْحٍ مَتَسِعٍ مِنَ الشَّاطِئِ الَّذِي يَنْحَدِرُ
تَدْرِيجِيًّا إِلَى الْبَحْرِ ، وَلِذَا تَرَسُّو السُّفُنَ بَعِيدًا عَنْهُ لِفَضَحَاتِهِ ، وَكَانَ لَهَا قَدِيمًا سُورٌ لَهُ بَوَابَتَانِ تَعْرِفُ
إِحْدَاهُمَا بَسْطَةُ الْعِيدَرُوسِ ، وَالْأُخْرَى بَسْطَةُ الْخُورِ ، وَقَدْ خَرِبَ هَذَا السُّورُ وَبَقِيَتْ سِدَّةُ الْعِيدَرُوسِ
قَائِمَةً كَمَسْلَمٍ تَارِيخِي .

حَدَّ حَضْرَمَوْتَ ، وما كَانَ مِنْهُ لِلْمَهْرَةِ كَبْدِيَعَوْتَ . . . فَهُوَ شَجَرُ الْمَهْرَةِ .

الثَّالِثُ : أَنَّهَا أَسْمٌ لَجَمِيعِ مَا بَيْنَ عَدَنَ وَعُمَانَ ، كَمَا ذَكَرَهُ يَاقُوتُ [٣٢٧/٣] عَنِ الْأَصْمَعِيِّ .

وَكثِيرٌ مَنْ يَقُولُ : إِنَّ ظَفَارَ هِيَ قَاعِدَةُ بِلَادِ الشُّخْرِ ، وَفِي « الْأَصْلِ » بَسْطُ ذَلِكَ .

الرَّابِعُ : اخْتِصَاصُ الْأَسْمِ بِالْمَدِينَةِ الْيَوْمِ .

لَكِنْ نَقَلَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْحَدَّادُ عَنِ الْبَابِ السَّابِعِ مِنْ « نَخْبَةِ الدَّهْرِ » : (إِنَّ لِحَضْرَمَوْتَ فُرْصَتَيْنِ ^(١) عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، يَقَالُ لِاحِدَاهُمَا : شَرْمَةٌ ، وَهِيَ الْآتِي ذِكْرُهَا . وَلِلْأُخْرَى : الشُّخْرُ ، وَلَمْ تَكُنْ بِمَدِينَةٍ ، وَإِنَّمَا كَانُوا يَنْزِلُونَ بِهَا فِي خِصَاصٍ ^(٢) ، حَتَّى بَنَى بِهَا الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ - صَاحِبُ الْيَمَنِ فِي زَمَانِنَا هَذَا ^(٣) - مَدِينَةً حَصِينَةً بَعْدَ سَنَةِ سَبْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ) اهـ ^(٤)

وَفِي « صَبْحِ الْأَعَشَى » (١٦/٥) : (وَالشُّخْرُ - قَالَ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ : هِيَ بَلَدَةٌ صَغِيرَةٌ - وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ . وَالَّذِي يَظْهَرُ : أَنَّ لَهَا إِقْلِيمًا يُنسَبُ إِلَيْهَا) اهـ
وَمَا اسْتَظْهَرَهُ هُوَ الْوَاقِعُ ، وَلَا سِيَّمًا فِي الْأَعْرَافِ الْقَدِيمَةِ ، وَكَانَتْ وَفَاةٌ يَاقُوتَ فِي سَنَةِ (٦٢٦ هـ) ؛ أَيِ : قُبِيلَ أَنْ يَجْعَلَهَا الْمُظْفَرُ مَدِينَةً بِمَدَّةٍ لَيْسَتْ بِالطَّوِيلَةِ .

وَمَا جَاءَ فِي « صَبْحِ الْأَعَشَى » عَنْ يَاقُوتَ لَعَلَّهُ مِنْ غَيْرِ مَادَةِ الشُّخْرِ ، أَمَّا فِيهَا مِنْ « مُعْجَمِهِ » . . . فَقَدْ أَطَالَ الْقَوْلَ عَنِ الشُّخْرِ ، وَقَالَ : (هُوَ صَقْعٌ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْهِنْدِ مِنْ نَاحِيَةِ الْيَمَنِ ، وَإِلَيْهِ يُنسَبُ الْعَنْبَرُ الشُّخْرِيُّ ؛ لِأَنَّهُ يَوْجَدُ فِي سَوَاحِلِهِ ، وَهَنَّاكَ عِدَّةٌ

(١) الْفُرْصَةُ : الْفَتْحَةُ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الْمَاءُ ، وَتَطْلُقُ عُرْفًا عَلَى الْمِيْنَاءِ .

(٢) قَوْلُهُ (خِصَاصٌ) : الَّذِي فِي « الْهَدْيَةِ السَّنِّيَّةِ » وَ« الشَّامِلِ » : أَنَّهَا (أَخْصَاصٌ) وَهِيَ - كَمَا عَرَّفَهَا الْحَدَّادُ - : بِيُوتٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْخُوصِ وَالسَّعَفِ .

(٣) يَعْنِي بِهِ الْقَرْنَ السَّابِعَ ، وَالْمُظْفَرُ هُوَ الْمَلِكُ يُوسُفُ بْنُ عَمْرِ بْنِ رَسُولِ الرَّسُولِيِّ ، كَانَ تَوَلَّاهُ الْمَلِكُ فِي الْيَمَنِ عَقِبَ مَقْتَلِ أَبِيهِ سَنَةَ (٦٤٩ هـ) ، وَتَوَفَّى هُوَ سَنَةَ (٦٩٤ هـ) .

(٤) « الْهَدْيَةُ السَّنِّيَّةُ » لِلْحَدَّادِ (ص ١٦) (مَخْطُوطٌ) ، وَ« نَخْبَةُ الدَّهْرِ » هُوَ لَشَيْخِ الرَّبُوءَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي طَالِبِ الْأَنْصَارِيِّ (٦٥٤-٧٢٧ هـ) ، دِمَشْقِيٌّ ، وَلِيَّ مَشِيخَةِ الرَّبُوءَةِ وَهِيَ مِنْ ضَوَاحِي دِمَشْقَ ، وَتَوَفَّى بِصَفَدَ . وَأَسْمُ كِتَابِهِ كَامِلًا : « نَخْبَةُ الدَّهْرِ فِي عَجَائِبِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ » مَطْبُوعٌ .

مدن يتناولها هذا الاسم ، وإلى الشَّحْرِ يُنسَبُ جماعةٌ منهم محمدُ بنُ خُوَيِّ بنِ معاذِ الشَّحْرِي (اهـ [٣/٣٢٧-٣٢٨] باختصار .

وفي « مروج الذهب » ذكرٌ للنَّسَاسِ الَّذِي أَفْضَتْ الْقَوْلَ عَنْهُ بِـ « الْأَصْلِ » ، ثُمَّ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ : وَوَجَدْتُ أَهْلَ الشَّحْرِ مِنْ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ وَسَاحِلِهَا - وَهِيَ تَسْعُونَ مَدِينَةً عَلَى الشَّاطِئِ مِنْ أَرْضِ الْأَحْقَافِ ، وَهِيَ أَرْضُ الرَّمْلِ وَغَيْرِهَا مِمَّا اتَّصَلَ بِهِذِي الدِّيَارِ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهَا ، مِنْ عَمَانَ وَأَرْضِ الْمَهْرَةِ - يَسْتَظَرُّونَ أَخْبَارَ النَّسَاسِ إِذَا مَا حُدِّثُوا ، وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ وَصْفِهِ ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُ بِيَعُضِ بَقَاعِ الْأَرْضِ مِمَّا قَدْ بَعُدَ عَنْهُمْ ؛ كَسَمَاعِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ بِذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ كَوْنِهِ فِي الْعَالَمِ ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ هَوَسِ الْعَامَّةِ ؛ كَمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ عِنْقَاءِ مُغْرَبٍ^(١) ، وَنَحْنُ لَا نَحِيلُ وَجُودَ النَّسَاسِ وَالْعِنْقَاءِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَمْتَنِعٍ فِي الْقُدْرَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ خَبَرٌ قَاطِعٌ لِلْعَذْرِ بِصَحَّةِ وَجُودِ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ . . . فَهَذَا دَاخِلٌ فِي حَيِّزِ الْمُمْكِنِ الْجَائِزِ . . . إِلَى آخِرِ مَا أَطَالَ بِهِ .

والذي يعيننا منه كَوْنُ الشَّحْرِ فيما سَلَفَ مِنَ الزَّمَانِ تَسْعِينَ مَدِينَةً ، وَكَوْنُ هَذِهِ الْأَرْضِ تَسْمَى كُلُّهَا أَرْضَ الْأَحْقَافِ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لكَثِيرٍ مِمَّا سَبَقَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلِلشَّحْرِ ذِكْرٌ فِي شِعْرِ سُرَاقَةَ بْنِ مِرْدَاسِ الْبَارِقِيِّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَخَذَ أَسِيرًا يَوْمَ جَبَّانَةِ السَّبِيحِ ، فَقُدِّمَ فِي الْأَسْرِ ، فَقَالَ - كَمَا عِنْدَ الطَّبْرِيِّ وَغَيْرِهِ^(٢) - [مِنْ الرَّجْزِ] :

أَمْنُنْ عَلَيَّ الْيَوْمَ يَا خَيْرَ مَعَدٍّ وَخَيْرَ مَنْ حَلَّ بِشَخْرِ وَالْجَنْدِ
وَخَيْرَ مَنْ لَبَّى وَصَلَّى وَسَجَدَ

فَعَفَا عَنْهُ الْمُخْتَارُ فِي قِصَّةِ طَوِيلَةٍ تَشْهَدُ لَاسْتِيلَائِهِ عَلَى الشَّحْرِ^(٣) .

(١) العنقاء : طائر أسطوري عظيم ، معروف الاسم ، مجهول الجسم . وعنقاء مغرب : أي مبعِد في البلاد . وهذا قول من أحد الأقوال فيها ، ومن أراد التوسع . . فليرجع إلى « لسان العرب » (٦٤١/١) .

(٢) تاريخ الطبري (٤٦٠/٣) .

(٣) سيذكر المصنف عقب ذكره المختار بن أبي عبيد الثقفي . . ما وقف عليه من حوادث في تاريخ الشَّحْرِ =

السياسية بدءاً من سنة (٥٧٥هـ) . . إلا أن صاحب « الشامل » (١١٠-١١٥) أورد أخباراً ومعلومات هامة عن تاريخ الشجر القديم إلى سنة (٥٤٩هـ) ولأنها أخبار مختصرة ومجملة فنذكرها لفائدة القارئ ؛ قال العلامة الحداد :

(للشجر تاريخ طويل ، هو جزء من تاريخ حضرموت ، فنذكر هنا كلاماً إجمالياً كالمقدمة لما يأتي والتوطئة . فقد تداولتها أيدي كثيرة ، فذكروا أنها كانت بأيدي سبأ أيام ملكهم ، ثم خلفتهم حضرموت ، فمهرة ، ثم تولّاها الفرس وجعلوا (اسبيخت) أي والياً من جهتهم .

ثم جاء الإسلام وهي كذلك . . فدخلت تحت حكم الخلفاء الراشدين ، ثم الملوك من بني صخر بن حرب الأموي ، ثم دخلت تحت حكم ابن الزبير حتى قتل ، فتولّاها ملوك بني مروان الأمويون ، إلى أن ولي الأمر مروان بن محمد الملقب بالحمار ، فظهر في أيامه عبد الله بن يحيى الكندي الإباضي ومكّنها مع سائر حضرموت واليمن ومكة والمدينة ، ثم جاءه جنود بني مروان فقضت عليه ، وعادت إليهم مع سائر حضرموت ، ثم عادت إلى الإباضية في فترة الحرب بين بني العباس وبني مروان إلى سنة (١٤٠هـ) . فجهز المنصور العباسي معن بن زائدة ، وأوعب معه الخيل ، قيل : إنه جهّز معه أربعين ألف فارس . . فاستباح اليمن وحضرموت ، واستخلف ابنه زائدة بن معن بن زائدة ، فأقام في اليمن ثلاث سنين ، ثم توالى الأمراء من بني العباس . حتى كانت سنة (٢٠٦هـ) ، فجاء ألف من مسودة خراسان مدداً للأمير الذي ولّاه المأمون العباسي على اليمن ، وهو محمد بن زياد من ذرية زياد أبن سمية ، فعظم أمر ابن زياد وملك إقليم اليمن بأسره ، حضرموت بأسرها ، والشجر ومرباط وأبين وعدن والنهائم إلى حلي ابن يعقوب .

وملك من الجبال الجند وأعماله ، ومخلاف جعفر ، ومخلاف المعافر ، وصنعاء وأعمالها ، ونجران وبيحان والحجاز بأسره ، وخلفه بعد وفاته سنة (٢٤٥هـ) ابنه إبراهيم بن محمد ، ثم ابنه زياد بن إبراهيم ، ثم أخوه أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم في حدود سنة (٢٩٠هـ) ، فاستولى على ما كان جده مستولياً عليه ، ومنه حضرموت بأسرها والشجر . وطالت ولايته نحو ثمانين سنة ، فتمنعت عليه أطراف البلاد . وأستبد عنه أسعد بن أبي يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ، ثم أخوه محمد بن أبي يعفر ، فغزا حضرموت وأجناحها . ثم تولّتها مهرة ؛ منهم أبو ثور المهري ، ثم عادت إلى أيدي بني زياد ، وكانت الشجر بيده إلى سنة (٣٦٦هـ) كما ذكر ذلك عمارة في « مفيدة » ، وتوفي أبو الجيش الزيداني سنة (٣٧١هـ) ، ثم تولّى بعده ابنه ، ثم انقرضوا . فقام بالأمر عبد الحسين بن سلامة ، وكان أميراً نويباً كبيراً) .

إلى أن قال : (وأقام في الملك ثلاثين سنة ، وتوفي سنة (٤٠٢هـ) ، واضطرب ملك بني زياد بعد وفاته ، واستولى بنو معن من العوالق على عدن وأبين وحضرموت والشجر . ثم ثار الداعي أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي القائم بدعوة العبيدتين المصريتين ، فطوى اليمن طياً ، ولكنه أبقى بني معن نواباً عنه ، فلمّا قتل سنة (٤٥٩هـ) . . تغلب بنو معن على ما بأيديهم من البلاد ، ثم

وكانت دولة الشَّحْرِ لِكِنْدَةَ إِلَى سَنَةِ (٥٧٥هـ) ^(١) . . حيثُ هَجَمَ عَلَيْهَا الزَّنْجِيلِيُّ .

ثُمَّ تَوَلَّاهَا آلُ فَارِسٍ ^(٢) الْمَخْتَلَفُ فِي نَسَبِهِمْ : فَقِيلَ : إِلَى الْأَنْصَارِ ، وَهُوَ أَبَعْدُهَا .

= قصدهم المَكْرَمُ بن عليّ بن مُحَمَّد الصُّلَيْحِيّ إِلَى عَدَنَ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا ، وَوَلَّاهَا الْعَبَّاسُ وَمَسْعُودُ ابْنِي المَكْرَمِ الْهَمْدَانِيّ وَتَغَلَّبَ فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ عَلَى حَضْرَمَوْتَ وَالشَّحْرِ أُمَرَاءُ الْبِلَادِ كَمَا يَظْهَرُ . وَلَمْ نَجِدْ تَفْصِيلاً فِي ذَلِكَ ؛ فِيهِ فِتْرَةٌ مَجْهُولَةٌ فِي تَارِيخِ الشَّحْرِ وَحَضْرَمَوْتَ إِلَى سَنَةِ ٥٠٢هـ)

(١) بَعْدَ أَنْ سَرَدْنَا أَحْدَاثَ تَارِيخِ الشَّحْرِ مَجْمُوعَةً مِنْ « الشَّامِلِ » الَّذِي أَنْتَهَى إِلَى سَنَةِ (٤٥٩هـ) . . ثُمَّ ذَكَرْنَا أَنَّ هُنَاكَ فِتْرَةٌ فِي التَّارِيخِ الْحَضْرَمِيِّ مَجْهُولَةٌ إِلَى سَنَةِ (٥٠٢هـ) أَيَّ حَوَالِي بَضْعَ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا أَنَّ الْمُصَنِّفَ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا مَا بَعْدَ سَنَةِ (٥٧٥هـ) . . فَإِنَّا نَسْتَأْنِفُ الْكَلَامَ هُنَا عَلَى تَارِيخِ الشَّحْرِ وَحُكْمِ آلِ فَارِسِ بْنِ إِقْبَالٍ - وَهُمْ مِنْ كِنْدَةَ - عَلَى أَوْسَطِ الْأَقْوَالِ كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ :

دولة آل إقبال في الشحر :

سنة (٥٠٢هـ) قتل أبو أحمد بن مُحَمَّد بن فارس وابنه مظفر في الأشجار ، [« شنبِل » (ص ٢١)] .

سنة (٥٠٩هـ) قتل راشد بن إقبال بن فارس بدوعن ، وولد ابن ابنه راشد بن محفوظ بن راشد [« شنبِل » (ص ٢٤)] .

قال في « الشَّامِلِ » : (فَمِنْ هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ وَمَا يَأْتِي بِظَهَرِ أَنَّ هَذِهِ الْعَشِيرَةَ تَعْرِفُ بِآلِ بْنِ فَارِسَ ، وَآلِ إِقْبَالٍ هِيَ الْمَتَوَلَّيَةُ عَلَى الشَّحْرِ وَالْمَنَاظَعَةِ فِي دُوعَنْ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ - أَيَّ شَنْبِلٍ فِي سَنَةِ (٥١٥هـ) - : (انْفَرَدَ فَارِسُ بْنُ رَاشِدٍ بِنِ إِقْبَالٍ بِوَلَايَةِ الْأَشْجَارِ ، وَخَرَجَ أَخُوهُ مُحْفُوظٌ مِنْهَا) [« شَنْبِل » (ص ٢٦)] . ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُمْ إِلَى سَنَةِ (٥٤٧هـ) ، فَقَالَ : (وَفِيهَا تَوَفَّى عَبْدُ الْبَاقِيِّ بْنُ فَارِسِ بْنِ رَاشِدٍ بِنِ إِقْبَالٍ بِمَأْرَبَ) [« شَنْبِل » (ص ٣٧)] . وَفِي سَنَةِ (٥٧٥هـ) قَتَلَ رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ بْنُ فَارِسِ بْنِ إِقْبَالٍ ، قَتْلَهُ الثُّعَيْنُ بَعْدَ أَنْ قَتَلَ عَيْسَى بْنَ إِبْرَاهِيمَ وَأَخَاهُ أَبَا بَكْرٍ [« شَنْبِل » (ص ٤٨)]) اهـ .

انتهى كلام الحداد ، ثم تحدّث عن غزو الغز لحضرموت . . كما سيأتي ذكره في تريم .

(٢) الْكَلَامُ عَلَى نَسَبِ آلِ فَارِسِ الَّذِينَ هُمْ نَفْسُهُمْ آلُ إِقْبَالٍ ، كَمَا تَقَدَّمَ . فَقَوْلُ الْمُصَنِّفِ : كَانَتْ دَوْلَةُ الشَّحْرِ لِكِنْدَةَ . . إلخ ، ثُمَّ قَوْلُهُ : (ثُمَّ تَوَلَّاهَا آلُ فَارِسِ) . . يُوْهِمُ أَنَّ الْأَوَّلِينَ غَيْرَ الْآخِرِينَ ، وَهَذَا لَعَلَّهُ سَهُوٌ مِنْهُ لَمَّا قَدَّمْنَا .

حُكْمُ الْغَزِّ ثُمَّ عَوْدَةُ آلِ فَارِسِ : قَدَّمْنَا أَنَّهُ فِي عَامِ (٥٧٥هـ) قَتَلَ رَاشِدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِيِّ بْنُ فَارِسِ بْنِ إِقْبَالٍ . . إلخ الْخَبَرِ السَّابِقَ ، وَفِي تِلْكَ السَّنَةِ كَانَ قُدُومُ الزَّنْجِيلِيِّ عَثْمَانَ الَّذِي عَاثَ فِي حَضْرَمَوْتَ الْفَسَادَ ، وَلِكُنْهَ هَرَبَ مِنْ عَدَنَ سَنَةَ (٥٧٩هـ) لَمَّا جَاءَ طَغْتَكِينَ بْنَ أَيُّوبَ مِنْ مِصْرَ إِلَى الْيَمَنِ . ثُمَّ عَادَتْ أَشْجَارُ إِلَى حُكْمِ الْأَهَالِيِّ حَتَّى سَنَةِ (٦٠٩هـ) . . فَوَصَلَ عَبْدُ الْبَاقِيِّ بْنُ فَارِسِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ عَبْدِ الْبَاقِيِّ بْنِ فَارِسِ بْنِ إِقْبَالٍ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْغَزِّ وَأَخْرَجُوا الْأَهَالِيَّ ، وَهَرَبَ وَإِلَيْهَا إِلَى تَرِيمَ ، وَهُوَ فَارِسُ بْنُ رَاشِدٍ ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي سَنَةِ (٦٠٨هـ) ، وَبَقِيَتْ الشَّحْرِ تَحْتَ إِمْرَتِهِمْ إِلَى سَنَةِ (٦١٦هـ) ، وَفِيهَا خَرَجَ ابْنُ مَهْدِيٍّ وَطَرَدَ آلَ إِقْبَالٍ . . كَمَا سَيَذْكُرُ الْمُصَنِّفُ . يَنْظُرُ « الشَّامِلُ » (١١١) ، وَالْجُزْءُ =

وقيل : إلى كِنْدَةَ ، وهو أوسطها ، ويُؤَيِّدُهُ ما سبقَ في حَجَرٍ أَنْ لَا تَزَالَ بِهِ طَائِفَةٌ مِنْ آلِ
أَبْنِ دَغَارٍ الْكِنْدِيِّينَ ، يُقالُ لَهُمْ : آلُ فَارِسٍ . وقيلَ : إلى الْمَهْرَةِ ، وهو الَّذِي رَجَّحَتْهُ
وَدَلَّلَتْ عَلَيْهِ .

وفي سَنَةِ (٦١٦هـ) : أَنْقَضَ أَبُو مَهْدِيٍّ ^(١) - وهو مِنْ صَنَائِعِ آلِ رَسُولِ الْيَمَانِيِّينَ -
عَلَى آلِ فَارِسٍ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الشَّخْرِ ^(٢) .

وفي سَنَةِ (٦٢١هـ) : تَوَلَّى عَلَيْهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَاشِدٍ ^(٣) ، وَكَانَ يُؤَدِّي الْخَرَجَ
لِمَلُوكِ الْغَزْ ، فَعَزَلَهُ نَوْرُ الدِّينِ الرَّسُولِيُّ ^(٤) بِرَجُلٍ مِنَ الْغَزْ ، وَأَصَافَ إِلَيْهِ نَقِيبًا ، فَقَتَلَ
الْغَزِّيَّ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْبِلَادِ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَاشِدٍ فِي ضِيَاةٍ نَوْرُ الدِّينِ
بَتَعِزٍ ، فَاسْتَدْعَاهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسِيرَ إِلَى الشَّخْرِ ، فَضَبَطَهَا وَبَقِيَتْ تَحْتَ
حُكْمِهِ ^(٥) إِلَى سَنَةِ (٦٧٨هـ) حَيْثُ دَخَلَ الشَّخْرُ وَحَضَرَ مَوْتُ تَحْتَ حُكْمِ الْمَظْفَرِ
الرَّسُولِيِّ ، وَلَكِنَّهُ أَبْقَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنُ رَاشِدٍ عَلَيْهَا نَائِبًا عَنْهُ حَتَّى تَوَفَّى فِي سَنَةِ
(٦٦٤هـ) ، وَدُفِنَ بَيْنَ تَرَبَةِ الشَّيْخِ سَعْدِ الظَّفَارِيِّ وَتَرَبَةِ عَمْرِو ، وَقَبْرُهُ مَشْهُورٌ بِهَا .

= الثَّانِي مِنْ «جَوَاهِرِ الْأَحْقَافِ» وَ«تَارِيخِ الْحَامِدِ»

- (١) ابن مهديٍّ وأسمه : عمر بن مهديٍّ الحميريُّ اليمنيُّ ، كان أميراً على جنود الغزِّ من قبل الأيوبيين .
- (٢) ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة أو الأولى لابن مهديٍّ في فتكه بآل فارس ، بل إنَّه بدأ تحرُّكاته الواسعة منذ عام (٦١٠هـ) ، وله أخبار كثيرة ، وقد قتل بشبام سنة (٦٢١هـ) على قول الحامد ، والذي في «شبل» أنَّه قتل بشحوح ، وهو وادٍ قرب سيئون ، سيأتي ذكره ، وبالتَّحديد قتل في (٩) محرم (٦١٠هـ) ، قتلته نهد . انظر في أخبار حملات ابن مهديٍّ : «جواهر الأحقاف» (١٢٣-١١٥/٢) ، «تاريخ الحامد» (٤٩٣-٤٩٧/٢) . «الأدوار» (١٨٠) .
- (٣) هو عبد الرَّحْمَنِ بْنُ رَاشِدِ بْنِ إِقْبَالِ بْنِ فَارِسِ الْأَصْغَرِ ابْنِ مَحْفُوظِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ إِقْبَالِ بْنِ فَارِسِ الْأَكْبَرِ ، وكان حكمه للشَّخْرِ من سنة (٦٢١) إلى (٦٦٤هـ) حيث توفي فيها . وكان من أمره أنَّه اشترى حضرموت كُلَّهَا سنة (٦٣٦هـ) لكنَّها خرجت عن طاعته سنة (٦٣٦هـ) على يد ابن شَمَّاخ . والتَّفَاصِيلُ فِي «تَارِيخِ الْحَامِدِ» (٥٤٣-٥٣٨/٢) .
- (٤) نور الدِّين المنصور عمر بن عليٍّ بن رسول ، أوَّل من ملك اليمن من آل رسول ، وكان ملكه من سنة (٥٢٥هـ) إلى سنة (٦٤٩هـ) ؛ إذ قتل فيها .
- (٥) أي : حكم آل رسول ؛ وجندهم الغزِّ .

وخلّفه أخوه راشد بن شجعنة ، فبقي عليها إلى سنة (٦٧٧هـ) ، فتغيّر عليه المظفر وأعتقله بزبيد إلى أن مات^(١) .

وفي سنة (٧٦٧هـ) : وصل المظفر بنفسه إلى الشحر ، فعمرها - حسبما تقدّم - ثم لم يزل حكامها من أسرته تحت أمر آل رسول حتى ضعف أمرهم . وصار النفوذ بحضرموت لآل يمان^(٢) .

وفي سنة (٨١٢هـ)^(٣) : استولى دويس بن راصع على الشحر ، ثم عادت لآل فارس^(٤) ، حتى أنزعها منهم آل كثير في سنة (٨٦٧هـ) ، وهي أوّل دولتهم بها^(٥) . ثم استردّها آل فارس منهم في سنة (٨٩٤هـ)^(٦) .

(١) « الحامد » (٥٤٣/٢) ، وبموت راشد هذا انتهت فترة حكم آل إقبال الأخيرة على الشحر ، ولم يؤرّخ لوفاته .

(٢) انظر تفاصيل فترة حكم آل يمان في : « تاريخ الحامد » (٤٩٨-٥٣٥/٢) ، واستمرت من سنة (٦٢١هـ) إلى سنة (٩٢٦هـ) بدءاً بالسلطان سعود بن يمان وانتهاءً بمحمّد بن أحمد بن سلطان .

(٣) ما بين عامي (٦٦٧هـ) و (٨١٢هـ) جرت حوادث كثيرة ، انظرها مجملة في « الشامل » (١١٢) ، و« تاريخ شنبل » ، و« الحامد » .

(٤) لم أجد لهذا القول موازراً في المصادر الأخرى ، والذي اتفقوا عليه كما تقدّم قريباً أنّ حكم آل فارس بن إقبال انتهى بموت راشد بن شجعنة المتقدّم . لكنّ خبراً في سنة (٨٣٦هـ) عند « شنبل » أنّ السلطان عبد الله عليّ الكثيري حاصر الشحر وفيها ابن فارس ، فقتل فيها جماعة ، وقبله في سنة (٨٣٢هـ) ذكر أنّ ابن فارس جمع قومه مرة أخرى!!

سعد بن فارس بادجانة : ثمّ بعد بحثٍ تبين أنّ ابن فارس هذا ليس هو من آل إقبال الذين انتهوا كما ذكرنا ، وإنّما المقصود به سعد بن فارس بادجانة (أبو دجانة) الشّماسيّ الكنديّ من قبيلة التّحمت بالمهرة ، وهي كندية الأصل ، ولما طلبوا الملك . . ساعدهم أخوالهم من المهرة ، وكان ملك سعد بن فارس قبل سنة (٨٢٠هـ) كذا في « الشامل » (١١٢) ، ولم يجزم به الحامد ، إلّا أنّه قال : حوالي سنة (٨٣٦هـ) ، لكنّ حسبما في « الشامل » أنّه في ذلك التاريخ ؛ أي سنة (٨٣٦هـ) استولى على حيريج بعد الشحر . وأخبار آل بادجانة عند « الحامد » (٥٦٥/٢) وما بعدها ، و« الشامل » (١١٣-١١٢) .

(٥) وظهر في تلك الأثناء : آل طاهر (الدولة الطاهرية) ، وتدخّلوا في الأحداث السياسيّة أيضاً هم الآخرون .

(٦) وذلك على يد سعد بن مبارك بادجانة . « شنبل » (٢٠٦) ، و« الشامل » (١١٧) ، و« الحامد » (٨٦/٢) .

ثُمَّ أَسْتَرَجَعَهَا آلُ كَثِيرٍ فِي سَنَةِ (٩٠١ هـ)^(١) ، وَمَا زَالَتْ فِي أَيْدِيهِمْ عَلَى مَنَاوِشَاتٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أُمَرَاءِ الْعَشَائِرِ حَتَّى اسْتَوْلَى الْإِمَامُ (أَلْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ) عَلَى حَضْرَمَوْتَ وَعَلَيْهَا فِي سَنَةِ (١٠٧٠ هـ)^(٢) .

(١) دَخَلَتِ الشُّعْرُ تَحْتَ حُكْمِ آلِ كَثِيرٍ فِي ذَلِكَ التَّارِيخِ عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ بَدْرِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْكَثِيرِيِّ ، وَبَقِيَتْ فِي حُكْمِهِمْ حَتَّى سَنَةِ (١٠٧٠ هـ) ؛ إِذْ قَدِمَ الزُّيْدِيَّةُ وَحَكَمُوهَا إِلَى سَنَةِ (١٠٩٣ هـ) ؛ إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْكَثِيرِيِّ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا . ثُمَّ خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ يَافِعٌ وَاضْطَرَبَتْ أُمُورُ آلِ كَثِيرٍ ، حَتَّى قَامَ جَعْفَرُ بْنُ عُمَرَ سَنَةِ (١١٢٩ هـ) فَشَدَّ مِثْرَهُ وَأَسْتَرَدَّهَا ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

قَالَ الْكَثِيرِيُّ بْنُ عُمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ لِي نَاذِرَاسِي يَالشُّوَامِخُ نُودِي (الشُّعْرُ) خَذْنَاهَا قَدْ قَلَّزَ عَادَا (الْمَكْلَا) بَاتِحَنَ رَعُودِي
ملخصاً من « تاريخ الدولة الكثيرية » . . عدة مواضع .

(٢) حُكِمَ أَيْمَةُ الْيَمَنِ لِحَضْرَمَوْتَ : كَانَتْ الْبِدَايَةُ فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ بَدْرِ بْنِ عُمَرَ بْنِ بُوَطُورِقِ الَّذِي وَلِيَ الْحُكْمَ بِإِشَارَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ سَنَةِ (١٠٢٤ هـ) ، وَلَكِنْ قَامَ عَلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ بَدْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ وَصَارَ يَكِيدُ لَهُ ، فَلَجَأَ إِلَى مَوَالِةِ أَيْمَةِ الْيَمَنِ وَأَخَذَ يَكَاتِبُهُمْ وَيَسْتَجِدُّ بِهِمْ . . فَنَفَرَ الشَّعْبُ مِنْهُ .

ثُمَّ وَثَبَ بَدْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى عَمِّهِ السُّلْطَانِ بَدْرِ بْنِ عُمَرَ وَابْنِهِ مُحَمَّدَ الْمَرْدُوفِ وَكَبَّلَهُمَا وَسَجَنَهُمَا فِي حَصْنِ مَرِيْمَةَ . وَلَمَّا عَلِمَ إِمَامُ الْيَمَنِ ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ الْمُتَوَكِّلُ عَلَى اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، الَّذِي حُكِمَ فِي الْفَتْرَةِ مَا بَيْنَ (١٠٥٤ هـ) وَ(١٠٨٧ هـ) ، أَرْسَلَ ابْنَ أَخِيهِ الصَّفِيِّ أَحْمَدَ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ الْقَاسِمِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ .

وَكَانَ النَّدَاءُ بِالنَّفِيرِ فِي صَنْعَاءَ وَالدَّعْوَةُ إِلَى الْجِهَادِ ثُمَّ التَّحَرُّكُ مِنَ الْغُرَاسِ يَوْمَ الْخَمِيسِ (١٨) شَوَّالٍ (١٠٦٩ هـ) . ثُمَّ كَانَ وَصُولُهُمْ إِلَى حَضْرَمَوْتَ آخِرَ رَجَبٍ (١٠٧٠ هـ) ، وَاتَّجَهُوا إِلَى الْعَوَالِقِ وَابْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ ، وَتَلَقَّاهُمُ الْعُمُودِيُّ إِلَى جَرْدَانَ ، ثُمَّ سَارُوا طَرِيقَ حَجَرَ ، وَطَلَعُوا عَقِبَةَ الْمَدْلَاةِ عَلَى السَّوْطِ ، وَخَرَجُوا بِعَقِبَةِ بَاعِقِبَةَ ، وَنَصَبُوا خِيَامَهُمْ بِجَدْفَرَةِ بِيضَانَ ، ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى الْهَجْرَيْنِ ، وَكَانَ أَهْلُهَا طَلَبُوا الْأَمَانَ ، فَأَمَّنَهُمْ ، وَنَهَيْتْ حَوْرَةَ وَسَدْبَةَ فِي الطَّرِيقِ ، وَسَلَّمَتْ لَهُ مَصْنَعَةَ هَيْنَ ثُمَّ بَقِيَّةَ الْمَصَانِعِ . وَمَنَعُوا الْأَذْكَارَ فِي الْمَسَاجِدِ ، لِأَسِيْمَا رَاتِبِ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ ، وَنُودِي (حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ) ، وَلَمْ يَمَانِعُوا إِلَّا مَوْذَنَ مَسْجِدِ بَاعْلُوي بِتَرِيمٍ . . فَلَمْ يَوْذَنْ بِهِ . وَبَدَخُولِ الْجِيُوشِ الزُّيْدِيَّةِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ . . انْتَهَتْ السُّلْطَةُ الْكَثِيرِيَّةُ تَمَاماً ، وَأَصْبَحَ السُّلْطَانُ عَدِيمُ الْقُوَّةِ حَتَّى جَاءَتْ سَنَةُ (١١١٣ هـ) وَفِيهَا قَدِمَتْ يَافِعٌ ، أَقْدَمَهُمُ السُّلْطَانُ بَدْرُ بْنُ مُحَمَّدَ الْمَرْدُوفِ بْنِ بَدْرِ بْنِ عُمَرَ . . وَسَتَّاتِي أَخْبَارَهُمْ . ثُمَّ كَانَتْ وَفَاةُ السُّلْطَانِ بَدْرِ بْنِ عُمَرَ بِالْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ سَنَةِ « ١٠٧٢ هـ » بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِي السُّلْطَنَةِ قَرِيرَ الْعَيْنِ ، وَمَاتَ بَدْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي سَيْتُونِ سَنَةِ (١٠٧٥ هـ) . يَنْظُرُ : « تَارِيخُ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ » (٦٩-٨٣) .

وَقَالَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْحَدَّادُ : (كَانَ خُرُوجُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ سَنَةَ ١٠٧٢ هـ) ، وَأَقَامَ بِجَيْشِهِ فِي حَضْرَمَوْتَ نِصْفَ شَهْرٍ ، ثُمَّ عَادَ طَرِيقَ الْبَحْرِ مِنْ بَنْدَرِ الشُّخْرِ ، وَاسْتَخْلَفَ السُّلْطَانُ بَدْرَ بْنَ عُمَرَ الْكَثِيرِيَّ ، وَتَرَكَ عِنْدَهُ جَمْلَةً مِنْ عَسْكَرِهِ الزَّيْدِيَّةِ ، وَاسْتَمَرَّ أَمْرُهُمْ نَحْوَ خَمْسِينَ سَنَةً إِلَى خُرُوجِ يَافِعٍ مِنَ الْجَبَلِ سَنَةَ ١١١٧ هـ (١) هـ

وَقَالَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْكَبْسِيُّ (٢) فِي كِتَابِهِ « الْمَسَالِكُ الْيَمِينَةُ » : (وَفِي سَنَةِ ١٠٦٤ هـ) : خَطَبَ بَدْرُ بْنُ عُمَرَ الْكَثِيرِيَّ لِلْإِمَامِ ، فَقَبِضَ عَلَيْهِ ابْنُ أَخِيهِ بَدْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، فَهَمَّ الْإِمَامُ بِالْتَّجْهِيزِ ، وَأَمَرَ بِحَشْدِ الْجُنُودِ إِلَى بَنِي أَرْضِ ، وَمَنْعَتْ بِلَادُ الرِّصَاصِ وَيَافِعَ وَالْعَوَالِقِ وَالْجَرَشِ وَالْوَاحِدِيِّ وَالْفَضْلِيِّ عَنِ الْمُرُورِ فِيهَا ، فَجَدَّ الْإِمَامُ (٣) فِي جِهَادِهِمْ ، وَاجْتَمَعَ لِأَوْلَادِ إِخْوَتِهِ زَهَاءُ عَشْرَةِ آلَافٍ رَاجِلٍ وَآلَفٍ عَنَانٍ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حَسَنِ الرِّصَاصِيِّ حَتَّى قُتِلَ ، وَانْهَزَمَ أَخُوهُ صَالِحٌ إِلَى الْبَيْضَاءِ ، وَانْتَهَبَ الْعَسْكَرُ جَمِيعَ مَا فِي مَخِيْمِهِمْ .

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ (٤) لَمْ يَشْهَدْ الْوَقْعَةَ ، وَلَكِنَّهُ حَضَرَ بَعْدَهَا ، فَتَقَدَّمَ إِلَى يَافِعَ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ « ١٩ » جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنَ السَّنَةِ إِلَى ذِيْلِ جَبَلِ الْعُرَّ ، فَاسْتَوْلَى عَلَى الْجَبَلِ ، وَعَادُوا إِلَى عِنْدِ الْإِمَامِ .

وَلَمَّا أَنْتَهَى خَبْرُ هَذَا النَّصْرِ الْعَظِيمِ إِلَى بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَثِيرِيِّ . . أَطْلَقَ عَمَّهُ ، وَخَطَبَ لِلْإِمَامِ ، فَأَرْسَلَ الْإِمَامُ صَالِحَ بْنَ حُسَيْنِ الْجَوْفِيِّ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، فَأَلْفَى الْأَمَرَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، فَوَجَّهَ بَدْرَ بْنَ عُمَرَ إِلَى ظَفَّارٍ وَآلِيَا عَلَيْهِا .

(١) الهدية السنية (٣٨) خ .

(٢) العلامة المؤرخ السيد محمد بن إسماعيل الكبسي ، مولده بهجرة الكبس سنة (١٢٢١ هـ) ، عاصر الشُّوكَانِي ، وَوَلِيَ قِضَاءَ ذِمَارٍ لِلْمَتَوَكَّلِ مُحْسِنُ بْنُ أَحْمَدَ (١٢٩٥ هـ) ، وَتَوَفَّى بِالْكَبْسِ سَنَةَ ١٣٠٨ هـ .

(٣) هو المتوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ إِسْمَاعِيلُ ابْنُ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٠٨٧ هـ) .

(٤) هو مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْقَاسِمِ . . الْعَالِمُ الْمُفَسِّرُ الْمُحَدِّثُ ، كَانَ نَحْوِيًّا أَصُولِيًّا بَارِعًا ، وَكَانَ مِنْ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ وَقَوَادِ الْجِيُوشِ فِي دَوْلَةِ عَمِّهِ الْمَتَوَكَّلِ ، مَاتَ بِصَنْعَاءَ (٨) شَوَّالِ (١٠٦٧ هـ) .

وفي سنة « ١٠٦٨ هـ » : غدر بدر بن عبد الله بعمه بدر بن عمر ، وأخرجَهُ عن ظَفَار^(١) ، فَقَدِمَ على الإمام فَأَكْرَمَهُ^(٢) .

وفي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ « ١٠٦٩ هـ » : أَخْتَارَ الْمُتَوَكِّلُ الصَّفِيَّ أَحْمَدَ بْنَ حَسَنِ^(٣) لِفَتْحِ خَضْرَمَوْتَ وَالشَّخْرِ وَظَفَار .

وفي شعبان : تَوَجَّهَ الصَّفِيُّ إِلَى وادي السَّرِّ^(٤) بِمَخْلَافِ خَوْلَانَ^(٥) ، ثُمَّ إِلَى فَخْوَانَ وَرَغْوَانَ^(٦) ، ثُمَّ إِلَى مَأْرَبَ^(٧) وَحَبَّانَ ، ثُمَّ دَخَلَ أَطْرَافَ بِلَادِ الْعَوَالِقِ فَوَصَلَ بِلَدَةَ وَاسِطٍ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى وادي حَجْرٍ ، ثُمَّ تَجَرَّدَ مِنْهَا تَجَرَّدَ الْحَسَامِ .

وكانَ سُلْطَانُ خَضْرَمَوْتَ قَدَّمَ عَسَاكِرَهُ إِلَى أَعْلَى عَقْبَةِ حَجْرٍ فَأَنْهَزَمُوا مِنْ أَحْمَدَ بْنِ

(١) قصّة غدر بدر بن عبد الله بعمه كانت بمساعدة أخيه جعفر بن عبد الله . ينظر : « تاريخ الدولة الكثيرة » (٧١-٧٠) .

(٢) وحاصل قصته وخبره أنه هرب من ظفار ووصل إلى عدن ، وكان قد وجّه ولديه مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا إِلَى الإمام ، فتلقاه والي عدن من قِبَلِ الصَّفِيِّ مبعوث الإمام ، وجّهه إلى ذمار ، فأرسل الإمام ولديه لاستقباله ومعهما الأكسية الفاخرة ، والخيول المحلّة والنقود الكثيرة ، ولمّا وصل إلى ذمار ، أمر الإمام أنجاله الكرام ومن بحضرته من العلماء أَنْ يَتَلَقَّوهُ بِالْجُنُودِ ، حَتَّى وَصَلُوا بِهِ إِلَى حَضْرَتِهِ « الدولة الكثيرة » (٧١) .

(٣) صفيّ الإسلام أحمد بن الحسن بن القاسم المهدي لدين الله (١٠٢٩-١٠٩٢ هـ) ، كان من شجعان الزيدية ، بويح له بالخلافة بعد عمّه إسماعيل المتوكّل سنة (١٠٨٧ هـ) ، وكان غزير العلم ، له مؤلّفات ، قال الشوكاني : وهو من أعظم الأئمّة المجاهدين . وهو الذي أخرج اليهود الذين كانت بيوتهم بصنعاء ، وسرّ كنيستهم ، ثمّ هدمها وعمر مكانها المسجد المعروف بمسجد الجلاء ، قال العرشي : كان أشجع أهل زمانه . . . حَتَّى سَمَّوْهُ « سيل الليل » .

« الأعلام » (١١٢/١) ، و« البدر الطالع » (٢٤٣/١) ، و« بلوغ المرام » (٢٦٨) ، و« خلاصة الأثر » (١٨٠/١) .

(٤) واد مشهور في ناحية بني حُشيش ، كان يسمّى : سرّ ابن الرويّة يبعد عن صنعاء (٢٥ كم) إلى الشمال الشرقي .

(٥) هي بلاد خولان العالية المعروفة بخولان الطيال المجاورة لصنعاء .

(٦) رغوان : بلدة تقع في سهل الجوف من الجدعان وأعمال نهم ، شمال شرقيّ صنعاء ، ورد في شعر أعشى باهلة حيث قال :

وأقبل الخيل من تليث مصغية أو ضم أعينها رغوان أو حضر
(٧) مأرب شرق صنعاء على مسافة (١٧٠ كم) .

الحسن ، وبأنهزامهم . . أنهزمَ مَنْ بَعْدَهُمْ ، وهذا المَحَلُّ يُقَالُ لَهُ : ريدة بَاسْتَدُوس ، ثُمَّ تَقَدَّمَ إِلَى الْهَجْرَيْنِ ، ثُمَّ اتَّقُوا بِعَسْكَرِ سُلْطَانِ حَضْرَمَوْتِ فَهَزَمُوهُمْ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى حَضْرَمَوْتِ ، وَعَادَ الصَّفِيُّ إِلَى حَضْرَةِ الْإِمَامِ بِضُورَان^(١) ، فِي أُبْهَةِ فَاخِرَةٍ ، وَدَوْلَةٍ قَاهِرَةٍ ، وَفَتْحِ قَرِيبٍ ، وَنَصْرِ عَجِيبٍ (اهـ بَاخْتِصَارٍ .

وَأِنَّمَا أَسْتَوْفِيَتْهُ مَعَ عَدَمِ مَلَأَمَتِهِ لِلْإِجْازِ ؛ لِأَنَّ فِيهِ مَا لَيْسَ فِي « الْأَصْلِ » ، عَلَى أَنَّ فِي « الْأَصْلِ » مَا لَيْسَ فِيهِ ، فَلْيُضَمَّ إِلَى كُلِّ مَا نَقَصَ .

أَمَّا اسْتِيلَاءُ يَافِعٍ عَلَى الشُّخْرِ وَحَضْرَمَوْتِ : فَكَمَا ذَكَرَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْحَدَّادُ : كَانَ فِي سَنَةِ (١١١٧ هـ) ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْمَكْلَأِ أَنَّ الشَّيْخَ عُمَرَ بْنَ صَالِحٍ هَرَهْرَةَ أَمِيرَ ذَلِكَ الْجَيْشِ أَقَامَ بِالشُّخْرِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ ، جَبَى فِيهَا مِنْهَا خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ رِيَالٍ (٣٥٠٠٠) .

وَكَانَ مِنْ يَافِعٍ طَائِفَةٌ يُقَالُ لَهُمْ : آلُ عِيَّاشٍ ، سَكَنَ رَئِيسُهُمْ بِحَصْنِ الشُّخْرِ الَّذِي كَانَ يُقَالُ لَهُ : الْمَصْبَحُ ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ : حَصْنُ ابْنِ عِيَّاشٍ .

وَمَا زَالَتْ يَافِعُ عَلَى الشُّخْرِ حَتَّى أَخَذَهَا الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ^(٢) بِالْمَهْرَةِ ، وَمَعَهُمُ الْأَمِيرُ سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَطْرَانَ ، وَحَصَلَ الَّتْدَاءُ بِالشُّخْرِ أَنَّ النَّاسَ فِي أَمَانٍ الْمَهْدِيِّ .

وَأَشْتَرَطَ يَافِعُ لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يُغَادِرُوا الشُّخَرَ بِسِلَاحِهِمْ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، فَخَرَجُوا مِنْهَا إِلَى حَضْرَمَوْتِ ، وَأَنْضَبُوا إِلَى عَسْكَرِ عُمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ^(٣) .

وَفِي سَنَةِ (١١١٨ هـ) : وَصَلَ السُّلْطَانُ عُمَرُ بْنُ جَعْفَرٍ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الشُّخْرِ ،

(١) ضُورَان : قَرْيَةٌ وَحَصْنٌ فِي مَخْلَافِ دَايَانَ مِنْ بَنِي مَطْهَرٍ ، غَرْبِ صَنْعَاءَ ، وَأَصْلُ التَّسْمِيَةِ هِيَ لِجَبَلٍ بِهِذِهِ النَّاحِيَةِ فَوْقَهَا سُمِّيَتْ بِهِ . وَأَيْضًا : هُوَ جَبَلٌ كَبِيرٌ وَيُسَمَّى الدَّافِعُ تَقَعُ فِي سَفْحِهِ الشَّمَالِيِّ بِلَدَةِ ضُورَانَ ، وَقَدْ تَهَدَّمَتْ بِفَعْلٍ زَلْزَالٍ فِي (٢٧) صَفَرِ (١٤٠٣ هـ) « الْبُلْدَانُ الْيَمَانِيَّةُ عِنْدَ يَاقُوتٍ » لِلْأَكْوَعِ (١٨٨) .

(٢) هُوَ الصَّفِيُّ أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ ، السَّابِقُ ذَكَرَهُ ، تَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ بَعْدَمَا مَلَكَ .

(٣) هُوَ السُّلْطَانُ عُمَرُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ بَدْرِ بَوَطُورِيٍّ ، تَرْتِيبُهُ (٣١) الْحَادِي وَالثَّلَاثُونَ ، بَيْنَ سُلْطَانِينَ آلِ كَثِيرٍ . تَوَلَّى السُّلْطَنَةَ حُدُودَ سَنَةِ (١١١٦ هـ) ، إِلَى وَفَاتِهِ بَعْدَ (١١٣٠ هـ) ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَسْقَطٍ فِي عُمَانَ . « تَارِيخُ الدَّوْلَةِ » (٩٦-١٠٥) .

وسَلَّمَهُ النَّقِيبُ وَالْعَسْكَرُ حَصْنَ الشُّخْرِ ، ونَادَى بِالْأَمَانِ ، ثُمَّ كَتَبَ لِلْعَسْكَرِ بِحَضْرَمَوْتَ : (إِنَّ سَيِّدِي الْإِمَامَ الْمَهْدِيَّ وَجَّهَنِي إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، فَإِنْ كُنْتُمْ فِي الطَّاعَةِ . سَلَّمْتُ الْنَّاسَ مِنَ الضَّرَرِ ، وَإِلَّا . . . فنَحْنُ وَاصِلُونَ بِالْجَيْشِ الْمَنْصُورِ ، وَهُوَ مُؤَلَّفٌ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةٍ مِنْ حَاشِدٍ وَبَكِيلٍ ^(١) ، وَنَحْوِ مِائَةٍ مِنْ سَائِرِ عَسْكَرِ الْإِمَامِ ، وَنَحْوِ مِائَةٍ مِنَ الْحِجَازِ ، وَنَحْوِ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ أَخْلَاطٍ مِنَ الْخَلْقِ) .

وَكَانَ السُّلْطَانُ عَيْسَى ^(٢) عَلَى سَيْثُونَ وَحَضْرَمَوْتَ ، فَأَنهَزَمَ .

ثُمَّ تَغَلَّبَتْ يَافِعٌ عَلَى عُمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَادَ الْأَمْرُ إِلَيْهِمْ بِالشُّخْرِ ، إِلَى أَنْ اخْتَلَفُوا ، فَغَلِبَهُمْ آلُ بُرَيْكٍ ، وَكَانُوا وَلَوْ رَأْسَهُمْ بَعْضَ الْأَمْرِ بِالنِّيَابَةِ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا اخْتَلَفُوا . . . اسْتَبَدَّ عَلَيْهِمْ .

وَأَصْلُ آلِ بُرَيْكٍ مِنْ حَرِيضَةٍ ، وَهُمْ إِمَامًا مِنْ بَقَايَا بَنِي نَاعِبٍ الْآتِي ذِكْرُهُمْ فِي التَّعْرِيفِ بِوَادِي عَمْدٍ ، وَإِمَامًا مِنْ بَنِي جَبَرٍ ؛ قَبِيلَةٌ مِنْ يَافِعٍ يَسْكُنُونَ جَبَلًا فِي سَرْوِ حَمِيرٍ ، يُقَالُ لَهُ : ذُو نَاجِبٍ ، كَمَا فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » لِابْنِ الْحَائِكِ الْهَمْدَانِيِّ [١٧٣] .

وَأَوَّلُ مَا أَبْتَدَأَ بِهِ آلُ بُرَيْكٍ الْمَصَالِحَةَ بَيْنَ الْحُمُومِ ^(٣) ، وَالتَّحَالُفُ مَعَهُمْ ، حَتَّى قَرَّبُوا النَّاسَ وَعَامَلُوهُمْ بِالْإِحْسَانِ حَتَّى أَحْبَبُوهُمْ .

(١) حَاشِدٌ وَبَكِيلٌ : قَبِيلَتَانِ مِنْ كَبَرِيَّاتِ قَبَائِلِ هَمْدَانَ ، وَهُمَا أَخَوَانُ ، قَالَ الْهَمْدَانِيُّ : (حَاشِدٌ وَبَكِيلٌ قَبِيلَا هَمْدَانَ بْنِ جِشْمَ بْنِ حَبْرَانَ بْنِ نُوْفٍ بْنِ هَمْدَانَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَوْسَلَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْخِيَارِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ) اهـ .

حَاشِدٌ : تَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : صَرِيمِيٍّ ، وَخَارِفِيٍّ ، وَعَصِيمِيٍّ ، وَعَدْرِيٍّ ، وَأَرَاذِيهِمْ مِنْ صَنْعَاءَ شِمَالًا إِلَى بِلَادِ صَعْدَةَ ، وَتَشْمَلُ جِبَالَ لَاعَةَ ، وَالْأَهْنُومَ ، وَظَلِيمَةَ ، وَعَذَرَ ، وَخَارِفَ ، وَالْعَمَشِيَّةَ ، وَتَنْتَظِمُ حَالِيًا تَحْتَ مَسْمُيٍّ : مَحَافِظَةِ عَمْرَانَ .

بَكِيلٌ : وَهِيَ أَيْضًا أَرْبَعَةُ أَقْسَامٍ : أَرْحَبُ ، وَنَهْمُ ، وَمَرْهَبُ ، وَشَاكِرُ ، وَتَمْتَدُّ دِيَارُهُمْ مِنْ شِمَالِ صَنْعَاءَ الشَّرْقِيِّ إِلَى بِلَادِ صَعْدَةَ ، وَتَشْمَلُ : أَرْحَبُ ، وَبِرَهَ ، وَالْجَوْفَ ، وَنَهْمُ ، وَعِيَالَ سَرِيعَ ، وَجَبَلَ عِيَالَ يَزِيدَ ، وَرِيدَهُ ، ثُمَّ مَرْهَبُ ، وَشَاطِبُ مِنْ مَدِيرِيَّةِ ذِي بَيْنَ ، وَمَدِيرِيَّةِ سَفْيَانَ بْنِ أَرْحَبَ ، وَهَمْدَانَ الشَّامِ فِي صَعْدَةَ ، وَبِلَادِ وَائِلَةَ وَالْعَمَالَسَةَ ، وَآلَ سَالِمَ ، وَآلَ عَمَّارَ بْنِ شَاكِرَ بْنِ بَكِيلٍ .

(٢) هُوَ عَيْسَى بْنُ بَدْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَدْرِ بِوَطُورِيقَ ، سُلْطَانُ عَاثِرِ الْمَجْدِ سَيِّءُ الْحِظِّ ، جَاءَ فِي وَقْتِ عَصِيبٍ . . . غَادَرَ حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ (١١١٦ هـ) وَمَعَهُ حَاشِيَتُهُ ، وَمَاتَ بِالْمَخَا شِمَالَ الْيَمَنِ .

(٣) الْحُمُومُ : قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ قَبَائِلِ بَادِيَةِ حَضْرَمَوْتَ .

وَأَوَّلُ أَمِيرٍ لَهُمْ^(١) هُوَ : نَاجِي بْنُ عُمَرَ ، وَكَانَتْ يَافِعُ جَعَلَتْ إِلَيْهِ أَلْمَالِيَّةَ فِي أَيَّامِ نِفْوَذِهَا ؛ لِأَنَّهُمْ تَنَازَعُوهَا وَكَادُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا عَلَيْهَا ، وَلَمَّا اسْتَقَلَّ شَيْئاً فَشَيْئاً عَلَى حِسَابِ اخْتِلَافِهِمْ وَتَفَرَّقَ آرَائِهِمْ . . أَفَاقُوا ، فَنَاشَهُمْ ، وَلَكِنَّهُ انْتَصَرَ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِتَحَاسِدِينَ .

وَلَمَّا مَاتَ نَاجِي بْنُ عُمَرَ فِي سَنَةِ (١١٩٣ هـ) . . خَلَفَهُ وَلَدُهُ عَلِيُّ بْنُ نَاجِي بْنِ عُمَرَ بْنِ بُرَيْكٍ ، فَخَالَفَهُ مُحَسِّنُ بْنُ جَابِرٍ بْنِ هَمَّامٍ ، وَأَنْضَمَّ إِلَيْهِ آلُ عُمَرَ بِاعْمَرَ ، فَجَهَزَ عَلَيْهِمْ عَلِيُّ نَاجِي وَأَجْلَى آلَ هَمَّامٍ إِلَى الْمُكَلَّا ، وَآلُ عُمَرَ بِاعْمَرَ إِلَى الرَّيْدَةِ ، وَاسْتَنْجَدَ آلُ هَمَّامٍ بِعَبْدِ الرَّبِّ بْنِ صِلَاحِ الْكَسَادِيِّ ، وَلَكِنَّهُ أَنْهَزَهُمْ هُوَ وَإِيَّاهُمْ كَمَا سَبَقَ فِي الْمُكَلَّا .

وَفِي أَيَّامِ عَلِيِّ نَاجِي هَذَا : ظَهَرَ أَنَّ الْقَاضِي سَعِيدَ بْنَ عُمَرَ بْنِ طَاهِرٍ كَانَ يَعْمَلُ الْأَسْحَارَ ، فَأَغْرَقَهُ فِي بِالْوَعَةِ الْأَقْدَارِ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

وَلَمَّا مَاتَ عَلِيُّ بْنُ نَاجِي سَنَةَ (١٢٢٠ هـ) . . خَلَفَهُ أَخُوهُ حُسَيْنُ بْنُ نَاجِي ، ثُمَّ وَلَدَهُ نَاجِي بْنُ عَلِيٍّ بْنِ نَاجِي .

وَفِي أَيَّامِهِ جَاءَتْ أَلْوَهَابِيَّةُ^(٢) فِي خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَفِينَةً تَحْتَ قِيَادَةِ ابْنِ قَمَلَةَ ، بِأَمْرِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَعُودِ آلِ سَعُودِ^(٣) ، الَّذِي اسْتَفْحَلَ سُلْطَانَهُ لَذَلِكَ الْعَهْدِ ، فَأَفْتَحَ نَجْداً وَالْحِمْصَا وَالْعُرُوضَ وَالْقَطِيفَ وَالْحِجَازَ وَغَيْرَهَا ، وَكَانَ أَكْثَرُ فَتُوحِهِ عَلَى يَدِ الْقَائِدِ

(١) أَي : لَّالِ بُرَيْك .

(٢) أَلْوَهَابِيَّةُ : هُم أَتْبَاعُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمَوْلُودِ بِالْدَّرْعِيَّةِ سَنَةَ (١١١٥ هـ) وَالْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٢٠٦ هـ) ، اصْطَلَحَ الْمُؤَرِّخُونَ عَلَى تَسْمِيَتِهِمْ بِالْوَهَّابِيَّةِ نَسَبَةً لِوَالِدِ شَيْخِهِمْ ، وَكَانَ قَدُومُهُمْ سَنَةَ (١٢٢٤ هـ) فِي عَهْدِ السُّلْطَانِ عَلِيِّ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ بْنِ جَعْفَرِ الْكَثِيرِيِّ ، وَأَقَامُوا بِحَضْرَمَوْتِ (٤٠) يَوْمًا جَرَتْ خِلَالَهَا وَقَائِعٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحَضَارِمَةِ ، تَفْصِيلُهَا فِي : « الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » (١/٣٢١) ، وَ« تَارِيخُ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ » (١٢٢) .

(٣) هُوَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودٍ ، مِنْ أَمْرَاءِ آلِ سَعُودِ فِي دَوْلَتِهِمُ الْأُولَى ، كَانَتْ عَاصِمَتُهُ الدَّرْعِيَّةُ ، وَلِي بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهِ سَنَةَ (١١٧٩ هـ) كَانَ شَدِيدَ الْبَاسِ ، يَبَاشِرُ الْمَلَا حِمَّ بِنَفْسِهِ ، قَتَلَ غِيلَةَ فِي جَامِعِ الدَّرْعِيَّةِ سَنَةَ (١٢١٨ هـ) « الْأَعْلَامُ » (٢٧/٤) .

العظيم ابنه سعود^(١) المتوفى سنة (١٢٢٩هـ) . فامتلکوا البلاد ، ولم يؤذوا أحداً في حال ولا مال ، ولم يهلکوا حرثاً ولا نسلًا ، وإنما أخبروا القباب ، وأبعدوا التوابيت - وقد قررت في «الأصل» ما ذكره ابن قاسم العبادي من حرمة التوابيت .

وأما القباب : فإن كانت في مسيلة^(٢) . . فحرام ، وإلا . . فلا ، بشرطه^(٣) ، ولم يعترضهم آل بريك .

وأقاموا بالشحر أربعين يوماً ، ثم ركبوا سفائنهم وعادوا لطبيهم^(٤) .

وفي سنة (١٢٢٧هـ) : نشب الشر ما بين الكسادي - صاحب المكلأ - وآل بريك ، وامتدت المناوشات بينهم زماناً طويلاً في البحر والبر .

وفي سنة (١٢٤٢هـ) : توفي ناجي بن علي ؛ وكان خادماً للدين ، شديد الغيرة على شعائره ، لا يخرج عن رأي الإمام الحبيب حسن بن صالح البحر في ذلك ، حتى لقد أمره أن لا يُمكّن أحداً من البادية يدخل الشحر ليمتار^(٥) ، إلا بعد أن يحلف اليمين على أن لا يقصر في الصلاة ، فحصل بذلك نفع عظيم ، وصلاح كبير ، حتى جاء العواينة في قطار لهم ، فلما أرادوا أن يدخلوا من سدة العيدروس وهي باب الشحر الشمالي . . عرضوهم على العهد ، فأبوا ، وصرفوا وجوه إبلهم إلى الغيل عند رفاقهم آل عمر باعمر ، وأرتجزوا بقول شاعرهم :

قُولُوا لِنَاجِي بْنِ عَلِيٍّ كُلِّينَ يُؤْخِذُ لُهُ مَلَاةَ
مَارَاسِنَ بْنِ عَوْثَ غَلَبَ مَا بَايَعَاهُ عَالِصَلَاةَ

وأختلفوا في تفسير هذا : فقوم يحملونه على العناد والمجاهرة بالفساد .

(١) هو سعود بن عبد العزيز بن محمد ، ولد سنة (١١٦٣هـ) ، وهو المعروف بسعود الكبير ، ولي الحكم بعد مقتل أبيه ، وكان على جانب من العلم ، مات سنة (١٢٢٩هـ) «الأعلام» (٩٠/٣) .

(٢) المسيلة : المقبرة التي جعلت سبيلاً لعامة الناس .

(٣) أي : يحرم بناؤها إن كانت المقبرة مسيلة ، ولا يحرم ذلك إذا كانت ملكاً خاصاً أو غير مسيلة .

(٤) الطية : الناحية .

(٥) يمتار : يأخذ الطعام لأهله .

وآخَرُونَ يَحْمِلُونَهُ عَلَى أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ ، وَالسَّائِقَ لَهَا مِنَ الضَّمِيرِ ، فَلَا تَحْتَاجُ إِلَى عَهْدٍ وَلَا إِلَى يَمِينٍ . وَلَمَّا مَاتَ نَاجِي بْنُ عَلِيٍّ . . خَلَفَهُ وَلَدُهُ عَلِيُّ نَاجِي الثَّانِي .

وَفِي سَنَةِ (١٢٦٧هـ) : كَانَتْ حَادِثَةُ مُرَيْرٍ^(١) ، وَحَاصِلُهَا : أَنَّ آلَ كَثِيرٍ أَغَارُوا عَلَى الشُّخْرِ بِعَسْكَرٍ مَجْرٍ^(٢) ، وَجَاءَتْهُمْ نَجْدَةٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ فِي الْبَحْرِ مِنْ مَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ ، عَلَى رَأْسِهَا شَيْخُ الْعَلَوِيِّينَ ، السَّيِّدُ إِسْحَاقُ بْنُ عَقِيلِ بْنِ يَحْيَى ، مُؤَلِّفَةُ تِلْكَ النَّجْدَةِ مِنْ نَحْوِ خَمْسِ مِائَةِ جُنْدِيٍّ بَعْدَتْهُمْ وَعَتَادِهِمْ ، فَبَلَغَتِ الْعَسَاكِرُ الْبَحْرِيَّةُ وَالْبَرِّيَّةُ نَحْوًا مِنْ خَمْسَةِ آلَافٍ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصْحَبْهَا رَفِيقٌ مِنَ الثَّوْفِيقِ ، فَكَانَ عَاقِبَتُهَا الْإِنْهَاءُ الشَّامِلُ ، وَالْفَشْلُ الشَّائِنُ ، كَمَا هُوَ مَفْصَّلٌ بِـ « الْأَصْلِ » [١٦٩/٣] .

وَبَعْضُهُمْ يُعَلِّلُ ذَلِكَ الْإِنْهَاءَ بِخِيَانَةٍ مِنْ سَيِّبَانَ الْمَوْجُودِينَ بِكَثْرَةٍ فِي الْجَيْشِ الْكَثِيرِيِّ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي طَلِيعَةِ الْجَيْشِ الْمُرَابِطِ بِمُرَيْرٍ ، فَلَمَّا هَاجَمَتْهُمْ فِرْقَةٌ مِنْ عَسْكَرِ الْكَسَادِيِّ جَاءَتْ مِنَ الْمُكَلَّالِ لِمُسَاعَدَةِ آلِ بُرَيْكٍ . . أَنْهَزَمُوا وَذَهَبُوا بِهَا عَرِيضَةً وَأَكْثَرُوا مِنَ الْأَرَاجِيفِ^(٣) ، فَخَلَعُوا قُلُوبَ الْجَيْشِ الْكَثِيرِيِّ وَمَلَّوْا صُدُورَهُمْ رُعْبًا ، فَرَكَبَ كُلُّ مَنْهُمْ رَأْسَهُ ، وَذَهَبُوا عِبَادِيدَ^(٤) لَا يُلَوِي أَحَدُهُمْ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ ، وَعَادَتِ النَّجْدَةُ الثَّرَكِيَّةُ إِلَى أُسْطُولِهَا الرَّأْسِيِّ بِشَرْمَةٍ ؛ لِأَنَّ مَرْسَى الشُّخْرِ كَانَ مَكْشُوفًا ؛ وَكَانَ الْبَحْرُ هَائِجًا ، وَالْوَقْتُ خَرِيفًا ، وَتَفَرَّقَ الْجَيْشُ الْكَثِيرِيُّ أَيْدِي سَبَا^(٥) ، وَعَادَ بِخِيَابَةِ الرُّجَاءِ ، وَلَمْ يَنْقُ بِالْمَعْسَكِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي نَافِعُ ضَرَمٍ^(٦) .

وَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ذَلِكَ الْفَشْلِ : أَنَّ السُّلْطَانَ عَبْدَ الْمَجِيدِ الْعُثْمَانِيَّ^(٧) أَقَالَ السَّيِّدَ

(١) مُرَيْرٌ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الشُّخْرِ وَزَغْفَةٍ ، نَسَبَتْ إِلَيْهِ تِلْكَ الْحَادِثَةُ التَّارِيخِيَّةُ ؛ لِأَنَّ فِيهِ كَانَ مَبْدَأُ فَشْلِ الْمَحَادِثَاتِ بَيْنَ السَّيِّدِ إِسْحَاقِ بْنِ عَقِيلٍ وَسُلَاطِينَ حَضْرَمُوتَ .

(٢) الْمَجْرُ : الْكَثِيرُ الْعَظِيمُ .

(٣) الْأَرَاجِيفُ - جَمْعُ إِرْجَافٍ - وَهُوَ : الْخَوْضُ فِي الْكَلَامِ .

(٤) عِبَادِيدٌ : فِرْقًا مُتَبَدِّدِينَ .

(٥) تَفَرَّقُوا أَيَّامِي سَبَا : كَلِمَةٌ تَقُولُهَا الْعَرَبُ كِتَابَةً عَنْ تَفَرَّقِ الشَّمْلِ .

(٦) نَافِعُ ضَرَمٍ : مَوْقِدُ نَارٍ .

(٧) السُّلْطَانُ عَبْدُ الْمَجِيدِ خَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ خَانَ الْعُثْمَانِيَّ (١٢٣٧-١٢٧٧هـ) ، لَهُ مَبَرَّاتٌ ، مِنْ أَجْلِهَا =

إِسْحَاقَ مِنْ مَشِيخَةِ الْعُلُوِّيَّيْنَ بِمَكَّةَ^(١) ، وَأَبْدَلَهُ بِالسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّقَّافِ^(٢) .

وفي سنة (١٢٨٣هـ) : جَهَّزَ السُّلْطَانُ غَالِبُ بْنُ مُحَسِّنٍ الْكَثِيرِيُّ عَلَى الشَّخْرِ ، فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَهَرَبَ عَلِيُّ نَاجِي بَمَنْ مَعَهُ وَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ ، فِي خَمْسٍ مِنَ الشُّفَنِ أَعَدَّهَا لَذَلِكَ مِنْ يَوْمٍ عَلِمَ بِالْغَزْوِ ، وَكَانَ هَرَبُهُ إِلَى الْمَكَلَّا فَلَمْ يُمَكِّنْهُ الْكَسَادِيُّ مِنَ التَّزْوِلِ بِهَا ؛ مُعْتَذِرًا بِأَنَّهُ لَا يَصْلُحُ سَيْفَانِ فِي جَفِيرٍ^(٣) ، فَأَبْحَرَ إِلَى يَشْبُمٍ^(٤) ، وَأَذَنَ لَهُ الْقَلْبِيُّ أَنْ يُبْقِيَ نِسَاءَهُ وَصِغَارَهُ فِي خَلْفٍ ، وَمَاتَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِالْبَرْدِ . فَانْتَقَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْحَرَشِيَّاتِ ، أَمَّا الْمَكَلَّا . . فَلَمْ يُمَكِّنْهُمْ مِنْ دُخُولِهَا ، وَأَقَامَ عَلِيُّ نَاجِي عِنْدَ الشَّيْخِ فَرِيدِ بْنِ مُحَسِّنٍ الْعَوْلَقِيِّ عَامًا ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى عَدَنَ ، وَعَادَ مِنْهَا إِلَى الشَّخْرِ .

وكانَ عليها الأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَعِيطِيُّ بَعْدَ جَلَاءِ غَالِبِ بْنِ مُحَسِّنٍ عَنْهَا^(٥) ، فَأَكْرَمَ وَفَادَتُهُ ، وَتَحَقَّى بِهِ^(٦) حَتَّى لَقِيَ دُخْلَ بَيْنِ الْبَحَّارَةِ الَّذِينَ حَمَلُوهُ مِنَ الْقَارِبِ إِلَى السَّاحِلِ ، وَأَحْسَنَ مَثْوَاهُ ، إِلَّا أَنَّ فِكْرَةَ الْإِمَارَةِ عَادَتْ تَتَحَرَّكُ فِي صَدْرِهِ ، وَكَلَّمَا ذَكَرَ أَيَّامَهُ عَلَيْهَا بِالشَّخْرِ . . قَالَ بِلِسَانِ حَالِهِ :

فَوَالْهَقَّةَ كَمْ لِي عَلَى أَلْمَلِكِ شَهَقَةٌ تَذُوبٌ عَلَيْهَا قِطْعَةٌ مِنْ فُؤَادِيَا

= تجديده عمارة الحرم النبوي الشريف سنة (١٢٧٠هـ) . « حلية البشر » (١٠٣٠-١٠٣٦) .

(١) توفِّي السَّيِّدُ إِسْحَاقُ سَنَةَ (١٢٧١هـ) ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ تَرْجُمَتِهِ ، وَلَوْلَا تَرْجُومَةُ حَافِلَةَ فِي « عَقْدِ الْيَوَاقِيتِ » .

(٢) السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّقَّافِ ، تَوَفَّى بِمَكَّةَ سَنَةَ (١٢٨٣هـ) ، كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا ، جَمَعَ مَكْتَبَةً خَطِيئَةً ضَخْمَةً ، تَفَرَّقَتْ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَهُوَ مِنْ آلِ بَاعْقِيلِ السَّقَّافِ . وَتَوَلَّى مَشِيخَةَ السَّادَةِ بِمَكَّةَ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ السَّيِّدِ مُحَضَّرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّقَّافِ .

(٣) الْجَفِيرُ : الْكَثَاةُ ، وَالْمَعْنَى : لَا يَصْلُحُ سُلْطَانَانِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ .

(٤) يَشْبُمُ : بِلَدَةٌ كَبِيرَةٌ فِي مَحَافِظَةِ شَبْوَةِ ، تَقَعُ إِلَى الْجَنُوبِ مِنْ عَتَقِ بَنُو (٤٠ كَمْ) ، وَكَانَتْ فِي السَّابِقِ عَاصِمَةً لِلْعَوَالِقِ الْعَلِيَا ، قَبْلَ أَنْ تَصْبِحَ الصَّعِيدَ عَاصِمَةً لَهَا .

(٥) كَانَ جَلَاءُ غَالِبِ بْنِ مُحَسِّنٍ الْكَثِيرِيِّ عَنِ الشَّخْرِ فِي (٢٤) ذِي الْحِجَّةِ (١٢٨٣هـ) ، بَعْدَ أَنْ أَغَارَ عَلَيْهِ الْقَعِيطِيُّ بِجَيْشٍ يَقْدَرُ عَدَدُ رِجَالِهِ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مُقَاتِلٍ ، قَاوَمَ جَيْشَ السُّلْطَانِ غَالِبَ ، ثُمَّ اسْتَسْلَمَ بَعْدَ يَوْمَيْنِ فَقَطَّ مِنَ الْمَقَاوِمَةِ ، تَارِكًا وَرَاءَهُ (٤٠) قَتِيلًا .

(٦) تَحَقَّى بِهِ : بِالْغِ فِي إِكْرَامِهِ .

فعزَمَ إلى الآستانة^(١) ؛ ليستنجد بالخليفة العثماني على الكساديّ بالمُكَلَّا وعلى القعيطي بالشُّخِر ، فسافرَ إلى عدن ، ثمَّ خرجَ إلى لحج ، وبها فاجأته المنيّة^(٢) ، وعادَ كثيرٌ من أعقابهِ إلى الشُّخِر ، ولا يزالُ بها ناسٌ منهم إلى اليوم^(٣) .

أمَّا غالبُ بنُ محسنٍ : فلو قنعَ بالشُّخِر كما أشارَ عليه المخلصون . . لأوشكَ أن تطولَ بها مدَّتُهُ ، لكنَّهُ طمعَ في أخذِ المُكَلَّا من الكساديّ ، فأنكسرَ دونها .

وفي آخرِ ذي الحِجَّةِ من نفسِ السَّنةِ الَّتِي أَخَذَ فِيهَا الشُّخِرَ - أعني سنة (١٢٨٣ هـ) - : جَهَزَ القعيطيُّ بمساعدةِ الكساديّ على الشُّخِر ، وأفتَحَها بأسرع وقتٍ ، وتفرَّقَ عسكرُ السُّلطانِ غالبٍ شذَرَ مَذَرَ^(٤) ، بعدها أخذتِ الشُّيُوفُ منهم كلَّ مأخذٍ ولولا أنَّ أحدَ عبيدِهِ - وهو صنفورُ سليمان ، وكانَ من أهلِ القوَّةِ والأيدِ^(٥) - أحتملُهُ على ظهرِهِ . . لذهبَ مع شفراتِ يافع ، فما نجا إلاَّ بِجُرَيْعَةِ الدَّقَنِ^(٦) وخيَطِ الرَّقْبَةِ .

وفي رجبٍ من سَنَةِ (١٢٨٤ هـ) : استأنَفَ السُّلطانُ غالبُ بنُ محسنٍ التَّجهيزَ على الشُّخِرِ ؛ إذ بقيَ قلبُهُ بحسرةٍ عليها ، ودخلَ أكثرُ جيشِهِ من كُوَّةٍ فَتَحَها في سورِ البلدِ ، فأنحصروا وأنقطعَ عليهم خطُّ الرَّجْعَةِ ، وأصلَتْهُم يافعُ ومَن لَقَّهُم من عسكرِ القعيطيِّ ناراَ حاميةً ، فأنخنوا فيهِم قتلاً ، وخرجَ الباقونَ لا يلوي آخرُهُم على أولِهِم^(٧) .

(١) الآستانة : هي القسطنطينية ، وهي أستانبول .

(٢) توفي بعد صلاة الجمعة ، ودفن صباح السَّبْتِ (٢١) ربيع الأول سنة (١٢٩٣ هـ) .

(٣) وهم المعروفون بآل بن بريك .

(٤) شَذَرَ مَذَرَ : أي مذاهب مختلفة ، ولا يقال ذلك في الإقبال .

(٥) الأيْدُ : القوَّةُ ، وهذا من عطف المترادفات على بعضها .

(٦) جُرَيْعَةُ الدَّقَنِ : يقال في المثل العربي : أفلت فلانُ جُرَيْعَةَ الدَّقَنِ ؛ أي : أفلت قاذفاً جُرَيْعَةً ، وهو كناية عما بقي من روحه ، يريد أن نفسه صارت في فيه ، وقريباً منه كقرب الجرعة - وهي جرعة الماء - من الدَّقَنِ .

(٧) كانت خسائر جيش غالب بن محسن : (١٢٠) قتيلاً و (٦٠) جريحاً و (٢٠) أسيراً ، وعاد غالب بن محسن بعد هزيمته إلى سيئون ، وجرت له وقائع أخرى ، حتَّى مات سنة (١٢٨٧ هـ) ، وسيأتي ذكره لاحقاً في سيئون .

وَرَسَخْتُ أَقْدَامُ الْقَعِيطِيِّ بِالشَّخْرِ ، وَجَلَسَ عَلَيْهَا الْأَمِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ الْقَعِيطِيُّ ،
كَمَا عُرِفَ مِمَّا سَبَقَ .

وبعد وفاته في سنة (١٣٠٦هـ) : خَلَفَهُ عَلَيْهَا وَلَدُهُ حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ
إِقَامَةِ السُّلْطَانِ عَوْضِ بْنِ عُمَرَ كَانَتْ بِحِيدَرِ أَبَادِ الدَّكَنِ فِي خِدْمَةِ النِّظَامِ الْأَصْفِيِّ ، ثُمَّ
نَزَعَ^(١) الشَّيْطَانُ بَيْنَ السُّلْطَانِ عَوْضِ وَأَوْلَادِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُمَا : مَنْصَرٌّ وَحُسَيْنٌ ،
وَجَرَى بَيْنَهُمَا مَا فَصَّلْنَاهُ بـ « الْأَصْلِ »^(٢) .

وكانت النهاية تحكيم المنصب السيد أحمد بن سالم بن سقاف ، فحكم بأن
لا حظ لهم في الإمارة ، وتم جلاؤهم عن الشَّخْرِ والغيل بمساعدة الحكومة الإنكليزية
في سنة (١٣٢٠هـ) .

ومن العجب أن التحكيم كان خاصاً بما بينهم من الدَّعَاوى المَالِيَّةِ ، ومع ذلك فقد
كان الحكم شاملاً للإمارة !! .

وأستتب الأمر للسُّلْطَانِ عَوْضِ بْنِ عُمَرَ الْقَعِيطِيِّ ، فَخَلِيَ حَضْرَمَوْتَ ، وَطَلَّاعَ
نِجَادِهَا ، وَمُزَلَّزِلِ أَوْتَادِهَا .

مُدْبِرٌ مُلْكٍ أَيُّ رَأْيِنِهِ صَارَعُوا بِهِ الْخَطْبَ رَدَّ الْخَطْبَ يَذْمَى وَيُكَلِّمُ
وِظْلَامُ أَغْدَاءٍ إِذَا بُدِيَءَ أَغْتَدَى بِمَوْجِزَةٍ يَرْفُضُ مِنْ وَقَعَهَا الدَّمُ^(٣)
وَلَوْ بَلَغَ الْجَانِي أَقَاصِي حِلْمِهِ لِأَغْقَبَ بَعْدَ الْحِلْمِ مِنْهُ التَّحْلُمُ^(٤)

(١) نَزَعَ : أَفْسَدَ وَأَغْرَى .

(٢) حَاصِلُ مَا جَرَى : أَنَّ مَنْصَرّاً وَحُسَيْناً ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَامَا بِتَقْسِيمِ السُّلْطَانَةِ إِلَى نِصْفَيْنِ : لِهَمَا نِصْفٌ ،
وَلِعَمَّهُمَا عَوْضُ نِصْفٌ ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ السُّلْطَانُ عَوْضُ كُلَّ الْإِغْرَاءَاتِ وَالتَّنَازَلَاتِ لِيَكْسِبَهُمَا وَيَقْنَعَهُمَا بِعَدَمِ
التَّقْسِيمِ بِدُونِ فَائِذَةٍ . وَانْقَسَمَ الْجَيْشُ وَالْحَاشِيَةُ إِلَى قِسْمَيْنِ ، وَكُلُّ قِسْمٍ يُؤَيِّدُ صَاحِبَهُ عَلَى السُّلْطَانَةِ ، وَكَادَتْ
هَذِهِ الْخِلَافَاتُ أَنْ تَعَصِفَ بِالإِمَارَةِ ، لَكِنْ تَدَخَّلَ الْوَسْطَاءُ ، وَبَعْدَ رَأْيٍ . قَبِلَتْ الْوَسَايَةُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ ،
وَحَكَمُوا مَنَصِبَ عَيْنَاتٍ ، وَوَقَّعُوا عَلَى التَّحْكِيمِ ، وَقَضَى الْمَنْصِبُ لِعَوْضِ بْنِ عُمَرَ بِالإِمَارَةِ ، مِمَّا جَعَلَ
الْأَمِيرِينَ يَرْفُضَانِ التَّحْكِيمَ وَيَتَوَجَّهَانِ إِلَى سَبْلِ الْعِنَادِ وَالْعَصْيَانِ ، وَانْتَهَى الْخِلَافُ بِإِقْصَاءِ حُسَيْنٍ وَمَنْصَرٍّ مِنْ
حَضْرَمَوْتَ ، وَمَنْصَرٌّ هَذَا هُوَ بَانِي الْحَصَنِ الْمَشْهُورِ بِاسْمِهِ الْكَائِنُ فِي غِيلِ بَاوْزِيرٍ وَالْقَائِمُ بِنَاوَهَ إِلَى الْآنِ .

(٣) الْمَوْجِزَةُ : الضَّرْبَةُ الَّتِي تَخْتَصِرُ الْعُمُرَ ، فَيَتَرَشَّشُ الدَّمُ مِنْ وَقْعِهَا .

(٤) الْآيَاتُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَهِيَ لِلْبَحْثِيِّ فِي « دِيَوَانِهِ » (١١٣ / ١) .

وقد أطلقنا عليه لقب السُّلْطَانِ ؛ لَأَنَّهُ بِهِ حَقِيقٌ فِي اتِّسَاعِ مُلْكِهِ ، وَامْتِدَادِ نَفُوذِهِ ،
وفي «الأصل» بسطُ الكلامِ عَمَّنْ يُسَمَّى سُلْطَاناً وَمَنْ لَا يُسَمَّى .

ونَزِيدُ هنا قولَ الإمامِ الرَّازِي في تفسِيرِ قولِهِ : ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو أَنَّ :
(مَنْ مَلَكَ بِلْداً صَغِيراً لَا يَحْسُنُ فِيهِ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : جَلَسَ عَلَى الْعَرْشِ ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ
ذَلِكَ فِيمَنْ مَلَكَ الْبِلَادَ الشَّاسِعَةَ ، وَالْأَقْطَارَ الْوَاسِعَةَ . فَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ لَا يَكُونَانِ إِلَّا
عِنْدَ عَظَمَةِ الْمُلْكِ) اهـ

وهو لا يخرجُ عَمَّا هُناكَ .

وللسُّلْطَانِ عوضٌ محاسنُ جَمَّةٌ ، ومناقبُ مِهْمَةٌ ، وقد حَجَّ في سَنَةِ (١٣١٧هـ) ،
وأَظْهَرَ مِنْ التَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ ما يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ دِينِهِ ، وَصَحَّةِ إِيْمَانِهِ ، وَأَكْرَمَهُ الشَّرِيفُ
عَوْنُ الرَّفِيقِ^(١) ، وَأَعَادَ لَهُ الزِّيَارَةَ ، فَأَدْرَكَتُهُ عِنْدَهُ نُوبَةُ صَرْعٍ ، فَأَنْزَعَجَ الْقَعِيطِيُّ ،
وظَنَّهَا الْقَاضِيَّةَ ، حَتَّى هَذَا أَصْحَابُ الشَّرِيفِ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّمَا هِيَ عَادَةٌ تَعْتَادُهُ مِنْ
زَمَنِ قَدِيمٍ ، وَقَدَّمَ لِلشَّرِيفِ هَدَايا طَائِلَةً .

ومَعَ قُرْبِ سَفَرِهِ . . طَلَبُوا مِنْهُ مَعُونَةً لِإِجْرَاءِ سِكَّةِ الْحَدِيدِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ ، فَدَفَعَ
لَهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ رِيَّةٍ ، فَأَرْجَعُوهَا إِلَيْهِ اسْتِقْلَالاً لَهَا ، فَرَكِبَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى وَعْدِ
الرُّجُوعِ إِلَى جَدَّةَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الشَّامِ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ ، وَسَلِمَتِ الثَّلَاثُونَ أَلْفَ .
وقد سَبَقَ فِي حَجَرٍ أَنَّهُ تَعَلَّقَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ وَتَابَ مِنْ كُلِّ سَيْتَةٍ إِلَّا مِنْ فَتْحِ حَجَرٍ
وَحَضَرَ مَوْتَ .

(١) عون الرفيق باشا بن مُحَمَّد بن عبد المعين الحسيني ، شريف مكة (١٢٥٦-١٣٢٣هـ) ، ولد بمكة ،
وناب في إمارتها عن أخيه الشريف حسين ، ولي مكة سنة (١٢٩٩هـ) ، وكان جباراً طاغيةً ، وتنتابه
نوبات صرع ، صُنِّفَ فِيهِ بَعْضُ السَّادَةِ رِسَالَةً سَمَّاها «ضجيج الكون من فظائع عون» سنة
(١٣١٦هـ) ، ولأحمد شوقي فِيهِ قَصِيدَةٌ أَنْشأها سَنَةَ (١٣٢٢هـ) ؛ فِي حَادِثَةٍ جَرَتْ آنَ ذَاكَ ؛
مُطْلَعُهَا :

صَجَّ الْحَجِيجُ وَصَجَّ النَّبِيُّ وَالْحَرَمُ وَاسْتَضَرَّخَتْ رَبَّهَا فِي (مَكَّةَ) الْأُمَمُ
« خلاصة الكلام » (٣٢٧) ، « مرآة الحرمين » (٣٦٦/١) ، « الأعلام » (٩٨/٥) .

توفِّي بِالْهِنْدِ آخِرَ سَنَةِ (١٣٢٨ هـ) ^(١) ، ورثاهُ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ شَهَابٍ بِقَصِيدَةٍ حُمَيْنِيَّةٍ وَلَكِنَّهَا مُؤَثَّرَةٌ ^(٢) .

ووقعَ رداؤُهُ عَلَى وَلَدِهِ السُّلْطَانِ غَالِبِ بْنِ عَوْضٍ ^(٣) ، وَكَانَ شَهْمًا كَرِيمًا لِيِنَّ الْجَانِبِ ، دَمِثَ السَّمَائِلِ ، وَدِيَعَ الْقَلْبِ ، شَرِيفَ الطَّبَعِ ، وَافَرَ الْحُرْمَةِ ، سَعِيدَ الْحِظِّ ، مَيْمُونَ النَّقِيَّةِ ^(٤) ، مَبْسُوطَ الْكَفِّ ، يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قَوْلُ الطَّائِي [أَبِي تَمَّامٍ فِي « دِيوانِهِ » ٣١٧/٢ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

فَتَى سَيْطَ حُبِّ الْمَكْرُمَاتِ بِلَحْمِهِ وَخَامَرُهُ حَوْ السَّمَّاحِ وَبَاطِلُهُ ^(٥)
وقوله [في « دِيوانِهِ » ٣١٦/١ مِنْ الْوَافِي] :

لَهُ خُلِقَ نَهَى الْقُرْآنُ عَنْهُ وَذَاكَ عَطَاؤُهُ السَّرْفُ الْبِدَارُ ^(٦)

(١) وفاة السُّلْطَانِ عَوْضٍ مُخْتَلَفٌ فِيهَا ، فَقِيلَ : سَنَةُ (١٣٢٥ هـ) ، وَقِيلَ : (١٣٢٦ هـ) ، وَقِيلَ : (١٣٢٧ هـ) . وَمُدَّةُ وَلَايَتِهِ حِوَالِي ثَلَاثِ قُرُونٍ مِنَ الزَّمَنِ ، أَمَضَى مَعْظَمُهَا بِحَضْرَمَوْتَ فِي حُرُوبٍ وَنِزَاجٍ مَعَ آلِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمَعَ غَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ وَالشُّيُوخِ . « الْأَدْوَار » (٤٠٧) ، وَفِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » : أَنَّهُ دُفِنَ بِمَقْبَرَةِ أَكْبَرِ شَاهِ بِحَيْرِ آبَادِ .

(٢) طُبِعَتْ هَذِهِ الْمَرْثِيَّةُ عَلَى حِدَةٍ ، قَالَ فِي « الْأَصْلِ » (٢٧٣/٢) : (وَرثَاهُ شَيْخُنَا الْعَلَّامَةُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَهَابٍ بِمَرْثِيَّةٍ شَاعِرَةٍ مِنَ الشُّعْرِ الْحُمَيْنِيِّ الْعَذْبِ الْفَخْمِ ، وَلَوْلَا أَنَّهَا مَطْبُوعَةٌ عَلَى حِدَةٍ . . لَذَكَرْتُهَا ؛ لِأَنَّ بِمَثَلِهَا يَتَزَيَّنُ الْكِتَابُ ؛ لِأَنَّهَا وَقَائِلُهَا وَالْمَعْنَى بِهَا : جَمَالٌ فِي جَمَالٍ مِنْ جَمَالٍ . .) هـ وَمَطْلَعُهَا :

سُبْحَانَكَ اللَّهُ يَا قِيَوْمَ يَا كَافِي
يَا الْمُنْفَرِدَ بِالْبَقَا يَا دَائِمَ السُّلْطَانِ
حَكَمْتَ بِالْمَوْتِ مَا فِي وَعْدِكَ أَخْلَافَ
وَكُلُّ مَنْ هُوَ عَلَيْهَا غَيْرُ وَجْهِكَ فَإِنَّ
سَاوَيْتَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ نَاعِلَ وَحَافِي
مَا بَاقِي إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
إِلَى آخِرِهَا .

(٣) غَالِبُ بْنُ عَوْضٍ ؛ كَانَ النَّاسُ يَلْقُبُونَهُ : (أَبُونَا آدَمَ) ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهِ أَيْضًا لِقَبْ : (غَالِبُ السَّادَاتِ) ؛ لِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِ فِي السَّادَةِ الْعُلُوِّيِّينَ آلِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ . . يَقُولُ هَذَا السُّلْطَانُ فِي رِسَالَةٍ مِنْهُ لِلْمَصْنُفِ ، مُؤَرَّخَةً جَمَادَى الْأُولَى (١٣٣٧ هـ) : (وَمَحَبَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ لَا تَزُولُ مِنْ قُلُوبِنَا ، بَلْ تَزْدَادُ ، بَلْ تَزْدَادُ) . . إلخ .

(٤) النَّقِيَّةُ : النَّفْسُ .

(٥) سَيْطَ : خُلِطَ . خَامَرُهُ : خَالَطَهُ .

(٦) عَطَاؤُهُ السَّرْفُ الْبِدَارُ ؛ أَيِ : عَطَاؤُهُ الْمُسْرِفَ فِيهِ ، الْمُبَادِرَ إِلَيْهِ .

وقولُ البَحْرِيِّ [في «ديوانه» ٣٣٩/٢ من الطويل] :

تَغْطِرَسَ جُودٌ لَمْ يَمْلِكْهُ وَقْفَةٌ فَيَخْتَارُ فِيهَا لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعَا

وقوله [في «ديوانه» ٦٣/١ من الطويل] :

إِلَى مُسْرِفٍ فِي الْجُودِ لَوْ أَنَّ حَاتِمَا لَدَيْهِ . . لَأَمْسَى حَاتِمٌ وَهُوَ عَاذِلُهُ

وقولُ أَبِي الطَّيِّبِ [في «العُكْبَرِيِّ» ١٢٩/١ من الكامل] :

وَدَعَاؤُهُ مِنْ فَرْطِ السَّمَاحِ مُبَذَّرَا وَدَعَاؤُهُ مِنْ غَضَبِ الثُّغُوسِ الْغَاصِبَا

وفي أيامِهِ كَانَتْ حَادِثَةُ الْحُمُومِ فِي (٢٧) ربيعِ الثَّانِي مِنْ سَنَةِ (١٣٣٧ هـ) ،
وحاصلُهَا : أَنَّهُمْ كَانُوا يُخَيِّفُونَ السَّابِلَةَ ، وَالْحُكُومَةُ الْقَعِيطِيَّةُ تَتَوَقَّى شَرَّهُمْ وَتَدْفَعُ لَهُمْ
مَوَاسَاةً سَنَوِيَّةً يَعتَادُونَهَا مِنْ أَيَّامِ آلِ بُرَيْكٍ .

وفي ذَلِكَ الْعَهْدِ أُنْعَقَدَ الصُّلْحُ بَيْنَ الْحُمُومِ وَالْحُكُومَةِ الْقَعِيطِيَّةِ بِدَرَاهِمَ بَذَلَتْهَا لَهُمْ
الْحُكُومَةُ - لَا يُسْتَهَانُ بِهَا - عَلَى الْعَادَةِ الْجَارِيَةِ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَبَيْنَا هُمْ غَاثُونَ^(١) . .
هَاجَمَتْهُمْ سَيَّانٌ ، وَكَانَ لَهَا عِنْدَهُمْ ثَأْرٌ ، فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ عِدَدًا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ ، فَاتَّهَمُوا
الْحُكُومَةَ بِمُسَاعَدَتِهِمْ ، وَظَفَرُوا بِجَمَاعَةٍ مِنْ يَافِعٍ فَقَتَلُوهُمْ ، فَمَا زَالَ نَاصِرُ أَحْمَدُ بُرَيْكٍ
أَمِيرُ الشُّخْرِ يَوْمِئِذٍ يَدَارِيهِمْ وَيَسْتَمِيلُهُمْ ، وَيُظْهَرُ لَهُمْ أَنَّ قَتْلَهُمْ لِيَافِعٍ لَمْ يُتَزَ حِفَازَةٌ . .
حَتَّى أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ بِالشُّخْرِ نَحْوُ مِنْ أَرْبَعِ مِئَةٍ ، وَكَانُوا يَعْتَدُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَبِهَيْبَةِ الْحُكُومَةِ
لَهُمْ . . فَلَمْ يَبَالُوا بِالذَّخُولِ مِنْ دُونِ تَجْدِيدِ الصُّلْحِ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ مَا وَقَعَ فَالْقَى عَلَيْهِمْ
الْقَبْضَ أَجْمَعِينَ ، وَقَتَلَ سَبْعَةً وَعِشْرِينَ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ ، وَدَفَنَهُمْ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ مِنْ غَيْرِ
غَسَلٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَا تَكْفِينٍ ؛ مِنْهُمْ : سَالِمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مَجْنَحٍ ، الْمَلَقْبُ (حَبْرِيش) ،
وَحِمْدُ بْنُ عَمْرٍو بِالْفَرَجِ الْغَرَابِيِّ ، وَمَرْضُوحُ بْنُ عَوْضِ الْيَمْنِيِّ ، وَغَيْرُهُمْ . وَأَظْهَرُوا
مِنْ الثَّبَاتِ سَاعَةَ الْقَتْلِ مَا أَبْقَى لَهُمْ جَمِيلَ الْأَحْدَوَّةِ .

وَمَاتَ فِي حَبْسِ الْقَعِيطِيِّ مِنْهُمْ مِئَةٌ وَسَبْعَةٌ ، وَأُطْلِقَ بَعْدَ ذَلِكَ سَرَاحُ الْبَاقِينَ ،
وَلَكِنْ بَعْدَ مَا وَهَنَ جَانِبُهُمْ ، وَنُخِرَتْ عِيدَانُهُمْ ، إِلَّا أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حَبْرِيشٍ لَمْ يَزَلْ يَجْمَعُ

(١) غَاثُونَ : غَافِلُونَ .

جراميزه^(١) لَأَخَذِ الْتَّارِ ، وَدَارَ عَلَى حِصُونِ آلِ كَثِيرٍ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ مَنَفْعَةً ، وَإِلَّا . .
فَقَدْ كَانَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَعْضِهِمْ أَحْلَافٌ .

وَبَعْدَ أَنْ مَضَى لِهَذِهِ الْحَادِثَةِ سَبْعُ سِنِينَ . . هَجَمَ عَلَى الدَّيْسِ فَهَبَهَا وَأَسْتَبَاحَهَا ،
وَقَتَلَ جَمَاعَةً مِنْ عَسْكَرِ الْقَعِيطِيِّ ، وَأَسَرَ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يُقَتَّلْ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَّا
أَرْبَعَةٌ فَقَطْ ، وَطَفِقَ يَتَجَادَبُ الْحَبَالُ مَعَ الدَّوْلَةِ الْقَعِيطِيَّةِ حَتَّى اسْتَعَانُوا عَلَيْهِ بِالطَّائِرَاتِ
الْإِنْكِلِيزِيَّةِ ، فَأَضْرَتْ بِمَكَانِهِ الْوَاقِعِ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ غِيلِ ابْنِ يُمَيْنٍ ، وَلَمْ يَخْضَعْ مَعَ ذَلِكَ .

وَفِي نَحْوِ سَنَةِ (١٣٥٨ هـ) : كَمَنَّ وَلَدُهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْحُمُومِ بِالْمَكَانِ الْمَسْمُومِ
حَرُوءَ^(٢) ، فَجَاءَتْهُمْ ثُلَّةٌ مِنَ الْعَسَاكِرِ الْقَعِيطِيَّةِ فِي سَيَّارَاتٍ ، يَتَقَدَّمُهُمْ يَافِعِيٌّ شَجَاعٌ ،
يُقَالُ لَهُ : مُحَمَّدٌ مُحَسِّنُ السَّعْدِيِّ ، فَتَبَادَلُوا الرِّصَاصَ ، لَكِنْ كَانَتْ يَافِعُ أَثْبَتَ وَأَنْفَذَ
سِلَاحًا ، فَاسْتَأْصَلُوهُمْ قِتْلًا ، فَأَنْكَسَفَ بَالُ عَلِيِّ بْنِ حَبْرِشٍ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْفِرَاشُ ،
وَمَاتَ غَنَبًا .

وَكَانَ أَهْلُ الشَّخْرِ يُلَاقُونَ عَنَاءَ مِنْ قَلَّةِ الْمَاءِ ، فَأَجْرَاهُ إِلَيْهِمُ السُّلْطَانُ غَالِبٌ مِنْ
تَبَالَةٍ ، فَاسْتَرَا حُومًا بِذَلِكَ .

وَفِي أَيَّامِهِ^(٣) أَنْعَقَدَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سُلَاطِينِ آلِ كَثِيرٍ صَاحِبِ سَيْثُونَ وَصَاحِبِ تَرِيمِ^(٤)
الْمُعَاهَدَةِ الْمَشْهُورَةِ^(٥) ذَاتُ الْإِحْدَى عَشْرَةَ مَادَّةً ، الْمَحْرُورَةُ (٢٧) شَعْبَانَ سَنَةِ
(١٣٣٦ هـ) وَقَدْ أَعْتَرَفُوا فِي الْمَادَّةِ الْأُولَى مِنْهَا بِأَنْسَحَابِ حُكْمِ الْحِمَايَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ
عَلَيْهِمْ^(٦) .

(١) الجراميز : الأيدي والأرجل .

(٢) حرو : موضعان يحضر موت ، الأول : غربي بروم ضمن مديرية المكلا في الساحل . والثاني : قرية
قرب ساه بوادي عدم ، في الداخل .

(٣) أي : في سنة (١٣٣٦ هـ) .

(٤) وهما السُّلْطَانَانِ : منصور ومحسن أبنا السُّلْطَانِ غَالِبِ بْنِ الْحَسَنِ الْكَثِيرِيِّ ، سَيَّاتِي ذَكَرَهُمَا وَطَرَفٌ مِنْ
أَخْبَارِهِمَا فِي سَيْثُونَ .

(٥) المعروفة بمُعَاهَدَةِ عَدَنَ لِانْعِقَادِهَا فِيهَا .

(٦) وَالْمَادَّةُ الْأُولَى نَصُّهَا كَالْآتِي : (يَرْضَى السُّلْطَانُ الْقَعِيطِيُّ مَوْلَى الشَّخْرِ وَالْمَكَلَا ، وَسُلَاطِينُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ =

ولقد بذلتُ جهدي في تحذير السلاطين الكثيرين ونصحتهم عن الموافقة عليها ،
 وذكرْتُ لهم مافي ذلك من الوزرِ والخسرِ بما هو مبسوط في «الأصل» ، ولكنَّ السَّيِّدَ
 حسينَ بنَ حامدِ المَحْضَارِ أَلَحَّ في ذلك بسعيٍ شديدٍ ، وجُهدٍ جهيدٍ ، وساعدهُ ناسٌ من
 أهلِ الثَّروَةِ . . فتمَّ لَهُ ما أَرَادَ ، ومعروفٌ ومشهورٌ مالي في ذلك من المنظومِ
 والمنثورِ .

وكانت بيني وبينَ السُّلْطَانِ غَالِبٍ هذا مودَّةٌ لولا مكايِدَةُ السَّيِّدِ حُسينِ بنِ حامدٍ
 لها . . لكانت قويَّةً ، وبينِي ومكاتباتٍ ممتعةٌ ذكرتُ بعضُها في «الأصل»^(١) ، ولي
 عليه عهدٌ موثَّقٌ بالنَّصْرِ على كلِّ مَنْ عاداني ، وبالإعفاءِ مِنَ الرُّسُومِ عن سَتِّينَ طرداً في
 كلِّ عامٍ ، وبمرتَّبٍ سنويٍّ زهيدٍ ، ومع ذلك . . فقد كانَ وزيرُهُ المرحومُ السَّيِّدُ
 حُسينُ بنُ حامدِ المَحْضَارِ يراوغني فيها ، ويُمَانعُ العملَ بها .

ولَمَّا توفِّي . . أرسلْتُها إلى عندِ ولدِهِ السَّيِّدِ أَبِي بكرِ بنِ حُسينِ أَطالِبُهُ بإجرائها وتنفيذِ
 ما فيها ، فَلَمَ يَرُدُّها إِلَيَّ رَأْساً ، وظنَّها النُّسخَةُ الوحيدةُ ، ولكنَّ كانتُ عندي صورتُها
 بِإِمضاءِ السُّلْطَانِ غَالِبٍ والسَّيِّدِ حُسينِ ، وشهادةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ هادونَ بنِ
 أَحْمَدَ المَحْضَارِ ، والأَميرِ عَلِيِّ بنِ صلاحٍ ، وطالما ذكَّرتُ بها العَلَّامةَ السُّلْطَانِ
 صالحَ بنَ غَالِبٍ ، فقلتُ لَهُ أَمَامَ أَمَلٍ : أهذهُ المَعااهداتُ صحيحةٌ معمولٌ بها ، أم

= آل كثير : أن يكون إقليم حضرموت إقليماً واحداً ، وأنَّ الإقليم المذكور هو من تعلقات الدَّولة
 البريطانيَّة تابِعاً لسلطانِ الشَّحَرِ والمكَلَّأ . عن «ترجمة السَّيِّدِ الزَّعيم» (١٠٢) .

لقد كانت تلك المعاهدة أوَّل إنجازٍ رسميٍّ لم يقع مثله طيلة مدَّة الحكم القعيطيِّ والكثيريِّ ، أمَّا
 الحكومةُ الكثيريَّةُ . . فقد غُبِثَتْ بسببِ هذه المعاهدة غُبناً ظاهراً فادحاً ؛ فقد اعترفت للقعيطيِّ
 بحضرموت كُلِّها عدا رقعةً صغيرةً من الأرض هي سيئون ونواحيها إلى الحزم غرباً ، وشرقاً إلى تريم
 فقط ، مع أنَّها تمتلك من المال والرُّجال ما يفوق دخلَ الواحدِ منهم ميزانيَّة القعيطيِّ عشرات المَرَّات
 كآل الكاف وأُخراهم . . «السَّيِّدُ الزَّعيم» (١٠٦) وما بعدها .

(١) ذكر في «الأصل» رسالةً طويلةً وجَّهها هو إلى السُّلْطَانِ في (١٥) جمادى الأولى سنة (١٣٣٧هـ) :
 (٢٧٧/٢) ، قال في ديباجتها : (. . كتابي إليك والشُّوقُ يزيد ، والودُّ أكيد ، وبيننا وبينكم
 أحلافٌ قديمٌ وجديدٌ ، ونودُّ الوصولَ ولكن خفنا أنَّه ما يفيد ، وذكركم يدور ، وخيالكم يزور ،
 وجيلكم مذكور ، والله يحفظكم من الغرور . .) إلخ .

تُعتبرُ لاجية ١٩ فأجابَ بصحتها والتزام تنفيذها ، وكان ذلكَ بمرأى ومسمعٍ من وزيره المكرم الفاضل سيف بن علي آل بوعلی .

وقد تقدّمتُ إلى السلطانِ صالحٍ في سنة (١٣٥٥هـ) بقصيدةٍ [كما في « الديوان » ق/ ١٦٧-١٦٩ من الطویل] تزيد عن مئة وعشرين بيتاً لم تُعدّ فيها قافية ، وأنشدتها له مرّات ، أولاها بالملكاً عاميذ ، والثانية بحورة في سنة (١٣٦٠هـ) ، والثالثة بمنزلي في سنة (١٣٦٥هـ) . منها :

<p>وَبَيْنَ يَدَيْنَا شِرْعَةً لَا تَزِيدُهَا هِيَ الْقِدَّةُ الْمُنْلَى الْعَلِيَّ مَنَارَهَا وَحَسْبُكَ بِالْإِفْرَنْجِ فَالْخُطَّةُ الَّتِي مُدَوَّنَةٌ فِي الْأَصْلِ مِنْ قَوْلِ مَالِكٍ وَلَكِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ ذَاهِنُوا فَلَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ مَنْ نَهَى عَنْ قَبِيحَةٍ إِذَا أَنْتَهَكَ الْإِسْلَامُ أَغْضَى زَعِيمُهُمْ فَمَا شَأْنُهُمْ إِلَّا التَّصْنُوعُ وَالرِّبَا يَفَاقُ وَأَخْلَاقُ دِقَاقٍ وَذِلَّةُ تَوَلَّى الْوَفَا وَالصَّدْقُ فَإِنَّكَ مَجْدُهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْمَلُونَ تَصْنَعًا وَقَدْ كَانَتْ الْأَبَاءُ مِنْ قُنَّةِ الْعُلَا تَزِلُّ الْوُغُولُ الْأَعْصُمُ عَنْ قَذَفَاتِهِمْ مَضُوا شُهَدَاءَ الْحَقِّ فِي نُصْرَةِ الْهَدَى</p>	<p>تَجَارِبُ ذِي عَقْلٍ وَلَا عَقْدُ مُؤْتَمَرٍ أَتْنَا بِهَا غُرَّ الْأَحَادِيثِ وَالسُّورِ^(١) بِهَا الْمَشْيُ فِيمَا يَخْكُمُونَ بِهِ أَسْتَمَرَّ وَسَائِلُ تَجِدَهَا فِي التَّوَارِيخِ وَالسِّيَرِ وَبَاعُوا حُقُوقَ اللَّهِ بِالْمَاءِ وَالشَّجَرِ وَلَا مَنْ بِمَعْرُوفٍ عَلَى مَكْرِهِ أَمَرَ وَأِنْ أُخِذَتْ شَاءَ لَهُ أَهْتَاجَ وَأَسْتَعَزَّ^(٢) وَأَعْجَبُ مَا تَلْقَى الْفَقَاقُ لَدَى مُضَرٍ بِهَا شَوْءَ الْإِدْبَارِ أَيْمَانَا الْأَخَرِ وَرَأَحَتْ عَلَيْهِمْ كُلُّ مَكْرَمَةٍ هَدَرَ سَوَاسِيَةً مَنْ قَالَ شِعْرًا وَمَنْ نَشَرَ بِشَاوٍ حَتَّى فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ أَفْتَحَرَ^(٣) وَكَمْ مِنْ عِقَابٍ فِي مَرَاqِيهِمْ أَنْكَسَرَ^(٤) وَمَا بَرَحُوا فِي هِجْرَةٍ وَعَلَى سَفَرٍ</p>
--	---

(١) القِدَّةُ : الطَّرِيقَةُ .

(٢) أَسْتَمَرَّ : هَاجَ واشتد غضبه .

(٣) الْقُنَّةُ : أعلى الجبل . شَاوٍ : تسهيل شَاوٍ ، وهو : السَّيْقُ .

(٤) الْعِقَابُ : بضم العين الطائر المعروف يضرب به المثل في العلو في الطيران ، والمعنى : أن العقاب ينكسر جناحه ولا يبلغ علو مجدهم .

وَمِنْ آلِ قَحْطَانَ رِجَالٌ عَلَى الْوَفَا
 إِذَا عَاهَدُوا وَقُوا الْعُهُودَ وَإِنْ دُعُوا
 كِرَامٌ يَهَابُونَ الْمَلَامَ ، وَلَذَعَةُ أَلْ
 وَجَاءَتْ خُلُوفٌ سُخْنَةُ الْعَيْنِ بَعْدَهُمْ
 مَدَامِيْمٌ تَطْوِيلُ الْإِزَارِ مِنَ الْعُلَا
 إِذَا عَقَدُوا عَقْدًا وَقَالُوا مَقَالَةً
 فَآهٍ مِنَ الشُّؤْمِ الَّذِي مَسَّنَا بِهِمْ!!
 وَلَمَّا نَصَرْتُ الْحَقَّ بَيْنَ بَنِي أَبِي
 فِدَانُوا يَبْغِضِي وَأَسْتَهَانُوا بِخُرْمَتِي
 وَكَمْ حَطٌّ مِنْ قَذَرِي حَسُودٌ فَلَمْ يَنْلُ
 فَإِنْ جَاءَ عَنِّي فَاسِقٌ بَنِمِيمَةٍ
 فَقُولُوا لَهُ: قَابِلْ، فَذَا هُوَ حَاضِرٌ
 يَعْيُبُونَنِي غَيْبًا وَأَعْلِنُ ذَمَّهُمْ
 نَاشِدُكَ الْإِسْلَامَ وَالْخُرْمَةَ الَّتِي
 وَلِي بِخُصُوصِي فِي الدَّمَامِ وَثَائِقُ
 وَأَمْضَى بِمِرَائِي مِنْ رِجَالٍ وَمَسْمَعٍ
 وَأَكْثَدُ إِخْدَاهُنَّ تَوْقِيعُكُمْ بِهَا
 فَمَا بِي مِنْ هَضْمٍ يَمَسُّ بِمَجْدِكُمْ
 أَتَرْضَى عَلَى هَذَا بِوَاشٍ يَقُولُ لِي:

مَضَوْا بِسَلَامٍ ذِكْرُهُمْ طَابَ وَأَشْتَهَرَ
 أَجَابُوا وَلَوْ كَانَ الظَّلَامُ قَدْ اعْتَكَرَ
 كَلَامٌ لَهُمْ أَشْوَى مِنَ الصَّارِمِ الذِّكْرُ^(١)
 مَشَائِيمٌ قَدْ ضَمُّوا إِلَى الْعُجْرِ الْبُجْرِ^(٢)
 لَدَيْهِمْ ، وَتَضَفِيفُ الْمَلَابِسِ وَالطَّرَزِ
 فَلَا عَقْدُهُمْ يُزْجِي وَلَا الْقَوْلُ يُعْتَبِرُ
 وَآهٍ عَلَى عِقْدِ الْكِرَامِ الَّذِي أَنْتَشَرَ!!
 رَأَوْا أَنَّهُ الذَّنْبُ الَّذِي لَيْسَ يُغْتَفَرُ
 وَكَمْ قَصْدُونِي بِالْأَذَايَا وَبِالضَّرَرِ
 عَلَايَ لَأَنِّي صُنْتُ نَفْسِي عَنِ الْقَذَرِ
 وَالصَّقَ بِي عَيْنًا وَأَزْجَفَ وَأَفْتَجَرَ
 وَغَبَ التَّلَاقِي يُعْرِفُ الصَّفْوُ وَالْكَذَرُ
 وَلَيْسَ سَوَاءً مَنْ أَسَرَ وَمَنْ جَهَرَ
 نُؤْمَلُ فِيهَا أَنْ نُلُودَ إِلَى وَرَزِ
 أَبُوكَ بِهَا - حَيَّاهُ مَوْلَاهُ - قَدْ أَقَرَّ
 عَلَيْهَا وَعِنْدِي خَطُّهُ الْآنَ مُسْتَطَرُ
 وَشَاعَ لَدَى أَهْلِ الْمَدَائِنِ وَالْوَيْزِ
 وَأَنْتَ الْحَمِيَّ الْأَنْفِ وَالْأَمْرُ قَدْ ظَهَرَ
 كَلَامُ الْقُعَيْطِيِّ الَّذِي قَالَهُ قَصَرَ!؟

وكان لاقتصار أحق بالاختصار ، لكن أخذ الكلام برقاب بعضه ، واقتضاه سوق الحفيظة ، والاستنجاز في هذا المعريض المناسب .

- (١) اللذعة : الحرقعة بالنار . والمعنى : أن الكلام عليهم أشد عليهم وأخوف عندهم من السيف البئار .
 (٢) العُجْرُ : العروق المتعقدة في الظهر . البُجْر : العروق المتعقدة في البطن . والمقصود : أنهم ضموا عيباً إلى عيب .

وقد توفي السلطان غالب بن عوض في سنة (١٣٤٠ هـ) ودُفن بجانب أبيه بمقبرة أكبر شاه بحيدر آباد المذكور .

وقد رثيته عن وجدان صحيح وود صادق ، بقصيدة توجد بمكانها من « الديوان »^(١) .

ورثاه شيخنا العلامة ابن شهاب بأبيات ، منها :

جَاءَ تَارِيخُ مَوْتِهِ عَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَكُمْ

وما سمعنا بسلطان بكتته رعاياه بدموع حارة^(٢) ، وأحزان متواصلة . . مثله ، ولا جرم ؛ فقد قال أبو الطيب [في « العكبري » ٤٩/١ من الطويل] :

وَمَنْ سَرَّ أَهْلَ الْأَرْضِ ثُمَّ بَكَى أَسَى
بَكَى بَعْثُونَ سَرَّهَا وَقُلُوبُ^(٣)

(١) لما نفي السلطان غالب . . كان المصنف خارج حضرموت في الحديدة ، فكان لموته أثر بالغ عليه ، فرثاه بقصيدة تقرب من الخمسين بيتاً ، قال في مطلعها :

فِيمَا يَكُنُ الْغَيْبُ طَيِّ صَمِيرِهِ
سِرٌّ تَطَاوَلَتِ النَّفُوسُ لَهُ فَمَا
ومنها :

أَفَلَيْسَ فِي الْمَاضِينَ تَغْزِيَةً لَنَا
هِيَ هَاتِ مَا عَنْ غَالِبٍ مِنْ سَلْوَةٍ
يَبْكِيهِ سَاحِلُ (حَضْرَمَوْتَ) بِعَبْرَةٍ
شَمِلَ الْمَصَابِ جَمَادَهُ وَبَنَاتُهُ
إِلَّا الْخَزِينَةَ لَمْ يَسُؤْهَا فَقْدُهُ
ومنها :

عِظَةٌ يَذُوبُ لَهَا الْجَمَادُ وَعَبْرَةٌ
إِنَّا لِيُوحِشُنَا خُلُوءُ مَكَانِهِ
إلى آخرها .

(٢) قيد الدموع هنا بكونها حارة لكونها علامة الحزن ، أمّا الدُموع القارّة - الباردة - فهي أمانة الفرح والشّور ومن ذلك قولهم : فلان قريح العين .

(٣) المعنى : من أدخل الشّور على جميع النّاس ، ثم بكى لحزن أصابه . . ساء حزنه النّاس الذين سرّهم ، فكأنه بكى بعيونهم ، وحزن بقلوبهم ؛ لما يصيبهم من الأسى والعجز .

وقال يزيد المَهَلْبِيُّ [مِنَ البسيط] :

أَشْرَكْتُمُونَا جَمِيعاً فِي سُرُورِكُمْ فَلَهَوْنَا إِذْ حَزِنْتُمْ غَيْرُ انْصَافٍ
وَخَلَفَهُ أَخُوهُ السُّلْطَانُ عُمَرُ بْنُ عَوْضٍ ، وَكَانَ ثَقَّةً ، حَازِماً ، صَادِقاً ، شَجَاعاً ،
غَيُوراً ، وَلَهُ وِفَادَاتٌ مَكْرَرَةٌ إِلَى مَكَّةَ الْمُعَظَّمَةِ وَالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَةِ ، يَتَوَاتَرُ عَنْهُ فِيهَا
مَا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ الْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الدِّينِ ، وَلِئِنْ أَتَاهُمْ بِتَقْصِيرٍ فِي الْعِبَادَةِ ، وَأَنْحِرَافٍ فِي
السَّيْرِ . . فَالْتَدُّمُ أَمَارَةٌ صَدَقَ التَّوْبَةُ .

وَبَقِيَ عَلَى وِزَارَتِهِ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ الْمُحَضَّرُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي أَيَّامِهِ وَافِرَ
الْحَرَمَةِ نَافِذَ الْكَلِمَةِ وَاسِعَ الْجَاهِ ، كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ السُّلْطَانِ غَالِبِ الْأَذَى لَا يَعْتَرِضُهُ فِي
أَيِّ أَمْرِ كَانَ ، بَلْ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ الْأُمُورَ تَفْوِضاً أَعْمَى .

أَمَّا السُّلْطَانُ عُمَرُ . . فَقَدْ أَسْمَعَهُ مَا يَكْرَهُ ، حَتَّى لَقَدْ أَخْبَرَنِي السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَادُونَ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَضَّرُ : أَنَّ السَّيِّدَ حُسَيْنَ بْنَ حَامِدٍ قَالَ لَوْلَدِهِ أَبِي بَكْرٍ
وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ الْمَوْتِ : (إِنِّي قَتِيلُ عُمَرَ بْنِ عَوْضٍ) .

وَلَمَّا مَاتَ السَّيِّدُ حُسَيْنٌ فِي آخِرِ سَنَةِ (١٣٤٥ هـ) . . أَبْقَى السُّلْطَانُ عُمَرُ وَلَدَهُ أَبَا
بَكْرٍ ، ثُمَّ عَزَلَهُ ، وَلَمْ يَثْرُبْ عَلَيْهِ ^(١) ، وَلَمْ يُؤْذِهِ فِي حَالٍ وَلَا مَالٍ .

وَأَسْتَوَزَرَ بَعْدَهُ الْمَكْرَمَ سَالِمَ بْنَ أَحْمَدَ الْقُعَيْطِيَّ ، وَجَعَلَهُ مَوْضِعَ ثِقَتِهِ وَأَمَانَتِهِ .

تَوَفَّى السُّلْطَانُ عُمَرُ بْنُ عَوْضٍ أَوَاخِرَ سَنَةِ (١٣٥٤ هـ) بِحَيْدَرِ أَبَادٍ الدَّكْنِ ، وَخَلَفَهُ
الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ السُّلْطَانُ صَالِحُ بْنُ غَالِبٍ ، وَكَانَ غَزِيرَ الْمَادَّةِ فِي الْعِلْمِ ، كَمَا تَشْهَدُ لَهُ
بِذَلِكَ مَوْلَفَاتُهُ الْمُنْقَطَعَةُ النَّظِيرِ ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْمُكَلَّا شَغْفُهُ بِالْعِلْمِ ، وَإِنْفَاقُهُ عَلَى
الْمَدَارِسِ مَا يَوَازِي رُبْعَ حَاصِلَاتِ الْبِلَادِ بِالتَّقْرِيبِ ^(٢) .

(١) لَمْ يَثْرُبْ عَلَيْهِ : لَمْ يَكْثِرِ الْعِتَابُ وَاللُّومُ عَلَيْهِ .

(٢) مِنْ مَوْلَفَاتِ السُّلْطَانِ صَالِحٍ :

١- « مَصَادِرُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ » ، عَلَى طَرِيقَةِ أَحَادِيثِ الْأَحْكَامِ ، مَطْبُوعٌ فِي (٣) أَجْزَاءٍ ، قَالَ
الْمُصَنِّفُ عَنْهُ فِي « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » : (مِنْهَا كِتَابٌ فِي الْفَقْهِ عَلَى طَرِيقِ الْاجْتِهَادِ ، أَطْلَعَنِي عَلَى حَصَّةٍ
مِنْهُ فِي الْعَادَاتِ ، يَذْكُرُ أَدْلَةَ الْأَحْكَامِ ثُمَّ يَخْتَارُ مَا يَنْصُرُ عَلَيْهِ أَقْوَاهَا بِحَسَبِ فَهْمِهِ ، فَأَعْجَبَنِي وَأَتَّقَنِي ، =

وقد تجددت بينه وبين الحكومة البريطانية معاهدة في الأخير - لعلها في سنة (١٣٥٨هـ) -^(١) - قبل فيها أن يكون له مُستشار إنكليزي ، وعُذْرُهُ فيما يظهر : أن بعض آل حَضْرَمَوْت أكثروا الزَّرايَةَ على وزارته ، وتمصَّغوها في الجرائد بحق وبغير حق ، وأغدقوا العرائض في ذلك على دار الاعتمادِ بعدن^(٢) ، وعندما أحسَّ بالإصغاء إليها مع تردُّد رجال الحكومة الإنكليزية إلى حَضْرَمَوْت ونزولهم على الرَّحْبِ والسَّعة بأكثر ممَّا يوافقُ هواهم ، ويملأُ رضاهم ، ويوطئُ لهم المناكب ، ويفتحُ لهم الأبواب . . لم يسعهُ - مع ما عرفهُ من الأحاييل المنصوبة له ولولده من بعده ، مع حرصه على توثيق الأمر له - إلا أن يقول بلسان حاله : (إذا سعيتم في موالاة الحكومة الإنكليزية

= وكان عُرْضَةً ذلك نفاسةً وتحقيقاً وعدوبة عبارة) اهـ .

٢- « الآيات البيئات على وجود خالق الكائنات » ، مطبوع أيضاً ، قال عنه في « بضائع التابوت » : (وقد أطلعني عليه فألقيت فيه نظرة عجلية ؛ إذ كنت على وفاز - عجلة - فإذا به كتاب جليل القدر ، يصف نفسه بنفسه ، ويكلِّ لسان الثناء عن استقصاء وصفه ، ولو لم يكن له إلا سواه . . لأبقى له الشرف الخالد ، والمجد الثالذ ؛ إذ العلم أشرف من الملك) اهـ .
وممَّا لم يطلع عليه من مؤلفاته الأخرى :

٣- « الرحلة السلطانية إلى دوعن » ، وفيها من عجائب الأفكار ، وبدائع الثقول عن الكون والإعجاز والاختراعات الحديثة ما يدهش المطالع ، توجد منها نسخة بمكتبة الأحقاف بتريم مزودة بالصُّور الفوتوغرافية الملونة ، وطبعها بعض الناس من أهل المكلا في سنغافورة في حياة السلطان ، بدون الصور .

٤- مبحث في التَّعبُّد بخبر الآحاد . رسالة لطيفة ، أوجب فيها التَّعبُّد بخبر الآحاد . . ولعلَّه أبعد النُّجعة فيه .

٥- تفسير لكلمات القرآن بالأردو ، لم يطبع ، وغيرها .

(١) كانت معاهدة الاستشارة بالتَّحديد في (١٣) أغسطس (١٩٣٧م) ، الموافق لعام (١٣٥٦هـ) .

(٢) يقول الشيخ عبد الله الناخبي : إن هذه العرائض - التي أشار إليها المصنّف رحمه الله - إنّما استكتبها (انجرامس) ، ذلك السَّياسي الدَّاهية قبل أن يأتي إلى المكلا مُستشاراً مقيماً ؛ إذ إنَّه كان يتردّد على حضرموت كسائح ، وقدمها نحواً من (٣) مرّات ، جاب خلالها البلاد ، وسبر أخلاق العباد ، وكان يجس نبض زعماء قبائل حضرموت وقادتها حول السُّلاطين القعيطيين وربما استشار أحقادهم عليهم ، واستكتبهم عن السُّلطان صالح ، وسجّل شهاداتهم تلك في وثائق سرّية أخذها معه وسلّمها إلى والي عدن الحاكم البريطانيّ ، وكلّمَا استجدَّ شيء . . بعث به إليه ، وكانت هذه العرائض من وسائل الضَّغط على السُّلطان في قبول المستشار .

برجلٍ . . طرث فيها بجناح) ، فكانَ ما كانَ ، إلّا أَنَّهُ تنازَلَ لَهُم عن أَكْثَرِ ممّا ألزَمَهُ^(١) .

ولقد كانَ السُّلطانُ الكَثِيرِيُّ - معَ نزولِ درجتهِ عنه وصُغُرِ مملكتهِ بتفاوتٍ عظيمٍ - لا يزالُ يُنازعُهُم ، وقلّما يشتدُّ في أمرٍ إلّا وافقوهُ عليه ، فتراهُ يتحلّلُ معَ اتّساعِ مُلكِهِ ما لا يتحمّلهُ الكَثِيرِيُّ ، والسُّلطانُ صالحٌ محبوبٌ عندَ النَّاسِ ، مفدّى بالأرواحِ مِنْ سائرِ الأجناسِ :

هُوَ الْمَلِكُ الَّذِي جُمِعَتْ عَلَيْهِ عَلَى قَدَرِ مَحَبَّاتِ الْعِبَادِ
تَوَلَّاهُ الْقُلُوبُ وَبَايَعَتْهُ بِإِخْلَاصِ النَّصِيحَةِ وَالْوُدَادِ^(٢)

(١) الاستشارة البريطانية وأسبابها : كشف السيّد العلّامة ، السياسيّ المحنّك : حامد بن أبي بكر بن حسين المحضار في كتابه « حياة السيّد الزّعيم » عن أسباب خفيّة قد لا يعلمها كثير من النَّاس ، حول قبول السُّلطان صالح للمستشار الإنكليزيّ ، وجعل أكبر الأسباب هو رغبة السُّلطان صالح الجامعة في إقصاء ابن عمّه : مُحمّد ابن السُّلطان عمر من السُّلطة ، وخوفه من مجيئه إلى المكلاّ بين الفينة والأخرى ، فلمّا طلب من حاكم عدن أن يلغي حقّ ابن عمه من السُّلطة - مخالفاً بذلك وصيّة جدّه عوض بن عمر - رَحِبَ الحاكم بذلك ، لكن شرط عليه قبول الاستشارة . . فأجابهُ على مضض .
ويزيد على هذا ما تقدم نقله عن الشيخ الناخبي ، ولا منافاة ولا معارضة بين القولين لجواز وقوع كل منهما .

ونقل هنا نصّ كلام السيّد المحضار ؛ لما فيه من الفذلّة التّاريخيّة ، قال رحمه الله : (ولَمّا توفّي السُّلطان عمر . . تولّى السُّلطان صالح ، ولم يواجه أيّ معارضة من أبناء عمّه ، ولكنّه جعل همّه الأوّل أن يحرم ابن عمّه الأمير مُحمّد بن عمر من ولاية العهد ؛ ليكون ابنه الأمير عوض بن صالح وليّاً لعهد أبيه ، فنكث عهده ، وأخلف وعده ، ثمّ ساوم الإنكليز على قبولهم ابنه وليّاً لعهد السُّلطنة بعده ، واعتترفهم به وإلغاء ولاية ابن عمّه الأمير مُحمّد بن عمر ، خلافاً لَمّا قرّره مؤسّس السُّلطنة الأوّل ، وخلافاً لما أجمع عليه هو وعمّه السُّلطان عمر ووزيرهم المحضار ورجال دولتهم . ولم يوافق الإنكليز على ذلك إلّا بشرط أن يقبل السُّلطان صالح مستشاراً إنكليزياً مقيماً في عاصمة السُّلطنة ، على أن يكون للمستشار البثّ في كلّ أمور السُّلطنة ، وليس للسُّلطان أن يتعاطى أمراً ولا نهياً إلّا بموافقة المستشار الإنكليزيّ ، على أن تصدر الأوامر والنّواهي بأسم السُّلطان صالح ، وقبل السُّلطان صالح المستشار الَّذي أصبح هو المتصرّف المطلق في أمور السُّلطنة القيعيّة ، وبذلك دفع السُّلطان صالح ثمن حرمان ابن عمّه من ولاية العهد لينصّب ولده وليّاً للعهد ثمناً عالياً غالباً جداً ، هو في نظرنا أعلى وأعلى من ولاية السُّلطان صالح نفسه ، فضلاً عن ولاية ابنه لولاية العهد ، ولقد تمّ كلّ ذلك رغم كلّ العهود والوعود والشّهود ، واليوم الموعود ، وكانت عاقبة أمره خسراً) اهـ « السيّد الزّعيم » (٨٥) .

(٢) البيتان من الوافر ، وهما للبحرّي في « ديوانه » (١١٩/١) .

وهو كآبائه ، مُحِبٌّ بنفسِهِ لِلْعَدْلِ ، بعيدٌ مِنَ الظُّلَمِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُرْخِي الْأَعِنَّةَ لِلْحُكَّامِ
وَاللِّعْمَالِ . وبما عَرَفُوا مِنْ أُنْبَاءِهِ عَلَى الْعَفْوِ الْوَاسِعِ ، وَالْحِلْمِ الشَّامِلِ . . أَخَذُوا
يَتَبَسَّطُونَ فِي الْمِظَالِمِ ، وَنَخَافُ أَنْ يَخْلُقُوا لَهُ بِأَعْمَالِهِمُ الَّتِي هُوَ مِنْهَا بَرَاءٌ بُغْضاً فِي
الْقُلُوبِ مِنْ دُونِ جَنَائِهِ فَعَلِيَّةٍ ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ ذَلِكَ الْخَطَرِ إِلَّا بِأَنْ يَأْخُذَ هُوَ وَوَزِيرُهُ بِسِيرَةِ
أَبْنِ الْخَطَّابِ فِي مِرَاقِبَتِهِمْ وَبَثِّ الْأَرْصَادِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيُصْبِحُ وَكَأَنَّمَا بَاتَ مَعَ كُلِّ
وَاحِدٍ فِي فِرَاشِهِ ، تَأْتِيهِ أَخْبَارُهُمْ بِدُونِ غُشٍّ فِي كُلِّ مَمْسَى وَمَصْبَحٍ ، وَيَقُولُ : (لَوْ
ضَاعَتْ نَاقَةٌ بِشَاطِئِ الْفِرَاقِ . . لَكَانَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا أَلُ الْخَطَّابِ) وما يَعْنِي إِلَّا نَفْسَهُ ،
وَيَقُولُ : (لَوْ عَثَرَتْ دَابَّةٌ كَانَتْ التَّبِيعَةُ عَلَيَّ) ، قِيلَ لَهُ : (وَلَمْ) . . قَالَ : (لِأَنَّ مِنْ
وَاجِبِي تَعْيِيدَ الطَّرِيقَاتِ) أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا .

وَتِلْكَ هِيَ سِيرَةُ أَزْدَشِيرِ بْنِ بَابَكَ^(١) ، وَقَدْ ثَقِيلَهَا^(٢) مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ،
وَزِيَادُ بْنُ أَبِيهِ^(٣) ، فَانْتَضَمَتِ الْأُمُورُ ، وَأَنْدَفَعَتِ الشُّرُورُ ، وَأَنْعَدَمَ الْجَوْرُ ، وَإِنِّي
لَأَتَمْنَى أَنْ يَتَسَمَّتْهَا هَذَا السُّلْطَانُ وَوَزِيرُهُ ؛ لِتُلْجَلَ الصُّدُورُ ، وَتَبْرُدَ الْخَوَاطِرُ ، وَتَبْقَى
عَلَى أَنْعَادِهَا بِمُحِبَّتِهِمُ الْقُلُوبُ ؛ إِذْ لَا أَنْصُرُ لِلْسُّلْطَانِ مِنْ أَفْتِدَةٍ تَمْتَلِئُ بِوَدِّهِ ، وَالسَّنَةِ
تَهْتَفُ بِشُكْرِهِ ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .

وَلَقَدْ كَانَتْ الْحُكُومَةُ الْقَعِيطِيَّةُ فِي أَيَّامِ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ أَحَبَّ مِنْ جِهَةٍ إِلَى
النَّاسِ مِنْهَا الْيَوْمَ ، لَا لِأَمْنٍ يَنْبَسُطُ ، وَلَا لِعَدْلِ يَنْتَشِرُ ، وَلَا لِخَيْرٍ يَعْمُ ، وَلَا لِشَرٍّ
يَنْدَفِعُ ، وَلَا لِعَطَاءٍ يُرْجَى ، وَلَا لِسَيْوِفٍ تُخْشَى ، وَلَكِنْ لَخَصْلَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهِيَ : جَبْرُ
الْقُلُوبِ ، وَأَخْذُ الْخَوَاطِرِ ، وَحَلَاوَةُ اللِّسَانِ ، وَالْمُقَابَلَةُ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْمَعَانِقَةِ ، وَإِنْ

(١) هو أحد ملوك الفرس ، عرف بالحكمة ، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد . « دائرة المعارف »
(١٦١ / ١) .

(٢) ثَقِيلُ فَلَانِ أَبَاهُ : نَزَعَ إِلَيْهِ فِي الشَّبَةِ ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا : سَارَ عَلَى نَهْجِهِ شَبِيراً بِشَبِيرٍ ، وَذَرَاْعاً بِذَرَاْعٍ .

(٣) وَمِمَّا يَرُودُ فِي هَذَا أَنَّ رَجُلًا كَلَّمَ زِيَادًا فِي حَاجَةٍ وَجَعَلَ يَتَعَرَّفُ إِلَيْهِ وَيَطُنُّ أَنَّ زِيَادًا لَا يَعْرِفُهُ ، فَقَالَ : أَنَا
فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، فَتَبَسَّمَ زِيَادٌ وَقَالَ لَهُ : أَتَتَعَرَّفُ إِلَيَّ وَأَنَا أَعْرِفُ بِكَ مِنْكَ بِنَفْسِكَ !!؟ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْرِفُكَ
وَأَعْرِفُ أَبَاكَ وَأَعْرِفُ أُمَّكَ وَأَعْرِفُ جَدَّكَ وَجَدَّتَكَ ، وَأَعْرِفُ هَذِهِ الْبُرْدَةَ الَّتِي عَلَيْكَ ، وَهِيَ لِفُلَانٍ ، وَقَدْ
أَعَارَكَ إِثَّامَهَا . فَبَهَتِ الرَّجُلُ وَارْتَعَدَ حَتَّى كَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ .

زَادَ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا. . فَمَا هُوَ إِلَّا كَرُمُ الضَّيَافَةِ ، حَسْبَمَا قُلْتُ لَهُ فِي الْقَصِيدَةِ الْآتِي خَبَرُهَا فِي أَحْوَالِ سَيْتُونَ السِّيَاسِيَّةِ^(١) [مِنَ الْبَسِطِ] :

مَلَكَتْ قَسْرًا قُلُوبَ النَّاسِ قَاطِبَةً بِخَفَةِ الرُّوحِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْحِيلِ
وَبِالْكَلَامِ الَّذِي نِيَطَ الْقَبُولُ بِهِ مَعَ الْعِنَاقِ لَدَى التَّوَدِيعِ وَالْقَبْلِ
وإنَّمَا قُلْتُ : مِنْ جِهَةٍ ؛ لِأَنَّ الْجَوْرَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ ؛ كَوَادِي الْأَيْسَرِ لِعَهْدِهِ تَكَادُ
تَنْشَقُّ الْأَرْضُ مِنْهُ ، وَتَخْرُ الْجِبَالُ هَذَا ، وَمَفَاسِدُ الْأَسْتِبْدَادِ إِذَا ذَاكَ فَوْقَ التَّنْصُورِ .

فإنَّكَ أَرَى عَلَى عَمَالِ الْحُكُومَةِ الْقَعِيطِيَّةِ جِدًّا شَدِيدًا فِي جَوْرِهِمْ وَتَنَكُّرِهِمْ لِلْمَنَاصِبِ
وَلِرُؤُسَاءِ يَافِعٍ وَآلِ تَمِيمٍ وَآلِ كَثِيرٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ حُلَفَاءِ السُّلْطَانِ الْقَعِيطِيِّ وَأَشْيَاعِهِ .
وَقَدْ كَانَ السَّبَبُ الْأَكْبَرُ فِي سَقُوطِ دَوْلَةِ آلِ مَرْوَانَ : إِدْنَاءُ الْأَعْدَاءِ ، وَإِبْعَادُ
الْأَوْلِيَاءِ ؛ إِذْ صَارَ الْوَلِيُّ عَدُوًّا بِالْإِقْصَاءِ ، وَلَمْ يَعُدِّ الْعَدُوُّ وَلِيًّا بِالتَّقْرِيبِ .

وَقَدْ اتَّفَقَ أَنَّ بَعْضَ الْعُمَمَالِ فِي سَنَةِ (١٣٦٦ هـ) أَخَذَ أَهْلَ دَوْعَنَ بِالشَّدَّةِ وَالْعَنْفِ ،
وَحَاوَلَ أَنْ يَضْغَطَ عَلَى سَيِّبَانَ وَآلِ الْعَمُودِيِّ وَالسَّادَةِ ، وَلَمْ يَذَرِ أَنَّ الضَّغْطَ يُوْرُثُ
الْأَنْفِجَارَ ، فَكَانَتِ النُّتِيجَةُ أَنَّ تَحَالَفَتْ بَطُونُ سَيِّبَانَ مِنْ نَوْحٍ وَالْحَالِكَةِ وَالْحَامِعَةِ
وَالْمَرَّاشِدَةِ وَالْقُشْمِ وَآلِ بَاخْشَوَيْنَ وَآلِ بَاعْمُرُوشَ وَآلِ نَهِيمٍ ، وَدَخَلَتْ مَعَهُمُ الدَّيْنُ وَنَاسٌ
مِنَ الْحُمُومِ عَلَى إِعْلَانِ الثُّورَةِ عِنْدَمَا يَرِيدُ أَحَدُهُمْ عَمَالُ الْحُكُومَةِ بِالظُّلْمِ ، وَتَعَاقَدُوا أَنَّ
لَا يُجْبِيُوا بَاغِي هَضِيمَتِهِمْ إِلَّا بِاللِّسَنَةِ الْبِنَادِقِ ، وَقَالُوا بِلِسَانِ حَالِهِمْ :

إِذَا أَلَمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ مَشَيْنَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نَخَاطِبُهُ^(٢)

(١) وَمَنَاسِبَتُهَا : تَوْقِيعُ مَعَاهِدَةِ عَدَنَ سَنَةِ (١٣٣٧ هـ) الَّتِي تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا .
وَمَطْلَعُ الْقَصِيدَةِ :

أَمَلًا وَسَهْلًا بِمَنْ وَافَى وَمَوْضِعُهُ
مَنْيَ وَإِنْ لُنْتُ فَوْقَ الرَّأْسِ وَالْمُقْبَلِ
إِنَّ الْمَحَاضِيرَ مَنْ طَابَتْ شَمَائِلُهُ
وَلَمْ يَحُلْ قَطُّ عَنْ وُدِّي وَلَمْ أَحُلْ
وَهِيَ غَرَاءُ كَبَفِيَّةِ قَصَائِدِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الطُّوِيلِ ، وَهُوَ لِبَشَّارٍ فِي « دِيْوَانِهِ » ، وَفِي « الدِّيْوَانِ » : (نَعَاتِبُهُ) بَدَلُ (نَخَاطِبُهُ) . وَصَعَرَ
خَدَّهُ : أَمَالَهُ عَنَّا مِنَ الْكِبَرِ .

وَعَقَدُوا بَيْنَهُمْ عَهْدًا وَثِيقًا وَحِلْفًا أَكِيدًا ، مِنْ قَوَاعِدِهِ : أَنْ لَا وَفَاءَ وَلَا بِيَاضَ وَجْهِ
لِمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُ أَوْ خَاسَ بِهِ إِلَّا دَفْعُ أَلْفِ رِيَالٍ وَقَتْلُ أَحَدِ أَقْرَبَائِهِ عَلَى عَوَائِدِهِمُ الْجَاهِلِيَّةِ .

وَكَانَ ذَلِكَ أَوَاخِرَ سَنَةِ (١٣٦٦هـ) بِيُضَةٍ ، وَشَهْدَهُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ
مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَضَّرِ ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ حُسَيْنٍ الْمُحَضَّرِ ، وَأَحَدُ السَّادَةِ آلِ الْبَارِ .

فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحُكُومَةِ إِلَّا أَنْ عَزَلْتَ ذَلِكَ وَعَمَلْتَ بِسِيَاسَةِ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ؛ إِذْ
يَقُولُ : (لَوْ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ شَعْرَةٌ .. لَمْ تَنْقَطَعْ ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ شَدُّوا .. أَرَخِثُ ،
وإِنْ أَرَخَوْا .. قَبِضْتُ)^(١) ، وَنِعْمًا فَعَلْتَ الْحُكُومَةَ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَلْتَقَى السِّيفَانِ ..
ذَهَبَ الْخِيَارُ ، وَلَكِنْ الصِّيفُ ضَيَّعَ اللَّبَنَ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ خَسِرْتَ مِنَ
الْهَيْبَةِ ، وَفَقَدْتَ مِنَ الْأُتْبَةِ مَا لَا يُمَكِّنُ تَلَاْفِيهِ إِلَّا بِتَحْمُلِ مَنَّةٍ تَنْفَسَخُ مِنْهَا الْقَوَائِمُ لِلْحُكُومَةِ
عَدَنَ ، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي غَنَى عَنْ ذَلِكَ ؛ لِانْعِقَادِ الْقُلُوبِ عَلَى مَحَبَّةِ السُّلْطَانِ ، لِعَفْوِهِ
عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ .. فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْعَنْفِ إِلَّا اللَّثَامُ الَّذِينَ لَا يُصْلِحُهُمْ غَيْرُهُ .

وَوَضَعَ النَّذَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعَلَا مُضِرُّ كَوْضَعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّذَى^(٢)
وَلَوْ أَنَّ عَمَالَ الْقَعِيطِيِّ سَاسُوا الْكِرَامَ مِنْ سَيِّانٍ وَالْعُمُودِيِّ بِالرَّفْقِ .. لَاسْتَقَامَ
الْحَالُ ، وَانْحَلَّ الْإِشْكَالُ ؛ إِذِ الْكِرَامُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

قَوْمٌ إِذَا شُومِسُوا لَجَّ الشَّمَّاسُ بِهِمْ ذَاتَ الْعِنَادِ وَإِنْ يَاسَرَتْهُمْ يَسُرُّوا^(٣)
وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ نَاسِبٍ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

وَمَا بِي عَلَى مَنْ لَانَ لِي مِنْ فِظَاطَةٍ وَلَكِنِّي فَطَأْتُ أَبِي عَلَى الْقَسْرِ
هَذَا مَا يَحْسُنُ أَنْ يُعَامَلَ بِهِ الْكِرَامُ ، أَمَّا الرِّذَالُ .. فَلَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ضَرْبُ الْقَدَالِ^(٤) ،

(١) تاريخ اليعقوبي (٢٣٨/٢) .

(٢) البيت من الطُّوَيْلِ ، وَهُوَ مِنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ لِلْمَتْنِيِّ . « الْعَكْبَرِي » (٢٨٨/١) .

(٣) شُومِسُوا : تُشَوِّغَبُ عَلَيْهِمْ . وَأَصْلُ الشَّمَّاسِ عَدَمُ اسْتِقْرَارِ الدَّابَّةِ وَانْقِيَادُهَا لِشَغْبِهَا ، وَاسْتِعَارُهُ هُنَا
لِلْأَدْمِيينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٤) الْقَدَالُ : جَمَاعٌ مَوْخَرُ الرَّاسِ .

وبمثل ذلك جاء القرآن العظيم ، وسارَ عليه الشَّارعُ الحكيمُ ، ومعادَ الله أن يُصلَحَ آخرَ هذه الأُمَّةِ إلَّا ما أصلَحَ أولُها ، ولا معرفةَ لي تكفي اليومَ للحُكمِ بحالِ القومِ ، ولكنَّ مَنْ يَرِدُنِي من آلِ العموديِّ وآلِ العِطَّاسِ يحدِّثُنِي عَن شَهادَتِهِم ونُخوتِهِم بما يبعدُ معهُ أن تُذَلَّلَ معاصِهم الخُطُومُ ، وقد قالَ بعضُ شعرائِهِم المتأخِّرينَ - واسمه سعيْدُ بنُ سالمٍ -
بانهيم المرشدي - :

لَا حَقَّ بِأُمْدَةٍ وَلَا مَنْقُودٌ وَلَا شَرِيعَةٌ عِنْدَ قَاضِي
لَمَّا يُغْلَقُ كَسْبِي الْمَوْجُودُ هَفْوُهُ لِهِم وَالْقَلْبُ رَاضِي
وَلَا أَشْنُوَّةَ عَلَيْهِ بِالْمُتَدَحِّحِ بِالْإِمْتِنَاعِ عَنِ اسْتِدْعَاءِ الْقَضَاةِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَصُوصٌ^(١) . . . فَلَهُ
مِنْ جَوْرِهِمْ مَخْرَجٌ عَنْ هَذَا ، وَفِيهِ شَبَةٌ مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْأَوَائِلِ^(٢) [مِنْ الطَّوِيلِ] :

يَنِي عَمَّنَا لَا تَذْكُرُوا الشُّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيمِ الْقَوَافِيَا^(٣)
فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصَيِّوْنَ سَلَّةً فَتَقْبَلُ ضَيْمًا أَوْ نُحْكِمُ قَاضِيَا^(٤)

(١) أراد الشيخ رحمه الله تعالى قول ابن المنجم :

فَلَا تَجْعَلْنِي لِلْقَضَاءِ فَرِيْسَةً فَإِنْ قَضَاةَ الْعَالَمِينَ لَصُوصُ
مَجَالِسِهِمْ فِينَا مَجَالِسُ شَرْطَةِ وَأَيْدِيهِمْ دُونَ الشُّصُوصِ شُصُوصُ
الشُّصُوصِ - جَمْعُ شِصٍ - وَهُوَ : اللَّصُّ الَّذِي لَا يَدَعُ شَيْئًا أَتَى عَلَيْهِ إِلَّا أَخَذَهُ .
فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الْبَحَاثُ مَتَمِّمًا لِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

سَوَّى عَصْبَةً مِنْهُمْ تُخَصُّ بِعَفْوَةٍ وَلِلَّهِ فِي حُكْمِ الْعُمُومِ خُصُوصُ
خُصُوصُهُمْ زَانَ الْبِلَادِ وَإِنَّمَا يَزِينُ خَوَاتِيمَ الْمُلُوكِ فُصُوصُ

(٢) هُوَ الشَّمِيذَرُ الْحَارِثِيُّ ، كَمَا فِي « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ » (٣١ / ١) ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ أَخُوهُ غِيْلَةً . . . فَقَتَلَ قَاتِلَ
أَخِيهِ نَهَارًا فِي بَعْضِ الْأَسْوَاقِ مِنَ الْحَضَرِ .

(٣) قَالَ شَارِحُ « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ » (٣١ / ١) : صَحْرَاءُ الْغَمِيمِ : اسْمُ مَوْضِعٍ . وَالْقَوَافِي : جَمْعُ قَافِيَةٍ ،
وَأَرَادَ بِهَا الْقَصَائِدَ . وَفِي دَفْنِ الْقَوَافِي مَعْنِيَانِ ؛ أَحَدُهُمَا : أَنْكُمْ أَنْهَزْتُمْ بِهِذَا الْمَوْضِعَ . . . فَلَا تَكْلِفُوا
أَحَدًا مَدْحَكُمْ وَلَا تَفْتَخَرُوا فِي شَعْرٍ ؛ لِسُوءِ بِلَاتِكُمْ بِهِذَا الْمَوْضِعِ . وَالثَّانِي : أَنَّ شَاعِرَهُمْ قُتِلَ وَدُفِنَ
بِهِذَا الْمَوْضِعِ . . . فَكَأَنَّهُ يَقُولُ : لَسْتُمْ قَادِرِينَ عَلَى الشَّعْرِ وَقَدْ دَفَنْتُمْ شَاعِرَكُمْ بِصَحْرَاءِ الْغَمِيمِ . . . فَلَا
تَكْلِفُوا ، لَسْتُمْ مِنْ أَهْلِهِ ؛ فَعَلَى هَذَا : كَأَنَّهُ قَالَ : دَفَنْتُمْ صَاحِبَ الْقَوَافِي .

(٤) السَّلَّةُ : السَّرَقَةُ . يَقُولُ لَهُمْ : لَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تَقْصِدُونَهُ وَهُوَ مُتَفَرِّدٌ شَاذٌ فَتَصَيِّبُونَهُ سَرَقَةً فَتَرْضَى بِالضَّيْمِ ،
أَوْ نَحَاكُمُ إِلَى قَاضٍ .

وَلَكِنَّ حُكْمَ السَّيْفِ فِينَا مُسَلَّطٌ فَفَزَضْنِي إِذَا مَا أَصْبَحَ السَّيْفُ رَاضِيًا^(١)
 ولا أذكرُ قائلها الآنَ ، ولكنتني أعرفُ أنَّ موسى بن المهدبيّ تمثَّلَ بها لما جيءَ
 برأس الحسين بن عليّ بن الحسن المثنى ، وجعل يوبِّخ من أسر من أصحابه ويقتلهم .
 والحسينُ هذا هو الفخري نسبةً إلى محلِّ واقعتِهِ ، وهو بمكة أو قريبٍ منها ، أو هو
 وادي الزَّاهر . . فكلُّ ذلك قليلٌ ، وهي أقوالٌ متقاربةٌ .

ولطالما حدَّثني الواردون عن شهامةٍ أولئك ، غير أنَّ قياسَ المشاهدةِ على ما نعرفُ
 من قبائل بلادنا . . يجعلُ السَّعيَ مهلاً ، والصَّعبَ سهلاً ، والعُسْرَ إلى المياسرةِ .

وبعد أن فرغتُ من هذا الكتابِ بشهورٍ أخبرني غيرُ واحدٍ بأنَّ أحدَ رؤساءِ آلِ ماضي
 - وكان يحطُّبُ في جبلِ الحكومةِ - أبتزَّ امرأةَ رجلٍ غائبٍ بالهندِ ، ولما حضر . . أمتلاً
 غيظاً - وفيما دونَ هذا يحمي أنفُ الكريمِ - فلم ييخُلْ بالمالِ في سبيلِ غسلِ العارِ ،
 فقتلَ ذلكَ الباغي في بلادِهِ ، وأنَّهم بقتلهِ اثنانِ من آلِ باصليبٍ ، فجهَّزَت عليهمُ
 الحكومةُ نحوَ سبعِ مئةِ جنديٍّ بدبَاباتهم فما دونها من الآلاتِ والأسلحةِ والعتادِ ، فصبرَ
 لهم رئيسُ آلِ باصليبٍ ، وكان شهماً ، وأبلى فيهم أحسنَ ألبلاءِ ، ثمَّ قُتلَ ، وأُشبلَ
 عليه أخوه وأبنته فأصيبا^(٢) ، ولكنَّهما احتملاه ، رحمه الله عليه ، لقد ماتَ شهيداً
 وأبقى ذكراً مجيداً :

فَتَيَّ مَاتَ بَيْنَ الطَّغْنِ وَالضَّرْبِ مَيْتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِنْ فَاتَهُ النَّصْرُ^(٣)
 وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهلاً فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَاطُ الْمُرُّ وَالْخُلُقُ الْوَعْرُ^(٤)
 وَنَفْسٌ تَعَاثُ الْعَارَ حَتَّى كَانَمَا هُوَ الْكُفْرُ يَوْمَ الرُّوعِ أَوْ دُونَهُ الْكُفْرُ
 وكان كلُّ ذلكَ - حَسَبَمَا يُقالُ - بخيانةٍ من بعضِ آلِ باصليبٍ أنفسهم ، ثمَّ لم يكن من
 الحكومةِ إلَّا إهانَتهم ، وأخذَ أسلحتهم .

(١) رضا السيف ؛ كناية عن كونه يعمل حتى يكُلَّ .

(٢) أُشبل عليه : عطفَ .

(٣) الأبيات من الطَّوِيلِ ، وهي لأبي تمام في « ديوانهِ » (٣٠٣ / ٢) .

(٤) الحِفَاطُ المر : الدفاع الشديد . الخلق الوعر : النزق والشدة عند المنازعة .

وبإثر هذه الحادثة تراخى أمر ذلك الحلف ؛ إذ تقنعت الأحلاف ، ولم يلب صوت المقدم سعيد باصليب إلا المشاجرة ، جاؤوا من بيعت ونواحيها في نحو سبع مئة رام ، يتقدمهم باشقير ، ولكن بعد ما سبق السيف العدل ، وفرغوا من سعيد باصليب . . فعادوا أدارجهم .

وكان عند آل العمودي بعض مأجوري الحكومة يشاغلونهم بالكلام ، حتى قضى الأمر ، وما أظنه إلا يتساوى الناس ، ويصح القياس .

وقال الطيب بامخرمة في التعريف بالشجر : (سُميت الشجر بهذا الاسم لأن سكانها كانوا جيلاً من المهرة يُسمون : الشخرات - بالفتح وسكون الحاء المهملة وفتح الزاء ، ثم ألف ، فحذفوا الألف وكسروا الشين ، ومنهم من لم يكسرهما ، والكسر أكثر - وتسمى : الأشجار أيضاً ؛ كالجمع . وتسمى : الأشغاء ؛ لأنه كان بها وإد يسمى الأشغا^(١) ، كان كثير الشجر ، وكان فيه آبار ونخيل ، وكانت البلاد حوله من الجانب الشرقي ، والمقبرة القديمة في جانبه الغربي .

وتسمى أيضاً : سمعون ؛ لأن بها وإد يسمى بذلك ، والمدينة حوله من الشرق والغرب ، وشرب أهلها من آبار في سمعون . وتسمى : الأحقاف أيضاً .

وقد ذكر هذه الأسماء النقيب أبو حنيفة ، وأسمه أحمد ، كان من أولاد أحد تجار عدن ، ثم صار نقيباً لفُقراء زاوية الشيخ جوهر^(٢) ، ثم عزم إلى الشجر ، وأمتدح

(١) انتقد هذه التسمية صاحب « الشامل » وأكد أن صوابها : الأشغاء ، بالسين المهملة ، والعين المهملة ، وأن الشين إنما هي تصحيف . ومن أسماء الشجر المعروفة أيضاً : (سعاد) .

(٢) الشيخ جوهر العدني (١٠٠٠ - ٦٢٦ هـ) : هو الشيخ الكبير الصوفي الصالح ، المشهور بعدن ، يقال : إنه من أهل الجند ، كان عبداً عتيقاً أميناً ، وكان يشر في سوق عدن في البز ، لقي الشيخ باحمران ، وكراماته كثيرة ، وقبره معروف بعدن .

ومما ينسب له من الشعر هذه الأبيات :

إِذَا سَعِدُوا أَحْبَابُنَا وَشَقِينَا
وَلَوْ جِئْنَا أَحْبَابَ جِيشٍ مِنَ الْجَفَا
وَلَوْ بَعَثُوا خَيْلَ الصُّدُودِ مُغِيرَةً
صَبَرْنَا عَلَى حُكْمِ الْقَضَا وَرَضِينَا
بَيْنَنَا مِنَ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ حُصُونَا
بَعَثْنَا لَهُمْ خَيْلَ الْوَسَالِ كَمِينَا

سلطانها عبد الرَّحْمَنِ بْنُ رَاشِدٍ بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، مُعْظَمُهَا عَلَى أَلْبَالٍ بَالٍ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمِّيهِ أَهْلُ حَضْرَمَوْتَ أَلْدَانِ دَانَ .

وخرجَ مِنَ الشَّخْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْفُضْلَاءِ ؛ كَأَلِ أَبِي شُكَيْلٍ ^(١) ، وَآلِ السَّبْتِي ، وَآلِ بْنِ حَاتِمٍ ، وَغَيْرِهِمْ . وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ؛ مِنْهُمْ : مُحَمَّدُ بْنُ مُعَاذٍ الشَّحْرِي ، سَمِعَ مِنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْفَزَارِيِّ ^(٢) . وَالْجَمَالُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ الْأَصْفَرِ الشَّخْرِي ، سَمِعَ مِنْهُ الْقَوَاضِي بِمَارْدِينَ سَنَةَ « ٦٨٠ هـ » .

= وَإِنْ شَهِرُوا أَسْيَافَهُمْ لِقَتَالِنَا أَتَيْنَاهُمْ بِالذُّلِّ مُدْرِعِينَ
أَجْبَاءَنَا جُورُوا وَإِنْ شِئْتُمْ أَغْدِلُوا صَبَرْنَا عَلَى حُكْمِ الْقَضَا وَرَضِينَا
« تاريخ عدن » (٧١-٧٣) .

(١) لم يذكر المصنف هنا أحدًا من علماء آل باشكيل ، وحققهم أن يذكروا ؛ فمن أجلهم :
العلامة القاضي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَالِمِ بَاشْكِيلِ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ ، وَلَدَ سَنَةَ (٦٦٤ هـ) ، وَتَوَلَّى قَضَاءَ زَيْدٍ ، ثُمَّ دَرَسَ بَعْدَهُ ، وَانْفَصَلَ سَنَةَ (٧٢٠ هـ) ، وَأَقَامَ بِالشَّحْرِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، كَانَ فَقِيهًا كَبِيرًا ، لَهُ شَرْحٌ عَلَى « الْوَسِيطِ » لِلْفَزَارِيِّ ، فِي عِدَادِ الْمَفْقُودَاتِ ، وَفَتَاوَى ، وَنَبَذَهُ فِي الْأَنْسَابِ ، تَوَفَّى أَوَاسِطَ الْقَرْنِ الثَّامِنِ .
مُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعْدِ بَاشْكِيلِ ، وَلَدَ بَغِيلٍ بِأَوَازِيرِ سَنَةَ (٨٠٤ هـ) ، وَمَنَاقِبُهُ كَثِيرَةٌ ، لَهُ شَرْحٌ عَلَى « الْمَنَهَاجِ » لِلنَّوَوِيِّ ، جُمِعَ فِيهِ بَيْنَ شُرُوحِ الْإِسْنَوِيِّ وَالسُّبْكِيِّ وَالْأَذْرَعِيِّ وَابْنِ النَّحْوِيِّ .

وَهُوَ جَدُّ الْقَاضِي الْمَوْرُخِ مُحَمَّدِ الطَّيِّبِ بِامْخَرْمَةِ ، لِأُمِّهِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (٨٧١ هـ) .
(٢) صَوَابُهُ : الْفَرَاوِيُّ ، بَقَاءٌ وَرَاءَ ، نَسَبُهُ إِلَى فَرَاوَةَ بِالْفَتْحِ ، بَلِيدَةٌ مِنْ أَعْمَالِ نَسَا ، تَقَعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دَهستانِ وَخَوَارِزْمَ ، خَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَيُقَالُ لَهَا : رِبَاطُ فَرَاوَةَ ، بَنَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ فِي خِلَافَةِ الْمَأْمُونِ . وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَذْكُورُ هُنَا هُوَ : الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْفَرَاوِيِّ ، الْمَوْلُودُ سَنَةَ (٤٤١ هـ) ، وَالْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٣٠ هـ) . كَانَ يَعْرِفُ بِفَقِيهِ الْحَرَمِ ، مِنْ أُمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ .
مِنْ شَيْوَخِهِ : الْحَافِظُ أَبُو عَثْمَانَ بْنِ الصَّابُونِيِّ ، وَأَبُو إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيِّ ، وَالْحَافِظُ الْإِمَامُ الْبَيْهَقِيُّ ، وَابْنُ الْقَاسِمِ الصَّفَّارُ ، وَأَبُو الْمُعَالِيِّ الْجَوِينِيُّ ، وَغَيْرِهِمْ . قَالَ يَاقُوتُ : رَوَى عَنْهُ شَيْخُنَا الْمُؤَيَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الطُّوسِيِّ ، وَأَبُو أَحْمَدَ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَكِينَةَ بِالْإِجَازَةِ ، وَلَهُ مَجَالِسٌ فِي الْوَعظِ وَالتَّذْكِيرِ مَجْمُوعَةٌ . اهـ وَأَرَخَ وَفَاتَهُ فِي (٥٠٣ هـ) . « الْأَعْلَامُ » (٦ / ٣٣٠) ، « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » (٤ / ٢٤٥) ، « شَذَرَاتُ الذَّهَبِ » (٤ / ٩٦) ، « بَرْوَكُلْمَانِ » (١ / ٤٣٦) . خَرَجَ لَهُ ابْنُ مُعَاذٍ الشَّحْرِي « أَرْبَعِينَ حَدِيثًا عَنْ أَرْبَعِينَ شَيْخًا » ، قَالَهُ السَّمْعَانِيُّ .

ومن شجرِ عُمان : عمرو بن أبي عُمَرَ الشُّحري ، أنشدَ لَهُ الثَّعالبيُّ شِعراً في
« اليَتِمة » اهـ^(١)

وقد أَطْلُتُ القولَ على الأشجارِ بـ«الأصلِ» ، ومتى عَرَفْنَا أَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ الشُّحْرِ .
أنحلَّ المشكلُ عليَّ فيه ، فهذا ممَّا يستدرِكُ على ما هناك .

وطالما أَسْتَشْكَلْتُ قولَهُمْ : (إِنَّ المَظْفَرَ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشُّحْرَ مَدِينَةً) ، معَ عاديِّ
عُمرانها ، وتقادُمُ أخبارِها ، والمفهومُ : أَنَّها كانتَ مَدِينَةً عامرةً ثُمَّ أُنْدَثَرَتْ حَتَّى عَمَّرَها
المَظْفَرُ ، فهذا الجَمْعُ متعيَّنٌ .

ومرَّ أوائلُ هذهِ المَسوَدَةِ عن ياقوتِ ذِكْرُ مُحَمَّدِ بْنِ خُوَيِّ بْنِ مَعَاذٍ^(٢) ، ولكنَّ
الطَّيِّبَ بامخرمة نَسَبَهُ إِلَى جَدِّهِ وَلَمْ يَذْكُرْ أَبَاهُ .

وقالَ الطَّيِّبُ أيضاً في مادَةِ (ذَبْحَان)^(٣) : (إِنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ أَحْمَدَ
الذَّبْحَانِيَّ^(٤) تَفَقَّهَ حَتَّى تَرَشَّحَ لِلْفَتَوَى ، ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ ، وَاجْتَهَدَ فِي الْخُلُوةِ

(١) بعد الرجوع إلى « اليَتِمة » ومع شدة البحث تبين أن الذي ذكره الثعالبي هو : أبو الحسن عمر بن أبي
عمر الشُّجْزِي النُّوقاني ، من أهل خراسان ، فلعل كلمة الشُّجْزِي اشتبهت على بامخرمة فظنها
الشُّحري . والله أعلم .

(٢) محمد بن خوي بن معاذ ، كذا في نسخ « النسبة » ، وفي المطبوع من « تكملة الإكمال » (٣١٧/٣)
وسمَّاه : محمد بن خرفي ، وفي « الأنساب » (٤٢٨/٣) سمَّاه : محمد بن حرمي ، بحاء وراء وميم
مهملات . قال السمعاني (٥٨١٩) : محمد بن حرمي بن معاذ الشُّحري اليماني ، من أهل الشحر ،
ورد العراق وسمع بها وبخراسان . سمع بَنيسابور أبا عبد الله محمد بن الفضل الساعدي ، وبمرو أبا
الحسن علي بن محمد بن عبد الله الدهان ، وجماعة سواهما . وما رأيته ، ورأيت اسمه على أجزاء
الحديث ، وخرَّجَ لشيخنا الفراوي « الأربعين حديثاً عن أربعين شيخاً » اهـ والساعدي والفراوي هما
شخص واحد ، تقدمت ترجمته . وزاد صاحب « تكملة الإكمال » : وله شعر . اهـ وفي هذه
النصوص زيادات مفيدة جداً ، كما صرح السمعاني بأنه من أهل شحر عمان وهو صريح في أنه ليس من
هذه المدينة التي الحديث ههنا عنها ، لما تقدم نقله عن « الشامل » . انظر « معجم البلدان »
(٣٢٨/٣) .

(٣) ذبحان عزلة فيها عدد من القرى ، أكبرها الثَّرْبَة ، وهي اليوم مَرَكَزُ ناحية الحُجْرِيَّة المعافَر من أعمال
تعز ، وكان مركزها من قبل جبا . « هجر العلم » (٦٨٨) .

(٤) أصلهم من ذبحان ، هاجروا إلى عدن ولعلَّ الَّذِي قدم عدن هو والده الفقيه سعيد بن أحمد ، المتوفى
بعدن في (٢٠) رجب (٨٨٨ هـ) ، تَفَقَّهَ على القاضي إسماعيل بن المقري مصنف « الإرشاد » ، =

والعبادة ، ودخل الأربعينية مراراً ، وسار إلى الشَّخَرِ وإلى دَوْعَن وحَضْرَمَوْت ، وزار الصَّالِحِينَ بها ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى عَدَن وأستوطنها ، وَلَهُ مصَنَّفَاتٌ فِي الْحَقِيقَةِ ، تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَأَتْسَاعِ عِلْمِهِ ، وَكَانَ يَحْضُرُ السَّمَاعَ وَيَتَوَاجَدُ ، تَوْفِيَّ لِسَبْعِ خَلَّتْ مِنْ ربيعِ الْآخِرِ سَنَةِ « ٨٨٥ هـ » بَعْدَن ، قُبِيلَ أَبِيهِ بِقَلِيلٍ ، وَلِلْغَوَاةِ فِيهِ أَعْتِقَادٌ ، خُصُوصاً بِإِفْعَ وَالْهُنُودِ . وَرَبَّمَا تَخَلَّفَ عَنِ الْجُمُعَةِ ، وَالظَّاهِرُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ لَا يَتَخَلَّفَ عَنْهَا إِلَّا لِعَذْرِ شَرْعِيٍّ ، وَلَهُ أَشْعَارٌ جَيِّدَةٌ ، وَقَدْ أَفْتَى وَهُوَ أَبْنُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً (١) هـ .

وَلَا يُحْصَى كَثْرَةُ مَنْ أَنْجَبَتْهُ الشَّخَرُ مِنْ رِجَالَاتِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ ، وَقَدْ أُلْفَتْ لَذَلِكَ الْكِتَابُ ؛ كَكِتَابِ : « نَشْرِ الْمَحَاسِنِ الْمُسْكِيَّةِ فِي أَخْبَارِ فَضْلَاءِ الشَّخَرِ الْمَحْمِيَّةِ » (٢) لِلْسَيِّدِ بَاحْسَنِ (٣) .

وَفِي « الْأَصْلِ » : (أَنَّ وَالِدَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدِيمِ عَبَاد - وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى أَلَسَّاسِ سَارَ إِلَى الشَّخَرِ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ الْخُورِ عِنْدَ الشَّيْخِ أَبِي فَادَةَ (٤) ، وَكَانَ ذَلِكَ أَوَائِلَ الْقَرْنِ السَّابِعِ) هـ (٥)

= وَ عَلَى الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ كَيْتِ الْعَدَنِيِّ . وَفِي « الْهَجَرِ » أَنَّ وَفَاتَهُ (٨٧٧ هـ) ، وَهُوَ وَهْمٌ ، فَلْيُصَحَّحْ . (١) الشَّاهِدُ فِي هَذَا النِّقْلِ : ذِكْرُ الشَّخَرِ فِيهِ ، وَدُخُولُ الْعَلَامَةِ الذَّبْحَانِي إِلَيْهَا ، تَدْلِيلًا عَلَى وَجُودِ عُلَمَاءِهَا آنَذَاكَ .

(٢) الصُّوَابُ أَنَّ اسْمَهُ « نَشْرِ النُّفَحَاتِ الْمُسْكِيَّةِ فِي أَخْبَارِ الشَّخَرِ الْمَحْمِيَّةِ » ، كَمَا وَرَدَ فِي مُقَدِّمَتِهِ مِنَ النُّسخَةِ الَّتِي بَخِطَ مُؤَلَّفُهُ ، وَكَمَا وَرَدَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » (٥ / ٦٣) . اِحْتَوَى هَذَا الْكِتَابُ عَلَى تَرَاجُمٍ جَمَلَةٍ مِنَ صَالِحِي الشَّخَرِ وَعُلَمَائِهَا ، وَعَرَضَ أَيْضاً إِلَى أَخْبَارِهَا السِّيَاسِيَّةِ وَذَكَرَ حُكَّامَهَا وَحَوَادِثَهَا ، وَهُوَ كِتَابٌ نَفِيسٌ ، يَسْتَحِقُّ النَّشْرَ ؛ لِاحْتَوَائِهِ عَلَى تَرَاجُمٍ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِمَّنْ عَاصَرَهُمُ الْمُؤَلَّفُ ، وَلَعَلَّ الْبَعْضَ لَمْ يُتَرْجَمْ لَهُمْ فِي سِوَاهُ ، يَقَعُ فِي جِزَائِنِ .

(٣) هُوَ السَّيِّدُ الْأَدِيبُ الْأَرِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَاحْسَنِ جَمَلُ اللَّيْلِ ، بِاعْلُوِّي الْحُسَيْنِيِّ . وَلَدَ بِالشَّخَرِ سَنَةَ (١٢٧٨ هـ) وَبِهَا تَوْفِيَّ سَنَةَ (١٣٤٧ هـ) ، طَلَبَ الْعِلْمَ بِسَيْتُونَ عِنْدَ الْحَبِيبِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَبْشِيِّ ، وَأَخَذَ عَنْ عِدَدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَالشَّيْخِ نَاصِرِ بْنِ صَالِحِ بْنِ أَبِي الشَّيْخِ عَلِيِّ ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمِ بَاطُورِيحَ ، وَالسَّيِّدِ عَلَوِيِّ الْمَشْهُورِ ، وَالسَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْسِنِ السَّقَّافِ ، وَأَجَلُّ شَيْوَحِهِ السَّيِّدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ سَالِمِ عَيْدِيدٍ . آثَارُهُ : لَهُ التَّارِيخُ الْمَذْكُورُ ، وَنَظْمُ « السَّفِينَةِ » ، وَرِسَالَةٌ سَمَّاهَا « عَقْدُ الْأَتْفَاقِ عَلَى افْتِتَاحِ مَدْرَسَةِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ » . يَنْظُرُ « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » (٥ / ٦٣ - ٧١) .

(٤) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَعِنْدَ شَنْبَلٍ : أَبِي حَارَةَ .

(٥) تَفَرَّدَ الْمُؤَرِّخُ شَنْبَلٌ بِإِيرَادِ خَبَرِ وَفَاةِ الشَّيْخِ بِأَعْبَادٍ فِي الشَّخَرِ ، وَذَلِكَ سَنَةَ (٦٢٢ هـ) ، وَنَصُّ الْخَبَرِ =

وفي سنة (٧٦٠هـ) توفي بها القاضي أبو شكيل .

وفي سنة (٨٠٥هـ) توفي بها الشيخ فضل بن عبد الله بن فضل بن محمد بافضل^(١) ، وهو من أقران الشيخ السقاف ، طلب العلم هو وإياه بشام عند الشيخ محمد بن أبي بكر عباد .

قال الطيب بامخرمة : (إن الشيخ جمال الدين محمد بن سعد بن علي بن محمد كبن الطبري جامع لأشتات العلوم ، كان يعاني التجارة ، حتى قال له الشيخ فضل - المذكور - ما معناه : ارجع يا قاضي عدن ، فوقع ذلك في قلبه ، وأشتغل بالعلم ، وقرأ بالشحر على الشيخ عبد الله بن علي بن أبي حاتم « التنية » جميعه ، ومن أول « المهدب » إلى (المساقاة) ، توفي سنة ٨٤٢هـ « بعدن ، وقد نيف على السبعين » اهـ بمعناه من « عقود اللال » لسيدي الأستاذ الأبر .

وفي سنة (٩٠٧هـ)^(٢) توفي بها العلامة محمد بن عبد الله بلحاج بافضل^(٣) . وفي تلك السنة توفي بها أيضاً العلامة الجليل عبد الله بن محمد بن حسن بن محمد بن

= فيه : (وفي سنة ٦٢٢هـ) توفي الرجل الصالح محمد بن عبد الرحمن ، أبو الشيخ عبد الله أبا عباد ، ودفن بمقبرة الشحر الغريبة القديمة ، المعروفة الآن بترية أبي حارة) اهـ « شنبل » (٨٢) . أمّا (١) ابنه الشيخ عبد الله . . فسأني ذكره في شام . الشيخ فضل بن عبد الله . . أحد الأئمة الأكابر ، من أعيان عصره ، ولد بتريم سنة (٧٣٠هـ) ، تربى بأبيه ، وسلك على يد الشيخ عبد الله باعلوي ، والإمام محمد بن أبي بكر باعباد الشبامي .

ومما ينسب له من الشعر الصوفي ، قوله :

سلبت ليلي	منّي العقي
آه ياليلي	ارحمي القتل
إنني هائم	وله خاد
أيها اللائم	خلني مه

إلى آخرها . . ترجمته في « صلة الأهل » (١٠٣-١٢١) .

(٢) في المطبوع من « تاريخ شنبل » (٩٠٨) .

(٣) هو ابن الشيخ عبد الله الآتي ذكره ، صاحب المختصرات قرأ على والده وعلى الشيخ أبي بكر العيدروس العدني

أحمد بن عَيسٍين^(١)، وهو الَّذي كَانَ السَّبَبَ فِي مجيءِ الْفقيهِ عبدِ اللَّهِ بلحاج إلى الشَّخْرِ .
وكانَ أبْنُ عَيسٍين حَسَنَ الْخَطِّ ، كَتَبَ نحوَ خَمْسِينَ مَصْحَفًا بِيَدِهِ^(٢) ، ترجمَهُ الطَّيِّبُ
بافقيه ترجمَةً جَمِيلَةً ، وَقَالَ : إِنَّ وفَاتَهُ فِي سَنَةِ (٩٧٠هـ) لَا فِي سَنَةِ (٩٠٨) ، وَكَانَ
مِنْ قِضَاةِ الْعَدْلِ .

وبالشَّخْرِ توفِّيَ الشَّيْخُ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبِي بَكْرٍ بَافِضِلٍ^(٣) ، صَاحِبُ
« الْمَخْتَصَرِ اللَّطِيفِ » ، الَّذِي شَرَحَهُ الرَّمْلِيُّ^(٤) ، وَ« الْمَخْتَصَرِ الْكَبِيرِ » الَّذِي شَرَحَهُ
أَبْنُ حَجَرٍ^(٥) . وَكَانَتْ وفَاتُهُ بِهَا سَنَةَ (٩١٨هـ) .

وَفِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ عبدِ اللَّهِ العِيدروسِ بنِ أَبِي بَكْرٍ السَّكْرَانِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ
السَّقَافِ أَنَّهُ : كَانَ يَحْتُ عَلَى « مَخْتَصَرِ بَافِضِلٍ » ، فَذَهَبَ وَهَمِيَ أَوَّلًا إِلَى أَنَّهُ الْكَبِيرُ مِنْ

(١) هو الفقيه الصالح الزاهد القاضي عبد الله بن محمد بن حسن بن عَيسٍين الشافعي الشحري ، نشأ في طلب العلم والطاعة والعبادة ، وتصدر للفتوى والتدريس في الشجر ، وتخرج به الطلاب ، وكان عالماً محققاً مدققاً ، ساعياً في قضاء حوائج الناس . له قضية مع السلطان عبد الله بن جعفر الكثيري صاحب الشجر ، وذلك : أن السلطان المذكور اشترى حصاناً من بعض الناس ثم بعد ذلك أراد ردّه وادعى فيه عيباً ، وامتنع من تسليم الثمن للبائع ، فاشتكى عليه إلى القاضي المذكور ، فكتب إليه : أن احضر إلى الشرع الشريف ، ولم يراع السلطان ولا تساهل لأجله ولا حابه بكلمة واحدة . والله دره !! ولقد أبقي فخراً ، وغنم أجراً ، وامطى ذروة السماك ، ورقى فوق أوج الأفلاك . عن « النور السافر » (٧٨-٧٩) . وكانت وفاته في ٤ ربيع الثاني من سنة (٩٠٧هـ) .

(٢) قال بافقيه : (وأهل الجهة مثل الشجر وحضرموت يضربون بخطه المثل) .

(٣) هو الشيخ الإمام الصالح ، الولي الكبير ، العارف بالله عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٨٦٦هـ) ابن أبي بكر (ت ٨٠٤هـ) ابن محمد الحاج بن بافضل المذحجي السعدي التريمي . مولده بتريم سنة (٨٥٠هـ) ، ورحل لأداء النسكين وأخذ عن القاضي برهان الدين ابن ظهيرة القرشي ، وأبي الفرج المراغي بالمدينة ، وإبراهيم باهرمز بشبام ، وباجر فيل وبامخرمة (الجد) ، وبافضل العدني ، كلهم بعدن ، وعمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء ، وأخذ عنه جمهرة .

ترجمته في : « النور السافر » ، « تاريخ بافقيه » ، « شذرات الذهب » (١٢٥/١٠) ، « صلة الأهل » (١٤٢-١٦٧) ، « السنا الباهر » ، « تاريخ باحسن » ، « الأعلام » (٩٦/٤) .

(٤) واسم شرح الرملي : « الفوائد المرضية على المختصر اللطيف في فقه الشافعية » ، مطبوع .

(٥) واشتهر باسم « المقدمة الحضرمية » واسم شرحه « المنهج القويم بشرح مسائل التعليم » ، وعليه عدة حواش وتعليقات . منها : حاشية نفيسة للإمام عبد الله بن سليمان الجرهمي ، صدرت مؤخراً عن دار

المنهاج بجدة ، في مجلدين فاخرين

هذين ، وأكثرُ من التَّعَجُّبِ ؛ إذ لَمْ يَكُنِ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بِأَفْضَلِ ^(١) يوم توفِّي الشَّيْخُ العيْدروسُ إلَّا وهوَ في أَوَانِ الْبُلُوغِ ^(٢) ، فَكُنْتُ أَسْتَخْرِجُ بِهِ الْإِعْتِبَارَ مِنَ الْإِخْوَانِ ^(٣) ، وَلَكِنْ تَبَيَّنَ لِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرَادَ إِنَّمَا هُوَ مُخْتَصَرٌ لِلْعَلَامَةِ الْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضْلِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَاجِّ ^(٤) ، الْمَتَوَفَّى حِوَالِي سَنَةِ (٨٣٤ هـ) .

وَبِالشَّخْرِ اسْتَشْهَدَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِلِحَاجِّ ^(٥) ، ابْنِ السَّابِقِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (٩٢٩ هـ) ^(٦) .

وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِالشَّخْرِ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاكْثِيرٍ ، الْمَتَوَفَّى فِي حُدُودِ سَنَةِ (٩٢٠ هـ) ^(٧) .

(١) ومن مؤلفاته : المختصرات ، الكبير : ويسمى «المقدمة الحضرمية» أو «مسائل التعليم» ، والصغير : ويسمى «المختصر الصغير» .

وله أيضاً : «منسك الحج» ، و«نزهة الخاطر في أذكار المسافر» ، و«حلية البررة في أذكار الحج والعمرة» ، و«الحجج القواطع في معرفة الواصل والقاطع» في صلة الرحم ، ومؤلف في معرفة القبلة ، ومجموع فتاوى .

(٢) إذ وفاة العيْدروس كانت سنة (٨٦٥ هـ) .

(٣) أي : ببناءه الشَّيْخُ بِأَفْضَلِ وتأليفه المختصر ، وهو في سنٍّ صغير .

(٤) ولد العلامة عبد الله بن فضل بتريم ، وتفقه على عمه الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَاجِّ ، وَصَحْبِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَافِ ، وَأَصْهَرِ الشَّيْخِ السَّقَافِ عِنْدَهُ عَلَى ابْنَتِهِ وَأَوْلَدَهَا ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ السَّقَافِ ، كَمَا أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ سَعْدِ بَامَدْحَجٍ ، وَالْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكَمٍ بَاقْشِيرٍ .

سمع بعض تلامذته وهو في مرض موته يقول : إن سلمتُ من هذا المرض . . . درتُ على الناس في ديارهم لأعلمهم ؛ لِمَا رَأَى مِنْ غَفْلَتِهِمْ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الْعِلْمِ .

وهو جدّ العلامة محمد بن أحمد بأفضل العدني ، المتوفى سنة (٩٠٣ هـ) ، ترجمته في «صلة الأهل» (١٢٦-١٢٩) . «شبل» (١٧٣) .

(٥) أحمد الشَّهِيدُ أَبْنُ الْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بِلِحَاجِّ بِأَفْضَلِ (٨٧٧-٩٢٩ هـ) ، وَلَدَ بَتْرِيمَ ، أَخَذَ عَنْ أَبِيهِ وَالْفَقِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بِأَفْضَلِ الْعَدْنِيِّ ، وَيُونُسَ بْنَ يُونُسَ الْمَصْرِيِّ ، وَالْمَزْجَدَ ، لَهُ تَعْلِيقَاتٌ عَلَى «الْإِرْشَادِ» وَ«الرُّوْضِ» ، وَلَهُ الْخُطْبُ الَّتِي تَقْرَأُ فِي رَمَضَانَ .

(٦) كَانَ اسْتِشْهَادُهُ عَلَى أَيْدِي الْبَرْتَغَالِ لَمَّا غَزَاوُ الشَّحْرَ ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ (١١) رَبِيعِ الثَّانِي سَنَةِ (٩٢٩ هـ) . «النور السافر» سنة (٩٢٩ هـ) «السَّناء الْبَاهِرُ» ، «شَذَرَاتُ الذَّهَبِ» (٢٢٥-٢٢٦) ، «الأعلام» (١٦٠/١) وَذَكَرَهُ بِأَفْقِيهِ عَرَضاً فِي حَوَادِثِ تِلْكَ السَّنَةِ .

(٧) ترجمته في «البنان المُشِير» (١٩) ، وفيه : أَنَّهُ كَانَ ذَا حَالٍ كَبِيرٍ ، لَهُ مُجَاهَدَاتٌ عَظِيمَةٌ ، كَانَ أَكَلُهُ =

ومنهم : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَمْبَارِكِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بَخْرَقِي ، الْحَمِيرِي ،
 الْحَضْرَمِي^(١) ، صَاحِبُ الْمُؤَلَّفَاتِ الْكَثِيرَةِ ، تُوِّفِيَ سَنَةَ (٩٣٠ هـ) ، وَكَانَ أَنْ اخْتَلَفَ
 هُوَ وَأَبْنُ عَبْسِينَ فِي مَسْأَلَةٍ . . اسْتَطَارَ فِيهَا الْتِرَاعُ ، وَاسْتَهْرَثَ بَيْنَ النَّاسِ ، فَجَاءَ أَبْنُ
 عَبْسِينَ وَمَعَهُ كِتَابُ « الْرَّوَضَةِ » لِلنَّوَوِيِّ ، فَأَوْقَفَ بَخْرَقًا عَلَى النَّصِّ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا
 أَنْ صَعِدَ الْمَنْبَرَ وَخَطَبَ وَقَالَ : إِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي اخْتَلَفْتُ فِيهَا أَنَا وَأَبْنُ عَبْسِينَ كَانَ الْحَقُّ
 فِيهَا مَعَهُ ، فَسَجَّلَ لِنَفْسِهِ بِذَلِكَ ثَنَاءً عَاطِرًا ، وَاسْتَخْرَجَ مِنَ النَّاسِ لَهُ تَرْحُماً وَافِراً ،
 فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْإِنصَافِ^(٢) .

وَمِنْ أَجْلَاءِ عُلَمَاءِ الشَّخْرِ وَقُضَاتِهَا : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِامْخَرَمَةِ^(٣) ،

= فِي الْأُسْبُوعِ لَا يَزِيدُ عَلَى قِرْصٍ مِنَ الطَّعَامِ ، وَلَا يَأْكُلُ السَّمَكِ فِي السَّنَةِ إِلَّا خَمْسَ مَرَّاتٍ ، وَمِنْ كَلَامِهِ :
 الْمَرِيدُ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ فِي الْمَعَاصِي ، وَالْعَارِفُ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ فِي الْكُفْرِ .

(١) الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْفَقِيهَ الْكَبِيرُ ، مَوْلَاهُ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ (٨٦٩ هـ) بِالشَّحْرِ ، وَوَفَاتَهُ بِالْهِنْدِ ، مِنْ أَشْهُرِ
 عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، كَانَ إِمَاماً مُتَفَنّاً ، لَهُ تَصَانِيفُ كَثِيرَةٌ طُبِعَ بَعْضُهَا مِنْهَا : « حُدُودُ الْأَنْوَارِ وَمَطَالِعُ الْأَسْرَارِ
 فِي سِيرَةِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وَهُوَ مِنْ إِصْدَارَاتِ دَارِ الْمَنْهَاجِ ، وَ« الْحَدِيقَةُ الْأَثِيْقَةُ شَرْحُ
 الْعُرُوَّةِ الْوَثِيْقَةِ » ، وَ« الْأَسْرَارُ النَّبَوِيَّةُ مُخْتَصَرُ الْأَذْكَارِ النَّوَوِيَّةِ » ، وَ« حَلِيَّةُ الْبَنَاتِ وَالْبَنِينَ وَزِينَةُ الدُّنْيَا
 وَالْدِّينِ » ، وَ« السِّيفُ الْمَسْلُوكُ » ، وَ« مَوَاهِبُ الْقُدُوسِ فِي مَنَاقِبِ الْعِيدُرُوسِ » أَيُّ : شَيْخِهِ ، وَ« شَرْحُ
 لَامِيَةِ ابْنِ مَالِكٍ » ، وَ« مُخْتَصَرُ شَرْحِ لَامِيَةِ الْعَجَمِ » . مَصَادِرُ تَرْجَمَتِهِ : « الثُّورُ السَّافِرُ » ، « السَّنَاءُ
 الْبَاهِرُ » ، « الضُّوءُ اللَّامِعُ » (٢٥٣ / ٨) ، « شَذَرَاتُ الذَّهَبِ » (٢٤٤ / ١٠) ، « الْأَعْلَامُ »
 (٣١٥ / ٦) .

(٢) قَالَ الْعِيدُرُوسُ : (وَلَا يَخْفَى مَا فِي هَذِهِ الْحِكَايَةِ مِنَ الْمُنْقَبَةِ الْعَظِيمَةِ لَهُ ، الَّتِي تَشْهَدُ بِغَزَاةِ عِلْمِهِ ،
 وَكَثْرَةِ أَطْلَاعِهِ ، وَفِيهَا مَا يَدُلُّ عَلَى تَوَاضُعِ الْفَقِيهِ بِحَرْقٍ وَإِنْصَافِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، وَاعْتِرَافِهِ بِالْحَقِّ وَرَجُوعِهِ
 إِلَيْهِ ، وَهَذَا عَزِيزٌ إِلَّا عَلَى مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَعَصَمَهُ مِنَ الْهَوَى ، وَرَزَقَهُ الْإِخْلَاصَ فِي الْعِلْمِ ، وَلِلَّهِ
 دَرُّهُمَا ، وَهَكَذَا فَلْتَكُنِ الْعِزَائِمُ ، وَهَذِهِ وَاللَّهُ هِيَ الْمَنَاقِبُ ، وَلِمَثَلِهَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ، وَفِيهَا
 فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) هـ « الثُّورُ السَّافِرُ » (٧٩) .

(٣) الْإِمَامُ الْجَلِيلُ الْمَفْتِي الْقَاضِي الْحَبْرُ الْبَحْرُ ، مَوْلَاهُ بِالشَّحْرِ فِي (١٠) جُمَادَى الثَّانِيَةِ سَنَةِ (٩٠٧ هـ) ،
 وَوَفَاتَهُ بَعْدَهُ فِي (١٠) رَجَبِ سَنَةِ (٩٧٢ هـ) . كَانَ أَفْقَهُ فَقْهَاءِ عَصْرِهِ ، وَنَادِرَةً دَهْرِهِ ، تَفَقَّهُ بِوَالِدِهِ
 الْوَلِيِّ الشَّيْخِ عُمَرَ ، وَبِعَمِّهِ الشَّيْخِ الْمُؤَرِّخِ الطَّيِّبِ ، وَالْقَاضِي الْعَلَامَةِ عَبْدِ اللَّهِ بِاسْرُومِي تَلْمِيزَ الْإِمَامِ
 عَبْدِ اللَّهِ بِلْحَاجِّ بَافِضِلٍ ، وَجَدَ وَاجْتَهَدَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ رِثَاةُ الْعِلْمِ وَالْفَتْوَى فِي الْيَمَنِ ، وَقَصَدَ
 بِالْفَتْاوَى ، حَتَّى قَالَ عَمَّهُ الطَّيِّبُ : (لَا اسْتَطِيعَ مَا اسْتَطَاعَ عَلَيْهِ ابْنُ أَخِي فِي حَلِّ الْمَشْكَلَاتِ ، وَتَحْرِيرِ
 الْجَوَابَاتِ عَلَى الْمَسَائِلِ الْعَوِيصَاتِ الْغَامِضَاتِ) . مِنْ أَجْلِ تَلَامُذَتِهِ : الْفَقِيهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ =

وقد أستوفينا ترجمته وأخباره مع بدر بوطويق بالشُّخْرِ في «الأصل» [٣٩٩/١].

ومن أهل الشُّخْرِ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بافلاح^(١) ، نشأ بها ، ثمَّ أبحرَ إلى الهند ، ولبثَ زماناً في خدمة السيِّد الجليل شيخِ بن عبد الله العيدروس^(٢) ، ثمَّ صحبَ بعده ولده العلامة السيِّد عبد القادر بن شيخِ العيدروس^(٣) ، وذكره في مواضع كثيرة من «التُّور السَّافر»^(٤) .

ومن كبارِ أهل الفضل بالشُّخْرِ : تاجُ العارفين الشَّيْخُ سعدُ بنُ عليِّ الظَّفاري ، نجحَ إليها من ظفار وأستوطنها ، ونسبه يرجعُ إلى الجحافلِ وهم من مذحج ، بنو جحفل بن الحارث بن حرب ، من بني عله من مذحج كما في «روضة الألباب» للشَّريف محمَّد أبي علامة ، ولا يزال بالدينية مثرى عله إلى اليوم . وتوفي بها في سنة (٦٠٩ هـ)^(٥) .

= الحباني الإسرائيلي المتقدم ذكره في حَبان ، والفقير الشيخ محمد بن عبد الرحيم باجابر ، المتقدم ذكره في بروم وله مؤلفات نافعة . ترجمته في المصادر التالية : «التُّور السَّافر» ، و«السَّناء الباهر» حوادث سنة (٩٧٢ هـ) ، وكذا «تاريخ الشُّخْرِ» لبافقيه ، «تاريخ الشعراء الحضرميين» (١٥٧/١) ، «شذرات الذهب» (٥٣٦/١٠) ، «الأعلام» (١١٠/٤) ، «معجم المؤلفين» (٩٥/٦) ، و«مصادر الفكر الإسلامي في اليمن» : (٢٣٦، ٥٤٠) .

(١) عبد الله بن أحمد بافلاح الشُّخري (٩٥٥-١٠٢٠ هـ) ، فقيه عالم متصوِّف ، ولد بالشُّخْرِ سنة (٩٥٥ هـ) ، وتوفي بأحمد آباد بالهند سنة (١٠٢٠ هـ) . «تاريخ الشعراء الحضرميين» (١٨٨-١٨٥/١) .

(٢) هو السيِّد شيخ الأوسط ابن عبد الله بن شيخ الأكبر ابن الإمام عبد الله العيدروس (٩١٩-٩٩٠ هـ) ، ولد بتريم ، وتوفي بأحمد آباد ، ترجمته في : «المشعر الرَّوي» ، «التُّور السَّافر» ، «شرح العينية» ، و«مرآة الشُّمس» .

(٣) مصنَّف «التُّور السَّافر» (١٠٣٨-٩٧٨ هـ) . . ولد بالهند ، وتوفي بها بأحمد آباد ، ترجم لنفسه في «التُّور السَّافر» ، وترجم له في «عقد الجواهر والدرر» ، و«خلاصة الأثر» .

(٤) منها : في حوادث سنة (٩٧٠ هـ) ، وحوادث سنة (٩٧٩ هـ) ، وسنة (٩٩٠ هـ) ، وسنة (٩٩٨ هـ) ، وأورد له في «الشُّعراء» نماذج متعددة من شعره الحسابي ؛ إذ قد برع في التاريخ بحساب الجُمَّل .

(٥) الشَّيْخُ سعدُ الدِّين الظَّفاري الشُّخري (٦٠٧-... هـ) ، من كبار الصَّالحين والعارفين بالله ، مولده ونشأته في (ظفار) ، وبها أخذ العلم عن السيِّد الجليل الإمام مُحَمَّد بن عليِّ صاحب مرباط ، المتوفَّى بها سنة (٥٥٦ هـ) ، ومن هنا نعلم أنَّ مولد صاحب الترجمة كان قبل سنة (٥٤٠ هـ) يقيناً . ومن شيوخه العلامة العارف عبد الله الأسدي ، الآخذ عن ابن الحدَّاد ، الآخذ عن الشَّيْخ الكبير الإمام =

ولَهُ ذَرِيَّةٌ وَمَنْصِبٌ بِالشَّخْرِ ، يَقُومُ بِهِ الْآنَ الشَّيْخُ سَعْدُ بْنُ سَعِيدِ الظَّفَارِيِّ^(١) ، رَجُلٌ خَفِيفُ الرُّوحِ ، لَهُ نَوَادِرُ أَشْهَى إِلَى الْنَفُوسِ مِنْ نَوَادِرِ أَبِي دُلَامَةَ ، وَلِذَلِكَ أَحَبَّهُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدِ الْمُحَضَّارِ .

وَمِنْ نَوَادِرِهِ : أَنَّهُ شَكَاَ إِلَى بَعْضِ أَهْلِ الثَّرْوَةِ مَوْتَ حِمَارِهِ ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُسَاعِدَهُ لِشِرَاءِ الْبَدَلِ عَنْهُ ، وَمَا كَادَ يَتَلَّهُ^(٢) فِي يَدِهِ إِلَّا وَضَجَتْ مِنْ رِعَاعِ النَّاسِ ، فَقَالُوا : مَاذَا ؟ قِيلَ : حِمَارُ الشَّيْخِ سَعْدٍ هَرَبَ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ ! فَتَبِعُوهُ وَرَدُّوهُ ، وَهَاهُمْ أَوْلَاءُ يَزُقُّونَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْكُرِّيُّ : مَاذَا تَرَى ؟ قَالَ : لَوْ أَحْيَاهُ اللَّهُ وَرَدَّهُ قَبْلَ أَنْ أَقْبِضَ الدَّرَاهِمَ . . . لَكَانَتْ لَكَ الْسَّعَةُ فِي اسْتِرْجَاعِهَا ، وَأَمَّا الْآنَ . . . فَلَا .

وَلَهُ رَدُّ عَلَى « نِخْلَةِ الْوَطَنِ » لِلْسَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ شَهَابٍ ، أَعَانَهُ عَلَيْهِ - فِيمَا يُقَالُ - شَيْخُهُ الْأَعْلَامَةُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورُ ، وَلِذَلِكَ خَبِرُ طَوِيلٌ مُسْتَوْفَى بِـ « الْأَصْلِ » .

وَبِالشَّخْرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ ، مِنْهُمْ : آلُ بَاحْسَنِ^(٣) ، أَحَدُهُم السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاحْسَنِ^(٤) ، كَانَ مِنَ الْمُتَفَنِّينَ فِي الْعِلْمِ ، شَغُوفًا بِتَحْصِيلِ الْكُتُبِ وَمُطَالَعَتِهَا ، وَلَا سِيَّمَا كُتُبَ الْجَلَالِ السِّيَوطِيِّ .

= عبد القادر الجيلاني ، نفع الله بهم ، توفِّي الأسدي سنة (٦٠٢ هـ) بقرية الحويّة .
من أشهر تلامذته : الفقيه مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بَاطِنِ الظَّفَارِيِّ كُتِبَ تَرْجُمَةُ لِشَيْخِهِ سَعْدِ الدِّينِ ، وَأُورِدَ فِيهَا بَعْضُ مَكَاتِبَاتِ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِمَامِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ ، وَلِلْعَلَامَةِ بَاطِنِ الْمَذْكُورِ شَرْحٌ عَلَى هَذِهِ الرَّسَائِلِ . وَتَارِيخُ وَفَاتِهِ كَمَا نَقَلَهُ بَاحْسَنُ عَنْ بَاطِنِ (٦٠٧ هـ) ، وَلَيْسَ (٦٠٩ هـ) كَمَا ذَكَرَ الْمَصْنُفُ ، يَنْظُرُ : « تَارِيخُ الشَّخْرِ » لِبَاحْسَنِ (١٣٨-١٤٢) (خ) .
(١) الشَّيْخُ سَعْدُ بْنُ سَعِيدٍ ، مِنْ أَهْلِ الشَّخْرِ الْمَشْهُورِينَ بِالظَّرَافَةِ ، تَوْفِي حَدُودِ سَنَةِ (١٣٩٠ هـ) ، وَقَدْ عُمِّرَ ، وَلَا زَالَ أَهْلُ الشَّخْرِ يَرْوُونَ نَوَادِرَهُ إِلَى الْيَوْمِ .
(٢) يَتَلَّهُ : يَضَعُهُ .

(٣) آلُ بَاحْسَنِ جَمَلُ اللَّيْلِ أَهْلُ الشَّخْرِ يَنْسَبُونَ إِلَى السَّيِّدِ : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَجْدُوبِ ابْنِ سَالِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بَاحْسَنِ جَمَلُ اللَّيْلِ بْنِ حَسَنِ . . . إِلَى آخِرِ النَّسَبِ . وَمِنْهُمْ السَّادَةُ آلُ بَاهَارُونَ ، أَهْلُ الْحَامِي ، وَنَسَبُهُمْ إِلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ هَارُونَ بْنِ الْفَقِيهِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . . . إلخ .

(٤) سَرَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ بَعْضًا مِنْ سِيرَتِهِ وَمَنَاقِبِهِ فِي « شَرْحِ الْعَيْنِيَّةِ » ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ :

دخل الهند في مقتبل شبابه ، وأقام بها مدةً حصل فيها علم الحديث^(١) ، ثم خرج إلى حضر موت وأقام ببور ، وكان يتردد إلى تريم ، ويجتمع بالشيخ عبد الرحيم بن محمد باكثير^(٢) على مطالعة الكتب الفقهية ، ثم حج وزار ، وأخذ عن بالحرمين من العلماء ، وعاد إلى حضر موت ، فطلب منه السلطان علي بن بدر أن يتولّى القضاء بالشحر ، فأقام بها على القضاء والتدريس بالجامع إلى أن مات . وكانت إليه الإمامة والخطابة أيضاً .

= علوي بن عبد الله بن محمد - صاحب بور - ابن عبد الله بن محمد بن سالم . . إلخ النسب المتقدم ، توفي جدّه محمد صاحب بور بالهند ببلدة بيجافور ، سنة (١٠٤٨ هـ) ، وأمّا هو . . فقد توفي قبل سنة (١١٢٤ هـ) . « شرح العينية » (٢٧٧) .

(١) قال الحبيب أحمد بن زين : (وطلب الحديث ، وطالع كتبه ، ولعله أدرك هناك أحداً من الحفاظ المتقين في هذا الشأن) هـ

وكان بدء انتشار علم الحديث في الهند في القرن العاشر الهجري ، ومن أوائل من قدم الهند ونشره بها : الشيخ الإمام العلامة عبد المعطي بن حسن باكثير المكي ، المتوفى بأحمد آباد سنة (٩٨٩ هـ) ، ودخلها آنذاك عدد من علماء مكة أيضاً ؛ منهم : الشيخ محمد بن أحمد بن علي الفاكهي ، المتوفى سنة (٩٩٢ هـ) وغيرهما . . وظهر صاحب « مجمع البحار » العلامة محمد طاهر الفتني ، المتوفى سنة (٩٨٦ هـ) ، وكان طلبه العلم في الحرمين الشريفين .

وأما النهضة الحديثية الكبرى . . فكانت إفاضتها على بلاد الهند بعد مقدم الشيخ الإمام عبد الحق الدهلوي ، المتوفى بدلهي سنة (١٠٥٢ هـ) ، وليس هو أول من جاء بالحديث إلى الهند كما يزعم البعض ، لكن نفع الله بعلومه كثيراً ، ثم قام بعده ولده نور الحق ، المتوفى سنة (١٠٧٣ هـ) . وتصدئ لنشره أيضاً الإمام أحمد السهرندي أو السهرندي ، وولده محمد سعيد شارح « المشكاة » وأبناؤه وتلاميذه . وهؤلاء كلهم ظهروا في القرن الحادي عشر الهجري إنان وجود الشريف علوي باحسن في الهند ، فلعله لقي أحداً منهم .

(٢) الفقيه العلامة القاضي عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله المعلم ابن عمر بن قاضي باكثير ، أخذ العلم عن الشيخ عامر بن أحمد بن طاهر الخولاني ، وعلي بن حسين بامهير ، وبمكة عن الشيخ العلامة عبد الله القنري باشيب المكي - الآتية ترجمته في الواسطة - تولّى القضاء بتريم مدة ، وجرت له حادثة شهيرة سنة (١٠٩٦ هـ) في رؤية الهلال ، كان الصواب فيها حليفه ، وانتصر على عصره الفقيه محمد بن عبد الله باعلي . قال فيه ولده الفقيه عليّ يفخر به :

وَحَسْبِي بِهِ إِذْ يَفْخَرُ ابْنُ بَوَالِدٍ وَجَدِّي أَبَوْهُ حَبَّ ذَلِكُمُ الْجَدُّ
« البن المشير » (٧٦-٨٠) ، ولم يؤرخ فيه لمولده ولا لوفاته .

وهو من تلاميذ القطب الحداد ، وخلفه على الخطابة والإمامة ولدّه عبد الرحمن^(١) ، وما زال أعقابُهُ بالشَّخِر .

ومنهم : الفاضل السيّد عبد الله بن محمّد باحسن^(٢) ، مؤلّف « تاريخ الشَّخِر » المعروف ، وصاحب الأشعار الرقيقة ، التي لا يزال يتغنّى بها أهل المكلّ والأغيل والشَّخِر في مجالس أنسهم وأفراحهم ، ولا أدري هل جمعها ديوان أم لا توجد إلّا في صدور الأشخاص ؟

وقد أعانهُ على الإجابة في شعره أنّه قلّما سمع قصيدة أعجبته إلّا عارضها ونسج على منوالها .

ومن فضلاء العلويين بالشَّخِر : السيّد أحمد بن ابن الشيخ أبي بكر ابن سالم ، وكان أزهد أولاد الشيخ أبي بكر توطّن الشَّخِر وتوفّي بها في سنة (١٠٢٠ هـ) ، وله أبنان :

الأوّل : ناصر^(٣) ، والد السيّد أحمد^(٤) شيخ القطب الحداد ، وقد عقدا بينهما

(١) هو عبد الرحمن بن علويّ ، الملقّب جلال الدّين ، لقّب به والده لفرط محبّته في الإمام جلال الدّين الشّيوطي ، لم يؤرّخ لوفاته ، وذكر السيّد ضياء شهاب أنّ له عقباً بالهامي .

(٢) السيّد عبد الله باحسن ، قدّمنا عنه نبذة مختصرة ، وهو ليس من ذرّيّة السيّد علويّ المترجم له ، ولكنّه يجتمع معه في السيّد سالم بن أحمد بن عبد الرحمن بن عليّ . إلخ النسب المتقدم . واسم السيّد عبد الله المذكور كاملاً : عبد الله بن محمّد بن عبد الله بن أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن محمّد بن سالم بن أحمد . إلخ .

(٣) ناصر الدّين بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر ، ولد بعينات ، وتوفّي بالشَّخِر سنة (١٠٥١ هـ) ، كان سيّداً زاهداً ناسكاً ، ترجم له في « المشرع » .

(٤) أحمد بن ناصر بن أحمد ، كان سيّداً فاضلاً صالحاً ، أمياً ، سليم الصدر ، زاهداً في الدنيا ورياستها ، غائباً عن أحوال أهلها وما هم عليه ، لا يعرف الدينار من الدرهم ، وله كرامات كثيرة ، وللناس فيه اعتقاد . توفي في شهر ذي الحجة (١٠٨٣ هـ) ، أخذ عنه الإمام الحداد ، وقال فيه : (لما اجتمعنا بالسيد أحمد بن ناصر بالشَّخِر ، وجدناه فوق ما توهمناه ، يعني من الكمال ، وكان يغلب عليه الحال والذهول في أكثر أوقاته) ، وعده في شيوخه في « قصيدته العينية » ، وقال في حقّه :

وكصاحب الشَّخِر ابن ناصر أحمد من العناية والرعاية قد رُعي
« بهجة الزمان » : (٣٤-٣٦) ، « شرح العينية » (٢٦٥-٢٦٦) .

عقدَ الصُّحْبَةِ ، وبحثُّ عن تاريخ وفاته في « شرح العينية » و« عقد » سيّدنا الأستاذ الأبرّ فلم أظفر به ، ولكن قال في « شمس الظهيرة » : (إنّه توفي سنة ١٠٨٣هـ)^(١) .

والثاني : شيخٌ ، ومن أعقابه مناصبُ آلِ الشَّيخ أبي بكرٍ بالشَّخِر ، ومنهمُ الآن : الولدُ الفاضلُ ، عبدُ الله بنُ عبد الرحمن بنِ محمّدٍ^(٢) ، القائمُ بمدرسة الشَّخِر أحسنَ القيام .

ومن العلويين بالشَّخِر : السَّيّد عبدُ الله بنُ شيخٍ بن عبدِ الله بن شيخٍ بن عبدِ الله بن شيخٍ بن عبدِ الله العيدروس^(٣) ، ترجمَ له في « المشرع » [٣٨٥-٣٨٧] وأطال ، وذكرَ أنّه ألقى عصي الترحالِ آخرَ أمره بالشَّخِر ، وبها كانت وفاته سنة (١٠٧٣هـ) ، وفي « شمس الظهيرة » [١٠٦/٢] أنّها كانت في سنة (١٠٧٦هـ) .

وهو جدُّ آلِ محمّد بن جعفرٍ برمّلة تريم ، وجدُّ آلِ العيدروس بالشَّخِر^(٤) ، ومنهمُ الآن :

المنصبُ الفاضلُ حسينُ بنُ عبدِ الله بنِ حسينِ العيدروس .

(١) « شمس الظهيرة » (٢٧٦/١) .

(٢) كان عالماً فاضلاً ، ولد بالشَّخِر سنة (١٣٠٩هـ) ، وبها توفي في (٢٣) شوال (١٣٨٤هـ) . أخذ عن الشَّيخ مُحمّد بن سلم ، بغيل باوزير ، ثمّ توجه إلى تريم ، ومكث بها سنتين في الرِّباط عند الحبيب عبد الله بن عمر الشَّاطِريّ ، وفي سنة (١٣٤١هـ) اختير مديراً لمدرسة مكارم الأخلاق ، ومكث بها (٣٠) عاماً ، إلى سنة (١٣٧٠هـ) ، ثمّ افتتح رباطاً سمّاه : « رباط المصطفى » وظلّ يدرّس فيه إلى سنة (١٣٧٩هـ) ، إذ أصيب بفالج ألزمه الفراش حتّى وفاته .

وترجم له العلامة عبد القادر الجنيد في « العقود الجاهزة » .

(٣) المعروف بعبد الله بن شيخ الأصغر ، وهو صاحب الشَّخِر ، أمّا الأوسط . . فمقبور بتريم ، وأمّا الأكبر . . فبالهند . ولد بتريم سنة (١٠٢٧هـ) ، وتوفي سنة (١٠٧٣هـ) على الأرجح ، أخذ عن الفشاشي بمكة ، وعن ابن عمّه عبد الرحمن السَّقَّاف أبْن مُحمّد العيدروس ، وبمكة أخذ أيضاً عن عبد العزيز الرِّزْميّ ، وشيخ الإسلام عبد الله سعيد باقشير ، ورحل إلى الهند ، ولقي بها ابن عمّه السَّيّد العلامة جعفر الصّادق أبْن زين العيدروس ، ولازمه برهة ، وأخذ عنه ، ثمّ عاد إلى الشَّخِر ، وبها توفي في (١٥) القعدة (١٠٧٣هـ) . ترجم له معاصره وقربنه في الطُّلب السَّيّد مُحمّد الشِّلبيّ في كتابه « الدُّشُر » ، و« الجواهر والدُّر » ، وقبره في الجانب الشرقيّ من الشَّخِر .

(٤) آل العيدروس بالشَّخِر هم ذريّة السَّيّد عمر أبْن الإمام عبد الله بن شيخ الأصغر صاحب الشَّخِر .

والفاضلُ النَّبِيلُ السَّيِّدُ زَيْنُ بْنُ شَيْخٍ بْنِ عَمَرَ الْعِيدْرُوسِ .

وَمِنْ الْعُلَوِيِّينَ بِالشَّخْرِ : آلُ بَافِقِيهِ ، يَرْجِعُونَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَافِقِيهِ بْنِ مُحَمَّدٍ عِيدِيدٍ^(١) مِنْهُمْ : الصَّالِحُ الْفَاضِلُ شَيْخُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بَافِقِيهِ ، أَلَمُتُوفَى بِهَا سَنَةُ (١١٨٦ هـ)^(٢) .

وَمِنْهُمْ : حَفِيدُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخٍ^(٣) .

وَمِنْهُمْ : أَبْنَةُ شَيْخِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَلَدَ بِالشَّخْرِ ، ثُمَّ رَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ إِلَى الْحِجَازِ وَمِصْرَ ، ثُمَّ طَوَّحَتْ بِهِ الْأَسْفَارُ إِلَى سِرْبَايَا مِنْ أَرْضِ جَاوَةِ ، وَهَنَّاكَ كَانَ لَهُ ظَهْوَرٌ عَظِيمٌ وَشَهْرَةٌ هَائِلَةٌ ، وَجَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ خَوَارِقُ ، وَظَهَرَ مِنْهُ تَخْرِيقٌ ، قَالَهُ بِمَعْنَاهُ شَيْخُنَا أَلْمَشْهُورُ فِي « شَمْسِ الظَّهِيرَةِ »^(٤) ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِسِرْبَايَا سَنَةَ (١٢٨٩ هـ)^(٥) .

(١) آلُ بَافِقِيهِ أَهْلُ الشَّخْرِ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ لِلْسَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَافِقِيهِ بْنِ مُحَمَّدٍ مَوْلَى عِيدِيدٍ ، أَلَمُتُوفَى بِتَرْيَمِ سَنَةِ (٨٨٤ هـ) ، وَلَيْسَ مِنْهُمْ مَنْ سَيِّدُكُرَهُمُ الْمُصَنَّفُ لِاحِقًا . وَإِنَّمَا ذُرِّيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هَذَا : آلُ الطَّيِّبِ بَافِقِيهِ .

(٢) وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ مِنْ سَيَّاتِي مِنَ الْأَعْلَامِ لَيْسُوا مِنْ ذُرِّيَّةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَافِقِيهِ ، بَلْ مِنْ ذُرِّيَّةِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَعْيَنِ السَّنَاخِ ، كَمَا سَيَّاتِي ، وَإِنَّمَا لَزِمَ التَّنْبِيهُ خَوْفًا مِنَ الْإِتْبَاسِ ، لِمَا يَقْتَضِيهِ الْعَطْفُ .

(٣) كَانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ هَذَا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ ، وَالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ ، قَالَ صَاحِبُ « تَارِيخِ مُرْدَاد » : (هُوَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بَافِقِيهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّافِعِيِّ الْمَكِّيِّ ، الْفَاضِلُ الْأَدِيبُ . أَخَذَ عَنْ عِدَّةٍ مَشَايِخَ ، مِنْ أَجْلِهِمُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ دِحْلَانَ ، وَنَجَبَ وَمَهْرٍ فِي عِلْمِ الْأَدَبِ وَالنَّحْوِ ، نَظَمَ وَنَثَرَ . وَكَانَ مَوْلَاهُ بِمَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ ، وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ كُفَّ بِصَرِّهِ ، فَسَافَرَ إِلَى الْهِنْدِ فَتَعَالَجَ هُنَاكَ وَأَبْصَرَ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ ، وَمَكَثَ بِهَا مَدَّةً ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى الْهِنْدِ مَعَ أَكْبَرِ أَبْنَائِهِ ، وَهُوَ السَّيِّدُ شَيْخُ) اهـ « الْمُخْتَصَر » (٧٥)

(٤) لَيْسَ فِي الْمَطْبُوعِ مِنْ « الشَّمْسِ » (٥٤٢ / ٢) شَيْءٌ مِنْ هَذَا ، بَلْ أَرَخَ وَفَاتَهُ فَقَطْ ، وَلَعَلَّ الْمُصَنَّفَ أَرَادَ « الشَّجَرَةَ الْكَبِيرَى » ، وَنَصَّ مَا فِيهَا (كَانَ عَالِمًا عَامِلًا ، وَلِيًّا مَكَاشِفًا ، لَهُ خَوَارِقُ وَكِرَامَاتُ كَثِيرَةٌ) اهـ بِالْحَرْفِ .

(٥) وَلَدَ السَّيِّدُ شَيْخُ بْنُ أَحْمَدَ بِالشَّخْرِ سَنَةَ (١٢١٢ هـ) ، وَتُوفِيَ بِسِرْبَايَا سَنَةَ (١٢٨٩ هـ) ، أَخَذَ عَنْ أَبِيهِ ، وَسَافَرَ بِمَعِيَّتِهِ إِلَى مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ ، وَأَخَذَ بِهَا عَنْ عِدَدٍ مِنْ عُلَمَائِهَا ؛ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْعَطَّارِ ، وَالْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ صَالِحُ الرَّيْسِ ، وَغَيْرُهُمَا ، وَرَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَمَكَثَ مَدَّةً فِي الْجَامِعِ الْأَزْهَرِ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الْجِهَةِ الْجَاوِيَّةِ ، وَنَزَلَ بِمَدِينَةِ سِرْبَايَا .

يَنْظُرُ : « تَارِيخُ الشُّعْرَاءِ الْحَضَرَمِيِّينَ » (٣٠ / ٤) ، « تَارِيخُ بَاحْسَنِ » (٣٥٠ / ١) (خ) .

وفيهما أناسٌ من آلِ عَديِد^(١) ، ذَكَرَ مِنْهُمُ شَيْخُنَا الْمَشْهُورُ السَّيِّدَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ :
عبدَ اللَّهِ ومُحَمَّدًا ابْنِي سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَديِد^(٢) .

وفيهما جماعةٌ من ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الْبَيْضِ^(٣) بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(٤) بنِ حُسَيْنِ بنِ
عَلِيٍّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ ، قَالَ فِي « شَمْسِ الظَّهْيَةِ » [٤٠٣/٢ - ٤٠٤ -
(مِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْفَاضِلُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٢٨٦ هـ))^(٥) ، وَحُسَيْنِ بنِ

(١) وَهُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَلِيٍّ بنِ مُحَمَّدٍ مَوْلَى عَديِد ، الْمَتَوَفَّى بِالشَّحْرِ سَنَةِ
(٩٨٣ هـ) .

(٢) وَهُمَا ابْنَا السَّيِّدِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ زَيْنِ بنِ عَوْضِ بنِ زَيْنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدَ بنِ
عَبْدِ اللَّهِ . . . إلَخِ النَّسَبِ السَّابِقُ . فَأَمَّا : السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بنِ سَالِمِ (. . . - ١٣٠٦ هـ) : كَانَ فَاضِلًا عَالِمًا
صَالِحًا ، طَلَبَ الْعِلْمَ بِحَضْرَمَوْتَ عَلَى السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى ، وَالسَّيِّدِ الْحَبِيبِ
عَبْدِ اللَّهِ بنِ حُسَيْنِ بنِ طَاهِرٍ ، وَالْحَبِيبِ أَبِي بَكْرٍ بنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَطَّاسِ . كَانَ عَامِرًا أَوْقَاتَهُ بِالْعِبَادَةِ ، وَلَهُ
صَلَوَاتٌ وَنَوَافِلُ يَؤَظِّبُ عَلَيْهَا فِي عِدَدٍ مِنْ مَسَاجِدِ الشَّحْرِ ، وَكَانَتْ لَهُ دُرُوسٌ بِهَا ؛ مِمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ :
بِأَحْسَنِ صَاحِبِ « التَّارِيخِ » . وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ نَاصِرِ ابْنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ الْيَافِعِيِّ مَوَدَّةٌ ، فَلَمَّا تَوَلَّى
الْقَضَاءَ هَذَا الْآخِرُ . . . اعْتَزَلَهُ صَاحِبُ التَّرْجَمَةِ ، تَوَفَّى يَوْمَ الْأَحَدِ (١٧) مُحَرَّمِ (١٣٠٦ هـ) .
وَأَمَّا : مُحَمَّدُ بنِ سَالِمِ (. . . - ١٣١١ هـ) : فَقَدْ كَانَ فَقِيهًا عَالِمًا فَاضِلًا نَبِيهًا ، أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ ،
نَاهِيًا عَنِ الْمُنْكَرِ ، صَدْرًا فِي الْأُمُورِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٣١١ هـ) بِالشَّحْرِ ، وَبِهَا كَانَ مَوْلَدُهُ .

(٣) تَوَفَّى السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْبَيْضُ بِتَرِيمِ سَنَةَ (٩٤٥ هـ) ، وَسَمِّيَ بِالْبَيْضِ ؛ لِمَوَاطِبَتِهِ عَلَى صِيَامِ الْأَيَّامِ الْبَيْضِ مِنْ
كُلِّ شَهْرٍ ، سَمَّاهُ بِذَلِكَ - كَمَا يُقَالُ - شَيْخَهُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بنِ سَالِمِ . « الْمَعْجَمُ اللَّطِيفُ » (٦٠) . وَمِنْ
السَّادَةِ آلِ الْبَيْضِ جَمَاعَةٌ فِي غِيلِ بَاوْزِيرٍ ، مِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْعَالِمُ النَّاسِكُ الْغَيُورُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ سَالِمِ بنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَالِمِ الْبَيْضِ بِاعْلُوِي ، كَانَ مَوْلَدُهُ بِالْغِيلِ سَنَةَ (١٣٣٠ هـ) ، طَلَبَ الْعِلْمَ فِي الْغِيلِ ،
بِرِبَاطِ الْعَلَامَةِ ابْنِ سَلَمٍ ، وَمِنْ شَيْوَخِهِ : الْعَلَامَةُ أَحْمَدُ بنِ مُحَمَّدٍ بَاغُوزَةَ قَرَأَ عَلَيْهِ : « الْمَخْتَصَرُ »
وَالْعَمْدَةُ ، وَالْعَلَامَةُ الْمَعْمَرُ الشَّيْخُ عَمْرُ بَادِبَاهُ قَرَأَ عَلَيْهِ فِي « حَاشِيَةِ الْكَرْدِيِّ » . ثُمَّ رَحَلَ إِلَى تَرِيمِ
وَدَرَسَ فِي رِبَاطِهَا عَلَى يَدِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّاطِرِيِّ ، وَأَخَذَ عَنْ طَبَقَتِهِ مِنْ عُلَمَاءِ تَرِيمٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَعْلَمُ
وَيَدْعُو إِلَى اللَّهِ ، وَكَانَ لَهُ اهْتِمَامٌ بِدَعْوَةِ الْبَادِيَةِ ، هَاجَرَ إِلَى جَدَةِ وَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً طَوِيلَةً ، وَبِهَا كَانَتْ وَفَاتُهُ
سَنَةَ (١٤١١ هـ) ، رَحِمَهُ اللَّهُ . « لَوَاعِعُ النُّورِ » (٤٥٩/٣) (خ) .

(٤) وَهُوَ الْمَلَقَّبُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَزِيرَةُ ، تَوَفَّى بِتَرِيمِ سَنَةَ (٨٨٤ هـ) .

(٥) وَهُوَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ الْحُسَيْنِ - (١١٦٥ هـ) - أَبْنِ عَوْضِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ حُسَيْنِ بنِ
أَحْمَدَ بنِ حُسَيْنِ بنِ مَحْرُوسِ بنِ أَحْمَدَ الْبَيْضِ . . إلَخِ . مَوْلَدُهُ بِالشَّحْرِ فِي (٢٥) رَمَضَانَ
(١٢٣٥ هـ) ، وَوَفَاتُهُ بِهَا فِي شَعْبَانَ (١٢٨٢ هـ) ، تَعَلَّمَ عِنْدَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بْنِ قَبِيلَةَ بَاوْزِيرٍ ،
ثُمَّ قَرَأَ عَلَى الشَّيْخِ سَالِمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَمِيرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى دُوعَنْ ، وَقَرَأَ عَلَى الْفَقِيهِ مُحَمَّدَ بنِ عَبْدِ اللَّهِ =

أبي بكر بن سعيد^(١) ، ذكيّ نبية ، توفي سنة (١٢٨٥هـ) .

ومن فضلاء العلويين بالشَّحْر : السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ^(٢) ، وكانَ شهماً كريماً ، طويلَ ألباعٍ مشبوحَ الذَّرَاعِ ، لَهُ مَكَارِمُ جَسِيمةٌ وَأَخْبَارٌ عَظِيمةٌ ، مِنْهَا : عِمَارَتُهُ الْمَوْجُودَةُ إِلَى الْيَوْمِ لِمَجَامِعِ الشَّحْرِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ حَدَّثَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَرَابِ يَحْتَاجُ إِلَى التَّرْمِيمِ ، فَاتَّفَقَ أَعْيَانُ الشَّحْرِ عَلَى الْاِكْتِتَابِ لِتَرْمِيمِهِ ، وَعَرَضُوا الْقَائِمَةَ عَلَى السَّيِّدِ حَسِينِ بْنِ سَهْلٍ فَقَالَ : حَتَّى أَرَى .

ولَمَّا رَأَى الْمَسْجِدَ . قَالَ لَهُمْ : لَا بَدَّ مِنْ تَجْدِيدِ عِمَارَتِهِ كُلِّهَا ، وَتَكْفَلْ بِجَمِيعِهَا ، وَجَلَبَ لَهُ الْمُهَنْدِسِينَ وَالْأَكْرَةَ مِنْ تَرْيِمِ حَتَّى أَنْتَهُ عَلَى أَجْمَلِ صَنِيعٍ^(٣) .

وَكَانَ هَرَبٌ مِنْ تَرْيِمٍ لِأَذْيَةٍ حَصَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ أَعْوَانِ السُّلْطَانِ الْكَثِيرِيِّ^(٤) ، فَسَافَرَ إِلَى الشَّحْرِ بِجَوَارِ صَدِيقِهِ الْأَمِيرِ عَبْدِ الْقَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَوْضٍ غَرَامَةً الْبُعْسِيِّ الْيَافِعِيِّ^(٥) ،

= بِاسْوَدَانَ وَأَجَازَهُ ، وَسَارَ لِمَزَارَةِ بَقِيَّةِ الْأَعْيَانِ ، فَلَقِيَ الْإِمَامَ الْحَسَنَ بْنَ صَالِحِ الْبَحْرِ ، وَالْحَبِيبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ حَسِينِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ مَعْرُوفٍ بِاجْمَالِ الشُّبَامِيِّ مَوَدَّةً وَمَكَاتِبَاتٍ ، أَخَذَ عَنْهُ بِاحْسَنِ الْمُؤَرِّخِ ، وَأَطْنَبَ فِي تَرْجُمَتِهِ فِي «تَارِيخِهِ» (١/٩٢-١٢٢) (خ) .

(١) كَانَ سَيِّدًا فَاضِلًا ، حَصَلَ طَرَفًا فِي الْعِلْمِ ، تَوَفَّى بِالشَّحْرِ . وَهُوَ : حَسِينُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (تَوَفَّى سَنَةَ ١٢٧٨هـ) ابْنُ سَعِيدِ بْنِ حَسِينِ بْنِ عَوْضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسِينِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسِينِ بْنِ مَحْرُوسِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَيْضِ . . إلخ «تَارِيخُ بَاحْسَنِ» (١/٨٨)

(٢) الْحَسِينُ بْنُ سَهْلٍ اسْمُهُ كَامِلًا : الْحَسِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ ابْنِ الْفَقِيهِ سَهْلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ جَمَلِ اللَّيْلِ . . إلخ . السَّيِّدُ الثَّرِي السَّرِيِّ الْفَاضِلُ ، التَّاجِرُ الصَّالِحُ ، الرَّاعِبُ فِي آخِرَتِهِ ، مَوْلَدُهُ بِتَرْيِمِ فِي رَجَبِ (١٢١٣هـ) ، وَالتَّوَفَّى بِالشَّحْرِ (٢٨) شَعْبَانَ (١٢٧٤هـ) . رَحَلَ فِي مَطْلَعِ شَبَابِهِ إِلَى الشَّرْقِ الْأَقْصَى جَاوَةً ، وَتَزَوَّجَ بِنْتَ أَحَدِ سُلَاطِينِهَا ، وَزَاوَلَ التَّجَارَةَ ، وَكَانَتْ لَهُ سَفَنٌ تَمُخَّرُ عِبَابَ الْبَحْرِ ، وَلَمَّا أَثَرَى . . عَادَ إِلَى وَطَنِهِ ، وَمِنْ كِبَرِيَّاتِ أَعْمَالِهِ : صَكُّهُ عَمَلَةً عَرَفَتْ بِاسْمِهِ سَنَةَ (١٢٥٨هـ) ، وَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَسْتَعْمِلُونَهَا وَيَتَدَاوَلُونَهَا إِلَى سَنَةِ (١٣١٥هـ) حَيْثُ صَكَّ السَّيِّدُ شَيْخُ الْكَافِ عَمَلَةً أُخْرَى نَسَخَتْ مَا قَبْلَهَا . وَلَهُ أَخْبَارٌ سِتَاتِي كَثِيرَةٌ وَفِي : الْعِدَّةِ الْمَفِيدَةِ ، «تَارِيخُ بَاحْسَنِ» (٢/١٢٤) ، «شَمْسُ الظُّهْرِ» (٢/٤٨٦) .

(٣) يَقَعُ الْمَسْجِدُ الْجَامِعُ بِحَارَةِ الْقَرِيَةِ ، وَهُوَ يَشْتَمِلُ - بَعْدَ تَوْسِيعِهِ - عَلَى (١٤٠) أَسْطُوَانَةٍ ، بَيْنَ كُلِّ أَسْطُوَانَةٍ وَالْأُخْرَى خَمْسَةُ أَذْرَعٍ .

(٤) غَالِبُ بْنُ مُحْسَنٍ .

(٥) الْبُعْسِيُّ نِسْبَةً إِلَى (الْأَبْعُوسُ = لَبْعُوسُ) بَطْنُ مَنْ يَافِعُ الْعَلِيَا ، وَآلُ غَرَامَةِ هُنُلَاءَ كَانُوا يَحْكُمُونَ =

وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى مَاتَ سَنَةَ (١٢٧٤هـ) ، وَأَخْبَارُهُ عَجِيبَةٌ لَا يَتَّسِعُ لَهَا الْمَجَالُ ، وَفِي «الْأَصْلِ» مِنْهَا الْكَثِيرُ الطَّيِّبُ .

وَمِنْ مَتَأَخَّرِي فَضْلَاءِ الْعُلُوِّيِّينَ بِالشَّخْرِ : السَّيِّدُ الْجَلِيلُ عَلُوِّيُّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَلُوِّيِّ الْجَنِيدِ^(١) ، كَانَ مِنَ الْآخِذِينَ عَنِ وَالِدِيهِ وَالْمَتَعَلِّقِينَ بِهِ ، تَوَفَّى بِهَا يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ (٢٧) شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ (١٣٤٩هـ) .

وَكَانَ بِالشَّخْرِ نَاسٌ مِنَ آلِ السَّقَّافِ ؛ مِنْهُمْ السَّيِّدُ عِيدَرُوسُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَلُوِّيِّ بْنِ شَيْخِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ شَيْخِ السَّقَّافِ ، كَانَ جَدُّهُ عَلُوِّيُّ بْنُ شَيْخِ بَسِيْنُونِ ، فَتَجَعَ فِي سَنَةِ (١٢١٥هـ) إِلَى مُوَشَّحٍ وَوَادِي بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ إِقَامَتِهِ وَإِقَامَةِ وَلَدِهِ سَالِمٍ بِهَا نَحْوًا مِنْ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ رُبْعًا .

ثُمَّ هَاجَرَ السَّيِّدُ سَالِمٌ - الْمُلَقَّبُ : سَالِمُ سَبُول - أَبْنُ عَلُوِّيِّ بْنِ شَيْخِ إِلَى الْمَكَلَاءِ وَالشَّخْرِ ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٣١٢هـ) وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الصَّفَا ، وَلَهُ تَذْكِيرٌ وَمَوَاعِظُ .

ثُمَّ رَكِبَ إِلَى زَنْجَبَارَ ، وَبِهَا كَانَتْ وَفَاتُهُ ، وَتَرَكَ وَلَدًا يُقَالُ لَهُ : حُسَيْنٌ ، تَوَفَّى حَوَالِي سَنَةِ (١٣٢٩هـ) ، وَتَرَكَ وَلَدًا أَسْمَهُ : عِيدَرُوسَ ، رَكِبَ إِلَى مِمْبَاسَا فِي

= جزءاً من تريم ، ومما يذكر في مناقب السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ سَهْلٍ أَنَّهُ اشْتَرَى تَرِيمَ مِنْ آلِ غَرَامَةِ .
(١) عَلُوِّيُّ بْنُ عَلِيٍّ الْجَنِيدِيُّ السَّيِّدُ الْفَاضِلُ ، التَّقِيُّ الصَّالِحُ : عَلُوِّيُّ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَلُوِّيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ... الْجَنِيدِيُّ بِاعْلُوِّيٍّ . مَوْلَدُهُ بِالشَّخْرِ سَنَةَ (١٢٦٩هـ) ، تَوَفَّى أَبُوهُ وَعَمْرُهُ خَمْسَ سِنَوَاتٍ ، فَكَفَلَهُ أَخُوهُ لِأَبِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ . سَارَ لَطْلُبُ الْعِلْمِ إِلَى تَرِيمٍ وَالْغُرْفَةِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى الشَّخْرِ . مِنْ شَبَابِهِ : السَّيِّدُ الْجَلِيلُ حَامِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَافَرَجٍ ، وَالسَّيِّدُ الْعَلَّامَةُ عِيدَرُوسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَبِشِيِّ ، وَالْحَبِيبُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَسِّنِ السَّقَّافِ وَالِدُ الْمُصَنِّفِ وَغَيْرُهُمْ . حَجَّ نَحْوَ (١٨) حِجَّةً ، وَآخَرَهَا كَانَ سَنَةَ (١٣٢٥هـ) . قِيلَ فِي وَصْفِهِ : كَانَ رَجُلًا يَتَلَأَلُ وَجْهَهُ نُورًا ، طَوِيلَ الْقَامَةِ ، جَمِيلَ الصُّورَةِ ، أَبْيَضَ اللَّوْنِ ، يَشَبْهُ سَمْتَهُ وَهَيْئَتَهُ هَيْئَةَ شَيْخِهِ عِيدَرُوسَ بْنِ عَمْرِو . لَقِيَهِ قَاضِي مَكَّةَ السَّيِّدُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ الْحَبِشِيُّ بِالشَّخْرِ سَنَةَ (١٣٤٥هـ) ، وَأَخَذَ عَنْهُ . « الدَّلِيلُ الْمَشِير » (٢٧٠) .

ملاحظة : أسرة المترجم تعرف بآل الجنيدِيّ ببناء النسبة . وهم غير آل الجنيد أهل تريم ؛ فأولئك يتسبون إلى الشَّيْخِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ جَمَلِ اللَّيْلِ . وَأَمَّا هَؤُلَاءِ : فنسبتهم إلى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلُوِّيِّ بْنِ الْفَقِيهِ ، وَجَدُّهُمْ الْأَعْلَى هُوَ : الْجَنِيدُ الْأَخْضَرُ أَبْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ أَحْمَدَ قَسَمَ - (ت بقسم ٨٩١هـ) - أَبْنُ عَلُوِّيِّ الشَّيْبَةِ ... إلخ ، وَعَلُوِّيُّ الشَّيْبَةُ يَجْتَمِعُونَ فِيهِ مَعَ آلِ الشُّلَيْيِّ وَغَيْرِهِمْ . وَلَقِبَ الْأَخْضَرُ مَعْنَاهُ : الْمَائِلُ إِلَى السُّمْرِ . « الْمَعْجَمُ اللَّطِيف » (٧٦٧٥) .

سنة (١٣٢٢هـ) وهو أبْنُ تسع سنين ، وما بَرَحَ يُقاسي المتاعِبَ والمَشاقَّ في طلبِ المعيشَةِ حتَّى فَتَحَ اللهُ عليه بالأموالِ والأولادِ ، فلهُ بها خمسةٌ مِنَ الذُّكُورِ ، وتأثَّلَ الأموالُ والعقارُ بممباسا والشَّحَرِ ، ولهُ بحارةٌ (عقل باعوين) عدَّةٌ ديارٍ بجوارِ مسجدِ الشَّيخِ عبدِ اللهِ بلحاج بافضلٍ ، وكانَ يُصدِرُ جريدةً تُسمَّى : « الإصلاح » في ممباسا ، جَلَبَ لها مطبعةً على نفقتهِ الخاصَّةِ ، ولَمَّا كانَ الأكثرُ مِنَ المُشترَكينَ حضارمةً - لا بالَ عندهم لأمثالِ الجرائدِ - وتأخروا عندَ دفعِ الاشتراكِ . . لزمَ تأخُّرها .

وأوَّلَ مدرسةٍ عَلِمْتُها بالشَّحْرِ هي : المدرسةُ الَّتِي بناها بدرُ بوطويق سنة (٩٥٩هـ) ^(١) ، وجَلَبَ لها ولِذِهِ عبدُ اللهِ بَنُ بدرٍ أستاذاً مِنْ برومٍ في سنة (٩٨٣هـ) ، هوَ العَلَّامةُ الشَّيخُ مُحَمَّدُ بَنُ عبدِ الرَّحِيمِ باجابرٍ ، فدرَّسَ بها وانتفعَ بِهِ الأَنامُ ، وأسفرتْ بِهِ اللَّيالي والأَيَّامُ .

وفي يومِ افتتاحِها أنشأَ السَّيِّدُ عبدُ الرحمنِ بَنُ أحمدَ البِيضِ قصيدةً أوردها صاحبُ « النُّورِ السَّافِرِ » [ص ٤٦٨] ، وفيها مدحٌ لِلأستاذِ والسُّلطانِ ، ولكنها ليستَ بجيدةٍ ^(٢) .

أمَّا المدرِّسُ بها في حياةِ بدرٍ فهوَ : الشَّيخُ عليُّ بَنُ عليٍّ بايزيدٍ ، الدَّوْعِيُّ ثمَّ الشَّحْرِيُّ ، توفِّيَ بها سنة (٩٧٥هـ) ^(٣) ، وقد انتفعَ بِهِ كثيرٌ مِنَ أَهْلِ الشَّحْرِ وغيرِهِم ، منهم : العَلَّامةُ المَوْزُخُ عبدُ اللهِ بَنُ مُحَمَّدٍ باسخلةٍ ، المَتوفَّى بالشَّحْرِ ^(٤) .

(١) وتعرف بالمدرسة السُّلْطانيَّةِ ، وإلى جوارها مسجد يعرف بمسجد المدرسة ، « النُّور السَّافِر » : حوادث سنة (٩٥٩هـ) .

(٢) الصُّوابُ أَنَّهُ في سنةِ قدومِ باجابر في (٩٨٣هـ) ، كما هو في « النُّور السَّافِر » ؛ لأنَّ افتتاحها كان سنة (٩٥٩هـ) كما تقدَّم .

(٣) الشَّيخُ عليُّ بايزيدٍ ، العَلَّامةُ الفقيهُ ، الإمامُ المتبحِّرُ في الفقه ، ولد بدوعن ، ونشأ مستقيماً ، واشتغل بالتحصيل من صباه ، وحفظ « الإرشاد » وغيره من المتون ، تفقَّه بالعلامة عثمان بن مُحَمَّد العموديِّ ، وصحب الشَّيخَ العارف بالله معروف بن عبدِ اللهِ باجمال ، ولبس منه ، وصحب غيره من العارفين . وكان في وقته عمدة المفتين ، ولَمَّا فتح السُّلطان بدر مدرسته . . ولأه تدريسها منذ افتتاحها سنة (٩٥٩هـ) ، وله مصنفات نافعة .

(٤) الشَّيخُ عبدُ اللهِ بن مُحَمَّد باسخلة ، عالم فقيه ، ولد ونشأ بالشَّحْرِ ، وطلب العلم ، وكان أديباً فقيهاً مؤرخاً ، تلقَّى العلمَ على يدِ الشَّيخِ عليٍّ بايزيدٍ ، وحفظ عليه « الإرشاد » . واختلف في لقبه فقيل =

وَمَمَّنْ هَاجَرَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ بِهَا : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِرَاجٍ ^(١) ، صَاحِبُ
الْمَوْالِفَاتِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي مِنْهَا : نَظْمُهُ لـ « الْإِزْشَادِ » و « شَرْحِهِ » وَقَدْ أُسْتَحَقَّ مِنْ
تَخْرُجِهِ بِنَتِكَ الْمَدْرَسَةِ أَنْ تَوَلَّى قَضَاءَ حَضْرَمَوْتَ ، مِنْ وَادِي عَمَدٍ غَرْباً إِلَى يَمْحُرَ
شَرْقاً ، تَرَجَّمَ لَهُ فِي « خِلَاصَةِ الْأَثَرِ » ، وَذَكَرَ أَنَّهَ اعْتَرَاهُ ذَهُولٌ فِي آخِرِ عَمْرِهِ إِلَى أَنْ
تَوَفَّى بِالْغَرْفَةِ سَنَةَ (١٠١٩ هـ) .

وَمَمَّنْ تَخَرَّجَ مِنْهَا : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَمُودِيِّ .

وَفِي تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ الشَّهِيدِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِلْحَاجٍ : (أَنْ الْإِفْرَنْجَ -
خَذَلَهُمُ اللَّهُ - لَمَّا هَاجَمُوا الشُّخْرَ وَاقْتَرَبُوا مِنْ مَدْرَسَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ لِلْهَجُومِ عَلَيْهَا . .
نَهَضَ كَأَنَّهُ الْأَسَدُ ، وَاسْتَنْهَضَ هِمَمَ الطُّلَبَةِ بِخُطْبَةٍ مُؤَثَّرَةٍ ، فَاقْتَلَعُوا أَبْوَابَ الْمَدْرَسَةِ
وَاقْتَسَمُوهَا عَوْدًا وَعَوْدًا وَحَارَبُوهُمْ ، وَكَانَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ مَمَّنْ رُزِقَ الشَّهَادَةَ سَنَةَ
« ٩٥٩ هـ » ، وَلَمَّا أَنْتَهَى الْبَرِيدُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ . . جَمَعُوا عَسْكَرًا يَبْلُغُ نَحْوَ خَمْسَةِ
آلَافٍ ، فَوَصَلُوا الشُّخْرَ عَلَى خَمْسَةِ أَيَّامٍ) اهـ

وَمَا أَدْرِي ، أَهَلْزِهِ الْمَدْرَسَةُ هِيَ الَّتِي بَنَاهَا بَدْرٌ وَالشَّهِيدُ يُدْرَسُ فِيهَا عَقْبَانُ بَنَائِهَا ،
أَمْ غَيْرُهَا؟

وَلَعَلِّي بَايَزِيدٌ هَذَا ذَكَرَ كَثِيرٌ فِي « مَجْمُوعِ الْجَدِّ طَهْ بْنِ عَمَرَ » ، وَقَدْ زَارَ حَضْرَمَوْتَ
وَأَجْتَمَعَ بِالسَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بَاشِييَانَ ، وَأَتْنَى كُلُّهُمَا عَلَى الْآخِرِ ، وَتَوَّجَعَتْ لَزِيَارَةِ
نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَرَّةً أُخْرَى بَعْدَ ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنَ الْقَدَمَةِ الْأُولَى .
ذَكَرَهُ الْكُشْلِيُّ فِي تَرْجَمَةِ بَاشِييَانَ مِنْ « مَشْرِعِهِ » ^(٢) [٥٣٨/٢ - ٥٣٩] .

وَقَدْ اسْتَوْفِينَا بـ « الْأَصْلِ » حَوَادِثَ الْإِفْرَنْجِ الْبَرْتِغَالِ مَعَ بَدْرِ بِالشُّخْرِ ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى

= (بِاسْخَلَةِ) كَمَا أَثْبَتَ الْمُؤَلِّفُ ، وَقِيلَ بِاسْنَجَلَةِ ، بَنُونَ فَجِيمٍ .

وَلَهُ مَوْالِفَاتٌ مَفِيدَةٌ ، وَفِي « الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ » (ص ١٤٩) أَنْ وَفَاتَهُ سَنَةَ (٩٨٧ هـ) .

(١) الصُّوَابُ أَنَّ اسْمَهُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سِرَاجِ الدِّينِ بِاجْمَالٍ ، « الدُّرُّ الْفَاخِرُ » (٣٦٣) .

(٢) وَبَاشِييَانَ هُوَ : عَمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بَاشِييَانَ .

الإطالة . وذكرنا ما أنكره عليه صاحب « ألقلايد » من غدره بهم^(١) ، مع أنه لم يفعل إلا ما أستباحوا أكبر منه من الغدر بالمسلمين ، ولكن قال قتادة : (إن الله أكّد ألوفاء بالعهد في بضعة وعشرين آية) .

ويروى : أن أهل قبرس^(٢) أحدثوا حدثاً في ولاية عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس^(٣) ، فاستفتى العلماء في نقض صلحهم .

فأجابه الليث^(٤) : (بأن أهل قبرس لم يزالوا يتهمون بخيانة الإسلام ، وقد قال تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ قُوَّةَ خِيَانَةٍ فَإِنَّهُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ وإني أرى أن تنبذ إليهم وتنظرهم سنة) .

وقال له مالك بن أنس : (أرى أن لا تعجل بنقض عهدهم ؛ حتى تتجّه الحجة عليهم ؛ فإن الله يقول : ﴿ فَاتَّبِعُوا إِلَهُتُمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ ﴾ ، فإن هم لم يدعوا غشهم ، ولم يستقيموا . . فأعذر إليهم ، ثم أوقع بهم . . ترزق النصر) أو ما يقرب من هذا^(٥) .

وروي : أن صالحاً هذا أجلى أهل الذمة من لبنان من غير من ماله عليه ، فأنكر عليه القاسم بن سلام^(٦) وقال له : (كيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يخرجوا من

(١) أي السلطان بدر .

(٢) قبرس : بالسين ، وقد تكتب بالصاد ؛ جزيرة معروفة في البحر الأبيض المتوسط ، الذي كان يعرف قديماً ببحر الرّوم .

(٣) كان عبد الملك هذا أميراً على الموصل من قبل الخليفة الهادي العباسي سنة (١٦٩هـ) ، وعزله الرشيد سنة (١٧١هـ) ثم ولاء المدينة والصواف ، ثم مصر مدة قصيرة ، فدمشق . كان من أفصح الناس وأخطبهم ، له مهابة وجلالة ، توفي سنة (١٩٦هـ) . « الأعلام » (١٥٩/٤) .

(٤) هو الإمام الليث بن سعد الفهمي بالولاء ، أبو الحارث ، إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، من أقوال الإمام الشافعي فيه : الليث أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به . ولد سنة (٩٤هـ) ، وتوفي سنة (١٧٥هـ) . « الأعلام » (٢٤٨/٥) .

(٥) « فتوح البلدان » (١٥٩-١٦٠) .

(٦) هو أبو عبيد ، من كبار علماء عصره في الحديث والفقه والأدب ، ولي القضاء بطرسوس ، كثير التصانيف ، ولد سنة (١٥٧هـ) ، وتوفي سنة (٢٢٤هـ) . « الأعلام » (١٧٦/٥) .

ديارهم وأموالهم ، وحُكْمُ اللَّهِ أَنْ لَا تَزَرَ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى ، وهو أَحَقُّ مَا أَقْتَدِي بِهِ ،
وقد قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا . . فَأَنَا حَاجِبُهُ » ^(١) ، وفي
الجزءِ الثَّانِي مِنْ « الْأَصْل » كَلَامٌ نَفِيسٌ يَتَعَلَّقُ بِالمَسْأَلَةِ .

وكانت للحضارمة تجارة واسعة بالشَّخِر ، وكانوا يَتِيَّامُونَ بما يَجْلِبُونَ مِنْهَا ^(٢) ،
وَيُجَرَّبُونَ فِيهِ الْبَرَكَةُ ، ولا يَزَالُ الْعُلَويُّونَ يَتَرَدَّدُونَ إِلَيْهَا ، ولا سِيَّما الْمُحَضَّارُ
وَالْعِيدَرُوسُ ؛ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِيهَا مِنَ الْإِنْشِرَاحِ مَا لَا يَوْجَدُ فِي سِوَاهَا ، إِلَّا أَنَّ طَرَفَهَا
مَلْتَوِيَّةٌ ، وشَوَارِعُهَا مَتَسَخَّةٌ ، وَأَهْلُهَا لَا يَتَعَهَّدُونَ أَخْلِيَّتَهُمْ وَمِيَاذِيَّتَهُمْ ، وَيُسْرِعُ الْخُرَابُ
إِلَى دِيَارِهِمْ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ .

وقد وردتْهَا عِدَّةٌ مَرَّاتٍ أَنْزَلُ فِي أُخْرِيَّاتِهَا ضَيْفًا عَلَى وَافِرِ الْمَرْوَةِ ، الْحَرِّ الشَّهْمِ ،
المُشَارِكِ فِي الْعِلْمِ : الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ بَكَارٍ بِاشْرَاحِيل . وآلُ بِاشْرَاحِيلِ مُنْتَشِرُونَ فِي
حَضْرَمَوْتٍ ، وَمَرْجِعُهُمْ فِي النَّسَبِ - كَمَا سَيَأْتِي فِي وَادِي ابْنِ عَلِيٍّ - إِلَى عِبَاهِلَةَ
جَمِيرٍ ^(٣) .

وَيَأْتِي فِي سِيَتُونِ ذَرُوءٍ مِنْ بَدْعَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ بِاطْوَيْحٍ ^(٤) ، أَلَّتِي لَا تَزَالُ
تُؤَجُّ بِالشَّخِرِ الْآنَ .

وآلُ طُوَيْحٍ مِنْ بِيوتِ الْعِلْمِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ طُوَيْحٍ مِمَّنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ
بِالشَّخِرِ ، ذَكَرَهُ ابْنُ سِرَاجٍ فِي « مَنَاقِبِ الشَّيْخِ مَعْرُوفٍ » ^(٥) .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُ أَنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْعَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بِاطْخَنَ ، وَهُوَ

(١) « فتوح البلدان » (١٦٧) ، والحديث أخرجه أبو داود (٣٠٥٢) .

(٢) يَتِيَّامُونَ : يَتَبَارَكُونَ .

(٣) العِبَاهِلَةُ : الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَقْرَبُوا عَلَى مُلْكِهِمْ ، لَا يَزَالُونَ عَنْهُ .

(٤) تَوَفِّيَ سَنَةَ (١٣٦١ هـ) كَمَا كُتِبَ عَلَى شَاهِدَةِ قَبْرِهَ بِالشَّخِرِ ، وَهُوَ تَلْمِيزُ الْعَلَّامَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْحَبَشِيِّ ، كَانَ مُتَبَحِّرًا فِي النَّحْوِ ، وَكَانَ مُحِبًّا جَدًّا لِشَيْخِهِ الْحَبَشِيِّ إِلَى دَرَجَةِ الْغُلُوِّ ، وَلِلْمُصَنَّفِ مَعَهُ
وَمَعَ مَنْ يَسْمِيهِمْ (جَمَاعَةُ بِاطْوَيْحٍ) أَخْبَارٌ وَقَصَصٌ ، بَعْضُهَا يَطْوِي وَيُزِيلُ . . رَحِمَ اللَّهُ الْجَمِيعَ .

(٥) الْمَسْمُومَةُ : « مَوَاهِبُ الرَّبِّ الرَّؤُوفِ » .

مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ ، غَيْرَ أَنَّ غُلُوَّهُ فِي شَيْخِهِ سَعْدِ الظَّفَارِيِّ أَوْقَعَهُ فِي إِسَاءَةِ الْأَدَبِ عَلَى الْفَقِيهِ الْمَقْدَّمِ فَكْرَهُ الْعُلُوِّيُونَ .

وَسَكَانُ الشَّخْرِ الْآنَ أَرْبَعَةٌ عَشَرَ أَلْفًا وَثَمَانُ مِثَّةٍ وَبِضْعُ وَسُتُونَ نَفْسًا ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ قُرَاهَا ، وَفِيهَا أَكْثَرُ مِنْ سِتِّينَ مَسْجِدًا .

وَفِي ضَوَاحِيهَا قُرَى كَثِيرَةٌ ، أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا^(١) فِيهَا أَوَاخِرَ الْقَرْنِ الْتَّاسِعِ ، فَأَفْتَى الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بِامْخَرَمَةٍ بِالْمَنْعِ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تُخَطَّ قُرَى مِنَ الْأَصْلِ ، وَإِنَّمَا بَيْنِي الْوَاحِدُ ثُمَّ الْثَانِي... وَهَلَمْ جَرًّا ، فَهِيَ مِنْ أَعْمَالِ الشَّخْرِ لَا قُرَى مُسْتَقَلَّةٌ ، وَلِي فِي ذَلِكَ بَحْثٌ ، لَوْ أَفْضْتُ فِيهِ... لَخَرَجْتُ عَمَّا نَحْنُ بِسَبِيلِهِ^(٢) .

غِيَاضُ الشَّخْرِ^(٣) :

فِي شِمَالِ الشَّخْرِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ غَيْضَةٌ يَخْتَرِفُ فِيهَا السَّادَةُ أَلُ الْعِيدَرُوسِ^(٤) ، فِيهَا جَامِعٌ وَأَبَارٌ لِلْسَّنَاوَةِ تَسْمَى : دُفِيقُهُ^(٥) .

وَمِنْ وَرَائِهَا إِلَى الشَّمَالِ^(٦) : تَبَالَةٌ ، فِيهَا جَامِعٌ وَأَمْوَالٌ لِأَهْلِ الشَّخْرِ ، وَسَبْعَةٌ مَعَايِينُ يَخْرُجُ مِنْهَا مَاءٌ شَدِيدُ الْحَرَارَةِ .

(١) أَي : يَقِيمُوا بِتِلْكَ الْقُرَى صَلَاةَ جُمُعَةٍ .

(٢) وَقَدْ ظَهَرَ بِالْعِلْمِ فِي زَمَنِ الْمَصْنُفِ وَبَعْدَهُ رِجَالٌ عُلَمَاءُ صَالِحُونَ ، كَانُوا مُلْجَأً وَمَلَاذًا لِلنَّاسِ فِي فِتَاوَاهُمْ وَنَوَازِلِهِمْ ؛ مِنْهُمْ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُعَمَّرُ عَبْدُ الْكَرِيمِ الْمَلَّاحِي ، الْمَوْلُودُ بِـ (زَنْجِبَار) بِـ (جَزْر الْقَمَر) سَنَةِ (١٣٢٨ هـ) ، وَالْمُتَوَفَّى بِـ (الشَّخْرِ) سَنَةِ (١٤١٧ هـ) ، عَنْ نَحْوِ تِسْعِينَ عَامًا قَضَاهَا فِي الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَالْإِرْشَادِ ، هَاجَرَ مَعَ وَالِدِهِ وَأَخِيهِ أَحْمَدَ إِلَى الشَّخْرِ وَتَوَطَّنُوهُمَا ، وَلَأَخِيهِ أَحْمَدَ الْمَلَّاحِي اهْتِمَامًا بِالتَّأْرِيخِ ، وَقَدْ دَوَّنَ مَذْكُورَةً مُفِيدَةً فِي حَوَادِثِ الشَّخْرِ الَّتِي عَاصَرَهَا ، وَتَرْجَمَ لِبَعْضِ الْأَعْيَانِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٣٩١ هـ) تَقْرِيْبًا .

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ الْفَاضِلُ سَالِمِينَ حَبْلِيلُ ، تَوَفَّى فِي نَفْسِ السَّنَةِ - أَي سَنَةِ (١٤١٧ هـ) - وَمَمَّنْ لَزَالُوا بِهَا مِنَ الْعُلَمَاءِ : الشَّيْخُ الْفَاضِلُ ، الْعَالِمُ الْفَقِيهُ ، الْقَاضِي عَمْرُ بْنُ سَعِيدٍ بَاغْزَالُ ، مَمَّنْ دَرَسَ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ مُحَسَّنِ أَبِي نَمِي وَطَبَقْتَهُ .

(٣) الْغِيَاضُ - جَمْعُ غَيْضَةٍ - وَهِيَ : الْمَكَانُ الْغَزِيرُ الْمِيَاهِ الَّذِي تَكْثُرُ فِيهِ الْأَشْجَارُ الْمُلْتَفَّةُ .

(٤) الْإِخْتِرَافُ هُوَ : التَّصْيِيفُ . وَالْمُخْتَرَفُ بِمَعْنَى الْمَصْيِفِ بِفَتْحِ الْمِيمِ .

(٥) تَقَعُ دُفِيقُهُ شِمَالُ الشَّخْرِ ، وَتَبْعِدُ عَنْهَا نَحْوَ (٢ كَم) .

(٦) عَلَى بَعْدِ نَحْوِ (٧ كَم) .

قَالَ الطَّبِيبُ بامخرمة : (وتباله قرية قرب الشَّحْرِ على طريق الخارج من الشَّحْرِ إلى حَضْرَمَوْتْ ، وفيها عدَّة عيون حارَّة في أكمة واحدة ، يُسقى بها زرع ونخل ونارجيل^(١) . . . وعيونها مختلفة ، منها حارَّة كثيرة الماء ، ومنها قليلة الحرارة قليلة الماء ، وهي أعجوبة) اهـ^(٢)

وَالنَّاسُ يَقْصِدُونَ ذَلِكَ الْمَاءَ الشَّدِيدَ الْحَرَارَةِ مِنْ جِهَاتٍ بَعِيدَةٍ ؛ لِلاِسْتِشْفَاءِ بِالْاِغْتِسَالِ فِيهِ مِنْ بَعْضِ الْأَمْرَاضِ^(٣) .

وفي (ص ١٨٥) والتي بعدها من الجزء الأول من « دائرة المعارف » لفريد وجدي ما نصُّه : (وربما رأى بعض قراء هذا الكتاب في أوروبا عيوناً نابعة من الأرض على درجة من الحرارة مرتفعة ، تقترب من الغليان ، وهي لم تصل إلى هذه الدرجة من الحرارة إلا لكونها آتية من أبعاد عميقة) اهـ

وهذا الوصف ينطبق على بعض عيون تباله إذ الْبَيْضُ يَنْضِجُ فِيهَا عَلَى بَضْعِ دَقَائِقَ .
وكان من سكَّانها : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الشَّخْرِيُّ ، ممدوح عبد الصَّمدٍ باكثير بقوله [من البسيط] :

أَكْرَمَ بِهِمْ فِتْيَةً فِي الْحَيِّ جِيرَانُ	لِي فِي تَبَالَةٍ إِخْوَانُ وَأَخْدَانُ
تُدارُ فِيهَا مِنَ الصَّهْبَاءِ أَلْوَانُ	وَنَحْنُ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ مُزَخْرَفَةٍ
فِي الْمَشْكِلَاتِ لَهُ حَلٌّ وَتَيَّانُ	فِي حَضْرَةِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ مَنْ
تَسْعَى إِلَيْهِ جَمَاعَاتٌ وَوَخْدَانُ	صَدْرُ الْمَرَاتِبِ قُطْبُ الْمَجْدِ لَا بَرَحَتْ

(١) النَّارِجِيلُ : جنس شجر من الفصيلة النَّخْلِيَّةِ ، منه أنواع للترتين ، يزرع لثمره المسمَّى جوز الهند ، ويسمَّيه الأهالي : المبدع ، ويستخرجون منه خلاً جيِّداً بطريقة معيَّنة ، وهي أَنَّهُمْ يَفْتَحُونَ فَتْحَاتٍ فِي ثَمَارِ النَّارِجِيلِ مِنَ اللَّيْلِ وَيَأْتُونَ فِي الصَّبَاحِ قَبْلَ شُرُوقِ الشَّمْسِ لِيَأْخُذُوا مَاءَهَا وَيَتْرَكُونَهُ فِي أَوَانِهِ لِمُدَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثُمَّ يَفْتَحُونَهَا وَقَدْ صَارَ خَلاً ، وما أشرقت عليه الشَّمْسُ لا يأخذونه ؛ لِأَنَّهُ يَتَخَمَّرُ حِينَئِذٍ بَلْ يَتْرَكُونَهُ إِلَى اللَّيْلِ ، وهو منتشر في السَّاحِلِ .

(٢) نسبة البلدان (ق ٥٧) .

(٣) ولا زالوا كذلك إلى اليوم ، وقد بنيت غرف بالقرب من هذه المعالين ، وهي عبارة عن ماء كبيرتي

مُخَدِّقِينَ إِلَيْهِ مُخَدِّقِينَ بِهِ فِي رَوْضَةٍ حَوْلَهَا بِالزَّهْرِ الْوَانُ
وهذه مِنْ مُنْحَطِّ شَعْرِ عَبْدِ الصَّمَدِ ، وإِلَّا . . . فقد كَانَ لَهُ مِنْ الْإِجَادَةِ نَصِيبٌ وَافٍ .

وَقَالَ يَاقُوتُ : (تَبَالَةُ : قِيلَ : هِيَ الَّتِي جَاءَ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِ مُسْلِمٍ بِنِ
الْحَجَّاجِ ^(١) ، بِلَادِ الْيَمَنِ ، وَأَظْنُّهَا غَيْرَ تَبَالَةَ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ ، الَّتِي يُقَالُ فِيهَا :
« أَهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الْحَجَّاجِ » ^(٢) ؛ لِأَنَّ هَذِهِ بِلَدَةٌ مَشْهُورَةٌ بِتَهَامَةٍ فِي طَرِيقِ
الْيَمَنِ) اهـ ^(٣)

وَكِلَاهُمَا غَيْرُ الَّتِي نَحْنُ فِي ذِكْرِهَا ^(٤) .

وَوَرَاءَهَا مِتَشَائِمَةٌ ^(٥) . عَنْهَا : الْوَاسِطُ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ فِيهَا جَامِعٌ ^(٦) ، وَثَلَاثَةُ مَعَايِينَ
بَارِدَةُ الْمَاءِ ، عَلَيْهَا أَمْوَالٌ لِأَهْلِ الشَّخْرِ .

وَفِي غَرْبِي الْوَاسِطِ بِحِذَائِهِ : شَعْبُ الثُّورِ ، أَكْثَرُهُ لِلْسَّادَةِ آلِ أَحْمَدَ بْنِ صَالِحِ ابْنِ
الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ^(٧) .

(١) أَيُ : « صَحِيحُ الْإِمَامِ مُسْلِمٍ » ، وَجَاءَ ذِكْرُهَا فِي « صَحِيحِهِ » (٢٩٠٦) : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءٍ مِنْ دُوسٍ
حَوْلَ ذِي الْخُلْصَةِ » وَكَانَتْ صَنَمًا تَعْبُدُهَا دُوسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِتَبَالَةَ .

(٢) كَانَ أَوَّلُ عَمَلٍ وَلِيهِ الْحَجَّاجُ تَبَالَةَ ، فَسَارَ إِلَيْهَا ، فَلَمَّا قَرَّبَ مِنْهَا . . . قَالَ لِلدَّلِيلِ : أَيْنَ هِيَ ؟ قَالَ :
سَتَرْتَهَا عَنْكَ هَذِهِ الْأَكْمَةُ ، فَقَالَ : أَهْوَنُ عَلَيَّ بِعَمَلِ بِلَدَةٍ تَسْتَرُهَا عَنِّي أَكْمَةٌ ، وَرَجَعَ مِنْ مَكَانِهِ ، فَقَالَتْ
الْعَرَبُ : (أَهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الْحَجَّاجِ) .

(٣) مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ (٩ / ٢) .

(٤) وَفِي « النَّسْبَةِ » لِابْنِ مَخْرَمَةَ : أَنَّ تَبَالَةَ مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ ، كَانَ فِيهِ صَنَمٌ ذُو الْخُلْصَةِ الَّذِي كَسَرَهُ الصَّحَابِيُّ
الْجَلِيلُ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ .

(٥) مِتَشَائِمَةٌ : أَخَذَتْ فِي طَرِيقِ الشَّامِ .

(٦) وَهَذَا الْجَامِعُ مَشْهُورٌ فِي السَّاحْلِ ، يَنْسَبُ إِلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ الْإِمَامِ عُمَرَ الْمُحَضَّرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
السَّقَّافِ ، وَيُقَالُ : إِنَّ وَفَاتِهِ كَانَتْ بِالْوَاسِطِ ، ثُمَّ نُقِلَ إِلَى تَرْيَمٍ « لَوَاعِ الثُّورِ » (١ / ٧٦-٧٧) .

(٧) هُوَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي
بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ بَاعِلُوي . وَلَدَ بَعِينَاتٍ ، وَنَشَأَ بِهَا ، وَطَلَبَ الْعِلْمَ ، وَجَدَّ وَاجْتَهَدَ ، وَبَنَى بَيْتًا فِي عَرَفَ ،
ثُمَّ غَادَرَهَا إِلَى الشَّحْرِ ، وَمِنْهَا إِلَى الْوَاسِطِ ، وَأَخِيرًا اسْتَقَرَّ فِي هَذَا الشَّعْبِ الَّذِي سَمَّاهُ شَعْبَ الثُّورِ ،
وَبَنَى مَنْزِلَهُ الَّذِي سَكَنَهُ إِلَى آخِرِ عُمَرِهِ ، وَكَانَ يُقْصَدُ إِلَى الشَّعْبِ الْمَذْكُورِ لِلْأَخْذِ عَنْهُ وَالتَّبَرُّكِ بِزِيَارَتِهِ ، =

وفي جنوبه : الجرادفُ ، فيها معيانٌ واحدٌ باردُ الماءِ ، عليه أموالٌ لأهلِ الشَّخْرِ ، وفيه آبارٌ كثيرةٌ .

وفي شماله : التَّجَاعِينِ ، وهي قريةٌ فيها نخيلٌ لآلِ العيدروسِ .
ومن ورائها : البرحُ ، سكَّانهُ مِنَ الحُمومِ ، وفيه ناسٌ مِنَ الحاضرةِ ، وفيه جامعٌ .
ومن ورائه : الرَّمضاءُ .

ومن بعدها : عَرَفَ ، وهي قريةٌ فيها بساتينُ نخيلٍ ، وعيونُ ماءٍ ، كان الشَّيْخُ المحضارُ بنُ الشَّيْخِ عبدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ يُكثِرُ الْكُونُ فيها والْتَرَدُّ عليها ، ولَهُ بها أموالٌ كثيرةٌ^(١) .

وفي غربي الجرادفِ قريةٌ الْحَبْسِ ، فيها معيانانِ وأموالٌ لِلدَّوْلَةِ الْقَعِيطِيَّةِ .
وفي جنوبِ الْحَبْسِ : شِكْلِنَزَة^(٢) ، قريةٌ فيها مزارعُ ، ومعيانانِ ، وآبارُ ، وبها يخترَفُ كثيرٌ مِنَ أَهْلِ الشَّخْرِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْخَرَابُ .
وفي غربيها : مَعْيَانُ الْمَسَاجِدَةِ : يُنسَبُ لآلِ الْمَسْجِدِيِّ مِنَ الْمَشَايِخِ آلِ باوزيرِ ، وهي قريةٌ فيها ثلاثةُ معايينَ ، وفيها آبارٌ كثيرةٌ ، وأموالٌ لأهلِ الشَّخْرِ .
وفي غربي الْمَسَاجِدَةِ : صُدَاعُ الْعَوَالِقِ وَحَزْمُهُمْ . وفي غربيهِ قريةٌ يقالُ لها : حَبَايِرُ . وفي غربي حباير : قَارَةُ أَبْنِ محرَكةَ .
وفي جنوبِ هذهِ الْقَارَةِ : غِبِلُ باوزيرِ .

وفي غربيهِ : النَّقْعَةُ وَالْقَارَةُ ، وقد سبقَ التَّعْرِيفُ بتلكَ الْبَقَاعِ .
وفي شمالِ الْقَارَةِ : قريةٌ تسمَّى : الْسَّوْطُ ، فيها معيانانِ وجامعٌ .

= وكانت وفاته سنة (١٢١١) أو (١٢١٢ هـ) . وله ذُرِّيَّةٌ مباركة ، ظهر فيهم علماء وأفاضل .
(١) وممن سكن بها من العلماء : الشَّيْخُ الْعَالِمُ الصَّالِحُ عوض بن مبارك الكلائي ، المتوفى في منتصف القرن الرَّابِعِ عشرِ الهجريِّ .
(٢) ويمكن للبعض أن يسمِّيها : الشَّكْلُ النَّزْهَ كما فعل باحسن في « تاريخه » ، وكما كان السُّلْطَانُ صالح بن غالب يسمِّيها ، وكان يتردَّدُ عليها .

ولهذه الغياض - ولاسيما شكلنزة ودُفِيقَةُ والحزمُ وصداعُ - ذِكرٌ كثيرٌ في الحروبِ الواقعةِ بينَ الكساديِّ والقعيطيِّ ، والعولقيِّ والكثيريِّ ، حسبما فُصِّلَ بـ «الأصل» ، ومرَّ بعضُهُ في الحزمِ وصداع .

ومما يستحقُّ الإعجابَ ، ويُشَفُّ الأسماعُ^(١) ، وينفخُ الأنوفَ : أنَّ آلَ كثيرٍ والعوالقَ والكساديِّ حاولوا الهجومَ على الشُّخْرِ في سَنَةِ (١٢٩٠ هـ) بنحوِ ثلاثةِ آلافٍ مقاتِلٍ ، ونزلوا شكلنزةَ ، وفي اللَّيْلَةِ (٢٣) مِنْ شَوَالٍ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ أَجْتَمَعَ مَلَوْهُمُ فِي دُفِيقَةٍ ، فَنَازَلَتْهُمُ ثَلَاثَةُ مِنْ عَسْكَرِ الشُّخْرِ لَا تَزِيدُ عَنْ أَرْبَعِ مِائَةٍ مُقَاتِلٍ ، فَانْسَحَبَ جُنْدُ الْعَوْلَقِيِّ وَالْكَسَادِيِّ وَالْكَثِيرِيِّ إِلَى الْمِشْرَافِ ، وَهَنَالِكَ التَّحَمَّ الْحَرْبُ وَأَسْتَحَرَّ الْقَتْلُ ، وَجَاءَتِ الْأَمْدَادُ أَلْيَافِيَّةٌ مِنَ الشُّخْرِ ، وَلَمْ يَنْقُ بِيَدِ الْعَوْلَقِيِّ وَالْكَسَادِيِّ وَالْكَثِيرِيِّ إِلَّا دَارَانِ فِي دُفِيقَةٍ ، وَلَمَّا دَارَتِ الدَّائِرَةُ عَلَيْهِمْ ، وَانْهَزَمَ آلُ كَثِيرٍ هَزِيمَةً مَنكَرَةً . . . أَنْحَصَرَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِدَارِي دُفِيقَةٍ ، ثُمَّ انْهَزَمَ أَحَدُ الدَّارَيْنِ وَأَخَذَتْهُ يَافِعُ عَنُودَ ، وَكَانَ فِي أَسْفَلِهِ كَمِيَّةٌ وَافِرَةٌ مِنَ الْبَارُودِ ، فَفَتَحَ أَوْعِيَّتَهَا أَحَدُ عِبِيدِ الْعَوَالِقِ ، وَرَبَطَ بِهَا حَبْلًا مِنَ الْفَتِيلِ ، وَأَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ مَعَ هَرَبِهِ ، فَلَمَّا أَنْتَهَتْ إِلَيْهِ . . . انفجَرَ ، فَسَقَطَ الدَّارُ عَلَى مَنْ دَاخِلُهُ مِنْ عَسْكَرِ الْقُعَيْطِيِّ وَيَافِعَ ، وَقَوِيَتْ نَفُوسُ آلِ كَثِيرٍ وَمَنْ مَعَهُمُ الْمُحْصُورِينَ فِي الدَّارِ الثَّانِي ، وَجَدُوا فِي الدَّفَاعِ وَالْأَسْتِمَانَةِ حَتَّى تَوَاضَعُوا مَعَ الْقُعَيْطِيِّ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا بِالشَّرَفِ الْعَسْكَرِيِّ فِي وَجْهِ سَالِمِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْحَبِيبِ بْنِ عَلِيٍّ جَابِرٍ ، أَوْ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى . . . إِلَى آخِرِ النَّسَبِ .

وَلَمَّا خَرَجُوا . . . إِذَا هُمْ أَفْلَاذُ كَبِدٍ حَضَرَمَوْتِ ، وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ آلُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَآلُ كَثِيرٍ ، وَالْعَوَامِرُ ، وَآلُ جَابِرٍ ، الَّذِينَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَقُومَ لَهُمْ قَائِمَةٌ بَعْدَهَا لَوْ أَسْتَأْصَلُوهُمْ أَبَدًا . عِنْدَ ذَلِكَ حَاوَلَ الْقُعَيْطِيُّ إِرْضَاءَ سَالِمٍ أَوْ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بِمَا يَتِمَّنَى ، عَلَى أَنْ يَخِيَسَ بَعْهَدِهِ وَيَتْرَكَهُمْ لَهُ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ ، لَوْ أُعْطِيتُنِي جَبَلًا مِنَ الذَّهَبِ . . . لَنْ أَخْرَمَ ذِمَّتِي ، وَلَنْ أَسُودَّ وَجْهِي) ، فَلَبَّغَهُمُ الْمَأْمَنَ كِرَامًا وَهُوَ رَافِعُ الرَّأْسِ^(٢) .

(١) يَشَفُّ الْأَسْمَاعُ : يَزِيْنُهَا .

(٢) تفصيل هذه الحادثة في «العدَّة المفيدة» (٢ / ٣٣٩ - ٣٤٣) .

فَمِثْلُ هَذِهِ الْأَكْرُومَةِ يَنْبَغِي تَكَرُّرُهَا فِي الْمَدَارِسِ الْقَعِيطِيَّةِ ؛ لِمَا فِيهَا مِنْ الشَّرَفِ
الْمَخْلَدِ ، وَالْمَجْدِ الْمُتَلَدِّ الَّذِي يَسُوِّغُ لآلِ عَلِيٍّ جَابِرٌ أَنْ يَتِمَثَّلُوا بِقَوْلِ حَبِيبٍ [فِي « دِيْوَانِهِ »
٣٣٢/١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

لَوْ لَا أَحَادِيثُ سَنَّتْهَا أَوَائِلُنَا مِنْ أَعْلَى وَالْوَفَا لَمْ يُعْرِفِ السَّمَرُ^(١)
وَأِنَّمَا يَنْحَجِزُ النَّاسُ عَنِ الْمَلَاوِمِ ، وَيَتَدَفَّقُونَ عَلَى الْمَكَارِمِ بِإِكْبَارِ أَعْمَالِ الْأَبْطَالِ ،
وَأَزْدِرَاءِ أَفْعَالِ الْأَنْدَالِ ، فَأَوْجَبُ مَا يَكُونُ عَلَى الدُّوَلِ الرَّاعِبَةِ فِي الرُّقِيِّ أَنْ تُمَجِّدَ صَنَائِعَ
اللَّهَامِيمِ^(٢) ، وَتُحَقِّرَ مَعَايِبَ الْمَذَامِيمِ ، فَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ يَقُومُ عِمَادُ الشَّرَفِ ، وَتُسَنَّمُ
مَدَارِجُ الْغُرَفِ ، وَقَدْ وَرَدَ : (أَمَرْنَا أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ)^(٣) ، وَجَاءَ الْحَثُّ عَلَى
دِرَاسَةِ التَّارِيخِ حَتَّى فِي أُمِّ الْكِتَابِ ، كَمَا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ، وَمَا كَانَ أَسْمَارُ السَّابِقِينَ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ [فِي « الْعَكْبَرِيِّ » ٢٦٠/٤٠ مِنْ الْوَاوِفِرِ] :

وَأَكْثَرُ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فَلَانٌ دَقَّ رُمْحًا فِي فَلَانٍ
ثُمَّ تَرَادَلَ الْزَمَانُ ، فَأَنْتَ الرَّجَالُ .

وَقَالَ الطَّيِّبُ بِامْخَرَمَةٍ : (ثُوبَانٌ^(٤)) : مَوْضِعٌ شَرْقِيٌّ الشَّخْرِ عَلَى مَرَحِلَتَيْنِ مِنْهَا ، فِيهِ
عَيْنَانِ كَبِيرَتَيْنِ ، يُتَتَفَعُّ بِهِمَا مِنْ عَدَّةِ أَدْوَاءٍ ، ذَكَرَهَا الْقَاضِي مَسْعُودٌ^(٥) اهـ

مِرَاسِي بَحْرِ الشَّخْرِ إِلَى ظَفَارٍ

أَوَّلُ مَا يَلِي الشَّخَرَ إِلَى الْجَهَةِ الشَّرْقِيَّةِ : الْعَيْصُ ، تَبَعْدُ عَنِ الشَّخْرِ سَاعَةً وَنِصْفًا

(١) السَّمَرُ : حَدِيثُ اللَّيْلِ ؛ أَيْ : إِنَّ السَّاهِرِينَ فِي حَلْفَةِ الْقَوْمِ يَتَحَدَّثُونَ بِمَآثِرِنَا . وَلِلْبَيْتِ رَوَايَاتُ أُخْرَى .

(٢) اللُّهَامِيمُ : الْأَبْطَالُ .

(٣) رَوَى الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ (٤٨٤٢) : عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَنْزَلُوا النَّاسَ
مَنَازِلَهُمْ » .

(٤) ثُوبَانُ : مِنْ ضَوَاحِي الدِّيسِ الشَّرْقِيَّةِ ، تَتَبِعُ مَدِيرَةَ الشَّخْرِ ، وَسَكَانُهَا مِنَ الْحُمُومِ .

(٥) نِسْبَةُ الْبُلْدَانِ (ق ٦٥) .

بسير الأتقال ، في بُعد قليل عن الساحل ، عبارة عن أكواخ قليلة محفوفة بزراعات ، أكثرها من التبنج .

ثم جمعوض ، قرية صغيرة لا يزيد سكانها - من العمّال والبادية آل بخسن - عن متني نفس ، وفيها معيانان وعدة أبور .

ثم الحامي ، بينه وبين العيص أربع ساعات ، وفيه شبة من الشجر من بعض النواحي ، لولا ما يتخلله من أشجار النارجيل ، ويقال : إنّ أهلها أحسن أخلاقاً من أهل الشجر .

ولما سمع هذا بعض أهل الشجر . . قال : إنّ الأمر بالعكس ، وإنهم ليضنّون حتّى بالماء ، ويقولون لمن طلب شربة ماء : (إنّه حامي ، لا يصلح للشرب) ، ويتأكّد هذا بما قيل : إنهم الذين امتنعوا من ضيافة الخضر وموسى ، وأنّ الجدار الذي أقامه الخضر كان بالحامي لما تحته من كنز الغلامين اللذين كان أبوهما صالحاً .

وفي سيف الحامي عين ماء عذب كان الناس يستقون منها للشرب حال ما يجزرو عنها البحر .

وفيها مدرسة سلطانية^(١) ، وبها عين ماء حارّة ، إلّا أنّها أقل حرارة من مياه تبالة ، يزعم الأهالي : أنّ الاغتسال فيه شفاء من أنواع البثور ؛ ولذا يقصده الكثير من الأماكن البعيدة ، وأهل البلاد يغتسلون فيه كلّ صباح .

وفي « شمس الظهيرة » [٥٤٧/٢] : أنّ به ناساً من ذرّيّة الحبيب سالم بن عبد الله بن علوي الحداد^(٢) ، وآخرين من ذرّيّة الحبيب علي بن محمّد جمل اللّيل باحسن^(٣) .

(١) وكان يشرف عليها العلامة النّاخي ؛ إذ كانت تحت مسؤوليّة كغيرها من المدارس السلطانية .
(٢) الذي في « شمس الظهيرة » أنّ بالحامي أناساً من ذرّيّة حسين ابن الإمام الحدّاد ، والصّواب ما ذكره المصنّف ، ولعلّ المطبوع من « الشمس » دخله التحريف ؛ لأنّ معظم ذرّيّة الحسين المذكور إنّما هم بعمان ورأس الخيمة ونواحيها .

(٣) ويعرفون بآل باهارون باحسن ، وجدّهم الجامع لهم هو السيّد : محمّد بن هارون بن علويّ الفقيه ابن عبد الله بن محمّد - صاحب بور - ابن عبد الله بن محمّد المجذوب ابن سالم بن أحمد بن عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد جمل اللّيل .

ثُمَّ الْمَقْدُ : وَهِيَ قَرْيَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا ، فِيهَا السَّادَةُ آلُ الْمَقْدِيِّ ، وَنَاسٌ مِنْ آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ ، وَآلِ بْنِ عَوِيضَانَ ، وَآلِ بْنِ سَبُولٍ ، وَآلِ بَامَحِيمُود ، وَآلِ بَخْسَنَ مِنْ الْحُمُومِ .

ثُمَّ الْقَرْنُ : وَهِيَ مَرْفَأُ الدَّيْسِ .

وَمِنْ وَرَاءِ الْحَامِي مِتْشَامَلًا : الدَّيْسُ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ نَحْوُ خَمْسِ سَاعَاتٍ بِسِيرِ الْأَثْقَالِ ، يَبْعُدُ عَنْ سَيْفِ الْبَحْرِ^(١) بِنَحْوِ سَاعَةٍ وَنُصْفٍ لِلْمَاشِي .

وَقَدْ مَرَّ فِي أَخْبَارِ الشُّعْرِ : أَنَّ عَلِيَّ بْنَ حَبْرِيشٍ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ وَأَسْتَبَاحَهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٤٤ هـ) .

نَسَبُ الْحُمُومِ :

وَمَرْجِعُ الْحُمُومِ فِي النَّسَبِ - عَلَى مَا نَقَلَهُ الشَّرِيفُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْطَفَى بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخٍ مِنْ خَطِّ الْفَقِيرِ الصَّالِحِ أَحْمَدَ بَامَرِيمَ - : إِلَى حِمَيْرَ ، وَمِثْلُهُ مَنْقُولٌ عَنْ خَطِّ الشَّيْخِ عَلِيِّ بَاصْبَرِينَ .

وَحَاصِلُ مَا وَجَدَ بِخَطِّهِ : (أَنَّ الْمَنَاهِيلَ وَالْحُمُومَ وَيَافِعَ مِنْ حِمَيْرِ بْنِ سَبَا) . قَالَ بَاصْبَرِينَ : (وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنِ الشَّيْخِ عَمْرِو الْعَمُودِيِّ ، عَنِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ) .

وَهُمْ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسَمَيْنِ :

الْقَسَمُ الْأَوَّلُ : بَيْتُ الْقَرْزَاتِ ، وَمَقْدَمُهُمُ الْيَوْمَ : أَبْنُ شَلْيَانَ ، لَا يَزِيدُ عَدَدُهُمُ الَّذِي أَسَارَتْهُ الْمَجَاعَةُ وَالْحُرُوبُ الْيَوْمَ عَنْ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ رَامِيًا^(٢) .

وَالْقَسَمُ الثَّانِي : بَيْتُ عَلِيٍّ وَالْأَفَافِ^(٣) ، وَهُوَ بَيْتُ رِئَاسَةِ حَبْرِيشَ وَبَنِيهِ ، وَمَقْدَمُهُمُ الْيَوْمَ : أَحْمَدُ بْنُ حَبْرِيشَ ، وَلَا يَزِيدُ عَدْدُ بَيْتِ عَلِيٍّ الْآنَ عَنْ تِسْعِ مِائَةٍ ، وَيَنْضَمُّ إِلَيْهِمْ :

(١) سَيْفُ الْبَحْرِ : سَاحِلُهُ .

(٢) أَسَارَتْهُ : أَبْقَتْهُ .

(٣) الْأَفَافَةُ : أَحْزَابُهُ وَجَمَاعَاتُهُ ، وَقَدْ تَكْفَلُ الْمُقْحَفِيُّ بِذِكْرِهِمْ فِي « مَعْجَمِهِ » (٥٠٨) .

بيتُ غرابٍ ، وعددهم نحو الألف . وبيتُ عَجِيلٍ ، وعددهم نحو ألفين . وبيتُ شنيني ، وعددهم نحو الألف . وبيتُ يميني ، وعددهم نحو مئة وخمسين . وبيتُ عُبيدٍ ، وعددهم مئة . وبيتُ سعيدٍ ، نحو مئة وخمسين . وبيتُ بخسني التَّامبول ، نحو مئة وخمسين^(١) .

وَيَنْضُمُ إِلَيْهِمْ مِنْ بَادِيَةِ الْعُلَوِيِّينَ : آلَ قِطْبَانَ^(٢) ، وبيتُ حُمُودَةَ^(٣) ، وَهُمْ نَحْوُ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ . وَالْمَعْتَبَرُ فِي هَذِهِ الْأَعْدَادِ هُمُ الرُّمَيَّانُ .

وخيائهم ضاربةٌ بينَ الشَّخْرِ وَالْمَشْقَاصِ وَحَضَرَ مَوْتَ ، وَلَهُمْ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي « الْأَصْلِ » .

وبالديس جماعةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ شُرَيْمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ^(٤) .

قَالَ شَيْخُنَا فِي « شَمْسِ الظَّهيرةِ » [٣٧٦/١] : (وَقَدْ كَانَ مَكْتُوباً عَلَى عَمْرِ هَذَا أَنَّهُ أَنْقَرَضَ ، وَلَكِنْ وَرَدَ إِلَى تَرْيَمَ فِي سَنَةِ « ١٢٧١ هـ » السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ، وَأُثْبِتَ نَسَبُهُ وَنَسَبُ بَنِي عَمِّهِ بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ إِلَى عَمْرِ الْمَذْكُورِ ، فَأُثْبِتَهُ سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَالْوَالِدُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَنِيدُ ، فَلْيُعْلَمَ ذَلِكَ . وَالسَّادَةُ الْمَذْكُورُونَ بِالْمَقْدَمِ وَالْدِّيسِ^(٥) .

(١) لمعرفة المزيد من بيوت وقبائل الحموم ينظر : « الشَّامِلُ » (١٠٦-١٠٧) ، « أَدْوَارُ التَّارِيخِ » (٣٥٦-٣٥٧) ، « مَعْجَمُ الْمُقْحَفِيِّ » (٥٠٨-٥٠٩) .

(٢) آل قِطْبَانَ ذُرِّيَّةُ السَّيِّدِ قِطْبَانَ بْنِ عَقِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرِ السَّكْرَانِ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، ظَهَرَ فِيهِمْ عُلَمَاءُ وَصُلَحَاءُ ، سَيَّاتِي ذَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي سَيْتُونَ .

(٣) بيت حمودة أيضاً مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرِ السَّكْرَانِ . « الْمَعْجَمُ اللَّطِيفُ » (٦٢-٦٥) .

(٤) وَهُمْ الْمَعْرُوفُونَ بِآلِ الْمَقْدِي .

(٥) وَمِنْ أَعْيَانِ الدِّيسِ السَّادَةُ آلُ الْمَقْدِي : السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْدِي ، الَّذِي ذَكَرَهُ الْحَبِيبُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورُ فِي النَّصْرِ السَّالِفِ .

وَمِنْ أَعْيَانِ الدِّيسِ وَسَكَانِهَا : السَّادَةُ آلُ الْحَدَّادِ ، وَتَقَدَّمَ فِي الْحَامِي الْقَوْلُ بِأَنَّ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ سَالِمِ بْنِ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ ، وَأَنَّ بَعْضاً مِنْهُمْ سَكَنُوا الدِّيسَ .

وَأَشْهُرُ مَنْ عُرِفَ بِالْعِلْمِ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ ، الْعَلَّامَةُ الْكَبِيرُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحْفُوظِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ سَالِمِ بْنِ الْإِمَامِ الْكَبِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ . =

شَرْمَةُ (١)

قد سَبَقَ أَوَائِلَ التَّعْرِيفِ بِالشَّخْرِ عَنْ « نَخْبَةِ الدَّهْرِ » : أَنَّ لِحَضْرَمَوْتَ فُرُضَتَيْنِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، يُقَالُ لِإِحْدَاهُمَا : شَرْمَةٌ ، وَلِلْأُخْرَى : الشَّخْرُ .

وَشَرْمَةٌ هَذِهِ هِيَ فِي شَرْقِي الدِّيسِ إِلَى جَنْبِهِ عَلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ جَدًّا ، وَبِهَا رَسَا أُسْطُولُ الْأَنْرَاكِ فِي حَادِثَةِ مُرَيْرِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا .

وَفِي « مَعْجَمِ يَاقُوت » [٣٣٨/٣] أَنَّ شَرْمَةَ أَسْمُ جَبَلٍ ، يَقُولُ فِيهِ أَوْسُ بْنُ حُجْرٍ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

تَثُوبٌ عَلَيْهِمْ مِنْ أَبَانَ وَشَرْمَةٍ وَتَزَكَبُ مِنْ أَهْلِ الْقَنَانِ وَتَفْزَعُ
وَيَقُولُ تَمِيمُ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ مُقْبِلٍ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

أَرَقْتُ لِبَرْقِ آخِرِ اللَّيْلِ دُونَهُ رِضَامٌ وَهَضْبٌ دُونَ رَمَّانٍ أَفْيَحُ (٢)

= ولد ببلدة الدِّيسِ الشَّرْقِيَّةِ - ويقال لها : ديس الحامي ؛ تميّزاً لها عن ديس المكلاً - سنة (١٣٤٢ هـ) ، ونشأ بها في كنف والده وجده مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَرَحَلَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَهُ مَصْنُفَاتٌ مِنْهَا :
كتاب « السنة والبدعة » ، كتاب فريد بديع في موضوعه ، لم ينسج على مثاله ، انتفع به الناس كثيراً ، وصار مرجعاً حتى لبعض كبار علماء عصرنا وللباحثين ، وطبع مرات . وفناؤه الشَّرْعِيَّةُ فِي النِّوَازِلِ الْعَصْرِيَّةِ . جمعت . ورسالة الصَّيَّامِ ، نشرت بتحقيق السيد علي محمد العيدروس . و« القول المَثْبُوت فِي حُكْمِ دَعَاءِ الْقَنُوتِ » ، ط بتحقيق سبطه حسن الكاف ، و« فتاوى رمضان » ، نشرها بعض تلامذته . وغير ذلك .

وقد فجعت حضرموت بموته في رجب سنة (١٤١٧ هـ) .
ومن جلائل أعماله تَرْؤُسُهُ لِلْجَمْعِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْمَكْلَأِ ، وَالتِّي انبثقت عنها جامعة الأحقاف ، فكان لها شرف أن يكون المترجم رئيساً لمجلس أمنائها من حين تأسيسها سنة (١٤١٥ هـ) إِلَى وفاته ، رحمه الله تعالى .

(١) شرما ، أو شرمه : منطقة بمديرية الشحر ، تقع شرقي الديس إلى الجنوب منه ، كما ذكر المؤلف . وهي عبارة عن لسان رملي صغير ، كان قديماً مركزاً بحرياً ، واعتبر في أيامنا هذه محمية طبيعية للسلاحف العملاقة التي تتواجد هناك بكثرة . « المقحفي » (٨٦٣) .

(٢) الرِّضَامُ : الصُّخُورُ الْعِظَامُ . الْهَضْبُ : الْجِبَالُ الطُّوَيْلَةُ الْمَمْتَنَعَةُ الْمُنْفَرِدَةُ . رَمَّانٌ : جَبَلٌ فِي بِلَادِ طَيِّءٍ . =

بَحْزَنِ شَامٍ كُلَّمَا قُلْتُ قَدْ وَنَى سَنَا، وَالْقَوَارِي الْخُضْرُ فِي اللَّيْلِ جُنَحٌ^(١)
فَأَضْحَى لَهُ جُلْبٌ بِأَكْنَافٍ شَرْمَةٍ أَجَشُّ سِمَاكِيٍّ مِنَ الْوَبْلِ أَفْضَحُ^(٢)
وَأَبَانٌ مذكورٌ في قولِ امرئ القيس [في «معلقته» من الطويل]:

كَأَنَّ أَبَانًا فِي عَرَانِينَ وَبَيْلِهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ^(٣)
فيظهرُ أَنَّ شَرْمَةَ المذكورة في هذين الشعرين هي هذه ؛ لأنَّ امرأ القيس
حضرميٌّ ، وقد ذكرَ أَبَانًا وهو إلى جانبِ شَرْمَةٍ^(٤) .
وَأَبَانَانِ : جبلانِ لبني تميمِ بنِ دارمِ بنِ مُرٍّ^(٥) .

- = الأَفْحَحُ : الواسع . والمعنى : أَرَقْتُ لهذا البرق الذي بيني وبينه تلك العقبات والمسافات الواسعة .
- (١) ونى : ضعف . السَنَا : ضوء البرق . القواري - جمع قارية - وهي : طير قصير الرِّجْل ، طويل المنقار ، أخضر الظهر ، يحبُّ الأعراب كثيراً . جُنَحٌ : كاسرة أجنتها ، مقبلة كاللَّجْءِ الواقع . وفي المخطوط : (والضرار) بدل : (والقواري) .
- (٢) الجُلْبُ : السحاب . أكْنَاف : نواصي . أجَشُّ : في صوته غلظ . سِمَاكِيٍّ : مطر بنوء السَّمَاء ، وهذا على معتقدات أهل الجاهلية الباطلة ، وهو منهى عنه . الوبل : المطر . أفْضَحُ : أبيض .
- (٣) أَبَان : اسم جبل . عرَانِينَ وَبَيْلِهِ : أوائل مطره . البجاد : كساءٌ مخططٌ من أكسية الأعراب . مُزْمَلٌ : ملفوف . وللبيت روايات أخرى غير هذه . والله أعلم .
- (٤) من الملاحظ أن المؤلف يكثر من التدليل على حضرية امرئ القيس بذكره لأسماء مواضع متعددة توجد به (حضر موت) ، والحال أنه يوجد مُثَلٌّ لها في نجد ، حيث نشأ وعاش ، وهذا الأمر يحتاج إلى تحقيق وإعادة نظر ، ولا يمكننا التسرع ورمي المؤلف بالخطأ ؛ إذ لولا وجود مواضع به (حضر موت) في شعر امرئ القيس كـ (دمون) ، وصيلع - وهي مواضع شهيرة ، ومعروفة إلى اليوم به (حضر موت) . . لما كان للمؤلف وهو من هو في العلم والثبوت والاطلاع أن يميل إلى هذا الرأي .
- (٥) علق العلامة الجاسر - رحمه الله - على هذا بقوله : (شربة الوارد في هذه الأشعار : في نجد ، غرب بلاد القصيم بقرب أبانين ، الجبلين اللذين لا يزالان معروفين هناك . ولا صلة لهما بالقارتين اللتين قال عنهما : إنهما لبني تميم بن دارم بن مر . وهنا خطأ ، فتميم هو ابن مُر ، ودارم من فروع بني تميم . والقول بأن أَبَانًا الوارد في شعر امرئ القيس هو في حضر موت لأن امرأ القيس حضرمي . لهذا القول غير صحيح . فامرؤ القيس عاش في نجد ، وأكثر المواضع التي يذكرها في هذه البلاد لا في حضر موت) اهـ

وفي شرقي شَرْمَة ، قَارَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ ، تَقَرَّبُ مِنْهُمَا عَيْنٌ عَذْبَةٌ ، بَيْنَهُمَا خَوْزٌ صَغِيرٌ^(١) . يُقَالُ لَهُ : خَوْزٌ يَضْفُطُ^(٢) ، تَرَسُو بِهِ السُّفُنُ الَّتِي تُهَرَّبُ الْمَسَافِرِينَ - مِنْ الْمَكَلَّاءِ وَالشُّخْرِ - الَّذِينَ لَمْ يُسْمَحْ لَهُمْ بِرُكُوبِ الْبَحْرِ مِنْ سَوَاحِلِ الْقَعِيطِيِّ إِلَى سِيحُوتِ وَالسَّوَاحِلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ ، وَعَمَّالِ الْقَعِيطِيِّ بِتِلْكَ النَّوَاحِي يَغْضُونَ الطَّرْفَ عَنْهُمْ مُسَاعِدَةً لِلْإِنْسَانِيَّةِ^(٣) .

وَمِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ : قُصَيْعَرٌ^(٤) ، وَهِيَ قَرْيَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا ، كَانَتْ تَحْتَ حُكْمِ آلِ عَبْدِ الْوَدُودِ ، وَآخِرُ أَمْرَانِهِمْ بِهَا : جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ . وَمِثْلُهَا الرِّيْدَةُ الَّتِي تَلِيهَا .

وَفِي قُصَيْعَرٍ كَثِيرٌ مِنَ الْمَشَائِخِ آلِ بَاعِبَادٍ ، مِنْ أَوَاخِرِهِمْ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ خَالِدٍ ، أَحَدُ تَلَامِيذِ سَيِّدِنَا الْأَبْرِ عِيدَرُوسِ بْنِ عَمَرَ ، تَوَفَّى بِهَا^(٥) .

وَقَدْ سَأَلْتُ الْمَكْرَمَ الْأَمِيرَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَدُودِ عَنْ كَيْفِيَّةِ خُرُوجِ الرِّيْدَةِ وَقُصَيْعَرٍ عَنْ حُكْمِهِمْ . فَقَالَ : (فِي سَنَةِ « ١٢٩٤ هـ » جَهَّزَ الْقَعِيطِيُّ سَبْعَ سَفَائِنَ ، فِي كُلِّ سَفِينَةٍ مِثْلُ عَسْكَرِيٍّ بِعَتَادِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ مَنَا أَحَدٌ بِقُصَيْعَرٍ ، فَأَخَذُوهَا صَفْوَاً^(٦) ، وَلَمَّا سَمِعْنَا بِعَزْمِهِمْ إِلَى الرِّيْدَةِ . تَحَمَّلْنَا إِلَى بِلَادِ

(١) الخَوْزُ : الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ .

(٢) خَوْزٌ يَضْفُطُ : خَوْزٌ صَغِيرٌ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الْعَرَبِيِّ ، بِالْقَرَبِ مِنْ رَأْسِ شَرْمَةِ ، تَرِبُضُ عَلَيْهِ قَرْيَةٌ تَتَّبِعُ مَرْكَزَ الدِّيْسِ الْحَامِي ، مِنْ مَدِيرِيَّةِ الشُّخْرِ ، وَسَكَانُهُ مِنَ الثَّغِينِ .

(٣) كَانَ هَذَا إِثْبَانًا نَاءَتِ الْمَجَاعَةِ بِكُلِّهَا عَلَى حَضَرَمَوْتَ أَثْنَاءَ تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ .

(٤) تَبْعَدُ قُصَيْعَرٌ عَنِ الشُّخْرِ مَسَافَةً (٦٧ كَم) فِي شَرْقِيَّهَا .

(٥) بَعْدَ سَنَةِ (١٣٤٤ هـ) . وَاسْمُهُ - أَيِ ابْنِ خَالِدٍ - تَامًّا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَبُودِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدَ ابْنِ الشَّيْخِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقِيلٍ بَاعِبَادٍ ، وَفِي رِسَالَةٍ لَهُ مِنْ مَفْتِيِ قَعِطْبَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَسْدُسِ بَاعِبَادٍ مَوْرُخَةٌ فِي (١٣٤٤ هـ) يَطْلُبُ مَفْتِيِ قَعِطْبَةِ الْمَذْكُورِ الْإِجَازَةَ مِنْ ابْنِ خَالِدٍ ، وَيُصِفُهُ فِيهَا بِ(الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْمَكِينِ ، الْعَارِفِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ . .) إلخ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَرْسَلَ لَهُ مَا يَوْجَدُ مِنَ الْمَعْلُومَاتِ لَدَيْهِ عَنْ أَصْلِ بَاعِبَادٍ ؛ إِذْ كَانَ يَنْوِي أَنْ يَجْمَعَ كِتَابًا عَنْ سِيرِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ .

(٦) صَفْوَاً : فِي سَهْوَةٍ وَسِرٍّ .

الْمَهْرَةَ بِكُلِّ مَا نَقْدُرُ عَلَيْهِ ؛ إِذْ لَا قِبَلَ لَنَا بِهِمْ وَلَا نَزِيدُ مَعَ عِبِيدِنَا عَلَى ثَلَاثِينَ مَقَاتِلًا ،
وَكُنَّا عَزَمْنَا عَلَى الرَّحِيلِ إِلَى السَّوَاخِلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ مِثْلَ مَا فَعَلَ النَّقِيبُ ، غَيْرَ أَنَّ سَالِمِينَ بْنَ
حَسَنِ بْنِ قَحْطَانَ الْعَلِيِّ الْحُمُومِيَّ رَدَّنَا إِلَى بِلَادِهِمْ ، وَأَسْكَنَنَا فِي عَسَدِ الْجَبَلِ ، فَاتَّصَلْنَا
بَأَمْوَالِنَا ، وَكَانَتْ فِي ضَوَاحِي قَصِيرٍ وَالرَّيْدَةِ .

وَمَعَ قُوَّةِ الْحُمُومِ إِذْ ذَاكَ لَمْ يَقْدِرِ الْقَعِيطِيُّ عَلَيْهَا ، وَكَانُوا لَا يَعْقِدُونَ صُلْحًا مَعَ
الْقَعِيطِيِّ إِلَّا كَانَ أَمَانُنَا أَوَّلَ شَرِطٍ فِيهِ .

وَعَرَضَ عَلَيْنَا السُّلْطَانُ مَنْصُورُ بْنُ غَالِبٍ غِيلَ ابْنِ يُمَيْنٍ فَلَمْ يُعْجِبْنَا ؛ لِبُعْدِهِ عَنِ
أَمْوَالِنَا .

وَكَانَتْ أُمُّ السُّلْطَانِ مَنْصُورِ الْكَثِيرِيِّ عَمَّتِي - وَلَهَا أُخْتَانِ ، إِحْدَاهُمَا : كَيْمِيَا ، تَحْتَ
عَمْرِ بْنِ حَفْظَ اللَّهِ . وَالْأُخْرَى : سَلْمَى ، تَحْتَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ - فَطَلَبْتُ أُمُّ السُّلْطَانِ
وَصَوْلَنَا ، فَوَصَلْتُ أَنَا وَأَبِي وَعَمَّتَايَ وَزَوْجَاهُمَا ، وَأَقَمْنَا بِسَيْثُونَ نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ
عَامًا ، ثُمَّ عُدْنَا إِلَى عَسَدِ الْجَبَلِ .

وَلَمَّا تَمَّتِ الْمَعَاهِدَةُ بَيْنَ الْكَثِيرِيِّ وَالْقَعِيطِيِّ . . . عُدْنَا إِلَى الرَّيْدَةِ ، وَاجْتَمَعْنَا
بِالسُّلْطَانِ غَالِبِ بْنِ عَوْضِ الْقَعِيطِيِّ - وَهُوَ رَجُلٌ لَا يَعْرِفُ الْحَقْدَ - فَرَأَيْنَا مِنْ لُطْفِهِ مَا لَا
يَفِي بِهِ الْكَلَامُ ، وَأَعْفَانَا مِنْ جَمِيعِ الرُّسُومِ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَنَحْنُ فِي غَايَةِ الرَّاحَةِ) .
هَذَا كَلَامُهُ بِمَعْنَاهُ .

وَكَانَ سُلْطَانُ آلِ عَبْدِ الْوَدُودِ يَوْمَ نَازَلَهُمْ الْقَعِيطِيُّ هُوَ : جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ السَّابِقُ
ذِكْرُهُ .

وَفِي شِمَالِ قَصِيرٍ عَلَى نَصْفِ سَاعَةٍ بِسِيرِ الْأَنْقَالِ قَرْيَةٌ قَدِيمَةٌ ، يَقَالُ لَهَا : مِهْنِمٌ .
وَمِنْ وَرَائِهَا شِمَالًا عَلَى سَاعَتَيْنِ غِيضَةٌ ، يَقَالُ لَهَا : مَغْبَرٌ ^(١) ، مِنْ قَدَامَى الْبِلْدَانِ .

(١) مَعْبَرٌ : مَنَاطِقُ زَرَاعِيَّةٌ مِنْ أَعْمَالِ الشَّحْرِ ، وَبِهَا عَيْنَانِ تَرْوِيَانِ النَّخِيلَ بِهَا ، وَيَعِيشُ سَكَّانُهَا عَلَى الصَّيْدِ ،
وَتَسَمَّى : غِيضَةُ مَغْبَرٍ .

وعلى ثمان ساعات في شمالها : عَسَدُ الْجَبَلِ^(١) السَّابِقُ ذِكْرُهُ ، بهِ ناسٌ مِنْ
الْحُمُومِ : أَلْجَامِخَة ، وبنِي عَجِيلٍ^(٢) ، وسادةٌ مِنْ بَيْتِ حُمُودَة ، وغيرُهُمْ .

الرَّيْدَةُ^(٣)

هي في شرقي قصيعر ، وكانت تسمَّى : (رَيْدَة أَبْنِ حَمْدَات) ، وتسمَّى الْغِيضَة ،
وكانت لآلٍ كثيرٍ ، وكانوا على نوعٍ مِنَ الْقَرْصَنَةِ .

جاء في الْحِكَايَةِ (٤٥) مِنْ « الْجَوْهَرِ الشَّفَافِ » [٩٩/١٠٠] : عَنِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ^(٤) أَنَّهُ قَالَ : (سافرتُ مِنْ ظَفَّارٍ مَعَ بَعْضِ الْهِنُودِ ، فَلَمَّا وَصَلْنَا الْغِيضَةَ
بِلَادِ آلٍ كَثِيرٍ . نَشِبَتْ سَفِينَتُنَا بِجَبَلٍ فِي الْبَحْرِ^(٥) ، فَأَقْبَلَ آلٌ كَثِيرٌ بِسَنَابِقِهِمْ لِيَنْهَبُونَا^(٦) ؛
لَأَنَّ مِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَنْهَبُوا جَمِيعَ مَا فِي الْمَرَاقِبِ الَّتِي تَعَطَّبُ هُنَاكَ ، وَلَكِنْ أَنْبَعَثَتْ
سَفِينَتُنَا قَبْلَ أَنْ يَصِلُونَا . فَفَتَنَاهُمْ ، وَكَانَ هَذَا أَثْنَاءَ الْقَرْنِ السَّابِعِ) .

وفي يومِ الْخَمِيسِ غَرَّةَ جَمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ (١٢٧٢ هـ) رسا بها السُّلْطَانُ
غَالِبُ بْنُ مُحَسِّنِ الْكَثِيرِيِّ مَخْرَجَهُ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى حَضْرَمَوْتِ ، بَعْدَمَا تَمَهَّدَتْ لَهُ إِمَارَتَا
سَيْئُونَ وَتَرِيمَ عَلَى يَدِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ وَأَبْنِ أَخْتِهِ عُبُودِ بْنِ سَالِمٍ .

-
- (١) عَسَد - بكسرتين - ويقال لها : عَسَدُ الْفَايِد ، وأرضها عبارة عن تلال من صخور بركانية سوداء .
 - (٢) بنو عَجِيل هؤُلاءِ مِنْ فَخَائِذِ الْحُمُومِ ، ولا علاقةَ لَهُمْ ببنِي عَجِيلِ السَّاكِنِينَ بِمَدِينَةِ بَيْتِ الْفَقِيهِ بِتَهَامَةِ
الْيَمَنِ .
 - (٣) الرَيْدَةُ الْمُرَادَةُ هُنَا : هي رَيْدَةُ آلِ عَبْدِ الْوَدُودِ . وهي بلدة على الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ السَّاحِلِيِّ لِمَدِينَةِ
الشُّحْرِ ، تبعد عنها مسافة (٤٠ كم) ، سُمِّيَتْ بِحُكَّامِهَا آلِ عَبْدِ الْوَدُودِ الْكَثِيرِيِّينَ ، وكانت تسمَّى :
رَيْدَةُ بَنِ حَمْدَاتٍ كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ ، أو رَيْدَةُ الْمُشَقَّاصِ ، وهي منطقة كثيرة التعاريج والمنحدرات ؛
لكثرة التَّلالِ والجبال ، والوديان ومجاري المياه ، وتقع منازل أهلها في أعالي الجبال وسفوحها ، وفي
بطون الوديان .
 - (٤) الَّذِي فِي « الْجَوْهَرِ » : مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ أَبْنِ الْفَقِيهِ أَحْمَدَ بْنِ عَلَوِيِّ عَمِّ الْفَقِيهِ ، يرويهَا عَنْ عَمِّهِ مُحَمَّدِ بْنِ
الْفَقِيهِ أَحْمَدَ . . وهي الْحِكَايَةُ رَقْمَ (٤٦) فِي النُّسخَةِ الَّتِي لَدَيْنَا . وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ هَذَا هُوَ الْمَلَقَبُ :
(النَّقْعِي) وقد سبقت ترجمته في النَّقْعَةِ .
 - (٥) نَشِبَتْ : عُلِقَتْ .
 - (٦) السَّنَابِيقُ : الزَّوَارِقُ الصَّغِيرَةُ .

وَلَمْ يَكُنِ الْقَعِيطِيُّ بَغَافِلٍ عَنِ اسْتِمْرَارِ الْمَوَاصِلَاتِ بَيْنَ الرَّيْدَةِ وَحَضْرَمَوْتَ ، وَلَكِنَّهُ خَشِيَ الْأَنْفِجَارَ مِنَ الضَّغْطِ . . فَانْتَظَرَ الْفُرْصَةَ الْمُنَاسِبَةَ ، وَلَمَّا أَنْبَثَتْ أَقْرَانُ آلِ كَثِيرٍ بِإِثْرِ هَزَائِمِهِمْ فِي الْحَزْمِ وَصَدَاعِ . . نَهَضَ لَهَا وَلَقِصِير ، فَكَانَ مَا كَانَ^(١) .

وَفِي الرَّيْدَةِ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّادَةِ آلِ الْعِيدَرُوسِ ، وَآلِ الْجَفْرِيِّ ، وَآلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْمَشَائِخِ آلِ بَاحْمِيدٍ ، مِنْهُمْ الْآنَ : الشَّيْخُ النَّبِيُّ الْمَشَارِكُ فِي الْفَقْهِ ، طَلَةُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاحْمِيدٍ .

وَمِنْ وَرَاءِ الرَّيْدَةِ إِلَى الشَّرْقِ : دَمْنَحُ حَسَاجِ^(٢) ، وَدَمْنَحُ أَسْمٍ لِلْجَبَلِ ، وَحَسَاجُ أَسْمٍ لِلْمَكَانِ الَّذِي حَوَالَيْهِ .

وَبِهِ دَلَّلْتُ عَلَى وَجُودِ قَبْرِ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَضْرَمَوْتَ ، كَمَا يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ بَوْرٍ ، وَلَعَلَّ دَمْحًا هَذَا هُوَ الْمَشَارِكُ إِلَيْهِ بِقَوْلِ يَاقُوتَ [٣٩٤/١] : (وَبَرْقَةٌ دَمْنَحُ : أَسْمُ جَبَلٍ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ بَرَاءٍ الْخَثْعَمِيُّ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

وَفَرَّتْ فَلَمَّا أَنْتَهَى فَرُّهَا يُبْرِقَةُ دَمْنَحٍ فَأَوْطَانُهَا
وَقَالَ طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ [مِنْ الطُّوِيلِ] :

فَلَمَّا بَدَا دَمْنَحٌ وَأَعْرَضَ دُونُهُ غَوَارِبُ مِنْ رَمْلِ تُلُوحٍ شَوَاكِلُهُ
وَقَالَ طَهُمَانُ بْنُ عَمْرِو الْكَلَابِيِّ [مِنْ الطُّوِيلِ] :

كَفَى حَزَنًا أَنِّي تَطَالَلْتُ كَيْ أَرَى ذُرَى قُلَّتْنِي دَمْنَحٍ فَمَا تَرِيَانِ

(١) ينظر : « تاريخ بن حميد » (١٥٠ / ٢) .

(٢) الدَّمْنَحُ - بفتح وسكون - : موضع في وادي المسيلة من مديرية سيحوت وأعمال محافظة المهرة ، وقد يقال له : دمنح حساي ؛ نسبة إلى قرية هناك ، وهو الحدُّ الفاصل بين منطقة الحموم (حضرموت القديمة) ومنطقة المهرة ، ولعلَّ الياء في حساي مقلوبة عن الجيم كما هي عادة الحضارمة .
تنبيه : قال العلامة الجاسر - رحمه الله - : (دمنح الوارد في شعر الخثعمي : جبل مشهور من جبال نجد ، لا يزال معروفًا ، وفيه برقة هي التي ذكرها ياقوت في « معجمه » . ولا يدل وجود مكان باسم دمنح في حضرموت بأنه المقصود في الأقوال القديمة التي ذكرها ياقوت وغيره ، ما لم توجد قرية توضح هذا ، ولا قرية هنا) اهـ

وهناك آثارٌ قديمةٌ تدلُّ على ضخامةِ مُلكِ وتقَدُّمِ حضارةِ . وهذا المكانُ هوَ الحَدُّ
الفاصلُ بينَ القعيطيِّ والمهرةِ .

وَمِنْ ورائِهِ إلى جِهَةِ الشَّرْقِ : دَرَفَات ، وهي قَرْيَةٌ فيها مَسْجِدَانِ .

ثُمَّ حَيْرِيج^(١) ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي التَّارِيخِ^(٢) ، قَالَ الطَّيِّبُ بِامْخَرَمَةَ : (وَهِيَ أُمُّ
الْمَشْقَاصِ ، وَفِيهَا مُحَمَّدُ الْحَشْرِيْتُ ، وَشِوْخُهُمُ الْأَشْعَثِيُّونَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسِ
الْكَنْدِيِّ .

وَفِيهَا بَنْدَرٌ يَقْصِدُهُ أَهْلُ الْهِنْدِ وَمَقْدُشُوهُ ، وَيتَوَسَّمُهُ أَهْلُ الشَّخْرِ وَحَضَرَمَوْتُ^(٣) ،
وَيُحْمَلُ مِنْهُ الْكُنْدُرُ^(٤) وَالصَّبِيفَةُ^(٥) إِلَى عَدَنَ وَبَرْبَرَةَ وَجُدَّةَ وَإِلَى كُلِّ مَحَلٍّ . ذَكَرَهَا
القَاضِي مَسْعُودٌ (١١٧) هـ

وَلَكِنَّهَا دُثِرَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَفِيهَا مَسْجِدٌ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدِيمِ عَبَّادٍ .
وَمِنْ ورائِهَا : سِيحُوتُ^(٦) ، عَلَى مَسَافَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ بِالرَّيْحِ الْمَعْتَدِلِ

(١) حيريج : موضع في غربي وادي المسيلة ، ما بين الشحر وسيحوت من بلاد المهرة ، « الشامل »
(١١٧) .

(٢) منها : خروج أهلها سنة (٦١٩ هـ) على ابن مهدي ، وقتل عبد الله الحبوذي بها سنة (٦٤٦ هـ) .
وفاته الشيخ شماس بن أحمد الشعبي بها سنة (٧٤٢ هـ) . وحوادث في (٧٨٩ هـ) ، و (٧٩٠ هـ) ،
و (٧٩١ هـ) . وفي (٨٣٢ هـ) صال سعد بن فارس (بادجانة) من حيريج على ظفار . وظل آل
بادجانة بها إلى سنة (٨٦٣ هـ) . وفي سنة (٨٧١ هـ) أخذها آل كثير . وفي سنة (٩١٢ هـ) حفر
الشيخ عبد الله بأفضل بئراً بها . ينظر : « تاريخ سنبل » (٨٠ ، ٩٣ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٧٠ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢٢٥) . « العدة المفيدة » (٨١ / ١ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٦٧ ، ١٨٠ ،
١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢١٧ ، ٢١٩) .

(٣) يتوسَّمه أهل الشحر : يطلبون كلاً الوسمي ، وهو الكلاً الناتج عن مطر الربيع .

(٤) الكُنْدُر : اللَّبَان ، نوع من العلك ، ويقال له (المستكى) .

(٥) الصَّبِيفَةُ : عند الحضارمة هي زيت كبد الحوت .

(٦) تقع سيحوت في شرقي المكلا ، وتبعد عنها نحو (٥٠ كم) ، وهي عاصمة محافظة المهرة . وتقع
سيحوت على خط الطول (١٥ - ١٨ - ٥١) (واحدة وخمسون درجة ، وثمانية عشرة دقيقة ، وخمس
عشرة ثانية) . وخط عرض (١٤ - ١٥) (خمس عشرة درجة وأربع عشرة دقيقة) .

في السُّفنِ الشَّرَاعِيَّةِ مِنْ يَضْغُطُ ، وَهِيَ الْبِلَادُ الْحُرَّةُ الَّتِي لَمَّا يَطْمِنُهَا الْأَجْنِبِيُّ^(١) ، وَلَوْ لَا حَرَّتْهَا . . مَا أَنْفَتَحَتْ لِلْحَضَارَةِ طَرِيقُ الْهَجْرَةِ لَمَّا أَقْشَعَرَتْ بِهِمْ الْبِلَادُ مِنَ الْمَجَاعَةِ الَّتِي أَبْتَدَأَتْ فِي سَنَةِ (١٣٦٠ هـ) وَلَا تَزَالُ ضَارِبَةً بِجِرَانِهَا^(٢) إِلَى الْيَوْمِ بِسَبَبِ انْقِطَاعِ الْمَوَاصِلَاتِ مِنْ جَاوَةِ الَّتِي هِيَ الْمَنِحَةُ الدَّارَةُ^(٣) لِلْحَضَارَةِ وَمَصْدَرُ السَّعَادَةِ ، خُصُوصاً لَمَنْ نَزَلَ عَنْ شِبَامٍ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتِ^(٤) ، أَمَّا مَا وَرَاءَ شِبَامِ^(٥) . . فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَأَثَّرُوا بِالْأَزْمَةِ تَأَثَّرَ هَؤُلَاءِ ؛ لِاتِّصَالِهِمْ بِالْحِجَازِ وَالْحَبَشَةِ وَالْأُرْتِرَا وَعَدَنَ وَغَيْرِهَا ، مِنْ الْبِلَادِ الَّتِي لَمْ تَنْسَدْ فِي أَيَّامِ الْحَرْبِ .

ولولا ما سمح به نوابُ سلطانِ سيحوت المهرة - جزاهم الله خيراً - مِنْ بَذْلِ الْجَوَازِ لَمَنْكُوبِي حَضْرَمَوْتِ إِلَى السَّوَاخِلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ . . لَمَاتَ مِنْهُمْ بِالْجُوعِ ضِعْفُ مَا قَدْ مَاتَ ، لَكِنَّهُمْ فَعَلُوا مَعَهُمْ جَمِيعاً لَا يَضِيعُ ، وَطَوَّقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ لَا يَنْسَاهُ إِلَّا أَبْنَاءُ الزُّنَا ، بَيْنَمَا ضُرِبَ عَلَيْهِمُ الْحَضْرُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَسُدَّتْ فِي وَجُوهِهِمُ الْأَبْوَابُ مِنْ كُلِّ سَبِيلٍ^(٦) .

وسلاطينُ هذهِ البلادِ على حالتِهِمُ الْبَدَوِيَّةِ ، وَطَبِيعَتِهِمُ الْفَطْرِيَّةِ ، يَمْشُونَ حَفَاةً ، وَلَا شُرْطَةَ وَلَا حُجَابَ ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الشُّوْقَةِ إِلَّا بِمَا عَلَى وَجُوهِهِمْ مِنَ الشَّهَامَةِ :

-
- (١) لم يطمئنها : لم يمسها .
 (٢) الجِرَانُ : مقدمُ العنقِ من مَذْبَحِ البعيرِ إلى منحره ، فإذا برك البعير ومدَّ عنقه على الأرض . . قيل : ألقى جِرَانَهُ بِالْأَرْضِ ، وَهُوَ كَنَايَةٌ عَنِ الْأَمْنِ وَالْإِطْمِئْنَانِ . وَالْمَقْصُودُ هُنَا : أَنَّ هَذِهِ الْمَجَاعَةَ مَا زَالَتْ مُسْتَمِرَّةً كَالْإِنْسَانِ الَّذِي يَجْلِسُ بَيْنَ أَهْلِهِ هَادِئاً الْبَالُ لَا يَفْكُرُ بِالْإِرْتِحَالِ .
 (٣) المنيحة : الشاةُ المعارةُ لِلْإِنْسَانِ كِي يَسْتَفِيدَ مِنْ لَبَنِهَا . الدَّارَةُ : كَثِيرَةُ الدَّرِّ وَالْحَلِيبِ ، وَكَذَلِكَ كَانَتْ بِلَادُ جَاوَةِ .
 (٤) يعني بهم أهلُ حدرى في عرفِ أهلِ حضرموت ، وهم أهلُ القرى والبلدان الواقعة شرقيَّ شِبَامِ .
 (٥) وهم (أهلُ علوى) في عرفِ الحضارمة ، من يسكن الجهة الغربية من شِبَامِ ، والعقاد ، فالقطن وما حوالِها .
 (٦) جرى الله المصنّف خيراً بتدوينه هذه المعلومة التاريخية الهامة ، فإنَّ الأجيالَ المتأخّرةَ تجهل أمثالَ هذا الصَّنِيعِ والجميلِ جهلاً تامّاً ، ولولا التدوين . . لما عرفت الحقائق .

مُتَصَغِّلِكِينَ عَلَى ضَخَامَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عُلُوِّ الشَّانِ^(١)

وعلى قريب منها كانت أحوالُ أمراءِ بلادنا إلى ما قبلَ اليومِ بنحوٍ من ثلاثين عاماً فقط ؛ إذ لم ينخر في عظامهم سوسُ المَدَنِيَّةِ الشُّومِي^(٢) إلا من عهدٍ جديدٍ .

وسلطانُ المَهْرَةِ اليومِ^(٣) في نحوِ الخمسينِ من عمره ، وأسمُهُ : أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمَّدٍ ، ومقرُّهُ سَقَطْرِي ، ولكنَّ أبناءَ عمِّه بسيحوتِ اسْتَقَلُّوا ببعضِ الأمورِ معَ أعترافهم له بالسيادةِ العامَّةِ ورجوعهم إليه في المهمَّاتِ وقد ذكرتُ في «الأصلِ» صاحبَ سَقَطْرِي السُّلْطَانَ عمرَ بمناسبةِ أَنَّ الضَّابِطَ الإنكليزيَّ الْمَسْمُومِي : هينز زارَهُ في سَقَطْرِي ، وحاولَ أَنْ يُرضِيَهُ عنها ؛ لوفائها بما تقصُّدُهُ حكومتُهُ لاستيداعِ الفحمِ بِالْبَحْرِ الهنديِّ ، فقالَ : (إنَّها هبةٌ مِنَ اللَّهِ لِلْمَهْرِيِّينَ ، يتلقاها الأَحْفَادُ عَنِ الْأَجْدَادِ ، ومعاذُ اللَّهِ أَنْ أَكُونَ أَنَا السَّبَبُ فِي تَضْييعِها عليهم) .

ولكنَّهُم تَمَكَّنُوا في (٢٣) أبريلِ سَنَةِ (١٨٨٦ م) مِنْ إِدْخَالِها تَحْتَ الْحِمَايَةِ بِمِيعَادَةٍ ، جَاءَ في الْمَادَةِ الْأُولَى مِنْهَا : (إِنَّ الْحُكُومَةَ الْبَرِيطَانِيَّةَ تَتَعَهَّدُ بِوَضْعِ جَزِيرَةِ سَقَطْرِي وَمِلْحَقَاتِها تَحْتَ سُلْطَةِ السُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَفْرِيرِ وَدَاخِلِ حُدُودِهِ ، تَحْتَ حِمَايَةِ جَلَالَةِ الْمَلِكَةِ الْإِمْبَرَاطُورَةِ) .

وفي الْمَادَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلُ مَا فِي أَخَوَاتِها ، وَهُوَ : (يَتَعَهَّدُ السُّلْطَانُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ أَقَارِبِهِ وَوَرَثَائِهِ بِالْامْتِنَاعِ مِنَ الدُّخُولِ فِي آيَةِ مِرَاسِلَةٍ أَوْ اتِّفَاقِيَّةٍ مَعَ أَيِّ دَوْلَةٍ إِلَّا بَعْدَ إِطْلَاعِ الْحُكُومَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ) .

وعليها إمضاءُ السُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمِ الْمَذْكُورِ .

وشهودُها : محمَّدُ بْنُ صَالِحِ جَعْفَرٍ ، وسالمُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَفْرِيرِ ،

(١) البيت من الكامل ، وهو للمتنبي في « العُكْبَرِي » (١٧٩ / ٤) ، والمعنى : أنَّهم على كثرة ملكهم ، وعظيم قدرهم . . كالصَّعَالِكِ - الفقراء الذين لا مال لهم - لكثرة غزواتهم ؛ فإنَّهم لا يبقى معهم مال ، بل كل ما يغنمونهم يخرجونه ، وهم على عظيم قدرهم يتواضعون إلى النَّاسِ .

(٢) الشُّومِي : أي المشؤومة .

(٣) وكان ذلك سنة (١٣٦٧ هـ)

وسعدُ بنُ أمباركٍ قاضي قِشْن ، ومحمَّد بنُ سعدٍ قاضي قِلَنْسِيَّة^(١) وسقطرى .
والسلطانُ عبدُ اللهِ هذا هوَ والدُ السلطانِ الحاليِّ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سالمِ بنِ
سعيد .

ولسلطانِ المَهْرَةِ أبناءُ عمِّ اليومَ يجاذبونَه الحبالَ بإغراءِ الإنكليزِ ، فلمَ يجدوا مغمَزاً
في قناتِه^(٢) ، ولا مكسراً في عودِه ، وأبى أن يجددَ تلكَ المعاهدةَ بأصرٍّ منها عليه ،
وأصرَّ على أبتعادِه عنهم ، بل بقيَ مصرّاً على التَّباعِدِ عنهم ، غيرَ أنَّه اضطرَّ أن يُعطِيَهُم
مطاراتٍ في سَقَطَرِي وقِشْن بَعْدَ أَخَذِ التَّعْهُدَاتِ عَلَيْهِم بِالْجَلَاءِ بَعْدَ انْتِهَاءِ مَدَّةِ الْحَرْبِ .

ومن سلاطينِ المَهْرَةِ : طوعريُّ بنُ عفرارٍ ، ثمَّ ولدُه سالمُ بنُ طوعريِّ ، ثمَّ ولدُه
سعيدُ بنُ سالمٍ ، ثمَّ أحمدُ بنُ سعيدٍ ، ثمَّ الحكمانِ بنُ أحمدَ ، ثمَّ ابنُه الحكمُ بنُ
الحكمانِ ، ثمَّ ولدُه محمَّدُ بنُ الحكمِ ، ثمَّ سالمُ بنُ محمَّدٍ ، ثمَّ ولدُه ناصرُ بنُ سالمٍ ،
ولعلَّ ناصرًا هذا أخُ لعبدِ اللهِ بنِ سالمٍ المَوْقِعِ على المعاهدةِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا ، واللهُ
أَعْلَمُ .

والضَّرَائِبُ لديهم خفيفةٌ جدًّا ، معَ أنَّهم لا يأخذونَ رسوماً إلَّا في سِيحُوت وقِشْن
فقط ، ولا يأخذونَ شيئاً في بَقِيَّةِ المِرافِيءِ ، ثمَّ لا يأخذونَ إلَّا مِنَ الْغَرِيبِ ، وأما مِنَ
الْأَهَالِي .. فلا ، وغايةُ ما يأخذونَه مِنَ الْغَرَبَاءِ خَمْسَةُ فِي الْمِئَةِ أَسْماً ، وبالحقيقةِ أَقَلُّ
مِنْ ذَلِكَ ؛ لِفَرْطِ التَّسَامُحِ فِي التَّشْمِينِ ، وكثيراً ما يُعْفُونَ مَنْ اسْتَعْفَاهُمْ جَمَلَةً .
وأكثرُ تجارةِ آلِ سِيحُوت وقِشْن وَالْغِيْضَةِ فِي : الْعَنْبَرِ ، وَالصِّيفَةِ ، وَالصَّيْدِ ،
وَالكُوزِيْفِ ، وَالْأَنْعَامِ ، وما أشبهَ ذَلِكَ .

وقد بلغني أَنَّ اللهَ أَرَاخَ السلطانَ أحمدَ بنَ عبدِ اللهِ مِنْ ابْنِ أَخِيهِ الَّذِي كَانَ يُؤْذِيهِ ،
وهو : حَبْرِيشُ بنُ سعيدٍ ، فماتَ فِي سَنَةِ (١٣٦٤ هـ) ودفنوه بِتَرْبَةِ سِيحُوت ،
الْمُسَمَّاةِ : تَرْبَةَ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بَاكْرِيت ، وَهِيَ تَرْبَةٌ جَمِيلَةٌ ، يُظَلُّهَا كَثِيرٌ مِنْ شَجَرِ
الْأَرَاكِ ، وَهِيَ فِي وَسْطِ أَلْبَلَادِ عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنَ الْجَامِعِ .

(١) قِلَنْسِيَّة : وادٍ فِي جَزِيرَةِ سَقَطَرِي ، وَهُوَ مَرْكَزٌ إِدَارِي يُشْمَلُ عِدَّةُ قُرَى .

(٢) الْمَغْمَزُ : الْمَطْعَنُ وَالتَّنْفِرَةُ . الْقَنَاةُ : الرُّمَحُ .

وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَاكِرِيْت هَذَا^(١) مِنْ أَخَصِّ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدِيمِ عِبَادَ ، وَلَهُ فِي مَنَاقِبِهِ ذِكْرٌ كَثِيرٌ ، مِنْهُ : أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ بَسْتَةٌ آلَافٍ دِينَارٍ ، وَبِمِثْلِهَا مِنَ الْبُرِّ وَالطَّعَامِ ، فَأَمَرَهُ بِأَنْ يَدْفَعَ ذَلِكَ لِلخَادِمِ ، فَوَضَعَ الدَّنَانِيرَ بِخِزَانَةٍ تُحَازِي مَجْلَسَ الشَّيْخِ ، وَلَمَّا أَكْثَرَ مِنَ الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ لِلْأَخْذِ مِنْهَا فِي سَبِيلِ الْحَاجَاتِ . . تَشَوَّشَ فِكْرُ الشَّيْخِ ، فَقَالَ لَهُ : (أَقْلَعْ هَذَا أَلْمَالَ - قَلَعَهُ اللَّهُ - فَقَدْ شَوَّشَ عَلَيَّ)^(٢) . أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا أَلْمَعْنَى ، وَعُغْهَدْتُهُ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِاشْمِيلِهِ بِاعْبَادَ^(٣) ؛ فَهُوَ آخِرُ مَنْ أَخْبَرَنِي بِالْقِصَّةِ ، مَعَ أَنَّي كُنْتُ أَحْفَظُهَا بِدُونِ هَذَا الْقَدْرِ الْكَثِيرِ .

وَالَّذِي يَتَحَدَّثُ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ شُيُوخِ آلِ بَاعِبَادٍ : أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بَاكِرِيْت^(٤) هَذَا

(١) ههنا نظر . . فأولاً ذكره بأسم : مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَلَا أُدْرِي فَلَعَلَهُ سَبَقَ قَلَمُ مَنْه ؟ وَأَمَّا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَاكِرِيْت . . فوفاته سنة (٧٣٣ هـ) ، وسنترجم له قريباً . وآل بَاكِرِيْت يُقَالُ إِنَّهُمْ عَقِيلِيُون ، ذَكَرَ ذَلِكَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسِ فِي « رِسَالَتِهِ فِي الْأَنْسَابِ » .

(٢) فِي هَذَا الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَى مَبِثَّةٍ عَظِيمَةٍ مِنْ مَبَاحِثِ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، ذَكَرَهُ مُفَصَّلًا مَطْوًلاً الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْوَاسِطِيِّ فِي كِتَابِهِ « مَجْمَعُ الْأَحْبَابِ » ، - وَهُوَ مِنْ إِصْدَارَاتِ دَارِ الْمَنَهَاجِ بِجَدَّةَ - وَحَاصِلُ مَا فِيهِ بِاخْتِصَارٍ :

أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَذْخِرُ طَعَاماً وَلَا مَالاً إِذَا عَلِمَ أَنَّ هَذَا الْمَالَ أَوْ الطَّعَامَ سَيَشَوَّشُ عَلَيْهِ تَوَكُّلُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَيَتَّكِلُ عَلَى الطَّعَامِ وَالْمَالِ الَّذِي عِنْدَهُ وَيَنْسَى اللَّهَ تَعَالَى ؛ فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِدْخَارِ . وَهَنَاقَ حَالَةٍ ثَانِيَةٍ وَهِيَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَصِلُ فِي حَالَةٍ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَرَى غَيْرَهُ فِي الْوُجُودِ ، فَلَا يَرَى فَاعِلاً حَقِيقِيّاً وَلَا مُتَصَرِّفاً وَلَا رَازِقاً غَيْرَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ هَذِهِ الْحَالَةُ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَذْخِرَ وَلَا يَضْرُرَّهُ فِي إِيمَانِهِ شَيْئاً ؛ فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ أَدْخَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَعْضَ الْمَرَّاتِ .

(٣) الْمَتَوَفَّى بِالْغُرْفَةِ سَنَةِ (١٣٨٤ هـ) تَقْرِيباً ، تَرَجَمْتُهُ فِي « الشُّعْرَاءِ » (٢٣٥ / ٥) .

(٤) الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَاكِرِيْت ، أَحَدُ أَعْيَانِ السَّاحِلِ الْحَضَرَمِيِّ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ الْهَجْرِيِّ ، تَرَبَّى بِأَبِيهِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةِ (٦٦٧ هـ) ، وَبِالشَّيْخِ الْجَلِيلِ الْمُرْشِدِ الصَّالِحِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدِيمِ بِاعْبَادَ (ت ٦٨٧ هـ) ، الْآخِذُ عَنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بِاعْلُوِيٍّ .

كَانَ عَلَى قَدَمِ الصَّلَاحِ وَالْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ ، ذَا مَالٍ وَجَاهٍ ، وَفِي « تَارِيخِ شَنْبِلِ » فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٧٧٦ هـ) ذَكَرَ وَفَاةَ أَحَدِ أَبْنَائِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَسَقَمَ النُّسْخَةَ لَمْ يَتَيَّنَ الْمُحَقِّقُ اسْمَ ذَلِكَ الْإِبْنِ .

وَلَهُ آثَارٌ عِلْمِيَّةٌ . لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بَاكِرِيْت هَذَا . رَاتِبُهُ الْمَشْهُورُ ، وَهُوَ مَجْمُوعَةُ أَذْكَارٍ وَأَدْعِيَةٍ . وَالمَلاحِظُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَدْعِيَةٍ وَأَذْكَارِ هَذَا الرَّاتِبِ تَكَرَّرَ وَتَتَلَّى فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ تَرِيمَ ، لَا سِيَّامَا مَسْجِدَ آلِ أَبِي عَلَوِيٍّ خُصُوصاً بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ .

هو الَّذِي أَخْطَطَ سَيِّحُوتَ بِإِشَارَةِ شَيْخِهِ الْقَدِيمِ ، وَكَانَ خَرَّاجُهَا خَالِصاً لَهُ ، إِلَّا أَنَّهُ يُهْدِي لِمَطْبَخِ الشَّيْخِ الْقَدِيمِ مَا تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُهُ .

وِبَعْضُهُمْ يَكْتُبُ (بَاكِرِيد) بِالذَّالِ ، وَآخَرُونَ يَكْتُبُونَهُ بِالتَّاءِ .

وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٦٦٧ هـ) [ص ٩٩] مِنْ « تَارِيخِ شَنْبَل » : (تَوَفَّى الْأَدِيبُ ، الصَّالِحُ ، الْفَقِيهُ ، عَفِيفُ الدِّينِ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بَاكِرِيدَ ، وَالِدُ الشَّيْخِ الْمَقْبُورِ بِسَيِّحُوتِ) اهـ

وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَخْطَطَهَا ، وَلَكِنْ دَفَنَهُ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ أَبُوهُ قَدْ يُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ .

وَلَا يَزَالُ آلُ بَاعْبَادٍ يَتَقَاضُونَ رِسُوماً وَأَوْقافاً مِنْ بِلَادِ الْمَهْرَةِ حِوَالِي سَيِّحُوتِ ، وَمِنْهُ تَعَرَّفْتُ أَمْتَدَادَ جَاهِ بَاعْبَادٍ ، وَمَا أَدْرِي ! أَهْوَ الَّذِي تَأَطَّدْتُ ^(١) بِهِ الدَّوْلَةُ الْكَثِيرِيَّةُ الْبَائِدَةُ ، أَمْ هُوَ الَّذِي أُنَّسَعَ بِهَا ؟ وَالْمُظَنُّونَ أَنَّ كَلَامَ اسْتِفَادَ مِنْ الْآخِرِ .

وَفِي « بَسْتَانِ الْعَجَائِبِ » لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَقَّافِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ مَا يُصَرِّحُ بِأَنَّ السَّادَةَ آلَ عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ مِنْ آلِ الْحَامِدِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ صَارُوا يُشَارِكُونَ آلَ بَاكِرِيدَ فِي حَاصِلَاتِ سَيِّحُوتِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(٢) .

وَمِنْ وَرَاءِ سَيِّحُوتِ : عَتَابٌ ^(٣) ، فِيهَا قَبِيلَتَانِ مِنَ الْمَهْرَةِ : آلُ ابْنِ عَقِيدٍ ، وَآلُ ابْنِ مُحَامِدٍ .

= وَمِنْ هَذِهِ الْأَذْكَارِ : (يَا اللَّهُ لَنَا بِالسَّعَادَةِ ، وَالْخَاتَمَةِ بِالشَّهَادَةِ . يَا اللَّهُ بِدَعْوَةِ مَجَابَةِ ، وَالْعَرْشِ مَفْتُوحِ بَابِهِ . رَبِّ اسْقِنَا غَيْثَ الْإِيمَانِ ، غَيْثَ الْمَوْدَةِ وَالْإِحْسَانِ . يَا اللَّهُ بِنَظَرَةِ مَنْ اللَّهُ ، نَظَرَةً وَفِيهَا الْمُسْرَةَ) . وَغَيْرَهَا ، وَعِدَّةُ جُمَلٍ « رَاتِبَ بَاكِرِيدَ » : (٢٥) جَمْلَةٌ .

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَلَعَلَّهَا : تَوَطَّدْتُ ؛ أَيْ : ثَبَّتْتُ .

(٢) وَبِسَيِّحُوتِ مَعْهَدٍ وَرِبَاطٍ لِلْعِلْمِ يَسْمَى رِبَاطَ النُّورِ ، أَسَّسَهُ وَدَرَّسَ فِيهِ السَّيِّدُ الْفَاضِلُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْحَامِدِ ، الْمَوْلُودُ بِعَيْنَاتِ سَنَةِ (١٣٢٣ هـ) ، وَالْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٨٤ هـ) .

(٣) عَتَابٌ - بِفَتْحَتَيْنِ مُخَفَّفاً - : رَأْسُ جَبَلِيٍّ فِي سَاحِلِ الْمَهْرَةِ بِالقَرَبِ مِنْ سَيِّحُوتِ ، وَهُوَ مَرْكَزُ إِدَارِيٍّ يَشْمَلُ عِدداً مِنَ الْقُرَى ، مِنْهَا : عَوْبَرُ ، رَخُوتُ ، حَبِيقَتُ ، ضِدْكَ ، جَزُولُ ، رَغْبُونُ ، وَغَيْرَهَا .

ثُمَّ قِشْن^(١) ، وهي مدينة لابأس بها ، يَسْكُنُهَا آلُ عِفْرَار^(٢) ، بَيْتُ سُلْطَنَةِ الْمَهْرَةِ ،
وهي قاعدة ملكهم في البلادِ الْعَرَبِيَّةِ ، ولا يَزِيدُ عَدَدُهُمْ عن ثلاثين رجلاً .

وفي قِشْنِ نَاسٍ مِنْ آلِ بَاعِبْدِه مَنسُوبُونَ إِلَى الْعِلْمِ ، يُتَوَارَثُ الْقَضَاءُ فِيهِمْ ،
وَالْقَاضِي فِيهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ^(٣) هُوَ : الشَّيْخُ أَمْبَارُكُ بْنُ سَعِيدٍ بَاعِبْدِه ، وَهُوَ كَسَلَفِهِ
لا يَحْتَاجُ فِي تَنْفِيذِ أَحْكَامِهِ إِلَى أَوَامِرِ سُلْطَانِيَّةٍ ، بَلْ يَتَلَقَّاها النَّاسُ بِالْقَبُولِ ، وَيَخْضَعُونَ
لِهَا بِهَيْئَةِ الدِّينِ وَسُلْطَانِهِ عَلَى النَّفُوسِ ، وَأَكْثَرُ أَحْكَامِهِمُ الْإِصْلَاحُ . وَبِهَذَا ذَكَرْتُ
مَا كَانَ فِي أَيَّامِ الْأَجْدَادِ ، وَمَا كَانَ يُمَثِّلُهُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فِي الْقَضَاءِ شَيْخُنَا الْوَالِدُ عَلَوِيُّ بْنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَافِ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَسْتَمِدُّ نَفُوذَهُ مِنَ السُّلْطَانِ ، وَإِنَّمَا يَسْتَمِدُّهُ مِنْ
صَوْلَةِ الْحَقِّ وَمُهَابَةِ الدِّيَانَةِ^(٤) .

وَمِنْ وَرَاءِ قِشْنٍ : صِقْرٌ . ثُمَّ حَضُوبِيلٌ ، ثُمَّ رَأْسُ الْفَرَنْكِ ، ثُمَّ خِيصِيَّتٌ ، ثُمَّ
نَشْطُوتٌ ، ثُمَّ خَلْفُوتٌ ، ثُمَّ ضُبُوتٌ ، ثُمَّ هُرُوتٌ . ثُمَّ مُحِيفِيْفٌ ، وَهِيَ : مَرَسَى
الْغِيْضَةِ الَّتِي كَانَ بِهَا مَدْفُنُ الْمَنْصِبِ السَّيِّدِ سَالِمِ بْنِ أَحْمَدَ^(٥) ، وَسَيَّاتِي فِي عَيْنَاتِ ذِكْرٍ
سَبَبِ نَجْوَعِهِ إِلَيْهَا مِنْهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ ، وَلَا يَزَالُ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْقَابِهِ .

مِنْهُمْ : مَنْصِبُهَا الْآنَ : السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ .

وَمِنْهُمْ : الْمَعْمَرُ السَّيِّدُ عِيدَرُوسُ بْنُ مُحْسَنِ ، تَوَفَّى بِشَعْبَانَ مِنْ سَنَةِ (١٣٦٦هـ)
عَنْ نَحْوِ مِنْ تِسْعِينَ عَامًا .

(١) مدينة ساحلية في بلاد المهرة ، تقع في شمال شرق سيحوت ، يتكون خليجها من رأسين بارزين إلى
البحر ، هما : رأس شروين ، ورأس درجة ، بينهما حوالي (١٩ كم) . ويقع أحسن مكان لرسو
السفن عند بندر لَسْكَ ، غربي قِشْن ، حيث تحتمي السفن من الرياح الجنوبية الغربية .

(٢) وقد تُمال فيقال : عَفْرَارٌ .

(٣) أي : عهد المصنّف ، أواسط القرن الرابع عشر الهجري .

(٤) آل باعبد : أسرة معروفة بالعلم كما ذكر المصنّف ، ومنهم جماعة وفدوا على رباط تريم للأخذ عن
الحبيب عبد الله الشَّاطِرِيِّ ، ولا زال منهم قضاة ونوَّاب عقود في قِشْن إلى اليوم .

(٥) سالم بن أحمد بن الحسين ابن الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بن سالم ، كان سيِّدًا فاضلاً ، ذا جاه وحشمة توفَّى
بالغيضة سنة (١٠٨٧هـ) ، ويعرف عند النِّسَابَةِ وأصحاب الطَّبَقَاتِ العلويَّةِ بسالم المهاجر .

ومنهم : ولدهُ عمرُ ، شابٌ نشيطٌ ، يخوضُ غمراتِ البحورِ للملاحَةِ ، وقد جَرَتْ
لَهُ فِيهِ أُمُورٌ هَائِلَةٌ فِي هَذِهِ الْحَرْبِ الْمَشْهُومَةِ .

وفِيهَا سَادَةٌ مِنْ آلِ بَاعِبُودٍ .

منهم : قاضيها الآنَ : السَّيِّدُ سالمُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ زَيْنٍ بَاعِبُودٍ .

وفِيهَا نَاسٌ مِنْ بَيْتِ كَلْشَاتٍ وَبَيْتِ كُدَّةٍ ، كِلَاهُمَا مِنَ الْمَهْرَةِ .

وَمِنْ وَرَاءِ مُحَيِّفٍ إِلَى الْمَشْرِقِ : أَيْرُوبُ ، ثُمَّ الْفَيْدَمِيُّ ، ثُمَّ الْحَصْنُ ، ثُمَّ مِنْ
وَرَائِهِ مُتَشَامِلًا : مَكَانُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَوْهَرِيِّ ، وَهُوَ جَبَلٌ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ .
ثُمَّ الْفَتَكُ ، ثُمَّ دِمَقُوتُ ، ثُمَّ جَاذِبُ ، ثُمَّ حُوفُ . وَهَذِهِ كُلُّهَا أَبْتَدَاءُ مِنْ دَرَفَاتِ بِلَادِ
الْمَهْرَةِ .

ثُمَّ تَبْتَدِئُ أَعْمَالُ ظَفَارَ ، وَأَوَّلُهَا : رَخِيوتُ . ثُمَّ رَيْسُوتُ السَّابِقُ ذِكْرُهَا عِنْدَ حَصْنِ
الْغَرَابِ ، وَكِلَاهُمَا مَرَاسٍ . ثُمَّ ظَفَارُ .

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْحَائِكِ بَعْضَ هَذِهِ الْمَرَاسِي بِأَسْمَاءٍ تَغَايِرُ مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ ، فَإِمَّا أَنْ
تَكُونَ تَبَدَّلَتِ الْأَسْمَاءُ ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ دُثِرَتْ تِلْكَ وَتَجَدَّدَ غَيْرُهَا .

فَقَالَ : (وَأَمَّا إِحَاطَةُ الْبَحْرِ بِالْيَمَنِ مِنْ نَاحِيَةِ دِمَاقُوتُنِي ، فَالْجُمُجْمَةُ ، فَرَأْسُ
الْفَرْتَكِ ، فَأَطْرَافُ جِبَالِ الْيَحْمَدِ وَمَا سَقَطَ مِنْهَا وَأَنْغَارَ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّخْرِ ، فَالشَّخْرُ ،
فُغْبُ الْقَمَرِ ، فُغْبُ الْحَيْسِ ، فُغْبُ الْعُجْبِ بَطْنٌ مِنْ مَهْرَةٍ ، فَالْحَجْرِيَّ ، فَالْأَشْفَارُ) اهـ^(١)

وَفِي « الْقَامُوسِ » : (غُبُ الْقَمَرِ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الشَّخْرِ وَظَفَارِ) .

قَالَ بَامْخَرَمَةَ : (وَهُوَ الْمَعْرُوفُ الْيَوْمَ بَعَثَةُ الْقَمَرِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ خَطَرٌ ، إِذَا سَقَطَتْ
إِلَيْهِ السُّفُنُ . . قُلَّ أَنْ تَسْلَمَ) اهـ

(١) ورد بعض هذه الأسماء بغير هذا الترتيب وبعضها بغير الاسم في « صفة جزيرة العرب » (٩٠-٩١) ،
فقال : وأول إحاطة البحر باليمن من ناحية دِمَاقُوتُنِي ، فَالْجُمُجْمَةُ ، فَرَأْسُ الْفَرْتَكِ ، فَأَطْرَافُ جِبَالِ
الْيَحْمَدِ وَمَا سَقَطَ وَأَنْغَادَ مِنْهَا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّخْرِ ، فَالشَّخْرُ ، فُغْبُ الْحَيْسِ ، فُغْبُ الْغَيْثِ - بَطْنٌ مِنْ
مَهْرَةٍ - فُغْبُ الْقَمَرِ - زَنَةُ قَمَرِ السَّمَاءِ - فُغْبُ الْعُقَارِ - بَطْنٌ مِنْ مَهْرَةٍ - فَالْحَجْرِيَّ ، فَالْأَسْمَاءُ .

وقد سَبَقَ أكثرُ هذا في حصنِ الغرابِ ، وفي (ص ٢٥٨) مجلد أول من « معجم ياقوت » [١٩٨/١] : (الْأَشْفَارُ كَأَنَّهُ جَمْعُ شَفِيرٍ ، وَهُوَ الْحَدُّ ، بَلَدٌ بِالْتَّجْدِ مِنْ أَرْضِ مَهْرَةَ ، قَرِيبَ حَضْرَمَوْتَ بِأَقْصَى الْيَمَنِ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي أَخْبَارِ الرُّدَّةِ) اهـ

وكثيراً ما تشبهُ الْأَشْفَارُ بِالْأَشْحَارِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا عَنْ بامخرمة فِي الشَّخْرِ ، فليُنَبَّهَ لذلك .

ولظفار ذِكْرٌ كثيرٌ بـ « الْأَصْل » [٤٣/٣] ، وفيه : إِمَارَةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلِ السَّقَّافِ^(١) . ثُمَّ إِمَارَةُ السَّيِّدِ فَضْلِ بْنِ عَلَوِيِّ مَوْلَى خِيَلِهِ^(٢) ، وَنَزِيدٌ هُنَا : أَنَّ الَّذِي قَامَ فِي تَوْثِيقِ الْأَمْرِ لِلْسَّيِّدِ فَضْلِ هُوَ : عَوْضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّنْفَرِيِّ ، الْمَلَقَّبُ بِعَوْضِ الْمَوْتِ ، ثُمَّ كَانَ أَكْبَرَ السَّاعِينَ لِإِبْعَادِهِ^(٣) .

وسلطانها اليومَ سَعِيدُ بْنُ تَيْمُورِ بْنِ فَيْصَلِ بْنِ تَرْكِيٍّ ، وَهُوَ دَاخِلٌ تَحْتَ الْحِمَايَةِ

(١) هو السيد الشريف : محمد بن عقيل بن عبد الله بن عقيل بن أبي بكر بن علي بن عقيل بن عبد الله بن أبي بكر بن علوي بن أحمد ابن الشيخ أبي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف . ولد بظفار ، وبها مات مقتولاً سنة (١٢٣٨هـ) ، قيل عنه في « الشجرة » : (كان ذا ثروة عظيمة ، وهمة عليّة ، تولّى جهة مرباط وظفار ، وأقام فيها سنتين ، يعزل ويولي ، ثم قتل ظلماً ، قتله عبده سنة ١٢٣٨هـ) اهـ

وكان للسيد محمد تجارة كبيرة ، وكانت له مراكز تسير إلى سواحل إفريقيا الشرقية وجاوة والهند ، وقد أسر مرة مركباً هولندياً من مرسى بتاوي في قصة غريبة . وأغرب صلاح البكري فزعم أن السيد محمداً حكم ظفار لمدة عشرين سنة ، ولم يذكر هذا غيره . « التاريخ السياسي » (٢٠٧/٢) .
(٢) السيد فضل مولى خيله ، هو السيد العلامة الجليل أمير ظفار ، فضل بن علوي بن محمد بن سهل ، ولد بمليبار سنة (١٢٤٠هـ) ، وبها نشأ وتعلم ، وهاجر إلى مكة المكرمة ، وزار الآستانة العلية في عهد السلطان عبد العزيز خان . واختاره أهل ظفار أميراً عليهم سنة (١٢٩٢هـ) ، ودانت له القبائل ، وظل عليها إلى سنة (١٢٩٧هـ) ، فثارت عليه القبائل فعاونوه الإنكليز على ردعهم .

وعاد إلى الآستانة ، وكانت له حظوة عند السلطان عبد الحميد ، وخلع عليه بعض النياشين السامية ، وأنعم عليه بلقب باشا . وتوفي بالآستانة سنة (١٣١٨هـ) . له ذرية في سورية وتركيا وغيرهما . وله مصنفات عديدة . ينظر : « الأعلام » (١٥٠/٥) ، « الأعلام الشرقية » (٢٣/١) ، « معجم المطبوعات » (١٤٢١) .

(٣) أما اليوم . . فإن ظفار ضمن الحدود السياسية لسلطنة عُمان ، وبظفار قاضيان ، أحدهما للإباضية ، والآخر للشافعية ، وقد كان القاضي بها في زمن المؤلف هو السيد أحمد بن محمد الغزالي البتي ، المترجم له سابقاً في حَجَر .

الإنكليزية من أيام جدّه ، إلّا أنّه متمسكٌ بسائرِ حقوقه ، ولم يظفروا منه بغيرِ مطّارٍ في موضعٍ يُقالُ له : صلاله ، على مقربةٍ من ظفّار ، وهو لا يُمكنُ الإفرنجَ من الاختلاطِ برعاياه ، ولا بدّ لمن أرادَ حاجةً من سوقِ ظفّار أن يأخذَ عسكرياً معه ذهاباً وجيئةً ، ويأخذُ العُشورَ في كلّ ما يصلُهم في الطّيّاراتِ وغيرها ، ولا يبيحُ لهم التّدخلَ في شيءٍ ما من أحوالِ بلادِهِ ، ورَفَضَ أن يقبلَ عملتَهم بالورق ، ولا تزالُ عملُهُ ببلادِهِ بالريّالِ ألفرانصةِ إلى اليومِ ، إلّا أنّه لا يبيحُ لامرأةٍ من رعاياه أن تتزوَّجَ بغيرِهِم^(١) ، وعندهُ قاضيان : قاضٍ للإباضيّةِ ؛ ومنهم : السُلطانُ والعائلةُ المالكةُ ، وقاضٍ شافعيّ هو السيّدُ أحمدُ بنُ محمّدٍ البيّتيّ من آلِ محمّدةَ بحجر .

وقد عوّدَ اللهُ أهلَ ظفّار هطولَ الأمطارِ من نجمِ الشّولِ إلى تمامِ ثلاثةِ أشهرٍ بلياليها ، لا يتخلّفُ عنهم هذا الموسمُ أبداً ، وقد تأتيها الأمطارُ في غيرِ ذلكِ الوقتِ ، وخيراتها دارةٌ ، وبركاتها كثيرةٌ ، ويتحدّثُ النّاسُ أنّ بها عودَ الإكسير .

وفي ظفّار ناسٌ من السّادةِ آلِ عمرَ باعمرٍ ، وآلِ الحدّادِ ، وآلِ باعبودٍ ، وبيتٌ واحدٌ من آلِ الشّيخِ أبي بكرٍ ، وقبائلُ ضواحيها من آلِ كثيرٍ ، فمنهم : المراهينُ ، يبلغونَ ثلاثينَ رجلاً . وآلُ فاضلٍ ، يبلغونَ عشرينَ . وآلُ الشّنافرُ ، يبلغونَ خمسينَ . وبيتٌ راسٍ ، خمسونَ . وآلُ عليّ بنِ كثيرٍ ، نحو ستّ مئةٍ رجلٍ .

ومما يجبُ أن يُلفَتَ النّظرُ إليه : أنّ الشّنافرَ بيتٌ من بيوتِ آلِ كثيرٍ لا يعمّهم فضلاً أن يُطلَقَ على من سواهم .

وقبائلُ المّهرةِ كثيرةٌ ، يبلغُ مجموعُها اثني عشرَ ألفَ رجلٍ ، منهم : آلُ اليزيديّ ، لا ينقُصونَ عن ثمانِ مئةٍ رجلٍ ، وهم بسيحوت . وآلُ بنِ كلّشاتٍ بالغيضةِ ، وحُصُولُ نحوهم . وآلُ الجِدْحِيّ^(٢) بقشِنَ ، كذلكَ نحو سبعِ مئةٍ . وآلُ ابنِ عَنّانٍ كذلكَ ببياديةِ الغيضةِ نحو سبعِ مئةٍ . وآلُ عَفْرارٍ - بيتُ السّلطنةِ - لا يزيدونَ - كما مرّ - عن ثلاثينَ ،

(١) أي : بغيرِ رعاياه .

(٢) ومن آلِ الجِدْحِيّ هؤلاء ، طلاب علم نجباء ، درسوا في رباط العلم بتريم ، ولا زال به إلى اليوم بعض منهم .

وَهُمْ يَقِشْنَ ، وَيَتَرَدَّدُونَ إِلَى سَيَحُوتَ ، وَأَبْنَاءُ عَمَّهِمْ فِي سُقْطَرَى .
 ولا يوجدُ بسُقْطَرَى مِنَ الْمَهْرَةِ إِلَّا الْقَلِيلُ ؛ لِأَنَّهُمْ يَسْتَوْبِثُونَهَا ، وَلَا يَعِيشُ مَنْ ذَهَبَ
 إِلَيْهَا مِنْ مَهْرَةِ سَيَحُوتَ وَقِشْنَ وَعَتَابٍ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ ، ثُمَّ يَعَافِسُهُ الْحِمَامُ^(١) ، وَمَتَى أَرَادَ
 أَهْلُ سُقْطَرَى مَدَدًا لِنَائِيَّةٍ . . أَتَاهُمْ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ مِنْ سَيَحُوتَ وَأَعْمَالِهَا .
 وَفِي « بَسْتَانِ الْعَجَائِبِ » : (أَنَّ لِلْمَهْرَةِ مَحَافِظَةً عَلَى الصَّلَوَاتِ ، وَلَهُمْ لُغَةٌ غَيْرُ
 الْعَرَبِيَّةِ ، يَقَالُ : إِنَّهَا لُغَةُ عَادٍ ، وَأَرْضُهُمْ طَيِّبَةٌ ذَاتُ زَرْعٍ وَنَخْلٍ وَغِيَاظٍ ، وَأَكْثَرُهُمْ
 بَوَادِي فِي الْجِبَالِ) اهـ

وَفِي « الْأَصْلِ » مَا يُصَدَّقُ هَذَا عَنِ الْجَزْوِ^(٢) ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا مُنْتَشِرِينَ
 بِجِبَالِ حَضْرَمَوْتٍ ، وَلَكِنَّهُمْ أَخْلَوْهَا بِالْآخِرَةِ لِلْمَنَاهِيلِ . . فَهُمْ مُنْتَشِرُونَ فِيهَا الْيَوْمَ .

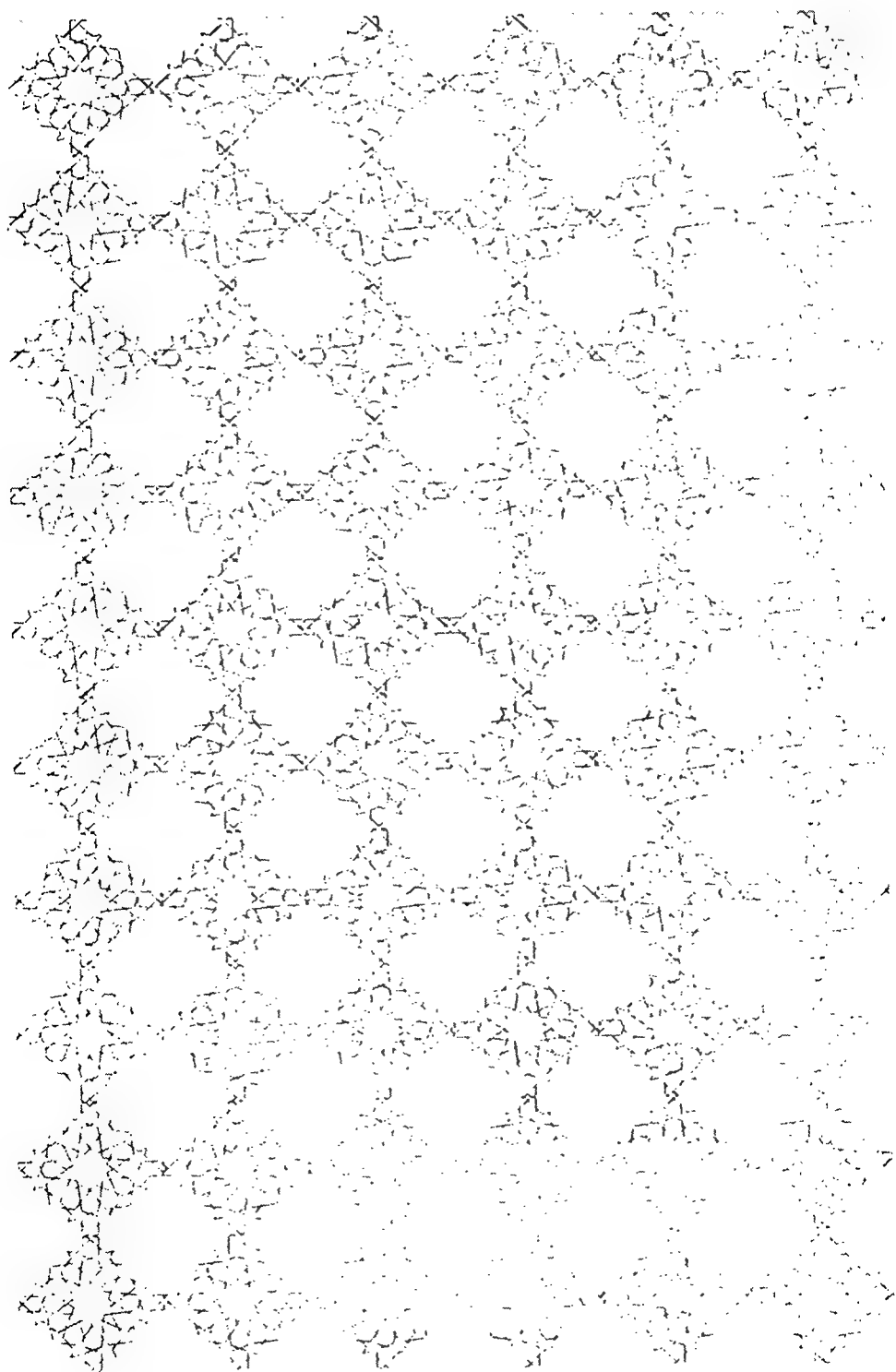
* * *

(١) يَعَافِسُهُ الْحِمَامُ : يَعَارِكُهُ الْمَوْتَ .
 (٢) يَعْنِي بِهِ مَا نَقَلَهُ عَنِ الْمُؤَرِّخِ عَوْضِ بْنِ أَحْمَدَ الْجَزَوِيِّ الشُّبَامِيِّ ، سَبَطَ الشَّيْخُ بِحَرْقِ رَحْمَتِهِمَا اللَّهُ . وَهُوَ
 مُؤَلَّفٌ : « الْفَرَجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ فِي إِثْبَاتِ فُرُوعِ كِنْدَةَ » .



الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي أَوَاسِطِ حَضْرَمَوْتَ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَدْنَاهَا



القسم الثاني

في أواسطِ حَضْرَمَوْتِ مِنْ أَعْلَاهَا إِلَى أَدْنَاهَا

لَمَّا أَنْتَهَى الْكَلَامُ عَلَى شِقِّ حَضْرَمَوْتِ الْجَنُوبِيِّ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهُ . . صِرْنَا إِلَى هَذَا :
قَدْ سَبَقَ أَنَّ حَدَّ حَضْرَمَوْتِ الْغَرْبِيِّ هُوَ جَرْدَان ، وَعَلَى إِزَائِهِ بَشِيءٌ مِنَ التَّفَاوُتِ
شَبُوه ، وَهِيَ فِي شِمَالِهِ .

وَكثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ يوسَّعونَ هَذَا الْحَدَّ إِلَى جِبَالِ مَآرِب ، بَلْ مِنْهُمْ مَنْ يُدْخِلُهَا فِيهِ
كَمَا بـ « الْأَصْل » .

وَتَنْشَعِبُ الطَّرِيقُ مِنْ جَرْدَان : فَمِنْ أَلْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ إِلَى عَمَقِينَ^(١) . وَبِتَشَامُلٍ إِلَى
شُوحَط ، ثُمَّ إِلَى شَرْجِ بَاوْهَال^(٢) ، وَمِنْهُ تَخْرُجُ طَرِيقٌ إِلَى ضِبَابٍ^(٣) وَهُوَ أَسْفَلُ
جَرْدَان .

وَأُخْرَى شَرْقِيَّةٌ تَخْرُجُ عَلَى آلِ بَايُوسُف^(٤) ، وَأَسْمُ مَكَانِهِمْ : الْشُوفُ ، وَمَاؤُهُ يُدْفَعُ
إِلَى جَرْدَان .

(١) وادي عَمَقِينَ - يَفْتَحُ الْعَيْنَ وَالْمِيمَ وَكسَرَ الْقَافَ - : وَادٍ مَشْهُورٌ ، شَرْقِيٌّ عَتَقٌ ، يَصُبُّ فِيهِ وَادِي مِيفَعَةَ
النَّازِلُ إِلَى خَلِيجِ عَدَن ، وَتَوْجَدُ بِهِ قُرَى كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : بَلَدَةُ عَمَقِينَ ، وَمَطْرَحُ بْنُ عَبِيدٍ ، وَجَوْلُ بْنُ
نَشْوَانَ ، وَالْوَجْرُ وَغَيْرَهَا . . وَهِيَ تَتَّبِعُ حَالِيًا مَرْكَزَ الرُّوَضَةِ مِنْ مَدِيرِيَّةِ مِيفَعَةَ ، وَأَعْمَالُ مَحَافِظَةِ شَبُوه .
وَلِلْعَلَّامَةِ عَلَوِيِّ بْنِ طَاهِرٍ تَحْقِيقُ وَافٍ عَنْ هَذَا الْوَادِي فِي « الشَّامِلِ » (٤٧) .

(٢) وَهَذَا الشَّرْجُ يَتَّبِعُ مَدِيرِيَّةً عَرْمًا بِمَحَافِظَةِ شَبُوه . وَآلُ بَاوْهَالٍ مِنْ قِبَائِلِ آلِ بَلْعَبِيدٍ .

(٣) ضِبَابٌ : وَادٍ مَشْهُورٌ بِجَوَارِ الضَّالْعِ ، وَيُقَالُ لَهُ : الضُّبْبُ ، وَتَسْكُنُهُ قَبِيلَةُ آلِ ضِبَابٍ ، وَهِيَ تَنْحَدِرُ مِنْ
قَبِيلَةِ بَنِي هَلَالٍ مِنْ بَطْنِ يُقَالُ لَهُ : النَّمَارَةُ ، وَمِنْ دِيَارِهِمْ : الْبَوِيرْدَةُ ، وَالضُّوَاخِي ، وَالشُّقُّ ،
وَالسُّفَالُ .

(٤) أَيُ : مَوْضِعُهُمْ ، وَآلُ بَايُوسُفَ : مِنَ الْأَسْرِ الْعَرِيقَةِ مِنْ كَنْدَةَ ، وَلَهُمْ تَارِيخٌ عِلْمِيٌّ حَافِلٌ ، لَا سِيَّامًا مِنْ
سَكَنِ شِبَامَا مِنْهُمْ ، وَهُمْ مَفْرُقُونَ فِي الْأَوْدِيَةِ ، وَلَعَلَّ هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ وَادِي جَرْدَانِ هُوَ أَصْلُهُمْ ، وَنَزَحَ
مِنْهُمْ قَوْمٌ إِلَى قَرْنِ مَاجِدٍ بِوَادِي دُوعَن .

وَأَلْ جَرْدَانُ يُقَالُ لَهُمْ : النَّمَارَةُ^(١) ، وَهُمْ وَأَلْ خَلِيفَةُ أَصْحَابِ الْحَاضِنَةِ^(٢) .

وَالنَّسِيُونُ^(٣) أَهْلُ مَرْخَةٍ مِنْ بَنِي هَلَالٍ .

وَتَذْهَبُ طَرِيقٌ أُخْرَى إِلَى الشَّرْقِ الْجَنُوبِيِّ مِنْ جَرْدَانٍ إِلَى السَّوْطِ^(٤) ، وَمِنْهُ رَيْدَةُ الدِّينِ^(٥) .

أَمَّا جَرْدَانُ : فَقَدْ جَاءَ فِي « التَّاج » وَ« أَصْلُهُ » أَنَّهُ : (وَادٍ بَيْنَ عَمَقَيْنِ وَوَادِي حَبَّانٍ) . وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَنْوَاحِ بِأَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ ، وَإِنَّمَا عَمَقَيْنِ فِي غَرْبِي جَرْدَانٍ فَهُوَ - أَعْنِي عَمَقَيْنِ - بَيْنَ جَرْدَانٍ وَحَبَّانٍ ، فَكَأَنَّ الْأَمْرَ أَنْعَكَسَ عَلَيْهِمَا .

وَجَرْدَانُ مَشْهُورٌ بِحُسْنِ عَسَلِهِ ، فَلَهُ شَرْفٌ قَوْلِ الطَّائِي [أَبِي تَمَّامٍ فِي « دِيوانِهِ » ١٢٢/٢ مِنْ الطَّرِيلِ] :

يَرَى الْعَلَقَمَ الْمَادُومَ بِالْعَزْ أَرْيَةً يَمَانِيَّةً وَالْأَزْيَ بِالضَّيْمِ عَلَقَمًا^(٦)
إِذْ عَسَلُ حَضْرَمَوْتَ خَيْرُ عَسَلِ الْيَمَنِ ، وَعَسَلُ جَرْدَانٍ خَيْرُ عَسَلِ حَضْرَمَوْتَ ، إِلَّا أَنَّ
فِي بَعْضِ بِلَادِ الْيَمَنِ كَعُورًا . مَا لَا يَقِلُّ حُسْنًا عَنْ عَسَلِ جَرْدَانٍ ؛ لِأَنَّهُ يَجْرُسُ زَهْرَ
السُّدْرِ^(٧) ، وَهُوَ السَّبَبُ الَّذِي يَمْتَارُ بِهِ عَسَلُ جَرْدَانٍ وَحَضْرَمَوْتَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَطْيَبُ إِلَّا

(١) النَّمَارَةُ : بَطْنٌ مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي هَلَالٍ ، تَقُطُنُ جَرْدَانَ ، وَيَنْقَسِمُونَ إِلَى خَمْسِ قَبَائِلٍ كَبِيرَةٍ : آلُ بَنِ حَسَنِ ، وَآلُ بَنِ عَاطِفٍ ، وَآلُ الْأَخْضَرِ ، وَآلُ ضُبَّابٍ ، وَآلُ سَرِيعٍ ، وَيَتَفَرَّغُ مِنْهُمْ بَيُوتٌ كَثِيرَةٌ .

(٢) الْحَاضِنَةُ : مِنْ قَرْيِ بِلَادِ الدَّكَّامِ فِي الضَّالْعِ ، وَتَمُرُّ بِهَا طَرِيقٌ تُوْدِّي إِلَى جَبَلِ جِحَافٍ عَبْرَ نَقِيلٍ يَنْسَلُخُ .

(٣) النَّسِيُونُ : فَرْعٌ مِنْ قَبَائِلِ بَنِي هَلَالٍ فِي وَادِي مَرْخَةٍ ، مِنْ أَعْمَالِ مَحَافِظَةِ شُبُوبَةِ ، وَهُمْ أَسْرُ كَثِيرَةٍ . وَتَعْرِفُ جِبَالَهُمْ بِجِبَالِ النَّسِيِّينَ ، وَتَمُرُّ بِهَا طَرِيقٌ جَدِيدَةٌ ، تَرْبِطُ بَيْنَ : قَرِيبٍ ، نَقُوبٍ ، جِبَالِ النَّسِيِّينَ ، نَصَابٍ ، عَتَقٍ .

(٤) السَّوْطُ : عِبَارَةٌ عَنْ مَنَاطِقِ صَحْرَاوِيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ ، تَمْتَدُّ مِنْ أَجْوَالِ وَادِي جَرْدَانٍ إِلَى أَجْوَالِ وَادِي عَمْدٍ وَرَخِيَّةٍ شِمَالًا ، وَيَسْكُنُهَا : آلُ هَمِيمٍ ، وَالْجَهْمَةِ ، وَآلُ عَلِيٍّ ، وَالبَاتِسِ ، وَآلُ بَلْعِيدٍ .

(٥) رَيْدَةُ الدِّينِ : بِتَشْدِيدِ الدَّالِ مَعَ فَتْحِهَا وَالْيَاءِ مَعَ كَسْرِهَا : سِيَّاتِي ذِكْرُهَا وَتَفْصِيلُ قَرَاهَا وَبِلْدَانِهَا بَعْدَ يَبْعَثُ ، عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ الضَّلِيعَةِ .

(٦) الْمَادُومُ : الْمَخْلُوطُ . أَرْيَةً : عَسَلًا .

(٧) جَرَسَ النَّحْلُ الزَّهَرَ : أَكَلَهُ ، وَالسُّدْرُ : هُوَ (الْعَلْبُ) الْمَعْرُوفُ بِحَضْرَمَوْتَ .

متى جَرَسَ نَحْلُهُ ذَلِكَ الزَّهْرَ ، أَمَا الَّذِي لَا يَجْرُسُهُ - كَالَّذِي يَعْسَلُ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ - فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا رَدِيئًا لِلغَايَةِ ، وَلَوْ مِنْ جَرْدَانٍ ، وَيَسْمُونُهُ : الْمَرِيَّةَ ، فَتَحْصَلَ أَنَّ الْعَسَلَ لَا يَتَفَاوُثُ إِلَّا مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ .

وبِلَادُ جَرْدَانٍ مِنْ أَقْدَمِ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ ، وَمِنْهَا كَانَ قَيْسُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَرَّانِي الْجُعْفِيَّ ، لَهُ صَحْبَةٌ وَوَفَادَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ وَلَّاهُ عَلَى بَنِي مَرَّانَ بْنِ جُعْفِيٍّ بِجَرْدَانٍ وَأَعْمَالِهَا ، وَعَلَى حُرَيْمِ بْنِ جُعْفِيٍّ ، وَكَتَبَ لَهُ : « مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِقَيْسِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ شَرَّاحِيلَ . . . إِنِّي أَسْتَعْمَلُكَ عَلَى مَرَّانَ وَمَوَالِيهَا ، وَحُرَيْمٍ وَمَوَالِيهَا ، مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَصَدَّقَ مَالَهُ وَصَفَاهُ » (١) .

ومَرَّانَ وَحُرَيْمُ أَخَوَانِ ، أَبُوهُمَا جُعْفِيٌّ ، ضَارِبِينَ فِي جَرْدَانٍ وَوَادِي عَمَدٍ ، قَالَ فِي « التَّلَاجِ » : (وَهُمْ مِنَ الصَّدْفِ ، وَقَدْ دَخَلَ حُرَيْمٌ فِي نَسَبِ حَضْرَمَوْتَ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ الذَّارِقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ النَّسَبِ ، وَذَكَرُوا لِدُخُولِهِمْ أَسْبَابًا لَيْسَ هَذَا مَحَلَّ ذِكْرِهَا) .

وَفِي ذِكْرِ الضُّلَيْعَةِ عَنْ أَبِي الْحَاثِكِ أَنَّ : (رِيْدَةَ الْعِبَادِ وَرِيْدَةَ الْحَزْمِيَّةِ لِلْأَحْرَامِ مِنْ بَنِي الصَّدْفِ) (٢) ، وَالْأَحْرَامُ هُوَ حُرَيْمُ الصَّدْفِيُّ .

قَالَ فِي « الْقَامُوسِ » : (وَوُلِدَ الصَّدْفُ حُرَيْمًا ، وَيُدْعَى بِالْأَحْرَامِ ، وَجُذَامًا وَيُدْعَى بِالْأَجْدُومِ) اهـ ، وَهُمَا بِالضَّمِّ .

وَمِنْ وَلَدِ الْأَحْرَامِ بْنِ جُعْفِيٍّ هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ حُمُرَانَ الْجُعْفِيُّ ، أَحَدُ السَّبْعَةِ الْمُحَمَّدِيِّينَ الَّذِينَ تَسَمَّوْا فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمُحَمَّدٍ (٣) ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَمْرِ الْقَيْسِ مَهَاجَةٌ وَمَنَافَسَاتٌ مَعْرُوفَةٌ (٤) أَقْتَضَتْهَا الْمَزَاحِمَةُ مَعَ قُرْبِ الدِّيَارِ ؛ إِذْ هَذَا فِي (عَمَدٍ) وَذَلِكَ

(١) ذكره ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٣٢٥ / ١) .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٧٠) .

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى أسماء من تَسَمَّوْا فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمُحَمَّدٍ طمعاً فِي النُّبُوَّةِ فَقَالَ : (وَقَدْ جُمِعَتْ أَسْمَاءٌ مِنْ تَسْمَى بِذَلِكَ فِي جِزءٍ مُفْرَدٍ ، فَبُلُغُوا نَحْوَ الْعَشْرِينَ ، لَكِنْ مَعَ تَكَرُّرٍ فِي بَعْضِهِمْ ، وَوَهْمٍ فِي الْبَعْضِ) ، ثُمَّ عَدَّ مِنْهُمْ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا . انظر « فتح الباري » (٥٥٦ / ٦ - ٥٥٧) .

(٤) وَمُحَمَّدُ بْنُ حُمُرَانَ هَذَا يُلقَّبُ بِالشُّويعِرِ ، وَالَّذِي لُقِّبَ بِذَلِكَ أَمْرُ الْقَيْسِ .

بَالْكَسْرِ وَالْهَجْرَيْنِ ، وَكَثِيرًا مَا يَشْهَدَانِ مَجَامِعَ الْأَفْرَاحِ وَالْحُرُوبِ فَيَتَسَاجَلَانِ الْقَرِيضَ^(١) .

وَمِنْ أَهْلِ جَرْدَانَ : سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجَعْفِيُّ ، مِنْ بَنِي حَرِيمِ بْنِ جُعْفَى أَيْضًا ، وَلَهُ صُحْبَةٌ وَوَفَادَةٌ .

وَكَانَ بِجَرْدَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالصَّلَاحِ ، ذَكَرَ الشُّلَيْ فِي ص (٦٦) ج (٢) مِنْ « مُشْرَعِهِ » [١٤٥ / ٢] الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَقِّ الْأَذْيَ كَانَ مُوجُودًا فِي أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّلَاثِ ، وَقَالَ : (إِنَّهُ زَارَ هُودَا عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٢) .

وَجَاءَ فِي ص (٣٠٢) مِنْ « شَرْحِ الْعَيْنِيَّةِ » ذِكْرُ وَلَدِهِ عَبْدِ الصَّمَدِ .

وَفِي « شَمْسِ الظَّهِيرَةِ » : أَنَّ لِلسَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ عَقِبًا بِجَرْدَانَ^(٣) .

وَقَالَ أَبُو الْحَاثِكِ فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » [١٥١] : (وَأَمَّا مِيَاهُ السَّرُّو^(٤) الشَّرْقِيَّةُ فَتَنْصُبُ فِي جَرْدَانَ ، وَمَرْزَحَةٌ قَرِيبٌ مِنْهَا ، وَهِيَ مَوْضِعُ الْأَيَّزُونَ ، وَيَنْتَهِي جَرْدَانُ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ حَضْرَمَوْتَ) اهـ

وَقَوْلُهُ : (إِلَى قَرِيبٍ مِنْ حَضْرَمَوْتَ) إِنْ أَرَادَ بِهِ أَوَاسِطَهَا . . فَنَعَمْ ، وَإِلَّا . . فَهَوَ

(١) الْقَرِيضُ : الشَّعْرُ .

(٢) وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْحَقِّ هَذَا مِنْ بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا : الْعُجَيْمَا ، وَقَبْرُهُ فِي بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا : الْبَارِدَةُ ، قَالَ فِي « الشَّامِلِ » : (آلُ عَبْدِ الْحَقِّ ، وَهُمْ مُشَايِخٌ لَهُمْ جَاهٌ وَمَقَامٌ وَاحْتِرَامٌ ، وَيُقَالُ : إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْحَقِّ كَانَ عَبْدًا لِقَبِيلَةِ الْمُعَوِظَةِ الشَّهْرَةِ بَنَجْرَانَ ، ثُمَّ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ) (١٢٥) .

(٣) الْمَفْهُومُ مِنْ « الشَّمْسِ » أَنَّ بِجَرْدَانَ عِدَّةً مِنَ السَّادَةِ آلِ الشَّيْخِ مِنْ عِدَّةِ قَبَائِلَ ؛ فَفِيهِ سَادَةٌ مِنْ آلِ الْحَامِدِ ، مِنْ ذُرِّيَّةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الْحَامِدِ أَبِي الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ ، وَمِنْ آلِ مُحَسِّنِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْحُسَيْنِ - كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ - وَغَيْرِهِمْ ، تُوُفِّيَ وَالِدُهُ السَّيِّدُ عَمَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَذْكُورَ هُنَا . . بَعَيْنَاتِ سَنَةِ (١١٢٦ هـ) .

(٤) السَّرُّو : مِنَ السَّرَاةِ - وَسِرَاةُ كُلِّ شَيْءٍ أَعْلَاهُ ، وَالْجَمْعُ : سُرُوتٌ ، وَيَقْصَدُ بِهَا : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ عَنْ مَجْرَى الْمِيَاهِ .

وَلِلْفَائِدَةِ : فِي الْيَمَنِ سَرُوتَانِ : سَرُو حَمِيرٍ : وَهُوَ بِلَادُ يَافِعٍ وَمَا جَاوَرَهَا مِنَ الْأَجْعُودِ ، وَسَرُو مَذْحَجٍ : يَعْنُونَ بِهِ الْمَنْطَقَةَ الْوَاقِعَةَ فِي جَنُوبٍ وَشَرْقِ الْبَيْضَاءِ . وَيَتَضَحَّى أَنَّ السَّرُوتَيْنِ مُتَجَاوِرَانِ ، كَمَا أَنَّ سَرُو مَذْحَجٍ كَانَ مَوْطِنًا لِلْحَمِيرِيِّينَ مِنْ ذِي رَعِينٍ ، ثُمَّ تَوَطَّنَتْهُ مَذْحَجٌ .

غلط ؛ لَأَنَّ جَرْدَانَ مِنْ حَضَرَ مَوْتَ كَمَا تَقَرَّرَ .

وبينَ جَرْدَانَ ووادي عَمَد ثلاثة أَيَّامٍ بَسِيرٍ الْأَثْقَالِ ، ونحو ذلك ما بينها وبين سَهْوَةِ رَخِيَةِ .

وَمِنْ عِلْمَاءِ جَرْدَانَ : الشَّيْخُ إِسْمَاعِيلُ الْجَرْدَانِيُّ ، تَخَرَّجَ بِالْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بِافْضَلٍ صَاحِبِ عَدَنَ ، أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٩٠٣هـ) . . فَهُوَ مِنْ أَقْرَانِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي كَلَامِ الطَّيِّبِ .

وَقَالَ الطَّيِّبُ بِامْخَرَمَةِ : (جَرْدَانُ بَيْنَ عَمَقِينَ ووادي حَبَانَ ، يَشْتَمِلُ عَلَى قَرْيٍ ، خَرَجَ مِنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعِلْمَاءِ ، مِنْهُمْ : الْفَقِيهُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجَرْدَانِيُّ ، قَرَأَ عَلَى مَشَايِخِنَا الْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بِافْضَلٍ وَالْوَالِدِ ، وَكَانَ فَقِيهًا مَتَاهِلًا لِلْفَتَوَى ، وَكَثِيرًا مَا يَتَوَلَّى قَسَمَ الصَّدَقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي كَانَ يَتَصَدَّقُ بِهَا الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ طَاهِرٍ .

وَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ دَاوُدَ مَعَهُ مَرَّةً بِخَيْلٍ مُعَدَّةٍ لِلْمُجَاهِدِينَ بِسَعْدِ^(١) الدِّينِ ، وَصَحْبُهُ الْفَقِيهُ أَحْمَدُ بَلْعَسَ ، تَوَفَّى الْمَذْكُورُ بَعْدَ (٢) هـ .

وَقَدْ فُهِمَ مِمَّا مَرَّ أَنَّ قَوْلَهُ : (بَيْنَ عَمَقِينَ ووادي حَبَانَ) مَبْنِيٌّ عَلَى مَا جَاءَ فِي « التَّاجِ » وَ« أَصْلِهِ » مِنَ الْغَلْطِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ رُؤُوسُ جَرْدَانَ مَمْتَدَّةً فِي الْغَرْبِ ، وَرُؤُوسُ عَمَقِينَ مَمْتَدَّةً فِي الشَّرْقِ ، فَيَتَسَرُّ الْجَمْعُ إِذَنْ بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى « الْأَصْلِ » فَرَأَيْتُ مَا نَقَلْتُهُ آخِرَ الْجُزْءِ الثَّانِي قُبِيلَ شَرْحِ بَيْتِي غَالِبِ^(٣) عَنِ الطَّيِّبِ بِامْخَرَمَةِ نَفْسِهِ : أَنَّ عَمَقِينَ وَادٍ بَيْنَ جَرْدَانَ وَحَبَانَ ، وَهُوَ الصَّوَابُ .

(١) ويعرف بَبْرُ سَعْدِ الدِّينِ ، فِي نَاحِيَةِ ظَفَارِ .

(٢) النِّسْبَةُ (٧٢) .

(٣) يَعْنِي بِقَوْلِهِ : (بَيْتِي غَالِبِ) . . الْبَيْتَيْنِ : (٥٢) وَ (٥٣) مِنْ « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » ، وَهُمَا قَوْلُهُ :

وَأَتَبَرَّى غَالِبٌ بِتَنْذِيرِ جَدِّي لِابْنِ طَائِلٍ وَالْفَسَادِ بِنَكْسِ
فَأَسْتَبَّ الْأَمَانُ جِنَاءً مِنَ اللَّهِ وَطَابَ الْوُزُودُ لِلْمُتَحَسِّيِ

وَيَبْتَدِئُ الْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ « بَضَائِعِ التَّابُوتِ » بِشَرْحِ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ . . فليعلم .

شَبُوةٌ^(١)

هِيَ فِي غَرْبِيَّ عَرَمَا ، فِي مَنْتَهَى وادِيهِ ، وَالْبَاقِي مِنْهَا دُويرَاتٌ لآلِ بَرِيكٍ وَعَبِيدِهِمْ
فِي قَارَةِ فَارْدَةِ هِيَ آخَرُ الْجِبَالِ الْجَنُوبِيَّةِ ، تَشْرَفُ عَلَى رَمْلَةِ صِيَهْدَ الْوَاقِعَةِ فِي شِمَالِهَا ،
وَهِيَ فِي مَنَاعَةِ الْهَجْرَيْنِ ، أَوْ هِيَ أَمْنَعُ ، وَفِي وَسْطِ الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مَطْرَحُ رَمَادٍ ،
لَا يَتَخَلَّصُ مَنْ يَقَعُ فِيهِ ، وَلَا يُدْرَى مَا أَصْلُهُ ، وَلَفْظُ شَبُوةٍ يُطْلَقُ عَلَى النَّاحِيَةِ بِأَسْرِهَا ،
وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهَا مِنْ حُدُودِ حَضْرَمَوْتَ الْغَرْبِيَّةِ ، وَبِهِ قَالَ صَاحِبُ « مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ
وَالْخَيْرِ » حَسَبَمَا يَأْتِي فِي الْكُسْرِ ، وَقِيلَ : لَيْسَتْ مِنْهَا قَالَ فِي « التَّاجِ » وَ« أَصْلُهُ » :
(هُوَ وَادٍ بَيْنَ مَأْرَبَ وَحَضْرَمَوْتَ) .

وَقَالَ نَصْرٌ : (عَلَى الْجَادَّةِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلَى مَكَّةَ) .

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : (نَاحِيَةُ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، وَمِنْهُ حَدِيثُ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَتَبَ لِأَقْوَالِ^(٢) شَبُوةَ بِمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ مَلِكٍ)^(٣) .
وَأَخْطَأَ الْفَيْرُوزْأَبَادِي فِي قَوْلِهِ : (إِنَّهَا قَرِيبٌ مِنْ لَحْجٍ) .

(١) شَبُوةٌ : مَدِينَةٌ تَارِيخِيَّةٌ هَامَّةٌ فِي شَرْقِ رَمْلَةِ السَّبْعَتَيْنِ ، كَانَتْ قَدِيمًا عَاصِمَةً دَوْلَةِ حَضْرَمَوْتَ ، وَفِي الدَّوْلَةِ
السَّبْعِيَّةِ كَانَتْ مِنْ أَهَمِّ الْمَدَنِ التِّجَارِيَّةِ ، وَمِنْهَا تَنْطَلِقُ الْقَوَافِلُ التِّجَارِيَّةُ إِلَى سَائِرِ أَنْحَاءِ الْجَزِيرَةِ ، وَيُطْلَقُ اسْمُ
مُحَافَظَةِ شَبُوةِ الْيَوْمِ عَلَى خَمْسِ مَدِيرِيَّاتٍ : عَرَمَا ، وَبِيحَانَ ، وَنَصَابَ ، وَالصَّعِيدَ ، وَمِيفَعَةَ .

تَبْلُغُ مَسَاحَتُهَا (٧٣٩٠٨ كَم) حَوَالِي (١٤ ٪) مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ . وَمَوْقِعُهَا الْجُغْرَافِيُّ مُتَمَيِّزٌ ، وَطَوَّلُ
شَرِيطَتِهَا السَّاحِلِي يَبْلُغُ (١٥٠ كَم) ، وَبِهَا أَهَمُّ تَرَاثٍ حَضَارِيٍّ ؛ فَهِيَ تَجْمَعُ فِي حُدُودِهَا مَوَاقِعَ ثَلَاثِ
مَمَالِكٍ يَمَنِيَّةٍ قَدِيمَةٍ ، هِيَ قَتَبَانَ وَعَاصِمَتُهَا تَمْنَعُ أَوْتَمَنَهُ ، فِي بِيحَانَ كَمَا تَقْدَمُ ، وَأَوْسَانَ وَعَاصِمَتُهَا
مَسُورَهُ ، وَهِيَ فِي وَادِي مَرَخَةِ ، وَحَضْرَمَوْتَ ، وَعَاصِمَتُهَا شَبُوةُ الْقَدِيمَةِ .

وَلَا زَالَتِ الْبَعَثَاتُ الْآثَارِيَّةُ تَنْقُبُ فِي هَذِهِ الْمَنْطَقَةِ ، وَلَا زَالَتِ الْآثَامُ تَتَحَفُّ بِظُهُورِ الْجَدِيدِ مِنَ الْآثَارِ . وَإِنْ
أَرَادَ الْقَارِئُ الْكَرِيمُ شَيْئًا مِنَ التَّفْصِيلِ لْجُغْرَافِيَّةِ شَبُوةَ . . عَلَيْهِ بِ« الشَّامِلِ » (١٢٨-١٣١) .

(٢) الْأَقْوَالُ - جَمْعُ قِيلَ - وَهُوَ : الْمَلِكُ الَّذِي تَحْتَ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ ، وَلَهُ جَمْعُ آخَرٍ :
(أَقْيَالُ) وَالْحَدِيثُ تَقْدَمُ تَخْرِيجُهُ .

(٣) النِّهَايَةُ (٤٤٢ / ٢) .

أَمَّا الطَّرِيقُ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلَى صَنْعَاءَ.. فَسَبْعُ مَرَاكِحَ^(١) : الْأُولَى : مِنْ هَيْنَ
وَعُرُوضِ آلِ عَامِرٍ إِلَى دُهِرٍ . الثَّانِيَةُ : مِنْ دُهِرٍ إِلَى رَمْلَةِ شَبْوَةَ ، مَوْضِعٌ مَعْرُوفٌ .
الثَّالِثَةُ : مِنْهُ إِلَى صَافِرٍ ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْمِلْحِ الْمَشْهُورِ . الرَّابِعَةُ : إِلَى مَأْرَبٍ .
الخَامِسَةُ : إِلَى صِرْوَاكِ . السَّادِسَةُ : إِلَى الْحَمْرَةِ ، قَرْيَةً مِنْ قُرَى خَوْلَانَ . السَّابِعَةُ :
إِلَى صَنْعَاءَ .

وَأَهْلُ زَمَانِنَا وَمَنْ قَبْلَهُمْ بَرَدَجٌ لَا يَسْتَطِيعُونَ هَذَا السَّيْرَ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْأَوَّلُونَ أَهْلُ
نَشَاطٍ وَعِزْمٍ ، وَلِذَا كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْمَوَاصِلَاتُ ؛ لِأَنَّ الْجَزِيرَةَ قَرِيبَةً مِنْ بَعْضِهَا فِي
أَنْظَارِهِمْ .

وَزَعَمَ قَوْمٌ بَأَنَّ شَبْوَةَ لَيْسَتْ بِحَدِّ حَضْرَمَوْتَ الْغَرْبِيِّ ، بَلْ إِنَّهُ يَتَجَاوَزُهَا فَيَشْمَلُ مَأْرَبَ
كَمَا فِي « الْأَصْلِ » ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِظُهُورِ أَثَرِ دَعَائِهِمْ بِتَبَاعُدِ الْأَسْفَارِ عَلَى أَهْلِ
حَضْرَمَوْتَ فَتَفَرَّقُوا عِبَادِيدَ^(٢) .

وَقَالَ أَبُو الْحَاثِكِ فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » [١٧١] : (وَفِيمَا بَيْنَ بَيْحَانَ
وَحَضْرَمَوْتَ شَبْوَةُ ، مَدِينَةٌ لِحِمَيْرٍ ، بِهَا أَحَدُ جِبَلِي الْمِلْحِ ، وَالْجَبَلُ الثَّانِي لِأَهْلِ
مَأْرَبٍ ، فَلَمَّا أَحْتَرَبْتُ حِمَيْرَ وَمَذْحِجَ.. خَرَجَ أَهْلُ شَبْوَةَ مِنْهَا وَسَكَنُوا حَضْرَمَوْتَ ،

(١) وقد امتدَّت شبكة المواصلات الحديثة ، وَوُصِلَتْ صَنْعَاءُ بِوَادِي حَضْرَمَوْتَ مَبَاشَرَةً ، عَنْ طَرِيقِ خُطِّ
إِسْفَلْتِيٍّ جَدِيدٍ ، مُهْدًى وَشُقَّ بَعْدَ قِيَامِ الْوَحْدَةِ الْيَمَنِيَّةِ ، وَافْتُتِحَ رَسْمِيًّا نِهَآيَةَ عَامِ (١٩٩٨م) تَقْرِيْبًا ،
وَيَعْرِفُ بِاسْمِ : (طَرِيقِ صَافِرٍ) يَبْلُغُ طَوْلُهُ نَحْوَ (١٠٠٠ كَم) ، فَسَهَّلَتِ الْحَرَكَةَ وَالتَّنَقُّلَ بَيْنَ الْيَمَنِ
وَحَضْرَمَوْتَ ، أَمَّا مَنْ صَافَرَ نَفْسَهَا إِلَى حَضْرَمَوْتَ.. فَهِيَ (٣٥٠ كَم) .

وَقَدْ كَانَ الْمَصْنُفُ عَلَيْهِ الرَّحْمَاتُ يَقْطَعُ هَذَا الطَّرِيقَ بِلَا شَكٍّ فِي سَفَرَاتِهِ الْمُتَعَدِّدَةِ إِلَى الْيَمَنِ عَلَى
الْمَرَآكِبِ وَالْدَوَابِّ ، وَمِنْ هُنَا سَهَّلَ عَلَيْهِ تَحْدِيدَ الْمَرَاحِلِ وَالْقُرَى ، أَمَّا لَوْ كَانَ السَّفَرُ قَدِيمًا كَمَا هُوَ عَلَيْهِ
الْيَوْمَ.. لَمَا دَوَّنَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ جُغْرَافِيَّةِ الْبُلْدَانِ . وَفِي مَنَاطِقِ صَافِرٍ هَذِهِ تَوْجَدُ مَحْطَّةُ تَوْزِيعِ الْغَازِ
الطَّبِيعِيِّ الَّذِي تَنْتَجِهُ آبَارُ النِّفْطِ الْيَمَنِيَّةِ ، وَبَعِيدُ جَبَلِ صَافِرٍ عَنْ مَأْرَبِ (٨٥ كَم) ، وَكَانَ قَدِيمًا يَسْتَخْرِجُ
مِنْهُ الْمِلْحَ ، فَكَانَ يُسَمَّى جَبَلِ الْمِلْحِ ، أَمَّا الْيَوْمَ.. فَيَسْتَخْرِجُ مِنْهُ النِّفْطَ ، وَكَانَ اكْتِشَافُ أَوَّلِ بَثَرٍ بِتَرْوَلٍ
سَنَةَ (١٩٨٤ م) .

(٢) عِبَادِيدُ : فِرْقًا مُخْتَلَفَةً ، وَيَعْنِي بِهَذَا أَنَّ أَهْلَ حَضْرَمَوْتَ - عَلَى الْقَوْلِ أَنَّ حَضْرَمَوْتَ مِنْ مَأْرَبٍ - قَدْ
أَصَابَتْهُمْ دَعْوَةٌ : « رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا » .

وبهم سُميت شبام ، وكان الأصل في ذلك شباه ، فأبدلت الهاء ميماً (اهـ)
وهو مخالف لما اشتهر أن تريماً وتريساً وشباماً كانوا ثلاثة إخوة سُميت هذه البلاد
بأسمائهم .

وقد خلف على شبوة بعد حمير كنده ، وكان الأعشى يتنابها لمدح قيس بن معدي
كرب الكندي ، وهو القائل [من الطويل] :

أَلَمْ تَرْنِي جَوَلْتُ مَا بَيْنَ مَارِبٍ إِلَى عَدَنٍ فَالْشَّامُ وَالشَّامُ عَانِدُ
وَذَا فَائِشٍ قَدْ رُزْتُ فِي مُتَمَنِّعٍ مِنَ النَّيْقِ فِيهِ لِلْوُغُولِ مَوَارِدُ^(١)
وَنَادَمْتُ فَهَذَا بِالْمَعَاوِرِ حِقْبَةً وَفَهْدٌ سَمَاحٌ لَمْ تَشْنُهُ الْمَوَاعِدُ
وَقَيْسًا بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ أَنْتَجَعْتُهُ فَنِعْمَ أَبُو الْأَضْيَافِ وَاللَّيْلُ رَاكِدُ
وقوله : (بأعلى حَضْرَمَوْتَ) يريد شبوة ؛ لأنها من أعاليها ، وهي قاعدتهم لذلك
العهد .

ولا تزال بشبوة وما تاخمها وما أرتفع إلى الغرب عنها آثار صروح ضخمة وسدود
متقنة ، تدل على حضارة واسعة ، وهندسة عجيبة ، وملك واسع وسلطان نافذ .
وكثيراً ما تظهر الآثار القديمة وقطع الذهب والخواتم بإثر ممر السبيل في رمالها ،
حتى لقد وجد بعض الفقراء الصالحين كوزاً فيه سكة من الذهب لا أدري على من باعها
في مارب بنحو ثلاثة آلاف ريال .

وقد سبق في ميفعة ذكر الهجر ، ثاني مدينة عمرانية كانت بحضرموت ، وفي
موضع من « صفة جزيرة العرب » [١٩٣] لابن الحائك : (أن مخلاف شبوة يسكنه
الأشباء ، والأيزون ، ثم صداء ورهاء) اهـ

وفي موضع آخر منها [١٥١] : (مرخة قريب من جردان ، وهي موضع الأيزون) اهـ
وعندما عصت الرحا بثقالها في الحرب الأهلية الأخيرة^(٢) . . أنقض الشيخ علي

(١) ذوفائش : ملك من ملوك حمير .

(٢) الرحا : ما يطحن فيه الحب ، تكتب بالالف الممدودة والمقصورة ؛ إذ فعلها واوي وبائي . الثفال : =

ناصرُ القَرْدَعِيِّ فَاحْتَلَّهَا^(١) . قِيلَ : بِإِشَارَةٍ مِنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ يَحْيَى حَفَظَهُ اللَّهُ . وَقِيلَ : مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ .

وَالْأَوَّلُ بَعِيدٌ ؛ لِأَنَّ بَيْنَ الْإِمَامِ وَالْحُكُومَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ مَعَاهِدَةٌ تَقْتَضِي بِإِبْقَاءِ مَا كَانَ عَلَى مَا كَانَ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ أَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَهُوَ مِنْ أَوْفَى الْخَلْقِ بِالذَّمِّ ، وَأَرْعَاهُمْ لِلْعَهْدِ ، عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ لَمْ يُضْضِ تِلْكَ الْمَعَاهِدَةَ مُخْتَاراً ، وَلَكِنْ تَحْتَ الْضَغْطِ فِي ظُرُوفٍ مُحَرَّجَةٍ وَبَعْقِبِ حَوَادِثٍ اضْطَرَّتْهُ إِلَى ذَلِكَ ، وَإِلَّا فَمَا كَانَ يَعْتَرِفُ لَهُمْ بِحَقِّ فِي عَدَنَ ، فَضْلاً عَمَّا سِوَاهَا ، ثُمَّ لَمْ يَكُنْ - يَحْفَظُهُ اللَّهُ - لِيَعْتَمِدَ عَلَى الْقَرْدَعِيِّ ، وَهُوَ مِنَ الْمَفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ، لَا يَخْرُجُ مِنْ غَمْدَانٍ إِلَّا عَادَ إِلَيْهِ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَمَهْلُهُ الْإِنْكِلِيزُ أَنْ اسْتَقَالَهَا مِنْهُ ، إِمَّا عَنُوه ، وَإِمَّا بِقَفَّةٍ مِنَ الدَّرَاهِمِ أَبْتَاعُوا بِهَا ضَمِيرَهُ وَذَمَّتَهُ ، وَقَدْ يَتَأَكَّدُ هَذَا بِأَنَّهُمْ أَرْكَبُوهُ عَلَى طَائِرَةٍ فِي تَكْرِمَةٍ إِلَى بِيحَانَ .

وَكَانَ الْقَرْدَعِيُّ يَتَرَدَّدُ عَلَى مَعَ شَيْخٍ قَيْفَةٍ^(٢) - وَاسْمُهُ الذَّهَبُ - أَيَّامَ كُنْتُ بِصَنْعَاءَ أَوَائِلَ سَنَةِ (١٣٤٩هـ) ، وَكَانَ شَيْخٌ قَيْفَةً مِنْ أَجْمَلِ خَلْقِ اللَّهِ ، وَالْقَرْدَعِيُّ مِنْ أَقْبَحِهِمْ ، فَأَتَذَكَّرُ مَا رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ : أَنَّ رَجُلًا قَامَ تَجَاةَ الْمِرَاةِ ، فَلَمَّا رَأَى مُحْيَاهُ

= الجلد الذي يُسَطُّ تحت الرَّحَى لِيَقِيَ الطَّحِينَ مِنَ الثَّرَابِ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ الْحَرْبَ تَدْقُهُمْ دَقُّ الرَّحَى لِلْحَبِّ إِذَا كَانَتْ مَثْقَلَةً ، وَلَا تَثْقُلُ إِلَّا عِنْدَ الطَّحْنِ .

وعليه : فالباء هنا بمعنى مع ؛ أي : طحنتهم الحرب طحن الرحى للحب مع ثفالها .

(١) آل القَرْدَعِيِّ مِنْ زُعَمَاءِ قَبِيلَةِ مُرَادِ الْمُنْجَحِيَّةِ ، دِيَارِهِمْ فِي وَادِي مُضْرَاهِ مِنْ مَدِيرِيَّةِ رَحْبَةِ ، أَعْمَالِ مَحَافِظَةِ مَأْرَبِ . وَأَمَّا عَلِي نَاصِرٌ هَذَا . فَكَانَ مِمَّنْ شَارَكَ فِي قَتْلِ الْإِمَامِ يَحْيَى حَمِيدِ الدِّينِ رَحِمَهُ اللَّهُ سَنَةَ (١٩٤٨م) ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ ، وَإِلَّا . فَالْمَصْنُفُ لَنْ يَغْفَلَ ذِكْرَ ذَلِكَ الْحَادِثِ الْمَرِيرِ . وَلَعَلِّي نَاصِرٌ أَخْ يَدْعِي أَحْمَدَ نَاصِرَ ، أَيْضاً شَارَكَ فِي حَادِثَةِ مَقْتَلِ الْإِمَامِ ، ثُمَّ أَمْسَكَ بِهِ وَسَجَنَ فِي حَبْجَةٍ بَعْدَ فَشَلِّ الْحَرَكَةِ ، ثُمَّ أَمَرَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بِقَتْلِهِ ، وَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِعِ الْجُنُودُ إِخْرَاجَهُ إِلَى سَاحَةِ الْإِعْدَامِ . . فَإِنَّهُمْ أَعْدَمُوهُ رَمِيّاً بِالرَّصَاصِ فِي زَنْزَانَتِهِ ، وَقَدْ صَدَرَ مُؤَخَّرًا كِتَابٌ يَجْمَعُ أَخْبَارَهُ .

(٢) قَيْفَةُ : وَهِيَ الْأُخْرَى مِنْ بَطُونِ مُرَادَ ، مَنَازِلُهُمْ شِمَالِ شَرْقِيِّ رِدَاعِ ، وَهُمْ عَدَّةٌ قَبَائِلُ : آلُ مَصْعَبِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَآلُ نَهْلِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَآلُ رَيْبِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَآلُ سَلِيمِ بْنِ أَحْمَدَ . وَآلُ الذَّهَبِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ الْمَصْنُفُ مِنْ آلِ رَيْبِ بْنِ أَحْمَدَ ، وَكَانُوا مَشَايِخَ قَيْفَةٍ ، وَهُمْ أَيْضاً عَدَّةُ بَيُوتَ ، وَأَمَّا شَيْخُهُمْ حَالِيّاً . . فَهُوَ أَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ جُرْعُونِ ، مِنْ آلِ أَسْلَمَ بْنِ أَحْمَدَ ، مِنْ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ النُّوَابِ (١٩٩٧م) .

الجميل. . قال : اللَّهُمَّ كما حَسَنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي ، فقامَ بِإِثْرِهِ رجلٌ كَرِيهُ
المنظرِ ، فوقعَ في مَازِقِ حَرَجٍ ؛ لَأَنَّهُ إِنْ قَالَ كما قَالَ الْأَوَّلُ . . ضَحِكُوا عَلَيْهِ ، وَإِنْ
سَكَتَ . . وقعَ في الذَّامِ^(١) ، فَتَخَلَّصَ بِأَوْضَحِ حِجَّةٍ حَيْثُ قَالَ [مِنْ الطُّوِيلِ] :

فَإِنْ لَمْ تَكُ الْمِرْأَةُ أَبَدَتْ وَسَامَةً فَقَدْ أَبَدَتْ الْمِرْأَةُ جَنَهَةً ضَيَّعِمَ
ولا سَيِّمًا وَأَنَّ الْخَمُوشَ أَلْتِي شَوَّهَتْ وَجَهَ الْقِرْدَعِيِّ كَانَتْ مِنْ غَضُنْفِرٍ أَوْ نَمِرٍ أَنْشَبَ
بِهِ بَرَائِنُهُ فَقَدَهُ نَصْفَيْنِ ، حَسَبَمَا أَخْبَرَنِي كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ . وسيأتي في وادي الذَّهَبِ مِنْ
أَسَافِلِ حَضْرَمَوْتَ حَدِيثٌ لَامْرَأَةٍ مِنْ بَيْتِ بَرَاهِمٍ يُصَغِّرُ خَبَرَ الْقِرْدَعِيِّ مَعَ النَّمِرِ .

وكثيراً ما سرَّني تصاحبُ الْقَيْفِيِّ وَالْقِرْدَعِيِّ ، معَ أَنَّ بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَشْلَاءِ^(٢) الْمَمْرُوقَةِ
وَالدَّمَاءِ الْمَائِرَةِ^(٣) ما لا يَضْبِطُهُ الْحَدُّ ؛ لَأَنَّهُ يَذْكُرُنِي بِقَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ [في « ديوانه » ١١/١ مِنْ
الطُّوِيلِ] :

إِذَا اخْتَرَبْتَ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتَ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
تُقْتَلُ مِنْ وَتَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا

وهوَ معنَى أَسْتَبَقْتُ فِي مَضْمَارِهِ جِيَادُ الشُّعْرَاءِ ، وَقَصَبَةُ السَّبْقِ لِلْبَحْتَرِيِّ فِي هَذَا
الْبَيْتِ^(٤) ، وَأَصْلُهُ لِمَهْلَهْلٍ فِي قَوْلِهِ [مِنْ الْوَافِرِ] :

بِكْرَهُ قُلُوبَنَا يَا آلَ بَكْرِ نَغَادِيكُمْ بِمُزْهَفَةِ النَّصَالِ^(٥)
وَنَبْكِي حِينَ نَذْكُرُكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقْتُلُكُمْ كَأَنَّا لَا نُبَالِي^(٦)

وقد ذكرتُ منه في « أَلْعُودِ الْهِنْدِيِّ » [٤٩٣/٢] ما يُشَنَّفُ الْأَسْمَاعَ .

(١) الذَّامُ : الْعَيْبُ . وفي المثل : (لا تعدم الحسناء ذاماً) بتخفيف الميم .

(٢) الْأَشْلَاءُ : الْبَقَايَا .

(٣) الْمَائِرَةُ : السَّائِلَةُ .

(٤) قَصَبَةُ السَّبْقِ : كُنَايَةُ عَنِ الْفُوزِ وَالْتَقَدُّمِ ؛ حَيْثُ كَانَ الْمُتَسَابِقُونَ يَوْضَعُ لَهُمْ عِنْدَ نِهَايَةِ السَّبْقِ قَصَبَةً ، فَمَنْ
سَبَقَ إِلَيْهَا . . حَازَهَا وَاسْتَحَقَّ الْجَائِزَةَ .

(٥) نَغَادِيكُمْ : نَقَاتَلَكُمْ فِي الْغَدُوِّ ؛ أَيِ : الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ .

(٦) الْبَيْتَانِ فِي « دِيْوَانِ الْحِمَاسَةِ » (٦٢ / ١) ضَمِنَ قَصِيدَةً مَنْسُوبَةً لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ .

وفي شُبوَة جماعةٌ مِنْ آلِ بريكِ ، وَهُمْ مشايخُ يحملونَ أَسْلَاحَ ، وَلَهُمْ أَحترامٌ بَيْنَ قبائِلِ تلكَ الجَهاَتِ ، وقد تفرَّقوا في وادي جَرَدانَ ، وفي وادي حَوْلَ ، وفي دُهرَ ، وعَرَمَ ، وشُبوَة ، وَهُمْ : آلُ عبدِ الرَّحيمِ ، وآلُ سالمِ بنِ عمرَ ، وآلُ عبدِ القويِّ ، وآلُ باسيفٍ^(١) .

وقد أعطاني المنصبُ المرحومُ السَّيِّدُ حسنُ بنُ سالمِ العَطَّاسُ - أَلَمُتَوَفَّى بِالْمُكَلَّا سَنَةَ (١٣٦٠هـ) - محاضرةً ذَكَرَ أَنَّه أَلْقَاهَا بِالسَّوَاخِلِ الْإِفْرِيقيَّةِ ، جاءَ فيها : (إِنَّ آلَ بُريكَ أَنهَزَمُوا مِنْ إِخوانِهِم آلِ ناعِبِ بِجَبَلِ يافعَ ، فَتَزَلُّوا سواحِلَ حَضْرَمَوْتَ ، وَنَزَلَ بَعْضُهُم أَحَسًا وَالْقُطيفَ وَعَمَانَ ، وَلَمَّا كَثَرَ عَدَدُهُمْ . . نَجَعَ مِنْهُمْ نَحْوَ خَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا ، فَتَزَلُّوا شُبوَة وَأَعْتَقُوا بِهَا عَبْدَهُمُ أَلولِي الصَّالِحَ مُحَمَّدَ بنَ بريكِ ، الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ أَلَمُشايخُ آلِ بريكِ ، وَلَهُ قُبَّةٌ وَزاوِيَةٌ وَمَسْجِدٌ وَمَطْبَعٌ وَخَزِينَةٌ كَتَبَ) .

وكنْتُ أَرَدْتُ إِيرادَ تلكَ المَحاضرةِ بِنَصِّها في « الْأَصْلِ » ؛ لِما لَها مِنْ التَّعَلُّقِ بِدَوْلَةِ آلِ بُريكَ ، غَيْرَ أَنَّ فيها تَجاوِيفَ كَثيرَةً ثَنَّنِي عَنها ، فَاکْتَفَيْتُ بِالإِشارةِ إِلَها .

وفي « فَتَحِ الرَّحيمِ الرَّحْمَنِ » لِصاحبِ الحِمْراءِ : (أَنَّ سَيِّدَنَا الْحَسِينَ بنَ الْعِيدروسِ سارَ مَعَ أُمِّهِ بَنَتِ آلِ بامُذْرِكِ إِلى شُبوَة وَعمرُهُ ثَلَاثُ سَنَواتِ) ؛ أَيَ : سَنَةَ (٨٦٤هـ) قَبْلَ مَوْتِ وَالِدِهِ بَسَنَةِ . وفيهِ : (أَنَّ آلَ بامُذْرِكِ قَوْمٌ صالِحُونَ ، زَهادٌ ، كَرماءُ ، واضِحُونَ) .

وعلى مُقَرَّبَةٍ مِنْ شُبوَة وَمِنْ الْعَبْرِ : مُضارِبُ الْكُربِ^(٢) ، وَمِنْ وُجَهاَتِهِم بِشُبوَة رَجُلٌ

(١) وَمِنْهُمْ أَيْضاً : آلُ غَيْمَسانِ بِشُبوَة ، وآلُ أَحْمَدِ بِحَنَكَةِ بَادِخَنِ ، وآلُ سَنديانِ فِي حِصُونِ سَنديانِ بِعَرَمَ ، وآلُ سَبيانِ فِي الْعَبْرِ . وَلَكِنْ هَلْ آلُ بريكِ أَهْلُ شُبوَة مِنْ يافعِ ؟! كَلَامُ الْعَطَّاسِ الَّذِي أوردَهُ الْمُصَنِّفُ يُوحي بِذلِكَ ، وَتَقَدَّمَ مَعْنَى فِي الشَّحْرِ ذَكَرَ آلَ ناجيِ بنِ عَمَرَ بنِ بريكِ ، وَأَنَّ أَصُولَهُمْ جَاءَتْ مِنْ حَريضةَ . وَيُوجَدُ بِتَريمِ أَيْضاً جَماعةٌ مِنْ آلِ بريكِ ، فِيهِمْ صِلاحٌ وَخَيْرٌ ، وَبِالْمُكَلَّا وَالشَّحْرِ أَيْضاً . . لَكِنْ الَّذِينَ بِتَريمِ يُقالُ لَهُمْ : آلُ بريكِ ، وَالَّذِينَ فِي السَّاحِلِ آلُ بنِ بريكِ . وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ .

(٢) الْكُربُ - بَضْمُ الْكَافِ وَفَتْحُ الرَّاءِ ، مُفْرَدُهُم كُربِي - : هُمُ قَبيلةٌ وَأَرْضُ تَقَعُ شَرْقَ رَمْلَةِ السَّبْعَتَيْنِ ، وَهُمْ الْفَرعُ الثَّانِي مِنْ قَبيلةِ بَلْعَبِيدَ ، أَمَّا الْفَرعُ الْأَوَّلُ . . فَهُمُ آلُ سَلَمَ بِكَسْرِ فَسْكونِ . وَالْكَربُ فِي عِدَادِ مَدِيرِيَّةِ عَرَمَ ، مِنْ أَعْمالِ شُبوَة ، وَهُمْ بَطُونُ عَدَّةٍ .

رَحَالَةٌ يُقَالُ لَهُ : نَاصِرُ بْنُ صَالِحِ بْنِ حَزِيقٍ . وَمرجعُهُم في النَّسَبِ إلى بَلْعُبَيْدٍ ، وَعَدَدُهُم نحو أَلْمَتَيْنِ رَامِيًا ، وَلَكِنَّهُمْ أُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ .

وعلى مقربة : منهم : بلادُ يامٍ ، وحُدُّهم مِنَ الْجَنُوبِ : دهم وَالصَّيْعُرُ ، وَمِنَ الشَّرْقِ أَلْرُبُعُ أَلْخَالِي وَوداي أَلدَّوَاوِسِرِ ، وَمِنَ الشَّمَالِ بلادُ قحطانَ وَثَلِيثَ ، وَمِنَ الْغَرْبِ قحطانَ وَوَادِعَةُ وَبنو جماعة . وسحارُ وَيامُ أَخو مرادِ كلاهما أَبنا عَنَسِ بْنِ مَذْحِجٍ ، وَهناكَ يامُ أُخْرَى مِنْ همدانَ مِنْ وَلَدِ مالِكِ بْنِ جِشْمِ بْنِ حاشِدِ بْنِ جِشْمٍ .

عِزْمًا^(١)

وَادٍ واسعٌ في شَرْقِي شَبُوةَ ، قِيلَ لِي : إِنَّ مَاءَهُ يَنْهَرُ إِلَيْهَا .
وفي أَعْلَى عِزْمًا : حَرَّةٌ بِاعْبُدِ اللَّهِ^(٢) ، فِيهَا آلُ بَادُخَنِ^(٣) مِنْ آلِ بَلْعُبَيْدٍ^(٤) ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آلِ عَمْرِو سَكَّانِ الْكُوَيْرةِ وَالْمافُودِ^(٥) وَحَبِيطُ حُرُوبٍ لَا يَسْكُنُ أَوَارِهَا^(٦) .
وَكُلُّهُمْ مِنْ آلِ بَلْعُبَيْدٍ ، وَعِنْدَهُمْ ثَرَوَةٌ ، وَأَسْلَحَتُهُمْ مِنَ الْعَتَادِ الْأَلْمَانِي ، يَجْلِبُونَهَا مِنْ صَنْعَاءَ .

(١) عِزْمًا - بكسر فسكون - : وادٍ مشهور في الشَّرْقِيَّ الجنوبيِّ من شَبُوةَ ، ينتهي في مغارب وادي حضرموت . قال في « الشَّامِلِ » : وهو سَدٌّ يعترض به الوادي ، ويجمع على عِزْمٍ - بفتح فكسر - قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ ، وهذا أوَّلُ ما يسبق إلى الظَّنِّ ؛ لشهرة شَبُوةَ القديمة الشَّمَالِيَّةِ ، أو هجر شَبُوةَ المشهور تاريخها . فيكون وادِها عرمة قد جعل له الأقدمون سَدًّا يحفظ ماءَهُ لهم إلى وقت الحاجة ؛ حتَّى لا يضيع . وكان وادي معشر المُقاسم لوادي مَخْبُصٍ ، مشهوراً باسم : معشر بن ضمعج ، أحد أجداد قبيلة حضرموت ، وقد ذكره النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كتابه لأهل حضرموت . وفي « الشَّامِلِ » : تفصيل واسع جداً لما أجمل هنا . ينظر : (١٢٧) .

(٢) ذكرها في « الشَّامِلِ » باسم الحرَّة فقط .

(٣) آل بادُخَنِ من آل سلم من آل بلْعُبَيْد .

(٤) آل بلْعُبَيْد : فخذ كبيرة ، تنتمي إلى ذُئيبِ سَعْدٍ - (تصغير ذِيب) - الحميريِّين . وذِيب سعد يحترز بها عن إخوانهم آل ذِيبِ حَمِيرٍ . « الشَّامِلِ » (١٢٥) ، وينظر ما يأتي في (القسم الثالث) من هذا الكتاب .

(٥) المافود : جاء في « الشَّامِلِ » بالتَّاء ، مافوت .

(٦) الأوار : اللَّهْيَب .

وَأَلْ بِأَدْخَنِ يَبْلُغُونَ مَتْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَامِيًا ، وَأَلْ عَمَرُوا لَا يَبْلُغُونَ الْخَمْسِينَ ، وَمَعَ ذَلِكَ . . فَالْتَّصِرُ حَلِيقُهُمْ عَلَى آلِ بِأَدْخَنِ فِي سَائِرِ الْمَعَارِكِ .

وَفِي عِزْمَا جَمَاعَةً مِنْ آلِ بَاكْثِيرٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ الشَّيْخِ طَاهِرِ بْنِ عَيْسَى بْنِ سَلْمَةَ بْنِ عَيْسَى بْنِ سَلْمَةَ بَاكْثِيرٍ ، وَنَاسٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَاكْثِيرٍ .
وَمِنْهُمْ : آلُ سُنْكَرٍ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ سُنْكَرٍ^(١) ، رَجُلٌ سَلِيمُ الصَّدْرِ ، طَيِّبُ النَّفْسِ ، مُحِبٌّ لِلْخَيْرِ ، اسْتَقَرَّ بِالْصُّوْلُو مِنْ أَرْضِ جَاوَةِ ، وَأَثَرُهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ فَقِيرًا .

سَارَ مَعِيَ مِنَ الصُّوْلُو إِلَى جُفْجُجَا تَلْبِيَةً لِدَعْوَةِ الْجَمْعِيَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ لاحتفالها السَّنَوِيِّ فِي عَامِ (١٣٤٦هـ) ، وَحَمَلَنِي مَعَهُ إِلَى يَمِينِهِ فِي سَيَارَةِ لَهُ ، وَهَنَّاكَ سَاوَمَ فِي أُخْرَى عَلَى أَنْ يَزِيدَ عَشْرَةَ آلَافٍ رِبِيَّةً ، ثُمَّ أَطَالَ فِي حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ ، فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : أَوَّلُ مَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ فِي عِزْمَا نَاقَةً اشْتَرَيْتُهَا ، فَعَالَ نَوْمِي^(٢) مِنْ الْفَرَحِ عِدَّةَ لَيَالٍ حَتَّى لَا أَجِدُ جِزَاءً مِنْ مَتْنَةٍ مِنْ ذَلِكَ الشُّرُورِ لِشِرَاءِ هَذِهِ السَّيَّارَةِ الضَّخْمَةِ .

فَقُلْتُ لَهُ : حَسْبُكَ مِنْهَا أَنْهَا تَبْعْتُ لَكَ تِلْكَ الذِّكْرِيَّاتِ الْجَمِيلَةِ .

وَالشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ سُنْكَرٍ أَوْلَادُ أَذْكَيَاءُ ، مِنْهُمْ الْآنَ : عَلِيٌّ وَسَالِمٌ ، يُحِبُّونَ مَعَالِي الْأُمُورِ .

فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا وَلَهُمْ ابْنُ عَمٍّ يَشْرِكُهُمْ فِي التِّجَارَةِ ، وَهُوَ الْوَالِي عَقُودِ الْأَنْكِحَةِ بِالْصُّوْلُو ، وَعَلَيْهِ زِي الصَّلَاحِ .

وَأَخُوهُ سَالِمِينَ هُوَ الَّذِي قَامَ لثَرَوَتِهِمْ لَمَّا كَبَتْ بِهَا حَوَادِثُ أَلْيَابَانِ ، فَهَضَّ بِهَا وَأَعَادَهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ، بَلْ أَحْسَنَ ، وَعِنْدَهُ أَطْلَاعٌ وَلَهُ رَحَلَاتٌ جَوِّيَّةٌ إِلَى أَنْحَاءِ

(١) آلُ سُنْكَرٍ مِنْ أَهْلِ عَرَمَا ، هَاجَرُوا إِلَى جَاوَةِ - أَيْ إِنْدُونِيسِيَا - لَا زَالُوا إِلَى الْيَوْمِ ، وَفِيهِمْ وَجْهَاءُ وَأَفَاضِلُ ، وَكَانَ لِبَعْضِهِمْ أَدْوَارُ اجْتِمَاعِيَّةٍ فَعَالَةٍ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ الْحَضَارِمَةِ بِجَاوَةِ ، تَسْتَحِقُّ الْبَحْثَ وَالتَّدْوِينَ .

(٢) عَالٌ : ارْتَفَعَ ، وَعَالُ نَوْمِي طَارَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ أَوْ الْحُزَنِ .

العالم ، فيأتي فيه قول الأعشى لهوذة الحنفي [من «ديوانه» ٢٤٢ من الطويل] :

فَتَى يَخْمِلُ الْأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ مِنْ النَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكًا
وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمٌ رِخْلَهُ تَشْدُ لَأَقْصَاهَا عَظِيمَ عَزَائِكَا
مُورَثَةٌ مَالًا وَفِي الْمَالِ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا
وفي عِزْمَا - أيضاً - جماعة من آل بُريكَ ، كما سبق في شبوة .

دُهر (١)

هو من وراء عِزْمَا إلى جهة الشرق . قال ياقوت [٢/٤٩١] : (وادٍ دون حَضْرَمَوْتَ) .

ولم يزد عليه «القاموس»^(٢) ، وأنشد شارحُه قولَ لبيد بن ربيعة [في «ديوانه» ١٦٦ من ألوفرا] :

وَأَصْبَحَ رَاسِيًا بِرِضَامٍ دُهْرٍ وَسَالَ بِهِ الْخَمَائِلُ فِي الرِّهَامِ^(٣)

(١) دُهر - بضم فسكون - : وادٍ مشهور في غربي حضرموت ، تشكّل بلدانه أحد المراكز الإدارية التابعة لمديرية عرما ، من أعمال محافظة شبوة ، وهو يسيل إلى الشمال الشرقي ، وينتهي في الرملة . ويسكنه آل عمرو من آل بلعيد في نوعة والخشاوة ، وآل بريك آل عبد الرحيم في مطره ، وآل علي بن أحمد بن بريك في الخرّ ، وآل محيميد في روضة الجديفرة . وممن نسب إلى الوادي : مُحَمَّد بن ناصر الدهري أحد ولاة عينات أيام الدولة القيعية ، وحاكم وادي دوعن في مطلع القرن الرابع عشر : سالم بن علي الدهري . وفي «القاموس» أنه بفتح فسكون ، وهو على خلاف الجاري على الألسنة .

(٢) في «الشامل» (٣٢-٣٣) : (أن قول صاحب «القاموس» - ومثله ياقوت - : أن وادي دهر دون حضرموت خطأ ، بل هو من حضرموت ، وإنما قال الهمداني حين ذكر الطريق : وهو أول حضرموت من ذلك الجانب ، ولم يقل دونها . وإذا كانت جردان معدودة في حدود حضرموت .. فدهر أولى) اهـ

وكلام صاحب «الشامل» هنا متوافق مع قول المصنّف الآتي .

(٣) أصبح : الضمير الذي فيه يعود على البريق في أبيات قبله ، وهو :

أَصْبَحَ تَرَى بِرِيقًا هَبًّا وَهْنًا كَمِصْبَاحِ الشَّعِيلَةِ فِي الذُّبَالِ
راسياً : مستقراً . الرضام : الصخور العظيمة . الخمائيل : الأراضي السهلة الطيبة الكثيرة الشجر . =

وقال مزاحمُ بنُ الحارثِ العُقيليُّ [مِن الطَّويل] :

وَنُنْعِمُ وَلَا يُنْعَمُ عَلَيْنَا وَمَنْ يَقْسِنُ نَدَانَا بِأَنْدَى مَنْ تَكَلَّمَ نَفْضُلِ
وَبِالْخَيْلِ مِنْ أَيَّامِهِنَّ وَشَبُوءَ وَدُهِرٍ وَمَنْ وَقَعَ الصَّفِيحِ الْمُصْقَلِ
ومعناه : أَنَّنَا نَفْضُلُ بِالْخَيْلِ وَأَيَّامِهَا كَمَا قَالَ طُفَيْلٌ [مِن الطَّويل] :

وَلِلْخَيْلِ أَيَّامٌ فَمَنْ يَضْطَبِرْ لَهَا وَيَعْرِفْ لَهَا أَيَّامَهَا الْخَيْرَ تَغَيَّبِ
وكانَ في دهرٍ وشبوةٍ وقائعُ لبني عقيلٍ على بني تميم ، وهما بينَ داريهما ، ذكرهُ البكريُّ
في « معجم ما أستمع » [٥٥٨/٢] وضبطه بالفتح وقال : إِنَّهُ عَلَى لَفْظِ أَسْمِ الزَّمَانِ .
وقد سَبَقَ عَنِ ابْنِ الْأَثِيرِ أَنَّ شَبُوءَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، فَدُهِرٌ مِنْ بَابِ أَوْلَى ؛ لِأَنَّهُ أَسْفَلُ
عنها بكثيرٍ . وَلَهُ ذِكْرٌ فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » [١٦٥] لابنِ الْحَائِكِ يَأْتِي فِي رَخِيَةِ .
وفي دُهِرٍ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثِ مِثَّةٍ رَامٍ مِنْ آلِ بَلْعُبَيْدٍ ^(١) .

رَخِيَّةٌ (٢)

وَادٍ وَاسِعٌ ، فِي شِمَالِهِ : الْمَخَارِمُ ، وَفِي جَنُوبِهِ : سَهْوَةٌ .
قَالَ الْهَمْدَانِيُّ : (مَنْ قَصَدَ حَضْرَمَوْتَ مِنْ بِيحَانَ وَالسَّرَوِ وَدَثِينَةٍ . . فمُخْرِجُهُ مِنْ بَلَدٍ

الرَّهَامُ : الْمَطَرُ الضَّعِيفُ الدَّائِمُ . وَفِي الرَّهَامِ : أَيِ بِسَبَبِ هَذَا الْمَطَرِ الدَّائِمِ ؛ حَيْثُ إِنَّ (فِي) فِي اللُّغَةِ
الْعَرَبِيَّةِ لَهَا عَشْرَةٌ مَعَانٍ ، مِنْهَا : التَّعْلِيلُ ؛ نَحْوُ : دَخَلْتَ امْرَأَةً النَّارَ فِي هَرَّةٍ حَبَسَتْهَا . وَهَذَا الْبَيْتُ
أَنْشَدَهُ فِي « اللَّسَانِ » وَ « النَّجَّاحِ » هَكَذَا بِقَافِيَةِ مِمْيَةٍ . وَلَكِنْ الْبَيْتُ فِي « الدِّيَّوَانِ » مِنْ قَصِيدَةٍ لَامِيَّةٍ
مُؤَلَّفَةٍ مِنْ سِتِّينَ بَيْتًا ، مَطْلَعُهَا :

أَلَمْ تَلْتَمِمْ عَلَى الدَّمَنِ الْخَوَالِي لِسَلْمَى بِالْمَذَانِبِ فَالْقَفَالِ
وَقَافِيَتُهُ فِي « الدِّيَّوَانِ » : (فِي الرُّمَالِ) . وَالْمَعْنَى : إِنَّ هَذَا الْبَرْقَ الَّذِي لَمَعَ فِي آخِرِ اللَّيْلِ جَاءَ
الصَّبَاحَ وَقَدْ اسْتَقَرَّ عَلَى صُخُورِ هَذَا الْبَلَدِ الْمَسْمُومِ : دُهِرًا . وَمِنْ شِدَّةِ الْخَيْرِ الَّذِي فِي هَذَا الْبَرْقِ . .
سَأَلَتِ الْأَرَاضِي ذَاتَ الْأَشْجَارِ إِلَى الْأَرَاضِي ذَاتَ الرُّمَالِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

- (١) وَهُمْ آلُ عَمْرِو وَغَيْرُهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يُقَالُ لَهُمْ : آلُ بَادُهْرِي . مِنْ آلِ هَمِيمٍ .
- (٢) وَادِي رَخِيَّةٍ : يَقَعُ بَيْنَ وَادِي عَمَدٍ شَرْقًا ، وَوَادِي دُهِرٍ غَرْبًا ، قَالَ بِامُخْرَمَةِ فِي « النَّسْبَةِ » : (الرَّخِيَّةُ)
نِسْبَةً إِلَى رَخِيَّةٍ - بِالْفَتْحِ وَسُكُونِ الْخَاءِ وَفَتْحِ الْمِثْنَةِ مِنْ تَحْتِ ثَمَّ هَاءٍ - قَالَ الْقَاضِي مَسْعُودٌ : جِهَةٌ عَرِضَةٌ =

= ذات مزارع على المطر ، جبلية ، وأشجارها عُلوْب ، وفيها بعض نخيل ، وسكانها آل بلعيد ، وآل شحبل وبعض من كندة) اهـ

وهذا الوادي يسيل من الجنوب إلى الشمال ، ويفضي إلى رمل الحزار الواقع جنوب ريدة الصَّيَّع ، وهو وادٍ مستطيل ، يساقي دهر وعرما ووادي عمد . وهذه أسماء أجزاء جبله الشرقي المشرف عليه من أعلاه : ساني ، فَعْمَقان ، فدَمَت بن فريد ، فُخْشَم مَتَمَّة ، فُخْشَم قويرات ، فُخْشَم الصُّدُوع بَضْمَتَيْن ، وهو خشم يمتدُّ إلى الغرب . وبالجانب الغربي من أسفل الوادي : الحسوة ، وبير عامر ، حيث الارتفاع : (٢٦٥٠) قدم ، وبالجانب الشرقي : بئر حَديجان حيث الارتفاع : (٢٦٠٠) قدم ، فبئر عاصم حيث الارتفاع : (٢٥٧٠) قدماً . وظهور جباله - أي سيطانه - فيها : الجَهْمَة ، بفتحات - من آل بلعيد ، وآل سُمَيْدَع من آل علي . « الشَّامِل » (١٣٢) .

بلدان وادي رحية : أوَّل بلد فيه من أعلاه : البُدَيْعا : فيها آل لَحُول (الأَحُول) . ٢- الحُجَيْل : فيها آل دُهر ، وآل زَوَيْع بفتح الزَّاي فسكون . ٣- دار الرُّقَاب : فيها آل علي بن مُحَمَّد ، وآل باعْفِي - بكسر ففتح . ٤- لَعَمَق = الأعَمَق : لآل أحمد بن عمرو ، وكلُّ هَؤُلَاءِ من الجَهْمَة ، رئيسهم بامزْعَب . ٥- سَهْوَة : أكبر قرية في وادي رحية ، سكانها آل العمودي ، وآل بفلح ، والمنصب في بيت الشَّيْخ عبد الله بن أفلح بفلح . ٦- مَرَاوِج : فيها آل بفلح . ٧- حصن آل عمر بن علي : الجَهْمَة . ٨- حصون آل سعد : من آل سميدع . ٩- سلمون : فيها مقدَّم آل سميدع ، وحرَّث يقال لهم آل باقُسيَس . ١٠- حصن الشرقي : لآل سميدع . ١١- حصن الحَيْزَة : بفتح الحِجَم ، لهم أيضاً . ١٢- قرية القرم : سكانها آل الشَّيْخ بوبكر ، وفي مصنعتها : القراميش . ١٣- حصن الهجر : فيه القراميش . ١٤- لَف = اللَّنف : في المصنعة . ١٥- بادِعام : سكانها آل باعفي من آل هَمِيم ، وأخلاط من الحرَّائين . ١٦- الجُدْفرة : لآل بادِعام من آل هَمِيم . ١٧- لَعَمَق : فيه الكِسران ، من آل بادِعام ، وحرَّاثون . ١٨- قرن طوع : سكانها السَّادة آل الشَّيْخ بوبكر . ١٩- نَطَع : فيه آل الشَّيْخ بوبكر ، وحرَّاثون . ٢٠- حصون آل عمرو : فيها آل عمرو . ٢١- روضاح : فيه آل بريك ، وآل غانم ، من آل حيدرة . ٢٢- عُلُوجَة بفتح فضم ، فيها آل غانم ، وآل سالم ، وآل قَصِير من آل حيدرة (قَصِير : بضم ففتح فتشديد الباء) . ٢٣- صنا : فيها آل الشَّيْخ بوبكر ، وآل باعْبَاد ، والمقدَّم بن سليم مقدَّم آل حيدرة ، وبيت الرُّئاسة لهم . ٢٤- القَرْقَر : فيها آل قيران ، من آل حيدرة . ٢٥- حَنو : فيها آل طويل من آل حيدرة . ٢٦- الخراب : أو الحجالب ، فيها آل غانم من آل حيدرة . ٢٧- النجدفرة : لآل حيدرة . ٢٨- عمقان : للسَّادة آل أحمد بن عيدروس آل الشَّيْخ أبو بكر ، وآل بَلَيْث ، وحرَّائين . ٢٩- الخدود ، للبقارة آل بَلَيْث . ٣٠- القبلي : لآل بَلَيْث ، وآل بَلَيْث عَزَوْتهم وصريخهم هم وآل حيدرة والشَّحابل . ٣١- منازل الشَّحابل : آل حسين . ٣٢- نَبَاع : فيها آل مساعد بن حسن ، منهم ، (أي : شحابل) ، وفيها مقدَّمهم مُحَمَّد بن جميل بن شَحْبَل . ٣٣- شرح آل علي بن أحمد : شحابل . ٣٤- المخارم : فيها آل مظفر ، وآل عجَّيَّان - بتشديد الياء - من آل شحبل . ٣٥- السَّيلة : =

مذحج حتَّى يصلَ إلى دُهرٍ ، وهو أَوَّلُ حَضْرَمَوْتَ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ ، وهو لِكِنْدَةَ ، وساكنُهُ تُجِيبُ ، ثُمَّ إِلَى وادي رَخِيَّةَ ، وفيهِ قَرْيٌ ، مِنْهَا : صَمْعٌ ، وسور بني حارثة^(١) .

وقالَ في موضعٍ آخَرَ : (وفي رَخِيَّةَ دَرْبٌ يَقَالُ لَهُ : سُورُ بَنِي نُعَيْمٍ مِنْ تُجِيبَ . وَلَهُمْ قَرْيٌ كَثِيرَةٌ بِوَادٍ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَإِبَاضَتُهُمْ قَلِيلَةٌ^(٢)) ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ فِي الصَّدَفِ ؛ لِأَنَّهُمْ دَخَلُوا فِي حِمَيْرَ ، وَتُجِيبُ مِنْ وَلَدِ الْأَشْرَسِ ابْنِ كِنْدَةَ) اهـ^(٣) وَلِرَخِيَّةَ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي أَخْبَارِ بَدْرِ بُوَطَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ « الْأَصْلِ » .

وَمِنْ أَكْبَرِ قُرَاهَا : صَنَا ، فِيهَا جَامِعٌ .

وَسُكَّانُهَا : آلُ عِيدَرُوسِ بْنِ عُمَرَ مِنْ آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ وَآلُ بَاعْبَادٍ ، وَآلُ حَيْدَرَةَ ، يَقَالُ : إِنَّهُمْ مِنْ بَنِي ظَنَّةَ^(٤) . يَزِيدُ عَدَدُهُمْ عَنْ أَرْبَعِ مِثَّةِ رَجُلٍ . وَقِيلَ : لَا يَزِيدُونَ عَنْ مِثَّتَيْنِ .

وَهُمْ فَصِيلَتَانِ : آلُ سَالِمٍ ، وَآلُ غَانِمٍ ، يَرْجِعَانِ إِلَى رَوْحٍ وَهُوَ جَدُّ آلِ تَمِيمٍ ، فَهُمْ وَإِيَّاهُمْ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ .

وَفِي رَخِيَّةَ مِنْ آلِ بَلَيْثَ نَحْوُ ثَمَانِينَ رَامِيًا .

وَمَا أَظُنُّ أَمْرًا أَلْقَيْسٍ إِلَّا جَمَعَ إِلَى رَخِيَّةَ وَمَا حَوْلَهَا حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

خَرَجْنَا نُرِيعُ الْوَحْشَ بَيْنَ ثِقَالَةٍ وَيَتَنَ رَخِيَّاتٍ إِلَى فَجٍّ أَخْرَبِ

وَقَدْ وَهَمَ الْأَخْفَشُ فِي قَوْلِهِ : إِنَّ جَبِيهَاءَ الْأَشْجَعِيِّ جَمَعَ رَحَّةَ عَلَى رَخِيَّاتٍ فِي قَوْلِهِ

[مِنْ الطَّوِيلِ] :

= لَّالُ مُحَمَّدَ بْنَ فَارَسِ بْنِ شَجْبَلٍ . ٣٦- الخُرْشَانُ : لِلشَّحَابِلِ ، أَهْلُ خَيْلٍ وَغَارَاتٍ . ٣٧- الْغُرْفَةُ : لِابْنِ مَرْبَشِ النَّهْدِيِّ . ٣٨- الْبُوعُ : لَّالُ حَذَّجَانَ مِنْ نَهْدٍ . اهـ مِنْ « الشَّامِلِ » .

(١) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (١٦٥) .

(٢) قَوْلُهُ : (إِبَاضَتُهُمْ قَلِيلَةٌ) أَيُ : الَّذِينَ مِنْ اعْتَقَقُوا مَذْهَبَ الْإِبَاضِيَّةِ الَّذِي كَانَ سَائِدًا آنَذَاكَ قَلِيلٌ .

(٣) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (١٧٢) .

(٤) التَّحْقِيقُ كَمَا فِي « الشَّامِلِ » : أَنَّهُمْ مِنْ آلِ بَلْعِيدٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

جَنُوبَ رُخْيَاتٍ فَجَنَعَ تَضَابٍ مَزَاحِفَ جَرَّارٍ مِنَ الْغَيْثِ بَاكِرٍ
وقال البكري : إِنَّمَا تَسْتَقِيمُ لَوْ كَانَ الْوَاحِدُ رَحْوَةً أَوْ رَحِيَةً .

ومنه يتبين أَنَّهُ كَأَمْرِي الْقَيْسِ لَا يَرِيدُونَ إِلَّا رَحِيَةً هَذِهِ ، كما لَا يَرِيدُ بِأَخْرَبٍ إِلَّا
خَرْبَةَ الْقَمَازِينَ مِنْ نَهْدٍ ؛ فَإِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَحِيَةٍ بِالتَّقْرِيبِ مَقْدَارُ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ .

الْمَخَارِمُ^(١)

هِيَ فِي شِمَالِ رَحِيَةٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَ فَارِسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ النَّهْدِيِّ ، فَأَخَذَهَا
مَنْهُ السُّلْطَانُ بَدْرُ بُوَطُورِقٍ فِي سَنَةِ (٩٤٥ هـ)^(٢) ، وَرَدَّهَا لِأَهْلِهَا آلِ شَحْبَلٍ ،
وَعَدَّهُمْ نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ .

وَفِي أَخْبَارِ سَنَةِ (٩٥٢ هـ) : أَنَّ السُّلْطَانَ بَدْرَ بُوَطُورِقٍ تَجَهَّزَ لِحَرْبِ الْمَشْقَاصِ فِي
سِتِّ خِيَلٍ إِلَى الْكُرَيْدَةِ ، ثُمَّ تَلَا حَقَّتْ بَعْدَهُ الْعَسَاكِرُ وَالْفَرَسَانُ ؛ فَمِنْ آلِ شَحْبَلٍ أَرْبَعَةُ عَشَرَ
فَارِسًا . . . إلخ .

وَأَلِ شَحْبَلٍ ثَلَاثُ فِصَائِلَ ، وَعَدَّهُمْ نَحْوَ الْأَرْبَعِينَ :

أَلِ مَظْفَرٍ ، وَمَسْكَنُهُمُ الْمَخَارِمُ . وَالْمَجَازِرَةُ ، وَمَسْكَنُهُمُ الْزُّبَارَةُ . وَأَلِ عَجَيَّانَ ،
وَمَسْكَنُهُمْ حَسَوَةُ . وَالْمَخَارِمُ وَأَلِ مَطْعَمٍ - وَيُقَالُ لَهُمْ : أَلِ مُسَاعِدٍ - مِنْهُمْ : أَلِ
حُسَيْنٍ ، غَرْبِيُّ نَبَّاعٍ وَغَرْبِيُّ الْمَخَارِمِ . وَأَلِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ، حِصْنُهُمْ بَيْنَ الْمَخَارِمِ
وَنَبَّاعٍ . وَأَلِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمَسَاكِنُهُمْ بَنَّاعٍ ، وَفِيهِمْ كَانَتْ رِئَاسَةُ آلِ شَحْبَلِ الْعَامَّةُ . وَأَلِ
شَحْبَلٍ مِنْ سَكُونِ كِنْدَةَ^(٣) .

(١) المَخَارِمُ : بلدة أسفل وادي رحية ، كانت تمرُّ في حدودها القوافل التي تأتي من شبوة . ومن العوالق
إلى قعوطة وشبام .

(٢) « تاريخ الشجر » لباقي (٢٥٥) .

(٣) ويقال : إِنَّهُمْ مِنْ آلِ رَوْحٍ مِنْ تَمِيمٍ ، مِنْ بَنِي ظَنَّةَ . « الأدوار » : (٣٥٤) .

ومقدم الشَّحَابِلَةِ الْآنَ سَالِمُ بْنُ يَسْلَمَ . وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَحْبَلٍ ^(١) .

نِعْمَ الْفَتَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ نُصْرَتُهُ لِبَائِسٍ أَوْ لِمَلْهُوفٍ وَمُخْتَجٍ
كَانَ رَئِيسَ الْعَرَبِ بِالصُّوْلُو مِنْ بِلَادِ جَاوَةِ ، وَكَانَ مِثَالَ الْإِنْصَافِ ، لَمْ يَشْكُ حَيْفَهُ
عَدُوٌّ وَلَا صَدِيقٌ ، يُحِبُّ الْإِصْلَاحَ ، وَيَتَمَنَّى رُقْيَى الْعَرَبِ وَتَقَدُّمَهُمْ ، وَلَمْ يَزَلْ بِأَذَلِّ
الْجَهْدِ فِي ذَلِكَ بِلَا مَعِينٍ ؛ لِأَنَّ جُلَّ - أَوْ كُلَّ - الْعَرَبِ الْحَضَرَمِيِّينَ نَفْعِيُونَ مُغْرَضُونَ ،
لَا يَتَّخِذُونَ الْجَمْعِيَّاتِ وَأَشْبَاهَهَا - مِمَّا ظَاهِرُهُ الْخَيْرُ - إِلَّا طَرِيقًا إِلَى الْمَصَالِحِ وَالْأَغْرَاضِ
وَالْتَّشْفِي ، وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

إِذَا أَلْفُ بَنٍ خَلَفَهُمْ هَادِمٌ كَفَى فَكَيْفَ بَنٍ خَلَفَهُ أَلْفُ هَادِمٍ !!؟

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمِ بْنِ شَحْبَلٍ ، لَهُ شَهَامَةٌ وَمَحَبَّةٌ لِلْخَيْرِ ، وَهُوَ
الْآنَ فِي مِمْبَاسَا مِنَ السَّوَاخِلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ ، وَبَلَّغْنِي أَنَّ جَدَّ آلِ شَحْبَلٍ كَانَ بِمَرِيْمَةٍ ،
فَضَاقَتْ بِهِ لَمَّا كَثُرَتْ ثَاغِيَتُهُ ^(٢) . . فَتَجَعَ إِلَى وَادِي عَمْدٍ ؛ لِكَثْرَةِ مَا بِهَا مِنَ الْمَرَاعِي ،
وَأَسْتَقَرَّ بِالرَّحْبِ مِنْهُ .

وَلَا تَزَالُ بِهِ بِيرٌ تُدْعَى : (شَحْبَلَةٌ) إِلَى الْيَوْمِ .

ثُمَّ نَجَعَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَاعٍ ، وَأَثَرُوا بِهَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ بِهَا ثَلَاثَةُ إِخْوَةٍ ، وَهُمْ : مَظْفَرٌ
وَجَحْدَرٌ وَمَطْعَمٌ فِي حَالَةِ إِمْلَاقٍ ، وَكَانَ عَلَى الْمَخَارِمِ وَآلِ كَثِيرِي مِنْ يَأْخُذُ مِنْهُمْ الرَّبْعُ
وَيَسُوْمُهُمْ فَوْقَ ذَلِكَ سُوءُ الْعَذَابِ ، فَجَاءَ جَمَاعَةٌ مِنَ الرَّعَايَا آلِ بَافْلِيعِ وَآلِ قَنَابٍ إِلَى
مَظْفَرٍ وَأَخْوِيهِ ، وَجَعَلُوا لِمَنْ يَقْتُلُ أَمِيرَهُمْ مَا كَانُوا يَعْطُونَهُ ، فَكَمَنُوا لَهُ ، وَقَتْلَهُ مَظْفَرٌ ،
فَدَفَعُوا لَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ الْأَمِيرُ مَدَّةً ، ثُمَّ مَنَعُوهُ .

وَفِي أَعْلَى رَخِيَّةٍ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : لَعْمَقٌ ، فِيهِ آلُ عَفْيٍ ، وَهُمْ مِنَ الْجَهَمَةِ ، يَرْجِعُونَ
إِلَى آلِ بَلْعَبِيدٍ ، لَا يَزِيدُ رَجَالُهُمْ عَنْ أَرْبَعِينَ .

(١) الشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ شَحْبَلٍ هَذَا . . كَانَ - كَمَا ذَكَرَ الْمَصْنُفُ - مِنَ الرُّجَالِ الْمَصْلُحِينَ ، وَكَانَ مُثَقَّفًا ذَكِيًّا ،
وَلَهُ نَشَاطَاتٌ كَبِيرَةٌ فِي الْمَهْجَرِ ، ذَكَرَهَا مَعَاصِرُهُ السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ جَنْدَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٢) أَيُ : مَوَاشِيهِ .

ومكانٌ يُقالُ لهُ : البديعة ، على مقربةٍ سهوة ، فيه آلٌ لَحُولٍ ، عددُ رجالِهِم أربعونَ
مِنَ الجَهمَةِ آلٍ بلعبيدٍ أيضاً .

وفي أعلى وادي رحية مكانٌ يقالُ لهُ : قَزْنُ بِاشْرِيح^(١) ، فيه عينُ ماءٍ ، وعليها نخلٌ
وبساتينٌ . وسُكَّانُهُ الْقَرَامِيشُ^(٢) ، وفيهِ آلٌ سَمِيدِع .
وفي جنوبِهِ : سَلَمُون ، السَّابِقُ أَنَّهَا لآلِ سَمِيدِع ، وعدَّةُ رجالٍ الْمَكَانَيْنِ مِنِ آلِ
سَمِيدِع نحوُ الْخَمْسِينَ .

سَهْوَةٌ^(٣)

هِيَ أَرْضٌ بَلْعَبِيدٌ ، وفيها جامعٌ ، ومشايخٌ مِنِ آلِ الْعَمُودِيِّ ، ومشايخٌ مِنِ آلِ
بَقْلَح^(٤) ، منهم : الشَّهْمُ الْحَرْهُ الْكَرِيمُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَفْلَح ، لَهُ رتبةٌ فِي
الْعُسْكَرِيَّةِ بِحيدرآباد ، وشِدَّةُ اخْتِصَاصٍ بِرئيسِ الْوزَرَاءِ الْمَذْبُذِبِ بَيْنَ الْبُودِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِ ، حتَّى لَقِدَ زَوْجَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ بَعْضَ بَنَاتِهِ مِنَ الْبُودِيِّينَ ، وبعضاً مِنْ
الْمُسْلِمِينَ . ولما كُنْتُ بِحيدرآباد فِي سَنَةِ (١٣٤٩هـ) . . خَدَمَنِي الشَّيْخُ أَحْمَدُ بَفْلَح
هَذَا خَدَمَةً عَنِ إِخْلَاصٍ .

ولَمَّا أَشْتَدَّ الْأَذَى بِالْعَمُودِيِّينَ مِنْ عَسْكَرِ الْكَسَادِيِّ بَدَوْعَنْ حَوَالِي سَنَةِ
(١٢٨٦هـ) . . أَجْتَمَعَ مَلَأُوهُمْ بِالشُّعْبَةِ عِنْدَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرِ ، وَحَضَرَ
رُؤَسَاءُ الْمَشَاجِرَةِ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ مُقَادِمَةِ الدِّينِ وَآلِ بَلْعَبِيدٍ ، وَأَصْفَقُوا^(٥) عَلَى الْقِيَادَةِ
الْعَامَّةِ لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبِ بُضَّةٍ ، جَدُّ الْمَنْصَبِ الْحَالِيِّ ، فَتَحَمَّلَ

(١) وَيَنْطِقُ بِالْف مُمَالَةٍ ، فَيَقَالُ : بِاشْرَاح .

(٢) أَيِ : آلِ الْقَرْمُوشِيِّ ، كَانُوا ضَمَنَ عَسَاكِرِ بَدْرِ بِطُورِيقٍ ، مِنْهُمْ عَلِيُّ زَايِدِ الْقَرْمُوشِيِّ الْمَتَوَفَى بِجَدَةِ سَنَةِ
(١٤١٨هـ) تَقْرِيباً .

(٣) سَهْوَةٌ : قَرْيَةٌ جَنُوبَ وَادِي رَحِيَّةٍ ، مِنْ مَدِيرِيَّةِ الْقَطْنِ ، وَهِيَ أَكْبَرُ قَرْيَةٍ فِي وَادِي رَحِيَّةٍ .

(٤) وَمِنْ آلِ بَفْلَحِ جَمَاعَةٌ فِي سَيْتُونِ نَزَحُوا مِنْ سَهْوَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَلَهُمْ بِيُوتٌ وَعَائِلَاتٌ فِي سَيْتُونِ .

(٥) أَصْفَقُوا : أَجْمَعُوا .

الْكَلَفَ ، وَبَاعَ أَرْضاً لَهُ وَاسِعَةً بِسَهْوَةٍ هَذِهِ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ الرَّبِّ ، وَهُوَ مِنْ آلِ صَالِحِ الْعَمُودِيِّينَ بِطَرِيقِ الْعَهْدَةِ الْجَارِيَةِ بِحَضْرَمَوْتِ ، وَلَا يَزَالُ أَلَاخْتِلَافُ قَائِمًا بَيْنَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْفِكَالِ .

وَكَانَ عَاقِبَةُ تِلْكَ الْحَادِثَةِ : أَنْتَصَارُ آلِ الْعَمُودِيِّ عَلَى الْكَسَادِيِّ ، فَطَرَدُوهُ مِنْ دُوعَنْ ، وَأَخَذُوا مَدْفَعَةَ الَّذِي لَا يَزَالُ مُوجُوداً بِدَارِ الْمَنْصَبِ فِي بُضَّةٍ ^(١) .

وَمِنْ بِلَادِ رَخِيَّةَ : عُلُوجَةُ ^(٢) ، فِيهَا جَامِعٌ وَمَنْزِلٌ لِلضُّيْفَانِ ، صَدَقَاتُهُ مِنْ آثَارِ الْحَبُوظِيِّ ^(٣) .

وَفِي رَخِيَّةَ جَمَاعَاتٌ مِنْ : آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ مِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ . وَمِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو الْمُحَضَارِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ . وَمِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَامِدِ . وَمِنْ أَعْقَابِ أَخُوهِ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرِو ابْنِي الْحَامِدِ . وَفِيهَا مَشَايِخُ كَثِيرُونَ مِنْ آلِ الْعَمُودِيِّ ، وَقَدْ مَرَّ فِي حَجَرٍ أَنَّ بِلَادَ مَدُورَةَ الْوَاقِعَةَ بَيْنَ لَازِمٍ وَالشُّورِ كَانَتْ مَعْمُورَةً ، إِلَى آخِرِ مَا سَقْنَاهُ هُنَاكَ . وَفِيهَا بَقِيَّةُ مِنْ آلِ أَبِي نُعَيْمٍ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ آلِ حَيْدَرَةَ يُقَدَّرُونَ بِنَحْوِ مِائَةِ رَجُلٍ . وَبَيْنَ رَخِيَّةَ وَوَادِي عَمْدٍ جَبَلٌ يَقْطَعُونَهُ صُعُوداً وَنَزُولاً فِي نَحْوِ سِتِّ سَاعَاتٍ .

سَلَّةُ بَاتَيْسٍ ^(٤)

بَيْنَ رَخِيَّةَ وَوَادِي عَمْدٍ ، فِيهَا خَمْسَةُ عَشَرَ حِصْنًا مَبْنِيًّا مِنَ الْحِجَارَةِ ، كُلُّ حِصْنٍ عَلَى سَبْعِ طَبَقَاتٍ .

سُكَّانُهَا : آلُ بَاتَيْسٍ ، وَهُمْ فِيهَا ، وَفِي نَوَاحِيهَا ، وَفِي وَادِي عَمْدٍ ، يُقَدَّرُونَ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ رَامٍ ، يَخْدُمُونَهُمْ مَوَالِيَهُمْ ؛ لِأَنَّ فِيهِمْ كَثْرَةً .

(١) وَلَا يَزَالُ هَذَا الْمَدْفَعُ إِلَى الْيَوْمِ قَائِمًا جِوَارَ بَيْتِ مَنْصَبِ الْعَمُودِيِّ فِي بُضَّةٍ .

(٢) عُلُوجَةُ : قَرْيَةٌ فِي رَخِيَّةَ ، بِهَا آلُ غَانِمٍ ، وَآلُ سَالِمٍ ، وَآلُ قَصِيرٍ مِنْ آلِ حَيْدَرَةَ .

(٣) قَوْلُهُ مِنْ آثَارِ الْحَبُوظِيِّ . . أَيُّ مِنْ صَدَقَاتِهِ الَّتِي أَوْقَفَهَا عَلَى الْأَضْيَافِ فِي أَكْثَرِ بِلَدَانِ حَضْرَمَوْتِ .

(٤) آلُ بَاتَيْسٍ مِنْ قِبَائِلِ نَعْمَانَ مِنْ حَمِيرٍ .

ورؤساؤهم اليوم : محمد بن خميس بن منصور بن أحمد . وأحمد بن سالم بن منصور بن أحمد . وهم أهل نجد وضيافة ودين ومروءة .

سوط آل سميذع^(١)

هو في جنوب سدة آل باتيس ، وهم من آل نعمان ، يرجعون مع آل باتيس إلى رجل واحد .

يقدرون بمتي رام ، على ما كانت العرب عليه من المروءة ، والشهامة ، والوفاء ، وحسن الضيافة ، وأمان الجار .

وفي جنوبهم سوط آل بلعبيد ، يبلغون ألف رام ، على رأسهم : سالم بن ثابت باهيصمي .

وهم قبائل شتى ، ولكل قبيلة منهم رئيس ، غير أن سالم بن ثابت هو الشيخ العام لهم^(٢) .

وادي عمد^(٣)

قال الشيخ زملي بن عمرو بن عبد الله الفهمي باحلوان في كتابه « رشيدة الإخوان » : (إن بني ألقين التغلبيين بطن من قضاة ، سكنوا بوادي عمد من

(١) وآل سميذع في المهجر ، ومنهم جماعة بالشعوية .

(٢) كان ذلك سنة (١٣٦٦ هـ) زمن تأليف الكتاب .

(٣) وادي عمد : غربي دوعن ، منابه من جبل شناع ومنطقة هين ، ويمضي إلى قرب حريضة ، ثم خنفر ، والنعير ، وعنق ، والخميلة ، وينتهي في الصحراء غربي كيدام بامسدوس .

وهو منطقة فقيرة وجافة عدا أجزاء منه في الجهة الجنوبية ، حيث توجد أحراج النخيل ومزارع الذرة التي تسقى بماء السيل ؛ لأن مياه الآبار لا يحصل عليها إلا على عمق (٣٥٠) قدماً فأكثر . وبهذه المنطقة آثار قديمة ، وعثر على معبد قرب حريضة في ريبون يسمى معبد القمر ، وفيه دلالة على وجود عبادة وديانة قديمة في المنطقة . وأخذ من هذا المعبد رأس تمثال على شكل أسد يصدر زئيراً إذا دخلته الريح ، أهدها السلطان علي بن صلاح القعيطي لبعثة أوربية ، وهو في أحد المتاحف في مدينة لندن بإنكلترا .

حضر موت ، فقليل له : وادي قضاة ، وعمد هو أحدهم ، وهو أول من سكن ذلك
الوادي ، فسُمي باسمه اهـ

قد مرَّ في جردان أن بينه وبين وادي عمْد مسيرة ثلاثة أيام ، وبعضهم يقول :
أربع ، والأمر يسير ؛ لأن السَّير والمراحل على اختلاف .

ويُطلَق على وادي عمْد إلى اليوم وادي قضاة ، وهو لقب عمرو^(١) بن مالك بن
مرة بن زيد بن مالك بن حمير .

وترغم نساب مضر أن قضاة هو ابن معد بن عدنان .

وقال الهمداني في الجزء الأول من « الإكليل » : (يمتنع ذلك لخصال ؛ منها :
أن حمير كانت أعز العرب جميعها ، وأنهم كانوا الملوك الذين يدينون البلاد ،
ويقهرون العباد ، فلم يكونوا لتركوا قضاة بهذه الحالة - وهم من غير عبيدهم -
تسكن مأرب وصرواح وتوطئها ، وهم بيضة العز ، ودار المملكة ، وبقعة الجنتين ،
وذكر قحطان ، ووسط الإقليم ، وكل من ملك من حمير يرى العالم عبيده ، والعرب
جميعاً خولاً . . . إلى آخر ما ذكر ، فتعيَّن أن الصواب أنهم من حمير) .

وفي حديث أخرجه الطبراني [طس ١١١/١] عن عقبة بن عامر : « أنتم من قضاة بن
مالك بن حمير » .

وفي آخر أخرجه أحمد عن عمرو بن مرة : « أنتم مغشَّر قضاة من حمير » .^(٢)

ويأتي في الضليعة أن سائر قبائل السَّوط من حمير ، وهو مناسب لما هنا ، وبه
يتبيَّن كذب أعشى ثعلبة في قوله [من البسيط] :

قَالَتْ قُضَاعَةُ إِنَّا مِنْ ذَوِي يَمَنِ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ مَا بَرُّوا وَلَا صَدَقُوا^(٣)

ورأيت في (ص ١١٠) من « الشَّهاب الرَّاصِد » أن : قضاة كان مالكا لبلاد

(١) وفي نسخة : (عمر) .

(٢) مجمع الزوائد (١٩٩/١) .

(٣) البيت في « البيان والتبيين » (٣٠٦/١) .

الشَّخَرِ ، وَأَنَّ قَبْرَهُ موجودٌ بِجَبَلِهَا ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ قُضَاعَةَ كَانَتْ بِمَأْرَبٍ فَتَفَرَّقَتْ عَنْهَا بَعْدَ تَفَرُّقِ الْأَزْدِ ، فَنَجَوْعُهَا مِنْهَا إِلَى هَذَا الْوَادِي وَمَا وَالَاهُ مِنْ أَقْرَبِ الْقَرِيبِ .

وَقَالَ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسِ : إِنَّمَا كَانَ نَجُوعُ قُضَاعَةَ إِلَى وَادِي عَمَدٍ أَوَاخِرِ الْقَرْنِ السَّادِسِ ، حِينَمَا مَا جَتِ حَضْرَمَوْتُ بِالْأَيُّوبِيِّينَ وَمَوَالِيهِمُ الْغَزَّ وَالْقَبَائِلَ النَّاقِلَةَ إِلَيْهَا ، وَلَا اخْتِلَافَ ؛ لِاحْتِمَالِ تَعَدُّدِ النُّجُوعِ كَمَا ذُكِرَ عَنْ كِنْدَةَ ، وَالْأَثْبَتُ مَا سَبَقَ عَنْ بَاحِلَوَانَ .

وَذَكَرَ أَبُو عَلِيٍّ : (أَنَّ ثَلَاثَةَ بَطُونٍ مِنْ قُضَاعَةَ - وَهُمْ : بَنُو نَاعِبٍ ، وَبَنُو دَاهِنٍ ، وَبَنُو رَثَامٍ - كَانُوا مُتَجَاوِرِينَ بِالشَّخَرِ وَحَضْرَمَوْتَ ، وَكَانَ الشَّرُّ يَتَّقِدُ بَيْنَ بَنِي رَثَامٍ وَأَخْوِيهِمْ ، فَبَيْنَا هُمْ غَارُونَ فِي بَعْضِ أَفْرَاحِهِمْ . . إِذْ أَنْذَرْتُهُمْ كَاهِنَةُ لَهُمْ ، يَقَالُ لَهَا : خُوَيْلَةُ الرُّثَامِيَّةُ^(١) ، فَحَذَرَ مِنْ كَلَامِهَا أَرْبَعُونَ فَتَحَصَّنُوا بِشَعْفِ الْجِبَالِ^(٢) ، وَسَخِرَ بِهَا أَلْبَاقُونَ ، فَصَبَّحَهُمْ بَنُو نَاعِبٍ وَبَنُو دَاهِنٍ فَأَلْقَوْا فِيهِمُ السَّلَاحَ حَتَّى أَبَادَوْهُمْ ، وَكَانُوا ثَلَاثِينَ - كَمَا يُعْرَفُ مِنْ شِعْرِ خُوَيْلَةَ الْآتِي - فَلَمْ يَكُنْ مِنْهَا إِلَّا أَنْ قَطَعَتْ خَنَاصِرَهُمْ وَانْتَضَمَتْهَا قِلَادَةٌ فِي جِيدِهَا ، وَرَكِبَتْ إِلَى ابْنِ أُخْتِهَا مَرْضَاوِي بْنِ سَعْوَةَ الْمَهْرِيِّ تَسْتَنْجِدُ بِهِ ، وَمَا كَادَتْ تَصِلُ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى مَثَلَتْ تَشْدُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

يَا خَيْرَ مُعْتَمِدٍ وَأَمْنَعَ مَلْجَأٍ وَأَعَزَّ مُتَّقِمٍ وَأَدْرَكَ طَالِبِ
جَاءَتْكَ وَافِدَةُ الثَّكَالِي تَغْتَلِي بِسَوَادِهَا فِرْقَ الْفَضَاءِ النَّاصِبِ^(٣)
هَٰذِي خَنَاصِرُ أَسْرَتِي مَسْرُودَةٌ فِي الْجِيدِ مِنِّي مِثْلَ سِمَطِ الْكَاعِبِ^(٤)

(١) ليس الأمر كذلك ؛ لِأَنَّ خُوَيْلَةَ الرُّثَامِيَّةَ مِنْ صَمِيمِ بَنِي رَثَامٍ ، وَإِنَّمَا الْكَاهِنَةُ جَارِيَةٌ لَخُوَيْلَةَ الرُّثَامِيَّةِ يَقَالُ لَهَا : زَبْرَاءُ ، كَمَا فِي « الْأَمَالِيِّ » وَانْظُرْ أَيْضاً تَفْصِيلَ الْقِصَّةِ فِي « جُمَهْرَةِ خُطَبِ الْعَرَبِ » (١١٠-١١٢) . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) شَعْفُ الْجِبَالِ : رُؤُوسُهَا .

(٣) الْوَافِدَةُ : رِسُولَةُ الْقَوْمِ . الثَّكَالِي : النِّسَاءُ اللَّاتِي فَقَدْنَ حَبِيباً أَوْ غَالِيَا ، ابْنًا كَانَ أَوْ غَيْرِهِ . تَغْتَلِي : تَعْلُو . الْفِرْقُ : الْجِبَلُ . الْفَضَاءُ : الْأَرْضُ الْخَالِيَةُ . النَّاصِبُ : الْبَعِيدُ . وَالْمَعْنَى : جِئْتُكَ نَائِبَةً عَنْ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ اللَّاتِي فَقَدْنَ أَحْبَابَهُنَّ ، وَقَدْ عُلُوتْ جَبَالاً فِي أَرْضٍ خَالِيَةٍ بَعِيدَةٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٤) مَسْرُودَةٌ : مَجْمُوعَةٌ وَاحِدَتِلَا الْآخِرِ . سِمَطٌ : قِلَادَةٌ . الْكَاعِبُ : الْفَتَاةُ الَّتِي كَعَبَ - بَدَأَ - نَهَضَهَا .

عَشْرُونَ مُقْتَبِلًا وَشَطْرُ عَدِيدِهِمْ
طَرَفَتُهُمْ أُمُّ الدُّهُيمِ فَأَصْبَحُوا
جَزْرًا لِعَافِيَةِ الْخَوَامِعِ بَعْدَمَا
فَأَبْرَدَ غَلِيلَ خُوَيْلَةَ الْتُكْلَى الَّتِي
فَحِمَى أَنْفُهُ ، وَقَالَ :

أَخَالَتَنَّا سِرُّ النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ
لَيْسَ لَمْ أَصْبَحْ دَاهِنًا وَلَفِيفَهَا
عَلَيْنَا وَتَشْهَادُ النَّدَامَى عَلَى الْخَمْرِ^(٥)
وَنَاعِبَهَا جَهْرًا بِرَاغِيَةِ الْبُكَرِ^(٦)
ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَضْرِبُ أَبَاطَ الْإِبِلِ حَتَّى هَجَمَ بِرِجَالِهِ عَلَى بَنِي نَاعِبٍ وَبَنِي دَاهِنٍ ، وَلَمْ
يَنْحَجِزْ^(٧) عَنْهُمْ حَتَّى أَرَدَى ثَلَاثِينَ (اِهْ بِأَخْتِصَارِ^(٨))
وما حرصتُ على هذه الْقِصَّةِ إِلَّا لَأَنَّهَا تَشْمَلُ بِقِصَاعَةِ كَثِيرٍ مِنْ حَضَرَمَوْتٍ ،
وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَهْرَةَ مِنْهُمْ .

- (١) الْمُقْتَبِلُ : الشَّابُّ ، وَكَأَنَّهُ اسْتَأْنَفَ شَبَابَهُ . شَطْرُ عَدِيدِهِمْ : نِصْفُ عَدَدِهِمْ . الصُّيَّابَةُ : الْأَسْيَادُ فِي قَوْمِهِمْ . أَشَائِبُ : لَعَلُّهَا مَقْلُوبٌ شَوَائِبُ ؛ أَيْ : اخْتَلَطُوا بِغَيْرِهِمْ . وَمَعْنَى الْبَيْتِ : هَذِهِ خَنَاصِرُ ثَلَاثِينَ شَابًّا مِنْ بَنِي قَوْمِي ، وَكُلُّهُمْ أَسْيَادُ مِنْ صَمِيمِ النَّاسِ وَلَيْسُوا مِنْ خُلَطَائِهِمْ ؛ إِذْ لَيْسَ فِيهِمْ مَا يَعْيِيهِمْ .
(٢) أُمُّ الدُّهُيمِ : الْمُنْيَةُ . تَسْتَنُّ : تَنْشُطُ . ذُيُولُ حَوَاصِبٍ : مَا تَتْرَكُهُ الرِّيحُ الَّتِي تَحْمِلُ الْحَصْبَاءَ مِنْ أَثَرٍ يَشْبَهُ الذَّلِيلَ فِي الرَّمْلِ . وَالْمَعْنَى : أَتَتَهُمُ الْمُنْيَةُ فَصَيَّرَتْهُمْ فِي حَفْرَةٍ تَنْشُطُ فَوْقَهَا الرِّيحُ .
(٣) جَزْرًا : قِطْعًا سَائِغَةً لِلْأَكْلِ . الْعَافِي : طَالِبُ الرِّزْقِ . الْخَوَامِعُ : الضُّبَاعُ .
(٤) الصَّاقِبُ : اسْمُ جَبَلٍ .
(٥) سِرُّ النِّسَاءِ : كِنَايَةٌ عَنْ إِتْيَانِهِنَّ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ إِتْيَانَ النِّسَاءِ ، وَالْجُلُوسَ مَعَ النَّدَامَى فِي مَجَالِسِ الْخَمْرِ حَتَّى يَثَارَ لَخَالَتِهِ .
(٦) أَصْبَحَ : أَغْزَوْ فِي الصُّبْحِ . لَفِيفَهَا : جَمَعَهَا . نَاعِبَهَا : بَنُو نَاعِبٍ . جَهْرًا : عَلَنًا . الرَّاغِيَةُ : الرُّغَاءُ وَهُوَ صَوْتُ الْإِبِلِ وَضَجِيجُهَا . الْبُكَرُ : الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ . وَرَاغِيَةُ الْبُكَرِ : مِثْلُ عَرَبِيٍّ يَضْرِبُ فِي الشُّؤْمِ يَجْلِبُهُ الْإِنْسَانُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ . وَأَصْلُهُ : أَنَّ قُدَارَ بْنَ سَالِفٍ حِينَمَا عَقَرَ نَاقَةً سَيِّدَنَا صَالِحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي قَوْمِ ثُمُودَ ، وَكَانَتْ عَلَى وَشَكِّ الْوِلَادَةِ . . . خَرَجَ ابْنُهَا - بِكْرُهَا - مِنْهَا وَصَوَّتَ وَرَغَاءَ شَدِيدًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِقَابَهُ عَلَيْهِمْ .

(٧) يَنْحَجِزُ : يَمْتَنِعُ .

(٨) أُمَالِي الْقَالِي (١٢٦/١) .

وقد مرَّ في الدِّيسِ أَنَّ المناهيلَ والحُمومَ ويافعَ مِنْ حِمِيرِ بْنِ سِبْ . فالأمرُ متقاربٌ بعضُهُ مِنْ بعضٍ .

وفي « رشيده الإخوان » لباحلوان : (إِنَّ عوبثَ وناعبَ ورثاماً سكنوا بينَ حضرموتَ والأشحر ، وحالفوا قبائلَ المناهيل وصاهروهم) اهـ
وجاءَ في « صفة جزيرة العرب » لابنِ الحائك : (أَنَّ لِبني رثامَ حصناً منيعاً لا يرامُ بعمانَ)^(١) .
وقالَ ياقوتُ في « مُعْجَمِهِ » [١١٠ / ٣] : رثامُ موضعٌ يُنسَجُ فيه ألوشى ، وقيلَ : رثامُ مدينةُ الأود^(٢) ، قالَ الأَفوهُ الأودِيُّ [مِنْ الكامل] :

إِنَّا بَنُو أَوْدٍ الَّذِي يَلُوءِهِ مُنَعَتْ رِثَامٍ وَقَدْ غَزَاهَا الْأَجْدَعُ
وفي « القاموس » : (ورثامُ ككتاب ، بلدٌ لحَمِيرَ) .

وقالَ الهمدانيُّ في الجزءِ الثامنِ [ص ٦٦] مِنْ « الإكليل » : (أَمَا رثامُ . . فَإِنَّهُ كَانَ منسكاً^(٣) في رأسِ جبلٍ مِنْ بِلَدِ هَمْدَانَ ، يُنسَبُ إِلَى رثامِ بْنِ نَهْفَانَ بْنِ تُبَّعِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَمْدَانَ ، وَحَوْلَهُ مَوَاضِعُ كَانَتْ الْوَفُودُ تَحُلُّ بِهَا ، مِنْهَا : حَرْمَةُ) .

وبعدَ أَنْ أَطَالَ فِي وَصْفِهَا قَالَ : (وَلَا أَدْرِي ، أَرثامَ هَذِهِ يَعْنِي الْأَفُوهُ الْأَوْدِيُّ بِقَوْلِهِ - يَعْنِي الْبَيْتَ السَّابِقَ - أَمْ غَيْرَهَا مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ ؟ فَإِنْ يَكُنْ رثامُ لَهْمْدَانَ . . فَالْبَيْتُ لَكَهْلَانَ ، وَرثامُ لَهْمْدَانَ ، وَكَانُوا يَحْجُونَهُ ، فَسَارَ لَهُ الْأَجْدَعُ - مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حَمِيرَ - وَهُوَ تَبَّعُ الْأَخِيرِ ، وَأَجْدَعُ بْنُ سَوْدَانَ مِنْ مَلُوكِ هَمْدَانَ أَيْضاً ، وَفِيهِ يَقُولُ عُلْقَمَةُ :

وَذَا رِثَامٍ وَبَنِي فَارِسٍ وَأَجْدَعُ الْقَيْلِ أَخَا يَشْخَمَا
ورثامُ قَبِيلَةٌ مِنْ مَهْرَةٍ مِنْ قُضَاعَةٍ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَنَاها) اهـ بلفظه ، وموضعُ الشَّاهِدِ هُوَ الْجُزْءُ الْأَخِيرُ .

ووَادي عَمْدَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، غَرْبِيٌّ وَشَرْقِيٌّ ، تَتَشَعَّبُ مِنْهُ طُرُقٌ تَأْخُذُ وَاحِدَةً فِي الْغَرْبِ

(١) « صفة جزيرة العرب » (٩٢) .

(٢) الأود : قَبِيلَةٌ مَذْحِجِيَّةٌ ، وَهُمْ بَنُو أَوْدِ بْنِ الصَّعْبِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ بْنِ مَذْحِجٍ ، اشتهر مِنْهُمْ الصَّحَابِيُّ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونِ الْأَوْدِيِّ الْمَتَوَفَّى (٧٥ هـ) ، وَالشَّاعِرُ الْأَفُوهُ الْأَوْدِيُّ . وَمَسَاكِنُهُمْ فِي دُثَيْنَةِ مِنْ مَدِيرَةِ لُودِرٍ مِنْ أَعْمَالِ أَبِينِ .

(٣) المنسك : الموضع الذي يعتاده الناس .

متشاملة فتنتهي إلى رَحِيَّة ، وأخرى إلى حَيْلَة باصْلِب ، ثمَّ تذهب إلى جَرْدَان .
وأعلى وادي عَمْدٍ وأولُّه :

الْخَمِيلَةُ^(١)

سَكَانُهَا آلُ بَايَزِيد ، وَهُمْ مَشَايِخُ ، كَانَ مِنْهُمْ عُلَمَاءُ وَصِلِحَاءُ فِي سَابِقِ الزَّمَانِ .
وَقَالَ الطَّيِّبُ بَامْخَرْمَةِ : (هِيَ قَرْيَةٌ عَلَى وَادِي عَمْدٍ ، بِهَا فَقَرَاءُ صَالِحُونَ ، يُطْعَمُونَ
الطَّعَامَ ، يُعْرِفُونَ بَالِ بَايَزِيدَ ، تَتَّصِلُ خَرْقَتُهُمْ إِلَى أَبِي مَذِينِ الْمَغْرِبِيِّ . ذَكَرَ ذَلِكَ
الْقَاضِي مَسْعُودٌ) اهـ^(٢)
وَقَوْلُهُ : (تَتَّصِلُ خَرْقَتُهُمْ .. إلخ) لَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْاِتِّصَالُ إِلَّا بِوَسْطَةِ الْعُلَوِّيِّينَ أَوْ
الْعُمُودِيِّينَ . وَفِيهَا سُوْقَةٌ ، وَفِيهَا جَامِعٌ ، وَبَيْتٌ لِلضُّيْفَانِ مِنْ صَدَقَاتِ الْحَبُوظِيِّ . ثُمَّ :

حَيْلَة باصْلِب^(٣)

وَهُمْ قَبَائِلُ مَشَاجِرَةٍ يَحْمِلُونَ السَّلَاحَ ، وَمَا أَدْرِي أَكَانَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ
بِاصْلِبٍ ، أَلَمْلَقُ بِالرُّخَيْلَةِ مِنْهُمْ^(٤) ، أَمْ لَا ؟ فَإِنَّهُ تَدَيَّرُ^(٥) تَرِيمَ ، وَلِلشَّيْخِ عَبْدِ

(١) يُقَالُ : إِنَّ هَذِهِ الْخَمِيلَةَ تَنْسَبُ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بَايَزِيدَ ، لَعَلَّهُ مِنْ أَهْلِ الْقُرْنِ الثَّانِي ، أَوْ الْعَاشِرِ ، ذَكَرَهُ الشُّوَّافُ
فِي « قِصَّةِ الْعَسَلِ » ، وَحَكَى أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السَّرِّ وَالنُّورِ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ الْبَائِعِينَ نَفْسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ؛ فَقَدْ تَصَدَّقَ بِأَعْزَمَالِهِ - أَيِ ضِيَاعِهِ - عَلَى إِطْعَامِ الضُّيْفَانِ الْقَاصِدِينَ مَكَانَهُ ، وَكَانَ لَهُ كَرَامَاتٌ ؛ مِنْهَا
أَنَّ الْفَأْرَ إِذَا أَكَلَ مِنْ طَعَامِهِ .. مَاتَ حَالًا ، وَأَنَّ الْحَبُوبَ فِي مَخْزَنِهِ لَا تَكَادُ تَنْفَدُ ، وَمَخْزَنُهُ دَائِمًا مَمْلُوءٌ
بِالطَّعَامِ ، كُلَّمَا قَصَدَهُ ضَيْفٌ .. وَجَدَ كِفَايَتَهُ . « تَاجُ الْأَعْرَاسِ » (١ / ٦٤٠) .

(٢) « النَّسْبَةُ » (١٠٦ خ) .

(٣) وَتَنْطِقُ بِالْأَلْفِ يُقَالُ : حَالَةُ بِاصْلِبٍ ، وَآلُ بِاصْلِبٍ مِنْ قَبَائِلِ الْمَشَاجِرَةِ - وَاحِدُهُمْ مَشْجَرِي - مِنْ
سَبْيَانَ ، أَحَدُ بَطُونِ حَمِيرِ الْكَبِيرَى . وَهُمْ أَيِ الْمَشَاجِرَةِ أَقْسَامُ وَبَيُوتُ ، مِنْهُمْ : آلُ بَاعِرَانَ ، بِأَمْوَكْرَهَ ،
بِأَمْسُدُوسَ ، آلُ النَّقِيبِ .

(٤) عَلِيُّ بِاصْلِبِ الرُّخَيْلَةِ ، مِنْ كِبَارِ الصُّوفِيَّةِ فِي زَمَنِهِ ، لَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي « الْجَوْهَرِ الشَّافِّ » وَ« الْمَشْرِعِ
الرَّوِّيِّ » صَحَبَ الشَّيْخَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَوْلَى الدَّوِيلَةِ ، وَابْنَهُ السَّقَافَ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ
فِي اللَّهِ : الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِاصْهِي الشَّبَامِيِّ (ت ٩٠٣ هـ) ، الْآتِي ذِكْرُهُ فِي شَبَامِ .
وَالرُّخَيْلَةُ تَصْغِيرُ رَخْلَةٍ ، وَهِيَ صَغَارُ الْعَنْزِ .

(٥) تَدَيَّرُ : سَكَنَ .

الرَّحْمَنِ السَّقَافِ أَخَذَ عَنْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ بَقِيَ لَهُ اتِّصَالٌ أَكِيدٌ بِالشَّيْخِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَيْسَى بَايَزِيدَ ، السَّاكِنِ فِي وَادِي عَمْدٍ ، الَّذِي كَانَ موجوداً بِالْقَرْنِ الثَّامِنِ .

وَكَانَ هُوَ وَالْمَشَايِخُ الْأَيْمَةُ - : عَمْرُ بْنُ سَعِيدٍ بَا جَابِرٍ ، وَمَزاحِمُ بْنُ أَحْمَدَ بَا جَابِرٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ الدَّوْعَنِيِّ ، الْمَتَوَفَّى بِالْأَيْسَرِ ، عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ بِلَادِ الدُّوْفَةِ ، كُلُّ هَؤُلَاءِ - مِنْ أَقْرَانِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَافِ .

وَفِي حَيْلَةٍ بِاصْطِلَابِ جَمَاعَاتٍ مِنَ الشُّوْقَةِ وَالْأَكْرَةِ .

ثُمَّ رِبَاطُ بَاكُوبِل^(١) ، وَسَكَانُهُ مِنَ الْقَرَارِ الْمَعْرُوفِ شَأْنُهُمْ بِحَضْرَمَوْتَ ، وَفِيهِ جَامِعٌ . وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُوَ بَاكُوبِلُ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحِكَايَةِ (١٤٥) مِنْ « الْجَوْهَرِ السَّقَافِ » ذِكْرُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كُرَيْلٍ ، وَهُوَ مِنْ خِدَامِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلُوِيٍّ . كَمَا جَاءَ فِي الْحِكَايَةِ (١٥٤) مِنْهُ أَيْضاً ذِكْرُ بَاكُوبِلٍ ، وَهَذِهِ الْأَلْقَابُ مُتَقَابِرَةٌ .

ثُمَّ قَرْنُ بَاظِي . ثُمَّ مَخِيَّةٌ وَالشَّرْقِي : لَّالِ بَاتَنِيْسٍ ، نَحْوُ مِئَةِ رَامٍ ، وَعِنْدَهُمْ نَحْلٌ كَثِيرٌ جَيِّدٌ الْعَسَلِ ، وَهُمْ عَلَى اتِّصَالٍ بِقَبِيلَتِهِمْ أَهْلُ السَّنْدَةِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا .

ثُمَّ خَزْبَةُ بَاكَرْمَانَ : فِيهَا جَامِعٌ ، وَسَكَانُهَا مِنْ يَافِعِ الْمُتَوَالِدِينَ بِهَا ، وَسَادَةٌ مِنْ آلِ الْكَافِ . مِنْهُمْ بِهَا أَوْ بَعْدَ : الْفَاضِلُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ^(٢) ، أَثْنَى عَلَيْهِ شَيْخُنَا الْمَشْهُورُ فِي « شَمْسِ الظَّهْرِ » بِالْفَقْهِ وَالنَّبَاهَةِ وَالْوَرَعِ .

وَقَدْ زَارَ سَيِّدِي أَلْوَالِدَ بَمَكَانِنَا الْمَسْمُومِ : (حَوْطَةٌ عَلَمٌ بِدِرٍ) ، فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ (٢٠) شَعْبَانَ سَنَةِ (١٣٠٨ هـ) ، وَحَصَلَتْ مِنْهُ الْإِجَازَةُ وَالْإِلْبَاسُ لَوَالِدِي وَلِي

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَإِنَّمَا هُوَ بَاكُوبِنُ بِالنُّونِ ، وَلَعَلَّ الْمَوْلَفَ لَمْ يَتَحَقَّقْ مِنْ ضَبْطِ الْأَسْمِ وَاكْتَفَى بِالسَّمَاعِ ، فَوَقَعَ فِي الْأَشْتَبَاهِ .

(٢) تَوَفَّى الْحَبِيبُ أَحْمَدُ الْكَافِ الْمَذْكُورُ سَنَةَ (١٣١٤ هـ) ، وَكَانَ مَوْلَدَهُ سَنَةَ (١٢٤٧ هـ) ، طَلَبَ الْعِلْمَ ، وَهَاجَرَ إِلَى الْحَرَمَيْنِ ، مِنْ شَبَوخِهِ : الْحَبِيبُ صَالِحُ الْعَطَّاسِ ، وَالْحَبِيبُ أَحْمَدُ الْمُحَضَّرِ ، وَكَانَ مُلَازِمًا لِشَيْخِهِ الْعَطَّاسِ حَضْرًا وَسَفَرًا ، وَتَوَلَّى إِمَامَةَ جَامِعِ عَمْدٍ ، وَلَقِيَ فِي أَسْفَارِهِ عِدَّةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالصَّلَاحِ ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ الْعَزَبُ الدُّمَيْطِيُّ . وَكَانَ لَهُ أَخٌ عَالِمٌ مِنَ الصَّالِحِينَ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، تَوَفَّى بِمَكَّةَ سَنَةَ (١٢٨١ هـ) ، لَهُمَا ذِكْرٌ فِي « تَاجِ الْأَعْرَاسِ » .

وللشيخ محمد بن شيخ الدثني ، وكانت مذاكرات علمية شهية في ذلك المجلس الشريف . هكذا وجدته بخط الدثني المذكور .

وفي « المواهب والمِنَن » للسيد علوي بن أحمد بن حسن الحداد : (أَنَّ السَّيِّدَ علويَّ بنَ مُحَمَّدٍ الكافي ساكنَ وادي عمد وادي قُضاةَ بحضرموت . . كانَ معَ سيدي الوالدِ في المركبِ الَّذي أنكسرَ بهم قريباً مِنَ القنفذةِ في سنة « ١١٥٧ هـ ») .

وفي الخزبة المذكورة جماعات من آل باكرمان ، وهم مشايخ ، وعندهم أوشاب^(١) من الرعايا^(٢) .

ثمَّ الشُّعْبَةُ^(٣) ، وهي بالوادي الشرقي ، وسكانها آل العمودي ، مشهورون بكرم الضيافة ، وفيها خزانة كتب للشيخ العلامة عمر بن أحمد العمودي^(٤) ، المقبور

(١) الأوشاب : هم الخليط من الناس .

(٢) ومن مشاهير رجال الخزبة من السادة آل الشيخ أبي بكر : السيد الولي الصالح ، الحبيب صالح بن محسن بن أحمد بن بوبكر بن عبد الله بن الحبيب صالح بن عبد الله الحامد ، ولد بالخزبة سنة (١٣١٣ هـ) ، تلقى العلم في بلاده ، ثم هاجر إلى جاوة عام (١٣٣٤ هـ) ، وسكن قرية تسمى تانقول بجاوة الشرقية ، واتصل بأكابر بني علوي في جاوة ؛ كالحبيب عبد الله بن محسن العطاس ، ومن في طبقة ، وبنى في التانقول مسجداً من كسب يديه ، ثم بنى مسجداً آخر سماه : (رياض الصالحين) ، أهده أراضه أحد المواطنين . وكان منزله مفتوحاً على الدوام للأضياف ، وكان لا يخلو من أحد منهم ، ولا تخلو ساعة في يومه من زائر ، وكان يربي بعض اليتامى عنده . وكان مصلحاً ذا تأثير ونفوذ في عزائم المسؤولين .

توفي الحبيب صالح بن محسن بالتانقول سنة (١٣٩٦ هـ) ، وله مواعظ ، جمعها تلميذه السيد محمد بن عبد الله بن هود السقاف ، كما جمع بعض مناقبه .

(٣) وتسمى : شعبة بامحمد ؛ لأن آل العمودي الذين بها من نسل الشيخ محمد بن عيسى العمودي . فيقال لهم : آل بامحمد . وفيها خزانة كتب الشيخ عمر بن أحمد العمودي . . الآتي ذكره .

(٤) هو الشيخ عمر بن أحمد بن محمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن عثمان بن عمر بن محمد ابن الشيخ سعيد العمودي . . كان من أجلاء العلماء والفقهاء ، هاجر من بلده لطلب العلم ، واقتنى كتباً كثيرة ، وكان عالماً ، وكذلك ابنه عبد الرحمن ، ولد بقيدون هاجر إلى مكة بعد أن ضاقت به بلاده ؛ لأنه ولي مشيخة قومه العموديين ، وألجؤوه إلى قضايا وأمور فيها ظلم وسفك دماء ، فهرب منهم ، وتوفي في طريقه إلى القنفذة .

بالقنفذة ، وفيها أوشاب من الرعايا .

ثم ألوجر ، فيه نحو أربعين رامياً من آل ماضي . ثم طمحن^(١) ، فيها جامع وبيت للضيّفان ، أواقفه منسوبة للحبوظي .

وفيه جماعة من آل ماضي^(٢) ، ومنها - حسبما يقال - أبو الطمحن

= * مكتبة آل العمودي بالشُّعبة : قال عنها السيّد جعفر السَّقّاف : (مكتبة آل العمودي في شعبة بأُمّحَد ، بوادي عمد ، تنسب لعمر عثمان العمودي ، المتوفى بالقنفذة عام ٩٤٧هـ) ، وكل كتبها مخطوطة ، ولما كانت قبيلة آل العمودي مسلحة خلال الوجود الاستعماري . فقد منع رجالها المسلحون الضُّباط والمستشرقين الإنكليز من زيارة هذه المكتبة ، فتميّزت عن غيرها من المكتبات ، وقد نقلت كتبها إلى عاصمة المديرية حريضة لتضم إلى كتب مكتبات حريضة (اهـ)
وقد زار السيّد جعفر هذه المكتبة مرتين ، الأولى بمصاحبة البعثة الشّوفيتية من معهد الاستشراق بليتنغراد ، في الفترة ما بين (١٧/٤ و ١٢/٥/١٩٧٤ م) . والثانية بمصاحبة لجنة المخطوطات من (٢٧/١١ إلى ٢٣/١٢/١٩٧٤ م) .

ومن النفائس التي كانت بهذه المكتبة على ما بلغني . . أنّ بها نسخة نفيسة من « تحفة المحتاج » لابن حجر ، إمّا بخطه ، أو عليها خطه ، ومئات غيرها .
وفي « الشامل » : أنّ الشيخ عمر بن أحمد خرج أولاً من قيدون إلى الشُّعبة ، ثمّ هاجر من حزموت بعد ذلك بالكليّة ، وكذلك ابنه الشيخ عبد الرحمن .

ثمّ قال : (وأما كتبهم . . فبقيت في الشُّعبة في موضع يقال له : الخزانة ، ولهم تنافس عليها ؛ حتّى لا يفتحها أحد إلّا بحضور الجميع ، وليس تنافسهم حرصاً على العلم أو الكتب ، ولكنّه تنافس مبنيّ على التّسامي بينهم ، وعلى اعتقاد غير صحيح ، وقد عاثت الأرضة في تلك الكتب حتّى أتلفتها .
ولمّا جثت إلى الشُّعبة سنة (١٣٢٦هـ) أو (١٣٢٧هـ) . فتحوها لي ، وقام منهم ثلاثة متقاطرون ، يأخذ أحدهم الكتاب فينأوله الآخر ، ثمّ يناولنيه الثالث ، وممّا رأيته : « حسن النجوى فيما لأهل اليمن من الفتوى » جمعه الشيخ عبد الرحمن ، وكتاب في « الأذكار » و« شرح البهجة » بخط جميل ، وعليه تقريرات الشيخ عبد الله بن الحاج بافضل ، و« شرح الدّميري على المنهاج » ، ولعلّ الأرضة قد أتلفت بعض أجزائه ، وهو الذي يقال إنّ الشّيخة العالمية الفقيهة خديجة بنته - أي الشيخ عمر - قد نسخته ، وقالت في آخرها : ليعذرني من وجد فيه سقطاً أو غلطاً ؛ فإنّي نسخته وأنا مرضع أو كما قالت (اهـ)

(١) طمحن : يفتح فسكون ففتح .

(٢) آل ماضي من بني هلال من كندة ، وهم أصلاً من جردان على قول ، وعلى قول آخر : إنّهم من الجعدة ، هاجر جدّهم من البويرقات ، إلى وادي عمد ، وبيوتهم : آل طيف ، آل بن سويدان ، آل مرزاف ، آل بن عقيل ، آل منيف ، آل مرعي ، آل مسلم . « البكري » (٩٤-٩٥) .

الْقَيْنِي^(١) ، ويتأكّد بما سبق أنّ بني القين أوّل من سكن وادي عميد ، من قضاة ، وقد ترجم له في « رشيدة الإخوان » ، وصرّح بولادته في حضرموت بوادي قضاة مسكن بني القين ، وذكر أنّه أصاب دماً في قومه فهرب إلى ديار فزارة مستجيراً بمالك بن سعد الفزاري . فأجاره وأكرم مثواه إلى أن توفي .

وقد ذكرت ما أخرجه صاحب « الأغاني » من خبره مع قيسبة بن كلثوم السكوني في « الأصل » .

وفيها الآن شيخ شهيم من آل العمودي ، يقال له : أحمد الأشرم ، تزوج بمخلّفة السيّد عيدروس بن حسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه ، وقد جرّت لها قصّة ، حاصلها :

أنّ السيّد عيدروس هذا كان غائباً ، فقُتِلَ وأقطع خبره ، ففسخت نكاحها منه ؛ لتعذر النفقة فسخا صحيحاً ، أمضاه قاضيهم السيّد العلامة عبد الله بن محمد المَسَاوِي ، المتوفى بشقرة ، وأقرنت بأحد آل عمر بن جعفر الكثيرين بقيّة الدولة البائدة ، ولما بنى بها . . هجم عليهم آل شمالان وأتزعوها منه عنوةً بغير مبرر شرعي ، سوى أنّهم قالوا : إنّ كثيراً من أبنائنا غائبون ولا يُنفقون على زوجاتهم ، وبأنفتاح هذا الباب ينجم شرٌّ كبير .

وأنا كثيراً ما أنعى على المتعصّبين من الفقهاء تشدّدهم في منع الفسخ ؛ لأنّ الدّين يُسرّ لا حرج فيه ، ولأنّ يُشادّه أحدٌ إلّا غلبه ، وقد جاء في « الغنية » لسيدي الإمام العارف بالله ، شيخ الشيوخ ، السيّد عبد القادر الجيلاني أنّ : (للمرأة الفسخ بعد مضيّ سنة أشهر لغيب زوجها) وهو قريب من مذهب سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

(١) اسم أبي الطّمحان : حنظلة بن الشّرقى ، أحد بني القين بن جسر بن شيع الله . مولده سنة (٧) من الميلاد النبويّ ، وأسلم ، وكان كثير الأسفار إلى الحجاز ونجد ، وكان صديقه الزبير بن عبد المطلب . كان موصفاً بلطف العشرة وخبث اللسان ، وكثرة الهجاء ، وغير ذلك . وجنى جناية في أخريات أيامه ، فهرب إلى ديار فزارة مستجيراً بمالك بن سعد الفزاري ، أحد بني شمع ، وظلّ عنده حتّى مات سنة (٣٠هـ) . « تاريخ الشعراء » (٤٠٣٧/١) ، وفيه نماذج لشعره .

وإلى جانب طَمَحَانَ : الْمَكَانُ الْمَسْمُومُ جاحز^(١) : وفيه يسكن آلُ عمر بن جعفر^(٢) المذكورون ، وآل جنيد من المشايخ آل باوزير .

ثم حَبْرَة : قرية صغيرة لآل ماضي ، لا مسجدها !^(٣)

ثم بلد عَمَد^(٤) ، وفيها آل العَطَّاس ، منهم : الإمام الكبير صالح بن عبد الله ، المتوفى بها في سنة (١٢٧٩ هـ) ، ولداه الكريمان الصالحان : عمر بن صالح ، ومحمد بن صالح^(٥) ، وابن أخيه محمد بن أحمد بن عبد الله .

وفيها^(٦) جماعة من آل الشيخ أبي بكر بن سالم ؛ منهم السيد العظيم الشأن صالح بن عبد الله الحامد ، ومنهم الصالح السليم ألبال حسين بن محمد المتوفى بها

(١) جاحز - بجيم وحاء مهملة .

(٢) وهم من آل عبد الله ، سلالة عيسى بن بدر بوطويق ، سكنوها بعد تقلص نفوذ آل كثير في حضرموت . وسيذكر بعضهم في حورة لاحقاً .

(٣) وقد صار بها مسجد بعد زمن المؤلف .

(٤) وبهذه البلدة سمي الوادي كله بوادي عَمَد .

(٥) الحبيب صالح بن عبد الله ، كان من أكابر أعيان العلويين في القرن الثالث عشر ، وتمام نسله : هو صالح بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محسن بن حسين بن عمر العَطَّاس ، توفي سنة (١٢٧٩ هـ) ، كما ذكر المصنف ، وقد كتبت في سيرته ومناقبه الكتب ، منها ما كتبه ابن أخيه السيد أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله العَطَّاس ، ومنها ما كتبه وجبره وزاد فيه على السابق ، وجعله موسوعة تاريخية هامة : السيد العلامة الفقيه المسند علي بن حسين العَطَّاس ، المتوفى بجاكرتا سنة (١٣٩٦ هـ) ، وهو الكتاب المسمى « تاج الأعراس على مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العَطَّاس » ، يقع في مجلدين قريب من (٢٠٠٠) ألفي صفحة ، مطبوع .

وتوفي ابنه مُحَمَّد بن صالح في (١٠) شعبان سنة (١٣١٨ هـ) ، وتوفي عمر بن صالح في رجب سنة (١٣٣٦ هـ) ، وهما من مشاهير رجالات القرن الرابع عشر ، ولهما سيرة عطرة ، وأخلاق مشتهرة ، رحمهم الله أجمعين .

(٦) السادة آل المساوي ينسبون للسيد الشريف : أحمد مساوي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسين ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف . ومنهم جماعة بجاوة ، من أبرز أعلامهم : السيد محسن بن علي مساوي ، المتوفى بمكة سنة (١٣٣٩ هـ) ، مؤسس « المعهد الديني » بمكة ، وهم غير آل المساوي الموجودون بسيتون الذين منهم الأديب محمد بن شيخ (المساوي) ؛ فإن هؤلاء ينسبون لأحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف . اهـ

سنة (١٣٠١هـ) ، له أخبارٌ عجيبةٌ ؛ منها : أَنَّهُ أَعْلَمَ والي عدن في طريقه إلى الحجِّ بأنَّه واصلٌ ، وطلبَ منه أن يلاقيه . فلاقاهُ إلى أَثناءِ الطَّرِيقِ على عادةِ الحضارمةِ مع المناصبِ ، وأهدى له طُرْفاً وكميَّةً مِنَ الرُّيَّاتِ .

وَهُم مِّن ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ عِيدروسِ بْنِ سالمِ بْنِ عمرِ بْنِ الحامِدِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ ^(١) .
وَمِمَّنْ يَسْكُنُ عَمْدًا السَّادَةُ آلُ مساوى ، ومنهم : السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّابِقِ ذِكْرُهُ ، ومنهُمُ السَّيِّدَانِ عُمَرُ وَأَحْمَدُ ابْنَا هاشمِ الْمساوى ، لطيفانِ ظريفانِ ، راويتانِ لأشعارِ الْقَبَائِلِ وزوامِلِهِم ، توفِّيَ أَوَّلُهُمَا بعَمَدٍ في حدودِ سنةِ (١٣٤٨هـ) ، والثَّانِي بعدهُ بسنةٍ .

وعلى مقربةٍ من عمَدٍ إلى شمالِه قريةٌ يُقالُ لها : حَبَبٌ ، يسكنُها آلُ شَمْلانِ ^(٢) ،
وَالْمَقْدَمُ فِيهِم : عوضُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ شَمْلانِ .

وفيها لفيفٌ ^(٣) مِنَ الْكُثُوفِ ، وبها جامعٌ ومَنْزِلٌ لِلضُّيْفَانِ مِنَ آثَارِ الْخَبُوطِيِّ .
ثُمَّ التَّعْمِيرُ ^(٤) ، فِيهِ سَادَةٌ مِّنْ آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ وَآلِ الْعَطَّاسِ ^(٥) ، ومشايخُ يُقالُ لَهُم : آلُ باحْسِينِ ^(٦) . وقبائلُ يُقالُ لَهُم : آلُ لَجْدَمَ ، مِّنَ الْجَعْدَةِ . وفيها جامعٌ .

(١) المتوفَّى بعينات سنة (١١٧٠هـ) ، وقبره في مشهد جدّه عمر بن الحامد ، قال عنه في « الشجرة » :
(كان فاضلاً وليّاً صالحاً ، ذا سيرة حسنة ، قائماً بمنصب جدّه الحامد) اهـ

(٢) آل شَمْلانِ سكان وادي عمَد هُؤْلَاءَ ، هم من الجعدة .

(٣) لفيف : جمعٌ .

(٤) ويوجد بهذا الاسم جبل في تريم ، يعرف بشعب التَّعْمِيرِ ، كان يتعبد فيه الإمام الفقيه المقدم . سيأتي ذكره .

(٥) من السَّادَةِ آلِ الْعَطَّاسِ من بلدة التَّعْمِيرِ : الحبيب عمر المثنَّى بن عمر بن مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد بن عَقِيل بن عبد الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ ، ولد بالتَّعْمِيرِ ، ودفن بها ، أخذ عن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس بعَمَدَ ، توفِّيَ سنة (١٢٩٣هـ) ، وله أخ يسمَّى أحمد ، من الآخِذِينَ عن الحبيب صالح العطاس .
- ومن آل الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ : السَّيِّدَانِ هادي ومحسن ابنا عليّ بن أبي بكر .

(٦) من آل باحسين هُؤْلَاءَ : الشَّيْخُ مُحَمَّد بن عُبودِ بَاعْبَاسِ باحسين ، كان مقيماً بأرض الهند .

ومنهم : حسن بن سالم باحسين ، ومنهم : أحمد بن سعيد بن عليّ باحسين ، ومنهم : الشَّيْخُ عُبود بن مُحَمَّد باحسين ، ومنهم : عُبود بن حسن باحسين ، ومنهم : الشَّيْخُ العارف عَبَّاس بن عبد الله =

ثُمَّ عَنَّقَ ، فِيهَا سَادَةٌ مِنْ آلِ الْعَطَّاسِ ، مِنْهُمْ آلَانُ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَادِي ، لَهُ يَدٌ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ .

وَفِيهَا نَاسٌ مِنْ آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ ؛ مِنْهُمْ : السَّيِّدُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحْسِنٍ ^(١) ، الْمَتَوَفَّى بِهَا فِي سَنَةِ (١٣٠٢ هـ) ، وَفِيهَا حَزَائِنُونَ ، وَلَهَا ذِكْرٌ فِي التَّارِيخِ ^(٢) .

ثُمَّ مَنُحُوبٌ : قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ فِي فَمِ الْوَادِي ، وَهِيَ مَرْعَى خَصِيبٌ لِلْبَهَائِمِ ، وَإِلَيْهِ كَانَ يُرْسَلُ الْحُسَيْنُ بْنُ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بِخِيَلِهِ لِلرَّعْيِ ، وَالْقَرْيَةُ الْمَذْكُورَةُ لِآلِ بَاسِئِتٍ ، وَنَحْوِ ثَلَاثِينَ رَامٍ مِنْ آلِ عَامِرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَعِيدِيِّينَ .

ثُمَّ الرَّحْبُ - بِكسْرِ الرَّاءِ - وَسُكَّانُهُ مِنَ الْقَرَارِ ، وَفِيهِ جَامِعٌ ، وَبَيْتٌ لِلضَّيْفَانِ مِنْ أَوْقَافِ الْحَبُوظِيِّ ، وَفِيهِ مَشَايِخُ مِنْ آلِ بَاسِئِتٍ وَآلِ حَاجِبٍ ، وَسُوقَةٌ .

ثُمَّ خَنْفَرٌ ^(٣) ، وَفِيهِ سَادَةٌ مِنْ آلِ الْحَبِشِيِّ ؛ مِنْهُمْ : الْإِمَامُ الْعَظِيمُ الْعَلَامَةُ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْحَبِشِيِّ ^(٤) ، الْمَتَوَفَّى بِهَا فِي سَنَةِ (١١٢٥) ، لَهُ عَقْبٌ مُنْتَشِرٌ بِالرَّحْبِ وَالرَّيْدَةِ وَسَرْ وَعَنْقٍ وَالْغُرْفَةِ .

= باحفص باحسين وهناك غيرهم . هذا ما أفاده صاحب « تاج الأعراس » (١ / ٦٨٦-٦٨٧) .

(١) هو الحبيب ، الصَّالِحُ الْعَارِفُ : مُحَمَّدُ بْنُ مُحْسِنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْحَامِدِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ . قَالَ عَنْهُ فِي « الشَّجَرَةِ » : كَانَ سَيِّدًا فَاضِلًا ، عَالِمًا مُتَخَلِّقًا بِأَخْلَاقٍ حَسَنَةٍ ، عَامِلًا مَنِيئًا ، خَاشِعًا مُتَوَاضِعًا ، مُتَقَشِّفًا زَاهِدًا وَرِعًا ، مِنْ أَهْلِ الْيَقِينِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَالْأَوْلِيَاءِ الصَّالِحِينَ ، وَكَانَ دَأْبُهُ تَعْلِيمُ الْأَطْفَالِ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَالْعِلْمَ ، وَلَهُ مَقَامٌ بِاللَّيْلِ دَائِمًا مِنْ نَحْوِ نِصْفِ اللَّيْلِ ، تَوَفَّى بِعَنْقٍ سَنَةَ (١٣٠٢ هـ) - اهـ .

(٢) وَمِمَّنْ سَكَنَ عَنْقَ وَمَاتَ بِهَا : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْحَبِشِيِّ ، أَخَذَ عَنِ الْحَبِيبِ صَالِحٍ ، وَالْحَبِيبِ مُحْسِنِ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَعَمَرِ بْنِ هَادُونَ آلِ الْعَطَّاسِ . كَانَ مِنْ أَهْلِ الْوَرَعِ ، حُكِّيَ أَنَّ بَقْرَةَ لَهُ نَذَّتْ عَلَيْهِ ، وَأَكَلَتْ مِنْ أَرْضِ بَعْضِ النَّاسِ ، فَلَمْ يَشْرَبْ لِبَنِيهَا (٤٠) يَوْمًا ، وَكَانَ يَحْلِبُهُ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ، طَرَقَ يَوْمًا بَابَ الْحَبِيبِ صَالِحٍ . . فَخَرَجَ يَهْرَعُ إِلَيْهِ ، قَالَ الْحَبِيبُ صَالِحٌ لِبَعْضِ خَوَاصِّهِ : سَمِعْتَ هَاتِفًا يَقُولُ : تَحْتَ بَابِكَ صَدِّيقٌ ، فَخَرَجْتَ أَفْتَحُ . . فَإِذَا مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ وَاقِفًا .

(٣) تبعد خنفر عن شبام مسافة (٩٩ كم) في الناحية الغربية الجنوبية منها .

(٤) الحبيب عيسى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْحَبِشِيِّ ، لَعْلَ مَوْلَدُهُ بِالْغُرْفَةِ أَوْ سَيْثُونَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِخَنْفَرٍ سَنَةَ

وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر سميح أن جلوسه في وادي عمد كان بإشارة شيخه عمر بن عبد الرحمن العطاس .

وفي « شمس الظهرة » : (أن بخنفر جماعة من ذرية الشيخ عمر بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف) .

ومن صلحاء خنفر : الشيخ الفقيه ، الأجل الورع ، الفاضل ، محمد بن عبد الله باحارث ، توفي بها سنة (٨٨٤هـ) .

وذكر الطيب بامخرمة خنفر^(١) باليمن من أرض أبين : (وهي قاعدتها ، وبها جامع حسن البناء ، جيد العمارة . ومثدنته طويلة ، وهي أعجوبة . وكان بها فقهاء صالحون ؛ منهم : الشحلي .

وفيها متصوفة يسمون البركانيين ، يذهب للشيخ مور بن عمر بن الزغب ، وكانوا يسافرون بركب اليمن من الشحر وأحور وأبين والجبل جميعه وتهامة جميعها ، ويزورون قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحبة الصوفي البركاني^(٢) ، ويعود

= (١١٢٥هـ) ، كان كثير التنقلات ، أخذ عن الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وكان أول اجتماع له به في الرجب سنة (١٠٥٨هـ) ، وذريته كثيرة متشرة .

(١) خنفر هذه التي تكلم عنها بامخرمة . غير تلك التي في وادي عمد ، وما دام أن المصنف أورد عنها شيئاً من المعلومات هنا . فلنكمل ما ابتدأه . خنفر : مدينة خاربة ، كانت قائمة في سفح جبل خنفر ، الواقع وسط سهل أبين ، بين وادي بنا ووادي حسان . وهي مدينة اكتسبت شهرة تاريخية كبيرة ؛ فقد كانت قبل الإسلام مركزاً عسكرياً ، وتعرضت للخراب مرات . وفي أواخر القرن الثالث الهجري تمركز في خنفر الملك علي بن الفضل الخنفرى ، ومنها شن غاراته على الملك علي بن أبي العلاء الأصبحي الحميري ، وسلبه مملكته التي كانت تشمل مخاليف لحج وأبين والسروين وحضرموت . أما اليوم : فقد قامت مكانها مدينة جعار ، وأصبح اسم خنفر يطلق على مديرية من مديريات محافظة أبين ، وتشمل عدة بلدان : المسمير ، شقرة ، المخدومي ، أحور ، خمور - وهي غير التي في حضرموت - حوطة المدارك ، حصن بلعيد ، المخزن .

(٢) هو الشيخ الصالح محمد بن مبارك البركاني أبو عبد الله ، كان من كبار المشايخ الصالحين ، أرباب المناصب ، كان يتولى السير بالقافلة إلى مكة ، كما يفعل الشيخ أحمد بن موسى بن عجيل ، ولم يكن يعترضه القطاع ، وله كرامات ، توفي بخنفر ، وله بها ذرية . « الشرجي » (٣١٣-٣١٤) .

بِالزَّائِرِ وَالْوَاقِفِ قَفُولًا^(١) كما يخرجُ عن بلدِهِ . ذَكَرَ ذَلِكَ الْقَاضِي مَسْعُودٌ عَلَى مَا كَانَ فِي زَمَنِهِ ، أَمَّا الْيَوْمَ . . فَإِنَّهَا خَرَابٌ ، أَسْتَوْلَى عَلَيْهَا الْبَدُو مِنْ آلِهِيائِهِمِ وَالْعَوَالِقِ وَالْأَيُّوبِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ دَاعِيَةِ الْفَسَادِ ، وَأَنْتَقَلَ الْبُرْكَانِيُّونَ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا إِلَى وَادِي لِحْجٍ .

وَفِي عَصْرِنَا هَذَا - وَهُوَ سَنَةُ (٩٢٨ هـ) - تَطَرَّقَ فَسَادُ الْبَدُوِّ إِلَى وَادِي لِحْجٍ ، وَخَرِبَ أَكْثَرُهَا وَغَالِبُ قُرَاهَا بِسَبَبِ الْفَتَاتِ الدَّوْلَةِ إِلَى جَمْعِ الْحَطَامِ الْفَانِي ، وَعَدَمِ اعْتِنَائِهِمْ بِمَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ ، فَاللَّهُ يُخْتَمُ بِخَيْرٍ (اهـ)^(٢)

وَمِنْ مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْهُ يَقُولُ : (إِنَّ آلِهِيائِهِمْ^(٣) هُمْ سُلَاطِينُ دَثِينَةٍ ، وَالْمَقْدَمُ فِيهِمْ لِعَهْدِهِ : حَيْدَرَةُ بْنُ سَعُودٍ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ ، لَا أَسْعِدُهُمُ اللَّهُ) اهـ

وَأَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ أَلْيَافَعِيِّينَ أَنَّ خَنْفَرَ هَذِهِ كَانَتْ مَلَكًا لِلْإِمْلَاطَانِ عِيدَرُوسٍ أَلْيَافَعِيٍّ ، فَاسْتَأْجَرَتْهَا حُكُومَةُ عَدَنَ لِمُدَّةِ أَرْبَعِ سِنِينَ ، وَلَمَّا مَضَتْ . . طَلَبَ ارْتِفَاعَهُمْ ، فَطَلَبُوا مَا أَنْفَقُوا ، وَقَدَّرُوهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ رِبْيَّةٍ هِنْدِيَّةٍ فَدَفَعَهَا ، ثُمَّ عَادُوا بَعْدَ سَنَتَيْنِ مُحَارِبِينَ ، وَقُتِلَ ضَابِطُ الْإِنْكِلِيزِيِّ وَأَرْبَعَةٌ مِنْ يَافِعٍ ، وَأَسْتَوْلَوْا عَلَى الْأَرْضِ إِلَى الْيَوْمِ .
الْجَدْفَرَةُ : فِيهَا نَاسٌ مِنْ آلِ الْعَطَّاسِ ، وَثَلَاثَةُ بِيُوتٍ مِنَ الْجَعْدَةِ .

ثُمَّ سَرَاوَاهُ : وَفِيهَا نَاسٌ مِنَ الْجَعْدَةِ يُقَالُ لَهُمْ : آلُ عَلِيٍّ - بِكسْرِ الْعَيْنِ - وَكَانَتْ لَهُمْ قَبُولَةٌ حَارَّةٌ ، لَا يَزَالُونَ يَتَنَاشَبُونَ الشَّرَّ مَعَ جِيرَانِهِمْ آلِ الْجَدْفَرَةِ وَآلِ هَلَابِيٍّ ، وَفِي أَشْهَرِ لِقِيَاتِهِمْ قُتِلَ مِنَ الطَّرْفَيْنِ أَكْثَرُ مِنْ ثَمَانِيَةِ مَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : بَاوردان ، مِنْ ضَوَاحِي الرُّحْبِ ، فَصَارَ مُضْرِبَ الْمَثَلِ فِي التَّهْلُكَةِ ، فَيُقَالُ : فَلَانٌ وَقَعَ فِي حَفْرَةِ بَاوردان .

ثُمَّ لَفْحُونُ^(٤) ، وَسُكَّانُهَا آلُ هَلَابِيٍّ وَآلُ عَفِيفٍ مِنَ الْجَعْدَةِ^(٥) ، وَفِيهَا جَامِعٌ وَمَنْزِلٌ

(١) القفول : الرجوع من السفر .

(٢) النسبة (١٠٦ / خ) .

(٣) وهم محل الشاهد في سوق هذا الكلام .

(٤) والجاري على الألسن أنها : نفحون بالنون .

(٥) وهم كثرة ، ولهم موضع بوادي عمد ، يسمَّى سيلة آل هلابي ، وهي في شمال شرق الجدفرة وقرن المال .

لِلضَّيْفَانِ مِنْ آثَارِ الْحَبُوطِيِّ^(١) ، وفيها مصرعُ الْحَبِيبِ عَمَرِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ .

ثُمَّ الرَّحْمُ ، فِيهِ آلُ حَمِيدٍ مِنَ الْجَعْدَةِ ، تُقَدَّرُ رُمَاتُهُمْ الْيَوْمَ بِأَرْبَعِينَ ، فِيهِ مَسْجِدٌ ، وَلِلضَّيْفِ فِي بَيْوتِهِمْ سَعَةٌ .

ثُمَّ زَاهِرُ بَاقِيسَ^(٢) ، فِيهَا جَامِعٌ وَمَنْزَلٌ لِلضَّيْفَانِ مِنْ آثَارِ الْحَبُوطِيِّ ، فِيهِ آلُ بَاقِيسَ ، مَنْصِبُهُمْ : الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بَاقِيسَ . وَكَانَ بِنَاءُ زَاهِرٍ هَذِهِ فِي سَنَةِ (٧٣٦هـ) (٣) .

ثُمَّ قَرْنُ أَبِي عَدَوَانَ ، فِيهِ مَشَايِخُ مِنْ آلِ بَاوَزِيرَ ، مَنْصِبُهُمْ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ . وَفِيهِ جَامِعٌ وَمَنْزَلٌ لِلضَّيْفَانِ مِنْ جَمَلَةِ صَدَقَاتِ الْحَبُوطِيِّ .

(١) وَمِنْ أَعْيَانِ نَفَحُونَ مِنَ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ : السَّيِّدُ الْحَبِيبُ : عَمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَمْرِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَمْرِ الْعَطَّاسِ ، وَلَدَ بَنَفَحُونَ ، وَتَوَفَّى بِمَكَّةَ فِي مُحْرَمِ سَنَةِ (١٣٣١هـ) . يَنْظُرُ : « تَاجُ الْأَعْرَاسِ » (٧٠٩-٧٠٧/١) .

(٢) لَعَلَّ بَلَدَةَ الزَّاهِرِ هَذِهِ هِيَ أَسْلُفُ مَنْبِتِ آلِ بَاقِيسَ ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فِي نَفَحُونَ ، وَجَمَاعَةٌ آخَرُونَ فِي حَلْبُونِ ، وَالْقَوْبِيَّةِ ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْبُلْدَانِ ، وَقَدْ هَاجَرُوا مَعَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحِجَازِ ، وَلَهُمْ فِي جَدَّةَ مَجْتَمَعٌ كَبِيرٌ ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ فِي التَّجَارَةِ ، وَلَا سِيَّمَا تِجَارَةَ الْقَمَاشِ وَالْبَزِّ ، وَفِيهِمْ أَفْضَلُ أَخْيَارِ ، وَسَيَّاتِي ذَكَرَهُمْ فِي حَلْبُونِ .

(٣) كَمَا فِي « تَارِيخِ شَنْبَلِ » (١١٩) ، وَعِبَارَتُهُ : (وَفِيهَا - أَيِ سَنَةِ (٧٣٦هـ) - بَنِيَتْ قَرْيَةُ زَاهِرٍ بِوَادِي عَمَدٍ) اهـ ، وَلَا تَعْرِفُ إِلَّا بِنَسْبَتِهَا إِلَى آلِ بَاقِيسَ ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ بَنَوْهَا ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا عَرَفَتْ بِهِمْ لِأَنَّهَا كَثُرَتْ بِهَا .

وَمِنْ أَعْلَامِ آلِ بَاقِيسَ سُكَّانُ الزَّاهِرِ : الشَّيْخَانِ مُحَمَّدٌ وَعَبْدُ الْكَبِيرِ ابْنَا الشَّيْخِ عَبْدِ الْكَبِيرِ بَاقِيسَ ، مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ . وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ الصَّالِحُ ، الْمَشَارِكُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْفَضَائِلِ ، صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْكَبِيرِ بَاقِيسَ ، وَلِيدُ الزَّاهِرِ وَدَفِينُهَا ، كَانَ حَافِظًا لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى ، فَفِيهَا فِي الدِّينِ ، كَرِيمًا مُضِيئًا ، مُحِبًّا لِآلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ الْكَرِيمُ ، الْعَابِدُ الْمُسْتَقِيمُ . مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْكَبِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الْكَبِيرِ بَاقِيسَ ، وَلَدَ بِالزَّاهِرِ ، وَهَاجَرَ إِلَى جَاوَةِ ، وَتَوَطَّنَ بِلَدَةِ عَمْفَنَانَ بِجَزِيرَةِ الْبَالِي ، وَمَارَسَ التَّجَارَةَ .

وَيَنْسَبُ آلُ بَاقِيسَ إِلَى كُنْدَةَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسَ ، وَقَدْ نَاقَشَ الْعَلَامَةُ عَلَوِيُّ بْنُ طَاهِرٍ الْحَدَّادُ هَذِهِ الْمَقُولَةَ ، وَبَيَّنَّ أَنَّ ذُرِّيَّةَ الْأَشْعَثِ لَيْسَ مِنَ الْمَحَقَّقِ كَوْنِهَا فِي حَضْرَمَوْتَ . يَنْظُرُ : « أَشْأَمَلُ » (١٥١-١٥٢) .

وفيه آل أحمد بن عليٍّ من قبائل الجَعْدَةِ^(١) ، ويقال للجَعْدَةِ : مُرَّةٌ ، إمّا نسبة إلى مرّة بن زيد بن مالك بن حمير - وهو كما سبق جدُّ قضاة - وإمّا إلى أحد من ذرّيّة قضاة ، يقال له : مُرَّةٌ .

وقيل : إنهم من مُرّة بن أد بن زيد بن يشجب بن عمرو بن زيد بن كهلان ، ومُرّة هذا أخو الأشعرِ وطِيٍّ ومذحج ، وهو جدُّ كندة الثالث ؛ لأنَّ كندة هو كندة بن عفير بن عدي بن الحارث بن مُرّة بن أد .

وفي الجزء الأول من « الإكليل » للهمداني [٢٠٣-٢٠٤] : (أَنَّ مُرّة بنَ حَمِيرَ بطنٌ ؛ منهم : ربيعة ذو مرحب بن معدي كرب بن النُعمان ، القليل بحضرموت ، وهو الَّذي أنجد الحارث بن معاوية بن مالك بن معاوية بن عوف بن حريم الجُعفي - الملقَّب بالأَسعر - على قتله أبيه ، وأعطاه فرساً من رباطه يقال له : المعلّى ، ورأسه بالجند والسلاح ، وله خبرٌ طويلٌ .

قال أبو نصر : فأولد ربيعة ذو مرحب بن معدي كرب بن النضر حليلاً وذا المسوح .

وقال غيره من علماء اليمن : أولد مُرّة بن حمير عمراً وربعة ، فأولد ربيعة الأحول وذا المسوح . والكلبيون وأهل المسجل يقولون : إنه مسروح .

وأولد عمرو بن مُرّة قبائل بحضرموت ، منها دخلت في مهرة بن حيدان ، ومنهم العجلان ، وإليه تُنسب العجلانيّة بحضرموت : ذو أصبح ، وذو النعيرين اهـ

وهم^(٢) قبائل كثيرة ؛ منهم : آل هلابي ، وآل غانم ، والمراضيح^(٣) ، وآل شملان ، وآل لجذم ، والروامضة ، وآل الشيبية ، وآل عامر بن عليٍّ ، وآل سليمان بن عليٍّ ، وآل أحمد بن عليٍّ .

(١) مفردهم : جعدي ، وهم كثرة في حضرموت والمهاجر .

(٢) أي : الجعدة .

(٣) الواحد منهم يقال له : بن مرضاح .

وَالصَّقْرَةُ^(١) ، وَمَسَاكِنُهُمْ : نَفْحُون ، وَالسَّيْلَةُ ، وَالْجَذْفَرَةُ ، وَسِرَاوَاه ، وَحَدَّ عَنَقَ ، وَالْبَطِيخَ ، وَالنَّعِيرَ ، وَتَبْرِعَةَ ، وَعَمَدَ وَنَوَاحِيهَا .
وَمِنْ أَعْمَالِ وَادِي عَمَد : حُرَيْضَةُ^(٢) .

قال الحبيب أحمد بنُ حسنٍ العَطَّاسُ في « سِفِينَتِهِ » : (قَالَ الطَّيِّبُ بِامْخَرَمَةٍ فِي كِتَابِهِ « نَسَبَةُ الْبُلْدَانِ » : سُمِّيَتْ حُرَيْضَةُ بِاسْمِ قَبِيلَةٍ مِنْ حِمَيْرَ ، وَيَسْكُنُهَا السَّكُونُ مِنْ كَنْدَةَ) اهـ .

ولعلَّ هذا النِّقْلَ عَنِ الطَّيِّبِ مِنْ غَيْرِ مَادَةٍ حُرَيْضَةٍ ؛ أَمَا فِيهَا . . فلم يزد على قولِهِ :
(حُرَيْضَةُ بِالْكَسْرِ ، كَضْدُ الْجَبْرِ ، أَسْفَلَ مِنْ وَادِي عَمَدٍ ، مُقَابِلَةُ لَعْنَدِلٍ) اهـ^(٣)
وقولُهُ : (بِالْكَسْرِ) يَعْنِي الصَّقْعَ الْآتِي ذِكْرُهُ ، وَفِيهِ تَسَامُحٌ ؛ لِأَنَّ الْأَكْثَرَ عَدَّ حُرَيْضَةً فِي عَمَدٍ لَا فِي الْكَسْرِ .
وقد فَهَمَ بَعْضُهُمْ مِنْ قَوْلِهِ : (بِالْكَسْرِ) أَنَّهُ يَرِيدُ كَسَرَ الْحَاءِ مِنْ حُرَيْضَةٍ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ .

وَمِنْ كِتَابِ بَاشُكَيْل : (أَنَّ آلَ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ آلَ حُرَيْضَةٍ مِنْ بَنِي يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ كَنْدَةَ) .

وقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ حُرَيْضَةَ مُصَحَّفَةٌ عَنْ قُرَيْضَةٍ ، وَدَلَّلَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّهَا كَانَتْ مَسْكَنَ الْيَهُودِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ بِأَرْبَعِ مِائَةِ سَنَةٍ .

(١) وَيُقَالُ لَهُمْ : آلُ بَاصِقَرٍ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ بَنِي مَرْءَةٍ ، وَإِنَّمَا هُمْ مِنَ الشُّمُوحِ مِنْ سَيِّبَانَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) حُرَيْضَةُ : بِضَمٍّ فَتَحَ ، مَدِينَةٌ وَمَرْكَزٌ إِدَارِيٌّ جَنُوبَ غَرْبِ شِبَامَ ، أَسْفَلَ وَادِي عَمَدَ ، وَهِيَ عَاصِمَةُ مَدِيرِيَّةِ دُوعَنْ . وَمِنْ قَرْيَ وَادِي حُرَيْضَةٍ : الْهَجْرَيْنِ ، عَمْدَلُ ، نَفْحُونُ ، الْمَنِيظَرَةُ ، شَرْجُ آلِ عَلِيٍّ بْنِ سَالِمٍ مِنْ كَنْدَةَ . وَتَوْجَدُ شِمَالَ حُرَيْضَةٍ خَوَّةٌ أَسْطَوَانِيَّةُ الشَّكْلِ ، يُقَالُ لَهَا : بَثْرُ غَمْدَانِ ، يَنْزِلُ فِيهَا بِدَرَجٍ طَوِيلَةٍ ، كُلُّ دَرَجَةٍ بِقَامَةِ إِنْسَانٍ . وَمَمَّنْ يَنْسَبُ إِلَى حُرَيْضَةٍ : الْفَقِيهُ يَعْقُوبُ بْنُ صَالِحٍ الْحَرِيضِيُّ ، كَانَ مِنْ أَعْيَانِ الشُّحْرِ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ ، وَهُوَ أَحَدُ الشُّهَدَاءِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي حَادِثَةِ غَزْوِ الْبَرْتِغَالِ لِلشُّحْرِ سَنَةَ (٨٩٢٩ هـ) .

(٣) نَسَبَةُ الْبُلْدَانِ (خ ٨٩-٩٠) .

وَمِنْ « دِشْتَة » وَجَدَتْ بِزَاهِرِ بَاقِيسٍ : (وَحَرِيضَةُ كَانَتْ تُسَمَّى قُرَيْضَةً ، تَرَدُّ إِلَيْهَا الْقَوَافِلُ مِنْ صَنْعَاءَ وَمَأْرَبَ ، وَكَانَتْ بِهَا أَسْوَاقٌ ، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ عَادِ الْقَدِيمَةِ) .

وَفِي بَعْضِ مَذَكَّرَاتِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ : (أَنَّ حُرَيْضَةَ كَانَتْ ذَاتَ جَاهِلِيَّةٍ صَمَاءَ ، وَطَاغُوتِيَّةٍ عَمِيَاءَ ، وَكَانَتْ لِلْيَهُودِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ ، فَأَسْلَمُوا بِكِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَرْتَدُّوا إِلَى الْيَهُودِيَّةِ ، وَبَقُوا عَلَيْهَا إِلَى زَمَانِ الْمَهَاجِرِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى ، فَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ وَحَسَنَ إِسْلَامَهُمْ ، وَإِنَّمَا بَقِيَ لَهُمْ نَزَغَاتٌ يُحْيِيهَا الْجَهْلُ وَيُطْفِئُهَا الْعِلْمُ)^(١) . نَقَلَهُ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بَامَشْمُوسٍ ، مِنْ « مَنَاقِبِ الْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ » .

وَجَاءَ فِي كَلَامِ الْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ : (أَنَّ الْحَبِيبَ عَمَرَ الْعَطَّاسَ كَانَ كَأَبَائِهِ فِي النَّسَكِ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ شَيْخُهُ الْحَبِيبُ حُسَيْنُ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ أَنْ يَرْحَلَ إِلَى حُرَيْضَةَ لِيُعَلِّمَ أَهْلَهَا)^(٢) ؛ عَلَيْهِمْ يُفَيِّقُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغَلْظَةِ ، وَقَالَ لَهُ : لَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَجْفَى مِنْهُمْ . . لَبَعَثْتُكَ إِلَيْهِمْ ، فَسَارَ إِلَى هُنَاكَ ، وَأَلْفَاهُمْ عَلَى جَاهِلِيَّةٍ جَهْلَاءَ ، يَبْتَغُونَ مَخْتَلِطِينَ رَجَالًا وَنِسَاءً عَلَى مَا يُسْمُونَهُ الظَّاهِرِي^(٣) ، فَلَمْ يَسَعُهُ إِلَّا أَنْ دَخَلَ فِيهِمْ ، وَجَعَلَ يُلْقِي عَلَيْهِمُ الْأَرَاجِيزَ فِي أَلْعَابِهِمْ ، ثُمَّ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِغَزْلِ النِّسَاءِ عَنِ الرِّجَالِ ، وَمَا زَالَ يَتَدَرَّجُ فِي نَصَحِهِمْ وَإِرْشَادِهِمْ - كَمَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ فِي تَرْتِيبِ دَعْوَتِهِ لِقَوْمِهِ - حَتَّى أَنْكَفُوا عَنِ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ ، وَأَقْبَلُوا عَلَى الدِّينِ وَالصَّلَاةِ بِفَضْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَالرُّفْقِ) اهـ بِمَعْنَاهُ

وَقَدْ تَكَرَّرَ هَذَا فِي كَلَامِ الْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ ، وَلَا حَظَّ عَلَيْهِ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ : أَنَّ الْحَبِيبَ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَا يَقُولُ الشَّعْرَ . . فَلَعَلَّهُ الْحَبِيبُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ ؛ لِأَنَّهُ الشَّاعِرُ الَّذِي لَا يُدَافِعُ ، وَلَكِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ

(١) نَزَغَاتٌ : وَشَوَاسَاتٌ وَتَحْرِيكَ لِلْإِفْسَادِ بَيْنَ النَّاسِ .

(٢) مَوْلَدُهُ بِاللَّسْكَ سَنَةَ (٩٩٢ هـ) ، سَنَةَ تَوَفَّى الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ عَيْنَاتِ . وَلَا زَالَ بَيْتُهُ بِهَا مَعْلُومًا .

(٣) الظَّاهِرِيُّ : رَقْصَةٌ كَانَتْ يَفْعَلُهَا الْبَادِيَّةُ ، تَضْرِبُ فِيهَا الْهَوَاجِرُ - جَمْعُ هَاجِرٍ - وَهِيَ الطُّبُولُ الْكَبِيرَةُ ، وَيَرْقُصُ عَلَى دَقَّاتِهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ ، وَهِيَ مِنَ الْأَلْعَابِ الَّتِي يُولَعُ بِهَا الْبَدَوُ ، وَمِثْلُهَا : الشَّرْحُ .

الْحَبِيبِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ بَعْدُ^(١) ، وَلَئِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَبِيبُ عَمْرُ شَاعِراً .
فَلَعَلَّهُ كَانَ رَاوِيَةً .

وَلَمْ يَزَلْ نَاشِراً الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ بِحَرِيضَةٍ ، صَابِراً عَلَى الْمَشَقَّاتِ الْهَائِلَةِ ، حَتَّى لَقِدِ
أَسْتَقْلَّ الْقُطْبُ الْحَدَّادُ شَأْنَ نَفْسِهِ لَمَّا رَأَى مَا كَانَ عَلَيْهِ الْحَبِيبُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْعَطَّاسُ مِنَ الْمَجَاهِدَاتِ وَالْكَلَفِ وَالْمَشَقَّاتِ^(٢) .

تُوَفِّيَ الْحَبِيبُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسُ بِحَرِيضَةٍ ، سَنَةَ (١٠٧٢ هـ) .

قَالَ فِي « شَمْسِ الظَّهيرة » [٢٤٩-٢٥٣] : (لَهُ تِسْعَةُ بَنُونَ : مَشِيخٌ^(٣) ، وَشَيْخٌ ،
وَشَيْخٌ ، وَمَحْسَنٌ ، وَعَلِيٌّ . . أَنْقَرَضُوا . وَعَبْدُ اللَّهِ ، لَهُ عَقَبٌ بَعْنُ ، وَالْجَذْفِرَةُ ،
وَلَخْرُومٌ ، وَجَاوَةٌ ، وَبَهَّانٌ . وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، عَقَبُهُ بِحَرِيضَةٍ ، وَجَاوَةٌ ، وَالْهِنْدُ ،
وَلَخْرُومٌ ، وَسَالِمٌ ، عَقَبُهُ بِالْصَّيْقِ قُرْبَ حَرِيضَةٍ ، وَسَدْبَةٌ ، وَكَبِيرَعَانٌ ، وَالْجُبَيْلُ ،
وَمَوْشَحٌ ، وَالْهِنْدُ ، وَبَاكُلْنَقَانٌ ، وَكَاتِي دَارٍ ، وَفُلْفُلَانٌ . وَحَسِينُ بْنُ عَمْرٍ^(٤) ، وَلَهُ
ثَمَانِيَةُ بَنُونَ : مِنْهُمْ : مُحَسِّنٌ^(٥) ، عَقَبُهُ بِحَرِيضَةٍ . وَمِنْهُمْ : أَلَسَيْدُ الْفَائِقُ عَلَى أَهْلِ

(١) وَلَدَ الْحَبِيبِ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ سَنَةَ (١١٢١ هـ) ، بَعْدَ نَحْوِ خَمْسِينَ سَنَةً مِنْ وَفَاةِ جَدِّهِ الْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

(٢) الْكَلَفُ : بِمَعْنَى الصَّبْرِ وَالْمَعَانَاةِ فِي الْعَرَفِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ هُنَا الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةُ .
وَمِمَّا يَذْكَرُ مِنْ سَعَةِ أَخْلَاقِ هَذَا الْإِمَامِ . . أَنَّهُ رَزِقَ بِمَوْلُودٍ ، فَجَاءَهُ أَهْلُ حَرِيضَةٍ يَهْتَنُّونَهُ بِالْهَادِفِ
الْجَدِيدِ ، وَغَابَ مِنْهُمْ شَخْصٌ لَاحِظَ الْحَبِيبَ عَمْرَ غِيَابَهُ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ قَدْ وَلَدَتْ لَهُ أُنْثَى . .
وَلَمْ تَبَارِكْ لَهُ عَلَى وَلَادَتِهَا فَهُوَ آخِذٌ فِي خَاطِرِهِ عَلَيْكُمْ لِهَذَا السَّبَبِ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : هَلُمُّوا بِنَا نَبَارِكْ لَهُ
فِي نَتَاجِهِ الْجَدِيدِ ، وَذَهَبَ وَمَعَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ ، فَمَا كَانَ مِنَ الرَّجُلِ إِلَّا أَنْ اسْتَحَى مِنْ نَفْسِهِ
لَمَّا رَأَى الْحَبِيبَ عَمْرَ يَأْتِي إِلَيْهِ يَبَارِكُ لَهُ فِي حِمَارِهِ ، وَهُوَ لَا يَبَارِكُ لَهُ فِي مَوْلُودِهِ . . وَبِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ
وَالنَّفْسِيَّاتِ الْعَالِيَةِ . . سَادَ أُولَئِكَ الْأَقْوَامُ ذَوُو الْحَسَبِ النَّبَوِيِّ ، وَالْخَلْقِ الْمُصْطَفَوِيِّ ، عَلَيْهِمُ سَلَامُ
اللَّهِ .

(٣) فِي الْمَطْبُوعِ مِنْ « شَمْسِ الظَّهيرة » (٢٤٩/١) : شَيْخٌ وَشَيْخٌ وَشَيْخٌ ، ثَلَاثُهُمْ بِاسْمٍ وَاحِدٍ .

(٤) تُوَفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ سَنَةَ (١١٥٠ هـ) ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ سَنَةَ (١١١٦ هـ) ، وَسَالِمٌ سَنَةَ (١٠٨٧ هـ) ،
وَحَسِينُ سَنَةَ (١١٢٩ هـ) ، وَلَجْمِيعِهِمْ تَرْجُمَةٌ فِي « الْقُرطاس » إِلَّا الْأَوَّلَ .

(٥) تُوَفِّيَ بِحَرِيضَةٍ سَنَةَ (١١٤٨ هـ) ، وَدُفِنَ بِمَشْهَدِ وَالِدِهِ ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي « بَهْجَةِ الْفَوَادِ » .
وَمِنْ أَبْنَاءِ الْحَسَنِ أَيْضاً : عَمْرٌ ، تُوَفِّيَ بِنَفْحُونٍ ، وَأَحْمَدُ تُوَفِّيَ (١١١٠ هـ) بِأَحُورٍ ، وَحُمَزَةٌ =

زمانه في العلوم، الحريص على تقييد الفوائد وسيرة السلف، أحمد البصير بن حسن^(١).
ومناصبها الآن - أي : في سنة (١٣٠٧هـ) - حسن بن عبد الله^(٢) والد أحمد
المذكور، وزين بن محمد^(٣)، شريفان كريمان قائمان بعبادات سلفهم. ومنهم :
طالب، عقبه بحريضة، ومنهم : الإمام الخليفة أبو بكر بن عبد الله بن طالب^(٤)،
المتوفى بها سنة (١٢٨١هـ) باختصار.

وقد أخذت أنا عن السيد أحمد بن حسن، وأمتدحته ورثته بقصيدتين توجدان
بمحلّهما من «الديوان» [٣٨٨ و٣٩١].

وكثيراً ما حدّثنا الشيخ الجليل حسن بن زين بن عوضٍ مُخدّم، عن شيخه العلامة
الجليل أبي بكر بن عبد الله بأمور عجيبة عن مُشاهدة، ولكن أخبرني جماعة آخرهم
الشيخ عمر بن عوض شيبان: أنّ السيد علي بن سالم الآتي ذكره في عينات حضر
مجلس سيدي الأبر في السّوم - الواقع بين الغرفة وسيئون، أو الواقع في طريق نبي الله

بالخرية، وعبد الله (١١٥٠هـ)، وطالب (١٢١٠هـ)، وحسن (١١٥١هـ)، وعليّ توفي
(١١٥٦هـ) بحريضة.

(١) الإمام العلامة: أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاس. مولده بحريضة في شهر رمضان من سنة
(١٢٥٧هـ)، وكفّ بصره وهو صغير، فعوّضه الله بنور البصيرة، طلب العلم صغيراً، ولازم
الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، وكان فتوحه على يديه، وأخذ عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله
العطاس. رحل لطلب العلم إلى الحرمين، وأخذ عن أكابر شيوخ عصره.
ومن أراد المزيد. فعليه بكتاب «إناس الناس» للشيخ بافضل، و«عقود الألماس» للحداد،
و«مناقبه» التي جمعها ابنه الحبيب علي بن أحمد، و«تاج الأعراس»، وغيرها. توفي الحبيب
أحمد في (٦) رجب سنة (١٣٣٤هـ).

(٢) توفي السيد حسن بن عبد الله بن علي بن عبد الله بن مُحَمَّد بن محسن بن حسين بن عمر. يوم الأحد
(١٠) ربيع الثاني سنة (١٣٣٣هـ)، وتوفي ابنه الحبيب أحمد بن حسن بعده بسنة وثلاثة أشهر
تقريباً.

(٣) توفي بحريضة الأحد (٢١) جمادى الآخرة سنة (١٣٤٢هـ)، ترجمته في «تاج الأعراس»
(١/ ٧٣٠-٧٣٧).

(٤) الحبيب أبو بكر بن عبد الله، من مشاهير أولياء عصره، أخذ عنه السيد العلامة مفتي مكة أحمد زيني
دحلان، وغيره من أكابر عصرهم، وجمع حفيده السيد سالم بن عبد الله بن أبي بكر شيئاً من مناقب
جدّه المذكور وكلامه، ويعضه جمعه والده عبد الله، وسماه: «حلاوة القرطاس».

هو عليه السَّلام ، لا أدري أيُّهما كان ، والأوَّل أقرب - فأشارَ إلى تفضيل الحبيب أبي بكرٍ هذا على سيِّد الوادي الحسن بن صالح البحر . . فغضب سيدي الأستاذ الأبرُّ ، وخرجَ على عادته بإظهار ذلك وقالَ له : إنَّ أبيت . . باهلتناكَ ، وستعلمُ . فأنكسر السيِّد عليُّ بن سالم حينئذٍ وتضاءلَ حتَّى كاد يذوبُ .

ولم يذكُر شيخنا المشهورُ صاحبَ الجاهِ العظيم ، والفضلِ الجسيم السيِّد عبد الله بن علويِّ بن حسنٍ العطَّاس ، مع أنَّه لا يُجهلُ قدره ؛ لأنَّ ظهوره إنَّما كان بعدَ انتهاء « شمس الظَّهيرة » ، توفيَّ بحريضة في سنة (١٣٣٤ هـ)^(١) .

ولم يذكُر الصَّالح المشهور السيِّد عبد الله بن محسن العطَّاس ، المتوفَّى ببوقور من أرضِ جاوة في سنة (١٣٥٢ هـ) عن عُمرٍ نيفَ على الثَّمانين^(٢) .

ولمَّا توفيَّ العلَّامة السيِّد أحمد بن حسن العطَّاس . . وقعَ لواؤه على حفيده^(٣)

(١) عبد الله بن علوي بن حسن بن علي بن أحمد . . ابن الإمام عمر العطَّاس ، المشهور بصاحب « سبيل المهتدين » . ولادته بشربون بجاة الغربية ، وتلقَّى معارفه في حريضة على يد الإمام أحمد بن حسن ، والحبيب حسين بن مُحَمَّد آل العطَّاس ، وغيرهما ، في حضرموت والهند . كان محسناً كريماً باذلاً يبذل في أمور الخير ، بنى مسجداً بحريضة يعرف بمسجد باعلوي ، وحفر بئراً لسقي النَّاس . توفيَّ سنة (١٣٣٤ هـ) ، وله ترجمة في « تاج الأعراس » ، وأعقب ولداً واحداً هو السيِّد عبد الرَّحمن ، وعقبه منه ، توفيَّ سنة (١٣٨٦ هـ) .

(٢) عبد الله بن محسن بن مُحَمَّد . . ابن الحبيب الإمام عمر العطَّاس . مولده ببلدة حوره من قرى الكسر ، سنة (١٢٦٥ هـ) ، قرأ القرآن في صغره على المعلم عمر بن فرج بن سبَّاح ، وقرأ « الرسالة » على الحبيب عبد الله بن علويِّ العيدروس صاحب بور ، وأخذ عن الحبيب أحمد المحضار ، وأحمد البار ، وأقام بالخربة مدَّة يطلب العلم عند الشَّيخ مُحَمَّد باسودان ، وحجَّ حجة الإسلام سنة (١٢٨١ هـ) ، وأخرى سنة (١٢٨٣ هـ) . وبعد حجَّته الثَّانية دخل جاوة ، ولازم هناك شيخه الإمام أحمد بن مُحَمَّد بن حمزة العطَّاس ، ومارس التَّجارة في باكلفتان ، وسجن عدَّة سنوات امتحاناً وابتلاءً . فصر ، وكان في سجنه داعية ، حتَّى إنَّ السَّجن يفضُّ بزواره من المسلمين وغيرهم ، وأسلم وناب على يديه أعدادٌ غفيرة . وكانت وفاته سلخ ذي الحجة سنة (١٣٥٢ هـ) ، ودفن ببلدة بوقور . ترجم له الحبيب مُحَمَّد بن حسن عديد في « إتحاف المستفيد » ، وأورد نصَّ إجازته له .

(٣) لأنَّ ابنه سالماً توفيَّ في حياته سنة (١٣٢٦ هـ) ، وأعقب من الذُّكور : حسناً ، وعلياً ، ومُحمَّداً ، وأمَّا ابنه الآخر الحبيب عليُّ بن أحمد . . فقد كان صغيراً ؛ لأنَّ مولده سنة (١٣٢٧ هـ) ، وسيأتي ذكرهم .

حسن بن سالم بن أحمد العطاس^(١) ، وكان شهماً كريماً ظريفاً ، توفي بالمكلا في سنة (١٣٦٠هـ) ، وخلفه على المنصب عنه علي بن أحمد بن حسن العطاس^(٢) ، وهو ولد نبيه ، مفتوح الأبواب ، موطاً الأكناف .

ولما توفي السيّد زين بن محمد . . خلفه على المنصب ولده عمر بن زين^(٣) ؛ لأنه لا يزال بحريضة منصبان .

ومن أعيان حريضة الآن : السيّد أبو بكر بن عبد الله بن أحمد العطاس ، رجل شهيم ، يقوم بتسهيل الطريق لكل من يرد جادة من الحضارم وغيرهم ، وهو كثير التّنقّلات في البلاد .

ومنهم : السيّد محمد بن سالم بن أبي بكر . ومنهم : السيّد محمد الخيل^(٤) ، والسيّد سالم بن عمر . ومنهم : السيّد عبد الرحمن بن عبد الله بن علوي ، والسيّد

(١) حسن بن سالم بن أحمد بن حسن ، ولد بحريضة سنة (١٣١٧هـ) ، وأدرك زماناً من حياة جدّه الإمام ، وأجازته عامّة ، وله إجازة من الحبيب علي بن عبد الرحمن المشهور بتريم ، ومن السيّد مُحَمَّد بن علي الإدريسي صاحب صيا . رحل إلى الحرمين ، وأقام بمكة مدّة أيام الشريف حسين بن علي ، ورحل إلى جادة وغيرها ، ثم سافر إلى المكلا ، وتوفي بها في (٥) ذي القعدة سنة (١٣٦٠هـ) . « الدليل المشير » (٨٧-٨٥) .

(٢) علي بن أحمد بن حسن العطاس ولد بحريضة سنة (١٣٢٧هـ) ، ووالدته من المشايخ آل بايزيد ، طلب العلم في حريضة وتريم وغيرها ، وأكثرهم من تلامذة والده والأخدين عنه ، وربّاه بعد وفاة والده ابن أخيه الحسن بن سالم ، والحبيب زين بن مُحَمَّد ، وفي تريم رعاه واعتنى به الشيخ مُحَمَّد بن عوض بافضل ، وألحقه بمدرسة الحق . وشيوخه كثر ، ورحل إلى عدّة بلدان ، منها سواحل إفريقيا الشّرقيّة ، والحرمين وأجاز به الشيخ عبد القادر شلبي وغيره . وله إصلاحات جليّة ، وأعمال ومآثر في بلاده وخارجها . وافته المنيّة في أبو ظبي ، سنة (١٤٠٧هـ) ، بعد تورّعك صحّته واعتلالها .

(٣) توفي الحبيب عمر بن زين سنة (١٤٠٥هـ) تقريباً .

(٤) هو الحبيب مُحَمَّد بن محسن بن عمر - الخيل - ابن سالم بن عبد الرحمن بن سالم بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس . مولده في قرية قرسا من برور القنفذة ، ووفاته بالمدينة المنورة سنة (١٣٥٨هـ) ، أخذ العلم الشريف وطلبه بمكة عند الشيخ عمر باجنيد ، وكان ملازماً له حضراً وسفراً ، وأخذ عن بابصيل ، والحبيب حسين الحبشي . وأخذ عنه جمٌ ؛ منهم : صاحب « تاج الأعراس » ، والحبيب سالم بن حفيظ ، والحبيب أحمد مشهور الحدّاد . ومعنى (الخيل) : بفتح الخاء وتشديد الياء المكسورة : القيّم أو الناظر على مجاري مياه السيول ، وهو لقب لجّد المترجم .

علي بن سالم بن أحمد ، له شعرٌ وأدبٌ وحرصٌ على الفوائد ، وهو على قضاء حريضة الآن .

وفي غربي حريضة كثيرٌ من الآثار القديمة ، وقد أسفر الحفر في الوقت الأخير في آثار حريضة عن بيوت مطمورة تحت الأرض ، فيها معابد للقمر ، لا تخلو عن آثار قديمة ، ربّما كان للحافر عنها غرضٌ في الإخفاء .

وحول معبد إله القمر الذي ظهر هناك كثيرٌ من المباخر^(١) ، وعلى بعض الحجارة كتاباتٌ قديمة ترجعُ إلى أكثر من ألفي سنة ، وفي بعضها ما ترجمته : (يا لبان . يا كوكبان . بلغ الإله السلام) ، والجزء الأول من هذه الجملة مشهورٌ بكثرة على السنة العامة بحضرموت^(٢) ، ورجوعُ عهد الكتابة إلى أكثر من ألفي سنة يُعرفُ أنّ لمثله اتّصالاً بأديان الحضارم القديمة ، وكثيرٌ من آل حضرموت كانوا يعبدون الشمس ويسمونها (الإلاهة) ، وفيها يقول الأعشى [من المتقارب] :

فَلَمْ أَذْكَرِ الرُّهْبَ حَتَّى أَنْفَلْتُ قُبُلَ الْإِلَآهَةِ مِنْهَا قَرِيْبًا
ويريدُ بالإلاهة : الشمس .

-
- (١) المباخر - جمع مبخرة - وهي : الآلة التي تستعمل للتبخير ، وقد تسمّى : مخمرة .
(٢) المتردّد على السنة العامة اليوم في كثير من بلدان حضرموت عندما يضعون اللبن البدوي (الكوكباني) في المباخر أن يكرّروا قولة : يا لبان يا كوكبان اطرِد إبليس الشيطان . وهي عبارة قد تكون لها دلالتها التاريخية كما ذكر المصنف رحمه الله تعالى .

تنبه :

قد يسرح فكر البعض عند قراءتهم لمثل هذا الكلام ، فيعمدون إلى منع الناس من هذه العبارة ، ويشنون حملات وغارات على الناس ، بسبب أنّ هذه العبارة لها تعلّق بشيء وثني وغير ذلك ، وينسجون حول هذا الكثير والكثير من القصص والثّرات .

والأولى أن يقال في معنى قولهم : يا لبان يا كوكبان . إلخ أنه للتفاؤل والفرح بطرد الرّوائح الكريهة من المنازل ؛ لأنّ الجنّ والشياطين يأنسون للرّوائح الكريهة . . بينما الملائكة تتأذّى منها ، وقد ورد في الحديث : « إنّ الملائكة تتأذّى مما يتأذّى منه بنو آدم » .

فليس في هذه الكلمات نداءٌ لغير الله ، ولا شرك به ، والتأويل في مثل هذه المواضع واجب ، وإذا لم نؤوّل للعامة . . أوقعناهم في الشرك والكفر ، ومن كفر مسلماً . . فقد كفر .

كَانَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ يَقْرَأُ : (لَتَذَرَّ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيَفْسُدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَإِلَا هَتَكَ) ^(١) .

وفي شمال حريضة إلى الشرق : بئر عميقة ، يُنَزَّلُ إِلَيْهَا بِدَرَجٍ طَوِيلَةٍ ، كُلُّ دَرَجَةٍ مِنْهَا فِي طَوْلِ قَامَةِ الْإِنْسَانِ ، مشهورة ببئر غمدان ، يتعالم الخلف عن السلف بكثرة كنوزها وذُهبانها ، ولهم عنها أخبار كثيرة ، يقصدها السَّيَّاحُ ، غيرَ أَنَّهُمْ مَتَى نَصَفُوهَا . . أَنْطَفَأَتْ عَلَيْهِمُ النَّارُ الَّتِي يُجَرَّبُونَ بِهَا . . فيثنون ؛ لَأَنَّ مَا تَنْطَفِئُ بِهِ النَّارُ . . تَفِيضُ بِهِ الرُّوحُ ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ يَفْكَرُ فِي تَغْطِيَةِ وَجْهِهِ بِغِطَاءٍ سَمِيكِ يُمْكِنُ مَعَهُ الَّتَنَفُّسُ فِي أَنْيَابٍ تَبْقَى عَلَى رَأْسِهِ .

وتلك البئر في قارة إلى جانب الجبل المُسمَّى غمدان ، وهو في شَرْقِيَّهَا إلى جهة الشَّمال ، وفيه آثارُ حصنٍ بالية .

وَمِنْ أَعْمَالِ عَمَدٍ : لَحْرُومٌ ، وقد مرَّ في جردان عن « القاموس » : (أَنَّ الصَّدِفَ وَلَدٌ حَرِيمًا وَيُدْعَى بِالْأَحْرُومِ) . . فلا شكَّ أَنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ عَلَى اسْمِهِ .

وفيها جامعٌ ، وَسُكَّانُهَا مِنْ آلِ الْعَطَّاسِ ، وَمِنْهُمْ آلَانٌ : صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَطَّاسُ ، رَجُلٌ شَهْمٌ جَزُلٌ الرَّأْيِ ، كَبِيرُ الْهَمَّةِ ، كَثِيرُ الْإِقْدَامِ وَهُوَ آلَانٌ بِجَاوَةٍ . وفيها نَاسٌ مِنْ آلِ بَاغْشَرٍ وَغَيْرِهِمْ .

وبَعْدَهَا : عَنَدَلٌ ^(٢) ، قَالَ أَبُو الْحَاثِكِ فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » [١٦٧] : (هِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ لِلصَّدِفِ ، وَكَانَ أَمْرُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ زَارَهُمْ فِيهَا ، وَفِيهَا يَقُولُ : [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَأَنِّي لَمْ أَهْوَ بِدُؤُونِ لَيْلَةٍ وَلَمْ أَشْهَدْ أَلْغَارَاتٍ فِي بَطْنِ عَنَدَلٍ) اهـ
وفيها جامعٌ ومَنْزَلٌ لِلضَّيْفِ عَلَى صَدَقَاتِ الْحَبُوطِيِّ . وَسُكَّانُهَا آلُ بَاغَابِرٍ ، وَمَنْصِبُهُمْ آلَانٌ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ بَاغَابِرٍ .

(١) أي : عبادتك ، لأن من معاني الإلهة العبادة .

(٢) عندل : بلدة تاريخية قديمة ، لا تزال عامرة إلى اليوم ، وبها سد أثري قديم ، أُعيد بناؤه أخيراً ، وتنتج أرضها الثَّمُورَ والأَعْلَافَ .

وَمِنْ كِتَابِ «نَهَايَةِ الْأَنْسَابِ» بِخَطِّ الشَّيْخِ عَلِيِّ بَاصْبَرِينَ ، عَنِ الشَّيْخِ عَمْرِو الْعُمُودِيِّ ، عَنِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ^(١) : (أَنَّ آلَ بَاجَابِرٍ وَالشَّيْخَ مَزَاحِمَ صَاحِبَ بَرُومَ . . مِنْ ذُرِّيَّةِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) . وَمِثْلُهُ مَنْقُولٌ عَنِ الْعَلَامَةِ الْقَاضِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْقَدْرِيِّ بِاشْعَيْبِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعَنِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ قَاضِي بَاكْثِيرِ الَّذِينَ تَوَلَّيَا الْقَضَاءَ بِتَرِيمَ .

وَقَالَ الْحَبِيبُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ فِي «سَفِينَةِ الْبَضَائِعِ» : (يَقَالُ : إِنَّ آلَ إِسْحَاقَ مِنْ نَسْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ أَحَدُ شُعَرَائِهِمْ فِي شِعْرِهِ . وَمَا أَظْنُّهُ يَصْحُحُ ، وَكَذَلِكَ يَقَالُ : إِنَّ آلَ بَاجَابِرٍ مِنْ نَسْلِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ سُئِلَ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَوِيِّ الْحَدَّادُ . . فَلَمْ يُوَافِقْ عَلَيْهِ) اهـ

وَلَكِنْ السَّيِّدَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ مُصْطَفَى الْعِيدَرُوسِ نَزِيلَ مِصْرَ أَكَّدَهُ^(٢) .

وَفِي النَّصْفِ الثَّانِي مِنْ «الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَنِ» لِلْحَبِيبِ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ فِي تَرْجُمَةِ جَدِّهِ الْحَسَنِ : أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الْجَبَّارِ بْنِ مَزَاحِمَ قَائِمٌ بِمَنْصِبِ أَجْدَادِهِ آلِ بَلْخَفَّارٍ بِأَحْوَرَ ، وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ الْحَسَنِ ابْنِ الْقُطُبِ الْحَدَّادِ ، وَكَذَلِكَ أَبْنُهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ ، وَأَوْلَادُ عَمِّهِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ .

وَفِيهِ أَيْضاً : أَنَّ الشَّيْخَ الْجَلَالِيَّ الْحَالِ بَلْخَفَّارٍ . . انْتَفَعَ بِالْقُطُبِ الْعِيدَرُوسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ .

وَمِنْ آلِ بَاجَابِرٍ : الشَّيْخُ الصُّوفِيُّ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍ ، صَاحِبُ «جَوْهَرَةِ عَقْدِ الْعُرُوسِ» ، وَلَهُ أَمَادِيحٌ فِي السَّادَةِ آلِ الْعِيدَرُوسِ ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ فِي رِثَاءِ سَيِّدِنَا عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ شَيْخٍ [مِنَ الْمَدِيدِ] :

لَمْ يَزَلْ مِنْهُمْ لَنَا عَلَمٌ قَائِمٌ لِلْحَقِّ يَنْتَصِرُ
فَلَيْزَنْ وَلَّى لَنَا خَلْفٌ كُلُّهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَشْتَهَرُوا

(١) هو الباهر ، عمُّ عبد الرحمن بن مصطفى صاحب مصر .

(٢) وصدر مؤخراً كتاب يجمع نسب آل باجابر وتراجمهم ، ومنهم : آل باجابر في بروم ، وآل زُحُوم ، وغيرهم .

ومنهم : الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الرحيم باجابر^(١) ، كان علامة فقيها ، وله أدب غص ، تكرر ذكره في « النور السافر » ، وذكر له في (ص ٣٩٦) منه أبياتاً يمدح بها العلامة ابن حجر الثاني^(٢) ، وهي [من الكامل] :

قَدْ قِيلَ مِنْ حَجَرٍ أَصَمَّ تَفَجَّرَتْ لِلْخَلْقِ بِالنَّصِّ الْجَلِيِّ أَنْهَارُ
وَتَفَجَّرَتْ يَا مَعْشَرَ الْعُلَمَاءِ مِنْ حَجَرِ الْعُلُومِ فَبَخَّرَهَا زَخَارُ
أَكْرَمَ بِهِ قُطْباً مُحِيطاً بِالْعُلَا وَرَخَاوَةً حَقّاً عَلَيْهِ تُدَارُ
وَالْمَعْنَى قَوِيٌّ وَإِنْ كَانَ الْكَلْفُ ضَعِيفاً مُتَكَلِّفاً .

ومن آل باجابر : الشيخ المتفني ، أحمد بن محمد باجابر ، ترجمه السيّد باحسن في « تاريخه للشحر » ؛ لأنه سكنها ، ومن شعره لغز في عثمان رفعه للشيخ عبد الصمد باكثير فحلّه .

يَبْعَثُ^(٣)

قد سبق في أوّل الكتاب ذكر حوطة ألقية علي ، ومنها شرقاً إلى محيد - وهي أرض آل باقظمي شرقاً أيضاً - نصف يوم ، ومنه إلى يبعث يومان .

(١) توفي الشيخ أحمد هذا في لاهور بالهند في سؤال (١٠٠١ هـ) ، تربى بوالده ، وأخذ عن غيره ، ورحل إلى الهند ، ولازم السيّد عبد القادر بن شيخ العيدروس ، المتوفى سنة (١٠٣٨ هـ) ، قال السيّد عبد القادر : وتأسفت على موته جداً ، وكنت كلما ذكرته . . استثار مني الحزن ، وانبعث الأسى والنّدم ؛ حتّى كأنّ مصابي باعتبار ذلك جديداً في كل آن ، وصنفت في أخباره ومآجريات كتاباً سمّيته : « صدق الوفاء بحق الإخاء » اهـ « خلاصة الأثر » (١ / ٢٧٤) .

(٢) هو الهيمتي صاحب « تحفة المحتاج » ، المتوفى سنة (٩٧٤ هـ) .

(٣) يبعث : مركز إداري من مديرية حجر بحضرموت ، وهو واد بين جبلين ، تنتشر فيه مجموعة من القرى ؛ منها : مشاط وفيها آل نعمان ، وبلد المشايخ ، وقرية الجنينة ، وقرية الشروج ، وقرن باربيد ، وقرية الحمام ، وحصن باشقير ، وحصن بامظفر ، وغيرها من القرى ، وسكانها معظمهم من المشاجرة - واحد منهم مشجري - ، وفيهم سادة من آل الشيخ أبي بكر بن سالم . وعند منحدر هذا الوادي تنمو الزروع وأشجار النخيل والسدر .

وقد عدد مؤلف « الشامل » القرى والبلدان المجاورة لهذا المركز بتفصيل دقيق . . فليرجع إليه انظر « الشامل » (٧٣-٧٤) .

وهو وادٍ بين جبلين ، فيه كثيرٌ من المشايخ آل العمودي ، وناسٌ من السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم .

وفيه بلدٌ يقال لها : مشاط ، يسكنها ناسٌ من آل نعمان . وبلدٌ يقال لها : الحمام ، فيها نحو مئةٍ من المشاجرة . وبلدٌ يقال لها : قرن المشايخ آل العمودي . وبين هذه البلدان غيلٌ يخرج منه ماءٌ كثيرٌ ، يسقي نخيلاً ومزارع كثيرةً .

ووادي ينبعث أضيئٌ من وادي دوعن ، وقد هبطت عليه في سنة (١٣٤٩ هـ) فاستغرق نزولنا عليه من العقبة نحو ساعتين ، وبتنا بجانبه الجنوبي ، ولما أصبحنا . لم نمش إلا غلوة سهم^(١) ، ثم تسنمنا الجبل الذي يفضي إلى السوط في جنوبه^(٢) .

والناس ينطقون (يبعث) بموحدة بعد الياء ، والذي عند الهمداني و« القاموس »^(٣) و« معجم ياقوت » [٤٥٤/٥] و« غريب الحديث » إنما هما ياءان .

ولأهله كتابٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه صورته : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ، إِلَى الْمُهَاجِرِينَ مِنْ أَبْنَاءِ مَعْشَرٍ وَأَبْنَاءِ ضَمْعَجٍ بِمَا كَانَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ مِلْكٍ وَعُمُرَانٍ ، وَمَزَاهِرَ وَعُرْمَانَ ، وَمَلَحٍ وَمَحْجَرٍ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ أَثَرْنَاهُ يَبِيعُثُ وَالْأَنْبِيرِ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ مَالٍ بِحَضْرَمَوْتَ . . إلخ »^(٤) .

(١) غلوة سهم : مقدار رمية به .

(٢) تسنمنا الجبل : صعدنا عليه .

(٣) ليس في « القاموس المحيط » ما أشار إليه الشيخ المؤلف رحمه الله ، بل في شرحه : « تاج العروس » ، قال الزبيدي صاحب « التاج » : (ومما يُستدرك عليه . . . يبعث : بياءين ، والعين المهملة . . .) .

(٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤٧/٢٢) ، و « الصغير » (٢٨٥/٢) بنحوه ، وأما الرواية التي ذكرها المؤلف . . فقد ذكرها ياقوت في « معجم البلدان » (٤٥٤/٥) .

وأما ما ذكره المصنف متابعاً فيه ياقوت ، من أن الكتاب للمهاجرين من أبناء معشر . . فلعل فيه وهماً ؛ لأن الكتاب للمهاجر بن أبي أمية ، كما في « المعجم الكبير » و « الصغير » و « الغريب » للخطابي (١٤٨/١) . مزارع : رياض ، سميت بذلك لأنها تجمع أصناف الزهر والنبات . عُرمان : مزارع وبساتين . مَلَح : اسم موضع . محجر : حظيرة حول النخل . أثرناه : اخترناه . الأنابير : جمع أنبار - وهو : بيت التاجر الذي يجمع فيه المتاع والغلال = (مستودع) .

وَأَنْشَدَ ياقوتُ [٣٩٣/١] في : (بَرَقَ حَارِبٌ) لِلتَّنُوخِيِّ قَوْلُهُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
لَعَمْرِي لِنَعْمَ الْحَيِّ مِنْ آلِ ضَعْجَمٍ ثَوَى بَيْنَ أَخْجَارٍ بِبُرْقَةِ حَارِبٍ
وضعجم قريبٌ مِنْ ضمعج ، فَإِذَا أَنْ يَكُونَ هُوَ بِتَصْحِيفٍ ، وَإِذَا أَنْ يَكُونَ غَيْرُهُ .
وفي « التاج » و« أصله » : (وَضْجُكُمْ كَقُنْفُذٍ وَجَوْهَرٍ : أَبُو بَطْنٍ مِنَ الْعَرَبِ ، وَهُوَ
ضَجْعُمُ بْنُ سَعْدِ الْمَلْقُبِ بِسَلِيحٍ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ ، وَهُمْ الضَّجَاعِمُ وَالضَّجَاعِمَةُ ،
كَانُوا مُلُوكًا بِالشَّامِ قَبْلَ غَسَّانِ) .

فشدَّ رجلٌ منهم على أحدِ بني غَسَّانَ - وَأَسْمُهُ جَذْعٌ - فَأَشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ وَقَتَلَ
الضَّجْعِمِيَّ . . فَقِيلَ : (خُذْ مِنْ جَذْعٍ مَا أَعْطَاكَ) ، ثُمَّ إِنَّ غَسَّانَ رَأَسَتْ أَحَدَهُمْ ،
فَانْتَزَعَ بِهِمُ الْمُلْكَ مِنَ الضَّجَاعِمِ ، وَكَانَتْ لذلِكَ الرَّئِيسِ بِنْتُ تُدْعَى : حَلِيمَةُ ، مِنْ
أَجْمَلِ النِّسَاءِ ، أَعْطَاهَا طَيِّباً تَضَمَّنْ بِهِ كُلَّ مَنْ يَمُرُّ بِهَا مِنْ قَوْمِهِ ، فَمَرَّ بِهَا شَابٌّ ، فَلَمَّا
طَيَّبَتْهُ . . قَبَّلَهَا ، فَصَاحَتْ وَأَشْتَكَتْ إِلَى أَبِيهَا ، فَقَالَ لَهَا : أَسْكِنِي ، فَمَا أَجْتَرَأُ عَلَيْكَ
إِلَّا مِنْ فَضْلِ شَجَاعَةٍ ، وَإِنْ عَادَ . . فَهُوَ زَوْجُكَ ، وَإِنْ قُتِلَ . . فَذلِكَ أَشَدُّ عَلَيْهِ مَمًّا
تُرِيدِينَ بِهِ ؛ فَاسْتَمَاتِ الْفَتَى ، وَأَبْلَى ، ثُمَّ عَادَ ، فَزَوَّجَهَا أَبُوهَا مِنْهُ . وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ
أَشْهُرُ أَيَّامِ الْعَرَبِ ، كَذَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ « خَزَانَةِ الْأَدَبِ » [٣/٣٣٣-٣٣٤] ، وَقِيلَ : إِنَّ يَوْمَ
حَلِيمَةَ الْمَعْرُوفَ غَيْرُ هَذَا .

وَقَالَ فِي « سِبَائِكِ الذَّهَبِ » : (ضَجْعُمُ هُوَ أَبْنُ سَعْدِ بْنِ سَلِيحٍ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ
أَبْنِ الْحَافِي بْنِ قُضَاعَةَ) اهـ

وَيَأْتِي فِي تَرْيَمٍ عَنْ بَامْخَرَمَةَ مَا يُفْهَمُ مِنْهُ وَجُودُ نَاسٍ مِنْ آلِ ضَمْعَجٍ بِتَرْيَمٍ ، وَفِي أَوَّلِ
الْقِسْمِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ كَلَامٌ يَتَعَلَّقُ بِمَا هُنَا . . فَلْيَكْشَفْ مِنْهُ .
وَمَا يَزِيدُ مِنْ سَيُولِ جِبَالٍ يَبِيعُ عَنْهُ . . يَفِيضُ إِلَى وَادِي حَجَرٍ .

وَفِي غَرْبِيِّ وَادِي يَبِيعُ بِالْتَّجْدِ الَّذِي يَعْلُوهُ . . مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : حَوْلٌ ، فِيهِ قَبِيلَةٌ مِنْ
الْمَشَاجِرَةِ ، يُقَالُ لَهُمْ : آلُ بَاشُقَيْرٍ ، وَيَلْغَوْنَ مِثْلَ رَامٍ ، وَهُمْ أَهْلُ حِمَاسٍ وَنَجْدَةٍ ،
وَبِلَادُهُمْ خِصْبَةٌ ، وَفِيهَا عَيُونُ مَاءٍ نَضَّاحَةٌ .

وقال الشَّيْخُ عمرُ بنُ صالحٍ بنِ هريرة ، يصفُ مخرجَهُ مِنْ جَبَلِ يافعٍ إِلَى حَضْرَمَوْتَ
سنةَ (١١١٧ هـ) : (وكانَ مروژنا في وادي الْمَشَاجرةِ ، وهوَ كثيرُ الْأَشجارِ
وَالْأَنْهارِ ، وحواليهِ الْحُصُونُ بِالْيَمِينِ وَالْيَسَارِ ، وقدِ اعترضونا وقالوا : لا نُمْكِنُ
دولة^(١) مِنْ الْعَبورِ في وادينا ، فطلَبنا عُقلاءَهُمْ ومشايعَهُمْ ، فأَرْضيناَهُمْ وخلَعنا
عليهِمْ ، فأذِنوا لَنَا بِالْمَرورِ ، وكانَ خروِجُنا إِلَى الضِّلِيعَةِ) اهـ
ووَادي الْمَشَاجرةِ هوَ وادي يبعثُ ، فَإِياهُ يعني الشَّيْخُ عمرُ بنُ صالحٍ ، وإِليه يَشيرُ ،
وقَد سَلَكَهُ سيِّدي الْعَلامةُ الْجَليلُ ، الْحَسَنُ بنُ عبدِ اللَّهِ الْحَدَّادُ ، سنةَ (١١٤٨ هـ) ،
ونزلَ بِهِ عليَ محبِّهِ آلِ بُحَيْثٍ .

الضِّلِيعَةُ^(٢)

هيَ قاعِدَةُ رِيْدَةِ الدَّيْنِ ، بينها وبينَ يبعثِ الْواقِعِ في غربيِّها مَسيرةُ يومٍ ، وكانَ
يُقالُ لَها : رِيْدَةُ أَرْضينَ ، ثُمَّ قِيلَ : رِيْدَةُ الدَّيْنِ ، نَسَبَةً إِلى سَكَّانِها الْمَتَأَخِّرِينَ^(٣) .

-
- (١) أي : حاكم ، بِاللَّهجةِ المحليَّةِ .
(٢) وَالضِّلِيعَةُ اليومَ مَركزُ إداريٍّ مِنْ مَديريَّةِ دوعنِ أَعلى وادي حَضْرَمَوْتَ ، يَشتمَلُ على قَرىَ وَضياعٍ كَثيرَةٍ ؛
مِنها : بَريرةَ ، براورةَ ، ضراكَ ، ضَرِيكةَ ، الكَريفَ ، سَحكَ ، الثَجرَ ، الوَليجةَ ، عَتودَ ، حَسنَ
باجعِمَ ، الخَليفَ ، القَويرةَ ، النَجيدَينَ .
(٣) رِيْدَةُ الدَّيْنِ : مَناطِقُ في المَرتفَعاتِ الْواقِعةِ ما بَينَ وادي دوعنِ ووادي عَمَدَ ، وهيَ صَحارَى جَبليَّةَ ،
تَتخلَّلُها شَروِجٌ ومَسيلاتُ ماءٍ صَغيرةَ ، تَنحدرُ مِنْها مِياهُ الأمطارِ إِلى الجَروِبِ الَّتِي يَزرَعونَها . وَمِن
قَراها : شَرجُ الأَبيضِينَ ، الوُليجاتِ ، كِيدامَ ، بامَسدوسَ ، والدَّيْنِ هُمَ حَلَفٌ يَتألفُ مِنْ ثَلاثَةِ أَصولَ :
كَندَةَ ، وَحَميرَ ، وأَجارِدَةَ .
وفي رِيْدَةِ الدَّيْنِ كَثيرٌ مِنَ المَشايعِ آلِ العَموديِّ . قالَ صاحِبُ « الشَّامِلِ » عَندما بَدأ يَتَكلَّمُ عَن
جَغرافيَّةِ وادي دوعنِ قالَ : وَقَد ذَكَرنا أودِيَةَ الْواديِ الأيسَرَ وأودِيَةَ الأَيمَنِ الشَّرقيَّةَ ، والشَّرقيَّةَ
الجَنوبيَّةَ ، وَبقيَت أودِيَتُهُ الغَربيَّةَ والغَربيَّةَ الجَنوبيَّةَ ، وهيَ الَّتِي تَسيلُ إِلى الْواديِينَ العَظيمَينَ واديِ
حَموضَةَ وواديِ النَّبِيِّ . وهما يَصبَّانِ في الْواديِ الْأَكبَرِ لـ (دوعن) مِنَ الجَهِةِ الغَربيَّةِ .
فَمِنَ النَّاحِيَةِ الجَنوبيَّةِ : تَبتَدِئُ الْواديانِ مِنَ جَبَلِ الحِصنو بِكَسَرِ فَسكونِ . وَمِنَ الغَربيَّةِ : مِنَ
الشَّرافيِ ، أَيِ مِنَ شَرقِي رِيْدَةِ الدَّيْنِ . فَإِنِ ما كانَ إِلى الْغَربِ نَاحِيَةَ حَجَرٍ يَصبُ إِليها ، وما كانَ شَمالِيًّا
غَربيًّا يَسيلُ إِلى الشَّعْبَةِ ، وما كانَ شَرقِيًّا يَسيلُ إِلى دوعنِ .

= ثم قال : ومن وادي يبعث الذي مضى وصفه تصعد طريق من عقبة المدلاة ، وهي كأداء متعبة إلى ريدة الدّين - وهي بفتح الرّاء وسكون الياء ، والدّين بفتح الدّال وتشديد الياء - صحارى جبلية تتخللها شروج ، وهي تُرَع أو مسایل ماء صغيرة لا تبلغ أن تكون أودية ولا شعاباً ، يسيل فيها ماء المطر إلى الجروب التي يزرعونها عليها . ويكون عند كلّ شرج حصن كبير غالباً مبني بحجارة صغار ، يوجد عندهم في غلظ إصبع ونحوها ، يقلع كأنه الألواح والسّفر العريضة ويمكن تكسيه على هيئة يصلح للبناء ، ولا يجعلون لها ملاطاً (الملاط = الخلطة من الطين والتورة) بل يروّونها بعضها فوق بعض ، ويجعلونه لمخزن الحبوب ، ويجعلون لأنفسهم حوله بيوتاً صغاراً من المدر .

حدود الرّيدة :

يحدّها من الغرب سوط البلعيد ، وشروج آل بابومين من شمالها ، وهم من آل بلعيد أيضاً ، ومن الغرب حنكة وادي عمد ، ومن الشّرق شعاب حموضة ، ووادي المدلاة .

ثم قال بعد أن ذكر القرى والضّياح المتشرة على خط العرض (٤٥-١٤) وخط الطول (٣٠-٤٨) : فإذا ارتقيت عقبة المدلاة من يبعث . فبعد مسافة تأتي : نقبة النزوع ، فد وادي متير) ، ثم نقبة العلب ، ثم موثاب وشعب العقبة ، وشعب الخربة .

ويأتي من اليسار : شرج متير ، وفيه : البامنيف من الباقازي ، وادعون بجانب الطّريق ، فيه : البلعجم - بكسر العين وفتح الجيم (أصله : آل أبي الأعجم ، وعلى هذا فقس ما شابهه) .

ويأتي بين هذه الطّريق والطّريق الذّاهبة من الرّيدة إلى حجر التي سبق وصفها : حصن باجيم - بكسر ففتح فسكون - وعجّز - بفتحيتين - والغابة لهم .

ثم شرج باضان للباضان .

صباير ، وشرح بن تّبر بفتح فضم ، فد (مجرى آل سويدان) وعثور - بفتح فضم - ولقحين = (الأقحليين) أحدهما : أقحل بسكون القاف ، وفتح الحاء واللّام وسكون الياء : وهذه منازل آل سويدان من الدّين .

والسّلق بفتحيتين : فيه آل باغوز - مصغر غوز - من آل باسويدان . هذا كلّ شريقي الطّريق .

ويأتي في قبليها بعد ما مرّ : رأس غاضنان - بفتح الضّاد - فد (شرح شرين) ، فد (غميس باحوات) - بفتح ، فكسر الميم ، فد (الغباضة) ، - بضمّ الغين وفتح الضّاد - ، فد (الوليجات) بضمّ الواو وفتح اللّام وسكون الياء - للباسالم .

فد (الضليعة) ، وبها جامع ، وهي لليامسدوس وصبيانهم . الباعبد بفتح العين والباء ، والمكراب بكسر فسكون الكاف ، والمكريب ، وكلّها لليامكراب من البامسدوس .

والثّجرة - بكسر فسكون - للمسادسة ، آل بامسدوس ، ثمّ الجنو - بكسر فسكون - للمشايع آل باعشن وآل بامجبور من آل سويدان .

ومن قريب الجنو يتنلى حفر الوادي الذي يسيل إلى الشّعبة ، وقريب الميراد يتنلى الشّعب =

= الثاني ، ثم يجتمعان ، ويطلق عليهما : وادي الشعبة .
والنَّحْي - بكسر ففتح - للباحِثِن - بكسر فسكون فكسر - وِصْرَاك - بكسر الضَّاد - وِصْرِيكة - بكسر
فتح فتشديد الياء - فيها الباسواري .
وعن يمين الطَّرِيق : النجيدين ، فيها آل الشَّيْخ عمر بن عبد القادر العمودي ، وهناك يكون ذو
منصبهم ، والباعِثِيم - بكسر ففتح فسكون - صبيان .
ثم القويرة - تصغير قارة - فيه الباخريية صبيان ، ثمَّ الخَلِيف - بفتح فكسر فسكون - وفيه : آل
باسوودة - بضمَّ السَّين وتشديد الواو وكسر الدَّال - وعندهم أناس من آل بافلح .
ثمَّ الغَمِيس - بفتح فكسر فسكون - والغوير بضمَّ ففتح فسكون ، ثمَّ الميراد : فيه الباطهيف - بكسر
فتح فسكون ، ثمَّ لَيْبُضَيْن = (الأبيضين) - على صيغة المثنى - للباعمرؤ .
بريرة - بكسر ففتح فتشديد الياء المكسورة - عتود - بفتح فضمَّ - فيه إلباس والبازج - إلباس : بكسر
فسكون ، والبازج : بكسر الزَّاي . والمسيل : فيه إلباس .
وسَمْع بافقرّة - بفتح السَّين فسكون - وفقرة : - بكسر فسكون - ومن آل بافقرّة : عمر بن عبد الله
بافقرّة ، وهكذا اسمه على ما أتذكّر ، وهو الَّذي أزعج حكومة حيدر آباد حوالي (٢٠) سنة ، وكان
خرج عليها ، وله قصّة مشهورة .
وهذه من الشَّرَاقِي : ومنها روضة باقطينان - بكسر القاف وفتح الطَّاء وتشديد الياء ، ومن آل
باقطينان جماعة في نواحي عتق بشبوة يتوزَّعون على قراها ، ومن أهل الرّوضة هؤلاء جماعة شعراء
لا تحضرني أسماؤهم .
وعن يسار الطَّرِيق إلى الشَّمال الشَّرقي يأتي : رِبض باسودة - رِبْض : بفتحتين - ثمَّ الوليجات
لباسالم ، ثمَّ عَتَق بِالشَّرَف - عتق : بفتحتين ، وشرف : بكسر ففتح ، وأصله أبي الأشرف - باكبيرة
فيه : باقحدوم .
ونعود إلى شروج آل بايومين ، ويقال لهم : الباكْرشوم ، وهي قسم من الرّيدة ، تمتدُّ بناحية
الشَّمال والغرب حول رأس وادي الخميعة ، ورأس وادي الشعبة ، ويقال إنهم من كندة ، وصرِيخهم
للدَّيْن .
فمنها : باغْنِيم - بكسر ففتح فسكون - . الحَجَّيْلَيْن - بكسر ففتح فسكون ففتح اللّام فسكون الياء -
وبالْجَنَف - بسكون الجيم وفتح التَّون = الأجنف .
النُّخِيَلَات - بضمَّ ففتح فسكون - فد (مذهبون) - بفتح فسكون - فد (دُفَيْقَة) = بضمَّ ففتح فسكون -
كلُّها لباكرشوم .
ثمَّ زيد : بفتح فسكون للذَّيباني ، فد (زيد الهابطي) ، فد (دكَّله) - بفتحتين فسكون الثاء - كلاهما
لباكْرشوم ، فد (الصَّلَل) - بفتحتين - للباقضاعة من الدَّيْن .
فد (الغبظه) - لابن الشَّيْخ العمودي - من أهل الشعبة ، فد (بِجَيْدَه) - بكسر الباء ففتح فتشديد الياء - =

وفي « ألقاموس » : أَنَّ بِحَضْرَمَوْتَ رِيدَتَيْنِ ، يعني هذه وريدة الصَّيْعَرِ .

والواقعُ : أَنَّ بِحَضْرَمَوْتَ رِيداً كَثِيراً لِلجَوْهِيَّينَ وَالْمَعَارَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَإِنَّمَا خُصِّصَتِ
الأُولَيَانِ بِالذِّكْرِ لَشَهْرَتِهِمَا وَقِدَمِهِمَا . وسيأتي في ريدة الصَّيْعَرِ عَنِ الهمْدَانِيَّ : أَنَّ إِلَيْهَا
الإِشَارَةُ بِقَوْلِ طَرْفَةِ بْنِ الْعَبْدِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

= لَبَاقُضَاعَةُ ، (فـ السُوَيْدَا) - بَضْمٌ فَفَتَحَ فَسَكُونُ - لِلْبَابَتَيْنِ - بَفَتْحِ الْبَاءِ وَسَكُونِ الْيَاءِ - مِنَ الدَّيْنِ .
ذِي الْحُمَرِ - بَضْمٌ فَفَتَحَ - لِلْمَشَائِخِ آلِ الْعُمُودِيِّ وَالْبَادُوَيْسِ - بَضْمٌ فَفَتَحَ فَسَكُونُ - (فـ قَدْهُ) - بِكسر
فَتْشِيدِ الدَّالِ - لِلْبَابِجِيمِ - بِكسر الميم فَفَتَحَ الْجِيمِ فَسَكُونُ الْيَاءِ فَكسر الميم - مِنَ الْمَشَاجِرِ ،
وَصَرِيخِهِمْ لِلدَّيْنِ .

الشَّعْبَاتِ - بَفَتْحَاتِ - لَّالْ هَمِيمِ .
إِلْمَرُ - بِكسر الهمزة وَسَكُونِ اللَّامِ وَفَتْحِ الْمِيمِ - فِيهِ : الْبَاخَرْبُوشُ ، بَفَتْحِ فَسَكُونُ . انْقَضَى هَذَا
الطَّرْفُ .

نَعُودُ إِلَى يَمِينِ الطَّرِيقِ :

بَرَاورَةَ - بَفَتْحِ الْبَاءِ وَكسر الْوَاوِ - وَفِيهَا : آلُ الْجِيلَانِيَّ ، يَتَسَبَّبُونَ إِلَى سَيِّدِنَا عَبْدِ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ .
لَخْشَابُ = (الْأَخْشَابُ) ، فِيهَا آلُ الْعُمُودِيِّ .

ثُمَّ يَأْتِي إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ يَسَاراً عَنِ الطَّرِيقِ الذَّاهِبَةِ مِنَ الرَّيْدَةِ إِلَى وَادِي عَمْدَ ، وَيَمِيناً عَنِ الطَّرِيقِ
الذَّاهِبَةِ مِنَ الرَّيْدَةِ إِلَى قِيدُونِ .
سُوطُ لِبَارَقَةٍ = (الْأَبَارَقَةُ) .

ثُمَّ شَرَعَ الْعَلَامَةُ الْحَدَّادُ فِي ذِكْرِ السَّيْطَانِ وَقَرَأَهَا وَسَكَانَهَا ، وَقَدْ انْقَضَى الْكَلَامُ هُنَا عَلَى رَيْدَةِ
الدَّيْنِ . وَكُنَّا قَدْ مَنَّا فِي مَوْضِعٍ سَابِقٍ أَنَّ بِحَضْرَمَوْتَ عِدَّةُ رَيْدٍ - جَمْعُ رَيْدَةٍ - وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْهَا ، وَتَقَدَّمَتْ
رَيْدَةُ الْمَشْقَاصِ - آلُ عَبْدِ الْوَدُودِ - وَلِنَعُدُّ هُنَا الْأُخْرَيَاتِ ، فَثَلَاثَةُ الرَّيْدِ : رَيْدَةُ الصَّيْعَرِ ، فِي الشَّمَالِ
الْغَرْبِيِّ لِلْوَادِي الرَّئِيسِيِّ ، تَقَعُ شَرْقِيَّ حِصْنِ الْعَبْرِ . وَالرَّابِعَةُ : رَيْدَةُ الْمَعَارَةِ - بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ - : تَقَعُ بَيْنَ
رَيْدَةِ الْجَوْهِيَّينَ وَالْحُمُومِ ، شَمَالاً شَرْقِيَّ الْمَكْلَأِ بِمَسَافَةِ (١٠٠ كم) . وَالْخَامِسَةُ : رَيْدَةُ الْجَوْهِيَّينَ :
فِي شِمَالِي غِيلِ بْنِ يَمِينِ ، تَبْعَدُ عَنِ الشَّحْرِ (٨٧ كم) .

وَمِنْهَا تَشْرَعُ الطَّرِيقُ إِلَى عَقْبَةِ الْفَقْرَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ غَرِيبٌ ، وَعَقْبَةُ عَثَ ، وَكُلُّهَا تَنْزِلُ إِلَى السَّاحِلِ ، وَقَدْ
شَقَّتْ فِي هَذَا الْجَبَلِ طَرِيقٌ حَدِيثَةٌ ، وَآلُ الْجَوْهِيِّ الْمُنْسُوبَةِ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الرَّيْدَةُ هُمْ مِنْ سَبِيحَانَ .
وَالسَّادِسَةُ : رَيْدَةُ الشَّعِيبِ : فِي وَادِي عَرْمَا جَنُوبَ شَبُوعَ . وَالسَّابِعَةُ : رَيْدَةُ الرَّشِيدِ : فِي شَمَالِ غَرْبِ
مِيفَعَةَ ، فِيهَا نَاسٌ مِنْ آلِ الْوَاحِدِيِّ .

هَذِهِ رَيْدَةُ حَضْرَمَوْتَ ، وَفِي شَمَالِ الْيَمَنِ تَوْجَدُ رَيْدَةُ الْبُونِ ، أَوْ رَيْدَةُ شَهِيرِ ، تَقَعُ فِي السَّفْحِ الشَّرْقِيِّ
الْجَنُوبِيِّ مِنْ حِصْنِ تَلْقَمِ ، عَلَى بَعْدِ (٢٠ كم) شَمَالاً شَرْقِ عَمْرَانَ . وَبِهَا قَبْرُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ قَاسِمِ
الْعَيَانِيِّ الزَّيْدِيِّ الْعُلُوِيِّ الْحُسَيْنِيِّ ، وَسَكَنَ بِهَا لِسَانُ الْيَمَنِ الهمْدَانِيُّ صَاحِبُ « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » .

وَبِالسَّفْحِ آيَاتُ كَانَ رُسُومَهَا يَمَانٍ وَشْتُهُ رَيْدَةُ وَسُحُولُ^(١)
 وقال أبو طالب - عمُّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم - لأبي أمية بن المغيرة [مِنَ
 الطَّوِيلِ] :

فَيُضْبِحُ أَهْلُ اللَّهِ بِيضاً كَأَنَّمَا كَسَتْهُمْ حَبِيرًا رَيْدَةُ وَمَعَاْفِرُ^(٢)
 والمعافرُ مِن أرضِ اليمنِ ، وأَمَّا الرَّيْدَةُ . . فهذه ، أو ريدة الصَّيْعِرِ ، وإن كان في
 اليمن ريدٌ مشهورٌ .

ولمَّا وصلتْ جيوشُ المتوكِّلِ على الله إسماعيلُ بقيادة الإمامِ أحمد بنِ الحسنِ إلى
 هذه الرَّيْدَةِ سَنَةِ (١٠٦٩ هـ)^(٣) . . لاقاهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَمُودِيُّ ،
 وساعدهُ بكلِّ مَنْ أَطَاعَهُ ، وكانَ الشَّيْخُ إِذْ ذَاكَ والياً على أَكْثَرِ بلادِ دُوعِنَ ، وبِهِمْ أَنهَزَمَ
 بدرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَثِيرِيُّ أَشْنَعَ أَنهْزَامٍ ، حسبما فَصَّلَ بمَواضعِهِ مِنْ « الْأَصْلِ » .

والشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَمُودِيُّ هَذَا هوَ غَيْرُ سَمِيِّهِ الْعَلَامَةِ الشَّهِيرِ
 الْمَعْمَرِ ، وَإِنَّمَا هُمَا مِنْ قِسْمِ الْمُتَّفِقِ الْمَفْتَرِقِ فِيمَا أَظُنُّ^(٤) ؛ لِأَنَّ هَذَا عَلَامَةٌ صُوفِيَّةٌ ،
 وَذَاكَ أَمِيرٌ يَقُودُ الْجِيُوشَ ، وَيُذَكِّي الْحُرُوبَ ، وَإِنَّمَا اتَّفَقَا فِي أَسْمَائِهِمَا وَأَسْمَاءِ
 آبَائِهِمَا .

وقد جاءَ في « عَقْدِ » سَيِّدِي الْأَسْتَاذِ الْأَبَرِّ عِنْدَمَا ذَكَرَ مَشَايِخَ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٦) ، يمان : منسوبة إلى اليمن . وشته : طُرُزَتِه . ريدة وسحول : اسما
 بلدين . والمقصود : أهل ريدة وأهل سحول .

(٢) الحبير : الثوب الناعم الموشى .

(٣) الذي في « عقد الجواهر والثرر » للشَّيْخِ أَنَّ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٠٧٠ هـ) .

(٤) الْمُتَّفِقُ وَالْمَفْتَرِقُ - فِي عِلْمِ (مُصْطَلَحِ الْحَدِيثِ) - : مَا اتَّفَقَ لَفْظُهُ وَخَطُّهُ وَافْتَرَقَ مَعْنَاهُ ، بَأَن تَعَدَّدَ
 مَسْمَاهُ . . فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ الْمُشْتَرَكِ اللَّفْظِيِّ . وَلَهُ أَنْوَاعٌ ، مِنْهَا :

١- أَنْ تَتَّفَقَ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ ؛ كَالْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ - سِتَّةَ رِجَالٍ .

٢- أَنْ تَتَّفَقَ أَسْمَاؤُهُمْ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ ؛ نَحْوُ : أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ - أَرْبَعَةَ
 مُتَعَاَصِرِينَ فِي طَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ . وَلَهُ أَنْوَاعٌ أُخْرَى . . فَلْيَرِاجِعْهَا مِنْ مِطَانِهَا مَنْ أَرَادَ التَّوَسُّعَ . وَفَائِدَةُ مَعْرِفَةِ
 هَذَا النَّوعِ : الْأَمْنُ مِنَ اللَّبْسِ ؛ إِذْ رِيْمًا يَكُونُ أَحَدُ الْمُتَّفِقِينَ ثِقَةً وَالْآخَرُ كَذَابًا ضَعِيفًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

أحمد بلفقيه : أَنَّ الْعَلَامَةَ الصُّوفِيَّ تُوْفِيَ يَوْمَ الْكَسْبِ (٢٤) جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ (١٠٧٢هـ) .

وفي « الْأَصْل » : أَنَّ الشَّيْخَيْنِ حُسَيْنَ بْنَ مَطْهَرٍ وَمُحَمَّدَ بْنَ مَطْهَرٍ آلَ الْعُمُودِيِّ لَاقُوا الشَّيْخَ عُمَرَ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَرَهَرَةَ - السَّابِقِ ذَكَرَهُ - فِي الْأَضْلَعَةِ ، وَحَالَفُوهُ عَلَى سُلْطَانِ حَضْرَمَوْتَ عُمَرَ بْنَ جَعْفَرٍ ، ثُمَّ حَالَفُوا عُمَرَ بْنَ جَعْفَرٍ عَلَى الزَّيْدِيَّةِ ، وَكَانَ لَهُمْ كُلُّ حِينٍ لَوْنٌ .

وفي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » لابنِ الْحَائِكِ الْهَمْدَانِيِّ [١٧٠] : (أَنَّ رِيْدَةَ الْعِبَادِ وَرِيْدَةَ الْحَزْمِيَّةِ لِلْأَحْرَامِ مِنْ بَنِي الصَّدَفِ ، وَأَنَّ مَسْكَنَ بَنِي مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ كَانَ بِقَبْضَيْنِ ، وَيَسْتَشْفِي بِدُمَائِهِمُ الْكَلْبُ ^(١)) اهـ

وَكَلَّمَا ذَكَرَ ابْنُ الْحَائِكِ رِيْدَةَ أَرْضَيْنِ أَوْ قَبْضَيْنِ . فَالْظَّاهِرُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي رِيْدَةَ الَّذِينَ هُنَا .

وقد قَالَ فِيهَا [١٦٨] : (وَمِنْ الْأَهْجَرِينَ إِلَى رِيْدَةِ أَرْضَيْنِ وَادٍ فِيهِ قُرَى كَثِيرَةٌ وَنَخِيلٌ لِلْعِبَادِ مِنْ كَنْدَةَ) اهـ

وهَذَا الْوَصْفُ يَنْطَبِقُ عَلَى دُوعَنَ وَوَادِي عَمْدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ يُشْكِلُ عَلَى إِرَادَةِ دُوعَنَ بِأَنَّ ذَكَرَ دُوعَنَ مَوْجُودٌ بِالْصَّرِيحِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِ ابْنِ الْحَائِكِ ، فَلَوْ عَنَاهُ . لِذَكَرَ اسْمَهُ بِالْصَّرِيحِ .

وَيُشْكِلُ عَلَى إِرَادَةِ عَمْدٍ قَوْلُهُ : (لِلْعِبَادِ مِنْ كَنْدَةَ) مَعَ مَا تَقَرَّرَ أَنَّهُ لِقَضَاعَةَ مِنْ حِمَيْرَ .

وقد يَجَابُ عَنْ هَذَا : بِأَنَّ كَنْدَةَ اخْتَلَطَتْ بِحِمَيْرَ وَخَلَقَتْهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَنَازِلِهَا ، وَيَتَأَكَّدُ هَذَا بِأَنَّ وَادِي عَمْدٍ كَانَ أَخْصَبَ مَرْعَى فِي حَضْرَمَوْتَ ، وَلِذَا كَانَتْ الْأَعْيَانُ تُرْسَلُ مُوَاشِيَهَا مِنْ أَسْفَلِ حَضْرَمَوْتَ لِتَرْعَى مِنْهُ ، وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ لِلْحُسَيْنِ ابْنَ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ عِدَدًا كَثِيرًا مِنَ الْخَيْلِ يُرْسَلُهَا إِلَيْهِ لِلرَّعْيِ .

(١) الْكَلْبُ : الرَّجُلُ الَّذِي عَضَهُ كَلْبٌ عَقُورٌ ، فَيَصَابُ بِدَاءٍ يُسَمَّى : الْكَلْبُ .

وَمِنْ خَطِّ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ قَاضِي ، عَنْ خَطِّ الْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْعَلِيمِ ^(١) بَانَافِعِ : (أَنَّ قَبَائِلَ السَّوْطِ مِنْ حِمَيْرَ) اهـ

وقبائل السَّوْطِ كما سَبَقَ قُبَيْلَ ذِكْرِ وادي عَمْدِ هُمْ : آلُ بَاتَيْسَ ، وآلُ سَمِيدَع ، وآلُ بَلْعُبَيْدَ ، وَهُمْ : آلُ هَمِيمَ ، وآلُ بَاهِنَصْمِي - وَهُوَ الرَّأْسُ - وبَاسَاعَ ، وبَاكِشَ ، وبَاحَيَّانَ ، وآلُ بَاغِسَ ، وآلُ بَاسْمِيرَ ، وآلُ باوَهَّاجَ ، وَغَيْرُهُمْ . وقد سَبَقَ أَنَّهُمْ يَناهِزُونَ أَلْفَ رَامٍ .

ويأتي آخِرَ الْكِتَابِ ما يَشِيرُ إِلَى أَنَّ آلَ بَلْعُبَيْدَ مِنْ قُضَاعَةَ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا جَاءَ عَنْ بَانَافِعِ ؛ لِأَنَّ قُضَاعَةَ مِنْ حِمَيْرَ ، وَهِيَ تَمْتَدُّ مِنْ رُؤُوسِ وادي جَرْدَانَ إِلَى رُؤُوسِ وادي رَخِيَّةَ .

وَمِنْ خَطِّ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ مُؤَدِّنَ بِاجْمَالِ ، عَنْ كِتَابِ « الْفَرَجِ بَعْدَ الشُّدَّةِ فِي أَنْسَابِ فُرُوعِ كَنْدَةَ » لِعَوْضِ بْنِ أَحْمَدَ الْجَرَوِيِّ : (أَنَّ رِيْدَةَ الْحَرَمِيَّةِ لِلْأَحْرُومِ مِنَ الصَّدْفِ ، وَمِنْ آلِ لَخْرُومَ : آلُ مروانَ وآلُ أَبِي سَهْلٍ وَبنو يَمَامَةَ بَنَجْرَانَ ، وَالصَّدْفُ الَّذِينَ بَرِيْدَةُ الدَّيْنِ مِنْ وَلَدِهِ) اهـ

فِيَتَحَصَّلُ أَنَّ سَكَّانَ الرَّيْدَةِ - وَهِيَ مِنَ السَّوْطِ - أَخْلَاطٌ مِنْ حِمَيْرَ وَمِنْ الصَّدْفِ وَغَيْرِهِمْ .

وَمِنْ أَخْبَارِهِمُ الْآخِرَةِ : أَنَّ آلَ باصْلَبِ الضَّارِبِينَ بِالْحَيْلَةِ مِنْ وادي عَمْدِ كَانَ لَهُمْ نَارٌ عِنْدَ آلِ بَامَسْدُوسَ ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ لِمَنَاعَةِ أَرْضِهِمْ ، حَتَّى صَارُوا ضُحْكَةً بَيْنَ السَّمَّاسَةِ يُؤْذَنُهُمْ بِالْكَلَامِ .

وَالْعَارُ مَضْاضٌ وَلَيْسَ بِخَائِفٍ مِنْ حَتْفِهِ مَنْ خَافَ مِمَّا قِيلَ ^(٢) فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ أُنْتَحَبُوا سَبْعَةً مِنْ رِجَالِهِمْ ، فَرَكَبُوا مَتْنَ اللَّيْلِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى

(١) وفي نسخة : (عبد الرحيم) .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للمتنبي في « العكبري » (٢٤٢ / ٣) . مضاض : مؤلم . الحتف : الهلاك . والمعنى : العار محرق موجه ، ومن خاف العار . لم يخف من الهلاك ، وفي المثل : (من أَيْفَ من الدنية . . لم يحجم عن المنيّة) .

حصنٍ لهم بالضليعة - بلغهم خلوه من الشكّان - وكانوا استعدّوا بكثيرٍ من الماء والزاد والعتاد ، فسوّروا الحصن ، ولما بدّر لهم المطلوب . . أطلقوا عليه الرصاص ، فخرّ صريعاً لليدين وللغم^(١) ، ولكنهم لم يقدروا على الهرب ، وتضرّر كلا الطرفين : آل باصليّب بالانحصار في الحصن ، والدّئين بانكشاف مواضع تصرّفهم لبنادق آل باصليّب ، حتّى توسّط بعض المناصب ، وبعد أن طالّت المراجعة في الارتجاز - الذي لم يرض الخروج صلحاً بدونه آل باصليّب - سمحوا لهم به ، فقال شاعرهم :

سَبَعَةُ سَرَوْا مِنْ حِيلَةٍ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بَارَوْتُهُمْ عِنْدَ السَّمَاءِ مِتْخَلِّقُ^(٢)
وَالدِّئْنِي غَافِلٌ وَلَا ظَنُّ الْوَفَا جِثَّةٌ مِنَ الْجَوِّ وَالْفَنَاءِ مِتْغَلِّقُ^(٣)

ومن أخبارهم : أنّ السيّد محمّد بن عمر بن علويّ باعقيل استجار بالدّئين ، هارباً من السيّد حسين بن حامد المحضار ، فبذلوا له الأمان ، وهم : آل بامسدوس ، وآل الهيم ، والمشاجرة .

ولما جدّ الجدّ . . قال له الأخيرون : لا نُجيركَ من الدّولة ، وأما ممّن دونهم . . فنعم .

وأما آل بامسدوس^(٤) ورئيسهم سالم بن عليّ باغشمي . . فثبت مع باعقيل ، فلم يكن من السيّد حسين بن حامد إلّا أنّ زحف عليهم بعسكرٍ من جنّد القعيطيّ يتألّف من ألفين وأربع مئة ، على رأسهم أخوه السيّد عبد الرحمن بن حامد ومحمّد بن عمر بن أحمد باصرة ، فتقدّمت العساكر إلى مكانٍ يقال له : الأبيضين ، وإلى مكانٍ آخرٍ يقال له : وليجات ، ودأب الحرب نحواً من شهرين ، حمّلت فيه العساكر القعيطيّة على آل

(١) لليدين وللغم : كلمة تقال عند الشّامة في إنسان . والأصل في هذا المثل : أنّ سيّدنا عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أتى بسكران في شهر رمضان ، فتعثر بذيله ، فقال سيّدنا عمر رضي الله عنه : لليدين وللغم ، أولادنا صيام ، وأنت مفطر !! ثم أمر به فحدّ . وأراد : على اليدين والغم ؛ أي : أسقطه الله عليهما .

(٢) باروتهم : بارودهم ؛ أي : علا في الجردخانه متراكباً .

(٣) الوفا : استيفاء الثّار . والفناء متغلّق : الهلاك محقق .

(٤) البامسدوس : مشايخ قبائل الدّئين ، ويقال لمنطقتهم ريدة بامسدوس ، وهي ضمن الدّئين . وكانوا يتوارثون الرّعاية على الدّئين . من فروعه : بلحمر ، باغشمي ، بامكراب .

بامسدوسٍ مرّتين ، في كليهما يُضْلَوْنَهُمْ ناراً حاميةً ، فيتراجعونَ بعدَ أَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ فِي
 الْهَجْمَتَيْنِ أَكْثَرُ مِنَ الْعَشْرِينَ بِدُونِ أَنْ تُرَاقَ مِنْ آلِ بَامَسْدُوسٍ مِخْجَمَةٌ مِنَ الدَّمِّ^(١) .
 فما زالوا بحامية - قارةٍ صغيرةٍ هناك^(٢) - حتّى أَرْضَوْهُمْ بما شَاؤُوا مِنَ الدَّرَاهِمِ ،
 فَسَلَّمُوا لَهُمْ ، فَأَنْكَشَفَتْ بِطَاحِ آلِ بَامَسْدُوسٍ حِينَنِدْ لِمَدَافِعِ الْعَسْكَرِ الْقَعِيطِيِّ ، فَطَلَبُوا
 مُسَاعَدَةً مَالِيَّةً مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ بِاعْقِيلٍ ؛ لِشِرَاءِ الذَّخِيرَةِ حتّى يَتِمَّكَنُوا مِنْ مُوَاصَلَةِ
 الْحَرْبِ ، وَكَانَ مَثْرِيًّا . . إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ ، فَلَمْ يُعْطِهِمْ قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً ، فَتَوَسَّطَ السَّيِّدُ
 عَمْرُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَمَرَ الْحَدَّادُ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ بُوْبَكِرٍ بِاسْوَدَانَ ، وَذَمُّوا إِلَيْهِمْ
 بِاعْقِيلٍ ، وَزَيَّنُوا لَهُمْ تَسْلِيمَهُ ، وَمُحَالَفَةَ الْقَعِيطِيِّ إِزَاءَ مَا يَرْضِيهِمْ مِنَ النَّقُودِ ، فَفَعَلُوا ،
 وَعِنْدَهَا وَصَلُوا بِبَاعْقِيلٍ مَصْفُوداً فِي الْقَيْودِ إِلَى مُصْنَعَةِ عُورِهِ .

قَالَ السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ حَامِدٍ الْمُحَضَّرُ :

سَلَامٌ مِنِّي عَالِمِنَا صِبِّ وَالْذُّوْنِ خُصُّ الْمُقَدَّمِ وَالْمُسَمَّى بِبَاعْقِيلٍ
 يَوْمُهُ مُطَرِّدٌ مِنْ جَبَلٍ لَمَّا جَبَلٌ مَا قَائِسٍ أَنَا بِأَنْزُدُهُ بِالصَّمِيلِ^(٣)
 فَأَجَابَهُ أَحَدُ الدَّيْنِ بِمَا لَا أَذْكُرُهُ . . ثُمَّ قَالَ السَّيِّدُ حَسِينُ :

حَيَّا بِكُمْ يَأَلِي قَضَيْتُمْ شَغْلَكُمْ بِالسَّيْفِ وَالْقُوَّةِ وَصَرَاتِ الْخَزِينِ^(٤)
 مَا الدَّيْنِي شَلُّ الْحُمُولَةِ مُنْقَلَةً كُنْهُ طَرَحَهَا بَعْدَ ذَلِكَ يَا هَوَيْنِ^(٥)
 فَأَجَابَهُ أَحْمَدُ بْنُ عَيْدٍ بْنِ مُسْلِمٍ بِمَا مَضَى بِقَوْلِهِ :

لَوْلَا قُرُوشُكَ لِي مَعَكَ قَدَمْتُهَا جَيْشُكَ رَجَعَ مَكْسُوزٌ يَا سَيِّدُ حَسِينِ

(١) المِخْجَمَةُ : القارورة التي يُحْتَجَمُ بِهَا .

(٢) حامية : قرية صغيرة ، هي اليوم من أعمال محافظة شبوة في وادي ميفعة ، وتقع بقرىها بلدة رضوم .

(٣) الصَّمِيل : العَصَا في لغة أهل حضرموت ، ويقال لها عند العرب : هراوة .

(٤) شَغْلَكُمْ : شغلكم (عامية) . الْخَزِين : بإمالة الزاي - أي : نطقها بين الفتح والكسر - والمقصود

بصِرات الخزين : الصُّرَر - جمع صُرَّة - وهي ما يوكأ من الدراهم - فصيحة - والخزين بمعنى الخزائن
 في الفصحى - جمع خزانة .

أي : قضيتم شغلكم بالسيف والمال .

(٥) يَاهَوَيْنِ : كلمة بمعنى : أهون بك ، تقال في لهجة حضرموت العامية ، وأصلها في الفصحى :

يا هويناه ، الأمر المطلوب بسهولة ويسر .

وَلَا أَلْوُعُونَ أَلْمَرْبِعِيَّةَ شُفْتَهَا عِيَال يَافِعٍ فِي أَلْمَقَابِرِ مِنْ ثِنِينِ

أَمَّا أَلْحِلْفُ . . فقد تَمَّ بَيْنَ أَلدِّينِ وَأَلْقَعِيطِيَّ بِوَاسِطَةِ أَلدَّرَاهِمِ وَأَلْسَيِّدِ حَسِينِ ،
وَسَلَّمْتُ لَهُمُ أَلدِّينُ رَهَائِنَ أَلرِّضَاءِ ، وَمَا زَالَتْ رَهَائِنُهُمْ تَحْتَ أَلْمُرَاقِبَةِ فِي مَصْنَعَةِ عُورِهِ
حَتَّى جَاءَ نَحْوُ سِتَّةِ نَفَرٍ مِنْ آلِ بَامَسْدُوسٍ ذَاتَ يَوْمٍ فِي حَدُودِ سَنَةِ (١٣٥٨ هـ) فَأَخَذُوا
رَهَائِنَهُمْ ، وَهَرَبُوا ضُخْوَةَ أَلنَّهَارِ ، وَلَمْ تَخْبِقْ فِي ذَلِكَ ضَانَةٌ ^(١) .

وَأَمَّا بَاعْقِيلُ . . فَبَقِيَ مَقِيداً بِسَجْنِ أَلْمُكَلَّا ، وَظَفَرُوا بِوَلَدِهِ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَوَانِ أَلْبَلُوغِ ،
فَزَجُّوهُ مَعَهُ فِي أَلْسَجْنِ ، وَأَلْوَا أَنْ لَا يُطْلَقُوهُ إِلَّا بِغَرَامَةِ أَلْحَرْبِ أَلْمَقْدَرَةِ بِمِثِّي أَلْفِ
رَبِيَّةٍ ، حَتَّى وَرَدَتْ أَلْمُكَلَّا فِي سَنَةِ (١٣٤٦ هـ) فَتَوَسَّطَتْ فِي إِطْلَاقِهِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ رَبِيَّةٍ
فَقَطْ ، فَتَمَّ ذَلِكَ فِي قِصَصٍ طَوِيلَةٍ مُسْتَوْفَاةٍ فِي « أَلْأَصْلِ » .

وَكُنْتُ أَجْتَمَعْتُ بِأَلْسَيِّدِ حَسِينِ بْنِ حَامِدٍ بَعْدَ إِلْقَائِهِ أَلْقُبُضَ عَلَى بَاعْقِيلِ ، فَأَنْشَدَنِي
كَثِيراً مِنْ أَلْمَسَاجِلَاتِ أَلَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَلدِّينِ ، وَلَمَّا أَنْشَدَنِي أَلزَّامِلَ أَلأَوَّلَ ^(٢) . .
أَنْقَدْتُهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : لَا يَلِيقُ زُجُّ بَاعْقِيلٍ فِي أَلْسَجْنِ وَأَلْقَيْدِ ، بَعْدَ أَنْ خَصَصْتُهُ بِأَلْسَّلَامِ ،
وَلَوْ أَنَّكَ أَسْتَنْيَيْتَهُ . . لَكَانَ لَكَ بَعْضُ أَلْعَذْرِ ، أَمَّا أَلآنَ . . فَلَا .

فَسَقَطَ فِي يَدِهِ ^(٣) ، وَمَا أَحْسَنَ بِهَا إِلَّا تِلْكَ أَلْسَّاعَةُ ، وَكَانَ يَهَابُ أَلْمَلَامِ وَيَعْرِفُ
مَقَادِيرَ أَلْكَلَامِ ، وَكَانَتْ شَهَامَتُهُ تَقْتَضِي إِطْلَاقَهُ ، وَلَكِنْ وَلَدَهُ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَكُنْ لِيُسَاعِدَهُ
عَلَى ذَلِكَ ، لِأَنَّ أَلْعِدَاوَةَ إِنَّمَا تَأَصَّلَتْ بَيْنَ بَاعْقِيلٍ وَبَيْنَهُ .

وَمِنْ أَلضَّلِيَعَةِ إِلَى دُوعَنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ ، تَنْزَلُ أَلطَّرُقُ مِنْ أَعْلَى جَبَلِ أَلسَّوْطِ ^(٤) أَلشَّاهِقِ
إِلَى أَكْثَرِ بِلَادِ دُوعَنْ ؛ كَأَلخَرِيبَةِ وَأَلْقَوِيرَةِ وَبُضَّةٍ وَقِيدُونِ . فَمِنْهُ إِلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا

(١) تَحْقِيقٌ : تَضَرُّطٌ . الضَّائَةُ : الشَّاةُ . وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ أَلأَمْرَ أَلَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ تَغْيِيرٌ ، وَلَا يَدْرِكُ بِهِ ثَأْرٌ .

(٢) أَلزَّامِلُ : أَلشَّعْرُ أَلَّذِي يُقَالُ فِي مَنَاسِبَاتٍ عِنْدَ أَلْقَبَائِلِ أَلْحَضْرَمِيَِّّةِ ، وَيَرْتَجِزُ بِهِ .

(٣) سَقَطَ فِي يَدِهِ : نَدِمَ ، وَهُوَ مِنْ أَلأَفْعَالِ أَلَّتِي تَلَازِمُ صِبْغَةَ أَلْمَبْنِيِّ أَللْمَجْهُولِ مَا دَامَتْ لَازِمَةً .

(٤) أَلسَّوْطُ هَذَا يُسَمَّى : سَوطٌ لِبَارِقَةٍ = أَلأَبَارِقَةُ ، وَهُوَ قَبِيلَةٌ مِنْ أَلدِّينِ ، وَمِنْ قَرَاهِمِ : أَلشَّجَرِ - بِكَسْرِ فَتْحِ
- فِيهَا : أَلْبَاقَارِحِ - بِكَسْرِ الرَّاءِ - أَلدَّيْمَةُ - بِكَسْرِ فَتْحِ أَلْيَاءِ فَسَكُونِ أَلْأُخْرَى - لِبَاصْرَةٍ . وَغَيْرَهَا . وَتَأْتِي
فِي طَرِيقِ هَذِهِ أَلْعَقَبَةِ مَعَ أَلتَّزْوُلِ عِدَّةٍ قَرَى أُخْرَى ، لَا نَطِيلُ بِذِكْرِهَا ، وَمِنْ سَكَّانِهَا : أَلْبَاعِدُونِ ،
أَلْبَانِعْمَةُ ، أَلْبَاقَاشُ ، أَلْبَاسُلْطَانُ ، أَلْبَاعِطَا ، أَلْوَثَارُ ، أَلْبَاعِضِيَّةُ . يَنْظُرُ « أَلشَّامِلُ » (٩٧-٩٨) .

طريقُ كُلِّهَا عِقَابٌ كَأْدَاءُ ، إِلَّا أَنَّ أَقْلَهَا وَعُورَةٌ - بِالنُّسْبَةِ فِيمَا يُقَالُ - : طريقُ بُضْءَ .

وبِالنَّجْدَيْنِ مِنْ رِيْدَةِ الدِّينِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَشَائِخِ آلِ الْعَمُودِيِّ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ
عَثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِ الْعَمُودِيِّ ، ذَهَبَ وَلَدُهُ هَذَا الْعَامَ - أَعْنَى عَامَ (١٣٦٦هـ) -
تَاجِرًا يَحْمِلُ أَلْفَ رِيَالٍ إِلَى الْحَاضِنَةِ ، وَكَانَ مَعَهُ أَحَدُ آلِ بَاقُطُمِي ، وَفِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ
صَوَّبَ الرِّصَاصَ إِلَى جَوْفِهِ وَهُوَ يَغْطِي فِي نَوْمِهِ ، فَأَرْدَاهُ وَأَسْتَلَبَ سِلَاحَهُ وَمَالَهُ ، إِلَّا أَنَّ
الْمَشَائِخَ آلَ الْعَمُودِيِّ اجْتَمَعُوا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، وَاحْتَجُّوا عَلَى آلِ بَاقُطُمِي الْقَاطِنِينَ
بِمَحِيدٍ ، الْوَاقِعِ فِي شَرْقِي حَوْطَةِ الْفَقِيهِ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا كَمَا مَرَّ فِي يَنْعِثُ نَصْفُ يَوْمٍ ،
وَلَا نَدْرِي مَاذَا صَارَ بَعْدُ^(١) .

وَفِي شِمَالِ النَّجْدَيْنِ حَوْضٌ عَادِيٌّ بَدِيعُ الْإِصْلَاحِ وَالنَّقْبِ ؛ لِحَفْظِ الْمَاءِ طَوَالَ
سِنِينَ الْجَدَبِ ، لَا يَنْتَهِي أَحَدٌ إِلَى قَعْرِهِ أَبَدًا ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ نَفَادَ مَائِهِ بِأَسْرِهِ قَطُّ ،
وَالشَّائِعُ بَيْنَهُمْ : أَنَّهُ مِنْ عِمَارَةِ عَادٍ ، كَذَا أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ بِاسْوَدَانَ ،
خَطِيبُ جَامِعِ الْخَرِيبَةِ ، وَالْمَكَانُ الَّذِي هُوَ بِهِ يُسَمَّى : شُوَيْحَطِينَ .
وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الضَّلِيلَةِ آثَارُ قَرْيَةٍ قَدِيمَةٍ ، عَلَى أَنْقَاضِهَا كِتَابَاتٌ كَثِيرَةٌ بِالْمَسْنَدِ ،
يُقَالُ لَهَا : عِكْرَمَةٌ^(٢) .

دَوْعُنْ

وَأَمَّا دَوْعُنْ^(٣) : فَإِنَّهُ اسْمٌ عَجْمِيٌّ فَارِسِيٌّ كَمَا يَأْتِي فِي حُوفَةٍ - وَمِنْهُ تَعَرَّفُ أَنْتَجَاعَ

(١) الَّذِي صَارَ بَعْدُ : أَنَّ الْعَمُودِيَّ اقْتَصَرَ مِنْ قَاتِلِ ابْنِهِ ، وَاسْتَلَمَ تَعْوِضًا مَالِيًّا مِنَ الْبَاقُطُمِيِّ نَحْوَ مِثْلَةِ رِيَالٍ
(قَرَشُ فِرَانِصِهِ) أَوْ يَزِيدَ .

(٢) عِكْرَمَةٌ : لَعَلَّهَا نِسْبَةٌ إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الصَّدَفِ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَهِيَ ضَمَنُ رِيْدَةِ الدِّينِ . وَتَوْجَدُ قَرْيٌ أُخْرَى
بِهَذَا الْاسْمِ أَيْضًا فِي : بِيحَانَ ، وَأُخْرَى فِي مَرْخَةٍ ، وَفِي نَوَاحِي مَآرِبِ ثَالِثَةِ لَّالِ شَبْوَانَ .

(٣) وَادِي دَرْعَنٍ مِنْ أَوْدِيَةِ حَضْرَمَوْتِ الرُّيَسِيَّةِ ، وَيَشْكَلُ مَدِيرِيَّةً كَبِيرَةً ، ذَاتَ مَسَاحَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَعَدَدُ كَبِيرٍ
مِنَ السُّكَّانِ ، وَهُوَ وَادٍ عَرِيقٌ وَجَمِيلٌ ، وَمَوْقِعُهُ أَعْلَى وَادِي حَضْرَمَوْتِ الرُّيَسِيَّةِ شَرْقِيَّةً . تَمْتَدُّ عَلَى
جَانِبَيْهِ صُفُوفٌ طَوِيلَةٌ مِنَ الْقَرْيِ ، تَتَرْتَّبُ وَسَطُهَا وَعَلَى امْتِدَادِ الْوَادِي غَابَاتٌ مِنَ النَّخِيلِ وَحُقُولِ الْقَمْحِ
وَالذَّرَةِ وَأَشْجَارِ السُّدْرِ .

الْأَعْجَامُ بِكَثْرَةِ لِبْلَادٍ حَضْرَمَوْتَ مِنْ عَهْدِ اسْتِيلَاءِ الْفُرسِ عَلَى الْيَمَنِ ، حَسَبَمَا سَبَقَ فِي حَصَنِ الْغُرَابِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا وَبِالْيَمَنِ مِنْ أَعْقَابِهِمُ الْكَثِيرُ ، إِلَّا أَنَّهُمْ أُنْدَمَجُوا فِيهِمْ مَعَ مَرُورِ الْأَيَّامِ ، وَدَوْعُنُ يُطَلَّقُ عَلَى وَادِيَيْنِ بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ ، يَقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الْيَمَنُ^(١) ، وَهُوَ مَسِيلٌ مَغْرُوسٌ بِالنَّخِيلِ الْمُثْمِنَةِ^(٢) ، وَعَلَى حِفَافِيهِ بِلْدَانُهُ وَقُرَاهُ^(٣) .

فَأَمَّا شَقَّةُ الْغُرَبِيِّ :

فَأَوَّلُ بِلَادِهِ مِنْ أَعْلَاهُ : قُرْحَةُ آلِ بَاحْمِشٍ : وَهِيَ عَلَى رَأْسِ الْوَادِي الْيَمَنِ بَيْنَ وَادِيَيْنِ ، يَقَالُ لِأَحَدِهِمَا : وَادِي النَّبِيِّ^(٤) ، وَهُوَ الْغُرَبِيُّ ، وَيَقَالُ لِلْآخَرِ : وَادِي حَمْوُضَةٍ^(٥) ، فِي شَرْقِيَّةِ وَادٍ آخَرُ يَقَالُ لَهُ : مَنَوَةٌ^(٦) .

= وَيَنْفَذُ حَالِيًا مَشْرُوعَ ضَخْمٍ ؛ لِرَبْطِ قَرْيَ وَبِلْدَانِ وَادِي دَوْعَنْ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ عَنْ طَرِيقِ خَطِّ إِسْفَلَتِي حَدِيثٍ ، وَهُوَ مَشْرُوعٌ هَامٌّ يَقْرُبُ الْمَسَافَاتِ الْمَتَبَاعِدَةَ الَّتِي كَانَتْ تَقْطَعُ فِي اللَّيَالِي وَالْأَسَابِيعِ عِبْرَ الْوُدَيَانِ وَالرُّمَالِ وَالْقَفَارِ وَالْعُقَابِ الْعَالِيَةِ . وَيَشْتَهَرُ وَادِي دَوْعَنْ بِعَسَلِهِ الْعَالِيِ الْجُودَةِ ، وَالْفَائِقِ فِي فَائِدَتِهِ الْغِذَائِيَّةِ عَلَى غَيْرِهِ .

(١) أَيِ : وَالْآخَرُ : الْأَيْسَرُ - كَمَا سَيَأْتِي - وَالْمَتَعَارَفُ عَلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ دَوْعَنْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ إِطْلَاقُهُمْ اسْمَ دَوْعَنْ عَلَى الْيَمَنِ ، وَلَا يَلْفِظُونَ الْيَمَنَ ، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا الْأَيْسَرَ عَيْنُوهُ بِاسْمِهِ ، فَصَارَ اسْمُ دَوْعَنْ عِلْمًا عَلَى الْيَمَنِ فَقَطْ ، هَذَا فِي الْعَرَفِ ، لَكِنَّهُ تَارِيخِيًّا وَجُغْرَافِيًّا كَمَا قَرَّرَ الْمَصْنُفُ وَغَيْرِهِ .

(٢) الْمَسِيلُ : مَجْرَى الْمَاءِ .

(٣) حِفَافَا الشَّيْءِ : جَانِبَاهُ .

(٤) وَادِي النَّبِيِّ : هُوَ أَحَدُ ثَلَاثَةِ وَدَيَانٍ كَبَارٍ تَصَبُّ فِي وَادِي دَوْعَنْ ، وَالْآخَرَانِ كَمَا ذَكَرَهُمَا الْمَصْنُفُ . وَيَعْتَبَرُ وَادِي النَّبِيِّ أَقْصَرَ الْأَوْدِيَةِ الثَّلَاثَةِ ، وَيَجْتَمِعُ مَعَ وَادِي حَمْوُضَةٍ مَا بَيْنَ قُرْحَةِ بَاحْمِشٍ وَرِبَاطٍ بِاعْشَنَ ، ثُمَّ تَجْتَمِعُ هَذِهِ الْأَوْدِيَةُ كُلُّهَا تَحْتَ الرِّبَاطِ . وَيَسْكُنُ هَذَا الْوَادِي فِخَاذُ مِنْ قَبِيلَةِ الْقُثْمِ ، الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ اسْمُ : آلِ عَلِيٍّ بِامْسَلَمَ ، وَهُمْ : بَاوْقَاشَ ، وَبَنُ جَرِيدَ ، وَبَاجَبِيرَ ، وَآلُ مَبَارَكَ . وَالْقُثْمُ : فِرْعَ مِنْ الْحَالِكَةِ مِنْ سَيِّبَانَ .

وَسَمِّيَ الْوَادِي بِوَادِي النَّبِيِّ : لِأَنَّهُ فِيهِ فِي مَوْضِعٍ يَقَالُ لَهُ الصَّعِيدُ - فِي أَعْلَى الْوَادِي - مُشْهَدٌ يَزَارُ ، يَقَالُ : إِنَّهُ قَبْرِ نَبِيٍِّّ مِنْ أَهْلِ الْقُرُونِ الْأُولَى .

(٥) وَادِي حَمْوُضَةٍ : بِفَتْحِ الْحَاءِ وَضَمِّ الْمِيمِ ، وَادٍ كَبِيرٌ يَصُبُّ فِي دَوْعَنْ ، مَخْرَجُهُ شَرْقِيَّ الْقُرْحَةِ ، وَفُرُوعُهُ تَوَازِي رُؤُوسَ حَجَرٍ وَصَيْقِ الشُّمُوحِ ، وَفِي شَعَابِهِ بَادِيَةُ نَوَّحَ ، وَالشُّمُوحُ ، وَالْمَرَاشِدَةُ . . . كُلُّهُمْ سَيِّبَانَ ، وَفِيهِ غِيَاضٌ وَزُرُوعٌ وَعَيُونٌ مَاءٍ عَدِيدَةٌ .

(٦) مَنَوَةٌ : بِفَتْحٍ فَسْكَوْنٍ فَفَتْحٍ ، وَادٍ عَظِيمٌ فِي الشَّرْقِ الْجَنُوبِيِّ لِدَوْعَنْ ، وَيَصُبُّ شَرْقِيَّ الرِّبَاطِ ، وَفُرُوعُهُ تَوَازِي وَادِي عَقْرُونَ مِنْ أَوْدِيَةِ الْأَيْسَرِ .

وَأَلْ بِاحْمِشٍ^(١) مِنْ حَمَلَةِ أَسْلَاحٍ وَأَهْلِ الْنَجْدَةِ .

وَمِنْ مَتَأَخَّرِي عِلْمَائِهِمْ : الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ بَاصْبِرِينَ^(٢) ، كَانَ جَبَلًا مِنْ جِبَالِ الْعِلْمِ ، قَالَ وَالِدِي : (زَرْتُ دُوعْنَ فِي شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ « ١٢٩٠ هـ » ، فَطُفْنَا

(١) آل باحميش : من نَوْح ، سيبان ، ولم يذكر المصنّف هنا أحداً من آل باحميش ، مع أنّ فيهم عدداً من أهل العلم والرأي والبأس ؛ فمنهم :

الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بِاحْمِشٍ كَانَ إِمَاماً عَالِماً فَقِيهاً حَبِيراً مَنْوَّراً ، مِنْ عِلْمَاءِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ الْهَجْرِيِّ وَمَشَاهِيرِهِ ، مَوْلَاهُ بَغِيلُ بَاوْزِيرٍ وَقِيلَ بَبُورِ سَنَةِ (٧٩٨ هـ) ، نَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى عَدَنَ ، وَمِنْ شَبُوحِهِ : الْعَلَامَةُ عَلِيُّ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَفِيفِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَالْعَلَامَةُ الْقَاضِي عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَافَعِيِّ ، تَقِيُّ الدِّينِ ، وَغَيْرُهُمَا . تَوَلَّى الْقَضَاءَ مِنْ قَبْلِ السُّلْطَانِ عَلِيِّ بْنِ طَاهِرٍ (الدَّوْلَةُ الطَّاهِرِيَّةُ) وَتَوَفَّى وَهُوَ مُتَقَلِّدُهُ سَنَةَ (٨٦١ هـ) . انْتَفَعَ بِهِ جَمٌّ غَفِيرٌ ، كَالْعَلَامَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بِامْخَرْمَةِ ، وَالْعَلَامَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بِافْضَلٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بِافْضَلٍ وَغَيْرِهِمْ .

وَالشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بِاحْمِشٍ وَلِدَ بَعْدَهُ ، وَهُوَ مِنْ أُسْرَةٍ نَزَحَتْ مِنَ الشَّحْرِ ، وَبِهَا كَانَتْ نَشَأَتُهُ ، وَتَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَيْدِي عِلْمَائِهَا آنَ ذَاكَ ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَالتَّحَقَّقَ بِالْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ وَتَخَرَّجَ مِنْهُ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى عَدَنَ وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ بِهَا . وَكَانَ خَطِيباً مُصْقِعاً ، تَوَلَّى خُطَابَةَ مَسْجِدِ الْعِيدَرُوسِ ، اغْتِيلَ فِي حَادِثٍ مَرُورِي سَنَةَ (١٣٩١) أَوْ (١٣٩٥ هـ) ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) هُوَ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهُ ، الْمُحَقِّقُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ بَاصْبِرِينَ - مَثْنَى صَبْرٍ - النُّوحِيُّ السَّيْبَانِيُّ الدُّوعْنِيُّ الْحَضْرَمِيُّ . مَوْلَاهُ بَقْرَحَةُ بِاحْمِشٍ ، وَوَفَاتَهُ بِجَدَّةَ سَنَةَ (١٣٠٥ هـ) . تَلَقَّى الْعِلْمَ عَلَى أَيْدِي عِلْمَاءِ دُوعْنَ ، وَكَانَ انْتِفَاعُهُ وَاسْتِفَادَتُهُ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاعِشَنَ ، صَاحِبِ « بَشْرَى الْكَرِيمِ » ، وَعَلَى يَدِهِ كَانَ تَخَرُّجُهُ ، وَأَخَذَ عَنْ غَيْرِهِ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ وَأَخَذَ عَنِ الْبَاجُورِيِّ وَطَبَقْتَهُ .

وَقَدْ اسْتَقَرَّ الشَّيْخُ عَلِيُّ فِي جَدَّةَ ، حَتَّى إِذَا عَرَفَ عِنْدَ عِلْمَاءِ الْحِجَازِ بـ (عَالِمِ جَدَّةَ) ، وَانْتَفَعَ بِهِ فِي عِلْمِ الْفَلَكَ الَّذِي كَانَ يَجِيدُهُ عِدَدٌ مِنْ تَلَامِذَتِهِ ؛ مِنْهُمْ

الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بَخْشُ الْهِنْدِيُّ الْحَنْفِيُّ ، أَحَدُ عِلْمَاءِ مَكَّةَ فِي وَقْتِهِ .
وَأَخَذَ عَنْهُ الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بَاذِيبٍ ، وَاسْتَفْتَاهُ فِي مَسْأَلَةِ مَعَامَلَةِ الْكَافِرِ الْحَرْبِيِّ فَأَجَابَهُ عَنْهَا .
أَمَّا مُصَنَّفَاتُهُ . . فَمِنْهَا :

١- « إِثْمَدُ الْعَيْنِينَ فِي اخْتِلَافِ الشَّيْخِينَ » .

٢- « إِعَانَةُ الْمُسْتَعِينِ » حَاشِيَةُ عَلِيٍّ « فَتَحُ الْمَعِينِ » لِلْمِلْيَارِيِّ ، فِي مَجْلَدَيْنِ كَبِيرَيْنِ .

٣- « الْجَمْلُ فِي الْمَهْمَاتِ الدِّينِيَّةِ » .

٤- « سَلَامَةُ الْحِجَّاجِ فِي كُلِّ عَامٍ فِي رَفْضِ مَخْتَارَاتِ مُحَمَّدٍ الْهَمَامِ » .

بلادَ دوعنَ ، ووجدنا أكثرَ أهلها يقرؤون القرآنَ لروحِ والدي^(١) ؛ لأنَّ ذلكَ كانَ حَدَثَانِ وفاته من رمضانَ منها^(٢) ، ولَمَّا أَنتَهينا إلى قرحةِ آلِ باحميشِ أوانَ المغربِ . . أدركنا صلاتها في مسجدِها خلفَ إمامِ حسنِ الأداءِ ، شجِيَّ الصَّوْتِ ، محافظٍ على الشَّئْنِ والهيئاتِ ، وبعدَ أن فرغَ مِنَ الأَدْعِيَةِ والزَّاتِيَةِ . . جلسَ لِلتَّدرِيسِ في « شرحِ المَقْدَمَةِ الحَضَرِيَّةِ » ، وكانَ يكتُبُ عليه حاشيةً ، فسمعنا أحسنَ تدرِيسٍ ، وأتقنَ تحقيقٍ ، وأبلغَ إلقاءٍ ، وأوضحَ تفهيمٍ ، ثُمَّ صَلَّى بنا العِشاءَ بسورتينِ مِنْ أوساطِ المَفْصَلِ بصوتٍ عذبٍ أخذَ بقلوبنا ، وبقيَ طنينُهُ بأسماعنا ، وَخَيْلٌ لَنَا أَنَّنَا لَمْ نَسْمَعْ تلكَ الشُّورَ وَلَمْ تَنْزِلْ إِلَّا تلكَ السَّاعَةَ ، وما كادَ يخرجُ مِنَ المسجدِ وَبندقيُّهُ على كَتفه^(٣) إِلَّا وَأشعلَ النَّارَ في فتيلتها ، فقلنا لَهُ : ما شأنُكَ ؟ قَالَ : بيننا وبينَ قومٍ قَتْلٌ وَلَمْ نأخذَ صَلَاحاً ، فتمثلتْ لَنَا رسومُ الصَّحَابَةِ والسَّلَفِ الطَّيِّبِ ، حيثُ أَجتمعتِ العِبَادَةُ والشَّجَاعَةُ والعِلْمُ في ذلكَ الهيكلِ الشَّريفِ ، وهوَ شخصُ الشَّيخِ عليِّ بنِ أحمدَ باصبرينِ) .

جَمَعَ الشَّجَاعَةَ وَالْعُلُومَ فَأَصْبَحَا كَالْحُسْنِ شَيْبَ لِمُغْرَمٍ بِدَلَالِ^(٤)

هذا ما يُحدِّثني بمعناه والدي ذاتَ المَرَّاتِ ، فيبني في نَفْسِي العِلاليَّ والقصورَ مِنَ الشَّغْفِ بالمجدِ والطَّموحِ إلى الشَّرَفِ .

وقالَ السَّيِّدُ عمرُ بنُ حَسَنِ الحَدَّادُ : (قرأتُ على الشَّيخِ عليِّ باصبرينِ ، وهوَ إمامٌ في كُلِّ العُلُومِ ، حادُّ الطَّبعِ مثلُ الشَّيخِ عليِّ بنِ قاضي باكثيرِ) اهـ

وفي « مجموعِ » كلامِ العَلَامَةِ السَّيِّدِ أحمدَ بنِ حَسَنِ العَطَّاسِ : (أَنَّ بعضَ العُلَماءِ المَصْرِيِّينَ قالَ لَهُ : نعرفُ مِنَ الحَضارِمِ حَدَّةَ الطَّبعِ ، وَأنتَ بعيدٌ عنها ، قالَ لَهُ : مَنْ عرفتَ مِنَ الحَضارِمِ ؟ قالَ لَهُ : عرفتُ الشَّيخَ عليّاً باصبرينَ ، وجلسْتُ معه في

(١) يعني به الحبيب محسن بن علوي السقاف جد المؤلف .

(٢) الحَدَثَانِ : أوَّلُ الشَّيْءِ ، وَحَدَثَانِ وفاته : على أثر وفاته .

(٣) الكِتْدُ : مجتمع الكتفين ، وهو الكاهل .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (٦٤ / ٢) ، باختلاف بسيط . شيب : خلط .

المُغْرَمُ : المولع بالشَّيْءِ الَّذِي لا يقدر على مفارقتِهِ .

الحرمينِ ستينين ، فرأيتُ مِنْ حَدَّثِهِ ما لا مزيدَ عليه . فقالَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ : ذاكَ رجلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وتلقَى شيئاً مِنَ الْعِلْمِ ، وقد حَجَرَ سلفنا وأشياخنا على المتعلقينَ بِهِمِ الْأَخَذَ عَنْهُ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِأَهْلٍ لِلْإِقَاءِ وَلَا لِلتَّلَقِّي ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ ما في طباعِ أَلْبَادِيَةِ مِنَ الْغِلْظَةِ وَالْجَفَاءِ) اهـ

وهذا لا يخلو عن حيفٍ كثيرٍ على الشَّيْخِ باصبرين ، ويكفي لردِّهِ ما أخرجه الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ : « تَعْتَرِي الْحِدَّةُ خِيَارَ أُمَّتِي » ، وكانَ موسى عليه السَّلَامُ حديدًا ، وورد : « الْمُؤْمِنُ سَرِيعُ الْغَضَبِ سَرِيعُ الْفَيْءِ » ، وَضُمَّ إِلَيْهِ ما سبقَ مِنْ أَخَذِ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ عَنْهُ ، وبإشارته كَانَ تحويطُ الْجَمْرَتَيْنِ بِمِنَى ، فَسَلِمَ النَّاسُ ، وَلَا سِيَّما الضُّعَفَاءُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ أَضْرَارِ الزُّحَامِ ، فَلَقَدْ كَانَ رَأْيُهُ مُوَفَّقًا ، ولهذا بادرَ الشَّرِيفُ بتنفيذِهِ ، وطلبَ مِنْهُ أَنْ يُخَيَّرَ التَّرَدُّدَ عَلَيْهِ كما أخبرني وجيهُ جُدَّةَ النَّبِيلِ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ نَصِيفٌ عَنْ جَدِّهِ ، فَأَبَى ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَرِيفَ النَّفْسِ عَلَيَّ الْهِمَّةِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وحدَّثني ألوجيهُ مُحَمَّدُ نَصِيفٌ أَيْضًا أَنَّ أَحَدَ الدَّلَّالِينَ بَاعَ لَهُ بُنًا مِنْ يَهُودِيٍّ ، فَدَلَّسَ عَلَيْهِ فِي مَتْنِي رَطْلٍ ، فَأَخْبَرَ الشَّيْخَ مِمَّنَّا عَلَيْهِ بهذا الصَّنِيعِ ، فقالَ لَهُ الشَّيْخُ : لَا أَرْضَى وَلَا أَحِبُّ أَنْ يَطْلُبَنِي الْيَهُودِيُّ بِحَقِّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ ما أَخْتَانُهُ الدَّلَّالُ . وَمِنْهُ تَعَرَّفُ أَنَّ لَهُ تِجَارَةً بِجُدَّةَ ، وَكَانَتْ دَارَ هِجْرَتِهِ وَنَشْرِ عِلْمِهِ ، وَلَهُ بِهَا تِلَامِيذُ كَثِيرُونَ .

وقد علمتُ أَنَّ السَّيِّدَ عُمَرَ بْنَ حَسَنِ الْحَدَّادَ قَرَأَ عَلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ مَرَاجِيحِ الْعُلُوِّيِّينَ . وَحدَّثني الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بِاحْشَوَانَ - أَحَدُ قِضَاةِ الْمُكَلَّا السَّابِقِينَ - قَالَ : (كُنْتُ مَعَ الشَّيْخِ عَلِيِّ بِاصْبِرِينَ وَأَنَا صَغِيرٌ ، فَسَمِعَ مَزْمَارًا فَسَدَّ أُذُنِيهِ بِأَصْبَعِيهِ ، وَجَعَلَ يَقُولُ لِي : هَلْ تَسْمَعُ شَيْئًا ؟ فَأَقُولُ : نَعَمْ ، حَتَّى قُلْتُ : لَا ، فَأَبْعَدَهُمَا ، يَتَسَمَّتُ بِذَلِكَ ما فَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَعَ مَوْلَاهُ نَافِعٍ ، يَنْقُلُ ما صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَمَا سَمِعَ مَزْمَارَ الرَّاعِي) [د ٤٩٢٤] ، وَقَدْ جَوَّدْتُ الْقَوْلَ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِي « بِلَابِلِ التَّغْرِيدِ » .

وَجَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ تَرْيَمٍ مَنَازَعَاتٌ فِي عِدَّةِ مَسَائِلَ :

مِنْهَا : اَلتَّوَسُّلُ وَالْاِسْتِغَاثَةُ . وَمِنْهَا : ثُبُوتُ النَّسَبِ بِمَشْجَرَاتِ اَلْعُلُوِّيْنَ اَلْمَحَرَّرَةِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ يُبَالِغُ فِي اِنْكَارِ ذَلِكَ ، وَاُلْفَتْ رَسَائِلُ مِنْ اَلطَّرَفَيْنِ .

فَفِي سَنَةِ (١٢٩٨ هـ) فَرَعَ الشَّيْخُ عَلِيٌّ بَاصْبِرِينَ مِنْ رَسَالَتِهِ اَلَّتِي سَمَّاها : « حَدَائِقُ اَلْبَوَاسِقِ اَلْمُثْمَرَةِ فِي بَيَانِ صَوَابِ اَحْكَامِ الشَّجَرَةِ » ، وَقَدْ عَلَّقَ عَلَيْهَا اَلسَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ اَلْحَبَشِيُّ بِمَا يُشْبِهُ الرَّدَّ ، وَبَعْدَ اَطْلَاعِ بَاصْبِرِينَ عَلَيْهِ كَتَبَ : (اَمَّا اَلْتَّهَامِيشُ : فَاَمَعْنَا اَلنَّظَرَ فِي جَمِيعِهَا . . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا زِيَادَةً فَائِدَةٍ عَمَّا فِي اَلْأَصْلِ ، فَمَا زَادَ اِلَّا اِتْلَافَ وَرَقٍ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فِي اِتْلَافِهِ بِتَسْوِيدِهِ بِمَا لَا يُجْدِي فَائِدَةً جَدِيدَةً) .

وَلِلْحَبِيبِ اَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ اَلْمَحْضَارِ شَبُهٌ رَدٌّ عَلَيَّ بَاصْبِرِينَ فِي « اَلْحَدَائِقِ » اَلْمَذْكُورَةِ ، قَالَ فِيهِ : (وَبَعْضُ النَّاسِ قَوْلُهُ وَبَوْلُهُ سَوَاءٌ) .

ثُمَّ اِنَّ الشَّيْخَ بَاصْبِرِينَ كَتَبَ رِسَالَةً أُخْرَى فِي نَقْضِ تَعْلِيْقَاتِ اَلسَّيِّدِ سَالِمِ اَلْحَبَشِيِّ ، سَمَّاها : « اِنْسَانُ اَلْعَيْنِ » ، فَكَتَبَ عَلَيْهَا اَلْإِمَامُ اَلْمَحْضَارُ كِتَابَةً طَوِيلَةً ، جَاءَ فِيهَا : (وَمَا أَوْضَحَهُ الشَّيْخُ عَلِيٌّ فِي هَذِهِ اَلْجُمْلَةِ . . فَذَلِكَ شِفَاءُ الصُّدُورِ ، تَبَرُّأُ بِهِ اَلْعَلَّةُ ، وَهُوَ مُجَرَّبٌ فِي تَجَرُّبَتِهِ ، وَحَرِيصٌ فِي أَجَوِبَتِهِ ، وَبِاللَّهِ الَّذِي فَرَضَ اَلصَّلَاةَ وَاَلْوُضُوءَ مَا أَرَدْتُهُ بِسَوْءٍ) .

ثُمَّ اِنَّ الشَّيْخَ عَلِيًّا سَيَّرَ كِتَابًا لِّلْسَيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَاَلْسَّيِّدِ صَافِي بْنِ شَيْخِ آلِ اَلسَّقَافِ ، وَسَيِّدِي اَلْأُسْتَاذِ اَلْأَبْرَّ عِيدُورُسِ بْنِ عَمَرَ ، وَاَلْسَّيِّدِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَاَلْسَّيِّدِ شَيْخَانِ بْنِ مُحَمَّدٍ آلِ اَلْحَبَشِيِّ .

فَأَمَّا اَلْأَوَّلَانِ : فَصَرَّحَا بِمُخَالَفَةِ بَاصْبِرِينَ ، وَأَمَّا اَلْآخَرُونَ . . فَلَمْ أَرَ لَهُمْ كَلَامًا بِخِلَافٍ وَلَا وِفَاقٍ . وَكَانَ كِتَابُهُ إِلَيْهِمْ فِي سَنَةِ (١٢٩٩ هـ) .

وَكَثِيرًا مَا يَنْشُبُ اَلْخِلَافُ بَيْنَ الشَّيْخِ عَلِيٍّ بَاصْبِرِينَ وَبَيْنَ عُلَمَاءِ اَلْعُلُوِّيْنَ كَالِ يَحْيَى بِالْمَسِيلَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَتَوَلَّفَ اَلرَّسَائِلُ فِي اَلْجَانِبَيْنِ وَتُعْرَضُ عَلَيَّ سَيِّدُنَا اَلْإِمَامُ اَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ اَلْمَحْضَارِ - صَاحِبِ اَلْقَوِيْرَةِ - فَيَقْرَئُ عَلَيْهِمَا ، اِلَّا اَنَّهُ بِأُسْلُوبِهِ اَلْعَجِيبِ وَتَرْسُلِهِ

العذب ، وعارضته القويّة ، وسيره بسوق الطّبيعة ، يتخلّص من المآزق بما يذكّرني بما قاله ابن الجوزي ، لما تواضع أهل السنّة والشيعة على ما يقوله ، فسأله وهو على المنبر عن عليّ وأبي بكر . أيّهما الأفضل ؟ فأجاب بما لو رَوَى فيه عالمٌ دهرًا . . لم يُوفّق إليه ؛ إذ قال : (أفضلهما وأحبّهما إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من بنته في بيته) أو ما هذا معناه ، فحملها كلٌّ على ما يريد .

وقال الإمام المحضار في بعض كتاباته بتلك المناسبة : (والاعتماد على ما قاله الجمهور ، لا ما قاله عبد الرحمن مشهور) ؛ يعني مفتي حَضْرَمَوْت لذلك العهد ، صاحب « بغية المسترشدين » ، وهو لا يقصدُ خلافه ولا إدخال المساءة عليه ، ولكنّه قام في طريق الفاصلة^(١) وهو لا يُبالي بشيء من أجلها ؛ لأنّه يمرّ مع خاطره بلا تكلف ولا تنطع .

ولا غرو ؛ فقد طلق بعضهم أمراته من أجلها ، وتكلّف الصّاحب بن عبّاد السّفَر إلى قندهار ليقول :

صَدَرْتُ مِنْ قَنْدَهَارٍ فِي ضَخْوَةِ النَّهَارِ

وعندما زار المحضار حضرموت وذهب لزيارة هود عليه السلام . . اتّفق حلول الجمعة بِقُعْمَةٍ ، فجمّع بها المحضار وتبعه كثيرٌ من النّاس ، ولكن السيّد المشهور لم يوافقهُ ، بل أنعزَل بال تريم وكثيرٍ من غيرهم ، لا أدري الشّيء من أمثال ذلك أم للتشديد بما قال الشّافعيّة من شروط الجمعة .

ومن إهداء السّلام في كتب الشّيخ عليّ باصبرين للإمام المحضار . . يُفهم أنّ له أولاداً يهدي سلامهم إليه ، ومنهم حسن بن عليّ باصبرين ، قتله أحد آل ضروس غيلة بالقرحة في رمضان ، ولا يزال بها أحفاده وعشائر آل باحميش إلى الآن ، ومن وجهائهم أحمد بن يسلم باحميش وإخوانه .

(١) الفاصلة : في النثر كالفافية في الشعر ، وهي المقطع الصوتي الذي ينتهي عنده الكلام .

الحسوسة^(١)

هِيَ الَّتِي إِلَيْهَا الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِامْخَرَمَةٍ ، يَمْدَحُ الشَّيْخَ يَوْسُفَ
بَانَاجَةَ الَّتِي ذَكَرَهُ :

حَيِّ وَاذْنِي النَّبِيَّ يَا أَحْمَدَ وَطَاهَةَ أَوْ وُغُورَةَ حَيِّ مَا بَيْنَ بَادِرِ وَالْحَسُوسَةِ وَغُورَةَ^(٢)
فِيهِ يَوْسُفٌ كَمَا يَوْسُفٌ فِي أَطْلَالِ دُورَةِ رَيْنَتَنَا حِلَّ وَسْطَةِ وَاخْتِلَفَ فِي دُورَةِ
وَلَوْلَا أَنَّ الْمَشَبَّهَ لَا يَكُونُ مِثْلَ الْمَشَبَّهِ بِهِ مِنْ سَائِرِ النَّوَاحِي . . لَاشْتَدَّتِ الْمُؤَاخَذَةُ
عَلَى الشَّيْخِ عَمْرِ بِامْخَرَمَةٍ فِي تَشْبِيهِهِ الشَّيْخَ يَوْسُفَ بَانَاجَةَ بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ يَوْسُفَ بْنِ
يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ؛ فَلَقَدْ كَفَرُوا الْمَعْرِيَّ بِقَوْلِهِ [فِي «سَقَطَ الزُّنْدُ» ١٤٢ مِنْ الْكَامِلِ] :
هُوَ مِثْلُهُ فِي الْفَضْلِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِ بِرِسَالَةِ جَبْرِيلَ
وَقَالُوا : كَفَرَ الْفَرَزْدَقُ - أَوْ كَادَ - إِذْ يَقُولُ فِي يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ [فِي «دِيَوَانِهِ» ٢٣٧/١
مِنْ الْبَسِيطِ] :

لَوْ لَمْ يُشْرَبْ بِهِ عَيْسَى وَبَيْنَهُ كُنْتُ النَّبِيَّ الَّذِي يَدْعُو إِلَى النُّورِ
وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُبُودَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ (وَالِي الرِّبَاطِ) مِنْ
سَكَّانِ الْحُسُوسَةِ ، وَبَعَقِبِ اسْتِيْلَاءِ الْقَعِيطِيِّ عَلَى الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي سَنَةِ
(١٣١٧ هـ) . . أَسْنَدَ الْعِمَالَةَ إِلَى الْمَقْدَّمِ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ بَاصِرَةَ ، وَكَانَ يَحْمِلُ ضَغْنًا
عَلَى هَذَا الشَّيْخِ ، فَصَادَرَ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَشْرَكَ فِي الْحَرْبِ ، وَلَمْ يَسْنَعْ فِيهَا
بُخْفٌ وَلَا قَدَمٌ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ أَقَامَ سُورًا حَدِيدِيًّا مِنَ الْحُجَابِ يَمْنَعُونَهُ الْوُصُولَ إِلَى
الْأَسْلُطَانِ غَالِبِ بْنِ عَوْضٍ . . لِأَدْرَكَهُ عَفْوُهُ ؛ فَقَدْ كَانَ وَاسِعًا شَامِلًا ، لَا يَضِيقُ عَمَّا هُوَ
أكْبَرُ مِنْ هَذَا ، فَضْلًا عَنْهُ .

(١) وَمِنْ بَابِ الْمُتَشَابِهَاتِ أَوْ الْمُتَّفَقِ وَضَعَا الْمُفْتَرِقَ صِغَةً : الْحُسُوسَةُ بَفَتْحِ فَضْمٍ ، جَبَلٌ أَحْمَرٌ رَمْلِيٌّ فِي
وَادِي حَبَّانَ بِالصَّعِيدِ مِنْ شِبُوعَ . وَآلُ الْحُسُوسَةِ : أُسْرَةٌ مِنْ أَسْرِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ ، ظَهَرَ مِنْهُمْ عَدَدٌ مِنَ
الْعُلَمَاءِ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ ، وَلَهُمْ ذُرِّيَّةٌ تَسْكُنُ صَنْعَاءَ .

(٢) وَطَاهَةُ : مَا انْخَفَضَ مِنَ الْوَادِي ، وَغُورُهُ : مَا ارْتَفَعَ مِنْهُ .

قَرْنُ بَاحِكِيم

فِيهِ آلُ بَاحِكِيم^(١) ، وَكَانَتْ لَهُمْ ثَرَوَةٌ طَائِلَةٌ ، وَتِجَارَةٌ رَاقِيَةٌ ، وَلَهُمْ عَقَارَاتٌ بِمِصْرَ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَتْ إِلَيْهِمْ دَوْلَةٌ بِبِلَادِهِمْ حَتَّى نَجَمَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَعِيطِيِّ فِتْنَةٌ فِي حَدُودِ سَنَةِ (١٣٢٦هـ) ، وَكَانَ رُؤَسَاؤُهُمْ إِذْ ذَاكَ : سَالِمُ بْنُ عَمَرَ وَأَحْمَدُ بْنُ يَسْلَمَ بِحَضْرَمَوْتَ ، وَرِئِيسُهُمُ الْأَكْبَرُ الَّذِي يَمُدُّهُمْ بِالْأَرْأَاءِ وَالْأَمْوَالِ مِنْ مِصْرَ هُوَ : سَالِمُ بْنُ أَحْمَدَ بَاحِكِيمَ ، وَانْتَهَى أَمْرُ تِلْكَ الْحَرْبِ - الَّتِي أَبْلَى فِيهَا آلُ بَاحِكِيمَ أَحْسَنَ الْبَلَاءِ - بِمُعَاهَدَةٍ ، خَلَّاصَتُهَا : أَنَّ الرِّئَاسَةَ الْعَامَّةَ لِلْقَعِيطِيِّ ، وَلَهُمُ الْإِسْتِقْلَالُ الدَّخْلِيُّ فِي بِلَادِهِمْ ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يُسَلِّمُوا غَرَامَةَ الْحَرْبِ الْمَقْدَّرَةَ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ رِيَالٍ .

ثُمَّ حَصَلَ التَّنَازُلُ مِنَ السُّلْطَانِ غَالِبٍ ؛ لَمَّا جَبَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاحِ وَلِينِ الْعَرِيكَةِ^(٢) عَنْ أَكْثَرِهَا ، وَكَانَ غُرُضٌ عَلَيْهِمْ صَلَاحُ أَشْرَفُ مِنْ هَذَا فَأَبَوْهُ ، وَلَكِنْ عَسَكَرَ الْقَعِيطِيُّ أَقْتَحَمُوا حَصْنَ لَهُمْ بِالْجَبَلِ فَلَانَتْ أَعْصَابُهُمْ ، وَأَضْطَرُّوا إِلَى قَبُولِهِ .

وَفِي « الْأَصْلِ » : أَنَّ بَاحِكِيمَ بَنَى حَضْنَ الْفِزَةِ فُجَاءَةً فِي سَنَةِ (٩٣٩هـ) فَنَهَضَ إِلَيْهِ آلُ عَلِيِّ بْنِ فَارِسٍ الْنَهْدِيُّونَ مِنَ الشُّوَرِ ، وَكَتَبُوا لِلسُّلْطَانِ بِدْرِ بُوَطُورِقَ ، وَأَتَّهَمُوا الشَّيْخَ الْعَمُودِيَّ بِمُسَاعَدَةِ بَاحِكِيمَ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ كَلَامٌ وَتَهْدِيدٌ .

وَلَا يَزَالُ بَاحِكِيمُ عَلَى جَانِبٍ مِنَ الشَّرَفِ وَالْمُرُوءَةِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ ، بِالْقَرْنِ وَالْمُكَلَّاءِ وَمِصْرَ ، وَأَشْهُرُ مَنْ بِمِصْرَ مِنْهُمْ الْآنَ : الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ بَاحِكِيمَ .

(١) آلُ بَاحِكِيمَ : مِنْ قِبَائِلِ نَوَاحِ السَّيِّيَانِيَةِ . وَفِي الْقَرْنِ أَيْضاً : آلُ بَرَكَاتٍ ، وَآلُ بَامْعَدَانَ ، وَسَيَاتِي فِي شِبَامِ التَّعْرِيفِ بِآلِ مَعْدَانَ وَآلِ بَرَكَاتٍ وَهُمْ غَيْرُ هَؤُلَاءِ .

(٢) لَيْنُ الْعَرِيكَةِ : سَهْلُ الطَّبَاعِ .

الْخُرَيْبَةُ^(١)

من كُبْرِيَّاتِ بِلَادِ دُوعَنْ وَقُدَامَاهُ ، عَلَى أَسْمِ مَكَانٍ بِالْبَصْرَةِ كَانَتْ عِنْدَهُ وَاقِعَةٌ
الْجَمَلِ^(٢) ، وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُهُمْ [السَّيِّدُ الْحَمِيرِي فِي « دِيَوَانِهِ » مِنْ الْبَسِيطِ] :
إِنِّي أَدِينُ بِمَا دَانَ الْوَصِيُّ بِهِ يَوْمَ الْخُرَيْبَةِ مِنْ قَتْلِ الْمُحَلِّينَا
ذِكْرُهُ يَاقُوتُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ « مَعْجَمِهِ »^(٣) .

وَمَا زَالَتْ خُرَيْبَةُ دُوعَنْ مُحِطٌّ رِحَالِ الْعِلْمِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وَكَانَ بِهَا نَاسٌ مِنْ آلِ
بَاحُوِيرِثِ الَّذِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي النَّسَبِ مَعَ آلِ سَيْتُونَ الْمَشْهُورِينَ بِالْعِبَادَةِ وَحُبِّ الصَّلَاةِ ،
وَمِنْهُمْ عَالِمُ الْخُرَيْبَةِ وَقَاضِيهَا فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ ، وَهُوَ : الشَّيْخُ سَلِيمَانُ
بَاحُوِيرِثَ ، لَهُ وَلَوْلَدُهُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ سَلِيمَانَ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي « مَجْمُوعِ الْجَدَّيْنِ »
طَلَبَ بْنِ عَمَرَ وَعَلِيِّ بْنِ عَمَرَ ؛ فَعَنِ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ أَحْمَدُ مُؤَدِّنَ بَاجِمَالٍ قَالَ : (أَخْبَرَنِي
السَّيِّدُ الْعَارِفُ ، بِقِيَّةِ الْمُحَقِّقِينَ ، الْوَرَعِينَ الْمُتَضَلِّعِينَ ، أَبُو بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بِافْقِيهِ عَلَوِيٌّ
بَقِيدُونَ قَالَ : إِنَّ الْفَقِيهَ سَلِيمَانَ بَاحُوِيرِثَ زَوْجَ أَمْرَأَةٍ - وَهُوَ نَائِبُ الْخُرَيْبَةِ - وَلِيَّهَا غَائِبٌ
بِرَجُلٍ ظَنَّهُ كَفُوءًا ، فَلَمَّا قَدِمَ وَلِيَّهَا . . . رَفَعَ الْأَمْرَ إِلَى قَاضِي الشَّخْرِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْمَرَ ، وَظَهَرَ
عَدَمُ الْكِفَاءَةِ ، وَلَكِنْ قَاضِي الشَّخْرِ قَرَّرَ النِّكَاحَ عَمَلًا بِالْمَرْجُوحِ .

قَالَ السَّيِّدُ : وَحَيْثُ وَقَعَ عَقْدُ قَالَ بِهِ إِمَامٌ - وَلَوْ مَرْجُوحًا - فَلَا نَقْضَ فِي حَقِّ
الْعَوَامِّ ، وَإِنَّمَا مُحَلٌّ الْمَنْعِ قَبْلَ الْعَقْدِ) هَذَا مَا ذَكَرَهُ أَحْمَدُ مُؤَدِّنُ .

وَزَادَ : (إِنَّ مَذْهَبَ مَالِكٍ : عَدَمُ أَعْتِبَارِ الْكِفَاءَةِ إِلَّا بِالَّذِينَ ، وَقَدْ عَمِلَ بِهِ بَعْضُ
مَشَايِخِنَا لِمَصْلَحَةِ اقْتَضَتْ ذَلِكَ) اهـ

(١) تقع الخريبة على خط طول : (١٨-٢٠-٤٨) ، وخط عرض : (٣٠-٦-١٥) ، وتاريخها قديم ،
وكانت من البلدان التي سارع أهلها في الدخول في الإسلام ، وأقامت بها طائفة الإباضية مدة من الزمان
على يد عبد الله بن يحيى الكندي .

(٢) وسُمِّي المكان الذي بالبصرة بالخريبة ؛ لأنَّ المرزبان كان قد ابتنى به قصرًا وخرَّب بعده .

(٣) أي : المكان الذي بالبصرة ، لا هذا الذي في حضرموت .

وهي مسألة نفيسة مبنية على أن (العامي لا مذهب له) ، وهما قولان قريبان من التكافؤ ، وقد حررت ما في ذلك بموضعه من كتابي « صوب الركام » .

وإنما سقت المسألة لمناسبة أنه وردني بالأمس سؤال ، حاصله : أن المكرم الشيخ عبد الله بن أحمد الزبيدي كانت له ابنة عم ، لها أخ شقيق في السادسة عشرة من عمره ، يتصرف عنه وصيه ، وهو أخوه وأخو البنت من الأب ، فأشار عليه أن يعقد بها ، فأنكر عليه بعض العلويين وقالوا له : ما دليلك ؟

فقال : لا دليل إلا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَوْنُوا السُّقَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾ الآية الخامسة من سورة النساء .

فلم يقتنعوا منه بذلك ، وقالوا : إن النكاح باطل لا وجه له إلا مقابل الأظهر في قول « المنهاج » [٤٢٨/٢] : (ويُقدّم أخ لأبوين على أخ لأب في الأظهر) فأعجبني استدلاله وقررت النكاح ؛ لأنه إذا لم يثبت رشد الشقيق . . فالنكاح صحيح على المعتمد في المذهب .

قال في « النهاية » : (وكذا محجور عليه بسفه ؛ بأن بلغ غير رشيد ، أو بذّر في ماله بعد رشده ثم حَجَرَ عليه . . لا ولاية له على المذهب ؛ إذ لا يلي أمر نفسه ، فغيره أولى . ويصح توكيله في قبول النكاح لا إيجابه) اهـ ، و « الثحفة » قريب منها .

وفي (الحَجَر) من الثانية : (تصديق الولي في دوام الحَجَر ؛ لأنه الأصل ، ما لم يظهر الرشد أو يثبت) اهـ ، و « النهاية » على مثاله .

ومتى كان الأصل فيمن يتصرف عنه وصيه الحَجَر . . فالنكاح صحيح على مُقرّر المذهب .

وبفرض تسليم رشد الشقيق . . يأتي ما نقله أحمد مؤدّن عن باحويرث ، فالعقد صحيح على كل تقدير ، إلا أن للشيخ أحمد مؤدّن كلاماً آخر في « مجموع الجدّين » ، وحاصلُه : (أنه وقع عقد في قيّدون بغير كفؤ ، مع غيبة الولي ، وفرّق بينهم نائب الهجرين ، وسأل أحمد مؤدّن ، فأجابته بصواب ما فعل) .

وقاضي الخُريّة الآن^(١) هو الشَّيخُ عمرُ بنُ أبي بكر^(٢)، مِنْ آلِ باحويرث المذكورين .
ومن علماء الخُريّة : الشَّيخُ الجليلُ المقدار ، عليُّ بنُ عبدِ الله باراس الكندي^(٣) ،
المتوفى في سنة (١٠٩٤ هـ) وأولاده : أحمدُ ، ومحمَّد ، وعبدُ الرَّحمن^(٤) .
وهؤلاء الثلاثة كلُّهم مِنْ مشايخ السَّيِّد الشَّهير عليِّ بنِ حسن بنِ حسين العَظَّاسِ ، ولهم
ذِكْرٌ كثيرٌ في مؤلَّفاته و« ديوانه » .

وكان الشَّيخُ عليُّ باراسٍ ورَدَ خُريضةً على الحبيبِ عمر بنِ عبدِ الرَّحمنِ العَظَّاسِ ،
وهو على أَخْلَفِ ما يكونُ مِنْ أَزياءِ الباديةِ وهيَّتهم ، فتأدَّبَ بالحبيبِ عمرَ ، وحصلَ لَهُ
الفتوحُ في أسرعِ وقتٍ ، مع أَنَّهُ كما قالَ العَلَّامةُ السَّيِّدُ أحمدُ بنُ حسنِ العَظَّاسِ : (لَمْ
يَقْرَأْ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْضَ خُطْبَةٍ « بداية الهداية » للغزاليِّ فقط) ، ثُمَّ إِنَّهُ أَسْتَأْذَنَهُ لِلْحَجِّ . فَلَمْ
يَأْذَنْ لَهُ ، ثُمَّ أَسْتَأْذَنَهُ أُخْرَى . فَأَذِنَ لَهُ .

ولمَّا كَانَ بِمَكَّةَ . . ذهبَ إِلَى السُّوقِ لِحَاجَةٍ ، فَأَلْفَاها مَعَ امرأةٍ مِصْرِيَّةٍ ، فَأَعْجَبَتْهُ ،
وَأَخَذَ يَتَأَمَّلُ فِي مُحَاسِنِهَا ، فلم يَشْعُرْ إِلَّا بِضَرْبَةٍ عَصاً على جَنْبِهِ فَعَرَفَ أَنَّ هَذَا تَنْبِيهُ لَهُ
مِنْ اللَّهِ ، فَثَبَّتَ قَدَمَهُ على طَرِيقِ الْحَقِّ . ذَكَرَهَا غَيْرُ وَاحِدٍ ؛ مِنْهُمْ : الحبيبُ عمرُ بنُ
حسنٍ الحَدَّادُ في « مجموع كلامه » .

(١) أي : سنة (١٣٦٦ هـ) .

(٢) الشَّيخُ عمر باحويرث من مواليد الخريّة ، وأخواله آل باجنيد ، طلب العلم بمكة ، ولازم الشَّيخَ
عمر بن أبي بكر باجنيد المكي ، ولم يغادر مكة إِلَّا بعد وفاته سنة (١٣٥٤ هـ) ، وكان مقرئاً عنده في
درسه ، وأخذ عن غيره من علماء مكة ودوعن ومن أخص تلامذته : الشَّيخُ الفاضل عمر بن علي بن
جُوَيْهَر ، المتوفى بالخريّة عام (١٤٢١ هـ) ، وكان بقية من يزار بها من الصالحين .

(٣) ترجمته في « القُرطاس » للحبيب عليِّ بن حسن ، وفي « خلاصة الأثر » للمحبِّي ، و« تاج الأعراس »
للعَظَّاسِ . وله مصنَّفات فائقة منها :

« شرح راتب العَظَّاسِ » أدرجه العَلَّامةُ الحبيبُ عليُّ بن حسن العَظَّاسِ في شرحه الكبير المسمَّى
« القُرطاس » . و« الرُّوضَةُ الْخَضْرَاءُ وَالدُّرَّةُ الزَّهْرَاءُ » ، شرح على قصيدة الشَّيخِ أَبِي مَذْنِ النَّبِيِّ
مطلعها :

مَا لَذَةُ الْعَيْشِ إِلَّا صُحْبَةُ الْفَقْرَاءِ هُمُ الْمُلُوكُ هُمُ السَّادَاتُ وَالْأَمْرُ

و« شرح الحَكمِ العِطائِيَّةِ » ألفه بإشارة شيخه العَظَّاسِ .

(٤) ومن أولاده أيضاً : عبد الله بن علي .

وَمِنْ عِلْمَاءِ الْخُرَيْبَةِ : الشَّيْخُ الْعَظِيمُ الْمَقْدَارِ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بَاسُودَانَ ، وَهُوَ الشَّيْخُ الثَّامَنَ عَشَرَ مِنْ مَشَايِخِ سَيِّدِي الْأَبَرِّ عِيدَرُوسِ بْنِ عَمَرَ - حَسَبَمَا فِي تَرْجَمَتِهِ فِي «عَقْدِهِ» - ، وَقَدْ تَوَفَّى بِهَا فِي سَنَةِ (١٢٦٦هـ) ، وَكَانَ مِنَ الْعِلْمِ بِالْمَكَانَةِ الْعَالِيَةِ :

تَنْمِيهِ أَغْرَاقٍ صِدْقٍ حِينَ تَنْسُبُهُ ذِي نَجْدَةٍ وَعَنِ الْمَكْرُوبِ فَرَّاجٍ^(١)
سَاجِي النَّوَظِرِ مِنْ قَوْمٍ لَهُمْ كَرَمٌ تُضِيءُ سُنَّتُهُ فِي الْحَالِكِ الدَّاجِي

وقد ذكرتُ في «الأصل» مِنْ مَنَاقِبِهِ وَمَنَاسِبِهِ مَا يُغْنِي عَنِ الْإِعَادَةِ هُنَا ، وَلَقَدْ قَالَ السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ حَسَنِ الْحَدَّادُ : (كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ الْحَبَشِيِّ أَيَّامَ كَانَ يُعَلِّمُ بَنَاتِهِ تَحْتَ إِشَارَةِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ قَالَ لِعَمِّي مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ ذَاتَ يَوْمٍ : نُحِبُّ أَنْ يَقْرَأَ عَمْرُ بْنُ حُسَيْنٍ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بَاسُودَانَ ؛ لِأَنَّهُ أَوْسَعُ عِلْمًا مِنْكَ ، فَأَنْقَبَضَ عَمِّي مُحَمَّدٌ مِنْ قَوْلِهِ هَذَا لَهُ أَمَامِي وَأَمَامَ أَوْلَادِهِ ؛ إِذْ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ أَنَا وَإِيَّاهُمْ ، فَلَمْ تَمُرَّ الثَّامِنَةُ إِلَّا وَجَاءَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَاسُودَانَ لَزِيَارَةِ تَرِيمٍ ، فَسَرْتُ مَعَهُ إِلَى دَوْعَنَ ، وَقَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى وَلَدِهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى الشَّيْخِ سَعِيدِ بَاعَشَنَ ، وَعَلَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بَاحَنْشَلٍ وَهُوَ فِي سِنِّ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ ، وَكَانَ قَرَأَ فِي زَبِيدِ عَلَى سُلَيْمَانَ الْأَهْدَلِ وَوَلَدِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ ، وَأَدْرَكَ الشَّيْخَ الْكُرْدِيَّ^(٢) ، وَلَهُ حَافِظَةٌ قَوِيَّةٌ) اهـ كَلَامُ الْحَدَّادِ .

وَفِي قَوْلِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ لِلْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنٍ : (إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدِ اللَّهِ بَاسُودَانَ أَوْسَعُ مِنْكَ عِلْمًا) فَوَائِدُ :

الأُولَى : عِلْوُ رُتْبَةِ الشَّيْخِ بَاسُودَانَ ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدًا مِنْ أَكْبَارِ عِلْمَاءِ الْحَجَازِ ، وَهُوَ مُفْتِي مَكَّةَ لِلشَّافِعِيَّةِ ، وَالشَّيْخُ السَّادِسَ عَشَرَ لِلْأَبَرِّ ، فَانْحِطَاطُهُ مَعَ هَذَا عَنْ

(١) البَيِّنَاتُ مِنَ الْبَسِيطِ .

(٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الْكُرْدِيُّ الْمَدَنِيُّ ، صَاحِبُ «الْحَوَاشِي الْمَدَنِيَّةِ» ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ

(١٢٠٣هـ) .

درجة الشيخ باسودان يشهد لهذا بشأن جليل ومقام عظيم .

الثانية : أَنَّ الْحَبِيبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حُسَيْنٍ يَقُولُ الْحَقُّ ، فَلَا يُحَابِي (١) وَلَا يُوَارِبُ (٢) .

الثالثة : أَنَّ أَنْقَبَاضَ الْحَبِيبِ مُحَمَّدٍ بْنِ حُسَيْنٍ جَارٍ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الطَّبَعُ الْبَشَرِيُّ عِنْدَ مِثْلِهِ ، فَهُوَ غَيْرُ مَلُومٍ فِي ذَلِكَ ، مَعَ الْأَسْتِكَانَةِ وَالْاعْتِرَافِ بِالْحَقِّ وَعَدَمِ الْمَكَابِرَةِ فِيهِ .

الرابعة : لَوْلَا تَهْذِيبُ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ لَتَلَامِيذِهِ بِهَذَا التَّهْذِيبِ . . . لَمَا أَنْتَهَى الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنٍ وَأَمَثَالُهُ إِلَى مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ .

الخامسة : أَنَّ الْحَقَّ رَائِدُ الْقَوْمِ ، وَالْإِنْصَافُ قَطْبُ رَحَاهُمْ ، وَنَقْطَةُ بِيكَارِهِمْ ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

وقد سمعتُ مِنْ وَالِدِي وَغَيْرِهِ عَنِ الْأَجَلَاءِ الثَّقَاتِ : أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ بَاسُودَانَ كَانَ أَوْسَعَ مِنْ أَبِيهِ فِي الْفَقْهِ ، وَفَتَاوِيهِ شَاهِدٌ عَدْلٍ عَلَى ذَلِكَ .

وأخبرني الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ بِاسُودَانَ أَنَّ بَعْضَ الْعُلَوِّينَ وَرَدُوا عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ وَسَلَّوَهُ عَنْ ابْنِهِ مُحَمَّدٍ . . . فَقَالَ لَهُمْ : لَا بَأْسَ بِهِ ، فَاسْتَقْلَهَا وَنَذَرَ الْأَعْتِكَافَ سَبْعَ سِنِينَ لِدَرَسِ الْعِلْمِ فِي جَامِعِ الْخُرَيْبَةِ ، وَوَفَّى بِذَلِكَ ، فَحَقُّ يَجِيءُ فِيهِ مَا قَالَهُ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ فِي تَسْمِيَّتِهِ لِأَبِيهِ [في « ديوانه » ٢١/٢ مِنْ الطُّوِيلِ] :

جَرَى مَا جَرَى قَبْلِي وَمَا أَنَا خَلْفُهُ أَغْدُ لِإِذْرَاكِ الْمَعَالِي وَأَوْجِفُ
وَلَوْلَا مُرَاعَاةُ الْأُبُوءِ . . . جُزْتُهُ وَلَكِنْ لَغَيْرِ الْعَجْزِ مَا أَتَوَقَّفُ

ولكنَّ هذا لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنْهُ بَلْ جَاذَهُ ، وَلَمْ يُبْقِ لَهُ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا حَازَهُ ، تَوَفَّى (٣) بِالْخُرَيْبَةِ فِي سَنَةِ (١٢٨١هـ) وَبَيْتُهُمْ بَيْتُ عِلْمٍ وَشَرَفٍ ، وَقَدْ وَزَرَ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ

(١) حَابِيُ فُلَانٍ فُلَانًا : مَالٌ إِلَيْهِ .

(٢) يُوَارِبُ : يَخَاتِلُ وَيَخَادِعُ .

(٣) أَيُ : الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ ، وَكَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ (١٢٠٦هـ) ، تَرَجَمَتْهُ فِي « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » ، وَذَكَرَهُ الْحَبِيبُ عِيدَرُوسُ فِي « الْعَقْدِ » ضَمَّنَ تَرْجَمَةَ وَالِدِهِ .

عبد الله باسودان، وأخوه الشيخ سالم بن عبد الله للسلطان عوض بن عمر القعيطي^(١).
ومن آل باسودان الآن : الفاضل الشيخ عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد بن العلامة
الجليل عبد الله بن أحمد باسودان ، يسكن الآن بالحديدة ، وهو من أعيانها ومن
المعتبرين فيها^(٢) .

ومنهم : الشيخ محمد بن سالم بن بو بكر بن عبد الله باسودان ، خطيب جامع
الخريبة الآن^(٣) .

وللشيخ أحمد باحنشل - السابق ذكره - ولد أسمه : محمد ، من أعيان العلماء ،
وله ولد عالم أسمه : محمد ، وله حفيد أسمه : محمد أيضاً من أهل العلم ، كان
محمد المثلث هذا موجوداً بالمكلا سنة (١٣٣٣ هـ) .

وبالخريبة جماعة من آل باعبيد ، منهم الشيخان : أحمد بن عبد الله باعبيد ،
وأخوه سعيد بن عبد الله باعبيد ، كانوا أهل علم وصلاح وتجارة ، ولهم بوالدي اتصال
عظيم وتعلق تام ، توفي الأول بالمكلا حوالي سنة (١٣١٧ هـ) ، والثاني بالمدينة في
حدود سنة (١٣٢٣ هـ) ، وللأول ولد أسمه عبد الله ، كان على القضاء بميدي في أيام
الأتراك والإدرسي ، ثم هو اليوم رئيس البلدية بها من جهة مولانا الإمام .

وفي المكان المسمى : ذي يجور في شمال الخريبة منازل آل بصعير ، وهم : عمر
وأبو بكر وسعيد ومحمد - وهو أكبرهم - أبناء عبد الله بن سعيد بن علي بصعير ، كانت

(١) وهما الشيخان الأخوان : سالم وعبد الله ابنا أبي بكر ابن الشيخ عبد الله باسودان . وقد جرى ذكر لهما
في عدة مواضع من « بضائع التابوت » ، وللشيخ سالم ذكر في « النفاة الشذية » للحيب عمر بن
أحمد بن سميط ، ولأخيه عبد الله ترجمة في « منحة الإله » للحيب سالم بن حفيظ ولكن الذي
استوزر للقعيطي هو الشيخ عبد الله وليس الشيخ سالم .

(٢) وكان المصنف رحمه الله إذا قدم إلى الحديدة - في عهد الإمام يحيى رحمه الله - ينزل عند المذكور أو في
دار الضيافة التابع لحكومة الإمام ، وكان ممن يقوم بحاجاته وشؤونه إذا قدم . الشيخ الفاضل
عبد الرحمن بن سالم باسودان الذي توفي في الخريبة أواخر عام (١٤٢٢ هـ) .

(٣) كانت وفاته سنة (١٤٠٥ هـ) ، وكان ملازماً لمجالس السيد العلامة حامد بن عبد الهادي الجيلاني .

لهم تجارة واسعة بحضرموت والشحر وظفار والحديدة وغيرها ، وكانت لهم مراكب شراعية تُضرب بها الأمثال بين العامة ، تمخرُ البحار ، وقد تفرقوا وتلاشت ثروتهم الهائلة ، ولم يبقَ لهم إلا بعض أراضٍ بوادي سِهَام وأعمالِ المَراوِعة ؛ فإنها لا تزال تدرُّ عليهم .

ومن أحفادهم ناسٌ بالحديدة ، ومنهم الشيخُ عبدُ القادرِ بنُ سالمِ بنِ عليٍّ بنِ سعيدِ بصيرٍ ، رجلٌ صالحٌ بالمكلا ، قد ذرَّفَ على المئة ، زرتهُ مراراً وطلبتُ دعاءهُ .

ومن علماء الخيرية : القاضي عمرُ بنُ أبي بكرٍ باجنيد .

أخبرني السيّد عبدُ الهادي بنُ محمّد بنِ عمرَ الجيلانيّ ، عن أبيه^(١) ، عن جدّه^(٢) قال : (أرسلني الحبيبُ أحمدُ بنُ محمّدٍ المحضارُ بنسخة خطيّة من « الثّحفة » إلى عندِ قاضي الخيرية الشيخِ عمرَ بنِ أبي بكرٍ باجنيد ، مشفوعةً بقصيدة ، منها :

إِنَّ الْعِمَارَةَ بِالْعَشِيَّةِ وَالْبَكْرِ بِالْعِلْمِ وَالطَّاعَاتِ وَالْفِعْلِ الْأَعَزُّ
أَمْسَى بِهَا مُتَحَقِّقًا مُتَخَلِّقًا قَاضِي الْأَنَامِ الْحَبْرُ قَيْدُومُ الزُّمَرِ^(٣)
أَغْنِي بِهِ الْأَسَدُ الْغَضَنَفَرُ شَيْخَنَا حَاوِي الْمَلَاخَةِ وَالْتَسْلُسُلِ مِنْ مُضَرَّ
صَدَرَ الْكِتَابِ إِلَيْكَ يَا الشَّهْمُ الَّذِي يَقْضِي الدُّيُونَ إِذَا مُطَالِبُهَا زَجَرَ^(٤)

إلى أن قال الجيلانيّ : (فسرتُ بـ « الثّحفة » والقصيدة . . فتقبّلهُما الشيخُ بأحسنِ القبولِ ، ثمَّ أرجعني بـ « الثّحفة » وقال : هو أحرى بها . وأعطاني لهُ مئةَ ريالٍ ، ولما

(١) هو عبد الهادي بن عبد الله بن عمر وليس عبد الهادي بن محمد بن عمر ، فليعلم .

(٢) هو السيد عمر بن أحمد بن عمر بن حسين من ذرية الشيخ نصر الله بن الحافظ عبد الرزاق بن سيد الطوائف وتاج الأكابر الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني الحسني الشريف السني ، ونسبه معروف محفوظ . ولد السيد عمر ببراورة - بلدة في ريدة الدين - ولما كبر وشبَّ . . قدم الخيرية ، ولازم دروس الشيخ عبد الله ياسودان ، وصار أثيراً ومقرباً عنده لنباهته . . فزوجه إحدى بناته ، وأجازاه إجازة حافلة مؤرخة في (١٢٦٤هـ) ، وتوفي بالخيرية في (٥) جمادى الآخرة سنة (١٣٢٩هـ) . وأخذ عنه عدد من العلماء وكان مشاراً إليه بالصلاح والتقوى .

(٣) قيدوم : شجاع مُقَدِّم . الزُّمر : الجماعات .

(٤) الأبيات من الكامل .

دفعُها إليه . . أعطاني منها عشرين ريالاً . . فاستكثرُها ، وأمتنعتُ مِنْ قَبُولِها . . حتَّى عَزَمَ عليَّ بِأَخْذِها ، فأخذْتُها) . وهذا عطاءٌ غاب عنه الْحَبِيبُ حامدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُحْضَرِّ ، وَلَوْ شَهِدَهُ . . لَمْ يَكُنْ بِهَذَا الْمَبْلَغِ ، بل لقد عاتبَ أَباهُ بعدما أَعْلَمَهُ .

وأخبرني عبدُ الْهَادِي الْمَذْكُورُ أَيْضاً : أَنَّ أَهْلَ الرِّبَاطِ تَرافَعُوا إِلَى الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ جَانِدٍ هَذَا فِي قَضِيَّةٍ ، وَلَمَّا صَدَرَ الْحُكْمُ . . أمتنعَ الْمُحْكُومُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْتِثَالِ ، فَأُصِيبُوا بِالْعَاهَاتِ ، فَأَقْبَلُوا لِتَرْضِيَةِ الشَّيْخِ فِي جُمْلَةٍ مِنْ جِيرَانِهِمْ ، فَلَاقَهُمُ الْإِمَامُ الْمُحْضَرُّ وَقَالَ :

يَا بَخْتُ مَنْ عَزَّ الشَّرِيعَةَ وَاسْتَمَعَ قَوْلَ الشَّرِيعَةِ لِي بِهَا زَانَ الْوُجُودِ قَاضِيكُمُ الْمَشْهُورُ مَا بَيْنَ الْعَرَبِ مِنْ حَجَرِ بْنِ دَعَّازٍ لَمَّا قَبِرَ هُوَذَا فَارْتَجَزُوا بِهِ بَيْنَ دَوِيِّ الْبَنَادِقِ وَرَجَعِهَا^(١) الَّذِي يَهْزُ الْجِبَالَ ، وَلَمَّا قَارَبُوا دَارَ الْقَاضِي . . خَرَجَ لِلْقَائِمِ ، فَقَالَ الْإِمَامُ الْمُحْضَرُّ بِالنِّيَابَةِ عَنْهُ :

حَيَّا بِكُمْ يَاللِّي وَصَلْتُوا كُلَّكُمْ بِاسْنُدُودَ وَالْبَاعِشِينَ زَيْنَ الْجُدُودِ يَا بَاجِنِيدَ ابْنِشْ فَسَعْدَكَ قَدْ بَدَرَ يَا بُوْمَحَمَّدَ فَالْكُفَّ قَالَ السَّعُودُ تَوَفِّي قَبْلَ الثَّلَاثِ مَيَّةَ ، وَخَلَفَهُ عَلَى الْقَضَاءِ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ ، وَيَأْتِي فِي جَنَاحِ الْخَنَابِشَةِ بَقِيَّةُ كَلَامٍ عَنْ آلِ بَاجِنِيدٍ ، كَانَ هَذَا الْمَكَانُ أَوَّلَى بِهِ ، لَكِنْ تَأَخَّرَ عَنْ نَسْيَانٍ ، وَعَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ أَنَّ آلَ بَاجِنِيدٍ يَتَحَمَّلُونَ ثُلْثَ نَفَقَةِ عِمَارَةِ سَاقِيَةِ الْخَرِيبَةِ ، وَهُوَ آيَةُ كَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ بِهَا .

وعلى قولِ الْمُحْضَرِّ : (مِنْ حَجَرِ بْنِ دَعَّازٍ لَمَّا قَبِرَ هُوَذَا) . . ذَكَرْتُ أَنَّ وَلَدِي الْبَارَّ حَسَنَ - بَلَغَهُ اللَّهُ مِنْهُ - قَالَ فِي رَحْلَتِهِ الَّتِي قَدَّمَهَا لِلنَّادِي الْعِلْمِيِّ عَنْ حُضُورِهِ - بِالنِّيَابَةِ عَنْهُ - تَأْيِينَ الْمَرْحُومِ أَلَسَّيْدِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِ الشَّاطِرِيِّ^(٢) : ثُمَّ أُنْشِدْتُ قَصِيدَةَ أَدِيبٍ ، وَلَمْ

(١) رَجَعَهَا : صَدَّاهَا .

(٢) سَنَةُ (١٣٦١ هـ) .

أذكر منها سوى عَجَزِ بَيْتِ هُوَ :

مِنْ نَوَاحِي هُوِدٍ إِلَى حَبَّانٍ

وكان معنى صدره : فَقَدَتْ حَضْرَمَوْتُ مِنْهُ أَرِيأ . فبقي بذهني لسببين :

أحدهما : أَنَّ جماعةً تغامزوا عليه أَسْتَقْلَالاً للمدح وأَسْتَصْغَاراً لِلْبَقْعَةِ الَّتِي حَدَّدها .

والثاني : أَنَّهُ يَكَادُ أَنْ يَكُونَ نَفْسَ قَوْلِ شوقي [في « الشوقيَّات » ١٩٢/٢ مِنْ الْخَفِيفِ] :

يَا عُكَاطاً تَأَلَّفَ الشَّرْقُ فِيهِ مِنْ فِلَسْطِينِهِ إِلَى بَغْدَانِهِ
هذا كلامٌ حسنٌ ، وشد ما لاحظتُ عليه : إِكْبَارُهُ لِشِعْرِ شوقي ، ولاسيما بعدَ أَنْ
تَقَدَّمَ إِلَيَّ بِالسَّوَالِ عَنْ أَرْبَعَةِ آيَاتٍ مِنْهُ وَأَجَبْتُهُ عَنْهَا بِالرَّسَالَةِ الْمَوْسُومَةِ بـ « النَّقْدُ الْعِلْمِيُّ
الذُّوقِيُّ فِي الْجَوَابِ عَنْ آيَاتِ شوقي »^(١) .

وكثيراً ما أُنِّي على شِعْرِ الْحَضَارِمِ الْحُمَيْنِيِّ ، وهذا مِنْ الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَتَأَكَّدُ بِهَا
مَا أَقُولُ ؛ إِذِ الشُّطْرَانِ اللَّذَانِ ذَكَرَهُمَا حَسَنٌ لَا يُعَدَّانِ شَيْئاً فِي جَنْبِ قَوْلِ الْمُحَضَارِ :
(مِنْ حَجَزِ بْنِ دَعَّازٍ لَمَّا قَبِرَ هُوْد) وكذلك يَظْهَرُ هُزْلُهُمَا - حَتَّى لَا يَسُومُهُمَا أَيُّ مَفْلِسٍ -
عِنْدَ قَوْلِ الْعَامِيِّ الْحَضْرَمِيِّ فِي رِثَاءِ عَائِضِ بْنِ سَالِمِينَ الْكَثِيرِيِّ : (جِبَالُ تِرْقُلٍ مِنْ
الْقِبْلَةِ إِلَمَّا هُوْد) .

وللإمام الْمُحَضَارِ فَضِيلَةُ التَّقْدُمِ ، وَلَا غُرُوَّ أَنْ يَتَفَضَّلَ شِعْرُ الْحَضَارِمِ الْعَامِيِّ الْخَالِي
عَنِ التَّكَلُّفِ ، وَلَا سِيَّما فِي الْغَزْلِ ؛ إِذْ كَانُوا يَرْجِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَصْلٍ أَصِيلٍ . . . إلَّا
مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ الْحَضْرَمِيَّةِ الْمَسْمَاةِ : مُجَدَّ^(٢) .

(١) طُبِعَتْ فِي الْيَمَنِ أَيَّامَ الْإِمَامِ يَحْيَى سَنَةَ (١٣٦٤ هـ) ، فِي (٣٢) صَفْحَةٍ . وَكَانَ قَدْ أَهْدَاهَا لِمَقَامِهِ .

(٢) الْعِبَارَةُ هَكَذَا فِي الْمَخْطُوطِ ، وَفِيهَا سَقَطُ ، وَلَعَلَّ التَّقْدِيرَ : (. . . إِلَى أَصْلٍ أَصِيلٍ وَتَارِيخٍ تَلِيدٍ ، بَلْ إِنْ
أَكْبَرَ شُعْرَاءَ الْغَزْلِ وَهُوَ عَمْرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ رَضِعَ لَبَانَ الْغَزْلِ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ الْحَضْرَمِيَّةِ الْمَسْمَاةِ : مُجَدَّ) .
وَالسَّبَبُ فِي اخْتِيَارِ اسْمِ هَذَا الشَّاعِرِ دُونَ غَيْرِهِ . . . مَا قَالَهُ صَاحِبُ « الْأَغَانِي » (١ / ٧٥) : (وَأُمُّ
عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ : أُمُّ وَلَدٍ ، يُقَالُ لَهَا : مُجَدَّ ، سَبَّيْتُ مِنْ حَضْرَمَوْتِ . . . وَمِنْ هُنَاكَ أَتَاهُ الْغَزْلُ ،
يُقَالُ : غَزَلَ يَمَانٍ ، وَدُلُّ حِجَازِي) .

وللسَّيِّدِ عَبْدِ الْهَادِي الْجِيلَانِيِّ الْمَذْكُورِ^(١) وَلَدٌ يُقَالُ لَهُ: حَامِدٌ^(٢)، طَلَبَ الْعِلْمَ بِتَرْيَمَ، وَلَهُ نَبَاهَةٌ وَذَكَاءٌ إِلَى تَوَاضُعٍ وَسَيِّمَا صَلَاحٍ، وَقَدْ أَنْفَعَ بِهِ أَهْلَ الْخُرَيْبَةِ أَنْتَفَاعاً كَثِيراً.

وَفِي تَرْجَمَةِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ بُرُومٍ مِّنَ «الْمَشْرِعِ» [٥٥/٢]: أَنَّهُ (وَرَدَ الْخُرَيْبَةُ هُوَ وَالسَّيِّدُ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ الْخُونُ، وَجَرَتْ لَهَا قِصَّةٌ). تَوَفَّى السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْمَذْكُورُ فِي سَنَةِ (٩٥٧هـ) (٣).

وَمِمَّنْ تَوَفَّى بِالْخُرَيْبَةِ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ^(٤): السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَوْلَى عَيْدِيدٍ. وَمِنْ عَقِبِهِ: السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ زَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَذْكُورِ، كَانَ إِمَاماً فَاضِلاً، مَشْهُوراً بِالْفَضْلِ وَالْوَلَايَةِ، تَوَفَّى بِالْقَنْفَذَةِ سَنَةَ (١٢٦٥هـ) (٥).

(١) عبد الهادي بن عبد الله بن عمر بن أحمد الجيلاني، ولد بالخرية، ويعرف بالطبيب؛ لأنه كان حكيماً ماهراً، درس الطب في بلاد الهند؛ إذ أرسله والده مع جماعة من الخرية إبان مجاعة وقعت في حضرموت، ونزلوا حيدر آباد، ودرس السيد عبد الهادي في بعض مدارس الهند وترقى حتى التحق بإحدى الجامعات وتخرج فيها مُجَازاً في علم الطب. وكانت وفاته في براورة عام (١٣٧٠هـ).

(٢) العلامة حامد بن عبد الهادي، مولده بالخرية سنة (١٣٢٩هـ)، قبيل وفاة جدّه عمر، وهو الَّذِي سَمَّاهُ وَبَشَّرَ والدته بأنّه سيكون عالماً، وحقّق الله ذلك، فكان عالم الخرية، بل من أجلاء علماء دوعن أجمع، ولم يكن له نظير في ذكائه وعلمه وبديته، طلب العلم بتريم، وتخرّج بأستاذ الجيل، السيد الإمام عبد الله بن عمر الشاطري، وكان يحبه ويؤدّه، ويكنّ له احتراماً كبيراً، وله أخبار كثيرة معه، يرويه عنه ابنه ووارث علمه السيد عمر بن حامد. وقد نفع الله بالسيد حامد نفعاً عظيماً، وصيته وسمعته الطيبة في دوعن لازالت ولازال الناس يترحمون عليه، ويذكرونه بالخير، وقد وافته منيته في عام (١٤١٢هـ)، وعظم الأسف على فقده، رحمه الله تعالى.

(٣) وآل الخون هؤلاء من ذرية الشيخ عبد الله باعلوي، وأصل التسمية نسبة إلى بلدة الخون، قرية من شعب النبي هود عليه السلام.

(٤) ومن أعيانهم بها، ممن لم يذكرهم المؤلف: السيد الشريف الصوفي: علي بن محمد بن عبد الله المكي بن عقيل باهارون جمل الليل، توفي قبل سنة (١١٣٢هـ). كان من أهل الخلوات والمجاهدات، مكث في ذلك نحو (١٢) سنة. وفي مكاتبات الإمام الحداد تعزية في المذكور للشيخ محمد باقيس. وله مسجد بالخرية معمور إلى اليوم، يعرف بمسجد الحبيب علي.

(٥) السيد حسين بافقيه، دفن القنفذة سنة (١٢٦٥هـ)، هو أحد شيوخ السيد الشريف عبد الله الهذّار بن طه الحدّاد، صاحب حاوي الحوطة، المتوفى سنة (١٢٩٤هـ)، كما في «نور الأبصار» و«الخلاصة الشافية».

ومنهم : السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ^(١) ، أَخُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَذْكُورِ ، مَاتَ بِالْخُرَيْبَةِ
أَيْضاً ، وَعَقِبَهُ بِهَا وَبِشَبَامِ وَجَاوَةَ .

وفي الخريبة ناسٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَافِ ،
الْمُتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (١٠٧٤ هـ) .

وناسٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ الْحَبِيبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلَوِيِّ الْخَوَاصِ الْجَفَرِيِّ التَّرِيسِيِّ :
منهم : السَّيِّدُ الْكَذَّابُ الْكَذَّابُ ، الْكَثِيرُ الصَّمْتِ ، عَمْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَفَرِيِّ ،
كَانَ موجوداً بِهَا فِي سَنَةِ (١٣٢٠ هـ) .

وفيها مِنْ آلِ الْجَفَرِيِّ : آلٌ بِاصَادِقِ ، مِنْهُمْ آلَانُ : عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَبْنَا
حَسَنِ بْنِ طَالِبِ بْنِ مُحْسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ صَادِقِ بْنِ حَسَنِ بْنِ صَادِقِ ، نَجَعَا إِلَى مَكَّةَ
وَجَدَّةَ ، وَلَهُمْ تِجَارَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَثَرَوَةٌ لَمْ يَنْسُوا حَقَّ اللَّهِ فِيهَا ، مَعَ تَوَاضُعٍ وَأَخْلَاقٍ
كَرِيمَةٍ ، وَمَحَافِظَةٍ عَلَى الْعِبَادَةِ ، وَمَوَاطِبَةٍ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ ، وَلَهُمْ
أَبْنٌ عَمٌّ يُقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحْسَنِ بْنِ طَالِبِ بْنِ مُحْسَنِ نَجَعَ إِلَى الْحَبْشَةِ . . فَهُوَ رَأْسُ
الْعَرَبِ بِبَعْضِ بِلَادِهَا .

ومنهم بها : السَّادَةُ آلُ عَلَوِيِّ الْبَارِ^(٢) : مُحَمَّدٌ^(٣) وَعَبْدُ اللَّهِ^(٤) وَحَامِدٌ^(٥) ، وَقَدْ
رَأَيْتُ مُحَمَّدًا هَذَا بَعْدَ نِ فِي سَنَةِ (١٣٢٢ هـ) وَهُوَ صَدْرٌ مِنْ صُدُورِهَا ، وَكَانَ بِهَا مَكْرَعًا
رِيًّا ، وَمُشْرَعًا إِحْسَانٍ ، وَمُسْتَوْدَعًا حُسْنِ ظَنٍّ بِالْأَخْيَارِ ، مِنْ دُونِ تَعْصُّبٍ وَلَا تَفْرِيقٍ بَيْنَهُمْ .
وَلَهُمْ ذُرِّيَّةٌ مُمْتَشِرَةٌ بِالْخُرَيْبَةِ وَعَدَنَ وَالْحَبْشَةِ وَغَيْرِهَا ، وَكَانَتْ لَهُمْ هُنَالِكَ أَمْوَالٌ
وَعَقَارَاتٌ فَتَلَاشَتْ ، أَوْ تَحَوَّلَتْ كُلُّهَا إِلَى السَّيِّدِ حَامِدِ بْنِ عَلَوِيِّ . . فَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ
الْوُجْهَاءِ ، وَلَهُ أَوْلَادٌ نَبَاهَاءُ .

(١) وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ آلُ بَافِقِيهِ ، سَكَّانُ الْقَرِينِ ، الَّذِينَ مِنْهُمْ السَّيِّدُ الْإِمَامُ شَيْخُ بْنُ أَحْمَدَ بَافِقِيهِ ، الْمُتَوَفَّى
بِسُورَابَايَا سَنَةَ (١٢٨٩ هـ) .

(٢) هُمُ ذُرِّيَّةُ الْحَبِيبِ عَلَوِيِّ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَارِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٢٠٥ هـ) .

(٣) وَلَدَ السَّيِّدِ مُحَمَّدُ سَنَةَ (١٢٨١ هـ) ، وَتَوَفَّى بِالْخُرَيْبَةِ سَنَةَ (١٣٤٤ هـ) .

(٤) وَلَدَ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ سَنَةَ (١٢٨٧ هـ) وَتَوَفَّى أَوَّلَ سَنَةِ (١٣٤٥ هـ) .

(٥) مَوْلَاهُ بِالْخُرَيْبَةِ سَنَةَ (١٢٩٧ هـ) وَوَفَاتَهُ بِجَدَّةَ سَنَةَ (١٣٨٠ هـ) .

وَالْخُرَيْبَةُ أَكْثَرُ بِلَادٍ دُوعِنَ عِمَارَةً وَرِفَاهَةً ، حَتَّى لَقَدْ جَاءَ فِي « مَجْمُوعِ كَلَامِ السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ » - الْمَتَوَفَّى فِي سَنَةِ (١٣٠٨ هـ) وَكَانَ أَقَامَ بِهَا كَثِيرًا - أَنَّهُ : يُذْبِحُ فِي سَوْقِهَا كُلَّ لَيْلَةٍ عَشْرُونَ رَأْسًا مِنَ الْغَنَمِ ، مَعَ أَنَّهُ لَا يُذْبِحُ لَذَلِكَ الْعَهْدِ فِي سَيْتُونَ وَتَرِيمَ أَكْثَرُ مِنْ رَأْسَيْنِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ، فَانْظُرْ إِلَى هَذَا التَّفَاوُتِ الْعَظِيمِ ^(١) .

ثُمَّ رَأَيْتُ الطَّيِّبَ بَامْخَرَمَةَ يَقُولُ : (وَالْخُرَيْبَةُ مَدِينَةُ بَوَادِي دُوعَانَ الْأَيْمَنِ ، وَلَمَّا اسْتَوْلَى الْفَقِيهُ الصَّالِحُ ، الْوَرَعُ الزَّاهِدُ ، الْعَالِمُ الْعَامِلُ ، عَفِيفُ الدِّينِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَثْمَانَ الْعَمُودِيُّ النَّوْحِيُّ عَلَى وَادِي دُوعَانَ . . سَكَنَ رَأْسَ الْخُرَيْبَةِ ، وَأَقَامَ لَهُمُ الشَّرِيعَةَ ، وَأَحْيَا الشُّنَّةَ ، وَأَطْفَأَ الْبَدْعَةَ ، لَكِنْ لَمْ يُوَافِقْ هَوَاهُمْ . . فَحَارِبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ ، فَانْتَقَلَ إِلَى ذِمَارَ ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (٨٤٠ هـ) ، كَذَا وَجَدَ بَخْطٌ بَعْضُ الْفَضْلَاءِ) هَذَا آخِرُ كَلَامِهِ ، وَفِيهِ جَزْمٌ بِأَنَّ آلَ الْعَمُودِيِّ مِنْ نَوْحٍ ، وَقَدْ فَضَّلْتُ الْخِلَافَ فِي نَسَبِهِمْ بِـ « الْأَصْلِ » .

الرَّشِيدُ

بَلَدَةٌ صَغِيرَةٌ فِيهَا جَامِعٌ ، كَانَتْ تَحْتَ وِلَايَةِ ابْنِ دُعَارٍ الْكَنْدِيِّ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ كَمَا سَبَقَ فِي حَجَرٍ .

وَلَمَّا جَارَ وَطْنِي . . أَصَابَتْهُ سَهَامُ اللَّيْلِ ^(٢) الَّتِي لَا تُبْطِئُ وَلَا تُخْطِئُ ، فَزَالَ عَنْهَا وَخَلَفَهُ عَلَيْهَا وَعَلَى غَيْرِهَا آلُ بِالْخَمَانِ ، وَيُظْهَرُ أَنَّهُمْ مِنَ الْإِبَاضِيَّةِ ، وَبِهِمْ يَتَحَقَّقُ قَوْلُ ابْنِ خَلْدُونَ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٨٠٨ هـ) فِي (ص ١٧٠ ج ٣) مِنْ « تَارِيخِهِ » : (أَنَّ لَهُمْ دَعْوَةً بَاقِيَةً بِخَضْرَمَوْتَ إِلَى الْآنَ) .

ثُمَّ أَهْلَكَ اللَّهُ آلَ بِالْحَمَانِ بِعَقْبِ الظُّلُمِ وَالْجَوْرِ ، وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدٌ لُقِّبَ بـ :

(١) أما اليوم فالذي يذبح في رباط باعشن يفوق ما يذبح في الخريبة ؛ لتحول السوق إليها .

(٢) سهام الليل : كناية عن الدعاء ، قال الشاعر :

أَتَهْزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدْرِيه وَمَا تَذْهِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ
سَهَامُ اللَّيْلِ نَافِذَةٌ وَلَكِنْ لَهَا أَمَدٌ وَلِلْأَمَدِ أَنْقِضَاءُ

حَفِظَ اللَّهُ ، لَا يَزَالُ جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى الْيَوْمِ بِـ (جَنَحي الخَنَابِشَةِ) ^(١) ، وَسَيَأْتِي فِيهِ :
أَنَّ لِلشَّيْخِ سَعِيدٍ بَاحِفِظَ اللَّهِ تَارِيخًا عَنْ حَضَرَمَوْتَ أَسْتَعَارَهُ بَاصْرَةً وَلَمْ يَرُدَّهُ .

وَمِنْ أَهْلِ الرَّشِيدِ : الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمَشْهُورُ يَوْسُفُ بْنُ أَحْمَدَ بَانَاجَةَ ، أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ
(٧٨٣هـ) ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْحُسُوسَةِ بَعْضُ مَا كَانَ مِنْ أَمَادِيحِ الشَّيْخِ عَمَرَ بَامْخَرَمَةَ
فِيهِ ، وَقَدْ تَرْجَمَهُ سَيِّدِي الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَحْضَارُ تَرْجَمَةً مَطْوَلَةً تَدْخُلُ فِي
كُرَاسَيْنِ ، سَمَّاها : « شَرْحُ الصُّدُورِ » ، وَلَمْ أَطْلِعْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا .

وَمِنْ آلِ بَانَاجَةَ الشَّيْخَانِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، كَانَتْ لَهُمْ ثَرَوَةٌ وَتِجَارَةٌ وَاسِعَةٌ
بِالْحِجَازِ وَالْهِنْدِ وَمِصْرَ ، وَكَانَتْ لَهُمْ رُتَبٌ شَرِيفَةٌ بِمَكَّةَ أَيَّامَ الْأَتْرَاكِ ، إِلَّا أَنَّ أَسْبَابَهُمْ
أَنْقَطَعَتْ مِنْ حَضَرَمَوْتَ ، وَلَا تَزَالُ لَهُمْ بَقَايَا فِي أُفْرِيْقِيَا وَغَيْرِهَا .

وَبِالرَّشِيدِ جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ طَالِبِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَمَرَ الْعَطَّاسِ . وَهِيَ مَوْطَنُ آلِ
بَازَرَعَةَ ^(٢) ، وَفِيهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ؛ أَوَّلُهُمُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بَازَرَعَةُ ، كَانَ ظَهُورُهُ
بِدُوعِنَ - كَمَا يُزَوَّى عَنْ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَحْضَارِ - قَبْلَ الشَّيْخِ سَعِيدِ الْعَمُودِيِّ
بِمِئَةِ عَامٍ ، وَمَا كَانَ ظَهُورُ الشَّيْخِ يَوْسُفَ أَحْمَدَ بَانَاجَةَ - السَّابِقِ ذِكْرُهُ - إِلَّا بَعْدَ الشَّيْخِ
سَعِيدِ الْعَمُودِيِّ بِمِئَةِ سَنَةٍ ، وَعَلَيْهِ : فَيَكُونُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بَازَرَعَةُ مِمَّنْ عَاصَرَ الشَّيْخَ
سَالِمَ بْنَ فَضْلِ الْأَذْيِ أَحْيَا أَلْعِلْمَ بَعْدَ دُرُوسِهِ ، أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٥٨١هـ) .

وَمِنْ مَشْهُورِيهِمْ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بَازَرَعَةَ ، لَهُ ذِكْرٌ
كَثِيرٌ فِي « مَجْمُوعِ الْأَجْدَادِ » ، وَلَهُ فِتَاوَى مَشْهُورَةٌ يُرْجَعُ إِلَيْهَا فِي الْأَعْتِمَادِ ، وَكَثِيرٌ
مَا يَخْتَلَفُ هُوَ وَبَاحْوَيْرِثُ وَبَابِخَيْرٍ فَيَتَرَجَّعُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ، وَهُوَ الَّذِي أَخْتَصَرَ « فِتَاوَى
الْعَلَامَةِ ابْنِ حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ » .

وَمِنْ وَجْهَائِهِمْ فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ بَازَرَعَةَ ، هَاجَرَ فِي بَدْءِ

(١) الْجَحْيُ : مَكَانُ الْإِقَامَةِ . الْخَنَابِشَةُ = آلُ الْخَنْبِشِيِّ سَيَأْتِي ذِكْرُهُمْ فِي الْجَحْيِ .

(٢) آلُ بَازَرَعَةَ : أُسْرَةٌ عَرِيقَةٌ ، مِنْ ذَوِي الْمَجْدِ وَالسِّيَادَةِ وَالرَّئَاسَةِ فِي الْقَدِيمِ . ذَكَرَ فِي « الْإِكْلِيلِ »

(٣٧/٢) أَنَّ فِي هُدُونٍ : بَنِي زُرْعَةٍ بَنِ جَعْشَمٍ مِنَ الصُّدُفِ . وَفِي « الشَّامِلِ » (ص ٧١) أَنَّ آلَ بَازَرَعَةَ

مِنْ آلِ بَابِخَيْرٍ ، وَلَعَلَّهُمْ غَيْرُ هَؤُلَاءِ ، وَلَعَلَّ كَوْنَهُمْ مِنَ الصُّدُفِ - مِنْ كُنْدَةٍ - أَقْرَبُ .

أمره إلى مُصَوِّع ، وأسَّسَ بها مركزَ تجارةٍ ، وأقامَ برهةً بِالْمُكَلَّا ، ولَهُ فيها آثارٌ وعقارٌ ، وكانَ جَمَّ الثَّناءِ على الأَيطاليينَ بِالوفاءِ وبسطِ الأَمنِ والأَعدلِ ، ومُساعدةِ الرِّعايا ، والصَّدقِ ، وذكرِ الجَميلِ لصاحبِهِ ولو بعدَ الاستغناءِ عَنْهُ ، وأُتِّفِقَ السِّرُّ والأَعلانيةُ ، وحفظُ الذِّمامِ ، وقد عرفتُ صدقَ بعضِهِ عَنْهُمْ وقتَما كُنتُ بالحديدةِ وفي سَفَري مِنْها إلى مُصَوِّعَ سنةَ (١٣٥٤هـ) ، إلَّا أَنِّي مَعَ حَقِّقنا عَلَيْهِم مِمَّا جَرى في طرابلسَ . . لم أَتَأَثَّرْ بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، وإلَّا . . فلهم أَكثَرُ بشارَةِ الحديثِ الَّذي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ [٢٨٩٨] عن المُستورِدِ القُرشيِّ حَسَبَما في « العودِ الأَهنديِّ » . . فليسَ الشَّيخُ بِمَتَّهمٍ فيما يَقولُ ، ثُمَّ أُستوطنَ عَدَنَ ، وَلَهُ خيراتٌ ومُحاسِنُ ، مِنْها : مدرسةٌ كَبرى بَنَها بَعْدَنَ ، لا تَزَالُ مَعْمورةً على نَفَقَتِهِ السَّابِغَةِ إلى اليَومِ ، وكانتَ عَدَنُ مُزدانةً بِهِ وبأَمْثالِهِ مِنْ مُراجيحِ الحَضارِمِ ثُمَّ صَوِّحَ نَباتُها ، على نَحْوِ ما أَسْلَفنا في المَكَلَّا . توفِّيَ بَعْدَنَ في سَنَةِ (١٣٤٩هـ) ، وقد تَرَكَ أولاداً ؛ مِنْهم : الأَوجيُّ عليٌّ ، وهو الأَناظِرُ على مدرستِهِ ، والأَقانِمْ في محلِّهِ ، وَمِنْهم عَبْدُ الرَّحْمَنِ صالِحٌ متواضِعٌ ، عليه سَيِّمَاءُ الخَيرِ ، بادٍ في جَبهَتِهِ أَثَرُ السُّجودِ ، ضابطٌ لِنَفْسِهِ ولأَولادِهِ ، ومُربِّيهم على الأَعتناءِ بِشعائِرِ الدِّينِ والمُحافظةِ عَلَيْها ، مَعَ بَذْلِ المَعروفِ ، وإِغاثَةِ المَلهُوفِ . . بارَكَ اللهُ فِيهِ وفي بَنِيهِ .

وَمِنْ أَهْلِ الرَّشِيدِ : السَّيِّدُ شَيْخُ بَنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْخِ الحَبَشِيِّ^(١) ، تَلَمِيذُ السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ البَارِّ .

والعَلَّامَةُ السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الحَبَشِيِّ^(٢) السَّابِقُ ذَكَرُهُ إلى جَنْبِ الشَّيخِ عَلِيِّ باصِرينَ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ الحَبَشِيِّ ، وَقَدِ انْتَقَلَ وَلَدُهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إلى رِحابٍ ، وَلَهُ وَلَدانِ : علويُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ صاحِبُنا المَتَكَرِّرُ ذَكَرُهُ ، وَأَخُوهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ مِنْ أَهْلِ الصَّلاحِ .

(١) توفِّي السَّيِّدُ شَيْخُ هَذَا سَنَةَ (١١٧٢هـ) بِالرَّشِيدِ .

(٢) هُوَ السَّيِّدُ العَلَّامَةُ الفقيهُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الحَبَشِيِّ ، وَلَدَ بِالرَّشِيدِ سَنَةَ (١٢٥١هـ) ، وَتوفِّيَ بِها في (٢١) ربيعِ الأوَّلِ (١٣٢٩هـ) ، كانَ فقيهاً عالِماً مُحَقِّقاً ، أَخَذَ عَنِ الشَّيخِ عَبْدِ اللهِ بِاسُودانَ ، وابْنِهِ مُحَمَّدٌ ، وطَبَقَتُهُما ، تُرجمَ لَهُ الحَبِيبُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ المَشْهُورُ في « الشَّجَرَةِ » .

وعندما عَزَمَ عبدُ اللَّهِ على الْإِنْتِقَالِ مِنَ الرَّشِيدِ إِلَى رَحَابٍ . . ذهبَ يَسْتَشِيرُ الْإِمَامَ الْجَلِيلَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّرَ ، فَقَالَ لَهُ [مِنَ الرَّمْلِ] :

إِنَّمَا أَنْتَ سَحَابٌ مُمِطِرٌ حَيْثُمَا صَرَفَهُ اللَّهُ أَنْصَرَفَ^(١)

ولا يزال ولدُهُ علويٌّ صاحبُ النُّوادرِ في رَحَابٍ ، وَلَهُ ذِكْرٌ مُتَكَرِّرٌ فِي هَذَا .

وَمِنْ أَهْلِ الرَّشِيدِ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ الْحَبْشِيِّ ، كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا ، صَادِعًا بِالْحَقِّ لَا يَخَافُ فِيهِ ، قُتِلَ بِمَسْجِدِ بَحْرِ النُّورِ وَهُوَ فِي دَرَسِهِ ، قَتَلَهُ وَلَدُ أَحْمَدَ بِمُحَمَّدٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِي الْمُقَدِّمِ عَمَرِ بْنِ أَحْمَدَ بَاصِرَةٍ ، لَخْلَلٍ - قِيلَ - فِي عَقْلِهِ .

القُوَيْرَةُ^(٢)

مِنْ قَدَامِي بِلْدَانِ دُوعِنَ ، وَكَانَ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ حَامِدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُحَضَّرُ يَذْكُرُ سَبْعِينَ قَبِيلَةً بِهَا فَبَادَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ كَالِ بَاحْسِينِ ؛ فَقَدْ كَانَ فِيهِمْ قَضَاءٌ وَعُلَمَاءٌ ؛ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَاحْسِينِ ، وَلَأَهُ الْمَلِكُ الظَّافَرُ قَضَاءَ لِحَجِّ سَنَةِ (٩٠٦ هـ) .

وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي حَضَنِ الْجَبَلِ الْغَرْبِيِّ ، سَكَنَهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ طَالِبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَمَرَ الْمُحَضَّرِ ، وَأَنْتَهَى بِهِ إِلَيْهَا الْقَرَارُ ، وَأَبْتَنَى بِهَا الدَّارَ .

وَبِهَا وُجِدَ سَيِّدُنَا الْإِمَامُ الرِّبَانِيُّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّرُ^(٣) ، كَانَ آيَةً فِي الْعِبَادَةِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ ، وَعَدَمِ الْمَبَالَاةِ بِالْأَلْبَانِ ، وَصِدْقِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَكَمَالِ الْأَعْتِمَادِ عَلَيْهِ .

(١) وَمِنْ سَكَانِ الرَّشِيدِ : آلُ الْحَبْشِيِّ ، وَآلُ بَاصِرَةٍ ، وَآلُ بَارَزْعَةِ الْمَذْكُورِينَ ، وَآلُ بَاغْفَارَ ، وَهُمْ بِجَدَّةَ وَغَيْرِهَا ، وَآلُ بَاعُومَ ، وَبَاعُفِيْفَ ، وَآلُ بَاجِيْرَ .

(٢) الْقُوَيْرَةُ : تَصْغِيرُ قَارَةَ ، وَقَدْ تَنَسَّبَ إِلَى حَلْبُونِ - الْقَرْيَةِ الَّتِي بِجَانِبِهَا - فَيُقَالُ : قَارَةُ حَلْبُونِ .

(٣) وَكَانَ مَوْلَدُهُ فِي عَامِ (١٢١٧ هـ) ، وَكَانَ لَهُ تَرَدُّدٌ إِلَى الْحَرَمَيْنِ ، وَجَاوَرَ بِمَكَّةَ سَنَاتٍ ، وَأَحْوَالُهُ عَظِيمَةٌ ، وَتَرْجُمَتُهُ تَطُولُ ، يَرِاجِعُ «تَارِيخُ الشُّعْرَاءِ» (٤/٣٨-٤٦) ، وَ«الشَّامِلُ» (١٥٠-١٥١) .

عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى رِداءُ سَكِينَةٍ وَلِلْحَقِّ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعٌ^(١)

وفي مبحث ذَرِيَّةِ الشَّيْخِ عَمَرَ الْمُحْضَارِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ مِنْ « شمسِ الظَّهيرةِ » يَقُولُ : (وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْوَلِيُّ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، بِالْقَوِيْرَةِ ، اَلْمَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (١٣٠٤ هـ) ، لَهُ ذَرِيَّةٌ مَبَارَكَةٌ هُنَاكَ ، مِنْهُمْ اَلآنَ : خَلِيفَتُهُ اَبْنُهُ حَامِدٌ ، لَهُ خُلُقٌ حَسَنٌ) اهـ

وَحَالُ الْمُحْضَارِ عَجِيبٌ ، وَأَمْرُهُ غَرِيبٌ ، وَصِيَّتُهُ شَهِيْرٌ ، وَفَضْلُهُ غَزِيْرٌ ، وَقَدْ تَرْجَمَهُ سَيِّدُنَا اَلْأَسْتَاذُ اَلْأَبْرُ عِيْدْرُوسُ بْنُ عَمَرَ تَرْجَمَةً مُخْتَصِرَةً ، وَلَهُ كَلَامٌ أَعْذَبُ مِنْ اَلسَّلْسَالِ^(٢) ، وَأَشْبَهُ بِاَلْمَاءِ فِي اَلْحَدُورِ^(٣) إِذَا سَالَ ، مَا بَيْنَ نَثْرِ وَنِظَامٍ ، أَحْلَى مِنْ اَلْمُدَامِ ، وَأَزْكَى مِنْ اَلْمَسْكِ اَلْخَتَامِ ، يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ فِي « دِيْوَانِهِ » ١٤٤/١ مِنْ اَلطَّوِيلِ :

عَذَارَى قَوَافٍ كَانَ غَيْرَ مُدَافِعٍ أَبَا عُذْرَهَا لَا ظُلْمَ مِنْهُ وَلَا غَضَبَ
مُفْصَلَةً بِاَللُّوْلُو اَلْمُتَّقَى لَهَا مِنْ اَلشَّعْرِ إِلَّا أَنَّهُ اَللُّوْلُو اَلرَّطْبُ
وَذَكَرْتُ فِي « اَلْأَصْلِ » أَنَّهُ أَعَدَّ لِنَفْسِهِ قَبْرًا يَخْرُجُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَقْرَأُ فِيهِ اَلْقُرْآنَ ، وَأَشْرَفْتُ إِلَى مَنْ حَضَرَنِي سَاعَتِيذٍ مِمَّنْ أَعَدَّ لِنَفْسِهِ مِثْلَهُ ، ثُمَّ رَأَيْتُ اَلذَّهَبِيَّ يَقُولُ فِي تَرْجَمَةِ اَلْحَافِظِ اَلْمَحَدِّثِ اَلْخَطِيبِ : (عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي سَعْدٍ اَلصُّوفِيِّ : كَانَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ زَهْرَاءَ أَعَدَّ لِنَفْسِهِ قَبْرًا إِلَى جَنْبِ بَشْرِ اَلْحَافِيٍّ ، يَمْضِي إِلَيْهِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ يَقْرَأُ فِيهِ اَلْقُرْآنَ كُلَّهُ وَيَنَامُ ، فَلَمَّا مَاتَ اَلْخَطِيبُ وَكَانَ أَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ إِلَى جَانِبِ بَشْرِ بْنِ اَلْحَارِثِ ، فَجَاءَ اَلْمَحَدِّثُونَ إِلَى ابْنِ زَهْرَاءَ يَسْأَلُونَهُ أَنْ يُوَثِّرَ بِهِ اَلْخَطِيبَ . . فَأَمْتَنَعَ ، فَجَاؤُوا إِلَى أَبِي ، فَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : أَنَا لَا أَقُولُ لَكَ أَعْطِهِ اَلْقَبْرَ ، وَلَكِنْ لَوْ كُنْتُ فِي اَلْحَيَاةِ إِلَى جَانِبِ بَشْرِ فَجَاءَ اَلْخَطِيبُ لِيَقْعَدَ دُونَكَ ، أَكَانَ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَقْعَدَ أَعْلَى مِنْهُ ؟)

(١) البيت من الطَّوِيل ، وهو لمروان بن أبي حفصة في « ديوانه » (٧٧) ، ولكن بلفظ : (رِداءُ يَكُنْهُ) ، بدل (رِداء سَكِينَةٍ) . يَكُنْهُ : يَغْطِيهِ وَيَجْلُلُهُ .

(٢) السَّلْسَال : الماء العذب ، الَّذِي يسهل مروره في الحلق .

(٣) اَلْحَدُور : اَلْمَنْحَلَر ، شَائِعَةٌ فِي حَضْرَمُوت .

قَالَ : لا ، بل كُنْتُ أَقُومُ لَهُ وَأَجْلِسُهُ فِي مَكَانِي ، قَالَ : فَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ السَّاعَةَ ، فَطَابَ قَلْبُهُ ، وَأَذِنَ لَهُمْ (١) هـ

ولكنَّ فقهاءنا مصرِّحونَ بكراهة الإيثارِ في القُربِ كالإيثارِ بماءِ الطَّهارةِ ، ولا بسترِ العورةِ ، ولا بالصَّفِّ الأوَّلِ ؛ فَإِنْ أَذَى إِلَى تَرْكِ وَاجِبٍ . . فحرامٌ ، أو إِلَى تَرْكِ سُنَّةٍ أوِ ارْتِكَابِ مَكْرُوهٍ . . فمكروهٌ ، أوْ خِلَافِ الأوَّلِي . . فخِلَافُ الأوَّلِي . قاله السُّيوطي .
ولسَيَدُنَا الْعَلَامَةُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ شَهَابٍ قَصِيدَةٌ غَزَاءً فِي مَدِيحِهِ (٢) ، وَقَدْ بَلَّغَنِي عَنْهُ أَنَّهُ يَقُولُ : (لَوْلَا أَنَّنِي رَأَيْتُ ثَلَاثَةً ، وَهُمْ : مُحَسِّنُ بْنُ عَلَوِيٍّ السَّقَّافُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّرُ ، وَعِيدَرُوسُ بْنُ عَمَرَ الْحَبَشِيُّ . . لَمَّا صَدَّقْتُ مَا يُرَوَّى مِنْ مَقَامَاتِ الْأَسْلَافِ ، وَمَا لَهُمْ مِنْ فَرْطِ الْمَجَاهِدَاتِ فِي صُنُوفِ الْعِبَادَاتِ) .

وَكَانَ ابْنُهُ حَامِدٌ عَلَى طَرَفٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدْرُ الصُّدُورِ ، وَفَحْلُ الْفَحُولِ ، لَا يَخُورُ فِي جَوَابٍ ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَهُ كَلَامٌ ، مَعَ بُعْدٍ عَنِ التَّكَلُّفِ وَسَيَرِ بَسْوَاقِ الطَّبِيعَةِ ، وَجُودٍ بِالْمَوْجُودِ ، وَبِيَاضِ سَرِيرَةٍ ، وَصِرَاحَةٍ تَامَّةٍ ، وَشَهَامَةٍ ظَاهِرَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَقُومُ بِأُمُورِ أَبِيهِ ، تَوَفِّيَ بِالْقَوِيرَةِ فِي سَنَةِ (١٣١٨ هـ) عَنْ عِدَّةِ أَوْلَادٍ ، مِنْهُمْ :

الْفَاضِلُ الْمَاجِدُ حَسِينُ بْنُ حَامِدٍ (٣) ، وَهُوَ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ يُذَكَّرَ ، وَلَهُ فِي « الْأَصْلِ » ذِكْرٌ كَثِيرٌ ، تَوَفِّيَ بِالْمُكَلَّا أَخِرَ سَنَةِ (١٣٤٥ هـ) ، وَكَانَ يِعَاوَنُهُ فِي أَيَّامِ وَزَارَتِهِ : أَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَهُوَ رَجُلٌ مَتِينُ الدِّينِ ، شَرِيفُ النَّفْسِ ، مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ ، مُسْتَوِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، مُشْكُورُ السَّعْيِ .

وَكَثِيرًا مَا يِعَاوَنُهُ ابْنُ أَخِيهِ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ بْنِ حَامِدٍ الْمُحَضَّرُ ، وَهُوَ فَاضِلٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ ، غَزِيرُ الذَّمُوعِ ، كَثِيرُ الْخُشُوعِ .

(١) سير أعلام النبلاء (٢٨٧ / ١٨) .

(٢) امتدحه بها سنة (١٢٩٤ هـ) ، ومطلعها :

خَلِيلِي رَفَقًا فَالْهَوَادِي وَكُورَهَا أَضَرَّ بِهَا إِذْ لَاجَهَا وَيَكُورَهَا
رُؤُودًا فَهَذَا حَيِّي سَلَمَى وَتَلَكُمَا مَضَارِبَهَا ذَاتِ الْيَمِينِ وَدُورَهَا

(٣) أفرده بالترجمة حفيده السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ حَامِدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَسَنِ وَكَتَابَهُ مَطْبُوعٌ .

وَمِنْ أَوْلَادِ سَيِّدِنَا الْمُحَضَّرِ : الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ^(١) ، كَانَ آيَةً فِي عِلْوِ
الْهَمَّةِ ، وَكَبِيرِ النَّفْسِ ، وَبَسْطَةِ الْكَفِّ ، وَغَزَاوَةِ الْعِلْمِ ، وَكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ .

مُتَهَجِّجٌ يُخَفِّي الصَّلَاةَ وَقَدْ أَبَى إِخْفَاءَهَا أَثَرُ السُّجُودِ الْبَادِي^(٢)
سَمَحُ الْيَدَيْنِ إِذَا اخْتَبَى فِي مَجْلِسِ كَانَ النَّدَى صِفَةً لِذَاكَ النَّادِي
أَفْضَى إِلَيْهِ الطَّالِبُونَ فَصَادَفُوا أَدْنَى الْبَرِّيَّةِ مِنْ تَقَى وَسَدَادِ
بِقُضِيلَةٍ بِالنَّفْسِ تُوَصَّلُ عِنْدَهُ بِفَضَائِلِ آلَاءِ وَالْأَجْدَادِ
تَوْفَى بِجَاوَةٍ فِي سَنَةِ (١٣٤٤ هـ) عَنْ عَدَّةِ أَوْلَادِ ، أَكْبَرُهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ^(٣) ، وَهُوَ
مَعْدُودٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ .

ثُمَّ عَلَوِيٌّ^(٤) ، وَهُوَ الَّذِي خَلَفَ أَبَاهُ فَأَبْقَى مَنَارَهُ ، وَتَسَمَّتْ آثَارُهُ .
لَا يَخْتَذِي خُلُقَ الْقَصِيِّ وَلَا يُرَى مُشَبَّهًا فِي سُؤْدُدِ بَغْرِي^(٥)
شَرَفٌ تَتَابَعَ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ كَالرُّمَحِ أَنْبُوبًا عَلَى أَنْبُوبِ
لَهُ خُلُقٌ كَالنَّسِيمِ ، وَشَمَائِلُ أَحْلَى مِنَ النَّسِيمِ .
صَفَتْ مِثْلَمَا تَصْفُو الْمُدَامُ خِلَالُهُ وَرَقَّتْ كَمَا رَقَّ النَّسِيمُ شَمَائِلُهُ^(٦)

(١) السيد العالم الحبيب محمد بن أحمد المحضار (١٢٨٠ - ١٣٤٤ هـ) ، ولد بالجيل بدوعن ، تربى في
حجر والده الجليل ، وأخذ عن كبار شيوخ عصره أجلمهم والده والحبيب أحمد بن حسن العطاس ،
وهاجر إلى جاوة سنة (١٣٠٨ هـ) ، ولأزم بها شيخ فتحه الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي ،
المتوفى سنة (١٣٣٧ هـ) ، لزمه حتى وفاته . له تأثير في جماهير الناس بحسن دعوته وغيرته على
الإسلام ، وله يد طويلة في إقامة الجمعيات الخيرية والمدارس بسورابايا وجاكرتا ، منها : المدرسة
الخيرية ، وجمعية ومدرسة الفلاح أنشأها سنة (١٣٣٢ هـ) ببندواسة . من مصادر ترجمته : « شمس
الظهير » (٢٨٢ / ١) ، « الشامل » (١٥١) ، « تاج الأعراس » (٤٦٧ / ٢) .

(٢) الأبيات من الكامل ، وهي للبحرّي في « ديوانه » (١٨٥ - ١٨٦) .

(٣) ولد السيّد عبد الله بن مُحَمَّد المحضار سنة (١٣٠٠ هـ) ، وتوفي سنة (١٣٦٤) .

(٤) توفي السيّد علويّ بدوعن سنة (١٣٧٩ هـ) ، وكان قد استقر بها واستعاضها عن بندواسة وتركها
كلية .

(٥) البيت من الكامل ، وهما للبحرّي في « ديوانه » (٢٠٢ / ١) .

(٦) البيت من الطويل ، وهو للبحرّي أيضاً في « ديوانه » (٦٣ / ١) (الخلال : الخصال .

إلى جُودٍ في ألفاقه ، وسماحةٍ فوقَ الطَّاقةِ ، وبرٍّ بوالديه عظيم ، ومحاسنٍ خلالِ
أعلى من الدُّرِّ النّظيم ، وله كلامٌ أركى من مسكٍ الختام ، وأندى من ماء الغمام :
أندى على الأكبادِ من قطرِ الندى والدُّ في الأجفانِ من سِنَةِ الكرى
وبيني وبينه ودٌ صميم ، وطارفُ إخاءٍ مبني على قديم ، يأتي فيه قولُ الخطابي
للثعالبي [من البسيط] :

قَلْبِي رَهِيْنٌ بِنِسَابُورَ عِنْدَ أَخٍ مَا مِثْلُهُ حِينَ تَسْقُرِي الْبِلَادَ أَخُ
لَهُ صَحَائِفُ أَخْلَاقٍ مُهَذَّبَةٌ مِنْهَا الثَّقَى وَالنَّهْيُ وَالْحِلْمُ يُتَسَخُّ
ومن أولاد الإمام المحضار : بقيَّةُ السَّلفِ ، وزينةُ الخَلَفِ ، كهفُ اليتامى ،
وموئلُ الأيَّامِ^(١) ، الَّذي أمتزجَ الجودُ بلحمِهِ ودَمِهِ ، وَلَمْ يَسْعَ أَحَدٌ فِي الزَّمَنِ الْآخِرِ
بَقَدَمِهِ . . الحبيبُ مصطفى^(٢) ، فحدَّثَ عن سماحتهِ ولا حَرَجَ ، وحسبك بما كانَ منه
في الزَّمَنِ الَّذِي هَرَجَ ومرَجَ^(٣) ؛ فلقد مرَّتْ أَيَّامُ الْأَزْمَةِ ودَارُهُ مَلَأَتْ بِالْجِفَانِ الْمُحْفَوَّةِ
بِالضِّيفَانِ^(٤) .

فَمَا جَارَهُ جُودٌ وَلَا حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَسِيرُ الْجُودُ حَيْثُ يَسِيرُ^(٥)
لقد بلغني أَنَّهُ بَاعَ مِنْ صُلْبِ مَالِهِ بَعْشَةَ آلَافِ رِيَالٍ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَكْبَادِ الْحَرَّى ،
وَالْبَطُونِ الْغَرَّى^(٦) .

وَلِلْجُودِ حُسْنٌ أَيُّ وَقْتٍ بَدَلَتْهُ وَأَحْسَنُهُ مَا كَانَ فِي زَمَنِ الْمَخْلِ

(١) الأيَّامُ : النِّساء اللّائِي لَا أَزْوَاجَ لَهُنَّ .

(٢) الحبيب مصطفى المحضار ، مولده بالقويرة سنة (١٢٨٣هـ) ، تنظر ترجمته وأخباره في : « الشَّامِل »
(١٥١) ، « الدَّلِيلُ الْمَشِير » ، وغيرها .

(٣) هَرَجَ وَمَرَجَ : اختلط .

(٤) الْجِفَانُ - جمع جفنة - وهي : القصعة .

(٥) البيت من الطَّوِيل ، وهو لأبي نُوَّاس في « ديوانه » (٤٨١) ، ولكن بلفظ (يصير) بدل (يسير) في
الموضعين .

(٦) الْأَكْبَادُ الْحَرَّى : الَّتِي يَسْت مِنَ الْعَطَشِ . الْغَرَّى : الْجَائِعَةُ .

أنتهى به الحال إلى أن رجلاً استماحه إزاره^(١) ، فقال له : سأضعه على الجدار عند دخولي الميضاة ، فأذهب به ، ومتى أحسست بُعدك . . زعمت لأولادي أنه سُرِق ؛ حتى يُدبروا لي سواه من دون عتاب ولا تشريب .

تَعَوَّدَ بَسْطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوَ أَنَّهُ ثَنَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تُطْعَمْ أَنَامِلُهُ^(٢) وما كان ولده حامد^(٣) لِيُعَاتِبَهُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قُرَّةَ عَيْنٍ وَسُرُورَ فَوَادٍ .

ولهُ شِعْرٌ بَدِيعٌ ، أَحَبُّ مِنْ بَسْمَاتِ الرُّضِيعِ ، وَتَرَشُّلٍ عَذْبٍ ، كَأَنَّمَا هُوَ سَقِيطُ الطَّلِّ وَاللُّؤْلُؤِ الرَّرَطِ ، وَقَدْ رَثِيَتْهُ فِي حَيَاتِهِ سَنَةٌ (١٣٥٢ هـ) ؛ لِيَسْمَعَ مَا يَقَالُ عَنْهُ بَعْدَ أَلَمِ الْمَوْتِ الْيَوْمِ بِإِذْنِهِ ، بِقَصِيدَةٍ تَوَجَّدُ بِمَحَلِّهَا مِنْ « الدِّيوانِ » [خ ١٥٠] ، وَمُسْتَهْلُهَا هَذَا [مِنْ الْكَامِلِ] :

مَهْلًا عَدِمْتُكَ مِنْ نَعْيٍ جَارِحٍ فَلَقَدْ مَلَأَتْ مَحَاجِرِي وَجَوَانِحِي
وهو اليومَ يَخْنُقُ التَّسْعِينَ . . أَطَالَ اللَّهُ بُقَاةً ، وَرَزَقَنَا فِي عَافِيَةٍ لِقَاءَهُ .

وَمِنْ ذَرِيَّتِهِ : أَلْقَانْتُ الْأَوَابُ الصَّادِعُ بِالْحَقِّ ، أَلَّذِي لَا يَخَافُ لَوْمَةَ لَائِمٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ هَادُونَ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَضَّارِ^(٤) ، طَلَبَ الْعِلْمَ بِمَصْرَ ، وَكَانَ مِنْ أَرَاكِينِ التَّقْوَى ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ أَهْلُ ذَلِكَ الطَّرَفِ فِي الْفَتَوَى ، تُوَفِّيَ بِالْقَوِيَةِ فِي سَنَةِ (١٣٥٨ هـ) ، وَلَهُ أَوْلَادٌ كَرَامٌ ، مِنْهُمْ :

صَالِحٌ : يَتَّفَقُ مَعَ أَسْمِهِ مَسْمَاهُ . وَمُحَمَّدٌ ، رَجُلٌ شَهْمٌ يُصَدِّقُهُ نُبُلٌ ، مَلَأَ ثَوْبَهُ ،

(١) استماحه : طلب منه ، وفعله : مَيَّح .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٤ / ٢) ، باختلاف بسيط .

(٣) السيّد حامد بن مصطفى ، ولد بالقويّة سنة (١٣١٨ هـ) ، وتوفي في حادث سيارة مروّع في (٩) جمادى الأولى (١٣٩١ هـ) .

(٤) الحبيب عبد الله باهادون (١٣٥٨ هـ) ، ترجمه السيّد أبو بكر الحبشي في « الدليل » ، توفي في ربيع الأول سنة (١٣٥٨ هـ) ، وأزّخها الحدّاد في (١٣٥٩ هـ) ، وقال : (توفي عن سنٍّ عالية) ، وحدّدها صاحب « الدليل » بـ (٨١) سنة ، وجعل مولده سنة (١٢٧٧ هـ) .

يَزِينُ حَظَّهُ مِنَ الْإِحْسَانِ حُلَاوَةَ اللِّسَانِ . وَطَلَّةٌ ، وَهُوَ رَجُلٌ فَاضِلٌ ، مُسْتَوِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ ، كَرِيمُ الْأَخْلَاقِ ، خَفِيفُ الرُّوحِ ، عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ بِمَوْتِهِ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٦٤ هـ) ؛ إِذْ بَقِيَ مَوْضِعُهُ فَرَاغًا ، لَمْ يَسُدَّهُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِهِ .

وعلى الجملة : فحالة المحاضر بالقويرة مشكورة ، ومجالسهم معمورة ، وعلمهم على وثام في المعنى كما هم في الصورة .

وَأَوَّلُ مَنْ نَجَعَ مِنْ حَبَانٍ إِلَى دُوعِن : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ طَالِبٍ ^(١) ، فَتَصَوَّفَ عَلَى يَدِ الْإِمَامِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَارِ ، وَسَكَنَ الرَّشِيدَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَيْنَات ، وَأَبْتَنَى بِهَا دَارًا وَمَسْجِدًا ، ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا وَلَدُهُ عَلَوِيٌّ ^(٢) وَتَزَوَّجَ بِالرَّشِيدِ .

وَكَانَ أَهْلُ الْقَوِيرَةِ فِي قَرْنِ الْحِمَارِ مِنْ قَلَّةِ الْمَاءِ ، وَلَالِ الْقُرَيْنِ مِنْ آلِ الْبَارِ وَغَيْرِهِمْ عِيُونُ مَاءٍ فِي الْجَبَلِ الَّذِي بِجَنُوبِ الْقَوِيرَةِ ، فَسَاوَمَهُمْ وَأَعْلَى السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ فِي بَعْضِهَا ، وَلَمَّا أَمْتَنُوا . . أَجْرَاهَا إِلَى الْقَوِيرَةِ بِقُوَّةِ السُّلْطَانِ .

ثُمَّ سَارَ إِلَى عِنْدِ آلِ الْبَارِ بِالْقُرَيْنِ لِلتَّرْضِيَةِ ، وَأَرْضَى جُلَّ الْمَلَائِكِ بِمِثْلِ الْقِيَمَةِ أَوْ بِأَكْثَرِ . . فَرَضِي أَغْلِبُهُمْ وَبَقِيَتْ خَمْسَةٌ مِنْ أَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ أَصَرَ أَهْلُهَا عَلَى الْإِمْتِنَاعِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَبَلَّغَنِي أَنَّ السَّيِّدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ هَادُونَ بْنَ أَحْمَدَ الْمُحَضَّرَ كَانَ يَتَنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ الْمَاءِ لِقُوَّةِ وَرَعِهِ ، وَإِلَّا . . فَإِنَّ لِلْفَاضِلِ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ مَدُوحَةً فِيمَا صَنَعَ ؛ فَلَقْدَ بَنَى ابْنُ الْخَطَّابِ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ (١٧ هـ) وَهَدَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَبَوَا أَنْ يَبِيعُوا ، وَوَضَعَ أَثْمَانَ دُورِهِمْ فِي بَيْتِ الْمَالِ حَتَّى أَخَذُوهَا .

وَزَادَ عَثْمَانُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ نَفْسَهُ فِي سَنَةِ (٢٦ هـ) وَأَبْتَنَعَ دُورًا مِنْ قَوْمٍ ، وَأَبَى آخَرُونَ . . فَهَدَّمَ بِيوتَهُمْ وَأَدْخَلَهَا فِي الْمَسْجِدِ ، وَوَضَعَ الْأَثْمَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ . . فَصَاحُوا بِعَثْمَانَ ، فَحَبَسَهُمْ وَقَالَ : قَدْ فَعَلَ عُمْرُكُمْ مِثْلَهُ . . فَلَمْ تَصِيحُوا ! فَكَلَّمَهُ فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَالِدِ بْنِ أُسَيْدٍ . . فَأُطْلِقَهُمْ .

(١) توفى السيد محمد بن طالب بمسقط ، في طريقه إلى مرباط لزيارة جدّه الإمام مُحَمَّد صاحب مرباط ، فحمل إليها ودفن بها .

(٢) توفى السيد علوي هَذَا فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ حَبَانَ وَحَضْرَمُوت ، حَيْثُ كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى حَضْرَمُوت .

ومصلحة الشرب أظهر من مصلحة المسجد ؛ إذ الماء لا يُمنع ، ومهما أولوه . .
 فبعد أن يكون شرب بقيّة السلفِ أوالدِ مصطفى بن أحمد حراماً ، ولكنّ الأمر إذا
 ضاق . . اتسع ، إلاّ أنّه قد يغتبر عليه أنّ لابن الخطّابِ شأنًا بالمدينة تخالف ما جرى
 عليه بمكة ، وذلك أنّه أراد توسعة المسجد النبويّ بدورٍ منها دارُ العباس . . فلم
 يرض ، وحاكمَ عمر . . فخصّمه ، وللفرقِ مجالٌ بينَ الحرمين كثيرٌ ؛ إذ قيل : إنّ دورَ
 مكة لا تُباع ولا تُوهب ، ولم يقل أحدٌ بمثل ذلك في المدينة . والله أعلم .
 وفي القويّرة ناسٌ من آلِ شويبه ، يغلبُ على الظنّ أنّ جدّهم أحدُ الأربعة القادمين
 مع المهاجر ، حسبما يأتي في سيئون .

حَلْبُونُ

هي قرية في الحضيض النازل عن القويّرة ، ويزعمُ بعضهم أنّها كانت متّصلة بها ،
 وكثيراً ما يقال : قويرة حلّبون ، ولو صحَّ ذلك . . لم يكن إلى تعدّد الجمعة سبيلٌ
 حسبما في فتوى بامخرمة السابقة في قرى الشحر ، لكنّ الجمعة متعدّدة في القريتين ،
 فدلّ على استقلال كلٍّ من الأصل^(١) .

وسكانُ حلّبون : آلُ باقيس وغيرهم^(٢) ، ومنهم : الصالحُ الشهير ، والرّبانيُّ
 الكبير ، الشّيخ فارس باقيس ، ممدوحُ الشّيخ عمر بن عبد الله بامخرمة .
 ومنهم : خاتمة الصوفيّة المسلّكين ، الشّيخ محمّد بن ياسين باقيس^(٣) ، المتوفى

(١) أي : من أصل منشئهما ، وحلبون تقع شماليّ القويّرة .

(٢) وهم من كندة ، ويقال : إنّهم من ذريّة الأشعث بن قيس الكندي ، وينظر « الشّامل » .

(٣) الشّيخ محمّد بن ياسين باقيس ولد بحلبون ، ونشأ بها ، ولازم مجالس العلم من صغره ، فقرأ على
 الحبيب عبد الرّحمن بن محمّد البار ، وقرأ على الشّيخ العارف بالله محمّد بن أحمد بامشموس ،
 والإمام الحبيب عبد الله الحدّاد . وأخذ عنه جماعات من الأكابر ؛ منهم : الشّيخ عبد الله بن أحمد
 بافارس باقيس ، والحبيب حسن بن عمر البار ، والحبيب عمر بن عبد الرّحمن مولى جلاجل ،
 والحبيب طه بن عمر البار ، والحبيب سقاف بن محمّد الصّافي - المذكور هنا - والعلامة أحمد بن
 حسن الموقري الزبيدي . . . وغيرهم توفي الشّيخ محمّد يوم السبت (١٥) شوال (١١٨٣ هـ) .

سَنَةَ (١١٨٣هـ) ، أَحَدُ تَلَامِيذِ الْقُطَيْبِ الْحَدَّادِ ، وَشَيْخُ جَدِّنَا الثَّالِثِ سَقَّافِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ السَّقَّافِ ، الْمَتَوَفَّى بِسَيِّئُونَ سَنَةَ (١١٩٥هـ) .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بَاغِيْسٍ بَاغِيْسٍ ، أَحَدُ مُشَايِخِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بَاغِيْسٍ ، قَالَ فِي تَرْجُمَتِهِ : (وَلَزِمَ بَيْتَهُ آخِرَ عَمْرِهِ ، مَعَ شُغْلِ الْوَقْتِ بِنَوَافِلِ الطَّاعَاتِ ، وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ مِنَ الْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ ، وَالتَّفْسِيرِ وَالرَّقَائِقِ ، قَرَأَتْ عَلَيْهِ أَمْهَاتُ الْكُتُبِ ؛ كـ « الْإِحْيَاءِ » وَ « الرِّسَالَةِ » وَ « الْعَوَارِفِ » وَغَيْرَهَا وَلاَزَمَتْهُ إِلَى أَنْ تَوَفَّى) اهـ

لَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي « عَقْدِ » سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبْرِ عِيْدِرُوسِ بْنِ عَمْرِ .

وَمَرْجِعُ آلِ بَاغِيْسٍ فِي النَّسَبِ إِلَى كِنْدَةَ ، كَمَا فِي « الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَنِ » لِلْسَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ فِي تَرْجُمَةِ جَدِّهِ الْحَسَنِ ، وَمِنْهَا : أَنَّ الشَّيْخَ فَارِسَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ بَاغِيْسٍ وَالشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بَاغِيْسٍ مِنْ تَلَامِيذِ الْحَسَنِ بْنِ الْقُطَيْبِ الْحَدَّادِ .

الْجُبَيْلُ

بَلَدَةٌ صَغِيرَةٌ يُرْوَى أَنَّ الْمَهَاجِرَ أَحْمَدَ بْنَ عِيْسَى أَوَّلَ مَا نَزَلَ بِهَا ، وَأَنَّهُ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ صَغِيرٌ فِيهَا ، فَدُفِنَ فِي أَعْلَاهَا ، وَبِذَلِكَ كَانَ يَجْزُمُ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّرُ ، وَلَمَّا لَمْ يَطِبْ لَهُ بِهَا الْمَقَامُ لِكَثْرَةِ إِبَاضَتِهَا إِذْ ذَاكَ . . . نَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْهَجْرَيْنِ .

وَفِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » [٢٤٨/١] : أَنَّ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ عَقِيلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ أَخِي السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ ، وَبِهَا يَسْكُنُ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ بَاغِيْسٍ ، مِنْهُمْ : حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَأَوْلَادُهُ : سَالِمٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَأَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ ، وَإِخْوَانُهُ : عَلِيُّ وَأَبُو بَكْرٍ أَبْنَا مُحَمَّدٍ بَاغِيْسٍ .

لَهُمْ مُحَاسِنٌ وَمَبْرَآتٌ وَأَخْلَاقٌ فَاضِلَةٌ ، وَفِي رِحْلَتِي الْأَخِيرَةِ إِلَى دُوعَنَ - سَنَةِ (١٣٦٠هـ) بَثُّ عِنْدَ الْأَخِيرِ عَلِيٍّ أَحْسَنَ حَالٍ ، وَحَضَرَ مَعِيَ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنِ آلِ الْعَطَّاسِ ، وَكَانَتْ مِنْ أَسْعَدِ اللَّيَالِي . . . أَعَادَ اللَّهُ أَمْثَالَهَا فِي خَيْرٍ .

ومنهم : أبْنُ عَمَّهم وهو الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ باقِيسٍ ، يسْكُنُ الآنَ بَرايغَ ، ولَهُ بها تجارةٌ ، وهو لَا يَقْصُرُ في إِيوَاءِ الْتَزْيِيلِ وكسْبِ الْجَمِيلِ .

بُضْه

هِيَ مِنْ كَبَرِيَّاتِ بِلَادِ دُوعِن وَقُدَامَاهَا .

قَالَ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ : (إِنَّهَا مأخُوذةٌ مِنْ بُضِيضِ الْمَاءِ ، يُقَالُ : بُضُّ الْمَاءِ ، إِذَا نَزَلَ قَلِيلاً قَلِيلاً . وَعَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ حِضْنِ الْمَنْصِبِ بِهَا عَيْنُ مَاءٍ قَلِيلٍ ، لَعَلَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ مِنْ أَجْلِهِ) اهـ

وهي مقرُّ مناصبِ آلِ مُطَهَّرِ آلِ الْعَمُودِيِّ ، وحالُ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعَمُودِيِّ أَشْهُرُ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ بِهِ ، وقد تُوُفِّيَ سَنَةَ (٦٧١ هـ) ، وخَلَفَهُ عَلَى مَنْصِبِهِ وَلَدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ . ثُمَّ لَمْ يَزَلْ مَنْصِبُهُ يُتَوَارَثُ بَيْنَ أَوْلَادِهِ حَتَّى تَحَوَّلَ بِسَعَةِ الْجَاهِ وَكَثْرَةِ الْآتِبَاعِ وَنَفُوذِ الدَّعْوَةِ إِلَى سُلْطَنِيَّةٍ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا وَأَنْقَسَمُوا ، فَكَانَ لِآلِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَمُودِيِّ قِيدُونٌ وَمَا نَزَلَ مِنْهَا إِلَى الْهَجْرَيْنِ ، وَلِآلِ مُطَهَّرِ بُضْهٍ وَمَا حَاذَاهَا وَمَا أَرْتَفَعَ عَنْهَا .

وفيهِمْ عِدَّةٌ رُؤَسَاءَ ، مِنْهُمْ : آلُ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(١) فِي بُضْهٍ ، وَكَانَتْ رِثَاسَتُهُمْ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ بَعْدَ أَبِيهِ ، وقد لَاقِيَتْهُ مَرَاراً ، ورَأَيْتُ لَهُ مِنْ مُحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَلُطْفِ الشَّمَائِلِ مَا تَقَرَّبُ بِهِ الْعَيْنُ .

لَهُ خُلُقٌ سَهْلٌ وَنَفْسٌ طِبَاعُهَا لَيَانٌ وَلَكِنْ عَزَمَهُ مِنْ صَفَا صَلَدٍ^(٢)

(١) تُوُفِّيَ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا بُعِيدَ سَنَةِ (١٣٤٠ هـ) ، وَتُوُفِّيَ وَالِدُهُ الْمَنْصَبُ السَّابِقُ سَنَةَ (١٣٠٥ هـ) ، وقد خَلَفَهُ فِي مَقَامِهِ مِنْذُ ذَلِكَ التَّأْرِيخِ ، تَرْجَمَ لَهُ الْحَبِيبُ سَالِمُ بْنُ حَفِيزٍ فِي « مَنْحَةِ الْإِلَهِ » ، وَعَدَّهُ مِنْ شُيُوخِهِ ، رَقْمَ (٥٤) .

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَهُوَ لِأَبِي تَمَّامٍ فِي « دِيْوَانِهِ » (٢٧٠ / ١) . صَفَاً : حَجَارَةً . صَلَدٌ : صَمَاءٌ . وَفِي « الدِّيْوَانِ » (عَرْضُهُ) بِدَلِّ (عَزَمَهُ) .

توفي سنة (١٣٦٤هـ) عن عمر ينيف على الثمانين ، قضاه في إكرام الضيوف ،
وغوث الملهوف ، ورقع الخروق ، ورتق الفتوق .

وخلفه ولده النبيل حسين ، فأنتهج ذلك السبيل ، وتحمل عبء والده الثقيل ،
حتى يصح أن نقول في التمثيل :

ففي الحسين لهم من بعده خلف ما مثله خلف في الناس منتخب^(١)
باق به ليني الأشياخ أسرته حمد الفعّال وفضل العزّ والحسب
يزعى المكارم منه وارث شرفا بتاج والده في الناس معتصب

وفي بضه مثرى^(٢) آل العمودي ، ولما سألتهم عن عددهم بها . . أجابوا بأنهم
لا يقلون عن خمس مئة رام ، يحملون الموازر الألمانية ، لم يفرطوا فيها ، بخلاف آل
حضر موت ؛ فقد باعوا في أيام المجاعة ما اشتروه بالآلف الروبية منها بأقل من المئة ،
أقر الله عيون العروبة بأجتماعهم واتحادهم .

ولقد أعجبنى ما عليه أكثرهم من الوسام وبسطة الأجسام ، حتى قلت أصف الشيخ
عبد الله بن صالح وإياهم في رحلتي التي نظمتها في سنة (١٣٦٠هـ) [من الطويل] :

ودكرني في قوم العرب الألى وساماً وأجساماً وبُوعاً وأذرعاً
ومن مناصبهم أو سلاطينهم في القرن التاسع : الشيخ عبد الله بن عثمان بن سعيد
العمودي ؛ فلقد استولى سنة (٨٣٧هـ) على الوادي الأيمن كله^(٣) .

ومنهم في القرن العاشر : الشيخ عثمان بن أحمد العمودي^(٤) ، ممدوح الشيخ
عمر بامخرمة ، بمثل قوله :

يا عوض قل لمن كفه غياث المساكين قل لعثمان وإني الذرع شمس البراهين

(١) الأبيات من البسيط .

(٢) مثرى : مكان كثرة .

(٣) ثم استعاده منهم آل فارس في السنة التي تليها .

(٤) ترجم له باوزير في « الصفحات » (١٤٩-١٦٠) .

وَالَّذِي فِي جَبِينِهِ سِرٌّ طَلَعَهُ وَيَسُ زَادَكَ اللَّهُ عَلَى مَرِّ الْجَدِيدَيْنِ تَمَكِينِ
أَذْكُرُ الْعَهْدَ يَا ابْنَ أَحْمَدَ وَحَصْنَةَ تَخْصِينِ

وَالشَّيْخُ عَثْمَانُ هَذَا هُوَ الَّذِي تَلَقَّى الشَّيْخَ مَعْرُوفَ بَاجِمَالٍ بِالصَّدْرِ الرَّحْبِ لَمَّا هَرَبَ
مِنْ شِبَامَ فِي سَنَةِ (٩٤٩هـ) ، وَأَوَاهُ عَلَى أَحْسَنِ تَأْهِيلٍ إِلَى أَنْ مَاتَ .
وَلَا أَلِ الْعَمُودِيِّ أَخْبَارٌ طَوِيلَةٌ مَعَ بَدْرِ بُوَطُورِقٍ وَنَهْدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ قِبَائِلِ حَضَرَمَوْتِ ،
يُوجَدُ مِنْهَا بـ « الْأَصْلُ » مَا يَكْفِي لِلتَّعْرِيفِ .

وَعَنِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ : (أَنَّهُ كَانَ بَدْوَعَنْ جَمَاعَاتٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ ،
كُلٌّ يَنْفَرُ بِنَاحِيَتِهِ : فَبَاقِتَادَةَ بِالْقَرِينِ ، وَبَاعْبِدَ اللَّهِ بِرَحَابِ ، وَأَبْنُ حُمَيْرٍ ^(١) بِصَيْفِ ،
وَبَاعُوَيْدِينَ كَانَ مَتَوَلِّيًا عَلَى الْأَغْلَبِ مِنَ الْوَادِي الْأَيْسَرِ ، وَكَانَتِ الْقَوِيرَةُ وَنَوَاحِيهَا
لِلْكَثِيرِيِّ ، وَلَيْسَ لِلْعَمُودِيِّ إِلَّا الرِّبَاطُ وَبُضَّةُ وَالْجَزْعُ وَالْعَرْسَمَةُ وَقَيْدُونُ) اهـ

وَفِي سَنَةِ (٩٤٩هـ) نَزَلَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الْعَمُودِيُّ عَلَى قُوَّةٍ وَمَعَهُ سَيِّبَانُ
وَبَاهْزِرِي ، وَأَقَامُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَتَلَفُوا أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ عَوْدٍ مِنَ النَّخْلِ ، ثُمَّ صَالَحَهُمْ أَهْلُ
قُوَّةَ عَلَى مَالٍ دَفَعُوهُ لَهُمْ ، فَأَنْصَرَفُوا إِلَى دُوْعَنَ بَعْدَ أَنْ مَلَأُوا قُلُوبَ أَهْلِ الشَّخْرِ وَالْغِيلِ
خَوْفًا ، وَهَذَا مِنَ الْأَدَلَّةِ عَلَى عَدَمِ وَجُودِ الْمُكَلَّا شَيْئًا يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ إِذْ ذَاكَ .

وَمِنْهُمْ صَاحِبُ « الْمَرْعَى الْأَخْضَرِ » وَهُوَ أَجُوبَةُ مِنَ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَكْرِيِّ الصَّدِّيقِيِّ ، وَمِنْ تَلَامِيذِهِ : الْعَلَامَةُ الشَّهِيرُ أَحْمَدُ بْنُ
حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ .

وَفِي ذِكْرِ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ عَيْسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَبِشِيِّ الْمَتُوفِي فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ
(١١٢٥ هـ) مِنْ « عَقْدِ شَيْخِنَا الْأَبَرِّ » يَقُولُ : (وَأَنْتَفَعَ بِهِ وَأَخَذَ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْيَانِ ؛
مِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الْحَبِشِيِّ ، وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ
الْعَمُودِيِّ ، أَشَارَ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يَتْرَكَهُ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْ يَعْذَرَهُ مِنْ كَدِّ الْخَلَاءِ وَتَعَبِ

(١) هُوَ بِلْحِمَارٍ ، أَوْ بِلْحُمَيْرٍ كَمَا يَنْطِقُهُ الْعَامَّةُ ، الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ قَرِيبًا بِاسْمِ (بِالْحِمَانِ) ، وَهَذَا
التَّصْوِيبُ مَأْخُوذٌ مِنْ « الشَّامِلِ » .

الحراثة . . فَقَبِلَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ رَأْيَهُ ، ثُمَّ إِنَّ أَبْنَهُ عَمَرَ سَلَكَ وَجَاهَدَ وَصَحَبَ بَعْدَ ذَلِكَ سَيِّدَنَا قُطْبَ الْإِرْشَادِ عَبْدَ اللَّهِ الْحَدَّادَ ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ) اهـ

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمَرَ الْعَمُودِيُّ أَحَدُ تَلَامِيذِ ابْنِ حَجَرٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ « حُسْنِ النُّجُوى فِيمَا وَقَعَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ مِنَ الْفِتَوَى » .

وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَمُودِيُّ ، قَالَ فِي « الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَنِ » : إِنَّهُ كَثِيرٌ مَا يَقُولُ : (الْهَمَّةُ وَالْعَزْمُ يَأْتِيَانِ بِرُسُلِ التَّوْفِيقِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعَقْلِ) ، وَهِيَ حِكْمَةٌ عَالِيَةٌ مَا كُنْتُ أَحْسِبُهَا إِلَّا لِبَعْضِ الْفَلَسَفَةِ أَوْ لِأَحَدِ رِجَالِ « الرِّسَالَةِ الْقُشَيْرِيَّةِ » . . . حَتَّى رَأَيْتُ هَذَا وَلَمْ أَمِنْ مَعَهُ أَنْ يَكُونَ الْعَمُودِيُّ مَتَمَثِّلًا لَا مُنْشِئًا .

وَفِي (١١) مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ (٩٦٥ هـ) تَوَفَّى الشَّيْخُ الْكَبِيرُ أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَرَ بْنِ عَثْمَانَ الْعَمُودِيُّ^(١) ، الْمُرْتَجَمُ لَهُ أَصْلًا وَلَأَبِيهِ ضِمْنًا فِي « النُّورِ السَّافِرِ » [٣٥٢] .

وَفِي تَرْجُمَتِهِ مِنْهُ يَقُولُ : (وَبَنُو الْعَمُودِيِّ أَهْلُ صِلَاحٍ وَوَلَايَةٍ ، اشتهر منهم جماعة بالعلوم الظاهرة ومقامات الولاية الفاخرة ، ويقال : إِنَّ نَسَبَهُمْ يَرْجِعُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رضي الله عنه) اهـ

وَقَدْ أَطْلُتُ الْقَوْلَ عَنْ ذَلِكَ بِـ « الْأَصْلِ » .

وَتَرْجَمَ فِي « النُّورِ السَّافِرِ » أَيْضًا لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِاعْثْمَانَ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٩٦٧ هـ) .

وَمِنْ غُرَائِبِ الصُّدُفِ : أَنَّ بَدْرَ بَوَطُورِقَ جَهَّزَ عَلَى الْعَمُودِيِّ بِجَيْشٍ يَرَأْسُهُ يَوْسُفُ التُّرْكِيُّ ، فَهَزَمَهُمُ الْعَمُودِيُّ وَأَخَذَ مَدْفَعًا مَعَهُمْ كَانُوا يُطْلِقُونَهُ عَلَى عَسْكَرِهِ ، وَوَرَدَ بِهِ إِلَى صَيْفٍ فِي سَنَةِ (٩٥٥ هـ)^(٢) .

وَفِي حُدُودِ سَنَةِ (١٢٨٦ هـ) اسْتَوْلَى التَّنْقِيبُ الْكَسَادِيُّ عَلَى أَكْثَرِ بِلَادِ دُوعَنَ ،

(١) فِي الْمَطْبُوعِ مِنْ « النُّورِ السَّافِرِ » (ص ٣٥٠) فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٩٦٥ هـ) : أَحْمَدُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ عَمَرَ . . . الْعَمُودِي .

(٢) مِنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ مِنْ أَخْبَارِ الشَّيْخِ عَثْمَانَ . . . فَلْيَرِاجِعْ « صَفْحَاتِ بَاوْزِيرِ » (١٥٤) .

وَهَزَمَ الْعَمُودِيِّينَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَعَادُوا الْكُرَّةَ عَلَيْهِ فَهَزَمُوهُ وَأَخَذُوا مَدْفَعَهُ ، وَأَنحَدَرُوا بِهِ إِلَى بُضْءٍ حَيْثُ يَوْجَدُ بِهَا إِلَى الْيَوْمِ .

وَفِي سَنَةِ (٩٧٠ هـ) كَانَتْ غَارَةُ الْجَرَادِفِ مِنْ أَصْحَابِ الْعَمُودِيِّ ، وَنَهَبُوا بَيْتَ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَيْدِيْدٍ^(١) . وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ الْجَرَادِفِ فِي غِيَاضِ الشَّخْرِ . وَأَخْبَارُ آلِ الْعَمُودِيِّ كَثِيرَةٌ ، وَقَدْ سَقْنَا مَا وَجَدْنَا بِـ « الْأَصْلِ » .

وَفِي بُضْءِ كَرِيفٍ^(٢) كَبِيرٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءُ السَّلِيلِ فَيَكْفِيهِمْ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ أَكْثَرَ ، أَظَنُّهُ مِنْ عِمَارَةِ السُّلْطَانِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ صَاحِبِ الْيَمَنِ وَعَدَنَ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَرَهُ فِي مَآثِرِهِ ، لَكِنَّ الشَّائِعَ بَيْنَ آلِ الْعَمُودِيِّ - مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ إِلَى الْآنَ - أَنَّ أَوَّلَ عِمَارَةٍ لَهُ كَانَتْ عَلَى يَدِ سَيِّدٍ مِنْ تَرِيمَ ، فَتَعَيَّنَ أَنَّهُ بِسَاكُوْتِهِ^(٣) ؛ لِأَنَّهُ الَّذِي عَمَرَ جَامِعَ تَرِيمَ ، وَضَمِيرِ ثَبِي ، وَكَرِيفَ قِيدُونَ ، عَلَى نَفَقَةِ السُّلْطَانِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ صَاحِبِ الْيَمَنِ وَعَدَنَ ، وَإِنْ لَمْ يَوْجَدْ ذِكْرُهُ بَيْنَ مَآثِرِهِ فِي « النُّوْرِ السَّافِرِ » وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَظَانِّ الَّتِي بَيْنَ يَدَيَّ .

ثُمَّ حَصَلَ فِيهِ خَلَلٌ فَعَمَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحِ الْعَمُودِيِّ مَنْصِبُ بُضْءٍ ، ثُمَّ عَمَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ بَايَاسِينَ سَاكُنُ بُضْءٍ ، ثُمَّ أَوْصَى لَهُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعَطَّاسُ بِمَا يَعْمَرُهُ فَعَمَرَهُ إِخْوَانُهُ ، ثُمَّ عَمَرَهُ أَوْلَادُ الشَّيْخِينَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعِيدِ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ .

وَكَانَ سَرِيعَ التَّغْيِيرِ ؛ لِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنَ النَّخْلِ ، فَكَانَتْ عُرُوقُهُ تَنْفَذُ إِلَيْهِ فَتَفْسُدُهُ .

وَفِي شَرْقِيٍّ بُضْءٍ مَقْبَرَةُ الشَّيْخِ مَعْرُوفٍ بِاجْتِمَالٍ^(٤) ، أَلْتَوَفَّيْ بِهَا فِي مَنْفَاهُ مِنْ بَدَرٍ

(١) وَكَانَ ذَلِكَ لَيْلَةَ السَّبْتِ (١٦) ذِي الْحِجَّةِ ، مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ .

(٢) الْكَرِيفُ : هُوَ حَوْضٌ كَبِيرٌ جَدًّا ، تَخْزَنُ فِيهِ كَمِيَّاتٌ مِنَ الْمِيَاهِ لِسَقْيِ أَهْلِ الْبَلَدَةِ وَاتِّفَاعِهِمْ بِهِ ، وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُونَ فِي الشُّرْبِ وَالطَّبْخِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، يَجْمَعُ مِنْ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَالشُّيُولِ .

(٣) بِسَاكُوْتِهِ : هُوَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ حَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ مَسْرُقَةُ ابْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلَوِيِّ عَمِّ الْفَقِيهِ .

وَالْمَقْصُودُ وَالْمَرَادُ هُنَا : هُوَ حَفِيدُهُ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنَ ، الْمَتَوَفَّى بَعْدَ سَنَةِ (٩٥٣ هـ) ، صَاحِبُ الْهَيْمَةِ الْعَلِيَّةِ ، وَالشُّيْمِ الزُّكِّيَّةِ ، كَانَ سَخِيًّا كَرِيمًا ، تَرَجَمَتْهُ فِي « الْمَشْرِعِ » ، وَ « السَّنَاءِ » .

(٤) وَتَعْرِفُ هَذِهِ الْمَقْبَرَةَ بِاسْمِ : (ظَرْفُون) .

بوطويرق - حَسَبَمَا تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ - سَنَةِ (٩٦٩ هـ) .

وعند مقبرته حوضٌ دونَ الْأَوَّلِ جَدَّدُوا عِمَارَتَهُ فِي الْوَقْتِ الْآخِرِ عِمَارَةً أَكِيدَةً ،
تَصُبُّ فِيهِ عَيُونُ مَاءٍ ، فَيَكْفِي لِضُرُورَاتِ آلِ بُضَّةٍ عِنْدَ نَفَادِ الْأَوَّلِ .

وَمِنْ عِلْمَاءِ بُضَّةٍ فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ : عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ خَبِيزَانَ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي
« مَجْمُوعِ الْأَجْدَادِ » يَأْتِي بَعْضُهُ فِي سَيْتُونَ .

وَفِي بُضَّةٍ كَثِيرٌ مِنَ السَّادَةِ آلِ الْعَطَّاسِ ، مِنْهُمْ : الصَّالِحُ الْعَظِيمُ الْمَقْدَارِ ، جَعْفَرُ بْنُ
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنِ الْعَطَّاسِ^(١) ، وَقَدْ أَجْتَمَعَتْ بِهِ مَرَاراً ، آخِرُهَا بِالشَّخْرِ سَنَةَ
(١٣٢٢ هـ) ، لَمَّا وَرَدَتْهَا فِي طَرِيقِي إِلَى الْحَجَّازِ لِأَدَاءِ حَجَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَقَدْ أَحْضَرَنِي
عَلَيْهِ وَالِدِي بِمَكَانِنَا عِلْمٌ بِدِرِّ سَنَةِ (١٣٠٦ هـ) ، فَدَعَا لِي وَالْبُسْنِي طَاقِيَّتَهُ ، وَقَالَ
لِوَالِدِي : (هَذَا رَأْسُ الْعِلْمِ) فَسُرَّ بِذَلِكَ كَثِيراً ، وَعَلَّقَ كِبَرِيَّاتِ الْأَمَالِ عَلَى هَذِهِ
الْكَلِمَةِ ، نَسَأَلَ اللَّهَ قَبُولَ الدُّعَاءِ وَتَحْقِيقَ الْرَّجَاءِ .

وَمِنْ فَضْلَاءِ بُضَّةِ الْيَوْمِ : السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدِ بْنِ عَمْرِ الْعَطَّاسِ^(٢) ، كَانَ صَحِيحَ
الْتَّقْوَى ، صَادِقَ الْإِخْلَاصِ ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ ، نَقِيَّ الْجَبِيبِ ، وَقُورَ الرُّكْنِ ، جَمَّ
الْتَّوَاضِعِ ، نُكِبَ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٣٧ هـ) بِقُرَّتِي عَيْنٍ مِنْ أَوْلَادِهِ ، فَأَحْتَسِبُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ
بِجَاشٍ ثَابِتٍ وَرِضاً تَاماً ، وَبِإِلِّ صَابِرٍ^(٣) .

(١) وَقَعَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَهْمٍ فِي سِيَاقِهِ اسْمَ الْمُتَرَجِّمِ ؛ لِبَعْدِ عَهْدِهِ بِهِ ، وَلِأَنَّهُ إِنَّمَا أَدْرَكَهُ صَغِيرًا ،
فَهُوَ الْحَبِيبُ : جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَمْرِ الْعَطَّاسِ ،
اشْتَبَهَ عَلَيْهِ اسْمُهُ وَاسْمُ جَدِّ أَبِيهِ ، تَوَفَّى الْحَبِيبُ جَعْفَرُ هَذَا فِي بُضَّةٍ فِي (٢٤) شَوَّالِ (١٣٣٣ هـ) ،
وَتَرَجَمَ لَهُ ابْنُ أَخِيهِ فِي « تَاجِ الْأَعْرَاسِ » ، وَالْحَبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ عِيدِيدٍ فِي « إِنْحَافِ الْمُسْتَفِيدِ » .
وَأَخَذَا عَنْهُ . أَمَّا جَدُّهُ جَعْفَرُ الَّذِي هُوَ عَلَى اسْمِهِ . . فَهُوَ الْمَقْبُورُ بِبَلَدَةِ صُبَيْخِ ، وَسَيَأْتِي ذِكْرُهُ فِيهَا .

(٢) هُوَ السَّيِّدُ الْفَاضِلُ الْحَبِيبُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ حَامِدِ بْنِ مَحْسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
الْحُسَيْنِ بْنِ عَمْرِ الْعَطَّاسِ ، وَلَدَ بَيْضَةَ ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ (١٣٦٧ هـ) . وَكَانَ الْحَبِيبُ
مُصْطَفَى الْمُحَضَّرِ يُطْلَقُ عَلَيْهِ لِقَبِّ جَبْرِيلَ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَرَى الرُّؤْيَا فَتَقَعُ مِثْلُ فَلَقِ الصُّبْحِ ، وَسَرَى عَلَيْهِ
هَذَا اللَّقَبُ .

(٣) كَانَ ذَلِكَ فِي عَامِي (١٣٣٤ هـ) وَ(١٣٣٥ هـ) ؛ إِذْ أَصَابَتْ دُوعَنَ حَمَى خَيْشَةَ مَاتَ مِنْ جَرَّائِهَا نَاسٌ
كَثِيرُونَ ، وَقَبْلَهَا كَانَتْ هَذِهِ الْحَمَى فِي أَسْفَلِ الْوَادِي ، فَمَاتَ فِي شِبَابٍ فِي سَنَةِ (١٣٣١ هـ) عِدَدٌ مِنْ =

ثَافَنَ الرُّجَالَ^(١) ، وصحبَ أهلَ الكَمَالِ ، وكانَ يَتَفَتَّحُ عن ثَبَجٍ بَخْرٍ إِذَا سُئِلَ عن بحرِ
الْجودِ المَرْحومِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرِ الْحَدَّادِ ؛ إِذْ كَانَ مَعَهُ فِي سَفَرِهِ إِلَى الْهِنْدِ وفي
كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ، مَدَّ اللَّهُ فِي عَمَرِهِ ونَفَعْنَا بِهِ^(٢) .

= النَّاسَ ، فِيهِمْ أَكْبَرُ عِلْمَانِهَا ورموز إرشادها .

- (١) ثافن : لازم وصحب .
(٢) وقد اختصر المصنّف ههنا جدّاً ، فمن سَكَانَ بُضْءَ : آل العَطَّاسِ ، وقد ذكر المصنّف عدداً منهم ،
وهم المعروفون بِآلِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وآلِ خَرْدٍ ، وآلِ بَاعِشِنَ ، وآلِ العموديّ ، وهم فَخَاذِلَةُ عِدَّةٍ ، فمنهم :
آلِ باطيرانَ ، وآلِ مطهرَ ، وتقدّم ذكرهم ، وآلِ بَلْعَسَمَ = (الأعسم) ، وآلِ باياسينَ ، وآلِ أحمد بن
مُحَمَّدٍ ، وآلِ مُحَمَّدِ بْنِ سعيدٍ جميعهم ههؤلاء من آلِ العموديّ .

ومن السُّكَّانِ أيضاً : آلِ باعيفٍ ، وآلِ بانقيبٍ ، وآلِ الحريبيّ ، (وهم غير الحريبيّ الذي بشمال
اليمن) ، وآلِ باوهَّابٍ وهم تَجَّارٌ أيضاً ، وآلِ بوجبيرٍ ، وآلِ باعبدونَ ، وآلِ بنِ زَقَرٍ ومنهم جماعة في
الرُّبَاطِ ، وآلِ باسحَمَ ، وآلِ باعشرةٍ ، وآلِ باطرفيٍّ ، وآلِ المقدّمَ - من القُشَمَ - وآلِ الذُّبْيَانِيَّ ، وآلِ
باشوئيةٍ . . وسنعرض هنا لبعض أعلام هذه الأُسَرِ .

أَمَّا السَّادَةُ آلُ خَرْدٍ . . فهم من ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ الإمامِ عبدِ اللهِ باعلويّ حفيدِ الفقيهِ المقدّمِ ، وأصلهم من
تريمَ ، وسُمُّوا بِآلِ خَرْدٍ نسبةً إلى وادٍ من أوديةِ عَقْرُونَ الَّذِي يَصُبُّ فِي الْوَادِي الْأَيْسَرِ ، وبه - أي وادي
خرد - موضعٌ معروفٌ به متعبدٌ وخلوةٌ لجدِّ آلِ خردِ السَّيِّدِ الشَّريفِ علويّ خرد بنِ مُحَمَّدٍ حُمَيْدَانَ ،
المتوفّى سنة (٨٧٠هـ) بن عبد الرحمن بن محمد (٧٤٣هـ) بن عبد الله باعلويّ ، وذُرِّيَّتُهُ بتريمَ ،
وأوّلُ من نَزَحَ إِلَى دَوْعَنَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ : السَّيِّدُ زين بن أبي بكر بن زين . . إلخ هاجر منها بعد سنة
(١١١٧هـ) ، ومنهم :

السَّيِّدُ علويّ بن سالم بن زين بن أبي بكر ، توفّي سنة (١٢٩٧هـ) ، وكان من أهلِ التَّقَشُّفِ ، حجَّ
(٣٠) حَجَّةً ماشياً على قدميه ، ولم ينمَ اللَّيْلَ خَمْسِينَ سَنَةً ، وأخباره في العبادة مشهورة ، عُمِّرَ نحواً
من (١٥٠) سنة أو أقلّ ، وابنه مُحَمَّدُ بْنُ علويّ أيضاً من المعمرين ، جاوز عمره (١٢٥) سنة .

وممّن ولد بها ، وتوفّي ببلادِ الماءِ : السَّيِّدُ الشَّريفُ الحبيبُ عبدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أحمد بن
زين بن أبي بكر ، توفّي سنة (١٣٣٧هـ) ، أخذ عنه السَّيِّدَانِ عبدُ الله وعلويّ ابنا طاهر الحدّاد ، وهو
من الآخذين عن الحسن البحر ، والشيخ مُحَمَّدُ باسودان ، والسَّيِّدُ علويّ بن سالم خرد وغيرهم .

ومنهم : السَّيِّدُ العَلَمَةُ المعمرُ أحمد بن عبد الله خرد ، كان فقيهاً إماماً عالماً عاملاً مفتياً ، رؤيته
تذكر بالرَّعِيلِ الأوّلِ ، توفّي بَبُضْءَ أواخر سنة (١٤٠٧هـ) عن عمر يناهز (١٢٠) عاماً .

أدرك الإمامَ عيّدروس بن عمر الحبيشيّ وأخذ عنه وعن طبقةٍ عاليةٍ من الشُّيوخِ ، طبع له سنة
(١٣٨٦هـ) مجموعٌ ضمّ فتاوى بعض معاصريه من علماء حضرموت ، قرّظ عليه السَّيِّدُ علويّ المالكيّ
وأقرّانه من المكيين ، أخذ عنه أعدادٌ غفيرةٌ شفاهاً ومكتابةً ، رحمه الله .

=

ومن آلِ العموديّ سَكَانَ بُضْءَ :

بلاد الماء^(١)

فيها السادة آل بُروم^(٢) ، مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَوِيِّ ، الْمَشْهُورِ بِالشَّيْبَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ .

وَمِنْ آخِرِهِمْ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بُرُوم ، طَوِيلُ الْقَامَةِ ، عَرِيضُ الْجَسَمِ ، كَبِيرُ الْعِمَامَةِ ، كَثِيرًا مَا يَسْتَصْحَبُهُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ الْمُحَضَّرُ لِلْمَدَاعِيَةِ وَالْمَبَاسِطَةِ .
وَيَقَالُ : إِنَّ لَهُ مَعْرِفَةً بِالطَّلَاسِمِ وَالْأَوْفَاقِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

= الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ أَحْمَدَ الْآخِرِ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَثْمَانَ .

يَلْقَبُ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بِأَبِي سِتْ لَوْجُودِ أَصْبَحَ زَائِدَةً فِي كِلْتَا يَدَيْهِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ (١٠٧٢ هـ) ، وَتَقَدَّمَ ذِكْرُهُ قَرِيبًا عِنْدَ الْمُصَنِّفِ ، وَيَنْظُرُ أَخْبَارَهُ فِي « الشَّامِلِ » (١٦٦-١٦٧) .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بَاطِرِ بْنِ الْعَمُودِيِّ ، كَانَ عَالِمًا فَقِيهًا مَعْمَرًا ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٣٣٠ هـ) تَقْرِيبًا ، أَخَذَ عَنْهُ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ طَاهِرٍ لَعْلُو سَنَدَهُ ؛ فَقَدْ أَخَذَ عَنْ مِفْتَاحِ زَيْدِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَهْدَلِ .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنٍ ، مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالنُّورِ .

(١) بلاد الماء : قَالَ عَنْهَا فِي « الشَّامِلِ » (١٧٠) : وَيُقَالُ لَهَا : (بِلَادُ الْخَرْشَعِ) ، وَالْخَرْشَعُ - بَفَتْحٍ فَسَكُونٍ فَفَتْحٍ - هُوَ الْحَجَرُ الرَّخْوُ الَّذِي يَرُوبُ عِنْدَ مَخَارِجِ الْعَيُونِ مِنَ الْجِبَالِ ، وَهَذِهِ كَلِمَةٌ حَضَرِيَّةٌ ، وَلَمْ يَذْكُرْ صَاحِبُ « الْقَامُوسِ » هَذَا الْمَعْنَى ، وَلَكِنَّهُ قَالَ : الْخَرْشَعَةُ : قَنْةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الْجِبَلِ ، جَمْعُهُ خَرْشَعٌ وَخَرْاشَعٌ . اهـ

وَيَسِيلُ إِلَيْهَا - أَيِ إِلَى بِلَادِ الْمَاءِ - شَعْبٌ ذَا مِلَّةٍ ؛ فَهُوَ مُصَلَّرٌ بِذِي ، كَوَادِي (ذِي عِبَةٍ) بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَالْبَاءِ ، جَنُوبِيٌّ قَارَةُ الْمُحَضَّرِ ، بِهِ غِيلٌ .

وَقَدْ سَاقَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ الْمُحَضَّرُ جَانِبًا مِنْهُ إِلَى جَانِبِ الْقَوِيرَةِ ، فَانْتَفَعَ بِهِ أَهْلُهَا انْتِفَاعًا عَظِيمًا ، وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ فِي تَعَبٍ ، يَسْتَقُونَ الْمَاءَ مِنْ دَاخِلِ الْوَادِي وَهُوَ عَلَى مَسَافَةٍ .
ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ تَدَيَّرَ هَذِهِ الْقَرْيَةُ شَيْخَنَا الْحَبِيبُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ خَرْدٍ ، وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي بَلَدِ بُضْغَةٍ مَعَ عَشِيرَتِهِ .

وَبِهَا السَّادَةُ الْأَشْرَافُ آلُ بَرُوم ، وَحَاكِمُهَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَعِيدٍ آلِ الْقَحُومِ ، وَبِهَا مِنَ السُّكَّانِ : آلُ بْنُ جَحْلَانَ ، وَبَلْشَرَفُ ، وَبِالْحَمِيدِ ، وَبَلْزُوفُ - بِتَشْدِيدِ اللَّامِ وَفَتْحِ الْبَاءِ - الثَّلَاثُ أَفْخَاذُ مِنَ الْحَالِكَةِ . وَبِالْقَازِي ، وَبِالْبَارِيعِ وَغَيْرِهِمْ . اهـ

(٢) يَنْسَبُ السَّادَةُ آلُ بَرُوم إِلَى السَّيِّدِ حَسَنِ الْمَلَقَبِ (بَرُوم) ؛ لِسُكْنَاهُ بِهَا مَدَّةً مِنَ الزَّمَانِ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِتَرِيمِ سَنَةَ (٩٢٧ هـ) ، وَهُوَ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَوِيِّ الْمَذْكُورِ إِلَى آخِرِ النَّسَبِ .

وبها يسكن أولاد الشيخ عبود بن محمد القحوم ، ورئيس عائلتهم بها هو الشيخ سعيد بن عبود بن محمد .

وفيها ناس من آل كحلان يقال : إن مرجعهم إلى العائلة القعيطية .
وبلاذ الماء وخديش وقرن ماجد . . باقية تحت أولاد القحوم إلى اليوم ، لا يتعرض لهم القعيطي بسوء .

خديش^(١)

في أسفل وادي دوعن ، على مسافة ساعة ونصف من قيدون ، وهي بحذاء العرسمه ، إلى الجهة الغربية على يمين الداخل إلى بلاد دوعن .
وفيها ناس من آل العمودي ومن آل بroom ، وواحد من آل خرد ، وقبائل من سيان الحالكه ، وهم أهل حرب ، وفيها مزارع^(٢) .

كوكه^(٣)

هي بمفترق الوادين الأيمن والأيسر في الجبل الغربي ، تبعد عن صيف بنحو نصف ساعة ، يسكنها الحالكه من سيان ، وناس يقال لهم : البلاغيث ، من شر قبائل الحالكه ، ولهم أموال في القرح ، يشتجرون بسببها مع أهل العرسمه ، حتى قال بعضهم : لقد أبغضنا الغيث . . بسبب البلاغيث .

(١) خديش : بكسر ففتح فسكون .

(٢) ومن سكانها : آل باعيطيه ، وآل باحطاب . ومر في قرن باحكيم أن جماعة من آل باعيطيه نزحوا إليه من خديش . وأما آل باحطاب . . فمنهم : الشيخ الفقيه العالم : سالم بن صالح باحطاب ، كان عالماً فقيهاً ، سكن الهند ، ثم انتقل إلى الحجاز .

(٣) وسرد في « الشامل » أسماء مناطق ومواقع تقع بين خديش وكوكه ، وهي : جدفرة خديش ، فمزارع بلاد الماء ، فساقيه القرحة ، فقارة الصدف عند متهى الجبل الفاصل بين الوادين في مستقبل الجهة الشماليه ، فالمصانع ، فالعرفه ، فشعب السيد ، والأوسط ، وشواطه ، فتأتي كوكه . « الشامل » (١٧٠-١٧١) .

وبين كوكه وخديش والعرسمة - في الجانب الشرقي - بلدة يُقال لها : الصّدف ،
بأسم سكّانها الأقدمين منهم ، باقية آثار مبانيها وسواقيها .

وبالجانب الشمالي بين العرسمة وفيل قارة يُقال لها : دخان ، تدلّ آثارها على قوّة
أهلها ومنعتهم ، وكان سكّانها أشرس القبائل فيما يُقال ، وحولها محارث كثيرة .
وفي الجانب الشرقي منها قرية صغيرة ، يقال لها : الرّيضة ، على مسافة ثلث
ساعة منها .

قَبْرُ تَبَع

وعلى يسار الدّاخل إلى الوادي قبرٌ طويلٌ في سفح الجبل الذي يكون الوادي الأيسر
في جنوبه ، يقال : إنّه لأحد التّابعة^(١) ، وهو غير بعيد ؛ لأنّ حَضْرَمَوْتَ مِنْ
مَمَالِكِهِمْ ، ولا يقال لِلوَاحِدِ تَبَعٌ إِلَّا إِذَا اسْتَوْلَى عَلَى حَضْرَمَوْتَ كما هو في «الأصل»
بما فيه .

وقد جاء في الجزء الثامن [ص ١٢٧-١٣٠] مِنْ «الإكليل» لِلْهَمْدَانِي : أَنَّ قَبْرَ ذِي أَكْم
- وَهُوَ مِنَ التّابَعَةِ - بِحَضْرَمَوْتَ ، وقد ذكره علقمة في قوله [مِن السّريع] :

وَذِي نُوَاسٍ قَدْ وَهَى مُلْكُهُ وَرَبُّ غَمْدَانٍ وَذَا أَكْم

ثمّ ذكرَ خبراً طويلاً عن هشام بن محمّد ، عن أبيه وأبي يحيى السّجستاني ، عن
يوسف بن سعيد الأيليّ قال : (استُثارت حِمِيرٌ مدفناً لملوكها بِحَضْرَمَوْتَ) وأستاق
خبراً طويلاً ، منه : (أَنَّ أَبَا مَالِكٍ عَمِيكَرْبَ بْنَ مَلِكِيكَرْبَ مَدْفُونٌ بِذَلِكَ الْمَدْفَنِ) ،
وفيه من الدّلالة ما يُغني ويُقني .

(١) التّابعة : لقب ملوكي أطلق على ملوك اليمن في الدّور الحميريّ الثاني (٣٠٠ م) ، وهو كفيصر عند
الرّوم ، وكسرى عند الفرس ، والنّجاشي عند الأحباش . تلقّبوا بذلك لأنّه يتبع بعضهم بعضاً ، كلّما
هلك ملك . . قام مقامه آخر تابعاً له على مثل سيرته . وملوك هذه الفترة لا يحملون هذا اللّقب ما لم
يكن حامله قد ملك حضرموت وسبأ وحمير . وقد ورد هذا اللّقب في القرآن الكريم في أكثر من
مناسبة ، قال تعالى : ﴿ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَيْعٍ ﴾ .

أَمَّا جَانِبُ وادي الأيمن الشَّرْقِيُّ : فَأَوَّلُهُ رِبَاطُ بَاعِشِن^(١) .

وَأَلْ بَاعِشِن : بَيْتُ عِلْمٍ ، وَمَغْرَسُ فَضْلِ ، وَمَنْبِتُ صِلَاحٍ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ الْكَبِيرُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بَاعِشِن^(٢) ، كَانَ مِنْ أَقْرَانِ السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ ، أَخَذَ هُوَ وَإِيَّاهُ عَنْ جَمَلَةٍ مِنَ الْمَشَايخِ ، مِنْهُمْ :

الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ عَيْسَى بَارَكُوَّةَ ، السَّمَرَقَنْدِيُّ ثُمَّ الْمَغْرِبِيُّ ، آلَاتِي ذِكْرُهُ فِي بَلَدِ الْغَرْفَةِ ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ بِهَا .

وَقَدْ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ هَذَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَكْبَارِ ، مِنْهُمْ :

١- السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعْلَمِ بَاعْلُوِي ، الشَّهِيرُ جَدُّهُ عَبْدُ اللَّهِ بَوَطَبُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَنْقَرِي ، جَاءَ فِي تَرْجُمَتِهِ مِنْ « الْمَشْرِعِ » (ج ٢ ص ١٢٦) : (رَحَلَ إِلَى الْوَادِيَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ : وَادِي دَوْعَنَ وَوَادِي عَمْدَ ، وَأَخَذَ بِهِمَا عَنْ عُلَمَاءِ أَكْبَارٍ وَذَوِي مُحَابِرٍ وَمُفَاخِرٍ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ الْعَارِفُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الشَّهِيرُ بِبَاعِشِن ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْعَمُودِيِّينَ) . تَوَفَّى السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَذْكُورُ سَنَةَ (١٠٥٧ هـ) .

٢- وَقَالَ فِي (ج ٢ ص ٢٣٣) فِي تَرْجُمَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ

(١) يَحْسَنُ أَنْ نُلْخِصَ هُنَا بَعْضَ مَا وَرَدَ فِي « الشَّامِلِ » مِنْ ذِكْرِ بَعْضِ الْمَوَاضِعِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْقَرْحَةِ وَالرِّبَاطِ مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ الْمُصَنِّفُ هُنَا . فَبِالْقُرْبِ مِنَ الْقَرْحَةِ : قَرْيَةُ الْبَاقُحُومِ ، وَأَلْ الْقُحُومِ أَوْ بَاقُحُومٍ مِنْ آلِ الْعَمُودِيِّ ، يَسْكُنُونَ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَنسبت إليهم ، وسيأتي ذكْرهم فِي قَرْنِ مَا جَدَ ؛ لِإِمَارَتِهِمْ لَهَا . ثُمَّ يَأْتِي فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ قَبْلَ الرِّبَاطِ : حَصْنُ الْبَاصَمِ ، فِيهِ الْبَاصَمُ - بَفَتْحِ الصَّادِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ - وَهُمْ مِنْ نَوْحٍ .

(٢) الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بَاعِشِن ، تَرْجَمَ لَهُ الْمُحِبِّي فِي « خِلَاصَةِ الْأَثَرِ » وَقَالَ فِيهِ : (الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ عَمْرِ الدَّوْعَنِيُّ الْحَضْرَمِيُّ ، خِلَاصَةُ الْخِلَافِ ، مَأْمَنُ الْمُخْلِصِينَ ، وَصِفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْمُحَقِّقِينَ ، وَزَيْدَةُ الزُّبْدَةِ مِنْ أَهْلِ التَّمَكُّينِ ، إِمَامُ أَهْلِ الْعُرْفَانِ فِي عَصْرِهِ ، وَشَيْخُ الْأَوَّلِيَاءِ فِي قَطْرِهِ ، كَانَ لَهُ فِي عِلْمِ التَّحْقِيقِ الْمَشْرَبِ الصَّفِيِّ ، وَالْمَقَامِ الْأَكْمَلِ الْوَفِيِّ ، وَرَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَسَنَ الْعِبَارَةِ ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِالْفَتْوحَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَكَانَتِ السَّادَةُ آلُ بَاعْلُوِيٍّ مَعَ جَلَالَتِهِمْ تَخْضَعُ لَهُ ، وَتَأْخُذُ عَنْهُ ، وَتَتَبَرَّكُ بِهِ ، وَلاَزَمَهُ مِنْهُمْ أُنُومَةُ عَارِفُونَ ، وَبِهِ تَخَرَّجُوا ، وَبِبِرْكَةِ عُلُومِهِ انْتَفَعُوا) هـ (٢٣٨-٢٣٧/١) .

فقيه بن عبد الرحمن بن الشيخ علي ، المتوفى سنة (١٠٣٨ هـ) : (ورحل إلى وادي دوعن ووادي عمد ، ووجد بهنذين الواديين من العلماء والعارفين ما يعجز عنهم وصف الواصفين) .

ومن آل باعشن : الشيخ سعيد بن عبد الله باعشن ، أحد مشايخ السيد الجليل علي بن حسن العطاس صاحب المشهد ، وقد أكثر من ذكره في « ديوانه » ومؤلفاته .
ومن أواخرهم : الشيخ سعيد بن محمد باعشن^(١) ، وهو من مشايخ سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر ، قال في « عقده » [٤٧/٢] : (وكذا أجازني الشيخ المحقق ، المتفتن المدقق ، الشيخ سعيد بن محمد باعشن في جميع مصنفاته ومروياته) .

وقال الشيخ علي باصبرين في مقدمة كتابه « إثم العينين » : (كان يختلج في صدري جمع ما تيسر من الخلاف بين الرملي وأبن حجر ، حتى توجهت من الحجاز إلى الديار المصرية في سنة (١٢٦٠ هـ) . فوجدت مع بعض الإخوان مؤلف شيخنا العلامة المحقق ، الورع الزاهد ، الشيخ سعيد بن محمد باعشن ، المسمى « بشري الكريم » ، فطالعتُه إلا كُرَّاسين ، وجردت ما فيه من الخلاف) اهـ باختصار .

ومنهم الشيخ عبد الله بن عمر بن عبد القادر باطويل ، نجع من الرباط إلى جدة ، وتحمل بعائلته منها إليها ، وله الآن أعمال بجدة ، تزينها الشهامة ، وتحوطها المروءة ، وتخالطها الدمائن ، ويكللها التواضع ، نزلت عليه في حجي سنة (١٣٥٤ هـ) . فأحمدت أثره ، وأستسنت خبره ، ولم تقع عيني ولا أذني منه إلا على أحسن مما يرجى ، وأفضل مما يُرام ، بارك الله له في نفسه وآله وماله ، وعمره وإيانا . آمين .

(١) الشيخ سعيد بن محمد بن علي باعشن (١٢٧٠ - ١٣٠٠ هـ) ، فقيه دوعن وعالمها في وقته ، ولد بالرباط ، وتوفي بها ، رحل إلى مصر لطلب العلم ، وتفقه بشيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي (ت ١٢٢٧ هـ) ، وأخذ عن الشيخ الباجوري وغيرهما ، والآخذون عنه كثيرون .
له تصانيف قيمة طبع منها مؤخرًا : « مواهب الديان شرح فتح الرحمن » ، وسيصدر قريباً - إن شاء الله تعالى - كتابه : « بشري الكريم شرح مسائل التعليم » وهما من إصدارات دار المنهاج بجدة .

وفي ذكرِ خَيَوَانَ من « صفةِ جزيرةِ العربِ » لِلْهَمْدَانِيِّ أَنَّهُ : (كَانَ يَسْكُنُهَا بَنُو نَعِيمٍ ،
وَأَلُّ بَاعِشَنَ ، وَأَلُّ أَبِي حَجَرٍ مِنْ أَشْرَافِ حَاشِدٍ)^(١) . فَلَعَلَّ آلَ بَاعِشَنَ كَانُوا مِنْهُمْ
فَنَجَعُوا إِلَى دُوعَنَ .

وَبِالرُّبَاطِ : أَلُّ الصَّافِي الْجَفَرِيِّ ، وَهُمْ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ لَوْحِيدِ حَضْرَمَوْتَ وَمَجْدَدِ
مَجْدَهَا وَشَرَفَهَا فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ عَشَرَ سَيِّدِي الْحَبِيبِ حَسَنِ بْنِ صَالِحِ الْبَحْرِ ، يَرْجِعُونَ
هُمْ وَإِيَّاهُ إِلَى السَّيِّدِ شَيْخَانَ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّرَيْسِيِّ .
وَقَدْ نَقَلَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ إِلَى عَدَنَ ، وَهُمْ السَّيِّدُ طَلَّةُ وَأَخَوَاهُ : مُحَسِّنٌ وَحَامِدٌ ، وَلَهُمْ
ذُرِّيَّةٌ هُنَاكَ .

وَكَانَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ عَيْنَ عَدَنَ الْبَاصِرَةَ فِي سَنَةِ (١٣٢٩ هـ) عِلْمًا ،
وَجُودًا ، وَشَهَامَةً ، وَجَمَالَ شَارَةً ، وَطَيْبَ رَائِحَةٍ ، وَنَفَاسَةً مَلْبَسٍ .
وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَسِّنٍ ، لَهُ ثَرَوَةٌ طَائِلَةٌ .

وَمِنْهُمْ : عُمَرُ بْنُ طَلَّةَ ، كَرِيمٌ شَمَائِلٌ ، إِلَّا أَنَّهُ أُصِيبَ فِي الْأَخِيرِ بَعْدَةَ نَوَائِبَ ،
فَجَبَرَ اللَّهُ كُسْرَهُ ، وَعَوَّضَ عَلَيْهِ مَا فَاتَهُ .

وَبِالرُّبَاطِ أَيْضًا جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَفَرِيِّ التَّرَيْسِيِّ ،
مَوْلَى الْعَرْشَةِ ، أَلْتَمَوْفَى بِتَرَيْسَ سَنَةَ (١٠٣٧ هـ) .

وَنَاسٌ مِنْ آلِ الْبَيْتِيِّ ؛ مِنْهُمْ السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ الْقَبَّةِ وَنَاسٌ مِنْ آلِ بَاقِي
وَنَاسٌ مِنْ آلِ بَاسِنْدَوَةَ ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحِيمِ ، وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
بَاسِنْدَوَةَ ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ، أَحَدُ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ فَارِسِ
بَاقِيَسَ ، لَهُ أَعْقَابٌ بِهَا وَبِالْحَدِيدَةِ وَعَدَنَ .

وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ الْعَطَّاسِ^(٢) ، مِنْهُمْ : نَزِيلُ الْحَدِيدَةِ أَلَانَ السَّيِّدُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ

(١) صفة جزيرة العرب (١١٥) ، وخيوان هذه هي الحدُّ الفاصل بين حاشد ويكيل ، ولا تزال عامرة .

(٢) منهم : السَّيِّدُ الْحَبِيبُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنَ بْنِ عَمْرِ الْعَطَّاسِ ، مِنْ
الْأَخْذِينَ عَنِ الْحَبِيبِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا .

حسن بن محمد - صاحب الغيل - ابن محمد بن جعفر - صاحب صبيخ - ، تاجر
 صديق ، وغزير إحسان ، وحليف وفاء ، وأبيض قلب ، ونقي جيب ، يُكرم الضيف ،
 ويحمل الكَلَّ ، ويَكْسِبُ المعدوم ، ويُعين على نوائب الحق ، وله جملة أولاد ،
 منهم : حسين أقام يطلب العلم عندنا مدة ليست بالقصيرة ، له طبع كريم ، وخلق
 دمث ، وتواضع كثير ، و : حسن ، له أدب وظرف ، ونية^(١) وشهامة .

وبالرَّباط أيضاً جماعة من آل الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ، منهم : السيّد
 محمد بن أحمد الحامد ، له ولد نبيّة ، يقال له : سالم ، طيب الأخلاق ، أظنه بمكة
 المشرفة الآن .

ومن أهل الرِّباط : آل بلاذّين ، نجعوا إليها من مَرَحَة ؛ منهم اليوم : محمد بن
 عوض بلاذّين ، له أعمال كبيرة بالحجاز ، وتجارة واسعة ، ومساع مشكورة ،
 ومحاسن مشهورة ؛ فكم كَشَفَ عَنْ منكوبي حضرموت من غَمٍّ ، وطَوَّقَ أعناق الكرام
 بالنعيم ، وما أحسن قول الإمام الغالب كَرَّمَ اللهُ وجهه : يا كميل ؛ مُرْ أَهْلَكَ
 بالمكارم ، ويغدوا في حاجة من هو نائم ؛ فوالذي وَسَّعَ سمعه الأصوات . . ما من
 أحد يودع قلباً سروراً . . إلّا خلق الله من ذلك الشُّرور لُطفاً ، حتّى إذا نزلت به نازلة ،
 أو نابتة نائية . . كان ذلك الشُّرور أسرع إليها من الماء في أنحداره حتّى يطردها كما
 تُطرّد الغريبة من الإبل عن الحوض . أو ما يقرب منه .

وإن هذا المحسن النبيل ليجري بالخطا الواسعة في هذا السبيل أدامه الله عليه ؛
 ليبقى من ظلّ الإحسان في حرز حريز ، ومن ذرى المجد في مقام عزيز . وله أخ اسمه
 عبد الله^(٢) ، يساعده على إغاثة الملهوف ، وأصطناع المعروف ، وكسب المعدوم ،
 وإغاثة المنكوب ، فشكر الله سعيهما ، وأدام رعيهما . آمين^(٣) .

(١) النّيقة : المعرفة ، والمبالغة في تجويد الأمور .

(٢) توفي بالمدينة المنورة سنة (١٤٢٢هـ) .

(٣) وآل بن لادن هؤلاء رحلوا إلى الحجاز ، وصار لهم صيت ذائع ، والشيخ المكرم محمد بن عوض بن
 لادن توفي رحمه الله في حادث طائرة عام (١٣٨٦هـ) ، ولحذقه في فن البناء والعمارة فإن الحكومة
 السعودية أوعزت إليه القيام بمهام جليلة ، وأعظم منقبة وأجل عمل قام به هو خدمة الحرمين =

عُورَه^(١)

هي مصنعة^(٢) دوعن وقلعتها الحربيّة ، ومسكنُ أمرائها . وقد مرَّ في ميفعة أنّ الشّيخ الصّالح المغربيّ اجتاز بها ، وألبسَ صاحبها الخرقه .

وجاء في « صفة جزيرة العرب » [١٧١-١٧٠] لابن الحائك الهمدانيّ ، الَّذي كتبه أوائل القرن الرابع للهجرة : (أنّ موضع الإمام الَّذي يأمرُ الإباضيّة وينهى كان في مدينة دوعن) .

ويما أنّ عُورَه حصنُ دوعن . . فالظاهرُ أنّها كانت هي موضعُ إقامته ، ويتأكّد بما سيأتي في القرنين .

ولما زرتُ دوعنَ في سنة (١٣٤٠هـ) . . ألحَّ عليّ أميرُها المقدّم عمرُ بنُ أحمدَ باصرةَ في المجيء إليها ، فأعذرتُ ، ولما زرتها زيارتي الأخيرة سنة (١٣٦٠هـ) . . كلفَ عليّ الفاضلُ الأخُّ علويُّ بنُ محمّدٍ المحضارُ إجابةَ دعوةِ أبنائه ، ففعلتُ ، ولكنني ندمتُ ندامةً شديدةً ؛ إذ لقيتُ فيها ما لا أقدرُ على وصفه من المتاعبِ في طريقها ، إن ركبْتُ . . خفتُ السُّقوطَ ، وإن ترجّلتُ . . لقيتُ الجهدَ !

وكانَ بها مسكنُ المقدّم عمرَ بنِ أحمدَ باصرةَ ، وهو رجلٌ شهيمٌ ، وهابٌ نهّابٌ ،

= الشريفين ، والنهوضُ بمشروع التوسعة الضخمة التي تمت في هذا العصر ، وهذا مما يسطره التاريخ ويحفظه لهذه الأسرة .

(١) قال في « الشامل » : (ثمّ تأتي عُورَه - بعد الرّشيد - وبأعلاها على صخورٍ أغلى القارة مصنعة عُورَه) اهـ

ومن مشاهير سكّان عُورَه : آل باشنفر ، سيأتي ذكرهم ، أمّا المصنعة ففيها آل المقدّم باصرة ، ومن هذا يُعلم أنّ المصنعة غير البلدة ؛ لأنّ المصنعة إنّما شيّدت حديثاً ، بخلاف ما يوهمه كلام المصنّف من أنّ عُورَه هي ذات المصنعة ، فليُعلم .

(٢) المصنعة : مفرد ، جمعه مصانع ، قال في « القاموس » : المصانع : المباني من القصور والحصون . اهـ وفي اليمن كثرة كاثرة من المصانع متشرة في حضرموت وفي شمال اليمن أكثر ، وهي قلاع ومراكز حربيّة هامة ومحصّنة جيّداً ، عدّد منها المقحفي في معجمه أكثر من (٣٠) مصنعة ، ومصنعة عُورَه واحدة منها .

يجورُ على الرعايا ، ويسطُ جوده لأهل العلم والفضل ، فيتغلَّب إطراؤهم لدى السلطان غالب بن عوض القعيطي فلا يؤثّر عليه ما يصل إليه معه من تظلم الرعية منه^(١) ، فتأطد مركزه ، ورسخ قدمه ، وتمّ له ما يريد بمساعدة السيّد حسين بن حامد المحضار ، وقد جرى في أيامه من الظلم والجور ولا سيّما على أهل الوادي الأيسر ما لا تترك عليه الأبل ، حتّى لقد دخل أحد الجنود في أيامه إلى منزل أحد الأهالي وما فيه غير أمراته ، فجاء أحد أقاربها - واسمه صالح باقي - فقال لها : من عندك؟ فقالت : لا أحد ؛ خوفاً من شرّه ، وكان مختبئاً ، ثمّ إنّّه ظهر وأطلق الرصاص على باقي ، وأرداه ، ولم تحبّق في ذلك شاة .

وأخبرني غير واحد ممن يوثق بهم : أنّ أحد آل بارضوان - واسمه سالم - كان بالقويرة ، وكان منحرفاً عن شيخنا الشّهير أحمد بن حسن العطّاس ؛ لأنّه كان من أهل حريضة ، فزال عنها إلى القويرة ، وكان يتحرّج أن يذهب إلى عند باصرة ، وفي إحدى قدمات العلّامة السيّد أحمد بن حسن إلى القويرة . دعاهم باصرة كعادته للضيافة ، فذهبوا ، وعزم الفاضل الجليل السيّد مصطفى بن أحمد المحضار على بارضوان أن يجيء معهم ، فامتنع أولاً ، حتّى ألح عليه ، فصحبهم ، ولما انتهوا إلى باصرة . قال له الحبيب مصطفى : حرّك بارضوان ، - وكان جريئاً حاضر الجواب ، ذرب اللسان - فقال باصرة : إنّ برضوان لم يأتني للتعزية في عمر عبود باصرة ، ولكنه جاء اليوم لماً سمع بالهريس .

فقال له : أمّا هريسك التي جاء لها هؤلاء . . فحرام عليّ كلحم أمي .

ولما قربوا الغداء . . وثب إلى مكان مرتفع عن الناس يوضع فيه فضول الفراش

(١) قال صاحب « الشّامل » : مصنعة عوره ؛ وهي ملك آل باصرة ، وكانت قبل بيد المشايخ آل باجعيفر ، ثمّ صارت للقثم ، ثمّ بعد استيلاء القعيطي على الوادي بلغنا أنّه وهبها لولد باصرة ، قدّمه إليه وقال : إنّنا سئبناه عوض بن عمر باسمك ياسلطان ، ومرادنا له هديّة منك ، فقيل : إنّّه أهدى له هذه المصنعة . شاع هذا الحديث وسمعناه في حينه ، والله أعلم بالواقع .

وقد بنى فيها المقدم عمر وزاد وقوى ، وصارت دار الملوك ، فالناس يختلفون إليها ما بين شاك ومشكوك منه ، ومسترفد ، وقد اشتهرت بعد الخمول ، وسبحان من يصرف الليل والنّهار . اهـ

والوسائد - ويسمونه الطاق - فقال له السيّد مصطفى : ترتفع على الناس ! أما تخاف من المقدم ؟

قال له : أيّ مُقدّم ؟ إنّ المقدم هو الذي عمّد بترية تريم^(١) ، أمّا هذا . . فما هو إلّا مقدم الظلم ، قدّمته أنت وأحمد بن حسن لأجل قروشه وهريسه . أو ما هذا معناه ، أو قريب منه .

وعوره في الأصل ملك آل باجيفر . . فكان في جملة ما صادرة باصرة من أموالهم ، ولما مات المقدم عمر بن أحمد باصرة في سنة (١٣٥٠ هـ) . . خاف أولاده أن تكثر عليهم الدعاوي إن أندفعوا عن العمالة وذهبت الهيبة ، فبدلوا - على ما يقول مبغضوهم - الألوف المؤلفة ؛ حتى أبقاهم السلطان عمر بن عوض عليها ، وكان فيما بذلوه عشرون ألف ربيّة للسلطان عمر نفسه ، وخمسة آلاف ربيّة للأمير سالم بن أحمد القعيطي ، وأبقاهم السلطان صالح بن غالب عليها مديدة .

وكان وزيره السيّد حامد بن أبي بكر المحضار يحمل عليهم ضغناً شديداً ، ولو طال مدته . . لجرّعهم الأجاج ، وأسعطهم الخردل ؛ إذ كان كآبيه وجدّه لا يرجعون في أحكامهم إلى قانون قط ، وإنّما يعملون بما تملي عليهم أغراضهم وأهواؤهم ، إلّا أنّ السيّد حسينا كان يعتصم بالحياء والذم ، وله من المروءة والشّهامَةِ الحظّ الوافر ، فهنّ الممانعاته عن كثير من الأمور ، ومن حسن حظّ آل باصرة أن لم تكن وزارة حامد إلّا أقصر من ظمء الحمار .

ولما مات في سنة (١٣٥٠ هـ) . . أبقى القعيطي العمالة في أولاده ، فكثرت منهم الشكاوى ، فعزلهم السلطان صالح بن غالب ، ثم ردّ العمالة إلى عبود بن عوض بن عمر بن أحمد باصرة وعمّيه أحمد ومحمّد ، فيقال : إنهم أروعوا عمّا كانوا عليه وأستقام حالهم ، ولم يجد السلطان من يسدّ مسدّهم سواهم ، وقد بنوا في عوره قصوراً فخمة أجروا إليها الماء من عين أنبطوها بأعلى الجبل^(٢) ، فأرغد عيشهم ،

(١) عمّد - بالتخفيف محرّكة - : حلّ وأقام (عامية) معروفة بلهجة أهل الكسر ودوعن وعند .

(٢) أنبطوها : استخرجوها .

وَنَعِمَ بِهِمْ ؛ إِذْ كَانُوا فِي حَلَقَةِ الْمِيمِ مِنْ نَقْلِ الْمَاءِ إِلَى تِلْكَ الْقَارَةِ الَّتِي قُلْتُ فِي وَصْفِهَا مِنْ « رَحْلَةِ دُوعَنْ » [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَسِرْتُ لِدَاعِي (عُورَةَ) فِي عُورَةٍ وَعُدْتُ كَأَنِّي جِئْتُ مِنْ سَاحَةِ الْوَعَا
وَفِي عُورِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ بَاشَنْفَرٍ^(١) ، لَهُمْ تِجَارَةٌ بِدُوعَنْ وَعَدَن ، وَمَصَرَ ، وَأَصْلُهُمْ
- فِيمَا يُقَالُ - مِنَ الشَّنَافِرِ ، نَجَعُوا إِلَى دُوعَنْ بِإِثْرِ حُرُوبٍ تَوَاقَعُوا فِيهَا مَعَ بَعْضِ
أَصْحَابِهِمْ ، وَأَسْمُهُمْ نَاطِقٌ بِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا دَخَلَ عَلَيْهِ التَّصْحِيفُ الَّذِي يَدْخُلُ بِالْأَغْلَبِ
بَيْنَ الْحَضَارَةِ عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ ، وَيَأْتِي فِي قُرَى تَارِبِهِ أَشْتَقَاقُ الشَّنْفَرِيِّ^(٢) .

الْقُرَيْنُ^(٣)

بَلَدٌ دُونَ الْخَرِيبَةِ وَبُضَّةَ ، وَلَكِنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ غَيْرِهَا ، وَكَانَ بِهَا مَثَرُ الْإِبَاضِيَّةِ - كَمَا
يُعْلَمُ مِنْ كَلَامِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّارِ وَغَيْرِهِ - وَهِيَ الْآنَ مَقَرُّ السَّادَةِ الْأَبْرَارِ آلِ
الْبَارِ ، وَمِنْهُمْ : الْفَاضِلُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ الْمَقْدَارِ ، عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ
حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْبَارِ بْنِ عَلَوِيِّ شُرَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بَاحِدَاقَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ أَبْنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ .

(١) آل بَاشَنْفَرٍ : أَسْرَةٌ مَعْرُوفَةٌ ، لَهَا مَكَانَةٌ مَرْمُوقَةٌ فِي عَدَن وَجِدَّةَ ، وَأَفْرَادُهَا يَتَعَاطُونَ التِّجَارَةَ ، وَمِنْ أَشْهُرِ
رَجَالِهَا : عَبْدُ الْقَادِرِ بَاشَنْفَرٍ مِنْ تِجَّارِ عَدَن .

(٢) وَفِي جَنُوبِيَّ عُورَةٍ يَقَعُ قَبْرُ مَوْلَى الدَّلَقِ ، وَهُوَ الشَّيْخُ بَاعُمَرُ ، أَحَدُ كِبَارِ أَصْحَابِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ مُحَمَّدَ بْنِ
عَلَوِيِّ بَاعَلَوِيِّ ، وَهُوَ مِنْ مَشَاهِيرِ رَجَالِ التَّصَوُّفِ الْمُبَكَّرِ فِي حَضْرَمَوْتَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ حَسَنِي النِّسْبِ .
وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٣) الْقُرَيْنُ - تَصْغِيرُ قُرْنٍ - : تَقَعُ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ بَعْدَ عُورِهِ عَلَى يَمِينِ الْخَارِجِ مِنْ وَادِي دُوعَنْ الْمَتَّجِهَةِ
شِمَالاً ، وَبِاعْلَاهَا شَعْبُ غُوَالَةٍ ، بِهِ عَيْنُ مَاءٍ أَوْ غَيْلٍ يَسْقِي بَعْضَ أَوْ كُلِّ السُّكَّانِ ، وَقَدْ أَقِيمَ خَزَانُ مَاءٍ
أَعْلَى الشَّعْبِ قَرِيباً مِنْ دَارِ السَّيِّدِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَامِدِ الْبَارِ ، وَرَكِبَتِ الْأَنْبِيَابُ لَجَلْبِ الْمَاءِ إِلَيْهِ مِنْ
تِلْكَ الْعَيْنِ ، وَكَانَ ذَلِكَ بِمَسَاعِي الْحَبِيبِ الْمَذْكُورِ ، كَمَا أَخْبَرَنِي ابْنَةُ السَّيِّدِ عِيدَرُوسَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ .
وَبِهَا مِنْ السُّكَّانِ مِنَ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ : آلُ الْبَارِ ، وَآلُ بَافَقِيهِ ، وَآلُ بَنِ شَيْخَانَ ، وَآلُ الْحَبْشِيِّ .
وَمِنْ غَيْرِهِمْ : آلُ بَاقْتَادَةَ ، وَكَانُوا مِنْ وَلَاتِهَا قَدِيماً ، وَآلُ بَاحْمَدُونَ ، وَآلُ بَاخْرِيبَةَ ، وَآلُ بَاعَامِرَ ، وَآلُ
بَاكْحِيلَ ، وَآلُ بَاشْنِيْنِي ، وَآلُ بَاهَمِيمَ ، وَآلُ بَاحْجَرِي ، وَآلُ بَامَقَابِلَ ، وَآلُ بَامَنِيْفَ ، وَغَيْرِهِمْ .

أَخَذَ عَنْ وَالِدِهِ وَعَنِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْهَدَّادِ ، وَعَنِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بَامَشْمُوسٍ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١١٥٧ هـ) عَنْ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ أَبْنَاءً وَسِتِّ بَنَاتٍ ، أَنْقَرَضَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ مِنْ غَيْرِ عَقِبٍ ، وَأَعَقَبَ خَمْسَةٌ عَقَبًا قَلِيلًا قَدْ أَنْقَرَضَ ، وَمِنْ أَوْلَادِهِ : طَلَهَ وَشَيْخٌ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، عَقِبَهُمُ بِالْقُرَيْنِ ^(١) .

وَمِنْهُمْ : الْعَلَّامَةُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الثَّانِي ^(٢) ، أَلْتَمَوْفَى بِجَلَّاجِل ^(٣) مَرَسَى بِالْحِجَازِ ، عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ جَدَّةَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ (١٢١٢ هـ) إِلَّا أَنَّهُ جَاءَ فِي مَوْضِعٍ مِنْ « عَقْدِ » سَيِّدِي الْأَبَرُّ أَنَّ وَفَاتُهُ كَانَتْ فِي سَنَةِ (١٢١١ هـ) ، وَكَانَ مَعَهُ يَوْمَ تَوَفَّى تَلْمِيزُهُ الْجَلِيلَانِ : السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ شَهَابِ الدِّينِ أَلْتَمَوْفَى سَنَةَ (١٢٦٥ هـ) وَالشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بَاسُودَانَ .

(١) ههنا أمور :

أولاً : حصل سقط في نسب الحبيب عمر البار ؛ فَإِنَّ جَدَّهُ عَلِيَّ الْبَارَ هُوَ ابْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَلَوِيِّ . . فاسم عليٍّ مكرر مرتين .

الثاني : أَنَّ لِقَبَ الْبَارِ إِنَّمَا أُطْلِقَ عَلَى السَّيِّدِ عَلِيٍّ الثَّانِي . . بن علي بن علويٍّ ، وليس عليٌّ حسين بن عليٍّ كما في « الفرائد الجوهريَّة » للسيد عمر الكاف .

الثالث : والد الحبيب عمر البار قدم إلى القرين من الشُّحَر ، وتوفي بها سنة (١١١٦ هـ) .

الرَّابِعُ : أَبْنَاءُ الْحَبِيبِ عُمَرَ الْبَارِ هُمْ حَسَبُ تَرْتِيبِ ذِكْرِهِمْ فِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » : صَادِقٌ ، وَطَاهِرٌ ، وَعَبْدُ اللَّهِ ، وَطَالِبٌ ، وَحَامِدٌ ، وَطَهٌ ، وَشَيْخٌ . . هَؤُلَاءِ لَهُمْ عَقَبٌ قَلِيلٌ ، وَقَدْ قَرَضُوا جَمِيعاً ، كَمَا قَالَ النَّسَابُونَ .

وعبد الرَّحْمَنِ ، وَعَلِيٌّ ، وَعَلَوِيُّ ، وَحُسَيْنٌ ، وَأَبُو بَكْرٍ . . هَؤُلَاءِ لَهُمْ عَقَبٌ .
وَأَمَّا الَّذِينَ لَمْ يَعْقِبُوا بَتَاتاً . . فَهُمْ سِتَّةٌ لَمْ تَذَكَرْ أَسْمَاؤُهُمْ فِي « الشَّمْسِ » .

(٢) أفرده بالتصنيف وترجم له ولشيوخه بتوسُّع تلميذه البار الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بَاسُودَانَ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ « فَيْضُ الْأَسْرَارِ » الَّذِي حَشَاهُ بِالْفَوَائِدِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْمَعْلُومَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الْفَرِيدَةِ ، وَلَهُ أَيْضاً تَرْجُومَةٌ فِي « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » وَغَيْرِهِ ، وَلَمْ يَذَكَرْ لَهُ الْمُؤَرِّخُونَ عَقَباً .

(٣) جَلَّاجِلُ : بَلَدَةٌ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ ، تُعَدُّ مِينَاءَ وَمَرْسَى وَادِي دُوقَةِ الْوَاقِعِ عَلَى طَرِيقِ الْحَاجِّ الْيَمَنِيِّ ، بَيْنَ الْقَنْفَذَةِ وَاللَّيْثِ . وَبَيْنَ وَادِي دُوقَةِ وَيَلْمَلَمَ مَسِيرَةَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَهُوَ لَغَامِدٌ . كَذَا فِي « مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ » لِيَاقُوتَ ، وَ« تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » لِلْسَّقَافِ ، وَالَّذِي فِي عِدَّةِ مَوَاضِعٍ مِنْ « الصِّفَةِ » لِلْهَمْدَانِيِّ : أَنَّ جَلَّاجِلَ وَادٍ ضَيْقٌ فِي نَاحِيَةِ نَجْرَانَ ، وَهُوَ لِقَبِيلَةٍ وَادِعَةٍ .

وَمِنْ آلِ الْبَارِّ : السَّيِّدُ الْكَرِيمُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيدروس^(١) ، عالمٌ عاملٌ ، لطيفٌ عفيفٌ ، توفِّيَ بِالْقَرِينِ سَنَةَ (١٣١١هـ) .

وَمِنْهُمْ : أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٢) ، شريفٌ ناسكٌ . ذَكَرَهُمَا فِي « شمس الظَّهيرة » ؛ لِأَنَّهُمَا كَانَا موجودَيْنِ فِي سَنَةِ (١٣٠٧هـ) .

وَمِنْهُمْ : الْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَارِّ^(٣) ، أَلْتَمَوْهُ بِالْقَرِينِ فِي سَنَةِ (١٣٣١هـ) .

أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بِاسْوَدَانَ - السَّابِقُ ذِكْرُهُ فِي الْخَرِيبَةِ ، وَكَانَ ضَابِطاً مَتَّقِظاً - قَالَ : عَمِلُوا خَتَماً وَطَعَاماً بِإِثْرِ وَفَاةِ الْحَبِيبِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَارِّ ، وَبَيْنَا الْمَجْلِسُ غَاصُّ بِأَعْيَانِ الْعُلُوِّيِّينَ بِدَوْعِنَ لَذَلِكَ الْعَهْدِ - كَالسَّيِّدِ مُصْطَفَى بْنِ أَحْمَدَ الْمُحْضَارِ وَأَصْحَابِهِ ، وَمُحَمَّدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَحَامِدِ آلِ عَلَوِيِّ الْبَارِّ - وَالْمَقْدَمُ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ

(١) ترجم له ابن أخيه الحبيب حسين بن مُحَمَّد - الآتي ذكره بعده - في « نِزَة » ، منها : أن الحبيب أحمد رحل إلى زيد ونواحيها ، وَحَجَّ وَلَقِيَ بِالْحَرَمَيْنِ عِدَّةً مِنْ عُلَمَاءِ مِصْرَ وَالشَّامِ ، وَأَخَذَ عَنْهُمْ ، وَكَانَ يَعُدُّ مُسْنِدَ دَوْعِنَ فِي وَقْتِهِ ، وَمِنْ شُيُوخِهِ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بِاسْوَدَانَ وَابْنَهُ مُحَمَّدٌ ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَهْدَلِ ، وَالسَّيِّدُ طَاهِرُ الْأَنْبَارِيِّ ، وَإِبْرَاهِيمُ الْمَزْجَاجِيُّ ، وَبِمَكَّةَ : عَثْمَانُ الدِّمِيَاطِيُّ ، وَأَحْمَدُ الدِّمِيَاطِيُّ ، وَعَلِيُّ السُّرُورِيِّ ، وَعَبْدُ اللَّهِ سِرَاجٍ ، وَالْوَجِيهُ الْكَزْبَرِيُّ مُحَدَّثُ الشَّامِ ، وَأَخَذَ عَنِ الشَّهِيدِ مُحَمَّدِ الْعِمْرَانِيِّ تَلْمِيزَ الشُّوكَانِيِّ ، وَعَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ ، وَالْحَبِيبِ حُسَيْنِ بْنِ صَالِحٍ وَمِنْ فِي طَبَقَتِهِمْ . يَنْظُرُ : « الشَّامِلُ » (١٤٧-١٤٨) ، وَ« الْخُلَاصَةُ الشَّافِيَّةُ » ، وَ« مَجْمُوعُ وَصَايَا آلِ الْبَارِ » .

(٢) هُوَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَكْبَرِ ابْنِ عَلَوِيِّ أَبِي الْحَبِيبِ عَمْرِ الْبَارِ الْكَبِيرِ ، الْمَلْقَبُ بِالسَّائِكِ ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ ، لَقِيَ الْحَبِيبَ صَالِحَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَطَّاسِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ . « الشَّامِلُ » ، وَ« تَاجُ الْأَعْرَاسِ » ، وَلَمْ تَوَرِّخْ وَفَاتِهِ .

(٣) الْحَبِيبُ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْبَارِ ، مَوْلَاهُ بِالْقَرِينِ ، وَبِهَا وَفَاتِهِ ، وَنَشَأَ فِي كَنْفِ وَالِدِهِ وَعَمَّهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَعَلَى الْأَخِيرِ كَانَ تَخْرِجُهُ وَفَتْحَهُ ، وَأَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ سَعِيدِ بَاعْشَنَ ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِاسْوَدَانَ ، وَطَبَقَتِهِمْ . وَرَحَلَ إِلَى تَهَامَةٍ ، وَكَانَتْ لَهُ وَلِأَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ تِجَارَةٌ فِي الْحَدِيدَةِ ، ثُمَّ تَلَاشَتْ وَتَحَوَّلُوا إِلَى عَدَنَ ، وَبَعْدَ وَفَاةِ عَمِّهِ أَحْمَدَ كَانَتْ الصَّدَارَةُ لَهُ فِي الْمَجَالِسِ وَالْمَدَارِسِ الْعِلْمِيَّةِ فِي الْقَرِينِ ، وَرَحَلَ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ وَأَخَذَ عَنْهُ الْجَمُّ الْغَفِيرُ ، وَمِمَّنْ أَدْرَكَهُ : حَفِيدُهُ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَامِدٍ . تَرْجَمَتْهُ فِي « مَنَحَةِ الْإِلَهِ » ، وَ« الشَّامِلِ » وَ« تَاجِ الْأَعْرَاسِ » ، وَغَيْرِهَا .

باصرةً يُكثر من شربِ الدُّخَانِ ، وأنا حاضرٌ . . إذ قيلَ : أَقْبَلَ السَّيِّدُ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَارِ الْعَالِمُ التَّقِيُّ ، فَتَشَمَّرَ الْمَقْدَّمُ وَأَهْتَمَّ ، وَجَمَعَ خَاطِرُهُ ، وَأَبْعَدَ مَدَاعَتَهُ^(١) ، وَمَسَحَ يَدَهُ وَفَمَهُ بِثَوْبِهِ ، وَتَأَدَّبَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، لَكِنَّهُ كَانَ لَا يَدْخُلُ دَارَهُ ، وَلَا يَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ الَّتِي طَالَمَا حَاوَلَهُ عَلَى قَبُولِهَا ، فَصَحَّ قَوْلُ الْجَرَجَانِيِّ [في « طبقات الشافعية » ١٦٠/٢ مِنْ الطويل] :

أَرَى النَّاسَ مَنْ دَانَاهُمْ هَانَ عِنْدَهُمْ وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أَكْرَمًا
تُوَفِّي السَّيِّدُ عُمَرُ الْمَذْكُورُ بِالْقَرِينِ فِي رَجَبِ سَنَةِ (١٣٣٩ هـ) .

أَمَّا رِثَاءُ الْحَبِيبِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَارِّ . . فَوَقَعَ عَلَى وَلَدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنٍ ، فَقَامَ فِي مَقَامِهِ أَحْسَنَ الْقِيَامِ ، حَتَّى تُوَفِيَ ، وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ حَامِدٌ ، ذَكِيٌّ نَبِيَّةٌ مَشْكُورُ الْخَلَائِقِ .
وَمِنْهُمْ : أَخُونَا الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ ، بَقِيَّةُ أَرَاكِينِ الشَّرَفِ ، السَّيِّدُ عِيدَرُوسُ بْنُ سَالِمِ بْنِ عِيدَرُوسِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عِيدَرُوسِ الْبَارِّ^(٢) ، لَقَدْ كَانَ عِدَّةً جَوْدٍ خَسِيفٍ ، وَطَوْدَ عِلْمٍ مُنِيفٍ .

فَمَا دَبَّ إِلَّا فِي أَنَامِلِهِ النَّدَى وَلَمْ يَرْبُ إِلَّا فِي مَجَالِسِهِ الْعِلْمُ^(٣)
إِلَى خُلُقِي كَأَنَّهُ الْكَوْضُ طَلَّهَ الْغَمَامُ ، أَوِ الزَّهْرُ بَارَحَ الْكَمَامُ^(٤) .

لَنْ تَلْقَ مِثْلَ مَسَاعِيهِ الَّتِي اتَّصَلَتْ بِالصَّالِحِينَ وَكَانَتْ عَنْ أَبِي فَابٍ^(٥)

-
- (١) مداعته : المداعة (عامية) وهي آلة التنباك المعروفة والمسماة بالجوزة .
(٢) مولده بمكة سنة (١٢٩٨ هـ) ، أو (١٢٩٩ هـ) ، وطلب العلم صغيراً ، وجدَّ واجتهد وحصل ، وأدرك الأكابر وأخذ عنهم ، وكانت له الصدارة بين علماء مكة آنذاك ، وأجلُّ شيوخه : الحبيب حسين الحشِّي ، والشَّيْخُ بَابِصِيل ، وباجنيد ، وصالح بافضل ، وعبد الرَّحْمَنِ وأسعد آل الدَّهَّان . ومن أراد التَّوَسُّعَ فِي تَرْجُمَتِهِ . . فليُنْظَرْ « تاج الأعراس » ، و« الدُّلِيلُ الْمَشِير » ، و« سير وتراجم » .
(٣) البيت من الطَّوِيل .
(٤) بَارَحَ : فارق . الكمام : الغطاء أو البرعم الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الزَّهْرُ . والمعنى : كَأَنَّهُ الْوَرْدَةُ الْمَتَفَتِّحَةُ الَّتِي فَارَقَتْ بَرْعَهَا وَصَارَتْ زَهْرَةً .
(٥) البيت من البسيط ، وهو للبحرِيِّ فِي « ديوانه » (٢٢/٢) ، وفيه بعض التَّغْيِيرِ فِي بَعْضِ الْكَلِمَاتِ .

لَهُ وَرَعٌ حَاجِزٌ^(١) وَزَهْدٌ نَاجِزٌ^(٢) ، وَخَوْفٌ مِنَ اللَّهِ يُحْفِيهِ^(٣) ، وَجَهْدٌ فِي الْعِبَادَةِ يُخْفِيهِ ، إِلَى نَفْسٍ سَلِيمَةٍ ، وَسِرِّ قَوِيمَةٍ ، وَتَوَاضُعٍ يَدُلُّ لَارْتِفَاعِ الْقِيَمَةِ ، مَعَ جَاهٍ عَظِيمٍ ، يَبْذُلُهُ لِكُلِّ كَرِيمٍ ، فَكَمْ قُضِيَتْ بِهِ مَغَارِمُ ، وَيُنِيَتْ مِنْهُ مَكَارِمُ .

وَإِذَا أَمَرُوا أَسَدِي إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهُمَا مِنْ مَالِهِ^(٤)

تُوفِّيَ بِمَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ فِي الْمَحْرَمِ مِنْ سَنَةِ (١٣٦٧هـ) ، فَاشْتَدَّ الرَّغْبُ ، وَأَنْجَدَعَ الْعَرْنَيْنُ^(٥) ، وَعَظُمَ الْمَصَابُ ، وَأَظْلَمَتِ الْحَصَابُ^(٦) .

وَلَهُ أَخَوَانِ عَلَى قَدَمِ الصَّلَاحِ وَالْعِبَادَةِ وَالتَّوَاضُعِ ، وَهُمَا : أَبُو بَكْرٍ وَعَبْدُ الْقَادِرِ ، لَمْ تَزَلْ مَجَالِسُهُ مَعْمُورَةً بِهِمْ وَيَأْوِلَادِهِ ؛ وَهُمْ : حَسَنٌ وَعَلِيٌّ وَفَضْلٌ وَسَلَامٌ وَعَمْرٌ وَمُحَمَّدٌ ، وَأَوْلَادُ عَمَّهُمْ : حُسَيْنٌ وَهَاشِمُ ابْنِي عَبْدِ الْقَادِرِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، نَسَأُ اللَّهُ تَحْقِيقَ الْأَمَالِ ، وَإِصْلَاحَ الْأَعْمَالِ ، وَأَنْ لَا يَشْغَلَنَا وَلَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بِحَبِّ الْمَالِ .

وَمِنْهُمْ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ الْبَارِ ، وَوَلَدَاهُ : عَمْرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ ، يَسْكُنُونَ الْآنَ بَرَابِغَ .

وَفِي الْقَرِينِ جَمَاعَاتٌ مِنْ آلِ بَامَشْمُوسٍ ؛ وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بَامَشْمُوسٍ ، كَانَ مِنْ رِجَالِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ ، وَالتَّقْوَى وَالْعِبَادَةِ وَالنُّورِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ يَاسِينَ بَاقِيسٍ يَقُولُ : إِنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بَامَشْمُوسٍ نَظِيفُ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ ، كَأَنَّهُ مَلَكٌ دُخَانِيٌّ .

(١) الوزع : ترك الشبهات . حاجز : يحجزه عن الوقوع في المحرمات .

(٢) الزهد : ترك الشيء المقدور عليه . ناجز : تامٌ حاضر .

(٣) يحفيه : يمنعه ، ولهذا الكلام في علم البلاغة نكتة لطيفة ؛ إذ عندما يحذف الفاعل المفعول به . . فإنما يريد العموم ، والمراد هنا : أنه يمنعه من كل ما شأنه أن يُمتنع منه . والله أعلم .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (٢٩ / ٢) .

(٥) أنجدع : قُطِعَ . العرنين : الأنف ، وهو كناية عن الذل .

(٦) الحصاب : موضع رمي الجمار ، وإظلام الحصاب كناية على أن المصائب تأتي خبط عشواء ؛ كما ترمى جمار العقبة إذا كانت مظلمة .

وجماعاتٍ مِنْ آلِ باعامِرٍ ، وآلِ باجنيدٍ ، وآلِ العيدِ ، وآلِ بامقابلٍ ، وآلِ
باحمدونٍ ، وآلِ بامنيفٍ ، ولعلَّ هؤلاءٍ مِنْ نَهْدٍ .

رَحَابُ^(١)

أخبرني الأَخُ الأَدِيبُ علويُّ بنُ عبدِ اللهِ الحَبَشِيُّ - وهو مِنْ سَكَّانِها - : أَنَّ ولايةَ
رحابٍ كانت لآلِ عبدِ اللهِ ، ومنهُمُ الأَمِيرُ الَّذِي يُخاطَبُهُ الْقَطْبُ الحَدَّادُ بقوله [في « ديوانه »
: [٣٨٣]

يَا جَمِيلَ أَنْ سِتَرَ اللهُ عَلَى الْخَلْقِ بَاقِي

ولمَّا ظهرَ بدرُ بنُ عبدِ اللهِ بُوْطُوَيْرِق . . صالحهُ آلُ عبدِ اللهِ^(٢) على أَسْتِقْلَالٍ داخليٍّ
لَهُمْ في بلادِهِمْ ، معَ اعترافِهِمْ بِسلطنتِهِ ورئاستِهِ عَلَيْهِمْ ، وقد شَخَصَ جميلٌ هذا إلى
الْيَمَنِ ، ومَثَلَ بينَ يَدَيِ إِمَامِ ذَلِكَ العَصْرِ ، فأَقْطَعَهُ رِحَابَ وجبالِها وأَصْقاَعِها ، وجعلَ
لَهُمْ رسوماً على مَصانِعِ بُضَّةٍ وَعُورَةٍ ، ويبيدُهُم وثيقتانِ مِنَ الأَثَمَةِ : إحداهُما مِنْ
المَهْدِيِّ ، والأُخرى مِنْ بَعْدِهِ .

قالَ السَّيِّدُ علويُّ : (وقد أَمروني بِنَقْلِهما لَمَّا ظَهَرَتْ عليهما آثارُ الأَندثارِ ،
فَنَقَلْتُهُما بِالْحَرْفِ) ، قالَ : (وكانَ يركَبُ مِنْهُمُ أربَعونَ فارساً ، ولمَّا أَسْتولى الْقُعَيْطِيُّ
على الوادي الأَيمَنِ في سَنَةِ « ١٣١٧ هـ » . . يَاسِرُهُم وأَعفاهُم مِنَ الرُّسومِ ، وأَبْقَى لَهُم
بعضَ الحَقِّ في إِقْطاعِ السُّفُوحِ لِمَن أَرادوا ، ومنهُمُ : أبو عامِرٍ^(٣) المشهورُ) ، هذا

(١) رحاب : من قرى الجانب الشرقي للوادي الأيمن ، فيها السادة آل الحَبَشِيِّ ، وآل الجفريِّ ، وفيها :
آل باعبد الله ، وآل باشمَاح ، وآل باجنيد ، وآل بامشموس ، وآل باداود ومنهم جماعة في حوفة ،
وآل بابراهيم . وفي رحاب : ضريح الشيخ ناجه ، ويقال له : ناجه بن أمتع ، ولعلَّه جدُّ الشيخ
يوسف بن أحمد المارِّ ذكره في الحسوسة ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(٢) آل عبد الله هؤلاء هم آل باعبد الله ، وسيأتي قول المصنِّف أَنَّهُم من بني هلال على الأغلب . وليسوا آل
عبد الله الكثيريِّين ، فليعلم .

(٣) أبو عامر : شاعر شعبيٌّ له حِكَمٌ وأمثال ، لا زال النَّاسُ يَرُدُّونَها ويستشهدون بها . ويقال إنه =

ما يقوله السَّيِّدُ علويّ ، والعهدَةُ عليه ، وقد بسطناه مع جملة من أشعار أبي عامر في «الأصل» .

ويزعم آل عبد الله أنّهم من بني هلال ؛ فمرجعهم وآل خليفة وآل مَرْخَة - السَّابِقِ ذِكْرُهُمْ قُبَيْلَ جَرْدَان - إلى قبيلة واحدة ، وقد أنكر بعضهم ما اشتهر على الألسنة من هجرة بني هلال^(١) من حَضْرَمَوْتَ إلى المغرب ، وليس في محلّه ، ولا سبب له إلاّ عدم الأطلاع ، وإلاّ . . . فقد كانت خيامهم ضاربة من الكَسْرِ إلى العَبْرِ إلى الدّهْناء إلى نجد ، ويتأكّد ذلك بما بين أشعارهم وأشعار الحَضْرَمِيِّينَ من التَّشَابُه ، وكثيراً ما يوجد في شعر العامّة بحَضْرَمَوْتَ أنّهم غزوا برقة وقابس ، والشَّعرُ ديوان العرب ، وكذلك يوجد تشابه في أسماء الأشخاص ، ولاسيما النِّساء والبلدان والبقاع .

ومن أبطال بني هلال المعروفين : حَسَّانُ بْنُ سِرْحَانَ .

وسلامة بن رزق ، وهو أبو زيد الهلالي بطل القصّة التي يزعم بعضهم أنّها خرافة ، وأنّه إنما كان السَّبَبُ في تأليفها رغبة حصلت في بيت الخليفة العبيديّ بمصر ، فأرادوا أن يشغلوا عنها النَّاسَ ، والحق أنّ لها أصلاً صحيحاً حقّقهُ العلامةُ ابنُ خلدون .

وقال لي بعضهم : (إِنَّهُ أَطْلَعَ عَلَى رحلة كتبها مركبول الإيطالي^(٢) ، ذكر فيها أنّه رأى سفن البرتغال راسية في الخليج الفارسيّ تنتظر سكّون هَيْجَانِ الْبَحْرِ ، فخالط أهلها - وهُمْ لَفِيفٌ مِنْ عَرَبٍ شَبِهَ الْجَزِيرَةَ - ففَرَسَ أَنَّ التَّشَابُهَ بَيْنَ أَشْعَارِ عَرَبِ الْجَزِيرَةِ

= شخصيتان : الأول وهو القديم من قرية المخينيق ، والأخير لعله الذي عناه المصنف وهو في القرن الحادي عشر ، وهو الذي مدح الإمام الحداد . وللسيد جعفر السقاف « نبذة » في أخباره .

(١) قبيلة بني هلال : هناك خلاف طويل حول قبيلة بني هلال ، وهل هي من حضرموت أو ليست منها ، والمؤلف يرى الأول وللأخ عمر أبي بكر باذيب مقال بعنوان : « اختلاف الرّواة حول مواطن قبيلة بني هلال لا ينفي هجرتهم من جزيرة العرب » جنح فيه إلى السبر التاريخي ومناقشة أقوال السابقين ، وله مقال آخر بعنوان : « حل الإشكال في أصول وموطن بني هلال » نشر في جريدة المدينة عدد يوم الأربعاء (٤) ذو الحجة (١٤١٥ هـ) .

(٢) هو ماركو پوللو ، الرحالة الإيطالي الشهير ، ولد بالبندقية بإيطاليا سنة (١٢٥٦ م) ، ومات سنة (١٣٢٣ م) . زار الهند والصين وغيرها ، ولم يصدقه معاصروه عندما نشر مشاهداته .

وَأَهْلَ الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى نَاشِئٌ مِنْ تَرْدُدِ الْتَوْتِيَّةِ^(١) وَالتَّجَارِ مِنْ تِلْكَ الْأَجْهَاتِ (اهـ بمعناه .

ونحن نوافقه في التشابه ، ونقول : إِنَّ السَّبَبَ الْأَصْلِيَّ اتِّحَادُ الْعَنْصَرِ ، وسيأتي ما يتعلق به في وِبَارٍ آخَرَ هَذَا الْكِتَابِ .

وفي « رسالة » موجودَةٍ بِخِزَانَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْفِيفٍ - السَّابِقِ ذِكْرُهَا فِي كِنِينَةٍ - أَنَّ آلَ بَاعُوَيْدِينَ وَآلَ بَاحِكِيمٍ وَآلَ مَاضِي كُلِّهِمْ مِنْ بَنِي هَلَالٍ ، وفيهِ تَأْيِيدٌ لِبَعْضِ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَبَشِيُّ .

هَدُون

قريةٌ كبيرةٌ لها جامعٌ كبيرٌ ، في شرقيِّه قَبْرٌ طَوِيلٌ ، يقالُ : إِنَّهُ قَبْرُ هَادُونَ بْنِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ولا ذِكْرَ لَهُ فِي السِّيَرِ وَالتَّارِيخِ ، وَلَكِنْ نَقَلَ صَاحِبُ « الْإِبْرِيْزِ » عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الدَّبَّاحِ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ هُوَيْدًا مَرَّسَلٌ لِأَهْلِ الْأَحْقَافِ ، فَذَكَرَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ أَنَّهُ يَعْنِي هَادُونَ بْنَ هُودٍ .

وَأَهْلُ دَوْعَنْ مَصْفَقُونَ عَلَى ذَلِكَ ، ولا غَرَابَةَ فِيهِ مَعَ كَثَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ بِحَضْرَمَوْتَ ؛ إِذْ هِيَ - كَمَا قَرَّرْنَا فِي مَوَاضِعِهِ مِنْ « الْأَصْلِ » - مَقَرُّ الْأُمَمِ الْكَبِيرَةِ : عَادٍ وَثَمُودَ ، وَأُمَيْمٍ وَعَبِيلٍ ، وَوَبَارٍ ، وَطَسْمٍ ، وَجَدِيسٍ وَغَيْرِهِمْ . . فلا مَجَالَ لِلْإِنْكَارِ ، كَمَا لا مَعْوَلَ إِلَّا عَلَى النَّصِّ^(٢) .

وَالَّذِي عِنْدَ الْهَمْدَانِيِّ [١٦٧] : (أَنَّ خَوْدُونَ وَدَثُونَ وَهَدُونَ وَعِنْدَ قُرَى لِلصَّدْفِ بِحَضْرَمَوْتَ) . ذَكَرَهَا الْبَكْرِيُّ ، وَضَبَطُ هَدُونَ عِنْدَهُ مِثْلُ دَثُونَ .

وفي هَدُونِ جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ عَقِيلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ ، أَخِي السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ .

(١) التَوْتِيَّة - جمع توتِي - وهو : المَلَّاحُ الَّذِي يَدِيرُ السَّفِينَةَ فِي الْبَحْرِ .

(٢) تقام في هدون زيارة سنوية عقب الانتهاء من زيارة نبي الله هود أسفل حضرموت ، وبالتحديد في منتصف شهر شعبان .

وجماعة من آل باعثمان ، منهم : العلامة الشيخ عمر باعثمان الذي كان موجوداً في سنة (١٣٢٠هـ) ، وقد استقدمه السلطان عوض سنيذ محمولاً على الأعناق لشيخوخته ، وكان الغرض من استقدمه أن تكون فتواه الفاصلة فيما بين السلطان عوض وأبناء أخيه عبد الله ، وكل ذلك مفصّل بـ « الأصل »^(١) .

وقد سبق في الرشيذ أن السيّد عبد الله بن عبد الرحمن الحبشي انتقل منها إلى رحاب ، وبها توفي سنة (١٣٢٠هـ) ، وهو والد السيّد علوي صاحب النكات والنوادر ، ومنها : أن رجلاً أوصى بثلاث مئة دينار في سبيل الخير ، فتأثم ولده أن يفرّقها ، وأشكل عليه الأمر ، فدفعها إلى أحد القضاة ، بشرط أن يضعها في موضعها ، فلم يكن من القاضي إلا أن أعطى بنته مئة ، وزوجته مئة ، وبقيت مئة ، فلما حضر عشاؤه . أدنى وعاءه للهرة ، فأختطفت قطعة اللحم ، فأمسكها وقال لها : أمّا لحمي . . فلا سبيل إليه ، ولكن عندي مئة دينار للصدقة وأنت من مستحقيها ، فإن أردت أن تشتري بها اللحم . . كان لك ذلك . ثم ضغط على أذنها فماوت^(٢) ، فقال لها : وأنا بعث عليك ، فذهبت باللحم ، وذهب هو بالدنانير .

ومن سكان هدون : آل باشيخ ، ومنهم : العلامة الجليل ، التقي الورع الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باشيخ ، تولى القضاء بالمكلا ودوعن ، ومات حوالي سنة (١٣٤٢هـ)^(٣) .

وفي حوادث سنة (٦٠٥) من « تاريخ باسراجيل » : (أن آل عندل هجموا على آل باشيخ ، فقتلوا عبد الله بن أحمد ، وأخرجوا باقيهم إلى شبام ، وكان عبد الملك بن أحمد في شبام) .

(١) آل باعثمان هؤلاء الغالب أنهم من آل العمودي ، على عادة أهل دوعن في إطلاق (با) على الأب أو الجد ، وفيهم علماء أعلام .

(٢) ماوت : أصدرت صوت المواء .

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن عمر باشيخ الدوعني الهدوني ، ترجم له صاحب « الشامل » (١٥٥ - ١٥٩) .

وسياتي في سيئون عن الشَّيْخِ عليٍّ باصبرين أنَّ آلَ باشيخٍ بسيئونَ يَرجعونَ في النَّسَبِ إلى بني العَبَّاسِ ، والعَجَبُ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ آلَ باشيخٍ بدوَعنَ معَ قُربِهِم إلىهِ ، والأَظَاهِرُ أَنَّهُم قَبِيلَةٌ واحدةٌ . واللهُ أَعْلَمُ^(١) .

غِيلُ بَلْخَيْرِ

قريةٌ صغيرةٌ فيها عينٌ قليلةٌ الماءِ ، وفيها المشايخُ آلُ بلخير^(٢) ، المنسوبةُ إليهم تلكَ القريةُ وغيلُها ، ومرجعُهم في النَّسَبِ إلى أبي الخيرِ - أحدِ ملوكِ بني عمرو بن معاويةَ آلَتي ذَكَرَهُ في تَريمَ - وقد نجعوا من تَريمَ إلى الغَرفةِ ، وبها منهم بقايا ، ثُمَّ نَجَعَ هَؤُلاءِ إلى دوعنَ .

(١) تأتي بعد هدون في الجانب الشرقي : خُسُوفُ - بضمَّتين فسكون فكسر فاء - : بها آل بغلف ، وآل باتيَّاه ، وآل بامانع ، وآل باستبل .

ومن آل بغلف : التاجر الشهير ذو المبرات والصدقات محمد بن أحمد بغلف ، المتوفى بجدة ، كان من كبار أثرياء جدة ، وهو الذي أدخل شبكة المياه إلى دوعن ، وكثير من بلدان وقرى حضرموت ، ومد لها الأنابيب ، واهتم بإنشاء السقايات في الطرق ومواضع نزول الركاب والمسافرين ، وله أوقاف وأربطة متعددة في جدة وحضرموت وغيرها ، رحمه الله تعالى ، وقام بتوسيع عدد من كبريات المساجد .

ثم حصن العجوب : وفيه القُثم . ثم قارة الخَزَب : أي الخزف ، وفيها : آل باميلح ، والبامعوضة ، وآل باحمدين ، الذين منهم التاجر عبد الله بن محمد باحمدين ، المولود بمكة سنة (١٣٢٩هـ) ، والمتوفى بها ، سنة (١٣٦٩هـ) ، عن (٤٠) عاماً ، كان محظوظاً في التجارة ، أسس مصانع الثلج ، ومطبعة باحمدين بمكة وجدة ، ترجم له صديقه الأستاذ محمد علي مغربي في « أعلام الحجاز » وفاءً له ، (٩٨-٨٩/١) .

(٢) آل بلخير : قدمنا ذكر أصلهم ونسبهم ، وظهر فيهم جماعة من أهل العلم والأدب والفضل ، سيذكر المؤلف ههنا أعيانهم . ونزيد هنا : ١- أن الجد الجامع لآل بلخير هو الشيخ الصالح حسن بلخير ، عاش في القرن السابع الهجري ، عاصر الشيخ سعيداً العمودي وأخذ عنه ، توفي بالقوية . ٢- وابنه أحمد بن حسن بلخير ، توفي بالقرين ، أخذ عن الشيخ يوسف بن أحمد باناجه بحر النور . ٣- جمع الشيخ المعمر الصالح سالم بن حسن بن سالم بلخير المولود سنة (١٣٢٢هـ) ، والمتوفى بجدة سنة (١٤٠٩هـ) ، كتاباً سماه : « القصبة في مَعْرِفة العَصْبَةِ » وقَرَّظَه العلامة الناختي ، وفيه معلومات هامة عن هذه الأسرة .

ومنهم : أفاضلُ الشَّيْخِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَلْخَيْرٍ ، وَرَدَ إِلَى سَيِّتُونٍ مِنْ دُوعَنَ وَهُوَ فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عَمْرِهِ ، فَأَوَاهُ وَالِدِي وَتَرَبَّيْتُ فِي دَارِنَا ، وَعَنْهُ تَعَلَّمْتُ وَالدَّتِي - الشَّرِيفَةُ ، الْجَلِيلَةُ الْعَفِيفَةُ ، نُورُ بَنَتْ مُحَمَّدٍ بْنِ سَقَّافٍ مَوْلَى خِيَلِهِ - أَلْتَوَفَّاهُ سَنَةَ (١٣٤٠ هـ) - الْكِتَابَةَ ، وَعَلَيْهِ قَرَأَتْ الْقُرْآنَ .

وَقَدْ لَبِثَ زَمَنًا طَوِيلًا يَتَعَلَّمُ الْفَقْهَ وَالنَّحْوَ وَالْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ عَلَى وَالِدِي ، وَعَلَى تَلْمِيزِهِ وَخَادِمِهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الدُّثْنِيِّ فِي دَارِنَا ، عَلَى نَفَقَةٍ وَالدِّنَا .

وَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَلْخَيْرٍ كَثِيرَ التَّوَجُّهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى التَّلَعُّمِ ، حَتَّى لَقَدْ أَلْتَزَمَ بِطَرِيقِ النَّذْرِ الشَّرْعِيِّ أَنْ لَا يَنَامَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ حَتَّى يَحْفَظَ صَفْحَةً مِنْ « تَحْفَةِ الْعَلَامَةِ أَبِي حَجَرٍ » ، وَكُنَّا نَتَعَجَّبُ مِنْ هَذَا النَّذْرِ الْغَرِيبِ فِي بَابِهِ ، حَتَّى رَأَيْنَا مَا جَاءَ فِي (ص ٣٤ ج ٢) مِنْ « الْمَشْرِع » عَنِ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ أَبِي بَكْرٍ الْعَدْنِيِّ أَبِي سَيِّدِنَا عَبْدَ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ : مِنْ أَلْتَزَامِهِ بِطَرِيقِ النَّذْرِ الشَّرْعِيِّ مَطَالَعَةَ شَيْءٍ مِنْ « الْإِحْيَاءِ » لِلْغَزَالِيِّ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

وَمَا ذَكَرَهُ الثُّعَالِبِيُّ فِي « الْيَتِيمَةِ » : أَنَّ أَبْنَ سَكْرَةَ الْهَاشِمِيَّ حَلَفَ بِطُلَاقِ أَمْرَاتِهِ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّهِ أَنْ لَا يُخْلِي بِيَاضَ يَوْمٍ مِنْ هَجَاءِ الْقَيْنَةِ السُّودَاءِ الْمَعْرُوفَةِ بِخُمَرَةٍ ، فَكَانَتْ أَمْرَاتُهُ تَجِيئُهُ بِالْأَدَوَةِ وَالْقُرْطَاسِ كُلَّمَا أَنْفَتَلَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ لَا تُفَارِقُ مَصَلَّاهُ حَتَّى يَقْرُضَ فِي هَجَائِهَا وَلَوْ بَيْتًا .

وَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَلْخَيْرٍ هَذَا يَتَنَاوَبُ السَّفَرَ مَعَ إِخْوَانِهِ إِلَى سَنَغَاوَرَةِ ، وَلَهُمْ هُنَاكَ سَدَانَةٌ^(١) مَشْهُدُ السَّيِّدِ الصَّالِحِ نُوحِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَبْشِيِّ أَلْتَوَفَّى سَنَةَ (١٢٨٧ هـ) .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ : قَالَ بَلْخَيْرُ بَيْتُ عِلْمٍ وَعِبَادَةٍ ، وَتَقْوَى وَصَلَاحٍ ، وَضِيَاةٍ وَشَهَامَةٍ ، حَسَبًا يَلِيقُ بِنَسَبِهِمُ الصَّمِيمِ .

وَمِنْ آلِ بَلْخَيْرٍ : الشَّهْمُ النَّجِيبُ ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بَلْخَيْرٍ^(٢) ، ثَقِفْتُ

(١) السَّدَانَةُ : الْخِدْمَةُ .

(٢) صَوَابُهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو .

لَقَف^(١) ، شاعرٌ كاتبٌ أمينٌ ، شريفٌ النَّفْسِ ، طاهرٌ النَّحِيْزَةِ^(٢) .
 عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرَّجَالُ خِلَالَهُ وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا قِسْمَةٌ وَنَصِيبُ
 أَمَّا عُوْدُهُ . . فَأَدَّبَ وَفَضَّلَ ، وَأَمَّا عِرْقُهُ . . فَشَرَفٌ وَنُبُلٌ ، وَأَمَّا ثِمَارُهُ . . فَعِلْمٌ
 وَعَقْلٌ ، وَحُسْبُكٌ مِنْ نُبُلِهِ أَنَّ بَاكُورَةَ ثِمَارِ أَدَبِهِ ، وَمَخَائِلُ نَوْءِ فَضْلِهِ : كِتَابُ « وَحْيِ
 الصَّحْرَاءِ » الَّذِي لَا بَدَّ أَنْ يَرْتَفَعَ عَنْ مَسْتَوَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا بَقِيَ عَلَى مُمَارَسَةِ الْعِلْمِ
 وَالْأَدَبِ ، وَهُوَ الَّذِي اقْتَرَحَ عَلَيَّ تَأْلِيفَ هَذَا بِإِشَارَةِ وَلِيِّ عَهْدِ الْحِجَازِ وَنَجْدٍ ، لِيُضَمَّهُ
 إِلَى مَا يَنْوِيهِ مِنْ تَقْوِيمِ بِلْدَانِ الْجَزِيرَةِ بِأَسْرِهَا .

قَرْنٌ مَاجِدٌ^(٣)

قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ ، كَانَتْ وَلَايَتُهَا لِلشَّيْخِ عُبُودٍ أَوْ عَبْدِ اللَّهِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ - وَيُلَقَّبُ
 بِالْقُحُومِ^(٤) مِنْ آلِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْعُمُودِيِّ ، وَلَهُ أَخْبَارٌ عَجِيبَةٌ ، وَأَشْعَارٌ عَلَى
 لِسَانِ أَلْعَامَةِ جَزَلَةٌ طَرِيفَةٌ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :
 عَيْنِي وَجِيعَةٌ يَا أَهْلَ لِيَّاتِ الظَّرْفِ وَانْكِرْ وَجَعَ عَيْنِي وَقِعْ مِنْ يَدِّي
 وَأَنْ الْقَبِيلِي قِرْشٌ لَمَّا يَضْطَرِّفُ إِذَا اضْطَرَّفَ ضَاعَتْ عَلَيْهِ الْعَدِّي
 وَقَدْ وَازَنْتُ فِي « الْأَصْلِ » بَيْنَ هَذَا وَشَعْرِ لِسَيْدِ أَهْلِ الْوَبَرِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمِ
 الْمَنْقَرِيِّ^(٥) . . فَرَجَحَ هَذَا .

(١) ثَقَفَ لَقَفَ : ذُو فُطْنَةٍ وَذَكَاةٍ ، وَاللَّقْفُ : الَّذِي يَفْهَمُ الْكَلَامَ بِسُرْعَةٍ وَيَحْفَظُهُ .

(٢) النَّحِيْزَةُ : الطَّبِيعَةُ .

(٣) قَرْنٌ مَاجِدٌ : فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْ خَدِيشٍ ، وَمِنْ سَكَانِهَا : آلُ الْقُحُومِ الْعُمُودِيِّ ، وَآلُ
 بَارِيَانٍ ، وَآلُ بَانُوَيْرٍ ، وَآلُ بَايُوسُفٍ ، وَآلُ بَاوَجِيَهٍ (عُمُودِي)

(٤) الشَّيْخُ عُبُودُ الْقُحُومِ الْعُمُودِي كَانَ أَمِيرًا عَلَى قَرْنٍ مَاجِدٍ ، وَكَانَ شَاعِرًا مَجِيدًا ، فَفِيهَا عَالِمًا ، طَلَبَ
 الْعِلْمَ فِي مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ ، وَصَحْبَهُ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بَاشْمِيلٍ - الْآتِي ذِكْرُهُ فِي الْعَرَسَةِ -
 وَالْجَمْعُ دَارَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَوْلَقِيِّ ، ذَكَرَ ذَلِكَ فِي « الشَّامِلِ » (١٩١) ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٢٩٦ هـ) .

(٥) هُوَ قَيْسُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ سَنَانَ الْمَنْقَرِيِّ السَّعْدِيِّ التَّمِيمِيِّ ، أَحَدُ أُمَرَاءِ الْعَرَبِ وَعُقْلَانُهُمْ ، كَانَ شَاعِرًا ،
 اشْتَهَرَ وَسَادَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَفَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ضَمَنَ وَفَدَّ تَمِيمٍ ، وَمَاتَ سَنَةَ =

وَمِنْ مُحَاسِنِ شِعْرِهِ ، وَبَعْضُهُمْ يَرْوِيهِ لِغَيْرِهِ :

الْهَرَجُ لَهُ شَوْكَةٌ وَلَهُ مِيزَانٌ قَدَّامَ مَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَلْقُومِ
وَالَّذِي خَرَجَ شَاهِذًا عَلَى الْإِنْسَانِ مِثْلَ الظَّرْفِ لِي قَابِلَ التَّبْشُومِ

و (التَّبْشُومُ) : هُوَ الْبَارُودُ ، يَكُونُ فِي أَسْفَلِ الْبَنْدَقِ . و (الظَّرْفُ) : نَابُ الْفَتِيلَةِ
الْمَشْتَعَلَةِ ، إِذَا لَاقَتْ الْبَارُودَ . أُنْدَفَعَ وَصَاحَتْ الْبَنْدَقِيَّةُ^(١) .

وَمِنْهُ قَوْلُهُ فِي وَصِيَّتِهِ لِابْنِهِ :

يَا اللَّهُ يَا رَبَّاهُ يَا جَزَلَ أَلْعَطَا عَبْدُكَ دَعَاكَ

خَائِفٌ رَهِيْنُ الذَّنْبِ رَاجِي مِنْ قَبْلِ جُودِكَ فِكَاكَ

إِلَى أَنْ قَالَ :

الشَّدَّةَ الشَّدَّةَ بِهَا طُولَ الْمَدَى عَامِلٌ عِدَاكَ

وَلَا يَرْوَعُكَ فَسَلْ فِي الْوَقْتِ أَلْعَصِبَ يَهْدِمُ بِنَاكَ

وَأَنْ بَاتِحُوضِ الْمَاءِ تَوَحَّ الْغُوطِ قَدَّمَ لُهُ عَصَاكَ^(٢)

وَأَذْفَعُ بِمَيْسُورِكَ وَلَا تَكْرَهْ إِذَا الطَّارِشُ ضَوَاكَ^(٣)

= (٢٠هـ) ، وفيه قال صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا سيد أهل الوبر » .

« الأعلام » (٢٠٦/٥) .

(١) هل هنا نذكر بعض القرى والمواضع التي لم يذكرها المصنف . . حسب ورودها في « الشامل » . . فذكر بين غيل بلخير وبضه :

ظاهر : فيه الباطنين ، والبازيخ ، والبانؤير ، وهو بالجانب القبلي ، ، وهذه القبائل كلها من نوح .

عرض باسويد : فيه آل باسويد .

مطروح : فيه المشايخ آل باجمال ، والقُثم ، وآل عفيف ، وباسويد ، وباجنيد ، وبانبيلة ، وباوادي ، والحداد (آل الحداد . . وهم غير آل الحداد العلويين) .

الجبيل : تقدم ذكرها .

قارة بافنع فيها : آل بافنع ، ثم حصن باعبد الصمد : فيه آل خرد ، آل باشويّة .

(٢) تَوَحَّ الْغُوطِ : استكشف مدى عمقه بغرز العصا فيه .

(٣) الطَّارِشُ : الضَّيْفُ . ضَوَاكَ : أَتَاكَ مَسَاءً .

وأهل قرن ماجد يغضبون إذا قيل : (اتقوا الله) ، وسبب ذلك أنه كان لواحدٍ علب - وهو شجرة السدر - في جربة أحدهم ، فعرض عليه فيه أكثر من قيمته . . فامتنع ، فلم يكن إلا أن سرى بأهل قريته فأجتثوه من أصله واحتملوه ، ولم يتركوا له أثراً - لا ورقة ولا غيرها - ثم أثاروا الأرض من ليلتهم ، ولما جاء صاحبه . . تحير في أمره وأندشش في نفسه وأختلج في عقله ، وظن أن بصره كذبه ، ثم صاح : (اتقوا الله يا أهل قرن ماجد ، أين علبى ؟) ، فصاروا يغضبون من ذلك .

وأما الوادي الأيسر : فأولُه على يمين الداخل إليه :

العَرْسَمَة^(١)

وهي من كبريات قرى الوادي الأيسر ، كان بها ناسٌ من آل مُقْبِل^(٢) ، منهم : الإمامُ الفاضلُ المجذوبُ عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ مُقْبِل^(٣) ، المتوفى سنة (١١٩٥ هـ) .

ومنها : آل باشمِل ، كانوا مشهورين بالعلم والصَّلاح ؛ ومنهم : القاضي المشهورُ أحمدُ بنُ محمدٍ شمِل ، له فتاوى مفيدةٌ جامعةٌ ، يُقال : إنها عند الشيخ عبد الله بن سعيد باجنيد .

(١) بفتح العين وسكون الراء ، ثم فتحتين ، وهي في الجانب القبلي ، وحولها شعاب ؛ منها ذلوت ، وشعب الغبرا ، وشعب كحِلا ، وشعب الأوسط .

(٢) آل مقبيل - تصغير مقبل - وهم : منسوبون للسيد الشريف أحمد مقبيل ابن علوي الأعين ابن عبد الله بن علوي بن محمد مولى الدولة . . إلى آخر النسب ، وهو من أهل القرن العاشر ، توفي ابنه عمر شريف سنة (٩٩٦ هـ) بتريم ، وعلوي سنة (٩٩٩ هـ) ، ومن أبنائه أيضاً : عبد الله ، توفي كاخوته بتريم ، وزين ، توفي بالشحر ، وله بها عقب .

(٣) ترجم له في « الشجرة العلوية » : كان إماماً فاضلاً ، وشريفاً ناسكاً ، مجذوباً ولياً تقياً صالحاً صرفياً ، له هبة عظيمة ، وكرامات جسيمة ، توفي بالعرسمة من وادي دوعن الأيسر ، يوم الجمعة (٢) رجب سنة (١١٩٥ هـ) ، ذكره في « فيض الأسرار » اهـ

وقد أفرده بالترجمة الشيخ أحمد باشمِل بكتاب سماه : « النفحات السرية البهلوانية والنفثات البلهية البليانية في ترجمة السلالة الهاشمية والبضعة النبوية » تقع في (١٢٨) صفحة (مخطوطة) ، صنفها سنة (١٢٢٢ هـ) .

ومنهم : أبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ شَمِيلٍ ، لَهُ رِسَالَةٌ فِي الْحَرَاثَةِ ذَاتُ فُصُولٍ مُمْتَعَةٍ ، تُوَفِّي سَنَةَ (١٣٠١ هـ) .

ومنهم - آلَان - سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَمِيلٍ ، طَلَبَ الْعِلْمَ بِتَرِيمٍ ، وَهُوَ آلَانٌ مُعَلِّمٌ مَسْجِدِ الْعَرْسَةِ وَالْمُدْرَسُ بِهَا .

وفيهما : آلٌ بَاخْشَبٍ مِنْهُمْ : الْمَكْرُمُ مُحَمَّدُ بْنُ بُوْبَكِرٍ بَاخْشَبٍ^(١) ، لَهُ تِجَارَةٌ وَاسِعَةٌ ، بِأَفْرِيقِيَا وَأُورُوبَا وَأَمِيرْكََا وَمِصْرَ وَالْحِجَازَ ، وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ الْأَعْمَالِ ، وَأَتَّصَلَ بِأَعَاظِمِ الرُّجَالِ ، وَوَجَاهَةِ ظَاهِرَةٍ لَدَى الْمُلُوكِ فَمِنْ دُونِهِمْ ، وَشَمٌّ يَسْطُرُ كَفَّهُ فِي مَعَالِي الْأُمُورِ إِلَى حَسَنِ طَرِيقَةٍ ، وَصَفَاءِ طَبِيعَةٍ ، وَسَعَةِ صَدْرِ ، وَكَرَمِ نَفْسٍ ، وَصَلَةِ أَرْحَامٍ ، وَإِعَانَةٍ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . إِلَّا أَنَّنِي أَخَافُ عَلَيْهِ أَنْدِفَاعَهُ فِي الْمَرْوَةِ مَعَ أَنْتِشَارِ اللَّؤْمِ ، وَتَرَاذِلِ الزَّمَانِ ، وَالنَّاسُ مَا رَكِبُوا ظَهْرًا إِلَّا أَدْبَرُوهُ ، وَلَا جَوَادًا إِلَّا عَقَرُوهُ ، وَأَكْبَرُ مَوْرِقِيهِ وَأَعَوَانِهِ عَلَى جَلَائِلِ أَعْمَالِهِ بَلَدِيَّةُ الشَّيْخِ سَالِمٍ عُبُودٍ بِالْعَمَشِ^(٢) ، وَهُوَ شَابٌّ نَشِيطٌ لَهُ يَقْظَةٌ حَاضِرَةٌ ، وَذَكَاءٌ غَالِبٌ ، وَتَبَصُّرٌ فِي الْأَرَآءِ ، وَنَسِيمٌ خَفِيفٌ ، وَكِفَايَةٌ تَامَّةٌ ، تَرْتِنُهَا بِسَطَةٌ فِي الْجِسْمِ ، وَشِدَّةٌ فِي الْأَسْرِ ، وَحُسْنٌ فِي الْبَيَانِ^(٣) .

(١) محمد أبو بكر عبد الله باخشب ، ولد بالعرسة ، وتوفي بجدة سنة (١٣٨٨ هـ) أو (١٣٩٠ هـ) . يعد من المساهمين الأساسيين في إنشاء جامعة الملك عبد العزيز بجدة ، إذ إنه في عام (١٣٨٦ هـ) قدم تبرعاً بمبلغ مليون ريال سعودي ، وبعد هذا المبلغ كبيراً جداً بمقياس ذلك الوقت ، وتقديراً لهذا فقد أطلقت الحكومة السعودية اسمه على أحد الشوارع الكبرى بقرب الجامعة في مدينة جدة .

(٢) توفي الشيخ سالم عبود بِالْعَمَشِ بـ (جدة) سنة (١٣٩٦ هـ) ، وهو كما ذكر المصنف من أهل الفضل والمعروف ، وفي « الشامل » : أن آل بِالْعَمَشِ كانوا في الأصل بـ (هين) .

(٣) لم يذكر المصنف هنا سوى آل باخشب ، وآل بالعمش ، واختصر جداً كما فعل في بقية قرى الوادي الأسير ، ربما لأنه لم يجد مسعفاً بالمعلومات . ومما يذكر في تاريخ العرسة كما في « الشامل » : أن حلفاً قام بها بين خمس بيوت من بيوتاتها ، وهذه البيوت هي : آل باشميل ، وآل باجخيف ، وآل بالعمش ، وآل باحسن ، وآل بازعزوع . هؤلاء هم الأحلاف .

وتقدم ذكر آل بالعمش وباخشب ، وأما آل باجخيف فكانوا أهل زراعة وحرث ، ولهم عناية بزاوية شهيرة عندهم ، تسمى : زاوية الغزالي ، وقد قام بعمارته منهم الفاضل الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله باجخيف في سنة (١٣١٣ هـ) ، ولا زالت معمورة إلى اليوم .

.....
= وأما آل باشميل : فهم من الأسر الشهيرة ، العلمية ، والمآثر الدينية ، وظهر فيهم رجال كانوا مفخرة لـ (دوعن) ولـ (حضر موت) ؛ كالشيخ العلامة الفقيه : أحمد بن محمد باشميل الآتية ترجمته .

وفي « الشامل » : أن آل باشميل قدموا من العبر ، وهم من قبيلة معضة - بالضاد أو الظاء مشددة - من قبائل الأزد القحطانية ، والشيخ أحمد باشميل - القديم - كان ينسب نفسه إلى معضة حيناً ، وإلى الأزد حيناً آخر كما صنع في بعض مصنفاته ، ولنذكر أعلامهم :

الشيخ أحمد بن محمد بن علي باشميل ، من أهل القرن الثالث عشر الهجري ، لم يؤرخ أحد لمولده ولا لوفاته ، ولكنه أدرك السيد عبد الله مقبيل صغيراً .

أخذ عن عدد من علماء دوعن وسيئون وتريم ومكة المكرمة ؛ منهم الحبيب عمر البار مولى جلاجل ، والحبيب عمر بن سقاف ، والحبيب عمر بن زين بن سميظ شيخ شيوخه ، والحبيب جعفر بن محمد العطاس صاحب (صبيح) .

وله ولدان : محمد وعبد الله . وكلاهما عالم فقيه ، وأشهرهما عبد الله ، الذي طلب العلم بـ (مكة المكرمة) بعد أن قرأ وتفقه على والده ، وتولى القضاء في الأيسر مدة ، وله أخبار وحكايات تروى ، وكان يرافقه في طلب العلم بـ (مكة) الجععدار العولقي ، والشيخ القحوم المتقدم ذكره قريباً في قرن ماجد ، كما في « الشامل » ، توفي سنة (١٣٠١ هـ) ، ومن الأخذين عنه : الحبيب طاهر بن عمر الحداد .

ومن آل باشميل : الشيخ محمد باعلي الفقيه باشميل ، المتوفى (١٣٨٦ هـ) ، والشيخ سعيد بن عبد الله بن سعيد الفقيه باشميل ، المتوفى سنة (١٣٩٠ هـ) تقريباً ، وكلاهما كان من أهل العلم ، درساً على يد السيدين العالمين عبد الله وعلوي ابني طاهر الحداد ، وتغربا في جاوة .

هذا وفي العرسة مساجد ؛ منها : مسجد الذماري ، ينسب للشيخ العلامة عبد الله بن محمد الطيار ابن عثمان بن عمر مولى خِصَمَ ابن محمد ابن الشيخ سعيد العمودي ، المتقدم ذكره ووفاته في صيف ، وسمي بالذماري لموته بـ (ذمار) ، مدينة مشهورة بـ (اليمن) .

وفي العصر الحاضر بني مسجد جامع بها هو مسجد خالد بن الوليد بناه الشيخ حنتوش رحمه الله تعالى .

تتميم :

ويأتي في الشق الشرقي تجاه العرسة :

عقبة حليّة - بكسر اللام وتشديد الياء - ومنها تتفرع الطرق إلى المكلا ووادي العين .

وبعد العرسمه حصون متفرقة ، منها حصن الريضة للبابليغيث (حالكي) ، وهو تجاه قارة الدخان ، ولهم حصن فوق ساقية الطفله أسفل القارة المذكورة .

قارة الدخان : في الجانب الشرقي ، وهي قارة منفصلة عن الجبل الشرقي ، بجانب عقبة حلية =

جَحْيُ الْخَنَابِشَةِ

وهو قرية للخنابشة آتت ذرو من أخبارهم في آخر قيدون ؛ منهم الآن : الشيخ عبد الله بن سعيد بن سالم الخنبي ، مضياف ، وله مروءة .

وفيهما ناس من السادة آل مقيبيل ، منهم : السيد الغريب الحال ، الطاهر البال : عبد الله بن أبي بكر الملقب بالنوام ، لكثرة نومه ، حتى إنه لينام على حماره ويسقط ولا يشعر .

وله أحوال شريفة ؛ منها : أنه تذكّر إشراق النور عند تلاوة القرآن والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فقال : هل ينكر ذلك أحد ؟ فقال الحاضرون : هل تقدر أن ترينا ذلك ؟ قال : نعم ، فتوضأ وصلى ركعتين ، ثم أمرهم بإطفاء الشرج - وكان الوقت ليلاً مظلماً - وشرع يقرأ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ ، فأشرق المنزل بمثل ضياء الشمس ، فبهت الحاضرون ، ولما انتهى الخبر إلى العلامة السيد عبد الله بن هادون بن أحمد المحضار . قال لآل مقيبيل : لا تلووا صاحبكم على شرب الدخان ؛ وإلا . . أوشك أن يطير عنكم .

وله مرأ صادقة ؛ منها : أنه أتته مرة منزجاً يقول : قتلوه ، قتلوه . . فجاء الخبر بمقتل سليم بن عيان بالقوينص السابق ذكر خبره في الكسر في تلك الساعة .

ومن آل مقيبيل بالجحي الآن : السيد حسين بن علوي مقيبيل .

ومنها : الشيخ سعيد باحفظ الله السابق ذكره في الرشيد ، وكان يحب الخير ، وهو الذي بنى جامع الجحي ، وله في القراءات إتقان بديع ، ومعرفة جيدة ، وهو صاحب

= شمالاً ، وفي جوانبها وأعلاها أساسات ديار تدل على أنها كانت بلدة كبيرة ، وفي أسفلها ، جواب عديدة لخزن الماء .

وفي الجانب القبلي بسفح الجبل : كوكه ، وتقدم الكلام عنها .

وبعد ما بقليل يلتقي مجرى الوادي الأيسر ومجرى وادي دوعن الأيمن .

ثم مخرج وادي فيل بالجانب الشرقي .

التَّارِيخِ الَّذِي أَخَذَهُ بَاصِرَةً وَلَمْ يَرُدَّهُ ، تَوَفَّى بَعْدَ الثَّلَاثِ مِائَةٍ وَالْفِ .

ومِنْهَا : صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ ، الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ بَاجِنِيدٍ ، طَلَبَ الْعِلْمَ بِمَكَّةَ ، وَوَلِيَ قِضَاءَ دُوعَنَ وَالْمُكَلَّا عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَدَرَسَ مَدَّةً طَوِيلَةً بِمَسِيلَةِ آلِ شَيْخٍ ، وَكَانَ فِي سَنَةِ (١٣٢٥ هـ) بِحُوطَةِ آلِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ يُدْرَسُ بِهَا ، وَلَهُ بَاعٌ فِي الْفَقْهِ ، وَبِضَاعَتُهُ مُزْجَاةٌ فِي النَّحْوِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ دَرَسَ فِيهِ بِالْحُوطَةِ ، وَكَانَ لَيْنَ الْعَرِيكَ ، سَهْلَ الْجَانِبِ ، عَذَبَ الرُّوحِ ، دَمِتَ الْأَخْلَاقِ ، وَاسَعَ الصَّدْرِ ، تَوَفَّى بِالْجَحِيِّ سَنَةَ (١٣٥٩ هـ) ، وَلَهُ وَلَدٌ أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، تَوَلَّى الْقِضَاءَ بِالْمُكَلَّا ، وَكَانَ طَلَبَ الْعِلْمَ بِمِصْرَ ، ثُمَّ فُضِّلَ عَنِ قِضَاءِ الْمُكَلَّا وَجُعِلَ مِنْ أَعْضَاءِ الْأَسْتِنَافِ بِهَا .

وَأَلَّ بَاجِنِيدٍ مُتَشَرُّونَ فِي رَحَابِ وَهْدُونِ وَالْجَحِيِّ وَالْمُكَلَّا وَعَدَنَ وَالْحِجَازِ ، وَمِثْرَاهُمْ بِالْخَرِيبَةِ ، حَتَّى لَقِيَ رُؤْيًى عَنِ الْحَبِيبِ حَامِدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَضَّرِ أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ الْخَرِيبَةَ . . فَإِذَا عَالِمُهَا : بَاجِنِيدٌ ، وَقَاضِيهَا : بَاجِنِيدٌ ، وَتَاجِرُهَا : بَاجِنِيدٌ ، وَدَلَالُهَا : بَاجِنِيدٌ ، وَقِصَّابُهَا : بَاجِنِيدٌ ، وَنَجَّارُهَا : بَاجِنِيدٌ ، وَسَائِرُ أَعْمَالِهَا بِأَيْدِي آلِ بَاجِنِيدٍ .

وَكَانَتِ الْخَرِيبَةُ أَوَّلَى بِأَخْبَارِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا تَدَحَّرَجَتْ عَلَيْنَا إِلَى هُنَا ، وَمِنْهُمْ الْيَوْمَ بَعْدَ الشَّابِّ الْغَيُورُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بُوْبَكْرِ بْنِ عَبْدِ الْبَاسِطِ ، لَهُ دِينٌ مَتِينٌ ، وَاهْتِمَامٌ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَخُوهُ الْمُكْرَمُ مُحَمَّدٌ ، وَأَبْنُ عَمَّهُمُ الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ ، وَالشَّيْخُ جَنِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَكُلُّهُمْ طَيِّبُونَ مُشْكُورُونَ .

وَمِنْهُمْ : الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بَاجِنِيدٍ ، الْغَنِيُّ بِأَسْمِهِ عَنْ كُلِّ تَعْرِيفٍ وَهُوَ أَحَدُ أَكْبَارِ عُلَمَاءِ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، بَلَ إِلَيْهِ أَنْتَهَتْ رِثَاسَةُ الشَّافِعِيَّةِ بِهَا بَعْدَ شَيْخِهِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ سَعِيدٍ بِابْصِيلٍ - وَقَدْ أَخَذْنَا عَنْ الْاِثْنَيْنِ - تَوَفَّى الشَّيْخُ عَمْرُ بِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ سَنَةَ (١٣٥٤ هـ) ، وَقَدْ سَبَقَ فِي الْخَرِيبَةِ عَنِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّرِ مَا يُصْرِّحُ بِرُجُوعِ نَسَبِهِمْ إِلَى مُضَرٍ .

وَمِنَ النَّوَادِرِ : أَنَّ الشَّيْخَ سَعِيدَ بْنَ بُوْبَكْرِ بَاجِنِيدٍ عَمَلٌ لِلْفَاضِلِ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ الْمُحَضَّرِ ضِيَافَةً بِدَارِهِ فِي الْخَرِيبَةِ سَنَةَ (١٣٣٧ هـ) ، وَمَا كَادَ يَسْتَقَرُّ بِهِ الْمَجْلِسُ

حَتَّى قَالَ لَهُ : خَبَرْنَا عَنْ نَسَبِكُمْ إِلَى مَنْ يَرْجِعُ يَا آلَ بَاجِنِيدٍ ، إِلَى الْحَبُوشِ أَوْ
السَّوَاهِلِيَّةِ ؟ فَلَمْ يَزِدِ الشَّيْخُ سَعِيدٌ عَلَى أَنْ قَالَ لَهُ : هَذَا جَزَاؤُنَا لَمَّا زَوَّجْنَاكَ وَضَيَّقْنَاكَ .

هَكَذَا أَخْبَرَنِي الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بِاسْوَدَانَ - وَكَانَ حَاضِرًا - وَلَوْ أَنَّ الشَّيْخَ
سَعِيدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ حَفِظَ شَعَرَ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ الْمُحَضَّرِ السَّابِقِ فِي الْخَرِيبَةِ . لَرَمَاهُ
بِحَجَرِهِ .

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ قَرَى الْوَادِي الْأَيْسَرِ عَرَضُ بَقَار^(١) . ثُمَّ عَرَضُ بَاهَيْثَم^(٢) . ثُمَّ
الْجَدِيدَةُ^(٣) . ثُمَّ جَرِيف^(٤) ، وَهِيَ قَرْيٌ صَغِيرَةٌ كَمَا يُعْرَفُ مِنَ الْإِحْصَاءِ الْآتِي .

وَمِنْ جَرِيفَ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْخٍ وَلَدُهُ عَلَوِيٌّ ، فَاضِلَانِ جَلِيلَانِ .

ثُمَّ صُبَيْخ^(٥) ، وَهِيَ قَرْيَةٌ وَاسِعَةٌ - كَمَا يُعْرَفُ مِنَ الْكَشْفِ - وَفِيهَا السَّيِّدُ الْجَلِيلُ

(١) وَيَسْكُنُهُ آلُ بَقَارَ ، وَهُمْ مِنْ بَنِي حَسَنِ السَّابِقِ ذَكَرَهُمْ فِي الْمَكَلَا ، وَفِيهِ أَيْضًا : عَكَابَرَةُ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ
كَانَ فِي هَيْنِ قَبِيلَةً مِنْ آلِ بَقَارَ .

(٢) وَفِيهِ : آلُ بَاهَيْثَمِ وَأَلُّ بَلْعَجَمَ : نَزَحُوا إِلَيْهَا مِنْ هَيْنِ .

(٣) وَفِيهَا : آلُ بَاذَقَ ، وَأَلُّ بِاسْلِمَانَ ، وَأَلُّ بَايَعُشُوتَ ، وَأَلُّ بَاغْزَالَ ، وَمَنْهُمْ الْعَالِمُ الْفَقِيهَ ، الْقَاضِي
الشَّيْخُ : عَمْرُ بَاغْزَالَ ، مِنْ تَلَامِذَةِ السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ مُحْسِنِ يُونُمِي ، يَسْكُنُ الشَّجَرِ الْآنَ .

(٤) بِكَسْرِ الْجِيمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ ، فِيهَا سَادَةٌ مِنْ آلِ بَاصِرَةَ ، وَفِيهَا آلُ بَاهِرِي ، وَأَلُّ بَاقِي - وَمَنْهُمْ جَمَاعَةٌ فِي
الْقَرِينِ ، وَأَلُّ بَالْحَمَرِ ، بِتَشْدِيدِ اللَّامِ - وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْحَالِكَةِ وَالْخَنَابِشَةِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنْ آلِ الْعُمُودِيِّ ،
وَبِاسْوَيْدَ . وَبِهَا سَادَةٌ مِنْ آلِ بَاصِرَةَ ؛ مِنْهُمْ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْخٍ ، وَابْنُهُ عَلَوِيٌّ ، فَاضِلَانِ . وَأَلُّ
بَاهِرِي حَالِكَةٌ مِنْ سَبِيحَانَ ، وَكَانَتْ لَهُمْ أَحْدَاثٌ وَحَرَكَاتٌ فِي التَّارِيخِ الْحَضَرَمِيِّ ، وَفِي « تَارِيخِ شَنْبَلِ »
ذَكَرَ لِبَعْضِ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ ؛ مِنْهَا إِغَارَتُهُمْ سَنَةَ (٩٣٧ هـ) عَلَى الشَّجَرِ .

(٥) تَقَعُ صُبَيْخُ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ لِلْوَادِي الْأَيْسَرِ ، وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنَ الشَّمَالِ سَاقِيَةُ الْبَلَدِ وَشُرُوجُهَا وَنَخْلُهَا
وَمَالُهَا . وَلَهَا تَارِيخٌ قَدِيمٌ .

وَمِنْ جَمَلَةِ سُكَّانِهَا مِنْ آلِ الْعُمُودِيِّ : آلُ بَاطُولِ ، وَأَلُّ بَاصِقَرِ ، وَأَلُّ الْمُخَشَّبِ ، وَمِنْ أَعْيَانِ
هَؤُلَاءِ : الشَّيْخُ الْفَقِيهَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعُمُودِيِّ .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمُخَشَّبِ الْعُمُودِيِّ . وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ الْفَقِيهَ النَّجِيبُ : سَعِيدُ بْنُ
أَحْمَدَ بَاصِقَرِ الْعُمُودِيِّ .

وَمِنْ آلِ الْعُمُودِيِّ أَيْضًا بِهَا : آلُ بَاعَمَرِ ، وَأَلُّ بُوَيْكِرَ ، وَبِهَا مِنْ غَيْرِهِمْ : آلُ بَايَسَرِ ، وَأَلُّ بَاكُورَاسِهِ ،
وَأَلُّ مَدَهْشَ ، وَأَلُّ بَاخْرَزِي ، وَبَايَكُورَ ، وَبَاعُوَيْدِينَ ، وَبَاكُلُكَا .

وَمِنْ آلِ بَاكُلُكَا : الشَّيْخُ الْفَقِيهَ الْقَاضِي سَعِيدُ بْنُ سَالِمِ بْنِ سَعِيدِ بَاكُلُكَا وَلَدَ بَصْبِيخَ سَنَةَ =

جعفر بن محمد العطاس ، أحد تلاميذ العلامة السيّد علي بن حسن العطاس وزوج إحدى بناته^(١) ، وقد سبق ذكره ولده محمد بن جعفر بغيل باوزير .

وكانت صبيح مهدي علم ومغرس معارف حتى لقد اجتمع فيها أربعون عذراء يحفظن « إرشاد ابن المقرئ » .

وأكثر سكّانها من آل العمودي ، ومنهم الشيخ الوقور محمد بن أحمد المخشبي ، له مساع مشكورة في إصلاح ذات البين ، وقد تزعم حركة الإصلاح في وادي الأسر لما أشتد عليهم الجور من أيام الوزارة المحضارية ، وكان الشيخ سالم عبود بلعش يساعده ، وهو لسانه وقلمه ، وصلاً معاً إلى سيئون وأقاما بها نحواً من (١٨) يوماً للمفاوضة مع المستشار .

وكانت صبيح تحت سلطة ابن خالد العمودي ، وكان مضرب المثل في الجور والظلم حسباً في « الأصل » ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

يَا نُوبَ زَنَحِي عَامِدِ الْحَيْدِ الْبَرْقِ عَامِدِ فِي الْغُرْفَةِ وَهِيَ مُحِمَّةٌ
لَا شَيْءَ عَسَلِ مِنْهُ وَلَا هُوَ ذِي فَرْقٍ يَرَعَى عُلُوبَ النَّاسِ بِالْغُصْبَةِ
فَأَجَابَهُ بِأَدْحَجِ بِقَوْلِهِ :

الدَّبْرُ وَالْعِثَّةُ يَجِيه بِالْمَدَى وَالطَيْرُ لَخَضَرُ بَايَجِيه بِالِدَوَامِ
لَا عُذْرَ مَا تَمْسِي جُبُوحُهُ خَالِيَةً الْبُطْلُ مَا لَهُ تَالِيهِ هُوَ وَالْحَرَامِ
(و) الدبر : معروف^(٢) . و(العِثَّةُ) و(الطير الأخضر) : آفات النُّوب^(٣) .

= (١٣٠٨هـ) ، وتوفي بالطائف سنة (١٣٧٥هـ) . قدم إلى الحجاز سنة (١٣٢٠هـ) وهو دون البلوغ ، ودرس في الحرم المكي الشريف ، ثم سنة (١٣٥٢هـ) صدر أمر بتعيينه قاضياً بجدة ، ثم تنقل في الوظائف الحكومية حتى استقر في الطائف إلى وفاته . « تاريخ القضاء في العهد السعودي » عبد الله محمد الزهراني (٣٠٢/٤) ، « الطائف في عهد الملك عبد العزيز » محمد آل سرور .

(١) توفي الحبيب جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن عمر العطاس بصبيح سنة (١٢٠٧هـ) ، أفردته بالترجمة تلميذه الفقيه أحمد بن محمد باشميل ، وله ترجمة في « تاج الأعراس » .

(٢) أي : الزنايب .

(٣) النُّوب : النحل .

ثُمَّ قَرْيٌ صَغِيرَةٌ^(١) .

ثُمَّ قَوْلَبَةٌ^(٢) ، وَهِيَ قَرْيَةٌ مَتَوَسِّطَةٌ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ ضَرْيَحِ الشَّيْخِ عَمْرٍ نَحْوُ سَاعَةٍ .
وَفِي رَأْسِ الْوَادِي قَرْيَةٌ عَلَى قُلَّةِ جَبَلٍ مَقْطُوعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا ، لَا طَرِيقَ لَهُ
إِلَّا مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ فِي غَايَةِ الْوَعُورَةِ ، تَتَرَاءَى دِيَارُهَا الْغُبَاءُ الْقَلِيلَةُ كَمَا تَتَرَاءَى طُيُورُ
الْقَطَا ، يُقَالُ لَهَا : حَيْدُ الْجَزِيلِ^(٣) ، مَشْهُورَةٌ بِزِيَادَةِ حُسْنِ عَسَلِهَا وَهِيَ عَلَى مَقَرِبَةٍ مِنْ
ضَرْيَحِ الشَّيْخِ عَمْرٍ مَوْلَى خُضَمِّ ابْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْعَمُودِيِّ ، الَّذِي يُنْسَبُ إِلَيْهِ
وَادِي الْأَيْسَرِ كُلُّهُ ، يُقَالُ : وَادِي عَمْرٍ ، يَعْنُونَهُ^(٤) .

وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ عَلَى يَسَارِ الدَّاخِلِ إِلَى وَادِي الْأَيْسَرِ : حَصْنُ الْخَنَابِشَةِ .
ثُمَّ الدُّوْقَةُ^(٥) ، وَفِيهَا السَّادَةُ آلُ مَقْبِيلٍ ، يَرَأْسُهُمْ آلَانُ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ بُوْبَكِرٍ
وَأَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ .

(١) وَمِنْ هَذِهِ الْقَرْيَ : حَصُونُ بَاسَعِدَ : سَكَانَهَا آلُ بَاسَعِدَ ، وَبَيْنَ الْعَمْرَ ، وَهِيَ حَالِكَةٌ . وَدَارُ بَامِخْرَ : فِيهِ
آلُ بَامِخْرَ وَشَرْجُ آلُ بَغْسَرٍ : مِنَ الْحَالِكَةِ . وَجَحِي بَاخْطِيبَ : فِيهِ آلُ بَاخْطِيبَ . وَالْمَشْقَعَةُ : فِيهَا آلُ
بَاوْزِيرَ . ثُمَّ حَصُونُ بَقْشَانَ وَخَيْلَةٍ ، سَيَاتِي ذَكَرَهَا .

(٢) وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ، تَسْتَقْبِلُ الشَّمَالَ وَالشَّرْقَ ؛ وَبِجَانِبِهَا شَعْبٌ ، وَفِيهِ غَيْلٌ ، يَغْرُسُونَ فِيهِ بَعْضُ
الْبَقُولِ . وَفِيهَا سَادَةُ أَشْرَافٍ مِنْ آلِ بَاعْقِيلِ السَّقَافِ ، وَوَلَاتُهَا آلُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ الْعَمُودِيِّ ، وَمِنْ
سَكَانِهَا : آلُ بَاقَادِرِ الْعَمُودِيِّ ، وَآلُ بَاقَرْوَانَ ، وَآلُ بَايُونَسَ ، وَآلُ بَازِيدَ ، وَآلُ بَاحِيدَانَ ، وَآلُ بَادَعَمَ ،
وَآلُ بَلْحَمَرٍ - بَسْكَوْنُ اللَّامِ وَفَتْحُ الْمِيمِ - مِنَ الْحَالِكَةِ .

(٣) حَيْدُ الْجَزِيلِ : وَاسْمُهُ فِي « الشَّامِلِ » : الْحَيْدُ الْجَزِيلُ ، قَالَ : (وَهُوَ جَبَلٌ مَرْتَفِعٌ ، عَلَيْهِ قَرْيَةٌ لِلْمَشَايِخِ
آلُ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدَ ، وَآلُ بَاوَمُوسَى ، وَعِنْدَهُمْ : بَاصِبَانُ) .

ثُمَّ قَالَ أَثْنَاءَ ذِكْرِهِ مَجَارِي الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَصُبُّ فِي الْأَيْسَرِ : (وَإِذَا انْحَدَرْتَ مِنْ قَرْيَةِ الْحَيْدِ . . . كَانَ
أَمَامَكَ الْمَسْجِدُ وَالْدَارُ وَالْجَابِيَةُ الَّتِي أُقِيمَتْ لِرُؤُوسِ ضَرْيَحِ الشَّيْخِ عَمْرٍ مَوْلَى خُضَمِّ ، وَخَلْفَ ذَلِكَ الْقَبَةِ
الْمَقَامَةُ عَلَى قَبْرِهِ ، وَعَنْ يَمِينِكَ مَالُ الْجَزِيلِ ، ثُمَّ مَجْرَى الْوَادِي . . . إلخ) .

(٤) تَرْتِيبُ الْقَرْيَ مِنْ أَعْلَى الْوَادِي الْأَيْسَرِ هِيَ هَكَذَا : قَبْرُ الشَّيْخِ عَمْرٍ مَوْلَى خُضَمِّ ، فَحَيْدُ الْجَزِيلِ الَّذِي
بِأَعْلَاهُ قَرْيَةُ الْجَزِيلِ ، فَعَرْضُ الْبَلْحَمَرِ - مِنْ سَيَابَنَ - وَهِيَ رُؤُوسُ الْحَالِكَةِ ، وَتَقَابِلُهُ حَوْفَةٌ ، وَبَيْنَ
الْعَرْضِ وَبَيْنَهَا مَسِيلُ شَعْبِ الصَّبِيقَةِ ، وَفِي الْعَرْضِ سَادَةُ مِنْ آلِ الْعَطَاسِ ، وَآلُ الْبَلْحَمَرِ ، ثُمَّ حَوْفَةٌ ،
وَسَيَاتِي . وَفِي « الشَّامِلِ » (١٧١-١٧٢) ، تَفْصِيلٌ دَقِيقٌ لِلْأَوْدِيَةِ وَمَسَائِلِ الْمَاءِ الَّتِي تَنْزِلُ مِنْ أَعْلَى
الْوَادِي الْأَيْسَرِ ، وَهِيَ : وَادِي مَرَاهُ ، وَوَادِي عَقْرُونَ ، وَوَادِي صَيْخٍ .

(٥) الدُّوْقَةُ : تَقَعُ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ ، وَهِيَ بَضْمُ الدَّالِ وَسْكَوْنُ الْوَاوِ ، قَالَ صَاحِبُ « الشَّامِلِ » : إِنْ
الدُّوْقَةُ الْحَالِيَةُ الْعَامِرَةُ إِنَّمَا انْتَقَلَ إِلَيْهَا سَكَانُهَا مِنْ قَرْيَةٍ أُخْرَى كَانَتْ تَسْمَى : الْمَحْوَقَةُ - بِتَشْدِيدِ =

وفيهَا آلُ الْعُمُودِيِّ ، وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَثْمَانَ^(١) ، كَانَ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَوِيِّ الْحَدَّادُ كَثِيرَ الْكُنَاءِ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : مَا نَحْنُ مُسْتَأْمِنِينَ بِأَهْلِ الْوُدَيَانِ إِلَّا عَلَى السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ عَمْرِ الْعَطَّاسِ ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَثْمَانَ صَاحِبِ الدُّوْفَةِ . وَهُوَ مِنْ مَشَايِخِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنِ الْعَطَّاسِ صَاحِبِ الْمَشْهَدِ . وَمِنْهُمْ : الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ الْعُمُودِيِّ^(٢) .

وَفِي حَدُودِ سَنَةِ (١٣٦٢ هـ) كَانَ الْتَزَاعُ قَائِمًا بَيْنَ آلِ الْعُمُودِيِّ آلِ بَازْفَارِيِّ وَالْخَنَابَشَةِ عَلَى جَرِيبٍ^(٣) مِنَ الْأَرْضِ ، مُلْكُهُ لآلِ بَازْفَارِيِّ ، وَنَشَرُهُ^(٤) لِلْخَنَابَشَةِ ،

- = الواو - وكان بعض سكانها أشراً قاموا بإحراق بعض القرى ، فشرد الناس منها إلى الدوفة .
- وأما سكان الدوفة الحاليين : فمنهم : السادة آل مقبيل ، وآل باصرة ، وقد كان أسلافهم بهين ، ثم نزحوا إلى الدوفة ، وآل باحسن . وبالدوفة جماعة من المشايخ آل العمودي : آل سعيد ، وآل مشعب ، وآل بَحْمَدِ العمودي ، والباهمام ، وآل بامقعين ، والباوهَّاب ، وهم من آل بامقعين ، وآل بامقعين هؤلاء كانوا بهين ، ثم نقلوا عنها مع سبع قبائل أخرى تفرقوا في القرى ، وبقيت الست القبائل : بِالْعَمَشِ ، وباحطاب ، وبين جَحْلان ببلاد الماء ، وباجَعْمَانِ بخديش . . وبإريان بقرن ماجد ، وَبَلْعَجَمِ بِعَرَضِ باهيشم .
- وبها أيضاً : آل باظفاري ، وباخضر ، وباعباد ، وباحكم ، وباصهي - وسياطي ذكر آل باصهي بشبام ، وآل البحيث من آل باجعفر ، وآل باسْبَيْتَيْنِ - مثنى - والباطويل وهم غير باطويل العمودي . . وهؤلاء حالكة ، كما أن من آل باعشن بيت يقال لهم : آل باطويل .
- (١) تمام نسبه : عبد الله بن عثمان بن أبي بكر بن عمر بن محمد بن علي بن أبي بكر بن عبد الرحيم بن أبي بكر بن عثمان بن عمر مولى خضم بن محمد ابن الشيخ سعيد العمودي .
- ترجم له العلامة محمد بن زين بن سميظ ضمن تلامذة الإمام الحداد ، وأفرده بالترجمة الشيخ أحمد باشميل صاحب العرسمة ، توفي سنة (١١٤٣ هـ) ، وهو والد الفقيه العلامة سعيد بن عبد الله الآتي في قيدون ، تنظر ترجمتهما في « الشامل » (١٨٣ - ١٨٤) .
- (٢) هو الشيخ أحمد بن عبد الرحيم العمودي ، كان من العلماء المتجربين للتعليم ، المشتغلين بالعبادة في مسجد منسوب لجده الأعلى الشيخ سعيد بن عيسى ، وله ولع ونهمة بالكتب ونساختها . «لشامل» (١٨٢) .
- (٣) الجريب : وحدة لقياس المساحات ، أصله فارسي ، وهو عندهم مساحة من الأرض تعادل عشرة آلاف متر مربع ، اقتبسه العرب منذ بداية العصر الإسلامي مع اختلاف في المساحة ، واستخدموه في تحديد مساحات الأرض ، وهو عندهم أرض مربعة ، طول أحد أضلاعها سِتُّون ذراعاً بذراع الملك . وذراع الملك مقداره (٧٥ , ٧٧ سم) ، وعليه . . فالجريب عند العرب يعادل (١٢٠٠ م^٢) . وقد يراد به المزرعة ، ويسمونها الحضارمة : الجَرَب ، بسكون الرَّاءِ وفتح الجيم .
- (٤) وهو عمارة الأرض بالزراعة بعد إهمالها ؛ أي : إحيائها ، سواء كانت مواتاً أم غيره . وهي من =

فخرج آل العمودي لحربه فمنعهم أحد الخناشبة ، فلم يُبالوا به ، فأقبل ثلاثة نفر من الخناشبة .. لاقاهم أثنان من آل العمودي ، فأجتلدوا بالعصي ساعة ، ثم لم يشعر الناس إلا بواحد يُمكن خنجره من خاصرة عبود بن محمد بن العسكر العمودي ، فكانت القاضية .

وأختلفت الرواية ، فقيل : إن عبوداً هذا من المشتركين في المخاصمة على الجريب . وقيل : إنما كان من النظارة فقط .

وقد طُلِّدُمُه^(١) ؛ إذ لم يتعين القاتل بالحجة الشرعية ، والتهمة تحوم حول الخناشبة واللوث الشرعي ظاهر ، ولكنهم إما لا يعرفون القسامة ، وإما لأنهم لا يرون الأخذ بها تشفياً ، وإما لأنهم لا يرون لها منفذاً .

ثم انحطت التهمة على سعيد بن سالم الخضر .. فأودع السجن ثلاثة أعوام ، ثم أطلق سراحه ، ولكن! بعدما تغير مزاجه ، وأنحرفت صحته ، فلم يعيش بعد تخلية سبيله إلا مدة يسيرة .

وكما اختلفت الرواية في مقتل عبود .. اختلفت في مبدئه ، فقيل : إنه كمثل أخيه عثمان ، على رأي الإرشاديين ، وإن لذلك مدخلاً في قتله .

وقيل : إنه إنما كان يجامل أخاه بالتظاهر بالإرشاد ؛ لأنه ولي نعمته^(٢) ، وليس بالجاد فيه .

= المسائل المعمول بها على غير معتمد مذهب الشافعي تقليداً لغيره ، انظر (ص ١٦٤) « فتاوى مشهور » : المساقاة .

(١) طُلِّدُمُه : هُدِرَ ولم يُؤخذ بثأره .

(٢) ومن أعيان الدوفة وعلمائها المشهورين : الشيخ الصالح العالم الصوفي عمر بن زيد ، كان من أهل العلم والصلاح ، عاش في القرن العاشر ، قدم إلى تريم للأخذ عن السيد الشريف أحمد بن الحسين العيدروس المتوفى بها سنة (٩٦٨هـ) ، ولازمه وأخذ عنه ، كما ورد في « المشرح » (٢/ ١٢٥) .
الفقيه العارف بالله الشيخ عبد الله بن عمر باعباد - بضم العين وتخفيف الباء - أخذ عن الحبيب عمر العطاس ، والشيخ علي باراس ، وله مصنف في مناقبهما .

ثُمَّ خَيْلُهُ^(١) ، وَهِيَ حَصُونٌ قَلِيلَةٌ لَّالٍ بُقْشَانَ ، وَمِنْهُمْ : أَحْمَدُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنِي سَعِيدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بُقْشَانَ ، مِنْ الْحَالِكَةِ ، لَهُمْ أَشْغَالٌ مَهْمَةٌ بِالْحِجَازِ ، وَأَتَّصَالٌ أَكِيدٌ بِحُكُومَةِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ ابْنِ السُّعُودِ ، وَعَلَيْهِمْ يِعْتَمَدُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ - وَهُمْ عَرْضَةُ ذَلِكَ أَمَانَةٌ وَكِفَايَةٌ - وَهُمْ لَا يُقْصَرُونَ فِي حَمْلِ الْكَلِّ وَإِعَانَةِ الْمُنْقَطِعِ ، وَمُسَاعَدَةِ الْمَحْتَاجِ^(٢) .

ثُمَّ حَصْنٌ بِاخْطِيبِ^(٣) .

ثُمَّ ضَرْي - زِنَّةُ (جَزْي) ، وَهُوَ مُصَدِّرُ (جَرَى) - وَهِيَ مِنْ أَكْبَرِ بِلَادِ الْوَادِي الْأَيْسَرِ ، وَفِيهَا آلُ عَلَوِيِّ بْنِ نَاصِرٍ ، سَادَةٌ مِنْ آلِ شَيْخَانٍ .

وَفِيهَا نَاسٌ مِنْ آلِ بَاوَزِيرٍ وَآلِ بِالْبِيدِ وَآلِ بَاسِلِمٍ ، وَنَاسٌ مِنَ السُّوْقَةِ^(٤) .

وَقَدْ بَتْنَا بِهَا لَيْلَةً فِي سَنَةِ (١٣٦٠ هـ) بِمَنْزِلِ الْمَكْرَمِ الشَّهْمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْضٍ الْيَافِعِيِّ ، فِي دَارٍ جَمِيلَةٍ ، مُؤَثَّةٍ بِالْأَثَاثِ الطَّيِّبِ ، فِي دَارٍ قَوْرَاءَ ، جَدِيدَةٍ الْعِمَارَةِ عَلَى أَحْسَنِ طَرَاظٍ^(٥) .

-
- (١) خيله : تقع في الجانب الشرقي ، ويقابلها في الجانب الغربي : حصن بقشان ، وهذه كلها ديارهم ، وهم من الحالكة ، ويعدون من كبار تجار جدة .
 - (٢) ومن أكبر الأعمال التي يقومون بها اليوم : شق طريق للسيارات من أعلى العقبة التي على رأس خيله ، وربطها بطريق المكلا - رأس حويرة - ؛ تيسيراً على المسافرين والقادمين من وإلى دوعن ، وقد بدأ هذا المشروع في مطلع هذا العام الهجري (١٤٢٣ هـ) . فجزاهم الله خيراً .
 - (٣) وهو حصن صغير ، يسكنه آل باخطيب .
 - (٤) وبها أيضاً : آل بافرج ، وآل باجبيل ، وآل بايماني ، وآل بايسر ، وباداود ، وآل الرباكي ، وكانت إمارتها وإمارة تولبة لال بايحيى أو آل بايحي على مافي « الشامل » .
 - (٥) ومن علماء ضري وأعيانها : العلامة الفقيه المعمر ، الشيخ أبو بكر بن أحمد باحميد ، من الآخذين عن الشيخ الفقيه سعيد بن عبد الله بن عثمان العمودي ، وعنه أخذ السيدان : عبد الله بن طه الهدار ، وطاهر بن عمر آل الحداد . « الشامل » (١٧٣) .
- والشيخ الفقيه : حسن بايماني ، قال عنه صاحب « الشامل » : (كان فقيهاً عارفاً بعلم النحو ، وكان خيراً ، حسن الخلق ، بينا وبينه معرفة ومودة رحمه الله) . اهـ وهو من الآخذين عن الشيخ محمد بن عبد الله باسودان ، وأخذ عنه الشيخ أحمد بن عبد الله باموسى العمودي ساكن حوفة .

ثُمَّ حُوفَةٌ^(١) ، فِيهَا جَمَاعَةٌ مِّنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجُفَرِيِّ^(٢) .

قَالَ شَيْخُنَا الْمَشْهُورُ فِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » [٤٢٨/٢] : (وَمِنْهُمْ آلَان - يَعْنِي سَنَةَ ١٣٠٧ هـ) - : أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ^(٣) ، شَرِيفٌ مُتَوَاضِعٌ) ، وَهُوَ جَدُّ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَفَرِيِّ الَّذِي يَعْمَلُ آلَانَ فِي بَيْرِ أَمْبَارِكٍ بَسِيتُونَ لِلْمُكْرَمِ سَالِمٍ بَاحِيشِي ، وَهُوَ سَيِّدٌ لَطِيفٌ نَشِيطٌ مُتَوَاضِعٌ ، مُطَرَّبُ الْحَدَاءِ ، جَمِيلُ الصَّوْتِ ، يَحْفَظُ كَثِيرًا مِنَ الْقَصَائِدِ النَّبَوِيَّةِ وَالصُّوْفِيَّةِ .

ومنهم : السَّيِّدُ صَافِي بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ صَالِحِ بنِ أَحْمَدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ صَالِحِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى الْعَرْشَةِ ، ذكره في « شمس الظَّهيرة » وقال : (إِنَّهُ ذُو جَاهٍ وَحِشْمَةٍ وَثَرَةٍ) اهـ

وقد نَجَّعَ مِنْ حَوْفَةٍ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَمَلٌ إِلَّا الْإِنْشَادُ عَلَى ضَرْبِ الطَّارِ ، حَتَّى ضَمَّهُ حِفْلٌ مَعَ شَيْخِ السَّادَةِ بِهَا ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنِ سَالِمٍ - الْآتِي ذِكْرُهُ فِي اللَّسْكِ - فَلَمْ يَرَفُهُ أَنْ يَكُونَ عَلَوِيٌّ قَوَّالًا ، فَأَخَذَهُ إِلَى بَيْتِهِ وَعَاتَبَهُ . فَأَعْتَذَرَ بِالْحَاجَةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَلَزَمَ بَيْتِي وَأَنَا أَكْفِيكَ الْمَوْنَةَ ، ففَعَلَ وَخَدَمَ بِنَشَاطٍ ، فَأَحَبَّهُ وَزَوَّجَهُ مِنْ بَنْتِهِ أَمَنَةَ ، وَلَمْ يَزَلْ مَعَهُ فِي حَالٍ طَيِّبٍ حَتَّى جَاءَ الْأَمْرُ مِنَ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بِاسْتِقْدَامِ شَيْخِ السَّادَةِ هَذَا ، أَوِ السَّيِّدِ الْمُجْمَعِ عَلَى صَلَاحِهِ وَوَلَايَتِهِ : عَمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْجَفْرِيِّ ، لِلتَّبَرُّكِ بِأَحَدِهِمَا وَالصَّلَاةِ خَلْفَهُ ، فَلَمْ يَرِغَبْ فِي ذَلِكَ ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِجَابَةِ الطَّلَبِ . فَبَعَثَ شَيْخُ السَّادَةِ بِخَتْنِهِ السَّيِّدِ صَافِي ، فَكَانَ لَهُ هُنَاكَ جَاءَةٌ

(١) حوفة : تقع في عرض الجبل ، تتجه إلى الجنوب والغرب . سكانها : آل صافي ، آل الجفري ، وآل باصرة ، وآل باموسي (عمودي) ، والباجيل ، والبايقي ، وآل بوزينة ، وآل باشاعر ، وابن سويد ، وباضريرس ، وباحيشي ، وبارويح ، وبامعلم ، وبلخرم حالكة ، وباطرفي ، وباعوض ، وقديماً كان يحكمها بامسعود .

(٢) السيد عبد الله هذا له عقب بحوفة ، وبمكة ، والمدينة ، وبالهند ، وتريس ، والقنفذة ، وجاوة ، وجفل ، وتاربة ، وسيئون ، وسنغافورة .

(٣) ومنهم ابنه السيد محمد بن أحمد ، كان خطيب جامع حوفة ، فاضلاً متفقهاً ، وابن عمه السيد محمد بن عبد الله ، كان فاضلاً غيوراً ، توفي سنة (١٣٥٢ هـ) . ذكرهما صاحب « الشامل » .

واسعَ حَتَّى إِنَّ السُّلْطَانَ أَطْلَقَ يَدَهُ فِي تَحْفِ الْقَصْرِ ، فَكَانَ فِي جَمْلَةٍ مَا أَخَذَ : سِتَّةَ صَحُوفٍ مِنَ الذَّهَبِ مَرْصُوعَةٍ بِالْجَوَاهِرِ ، قُوِّمَتْ فِي تَرْكِتِهِ بِأَثْنِي عَشَرَ أَلْفَ جَنِيهِ .

وَبِإِثْرِ رَجُوعِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ . . أَمَرَ السُّلْطَانُ عَبْدَ الْمَجِيدِ بِزِيَادَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ فِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ ، فَكَانَتْ الْنَّفَقَةُ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ صَافِي ، فَأَبْتَنَى لَهُ عِدَّةَ قُصُورٍ شَاهِقَةٍ ، وَتَأَثَّلَ أَمْوَالاً طَائِلَةً كَانَ بِهَا أَغْنَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَيَّامَ تُذَكِّرُهُ بِمَا كَانَ فِيهِ أَوَّلًا ، فَلَمْ تَنْبَسِطْ يَدُهُ فِي مَعْرُوفٍ ، ثُمَّ لَمْ يُحَمَّدِ الْمَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَلِيِّ نِعْمَتِهِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحِيمِ ، فَأَبْعَدَهُ السُّلْطَانُ عَبْدَ الْمَجِيدِ عَنِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَّا بَعْدَ أَنْحِلَالِ دَوْلَةِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمَجِيدِ بَعْدَ أَنْ خَرَفَ وَذَهَبَ أَكْثَرُ شَعُورِهِ ، وَبِهَا مَاتَ عَنْ مِئَةِ وَعِشْرِينَ عَامًا .

وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ عَقِيلِ ابْنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، مِنْهُمْ : عَقِيلُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ .

وَمِنْ حَوْفَةٍ : آلُ بَاحِيْشِي ، نَجَعُوا إِلَى أَسْمَرَةٍ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ بِهَا الْآنَ أَحْمَدُ وَعَمْرُ وَسَعِيدُ وَسَالِمُ بَنُو عَبِيدِ بَاحِيْشِي ، لَهُمْ تِجَارَةٌ وَاسِعَةٌ ، وَثَرَوَةٌ طَائِلَةٌ ، وَمَأَثَرٌ كَرِيمَةٌ ، مِنْهَا : مَكْتَبَةٌ بَنَوْهَا إِلَى جَانِبِ جَامِعِ أَسْمَرَةٍ ، جَمَعُوا لَهَا نَفَائِسَ الْكُتُبِ وَأَعَزَّ دَوَاوِينَ الْإِسْلَامِ ، وَمِنْ مُحَاسِنِهِمْ إِجْرَاءُ عَيْنِ مَاءٍ إِلَى حَوْفَةٍ . . . إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَجَلَائِلِ الْأَعْمَالِ ، وَلَكِبِيرِهِمْ أَحْمَدُ شَجَاعَةٌ وَصِرَامَةٌ وَشِهَامَةٌ ، وَبَعْدَ عَنِ الذَّلِّ وَأَحْتِمَالِ الضُّيْمِ ، وَلِسَالِمٍ تَعَلَّقُ بِالْصُّحُفِ وَالْأَخْبَارِ إِلَى تَوَاضُعٍ عِنْدَ الْجَمِيعِ .

وَفِي حَوْفَةٍ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ بَاضِرِيْسٍ ، يَتَفَقَّوْنَ بِالنَّسَبِ مَعَ أَهْلِ الْغُرْفَةِ ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بَاضِرِيْسٍ ، كَرِيمُ الْخَيْمِ ، نَفِيُّ الْأَدِيمِ ، طَاهِرُ السَّرِيرَةِ ، أَيْبُضُ السَّرِيرَةِ ، نَجَعَ إِلَى مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ مِنْ نَحْوِ سَبْعٍ وَأَرْبَعِينَ عَامًا ، يَحْتَرِفُ بِالتَّجَارَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ . . فَقَلَّمَا فَاتَتْهُ فَرِيضَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَعَلَيْهِ كَانَ نَزُولِي فِي سَنَةِ (١٣٥٤ هـ) ، فَبَالَعَ فِي رَاحَتِي ، وَسَهَرَ عَلَى خِدْمَتِي حَتَّى كَأَنِّي فِي أَهْلِي ، فَاسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ أَنْ يَجَازِيَهُ عَنِّي بِأَفْضَلِ الْجَزَاءِ وَأَنْ يَتَقَبَّلَ ذَلِكَ مِنْهُ بِفَضْلِهِ وَجُودِهِ .

وَفِي حَوْفَةٍ كَثِيرٌ مِنْ آلِ بَاعِيْسَى الْعَمُودِيْنَ ، وَهِيَ مَقَرُّ آلِ بَلَّحْمِرٍ ، وَمِنْهُمْ : الْمَقْدَّمُ الْحَالِيُّ سَعِيدُ بْنُ عَمَرَ بَلَّحْمِرٍ ، صَاحِبُ الرَّئَاسَةِ الْعَامَّةِ عَلَى جَمِيعِ سَيِّبَانَ ، وَقَدْ فَضَّلْنَا

أخباره في «الأصل» ويأتي شيء منها في قيدون .

وقد سبق في دوعن أن أحلنا على ما هنا في تسمية دوعن بهذا الاسم ، قال الطيّب بامخرمة : (ودوعان مركّب ؛ فـ (دو) بكلام فارس : عدد اثنين ، و (عان) المعدّ المرتفع من الأودية ، وهذان العنان أحدهما يمنة والآخر يسرة ، فالأيمن مدينة الخريبة - وقد تقدّم ذكرها في حرف الخاء - والأيسر مدينة الدوفة ، وسيأتي ذكرها في هذا الحرف) اهـ^(١)

وأهل وادي ليسر يُنبِزُونَ مع مآثور شجاعتهم بشيء من اللبونة في الكلام كآل دثون الواقعة بأسفل حضرموت ، قال أحد شعراء الأيسر :

يا الله على روس ليسر من قنيف أنبطح تسمع رعوده كما ضفع البقر طخ طخ
وقد أغفلنا كثيراً من القرى الصغيرة في الواديين^(٢) ؛ لقلة الأهمية ، ولكنني كلّفت الولد الفاضل محمّد بن سالم بن حفيظ بن عبد الله ابن الشيخ أبي بكر بن سالم مع زيارته الأخيرة إلى دوعن أن يسأل أهل الخبرة ويكتب لي ما يتلقاه منهم ، ففعل كما تراه في الكشف الذي يلي :

أسم البلد	عدد السكان بالتقريب	القبائل الساكنة من سادة ومشايخ وغيرهم
كوكه	٣٠	قبائل من الحالكة ، يقال لهم : البلاغيث
خديش	٥٠٠	سادة آل بروم ، وآل العمودي ، وقبائل من الحالكة ، وسوق وغيرهم .
بلاد الماء	٧٠٠	آل بروم ، وآل خرد ، وآل العمودي ، والحالكة ، والسوق

(١) نسبة البلدان (خ ١١٨).

(٢) منها : حصون الحالكة الواقعة حوالي صيف ؛ منها : حصن الشرقي ، وحصن بوحسن ، وفيه البوحسن ، فخيلة من الحالكة ، وحصن بن الزنو ، كان فيه الشيخ سالم بن أحمد بن عبود بن الزنو ، شهم ، كان مرجع الحالكة في بعض شؤونهم .

أَسْمُ الْبَلَدِ	عَدَدُ السُّكَّانِ بِالتَّقْرِيبِ	الْقَبَائِلُ السَّاكِنَةُ مِنْ سَادَةِ وَمَشَائِخَ وَغَيْرِهِمْ
بَضَّة	٣٠٠٠	آلُ الْعَطَّاسِ ، وآلُ خَرْدِ ، وآلُ الْجَفْرِيِّ ، وآلُ الْعَمُودِيِّ ، وَالسُّوقَةُ
حَصْنُ بَاعِدِ الصَّمَدِ	١٥٠	آلُ خَرْدِ ، وآلُ الْعَمُودِيِّ ، وَسُوقَةُ
الْجَبِيلُ وَقَرْنُ باجندوح	٥٠٠	آلُ الشَّيْخِ بوبكرِ ، وآلُ باقيسِ ، وَقَثَمِ ، وَنُوحُ ، وَسُوقَةُ
مَطْرُوحُ	٦٠٠	آلُ بَاجَمَّالِ ، وَقَثَمِ ، وَنُوحُ
عَرْضُ بَاسُودِ	١٠٠	نُوحُ
ظَاهِرُ	٢٠٠	نُوحُ
حَزْمُ آلِ خَالِدِ	٢٠	آلُ الْعَمُودِيِّ
حَوِيَّةُ	٢٠	أَخْدَامُ آلِ الْمُحْضَارِ
حَلَبُونُ	٥٠٠	آلُ باقيسِ ، وآلُ باجبعِ ، وَسُوقَةُ ، وَعَبِيدُ
الْقَوِيرَةُ	٩٠٠	آلُ الْمُحْضَارِ ، وآلُ باحسينِ ، وآلُ باجبعِ ، وَسُوقَةُ
الرَّشِيدُ	١٠٠٠	آلُ الْحَبْشِيِّ ، وآلُ بَانَاجَةَ ، وآلُ بَازَرَعَةَ ، وَالْخَامَعَةُ
بَاشَعِيْبِ	١٥	الْخَامَعَةُ
حَصْنُ بَاعُومِ	٧	آلُ بَاعُومِ
ذِي بَحُورِ	١٠٠	مَشَائِخُ يَقَالُ لَهُمْ : آلُ مُحْسَنِ
الْخَرِيبَةُ	٣٨٠٠	آلُ الْبَارِ ، وآلُ الْعَطَّاسِ ، وآلُ الْجَفْرِيِّ ، وآلُ بَاهَارُونِ ، وآلُ الْعِيدَرُوسِ ، وآلُ الْجِيلَانِيِّ ، وآلُ بَاسُودَانَ ، وآلُ بَارَاسِ ، وآلُ حَنْشَلِ ، وآلُ بَاحْوِيرِثِ ، وآلُ بَاجْنِيدِ ، وَسُوقَةُ

أَسْمُ الْبَلَدِ	عَدَدُ السَّكَّانِ بِالتَّقْرِيبِ	الْقَبَائِلُ السَّائِكَةُ مِنْ سَادَةِ وَمَشَائِخَ وَغَيْرِهِمْ
عَرْضُ آلِ مَنْصَرٍ	٦٠	آلُ الْعَمُودِيِّ ، وَسُوقَةُ
حِصْنُ خَشَامِر	١	لَيْسَ فِيهِ إِلَّا أَمْرَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ آلِ الْعَمُودِيِّ
قَرْنُ بَاحِكِيمٍ	٨٠٠	آلُ بَاحِكِيمٍ ، وَآلُ بَاحْشَوَانَ ، وَدَارُ مِنْ آلِ الْعَطَّاسِ ، وَسُوقَةُ .
الْحُسُوسَةُ	٤٠	آلُ بَاشْخَبِلٍ ، وَآلُ بَاطِعْلَمٍ ، وَسُوقَةُ
حِصْنُ تَنْسَبِه	١٠٠	فَارَغ
قَرْحَةُ آلِ بَاحْمِيشٍ	٢٠٠	آلُ بَاحْمِيشٍ ، وَسُوقَةُ
غَيْلُ بَاحْكُومٍ	٦٠	آلُ بَاحْكُومٍ
قَرْنُ مَاجِدٍ	١٧٠	آلُ الْعَمُودِيِّ ، وَسُوقَةُ
غَيْلُ بَلْخَيْرٍ	٢٠٠	آلُ بَلْخَيْرٍ ، وَآلُ بَاطِرْفِيٍّ
قَارَةُ الْخَزَبِ	٥٠	آلُ بَافِنَعٍ
خُسُوفَر	١٧٠	آلُ بَغْلَفٍ ، وَسُوقَةُ
حِصْنُ الْجُبُوبِ	٣٠	قِثْم
هَدُون	٦٠٠	آلُ بَاشِيخٍ ، وَآلُ بَاشْخَوَيْنِ مِنْ سَيَّانٍ ، وَسُوقَةُ
رَحَابٌ	١١٠٠	آلُ الْجَفْرِيِّ ، وَآلُ الْحَبْشِيِّ ، وَآلُ بَاعِدِ اللَّهِ ، وَآلُ شِمَاخٍ ، وَسُوقَةُ
الْقَرَيْنُ	١٧٠٠	آلُ الْبَارِ ، وَآلُ بَلْفَقِيهِ ، وَآلُ بَاشْمُوسٍ ، وَسُوقَةُ
عُورَةُ	٦٠٠	آلُ بَاصِرَةَ ، وَآلُ بَاشْنَفَرٍ ، وَسُوقَةُ
الْشَّقُّ الشَّرْقِيُّ	٧٠	الْخَامَعَةُ مِنْ سَيَّانٍ
بَاجَاس	٥	مِنْ سَيَّانٍ

أَسْمُ الْبَلَدِ	عَدَدُ السُّكَّانِ بِالتَّقْرِيبِ	الْقَبَائِلُ السَّاكِنَةُ مِنْ سَادَةٍ وَمَشَايِخَ وَغَيْرِهِمْ
شَوَيْطَةُ	٥٠	مِنْ سَيَّانَ
شَرْقُ وَحْصُنْ بَاقِعِرْ	٣٥٠	آلُ بَاسُودَانَ وَذِيَابَنَةَ ، وَآلُ بَاقِعِرْ ، وَآلُ بَنِي زَيْدِ
حِصْنُ بَاحْكِيمِ	١٠٠	فَارْعُ
حِصْنُ الْمَكْعَمَةِ	١	جَنْدِيٍّ وَاحِدٌ فَقَطْ
حِصْنُ بَاصِمِ	٢٠٠	آلُ بَاصِمِ مِنْ نَوَّحِ
مَنْوَهْ	٤٠	سَوْقَةُ
رِبَاطُ بَاعِشِنِ	٢٥٠٠	آلُ الْعَطَّاسِ ، وَآلُ الْحَامِدِ ، وَآلُ الصَّافِي ، وَآلُ بَاعِشِنَ ، وَآلُ بَاسُنْدَوَةَ ، وَسَوْقَةُ
لَيْسَرُ الْعَرْسَمَةِ	٧٠٠	آلُ بَاشْمِيلِ ، وَآلُ الْحَالِكَةِ ، وَسَوْقَةُ
جَنْحِي الْخَنَابِشَةُ	٤٥٠	آلُ مَقِيلِ سَادَةٍ ، وَآلُ بَاجْنِيدِ ، وَالْخَنَابِشَةُ مِنْ سَيَّانَ
عَرْضُ بَاقَارِ	٦٠	آلُ بَاقَارِ مِنْ قَبَائِلِ بَنِي حَسَنِ
عَرْضُ بَاهِشِمِ	١٠٠	آلُ بَاهِشِمِ
الْجَدِيدَةُ	٢٢٠	الْخَنَابِشَةُ
جَرِيفُ	...	سَادَةٌ مِنْ آلِ بَاصِرَةَ ، وَآلُ بَاهِيرِيٍّ ، وَسَوْقَةُ
صُبَيْخُ	١٠٠٠	آلُ الْعَطَّاسِ ، وَآلُ الْعَمُودِيِّ ، وَآلُ الْحَالِكَةِ ، وَالْخَنَابِشَةُ ، وَسَوْقَةُ
حِصْنُ بُقْشَانَ	٧٠	آلُ بُقْشَانَ مِنَ الْحَالِكَةِ
الْمَشْقَعَةُ	١٥٠	آلُ بَاوَزِيرِ
حِصْنُ بَعْسِرِ	٤٠	آلُ بَعْسِرِ مِنْ سَيَّانَ
حِصْنُ ابْنِ الْعَمَرِ	٥٠	آلُ بَاسْعِدِ مِنَ الْحَالِكَةِ

أَسْمُ الْبَلَدِ	عَدَدُ السُّكَّانِ بِالتَّقْرِيبِ	الْقَبَائِلُ السَّاكِنَةُ مِنْ سَادَةِ وَمَشَايخَ وَغَيْرِهِمْ
تَوَلَبَةٌ	٥٠٠	آلُ بَاعْقِيلٍ ، وآلُ الْعَمُودِيِّ ، وَسُوقَةُ
حَيْدُ الْجَزِيلِ	١٥٠	آلُ الْعَمُودِيِّ
حَصْنُ الْخَنَابِشَةِ	٦٠	الْخَنَابِشَةُ مِنْ سِيَّانَ
الدُّوْفَةُ	٩٠٠	آلُ مُقْبِيلٍ ، وآلُ جَمَلِ اللَّيْلِ ، وآلُ الْعَمُودِيِّ ، وَالْخَنَابِشَةُ ، وَحَالِكَةُ ، وَسُوقَةُ
خَيْلَهُ	١٥٠	الْحَالِكَةُ مِنْ سِيَّانَ
ضَرْيَ	٧٠٠	آلُ عَلَوِيِّ بْنِ نَاصِرٍ ، وآلُ بَاوَزِيرٍ ، وَغَيْرُهُمْ
حُوفَةُ وَعَرْضُ الْحُمْرَانِ	١٥٠٠	آلُ الْجَفْرِيِّ ، وآلُ السَّقَّافِ ، وآلُ الْمُحْضَارِ ، وَالْأَبَصْرَةِ ، وآلُ الْعَطَّاسِ ، وآلُ الْعَمُودِيِّ ، وَحَالِكَةُ مِنْ سِيَّانَ ، وَسُوقَةُ
خَلِيفُ آلِ بَاعْبُودٍ	٥٠	آلُ الْعَمُودِيِّ

* * *

صَيْفٌ

هِيَ بَلَدَةٌ عَجِيبَةٌ ، يَقَالُ : إِنَّهَا سُمِّيَتْ بِأَسْمِ قَبِيلَةٍ مِنْ حِمْيَرَ يَقَالُ لَهَا : صَيْفٌ ، كَانَتْ تَسْكُنُهَا فِي سَالِفِ الزَّمَانِ .

لَهَا جَامِعٌ لَا يَوْجَدُ مِثْلُهُ بِوَادِي دُوعَنْ فِي حُسْنِ الْعِمَارَةِ .

وَقَالَ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنِ الْعَطَّاسُ : (إِنَّ السَّيِّدَ شَيْخَانَ جَمَلَ اللَّيْلِ - الْمُقْبُورَ بِصَيْفٍ - يَغْلِبُ عَلَيْهِ الْجَذْبُ ، وَإِنَّهُ صَلَّى بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ وَسَلَّمْ مِنْ رَكْعَةٍ أَطَالَهَا ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّمَا صَلَّيْتَ بِنَا رَكْعَةً وَاحِدَةً ! قَالَ لَهُمْ : إِنَّمَا أَهْلُ صَيْفٍ بَقَرُوا ، وَالرَّكْعَةُ عَلَيْهِمْ كَثِيرٌ) .

ولا إشكال في شيء من هذا ؛ لأنَّ الحرجَ مرفوعٌ عن السَّيِّدِ شَيْخَانِ بجذبه ، ولأنَّه لم يُذكر أنَّ آلَ صَيْفٍ وافقوه على السَّلامِ مِنَ الْوَاحِدَةِ ، والسِّيَاقُ ظَاهِرٌ فِي تَقْطِيعِ جَنُونِهِ ، وإلَّا... لما أُنْعَقِدَتْ بِهِ مِنَ الْبَدءِ .

ولصَيْفٍ ذِكْرٌ فِي كَلَامِ الْحَدَادِ وَثَنَاءٌ عَلَيْهَا ، حَتَّى إِنَّهُ هَمَّ بِالانْتِقَالِ إِلَيْهَا .
ولها - أعني صَيْفًا - قَلْعَةٌ صَعْبَةٌ الْمَرْتَقَى ، يَسْكُنُهَا الشَّيْخُ بَاعِلِيٌّ ، وَهُوَ شَيْخٌ شَهْمٌ ، رَحْبُ الْجَنَابِ ، وَاسِعُ الصَّدْرِ ، كَرِيمُ الشَّيْمِ ، مِنْ ذُرِّيَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعُمُودِيِّ .

وفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ آلِ الْعُمُودِيِّ ، وَنَاسٌ مِنَ آلِ جَمَلِ اللَّيْلِ^(١) وَجَمَاعَةٌ مِنَ السَّادَةِ آلِ الْبَلْخِيِّ نَجَعَ جَدُّهُمْ - وَهُوَ السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ حُسَيْنٍ - مِنْ بَلْخٍ إِلَى حَضْرَمَوْتِ ، وَأَقَامَ فِي وَادِي بْنِ عَلِيٍّ ، وَبِهِ تَوَفَّى ، ثُمَّ تَفَرَّقَ أَوْلَادُهُ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ سَقَطَ إِلَى غُرْفَةِ آلِ بَاعِبَادٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَهَبَ إِلَى صَيْفٍ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي بِلَادِ اللَّهِ .

وَمِنْهُمْ الْآنَ جَمَاعَةٌ بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ آلِ بَانَاعِمَةَ أَصْلُهُمْ مِنْ سَيْثُونَ ، وَأَوَّلُ مَنْ سَقَطَ مِنْهُمْ إِلَى صَيْفٍ : الشَّيْخُ سَالِمُ بَانَاعِمَةَ ، نَجَعَ إِلَيْهَا بِإِشَارَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الطَّيَّارِ الْعُمُودِيِّ .

وَمِنَ اللَّطَائِفِ : أَنَّ أَحْكَامَ الْعَادَةِ وَالْأَعْرَافِ تَرْجِعُ فِي سَيْثُونَ إِلَى آلِ بَانَاعِمَةَ ، وَمِنْ آخِرِهِمْ بِهَا الشَّيْخُ بُوَيْكِرُ بْنُ أَحْمَدَ بَانَاعِمَةَ ، وَقَدْ أَنْتَهَتْ فِي صَيْفٍ إِلَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ بَانَاعِمَةَ... فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ لَفْظُ الْعَادَةِ .

وَمِنْ أَعْقَابِهِ الْيَوْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَالِمُ ابْنَا أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ ، يَسْكُنُونَ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةَ ، وَلَهُمْ بِهَا تِجَارَةٌ وَمَبْرَأَتٌ وَصِلَاتٌ ، وَحِظٌ عَبْدُ اللَّهِ مِنَ الصَّلَاحِ أَوْفَى

(١) منهم : السيد الفقيه محمد بن علوي باحسن جمل الليل ، طلب العلم بمكة ، ثم صار قاضياً بالليث أو القنفذة .

ومنهم : السيد محمد بن أحمد بن علوي جمل الليل ، ابن أخي السابق ، طلب العلم خارج حضرموت ، ثم عاد إلى صيف ، ودرس على السيد عبد الله بن طاهر الحداد ، وتوفي بالليث سنة (١٣٥٩هـ) ، وهما من ذرية السيد عقيل المتوفى بروغة سنة (١٠٥٩هـ) وهو ابن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحبيب محمد بن حسن المعلم باحسن جمل الليل .

وهو مستوي السَّوَّو والعَلَانِيَّة ، وسالمٌ على جانبٍ مِنَ الخَيْرِ ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ مَا فِي النَّاسِ .
وَأَلْ بَانَاعِمَةٌ يَنْتَسِبُونَ بِالْخِدْمَةِ إِلَى السَّادَةِ آلِ الْحَدَّادِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي رَحْلَةِ الْحَبِيبِ
حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ إِلَى الْحِجَازِ قَوْلُهُ : وَقَدْ مَنَّا قَبْلَنَا مِنَ الْحَسِيْسَةِ الْخَادِمَ
عَوْضَ بْنَ شَعِيبٍ إِلَى سَيْتُونَ يُعْلِمُ الْأَخْدَامَ الْمُبَارَكِينَ آلَ بَانَاعِمَةَ بِأَنَّا وَاصِلُونَ إِلَيْهِمْ .
وَسُكَّانُ صَيْفٍ لَا يَزِيدُونَ إِلَّا عَنْ أَلْفٍ وَثَمَانٍ مِثَّةً ، وَهِيَ قُفْلٌ دَوْعَن .

ولها ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي التَّارِيخِ ، وَقَدْ رَوَى عَنِ الشَّيْخِ عَمَرَ بِامْخَرَمَةَ أَنَّهُ قَالَ لِبَدْرِ
بُوطَوِيرِقَ : (حَازَرَ عَلَى صَيْفٍ ، شَفَّ مَادَوْعَنَ الْأَبْصِيفَ) فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ مُسْتَوْفَى
بـ « الْأَصْلُ » ، عَلَيْهِ أَثَرُ الْإِنْتِحَالِ .

وكَانَتْ فِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادٍ دَوْعَنَ تَحْتَ حُكْمِ ثَابِتِ بْنِ عَلِيٍّ الْنَهْدِيِّ ،
وَفِي سَنَةِ (٩٤٥ هـ) خَرَجَ أَهْلُ صَيْفٍ عَنْ طَاعَتِهِ وَبَذَلُوا صَيْفًا لِلْمُلُوكِ بَدْرُ بُوطَوِيرِقَ ،
فَأَهْدَاهَا بَدْرٌ لِلشَّيْخِ عُثْمَانَ الْعَمُودِيِّ ، ثُمَّ مَا زَالَتِ الْحَرْبُ سَجَالًا بَيْنَهُمْ حَسَبًا فِي
« الْأَصْلِ » .

وَمِنْ وَرَاءِ صَيْفٍ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ عَلَى نَصْفِ سَاعَةٍ . . بِلَادُ قِيدُون^(١) .

وَفِي شَرْقِي صَيْفٍ مَسِيلُ الْوَادِيَيْنِ الْأَيْمَنِ وَالْأَيْسَرِ .

ثُمَّ : قَيْلٌ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ يَسْكُنُهَا آلُ الْعَمُودِيِّ ، وَمِنْهُمْ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِاجْمَاحِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٥٤ هـ) ، لَهُ مَوْالِفَاتٌ كَثِيرَةٌ ،
وَأَكْثَرُ أَخْذِهِ فِي سَرَبَايَا عَنِ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ طَهْ بْنِ عَلَوِيِّ السَّقَافِ الْمَتَوَفَّى
بَسَيْتُونَ سَنَةَ (١٣٢٥ هـ)^(٢) .

(١) وَفِي جَانِبِ صَيْفٍ الْغَرْبِيِّ يَأْتِي : شَعْبُ الصِّيقِ ، وَبِهِ نَخْلٌ وَغَيْلٌ يَسْقِيهَا ، وَتَزْرَعُ بِهِ خَضِرَوَاتٌ ، وَأَكْثَرُهُ
لَأَهْلِ صَيْفٍ . وَتَحْتَ صَيْفٍ مَالٌ وَنَخْلٌ ، ثُمَّ الْوَادِي ، وَفِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مَالٌ ، ثُمَّ تَأْتِي أَمْوَالُ
أَحْجَالٍ ، وَتَوْجِدُ ثَلَاثَةُ أَسْوَاقٍ ، أَكْثَرُهَا لِأَهْلِ قِيدُونِ .

(٢) وَفِي وَادِي فَيْلٍ : قَرْيَةٌ فَيْلٌ ، فِيهَا جَمَلَةٌ مِنَ الْأَسْرِ الْعَمُودِيَّةِ ، مِنْهُمْ آلُ فَيْقِيهِ ، وَالْبَاصِمِدُ ،
وَالْبَاجْمَاحُ ، آلُ بَارِبُودٍ ، وَجَرَتْ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ آلِ بَلْخَمَرٍ وَقَائِعُ ذَكَرَ بَعْضُهَا صَاحِبُ « الشَّامِلِ » .
وَمِنْ أَعْيَانِ (فَيْلٍ) :

قَيْدُون^(١)

هي من قُدامى البلاد ، وهي موطنُ الشَّيْخِ الكبيرِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى العَمُودِيِّ^(٢) .
وهو والفقيهُ المَقْدَمُ أَوَّلُ مَنْ سَلَكَ طَرِيقَ التَّصَوُّفِ بِحَضْرَمَوْتَ ، وقد ترجمه غيرُ

= الشيخ عبد الله بن عمر بأجمّاح - بضم الجيم وتشديد الميم - المولود بها سنة (١٢٨٣هـ) ، تلقى علومه على يد الشيخ حسن بايماني المتقدم ذكره ، ثم هاجر إلى جاوة ولازم بها عدداً من العلماء ، وقرأ في الهند على الفقيه عمر بن سعيد بن أحمد الخطيب باراسين القيدوني في حيدر آباد ، ومن شيوخه بـ (جاوة) السيد أحمد بن طه السقاف ، وكانت وفاته بعد عودته من جاوة في بلدته سنة (١٣٥٥هـ) . له ذكر في «الشامل» (١٩٢ - ١٩٣) ، و«تاج الأعراس» ، ومن تلامذته الأكابر : السيد الجليل الحبيب أحمد بن محسن الهدار ، الملقب بالمحجوب ، المتوفى بـ (المكلا) سنة (١٣٥٧هـ) ، ترجمه في «العقد الفريد» وغيره .

الشيخ محمد بن عبد الله بافيل الدوعني ، ثم المكي ، ولد بقرية فيل سنة (١٢٨١هـ) ، وقدم الحجاز وعمره (٢٠) سنة ، فأخذ عن السيد أحمد زيني دحلان ، وتفقه على يد الشيخ محمد سعيد بابصيل ، وتلميذه العلامة عمر باجنيد ، وغيرهم وكانت له خلوة في جبل قعيقعان - جبل هندي - في الطريق المؤدي إلى باب العمرة ، وكان يأتي إلى الحرم في الثالث الأخير من الليل ، ويمكث بعد الصبح حيث يعقد حلقاته في حصوة باب العمرة ، ولم يزل هكذا دأبه لمدة ثلاثين عاماً ، حتى توفي سنة (١٣٥١هـ) بـ (مكة) ، ولم يخلف أحداً ، وترك بعض الثياب وكتباً وجبة وسجادة وعمامة فقط ، ولم تكن الدنيا له على بال . «سير وتراجم» عمر عبد الجبار (٢٦٦ - ٢٦٧) .

وفي العصر الحاضر من أعيانهم الشيخ سعيد بن محمد معنوز بافيل ، نزيل الطائف صاحب آياد بيضاء ومكارم ومروءة وهو من السابقين إلى المكرمات متع الله بحياته .

(١) قيدون : من قدامى بلدان دوعن ، وحكمها عدة حكام في الأزمان المتقادمة ، وإنما اشتهر تاريخها وذكرها بعد ظهور الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، وأول مايقابل الداخل إلى قيدون : الكريف الجديد ، الذي سعى السادة آل الحداد في بنائه وعمارته في سنة (١٣٤٦هـ) ، وجلبوا الماء إلى قيدون من غيل البويردة ، وتفصيل الكلام على ذلك في كتاب «الشامل» .

(٢) الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، ولد بقيدون في مطلع الست مئة الهجرية تقريباً ، قال في حقه العلامة الشرجي الزبيدي (ت ٨٩٣) في «طبقات الخواص» : أحد كبار مشايخ حضرموت ، كان مشهوراً بالولاية الكاملة ، والكرامات المتعددة ، يده في التصوف للشيخ أبي مدين المغربي بينه وبينه رجلا ، كان نفع الله به شيخاً كبيراً ، كاملاً مريباً ، تخرج به جماعة من كبار الصالحين ، وله في تلك الناحية ذرية مباركون ، وأتباع كثيرون ، يعرفون بآل أبا عيسى - على عرف أهل حضرموت في التزام الكنية الألف بكل حال ، على لغة القصر - ولهم هناك زوايا مشهورة (اهـ ١٤٥ - ١٤٦) . ينظر : «الصفحات» لبازير (١٤٩) ، «الشامل» (٢٢٩) وما بعدها .

واحدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ؛ كَالشَّرَجِيِّ فِي « طَبَقَاتِهِ » [١٤٦-١٤٥] ، وَالْيَافَعِيِّ فِي « تَارِيخِهِ » ،
وَصَاحِبِ « الْمَشْرِعِ »^(١) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بَازِرْعَةَ .
وَمِمَّنْ أَلَّفَ فِي مَنَاقِبِهِ : الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْكَابَةِ الْهِنَنِيِّ ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ
بِاسْوَدَانَ .

وَكَانَ صَادِعاً بِالْحَقِّ ، لَا يَخَافُ فِيهِ لَوْمَةً لَائِمَةً ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّرَدُّدِ عَلَى حَضَرَمَوْتَ ،
حَتَّى لَقِيَ قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ فِي كِتَابِهِ « الْقَرطَّاسُ » : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
عَدَدَ خُرُوجِ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعَمُودِيِّ إِلَى حَضَرَمَوْتَ) .

وَلَمْ يَزَلْ يُسَلِّكُ الطَّلَبِينَ ، وَيُوصِلُ الرَّاغِبِينَ ، إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِقِيدُونِ سَنَةَ
(٦٧١ هـ) ، وَقَصَّتُهُ مَعَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ الْجَعْدِ مَعَ وَصُولِهِ إِلَى حَضَرَمَوْتَ ،
مَشْهُورَةً ، وَقَدْ أَبْتَلَى إِثْرَهَا بِالْجَذَامِ إِلَى أَنْ وَاثَاهُ الْجِمَامُ .

وَحَلَفَهُ عَلَى مَنْصِبِهِ وَلَدَهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَمَا زَالَ أَبْنَاؤُهُ يَتَوَارَثُونَ مَنْصِبَهُ
حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى دَوْلَةٍ وَرِثَاسَةٍ دُنْيَوِيَّةٍ ، فَأَخْتَلَفُوا وَأَنْقَسَمُوا ؛ كَمَا سَبَقَ فِي بَعْضِهِ .

وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آلِ فَارَسِ الْتَهْدِئِينَ ، وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ بَدْرِ بَوَطُورِقِ
الْكَثِيرِيِّ .. حُرُوبٌ^(٢) .

وَتَقَلَّبَتْ بِقِيدُونِ الْأَحْوَالُ ، حَتَّى لَقِيَ خَرِبَتْ حَوَالِي سَنَةِ (٩٤٨ هـ) مِنْ كَثَرَةِ مَا أَخَذَ
بَدْرُ بَوَطُورِقِ الْكَثِيرِيُّ مِنْ أَهْلِهَا مِنَ الضَّرَائِبِ ، وَلَمْ يَبْقَ فِيهَا إِلَّا سِتَّةُ دِيَارٍ ، وَهَرَبَ
أَبَاقُونَ مِنْ أَهْلِهَا إِلَى صَيْفٍ . وَهَذَا شَاهِدٌ عَلَى أَنَّ صَيْفًا لَمْ تَكُنْ إِذْ ذَاكَ فِي حِوْزَتِهِ^(٣) .

وَجَرَتْ بَيْنَ آلِ الْعَمُودِيِّ وَأَعْقَابِ بَدْرِ إِلَى أَيَّامِ السُّلْطَانِ عَمَرَ بْنِ جَعْفَرِ الْكَثِيرِيِّ -
الْمَتَوَفَّى بِعُمَانَ أَوَائِلِ الْقَرْنِ الثَّانِي عَشَرَ - أَحْوَالٌ كَثِيرَةٌ ، ذَكَرْنَا بِـ « الْأَصْلِ » نَتَفَاءً مِنْهَا
كَافِيَةً لِلتَّعْرِيفِ^(٤) .

(١) لَمْ يَتَرَجَمْ لَهُ فِي « الْمَشْرِعِ » ، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ عَرْضاً فِي تَرْجُمَةِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ .

(٢) أَخْبَارُ آلِ الْعَمُودِيِّ يُمْكِنُ الرُّجُوعُ إِلَيْهَا فِي « تَارِيخِ شَنْبَلِ » ، وَ« الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » وَغَيْرُهُمَا .

(٣) يَنْظُرُ هَذِهِ الْحَوَادِثُ فِي « تَارِيخِ بَاقِيَةِ » : (٢٨٨-٢٨٩) .

(٤) وَفِي « تَارِيخِ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ » وَ« الصَّفَحَاتِ » لِابُوزَيْرِ ، أَخْبَارٌ مِنْ ذَلِكَ الْقَبِيلِ .

وفي قيدون صهريج واسع يحفظ لأهلها الماء ، تنطق وثائق أوقافه أنه من عمارة السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري السابق ذكره في بضعه ، وآلاتي ذكره في ثبي وغيرها^(١) .

وقد أنجبت قيدون كثيراً من العلماء والفضلاء ، وكان السيد يوسف بن عابد الحسني أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم يدرس بها علم التوحيد أوائل القرن الحادي عشر .

ومن علمائها في القرن العاشر : الشيخ محمد بن عمر معلّم له ذكر في « مجموع الأجداد » .

والشيخ عبد الله بن سعيد العمودي ، في أيام القطب الحداد ، وقد أمتحنه بشرح خطبة معقّدة ، فشرحها شرحاً جميلاً قضى له فيه القطب الحداد بالتّجّاح .

وفيها من ذريّة السيد محمد بن عبد الله بن علوي الحداد^(٢) : الفاضل الصّالح ، الحسن الخطّ عمر بن أبي بكر^(٣) ، المتوفى بها .

وخلفه أبنة الناسك الكريم طاهر بن عمر الحداد^(٤) ، المتوفى بها سنة (١٣١٩ هـ) كان آية في حفظ القرآن ، وكانت في لسانه حبسة شديدة ، حتّى لقد أراد أن يعقد بإحدى بناته فلم يتطّلق لسانه إلّا بعد الفراغ من الطّعام ، وكانت العادة والسنة تقديم

(١) يقع الكريف القديم وهو الذي ذكره المصنف هنا في غربي قيدون ، ينظر وصفه في « الشامل » (١٩٦ - ١٩٧) .

(٢) توفي الحبيب محمد هذا بدمار ، وذريته إنما هم : بتريم ، وهرر بالحبشة ، والهند ، وبجاوة : بانقيل ، وقرسي . وليس له ذرية بقيدون ، والذين سيذكرهم المؤلف لاحقاً هم ذرية أخيه الحبيب علوي المتوفى بمكة سنة (١١٥٣ هـ) ، ثم سيلحقهم بذرية عمه عمر بن علوي أخي الإمام الحداد .

(٣) ههنا وهم من المصنف ؛ فالسادة آل الحداد الذين بقيدون هم من ذرية السيد علوي بن عبد الله الحداد ، أو من ذرية عمه عمر بن علوي .

والحبيب عمر بن أبي بكر الذي ذكره المصنف هو : عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي ابن الإمام عبد الله الحداد ولد بتريم سنة (١١٨٥ هـ) ، وتوفي بقيدون سنة (١٢٨٧ هـ) ينظر : « الشامل » (٢٥٠ - ٢٥١) .

(٤) السيد العلامة ، الصالح الفقيه المرشد ، مولده بقيدون سنة (١٢٤٩ هـ) ، تفقه بوالده وبعلماء بلده . وتوفي بها يوم السبت (١٥) محرم سنة (١٣١٩ هـ) . انظر « الشجرة العلوية » .

الْعَقْدِ فَلَمْ يُؤَخِّرْهُ إِلَّا اضْطِرَّاراً ، وَلَكِنْ مَتَى شَرَعَ فِي الْقِرَاءَةِ فِي الصَّلَاةِ . . أُنْدَفَعَ
بِسُرْعَةِ السَّهَامِ الْمُرْسَلَةِ .

وَلَمَّا مَاتَ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ . . تَحَاشَى النَّاسُ عَنْ إِخْبَارِهِ ؛ لِأَنَّهُ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ ، لَكِنَّهُ لَمْ
يُظْهِرْ بَعْدَ مَا أَخْبَرُوهُ إِلَّا بِأَكْمَلِ مَا يَكُونُ مِنْ مَظَاهِرِ الرِّضَاءِ الثَّامِّ ، فَلَمْ يَنْزِعْ وَلَمْ
يَتَغَيَّرْ ، وَلَمْ يَحُلْ حَبَوْتُهُ ، وَمَا زَادَ عَلَى الْأَسْتِرْجَاعِ وَالْأَسْتَغْفَارِ لِلْفَقِيدِ وَالتَّرْحُمِ عَلَيْهِ ،
فَذَكَرْتُ مَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُ : أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ ذُرُّ بْنُ عَمْرِ بْنِ ذُرٍّ جَاءَ أَهْلُهُ لِيَكُونَ إِلَى
أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : مَا لَكُمْ ؟ ! إِنَّا وَاللَّهِ مَا ظَلَمْنَا ، وَلَا قَهَرْنَا ، وَلَا ذُهِبَ لَنَا بِحَقٍّ ،
وَلَا أُخْطِئَ بِنَا ، وَلَا أُرِيدُ غَيْرُنَا ، وَمَا لَنَا عَلَى اللَّهِ مَعْتَبٌ ، فَلَمَّا وَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ . .
قَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بَنِي ؛ لَقَدْ كُنْتُ بِي بَارِئاً ، وَكُنْتُ عَلَيْكَ شَفِيقاً ، وَمَا بِي إِلَيْكَ مِنْ
وَحْشَةٍ ، وَلَا إِلَى أَحَدٍ بَعْدَ اللَّهِ فَاقَةً ، وَلَا ذَهَبَتْ لَنَا بَعْزٌ ، وَلَا أَبْقَيْتَ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ ،
وَلَقَدْ شَغَلَنِي الْحُزْنُ لَكَ عَنِ الْحُزَنِ عَلَيْكَ . . يَا ذَرُّ ؛ لَوْلَا هُوَلُ الْمُطْلَعِ . . لَتَمَنَيْتُ
مَا صِرْتَ إِلَيْهِ ، لَيْتَ شَعْرِي يَا ذُرُّ مَاذَا قِيلَ لَكَ وَمَاذَا قُلْتَ ^(١) .

وَكَذَلِكَ الْحَبِيبُ طَاهِرٌ لَمْ يَزِدْ عَلَى التَّرْحُمِ عَلَى وَلَدِهِ وَالْأَسْتَغْفَارِ لَهُ .

أَمَّا وَلَدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْحَدَّادُ ^(٢) : فَقَدْ كَانَ طَوْدَ الْمَجْدِ الرَّاسِخِ ، وَرُكْنَ الشَّرَفِ
الْشَّامِخِ ، تَحْيِيرُ الْفَصَحَاءِ فِي أَخْبَارِهِ ، وَتَنْدُقُ أَعْنَاقُ الْجِيَادِ فِي مَضْمَارِهِ .
مُتَنَقِّلٌ فِي سُؤْدَدٍ مِنْ سُؤْدَدٍ مِثْلُ الْهَلَالِ جَرَى إِلَى أَسْتِكْمَالِهِ ^(٣)
لَمْ يَزَلْ يَتَوَقَّلُ ^(٤) إِلَى الْعَلَا ، وَيَتَسَوَّرُ إِلَى الشَّرَفِ .

(١) فِي « حَلِية الْأَوْلِيَاءِ » (١٠٨ / ٥) .

(٢) السَّيِّدُ الشَّرِيفُ ذُو الْقَدْرِ الْمَنِيفِ : مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ عَمْرِو الْحَدَّادِ ، وَلَدَ بِقِيدُونِ سَنَةِ (١٢٧٣ هـ) ،
وَتَوَفَّى بِالْقَلِّ بِجَاوَةِ سَنَةِ (١٣١٦ هـ) ، صَنَفَ فِي مَنَاقِبِهِ تَلْمِيزَهُ وَرَفِيقَهُ فِي أَسْفَارِهِ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرِ الْحَدَّادِ كِتَاباً سَمَاهُ : « قُرَةُ النَّظَرِ » يَقَعُ فِي (٣) مَجْلَدَاتٍ ، وَكُتِبَ عَنْهُ ابْنُ أُخْتِهِ السَّيِّدُ
عَمْرٌ بَاقِيَهُ فِي كِتَابِهِ « صَلَةُ الْأَخْيَارِ » ، وَتَلْمِيزُهُ الْعَلَامَةُ عَلَوِي بْنُ طَاهِرِ الْحَدَّادِ فِي « الشَّامِلِ » ،
وَصَاحِبُ « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » (٤٣ / ٥ - ٥٢) .

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الْكَامِلِ ، وَهُوَ لِلْبَحْتَرِيِّ فِي « دِيْوَانِهِ » (٣٥ / ٢) .

(٤) يَتَوَقَّلُ : يَعْلُو .

وَيَبِيتُ يَخْلُمُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا حَتَّى يَكُونَ الْمَجْدُ جُلَّ مَنَامِهِ^(١)
لَا يَصْعَدُ قُلَّةً . . إِلَّا تَسَنَّمَ ذَرَاهَا ، ثُمَّ أُنْذِفَ إِلَى مَا وَرَاهَا .

مَا زَالَ يَسْبِقُ حَتَّى قَالَ حَاسِدُهُ : لَهُ طَرِيقٌ إِلَى الْعَلْيَاءِ مُخْتَصَرٌ^(٢)
يَنْقَطِعُ دُونَهُ الْكَلَامُ ، وَتَحْيَرُ فِي وَصْفِهِ الْأَقْلَامُ .

لَمْ أُجِرْ غَايَةً فِكْرِي مِنْهُ فِي صِفَةٍ إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ^(٣)
لَهُ هِمَمٌ تَنْفَسُخُ مِنْهَا الْجِبَالُ ، فَضلاً عَنْ قَوَائِمِ الرِّجَالِ .

هِمَّةٌ تَنْطَحُ النُّجُومَ بِرَوْقَيْهَا وَعِزٌّ يُقْلِقُ الْأَجْبَالَ^(٤)
وَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَهَامَتِهِ وَكِبَرِ هِمَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَحَاوِلُ إِغْنَاءَ الْعُلُوِّيْنَ بِحَضْرَمَوْتَ مِنْ أَدْنَاهَا
إِلَى أَقْصَاهَا مَعَ تَحْمِلِهِ مِنَ الدُّيُونِ الَّتِي أَثْقَلَتْ كَاهِلَهُ وَلِذَاكَ ، أَشَارَ عَلَيْهِ أَبُوهُ - مِنْ أَجْلِهَا
- أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى حِيدَرَأَبَادَ ، وَكَانَ لَهُ بِهَا قَدْرٌ عَظِيمٌ ، وَشَأْنٌ فَخِيمٌ ، وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ جَنْبِيهِ نَفْسٌ عَظِيمَةٌ ، غَالَى بِهَا عَنِ الْكِرَامِ حَتَّى لَمْ يَكُنِ
الطُّغْرَانِيُّ إِلَّا كَالشُّوقَةِ فِي جَنْبِ الْمَلِكِ حَيْثُ يَقُولُ :

غَالَى بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا فَصُنَّتُهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَدَلِ
فَوَقَعَ بِذَلِكَ وَبِمُوَافَقَتِهِ لِلْعَلَاءَمَتَيْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ شَهَابٍ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ فِي الْإِعْرَاضِ
عَنِ السُّلْطَانِ عَوْضِ بْنِ عَمْرٍو أَنْ لَاقَاهُ ، وَأَسْتَعَدَّ لِانْزَالِهِ فِي قَصْرِهِ ، وَعَمَلَ لِقُدُومِهِ ضِيَافَةً
عَظِيمَةً ، فَتَرَكَهَا وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَمْهِيدُ السَّبِيلِ لِمَنْ كَانَ يَحْسُدُهُ مِنَ الْعُلُوِّيْنَ فَفَتَلَوْا فِي
الذُّرَى وَالْغَوَارِبِ لِفَشْلِهِ . . فَلَمْ يَقَعْ لَهُ مَا يَرُومُ مِنْ أَمَلِهِ وَلَمْ يَتَيَسَّرْ قَضَاءُ دِينِهِ إِلَّا بَعْدَ
أَنْقِضَاءِ أَجَلِهِ ، وَمِنْهُمْ حَسْبَمَا يَتَعَالَمُ النَّاسُ : حُسَيْنٌ وَحُسَيْنٌ وَأَبُو حُسَيْنٍ - وَلَا أَدْرِي
كَمْ عَدَدُهُمْ يَوْمِيذٍ ؛ فَإِنَّ أَلْمَنَايَا تَخَطَّفَتْهُمْ ، وَالْبُلْدَانَ تَوَرَّعَتْهُمْ ؛ فَهُمْ أَقَلُّ بِكَثِيرٍ مِمَّا

(١) البيت من الكامل ، وهو للبحراني في « ديوانه » (٤١ / ٢) .

(٢) البيت من البسيط ، وهو للبحراني أيضاً في « ديوانه » (٣٠٩ / ٢) .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للمنتبي في « العكبري » (٣٥٢ / ١) .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو للمنتبي في « العكبري » (١٣٤ / ٣) باختلاف بسيط . الرُّوق : القرن .
يقلقل : يحرك . الأجبالا : جمع جبل .

أنتهوا إليه سنة (١٢٠٢هـ) إذ بلغ عددهم ^(١) بالتحقيق يومئذ عشرة آلاف نفس .
 في « تاريخ ابن حميد » : (أن القطب الحداد أشار بإحصاء العلويين في سنة
 (١١١٨هـ) ؛ لدراهم وصلت من الهند على أسمهم ، فبلغوا نحواً من ألفين بعد
 الصغار والكبار والذكور والإناث ، من السوم شرقاً . . إلى هين غرباً) ^(٢) .
 والعجب أنهم لم يدخلوا دوعن في حضرموت في هذا العد ، فلعل الدراهم
 مخصوصة بأهل هذه الناحية ، وإلا . . أشكل الأمر ^(٣) .

وأما في سنة (١٢٠٢هـ) . . فقد بلغ عددهم عشرة آلاف ؛ إذ جاءت صلة صاحب
 المغرب ودفعوا لمن بدوعن ومن بالشحر ومن بأسفل حضرموت حسباً فصلناه بالجزء
 الأول من « الأصل » ولا إشكال ؛ لأن الاعتبار إنما هو بما انحط عليه اعتمادهم
 بإجماعهم آخر ، وقد أحضرت الأنفس الشح في صلة المغربي ، وهي متأخرة عن
 تلك ، والعلماء في أيامها أكثر ، ولا شك أنهم مطلعون على ما كان أيام القطب
 الحداد من مثل ذلك فلا مجال للشك ، لا سيما وأن القطب الحداد من أهل الاجتهاد
 لا يتقيد بمنقول المذهب بخلافهم .

ومن كتاب سيره السيّد علي بن شيخ بن محمد بن شهاب للشريف سرور بن
 مساعد بن حسن صاحب مكة بتاريخ (١١٩٩هـ) يقول : وصلت الدراهم وقدرها
 ثمانون ألف ريال وقرقت على جميع السادة القاطنين بحضرموت من ثمانية ريالات إلا
 ربع ، وتحديد حضرموت من عين بامعبد إلى ظفار .

وقد اتفق العلويون إذ ذاك على تفويض الأمر في قبض الدراهم وتحرير مشجر
 للعلويين - على حسابها - إلى السيّد علي بن شيخ بن شهاب .
 وأمضى في أعلى المسطور السادة : سالم بن أحمد بن الشيخ أبي بكر بن سالم

(١) أي : عدد آل باعلوي في جميع حضرموت .

(٢) « العدة المفيدة » (٢٧١ / ١) . وفيه : أن عددهم (نحو ألف) .

(٣) التحقيق أن دوعن بكافة أوديته الرئيسية والفرعية يدخل ضمن حدود حضرموت الكبرى ، لكن جرى
 العرف حتى عند أهل دوعن أن يقولوا للنازل إلى الوادي الكبير أنه خرج قاصداً حضرموت ، ويعنون بها
 ما وراء الهجرين من وادي العين إلى الكسر ، فالقطن ، فشباب ، فسيئون ، فتريم .

وَأَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ الْعِيدَرُوسُ ، وَصَادِقُ بْنُ شَيْخِ الْعِيدَرُوسِ ،
وَسَالِمُ بْنُ صَالِحِ الْعَطَّاسُ ، وَحُسَيْنُ بْنُ عَلَوِيِّ ، وَهَاشِمُ ، وَحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا
أَحْمَدَ ، وَحُسَيْنُ وَزَيْنُ وَأَحْمَدُ بَنُو حُسَيْنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَحْمَدُ وَعَلِيُّ ابْنَا مُحْسِنٍ ، وَأَبُو
بَكْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَكَافَّةُ آلِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعِيدَرُوسِ .

وَفِي أَسْفَلِهِ : حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَهْلٍ جَمَلِ اللَّيْلِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَدَّادِ ، وَعَمْرُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ مَوْلَى
خِيَلِهِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْعِيدَرُوسِ ، وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيدَرُوسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ
حُسَيْنٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ شَيْخِ بْنِ شَهَابٍ ، وَطَالِبُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَمْرِو الْعَطَّاسِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ حُسَيْنِ الْعَطَّاسُ ، وَعَمْرُ بْنُ سَقَّافِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ طَلَّةَ ، وَهَادُونُ بْنُ عَلِيٍّ
الْجَنِيدِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ ، وَعَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ
زَيْنِ الْحَبَشِيِّ ، وَخَادِمُ الشَّرْعِ بَتْرِيمُ عَمْرُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَذِّنِ بَافْضَلِ ، وَطَالِبُ بْنُ عَوْضِ بْنِ
يَحْيَى ، وَالْمَكْتُوبُ إِلَيْهِمْ مِنْ أَمِينِ الدَّرَاهِمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ سَهْلٍ ، وَسَالِمُ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْعِيدَرُوسِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعِيدَرُوسِ ، وَأَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَدَّادِ ، وَحَامِدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَامِدٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ شَيْخِ بْنِ شَهَابٍ .

وَفِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣١١ هـ) أَصْفَقَ ^(١) أَلْعُلُوِّيُونَ - وَمِنْهُمْ سَيِّدُنَا الْأُسْتَاذُ الْأَبْرُ فَمَنْ دُونَهُ
- عَلَى تَقْدِيمِ صَاحِبِ التَّرْجُمَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ طَاهِرِ الْحَدَّادِ ، فَوَضَعُوا فِي كَفِّهِ لَوَاءَ
نَقَابَتِهِمْ ، وَعَلَى رَأْسِهِ عَصَابَةً شَرَفِهِمْ ، وَعَلَى مَنْكِبِهِ رِدَاءَ زَعَامَتِهِمْ ، وَأَسْجَلُوا لَهُ بِذَلِكَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ ، وَكَتَبُوا لَهُ عَهْدًا وَثِيقًا ، فَكَانَ كَمَا قَالَ ذُو الرُّمَّةِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١١٩ مِنْ الطُّوَلِي] :

وَمَا زِلْتَ تَسْمُو لِلْمَعَالِي وَتَجْتَنِي جَنَى الْمَجْدِ مَدْ شُدَّتْ عَلَيْكَ الْمَآزِرُ ^(٢)
إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْأَرْبَعِينَ فَأَسْنَدْتَ إِلَيْكَ جَمَاهِيرَ الْأُمُورِ الْأَكْبَارِ
فَأَحْكَمْتَهَا لَا أَنْتَ فِي الْحُكْمِ عَاجِزٌ وَلَا أَنْتَ فِيهَا عَنْ هُدَى الْحَقِّ جَائِرٌ

(١) أَصْفَقَ : أَجْمَعَ .

(٢) مَدْ شُدَّتْ عَلَيْكَ الْمَآزِرُ : أَيِ مِنَ الْحِينِ الَّذِي خَرَجْتَ فِيهِ مِنْ حَدِّ الطُّفُولَةِ ، وَأَصْبَحْتَ تَلْبَسُ الْمَآزِرَ .

وقد جرت بينه وبين العلامة السيّد عليّ بن محمّد الحَبشيّ مناقضاتٌ ، منها : أن هذا جَزَمَ في كتابِ سيرةٍ إليه بدخوله تحت دائرته وإن لم يشعُر ، فأنكرَ الأوّلَ ذلكَ - وكان يتواضعُ أشدَّ التواضعِ بينَ يدي أستاذنا وأستاذه الأبرّ عیدروس بنِ عمرَ - وتقدّم إليه بأسئلةٍ جزلةٍ تدلُّ على صدقِ حالٍ وغازةٍ مادّةٍ ، فأجابهُ الأستاذُ بأفضلِ جوابٍ .

وجرت بينه وبين علامة جَاوَة السيّد عثمان بن عبد الله بن عقيل بن يحيى^(١) محاوراتٌ في الأوتار ؛ لأنَّ الأوّلَ يحضرها والسيّد عثمان يشدُّ في منجها ، وقد بسطتُ القولَ عن هذه المسألة في « بلبال التّغريد » بما لا يوجد في سواه .

وقد كان ما اشتهر من محاسن هذا الإمام ، وملاً سَمِعَ الأرضَ وبصرها . . يملأ قلبي حسرةً ؛ إذ لم يُقدِّر لي الاجتماعُ به ، مع أنّه قدِمَ ذاتَ المرّاتِ إلى سيئون وأنا موجودٌ ، وقلَّ من زارها من أهل الفضلِ إلّا زارَ والدي في مكانه علِمَ بذرِّ الَّذي أنجمَعَ فيه بالآخرةِ عن النَّاسِ^(٢) . بل لا يوجد من يتخلّف عنه سوى من كان يتودّد إلى طائفةٍ باطويح القاعدین بكلِّ مرصِدٍ يصدّون البسطاءَ عن سبيله وعن سبيلِ سيّدنا الأستاذِ الأبرّ ومن على شاكلتهم ، ومعاذ الله أن يتأثّر بكلامهم السيّد محمّد بن طاهر ، وهو الَّذي لا يُقعِّعُ له بالشَّنانِ^(٣) ، ولكنني لا أحفظُ زيارته لوالدي مع أنّي لم أفارقه إلّا للحجِّ في سنة (١٣٢٢ هـ) ، وما كنتُ لأنسى زيارته لوالدي لو كانت ، وأنا أحفظُ كلَّ من زاره من أهل الفضلِ منذُ الرّابعةِ من عمري ؛ لأنّه يُقدِّمني إليهم - ليبرِّكوا عليّ ويلبسوني ولأقرأ عليهم شيئاً من القرآنِ أو حديثَ معاذٍ في العلمِ وعلِّ وصوله حضر موتَ صادفَ مرضي الشَّدیدَ في سنة (١٣١٣ هـ) ؛ فإن كان كذلك . . فقد أنحلَّ الإشكالُ - إلّا أنّه يبُلُّ من غليلِ تلكَ الحسرةِ ما كان يُمثّله لنا السيّد عبد القادر بن محمّد السَّقافُ - الآتي ذكره - من كلامه وقراءته ومشيّته .

(١) توفي السيد عثمان في بتاوي جاکرتا يوم الأحد (٢١) صفر سنة (١٣٣٢ هـ) . وهو صاحب المصنفات الكثيرة الجمّة .

(٢) أي : انقبض عنهم واعتزلهم .

(٣) القعقة : صوت الشيء الصلب على مثله . الشَّنانُ : القرب والجلود اليابسة . ومعناه : أنّه ليس ممّن تفرّعه القعقة . وهو مثل عربيّ يُضربُ للرجل الشَّهم الشُّجاع لا يفرّغ بالوعيد .

ثُمَّ أُنْحَدَرَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى جَاوَةِ ، وَأَدْرَكَتُهُ الْمَنِيَّةُ بِالتَّقَلُّ - إِحْدَى مَدْنِيهَا - فِي سَنَةِ (١٣١٦هـ) ، عَنِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ ربيعاً ، فَكَانَ أَكْبَرَ مِنْ قَوْلِ حَبِيبِ [أَبِي تَمَامٍ فِي « دِيوانه » ٢١٧/٢ مِنَ الطُّوِيلِ] :

فَتَى سَيْطَ حُبِّ الْمَكْرُمَاتِ بِلَخْمِهِ وَخَامَرَهُ حَقُّ السَّمَاكِ وَيَاطِلُهُ^(١)
فَتَى جَاءَهُ مِقْدَارُهُ ، وَأَثْنَتَا الْعُلَا يَدَاهُ ، وَعَشْرُ الْمَكْرُمَاتِ أَنَامِلُهُ^(٢)
فَتَى يَنْفُحُ الْأَيَّامَ مِنْ طَيْبِ ذِكْرِهِ ثَنَاءً كَأَنَّ الْعَنْبَرَ الْوَرْدَ شَامِلُهُ
وَقَدْ زَرْتُ قَبْرَهُ ، وَالْفَيْثُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْجَلَالِ مَا ذَكَرْنِي بِقَوْلِ الْأَوَّلِ [مِنَ الطُّوِيلِ] :

عَلَى قَبْرِهِ يَتَنُّ الْقُبُورِ مَهَابَةٌ كَمَا قَبْلَهُ كَانَتْ عَلَى سَاكِينِ الْقَبْرِ
وَبِإِثْرِهِ تَقِيضُ فَرِيقُهُ ، وَأَنْتَهَجَ طَرِيقَهُ وَلَدُهُ الْفَاضِلُ عَلَوِيُّ^(٣) ؛ فَلَقَدْ أَحْيَا قِدَّتَهُ ،
وَأَظْهَرَ جِدَّتَهُ ، وَأَطَالَ مَدَّتَهُ ، وَأَعَادَ جُودَهُ وَنَجَدَّتَهُ ، فَمَا زَالَ طَوِيلَ الْعَمَادِ ، كَثِيرَ
الرَّمَادِ^(٤) ، فَحَمَادٍ لَهُ حَمَادٍ .

تَنْمِيهِ فِي قُلُلِ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَا زُهْرٌ لِزُهْرِ أُبُوءٍ وَجُدُودِ^(٥)
فَرَجٌّ مِنَ النَّبْعِ الشَّرِيفِ إِذَا هُمْ نُسُبُوا وَفَلَقَهُ ذَلِكَ الْجُلُودِ

(١) سَيْطَ : خُلِطَ . خَامَرَهُ : خَالَطَهُ .

(٢) الْمِقْدَارُ : الْأَجَلُ .

(٣) وَلَدَ الْحَبِيبِ عَلَوِي بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ طَاهِرِ الْحَدَادِ بِقِيدُونٍ فِي رَجَبِ (١٢٩٩هـ) ، وَتَوَفَّى بِجَاوَةِ فِي سَنَةِ (١٣٧٣هـ) ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَهْلِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ ، وَلَهُ أَعْمَالٌ خَيْرِيَّةٌ ، وَمَأَثَرٌ تَشْهَدُ لَهُ ، جُمَعَ شَيْئاً مِنْ كَلَامِهِ وَمَوَاعِظُهُ تَلْمِيْذُهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ سَقَافِ الْهَادِي ، وَتَلَامِذَتُهُ كَثِيرُونَ . تَرْجَمْتُهُ فِي : « تَارِيخُ الشُّعْرَاءِ » (٢٥٩/٥) ، « تَعْلِيقَاتُ ابْنِ شَهَابٍ عَلَى شَمْسِ الظَّهِيرَةِ » (٥٦٣/٢) ، وَ« قِرَّةُ النَّاضِرِ » لِتَلْمِيْذِهِ الْعَلَمَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ . . وَغَيْرِهَا .

(٤) كَثِيرَ الرَّمَادِ : كِتَابَةً عَنِ الْكَرَمِ ؛ لِأَنَّهُ يُلْزَمُ مِنْ كَثَرَةِ الرَّمَادِ كَثَرَةُ الْحَطَبِ الْمَحْرُوقِ ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى كَثَرَةِ الطَّبِيخِ ، وَكَثَرَةِ الطَّبِيخِ دَلِيلٌ عَلَى الْكَرَمِ .

(٥) الْبَيْتَانِ مِنَ الْكَامِلِ ؛ وَهُمَا لِأَبِي تَمَامٍ فِي « دِيوانه » (٢٢١/١) تَنْمِيهِ : تَنْسِبُهُ . قُلُلٌ : قِمَمٌ . زُهْرٌ الْأَوَّلَى : اسْمُ قَبِيلَتِهِ . زُهْرُ الثَّانِيَةِ : - جَمْعُ أَزْهَرٍ - وَهُوَ مَشْرِقُ الْوَجْهِ .

وَيُذَكِّرُ أَخُوهُ الْحُسَيْنُ^(١) بِجُودِ غَزِيرٍ ، وَفَضْلِ كَبِيرٍ ، يَأْتِي فِيهِ بِحَقِّ قَوْلِ الشَّرِيفِ
الرَّضِيِّ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٨ / ٢ مِنْ الْبَسِيطِ] :

لَوْ أَنَّ عَيْنَ أَبِيهِ الْيَوْمَ نَاطِرَةٌ تَعَجَّبَ الْأَصْلُ مِمَّا أَثْمَرَ الطَّرْفُ
وَمِنْ الْأَسْفِ أَنْ تَسْتَأْثِرَ جَاوَةٌ بِأَمْثَالِهِمْ ، لَكِنَّ الْأَمَرَ كَمَا قَالَ حَافِظُ [فِي « دِيَوَانِهِ »
٢٦٩ / ١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

كَمْ غَادَةٌ فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ بَاكِيةً عَلَى أَلْفِ لَهَا يَهْوِي بِهِ الطَّلَبُ
لَوْلَا طَلَابُ أُلْعَلَا لَمْ يَتَتَّعُوا بَدَلًا مِنْ طِيبِ رِيَاكِ لَكِنَّ أُلْعَلَا تَعَبُ
وَفِي قِيدُونِ جَمَاعَةٍ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ^(٢) ،
أَخِي الْقُطْبِ الْحَدَّادِ ، مِنْهُمْ :

الْصَّالِحُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَلَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ^(٣) ، لَهُ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ ، وَدَعَاءُ
مُسْتَجَابٌ ، يَأْخُذُهُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ حَالٌ عَظِيمٌ يُخْرِجُهُ عَنْ حِسِّهِ وَيَذْهَبُ بِهِ هَائِمًا عَلَى
وَجْهِهِ .

وعلى قريبٍ من حالِهِ كَانَ وَلَدُهُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ مُحَمَّدٌ ، أَلْمَتَوْفَى بِسَيْثُونِ فِي أَوَائِلِ
سَنَةِ (١٣٢٤ هـ) .

وَكَانَ عَيْشُهُ عَلَى قَدَمِ التَّوَكُّلِ ، وَلَا تَخْلُو عَصْمَتُهُ عَنْ أَرْبَعِ زَوَاجَاتٍ ، وَلَهُ نَوَادِرُ ، مِنْهَا :
أَنَّهُ تَعَشَّى عِنْدَ أُمِّهِ فِي حَوْطَةِ آلِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ ، فَقَالَ : أُرِيدُ السَّمَرَ عِنْدَ بَعْضِ
الْإِخْوَانِ .

فَقَالَتْ : خُذْ مِفْتَاحَ الدَّارِ مَعَكَ ؛ حَتَّى لَا تَوْقُظَنِي بِقَرْعِ الْبَابِ .

(١) ولد السيد الحسين بن محمد بقيدون ، وتوفي في جَاوَة ، كان شهماً أياً محسناً اشتهر بالكرم وبذل
الموجود ، على صفاء طوية وحسن نية .

(٢) توفي بتريم سنة (١١١٢ هـ) ، وله ذرية كثيرة بسيثون والحوطة ودوعن والهند وجَاوَة ، وفي بَيْحَانَ
وأَرْض الرِّصَاصِ وغيرها .

(٣) ولد بحاوي الحوطة ، وتوفي بها سنة (١٢٩٤ هـ) ، أفردته بالترجمة حفيده العلامة علوي بن طاهر ،
وهي ترجمة مفيدة ، تسمى : « نور الأبصار » ، ويلقب الحبيب عبد الله هذا بالهدار ؛ لكثرة هديره
بالذكر .

فَعَنَّ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْفَجْجِرِ عَلَى نَحْوِ تِسْعَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْحَوِطَةِ وَدُونَ أَلْمِيلِ مِنْ سَيْثُونَ ، وَكَرِهَ أَنْ يُزْعَجَ أَهْلَ الْفَجْجِرِ بِالْقَرْعِ ، فَعَمَدَ لِحِذْعٍ طَوِيلٍ أَلْفَاهُ هُنَاكَ ، فَتَسَلَّقَ عَلَيْهِ مَنَزَلَ زَوْجَتِهِ ابْنَةِ السَّيِّدِ شَيْخِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَوْلَى خِيَلِهِ ، وَلَمَّا قَضَى وَطْرَهُ مِنْهَا . . عَنْ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى سَيْثُونَ ، فَحَمَلَ الْحِذْعَ وَتَسَوَّرَ بِهِ عَلَى بَيْتِ أَمْرَأَتِهِ الْأُخْرَى بِسَيْثُونَ - وَهِيَ أُمُّ السَّيِّدَيْنِ : إِبْرَاهِيمَ وَمَوْسَى آلِ الْحَبْشِيِّ - وَلَمَّا أَخَذَ مَأْرِبَهُ مِنْهَا . . رَدَّ الْحِذْعَ إِلَى مَوْضِعِهِ بِالْفَجْجِرِ ، ثُمَّ سَرَى ، وَلَمَّا كَانَ بِالْغُرْفَةِ . . دَخَلَ جَامِعَهَا وَتَطَهَّرَ وَتَهَجَّدَ مَا شَاءَ ، ثُمَّ سَرَى إِلَى الْحَوِطَةِ ، فَلَمَّا وَصَلَهَا . . عَرَفَ أَنَّهُ نَسِيَ مِفْتَاحَ الدَّارِ بِجَامِعِ الْغُرْفَةِ ، فَرَجَعَ أَدْرَاجَهُ وَأَخَذَهُ مِنَ الْمِيضَاءِ ، وَسَارَ إِلَى الْحَوِطَةِ ، وَلَمْ يَصِلْهَا إِلَّا بَعْدَ مَطْلَعِ الْفَجْرِ .

وَمِنْ نَوَادِرِهِ : أَنَّ زَوْجَتَهُ الَّتِي بِسَيْثُونَ هِيَ بِنْتُ عَمِّهِ ، وَأَسْمَاهَا : شَيْخَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ الْحَدَّادِ ، وَكَانَ كُلُّمَا زَارَهَا . . وَجَدَ عِنْدَهَا ابْنَيْهَا إِبْرَاهِيمَ وَمَوْسَى ابْنَيْ عَمْرِ بْنِ شَيْخِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَبْشِيِّ . . فَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنَ الْخُلُوعِ بِهَا ، حَتَّى جَاسَتْ نَفْسُهُ ذَاتَ يَوْمٍ ، فَقَالَ :

خَيْرُهُ فِي الْعَشَقِ لِي	فِيهِ الْتَكْذُوبُ وَالنَّغْصُ
حَلِيَّتُ فِي حِصْنٍ لَكِنْ	فِيهِ جَمَلَةٌ لَصَاصُ
خِلِّي خِلِّي لِي وَلِ	كَتْنُهُ شَرْدٌ وَأَفْتَحُصْ
جِفْلٌ كَمَا الصَّيْدُ لَا	قَدْ شَافَ هَمَزَةٌ مَقْصُ ^(١)
وَلَوْ مَعِيَ قَرَشٌ بِأَقْصُ	مِثْلُ مَنْ قَدْ قَنَصُ

وَكَانَ وَجَدَ مِنْهَا فُرْصَةً ، وَلَمَّا جَلَسَ بَيْنَ شَعْبِهَا . . أَحَسَّتْ بِقُدُومِهَا ، فَهَضَمَتْ مِنْ تَحْتِهِ فَقَالَ الْأَبْيَاتُ . . فَأَجَابَتْهُ مِنْ حِينِهَا بِقَوْلِهَا :

قَالَ إِبْنُ هَاشِمٍ مِنْ أَلِ	مَوْلَى هِيَ إِلَّا حِصْصُ
لَوْ حَذَقَسَمٌ غَيْرَ رَبِّي	قُلْتُ قَسَمِي نَقْصُ

(١) جِفْلٌ : فَرَّهَارِيًّا .

لو كنتَ عاشقٌ دَهَنْتَ ألسير وأرمىْتَ خَصْنَ
لا جَبْتَ لي شِرْكٌ في قَادِمٌ ولا جَبْتَ قَصْنَ
من يُطْعِم الخيلَ وَكَبْ بِسْ إِذَا شَا وَرَصْنَ
كَأَنَّكَ بِغَيْثِهِ عَلَى ذا الشُّورِ وَالْأَخْلَصْنَ

وذكرتُ عندَ هذا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ بِإِثْرِ بَنَاتِهِ عليها . . بكتَ بِنْتُهَا ، فَأَخَذَتْ تَعْلُلُهَا بِالرَّضَاعَةِ حَتَّى أَخَذَهَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ - وَكَانَ لَهَا مَحْرَمًا - وَقَالَ : لَقَدْ حَرَمْتَ هَذِهِ الْمَقْبُوحَةَ الْمَشْقُوحَةَ^(١) رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا يَرِيدُ^(٢) .

وَمِنْ ذُرِّيَةِ أَلَسَّيْدِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَلْحَةَ بَقِيدُونَ : أَلَسَّيْدَانِ الْجَلِيلَانِ : أَلْوَاعِظُ أَلْعَابِدُ أَلصَّالِحُ عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ^(٣) . وَأَلْعَلَّامَةُ أَلْجَلِيلُ عَلَوِيُّ بْنُ طَاهِرٍ^(٤) ، عِلْمٌ عُلُومٌ ، وَنَبْرَاسٌ فَهُومٌ .

(١) المشقوقة : المبعدة .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرک » (١٨/٤) .

(٣) العلامة الفقيه المرشد الصالح ، مولده بقيدون سنة (١٢٩٦هـ) ، من أعيان قيدون ، وكان يسافر إلى جهة الهند وجاوة ، ولم يزل قائماً برباط العلم بقيدون . . حتى توفي سنة (١٣٦٨هـ) ، وله عدد من المصنفات ، ينظر : « تاريخ الشعراء » (٢٤٧/٥ - ٢٥٦) ، « الدليل المشير » (١٩٦ - ٢٠٣) .

(٤) الإمام المحدث ، المفسر المسند ، الفقيه المؤرخ الجهيد ، وحدث عن البحر ولا حرج ، وهو القائل فيه الشاعر صالح بن علي الحامد :

هَذَا الَّذِي إِنْ سَمَا شَعْبٌ يِيَاهَلُنَا بَعْقَرِي بِهِ جُنْنَا نِيَاهَلُهُ
وُلِدَ سَنَةَ (١٣٠١هـ) بِقِيدُونَ ، وَتُوفِيَ بِجَوْهَرٍ فِي مَالِيزِيَا سَنَةَ (١٣٨٢هـ) ، وَصَنَفَ الْمَصْنَفَاتِ الرَّائِعَةَ النَّاقِعَةَ ، الَّتِي لَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهَا ؛ وَانْظُرْ : « الدليل المشير » (٢٣٥ - ٢٤٠) ، « تاج الأعراس » ، « شمس الظهيرة » .

وَمِنْ أَعْيَانِ آلِ الْحَدَادِ بِهَا أَيْضًا : السَّيِّدُ السَّنْدُ الدَّاعِي إِلَى اللهِ ، الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الْأَدِيبُ الْمَهِيْبُ : أَحْمَدُ الْمَشْهُورُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ عَلِي بْنِ عَبْدِ اللهِ الْهَدَارِ الْحَدَادِ ، الْمَوْلُودُ بِهَا حُدُودَ سَنَةِ (١٣٢٢هـ) ، وَالْمُتُوفِي بِجَدَّةَ فِي ١٦ رَجَبِ (١٤١٦هـ) . كَانَ مِنْ كِبَارِ أَدْبَاءِ وَعُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، طَلَبَ الْعِلْمَ عَلَى عَمِيهِ السَّيِّدِينَ عَبْدِ اللهِ وَعَلَوِيٍّ ابْنِي طَاهِرِ الْحَدَادِ ، وَاسْتَقَرَّ فِي أَفْرِيْقِيَا بِكَيْنِيَا نَاشِرًا لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَدَخَلَ عَلَى يَدَيْهِ إِلَى الْإِسْلَامِ أَلُوفُ مُؤَلَّفَةٍ ، لَهُ مَصْنَفَاتٌ ؛ مِنْ أَجْلِهَا : كِتَابُ « مُفْتَاَحُ الْجَنَّةِ » طَبَعَ مَرَّاتٍ وَتُرْجِمَ إِلَى عِدَّةٍ لُغَاتٍ ، وَلَهُ « السَّبْحَةُ الثَّمِينَةُ فِي نَظْمِ مَسَائِلِ السَّفِينَةِ » وَ« دِيْوَانٌ » اِحْتَوَى عَلَى غَرَرِ الْقَصَائِدِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَلِابْنِهِ السَّيِّدِ حَامِدٍ تُرْجِمَةُ مُوسَعَةٍ لَهُ طُبِعَتْ مُؤَخَّرًا .

وَيُكَنَّى بِأَسْمِهِ عَنْ فَضْلِ عِلْمٍ وَكُلُّ أَسْمٍ كِنَايَةٌ فَلَانُ^(١)
 فَهُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ^(٢) ، وَالْفَقِيهُ الْمَحْقَقُ ، وَالْمُحَدِّثُ النَّقَّادُ ، وَلَهُ فِي التَّفْسِيرِ
 الْفَهْمُ الْوَقَّادُ ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ شَاهِدَةٌ وَأَثَارُهُ نَاطِقَةٌ^(٣) ، وَلَمْ أَعْرِفْ مَبْلَغَ مَعْرِفَتِهِ بِالْفَقْهِ ، إِلَّا
 أَنَّهُ اخْتَلَفَ مِنْ نَحْوِ ثَلَاثِينَ عَامًا هُوَ وَالْقَاضِي الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ سَعِيدٌ بَاجِنِيدٍ فِي مَسْأَلَةِ فِي
 الشُّفْعَةِ ، وَكُتِبَ فِي ذَلِكَ رِسَالَةٌ أَهْبَبَ فِيهَا حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الثَّنَاءِ عَلَى السَّيِّدِ الْفَاضِلِ
 حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَافِي ، وَلَمَّا رُفِعَ إِلَيَّ كَلَامُ الْاِثْنَيْنِ لِلنَّظَرِ أَظُنُّنِي - وَالْعَهْدُ بَعِيدٌ -
 رَجَحْتُ كَلَامَ الْقَاضِي ، فَرَأَيْتُ مِنْهُ جَفْوَةً مِنْ حَيْثُ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَحَمَّلَهَا ؛ إِذْ لَمْ يَزَلِ
 الْعُلَمَاءُ بَيْنَ رَادٍّ وَمَرْدُودٍ عَلَيْهِ ، لَكِنَّ الْإِنْصَافَ عَزِيزٌ ، وَلِهَذَا لَمْ أَعْمَلُهُ بِمِثْلِهَا كَمَا
 يَعْرِفُ النَّاسُ ، وَإِنْ أَنْصَمْتُ إِلَى ذَلِكَ اخْتِلَافِ الْأَرَاءِ بِشَأْنِ الرِّابِطَةِ حَسَبًا فَصَّلَ
 بِـ « الْأَصْلِ » .

وَكَانَ عَلَى الْإِفْتَاءِ فِي بِلَادِ جُهْورٍ مِنْ نَاحِيَةِ أَلْمَلَايَا ، ثُمَّ أَنْفَصَلَ فِي أَيَّامِ الْحَرْبِ
 الْمَشْهُورَةِ أَلْيَابَانِيَّةً .

وَسَبَبُ كَوْنِهِمْ بِقِيدُونٍ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ قَاضِي الْحَوِطَةِ الْأَسْبَقُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
 حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَبَشِيِّ : أَنَّ جَدَّهُ لِأُمِّهِ شِفَاءً وَهُوَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ - السَّابِقُ ذِكْرُهُ تَرَدَّدَهُ إِلَى هُنَاكَ - حَمَلَ مَعَهُ ابْنَتَهُ
 طَاهِرًا ، فَتَزَوَّجَ عَلَى الشَّرِيفَةِ شِفَاءَ بِنْتِ عَيْسَى أُخْتِ الْحَبِيبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَيْسَى
 الْحَبَشِيِّ ، وَأَوَّلَدَهَا عَبْدُ اللَّهِ فِي سَنَةِ (١٢٩٦ هـ) ، وَعَلَوِيًّا فِي سَنَةِ (١٣٠١ هـ) ،
 وَفِي نَفَاسِهَا بِهِ مَرَّةً عَلَيْهِ فِي قِيدُونٍ عُمُّهُ جَعْفَرُ بْنُ طَلْحَةَ - الْآتِي ذِكْرُهُ فِي الْحَاوِي - وَقَالَ
 لَهُ : لِمَاذَا تَجَلَّسَ بِقِيدُونٍ تَضَعُ الْأَوْلَادَ ؟ ! فَتَعَالَ مَعِيَ إِلَى جَاوَةِ ، فَفَعَلَ ، وَمَاتَ بَعْدَ

(١) الْبَيْتُ مِنَ الْوَافِرِ ، وَهُوَ لِأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيِّ فِي « سَقَطِ الزُّنْدِ » (٧٠) ، بِاخْتِلَافٍ بَسِيطٍ .

(٢) الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ : الْبَلِغُ الْمَاهِرُ .

(٣) وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ : « عُقُودُ الْأَلْمَاسِ » وَ« الْمَدْخَلُ إِلَى تَارِيخِ الْإِسْلَامِ فِي الشَّرْقِ الْأَفْصَى » ،
 مَطْبُوعٌ ، وَ« الْقَوْلُ الْفَصْلُ فِيمَا لَبِنِي هَاشِمٌ وَقَرِيشٌ وَالْعَرَبُ مِنَ الْفَضْلِ » ، فِي مَجْلَدَيْنِ كَبِيرَيْنِ ،
 وَ« الْكَلِمَاتُ الْجَامِعَةُ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْوَاقِعَةِ » ، وَ« دُرُوسُ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ » ، وَ« إِعَانَةُ النَّاهِضِ فِي عِلْمِ
 الْفَرَائِضِ » ، وَ« الْفَوَائِدُ اللَّوَلُؤِيَّةُ فِي الْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ » ، وَمُؤَلَّفَاتُهُ تَزِيدُ عَلَى السِّتِينَ .

وصوله بشهر ونصف شهر ، فعاشا في كنف أمّهما وأبيها ، وكانت أمّ أعمامهم محمّد وحسن وعليّ - وهي سعدية بنت الحبيب محمّد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي - تبعث لهم بالمواساة ، ولما يَفْعَ عبدُ الله . . نجع إليها بحوطة آل أحمد بن زين ، فكفلته ، وكان يتردّد إلى الغرفة ؛ فله أخذ عن الأستاذ الأبرّ الحبيب عیدروس بن عمر ، ولما استغلّظ علويّ . . قدّم عليها أيضاً ، فأوته ؛ إلاّ أنّها شغلته بالخدمة حتّى أنّها لا تمكّنه من حضور الرّوحة بالحوطة . هذا آخر كلام القاضي عبد الله بن حسين .

وأشهر أولاد عبد الله بن طه حالاً ، وأعلامهم كعباً ، وأكثرهم جمالاً : هو شيخنا صاحب النفس الأبيّة ، والهمم العليّة ، والشّهاميّة والأريحيّة ، كثير العبادة والتّلاوة والأذكار ، ظاهر السّيادة والسّعادة والأنوار ، صالح بن عبد الله ، زُرته بداره في نصاب آخر سنة (١٣٤٩هـ) فأجلّني وأكرمني والبسني وأجازني وشابكني ودعا لي بدعوات عظيمة .

وممن بقيدون من السّادة : آل بافقيه ، وقد مرّ في الخريّة ذكر السيّد أبي بكر بن محمّد بافقيه^(١) ، وأننى عليه شيخنا المشهور في « شمس الظّهيرة » ، وقال : « إنّهُ توفّي بقيدون في سنة (١٠٥٣هـ) » .

ثمّ رأيت الشّليّ ترجم له في « مشرعه » وأطنب في الثّناء عليه ، وذكر له علماً جمّاً وفضلاً كثيراً^(٢) .

وبقيدون جماعة من ذرّيّة السيّد عمر بن عبد الرّحمن بن عقيل بن عبد الرّحمن السّقاف^(٣) ، وهم : آل باعقيل : منهم : السيّد الصّالح عبد الرّحمن ، صاحب المشهد المعروف بصيف ، توفّي بيضه منقرضاً .

(١) انظر ترجمته في « الشامل » (٢٤٠-٢٤١) .

(٢) « المشرع الروي » (٤٥-٤٤/٢) .

(٣) توفي السيد عمر بن عبد الرحمن سنة (٩٦٧) أو (٩٩٧هـ) ، وأما والده فتوفي بتريم سنة (٩١٠هـ) . وتقدم أن جده عقيل توفي بتريم سنة (٨٧١هـ) .

ومنهم : السَّيِّدُ عُمَرُ بْنُ عَلَوِيٍّ بِاعْقِيل ، جمعَ ثَرَوَةٍ طَائِلَةٌ بِسَرَبَايَا مِنْ أَرْضِ جَاوَةٍ ، وَلَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِيهَا ، مِنْ إِعَانَةِ الضَّعِيفِ ، وَإِغَاثَةِ اللَّهْفِ ، وَبَقِيَ مَعَ كَثْرَةِ أَمْوَالِهِ عَلَى حَالِهِ مِنَ التَّوَاضُعِ ، تُوُفِّيَ بِسَرَبَايَا ، لَعْلَهُ فِي سَنَةِ (١٣٢٨ هـ) ، وَخَلَفَ أَوْلَادًا ، مِنْهُمْ : مُحَمَّدٌ ، السَّابِقُ خَيْرُهُ فِي الضَّلِيعَةِ .

ومنهم : أَحْمَدُ ، قَتَلَهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْبَارِ ظَهَرَ النَّهَارِ عَلَنًا ، وَهُوَ رَاكِبٌ سَيَّارَتَهُ فِي الطَّرِيقِ الْعَامَّةِ بِسَرَبَايَا .

ومنهم : مُحَسِّنٌ وَحْسِينٌ ، قَامَتْ بَيْنَهُمْ مَنَازَعَاتٌ تَلَفَتْ فِيهَا أَكْثَرُ أَمْوَالِهِمْ . وَقَدْ سَبَقَ فِي خَبَرِ مُحَمَّدٍ أَنَّ إِخْوَانَهُ دَفَعُوا عَنْهُ بِأَمْرِ خَمْسِينَ أَلْفَ رُوبِيَّةٍ لِلْقَعِيطِيِّ ، وَهِيَ الَّتِي تَوَقَّفَ إِطْلَاقُهُ مِنَ السَّجَنِ عَلَى دَفْعِهَا ، وَقَدْ تَعَهَّدَ مُحَمَّدٌ بِتَسْلِيمِ مُقَابِلِهَا ، وَأَعْطَاهُمْ وَثِيقَةً بِذَلِكَ وَهُوَ مُخْتَارٌ ، وَعَلَّقَ طَلَاقَ نِسَائِهِ بِالثَّلَاثِ بِتَأْخُرِهِ عَنْ دَفْعِهَا لَهُمْ مَدَّةً مَعِيْنَةً بَعْدَ الْقُدْرَةِ ، مَضَتْ تِلْكَ الْمَدَّةُ وَهُوَ رَخِيٌّ الْخَنَاقِ ، وَبَقِيَ مَعَ نِسَائِهِ مَعَ عَدَمِ عُذْرِهِ فِي الْمَطْلِ ، وَلَمَّا وَصَلَتْ سَرَبَايَا سَنَةَ (١٣٤٩ هـ) . . سَأَلَنِي أَصْهَارُهُ^(١) مِنْ بَنِي عَمِّهِ . فَأَقْتَبَتْهُمْ بِنْفُوزِ الطَّلَاقِ .

ومنهم : السَّيِّدُ الْتَزِيَّةُ النَّدِيمُ ، الْخَفِيفُ النَّسِيمُ ، صَاحِبُ النُّوَادِرِ اللَّطِيفَةِ ، وَالْحَالَاتِ الشَّرِيفَةِ ، عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّقَّافُ^(٢) ، وَهُوَ مِنَ الْمَعْمَرِينَ ، عَاشَ فِي أَكْنَافِ الْأَكَابِرِ ، وَحَظِيَ بِاعْتِنَائِهِمْ وَصَحَّةِ وَلَائِهِمْ ، وَلَهُ دَالَّةٌ عَظِيمَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَكَثِيرًا مَا يُمَثِّلُ هَيَاتِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ وَقِرَاءَاتِهِمْ ، وَكَيْفِيَّاتِ مَشْيِهِمْ وَحَرَكَاتِهِمْ ، فَيُخَفِّفُ مِنْ حَسْرَتِنَا عَلَى عَدَمِ الْاجْتِمَاعِ بِكَثِيرٍ مِنْهُمْ ؛ كَسَيِّدِي طَاهِرِ بْنِ عَمْرِو الْخَدَّادِ ، وَأَبْنِهِ مُحَمَّدٍ ، وَسَادَتِي : عَمْرَ بْنَ هَادُونَ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ صَالِحٍ ، وَعَمْرَ بْنَ صَالِحٍ ، وَأَمْثَالِهِمْ . وَفِي ذَلِكَ التَّمَثِيلِ نَوْعٌ مِنَ الْوَصَالِ لَيْسَ بِالْقَلِيلِ ، وَهُوَ الْآنَ بِمَكَّةَ الْمَشْرِقَةِ عَلَى ضِيَافَةِ صَاحِبِ الْمُرُوءَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ سُرُورِ الصَّبَّانِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاءَهُ .

(١) الْأَصْهَارُ : أَقَارِبُ الزَّوْجَةِ .

(٢) وَهُوَ مِنْ آلِ بَاعْقِيل ، وَاشْتَهَرَ بِالسَّقَّافِ ، تُوُفِّيَ حُدُودَ سَنَةِ (١٣٦٧ هـ) بِقِيدُون ، وَلَهُ بِهَا ذَرِيَّةٌ وَبِجَاوَةٍ .

وفي قيدون جماعة من السادة آل الحبشي ، من آخرهم : الفاضل الجليل ، السيد عبد الرحمن بن عيسى الحبشي^(١) ، كان على قضائها في سنة (١٣٢٩هـ) وعنده علم غزير ، وتواضع كثير ، ونزاهة تامة ، وصدر واسع ، وجانب سهل .

وآل قيدون يتعالمون بأخبار كبيرة عن نجاح الشيخ أحمد بن سعيد باداهية^(٢) في علاج الأمراض بطبه العربي ، لولا أنهاؤها إلى التواتر المعنوي . . لكذبناها ؛ لأنها مما تدهش العقول .

وفي قيدون عدد ليس بالقليل من حفاظ كتاب الله ، وبينما أنا مرة عند السيد حسين بن حامد المحضار بالمكلا . . ورد شيخ من آل العمودي ، يقال له : بن حسن ، عليه زي البادية ، فإذا به يحفظ كتاب الله ويحيد قراءته ! ولما أشتد إعجابي به . . قال لي ألعلم حسين : لكننه سارق ! فسألته ، فقال : نعم إني لأحد جماعة من الحفاظ ، إذا كان من أول الليل . . سرقنا رأس غنم على أحد أهل قيدون واشتويناه ، ثم إذا كان من آخر الليل . . سرنّا إلى الجامع نندرس آيات القرآن بظهر الغيب .

وما أدري أقال ذلك مازحاً ، ليوافق هوى الوالد حسين ، أم عن حقيقة ؟ غير أنني عند هذا تذكرت ثلاثة أمور :

الأول : ما جاء في « مسند الإمام أحمد » [٢٤٧/٢] ونصه : حدثني عبد الله ، حدثني أبي ، حدثنا وكيع ، حدثنا الأعمش ، قال : أنبأنا أبو صالح ، عن أبي هريرة قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن فلانا يصلي بالليل ، فإذا أصبح . . سرق ! قال : « إنه سينهاه ما تقول ») وهذا السند جيد .

الثاني : لما كنت بسربايا في سنة (١٣٤٩هـ) . . حضر مجلسنا رجل أصله من مكة ، يقال له : محمود ، فقرأ لنا حصّة من الكتاب العزيز بصوت جميل كاد يقتلع

(١) هو السيد الفقيه عبد الرحمن بن عيسى (١٢٩٦هـ) بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد ابن الحبيب عيسى بن محمد بن أحمد صاحب الشعب الحبشي ، توفي المترجم في حدود (١٣٥٠هـ) ، وترجم له ابن أخته العلامة علوي بن طاهر في « الشامل » .

(٢) آل باداهية من الأسر العمودية ، يسكنون قيدون .

قلبي من مكانه ، فطربت لذلك ، وأمرتهم بالاكتاب له ، فقالوا : إنه يشرب الخمر !
فقلت لهم : إن من أدرج كتاب الله بين جنبيه ، وحبره هذا التحبير . . لجدير أن
لا يموت إلا على حسن الختام ، وذكرت الحديث ، فأكتبوا له على قدر همهم بنحو
من ثلاث مئة ربيّة .

والثالث : قول النجاشي الحارثي يهجو أهل الكوفة [من البسيط] :

إِذَا سَقَى اللَّهُ قَوْمًا صَوْبَ غَادِيَةِ فَلَا سَقَى اللَّهِ أَهْلَ الْكُوفَةِ الْمَطَرَا
الْثَارِكِينَ عَلَى طَهْرِ نِسَاءِهِمْ وَالنَّاصِحِينَ بِشَطْطِي دِجْلَةَ الْبَقَرَا
وَالسَّارِقِينَ إِذَا مَا جَنَّ لَيْلُهُمْ وَالذَّارِسِينَ إِذَا مَا أَصْبَحُوا السُّورَا
أَلْقَى الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَكُونُوا لِمَنْ عَادَاهُمْ جَزَرَا

وما إخاله في ذلك باراً ولا راشداً ، وكيف يصدق وقد بلغ به الفسوق إلى انتهاك
حرمة رمضان بالشكر في أول يوم منه ، فحدّه مولانا علي بن أبي طالب وزاده عشرين
فأنسل إلى معاوية مع أحد نهدي في خير طويل ذكره شارح « النهج » .

وقد قال سفيان بن عيينة : (خذوا الحلال والحرام عن أهل الكوفة) .

ومن النوادر : ما أخبرني به منصب الشهيد السيّد أحمد بن حسين : أن العبيد
بدوعن - وفيهم كثرة لذلك العهد - يجتمعون ويتبعهم العتقاء لزيارة الشيخ سعيد بن
عيسى في آخر جمعة من رجب ، ويدخلون والخطيب في خطبته بطولهم ومزاميرهم ،
فقام لهم مرّة أحد آل العمودي فكسرهما عليهم ، وهما يقتله لكنهم أحترموا لأن خاله
الشيخ عمر بن عبد القادر العلّامة المشهور الشّيبة الحال بالشيخ بامخرمة ، ولكنهم
أجمعوا على الجلاء واجتمعوا بالسويدا - وهي نخيل قيدون - فقال بعضهم : إن
بالسويدا رجالاً .

وبينا هم معسكرون هناك للرّحيل بقضهم وقضيضهم - وقد عجز أهل دوعن عن
صدّهم ، مع أن أكثر أعمالهم وخدمهم متوقفة عليهم . . إذ جاء العلّامة السيّد علي بن
حسن العطّاس فسار إليهم - ومعه الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي - وأعطاهم البنّ

ليطبخوا القهوة ، وسألهم عن شأنهم فأخبروه ، فقال لهم : لا تطيبُ لنا الأرضُ من بعدكم فسنرحلُ معاً ، وما زال يُلاينهم حتى تمَّ الأمرُ على أن تبقى زيارتهم بحالها وعلى أن تحبسوا الشيخَ الذي كسرَ طبولهم شهراً ، وسُوِّيتِ القضيةُ .

ثم إنَّ الشيخَ عمرَ بنَ عبدِ القادر - أحدَ تلاميذِ الأستاذِ الحدَّادِ - قد قيلَ له : إنَّ الشيخَ عمرَ بنَ عبدِ القادرِ يريدُ أن يكونَ مثلَ بامخرمة ، فقال الأستاذُ الحدَّادُ : إنَّه لأعظمُ حالاً منه ، وكان يستعملُ السَّماعَ إذا وصلَ كحلانَ ، أمّا في تريم . . فلا ؛ أدباً . وقال مرّةً للحبيبِ عليّ بنِ حسنِ العطّاسِ : ما قصرن إلاّ القحبيات ؛ يعني : البغايا .

وقد ترجمهُ السيّدُ عليّ بنُ حسنِ العطّاسُ وبالعَ في الثَّناءِ عليه ، وترجمهُ أيضاً الشيخُ محمّدُ بنُ ياسينِ باقيس ، وكانت وفاته سنة (١١٤٧هـ) ، وهو من أهل التَّخريب ، وذكرهُ الشيخُ عبدُ الله بنُ أحمدَ باسودان في مواضع من كتبه كـ « جواهر الأنفاس » وغيره .

عوذُ إلى أخبارِ آلِ العموديِّ ورئاستهم بعدَ أنقسامهم : قد مرَّ في بضّة أن الكساديَّ استولى على أكثرِ دوعن في حدودِ سنة (١٢٨٦هـ) ، غيرَ أنَّ العموديينَ اجتمعوا إثرَ اغتيالِ الكساديِّ أحدَ المشايخ ، وهو الشيخُ محمّدُ بنُ شيخِ العموديِّ ، في سنة (١٢٨٨هـ)^(١) ، ونَجَعوا بالرَّئاسةِ العامّةِ للشيخِ صالحِ بنِ عبدِ اللهِ العموديِّ ، فتحملَ أثقالاً فادحةً ، عهد^(٢) مِنْ أَجْلِهَا أموالاً طائلةً بسهوةِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا فِي مَرْخَةٍ ، وساعدَهُمْ جميعُ قبائلهم مِنَ الْقُتَمِ وَسَيِّبَانَ وَالْمَرَّاشِدَةِ وَالْجَعْدَةِ وَغَيْرِهِمْ ، فَأَيَّدَهُمُ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ، وَلَكِنْ لَمْ تَأْتِ سَنَةُ (١٣٠٠هـ) إِلَّا وَوَادِي دوعنَ ، حَسَبَمَا قَالَ الْإِمَامُ الْمُحَضَّرُ [مِنْ مَجْزُوءِ الرَّجَزِ] :

أُنْظِرْ إِلَى الْوَادِي فَقَدْ حَلَّتْ بِهِ السَّبْعُ الشَّدَاذُ
الْأَخْمَعِي وَالْمُرْشِدِي هُمْ وَالْقُتَمِ بِئْسَ الْمِهَادُ

(١) ينظر : « العدة المفيدة » (٣١٧/٢) وما بعدها .

(٢) عهد : باع عهدة .

وَالَّذِينَ وَالْمَشْجَرِ هُوَ وَالْعَبِيدِ لَا يَعَادُ
وَأَبْنُ مُطَهَّرٍ سَابِعُ آلِ غِلْمَةٍ وَهُوَ رَأْسُ الْفَسَادِ
اللَّهُ يَهْدِيهِمْ وَيَهْدِيهِمْ وَيَهْدِيهِمْ
وَالْأَنْظَفُ مِنْ مَنْ آلِ وَادِي وَيَجْعَلُهُمْ بَعَادُ

وقد سبق في بؤنة أنهم منقسمون إلى قسمين : آل محمد بن سعيد ، ولهم قيدون
وما نزل عنها إلى الهجرين .

وآل مطهر ، ولهم بؤنة وما إليها . وكان فيهم عدة مناصب :

آل صالح بن عبد الله ، ببؤنة . والشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الكريم
صاحب شرق ، على مقرية من الخريبة . والشيخ سعيد بن محمد بن منصر صاحب
العرض ، بالخريبة أيضاً . والشيخ محمد باعمر صاحب البراز ، قريباً من القرين .

وبينهم من المنافسات ما لا تبرك عليه الإبل ، وكل منهم يوضع في سبيل الجور
والظلم ، فلم يكن من أحد آل باسودان وأحد آل باعبيد . . إلا أن رفعاً شكوى إلى
القعيطي بالملكاً على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الكريم ، فاستدعاه
القعيطي ، فركب إليه مجللاً محترماً ، ولم يزل في مفاوضة معه حتى تم الكلام على أن
تكون الرئاسة العامة للقعيطي ، ولابن عبد الكريم استقلالاً داخلي في الخريبة وأعمالها
ضمن دائرة العدل ، وعلى أن ليس له أن يأخذ شيئاً من الرسوم سوى متي ريال
شهرياً .

وقبض إزاء ذلك الصلح من يد القعيطي ما لا يستهان به من الدراهم ، وما كاد
يصل إلى الخريبة حتى حبس باسودان وباعبيد ، فأغتاظ السلطان غالب بن عوض
القعيطي ، ورأى أن شرفه مس ، وأن المعاهدة أنخرمت بحبس ذينك ، وكره أن
يتعجل بعقوبة ابن عبد الكريم ، فأشار على الشيخ صالح بن عبد الله أن يغذر إليه ،
فأرسل بأخيه عبد الرحمن ، وبالسادة : حامد بن أحمد المحضار ، وحسين بن
محمد البار ، وحسين بن عمر بن هادون صاحب المشهد ، فلم يقبل ابن عبد الكريم
لهم كلاماً .

وَأَتَّفَقَ أَنْ وَصَلَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مُنْصَرٍّ إِلَى الْمُكَلَّا يَتَذَمَّرُ مِنْ مَخَالَفَةِ الْقَعِيطِيِّ لَابْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، فَصَادَفَ سَخْطَةَ الْقَعِيطِيِّ عَلَى الثَّانِي ، فَحَالَفَ ابْنَ مُنْصَرٍّ بِشَرْطِ أَنْ يُسَاعِدَهُ عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، وَمَا كَادَ يَرْجِعُ إِلَى مَكَانِهِ الْعَرَضُ . . حَتَّى أَذْكَى نَارَ الْحَرْبِ عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ ، وَجَاءَتْهُ نَجْدَةُ الْقَعِيطِيِّ بِقِيَادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَمْبَارِكِ الْقَعِيطِيِّ ، فَلَمْ يَنْبُتْ ابْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ إِلَّا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى جِهَةِ الْقَبْلَةِ ، فَصَادَفَ أَحَدَ زَعَمَاءِ الْعُمُودِيِّينَ ، وَهُوَ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّبِّ ، فَجَمَعَ لَهُ عَسْكَرًا كَثِيفًا هَاجَمَ بِهِ الْخَرِيَّةَ فَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا ، وَدَارَتِ الْمَفَاوِضَاتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ مُنْصَرٍّ صَاحِبِ الْعَرَضِ فَأَنْضَمَّ إِلَيْهِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ تَرَاجَعَتْ عَسَاكِرُ الْقَعِيطِيِّ إِلَى الْهَجْرَيْنِ ، وَغَضِبَ السُّلْطَانُ غَالِبٌ لَذَلِكَ ، وَأَرْسَلَ عَسْكَرًا مَجْرًا^(١) بِقِيَادَةِ عَبْدِ الْخَالِقِ ابْنِ الْمَاسِ عُمَرُ مَوْلَاهُمْ ، وَاقَاهُ صَلاَحُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَعِيطِيِّ - مِنْ الْقَطَنِ - مَدَدًا لَهُ بِمَنْ كَانَ مَعَهُ ، وَيَقُولُ الْعَسَاكِرُ الَّتِي بِالْهَجْرَيْنِ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا لَالِ الْعُمُودِيِّ : أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ، فَأَنْهَزُوا وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مَلْجَأً وَلَا مَذْخَرًا إِلَّا الشَّيْخَ صَالِحَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمُودِيِّ الْمَحَافِظَ عَلَى مُحَايَدَتِهِ ، فَتَزَلُّوا عَلَيْهِ . . فَأَوَاهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٣١٧هـ) .

وَكَانَ مِنْ رَأْيِ الْأَمِيرِ صَلاَحِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعَبْدِ الْخَالِقِ أَنْ يُطَارِدُوهُمْ وَيَنْتَزِعُوهُمْ مِنْ بُضْءِهِ ، لَكِنَّ السُّلْطَانَ غَالِبَ بْنَ عَوْضٍ كَانَ كَرِيمًا ، يُجِلُّ الْكِرَامَ ، فَتَهَاكُمُ عَنْ ذَلِكَ أَحْتِرَامًا لِلشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَبِإِثْرِ ذَلِكَ أَنْتَحَرَ عَبْدُ الْخَالِقِ الْمَاسِ فِي الْقَوِيرَةِ ، وَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُ الْأَمِيرِ صَلاَحٍ . . بَلْ مَاتَ وَشَيْكَاً فِي سَنَةِ (١٣١٨هـ) . وَبِ« الْأَصْلِ » تَفْصِيلُ تِلْكَ الْحَوَادِثِ .

وَأَسْنَدَ الْقَعِيطِيُّ عَمَالَةَ وَادِي الْأَيْمَنِ لِلْمَقْدَمِ عُمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بَاصِرَةً ، وَكَانَ مَا قَدِ اسْلَفْنَاهُ فِي عُورِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْلَى الْقَعِيطِيُّ عَلَى الْوَادِي الْأَيْمَنِ . . حَمَلَ الْمَقْدَمُ بَاصِرَةً كُلَّ أَسْلِحَةِ الدَّهَاءِ لِحَمْلِ الْقَعِيطِيِّ عَلَى الْتِهَامِ الْوَادِي الْأَيْسَرِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَ لِلثَّوْبِ عَلَيْهِ ؛ لِمَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْبَغْضَةِ لِلْخَالِكَةِ .

(١) عَسْكَرًا مَجْرًا : جَيْشًا عَظِيمًا .

وكانت رئاسة الوادي الأيسر لآل الشيخ محمد بن سعيد ولقبائليهم الحالكة ، ومن مناصبهم : الشيخ محمد عبود القحوم ، السابق ذكره في قرن ماجد ، وله بلاد الماء وخديش وقرن ماجد ، وهو من الوادي الأيمن ، وله العرسمة ونصف صبيخ ، وهي من الأيسر .

ومنهم : الشيخ حسن بن بدر ، وله صيف وفيل .
ومنهم : الشيخ أحمد بن حسين بن عبد الله بن محمد ، وله حوفة وضري وتولبة .
ومنهم : الشيخ عبد الله بن قاسم بن عبد الله بن محمد^(١) ، وله العرض ، ونصف صبيخ مثرى القحوم .

ومنهم : الشيخ حسين بن محسن ، وعمر بن عبد الله ، ولهم حيد الجزيل .
وأول ما أنفتح الباب لباصرة إلى الوادي الأيسر : شر حدث بين الخناشبة وآل باهبري ، سببه : أن أحمد بن سالم باشجيرة الخنبي تزوج امرأة من آل باهبري ، يقال لها : قمر ، بدون رضا من بني عمها ، فبينما امرأة من الخناشبة تستقي من غيل جريف . . إذ عمد لها بعض آل باهبري فأراق ماءها ، فخفت^(٢) إلى أهلها ، فكانت بينهم وقعتان ، قتل في الأولى عمر بن سالم الخنبي ، وفي الثانية أخوه عبد الله بن سالم الخنبي ، وكان ذلك أوائل سنة (١٣٢٢ هـ) ، فخاف آل باهبري من الخناشبة ، وكان شيخ قبائل الحالكة كلها المقدم عمر بن أحمد بلحمر ، فلجأ إليه آل باهبري ، فأعطاهم بعض رجاله بصفة الخفارة^(٣) ، فسقط في يد الخناشبة ، وأيقنوا بتعذر الثأر ، فاستعانوا بالمقدم عمر بن أحمد باصرة ، وكان ينظر إلى واديهم نظراً الجزار إلى التيس ، وتحالفوا معه سراً حلفاً هجومياً دفاعياً ، آثروا التكتّم به ؛ لئلا ينتبه آل باهبري فيأخذوا جذرهم ، ولما ظهر لهم قاتل أحد إخوانهم . . أطلقوا عليه الرصاص فنضخ دمه في ثياب بلحمر ، فاستشاط المقدم عمر بن أحمد بلحمر ،

(١) وترجمته في « الشامل » (١٧٩) ، ووفاته سنة (١٣٣٤ هـ) .

(٢) خفت : أسرعت .

(٣) الخفارة : العهد والجوار .

وأحاطَ بجَنحي الخناشبة ، ولمّا أشتدَّ الأمرُ . أمدَّهم باصرةً بأربعِ مئةٍ مقاتِلٍ ، فأبلعَهم الرِّيقُ .

وفي سنة (١٣٢٥هـ) سارَ بلُحمر وأهلُ لَيْسَر - ومنهم : آلُ بُقْشان ، ورؤساءُ الحالكةِ ، والشَّيْخُ أحمدُ بنُ حسينِ العموديِّ - إلى المُكَلَّا ، وحالفوا القُعيطيَّ وأعطوه الواديَّ ، وأعلنوا ذلكَ بالأسواقِ ، ففُتَّ بذلكَ في أعضَادِ الخناشبةِ ؛ إذ لا يستطيعونَ مقاومةَ بلُحمر إلاَّ بالقُعيطيِّ ، ومتى حالفهُ . ماذا يفعلونَ ؟ فبقوا ساكتينَ حتَّى نَزَغَ الشَّيْطانُ بينَهُم ، ونشبتِ الحربُ مرَّةً أُخرى ، وسرعانَ ما انعقدَ الصُّلحُ بينَ الخناشبةِ وبلُحمر على أن لا تكونَ مساعدةُ مِنَ القُعيطيِّ للخُنْبيِّ في مدَّةِ الصُّلحِ ، ولمّا أنتهى . . حصلت مساعدةٌ قليلةٌ أستمَرَ بها الخُنْبيُّ على الحربِ عشرةَ أشهرٍ ، ولمّا أشتدَّ الحَضْرُ على الخناشبةِ بِالْحَجِي . . جاءتْ نجدةُ المُكَلَّا ، وتقدَّم باصرةً مِنَ الواديِّ الأيمنِ ، وأحاطَ بِالْعَرْسِمَةِ فسُلِّمَتْ في سنة (١٣٢٨هـ) ، ثمَّ سُلِّمَتِ الجَدِيدَةُ ، ثمَّ صُبِيخُ ، ثمَّ جَرِيْفُ ، ثمَّ الدُّوفَةُ .

ثمَّ انعقدَ الصُّلحُ بينَ القُعيطيِّ والحالكةِ على بقائِهِم بمساكنِهِم وأموالِهِم في الواديِّ الأيسرِ مُجَلِّينَ محترمينَ ، إلاَّ أنَّ المَقْدَمَ عمرَ بنَ أحمدَ بلُحمرَ لم يَطِبْ لَهُ المَقامُ مكتوفَ أليدٍ ، فذهبَ إلى سَيْنُونِ ثمَّ إلى واديِّ أَلعينِ ثمَّ إلى ريدةِ الجُوهيَّينِ ثمَّ إلى لِبْنَةِ بازْشيدَ عندَ نَوَّحٍ ، فلم يَعتزْ بِطائِلِ فعادَ إلى بلادِهِ ، وأجرى لَهُ السُّلطانُ غالبُ بنُ عوضٍ ما يكفيه ، وتفصيلُ هذهِ الأخبارِ بـ « الأَصْل »^(١) .

ومن وراءَ قِيدُونِ عدَّةُ قرىٍّ وشرَاجٍ^(٢) ، ومنها :

مِسِه ، وهيَ قريةٌ صغيرةٌ على يسارِ الذَّاهِبِ إلى دوعنَ ، يسكنُها ناسٌ قليلٌ من آل

(١) وفي « الشامل » تفصيل أوسع مما هنا لحوادث الوادي الأيسر (ص ١٨٦ - ١٨٨) ، وينظر « تاريخ البكري » (٣٤-٣١/٢) .

(٢) الشَّراجُ : مسابِلُ الماءِ ومن هذه القرى الصغيرة : قرية مِسِه ، وهي على يسار الذاهب إلى دوعن ، يسكنها آل بامحرز ، وآل العمودي . وبها كانت وقعة مِسِه في عام (١١١٥هـ) ، وتفصيلها في « العدة المفيدة » (٢٥٤-٢٥٥) .

بامحرز ، وفيها غيلٌ جارٍ ، عليه نخيلٌ لآلِ با محرزٍ ولآلِ العموديِّ ، وعليه تُزرعُ الخضراواتُ ، وحواليها كانت وقعةٌ ميسه ، وحاصلها : أَنَّ السُّلْطَانَ عيسى بنَ بدرِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الله بنِ عمرَ بنِ بدرِ بوطويرِ أَغرَى ولدهُ جعفرًا على الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ مطهرِ العَموديِّ في ألفِ وثمانِ مئةٍ . فلاقاهُ العَموديُّ في عددٍ قليلٍ ، ولمَّا رأى عسكرَ جعفرٍ . . أنهزمَ ، فتبعهُ عسكرُ جعفرٍ ، ثُمَّ لم يشعروا إِلَّا بِكَمِينَ مِنَ العَموديِّ يركبُ أَكتافهم ، ويفعلُ بهمُ الأفاعيلَ ، وفرَّ الأميرُ جعفرُ بمن بقي معه إِلَى الهَجْرَيْنِ ، وفي ذلك يقولُ شاعرُهم :

سَبْعَةٌ وَمِثْنَيْنِ غَلَبُوا سَبْعَةَ عَشَرَ مِئَةً

وكانَ ذلكَ في حدودِ سنةِ (١١١٥هـ) كما فُصِّلَ بـ «الأصل» .

ومنها : نَشْرَةٌ ، فيها آثارُ ديارٍ قديمةٍ ، وقد بُنيَ فيها مسجدٌ ومدرسةٌ على نفقةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بنِ مساعدٍ^(١) - أو مداعسٍ - الموجودِ الآنَ فيما يقالُ بِالْحُدَيْدَةِ .

وقد رجوتُ أَن يحصلَ مِن هذهِ المدرسةِ ما كنتُ أَوْمِلُهُ ؛ إِذْ لَا يُرْجى الْخَيْرُ مِن مدرسةٍ يختلطُ أبنائها بِالْأَوْسَاطِ الْفَاسِدةِ ، وَإِنَّمَا يُرْجى مِن مدرسةٍ داخليةٍ يُنتخبُ لَهَا معلِّمونَ صالحونَ ، على أَبلغِ ما يكونُ مِنَ التَّزَاهَةِ وَالتَّقْوَى ، حَسَبَما أَقترحتهُ على السُّلْطَانِ الْقُعَيْطِيِّ في أواخرِ ذِكْرِ الْمُكَلَّا ؛ لِأَنَّ الْخَلْطَةَ الدَّاءُ ، وَإِنَّمَا التَّلْمِيذُ هُوَ ظِلُّ الْمَعْلَمِ . . يَنْحُو نَحْوَهُ ، وَيَقْتَصِّرُ أَثَرُهُ ، وَلَكِنْ بَلَّغْنِي - ويا للأسفَ - أَنَّ تِلْكَ الْمَدْرَسَةَ أَقْفَلْتُ ، وطاحتَ تِلْكَ الْعِبَارَاتُ ، وَفَنِيَتْ تِلْكَ الْإِشَارَاتُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ . . كَانَ ، وَمَا لَمْ يَشَأْ . . لَمْ يَكُنْ^(٢) .

(١) ويقالُ إِنَّمَا هُوَ بنُ مُدَاعَسٍ ، والذي سَمَّاهُ وَغَيَّرَ اسْمَهُ إِلَى مُسَاعِدٍ هُوَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بنُ حَسَنِ الْعَطَّاسِ ، وكانَ هُوَ منَ محبيهِ المؤتمرينَ بِأَمْرِهِ .

(٢) وَلَا زَالَتْ هَذِهِ الْمَدْرَسَةُ قَائِمَةً إِلَى الْيَوْمِ ، وكانَ الطَّرِيقُ يَمُرُّ مِنْ تَحْتِهَا ، ثُمَّ لَمَّا شَقَّ الطَّرِيقَ الْإِسْفَلْتِيَّ . . صارَ يَمُرُّ بِعِيدٍ عَنْهَا ، وَقَبِيلُ نَسْرَةٍ يَمُرُّ بِخَرِيخِرٍ وَفِيهَا يَمُرُّ أَيْضاً تَحْتَ مَدْرَسَةٍ بَنَاهَا آلُ بنِ مُحَفُوظٍ بِاسْمِ الْوَدَّهِمْ سَالِمُ بنِ مُحَمَّدِ الشَّيْبَةِ بنِ مُحَفُوظٍ ، وَفِيهَا سَكَنَ دَاخِلِي .

(١) الهَجْرِين

هي واقعة في حصن جبلٍ فارِدٍ جائِمٍ على الأرضِ كالجَمَلِ البَارِكِ مِنْ غيرِ عُنُقٍ ،
تحفٌ بسفوحهِ النَّخِيلِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، مُتَجَانِفٌ طَرَفُهُ الْغَرْبِيُّ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ ،
وطَرَفُهُ الشَّرْقِيُّ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ . ومَوْقِعُ الْهَجْرِينِ فِي جَنْبِهِ الْأَيْسَرِ ، تُشْرِفُ عَلَى
سفوحهِ الْجَنُوبِيَّةِ دِيَارُ آلِ مَسَاعِدِ الْكَنْدِيِّينَ ، وفي يَسَارِ سَنَامِهِ دِيَارُ آلِ يَزِيدَ الْيَافَعِيِّينَ ،
وَمِنْ فَوْقِ دِيَارِ آلِ يَزِيدَ آثَارُ حَصْنٍ ، يَقَالُ لَهُ : حَصْنُ أَبِي مَيْمُون .

وفي ضواحي الْهَجْرِينِ ثَلَاثُ حَرَارٍ ، يَقَالُ لِأَحَدَاهُمَا : حَرَّةُ أَبِي مَيْمُون ،
وَلِلْآخَرَى : حَرَّةُ بَدْرِ بْنِ مَيْمُونٍ ، وَلِلثَّلَاثَةِ : حَرَّةُ مَرْشِدِ بْنِ مَيْمُونٍ .

وعلى حَارِكِ ذَلِكَ الْجَبَلِ بُلْدَةٌ صَغِيرَةٌ^(٢) ، يَقَالُ لَهَا : الْمُنَيْظَرَةُ^(٣) ، قَلِيلٌ مِنْهَا
يُشْرِفُ عَلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ ، وَالْأَكْثَرُ إِنَّمَا يُشْرِفُ عَلَى جِهَتَيْ الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ ، وفيهَا
مَسْجِدٌ قَدِيمٌ كَثِيرُ الْأَوْقَافِ ؛ لِأَنَّ مَسَاجِدَ أُنْدَلُوثٍ هُنَاكَ فَتَحَوَّلَتْ إِلَيْهِ صَدَقَاتُهَا ؛ لِأَنَّهُ
أَقْرَبُ مَا يَكُونُ إِلَيْهَا .

وفي جَنْبِ ذَلِكَ الْجَبَلِ الشَّيْبِ بِالْجَمَلِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ آثَارُ دَثُونٍ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ [في «الْأَغَانِي» ١٠٦/٩] :

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيْنَا دَثُونٌ دَثُونٌ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونُ
وَإِنَّنَّا لِأَهْلِنَا مُجَبُّونُ

(١) الْهَجْرِينِ مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ ، بِهَا آثَارُ تَرْجَعُ إِلَى الْعُصُورِ الْحَمِيرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ، وَيَحِيطُ بِهَا وَادٍ خَصِيبٌ ،
وَسَكَانُهَا : آلُ النُّعْمَانِ ، وَآلُ بَانَاغٍ ، وَآلُ بِنِ عَفِيفٍ ، وَآلُ بِنِ مَحْفُوظٍ ، وَالسَّادَةُ آلُ الْكَافِ ، وَجَمَاعَةٌ
مِنْ آلِ الْعَطَاسِ ، وَآلِ الْجِيلَانِي ، وَآلِ الْحَامِدِ ، وَآلِ السَّعْدِيِّ ، وَقَدِيمًا كَانَ بِهَا الْمَشَايِخُ آلُ بَاخْرَمَةِ .
وَلِلسَّيِّدِ الْعَالِمِ الصَّالِحِ الْحَبِيبِ حَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَافِ مَنَظُومَةٌ فِي عَادَاتِ أَهْلِ الْهَجْرِينِ
تَسَمَّى : « مَرَاةُ الصُّورِ فِيمَا لَأَمِ الْهَجَرِ وَأَهْلُهَا مِنْ الْعَادَاتِ وَالسَّيْرِ » ، مَطْبُوعَةٌ .

(٢) الْحَارِكُ لِلْبَعِيرِ : عَظْمٌ مُشْرِفٌ مِنْ جَانِبِهِ ، وَمِنْبَتٌ أَدْنَى الْعَرَفِ إِلَى الظَّهْرِ الَّذِي يَأْخُذُ بِهِ مَنْ يَرْكَبُهُ ، وَهُوَ
بِأَعْلَى الْكَاهِلِ .

(٣) لِهَذِهِ الْمَنَظُومَةِ ذِكْرٌ فِي التَّارِيخِ وَأَحْدَاثِ هَامَةٍ ، تَنْظُرُ فِي « تَارِيخِ شَنْبَلِ » .

وهي المذكورة أيضاً في قوله السَّابِقِ بعنْدِلِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

كَأَنِّي لَمْ أَلِهْ بِدَثُونٍ لَيْلَةً وَلَمْ أَشْهَدْ أَلْفَارَاتٍ يَوْمًا بِعَنْدَلٍ

ومتى عرفتَ هذا... تقرب لك قول « ألقاموس » : (وألهجران قريتان متقابلتان ، في رأس جبل حصين قُرب حَضْرَمَوْت ، يقال لإحدهما : خيدون ، وللأخرى : دَثُونُ).

قال ابنُ الحائك : (وساكنُ خَوْدُون : الصَّدْفُ ، وساكنُ دَثُون : بنو الحارث بن عمرو بن حجرٍ أَكَلِ المَرَارِ) اهـ^(١)

والظاهرُ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ سُكْنَى بني الحارثِ عن نصٍّ ، وإنما استنتجَهُ مِنْ شِعْرِ أَمْرِيءِ الْقَيْسِ ، ولا دليلَ فِيهِ ؛ لَأَنَّهُ إِنَّمَا لَجَأَ إِلَى دَثُونَ بعد ما طردَهُ أَبُوهُ مِنْ أَجْلِ الشَّعْرِ ، كما في شرح (أَلْيَوْمَ خَمَزٌ وَغَدًا أَمْرٌ) مِنْ « أمثال الميداني » [٤١٨-٤١٧/٢] ، ما لَمْ يَكُنْ ابْنُ الْحَائِكِ يعني أعقاباً لامرئِ الْقَيْسِ في هذه البلادِ لَمْ يَنْتَه خَبَرُهُمْ إلينا .

وقولُ « ألقاموس » : (قريتان متقابلتان) صحيحٌ ؛ لأنَّ إحداهُما في حُضْنِ الْجَبَلِ الْأَيْمَنِ وَالْأُخْرَى في حُضْنِهِ الْأَيْسَرِ ، فهما متقابلتان في الموضع ، أمَّا في النَّظَرِ... فيحولُ بينهما سنامُ الجبلِ ، ومنهُ يَتَبَيَّنُ لَكَ وَهْمُهُ إِذْ قَالَ : (في رأسِ الجبلِ) وإنما هُما في جنبِهِ ، هذه حالُهُما أَلْيَوْمَ ، أمَّا في ما مضى... فلا يَبْعُدُ التَّنَازُلُ ؛ لاحتمالِ اتِّصَالِ الْعِمَارَةِ إِذْ ذَاكَ^(٢) .

أمَّا قولُهُ : (قَرِيبٌ مِنْ حَضْرَمَوْت) فَمِنْ أَخْطَائِهِ في حدودِها ، وقد أَضْطَرَبَ كَلَامُهُ وكلامُ « شرحهِ » في ذلك ؛ ففي دَوْعِنَ مِنْهُ : (ودَوْعُنُ كَجَوْهَرٍ وَإِدِ بِحَضْرَمَوْت وهو أَبْعَدُ مِنَ الْهَجْرَيْنِ) .

وفي مادَّةِ (مَأْرَبِ) يُوسَعُ حَضْرَمَوْتُ جَدًّا ، فيقولُ : (إِنَّ مَأْرَبَ في آخرِ جبالِ حَضْرَمَوْت) . وفي (شَبْوَة) يُضَيِّقُ حَدَّهَا ، ويقولُ : (إِنَّهَا بَلَدٌ بَيْنَ مَأْرَبِ وَحَضْرَمَوْت) .

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٧-١٦٨) .

(٢) ينظر ملاحظات بامطرف على « الصفة » للهمداني ، نشرت في مجلة العرب .

وجزَمَ في وادي عَمَدٍ بَأَنَّهُ مِنْ حَضْرَمَوْتَ .

وَذَكَرَ فِي مِرْبَاطٍ^(١) أَنَّهَا مِنْ أَعْمَالِ حَضْرَمَوْتَ ، وَهُوَ الَّذِي جَزَمَ بِهِ صَاحِبُ
« الْخَرِيدَةِ » ، وَفِي رَحْلَةِ السَّيِّدِ يَوْسُفَ بْنِ عَابِدِ الْفَاسِيِّ الْمَغْرِبِيِّ ثُمَّ الْحَضْرَمِيِّ
مَا يُصْرِّحُ بِأَنَّ مَآرَبَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ . . إِذَنْ فَمَا مُتُوا بِهِ مِنْ فَرْطِ الْهَجْرَةِ لَيْسَ إِلَّا نَتِيجَةُ
قَوْلِهِمْ : « رَيْنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا » كَمَا هُوَ مُوَضَّحٌ بِـ « الْأَصْلِ » .

وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ [ص ٩٠] مِنْ « الْإِكْلِيلِ » : أَنَّ دَثُونَ مِنْ حِصُونِ حَمِيرَ
بِحَضْرَمَوْتَ .

وَهَذَا فَائِدَةٌ نَفِيسَةٌ ، وَهِيَ : أَنَّ كُلَّ مَنْ ذَكَرَ طَرْدَ حَجَرٍ لَوْلِيهِ أَمْرٌ أَلْقَيْسٍ مِمَّنْ رَأَيْتُهُ
يَقُولُ : إِنَّ السَّبَبَ فِي ذَلِكَ هُوَ قَوْلُهُ الشَّعْرُ ، وَلَيْسَ بِمَقْضُولٍ ؛ لِأَنَّ الشَّعْرَ عِنْدَهُمْ مِنَ الْفَضَائِلِ
الَّتِي يَتَنَافَسُونَ فِيهَا سَوْقَةً وَمُلُوكًا ، لَكِنَّ السَّبَبَ الصَّحِيحَ أَنَّهُ كَانَ يُشَبُّ بِهَرٍّ ، وَكُنِيَهَا أُمُّ
الْحَوِيرِثِ ، وَكَانَتْ زَوْجَةً وَالِدِهِ ، فَلِذَلِكَ طَرَدَهُ وَهَمَّ بِقَتْلِهِ مِنْ أَجْلِهَا كَمَا فِي (ص ١٨١
ج ١) مِنْ « خَزَانَةِ الْأَدَبِ » ، وَ (ص ٥٣٩) مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهَا .

وَفِي غَرْبِيِّ جَبَلِ الْهَجْرَيْنِ : سَاقِيَةُ دَثُونَ مِنْ أَوْدِيَةِ دَوْعَنَ ، وَفِي غَرْبِهَا مَسِيلُ وَادٍ
عَظِيمٍ ، يُقَالُ لَهُ : وَادِي الْغَبْرِ ، يَنْهَرُ إِلَى الْكَسْرِ .

وَفِي غَرْبِيِّ ذَلِكَ الْمَسِيلِ بَلَدَةٌ : تُخَوَّلُهُ لَالِ عَمَرَ بْنِ مُحْفُوظٍ ، وَهِيَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ،
فِي حَضْنِهِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ :

قِرَّةُ آلِ الْبَطَاطِيِّ ، وَهُمْ مِنْ بَنِي قَاصِدٍ ، وَرِثِيَّتُهُمْ بِيَاغٍ بِلْعَفِيفٍ ، وَآلُ يَزِيدَ وَهُمْ
قَبِيلَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَلَالِ الْبَطَاطِيِّ نَجْدَةٌ وَشَجَاعَةٌ ، وَمِنْهُمْ : نَاصِرُ بْنُ عَلِيٍّ ، كَانَ يَحْتَرِفُ
بِالرُّبَا فَأَثَرِي ، وَهُوَ خَالَ الْأَمِيرِ صَلاَحِ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَمَرَ الْقَعِيطِيِّ ، فَزَيَّنَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ
يَسْتَأْثَرَ بِالْقِرَّةِ وَنَخِيلِهَا وَعَيُونِهَا فَنَاشَبَ آلَ الْبَطَاطِيِّ الْحَرْبَ ، وَاسْتَعَانَ عَلَيْهِمْ بِأَعْدَائِهِمْ
آلَ مُحْفُوظٍ ، وَضَمَّ إِلَيْهِمْ صَعَالِيكًا وَذُوبَانًا مِنَ الصَّيْعَرِ وَنَهْدٍ . . فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِمْ ،
وَاجْتَمَعُوا عَلَى حِصَارِهِ ، فَزَالَ مِنَ الْقِرَّةِ إِلَى خَرِيخِرٍ عِنْدَ صَهْوَرِهِ آلِ عَجْرَانَ ، وَلَمَّا

(١) ذَكَرَهُ فِي « التَّاجِ » فِي مَادَّةِ (رِبَاطِ) .

كثروه. . استعان عليهم بأبن أخيه الأمير صلاح فأعطاه جماعة من عبيده يخفرونه ، وقتلوا ولده قاسم بن ناصر بن علي في ثار لهم عنده وعبيد صلاح في داره ، فغضب صلاح وجمع يافع لحربهم ، فوافقوه على ذلك إلا بني أرض ، وضيق عليهم الحصار ، وفي ذلك يقول شاعرهم الشيخ ناصر بن جبران البطاطي :

بركات طرب من قتلني بأقتله ومن لقي في صوب ، بألقي فيه صوب
والله ما بأنسى شروع القبوله لو بآ ثمن في الدار هذا مئة طوب

ولما أشتد الحصر عليهم. . تداخل الحبيب حامد بن أحمد المحضار في آخر حياة أبيه ، فسار بهم إلى الریضة عند الأمير صلاح على أن يحكم عليهم بما شاء بعد أن تواضع هو وإياه على أن يكون الحكم بمسامحة آل البطاطي في قتل لهم عند ناصر علي ، وعلى أن يدفعوا خمس مئة ريال أيضاً ، ولما وصلوا فرط بني أرض والحبيب حامد أمامهم. . قال شاعرهم ابن جبران :

يألفرط ما تستاهل التفريط لأن حبك ما دخله الشوس
وأما الجماعة حبوا التخليط لكننا بائس القنبوس
ولما وصلوا الریضة. . قال :

يا راد ياعود هذي الریضة قد ذكرتني جمل في وادي حنين
والدرع والبيضه مع مولى بضه شل الثيلة يوم ضاقت بو حسين
وأبو حسين هو الأمير عبد الله بن عمر القعيطي ، يشير بذلك إلى نجدته التي أعان بها آل البطاطي حتى خلصوهم من حصار آل كثير ، كما فصلناها بـ «الأصل» ، وأشرنا إليها فيما يأتي .

وفيهما كان مسكن الشيخ يحيى بن قاسم الجمهوري اليافعي ، رجل شهيم ، لا يُقدح أنفه^(١) ، ولا يتقنع من مسواة^(٢) ، وله من الأعمال ما يُصدق قوله :

(١) يُقدح : يقطع .

(٢) لا يتقنع من مسواة : ليس المقصود أنه يعمل السيئات ثم لا يستحي منها. . بل المقصود : أنه لا سيئات =

بُولِحِمَ قَال كَسَابَ الْجَمِيلِ
 نَفَقَ عَلَى الْعِزِّ مِنْ كُفْرٍ أَوْ قَلِيلِ
 إِنَّ الْكِرْمَ يَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّيْلِ
 وَالْبُخْلُ قَائِدٌ إِلَى الذُّلِّ ذَلِيلِ
 وَاللَّهُ مَا قَطُّ يَنْجَمُّ بِخَيْلِ
 قَوْمِي بَنِي مَالِكِ الْحَبِّ النَّصِيلِ
 يُسْمَعُ لَهُمْ فِي عِلَا الْوَادِي صَهِيلِ
 لِي يَحْكُمُوا عَلَى الرُّكَبِ طَيِّ الْقَتِيلِ
 قَوْلِي وَنَا مَسْكَنِي غُلْبُ الدَّوِيلِ^(٢)

إِذَا النُّوَابِثُ فُتِحَ لِي بَابُهَا^(١)
 وَمِخْنَةُ الْوَقْتِ مَا يَذَرُ بَهَا
 وَيَمْحِي أَوْصَالَ بَعْدَ أَكْثَابِهَا
 مَوْلَى الْكِرْمِ هَمَّتْهُ يَغْلَى بَهَا
 وَأَنْ قَامَ فِي حِجَّةٍ مَا أَوْشَى بَهَا
 جَهَاوَرَةٌ مِنْ فُرُوعِ أَنْسَابِهَا
 كَمْ مِنْ بَلَدٍ زَوَّعُوا بِأَبْوَابِهَا
 إِذَا النُّفُوسُ أَكْثَرَتْ جَلَابِهَا
 فِي قَرْيَةِ الْعِزِّ ذِي نِزْهَى بَهَا

وَكَأَنَّمَا أَخَذَ قَوْلُهُ : (لِي يَحْكُمُوا عَلَى الرُّكَبِ . . إلخ) مِنْ فَعْلٍ الْعِنَابِ يَوْمَ
 الْفَجَارِ ؛ إِذْ قِيدُوا أَنْفُسُهُمْ خَشْيَةَ الْهَرَبِ ، أَوْ مِنْ قَوْلِ الْبَحْرِيِّ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٦٣/٢ مِنْ
 الْخَفِيفِ] :

وَكَانَ الْإِلَهَ قَالَ لَهُمْ فِي آلِ حَرْبٍ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا
 وَفِي كَلَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ : أَنَّ الْحَبِيبَ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
 الْعَطَّاسِ يُحِبُّ أَلَا اسْتِشْهَادَ بِأَبْيَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ .

وَقَالَ لِي بَعْضُ الثَّقَاتِ : إِنَّ مَسْكَنَ الشَّيْخِ يَحْيَى بْنِ قَاسِمٍ الْجَهْوَريِّ لَيْسَ بِالْقِرْزَةِ ،
 وَإِنَّمَا هُوَ بِخُصُونِهِمْ أَعْمَالِ الْقَطَنِ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى الْقِرْزَةِ لِصَهْرِ أَوْ صَدَاقَةٍ . أَمَّا
 الدَّوِيلُ : فَلَعَلُّهُ يَعْنِي بِهِ حَصْنَ سَيْثُونَ ، أَوْ شَبَامَ ؛ فَكُلُُّ مِنْهُمَا يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ .

= لَهُ أَصْلًا ، وَذَلِكَ كَالْحَدِيثِ الَّذِي يَصِفُ مَجْلِسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِأَنَّهُ (لَا تَنْشِئُ
 فَلَاتَهُ) ؛ أَيِ : لَا تُحْفَظُ فَلَاتَاتُ مَجْلِسِهِ ، وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ ، بَلِ الْمَقْصُودُ : أَنَّهُ لَا زَلَّاتُ
 وَلَا فَلَاتَاتُ فِي مَجْلِسِهِ أَصْلًا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) جَاءَ فِي هَامِشِ الْمَخْطُوطِ : (بُولِحِمَ : بِكَسْرِ الْحَاءِ وَاللَّامِ وَسُكُونِ الْمِيمِ) .

(٢) الْغُلْبُ - بَضْمُ الْغَيْنِ وَسُكُونُ اللَّامِ - : الْغُرْفَةُ الَّتِي تَكُونُ فِي أَعْلَى الْبُيُوتِ ، وَهَذَا الْحَصْنُ (الدَّوِيلُ)
 لَا زَالَ قَائِمًا إِلَى الْيَوْمِ ، وَهُوَ مِنَ الْآثَارِ الْهَامَةِ فِي الْمَنْطَقَةِ .

وَمِنْ آلِ الْبَطَاطِي^(١) : أَحْمَدُ بْنُ نَاصِرٍ ، الْمَوْجُودُ بِالْمُكَلَّا أَلَانَ^(٢) ، وَهُوَ أَدَهَى يَافِعٍ وَأَرْجَحُهَا عَقْلاً فِيمَا أَرَاهُ الْيَوْمَ ، إِلَّا أَنَّهُ نَفْعِيٌّ يُؤَثِّرُ مَصْلَحَةَ نَفْسِهِ عَلَى مَنفَعَةِ حُكُومَتِهِ ، وَرَبَّمَا كَانَ لَهُ عَذْرٌ بِإِعْرَاضِ مَوْظَفِي الْحُكُومَةِ بِالْآخِرَةِ عَنْ إِشَارَاتِهِ ، وَعَدِمَ أَعْتَابَرِهِمْ لِنَصَائِحِهِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْطَالِ بَنِي مَالِكٍ وَشَجْعَانِهَا ، حَتَّى لَقَدْ أَغْضَبَهُ حَالٌ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ رَيْسِ الْعَجْرَانِيِّ - وَهُوَ خَالُ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ صَلاَحٍ وَلَهُ مِنْهُ وَجْهٌ وَكَفَالَةٌ فَقَتَلَهُ أَحْمَدُ بْنُ نَاصِرٍ غَيْرَ حَاسِبٍ لَذَلِكَ حِسَاباً ، فَتَمَيَّزَ الْأَمِيرُ عَلِيُّ بْنُ صَلاَحٍ مِنْ الْغَيْظِ ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ أَرْسَلَ السَّيِّدَ حُسَيْنَ بْنَ حَامِدٍ بِأَحْمَدَ بْنِ نَاصِرٍ مَعَ وَلَدِهِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حُسَيْنٍ إِلَى الْرِيضَةِ لِلتَّرْضِيَةِ ، فَسُوِّتِ الْمَسْأَلَةُ .

وَفِي جَنُوبِ الْهَجْرَيْنِ أَنْفٌ مَمْتَدَّةٌ مِنْ جَبَلٍ ، ذَاهِبٌ طَوَّالاً إِلَى دُوعَنْ ، وَعَلَيْهِ بَلَدَةٌ لِأَنَاسٍ مِنْ آلِ أَحْمَدَ بْنِ مَحْفُوظٍ ، يَقَالُ لَهَا : صَيْلَعٌ ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

أَتَانِي وَأَصْحَابِي عَلَى رَأْسِ صَيْلَعٍ حَدِيثُ أَطَارِ النَّوْمِ عَنِّي وَأَفْحَمَا^(٣)
أَقُولُ لِعَجَلِي بُعِيدَ إِيَابِهِ تَبَيَّنَ وَبَيَّنَ لِي الْحَدِيثُ الْمُجْمَعَمَا
فَقَالَ : أَبَيْتَ اللَّغْنَ عَمَرُو وَكَاهِلُ أَبَاحُوا حِمَى حُجْرٍ فَأَصْبَحَ مُسْلَمَا

وَقَدْ ظَفَرْتُ مِنْهَا بِضَالَةٍ مَنشُودَةٍ ؛ لِأَنَّهَا مَقْطَعُ التَّرَاعِ فِي حَضْرَمِيَّةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ؛ وَلِذَا كَرَّرْتُهَا بِـ « الْأَصْلِ » أَغْبَاطاً وَأَعْتَدَاداً بِتَدْلِيلِي بِهَا ؛ إِذْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ عِنْدَ ذِكْرِهَا - لَا يَاقُوتُ وَلَا صَاحِبُ « التَّاجِ » وَلَا شَارِحُ « الْأَمْثَالِ » وَلَا غَيْرُهُمْ - : إِنَّهَا تُحَازِي الْهَجْرَيْنِ بِحَضْرَمَوْتَ غَيْرِي ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

(١) آل البطاطي فخذ من آل اليزيدي أهل يزيد من بني قاصد في يافع ، وكانوا ثلاثة أقسام : بطاطي حمومة ، وبطاطي الخضراء ، وبطاطي الجبل ، وكانوا على رأس الطوائف التي حكمت وادي دوعن فيما مضى .

(٢) تحدث عنه المستر فليبي في كتابه « بنات سبأ » وقص بعض أخباره .

(٣) ذكر العلامة الميداني رحمه الله في « مجمع الأمثال » (٤١٨/٢) : أَنَّ أَمْرَأَ الْقَيْسِ كَانَ يَشْرَبُ هُوَ وَأَصْدَقَاؤُهُ ، ثُمَّ أَنَاهُ خَبَرَ مَقْتَلَ أَبِيهِ ، فَقَالَ : ضَيَّعَنِي صَغِيرًا ، وَحَمَلَنِي دَمُهُ كَبِيرًا ، لَا صَحْوَ الْيَوْمِ ، وَلَا شَرْبَ غَدَا ، الْيَوْمَ خَمْرٌ ، وَغَدَا أَمْرٌ ، ثُمَّ قَالَ الْأَبْيَاتُ .

وفي أخبار بدر بوطويق الكثيري أنه بنى صَيْلَعاً هَذَا فِي سَنَةِ (٩٤١ هـ) (١) ،
وَأَسْكَنَ فِيهَا آلَ مَحْفُوظٍ وَآلَ بَادَاسِ الْمَطْرُودِينَ مِنَ الْهَجْرِينَ (٢) .

ولا يحصى مَنْ أَنْبَتَهُ الْهَجْرِيُّ مِنَ الرِّجَالِ ؛ إِذْ كَانَتْ فِيهِمْ ثَلَاثَةُ شَبَابٍ وَتَرِيمٍ .

وَمِنْهَا آلُ عَفِيفِ الْكَنْدِيُّونَ (٣) ؛ مِنْهُمْ : الصُّوفِيُّ الْجَلِيلُ ، الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَلِيٍّ بِالْوَعَارِ (٤) ، وَالشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ مَيْمُونِ الْكَنْدِيُّ ، مِنْ مُعَاَصِرِي الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، وَالشَّيْخُ فَضْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِافْضَلِ ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَفِيفُ الْهَجْرَانِيُّ ، كَانَ مِنْ تَلَامِيذِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْعِيدْرُوسِ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٨٦٥ هـ) ، وَكَانَ الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ هَذَا يَعْرِفُ الْأَسْمَ الْأَعْظَمَ .

وَمِنْ كِتَابِ سِيرَةِ الْعَلَامَةِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسُ مَا نَصَّهُ : (إِلَى حَضْرَةِ سَيِّدِي أَلَوْلِدِ الْأَمْجِدِ الْأَرْشِدِ الصَّادِقِ الْأَوْدُ الْأَنْجَدِ الشَّيْخِ الْأَكْرَمِ الْفَاضِلِ الْمُحْتَرَمِ عَفِيفِ الدِّينِ وَسَلَالَةِ الصَّالِحِينَ وَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِينَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَيِّدِي الشَّيْخِ الْعَفِيفِ ابْنِ الشَّيْخِ عَمْرِ ابْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الشَّيْخِ الْعَفِيفِ ابْنِ الْقُطْبِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَحْمَدَ ابْنِ مُحَمَّدٍ الْعَفِيفِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) اهـ

(١) لصليح ذكر في التاريخ قبل هذا كما في « تاريخ شنبل » (١٤٧) ، و « العدة » (١٣٤ / ١) ، و « الحامد » (٦٨١ / ٢) .. فليتنبه .

(٢) « تاريخ الشجر » للطيب بافقيه (ص ٢٢٨) .

(٣) آل بن عفيف : من كندة ، كما في « جواهر الأحقاف » لباحنان (١١ / ٢) . وهم أسر وبطون كثيرة ؛ منها : آل الشيبة ، وآل الحاج ، وآل بن وجيه ، وآل كديمة ، وآل السكوتي ، وآل باعلي ، وآل الصالب ، وآل بادحمان .

✽ تنبيه : آل بن عفيف هؤلاء هم غير آل العفيف سكان لَجَرَاتٍ بدوعن ؛ فإن أولئك من الحالكة ، وقد يقال لسكان الهجرين : آل العفيف .

(٤) الشيخ أحمد بالوعار : هو العارف بالله الشيخ الصالح أحمد بن سعيد بن علي بن محمد بن عفيف الكندي ، الملقب : (بِالْوَعَارِ = أَبَا الْأَوْعَارِ) ، لقب بذلك لأنه كان يحمل نفسه على المجاهدات الثقيلة الشديدة على النفس ؛ تشبيهاً لسالك تلك الطريق بسالك الطرق الوعرة ، قال الحبيب أحمد بن حسن العطاس في « مجموع كلامه » : بلغنا أنه طلب العلم بظفار وأقام بها نحو ثمان سنين . وكانت وفاته بالهجرين سنة (٦٣٢ هـ) كما نقل عن بعضهم .

وفي هذه الممادح ما يدلُّ على أئيلٍ مجيدٍ وعظيمٍ فضلٍ . وفي آلٍ عفيفٍ كثيرٍ من حُفَاطِ القرآنِ و«الإرشادِ» .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَمْرٍو بِاعْفِيفٍ ، جَاءَ فِي «مَجْمُوعِ الْأَجْدَادِ» أَنَّهُ : (بَعَثَ بِأَسْئَلَةٍ إِلَى قَاضِي مَكَّةَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ظَهيرةَ ، فَأَجَابَهُ عَنْهَا) .

وَمِنْهَا : آلُ بَابُصِيلٍ ، وَفِيهِمْ عُلَمَاءُ أَجَلَاءُ ؛ مِنْ آخِرِهِمْ : مَفْتِي الشَّافعيةِ بِمَكَّةَ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدٌ بِابُصِيلٍ ^(١) .

وَمِنْهَا : آلُ بَامُخْرَمَةٍ ^(٢) ، وَإِنَّمَا هَاجَرُوا مِنْهَا إِلَى عَدَنَ وَإِلَى غَيْرِهَا .

وَأَطَالَ «الْأَنْوَرُ السَّافِرُ» فِي تَرْجَمَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بَامُخْرَمَةٍ ، ثُمَّ اسْتَطَرَدَ إِلَى تَرْجَمَةِ وَلَدِهِ الْصُوفِيِّ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَامُخْرَمَةٍ ، وَلَمْ يَفْرُدْهُ بِالْتَرْجَمَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ وَقْتَ وَفَاتِهِ ، وَسَيَاتِي فِي سَيْتُونِ أَنَّهَا سَنَةُ (٩٥٢هـ) ، وَقَدْ أَفْرَدَ وَلَدُهُ الْعَلَامَةَ

(١) آلُ بَابُصِيلٍ : أَصْلُهُمْ مِنَ الْهَجْرَيْنِ ، وَمِنْهَا انْتَقَلُوا إِلَى مَكَّةَ وَجِدَّةَ وَغَيْرِهَا .

وَمِنْ مُشَاهِيرِهِمْ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ بِابُصِيلٍ ، وَلَهُ شَرْحٌ عَلَى «الرَّسَالَةِ الْجَامِعَةِ» مِنْهُ نَسْخَةٌ بِالْحَوْطَةِ .

وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ بِابُصِيلٍ ، وَمُحَمَّدُ سَعِيدُ اسْمٍ مُرَكَّبٍ ، فَقَدْ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِمَنْزِلَةِ عَالِيَةٍ ، وَتَوَلَّى إِفْتَاءَ الشَّافعيةِ بِمَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ ، تَتَلَمَذَ عَلَى السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ أَحْمَدَ زَيْنِي دَحْلَانَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ (١٣٣٠هـ) ، وَلَهُ ابْنٌ عَالِمٌ هُوَ الشَّيْخُ بَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٣٤٨هـ) ، كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْأَخْيَارِ .

وَلِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ سَعِيدٍ مُصَنَّفَاتٌ ، مِنْهَا : شَرْحُ «سَلَمِ التَّوْفِيقِ» فِي مَجْلَدَيْنِ ، وَرِسَالَةُ «الدُّرَرِ النَّقِيَّةِ فِي فَصَائِلِ الذَّرِيَّةِ» ، وَرِسَالَةُ فِي أَحْوَالِ الْقُبُورِ وَأَهْلِهَا ، وَغَيْرُ ذَلِكَ .

يَنْظُرُ : «سِيرٌ وَتَرَاجُمٌ» لِعَمْرِ عَبْدِ الْجَبَّارِ (٨٤ ، ٢٤٤) ، وَ«تَاجُ الْأَعْرَاسِ» (٦٩٣/٢ - ٧٠٠) ، وَ«الْمُخْتَصَرُ مِنْ نَشْرِ النُّورِ وَالزَّهْرِ» لِمُرْدَادٍ . وَغَيْرِهَا .

(٢) آلُ بَامُخْرَمَةٍ : مِنْ سَيِّانٍ ، وَهِيَ أَسْرَةٌ شَهيرةٌ مَعْرُوفَةٌ بِكَثْرَةِ عُلَمَائِهَا ، وَأَقْدَمُهُمْ شَهرةٌ وَأَجْلُهُمْ : الشَّيْخُ الْإِمَامُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَامُخْرَمَةِ السَّيِّانِيِّ الْحَمِيرِيِّ ، وَوُلِدَ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْهَجْرَيْنِ سَنَةَ (٨٣٣هـ) ، وَتَوَفَّى بِعَدَنَ سَنَةَ (٩٠٣هـ) ، وَلَهُ مُصَنَّفَاتٌ عَدِيدَةٌ . يَنْظُرُ : «النُّورُ السَّافِرُ» ، «السَّنَا الْبَاهِرُ» ، «تَارِيخُ بَافِقِيهِ» كُلُّهَا فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٩٠٣هـ) . وَابْنُهُ الْعَلَامَةُ الْمُؤَرِّخُ مُحَمَّدُ الطَّيِّبُ مُصَنِّفُ «تَارِيخِ ثَغْرِ عَدَنَ» مُطْبُوعٌ ، «قَلَادَةُ النُّحْرِ فِي وَفَيَاتِ أَعْيَانِ الدَّهْرِ» فِي (٣) مَجْلَدَاتٍ مَخْطُوطَةٌ ، تَوَفَّى الطَّيِّبُ سَنَةَ (٩٤٧هـ) ، تَنْظُرُ تَرْجَمَتَهُ فِي الْمُرَاجِعِ السَّابِقَةِ .

عبد الله بن عمر المتوفى سنة (٩٧٢ هـ) بالترجمة ، وذكر فيها عمه الطيب ابن عبد الله بامخرمة .

ومن الهجرين : كان الشيخ محمد بن عمر باقضاء بامخرمة يجتمع مع الشيخ عبد الله بن أحمد في الأب السادس ، ولد ببلدة الهجرين ، ثم ارتحل إلى عدن وأخذ عن إمامها : عبد الله بن أحمد بامخرمة ، ومحمد بن أحمد بافضل ، ثم سار إلى زبيد ، ثم عاد إلى عدن ولازم الإمام عبد الله بن أحمد بامخرمة ، ولده أحمد^(١) .
وإليه انتهت رئاسة العلم بعدن بعد الشيخين : عبد الله بن أحمد بامخرمة ، ومحمد بن أحمد بافضل ، إلا أنه كان يتساهل آخر عمره في الفتاوى ، ويراعي أغراض السلطان ، وذلك ممّا عيب عليه . توفي بعدن في سنة (٩٥٢ هـ) .

وفي « شمس الظهيرة » [٤١٩/٢] : (أن للسيد محمد بن أحمد الكاف^(٢) عقباً بالهجرين ، منهم : السيد الفاضل علي بن محمد بن علوي^(٣) ، المتوفى سنة (١٢٦٧ هـ) ، وأبنا أخيه الآن : عبد الرحمن وعلوي^(٤) ، فقيهان فاضلان . وأبن ابنه أحمد بن حسن بن علي^(٥) ، ذكي نبية متفقه) اهـ

ولقد كان سروري عظيماً ؛ إذ بقي إلى ساعتنا هذه من يُثني عليه شيخنا المشهور

-
- (١) كان عالماً فاضلاً فقيهاً ، تخرج بوالده وقرأ على علماء عدن ، وعليه قرأ باقضاء المترجم ، وأخوه الفقيه عبد الله بن عبد الله المتوفى سنة (٩٠٤ هـ) بجازان ، وتوفي الشيخ أحمد صغيراً .
 - (٢) هو السيد الشريف : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر الجفري ، توفي حفيده السيد أحمد بن علوي بن أحمد بالهجرين سنة (١١٢٠ هـ) ، وإليه وإلى أخيه محمد بن علوي ينسب آل الكاف الذين بالهجرين ودوعن ومحمدة .
 - (٣) الصواب أن اسمه : علي بن محمد بن علي .
 - (٤) أما علوي فيلقب بالنوير ، قيل عنه في « الشجرة » : كان سيداً فاضلاً فقيهاً متواضعاً له خلق حسن ، وأما عبد الرحمن . . فتوفي سنة (١٣١٩ هـ) ، ولقبه في « الشجرة » بالقاضي .
 - (٥) وهو السيد أحمد بن حسن بن علي بن محمد الكاف ، ولد سنة (١٢٨٣ هـ) ، وقد توفي سنة (١٣٧٤ هـ) ، وهو من الآخذين عن الحبيب أحمد بن حسن العطاس . ومن أعيان السادة آل الكاف : السيد الجليل الحبيب عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله الكاف المولود سنة (١٣٢٠ هـ) ، والمتوفى سنة (١٤٢٠ هـ) ، عن مئة سنة وأشهر بجدة ، وقد كان نسخة من السلف الصالح في زهده وورعه وتقواه رحمه الله تعالى .

في سنة (١٣٠٧هـ) ممثلاً بالحواس والقوة والعلم ، ولم يبقَ ممَّنْ ذُكِرَ فيها سواه ، يخرجُ بمكتله صباح كل يوم إلى حقله فيؤدِّي ما تعهَّدَ به من الخدمة والتَّنقية وإثارة الأرض على الثيران ، ثم يرجعُ ويتنظَّفُ ويجلسُ في مجلسِ القضاء ؛ لأنَّه عليه بالهجرين وما قاربها منذ زمنٍ بعيد .

وفيها جماعاتٌ من آلِ العطاس^(١) ، وآلِ الحامدِ ، وآلِ باسلامة^(٢) ، وكثيرٌ من السُّوقة .

ولا يزيدُ سكَّانها عن ألفين وخمسين مئة تقريباً ، وفي تربتها من لا يُحصى من الصَّالحين والعلماء .

وكانت ولاية الهجرين لآلِ محفوظ الكنديين ، وهم من ذرِّيَةِ آلِ جعفرِ الَّذين أمتدَّحهمُ الشَّيخُ عليُّ بنُ عقبة الخولاني^(٣) أثناء القرن السَّابع بقصيدته السَّائرة ، الَّتِي تُعدُّ - ولا سيَّما أبياتها السَّنَّة - غرَّةً في جبين الشعر العربي ، وهي [مِنَ الكامل] :

أَصْبَرَتْ نَفْسَ السُّوءِ أَمْ لَمْ تَصْبِرِي بَيْنِي وَمَنْ تَهْوَيْنَ يَوْمَ الْمَخْشَرِ
إِنِّي أَمْرُؤُ عَفٌّ الْإِزَارِ عَنِ الْخَنَا لَمْ أَغْشَ مُنْذُ نَشَأْتُ بَابَ الْمُنْكَرِ

(١) ومن السادة آل العطاس بها : الحبيب أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس من ذرية الحبيب علي بن حسن ، ولد بالهجرين سنة (١٢٥٥هـ) ، وتوفي بجاة ببلدة فكالونفن - باكلنقان - سنة ١٣٤٧هـ ، كان من العلماء الدعاة ، مهاباً جليلاً ، له ذرية لا تزال بالهجرين .

(٢) منهم الأمير الحسين باسلامة ، الذي كان حاكماً على ذمار من قبل أئمة صنعاء ، توفي سنة (١٣٥٠هـ) ، أفردته المؤرخ محمد بن علي الأكوخ بكتاب سماه : « حياة عالم وأمير » مطبوع .

ومن آل باسلامة جماعة في سيئون ، فيهم العلماء والصالحون ، ومن مشاهيرهم : العلامة المؤرخ حسين عبد الله باسلامة المكي صاحب « تاريخ الكعبة » ، و « تاريخ مكة » ، ولد بمكة سنة (١٢٩٩هـ) ، وبها توفي سنة (١٣٥٦هـ) . « الأعلام » (٢٤٢/٢) .

ومن فخائذهم : آل الثوري باسلامة - والتوي على وزن قصي - يسكنون مدينة شبام ، ومنهم جماعة بالحوطة ، لهم مكارم أخلاق ، وبنى بعضهم مدرسة بشبام في مطلع القرن المنصرم .

(٣) هو الشيخ الشاعر علي بن عقبة بن أحمد بن محمد أبو الحسن الزيادي ثم الخولاني ، قال عنه بامخرمة : كان فقيهاً فاضلاً لاسيما في علم الأدب ، كان يقدم على المظفر الرسولي وله منه رزق يعتاده . اهـ - وله ابن هو محمد ، توفي سنة (٧١٠هـ) ، « تاريخ الحامد » (٦٥٠ ، ٧٩٦) .

وَاللّٰهُ مَا صَافَحْتُ كَفَّ بَغْيِيَّ كَلًّا وَلَا نَادَمْتُ شَارِبَ مُسْكِرٍ
لَكِنِّ عَلَى كَسْبِ الْعُلُومِ مُخَيِّمٌ وَبُكَايَ فِي طَلَبِ الْعُلَا وَتَحْشُرِي
وَقَسَمْتُ حَالَتِي ثَلَاثًا مِثْلَمَا قَدْ كَانَ قَسَمَهَا أَبِي الشَّهْمِ السَّرِي
كَرَّمُ تَدِينُ لَهُ الْأَنَامُ وَحَالَةٌ ظَهَرَ الْحِصَانِ وَحَالَةٌ لِلْمُنْبَرِ
وَتَخِذْتُ أَصْحَابًا إِذَا نَادَمْتُهُمْ لَمْ أَخْشَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْمُ وَيَفْتَرِي
عِلْمِي وَحِلْمِي وَالْحِصَانُ وَصَارِمِي وَتَدَى يَمِينِي وَالْعِنَانُ وَدَفْتَرِي
كَذَا هِيَ فِي حِفْظِي ، وَلَئِنْ خَالَفَتْ بَعْضَ مَا هِيَ عَلَيْهِ . . فَإِلَى أَحْسَنَ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ
تعالى .

وفيه ثلاثه أبيات مأخوذة من شعر الرضي ، وهي قوله :

أَعْدَدْتُكُمْ عَوْنًا لِّكُلِّ مُكْسِرٍ عِرْضِي فَكُتِّمَ عَوْنَ كُلِّ مُكْسِرٍ
وَتَخِذْتُكُمْ لِي مَخْجَرًا فَكَأَنَّمَا خَتَلَ الْعَدُوُّ مَخَاتِلِي مِنْ مَخْجَرِي^(١)
فَلَا نَفْضَنَ الْكَفَّ يَأْسًا مِنْكُمْ نَفْضَ الْأَنَامِلِ مِنْ تُرَابِ الْمُقْبَرِ

وهي في « ديوان الرضي » [٢/٢٢٠-٢٢١] هكذا :

أَعْدَدْتُكُمْ لِدِفَاعِ كُلِّ مُلَمَّةٍ عَنِّي فَكُتِّمَ عَوْنَ كُلِّ مُلَمَّةٍ
وَتَخِذْتُكُمْ لِي جُنَّةً فَكَأَنَّمَا نَظَرَ الْعَدُوُّ مَقَاتِلِي مِنْ جُنَّتِي
فَلَا نَفْضَنَ يَدَيَّ يَأْسًا مِنْكُمْ نَفْضَ الْأَنَامِلِ مِنْ تُرَابِ الْمَيِّتِ

وقد رأيت هذه الأبيات الثلاثة في « معاهد التنصيص » معروضة لابن سناء الملك ،
وما هو إلا وهم ظاهر ؛ لأن قصيدة الرضي التي منها الأبيات مشهورة ؛ ومنها [في
« ديوانه » ١/٢٢٠-٢٢١ من الكامل] :

قُلْ لِلَّذِينَ بَلَوْتُهُمْ . . فَوَجَدْتُهُمْ آلا وَغَيْرُ آلٍ يَنْقَعُ غُلَّتِي
تَأْبَى ثِمَارًا أَنْ تَكُونَ كَرِيمَةً وَفُرُوعُ دَوْحَتِهَا لِثَامُ الْمَنِيتِ

(١) المحجّر : الحرمة . المخاتلة : مشي الصياد خفية ليرمي الصيد .

لَمَّا رَمَيْتُ إِلَيْكُمْ بِمَطَامِعِي كَثُرَ الْخِلَاجُ مُقْلَباً لِرَوَّيِّي^(١)
وَوَقَفْتُ دُونَكُمْ وَقُوفَ مُقَسَّمٍ حَذَرَ الْأَمْنِيَّةِ رَاجِي الْأُمْنِيَّةِ
فَلَا زَحَلَنْ رَجِيلَ لَا مَتَلَهَبٍ لِفِرَاقِكُمْ أَبَدًا وَلَا مَتَلَفَتْ
يَا ضَيْعَةَ الْأَمَلِ الَّذِي وَجَّهْتُهُ طَمَعًا إِلَى الْأَقْوَامِ بَلْ يَا ضَيْعَتِي
وللرَّضِيِّ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كَثِيرٌ كَأَلْتِي مِنْهَا قَوْلُهُ «فِي» دِيَوَانِهِ «١/ ٢٦٦ مِنْ الطُّوَيْلِ» :

سَأَذْهَبُ عَنْكُمْ غَيْرَ بَاكِ عَلَيْكُمْ وَمَا لِي عَذْرُ أَنْ تَفِيضَ الْمَدَامِعُ
وَلَا عَاطِفًا جِيدًا إِلَيْكُمْ بِلَهْفَةٍ مِنَ الشُّوقِ مَا سَارَ النُّجُومُ الطُّوَالِعُ
نَبَذْتُكُمْ نَبَذَ الْمُخَفَّفِ رَحْلَهُ وَإِنِّي لِحَبْلِ مِنْهُ بِالْعُذْرِ قَاطِعُ
وكقوله «فِي» دِيَوَانِهِ «١/ ٢٦١ مِنْ الْوَافِرِ» :

فَيَا لَيْثًا دَعَوْتُ بِهِ لِيَحْمِي حِمَايَ مِنَ الْعِدَا فَاجْتَاخَ سَرْحِي
وَيَا طِبًّا رَجَوْتُ صَلَاحَ جِسْمِي بِكَفِّهِ فَزَادَ فَسَادَ جُرْحِي
ولإبراهيم بن العباس الصُّولِيَّ فِي هَذَا الْمَعْنَى عِدَّةُ مَقَاطِيعَ ، يَعْبَثُ فِيهَا بِأَبْنِ
الزَّيَّاتِ ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ «مِنْ الطُّوَيْلِ» :

وَإِنِّي وَإِعْدَادِي لِدَهْرِي مُحَمَّدًا كَمُلْتُمِسٍ إِطْفَاءَ نَارٍ بِنَافِخِ
وقوله «مِنْ الطُّوَيْلِ» :

وَإِنِّي إِذْ أَدْعُوكَ عِنْدَ مُلَمَّةٍ كَدَاعِيَةٍ عِنْدَ الْقُبُورِ نَصِيرَهَا
وفي ترجمة أَبْنِ الزَّيَّاتِ مِنْ «تَارِيخِ أَبْنِ خُلَكَانَ» [٩٧/٥] جُمْلَةٌ مِنْهَا .

وقد جَاءَ فِي قَصِيدَةِ أَبْنِ عُقْبَةَ ذِكْرُ الْمَرَاكِحِ مِنَ الْجُوفِ إِلَى الْهَجْرَيْنِ ، وَبَيْنَهَا ذِكْرُ
مَنْصَحٍ^(٢) ، وَلَعَلَّهَا أَلْتِي يَقُولُ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بَنُ عَانِسٍ السَّكُونِيُّ فِي ذِكْرِ رَوْضَتِهَا [مِنْ
الطُّوَيْلِ] :

(١) الْخِلَاجُ : مَا يَنَازِعُ الْقَلْبَ مِنْ أَفْكَارِ .

(٢) انظر : «معجم البلدان» (٥/ ٢١٠) .

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَرَى الْوَزْدَ مَرَّةً يُطَالِبُ سَرِيًّا مُوَكَّلًا بِغَرَارِ
أَمَامَ رَعِيلٍ أَوْ بِرَوْضَةٍ مَنْصَحٍ أَبَادِرُ أَنْعَامًا وَأَجَلَ صَوَارِ
وَهَلْ أَشْرَبَنَ كَأَسَا بِلَذَّةٍ شَارِبٍ مُشْغَشَعَةً أَوْ مِنْ صَرِيحِ عُقَارِ
إِذَا مَا جَرَتْ فِي الْعَظَمِ خِلَتْ دَبِيبَهَا دَبِيبَ صِغَارِ النَّمْلِ وَهِيَ سَوَارِي

وقد تكون هذه الرّوضة في داخل حَضْرَمَوْت ، بأَمَارَةِ أَنَّهَا لبني وكِيعَةَ الْكَنْدِيِّينَ
وَهُمْ مِنْ وَسْطِ حَضْرَمَوْت ، وَأَبْنُ عَانِسٍ مِنْ أَسْفَلِهَا فتكون غير التي ذكرها ابن عقبة
إذن .

وَأَسْمُ مَلِكٍ آلٍ مَحْفُوظٍ لَذَلِكَ الْعَهْدِ : مَحْفُوظٌ ، عَرَفْنَاهُ مِنْ قِصَّتِهِ مَعَ الشَّيْخِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ جَدِّ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَدِيمِ عَبَادٍ - الْآتِيَةِ فِي الْغُرْفَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ -
وَمِنْ أَسْمِهِ نَفَهُمْ أَنَّ آلَ جَعْفَرٍ مَدَدُو حِي أَبْنِ عَقْبَةَ بَتْلَكَ الْقَصِيدَةِ هُمْ آلُ مَحْفُوظٍ .

ثُمَّ خَلَفَهُمْ عَلَى الْهَجْرَيْنِ آلُ فَارِسٍ الْتَهْدِيُونُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا بِـ « الْأَصْلِ » مِنْ أَخْبَارِهِمْ
مَعَ آلٍ كَثِيرٍ وَآلٍ يَمَانِيٍّ وَآلٍ سَعْدٍ وَغَيْرِهِمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ نَذْكُرَ .

ثُمَّ تَغَلَّبَ عَلَيْهَا يافِعُ كَسَائِرِ بِلَادِ حَضْرَمَوْتِ فِي سَنَةِ (١١١٧ هـ) (١) .

وَفِي آلِ عُقْبَةَ الْخَوْلَانِيِّينَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عُقْبَةَ
الزِّيَادِيُّ الْخَوْلَانِيُّ الْهَجْرَانِيُّ ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودٍ بَاشْكِيلٍ .

وَفِي حُدُودِ سَنَةِ (١٢٧٦ هـ) قَدِمَ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ سَالِمٍ بْنِ مُسَاعِدٍ مِنْ بَقَايَا آلِ
مَحْفُوظِ الْكَنْدِيِّينَ - وَقِيلَ : إِنَّهُ مِنْ آلِ بَاطِرٍ - بِدِرَاهِمٍ كَثِيرَةٍ ، فَحَدَّثَهُ نَفْسُهُ بِمُلْكِ
آبَائِهِ ، وَتَمَنَّى أَنْ يُخْضَعَ آلُ يَزِيدٍ الْيَافَعِيِّينَ السَّاكِنِينَ بِأَعْلَى الْهَجْرَيْنِ ، حَتَّى لَقَدْ وَرَدَهُ
الشَّيْخُ صَالِحٌ بَاوَزِيرٍ فِي جَمَلَةِ الْوُفُودِ الَّتِي تَتَابَعَتْ لِتَهْنِئَتِهِ ، فَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، وَأَطَالَ مَعَهُ
السَّمَرَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَسَقَّطُهُ الْكَلَامَ لِيَرَى مَا قَدَرُهُ مَعَ ثَرَوَتِهِ فِي نَفْسِ الشَّيْخِ صَالِحٍ ، فَقَالَ
لَهُ : (إِنَّكَ لَفَوْقَ الْقَبِيلِيِّ وَدُونَ السُّلْطَانِ) فَلَمْ يَقْتَنِعْ بِذَلِكَ ، وَجَفَاهُ وَلَمْ يُقَابَلْهُ بَعْدَهَا ،

(١) ينظر : « العدة المفيدة » لابن حميد الكندي (٢٦٥ / ١) وما بعدها .

فمرَّ في خروجه على جماعة يتراجزون في شبواني لهم^(١) ، فقال :

يَا بَنَ مُسَاعِدَ قَالَ صَالِحُ نَعْبُوكَ^(٢) يَا اللَّهُ مَتَى الْهَوَاكُ فِي دَارِكَ يَهُوكَ^(٣)
وَلَعَاذَ بَاتِنْفَعِ مِيَاتَكَ وَاللُّكُوكَ^(٤) بَاتِضْبِحِ أَلَّا عِنْدَ بَامَهْلِسِ تُحُوكَ
وَالأَبُورَةَ عِنْدَ صَالِحِ بَادُكُوكَ^(٥)

وذهب الشيخ صالح باوزير لطيفته^(٦) ، وبقي الشيخ عمر بن مساعد يساور^(٧)
الأحلام والآمال ، حتَّى لجأ إلى آل عبد الله الكثيَّرينَ بسيتون فنَهَضُوا معه ، ولم يَزَالُوا
يوالون التَّجهيزاتِ حتَّى استولوا على الهجرين في سنة (١٢٨٥ هـ) - ومعلوم أنَّ
الهجرين مفتاح دوعن بأسره - ثمَّ حَطُّوا على قِزَّةِ آلِ الْبَطَاطِيَّ فأنكسروا دونها ؛ لنجدة
جاءت لأهلها من الأمير عبد الله بن عمر القعيطي بالشَّخِرِ ، فطردوا من حوالها من
أصحابِ الدَّولةِ الْكثِيرَةِ ، وتراجعتْ فلولهم^(٨) إلى الهجرين .

ثمَّ لَمْ يَحْسُنِ الْمَالُ بَيْنَ الشَّيْخِ عَمْرَ بنِ سَالِمِ بنِ مُسَاعِدِ والدَّولةِ الْكثِيرَةِ ؛ لِأَنَّهُ
أَسْتَنْفَذَ أَكْثَرَ مَا فِي يَدِهِ وَعَرَفَ أَنَّ الدَّولةَ لَنْ تُعْطِيَهُ شَيْئاً مِمَّا يَتَمَنَّاها ، وَتَحَقَّقَ أَسْتَبْدَادُهُمْ
عِنْدَ رَسُوخِ أَقْدَامِهِمْ ، فَاتَّفَقَ مَعَ الْقُعَيْطِيِّ وَفَتَحَ لَهُ الطَّرِيقَ فَأَقْتَحَمُوهَا ، وَحَصَرُوا بِهَا

-
- (١) الشبواني : رقصة شعبية حضرمية . تنسب إلى شبوة ؛ لأنها جاءت منها . وفيها يحمل المرتجزون
العصي ويهتزون على أصوات الطبول والدفوف ذات الجلاجل ويرددون الأراجيز الشعبية .
(٢) نَعْبُوكَ : كلمة تويخ ككلكك أمك في الفصحى ، ولعل أصلها : نعي بالذم أباك .
(٣) الهواك : الصايح ، أو الناعي .
(٤) مياتك واللكوك : مثاتك - الدراهم - واللكوك : جمع لك ، وهو عبارة عن رزمة من المال .
(٥) آل بادكوك : أسرة في دوعن يسكنون حُورَة و القرنين ، ظهر فيها أفاضل من الفقهاء ؛ منهم : الفقيه
سعيد بن عبد الله بادكوك ، عاش في أواخر القرن الثالث عشر ، أخذ عن الشيخين سعيد باعشن
وعبد الله باسودان ، وجمع فتاواهما في كتاب سماه : « فتح المنان بجمع فتاوى باعشن وباسودان » .
منه نسخة خطية نفيسة بمكتبة الإمام أحمد بن حسن العطاس بحريضة ذكره السيد عبد الله الحبشي في
« فهرس المكتبات الخاصة باليمن » .

(٦) ذهب لطيفته : لوجه الذي يريد .

(٧) يُساور : يواثب .

(٨) الفلول : بقايا الجيش المنهزم .

الأمير الكثيري - وهو صالح بن مطلق - حتى سلم بشرط أن يتحمل بما معه مما تقدر عليه الجمال ، ولهذا بقي بها مدفع الدولة إلى اليوم ؛ لأنه لم يدخل تحت الشرط .
وقد وفي السلطان القعطي للشيخ عمر بن سالم بن مساعد بما اشترطه عليه ، والأخبار في ذلك طويلة شائعة ، وهي مستوفاة بـ «الأصل» .
وفيه : أن آل محفوظ عدّة قبائل ؛ منهم آل عمر بن محفوظ أهل نحولة ، وآل أحمد بن محفوظ أهل صيلع ، وآل عجران منهم آل مرشد وآل رئيس وآل الشبيبة ، ومنهم : آل عبد الله بن محفوظ رهط الشيخ عمر بن مساعد السالف الذكر .

المشهد

قرية صغيرة ، تبعد عن الهجرين في شمالها مسافة ساعتين ، وكان موضعه يسمى (الغيار) ، يكمن به اللصوص فيخيفون السابلة^(١) ويقطعون السبيل ، ويأتون في ذلك المكان المنكر .

وكان الحسد قد تكسرت نصاله في الحبيب علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس^(٢) ؛ لعلو شأنه ، وغزارة علمه ، وقوة عارضته ، وكان يتنقل في البلدان لنشر الدعوة إلى الله ، وكانت أمه من المشايخ آل إسحاق الساكنين بهين ، فبدا له أن يختط بذلك المكان داراً ويبنى مسجداً ، ورغب الناس في البناء بجواره ، وعندما رأوا عموم الأمان . . بُنيت دياراً حواليه ، فكان بناؤه هناك وأخطأه ذلك المكان حصاة صادت عصفورين ؛ إذ استراح هو من مناواة الحساد ، وأمن به الناس ، وزال البأس .

وكان يحتفل بمولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام ، يتقاطر له الوفود من كل ناحية حتى من قريب صنعاء ، وهناك تكثر

(١) السابلة : أبناء السبيل والمارة في الطريق .

(٢) الحبيب علي بن حسن العطاس (١١٢١-١١٧٢هـ) من أشهر مشاهير عصره ، تربى في حجر جده عبد الله ، وتفقه عليه ، وله مصنفات كثيرة وديوان كبير .

ألفوائد ، وتَبَسَّطَ أَلْمَوَائِدُ ، وَتَهَتَّزُّ أَلْأَبْشَارُ ، وَتَحْنُ أَلْعِشَارُ ، وَيَنْظُمُ أَلْإِنْتِشَارُ ، وَتَقْشَعُرُ أَلْأَبْدَانُ ؛ لِحَضُورِ أَلْأَرْوَاحِ مِنْ بَشَارِ .

هُنَالِكَ يَهْتَزُّ الشُّعُورُ إِذَا التَّقَى مِنْ أَمَلٍ أَلْعَلَى كِرَامٍ وَطَيِّبٍ^(١) وَثُمَّ يَطِيبُ أَلْإِتِّصَالُ إِذَا أُنْبِرَى نَسِيمُ أَلرِّضَا وَأَنْهَلَ بِأَلْفَضْلِ صَيِّبُ وَلَا تَزَالُ تَلِكُ أَلْعَادَةُ مَتَّبِعَةً إِلَى أَلْيَوْمِ ، وَهَذَا أَلْمَوْلُدُ مِنْ أَقَلِّ أَلْمَوَالِدِ بَدْعًا وَمَفَاسِدَ ، إِلَّا مَا قَدْ يَقَعُ مِنْ أَخْتِلَاطِ أَلرِّجَالِ بِأَلنِّسَاءِ ، وَلَكِنْ لَمْ يَشْتَهْزْ عَنْهُ فَسَادٌ ، وَلَا مَانِعٌ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِبِرْكََةِ إِخْلَاصِ مُؤَسَّسِهِ وَحُسْنِ نِيَّتِهِ ، وَلَوْ رَأَيْتَ مَا يَقَعُ مِنْ فَرْحِ أَلْوَفُودِ ، وَزَجَلِ أَلْأَرَاكِيزِ ، وَدَوِيِّ أَلْمَدَافِعِ ، وَزَمْجَرَةِ أَلْمِيَاظِ .

وَأَلْخَيْلُ تَضْهِلُ وَأَلْفَوَارِسُ تَدْعِي وَأَلْيَبِضُ تَلْمَعُ وَأَلْأَسِنَّةُ تُزْهَرُ^(٢) وَأَلْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا وَأَلْجَوُّ مُعْتَكِرُ أَلْجَوَائِبِ أَغْبَرُ وَأَلشَّمْسُ طَالِعَةٌ تَوْقَدُ فِي أَلضُّحَى طَوْرًا وَيُطْفِئُهَا أَلْعَجَاجُ أَلْأَكْدَرُ . . لِرَأَيْتَ مَا يَمَلَأُ عَيْنَكَ نُورًا ، وَقَلْبَكَ سُرُورًا .

وَتَقُومُ هُنَاكَ سَوْقٌ مِنْ أَسْوَاقِ أَلْعَرَبِ تَدُومُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَتَأْتِيهَا أَلْقَوَافِلُ حَتَّى مِنْ نَحْوِ صِنْعَاءِ .

وَكَانَ أَلْحَبِيبُ عَلِيٌّ بْنُ حَسَنِ أَلْعَطَّاسُ - صَاحِبُ أَلْمَشْهَدِ هَذَا - صَدْرًا مِنْ صُدُورِ أَلرِّجَالِ ، وَلَهُ مُؤَلَّفَاتٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : « أَلْقِرْطَاسُ » فِي ثَلَاثِ مَجْلَدَاتٍ كِبَارٍ ، وَمِنْهَا : « سَفِينَةُ أَلْبُضَائِعِ » ، وَلَهُ « دِيْوَانٌ » عَذْبٌ^(٣) ، كَأَنَّهُ أَللُّؤْلُؤُ أَلرَّطْبُ ، وَهُوَ يَمُرُّ فِي مَنْظُومِهِ وَمَنْثُورِهِ مَعَ خَاطِرِهِ ، لَا يَتَكَلَّفُ وَلَا يَنْتَظِعُ ، وَلَا يَدْعُ شَيْئًا بِأَلِهِ إِلَّا نَفَثَ بِهِ لِسَانَهُ ، وَعَسَلَ بِهِ قَلَمَهُ ، مِنْ ذَلِكَ : أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ قَرَارٍ^(٤) شَبَامَ بَاتُوا عَنْدهُ ، فَأَكْرَمَهُمْ وَأَسْبَغَ قِرَاهُمُ ، وَمَعَهُمْ جَمَالٌ مِنْ أَلِ مَهْرِي ، سَأَلَ عَنْهُ أَلْحَبِيبُ عِنْدَ حَضُورِ أَلْعِشَاءِ ،

(١) البَيْتَانِ مِنَ الطَّوِيلِ .

(٢) الأبيات من الكامل ، وهي للبحرِيِّ فِي « دِيْوَانِهِ » (٢٤ / ١) .

(٣) واسمه : « قَلَانْدُ أَلْحَسَانِ وَفَرَائِدُ أَللِّسَانِ » .

(٤) القَرَارُ : أَهْلُ أَلْحِرَاةِ وَأَلْأَرْيَافِ إِذَا اعْتَزَلُوهَا وَسَكَنُوهَا أَلْمَدَنَ .

فقالوا له : إِنَّهُ عِنْدَ الْمَرَائِبِ ، فَأَخْزَ عِشَاءَهُ حَتَّى نَفَرَغَ ، قَالَ : لَا يُمْكِنُ أَنْ نَأْكُلَ إِلَّا
وِيَدِهِ مَعَ أَيْدِينَا .

وَأَتَّفَقَ أَنَّ الْحَبِيبَ دَخَلَ شَبَامًا بَعْدَ أُمَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ وَاجْتَمَعَ بِكُلِّ أَوْلَئِكَ فِي الْجَامِعِ ،
وَلَمْ يَقُلْ لَهُ أَحَدٌ تَفَضَّلْ إِلَى مِثْلِي ، وَأَبُوا بِلِسَانِ الْحَالِ أَنْ يُضَيِّقُوهُ ، فَأَضْطَرَّ إِلَى
الْخُرُوجِ مِنْ شَبَامٍ قَرِيبِ الْمَغْرِبِ ، فَلَقَاهُ أَبْنُ مَهْرِيٍّ خَارِجًا مِنْ سِدَّةِ شَبَامٍ وَعِزَمَ عَلَيْهِ
وَالْحَ ، وَذَبَحَ لَهُ مَنِحَةً وَلَدِهِ ، فَأَنْشَأَ الْحَبِيبُ قَصِيدَةً يَقُولُ فِيهَا :

عَلِيَّ بْنِ حَسَنٍ حَوْطُ الْغَنَوَازِ وَأَمْسَى مَزَازُ وَأَمْسَيْتُ يَا لَجَجِي جَنَّةَ بَعْدَ مَا كُنْتُ نَازُ
يَا الْقُرَوِيَّ الْقَازِ يَا عِرْقَ الْحَدَجِ يَا قِرَازُ حِبِّ الْقَبِيلِي وَقِرَاطِ الْقَبِيلِي بِهِازُ
وَأَنْ جِثِّ صُرِّ الْقَبِيلِي مَا لَطَفَ فِي الصَّرَازُ

وَسَيَّاتِي فِي شَبَامٍ أَنْ لَأَهْلِيهَا مَكَارِمَ غَزِيرَةً ، وَمَحَاسِنَ كَثِيرَةً ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَقْرُونُ
الضَّيْفَ ؛ لِضَيْقِ مَنَازِلِهِمْ وَكَثْرَةِ أَشْغَالِهِمْ .

وَكَلَامُ الْحَبِيبِ فِي « دِيَوَانِهِ » ، وَإِنْ خَرَجَ عَنْ قَوَاعِدِ الْإِعْرَابِ .. فَإِنَّهُ عَذْبُ
اللَّهْجَةِ ، حُلُو السِّيَاقِ ، خَفِيفُ الرُّوحِ .

أَخَذَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَشَائِخِ ، مَرَّةً ذَكَرُ جَمَلَةٍ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ : جَدُّ أَبِيهِ : الْحَبِيبُ
حُسَيْنُ بْنُ عَمْرِو الْعَطَّاسُ ، وَجَدُّهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ مُذَهِّرُ ، وَالسَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ
الْحَبَشِيِّ ، وَغَيْرُهُمْ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِالْمَشْهَدِ سَنَةَ (١١٧٢ هـ) ، وَلَا يَزَالُ أَوْلَادُهُ يَتَوَارَثُونَ مَنْصِبَهُ عَلَى
الْبَرِّ وَالتَّقْوَى ، وَإِكْرَامِ الضَّيْفِ ، وَإِعَانَةِ الْمُنْكَوبِ ، وَتَأْمِينِ الْخَائِفِ ، وَالْإِصْلَاحِ بَيْنَ
النَّاسِ ، وَالْحِجْزِ مَا بَيْنَ الْمُتَحَارِبِينَ .

وَالْقَائِمُ بِمَنْصِبِهِمْ الْآنَ هُوَ : أَخُونَا الْمَنْصِبُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
هَادُونَ^(١) ، سَخِيٌّ الْكَفِّ ، سَلِيمُ الصَّدْرِ ، خَفِيفُ الرُّوحِ ، قَلِيلُ الْغَضَبِ ، لَا يَشِينُهُ

(١) السيد الشريف أحمد بن حسين بن عمر بن هادون بن هود بن علي بن حسن العطاس ، ولد سنة
(١٣٠١ هـ) ، وتوفي سنة (١٣٧٨ هـ) ، أخذ العلم عن عدد من الشيوخ ، وكان شهماً كريماً حكيماً حليماً .

عبوسٌ ، ولا يُبِطِرُهُ غنىٌ ، ولا يُذِلُّهُ بؤسٌ .

لَا مُتَرَفَاً إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعَدَهُ وَلَيْسَ إِنْ عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَعَا

وفيه أقولُ من « الرُّحْلَةِ الدَّوْعَنِيةِ » [من الطُّويل] :

وَعُجْنَا إِلَى الْغَيَوَارِ صُبْحاً فَأَطْلَقُوا كَذَا وَكَذَا عِنْدَ التَّحِيَّةِ مَدْفَعَا
وَرَزْنَا أَلْبَعِيدَ الْصَّبِّ حَامِيَ الْحِمَى الَّذِي بِهِ صَارَ مِنْ عَرِيْسَةِ أَلَلْنِثِ أَمْنَعَا^(١)
وَكَانَ زَعِيمُ الْمَشْهَدِ الشَّهْمُ غَائِبَا مَضَى هُوَ وَالسُّلْطَانُ فِي رِحْلَةٍ مَعَا
وَكَانَ مَكِينَا عِنْدَهُ حَيْثُ إِنَّهُ بِأَخْلَاقِهِ لَمْ يُنَيِّقِ لِلظَّرْفِ مَوْضِعَا
سِوَى لِحْيَةٍ فِيهَا يَسِيرُ زِيَادَةٌ أُرِيدَ عَلَى تَقْصِيرِهَا فَتَمَنَّعَا
وَفِي جِيدِهِ بِاللَّيْلِ أَبْصَرْتُ سُبْحَةً مِنَ الرُّقْشِ خِفْنَا أَنْ تَدِبَ وَتَلْسَعَا^(٢)

ولا يُشْكَلُ قولُنا : (أَبْصَرْتُ) مع أَنَّهُ كَانَ غَائِبَا ؛ لَأَنَّا أَجْتَمَعْنَا وَإِيَّاهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ السُّلْطَانِ ، فَكَانَ مَا فِي الْبَيْتِ .

ولقد أَخْبَرَنِي أَنَّ السُّلْطَانَ صَالِحَ بْنَ غَالِبٍ أَرَادَهُ عَلَى حَلْقِ لِحْيَتِهِ أَيَّامَ كَانَ مَعَهُ بِمِصْرَ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ مِصْرَ لَا يُحِبُّونَ أَلَلْحَى ، وَبِذَلِكَ لَهُ مِئَةُ دِينَارٍ مِصْرِيٍّ فَأَمْتَنَعَ ، إِلَّا أَنَّهُ نَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَلا سِيَّما إِثْرَ مَا أَخْبَرْتُهُ بِاتِّفَاقِ الرَّافِعِيِّ وَالنَّوَوِيِّ عَلَى كِرَاهَةِ حَلْقِهَا لَا حُرْمَتِهِ ، وَأَنَّ السَّخَاوِيَّ ذَكَرَ فِي « الْأَضْوَاءِ الْأَمْعِ » أَنَّ عَبْدَ الْحَقِّ بْنَ هَاشِمٍ الْجَرَبِيَّ الْمَغْرِبِيَّ كَانَ يَحْلُقُ لِحْيَتَهُ وَشَارِبَهُ ، وَكَانَ صَالِحاً مُعْتَقِداً ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْيَنْبُوعِ فِيمَا يَذْكُرُ ، وَقَدْ تَوَلَّى مَشِيخَةَ رِبَاطِ السَّيِّدِ حَسَنِ بْنِ عَجَلَانَ بِمَكَّةَ ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ (٨٤٥ هـ) فَاشْتَدَّ نَدَمُهُ حِينَئِذٍ ، وَأَنْشَدَ لِسَانُ حَالِهِ قَوْلَ كَثِيرٍ عَزَّةَ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٢٤٤ مِنْ الطُّويل] :

لَيْسَ عَادَ لِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بِمِثْلِهَا وَامْتَكَنَتْنِي مِنْهَا إِذْ لَا أُقِيلُهَا

(١) عَرِيْسَةُ اللَّيْلِ : عَرِينَةُ .

(٢) الرُّقْشُ : الْحَيَّاتُ الَّتِي فِيهَا سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّ فِي جِيدِهِ سَبْخَةٌ سَوَادُهَا وَبَيَاضُهَا يَخِيلُ لِلنَّازِلِ أَنَّهُ حَيَّةٌ رَقْشَاءُ .

وفي حَوَالِي الْمَشْهَدِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَطْلَالِ وَالْآثَارِ الْعَادِيَةِ^(١) ، وَأَكْثَرُهَا فِي مَكَانٍ يَقْرُبُ مِنْهُ ، يُقَالُ لَهُ : رَيْبُون ، يَزْعُمُونَ أَنَّ بِهِ آثَاراً مَظْمُورَةً بِالْثَّرَابِ ، كَمَثَلِ الْآثَارِ الَّتِي اكْتُشِفَتْ بِنَاحِيَةِ حُرَيْصَةَ ، أَوْ أَكْثَرُ^(٢) .

مِيخ

وفي جنوبِ الْمَشْهَدِ عَلَى نَصْفِ سَاعَةٍ مِنْهُ بِالْأَقْدَامِ ، قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا : مِيخ ، فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - مَوْلَى الْغِيلِ - ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَشْهُورِ بِاسْتِجَابَةِ الدُّعَاءِ ، يَرْجِعُونَ إِلَى عَفِيفِ الْكَنْدِيِّ .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُلقَّبُ الصُّوفِيُّ الْكَنْدِيُّ وَهُوَ مَنْصِبُهُمْ .

وَفِيهَا آلُ بَاسْمِجَ ، وَلَهُمْ مِنْ أَسْمِهِمْ نَصِيبٌ ؛ مِنْهُمْ : سَالِمٌ وَأَحْمَدُ وَعَمْرٌ وَسَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِاعْمَرَ بِاسْمِجَ ، لَهُمْ ثَرَوَةٌ وَخَيْرٌ وَسَمَاحَةٌ .

وَفِي غَرْبِيِّ مِيخٍ غَيْلٌ أَجْرَاهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَفِيفِيُّ الْكَنْدِيُّ ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَدِيمُ عَبَّادٌ بِخَمْسِ مِثَالِ رِيَالٍ .

وَمِنْهَا الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ غَانِمُ الْحَكِيمِيُّ وَهُوَ الْقَائِلُ يَنْسُبُ نَفْسَهُ :

مِنْ نَسْلِ عُذْرَةَ بْنِ سَبَا بْنِ سَامٍ وَنُسَبَ لَا نُوحَ بْنَ شَيْلِيْنِخَ

(١) العادية : نسبة إلى قوم عاد .

(٢) تقع ريبون غربي المشهد ، قال صلاح البكري : في هذه المنطقة أحجار كثيرة عليها كتابات حميرية ، وتوجد تلال تعلو إلى (٣٠) قدماً على سفوحها أنقاض جدران ، وعلى إحدى التلال بئر اتساعها (٣٠) قدماً وعمقها (٦٠) . وقد عثر على آثار قيمة في هذه المنطقة . اهـ

وقال الأستاذ جعفر السقاف : تقع ريبون غربي المشهد ، وهي منطقة تزيد مساحتها على (١٠) هكتار ، وعليها الآن آثار المعابد والقصور والمسكنات ومنشآت الحرفيين التي اكتشفتها البعثة اليمنية السوفيتية العلمية في موسم عملها لعام (١٩٨٣ م) ، وبها معبد الإله عشتارم ، وبناءؤه يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد ، ثم أحرق في الفترة ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعد الميلاد ، كما لاقت المدينة نفس المصير .

وكانت ريبون في الماضي مركزاً للمنطقة زراعية كبيرة تقدر مساحتها بنحو (١٠,٥٠٠) هكتار .

ما نَكَسَبَ إِلَّا مِنْ عُلُوقِ الشَّامِ مَسْرَحِ مِضَوِّيَ وَالْمَحَلَّةِ مِغْ
ومن شعره في موسمِ المشهدِ :

اليومَ صَبَّحْنَاكَ يَا عَلِيَّ بْنَ حَسَنِ يا مُعْطِي الزَّوَارِ كُلِّ لِي بَغَاةٍ
مَنْ لَيْسَ لَهُ نَيْتُهُ فِي السَّادَةِ وَظَنُّ لَا الرِّزْقُ قَدَامُهُ رَجَعَ لَمَّا قَفَاهُ
وَقَالَ أَيْضاً :

اليومَ صَبَّحْنَاكَ يَا عَلِيَّ بْنَ حَسَنِ يَوْمَكَ كَمَا يَاسِينَ سُلْطَانَ الْقُرْآنِ
طَالِبُ كِرَامَةٍ مِنْ بَحُورِكَ يَا عَلِيَّ يَا الطَّيْرَ لِأَخْضَرِ يَا الشُّقْرَ يَا الضَّيْمِرَانَ
وقال :

يَا الرِّعْدُ حَنَيْتِي وَحَنَ دُقْمُ الْحِسِيِّ لَا^(١) قَامَ وَادِي الْعَيْنِ تِرْغِي مِنْ رِغَاشٍ
فِي شَهْرٍ لَوْ لَتَقِي زَوَارَهَا وَبَعْدَ فِي الْأَرَاضِ تَسْعَى لِلْمَعَاشِ

(و الرعد) : أَسْمُ لِلطَّبَلِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَضْرِبُ بِالْعِيدَانِ الْمَسْمُومِ بِالطَّاسَةِ وَهِيَ الْخَانَةُ
الْكَبِيرَةُ . (و الحسي) : جَبَلٌ كَبِيرٌ فِي شِمَالِ الْمَشْهَدِ بِطَرْفِ وَادِي الْعَيْنِ .

وَقَدْ ذَكَرْنِي قَوْلُهُ : (تِرْغِي) بِقَوْلِ نَاصِرِ بْنِ أَبِي الْمَكَارِمِ الْخَوَارِزْمِيِّ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
فَإِنْ تُنْكِرُوا فَضْلِي فَإِنَّ رُغَاءَهُ كَفَى لِدَوِي الْأَسْمَاعِ مِنْكُمْ مُنَادِيَا

وَذَكَرْنِي قَوْلُهُ : (تَسْعَى لِلْمَعَاشِ) أَنَّ الْحَبِيبَ هَادُونَ بْنَ هُوْدَ بْنَ عَلِيٍّ بْنَ حَسَنِ
الْعَطَّاسِ كَانَ مَتَزَوِّجاً بِشَرِيفَةٍ مِنْ آلِ الْجَفَرِيِّ ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَعْطِيَ مَسَاكِينَ قَدَرًا مِنْ
الْحَبُوبِ . . فَنَقَصَتْهُمْ مِنْهُ ، فَقَالَ : مَا قَصَّرْتُ إِلَّا لِأَنَّ أَهْلَكَ طَلَبَ . فَقَالَتْ لَهُ : أَمَّا
أَهْلِي إِذَا سَأَلُوا أَحَدًا سَأَلُوهُ بِسَرٍّ ، وَأَمَّا أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ . . فَقَدْ جَعَلُوا لِلطَّلَبِ مِرَافِعَ وَطُوسَ
فَضَحَكَ الْحَبِيبُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ ، وَأَعْجَبَ بِهِ ، وَنَشَرَهُ ؛ لِبَعْدِهِ عَنِ الْكِبَرِ وَالتَّصَنُّعِ ،
وَلَسْتِيرِهِمْ كُلَّهُمْ بِسَوِيِّ الطَّبِيعَةِ ، وَابْتِنَاءِ أَمْرِهِمْ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَلَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي
مَجْلِسِ حَافِلِ بَعْظَمَاءِ الْعُلُوِّيِّينَ ، وَمِنْهُمْ إِمَامُ الدَّعْوَةِ وَالْإِرشَادِ أَحْمَدُ عَمْرَ بْنَ سَمِيطَ ،

(١) عامية بمعنى إذا الشرطية .

وسيدُ الوادي حسنُ بنُ صالحِ البحرُ الجفريُّ فأنبسطوا ، وكلُّهم عن الرِّياء بمعزلٍ ،
ينطبقُ على كلِّ منهم ما قاله ابنُ الخطَّابِ وقد رأى صفوانَ متبدلاً : إِنَّهُ لَيَفِرُّ مِنَ
الشَّرَفِ ، والشَّرَفِ يَتَبَعُهُ .

وقولُ حبيبٍ [في «ديوانه» ١٠١/٢ من الكامل] :

مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ مُتَوَاضِعٌ فِي الْحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمُ
رضوانِ الله عليهم أجمعينَ .

وادي العَيْن

هو وادٍ واسعٌ في شرقيِّ المشهدِ ووادي لَيْسَر ، تفصلُ بينها وبينه الجبالُ ، فيه كثيرٌ
من الحصونِ والقرى ، ونحنُ نذكرُ ما يُجَمِّعُ فيها^(١) .

وأكثرُ سكَّانه من المشايخِ آلِ باوزيرٍ والعوابثة . وقد مرَّ في غيلِ باوزيرٍ ما يُفهمُ منه
أنَّ الرَّئاسَةَ الدِّينِيَّةَ كانتَ للمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، وأنَّ العوابثةَ المذحجيينَ كانوا ينتسبونَ
إليهم بالخدمةِ والموالاةِ ، كأكثرِ قبائلِ حَضْرَمَوْتِ مع مناصبِها .

وكانَ شيخُ العوابثةِ حوالي سَنَةِ (٨٥٨هـ) رجلٌ يقالُ لَهُ : عمرُ بنُ أَبِي قديمٍ ، لَهُ
ذِكْرٌ في الْحِكَايَةِ (٣٩٩) مِنْ «الْجَوْهَرِ الشَّفَافِ» لِلْخَطِيبِ [١٦٢/٢-١٦٣ (خ)] ، وفي
وادي عَمِدٍ ذِكْرُ عَوْبَتٍ وَنَاعِبٍ وَرِيَامٍ .

وأعلى وادي العَيْنِ قريةٌ يقالُ لَهَا : شَرْجُ الشَّرِيفِ ، فيها قَرَارٌ - أعني : سُوقَةٌ -
وعوابثة ، وبعدهُ : غَوْرَب ، مكانُ آلِ باذياب ، وبعدهُ : الْهَشْمُ ، فيه عوابثةُ ،
ومشايخُ من آلِ باوزيرٍ ، وبعدهُ : الْبَاطِنَةُ ، للمشايخِ آلِ باوزيرٍ ، منصِبُهُم : الشَّيْخُ
عَبْدُ اللَّهِ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ باوزيرٍ . وبعدهُ : الْبُوَيْرِقَاتُ ، فيها مشايخُ من آلِ باوزيرٍ ،
وقَرَارٌ وغيرُهُم . وبعدها : السَّفِيلُ ، فيها مشايخُ من آلِ باوزيرٍ وسُوقَةٌ ، وَالْمَنْصِبُ
بِهَا : أَحْمَدُ بنُ صَالِحِ باوزيرٍ .

(١) يقصد القرى التي تصلى فيها الجمعة .

وبين البُورقاتِ وغُورَبَ مكانٍ لا جُمعةَ فيه ، يقالُ لَهُ : الرَّايَةُ ، كانت تُقيمُ فيه العربُ سوقاً .

قالَ اليعقوبيُّ : (يقومُ سوقُ صحار^(١) في أوَّلِ يومٍ من رجب ، ثمَّ يرتحلونَ إلى دَمَا ، وهي من بلادِ عمان كما في (ص ٤٤٨) من آخرِ أجزاءِ « مُعْجَمِ الْبُلدانِ » وغيرها .

ثمَّ : سوقُ مهرةَ ؛ وهو سوقُ الشَّخِرِ ، يقومُ تحتَ ظلِّ الجبلِ الَّذي عليه قبرُ هودَ عليه السَّلامُ ، ولم تَكُنْ بها خَفَّارَةٌ ، كانتِ المَهْرَةُ تقومُ بحفظِها . ثمَّ : سوقُ عدنِ أوَّلَ يومٍ من رمضانَ . ثمَّ : سوقُ صنَّعاءَ في النِّصْفِ من رمضانَ . ثمَّ : سوقُ الرَّايَةِ بحَضْرَمَوْتِ ، ولا وصولَ إليها إلاَّ بخِفَّارَةٍ ؛ لأنَّها لم تَكُنْ أرضاً مُمْلَكَةً ، بل كان كُلُّ مَنْ عَزَّ بها . . بَزٌّ ، وكانت كندَةُ تخفَرُ فيها ، ثمَّ يقومُ بعدها سوقُ عكاظِ (اهـ

وقد ذكرتُ ما يتعلَّقُ به في « الْأَصْلِ » ، وقولُهُ : (مَنْ عَزَّ . . بَزٌّ)^(٢) مِنَ الْأَمْثَالِ الَّتِي أَرْسَلَهَا عبيدُ بنُ الأبرصِ لَمَّا قَدَّمَهُ الْمَنْذُرُ اللَّخْمِيُّ في يومِ بؤسِهِ لِلْقَتْلِ .

وَأَبَسْتُ ما رَأَيْتُ الْكَلَامَ عَنْ أَسْوَاقِ حَضْرَمَوْتِ بكتابِ « الْأَمْكَنَةِ وَالْأَزْمَنَةِ » لأبي عليٍّ الْمَرْزُوقِيِّ ، وهو مطبوعٌ بدائرةِ المعارفِ الدَّكْنِيَّةِ ، وقد ذَكَرَ سوقَ الرَّايَةِ هذا .

ثمَّ رَأَيْتُ قولَ صاحبِ « قبائِلِ الْعَرَبِ » : (تقومُ سوقُ دومةِ الْجَنْدَلِ أوَّلَ يومٍ من ربيعِ الأوَّلِ إلى النِّصْفِ مِنْهُ . وتقومُ سوقُ الْمَشَقَرِ من أوَّلِ يومٍ من جمادى الآخرةِ . ثمَّ تقومُ سوقُ صَحَارِ خَمْسَةَ أَيَّامٍ لِعَشْرِ يَمُضِينَ من رجبٍ . ثمَّ سوقُ الشَّخِرِ في النِّصْفِ من شعبانَ . ثمَّ سوقُ صنَّعاءَ في النِّصْفِ من شهرِ رمضانَ إلى آخرِهِ . ثمَّ سوقُ حَضْرَمَوْتِ في النِّصْفِ من ذي الْقَعْدَةِ .

وتقومُ سوقُ عكاظِ بأعلى نَجْدٍ قَرِيباً من عَرَفَاتٍ في نصفِ الْقَعْدَةِ أيضاً إلى آخرِها ، وهو أعظمُ أسْوَاقِ الْعَرَبِ ، تأتِيها قَرِيشٌ وهَوَازُنٌ وَغُظْفَانٌ وسَلِيمٌ وَالْأَحَابِيشُ وَعَقِيلٌ

(١) صحار : بلدةُ عامرة الآن بسلطنة عمان .

(٢) مَنْ عَزَّ . . بَزٌّ ؛ أَي : مَنْ غَلَبَ . . سَلَبَ .

والمصطلق وطوائف من العرب يبقون بها إلى هلال الحجة فيأتون ذا المجاز - وهو قريب من عكاظ - فيقوم سوقه إلى التروية فيصرون إلى منى .

وتقوم سوق نطاه بخيبر ، وسوق حجير - بفتح المهملة وسكون الجيم - يوم عاشوراء إلى آخر المحرم (اهـ)

وقريب منه في (ص ٢٧٥ ج ٢) من « خزائن الأدب » وفي ألتى قبلها منها : أن أول ما ترك من أسواق العرب سوق عكاظ ، ترك في زمن الخوارج سنة (١٢٥ هـ) ، وآخر ما ترك منها سوق جاشة في زمن عيسى بن موسى العباسي سنة (١٩٧ هـ) .

ومما يتأكد به عدم النصف والأمان في ذلك المكان : ما أخرجه البخاري ، وأحمد ، والترمذي ، وأبو داود : عن خباب بن الارت مرفوعاً : « لَيَمَنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ »^(١) ؛ لأن القوافل كانت تجيء لسوق الرابية من صنعاء فتلاقي عناء من الخوف وخسارة من الخفارة ، ولو لم تكن أشد الطرق خوفاً . لما كان أمناً إعجازاً .

وحوالي قعوضة مكان يقال له : الرابية أيضاً ، قيل : إن الشوق إنما كان فيه ، وإنما بُنيت قعوضة من أجله . والله أعلم .

وادي العين من أطول أودية حضرموت ، من أعلاه - وهو شرج الشريف - إلى السفيل مسافة يوم للماشي .

ومن شرج الشريف إلى أقصاه الجنوبي مسافة يوم كذلك للراجل ، إلا أنه يضيق وتنتهي المحارث .

وفي أعلاه عين ماء نضاجة ، عليها نخيل تسقيها إلى مسافة ستة أميال تقريباً ، ثم تغور في الأرض ، ولكن متى جاءت السيول . . مدت بالليل إلى مسافة طويلة ، وتجزر بالنهار ، ومن انحط عن مائها الدائم المعتاد . . يحمي نخله عن مائها ؛ لأنه

(١) الحديث أخرجه البخاري (٦٥٤٤) ، وهو بنحوه عند الإمام أحمد (١٠٩/٥) ، وأبي داود (٢٦٤٩) .

يضره فيما يقولون ، وإنما ينتفع به الذي يالفه . وحيثما يجري ذلك ألباء . . يكون
الجور رديناً موبوءاً ، يغلب على أهله الضعف وانتفاخ البطون وقصر الأعمار ، وقلة من
يبيت به ليلتين من غير أهله . . إلا أصابته الحمى ، ثم منهم من يسلم ، ومنهم من
يذهب لما به .

وأهل النخل به من غيره يبادرون بجذ خريفهم وتحميله ، تفادياً عن البيات ؛ خوفاً
من أم ملدم .

ومن أخبار العوابة الظرفية : أن بعضهم أخبرت ذمتها ، فلم يقدر على جلاء العار
وغسله عن وجهه ، وكان بينهم شاعر من الحاكاة ، لا يشهد زفافاً ولا غيره من
احتفالات الأفراح . . إلا غمزه بشيء من الكلام ، حتى لقد توعده بقطع لسانه إن بقي
يغيره ، ولكنه لم يصبر ؛ ففي احتفال بفرح عندهم قال :

لَا الْحَوْلَ حَوْلِي وَلَا لِي مِنْ قَدَا الْحَوْلِ حَوْلٌ لَوْ شُفْتُ غِزْبَانَ سَوْدَا قُلْتُ ذُولَاكَ عَوْلٌ
ومعناها : إنني لا أقدر على تغيير صاحب الوجه الأسود ، بل أقول : إنه أبيض .
فأعادوا عليه الوعيد والتهديد ، وكادوا يسطون به ، ولكنه لم يصبر ، فعاد مرة
أخرى يقول في احتفال :

وَاللَّهِ لَا تُورِ النَّائِمَ إِلَّا الْمَا الْمَقِيلَ وَأَنْ لَا كَفْتُ قُوَّةَ الشُّقَّةِ طَرَحْنَا الْمَكِيلَ
وأهل بلادنا يعرفون مغزى هذا الكلام . . فلا حاجة إلى الشرح .

فلم يكن من العوابة إلا أن عثروا صاحبهم وكان ثرياً ، فحمل ولده على ركوب
الليل ، وأستأجر معه جماعة من أهل النجدة ، فذهبوا إلى مكان المطلوب ، وكان
أمنياً ؛ لبعدهم ، ولما يعرفه من حال طالبيه ، وأنه كما قال جرير [في «ديوانه»] ٢٧٢ من
الكمال :

زَعَمَ الْفَرَزْدَقُ أَنَّ سَيَقْتُلُ مِرْبَعاً أَبْشَرَ بِطُولِ سَلَامَةِ يَا مِرْبَعُ
فلم يكن من الجماعة إلا أن أمسكوه وكلفوا الولد أن يطعنه ، فما كاد يفعل إلا بعد
أمر ما ، وعندما أنهى من العمل . . خرق وعقر ، فأحتملوه حتى أوصلوه إلى أبيه في

زفٌ كبير ، حضرهُ ذلك الشَّاعرُ ، فألقى عليهم ما يَمحو بواردهُ السَّابقة .

ومن أخبارهم : أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِأَذْيَابٍ^(١) - صَاحِبِ غَوْرَبٍ - وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْضِ بْنِ فَاجِعٍ - صَاحِبِ الْهَشَمِ - مَنَافَسَاتٌ ، فَبَيْنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِأَذْيَابٍ يَمْشِي ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ اثْنَيْنِ مِنَ أَصْحَابِهِ عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنَ الْهَشَمِ . . إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ عَوْضُ صَاحِبُ الْهَشَمِ فِي سَبْعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَأَطْلَقُوا الرِّصَاصَ عَلَى أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَخَرَّ صَرِيحاً يَتَشَخَّطُ فِي دَمِهِ ، وَهَرَبَ صَاحِبَاهُ ، فَأَحْتَرَقَ لَذَلِكَ فَوَادُ وَالِدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَذْيَابٍ ، وَأَخَذَهُ مِنَ الْأَسْفِ عَلَى وَلَدِهِ مَا كَادَ يَفْلُقُ فَوَادَهُ ، لَأَسِيماً وَقَدْ أَعْيَاهُ الثَّأْرُ ؛ إِذْ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْضِ بْنِ فَاجِعٍ بِالْحَزْمِ الشَّدِيدِ ، فَقَلَّمَا خَرَجَ مِنْ دَارِهِ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتَبْرَاءِ .

وَلَمَّا أَشْتَدَّ الْأَسْفُ بِبِأَذْيَابٍ . . خَاطَرَ وَلَدُهُ مَانِعٌ بِنَفْسِهِ ، وَاقْتَعَدَ اللَّيْلَ وَكَمَنَ فِي خَزْبَةٍ بِالْهَشَمِ ، وَلَمَّا خَرَجَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِأَفَاجِعٍ . . قَدَرَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ تَرَكَهُ رَجَاءً أَنْ يَخْرُجَ أَبُوهُ لِيَشْفِيَ غِيظَهُ وَغِيظَ أَبِيهِ مِنْ نَفْسِ الْقَاتِلِ الَّذِي اقْتَطَفَ ثَمَارَ قُلُوبِهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ نَادَى أَبَاهُ وَقَالَ لَهُ : عَارِضْنِي بِمِزْحَاةٍ وَمِكَتَلٍ^(٢) .

فَقَالَ لَهُ : سَامِرُ أَحَدَ الْعَبِيدِ . . يَأْتِيكَ بِهَا . فَلَمَّا آيَسَ مِنَ الْأَبِ . . أَطْلَقَ بِنَدَقِيَّتِهِ عَلَى أَحْمَدَ . . فَخَرَّ صَرِيحاً لِلْيَدِينِ وَلِلْفَمِ ، وَأَنَسَابَ أَبْنُ ذِيَابٍ أَنَسِيَابَ أَيْمِ الرَّمْلِ^(٣) ، وَلَمَّا دَنَا مِنْ دَارِ أَبِيهِ . . أَطْلَقَ الرِّصَاصَ ؛ إِشَارَةً إِلَى الظُّفْرِ ، فَاسْتَقْبَلَهُ أَبُوهُ فِي حِفْظٍ كَبِيرٍ ، وَذَبَحَ الْذَّبَائِحَ وَعَمَلَ ضِيافَةً لِلنَّاسِ .

وَسَاغَ لَهُ الشَّرَابُ وَكَانَ قَدْ مَأَى يَكَادُ يَغْصُ بِالْمَاءِ الزُّلَالِ^(٤) وَالنَّاسُ يَعْذُونَ صَنِيعَ مَانِعِ بْنِ ذِيَابٍ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ ، وَلَا يَذَعُ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ سِرِّ قَوْلِهِ

(١) البذاياب من الباعنس ، فغيضة من العواينة .

(٢) المزحاة : هي آلة تشبه القدم عند الحضارمة . والمكتل : هي الوعاء الذي يحمل فيه أي متاع من أكل وغيره .

(٣) الأيم : الحية الذكر .

(٤) البيت من الوافر ، وأصله للنَّابِغَةِ الذَّبْيَانِي فِي « دِيوانه » (١١٨) بلفظ :

وَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْحَيِّمِ

جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ .

ولم يعمّر بعدها عبدُ الله بنُ عوضٍ بافاجع ، بل مات غيباً عندما أيسَ من آلِ باذياب .
وذلك أوّلُ شرٍّ نجَمَ بينَ العوابِثِ ، وإلّا . . فقد كانوا قبلَها يتناصفون ويقتلون
ألقاتل ، ولهم قوانينٌ عادلةٌ ، يحرسُها في كلّ قرية رئيسُها ، ثمّ يكونُ الاستئنافُ لمن
لم يقتنع عندَ المنصبِ العامِّ .

وكانَ لعبدِ الله بنِ أحمدَ باذياب هذا بنتٌ تسمّى : عبودة ، تنافسَ عليها
الخطّابُ ، وكانَ منهم : محمّد بنُ عمرَ باعقيل - السّابقُ خبرُهُ في الصّليّة - وأعطاهم
ألفَ ريالٍ ، وشرطوا عليه معه هدايا طائلةً ، إن جاء بها على ميعادِ عيّنه . . كانَ
الإملاكُ والبناء ، وإلّا . . أنفست وضاغ الألفُ ، فتأخّرَ عن وعده فتركوه .

ويقالُ : إنَّهُم رَفَعُوا أَمْرَهُ إِلَى السَّيِّدِ حَسَنِ بْنِ حَامِدٍ الْمُحَضَّرِ فَقَضَى عَلَيْهِ ، وَكَلَّفَهُ
مَعَ ذَلِكَ غَرَامَةً الدَّعْوَى وَمَقْدَارَهَا مِثْثَا رِيَالٍ . وقيلَ : إِنَّهُ بَنَى بِهَا ، وَإِنَّمَا كَانَ التَّرَاغُ بَعْدَ
الزَّوْاجِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

ومن غرائبِ الصّدَفِ : أَنَّ عَبُودَةَ هَذِهِ تَزَوَّجَتْ مِنَ الشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْقُحُومِ
العموديِّ ، وَحَمَلَهَا إِلَى خَدِيشٍ ، وَأَوْلَدَهَا بَتْنًا ، قَضَى اللَّهُ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ أَلْبَنَتْ زَوْجَةً
لأَحَدِ أَوْلَادِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ باعقيلٍ ، لَا تَزَالُ تَحْتَهُ إِلَى الْيَوْمِ .

سَدْبِه

أَوَّلُ ضَمِيرٍ مِنْ وَادِي الْعَيْنِ ، هُوَ الَّذِي يَسْقِي سَدْبِه . وَهِيَ عَدَّةٌ قَرْيٌ ، مِنْهَا :
كَيْرَعَان^(١) وَمِنْهَا : عَرَضُ بُوزَيْدِ .

وَفِيهَا شَرَاخُ^(٢) وَنَخِيلٌ ، وَهِيَ مِنْ قُدَامَى الْبِلْدَانِ ، وَلَهَا ذِكْرٌ عِنْدَ ابْنِ الْحَائِكِ

(١) كيرعان : وتسمّى : حوطة حميشة ، تنسب للسيد الحبيب سالم بن عمر العطاس ، وكان يلقب بمولى حميشة .

(٢) منها الشرح المسمّى : قَهْوَل .

الْهَمْدَانِي ، قَالَ : (وَهِيَ قَرْيَةُ مُحَمَّدٍ بْنِ يُوسُفَ التَّجِينِيِّ) اهـ^(١)

وفيهما جماعةٌ مِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ سَالِمِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ^(٢) .

وعلى قَارَةِ مِنْهَا : حَصْنُ الرِّكَّةِ^(٣) ، كَانَ لِمُحْسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَلَكِيِّ ، وَقَدْ قَتَلَهُ مَذْحِجٌ بِفَنَائِهِ^(٤) .

وفي سَنَةِ (٨٢١ هـ) . . هَجَمَ آلُ الْمَلَكِيِّ عَلَى صَاحِبِهِمْ فِي حَوْرِهِ ، وَأَعَانَهُمْ عَلَيْهِ آلُ عَامِرٍ .

وفي سَدَبِهِ كَثِيرٌ مِنْ آلِ رَبَّاعٍ يَرْجِعُونَ فِي نَسَبِهِمْ إِلَى مَذْحِجٍ^(٥) .

وَمِنْ خَصَائِصِ سَدَبِهِ - فِيمَا يُقَالُ - : أَنْ لَا تَدْخُلَهَا الْغُرَبَاءُ . كَمَا أَنَّ مِنْ خَصَائِصِ قَارَةِ الشَّاهِزِ : أَنْ لَا يَأْكُلَ مَزَارِعَهَا الطَّيْرُ . وَأَنَّ مِنْ خَصَائِصِ اللَّسِكِ : أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهَا الْجَرَادُ .

وَيُرَوَّى أَنَّ الْأَفَاعِي لَا تَضُرُّ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنَ الْيَمَنِ ؛ وَهِيَ : صِنْعَاءُ وَنَاعُطُ وَظَفَارُ ؛ لِتَحْصِينِهَا مِنْ أَيَّامٍ حَمِيرٍ بِالطَّلَاسِمِ .

(١) صفة جزيرة العرب (١٧١) .

(٢) منهم السادة آل الشامي العطاس ، ومن علمائهم : السيد الشريف حسين بن محسن بن حسين بن عبد الله بن حسين بن أبي بكر بن سالم بن عمر . . إلخ ، وهو الذي لقب الشامي لهجرته من وطنه . ومنهم : ابنه العالم الحبيب عبد الله بن الحسين . . طاف على بلدان حضرموت ، وأخذ عن بها ، ثم استقر به المقام بجكرتا ، وأقام بها بعض الأسباب ، وكان عالماً صالحاً تقياً . فاجأته منيته بجكرتا في شعبان سنة (١٤٢١ هـ) . ويسدبه جماعة من آل العطاس من ذرية السيد عبد الله بن علي بن الحسين بن عمر العطاس ، وآخرون .

(٣) اختلف المؤرخون في ضبط هذا الاسم . ففي « شنبل » : الرَاكَة ، وفي بعض النسخ : الدَكَة ، وكذا في « العدة » ، وغيرها .

(٤) جاء الخبر عند « شنبل » هكذا : وفيها في صفر قتلوا مَذْحِجَ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ الْمَلَكِيِّ تَحْتَ الرَّاكَةِ . اهـ (ص ١٦٣) ، حوادث سنة (٨٢٠ هـ) .

(٥) في « جواهر تاريخ الأحقاف » (١١ / ٢) ذكر آل بَارْبَاعٍ ، وقال : إنهم من كندة . وفيه أيضاً : (١٥٨ / ٢) ذكر آل رَبَّاعٍ وأنهم من كندة ، وأنهم هم الذين بنوا حصن الرَاكَةِ سنة (٨٢٢ هـ) ، ومساكنهم : سَدَبَةٌ وَبَدْرُهُ قَرِيَتَانِ بِقَرَبِ حَوْرِهِ .

حَوْرَه (١)

قَالَ أَبُو الْحَاثِكِ فِي مَوْضِعٍ مِنْ « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » [١٦٨] : (هِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ لِبَنِي حَارِثَةَ مِنْ كَنْدَةَ) .

وَقَالَ فِي آخَرَ [١٧١] : (وَلِبَدًا ^(٢) قَرْيَةٌ أُخْرَى ، يُقَالُ لَهَا : حَوْرَه ، فِيهَا بَطْنَانِ يُقَالُ لَهُمَا : بَنُو حَارِثَةَ ، وَبَنُو مُحَرِّبَةَ مِنْ تُجَيْبٍ ، وَرَأْسُهُمُ الْيَوْمَ : حَارِثَةُ بْنُ نَعِيمٍ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَمُحَرِّبَةُ أَبْنَاءُ الْأَعْجَمِ) اهـ

وَقَوْلُهُ : (قَرْيَةٌ) لَا يُخَالِفُ قَوْلُهُ : (مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ) ؛ لِأَنَّ الْقَرْيَةَ قَدْ تُطْلَقُ عَلَيْهَا ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ مَكَّةَ قَرْيَةً ، بَلْ هِيَ أُمُّ الْقُرَى .

وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ [ص ٩٠] مِنْ « الْإِكْلِيلِ » : (أَنَّ حَوْرَه مِنْ حَصُونِ حِمَيْرَ بِحَضْرَمَوْتِ ، فِيهَا كَنْدَةُ الْيَوْمَ) اهـ

وَكَانَتْ حَوْرَه فِي الْأَزْمَنَةِ الْمَتَأَخَّرَةِ تَحْتَ حُكْمِ النَّقِيبِ بَرَكَاتِ بْنِ مُعَوِضَةَ الْيَافِعِيِّ ، وَلَهُ مَكَاتِبَاتٌ مِنَ الْحَبِيبِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ ، ثُمَّ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا عَسَاكِرُ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سُعُودٍ ، أَوْ وَلَدُهُ سَعُودٌ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٢٢٩ هـ) - حَسَبَمَا سَبَقَ فِي الشَّخْرِ - وَطَرَدُوا النَّقَبَاءَ الْيَافِعِيِّينَ .

وَكَانُوا وَصَلُوا إِلَى حَضْرَمَوْتِ سَنَةَ (١٢١٩ هـ) ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا إِذْ ذَاكَ فَصَدَّهُمُ السُّلْطَانُ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَثِيرِيُّ عَنْ شَبَامِ :

فَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا أَنْحَازُوا مِنْ عَامِهِمْ ذَلِكَ إِلَى حَوْرَه ، وَطَرَدُوا النَّقَبَاءَ الْيَافِعِيِّينَ مِنْهَا .
أَوْ صَالَحُوهُمْ لِاتِّفَاقٍ فِي الْمَبَادِيءِ ؛ فَقَدْ سَمِعْتُ كَلَامًا مِنْ أَفْوَاهِ الْمُعَمَّرِينَ .

(١) حَوْرَه - يَفْتَحُ يَمِيلُ إِلَى الضَّمِّ - : مَدِينَةٌ مَشْهُورَةٌ بِوَادِي الْعَيْنِ ، وَهِيَ مَنَاطِقٌ زُرَاعِيَّةٌ تَكْثُرُ حَوَالِيهَا النُّخْلُ وَالسَّدْرُ ، وَتَشْكَلُ الْيَوْمَ مَرْكَزًا إِدَارِيًّا تَابِعًا لِمَدِيرِيَةِ الْقَطْنِ ، وَيَشْمَلُ هَذَا الْمَرْكَزُ : النَّقْعَةَ ، الْمَنِيْعَتَ ، مُعَوِضَةَ ، سَدْبَةَ ، عَرَضَ بَوَزِيدَ ، الظَّاهِرَةَ ، كِيرْعَانَ ، شَرِيُوفَ ، وَفِي حَوْرَه : آلُ بَاوَزِيرَ ، وَنَاسٌ تَرْجِعُ أَصُولَهُمْ إِلَى كَنْدَةَ .

(٢) بَنُو بَدَا : بَطْنٌ مِنْ تُجَيْبٍ .

وإِذَا أَنْ يَكُونُوا عَادُوا أَدْرَجَهُمْ وَأَسْتَأْنَقُوا التَّجْهِيْزَ عَلَى حَضْرَمَوْتَ فِي سَنَةِ (١٢٢٣هـ) ، وَاسْتَوْلُوا بِهٖ عَلَيْهَا ، وَأَقَامُوا بِهَا رَدْحًا^(١) مِنَ الزَّمَنِ ، يَبْعَثُونَ الْبَعُوثَ بِقِيَادَةِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ قَمْلَا وَأَخِيهِ نَاجِي .

فَفِي سَنَةِ (١٢٢٤هـ) اسْتَوْلُوا عَلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَهَدَمُوا الْقِبَابَ بِهَا ، إِلَّا قُبَّةَ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ^(٢) ؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِجُوا عَلَيْهَا مِرَاعَةً لِحَوَاطِرِ آلِ كَثِيرِ الَّذِينَ فَتَحُوا لَهُمُ الطَّرِيقَ وَلَمْ يُعَارِضُوهُمْ فِي شَيْءٍ . وَكَذَلِكَ هَاجَمُوا حَضْرَمَوْتَ فِي سَنَةِ (١٢٢٦هـ) ، وَاخْتَلَفَتِ الْأَقْوَالُ :

فَقِيلَ : إِنَّهُمْ أَنْكَسَرُوا دُونَ شَبَامَ بِقِيَادَةِ الْحَبِيبِ حَسَنِ بْنِ صَالِحِ الْبَحْرِ . وَقِيلَ : إِنَّهُمْ اسْتَوْلُوا عَلَيْهَا ، كَمَا اكْتَسَحَوْهَا فِي سَنَةِ (١٢٢٤هـ) .

وَلَمْ يَكُنْ سَيِّدُنَا الْحَسَنُ الْبَحْرِيُّ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ عَلَى الْوَهَابِيَّةِ ، وَلَا مِنَ الْمُتَشَدِّدِينَ فِي إِنْكَارِ مَذْهَبِهِمْ كَمَا يُعْرَفُ مِنْ مَوَاضِعَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ ، مِنْهَا : مَا يَأْتِي فِي تَرْيَسٍ . . فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَقُودَ الْجِيُوشَ لِمَحَارِبَتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُ يَنْكُرُ عَلَى غُلَاتِهِمْ تَكْفِيرَ الْمُسْلِمِينَ وَاسْتِحْلَالَ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ .

وَفِي « الْأَصْلِ » : أَنَّ الْجَدَّ عَلَوِيَّ بْنَ سَقَافٍ كَتَبَ لِلْسَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ جَاءَ فِيهِ : أَنَّ الْمَكْرَمِيَّ خَرَجَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ (١٢١٨هـ) ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَيِّدُ الْوَادِي الْحَبِيبُ حَسَنُ بْنُ صَالِحٍ تَسَانَدَ هُوَ وَالسُّلْطَانُ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ فِي دَحْرِهِمْ ؛ لِأَنَّ ظَهْرَ جَعْفَرٍ هَذَا إِنَّمَا كَانَ فِي سَنَةِ (١٢١٩هـ) .

وَفِي أَشْعَارِ الْحَضَارِمَةِ وَمُكَاتِبَاتِهِمْ - الْمَوْجُودُ شَيْءٌ مِنْهَا بِ« الْأَصْلِ » - مَا يَدُلُّ عَلَى طُولِ زَمَانِ الْوَهَابِيَّةِ بِحَوْرِهِ ، وَأَنَّهُمْ لَبِثُوا مَدَّةً لَيْسَتْ بِالْقَصِيرَةِ يَتَجَادَبُونَ الْحِبَالَ مَعَ قِبَائِلِ حَضْرَمَوْتَ مَصَالِحَةً وَمَحَارِبَةً ، وَكَانَ أَكْثَرُ مَنْ يَتَوَلَّاهُمْ يَافِعٌ ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَنَازِعُهُمْ نَاسٌ مِنْ آلِ كَثِيرٍ ، وَلِلْحَدِيثِ عَنْهُمْ بَقِيَّةٌ تَأْتِي فِي تَرْيَمٍ وَعَيْنَاتٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) الرَّدْحُ : الْمَدَّةُ مِنَ الزَّمَنِ .

(٢) وَأَيْضاً : قُبَّةُ الشَّيْخَةِ سُلْطَانَةِ الزُّبَيْدِيَّةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَوِي الْعِيدْرُوسِ (صَاحِبُ بَوْرٍ) ، وَقُبَّةُ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَاسِينَ بِأَحْمَدٍ صَاحِبِ مَدُودَةٍ .

وبعدَ ارتفاعِ أصحابِ ابنِ قَمَلا عن حَوْرَه . . استولى عليها عمرُ بنُ جعفرِ بنِ صالحِ بنِ مطلقٍ ، من آلِ عمرِ بنِ جعفرِ آلِ عَمَدٍ ، ثمَّ ولدَهُ جعفرُ ، ثمَّ ولدَهُ صالحُ ، ثمَّ ولدَهُ مَقْبَلُ بنُ صالحٍ .

ثمَّ أخذَ القُعَيْطِيُّ يُسَاسِهُمُ حَتَّى أَدْخَلُوهُ إِلَيْهَا ، وَبَقِيَ نَائِبُهُ هُوَ وَإِيَّاهُمْ بِحَصْنِهَا ، يَدِيرُونَ أَمْرَهَا مَعًا ، حَتَّى اسْتَوْلَى الْقُعَيْطِيُّ عَلَى شَبَامَ ، فَعِنْدَئِذٍ قَالَ نَائِبُهُ بِحَوْرَه لَصَالِحِ بْنِ مَقْبَلٍ : لَا مُقَامَ لَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَإِنْ شِئْتَ الْخُرُوجَ بِالْأَمَانِ ، وَإِلَّا . . نَاجَزْتُكَ . فَخَرَجَ إِلَى النَّقْعَةِ عِنْدَ الْمَشَايخِ آلِ بَاوَزِيرٍ ، فَأَوْصَلُوهُ وَمَنْ مَعَهُ إِلَى الْعَجْلَانِيَّةِ حَيْثُ يُقِيمُ بِهَا أَعْقَابُهُ إِلَى الْيَوْمِ .

وَكَانَ اسْتِيلَاءُ الْقُعَيْطِيِّ عَلَى حَوْرَه كُلِّهَا فِي سَنَةِ (١٢٧٢ هـ) ^(١) ، وَكَانَتْ هِيَ وَشَبَامَ أَحَبَّ بِلَادِهِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ خَصَّهُمَا الْأَمِيرُ الْحَاجُّ عَمْرُ بْنُ عَوْضٍ الْقُعَيْطِيُّ - وَكَذَلِكَ أَبْنُهُ السُّلْطَانُ عَوْضُ بْنُ عَمَرَ - بِحَصَّةٍ وَافِرَةٍ مِنَ الْبَرِّ وَالْإِحْسَانِ فِي وَصِيَّتِهِمَا ، وَقَدْ أوردنا وَصِيَّةَ الْأَوَّلِ بِـ « الْأَصْلِ » ، وَأَمَّا وَصِيَّةُ الثَّانِي . . فَإِنَّهَا مَطْبُوعَةٌ مَنْشُورَةٌ ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ لَا تَخْرُجُ عَنْ مَعْنَى وَصِيَّةِ أَبِيهِ ^(٢) .

ثُمَّ رَأَيْتُ مَعَاهِدَةً بَيْنَ السُّلْطَانِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَمَرَ عَنْهُ وَعَنْ أَوْلَادِهِ وَالسُّلْطَانِ مَقْبَلِ بْنِ صَالِحِ بْنِ مَطْلُقِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَمَرَ عَنْهُ وَعَنْ أَوْلَادِهِ مِنْ جِهَةٍ ، وَمِنْ الْأُخْرَى الْجَمْعُدَارُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ عَوْضٍ الْقُعَيْطِيُّ بِتَارِيخِ صَفَرٍ مِنْ سَنَةِ (١٢٧٢ هـ) .

وَفِيهَا : أَنَّهُمْ تَنَاصَفُوا فِي بِلَدِ حَوْرَه وَمَصْنَعَتِهَا وَجَمِيعِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا . . فَلَأَحْمَدَ وَمَقْبَلٍ نَاصِفَةً ، وَلِمُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ نَاصِفَةً فِي الْحَصَنِ وَالْبِلَادِ وَالْمَرَاتِبِ وَكُلِّ مَا يَعْتَادُونَهُ فِي الْبِلَادِ وَخَلْيَانِهَا وَسُدْبَةِ .

(١) « العدة المفيدة » (١٥٩/٢) ، وفيه : أن مَقْبَلِ بْنِ صَالِحٍ وَأَحْمَدَ بْنَ جَعْفَرٍ بَاعُوا حَوْرَه بِدِرَاهِمٍ إِلَى نَائِبِ الْجَمْعُدَارِ عَمْرِ بْنِ عَوْضٍ الْقُعَيْطِيِّ مَعَ الرِّضَا مِنْ بَعْضِ نَهْدٍ ، وَذَلِكَ فِي (٢٦) رَجَبِ (١٢٧٢ هـ) .

(٢) وَالْوَصِيَّتَانِ بَعْضُهُمَا فِي كِتَابِ « حَيَاةِ السَّيِّدِ الزَّعِيمِ » لِلْسَّيِّدِ حَامِدِ الْمُحَضَّرِ ، وَكِتَابِ « تَأْمَلَاتٍ عَنْ تَارِيخِ حَضْرَمَوْتِ » لِلْسُّلْطَانِ غَالِبِ الثَّانِي (١٢٣ - ١٢٩) .

وفيها : أَنَّ الدَّوْلَةَ يَشْلُونَ أَنْفُسَهُمْ وَحَاشِيَتَهُمْ عَشْرَ سَنِينَ ، وَإِنْ بَدَتْ فِتْنَةٌ فِي الْعَشْرِ السَّنِينَ . . فعلى مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ ثَقُلَهَا ، وَبَعْدَ الْعَشْرِ السَّنِينَ هُمْ إِخْوَةٌ مُتَّحِدُونَ فِي فَائِدَةٍ وَخَسَارَةٍ .

وَالشُّهُودُ عَلَى ذَلِكَ الْخَطُّ : عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَأَحْمَدُ حُسَيْنِ بْنِ عَامِرِ آلِ عَمْرِ نَقِيبِ الْقَعْقِطَةِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَوْضِ الْقَعِيطِيِّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمِ بْنِ جَنِيْدٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَنِيْدٍ .

وَفِي الْقَرْنِ الْعَاشِرِ عَمَرَ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاوَزِيرٍ^(١) ضَمِيرًا لِسَقِي أَطْيَانِ حَوْرِهِ وَنَخِيلِهَا ، فَمَانَعَهُ بَنُو مَعَاذٍ وَأَهْلُ غَنِيْمَةٍ وَالسَّحَارَى وَالْخَطَّةُ وَالْمُخَيْنِيقُ وَحَرِيزُ وَالْعَدَانِ ، وَقَامُوا عَلَيْهِ ، وَسَاعَدَهُمُ عَلِيُّ بْنُ ظَفَرٍ وَالِي الْمُخَيْنِيقِ ، وَبَنُو ظَنَّةَ أَهْلُ الْكُشُورِ ، وَبَنُو قَيْسٍ ، وَالْمَقَادِيمُ وَالظُّلْفَانُ مِنْ نَهْدٍ ، وَأَمَدَّهُمُ الْكُجَارُ بِالْمَالِ ، وَهُمْ : أَبُو مَنْذِرٍ ، وَبُو عَيْرَانَ ، وَبُو عَسْكَرٍ ، وَحَصَلَ مِنْهُمْ ضَرَرٌ عَظِيمٌ عَلَى أَهْلِ حَوْرِهِ ، وَعَلَى أَهْلِ عَرَضِ مَخَاشِنِ .

وَقَامَ مَعَ الشَّيْخِ عَمْرِ بَاوَزِيرِ آلِ عَامِرٍ وَآلُ بَدْرِ وَآلُ بَشْرِ وَآلُ فَارِسِ الْمَجْلَفِ ، وَأَمَدَّ أَمَدُ الْحَرْبِ ، وَقُتِلَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ مَذْحَجٍ ، وَأَنْتَهَى الْأَمْرُ بِفَوْزِ الشَّيْخِ عَمَرَ وَأَنْهَزَامِ أَصْحَابِ الْمُخَيْنِيقِ وَالْكَشُورِ ، وَجَاءَ مِنَ السَّيْلِ مَا يَكْفِي لِحَوْرِهِ وَالنَّقْعَةَ وَلِعَرَضِ آلِ مَخَاشِنِ ، مَعَ أَنَّ آلَ مَخَاشِنِ لَمْ يَشْتَرِكُوا فِي الْحَرْبِ ، وَلَمْ يُسَاعِدُوا بِحَارَةً وَلَا بَارِدَةً ؛ وَلِهَذَا اسْتَحَقُّوا الْهَجَاءَ اللَّادِعَ مِنَ الشَّيْخِ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَذْكُورَةِ بِـ « الْأَصْلِ »^(٢) .

وَيَمَا أَنَّ وَادِي الْعَيْنِ هُوَ وَادِي الْمَشَايِخِ آلِ بَاوَزِيرٍ وَقِبَائِلُهُمُ الْعَوَابِثَةُ . . فَقَدْ تَدِيرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بِحَوْرِهِ ، وَأَظْلُ السَّابِقِ مِنْهُمْ إِلَيْهَا هُوَ : الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ^(٣) مَوْلَى حَوْرِهِ ، بِنِ مُحَمَّدٍ

(١) هُوَ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ مَوْلَى حَوْرِهِ بَاوَزِيرٍ . . تَنْظُرُ تَرْجُمَتُهُ الْوَاسِعَةَ فِي « الصَّفَحَاتِ » : (١٠٤ - ١٠٨) .

(٢) انْظُرْ حَوَادِثَ سَنَةِ (٩١٦ هـ) مِنْ « تَارِيخِ شَنْبَلِ » (٢٤٤) ، وَ« تَارِيخِ الشَّحْرِ » .

(٣) وَلَدَ الشَّيْخِ أَبُو بَكْرٍ بِحَوْرِهِ ، وَنَشَأَ بِهَا بَيْنَ أَخْوَالِهِ آلِ بَاوَزِيرٍ ، وَدَرَسَ عَلَى أَبِيهِ مُحَمَّدٍ مَوْلَى عَرَفٍ ، =

- مولیٰ عَزَف - ابن سالم بن عبد الله بن عمر ابن الشَّيْخ يعقوب بن يوسف .

وَأَبُو بَكْرٍ مَقْبُورٌ بِحَوْرِهِ ، وَأَخُوهُ سَعِيدٌ صَاحِبُ الْجَحْشِ ^(١) مَقْبُورٌ عِنْدَ رَجُلَيْهِ ^(٢) .

قال البكري : (حَوْرَهُ : موضعٌ في ديارِ بني مُرَّةَ ، وقد شكَّ أبو عُبيدةَ في هذا الاسم ، وقال نُصَيْبٌ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

عَفَا مَنَقَلٌ مِّنْ أَهْلِهِ فَتَقِيْبُ فَسَرْحُ اللَّوْىِ مِنْ سَاهِرٍ فَمُرِيْبُ
فَذُو الْمَرْخِ أَقْوَى فَاَلْبِرَاقُ كَأَنَّهَا بِحَوْرَةٍ لَمْ يَخْلُلْ بِهِنَّ عَرِيْبُ

وقال في مادة « رَضُوْى » مِنْ حَدِيثِ وَاقِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ عَمِّهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ : نَزَلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ عَلَيَّ بِالتَّجْبَارِ - وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ حَوْرِهِ الشُّفْلَى وَبَيْنَ مَنْخُوسٍ ، عَلَى طَرِيقِ التُّجَارِ إِلَى الشَّامِ - حِينَ بَعَثَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَتَرَقَّبَانِ عِيرَ قُرَيْشٍ) .

وَذَكَرَ حَدِيثًا طَوِيلًا يُؤَكِّدُ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَلْتِي نَحْنُ فِي سَبِيلِهَا .

ثُمَّ رَأَيْتُ الطَّيِّبَ بَامْخَرْمَةَ يَقُولُ : (قَالَ الْقَاضِي مَسْعُودٌ بِاشْكِيل : حَوْرُهُ أَسْمٌ لِقَرَيْتَيْنِ بِالْيَمَنِ :

إِحْدَاهُمَا : قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ لَهَا قَلْعَةٌ حَصِيْنَةٌ مِنْ أَرْضِ حَضْرَمَوْتَ ، تُسْقَى مِنْ وَادِي الْعَيْنِ ، وَسُكَّانُ تِلْكَ الْقَلْعَةِ آلُ الْمَلِكِيِّ ، وَسُكَّانُ أَسْفَلِ الْقَلْعَةِ آلُ بَاوَزِيرِ الْمُتَصَوِّفَةِ ^(٣) ، وَبِهَا قُبُورٌ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ ، أَشْهُرُهُمْ وَأَقْدَمُهُمْ : أَبُو بَكْرٍ وَسَعِيدُ ابْنَا مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ ، وَالْبَاقُونَ أَسْبَاطُهُمْ ، نَفَعَ اللَّهُ بِهِمْ أَجْمَعِينَ .

وَالثَّانِيَةُ : قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ شَرْقِيَّ أَخَوَرٍ ، سُكَّانُهَا قَوْمٌ مِنْ حِمْيَرَ - وَبِهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ

= وأخذ باليمن عن شيوخ كثيرين ؛ منهم : الشيخ محمد بن حسين البجلي ، وأوقف أوقافاً على طلاب العلم بحوره ، وبنى بها مسجده المعروف بها ، وخلف مكتبة حوت نواذر المخطوطات .
« الصفحات » (ص ١٠١ - ١٠٢) .

(١) كذا بالأصل ، ويقال له : مولى الجيش ، ومولى الجُوب كما في بعض المصادر .

(٢) وهم ثلاثة إخوة ؛ ثالثهم : الشيخ عمر والد الشيخ عبدالرحيم مؤسس غيل باوزير .

(٣) ومقبرتهم معروفة ويقال لهم آل الدُّرْع ، وهي مطبخ الضيافة ومأوى للفقراء .

يُسَمُّونَ الشُّهَدَاءَ - يُطْعَمُونَ الْقَادِمَ عَلَيْهِمْ ، وَهِيَ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ يَصْطَادُونَ السَّمَكَ ، وَيَحْرِثُونَ عَلَى الْبَقَرِ (اهـ ما ذَكَرَهُ الْقَاضِي مَسْعُودٌ ، وَهُوَ آخِرُ كَلَامٍ بِامْخَرَمَةٍ ^(١) .

وَقَوْلُهُ : تُسْقَى مِنْ وَادِي الْعَيْنِ . . يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشَّيْخَ عَمَرَ بَاوَزِيرَ لَمْ يَبْتَدِ ذَلِكَ الْضَمِيرُ ؛ لِأَنَّ الْقَاضِي مَسْعُوداً أَقْدَمُ مِنْهُ .

وَقَالَ الطَّيِّبُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : (وَالْأَلْمَلَكِيُّ - بَفَتْحَتَيْنِ وَكَافٍ - جَمَاعَةٌ مِنْ مُسْلِمِي الرُّومِ النَّصَارَى) وَقَدْ اسْتَبْهَمَ عَلَيَّ أَمْرُهُمْ فِي « الْأَضْلِ » ^(٢) ، وَوَقَعْتُ فِي إِشْكَالَاتٍ لَمْ تَنْحَلْ بِهَذَا ، وَلَكِنَّهَا تَنْكَشِفُ بِمَا سَيَأْتِي فِي مَرِيْمَةٍ ، وَمِنْهُ يُعْرَفُ كَثْرَةُ مَنْ نَجَعَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مِنَ الْعَجَمِ ، وَقَدْ سَمِعْتُ بِمَوْأَلَفٍ فِي خُصُوصِ ذَلِكَ .

وَفِي حَضْرَمَوْتَ أَسْمَاءٌ عَجَمِيَّةٌ لَكثِيرٍ مِنَ الْبِلْدَانِ ، كَمَا سَبَقَ أَنَّ دُوْعَانَ مَوْأَلَفٌ مِنْ (دُو) وَهُوَ الْآتِنَانِ ، وَ(عَان) وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَرْتَفِعُ ؛ يَعْنِي وَادِيَيْنِ مَرْتَفَعَيْنِ .

وَفِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » لِلْهَمْدَانِيِّ [ص ٢٧٨] : (يَبْرِينَ فِي شَرْقِيَّ الْإِمَامَةِ ، وَهِيَ عَلَى مَحْجَةِ عُومَانَ إِلَى مَكَّةَ ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ حَضْرَمَوْتَ الْعَجَمُ بِلَدٌ وَاسِعٌ) .

وَبِمَا أَنَّ أَسْمَ دُوْعَانَ فَارِسِيٌّ . . فَالظَّاهِرُ أَنَّ كَثْرَةَ أَعَاجِمِهَا مِنْهُمْ ؛ بِأَمَارَةٍ : أَنَّ صَعْبَةَ أُمِّ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مِنْ بَنَاتِ فَارِسٍ ، وَهِيَ حَضْرَمِيَّةٌ أُخْتُ الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ هُنْدٌ حَتَّى طَلَّقَهَا وَتَبَعَتْهَا نَفْسُهُ ، فَقَالَ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

إِنَّا وَصَعْبَةُ فِيمَا تَرَى بَعِيدَانِ وَالْوَدُ وَدٌّ قَرِيبُ
فَلَا يَكُنْ نَسَبٌ ثَاقِبٌ فَعِنْدَ الْفَتَاةِ جَمَالٌ وَطِيبُ
لَهَا عِنْدَ سِرِّي بِهَا نَخْرَةٌ يَزُولُ بِهَا يَذْبُلُ أَوْ عَسِيبُ

ذَكَرَهُ أَبُو قَتِيبَةَ فِي « عَيُونِ الْأَخْبَارِ » ، وَذَكَرَهُ أَيْضاً غَيْرُهُ ، وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مِنْهَا

(١) نسبة البلدان (خ ٩٧) .

(٢) وبهذا يزول الإشكال من كتب التاريخ الحضرمي ؛ إذ ورد في بعضها تسميتهم بالخالكي أو المليكي أو المالكي .

مخروم ، وفي (ص ٣٨٨ ج ٢) من « الخزائن » عن السُّهيلي : أَنَّ ابْنَ أَبِي عَمْرٍو مَاتَ فِي صَعْبَةِ بِنْتِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَعَنْ « الْأَغَانِي » : أَنَّهُ مَاتَ فِي حَبِّ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ ، ثُمَّ بَسَطَ الْقِصَّةَ .

وفي « غررِ البهائمِ الضُّويِّ » للعلامة المحدثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ خَرَدٍ مَا يَفِيدُ أَنَّ حُورَةَ هِيَ الْحَوِطَةُ فِي عُرْفِ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَقَدْ مَرَّ فِي النَّفْعَةِ أَنَّهَا مُرَادِفَةٌ لِلْحَوِطَةِ أَيْضاً عِنْدَ أَهْلِ الْيَمَنِ .

النَّفْعَةُ

هِيَ قَرْيَةٌ وَاسِعَةٌ لآلِ جُنَيْدٍ^(١) مِنَ الْمَشَائِخِ آلِ بَاوَزِيرٍ . وَظَنِّي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ سَكَنَهَا مِنْهُمْ هُوَ : الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدٍ صَاحِبِ الْجَحْشِ ، الْمَقْبُورُ بِحُورِهِ .

وعَمْرُ بْنُ عَلِيٍّ هَذَا هُوَ جَدُّ آلِ جُنَيْدٍ ، وَهُمْ مَشَائِخُ كَرَامٍ يَغْلُبُ عَلَيْهِمْ بَيَاضُ الصَّدْرِ وَصَفَاءُ السَّرِيرَةِ ، وَمَنْصِبُهُمْ آلَانْ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ بُوْبَكِرٍ بَاوَزِيرٍ ، طَوِيلُ النَّجَادِ ، كَثِيرُ الرَّمَادِ ، قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِ^(٢) .

وَلَهُ أَخٌ يُسَمَّى عَلِيّاً تُوْفِيَ مِنْ قَرِيبٍ ، كَانَ بَاذِلاً لِلطَّعَامِ ، وَصُولاً لِلأَرْحَامِ ، كَثِيرُ الْخَيْرَاتِ ، مَبْسُوطُ الْيَدَيْنِ فِي الْمَبْرَاتِ .

وَقَدْ صَهَرَ إِلَيْهِمْ مَنْصِبُ الْمَشْهَدِ السَّابِقُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ عَمْرِ بْنِ هَادُونَ^(٣) ، فَهُمْ أَخْوَالُ وَلَدِهِ الْمَنْصَبِ الْحَالِي أَحْمَدَ بْنِ حُسَيْنٍ .

وَصَهَرَ إِلَيْهِمُ الشَّهْمُ الْكَرِيمُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَلْفَقِيهِ^(٤) ،

(١) ومنهم الشيخ علي بن سالم بن جنيد باوزير ، له ذكر في كتاب « المقصد من شواهد المشهد » للحبيب علي بن حسن العطاس ، ويخاطبه في كثير من شعره في ديوانه « قلائد الحسان » وبينهما مساجلات .

(٢) أضيف في هامش المخطوط : (توفي المنصب من سنتنا ، ولكن بعد الفراغ من هذا الكتاب) .

(٣) توفي سنة (١٣٢٩ هـ) .

(٤) ولد السيد علي بن حسن بتريم ، وتوفي بها في (٢٥) رمضان سنة (١٣٤٥ هـ) ، وخلف ثلاثة ولد هم : عطاس وأحمد وعبدالرحمن المذكور هنا .

المنغصُ الشَّباب ، المتوفى سنة (١٣٤٥ هـ) ، فهم أحوالُ ولده النَّبيلِ ألوفي ألوجيه
عبد الرّحمن بن عليّ بلفقيه .

عَرَضُ آلِ مَخَاشِن^(١)

هو من وراء النّقة في شرقها ، وهم من مذحج ، من أعقاب عمرو بن معديكرب
الزبيدي ، إلا أنّهم قد ينطبق عليهم قول الشاعر^(٢) [من ألوافر] :

وَرِثْنَا الْمَجْدَ عَنْ آبَاءِ صِدْقٍ أَسَأْنَا فِي دِيَارِهِمُ الصَّنِيعَا
إِذَا الْحَسَبُ الصَّمِيمُ تَدَاوَلَتْهُ بُنَاةُ الشُّوْءِ أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا

ولهم شاراتٌ حسنة ، وقاماتٌ مديدة ؛ إلا أنّهم لم يَسَلَمُوا ممّا وصلَ إليه قبائلُ
حضر موتَ عامّة من الكُراذلِ والتّخاذلِ ؛ لأنّ الشّرّ عمّ ، والبلاء قد طمّ ، وعلى من كان
جُدّه سعدُ العشيرة . . أن ينتبه لنفسه ، وأن يعتبر بماضيه .

وفي « الأصل » : أنّ الشّيخَ عمرَ بنَ عبد الله باوزير كاتبَ عليهم إذ لم يساعده
بنقير ولا قطمير^(٣) في بناء ضمير حوره ، مع أنّه ينفَعُهُمْ ؛ إذ لم يخرمَهُمُ الشّيخُ من
السّقياء مع عدم استحقاقهم لشيء منها .

وقد كان أصلُ الحربِ الأخيرة التي ألّتهم الأُخضرَ واليابسَ لنَهْدٍ : أنّ خميسَ بنَ
عبد الله بن عمر - أحد آل ثابت - قَتَلَ اثنين من آل البُقريّ في بخران ، في حرمان ثلاث
لم يُبالِ بشيء منها ؛ الأولى : أنّه في شهرِ المشهد ، وهو شهرُ الميلاذِ النّبويّ ،

(١) العَرَضُ عند أهل حضر موت هو المنطقة الواسعة والمنسطة ، وآل بن مخاشن هؤلاء يرى المصنف أنّهم
من مذحج اعتماداً على ماورد في أنساب الأشراف الرسولي (ص ١٣٦) ، بينما يرى صلاح البكري
أنهم من الحموم ، « تاريخ حضر موت السياسي » (١٠٧/٢) ، وفي « معجم المقحفي »
(١٤٤٨/٢) : نسبتهم إلى نهدي .

(٢) البيتان في « الأغاني » (٧٥/١٢) ، وهما لمعن بن أوس المزنيّ .

(٣) النّقير : النّقرة التي في ظهر النّواة . القطمير : القشرة الرقيقة التي في النّواة . والمعنى : أنّهم لم
يساعدوه أبداً .

وَالثَّانِيَةُ : أَنَّهُمَا كَانَا إِلَى جَانِبِ الْكَسِيِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْعِيدْرُوسِ ، وَالثَّلَاثَةُ : أَنَّ مَعَهُمَا وَاحِدًا مِنْ آلِ عَجَّاجٍ ، وَوَاحِدًا مِنْ آلِ مَخَاشِنِ .

فَأَمَّا آلُ عَجَّاجٍ : فَحَمِيتْ أَنْوْفُهُمْ ، وَأَذَكُوا نَارَ الْحَرْبِ حَتَّى غَسَلُوا أَلْعَارَ بِالْذَّمَاءِ .

وَأَمَّا آلُ مَخَاشِنِ : فَلَمْ يَشْتَرِكُوا فِي الْحَرْبِ ؛ لِأَنَّ السَّعِيدَ مِنْ كُفَيِّ بَغِيرِهِ ، وَلِأَنَّ أَكْبَرَ أَلْعَارِ فِي أَعْرَافِهِمْ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَقْرَبَ - كَمَا سَيَأْتِي فِي الْقَارَةِ - وَأَبْنُ عَجَّاجٍ هُوَ الْأَدْنَى فِي النَّسَبِ إِلَى آلِ ثَابِتٍ .

وَقَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ عَلَى الْخُورَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَالْأَنْفَةِ الْمَذْحِجِيَّةِ ، مِنْهُمْ الْيَوْمَ :

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ مَخَاشِنِ ، وَمُحَمَّدُ عَمْرُو بْنُ مَخَاشِنِ ، وَأَظْنُهُمَا أَلَّانَ فِي مَقْدِسُوهُ .

وَمِنْ أُولَى نَجْدَتِهِمُ الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَمْرٍو ، وَهُوَ شَيْخُ شَهْمٍ ، نَجَذَتْهُ الْحُرُوبُ ، وَحَنَكْتُهُ أَلْتَّجَارِبُ ، وَعَرَكُ أُذُنَ الزَّمَانِ ، وَتَعَمَّرَ حَتَّى نَيْفَ عَلَى الثَّمَانِينَ مِمَّتَعًا بِالْقُوَّةِ وَالْحَوَاسِّ ، وَلَمْ يَمِتْ إِلَّا فِي سَنَةِ (١٣٦١ هـ) ، فَكَانَ كَذَرِيدِ بْنِ الصِّمَّةِ ؛ إِذْ تَرَكَهُ قَوْمُهُ وَأَنْصَرَفُوا عَنْ رَأْيِهِ إِلَى رَأْيِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّضْرِيِّ ، فَكَانَتْ الدَّبْرَةُ عَلَيْهِمْ فِي يَوْمٍ حَنِينٍ ^(١) .

وَالْأَوَّلُ . فَقَدْ كَانَتْ لِعَمَرَ وَأَبِيهِ عَمْرٍو قَبُولَةٌ حَارَّةٌ عَلَى عَادَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهْلَاءِ ، مِنْهَا : أَنَّ أَحَدَ آلِ مَخَاشِنِ - وَأَسْمُهُ قَعَاصٌ - جَاءَ بِأَمْوَالٍ طَائِلَةٍ مِنَ الْهِنْدِ ، وَمَا لَهُ إِلَّا وَلَدٌ صَغِيرٌ ، فَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَقْتُلَهُ قَوْمُهُ لِيَسْتَأْثِرُوا بِمَالِهِ . . فَطَلَبَ مِنْ نَهْدٍ أَنْ يُعْطَوْهُ خَفِيرًا يَأْمَنُ بِهِ عَادِيَةُ أَصْحَابِهِ ، فَأَعْطَوْهُ وَاحِدًا مِنْ آلِ شَرِيْشِرٍ ، وَنَادَا فِي الْأَسْوَاقِ بِأَنَّهُ فِي جَوَارِهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَمْرٍو إِلَّا أَنْ أَقْتَحَمَ دَارَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَتَلُوا قَعَاصًا وَوَلَدَهُ وَخَفِيرَهُ ، فَهَاجَتْ نَهْدٌ وَحَاصَرَتْ عَمْرًا ، فَثَبَتَ وَأَنْسَلَ عَنْهُ أَكْثَرُ آلِ مَخَاشِنِ ، إِذْ كَانَتْ فَعَلْتُهُ شَنِيعَةً .

وَمَا زَالَتْ نَهْدٌ مُجِدَّةٌ فِي حِصَارِ عَمْرٍو . . حَتَّى قُتِلَ أَحَدُ أَسْرَتِهِ الْمُرَابِطِينَ مَعَهُ ، فَرَأَتْ نَهْدٌ أَنَّ أَلْعَارَ أُنْمِحَى عَنْهَا وَأَنْصَرَفَتْ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ أَحَدُ نَهْدٍ :

(١) انظر « سيرة ابن هشام » (١٠٥ / ٥) ، و« جمهرة خطب العرب » (١٧٠ / ١) ، وغيرها .

يَا الْعَرَضُ عَرِبْنِي لِي وَمُدَّ الْقَادِيَّةُ وَالْأَدْخَلْنَا لَكَ بِدَخْنَاتِ الرَّجَالِ
تَمْسِي بِكَ الْفِتْنَةُ وَتُضْبِحُ غَادِيَّةُ مِثْلِ الْمَسْقِي فِي الْمَطِيرَةِ مَا يَزَالُ
فَأَجَابَهُ عَمْرُو بِقَوْلِهِ :

الْعَرَضُ عَاصِي مَا يُمِدُّ الْقَادِيَّةُ قُلْ لِلْحَكَمِ نُعْطِيكَ شَنْطُوبَ الْجَبَانِ
مَا أَنْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْقُرُومِ الْعَادِيَّةِ إِنْ لَيْسَ غَوَزْلَكَ وَفِيْحَسَنَ لَكَ حَبَانِ
وَفِي عَرَضِ آلِ مَخَاشِنَ كَانَتْ رَوْضَتُهُمُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا الْأَخْطَلُ [في « ديوانه » بنحوه ٢٨٣
مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَهَا مَرْبَعٌ بِالرَّوْضِ رَوْضٍ مُخَلَّقٍ وَمَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْقَ إِلَّا طُلُولُهَا
وَقَدْ حَصَلَ بِـ « الْأَصْلِ » انْتِقَالُ فِكْرٍ ، فَذَكَرْنَا هَذِهِ الرَّوْضَةَ فِي مَنْوَبٍ ، وَإِنَّمَا الَّتِي
فِيهَا رَوْضَةٌ هَاطِفٍ . . فَهِيَ مِمَّا يُسْتَدْرَكُ مِنْ رِيَاضِ الْعَرَبِ عَلَى يَاقُوتٍ .

وَمِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ : يَوْمُ مَخَاشِنَ ، وَفِيهِ يَقُولُ جَرِيرٌ [في « ديوانه » ٣٨١ مِنْ الْكَامِلِ] :
لَوْ أَنَّ جَمْعَهُمْ غَدَاةَ مُخَاشِنٍ يُزْمَى بِهِ جَبَلٌ لَكَادَ يَزُولُ^(١)
وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ يُقِيمُ بِالْكَسْرِ كَثِيرًا ، وَذَلِكَ لَا يُنَافِي قَوْلَ الْهَمْدَانِيِّ فِي
« الْأَصْفَةِ » : (إِنَّ لَهُ بِتَثْلِيثِ حَصْنًا وَنَحْلًا) اهـ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ كَثِيرَ الْتَنَقُّلِ وَالْغَزْوِ عَلَى عَادَةِ
الْعَرَبِ ، وَكَانَتْ الْمَوَاصِلَاتُ كَثِيرَةً - وَسَيَاتِي قُبَيْلَ هَيْنَ قَرَبِ تَثْلِيثٍ - وَلَا سِيَّما بِمَرَاكِزِ
الْأَقْدَمِينَ .

وَعَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرَبٍ فَارَسُ الْيَمَنِ ، وَهُوَ الْقَائِلُ : (لَوْ سَرْتُ بِظَعِينَةٍ وَحَدِي عَلَى
مِيَاهٍ مَعْدٌ كُلُّهَا . . مَا خَفْتُ أَنْ أُغْلَبَ عَلَيْهَا ، مَا لَمْ يَلْقَنِي حُرَّاهَا أَوْ عَبْدَاهَا) ؛ يَعْنِي
بِالْحُرَّيْنِ : عَامِرَ بْنَ الْطَفِيلِ وَعُثَيْبَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ ، وَالْعَبْدَيْنِ : السُّلَيْكَ وَأَسْوَدَ
بَنِي عَبْسٍ . وَبِهِ ضَرْبُ أَبُو تَمَّامٍ الْمَثَلُ فِي قَوْلِهِ [في « ديوانه » ٣٦٨/١ مِنْ الْكَامِلِ] :

إِقْدَامُ عَمْرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَخْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَّاسٍ

(١) فِي « الدِّيَّانِ » : (حَضَنَ) بَدَلَ (جَبَلَ) . وَالْحَضَنُ : اسْمُ جَبَلٍ بِالْعَالِيَةِ .

وأبو عبادة في قوله [في «ديوانه» ٣١١/٢ من الكامل] :

يَهْدِيهِمُ الْأَسَدُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ يَوْمَ أَزْدَحَامِ الْجَحْفَلِ الْمُتَأَلِّفِ
عَمَرُوا الْقَنَا فِي مَذْحِجٍ أَوْ حَاتِمٍ فِي طَيٍّ أَوْ عَامِرٍ فِي خِنْدِفِ
ومع ذلك فقد كانت له هنات ؛ منها : ما ذكره الهمداني في الجزء العاشر [ص ١٨٧]
من «الإكليل» : أَنَّ بني الْأَصِيدِ - وهم قبيلة قليلة من سفيان بن أرحب - لقوه ،
فسلبوه وأخذوا فرسه ، فلم يستح أن كتب لهم يقول [من الرمل] :

يَا بَنِي الْأَصِيدِ رَدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُفْعَلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
عَوْدُهُ مِثْلُ مَا عَوْدَتْهُ مَقَحَمَ الصَّفِّ وَإِطَاءَ الْقَتِيلِ
وفي «مروج الذهب» : أَنَّ عمر بن الخطاب أنسَ عمراً ذات يوم ، وذاكره
الحروب في الجاهلية ، وقال له : هل أنصرفت عن فارس قط في الجاهلية؟ فذكر له
فزة فرها عن ربيعة بن مكرم في حديث طويل ، قال : ثُمَّ إِنَّ عَمراً أغارَ بعد ذلك بزمان
على كنانة في صناديد قومه وأخذ الغنائم ، ومنها امرأة ربيعة بن مكرم ، فشعر بهم -
وكان غير بعيد - فاستردّها وهزمهم .

وله وفادة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قيل : مع الأشعث كما في
«الأصل» ، وقيل : لنفسه ، ثم رجع إلى قومه .
ولمّا مضرت الكوفة . . أقام بها ، وكان له نبأ مذكور في حرب القادسية ، وأخباره
مشهورة .

الكسر^(١)

هو صقع واسع من أحسن بلاد حَضْرَمَوْتَ تربة ، بل أحسنها على الإطلاق ،
بشهادة ما جاء بالأصل من فضول صدقات تجيب وكثرتها . وسيأتي في قارة الشناهز

(١) عرف هذا الصقع بالكسر لوقوعه بين سلسلتي جبال من جانبيه الغربي والشرقي ، وقيل : لأنه يكسر
السيول عن مدينة شبام ، وفي وسطه تسكن نهد . ومن قرى الكسر : العجلانية ، هينن ، الباطنة ،
قعوضة . . . وغيرها .

ما يُفهِمُ أَنَّ نَاساً مِنْ قَبِيلَةِ حَضْرَمَوْتَ يَسْكُنُونَهُ فِي سَنَةِ (٦٠٥ هـ) .

قَالَ ابْنُ الْحَاثِكِ : (وَيَسْكُنُ الْكَسْرَ فِي وَسْطِ حَضْرَمَوْتَ تَجِيبٌ ، مِنْهُمْ الْيَوْمَ بِهَا أَرْبَعُ مِائَةِ فَارِسٍ وَإِحْدَى عَشَرَ مِائَةَ رَاجِلٍ ، وَيُعْرَفُ الْكَسْرُ بِكَسْرِ قُشَاقِشٍ ، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو سَلِيمَانَ بْنُ يَزِيدَ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الطَّائِيُّ [مَنْ الطَوِيلُ] :

وَأَوْطَنَ مِنَّا فِي قُصُورِ بَرَاقِشٍ فَمَاوِدَ وَادِي الْكَسْرِ كَسْرٍ قُشَاقِشٍ) اهـ^(١)
وَفِي بَرَاقِشٍ^(٢) يَقُولُ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبٍ الزُّبَيْدِيُّ - وَكَانَ مِمَّنْ يَسْكُنُ الْكَسْرَ - [فِي
« شِعْرُ عَمْرُو بْنِ مَعْدِي كَرِب » ١٤٠ مِنْ الْوَافِرِ] :

يُنَادِي مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ مَعِينٍ فَاسْمَعْ فَاتْلَابُ بِنَا مَلِيعٌ^(٣)
وَقَالَ الطَّائِيُّ أَيْضاً [مَنْ الْمُنْسَرَحُ] :

تَسْتَنْ بِالضَّرْوِ مِنْ بَرَاقِشَ أَوْ (هَيْلَانَ)^(٤) أَوْ يَانِعٍ مِنَ الْعُتَمِ^(٥)

(١) وَذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ مِنْ قَرَى الْكَسْرِ : هَيْنَ ، وَحُورَه ، وَقُشَاقِشَ ، وَصُورَانَ ، وَالْعَجْلَانِيَّةَ ، وَسُدْبَه ، وَمَنْوَبَ ، وَرَخِيَه ، وَوَادِيَهَا . انْظُرْ « صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » (١٧١) .

(٢) هَلُنَا اسْتَطَرَّدَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ إِلَى ذِكْرِ بِلَادِ الْجُوفِ وَمَا إِلَيْهَا . فَلَنَعْرِفْ هُنَا بَرَاقِشَ : هِيَ مَدِينَةُ أُثْرِيَّةُ هَامَةَ فِي وَادِي الْجُوفِ ، وَاسْمُهَا الْقَدِيمُ (ثِيلُ) ، تَقَعُ بِجَانِبِ خُرَائِبِ مَعِينِ الَّتِي تَعْرِفُ بِاسْمِ : الْبَيْضَاءِ . وَتَشْكَلُ هَذِهِ الْمَدِينَةُ الْعَاصِمَةُ الدِّينِيَّةَ لِمَمْلَكَةِ مَعِينِ ، حَيْثُ كَانَ يَحْجُجُ الْمَعِينِيُّونَ مُعَابَدَهَا الْعَدِيدَةَ ، وَقَدْ ظَلَّتْ عَامِرَةً إِلَى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ ، ثُمَّ انْدَثَرَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا الْيَوْمَ سِوَى مُعَالِمِ سُورِهَا الْقَدِيمِ ، وَبَقَايَا مُعَابَدَهَا ، وَيَعْضُ مِنَ النُّقُوشِ . وَهِيَ فِي أَصْلِ جَبَلِ هَيْلَانَ ، وَفِي عَامِ (١٩٨٩ م) بَدَأَتْ الدَّوْلَةُ فِي إِثْشَاءِ طَرِيقٍ مِنْ صَنْعَاءَ يَمْتَدُّ إِلَى وَادِي الْجُوفِ عِبْرَ مَنطَقَةِ نَهْمٍ ، وَتَمَرُّ بِالْقَرَبِ مِنْ خُرَائِبِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ . اهـ « الْمُحَقِّفِي » (١٥٠ / ١) .

(٣) يُنَادِي : الْفَاعِلُ فِيهِ عَائِدٌ عَلَى كَلِمَةِ (الدَّاعِي) فِي الْبَيْتِ قَبْلَهُ ، وَهُوَ :
أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّيِّعُ يُورَثُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ
وَرِيحَانَةُ : أُخْتُ عَمْرُو . اَتْلَابُ : اسْتِقَامَ . مَلِيعٌ : اسْمُ طَرِيقٍ .

(٤) هَيْلَانَ : جَبَلٌ عَالٍ مَنِيفٌ يَمْتَدُّ مِنْ جَنُوبِ نَهْمٍ إِلَى غَرْبِي مَآرِبَ ، عُدَادُهُ مِنْ بَنِي جَبْرِ خَوْلَانَ الْعَالِيَةِ ، وَيَقَعُ شِمَالُ صُرُوحٍ بِمَسَافَةِ (٦٠ كَم) ، وَهُوَ مَنطَقَةُ أُثْرِيَّةِ .

(٥) الْبَيْتُ لِلتَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ فِي « دِيَوَانِهِ » (١٥٨) تَسْتَنْ : تَسْتَاكُ . الضَّرْوُ : شَجَرٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ يُسْتَاكُ بَعِيدَانَهُ ، وَيَجْعَلُ وَرَقَهُ فِي الْعُطُورِ . هَيْلَانَ : اسْمُ وَادٍ أَوْ جَبَلٍ . يَانِعٌ : نَاضِجٌ . الْعُتَمُ : شَجَرُ الزَّيْتُونِ الْبَرِّيِّ .

يَصِفُ بَقَرًا تَسْتَنُّ بِالضَّرْوِ ، وَهَوَ : شَجَرٌ يُسْتَاكُ بِهِ .

وَقَالَ فَرْوَةُ بْنُ مُسِيكٍ الْمَرَادِيُّ [مِنْ الْوَاغِي] :

أَحَلَّ يُحَابِرُ جَدِّي غُطَيْفًا مَعِينَ الْمُلْكِ مِنْ بَيْنِ الْبَيْنَا
وَمَلَكْنَا بَرَاقِشَ دُونَ أَعْلَى وَأَنْعَمَ إِخْوَتِي وَبَنِي أَيْنَا

وَقَالَ عَلْقَمَةُ [مِنْ الْوَاغِي] :

وَهَلْ أَسْوَى بَرَاقِشَ حِينَ أَسْوَى يَبْلَقَعَةُ وَمُنْبَسِطِ أَنْيَقِ
وَحَلُّوا مِنْ مَعِينِ يَوْمَ حَلُّوا لِعِزِّهِمْ لَدَى الْفَجِّ الْعَمِيقِ

ومعِينُ : بلدٌ بِالْجَوْفِ مِنْ بِلَادِ حَمِيرَ ، باقيةٌ آثارها ، وعلى كثيرٍ مِنْ أَحْجَارِهَا
المنجورة كتاباتٌ بِالْمُسْنَدِ^(١) ، وهو لسانٌ عربيٌّ يعرفُهُ كثيرٌ مِنْ أَهْلِ صَنْعَاءَ ، كَالشَّيْخِ
الْفَاضِلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَجَرِيِّ^(٢) ، منها ما وُجِدَ عَلَى مَزْدَمٍ ضَخْمٍ جَدًّا ،
مُسْتَنَدٌ إِلَى أُسْطُوَانَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، فِي مَعْبِدٍ قَرِيبٍ مِنْ مَدِينَةِ مَعِينِ ، وَفِيهِ كَلِمَاتٌ لَمْ
تُعْرَفْ مِنْ لُغَةِ حَمِيرَ ، وَأَكْثَرُهُ عَرَبِيٌّ مَبِينٌ ، وَحَاصِلُهُ : (خَالُ كَرْبَ ، صَادِقُ ابْنِ
أُبَيْدَعٍ^(٣) مَلِكُ مَعِينِ ، بَنَى وَأَحْدَثَ رَصِيفَ بَيْتِ عَشْتَرِ ، الَّذِي قَبَضَ وَرَثَتُهُ بِيُوتَهُمْ) .

(١) المسند : اسم لخطٍّ قديم ، كان شائعاً عند العرب في جنوب ، بل وحتى شمال الجزيرة قبل الإسلام .
يتكون من (٢٩) رمزاً - أبجدياً - تمثل أحداث أصوات الحروف العربية الحديثة بزيادة صوت واحد
ينطق قريباً من مخرج السين ، بينه وبين الشين على ما يبدو أمد . ويرجع أقدم النقوش اليمنية إلى أوائل
القرن التاسع قبل الميلاد على أبعد تقدير . . ينظر « تاريخ اليمن القديم » (١٩١-٢٠٧) .

(٢) هو الشيخ العالم الفقيه المؤرخ محمد بن أحمد الحجري الصنعاني ، ولد بذِي يَشْرَعٍ من نواحي يريم ،
وتفقه بَذَمَارِ وَالْأَهْنُومِ وَيَرِيمَ ، وُلَّاهُ الْإِمَامُ يَحْيَى رِئَاسَةَ دِيْوَانِ الْحَاسِبَةِ الْعَامَةِ ، وَكَانَ يَتَنَدَّبُهُ هُوَ وَابْنُهُ
الْإِمَامُ أَحْمَدُ لِحَضُورِ الْمُؤْتَمَرَاتِ خَارِجَ الْيَمَنِ ، تَوَفَّى فِي حَادِثِ الطَّائِفَةِ الرَّوسِيَّةِ عَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْ مَوْسَكُو
يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ (٢٦) صَفَر (١٣٨٠هـ) مع بقية أعضاء الوفد الذي كان في طريقه إلى بَكِينَ بِرِئَاسَةِ
الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعَمَرِيِّ . كَانَ عَالِماً مُتَوَاضِعاً نَزْهِياً ، مَلِماً بِتَارِيخِ الْيَمَنِ وَجُغْرَافِيَّتِهِ . وَهُوَ
صَاحِبُ كِتَابِ « مَعْجَمِ بِلْدَانِ الْيَمَنِ وَقِبَائِلِهَا » ، الَّذِي انْكَأَ عَلَيْهِ الْمُقْحَفِيُّ وَضَمَّنَهُ مَعْجَمَهُ وَزَادَ عَلَيْهِ .

(٣) ورد اسمه عند بافقيه : (صدق إل) ملك حضرموت ، الذي حكم معِين أيضاً ، وانقسمت المملكة بعد
موته بين ولديه : (شهرعلن) الذي حكم حضرموت ، و(اليفع يثع) حاكم معِين ، ثم جاء حفيده
(اليفع ريام بن اليفع يثع) ليوحد المملكتين تحت حكمه .

وعشتر-بعين ، ثم ثاء مثلثة ، ثم ثاء مثناة من فوق - : صنم مشهور .

وقد بقي من آثار ذلك المعبد عدّة أُسْطُوَانَاتٍ قَائِمَاتٍ إِلَى ارتفاعِ خمسةِ أذرعٍ ، وعلى رأسها مرادمٌ ضخمةٌ ، لا يقدرُ النَّاسُ على رفعِها ، في غايةٍ من الجمالِ الهندسيِّ .

وبلغني أَنَّ بعضَ الأَجَانِبِ اسْتخرجَ أسماءَ اثْنَيْنِ وثلاثينَ ملكاً من الآثارِ الَّتِي بِالْجوفِ ، لكن بدون ترتيبٍ ، والأَجَانِبُ يخادعونَ أَهْلَ الْيَمَنِ في مَقَادِ تلكَ النقوشِ ، ولكن... قد أنكشفت خلاتُهم بمعرفتهم لقواعده^(١) .

والإفرنج يزعمون أَنَّ مملكةَ معينٍ ظهرت في الألفِ الثاني قَبْلَ الإسلامِ ، وأنها أقوى وأغنى من مملكةِ سبأ ، وَأَنَّ مُلْكَهَا بلغَ إِلَى غَزَّةَ ، وَأَنَّ سُلْطَانَهَا انتقلَ إِلَى سبَأِ الَّتِي بدأت قوتُها في الظُّهورِ أواخرَ أَيَّامِ مملكةِ معينٍ ، وهو كلامٌ متناقضٌ ؛ لأنَّ مملكةَ سبأ أقدمُ من ذلك بكثيرٍ ، وكلاهما من فروعِ الممالكِ الفُحْطَانِيَّةِ^(٢) .

وقحطانُ : هو أبْنُ هودٍ على ما يأتي في نسبه عندَ ذِكْرِهِ ، وهو ذُو عليه السَّلامِ نبيُّ عادٍ ، وقد نصَّ القرآنُ على أَنَّ ملكَ عادٍ عقبَ نوحٍ ، وذلكَ حيثُ يقولُ في سورةِ الأعرافِ : ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأذْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ، فزَعَمُ أَنَّ عاداً وثمودَ تفرَّعوا عَنِ الْحِمْيَرِ ابْنَيْنِ غلطٌ ؛ لأنَّهم أقدمُ من ذلك ، وفي «التَّيجان» لابنِ هشامٍ : أَنَّ عمروَ بنَ القيسِ بنِ بَابِلْيُونَ كَانَ ملكاً على مصرَ في أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ، وعمرو هذا من أَهْلِ سبأ .

قالَ الهمدانيُّ في «الإكليل» : ما أعلمُ أحداً استوفى ما ذكره أبو عَليٍّ عَليُّكم المُرَّاني ، أحدُ رجالِ هَمْدَانَ [من البسيط] :

نَحْنُ الْمَقَاوِلُ وَالْأَمْلَاقُ قَدْ عَلِمَتْ أَهْلُ الْمَوَاشِي بِأَنَا أَهْلُ غَمْدَانَا
وَأَنْتَا رَبُّ بَيْنُونٍ وَأَضْرَعَةٍ وَالشَّيْدُ مِنْ هَكِرٍ نَاهِيكَ بُنْيَانَا

(١) خلاتهم : خداعهم .

(٢) ينظر للمزيد عن معين : « تاريخ اليمن القديم » (٢٥) .. وما بعدها .

بَرَأَقِشُ وَمَعِينُ نَحْنُ عَامِرُهَا وَنَحْنُ أَرْبَابُ صِرَاحٍ وَرَيْشَانَا
وَنَاعِطُ نَحْنُ شَيْدْنَا مَعَاقِلَهَا وَمَاذِنَا وَقُرَى نَشَقِ وَنَوْفَانَا^(١)
وَقَضَرَ يَبْنُونَ عَلَاهُ وَشَيْدَهُ ذُو الْفَخْرِ عَمَرُو وَسَوَى قَضَرَ غَمْدَانَا
وَقَضَرَ أَخَوَرَ رَأْسَ الْفَيْلِ ذِي يَزَنِ وَقَضَرَ فَيَاشَ فِي أَرْيَابٍ قَدْ كَانَا

مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ ، قَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي « الْإِكْلِيلِ » [١٠٨/٨] : (مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ
شُعْرَاءِ الْيَمَنِ اسْتَوْفَى مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْمَوَاضِعِ) .
وَقَدْ سَاقَ مِنْهَا جُمْلَةً فَالْتَقَطْنَا مَا ذَكَرْنَاهُ .

وَالشُّعْرُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ أَكْثَرُ ، وَلَكِنْ لَا حَاجَةَ إِلَى الْإِطَالَةِ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا يَأْتِي
ذِكْرُ بَيْنُونَ وَغَيْرِهِ مِنْ هَذِهِ الْحَصُونِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ ، قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيُّ [فِي « دِيوانه »
١٤٩ مِنْ الْمُنْسَرَحِ] :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلْ تَرَوْنَ إِلَى فَارِسَ بَادَتْ وَخُدَّهَا رَغَمَا
أَمْسَوْا عَبِيداً يَزْعَوْنَ شَاءَكُمْ كَأَنَّمَا كَانَ مُلْكُهُمْ حُلُمَا
مِنْ سَبَا الْحَاضِرِينَ مَأْرَبٍ إِذْ يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا
وَفِي الْجَوَفِ عِدَّةٌ مَدِينٍ خَارِبَةٍ ، مِنْهَا : مَعِينُ هَذِهِ .

وَمِنْهَا : بَرَأَقِشُ ، وَرِغَوَانُ ، وَالذُّخْنَاءُ ، وَالْبَيْضَاءُ ، وَهِيَ غَيْرُ الْبَيْضَاءِ الْوَاقِعَةِ
بِأَرْضِ الظَّاهِرِ^(٢) ، وَأَسْمُ الْبَيْضَاءِ الْقَدِيمَةِ نَشَقِ ، وَغَيْرُ هَذِهِ الْمَدِينِ .
ثُمَّ إِنَّ مَعِيناً مَعْدُودٌ فِي مَحَافِدِ الْيَمَنِ^(٣) الْمَشْهُورَةِ ؛ كَغَمْدَانِ ، وَتَلْقَمِ ، وَنَاعِطِ ،

(١) تَدَاخَلَ الْبَيْتُ عَلَى الْمُؤَلَّفِ مِنْ بَيْتَيْنِ وَهُمَا فِي « الْإِكْلِيلِ » (١٠٩/٨) :

وَ(نَاعِطُ) نَحْنُ شَيْدْنَا مَعَاقِلَهَا وَ(مَاذِنَا) أَوْ عَلَا (نَشَقَا) وَ(نَوْفَانَا)
وَ(تَلْقَمُ الْبُنُونَ) وَ(الْقَضَرَيْنِ) مِنْ خَمَرٍ وَ(تَنْعَمَا) وَقُرَى (شَرَج) وَ(دَعَانَا)

(٢) وَاسْمُ تِلْكَ : بَيْضَاءُ الْحُسَيْنِ ، تَنْسَبُ لِلشَّيْخِ الْحُسَيْنِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ تَمَيِّزاً لَهَا عَنْ غَيْرِهَا .

(٣) الْمَحَافِدُ بَلْغَةُ الْيَمَنِ الْقَدِيمَةِ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ قُصُورِ الْمُلُوكِ أَوْ الْمَدِينِ الَّتِي تَحِيطُ بِهَا الْأَسْوَارُ ، قَالَ نَشْوَانُ
فِي « الشَّمْسِ » : (الْمَحْفَدُ أَوْ الْمَحَافِدُ ، هِيَ قُصُورُ الْمُلُوكِ الَّتِي فِيهَا الْحَفْدَةُ ، وَهُمْ الْأَعْوَانُ وَالْخُدَمُ)

وصرواح ، وسلحين ، وظفار ، وهكر ، وظهر ، وشبام ، وغيمان ، وبينون ،
وريام ، وبراقش ، وروثان ، وأريات ، وعمران ، والنجير^(١) بحضرموت ، كما عند
الهمداني ، وفي مواضع من « الصفة » : أنَّ من المحافد حوره . وتريم بحضرموت ،
كما في مواضعها .

وقال ياقوت في « معجمه » [٤٤٢/٥] : (كانت منازل العمالق صنعاء ، ثم خرجوا
فنزّلوا حول مكة ولحقّت طائفة بالشّام ومصر ، وتفرّقت طائفة بجزيرة العرب إلى العراق
والبحرين وعمان . وقيل : إن فراعنة مصر كانوا من العمالق . . .) إلى آخر ما ذكر .

وقد دلّلت في « الأصل » على وصول سيّدنا عليّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه -
إلى الكسر بقصة أصلها في « الصحيح » ، ولها تنمّة من « السيرة الحلبية » ، وبسطها
في « شرح ابن أبي الحديد » على « النهج » .

قال الهمداني : (وألّكسر قرى كثيرة ، منها : قرية يقال لها : هين ، فيها بطنان
من تّجيب ، يقال لهما : بنو سهل وبنو بدّا ، فيهم مئتا فارس ، تخرج من درب
واحد ، ورأسهم اليوم : محمّد بن الحصين التّجبيّ) اهـ^(٢)

وعن أحمد بن محمّد مؤذن باجمال ، عن عوض بن أحمد الجرو : (أنَّ
يونس^(٣) بن عبد الأعلى الصّدفيّ توفيّ سنة (٢٦٤هـ) وكان ممّن يسكن الكسر) اهـ

وقد ترجمه ابن خلّكان [٢٤٩/٧] وأطال ، وكذلك الحافظ ابن حجر في « تهذيب
التّهذيب » [٤٦٩/٤] ، والخزرجي في « خلاصته » ، وهو ركن من أركان الإسلام ،
أخرج له النسائي ومسلم وابن ماجه .

كانت ولادته في سنة (١٧٠هـ) وأقام شاهداً بمصر ستين سنة ، ومع ذلك فلا
يُستبعد كونه من حضرموت ؛ لاحتمال خروجه منها وسنه فوق العشرين أو الثلاثين ؛
فالأمر جدّ قريب ؛ لأنّه كان من المعمرين .

(١) لن نطيل بالتعريف بهذه المحافد كلها ، وليرجع المستزيد إلى معاجم البلدان اليمنية .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٧١) .

(٣) في المخطوط (يوسف) ، والذي أثبت من « وفيات الأعيان » ، و« تهذيب التّهذيب » .

إِلَّا أَنَّهُ يُشْكَلُ عَلَيْهِ مَا قِيلَ : إِنَّ وَلادَتُهُ بِمَصْرَ ، وَلَا إِشْكَالَ حَتَّى بِفَرْضِ صَحَّتِهِ ؛
لِاحْتِمَالِ مَجِيئِهِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَهُوَ صَغِيرٌ كَمَا هِيَ الْعَادَةُ عِنْدَ الْمَهَاجِرِينَ بِإِرْسَالِ
أَوْلَادِهِمْ إِلَى مَرَاغِبِ أَنْسَاهُمْ صَغَاراً ، وَسَكَنَهَا بِهَا مَدَّةً ؛ لِأَنَّ الْجُرُومَ مِنَ الثَّقَاتِ .

وَفِي « مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ » لِصَاحِبِ « الْفَلَائِدِ » : (وَمِنْ حَضْرَمَوْتَ : أَوْدِيَةٌ
دَوْعَن ، وَوَادِي عَمْدٍ وَشَبُوعَةٌ وَمَا حَوْلَئِهَا ، وَمِنْهَا الْكَسْرُ ، وَهُوَ مَا يَفِيضُ إِلَيْهِ مَاءٌ هَذِهِ
الْأَوْدِيَةُ إِذَا زَادَ وَأَنْكَسَرَ مَا يَمْنَعُهُ) اهـ

وَالْوَقْعُ الْآنَ أَنَّ سُومَ الْأَوْدِيَةِ الْوَاقِعِ شَرْقِيَّ قَعْوُضِهِ الْمَمْتَدِّ مِنَ الشَّامِلِ إِلَى الْجَنُوبِ -
يُسَمَّى بِالْعَشْرِقَةِ - تَرْجِعُ عَنْهُ سَيُولُ الْأَوْدِيَةِ إِلَى هَيْنَ وَعَرْضِ آلِ حَوِيلٍ وَمَكَانِ آلِ جَذَنَانَ
وَرَمْلَةِ آلِ الْعِيدَرُوسِ ، ثُمَّ إِلَى الْفُوهَةِ وَالْخَشْعَةِ .

وَتَخَافُ نَهْضَ مِنْ زِيَادَةِ الْمِيَاهِ عَلَى قَعْوُضَةٍ وَالظَّاهِرَةِ وَشَرِيوْفَ ، وَلَكِنَّ الْغَالِبَ أَنْهَارُ
ذَلِكَ السَّدِّ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُبْنَى إِلَّا مِنَ الطِّينِ ، وَإِذَا أَنْهَارَ إِلَى جَانِبِ هَيْنَ وَمَا لَفَّهَا . . صَارَتْ
الْمِيَاهُ إِلَى الْبَاطِنَةِ وَالْقَطَنِ ثُمَّ الْمَسْحَرَةِ وَأَسْفَلَ حَضْرَمَوْتَ ، وَكَثِيراً مَا تُنْهَمُ نَهْضُ بِكَسْرِهِ
إِذَا جَاءَتْ السَّيُولُ لَيْلاً . . فَيَقُومُ التَّرَاغُ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ .

وَسَمِعْتُ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الثَّقَاتِ عَنِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ أَنَّهُ كَانَ
يَقُولُ : (إِنَّ الْمِيَاهَ فِي أَيَّامِ سَدِّ سَنَا كَانَتْ تَنْكَسِرُ مِنْهُ إِلَى الْكَسْرِ - أَيِ : تَرْجِعُ مِنْهُ إِلَيْهِ -
وَلِذَلِكَ سَمِّيَ بِهِذَا الْأَسْمُ) وَكُنْتُ أَسْتَشْكَلُهُ جَدّاً ؛ لِأَنَّ تَرِيماً وَغَيْرَهَا مِنَ الْبُلْدَانِ كَانَتْ
مَوْجُودَةً لِذَلِكَ الْعَهْدِ ، وَلَوْ كَانَ مَاءُ سَنَا يَرْجِعُ إِلَى الْكَسْرِ . . لِأَغْرَقَ شَبَاباً فَضْلاً عَمَّا
وَرَاءَهَا ، وَمَا زَالَ هَذَا الْإِشْكَالُ أَثْقَلَ عَلَيَّ مِنَ الْجَبَلِ حَتَّى أَنْكَشَفَ بِمَا سَيَأْتِي فِي
الْحَسِيْسَةِ وَفِي سَنَا ، فَلْيُكْشَفْ ذَلِكَ الْجَوَابُ مِنْ هُنَاكَ .

ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْعَبْرَ^(١) عَلَى قَرِيبٍ مِنْ مُحَاذَةِ شَبُوعَةٍ فِي الْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ ، وَهُوَ فِي شِمَالِ
شَبُوعَةٍ . وَمِنْ وَرَائِهِ إِلَى الشَّرْقِ : رُكْبَانُ .

(١) الْعَبْرُ : مَنْطِقَةٌ فِي الشَّامِ الْغَرْبِيِّ مِنْ شَبُوعَةٍ عَلَى بَعْدِ نَحْوِ (٨٠ كَم) مِنْهَا . وَهِيَ الْمَنْفَذُ الطَّبِيعِيُّ إِلَى
حَضْرَمَوْتَ لِلْمُتَوَجِّهِ مِنْ مَأْرَبٍ وَهِيَ مَنْطِقَةٌ جَبَلِيَّةٌ وَسَطُ رَمَالٍ وَاسِعَةٍ ، مُحِيطٌ بِهَا مِنَ الْغَرْبِ رَمْلَةٌ =

وفي شمال ركبان إلى الغرب : وادي الجابية^(١) . ومن وراء ركبان إلى شرق :
عكبان^(٢) . ثم الكشور ، وسكانه الكيمنة من نهدي . وعن شماله : واديه .

وعن جنوبه أرض واسعة ، يقال لها : الكفوة^(٣) ، وفيها بئر حميد ، تردها القوافل
من القبلة ، وسكان الكفوة آل بدر من نهدي ، وفي شرقها الأرض التي يصلح فيها زرع
البرّ صلاحاً طيباً ، وهي المسماة : الخشعة ، وهي أرض واسعة ، طيبة الثربة ، قريبة
المياه ، لا يزيد عمق الكبير عن سبع قامات ، مع أنّ الآبار في قعوضة وحواليها يبلغ
سبع عشرة قامة ، وإليها ينحدر ما يزيد من مياه الأودية عن قعوضة ونواحيها ، ولو
زادت مياه رحيّة . لوصلتها ؛ لأنها منخفضة عنها .

ومن ورائها إلى الشرق : رهطان . ومن ورائه متشاملة : بلد هين . وعن
شمالها : واديه ، هكذا أخبرني جماعة من ذلك الطرف جاؤوا يستفتوني في قضية
لهم . فالعهد عليهم .

والمراحل بسير الأثقال الآن : من قعوضة إلى الخشعة خمس ساعات . ومن
الخشعة إلى صحراء واسعة اثنتا عشرة ساعة . ومن تلك الصحراء إلى الكشور أربع
ساعات . ومنه إلى مرعى ست ساعات . ومن المرعى إلى الصحراء التي وقعت فيها
الواقعة بين نهدي ودّهم اثنتا عشرة ساعة . ومن هذه الصحراء إلى قرن الدّئاب اثنتا
عشرة ساعة . ومنه إلى العبر سبع ساعات .

= السبعين ، ومن الشمال رمال الربع الخالي . وتشكل منطقة العبر ، في أعمالها مديرية من مديريات
محافظة حضرموت ، ومن أعمالها : جبل العبر ، حجر الصيبر ، زَمَخ ، مَنُوح ، حصن آل دحيان ،
وادي هين ، حصن الوهد ، حصن الشاهد ، حصن آل كسلان ، حجر آل عياف ، وغيرها ، وهي
ساكن الصيبر . وبها آثار قديمة ، وكان وادي العبر مصباً لعدة أودية قديمة ، وتكثر فيه الآبار ،
ويقال : إن به (٢٥٠) بئراً طمرتها السيول « المقحفي » (١٠٠٨ / ٢) .

- (١) هو واد شرقي حصن العبر ، وفي شماله الغربي بلدة الصيبر ؛ ريدة الصيبر .
- (٢) واد شرقي العبر أيضاً ، تنزل منه مسيلات ريدة الصيبر ثم تذهب إلى رملة الخرار .
- (٣) بضم فتشديد الواو ، هضبة متسعة في الأطراف الغربية لـ (حضرموت) ، كانت تمر بها القوافل الذاهبة
إلى مأرب ، يسكنها آل بدر من نهدي .

وفي الأعراف القديمة أَنَّ مبتدأ العبر من الجهة الغربية الشمالية هي : رَمْلَةٌ وَبَارٍ إِلَى
الْقُوَّةِ وَالْخَشَعَةِ ، وفيه رملُ الحَزَارِ الَّذِي جَاءَ ذِكْرُهُ فِي قَوْلِ أَبِي عَقْبَةَ فِي قَصِيدَتِهِ
المشهورَةِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

مِنْ شَطِّ مِينَاءِ الرَّدِيفِ تَرَحَّلْتُ سَحَرًا وَكَانَ الْفَجْرُ لَمَّا يُسْفِرُ
قَطَعْتُ ضُحَى رَمْلِ الْكَدِيفِ وَمَنْصَحًا وَالْقَرْيَ جَاذَتْ فِيهِ لَمْ تَتَحَيَّرِ
وَبِمَذْنَبِي أَنْصَاصُ ثُمَّ بِحَزْوَةٍ نَفَرْتُ نُفُورَ الْخَشْفِ خَوْفَ الْمُنْسَرِ
وَرَدَّتْ قُبَيْلَ الظُّهْرِ عُلْقَمَ شَبْوَةٍ وَالْأَلُ يَمْكُرُ بِالصِّدْيِ وَيَغْتَرِي
وَتَرَوَّحْتُ عَصْرًا وَأَمْسَتْ تَرْتَعِي وَسَطًا وَطَارٍ فِي الْفَلَاةِ وَتَجْتَرِي
حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ أَذْبَرَ شَطْرَهُ وَسَرَتْ عَلَى الْوَجْنَاءِ أُمُّ حَبُوكِرٍ ^(١)
بَادَرْتُهَا بِالرَّحْلِ ثُمَّ نَسَأْتُهَا فَجَرَتْ كَجَرِي الْأَجْدَلِ الْمُتَحَدِّرِ
وَبَدُفَرِ جَاذَتْ ثُمَّ رَخِيَةً بَعْدَهَا وَعَلَى الْحَزَارِ كِمِثْلِ بَرْقِ مُغَوِّرِ
وَمَدُودَةٍ جَاذَتْ وَلَمْ تَلْبَثْ بِهَا إِلَّا مَقَامَ مُسْلَمٍ وَمُخَبَّرِ
وَبَدَا الصَّبَاحُ فَصَبَّحْتُ مِنْ كِنْدَةٍ بِقَرَارِ عَرَصَتِهَا سُلَالَةَ جَعْفَرِ

وفي « صفة جزيرة العرب » لِلْهَمْدَانِيِّ [٣٠٤-٣٠٥] : (أَنَّ مُحَجَّةً ^(٢) حَضَرَمَوْتِ مِنْ
الْعَبْرِ إِلَى الْجُوفِ ، ثُمَّ صَعْدَةً ، وَيَدْخُلُ مَعَهُمْ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ أَهْلُ مَأْرَبَ ، وَبِيحَانَ ،
وَالسَّرَوِينَ ^(٣) ، وَمَرْخَةَ ، فَهَذِهِ مُحَجَّةُ حَضَرَمَوْتِ الْعُلْيَا .

وَأَمَّا السُّفْلَى : فَمِنْ الْعَبْرِ فِي شِيزِ صَهِيدٍ إِلَى نَجْرَانَ شَبَّةً مِنْ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، وَهِيَ الَّتِي
وَصَفَّهَا الْأَشْعَثُ الْجَنْبِيُّ فِي شِعْرِهِ الْآتِي آخِرَ الْكِتَابِ .

(١) أُمُّ حَبُوكِر : الداهية ، ويقصد بها الشمس .

(٢) يقصد بِالْمُحَجَّةِ : الطريق التي يسلكها الحاج قاصداً نحو مكة المكرمة .

(٣) أهل السروين : أي سرو حمير ، وسرو مذحج . والسرو هو ما ارتفع من الأرض عن مجرى السيل .
وسرو حمير : هو بلاد يافع وما جاورها من الأجعود . وسرو مذحج : المنطقة الواقعة جنوب وشرق
البيضاء التي تشمل لودر ومودية وثره في أبين . . وكان أولاً موطناً لحمير من ذي رعين ثم سكنته
مذحج .

ثُمَّ مِنْ نَجْرَان : حَبُون^(١) - وبأعلاه قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّمَّةِ ، قَتَلَهُ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ - ثُمَّ الْمَلْحَاتُ ، ثُمَّ لَوْزَةُ ، ثُمَّ عِبَالَم ، ثُمَّ مَرْبَعُ ، ثُمَّ الْهَجِيرَةُ ، ثُمَّ تَثْلِيثُ ، ثُمَّ جَاشُ ، ثُمَّ الْمَصَامَةُ ، ثُمَّ مَجْمَعَةُ تَزَجُ مِنْ دِيَارِ تَمِيمٍ بِالذَّهْنَاءِ (اهـ)

وَالْعَيْن : هُوَ فِي غَرْبِيَّ عِلْبَانَ ، وَسُكَّانُهُ الْكَرْبُ وَآلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ مِنَ الصَّيْعَرِ ، وَكَانَتْ الْعَيْنُ مُجْتَمِعَ مِيَاهِ الْأَوْدِيَةِ .

وَفِي غَرْبِيَّ الْعَيْنِ الْأَرْضُ الْمُسَمَّاءُ : الْمُنْغَلَقَةُ ، وَهِيَ ذَاتُ عِيُونٍ وَنَخِيلٍ غَيْرِ مَغْرُوسَةٍ ، وَإِنَّمَا تَنْبُتُ مِمَّا تُلْقِيهِ الرُّكْبَانُ مِنَ النَّوَى بِحَافَاتِ الْعِيُونِ ، وَقَلٌّ مَنْ يَنْتَفِعُ بِهَا ؛ لِأَنَّهَا مَخُوفَةٌ ؛ إِذْ هِيَ مَأْوَى الْغَزَاةِ الْبَاقِينَ عَلَى عَوَائِدِ الْجَاهِلِيَّةِ ، إِلَّا أَنَّهَا أُمْنَتْ أَلَانَ بَعْدَ تَدْخُلِ الْحُكُومَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ ، وَهِيَ تَحْتَ يَدِ الْمَسَادِسَةِ مِنَ الصَّيْعَرِ ، وَلَوْ وَفَّقَ اللَّهُ الْمَهَاجِرِينَ مِنَ الْحَضَارِمِ لِعِمَارَتِهَا . لَكَانَ لَهُمْ فِيهَا مَا يُغْنِيهِمْ عَمَّا سِوَاهَا ؛ لِأَنَّهَا مِنْ أَخْصَبِ بِلَادِ اللَّهِ .

وَإِذَا صَدَقَ مَا يَتَعَالَمُ بِهِ النَّاسُ مِنْ وَجُودِ مَنَابِعَ لِلْبَتْرُولِ بِشَبُوءَةٍ - وَهِيَ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنْهَا - . . سَتَكُونُ مِنْ جَنَاتِ الدُّنْيَا .

أَمَّا وَادِي هَيْئَن : فَيَسْكُنُهُ آلُ شُرْمَانَ ، كَبِيرُهُمْ فَرْجُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَلَهُ وَلَاحِيهِ عَمْرُ بْنُ عَلِيٍّ ، شَمَمٌ وَهَمَمٌ ، وَهُمَا أَلَانَ فِي مِمْبَاسَةٍ . وَفِيهِ : آلُ سَعْدُونَ مِنَ الصَّيْعَرِ ، ثُمَّ دَخَلُوا فِي نَهْدٍ . وَفِيهِ : آلُ عَزُونَ ، وَآلُ تِيرِبَانَ ، كُلُّهُمْ مِنْ نَهْدٍ .

وَأَمَّا هَيْئَن^(٢) : فَتَنْقَسِمُ إِلَى قَسَمَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : الْحَنْثُمُ الْمَتَكَّرُ ذِكْرُهُ فِي « دِيْوَانِ الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَمْخَرَمَةِ » ، وَفِيهِ آلُ إِسْحَاقَ ، وَمَنْصِبُهُمْ أَلَانَ : عَبْدُ الرَّزَّاقِ .

(١) حَبُون - بكسر الحاء - : واد يغيب من بلد يام من ناحية سمنان ، وبه بثر زياد الحارثي جاهلية ، وهو من مناهل العرب المشهورة ، وكذلك بثر الربيع في عبد الله على مرحلة لمن قصدتها من حضرموت ومأرب . « الصفة » .

(٢) تقع غربي القطن ، وتعد من أعمالها .

والثاني : الحزم ، وفيه آل إسحاق أيضاً ، ومنصبهم آلان شيان بن صالح^(١) .

وأول من أختطه الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن مرتع في القرن الحادي عشر ، ومرجع آل مرتع إلى ثور بن مرتع بن عفير الكندي ، ولا يزال به ناس منهم ، ويرأسهم يسلم بن سعيد بجاوة ، ومحمد بن سعيد في مقدشوه ، وهو الذي روى لي عن سلسلة ذوي الأنساب : أن آل مفتاح والعنبرة الموجودين بهين هم عبيد لعبد يلهم بن مرتع الكندي صاحب صومعة دثون . اهـ

وقال : إن أعقابهم لا يزالان مستخدمين لآل مرتع إلى اليوم .

وكان في هين كثير من الإباضية ، كما يعرف من التجاء الإمام إبراهيم بن قيس إلى

بني سهل فيها ، شهادة قوله [من الطويل] :

فَيَا بَنِي سَهْلٍ أَصَعْتُمْ جَمَاعَتِي وَصِرْتُ مَلِيكاً فِيكُمْ مُتَمَكِّناً
وَأَوَيْتُمُونِي يَوْمَ خُرْبَ مَوْطِنِي سِوَى أَنِّي يَا قَوْمَ لَمْ أَقْضِ حَاجَةً
كَيْنَا حَصِيناً مُكْرَماً غَيْرَ هَيْنٍ فَإِنْ تَنْصُرُونِي فَالرَّجِيَّةُ مِنْكُمْ
لَدَيْكُمْ وَلَا عَايَنْتُ أَمْراً يُسْرُنِي وَإِنْ تَعْجِزُوا قَابَلْتُ أَرْضاً تُعْزُنِي

وسياتي في شبام ما يُصرِّح بكثرة علماء الإباضية في هين إذ ذاك .

ومن آل إسحاق^(٢) بهين : العلامة الشهير شيان بن أحمد الكييم ، تلميذ الشيخ

أبي بكر بن سالم .

والشيخ أحمد الكييم ، وهو ابن الشيخ سهل بن عبد الله بن أحمد بن سهل بن

عامر^(٣) بن إسحاق .

(١) الشيخ شيان بن صالح هذا عمر طويلاً ، لأنه كان حياً سنة (١٣٦٦هـ) ، وكان في ذلك الوقت يقول الشعر ، وله مساجلات مع الحبيب أحمد المحضار صاحب القوية ومدائح فيه ، فلعل مولده نحو (١٢٤٥هـ) ، والله أعلم .

(٢) آل إسحاق أو ابن إسحاق ، مشايخ لهم شهرة في القديم ، ويسكنون هين منذ زمن بعيد ، ويقال : إنهم من كندة ، كما سُمع من بعض خُداقهم وكبار السن منهم .

(٣) في نسخة : (سهل بن أحمد بن عامر) .

وقد سَبَقَ في عندل عن الحبيب علي بن حسن العطاسي ، أَنَّهُ يَقَالُ : إِنَّ آلَ إِسْحَاقَ مِنْ وَلَدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَوَافِقْ عَلَيْهِ ، مَعَ أَنَّهُمْ أَخَوَالُهُ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُ هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الشَّيْخِ شَيَّانَ السَّابِقِ ذَكَرُهُ .

وَمِنْ أَهْلِ هَيْنَ : الْعَلَّامَةُ الْكَبِيرُ ، صَاحِبُ الْأَحْوَالِ الْغَرِيبَةِ ، الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْأَخْضَرُ بْنُ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاهِرْمَزٍ^(١) ، الصَّوْفِيُّ الشُّبَامِيُّ ، وَلَدَ بِشَامَ وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ مَشَايِخِهَا ، وَرَحَلَ إِلَى الشُّخْرِ ، وَأَخَذَ عَمَّنْ فِيهَا ، ثُمَّ ارْتَحَلَ إِلَى هَيْنَ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا إِلَى أَنْ مَاتَ فِي سَنَةِ (٩١٤ هـ) .

وَمَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ : الشَّيْخُ مَعْرُوفٌ بِاجْمَالِ ، وَكَانَ يُكْثِرُ التَّرَدُّدَ عَلَيْهِ إِلَى هَيْنَ لِلْأَخْذِ - مَاشِيًا مَعَ الْبَعْدِ - فَأَحَالَهُ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ وَإِيَّاهُ فِي شَبَابٍ .

وَمَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ : الشَّيْخُ عَمْرٌ بِامْخَرْمَةِ^(٢) ، جَاءَ مِنَ الْهَجْرَيْنِ لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِ . . فَعَادَ أَخَصَّ تَلَامِيذَهُ ! وَجَرَى لَهُ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مَعَ الشَّيْخِ بَاقِيسٍ صَاحِبِ حَلْبُونِ .

وَذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ الشَّيْخَ عَمْرَ بِامْخَرْمَةِ وَصَلَ إِلَى تَرِيمٍ فِي جَمْعٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ وَالسَّمَاعُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَانْتَهَى خَبْرُ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْخِ الْفَقِيهِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَلْحَاجَ ، الْمَشْهُورِ ، فَقَامَ مِنْ مَدْرَسَتِهِ فِي جَمْعٍ مِنْ تَلَامِيذِهِ لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِي ضَرْبِ السَّمَاعِ وَالشُّبَابَاتِ ، فَحِينَ لِقَاؤُهُ . . طَرِبَ وَغَابَ عَنْ حَسِّهِ ، وَصَارَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ ، فَأَنشَأَ الشَّيْخُ عَمْرٌ - عَلَى الْبَدِيهِةِ - قَصِيدَةً يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا :

حُسَيْنٌ هَبَّتْ نَسِيمُ الْقُرْبِ بَعْدَ الْمَدَى سَرَتْ مِنْ أَلْتَجِدُ فَأَنَا لِلتَّجِدِ وَأَهْلُهُ فِدَا
وَنَظِيرُهُ مَا يُحْكِي : أَنَّ مَعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ ذَهَبَ إِلَى مَنَزَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ

(١) ولد الشيخ عبد الرحمن بشبام سنة (٨٤٠ هـ) ، وتوفي بهين ليلة الإثنين (١٤) محرم (٩١٤ هـ) .
انظر : « عقد البواقيت الجوهريّة » . و « النور السافر » ، و « تاريخ الشجر » ، و « تاريخ الشعراء » (٩٦٩٤ / ١) .

(٢) كان أخذه وتحكمه لشيخه الأخضر باهرمز في (٢) رجب سنة (٩١٣ هـ) ، كما ورد في « تاريخ بافقيه » .

لِلإِنْكَارِ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَسْتَقَرَّ بِمَنْزِلِهِ . . أَطْلَعَ لَهُ جَوَارِيَهُ يُغْنِينَ ، فَطَرِبَ حَتَّى ضَرَبَ بِرِجْلِهِ
الْأَرْضَ وَلَمْ يَثْرُبْ ، فَلَمَّا خَرَجَ وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِي . . قَالَ لَهُ : إِنَّكَ لَشَرٌّ مِمَّنْ جِئْتَ
لِلإِنْكَارِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ الْكَرِيمَ طَرُوبٌ^(١) . وَتَحْقِيقُ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي كِتَابِي
« بَلَابُلُ التَّغْرِيدِ » .

وَمِمَّنْ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاهِرْمَز : أَيْنُ أَخِيهِ - السَّابِقُ ذِكْرُهُ - إِبْرَاهِيمُ بْنُ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بَاهِرْمَز .

وَأَلْ بَاهِرْمَزٍ مَتَشَرُونَ بِالْكَسْرِ وَشِبَامٍ وَالْقَبْلَةُ وَالْمَكْلَأُ ؛ مِنْهُمْ أَلَانَ بَهَا : الشَّيْخُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْضٍ بَاهِرْمَز ، تَاجِرٌ ، مُحِبٌّ لِلْخَيْرِ ، كَثِيرُ الصَّلَاحِ ، وَأَبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ
مُشَارِكٌ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَهُ نَبَاهَةٌ وَتَقْوَى وَدِيَانَةٌ وَوَرَعٌ حَاجِزٌ .

وَمِنْ أَهْلِ هَيْنَ : الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ الشَّوَّافُ^(٢) ، صَاحِبُ الْقَصِيدَةِ الْمَشْهُورَةِ بِـ
« قَضْعَةِ الْعَسَلِ » ؛ لِحَلَاوَتِهَا وَعَذُوبَتِهَا ، وَهُوَ - كَمَا فِي « الْمَشْرِعِ » [١٢٥/٢] - (مِنْ
تَلَامِيذِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ ، أَلَمْتُوفِي سَنَةِ (٩٦٨ هـ) ،
نَشَأَ أَبْنُ الشَّوَّافِ فِي بِلَادِهِ ، ثُمَّ أَرْتَحَلَ إِلَى تَرِيمٍ لِلْكَسْبِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ ، ثُمَّ طَوَّحَتْ بِهِ
الْغَرِبَةُ إِلَى وَرْدَةِ مَصْبَحٍ - قَرْيَةٍ فِي الْمَشْقَاقِ ، يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الْبُعْدِ - وَكَانَ مِنْ
أَهْلِ الْأَحْوَالِ ، وَكَانَ يَقَابِلُ كُلَّ مَنْ لَقِيَهِ مِنْ أَبْنَاءِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ بِإِجْلَالٍ عَظِيمٍ ،
حَتَّى نَهَاةَ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ هُرْمُز ، وَقَالَ لَهُ : يَا سَالِمُ ؛ إِنَّ كَتَمَ الْحَرَمَةِ لَمَثَلٍ

(١) إِنَّ الْكَرِيمَ طَرُوبٌ : قَالَ فِي « الْمُسْتَقَصَى فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ » (٣٤١ / ١) : (يَرَادُ بِهِ أَنَّ الْأَرِيحِيَّةَ تَهْزُهُ ،
وَلَيْسَ كَاللَّيْمِ الَّذِي تَمَكَّنَتِ الْقِسَاوَةُ وَالْجَفَاءُ مِنْ طَبْعِهِ . . فَهُوَ مِنَ الْمَادِحِ) .

وَالْقِصَّةُ كَمَا فِي « تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ » (٢٦٨ / ٣) ، وَ« الْكَامِلِ » لِابْنِ الْأَثِيرِ (٣٧٤ / ٣) : (لَامِ
مَعَاوِيَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَى الْغَنَاءِ ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَكَانَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ
بَرِيحٌ ، وَكَانَ مَعَاوِيَةُ قَدْ وَضَعَ رِجْلًا عَلَى الْأُخْرَى ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِبَرِيحٍ : إِيَّاهُ يَا بَرِيحُ ، فَتَغْنَى . . فَحَرَّكَ
مَعَاوِيَةَ رِجْلَهُ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : مَهْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنَّ الْكَرِيمَ طَرُوبٌ) .

(٢) الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ سَالِمٍ الشَّوَّافِ ، وَلَدَ بَهَيْنَ سَنَةِ (٩٢٥ هـ) ، تَوَفَّى بِرِيْدَةِ الْمَشْقَاقِ بِبَلَدَةِ يُقَالُ لَهَا :
(وَرْدَةُ مَصْبَحٍ - أَوْ مَسِيحٍ) سَنَةِ (٩٩٠ هـ) ، « الشُّعْرَاءُ » (١٧٧ / ١) (١٧٩) .

هؤلاء أصلح لهم ، وأسلم من الفتنة والاعتزاز ، وأسلم لك من الوقوع في النهي . . اهـ

وقوله : يا سالم موافق لما في « مقال الناصحين » تأليف الشيخ محمد بن عمر
باجمال ، أن أسم الشواف سالم ، لكن الذي في (ص ٥٨ ج ٢) من « المشرع » أن
أسمه : سعيد بن سالم ، كما قدمنا .

ويحتمل أن باهزمر قال له : يا بن سالم ، فسقطت (ابن) .

وفي سنة (٩٠٩ هـ) حدثت معارك بين السلطان عبد الله بن جعفر والد بدر
بوطويرق وبين والي هينن^(١) ، وهو من الظلفان النهديين ، فتوسط الشيخ
عبد الرحمن الأخضر للإصلاح ، فلم يقبل له السلطان كلاماً ؛ لأن ذنب الظلفان إليه
كبير ؛ إذ كانوا هم الذين قاموا على قتل أبيه في بور سنة (٩٠٥ هـ) ، ولم تطل بعدها
مدة السلطان^(٢) ، فعدها هواة الكرامات من جملة ما كان منها للشيخ الأخضر ، أما
الشيخ الأخضر . فقد أظهر المساءة لما انتهى إليه موث السلطان وقال يرثيه :

رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ مَاتَ فِي حِصْنٍ سَمْعُونُ رَحْمَةً وَاسِعَةً فَالْعَفْوُ مَرْجُو وَمَسْهُونُ^(٣)
وَسَمْعُونُ هِيَ : الشَّخْرُ كما سبقَ فيها . وما أدري ، أرثاه عن صحيح محبة ، أم
أراد أن يُبرىء الموقف عن الشِّماتَةِ ليحفظَ خطَّ الرَّجْعَةِ مع أسرته ؟

وفي سنة (٧٩٥ هـ) بُني جامع هينن جميعه^(٤) ، ولا شك أن هذه العمارة كانت
تجديداً ، وإلا . . فهي ذاتُ جُمُوعَةٍ مِنْ قَدِيمِ الزَّمانِ^(٥) .

وفي « سفينة البضائع » للحبيب علي بن حسن العطاس ما يفيد أن آل طاهر بن
راجح خلفوا آل كثير على هينن ، وأن يافعا طردتهم من مصنعتها لتسع خلّت من ربيع

(١) كان ذلك في سنة (٩٠٧ هـ) ، كما في « شنبل » (ص ٢٢٠) ، و « العدة » (١٥٧ / ١) ،

(٢) مات سنة (٩١٠ هـ) ، كما في « شنبل » ، و « بافقيه » ، و « العدة » ، وغيرها .

(٣) والحصن المسمى إليه . . هو حصن ابن عيَّاش المعروف في الشحر ، وقد دفن السلطان عبد الله هذا في
تربة الشيخ سعد الظفاري .

(٤) كذا في بعض نسخ « تاريخ شنبل » ، وفي بعضها : جامع تريم ، كما أشار المحقق لذلك :
(ص ١٥١) .

(٥) ولها ذكر في حوادث (سنة ٦٢٥ هـ) .

ثاني سنة (١١٤٣هـ) ، وكانوا جاروا في هينن . . حتّى لقد نهبوا بيتَ الشَّيخِ سهلِ بنِ أبي بكرِ بنِ إسحاقَ فزالَ ، ولم يَرَجِعْ إلّا بعدَ أن طردتهم يافعُ ، وساروا بعدَ جلائهم مِن هيننَ إلى صنعاء .

ولا يزالُ بهيننَ كثيرٌ من الآثارِ والكتابةِ بالمُسندِ على الأحجارِ .

وفيها حصنٌ كِنْدَةُ القَدِيمِ الَّذِي كَانَ يَسْكُنُهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ ، وكان يخرُجُ منه ألفٌ وخمس مئةِ فارسٍ بِشَكَّتِهِمْ ، ويُطْلَقُ عليه اليَوْمُ : حصنُ فرحة .

ومن قري الكَسْرِ : شَرِيفُ^(١) ؛ لآلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وغَنِيمة آلِ عَبري : منهم أحمد بن سالمين بن علي بن عامر . وجُوة الخِناقِ ، وسُكَّانُها : آلُ صائِلٍ مِن نَهْدٍ .

وفي جنوبِها : باحسانَ ، سُكَّانُها : آلُ طاهرٍ ، منهمُ الشَّيخُ الفاضلُ عامرُ بنُ طاهرٍ بنِ نَهْدٍ^(٢) في مباسا آلانَ يحبُّ العلماءَ والمتعلِّمينَ ، ولا يُقَصِّرُ في إعانةِ المُنكوبينَ ، وإكرامِ الواردينَ ، ويساعدهُ أخوهُ عبدُ اللَّهِ بنُ نَهْدٍ ، وصهرُهُ فرجُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ طاهرٍ وهو شابٌّ متحرِّكٌ .

ومنهم : رجلٌ يُقالُ لَهُ : يَسْلُمُ بْنُ عَدِيانَ ، لَهُ أخبارٌ هائلةٌ منها : أَنَّ آلَ حَوِيلٍ بَنَوْا كوتاً على مَقرِبةٍ من أموالِ آلِ طاهرٍ ، فلمَّا سَقِيتَ مِنَ السَّيْلِ . . أرادوا حرثَها فمَنَعَهُم آلُ حَوِيلٍ ، وتوسَّطَ بعضُ المشايخِ آلُ إِسحاقَ ، فلم يقبلوا لَهُ كلاماً ، فلم يَكُنْ من يَسْلَمَ إلّا أَن خرجَ في نحرِ الظَّهيرةِ معتمداً على معنقةِ بندقيتهِ ، حتّى وصلَ بابَ الكوتِ ، فنادى الَّذِي يُرْتَبُهُ - واسمُهُ كريد - فلمَّا أَشرفَ مِنَ النَّافِذةِ . . أطلقَ عليه الرِّصاصَ ، فوقعَ ما بينَ عينيهِ ، فسقطَ يتشخَّطُ ، فكسرَ بابَ الكوتِ وأستولى عليه ، وأطلقَ ثلاثَ

(١) وهي غير (شريف) الآتية التي في وادي عِدَمِ قرب تريم .

(٢) كان الشَّيخُ عامر بن نَهْدٍ من أهل المروءة والكرم ، وله اتصال قوي ومتين بجناب السيد العلامة المعمر الحبيب عمر بن أحمد بن سميح مفتي جزر القمر ، المتوفى سنة (١٣٩٦هـ) ، وأيضاً بالسيد العلامة الحبيب أحمد مشهور الحداد ، وكان يقيم المجالس الكبيرة الحافلة في عدد من المناسبات ، وكان المصنف قد تعرف به عندما ورد مباسا إبان تصنيف هذا الكتاب ، وقام به المذكور المقام التام .

طلقاتٍ إلى نحوِ آلِ حويلٍ ، فظنُّوه صاحبهم يريدُ ماءً ، فسَيَّروهُ لَهُ معَ ثلاثٍ مِنْ نسائِهِمْ ، فلمَّا أَقْتَرَبْنَ مِنْهُ . . قَالَ لَهُنَّ : قُلْنَ لِأَصْحَابِكُمْ : تَعَالَوْا لِمَيْتِكُمْ ، وَأَمَّا الْكُوْثُ . . فَقَدْ أَسْتَوْلَى عَلَيْهِ عَدُوْكُمْ . وَلَوْ سَكَّتْ . . لَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ .

ومنهُم رجُلٌ يُقَالُ لَهُ : الْقَوِينَص ، أَصَابَ دَمًا فِي آلِ سَعْدُونَ . . فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى الثَّأْرِ مِنْهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَجَاعًا لَا يَطَاقُ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ أَرْضَوْا بَعْضَ الْخَوْنَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْتُقُوْذِ بِمَا شَاءَ مِنْ أَلْمَالِ فَأَكَمَّنَهُمْ فِي دَارٍ ، ثُمَّ أَسْتَدْعَاهُ مَخْفُورًا بِعَبْدِيهِ ، وَبِمَجْرَدِ دُخُولِهِ الدَّهْلِيْزَ . . أَطْلَقُوا الرِّصَاصَ عَلَيْهِ ، فَوَقَعَ مَيِّتًا ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي حَدُودِ سَنَةِ (١٣٤٢ هـ) .

وفي جنوبِ الْقَارَةِ : الْقُفْلُ ، لآلِ مُنَيْفٍ . ثُمَّ : شِرَاح ، لَهُمْ . ثُمَّ : لَخْمَاس ، لَهُمْ أَيْضًا ، وَقَدْ مَرَّتْ هَذِهِ فِي عَمْدٍ ، لِأَنَّهَا كَمَا تُعَدُّ مِنْهُ . . تُعَدُّ مِنَ الْكَسْرِ أَيْضًا .
وفي جنوبِهَا : حَوْطَةُ الْكَيْدِ شَيْخِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ ، وَهِيَ مَفْرُقُ الطَّرْقِ إِلَى عَمْدٍ ، وَدُوعَنْ ، وَالْكَسْرِ ، وَوَادِي الْعَيْنِ .

وفي جنوبِهَا : بَخْرَانُ^(١) ، لآلِ ثَابِتٍ ، وَهُوَ فَلَاةٌ وَاسِعَةٌ لَا حَجَرَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ . فِيهَا كَانَ أَنْهَزَامُ السُّلْطَانِ بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَثِيرِيِّ مِنْ جَيْشِ الصَّفِيِّ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ ، سَنَةِ (١٠٧٠ هـ) .

وفيهَا كَانَ أَنْهَزَامُ السُّلْطَانِ عَمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ الْكَثِيرِيِّ مِنْ يَافِعَ ، آخِرَ سَنَةِ (١١١٧ هـ)^(٢) ، وَلِهَذَا كَانَتْ مُضْرَبُ الْمَثَلِ . . فَقِيلَ : (أَيْنَ بَكَ يَا شَارِدَ بَخْرَانَ) .

وفي (الْحِجَازِ) مَكَانٌ عَلَى أَسْمِهَا ، فِيهِ مَعَادُنُ ، قَالَ أَبُو هِشَامٍ : (قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : ثُمَّ غَزَا حَتَّى بَلَغَ بَخْرَانَ - مَعْدَنًا بِالْحِجَازِ مِنْ نَاحِيَةِ الْفَرَجِ - فَأَقَامَ بِهَا شَهْرَيْنِ^(٣) ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا) اهـ^(٤) .

(١) بخران : موضع معروف بالكسر .

(٢) ينظر : « تاريخ الدولة الكثرية » ، و« العدة المفيدة » .

(٣) وهما شهرًا : ربيع الآخر وجمادى الأولى .

(٤) سيرة ابن هشام (٣/ ٣١٣) .

وَنَقَلَهُ ياقوتُ في « معجمه » [٣٤١/١] وزادَ عليه ، ولهذا الْمَعْدِنِ ذِكْرٌ في « مجموع النُّوَيِّ » و« أَصْلِهِ » .

وفي جنوبِ بَخْرانِ إِلَى شَرْقِي : دارُ أبنِ صَرِيْمانَ ، مِنْ آلِ ثابِتٍ ، فوقَ الْمُضْلَعَةِ الَّتِي مِنْ وادي دَوْعَنَ إِلَى الْكَسْرِ .

قُعُوضُهُ

هِيَ فِي جنوبيِّ هِنَنْ فِي حَضَنِ الْجَبَلِ ، وَهِيَ سَوْقٌ عَظِيمٌ ، تَرْدُهَا الْقَوافلُ مِنْ صِنْعاءَ ، وَالْجُوفِ ، وَبِيحانَ ، وَمَرْخَةَ ، وَنَصابَ ، وَنجرانَ ، وَغَيرِها .

وَفِيها آلُ عَجاجٍ^(١) ، وَرِئِيسُهُمْ : الشَّيْخُ أَمبارُكُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، شَيْخٌ مَجْرَبٌ خَبِيرٌ ، ثابِتُ الْعَقِيدَةِ فِي الدِّينِ ، حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ^(٢) ، لَهُ شِهامَةٌ وَمِروءَةٌ ، وَشِمالُ عَرَبِيَّةٌ ، وَمُحافِظَةٌ عَلَى الشَّعائِرِ الدِّينِيَّةِ .

وَأَمَّا نَسَبُهُمْ : فَقَدْ قالَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ عَمْرُ بْنُ يوسُفَ بْنِ عَمَرَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ رَسولٍ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٩٦ هـ) فِي كِتابِهِ « طَرَفَةُ الْأَصْحابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَنْسابِ » - وَهُوَ الَّذِي سَمَّاهُ صَاحِبُ « الثَّاجِ » فِي خُطْبَتِهِ [ص ٩] : « تَحْفَةُ الْأَحْبابِ » ، أَوْ هُما كِتابانِ ، أَحَدُهُما مُختَصَرٌ مِنَ الْآخِرِ - : (مِشايِخُ حَضَرَمَوْتَ يَرْجِعُونَ إِلَى بَطْنينِ ، هُما : نَهْدٌ وَمَذْجٌ)^(٣) .

ثُمَّ قَسَمَ نَهْداً بِالْإِطْلاقِ الْأَوَّلِ إِلَى عِدَّةِ قَبائِلَ ، وَلَكِنْ لَمْ يَبْقَ اسْمُ نَهْدٍ فِي الْأَخِيرِ إِلَّا خَاصّاً بِقَبائِلِ الْكَسْرِ .

(١) آل عَجاج : قَبيلة من نَهْد إحدى أكبر قبائل المنطقة ، اشتهروا بتولي القضاء القبلي بالمنطقة ، ويعملون على الإصلاح والوساطة بين العشائر ، ولذا يلقبون : (الْحُكَّمان) (جمع) (حَكَم) . ومن سكان قُعُوضه غير آل عَجاج : آل بامطرف ، وآل بن سنكر وغيرهم .

(٢) حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ : مُستعار من حَلَب أَشْطَرِ النَّاقَةِ ، وذلك إِذا حَلَبَ خَلْفينِ من أَخْلافِها ، ثُمَّ يَحلبُها الثَّانِيَةَ خَلْفينِ أَيضاً . والمعنى : أَنَّهُ اختبر الدَّهْرَ ، شَطْرِي خَيْرِهِ وَشَرُّهُ ، فَعَرَفَ ما فِيهِ . يضرب : فِيمَنْ جَرَّبَ الدَّهْرَ .

(٣) « الطَّرْفَةُ » (١٣٥ - ١٣٦) .

وفي « التَّاج » و« أَصْلِهِ » : (إِطْلَاقُ نَهْدٍ عَلَى قَبِيلَةٍ مِنْ قَضَاعَةٍ ، وَعَلَى أُخْرَى مِنْ هَمْدَانَ) .

وقدِ اسْتَقْرَبْنَا أَنَّ تَكُونَ هَذِهِ هِيَ مِنْ نَهْدٍ قُضَاعَةٌ ؛ لِاتِّصَالِهَا بِوَادِي عَمْدٍ وَهُوَ وَادِي قَضَاعَةٍ ، وَلَوْلَا أَنَّ الْمَلِكَ الْأَشْرَفَ جَعَلَ نَهْدَ حَضْرَمَوْتَ مِنْ قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ . . لَقُلْنَا : إِنَّ نَهْدَ الْكَسْرِ مِنْ قَضَاعَةٍ ، وَنَهْدَ هَمْدَانَ مِنْ هَمْدَانَ ، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ ، كَمَا يُعْرَفُ مِمَّا يَأْتِي فِي الْقَارَةِ وَشِبَامِ .

وللأشرف أغلاط كثيرة لم نتعقبها ، ومنها هنا : إِغْفَالُهُ لِكِنْدَةٍ وَحَضْرَمَوْتَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ الْقَبَائِلِ الَّتِي لَا تَزَالُ بِلَادَ حَضْرَمَوْتَ مَلَأَى بِأَعْقَابِهِمْ ، وَفِيهِمُ الْمَشَائِخُ الْبَارِزُونَ .

ومرجعُ نَهْدِ الْكَسْرِ إِلَى عَمْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ شَمَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ الْرَّوْضَانِيِّ الْنَهْدِيِّ ، وَإِلَى عَامِرِ بْنِ فَضَالَةَ بْنِ شَمَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ الْرَّوْضَانِيِّ الْنَهْدِيِّ ، وَهُوَ الْمُرَادُ مِنَ الْمَثَلِ الْحَضْرَمِيِّ السَّائِرِ : (مَا كَانَ عَامِرُ تَسْوَقَ) ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهْمَةَ قَتَلَتْهُ سَنَةَ (٨٨٢ هـ) وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ السُّوْقِ ، وَقَبْرُهُ فِي شَرْقِيِّ الْجَامِعِ الْقَدِيمِ بِحِثْمِ هَيْنَ .
وَرَوْضَانُ يَجْمَعُ آلَ ثَابِتٍ ، وَآلَ عَجَّاجٍ ، وَآلَ مَقِيزِحٍ ، وَآلَ نَفِيرٍ ، وَآلَ عَبْدِ اللَّهِ ، وَآلَ بَدْرِ .

وَبَقِيَّةُ نَهْدٍ يَنْقَسِمُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : الْمَقَارِيمُ ، وَالظُّلْفَانُ ، وَبَنُو يَزِيدٍ مَجْلَفٍ .
وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُ سَدْبِهِ وَحُورِهِ وَأَعْمَالِهِمَا ، وَكُلُّهُمَا مِنَ الْكَسْرِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْنَاهُمَا هُنَا لِاتِّصَالِهِمَا بِوَادِي الْعَيْنِ وَشَرْبِهِمَا مِنْ مِيَاهِهِ .

وسَيَأْتِي فِي الْقَارَةِ عَنْ نَهْدٍ مَا لَهُ اتِّصَالٌ بِمَا هُنَا ، وَقَالَ بَاحْلَوَانٌ فِي « رَشِيدَةِ الْأَخْوَانِ » : (بَنُو نَهْدٍ بَنُو زَيْدٍ بَنِي رِبْعَةٍ بَنِي مُرَادٍ بَنِي أَسْلَمَ بَنِي الْحَافِ بْنِ قُضَاعَةٍ . . هَاجَرُوا مِنَ الْيَمَنِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَسَكَنُوا الْعُرُوضَ ، وَوَالِي حَضْرَمَوْتَ لَذَلِكَ الْعَهْدِ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ رَاشِدٍ الْحَمِيرِيُّ ، وَكَانَتْ بِلَادُهُمْ مِنَ الْعَجْلَانِيَّةِ إِلَى الْعُرُوضِ ، وَمِنْ لَحْمَاسٍ إِلَى أَعْلَى سَدْبَةٍ ، وَكَانَتْ فِيهَا حَدَائِقُ وَزُرُوعٌ وَنَخْلٌ وَعَنْبٌ وَسَدْرٌ .

وَكَانَتْ وَلَايَةُ حَضْرَمَوْتَ الْوَسْطَى - شِبَامَ وَتَرِيمَ وَمَا بَيْنَهُمَا - لآلِ رَاشِدِ الْحَمِيرِيِّينَ ،

ولمّا ضعفَ سلطانُها . . أَسْتَجَدَّ الْأَهَالِي بِنَهْدٍ ، وطرَدَت بني راشدٍ ، وظَلَّتْ نَهْدٌ تحكُمُ
حَضْرَمَوْتَ إِلَى تَرِيمٍ .

ثمَّ جاءت سيولُ هائلةٍ أَضْرَّتْ بِالْدِّيَارِ وَالْأَشْجَارِ ، وتَلَفَ الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ فِي
الْعَرُوضِ ، فَأَضْطَرَّتْ نَهْدٌ إِلَى مَغَادِرَةِ تَرِيمٍ وَشِبَامٍ وَالْعُودَةِ إِلَى بِلَادِهَا ، وتركوا أَمْرَ
حَضْرَمَوْتَ أَلَوْسَطَى لِعَلِيِّ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَسْعُودٍ ، فَأَغْتَنَمَتِ الْفُرْصَةَ بَنُو رَاشِدٍ ، وَكَانَ أَبْنُ
مَسْعُودٍ لَا يَقْدِرُ عَلَى مَقَاوِمَةِ بَنِي سَعْدٍ وَبَنِي رَاشِدٍ ، فَسَلَّمَ شِبَامَ لِبَنِي سَعْدٍ وَتَوَجَّهَ
بِعَسْكَرِهِ إِلَى الْأَهْجَرِينَ ، وَتَخَلَّتْ نَهْدٌ عَنْ تَرِيمٍ وَشِبَامٍ - ذَاتِ الْثَّرْوَةِ - وَقَنَعَتْ بِقَعُوضَةٍ
وَمَا إِلَيْهَا) اهـ بَنُوْعٍ مِنْ أَخْطَصَارٍ ، وَفِي « الْأَصْلِ » تَفَاصِيلُ مَا جَرَى بَيْنَ الْقَبَائِلِ
الْمَذْكُورَةِ وَالْغَزَى وَغَيْرِهِمْ .

الظَّاهِرُ

هِيَ فِي شَرْقِي قُعُوضِهِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ ، وَفِيهَا يَقُولُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ
الْمِخْضَارُ لَمَّا زَارَهَا فِي أَيَّامِ الْحَرْبِ لِلْإِصْلَاحِ بَيْنَ نَهْدٍ فَلَمْ يَنْجَحْ :

يَا الظَّاهِرَةَ جِيْنَاشَ لِلْمِقْدَازِ وَالْبُعْدَ قَرَيْنَا مُيُوحَةَ^(١)
وَالْقَبُولَةَ مَا طَعَمَهَا إِلَّا قَارَ مَاشِي مَصْلَخٍ مِنْ جُبُوحَةِ^(٢)

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي « النَّجْمِ الْمَضِيِّ لِنَقْدِ عَبْقَرِيَّةِ الرَّضِيِّ » أَنَّ هَذَا مِثْلُ قَوْلِ حَبِيبٍ [أَبِي

نُثَامٍ فِي « دِيْوَانِهِ » ٢١/٢ مِنْ الْكَامِلِ] :

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ لَا تَرَى مُشْتَارَهُ يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْخَنْظَلِ^(٣)

مَعَ يَقِينِي أَنَّ أَلْعَمَّ حُسَيْنًا لَمْ يَطْلُعْ عَلَى بَيْتِ حَبِيبٍ قَطُّ ، وَإِنَّمَا هُوَ دَلِيلٌ لِمَا أَقْرَرُهُ مِنْ

(١) الميُوح والميُوح (عامية) معناها : الجهة وقطع المسافة ، والمعنى ظاهر .

(٢) الجُبُوح - جمع جَبَح - وهو : وعاء قُرْصِ الْعَسَلِ .

(٣) الشَّهْد : الْعَسَل . الْمُشْتَار : الَّذِي يَجْنِي الْعَسَلِ .

فُحُولَةُ الشَّعْرِ الحَضْرَمِيِّ الْعَامِيِّ ، وَقُوَّةُ مَتْنِهِ وَشِدَّةُ أَسْرِهِ^(١) .

ولقد كانتِ الْقَبَائِلُ تَضْرِبُ أَبَاطَ الْإِبِلِ مِنْ نَوَاحِي حَضْرَمَوْتَ الْمَتْرَامِيَّةِ إِلَى حُكَّامِ نَهْدٍ فِي قَعُوضَةٍ وَالظَّاهِرَةِ وَالْقَارَةِ ، وَلَا يَدْخُلُ مَنْ كَانَ كَبِيرًا مِنْهُمْ فِي نَفْسِهِ إِلَّا فِي حَفْلٍ وَزَفَافٍ ، فَتَقَابَلُهُ نَهْدٌ بِمِثْلِهِ لِلتَّرْحِيبِ ، وَيَتَبَادَلُونَ الْأَشْعَارَ الطَّبِيعِيَّةَ ، وَيُشْرَحُونَ فِيهَا مَا يَخْتَلِجُ بِصُدُورِهِمْ وَمَا يَهْجُسُ عَلَى خَوَاطِرِهِمْ بَيْنَ طَلَقَاتِ الْبِنَادِقِ الدَّأْوِيَّةِ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ يَافِعٍ تَرَاغَعُوا إِلَى ابْنِ عَجَّاجٍ فِي مَهْمَةٍ كَبْرَى ، فَقَالَ شَاعِرُهُمْ :

مَا شِي بَقَشْ مَا شِي بَقَشْ مِنْ لِي يَهْزُونِ النَّمَشْ^(٢)
يَافِغْ كَمَا نَابِ الْخَنَشْ مَقْبُوصُهُمْ مَا لَهُ طَيِّبْ^(٣)
فَلَمْ يَنْلَعْ النَّهْدِيُّ رِيقَهُ حَتَّى قَالَ :

مَا فِي قُعُوضَةٍ شِي وَخَشْ أَوْعَالٍ فِي رُوسِ الْحَمَشْ^(٤)
لَوْ تَغْدِي الْأَعْظَامَ طَشْ قُوسٌ عَلَى الْحُكْمِ الصَّلِيبْ^(٥)

وَرَبَّمَا نَظَّمَ الْمَدْعَى دَعَاؤَهُ فِي تِلْكَ الْأَرَاجِيزِ فَيُجِيبُ خَصْمُهُ عَلَى غِرَارِ قَوْلِهِ ، وَأَتْيَا عَلَى أَطْرَافِ الْجَرَحِ وَالْتَرْكِيزِ فِي أَشْعَارِهِمْ . ثُمَّ يَصُبُّ حُكْمُ الْحَاكِمِ النَّهْدِيِّ فِي قَالِبِ الْبَحْرِ وَالْقَافِيَةِ ، فَلَا يَنْتَهَوْنَ إِلَى دَارِ الْحَاكِمِ حَيْثُ تُمَدُّ الْأَنْطَاعُ وَتُبْسَطُ الْمَوَائِدُ . إِلَّا

(١) للسيد الأستاذ محمد بن هاشم ثلاث مقالات عن الشعر العامي الحضرمي نشرت في مجلة «الإخاء» لسان حال جمعية الأخوة والمعونة بتريم في الأعداد الأولى لعام (١٣٤٧هـ) ، وهي في «مجموع مقالات ابن هاشم» .

(٢) البقش : الفلوس = الدراهم = النقود = العددي .

(٣) المقبوص : الملسوع .

(٤) وخَشْ : لعله يعني الظلم أو التعدي . وروس الحمش : أعالي الجبال .

(٥) تغدي : تصبح . قوس : تمسك ؛ أي : حكمنا نافذ ولو أصبحت عظامنا مهشمة ، فتمسك به فهو الحكم الصائب .

وقد انفصلت القضية بالقضاء المبرم ، الذي لا ينفذ إليه استئناف ، ولا يرقى إليه طعن ، ولا تعلق بذيله غميصة^(١) .

تلك هي حال نهدي فيما غبر ، أما الآن . . فلا أدري ما الخبر!! أليس أولئك على هذا الصنيع البديع أحق بقول البحرني [في «ديوانه» ٣١٢/٢ من الكامل] :

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخُطْبِ اعْتَلَى فَصَلَ الْقَضِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ

وقد ذكرنا في «العود الهندي» بعض حديث هذبة بن الخشرم ، وأنه لما حُمِلَ إلى معاوية . . قال له : قل يا هذبة . . قال : أكلاماً أم شعراً تريد؟ قال معاوية : بل شعراً ، فأرتجل هذبة قصيدة يقول منها :

رُمِينَا فَرَامِينَا فَصَادَفَ رَمِينَا مَنَائِيَا رَجَالٍ فِي كِتَابٍ وَفِي قَدَرٍ

فقال له معاوية : أراك أقررت يا هذبة . . إلى آخر القصيدة المناسبة لما نحن فيه ، بما جاءت به من وصف الأمر في الشعر .

وقد اختصم حيّان من العرب في ماء من مياههم إلى والي المدينة من قبل يزيد بن عبد الملك - وهو عبد الرحمن بن الضحاك الفهري - وكان مصاهراً لأحد الحيين ، فبرك بين يديه شيخ من الحيين الآخر وهو سنان بن الفحل الطائي فقال [من الوافر] :

تَعَسَّفْتُ الْمَفَاوِزَ وَأَشْتَكَيْتُ	إِلَى الرَّحْمَنِ ثُمَّ إِلَى أَمِيرِي
وَلَوْ أَنِّي ظَلَمْتُهُمْ أَنتَهَيْتُ	رَجَالاً طَالِبُونِي ثُمَّ لَجُّوا
وَبِالرَّحْمَنِ صِدْقٌ مَا أَدَّعَيْتُ	رَجَوًا فِي صَهْرِهِمْ أَنْ يَغْلِبُونِي
وَرَبِّي مَا جُنَيْتُ وَلَا أَنْشَيْتُ	وَقَالُوا قَدْ جُنَيْتَ فَقُلْتُ كَلًّا
مِنْ الظُّلَمِ الْمُبِينِ أَوْ بَكَيْتُ	وَلَكِنِّي ظَلَمْتُ فَكَيْدْتُ أَبْكِي
وَبِثْرِي ذُو حَفَرْتُ وَذُو طَوَيْتُ	فَإِنَّ الْمَاءَ مَاءُ أَبِي وَجَدِّي

وقد خرج بخضوعه عن عادة العرب من التمدح بالقسوة والجلادة ، وهي تُعِيرُ

(١) الغميصه : الاستحقار والتقص .

الرَّجَالَ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، أَمَّا النِّسَاءُ . . فَلَا ، وَلِهَذَا اسْتَحْسَنُوا مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْأَحْجَمِ أَنْ
قَالَتْ بَعْدَ مَا لَانَ جَانِبُهَا ، وَغَابَ نَاصِرُهَا :

قَدْ كُنْتُ لِي جَبَلًا أَلُوذُ بِظِلِّهِ فَتَرَكْتَنِي أَمْشِي بِأَجْرَدَ ضَاحِي
قَدْ كُنْتُ ذَاتَ حِمِيَّةٍ مَا عِشْتُ لِي أَمْشِي الْبَرَّاحَ وَكُنْتُ أَنْتَ جَنَاحِي
فَالْيَوْمَ أَخْضَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَّقِي مِنْهُ وَأَذْفَعُ ظَالِمِي بِالرَّاحِ
وبها تمثَّلت سَيِّدَتُنَا فَاطِمَةُ - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهَا - بَعْدَ وَفَاةِ أَبِيهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ .

فَمِيلَ بَيْنَ مَا يَكُونُ مِنْ أَحْكَامِ الْعُصُورِ الْأُولَى ، وَمَا سَمِعْتَ عَنْ نَهْدٍ - وَمَا بِالْعَهْدِ
مِنْ قَدَمٍ - وَبَيْنَ مَا يَكُونُ مِنْ قِضَاةِ الْمَحَاكِمِ الْيَوْمَ . . يَنْكَسِرُ ذِرْعَكَ وَيَتَبَادَرُ دِمْعُكَ ؛ إِذْ
يَكُونُ غَدُوُّ الدَّعْوَى شَهْرًا وَرَوَاحُهَا مِثْلُهُ ، بَلَا دَلِيلٍ مِنْ فَقِهِ ، وَلَا مَبْرَرَ مِنْ شَرِيعٍ ،
وَلَكِنَّهَا الْأَغْرَاضُ الْمُخِلَّةُ ، وَالْجِهَالَةُ الْمُضِلَّةُ ، وَلَا يَنْكُرُ أُنْدَفَاعُ النَّقْضِ عَنْ أَحْكَامِ نَهْدٍ
لِذَلِكَ الْعَهْدِ مَعَ عَدَمِ الرُّوْيَةِ ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ مِثْلُ الصَّدَقِ أَبْلَجُ ؛ وَالصَّادِقُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى
تَفَكُّرٍ وَلَا إِلَى تَذَكُّرٍ ، وَكَذَلِكَ الْعَادِلُ لَا يَطِيفُ بِحُكْمِهِ إِلَّا الْتِمَحُلُ الَّذِي لَا يَنْفَقُ عِنْدَ
أَهْلِ الْإِنْصَافِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ الْأَحْكَامُ مِثْلَمَا قَالَ الْأَعَشَى [فِي « دِيَوَانِهِ » ٢٩١ مِنْ الطُّوِيلِ] :

تَعَالَوْا فَإِنَّ الْحُكْمَ عِنْدَ ذَوِي الْكُنْهَى مِنَ النَّاسِ كَالْبَلْقَاءِ بَادٍ حُجُولُهَا^(١)

ولقد شهدتُ أَجْتِمَاعَ الْحُمُومِ بِالشَّخْرِ فِي سَنَةِ (١٣٣٣ هـ) مُتَنَازِعِينَ فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْقَضَايَا الْمَهْمَةِ الَّتِي حَارَ فِيهَا السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ حَامِدٍ ، فَقَالَ لَهُ حَبْرِيشُ : رُدَّهَا إِلَيَّ وَأَنَا
أَحْكُمُ فِيهَا عَلَى شَرْطَيْنِ :

أَحَدُهُمَا : أَنْ تَجْعَلَ لِي أَلْفَ رِيَالٍ .

وَالثَّانِي : أَنْ أَضَعَ أَنَا أَلْفَ رِيَالٍ ، فَإِنْ نَقَضَ حَكْمِي شَرْعٌ أَوْ عُرْفٌ . . كُنْتُ فِي حِلٍّ
مِنْ أَلْفِي .

فَامْتَدَّ عُنُقِي لِذَلِكَ الْبُدُويِّ الَّذِي لَمْ أَعْرِفْهُ مِنْ قَبْلُ ، وَأكْبَرْتُ تَحْدِيثَهُ لِلشَّرْعِ ، وَقُلْتُ

(١) البلقاء : الفرس التي في لونها بياض وسواد . الحجل : البياض في قوائم الفرس .

لَهُ : هَبَكَ أَمِنْتَ النَّقْصَ مِنْ جِهَةِ الْعُرْفِ وَالْعَادَةِ ؛ لِإِتْقَانِكَ لَهَا ، فَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ مِنْ
جِهَةِ الشَّرْعِ ، أَفْتَعْرِفُهُ ؟

فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي سَاحَكُمُ بِالْعَدْلِ ، وَالْعَدْلُ لَا يَتَغَيَّرُ ، وَلَا يُمَكِّنُ نَقْضَهُ بِحَالٍ .
فَاكْبَرْتُ مَا فِي طَيِّ تِلْكَ الْأَسْمَالِ الْبَالِيَةِ^(١) وَتَحْتَ تِلْكَ اللَّحِيَةِ الشَّعْثَةِ مِنَ الْحِكْمَةِ
الَّتِي أَبْتَعَدْتُ عَنْ مَجَالِسِ الْقَضَاةِ الْيَوْمَ ، وَزَادَنِي ذَلِكَ تَصْدِيقاً لِقَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ
وَجْهَهُ : (الْعِلْمُ نَقْطَةٌ ، وَإِنَّمَا وَسَّعَتْهُ آرَاءُ الْجَهَّالِ) أَوْ مَا هَذَا مَعْنَاهُ .

وَقَدْ قَالَ زَهِيرٌ فِي جَاهِلِيَّتِهِ [مِنْ الْوَانِزِ] :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ
فَكَانَ ابْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِمَقَاطِعِ الْحَقِّوِقِ مِثْلَمَا تَعَجَّبْتُ
مِنْ خَبَرِيش .

وَرَوَى الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ^(٢) - وَكَانَ جَاراً لِقَاضِي مِصْرَ بَكَّارِ بْنِ قَتِيْبَةٍ^(٣) - أَنَّهُ مَرَّ
بَبَيْتِ بَكَّارٍ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا
نَسُوا يَوْمَ الْمِيسَابِ ﴾ قَالَ : ثُمَّ أَنْتَبَهْتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَسَمِعْتُهُ يُكْرِّرُهَا .

وَقَدْ كَانَ بَكَّارٌ مِنْ أَعْدِلِ الْقَضَاةِ حُكْماً ، وَأَشْرَفِهِمْ مَوْقِفاً ، وَلَمَّا حَبَسَهُ أَحْمَدُ بْنُ
طَوْلُونَ . . أَسْتَرَدَّ مِنْهُ مَا أَعْطَاهُ - وَقَدَّرَهُ عَشْرَةَ آلَافٍ دِينَارٍ - فَأَلْفَاهَا بِخَتْمِهَا ، لَمْ يَمَسَّهَا
زُهِدًا وَرَعًا .

(١) الْأَسْمَالُ : الثِّيَابُ الْبَالِيَةُ .

(٢) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ سَهْلٍ الْهَرَوِيُّ ، وَهَذِهِ الْقِصَّةُ رَوَاهَا أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْمُقَرِّي فِي « فَوَائِدِهِ » قَالَ : سَمِعْتُ
مُحَمَّدَ بْنَ بَكْرٍ الشَّعْرَانِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ سَهْلٍ الْهَرَوِيَّ يَقُولُ : . . إلخ .

(٣) هُوَ بَكَّارُ بْنُ قَتِيْبَةٍ ، مِنْ ذُرِّيَةِ الصَّحَابِيِّ أَبِي بَكْرَةَ الثَّقَفِيِّ ، الْبَكْرَاوِيِّ ، وَلِدَ سَنَةَ (١٨٢ هـ) ، وَتَوَفَّى سَنَةَ
(٢٧٠ هـ) ، حَنْفِيٌّ ، تَفَقَّهُ بِهَلَالِ بْنِ يَحْيَى وَعِيسَى بْنِ أَبَانَ ، وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي دَاوُدَ الطَّيَالِسِيِّ قَالَ
أَبُو عَمْرٍو الْكَنْدِيُّ : وَسَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ سَلَامَةَ يَقُولُ : تُعْرَفُ الْإِجَابَةُ عِنْدَ قَبْرِ بَكَّارِ بْنِ قَتِيْبَةٍ .
تُرْجِمَتُهُ فِي : « الْوَلَاةُ وَالْقَضَاةُ » لِأَبِي عَمْرٍو الْكَنْدِيِّ (٤٧٧) ، « رَفْعُ الْإِصْرِ » لِلْحَافِظِ ابْنِ حَجَرٍ
الْعَسْقَلَانِيِّ ، وَ« السَّيْرُ » لِلذَّهَبِيِّ .

وما كَانَ حَبْسُهُ - وَإِنْ كَانَ لَهُ سَبَبٌ مَعْرُوفٌ - إِلَّا نَاشِئاً عَنِ الْحَسَدِ ؛ بِأَمَارَةٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُ : غَرَّكَ قَوْلُ النَّاسِ : مَا فِي الدُّنْيَا مِثْلُ بَكَارٍ .

وقِيلَ للقاضي إسماعيلَ بنِ إِسْحَاقَ المَالِكِيِّ^(١) : أَلَا تَوَلَّيْتُ كِتَاباً فِي آدَابِ الْقَضَاءِ ؟ فقالَ : وهل للقضاءِ من أدبٍ غيرِ العدلِ ؟ اعدلْ ومُدِّ رِجْلَيْكَ فِي مَجْلِسِ الْقَضَاءِ . أو ما هَذَا معناه . فمَثَلٌ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا أَسْلَفْنَاهُ عَنِ الْقَضَاءِ فِي الْمَكْلَأِ .

وقالَ سَعِيدُ بْنُ شَرِيكَ فِي خُطْبَتِهِ : (أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْإِسْلَامَ حَائِطٌ مَنِيعٌ ، وَبَابٌ وَثِيقٌ ، فَحَائِطُهُ الْحَقُّ ، وَبَابُهُ الْعَدْلُ . وَلَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ مَنِيعاً مَا أَشْتَدَّ السُّلْطَانُ ، وَلَيْسَ شِدَّتُهُ الْقَتْلُ بِالسَّيْفِ ، وَالضَّرْبُ بِالسَّوْطِ ، لَكِنْ قَضَاءٌ بِالْحَقِّ وَأَخْذٌ بِالْعَدْلِ) .

وقوله : (اعدلْ ومُدِّ رِجْلَيْكَ . إلخ) شَبِيهٌ بِمَا يُؤَثَّرُ عَنْ بَعْضِ مُلُوكِ الْهِنْدِ فِي الْمَوْضُوعِ . وَفِي عَهْدِ عَلِيٍّ لِلْأَشْتَرِ مَا نَصَّهُ : ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رِعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ^(٢) ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ ، وَلَا يُحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ ، وَلَا تُشْرَفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقْلَبَهُمْ تَبَرُّماً بِمِرَاجِعَةِ الْخَصْمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ انْتِصَاحِ الْحُكْمِ .

وَيُرَوَّى أَنَّ مَعَاوِيَةَ كَثِيراً مَا يَنْشُدُ إِذَا أَجْتَمَعَ النَّاسُ قَوْلَ سَعِيدِ بْنِ غَرِيضٍ أَخِي السَّمُوعِيِّ [مِنْ السَّرِيعِ] :

إِنَّا إِذَا جَارَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
وَأَغْتَلَجَ الْقَوْمُ بِالْبَابِهِمْ فِي الْمَنْطِقِ الْقَائِلِ وَالْفَاصِلِ
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقّاً وَلَا نُلْطُّ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ

(١) هو القاضي إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد الجهضمي الأزدي المالكي ، ولد سنة (٢٠٠ هـ) ، وتوفي سنة (٢٨٢ هـ) ، وبیت حماد بن زيد هم الذين نشروا مذهب مالك في العراق ، تردد العلم في بيوتهم (٣٠٠) عام ، وكان القاضي إسماعيل هو الباعث للمبرّد على تأليف كتابه « التعازي والمراثي » . ترجمته في « الديباج المذهب » (٩٢) ، « تاريخ بغداد » (٦ / ٢٨٤) .

(٢) تمحكه الخصوم : قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : تجعله ماحكاً ؛ أي : لجوجاً .

وكان عبد الملك يأمر وصيفاً ينشدها على رأسه عندما يجلس للقضاء .
ثم أعلم أنّ في كلّ ربع بني سعد ؛ إذ لا يمكنُ لعدلٍ وجودٌ مع ما مُنيت به المحاكمُ
من الرّيث الذي اتّخذهُ الحُكّامُ والمحامونُ سبيلاً للعيث .
وسُكّانُ الظّاهرة : آل مُقْبِزح الكُنْهَدِيّون . وفي جنوبِها إلى المشرق :

القارةُ

هي قريةُ آل ثابت^(١) ، وإلى جانبِها قارةُ كانَ عليها حصنٌ يقالُ لَهُ : حصنُ قشاقش .
وآلُ ثابتٍ ليوثٌ خفيّةٌ ، وكانَ رئيسُهُم الشَّيخُ عبدُ اللهِ بنُ ثابتٍ توفّي سنةَ
(١٣٢٨ هـ) ، وخلفَهُ ولَدُهُ الشَّيخُ صالحُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ ثابتٍ بنِ سلطانٍ بن عبد الله بن
ثابت بن علي بن فارس بن عقيل بن عيسى بن محمد بن عامر بن فضالة . أحدُ فحولِ
الرّجالِ ، وحُكّامِ العربِ ، وأوّلِي رأيِها ، قتل في الحربِ الّتي جرّتَ بينهم وبين آلِ
عَجّاجٍ ، في ليلةٍ مظلمةٍ ، فسمعَ فيها أصواتَ عبيدِ آلِ عَجّاجٍ . . فخرجَ عليهم بنَفْسِهِ ،
فأبصروه قَبْلَ أن يراهم . . فأطلقوا عليه الرّصاصَ سنةَ (١٣٥١ هـ) فجاءَ موضعَ قولِ
بشّارِ بنِ حزنٍ [من البسيط] :

إِنَّا لَنُرْخِصُ يَوْمَ الرُّوعِ أَنْفُسَنَا وَلَوْ نَسَامُ بِهَا فِي الْأَمْنِ أَغْلَيْنَا

قالَ المبرّدُ [في الكامل ١٥٠ / ١] : هو من الأجدعِ بنِ مسروقٍ [من الطّويل] :
وَأَبْذُلُ فِي الْهَيْجَاءِ وَجْهِي وَإِنِّي لَهُ فِي سِوَى الْهَيْجَاءِ غَيْرُ بَذُولٍ
أو من قولِ القَتّالِ الكلابيّ [من الوافر] :

نُعَرِّضُ لِلطَّعَانِ إِذَا التَّقَيْنَا وَجُوهَا لَا تُعَرِّضُ لِلْسَّبَابِ
وخلفَهُ ولَدُهُ عليُّ بنُ صالحٍ ، شابٌّ نشيطٌ ظاهرُ الشَّهامةِ ، جزلُ الرّأيِ ، كثيرُ
الرّمادِ .

(١) آل ثابت بطن من نهد ، تنسب إليهم هذه القارة وقرية بحران الّتي ذكرها قريبا .

صَوْرَانُ

هي في شَرْقِي الْقَارَةِ وَقُوعُضَةٍ ، وعلى بعضِ أحجارِهِ كتاباتٌ كثيرةٌ بِالْمَسْنَدِ ، وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي التَّارِيخِ .

وقد جاءَ ذِكْرُهَا فِي شَعْرِ أَبِي تَمَّامٍ ، حَيْثُ يَقُولُ فِي هَجَاءِ عِيَّاشِ بْنِ لَهِيْعَةَ [فِي دِيَوَانِهِ ٢٠ / ٢٦٣ مِنْ الْكَامِلِ] :

وَالْمُدَّعِي (صَوْرَان) مَنْزِلَ جَدِّهِ قُلْ لِي : لِمَنْ أَهْنَأْسُ وَالْفَيْئُومُ ؟
وكانت تظهرُ بها نارٌ يَعْبُدُهَا كَثِيرٌ مِنَ الْحَضَرَمِيِّينَ .

وقالَ ياقوتُ : (صَوْرَانُ قَرْيَةٌ لِلْحَضَارِمَةِ بِالْيَمَنِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ اثْنَا عَشَرَ مِيلاً ، خَرَجَتْ مِنْهَا نَارٌ فَثَارَتْ الْحِجَارَةُ وَخُرِقَ الشَّجَرُ ، حَتَّى احْتَرَقَتِ الْجَنَّةُ الْمَذْكُورَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ ﴾ ، وَإِلَيْهَا يُنْسَبُ سُلَيْمَانُ بْنُ زِيَادٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نَعِيمِ الْحَضَرَمِيِّ الصَّوْرَانِيِّ ، مَاتَ سَنَةَ (٢١٦ هـ) ، وَأَبْنُهُ أَبُو يَحْيَى غوثُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، وَلِي قِضَاءَ مِضَرَ . وَأَبُو زَمْعَةَ ، عَرَابِيُّ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَأَبْنُهُ زَمْعَةُ رَوَى عَنْ أَبِيهِ وَغَيْرِهِ (١) اهـ

وقد ترجمَ الْحَافِظُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ زِيَادٍ فِي « تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ » [١٦٨ / ٤] ، وَأَخْرَجَ لَهُ أَبْنُ مَاجَةَ ، وَالتَّرْمِذِيُّ فِي « الشَّمَائِلِ » ، وَوَقَّعَهُ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ .

وقد أَخْطَأَ ياقوتُ فِي قَوْلِهِ : (إِنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ صَنْعَاءَ اثْنَا عَشَرَ مِيلاً) ؛ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، كَمَا سَبَقَ فِي شُبُوهَ ، وَلَا يُمَكِّنُ تَأْوِيلُهَا بِـ (يَوْمًا) ؛ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ ، إِلَّا أَنَّهَا تُقَارَبُ ذَلِكَ ، بَلْ تَزِيدُ عَلَيْهِ بِالْمَرَاكِحِ الْقَصِيرَةِ آلَانَ الَّتِي عَلَيْهَا الْعَمَلُ .

وقد تَوَهَّمَ صَاحِبُ « التَّاجِ » أَنَّهَا مَصْحَفَةٌ عَنْ ضُورَانَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَى مَا فِي « الْمَعْجَمِ » .

وبعدَ هَذَا كُلِّهِ عَرَفْتُ أَنَّ ياقوتَ وَصَاحِبَ « التَّاجِ » وَكَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ خَبَطُوا فِي

(١) معجم البلدان (٣ / ٤٣٣)

ضروانَ خطباً كثيراً ، والذي أصاب كبد الحقيقة فيهما إنما هو ابن كثير ؛ إذ قال في تفسير سورة (ن) : (إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّتَيْنِ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ رضي الله عنه : كانوا من قرية يقال لها : ضروان ، على ستة أميال من صنعاء . ثم نقل عن مجاهد أَنَّ حَزَنَهُمْ كَانَ عَنبًا) اهـ^(١)

فإنَّه موافقٌ لقولِ الهمداني في الجزء الثامن [ص ٦٧] مِنْ « الْإِكْلِيلِ » : (ومخرجُ النَّارِ مِنْ آخِرِ ضَرَوَانَ عَلَى مَا يَقُولُ عِلْمَاءُ الْيَمَنِ . وَالْجَنَّةُ أَقْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى خَبَرَهَا فِي سُورَةِ « ن ») اهـ

وموافقٌ لما يحدثُ به مَنْ شاهدَ أَنَّها على ثلاثِ ساعاتٍ ونصفٍ تقريباً مِنْ صنعاء . وَمِنْ أَثَرِ احْتِرَاقِهَا بِالنَّارِ الْبَاقِي إِلَى الْيَوْمِ : خِفَّةُ حِجَارَتِهَا ؛ لِمَا أَخَذَ مِنْ ثِقَالِهَا لِاحْتِرَاقِ حَتَّى صَارَتْ قَرِيباً مِنَ الْحِجَارَةِ الَّتِي تُحْرَقُ لِلنُّورَةِ فِي خِفَّتِهَا^(٢) .
أَمَّا الْبُغْوِيُّ : فَقَدْ قَارَبَ وَلَمْ يَتَّعِدْ إِلَّا فِي قَوْلِهِ : (إِنَّهَا عَلَى فَرْسَخَيْنِ مِنْ صَنْعَاءَ) وَقَوْلِهِ : (إِنَّ حَزَنَهُمْ كَانَ نَخْلًا)^(٣) ، وَلَيْسَتْ بِذَاتِ نَخْلٍ .

وَأَمَّا صُورَانُ : فَغَيْرُ ضَرَوَانَ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ الهمداني في ذلك الجزء : (جَبَلٌ أَنَسَ بْنِ الْهَانِ بْنِ مَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ أَخِي هَمْدَانَ ، وَهُوَ جَبَلٌ مَنِيْفٌ فَوْقَ بَكِيلٍ) اهـ^(٤)
وَأَمَّا يَاقُوتُ . . فَقَدْ خَلَطَ صُورَانَ الْحَضْرَمِيَّةَ بِضُرَوَانَ الصَّنْعَانِيَّةِ .

وَنَارُ صُورَانَ عَلَى مَا يَقُولُ الْحَضْرَمَةُ : مُتَكَرِّرَةٌ تُعْبَدُ ، بِخِلَافِ نَارِ ضَرَوَانَ الصَّنْعَانِيَّةِ فَإِنَّهَا ظَهَرَتْ لِاحْتِرَاقِ الْجَنَّتَيْنِ ، فَلْيَعْلَمْ ذَلِكَ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ^(٥) .

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٠٧) .

(٢) ويقول بعض الباحثين : ما زالت حجارة ضروان بادية للعيان إلى اليوم على أنها بقايا أرض محترقة .

(٣) « تفسير البغوي » (٤/٣٧٩) .

(٤) الإكليل (٨/٥٨) .

(٥) وههنا ينبغي التفريق بين صوران وضروان . أما صوران - بالصاد المهملة . . فتقدم كلام المصنف عنها آنفاً .

وأما صوران - بالضاد المعجمة - : فجبل مشهور بأنس ، وهو المعروف بالدامغ ، كما سيأتي نقل المصنف ذلك عن الهمداني ، وفي سفحه الشمالي تقع بلدة صوران التي كانت تحمل اسم الحصين ، =

ومن نيرانِ العرب : نارُ الحرّتين ، قالوا : كانت في بلادِ عيسٍ إذا كانَ اللَّيلُ . .
سطعتُ ناراً ، ومتى جاءَ النَّهارُ . . أرتفعت دخاناً ، وربّما خرجَ منها عنتٌ فأحرقَ مَنْ
يمرُّ بها ، فحفرَ لها خالدُ بنُ سنانٍ ودفنَها ، فكانت معجزةً له .

وقالَ ابنُ قتيبةَ : كانت نارُ بأشوافِ اليمَنِ ، لها سَدَنَةٌ ، إذا تفاقمَ الأمرُ بينَ القومِ
فحلفَ بها . . أنقطعَ بينهم ، وكانَ أسمها الهولةُ ، ويقالُ لها أيضاً : هولةُ .

قالَ الكميثُ [مِنَ الطُّويلِ] :

هُمُ خَوْفُونَا بِالْعَمَى هُوَةَ الرَّدَى كَمَا شَبَّ نَارَ الْحَالِفِينَ الْمُهَوِّلُ

وقالَ أوس بن حجر [مِنَ الطُّويلِ] :

إِذَا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ الْمُهَوِّلِ حَالِفُ

وكانَ السَّادُنُ عندما يأتِي الحالفُ . . يضعُ فيها الكبريتَ والمَلَحَ فتتنغصُ ، فيقولُ :
لقد تهددتُكَ ، فإن كانَ مريباً . . نكلُ ، وإن كانَ بريئاً . . حلفَ ومثلهُ عَنِ ابنِ قتيبةَ أيضاً
في [١٥٢/٧] من « خزنة الأدب » .

ومن قرى الكُسر : (حَرَّةُ الْعَيْنِ) لآلِ البُقَيْرِيٍّ^(١) ، أهلُ شهامةٍ ومروءةٍ ، لهم ثروةٌ
بجاوةٍ .

= ثم غلب عليها اسم جيلها . وهي مركز علمي مشهور ، اتخذها الإمام الحسن بن الإمام القاسم بن
محمد مقراً لإمارته ، وتوفي بها سنة (١٠٤٨هـ) ، ثم اتخذها عمه الإمام المتوكل إسماعيل بن الإمام
القاسم عاصمةً ملكه ، وتوفي بها سنة (١٠٨٧هـ) ، والمدينة القديمة هذه كانت قائمة على جبل
بركاني ، ثم تعرضت لكثير من الزلازل والهزات الأرضية ، آخرها زلزال سنة (١٩٨٢ م) الذي دمرها
بالكامل وجعلها أثراً بعد عين . ثم أقامت الحكومة بلدة أخرى تحمل نفس الاسم في منطقة بكيل بجوار
بلدة البستان « المصحفي » (٩٥٠-٩٥١) .

وأما ضَرَوَان - بضاد معجمة فراء محركاتين - فهي قرية ووادٍ في بني مكرّم من مديرية هَمْدَان
صنعاء ، تقع بجوار جبل حنين إلى الشمال الغربي من صنعاء بمسافة (٢٥ كم) ، سميت نسبة إلى
ضروان بن الرحبة بن الغوث بن سعد بن عوف بن عدي ، ويعرف واديهَا بوادي سليمان .
(١) آل البُقَيْرِي فخيذة من نهد ، ومن ديارهم : الحرة المذكورة ، وحوره .

وَمِنْ شَرَاكِ الْكَسْرِ : الرَّمْلَةُ^(١) ، لِلسَّادَةِ آلِ الْعِيدَرُوسِ ، وَآلِ جَذْنَانَ ، وَآلِ بَايَعُشُوت .

وَمِنْ قُرَاهُ : الْمُنْبِيعُ ، وَإِلَيْهَا أُنْتَقَلَ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَسْكُنُ الْمَخِينِيْقَ بَعْدَ خَرَابِهِ ؛ كَالِ بُوَعْسَكِرِ ، وَآلِ بُوَعِيرَانَ ، وَمَنْهُمْ : الْأَشَابُ الْأَدِيبُ ، عَبْدُ اللَّطِيفِ بْنُ مَنْصُورِ بْنِ خَمِيسِ بُوَعِيرَانَ ، أَحَدُ أُمَنَاءِ الْقَصْرِ السُّلْطَانِيِّ بِالْمَكَلَاءِ مِنْذُ ثَلَاثِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَمِثْلُهُ فِي صَدَقِ إِخْلَاصِهِ لِلسُّلْطَانِ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ غُرُضَةً مَرَامِي أَهْلِ الْغَشِّ ؛ لِيَخْلُو لَهُمْ وَجْهُهُ .

وَفِي غَرْبِي الْعَجْلَانِيَّةِ إِلَى الْجَنُوبِ : آثَارُ قَرْيَةِ الْمَخِينِيْقِ^(٢) . الْبَالِيَةِ .

وَالْعَجْلَانِيَّةُ^(٣) لَالِ عَمْرِ بْنِ جَعْفَرِ الْكَثِيرِيِّ^(٤) ، مُوصُوفِينَ بِشِدَّةِ الْبُخْلِ ، لَا يَقْرُونَ ضَيْفًا ، وَلَا يُوَوِّنَ طَارِقًا ، وَهِيَ بَسْفَحُ الْجَبَلِ الذَّاهِبِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ ، وَقَدْ مَرَّ فِي قَرْنِ ابْنِ عَدْوَانَ مِنْ قُرَى وَادِي عَمِدٍ عَنِ الْهَمْدَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ : إِنْ عَمَرَوْا بَنَ مَرَّةً أَوْلَدَ قَبَائِلَ بِحَضْرَمَوْتَ ؛ مِنْهُمْ الْعَجْلَانُ ، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ الْعَجْلَانِيَّةُ بِحَضْرَمَوْتَ أَهـ فَلَغَلْ هَذِهِ عَلَى أَسْمِهِمْ .

وَفِي شَرْقِي قُعُوضَةَ وَشِمَالِ الطَّرِيقِ الْمَارَةِ فِي الْكَسْرِ : حَصْنُ آلِ كُوَيْرِ^(٥) ، وَرِئِيسُهُمْ آلَانُ بِمَقْدَشُوهِ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كُوَيْرِ ، وَابْنَاهُ - سَعِيدٌ وَعَلِيٌّ - يَبْذُلُونَ

(١) وهذه الرملة غير رملة آل العيدروس التي بقرب تريم .

(٢) المخينيق : تقع في سفح الجبل للذاهب إلى الجنوب ، في جنوب غرب العجلانية . قال صلاح البكري : (وهي من المدن الأثرية الخاربة) أهـ وقد عادت هذه المنطقة إلى الحياة في هذه الأيام ، وعرفت باسم : بن عيفان ؛ نسبة إلى محطّة ومساكن لرجل من هذه الأسرة التي تسكن العادية قرب القطن ، وانتشرت إلى جانبها أسواق ومواضع للزلاء من المارة والمسافرين ، وعندها مفرق الطرق للذاهب إلى سيئون والمكلا ، والطريق الذاهب إلى صنعاء عبر الخط الإسفلتي الجديد ، المعروف بطريق صافر .

(٣) ويقال : إن منها الشاعر عبد الله ابن العجلان النهدي ، انظر « تاريخ الشعراء » (٣١-٢٧/١) .

(٤) المار ذكرهم في عمد وهم من آل عبد الله ، من سلالة بدر بوطويرق .

(٥) وهم بطن من آل كليب من نهد . ذكرهم عاتق بن غيث البلادي في كتابه : « بين مكة وحضرموت » (١٦٦) .

المعروف ، ويكرمون الضيوف ، ويحملون الكل ، ويعينون على نوائب الحق ، ولا ينصرف عنهم العفاة بمقدشوه إلا رافعي عقائر الشكر والثناء عليهم .

وعندهم أعمال تجارية بمقدشوه ، ولهم مركز في المكلأ إلا أنني نصحت سعيداً عمّا يحاوله من احتكار الأسماك إذا كان فيه إضراراً بالصيادين ومضايقة لأهل الساحل في حضرموت ، فقال : ليس فيه إلا خصبهم ومصلحتهم ، والله أعلم بحقيقة الحال .

وفي حصنهم بحضرموت جماعة ، يرأسهم سعيد بن أحمد بن كوير .

ثم : ألوجيب ، وفيه الشراشرة من نهدي . ثم : الخديد ، لآل محمد بن عامر ، وهم من الشراشرة .

وعلى شمال الخديد : جوة آل مهنّا ، من نهدي ، رئيسهم : أمبارك بن يسلم وعامر بن سالم .

وفي شرقي الجوة المذكورة : شغب آل نهيد ، ومقدمهم : أمبارك بن أحمد .

ثم : عنيدة^(١) ، لآل محمد بن عامر من نهدي ، مقدمهم : سعيد بن عبد الله من الشراشرة .

ثم : ركيكة^(٢) ، للشراشرة أيضاً . ثم : غصيص ، لآل محمد بن عامر ، وآل بني شبيب^(٣) .

الباطنة^(٤)

هي في وسط الكسر ، وكانت للدولة المراهين ، فأستراها الحبيب عبد الرحمن ابن عبد الله بلفقيه^(٥) وأحسن حزنّها ، وكان يتردد إليها من تريم ، وخلفه ولده

(١) في نسخة : (عنيدة) بالذال .

(٢) في نسخة : (ركيكة) بالزاي المعجمة .

(٣) آل شبيب من نهدي أيضاً .

(٤) الباطنة : هي منطقة زراعية تقع بين العجلانية وفُوط بني أرض الذين استوطنوا حضرموت ، وأصلهم من البيضاء ، وهي قرية من القطن ، وتكتنفها أطيان واسعة ، وتكثر فيها أحراج النخيل وحقول الذرة .

(٥) علامة حضرموت وفتيها ، مولده بتريم سنة (١١٠٥ هـ) ، وبها وفاته سنة (١١٦٣ هـ) ، كان عالماً =

عیدروس^(١) قاضي تريم ، ثم أولادُهُ ، وهم خمسة : أحمدُ ، وحسينُ ، وإبراهيمُ ، وسالمُ ، وعمرُ .

وخلَفَهُمُ الحبيبُ محمدُ بنُ إبراهيمَ ، المتوفى بتريم سنة (١٣٠٧هـ) ، وهو رجلٌ عظيمُ الشأنِ ، وكثيراً ما يذكرُهُ شيخُنَا العلامةُ أبو بكر بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ شهابٍ ويثني عليه ثناءً جمّاً ، ولَهُ ذِكْرٌ في بعضِ قصائدهِ ، وقد أخذَ لي أوالدُهُ عنه الإجازةَ في مؤلَّفاتِ أجدادهِ .

وخلَفَهُ ولدُهُ الحسنُ بنُ محمدٍ^(٢) ، كان رجلاً صالحاً ، أبيضَ القلبِ ، مشبوح الذراعِ ، معمورَ الفناء^(٣) ، توفي بالقعدة من سنة (١٣٤٥هـ) ، وكان لَهُ ولدُهُ الشَّهْمُ عليّ ، توفي قبلَهُ في رمضان من تلك السنة ، فأوصى بنصيبه لأولادهِ ، ومنهُم : قرّةُ العينِ ، الولدُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ عليّ بلفقيه . وما أشتدَّ حزني على أحدٍ مات بتريم - بعدَ مشايخي فيها - مثلهُ على السيّدِ الجليلِ عمرَ بنِ عیدروسٍ ، والأخِ الفاضلِ عبدِ الله بنِ عمرَ الشَّاطِريّ ، والشَّهْمِ الأريحيّ الحسنِ بنِ عبدِ الله الكافي ، المتوفى سنة (١٣٤٦هـ) .

فَقَذَنُوهُمْ مِثْلَ فَقْدِ الْعَيْنِ نَاطِرَهَا يُنْكِي عَلَيْهَا بِهَا يَا طُولَ ذَاكَ بُكَاءُ^(٤)
ثمَّ تَجَدَّدَتِ الْأَحْزَانُ لِفَقْدِ الْأَخِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ الْمَذْكُورِ .
فَقَذَنَاهُ فَقَذَانَ الشَّبَابِ وَلَيْتَنَا فَدَيْنَاهُ مِنْ شُبَّانِنَا بِالْوَفِ^(٥)

= متفنناً ، وله مصنفات عديدة . انظر ترجمته في : « شرح العينية » ، و« بهجة الفؤاد » ، « مناقب آل بلفقيه » .

(١) توفي بتريم سنة (١١٨٨هـ) .

(٢) له مناقب حسنة وسيرة مستحسنة ، ينظر للتوسع : « تاج الأعراس » ، « تحفة المستفيد » ، « شمس الظهيرة » ، وغيرها .

(٣) الفناء : ساحة الدَّار ، والتعبير بعمار الفناء : كناية عن الكرم وكثرة الزُّوَّار .

(٤) البيت من البسيط ، وهو للشريف الرضي في « ديوانه » (١٠٦/٢) .

(٥) البيت من الطَّوِيل .

إِلَّا أَنَّهُ سَلَّى عَنْ مَصَابِهِ نَجَابَةٌ وَلَدَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْمَذْكُورُ ، وَقِيَامُهُ بِمِثْلِ مَا قَامَ أَبُوهُ .

وَإِنْ يَلْحَقُ أَبَاهُ عُلَاً وَمَجْدَاً فَهَٰذِي النَّارُ مِنْ تِلْكَ الذُّبَالِ^(١)
وَمِنْهُمْ : الْأَخُ زَيْنُ بْنُ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَلْفَقِيهِ^(٢) ، حَسَنُ الْمَحَاضِرَةِ ، مَلِيحُ
الْمَحَاوِرَةِ ، جَمِيلُ الْشَّارَةِ ، لَطِيفُ الْإِشَارَةِ . وَقَدْ وَرَدَ السَّوَاهِلُ الْإِفْرِيقِيَّةَ سَنَةَ
(١٣٦٤ هـ) وَكَانَ لَهُ بِهَا جَاءٌ أَكْبَرُ مِمَّا يُؤْمَلُ ، وَأَنْطَلَقَتْ لِسَانُهُ فِيهَا بِالْوَعْظِ وَالْتِّذْكِيرِ ،
وَكَانَ لَهُ هُنَاكَ جَاءٌ كَبِيرٌ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَنْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ .

وَمِنْ قُرَى الْكِسْرِ : الْعَدَّانُ ، وَهُوَ فِي شَرْقِيٍّ قَعُوضَةٌ ، كَانَ السَّكَنَ الْعَامَّ لآلِ عَامِرٍ
الرُّوَضَانِيِّينَ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا فِي قُرَى الْكِسْرِ ، وَأَخْطَطَ بَعْضُهُمُ الْمَنَازِلَ ، وَيُحْكَى
أَنَّ الشَّيْخَ سَعْدًا الشُّوَيْنِيَّ أَشَارَ بِفِرَاسَتِهِ إِلَى بَعْضِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ قَصِيدَةٍ يَقُولُ فِيهَا :
بَيْنَ آلِ عَامِرٍ كُلِّ يَوْمٍ بَلَوَى حَوْلَ الْعَدَّانِ مِنْهُ وَعَلَوَى

وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ الْعَدَّانِ فِي شَعْرِ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانٍ ، حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الْوَافِرِ] :

نَزَلْنَا فِي بَنِي سَعْدٍ بَنِ زَيْدٍ وَفِي عَكٍّ وَعَامِرٍ عَوْبَثَانَ
وَفِي لُحْمٍ وَفِي أَدَدٍ بَنِ عَمْرٍو وَفِي بَكْرِ وَحَيٍّ ابْنِ الْعَدَّانِ
وَمَا أَدْرِي ، أَهَؤُلَٰذَا كَمَا يُتَوَهَّمُ مِنْ ذِكْرِ عَوْبَثَانَ ، أَمْ غَيْرُهُ ؟ كُلُّ مُحْتَمِلٍ .

وَكَانَ عِمْرَانُ كَثِيرَ التَّنَقُّلِ فِي الْقَبَائِلِ بَعْدَ مَا أَطْرَدَهُ الْحَجَّاجُ .

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الصَّعْقِ [مِنْ الْوَافِرِ] :

جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ تَثْلِيثٍ حَتَّى وَرَدْنَا عَلَى أَوَارَةِ فَالْعَدَّانِ
وَمِنْهَا الْعَادِيَّةُ : لآلِ عَيْفَانَ .

(١) البيت من الوافر وهو للشريف الرضي في « ديوانه » (١٧٧/٢) .

(٢) ولد السيد زين بن حسن بترجم سنة (١٣٠٦ هـ) ، وتوفي سنة (١٣٨٤ هـ) ، كان عالماً فقيهاً ، أديباً
شاعراً جَوَّالاً ، له مدائح في عدد من شيوخه ، ولا سيما الحبيب عمر بن سميط . ينظر : « رحلة تلبية
الصوت » للحبيب عمر بن سميط .

ومنها السِّلَهبي : لابن الطَّيِّير ، عبد الله بن أحمد بن عبود ، رجلٌ شجاعٌ ، حتَّى
لقد خَطَبَ امرأةً فَمُنِعَهَا ، وفي ليلةِ البناءِ بها على الخطيبِ الآخرِ . . حضرَ السَّمَرُ ،
وفي أثنائه أثارَ ضجَّةً قَتَلَ في أثنائها العريسَ وجماعةً معه كانوا في حوشٍ مغلَقٍ ، ثمَّ
تسوَّرتْ جدارُهُ وهربَ ولم يُصِبْهُ كَلَمٌ ، وهو حيٌّ يُرْزَقُ إلى الآن .

ثمَّ : عَرَضُ آلِ حُوَيْلٍ^(١) ، ومن أخبارِ آلِ حويلٍ الأخيرة : أنَّ أحدَ آلٍ بحرقٍ من
سيئونَ أَدْعَى على أحدهم بقطعةٍ أرضٍ لوقفهم ، فلم يثبُتْ لهم بحجَّةٍ شرعيَّةٍ ، ولكنَّهُ
أَرْضِيَّ عاملٍ القعيطيِّ هناك فأوقفَهُ عن أخذ شيءٍ منها ، فأشارَ إلى أمراته تأخذُ من
زرعها ، فضرَبها النَّائبُ بعصاهُ ، فلم يكن منه إلَّا أن خرجَ ببندقِيَّتِهِ في إثرِ النَّائبِ ،
فأرداهُ وهربَ ، وهو اليومَ بجاوةٍ باركَ اللهُ فيه .

ثمَّ : فَرِيشَه ، لصالحِ بنِ كُليبٍ ، بالهفلا . ثمَّ : فَنِدَه ، لآلِ حُوَيْلٍ أيضاً . ثمَّ :
السُّفُولَه ، كذلكَ لآلِ حُوَيْلٍ أيضاً . ثمَّ : أَلَمِثْنَه ، لآلِ عَبريٍّ ومنهم الشَّيْخُ عامرُ بنُ
عبدِ اللهِ بنِ عَبريٍّ بنِ عامرٍ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ .

وكلُّ هذهِ أَلْقَرَى - أَلَمِثْنَه فما قَبَلَهَا - واقعةٌ في غربيِّ أَلْباطنةِ فكانَ مِنْ حَقِّهَا أَنْ تَقَدَّمَ
عليها في الذِّكْرِ .

وادي مَنُوبٌ

لَهُ ذِكْرٌ في « صفةِ جزيرةِ العربِ » لابنِ أَلْحائِكِ أَلْهَمْدَانِي . وهو في جنوبِ
أَلْباطنةِ ، وأدنى قَرَاهُ إلى الطَّرِيقِ أَلَّتِي تمرُّ في وسطِ أَلْكَسْرِ : أَلْمُذْهَرِ .

وَسُكَّانُهُ : آلُ نُهَيْدٍ ، وَهُمْ مِنْ أَلْمَقَادِيمِ . ورئيسُ أَلْمَقَادِيمِ جميعاً لهذا العهدِ هو :
أَلشَّيْخُ أَمباركُ بنُ عامرٍ بنِ نُهَيْدٍ .

وفي جنوبِ أَلْمُذْهَرِ : ظاهرةٌ أَلِ نُهَيْدٍ .

ثمَّ : ظاهرةٌ أَلِ كُليبٍ . ثمَّ : قريةٌ صغيرةٌ يقالُ لها : أَلْخَرَابَةُ ، سُكَّانُهَا أَلْكَرَةُ . ثمَّ :

(١) آل حويل من نهد .

بِلَادُ مَنُوبَ ، وَسَكَانُهَا سَادَةٌ مِنْ آلِ السَّقَافِ^(١) ، وَسُوقَةٌ . ثُمَّ : طَهَيْتُ ، وَبِهِ رَوْضَةٌ لَمْ يَذْكُرْهَا يَاقُوتُ .

وَقَالَ الْبَكْرِيُّ فِي « مَعْجَمِ مَا اسْتَعْجَمَ » [٣١٧/١] : (تَفِيشُ - بَفَتْحِ أَوَّلِهِ وَكَسْرِ ثَانِيهِ - : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى حَضْرَمَوْتَ ، وَهِيَ وَمَنُوبُ يَنْزِلُهُمَا بَنُو مَوْصِلٍ - بَفَتْحِ الْمِيمِ - أَبْنِ جَمَّانَ بْنِ عَسَّانَ بْنِ جُذَامَ بْنِ الصَّدْفِ بْنِ مَرْتَعِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ كِنْدَةَ) اهـ

وَلَا يَعْرِفُ الْآنَ مَوْضِعَ بَهَذَا الْاسْمِ بِتِلْكَ النُّوَاحِي وَإِنَّمَا هُنَاكَ قَرِيبَتَانِ يُقَالُ لِكُلِّ مِنْهُمَا : الْفِشْلَةُ ، إِحْدَاهُمَا فِي عَرْضِ آلِ مَخَاشِنَ ، وَالْثَانِيَةُ فِي وَادِي مَنُوبَ ، شَرْقِيَّ قَرْيَةِ مَنُوبَ . فَيُظْهِرُ أَنَّ إِحْدَاهُمَا الْمُرَادَةُ ، ثُمَّ سَأَلْتُ الْخَبْرَاءَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الطَّرَفِ فَقَالُوا : يَنْهَرُ إِلَى مَنُوبٍ خَمْسَةُ أَوْدِيَةٍ ؛ أَحَدُهُمَا الرَّيْسِيُّ وَهُوَ الْأَوْسَطُ : وَادِي مَنُوبَ ، وَفِي غَرْبِهِ وَادِيَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الْعَلْبُ ، وَالْثَانِي : عَيْفَرُ ، وَفِي شَرْقِيهِ وَادِيَانِ ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : تَرِيمُ ، وَلَعَلَّهُ مُصَحَّفٌ عَنْ تَفِيشَ ، فَيَكُونُ هُوَ الْمَقْصُودَ ، وَالْثَانِي يُقَالُ لَهُ : الدَّلِيلُ .

وَمِنْ وَرَاءِ أَلْبَابُتَةِ إِلَى شَرْقٍ : ضُبْعَانُ .

ثُمَّ : الْفُرْطُ ، كِلَاهُمَا لِبَنِي أَرْضِي ، يُقَالُ : إِنَّهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الرَّصَّاصِ صَاحِبِ مَسُورَةٍ^(٢) الَّذِينَ يُقَالُ لَهُمْ : بَنِيْزُ ، فَتَصَحَّفَ الْأِسْمُ عَلَى أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : بَنُو أَرْضِي .

ثُمَّ رَأَيْتُ الشَّيْخَ عَمَرَ بْنَ صَالِحِ بْنِ هَرْمَةَ سُلْطَانَ يَافِعَ ، الَّذِي اسْتَوْلَى عَلَى حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ (١١١٧ هـ) . . يَذْكُرُ فِي بَعْضِ أَخْبَارِهِ مَعَ الْإِمَامِ مَا نَصَّهُ : (وَأَمَّا السُّلْطَانُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّصَّاصِ . . فَقَدْ كَانَ أَرْسَلَ وَلَدَهُ نَاصِرَ بْنَ أَحْمَدَ وَمَعَهُ بَنِي أَرْضِي ، بِقَدْرِ سِتِّ مِئَةِ مُسَلِّحِينَ بِالْبَنَادِقِ) اهـ

(١) وبها أيضاً : سادة من آل الحامد ابن الشيخ أبي بكر .

(٢) مسورة : مدينة أثرية خرابية في وادي مرخه من أعمال شبوة ، كانت عاصمة للمملكة الأوسانية ، وهي مركز قبيلة آل الرصاص ، السابق ذكرهم .

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ يُسَمُّونَ بَنِي أَرْضٍ مِنْ يَوْمِ كَانُوا ، كَمَا أَنَّ بَعْضَهُمْ يُسَمِّيهِمْ :
بَنِيْر ، وَرَبَّمَا كَانُوا قَبِيلَتَيْنِ .

ثُمَّ : دِيَارُ بَنِي بَكْرِ^(١) ، وَيُسَمُّونَهَا : بَابَكِرَ ، وَمِنْهُمْ : الْمَوْرُخُ الْأَدِيبُ ، الشَّيْخُ
صَلَاحُ الْبَكْرِيُّ^(٢) ، وَمَعَ الْأَسْفِ لَمْ أَطْلِعْ إِلَّا عَلَى الْجَزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ « تَارِيخِهِ » سَاعَةً مِنْ
نَهَارٍ ، فَلَمْ أَعْرِفْ مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ^(٣) ، وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ آلَانَ بِالْمُكَلَّا ، وَمَا أَظْنُهُ إِلَّا
يَحْرَصُ عَلَى زِيَارَتِي ، كَمَا أَنِّي بِالْأَشْوَاقِ إِلَى مِثْلِهِ ، وَبِي شَغْفٌ لَاسْتِطْلَاعِ أَخْبَارِ
النَّهْضَةِ الْحَضْرَمِيَّةِ الَّتِي تَأَلَّفْتُ آخِرًا بِمَصْرَ ؛ فَقَدْ وَرَدَنِي مِنْ رَئِيسِهَا الشَّيْخِ الْأَدِيبِ
عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بَاكْشِيرٍ كِتَابٌ بِدَرْجِهِ مَنْشُورٌ عَنْ مَقَاصِدِهَا ، فَإِذَا هِيَ ضَخْمَةٌ جَدًّا ، شَبِيهَةٌ
بِمَقَاصِدِ (الرِّابِطَةِ الْعَلَوِيَّةِ) ، الَّتِي عَسَرَ بِهَا الْوَلَادُ ؛ لِأَنَّهَا ثَقِيلَةٌ ، لَا يُرْجَى مِنْ الْمَهْدِيِّ
الْمُنْتَظَرِ إِلَّا بَعْضُهَا !!

وَقَدْ جَاوَبْتُ هَذِهِ النَّهْضَةَ عَنْ كِتَابِهَا لِي بِمَا أَكْثَرُهُ التَّحْذِيرُ مِنْ عَوَاقِبِ (الرِّابِطَةِ)
وَمَالَ (جَمْعِيَّةِ الدِّفَاعِ عَنِ الْعَلَوِيِّينَ) الَّتِي تَأَلَّفْتُ بِمَصْرَ ، وَأَمَلْتُ أَنْ يُرْفَرَ لَوَاؤُهَا عَلَى
جَمِيعِ الشُّرَفَاءِ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَلَمَّا سَأَلْنَا عَنْهَا بَعْضَ مَنْ وَصَلَ حَضْرَمَوْتَ مِنْ
أَعْضَائِهَا . . قَالَ : إِنَّهَا لَا تَزِيدُ عَنْ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ ، رَابِعُهُمْ رَئِيسُهُمْ^(٤) ، ثُمَّ أَنْقَسَمُوا بَعْدَ

(١) بَنُو بَكْرِ هَؤُلَاءِ . . هُمْ مَنْ يَافِعُ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنْهُمْ ، وَقَدْ سَكَنُوا مَرِيَمَةَ أَوَّلًا زَمَنَ بُوْطُورِقَ ، ثُمَّ
انْتَقَلُوا إِلَى سَدْبِهِ ، ثُمَّ تَوَطَّنُوا فِي الْكُسْرِ ، وَيَقَالُ : إِنَّ دِيَارَ آلِ بَكْرِ الْآتِي ذَكَرَهَا بَيْنَ الْغُرْفَةِ وَالْحَوِطَةِ
تَنْسَبُ لَهُمْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٢) الْأَسْتَاذُ صَلَاحُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْبَكْرِيُّ الْيَافَعِيُّ الْحَضْرَمِيُّ ، وَلَدَ بِأَنْدُونِيْسِيَا سَنَةَ (١٣٣١ هـ) (١٩١٢ م) ،
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِمَكَّةَ : سَنَةَ (١٤١٣ هـ) (١٩٩٣ م) .

لَهُ مَوْلاَتُ « تَمَّةُ الْأَعْلَامِ » (٢٤٦ / ١) ، « إِتْمَامُ الْأَعْلَامِ » (١٣٤) .

(٣) الَّذِي ظَهَرَ وَبَانَ لِلْكَافَةِ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ « تَارِيخَ الْبَكْرِ » ، وَبَعْدَ السَّرِّ وَالْفَحْصِ . . تَبَيَّنَ بِالْذَّلِيلِ أَنَّ صَلَاحَ
الْبَكْرِي لَمْ يَكُنْ يَعْتَمِدُ مِنْهَجَ الْإِنْصَافِ فِي كِتَابَاتِهِ التَّارِيخِيَّةِ ، بَلْ إِنَّهُ قَدْ يَتَلَاَعَبُ بِتَغْيِيرِ بَعْضِ النُّصُوصِ
لِيَصِلَ إِلَى مَا رُبَّ وَنَوَازِعَ نَفْسِيَّةٍ ، بَعِيدًا عَنِ الْأَمَانَةِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَمَنْ أَرَادَ الْمَزِيدَ . . فَعَلَيْهِ بَكْتَابُ « تَارِيخِ
حَضْرَمَوْتَ » لِلْسَيِّدِ صَالِحِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَامِدِ ، صَفْحَةُ (٣١٨ - ٣٢٢) ، فَقَدْ أَوْرَدَ مَثَلًا لَمَّا ذَكَرْنَا بِالرُّجُوعِ
إِلَى الْمَصْدَرِ الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ الْبَكْرِيُّ وَكَيْفَ حَرَّفَهُ وَتَلَاَعَبَ بِهِ .

(٤) كَانَ رَئِيسَهَا السَّيِّدُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ السَّقَافِ ، صَاحِبُ كِتَابِ « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » =

ذَلِكَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الرَّئِيسُ وَمَعَهُ وَاحِدٌ فَقَطْ ، فَذَكَرْتُ بِذَلِكَ : (أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ سَأَلَ الْثُمَيْرِيَّ عَنْ رُكْبِهِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ ، وَالْضَّمِيرُ فِيهِ عَائِدٌ إِلَى زَيْنَبِ بِنْتِ يَوْسَفَ أُخْتِ الْحَجَّاجِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَلَمَّا رَأَتْ رُكْبَ الْثُمَيْرِيَّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ وَقَالَ لَهُ : مِمَّ يَتَأَلَّفُ رُكْبُكَ ؟ قَالَ : مَا هُوَ إِلَّا أَنَا وَدَابَّتِي ^(١) .

وَرَبَّمَا لَمْ تَكُنْ دَابَّةً كَامِلَةً ، وَإِنَّمَا كَانَتْ ثَلَاثَةٌ أَرْبَاعَ أَتَانٍ ، إِذْ قِيلَ : إِنَّهَا تَمْشِي عَلَى ثَلَاثٍ .

(وَأَنَّ لَيْلَى بِنْتَ عُرْوَةَ بْنِ زَيْدِ الْخَيْلِ قَالَتْ لِأَبِيهَا : أَرَأَيْتَ قَوْلَ أَبِيكَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونِ إِذَا غَدَا
أَبُو مُكْنِفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ
بَجِيْشٍ تَضِلُّ الْبُلُقُ فِي حَجَرَاتِهِ
تَرَى الْأُنْكَمَ مِنْهُ مَسْحَبًا لِلْحَوَافِرِ ^(٢)
وَجَمْعٍ كَمَثَلِ اللَّيْلِ مُرْتَجِسٍ الْوَعَى
كَثِيرٍ تَوَالِيهِ سَرِيعِ الْبَوَادِرِ ^(٣)

فَهَلْ حَضَرَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَتْ : كَمْ كَانَتْ خَيْلُكُمْ ؟ قَالَ : ثَلَاثَةٌ لَا غَيْرُ ، لِي وَلِعَمَّكَ وَلِجَدِّكَ ^(٤) .

وَقَالَ الْخَثْعَمِيُّ : قَتَلْتُ خَثْعَمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ ، فَقَالَتْ أُخْتُه

تَرْثِيهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَعْمَرِي ! وَمَا عَمَرِي عَلَى بَهْيَيْنِ
لِنَعْمَ أَلْفَتْنِي غَادَرْتُمُ آلَ خَثْعَمَا
وَكَانَ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْخَيْلَ بَيْتَهُ
إِلَى جَنْبِ أَشْرَاجِ أَنْاخَ فَأَلْجَمَا
فَأَرْسَلَهَا رَهْوَاً رِعَالاً كَأَنَّهَا
جَرَادٌ زَهْتُهُ رِيحُ نَجْدٍ فَأَتَهُمَا

= الحَضْرَمِيِّينَ ، وَكَانَ مِنَ الْأَعْضَاءِ : السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ يَحْيَى ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَمِيطٍ ، وَالسَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بِأَعْبُودٍ .

(١) الْقِصَّةُ بِنَحْوِهَا فِي « الْأَغَانِي » (٢٠٦-٢٠٥ / ٦) .

(٢) الْبُلُقُ : الْأَفْرَاسُ الَّتِي فِي لَوْنِهَا بَيَاضٌ وَسَوَادٌ ، وَالْبُلُقُ لِلدَّوَابِّ ، وَالْبَقَعُ لِلطُّيُورِ . حَجَرَاتِهِ : نَوَاحِيهِ . الْأُنْكَمُ - جَمْعُ أَكْمَةٍ - وَهِيَ : الثَّلَّةُ .

(٣) مُرْتَجِسٌ : يَحْدُثُ صَوْتًا وَجَلْبَةً .

(٤) الْقِصَّةُ بِنَحْوِهَا فِي « الْأَغَانِي » (٢٥٨ / ١٧) .

فَقِيلَ لَهَا : كَمْ كَانَتْ خَيْلُ أَخِيكَ ؟ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَا أَعْرِفُ إِلَّا فَرَسَهُ !!

فَعَسَى أَنْ لَا تَكُونَ نَهَضَتْهُمْ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ، عَلَى أَنْ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ مَا يُكَبِّرُونَهُ مِنْ مَقَاصِدِ تِلْكَ الْجَمْعِيَّاتِ عَنْ غَيْرِ حَقِيقَةٍ ؛ إِذْ لَا غَشٍّ فِي هَذِهِ ، بِخِلَافِ تِلْكَ ، فَالْتَّنَوِيَةُ بِشَأْنِهَا لَا يَكُونُ إِلَّا غَشًّا فِي اسْتِجْلَابِ الْمُسَاعَدَاتِ بِظُنُونِ ضَائِعَةٍ ، وَأَمَالٍ خَائِبَةٍ ، وَهُوَ الْوَزْرُ الْعَظِيمُ وَالْإِفْكَ الْمُبِينُ ، وَلَقَدْ جَاوَبْتُ النَّهْضَةَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا .

وَعِنْدَمَا يَزُورُنِي الْأُسْتَاذُ صِلَاحٌ . . سَأُخْفِيهِ السُّؤَالَ عَنْهَا ، وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تُعْلَقَ عَلَيْهَا أَلَمَالُ ، أَمْ قَدْ اخْتَنَنْتِ مِثْلَ اخْتِنَانِهَا فِي الْمَشِيمَةِ ؟

وَكَانَ بَنُو بَكْرِ أُمَرَاءَ مَزِيمِهِ إِلَى أَنْ أَجْلَاهُمْ عَنْهَا السُّلْطَانُ الْكَثِيرِيُّ فِي سَنَةِ (١٢٨٤ هـ) ، وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِهِمْ ، وَفِيهَا كَثْرَةٌ ، وَقَدْ أَسْكَنَهُمُ الْقُعَيْطِيُّ فِي عَرْضِ مَسْرُورٍ ، وَكَأَنَّهَا لَمْ تَرُقْ لَهُمْ ، فَابْتَنَوْا لَهُمْ دِيَارًا فِي هَذَا الْمَكَانِ بَيْنَ الْخَبَّةِ وَالْفَرَطِ .
وَسَمِعْتُ كَثِيرًا مِنَ الثَّقَاتِ يَقُولُونَ : إِنَّ بَنِي بَكْرِ وَبَنِي أَرْضِ لِسُوا مِنْ يَافِعَ ، وَإِنَّمَا هُمْ مِنْ آلِ الرِّصَاصِ .

الْقَطْنُ^(١)

هُوَ صِقْعٌ لَا بِأَسَ بِهِ ، مِنْهُ دِيَارُ بَنِي بَكْرِ السَّابِقُ ذِكْرُهَا ، وَعَاصِمَتُهُ : الرِّيَاضَةُ^(٢) .

وَهِيَ الْمَسْمَاةُ : حَوْطَةُ الْقُعَيْطِيِّ ، وَكَانَ الْقُعَيْطِيُّ اشْتَرَى أَرْضًا وَاسِعَةً هُنَاكَ مِنْ السَّادَةِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْعِيدَرُوسِ بِوِاسِطَةِ أَحَدِهِمْ - وَأَظْنُهُ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ حُسَيْنِ الْعِيدَرُوسِ - فَكَانَ الثَّمَنُ بَخْسًا ، وَلَكِنَّ الدَّلَالََةَ^(٣) كَانَتْ وَافِرَةً جَدًّا مِنَ الْقُعَيْطِيِّ ، فَبَنَى

(١) القطن : فِي قَلْبِ الْوَادِي ، تَقَعُ فِي مِلْتَقَى سِيُولِ الْأَوْدِيَةِ الرَّيْثِيَّةِ كَوَادِي عَمَدٍ وَالْعَيْنِ وَدَوْعِنَ ، وَتَمْتَدُّ مِنْ بَرْوَجٍ غَرْبًا إِلَى الْعَيْنِ شَرْقًا ، عَلَى شَرِيطٍ ضَيِّقٍ يَقَعُ عَلَى ضِفَافِ مَجْرَى الْوَادِي ، وَسَكَانُهَا : نَهْدٌ وَيَافِعُ ، وَبِهَا كَانَ مُسْتَقَرُّ السُّلْطَانِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ صِلَاحِ الْقُعَيْطِيِّ .

(٢) وَهَذِهِ غَيْرُ الرِّيَاضَةِ الَّتِي بِجَوَارِ السُّوَيْرِيِّ بِقَرَبِ تَرِيمَ .

(٣) الدَّلَالَةُ - بِكَسْرِ الدَّالِ - أَيُ : النُّقُودُ الَّتِي دَفَعْتَ لِلدَّلَالِ (السَّمْسَارِ) لِقَاءِ تِلْكَ الصَّفَقَةِ .

حوطته هذه في جانبها الجنوبي إلى بقايا قرية كانت هناك قديمة .

وهي طيبة الهواء ، نقيّة الثّريّة ، يختلف هواؤها عن شبام بكثير في الصّحّة والصّفاء .

ومررت فيها أيّام الأمير صلاح بن محمّد القعيطي^(١) ، وكان شهماً مُحَنَكاً ، وقوراً الرّكن ، غزير الحِلْم ، مشاركاً في العِلْم والتّاريخ ، مقصوداً ، رَحْب الجانب ، يُنصفُ المظلوم من الظّالم ، وكان له شغلٌ بالحِث ، يحصلُ منه على إيرادٍ عظيم يُنفقُه بأسره في نيلِ المكارم وقرى الضّيفان .

وهو الَّذي قتل في الغوّارب والذّرى حتّى حَمَلَ ابن عمّه منصّر بن عبد الله - لمّا بدؤوا يُنافسونه ويضايقونه - ما حَمَلَهُمْ مِنَ الحَقْدِ والمنافسةِ على عَمِهِم السّلطان عوض بن عمر ، وأوقعَهُمْ في الثّورة ، ولكنّه لم يَجْنِ ثَمرةَ سياستِهِ إلّا خلوّ حُضرموت له من وجهِ منصّر بن عبد الله الَّذي كان يضايقه ويتفضّل عليه ، وإلّا . . فقد مات وشيكاً في سنة (١٣١٨هـ) - كما سبق في قيدون - عن ولدين .

أحدهما : الأميرُ محمّد بن صلاح ، مرّت أيّامُهُ في خدمةِ الجيشِ الأصفيّ بحيدر آباد الدّكن ، إلى أن مات ، وهو رجلٌ مشكورٌ ؛ إلّا أنّ للفرزدقِ شاعراً الهندِ المجهولِ أهاجٍ لاذعةً أفدَعَ له فيها غايةَ الإقذاع .

والثّاني : عليّ بن صلاح^(٢) ، رجلٌ نبِيّ ، تکرّرت ولايتهُ على شبام وعزّله عنها ؛

(١) هو الأمير صلاح بن محمد بن عمر بن عوض القعيطي ، توفي بالقطن سنة (١٣٣٦هـ) كما يقول حفيده عبد العزيز بن علي بن صلاح ، وليس كما ذكر المصنف هنا من أنه توفي سنة (١٣١٨هـ) ؛ لأن ابنه السلطان علي ولد سنة (١٣١٤هـ) وتوفي أبوه وعمره (١٦) سنة تقريباً ينظر كتاب « علي بن صلاح » (٣٦) .

(٢) الأمير - أو السلطان مجازاً - علي بن صلاح بن محمد بن عمر القعيطي ، ولد بقرية خريخر قرب الهجرين ، عند أخواله آل بن محفوظ الكنديين ، وتوفي بالريضة سنة (١٣٦٨هـ) . كتب عن أخباره السياسية وحوادث عصره ابنه الأصغر الأستاذ عبد العزيز بن علي ، وصدر الكتاب عن دار جامعة عدن في سنة (١٩٩٩م) ، ثم عن دار الساقى لعام (٢٠٠١م) .

لَأَنَّ السَّيِّدَ حُسَيْنَ بْنَ حَامِدٍ كَانَ مُنْحَرِفًا عَنْهُ فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ ، كَلَّمَا وَلَاهُ مُدِيدَةً .
أَبْعَدَهُ .

وَصَلَحَ حَالُهُ أَوَّلًا مَعَ الْأَمِيرِ سَالِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَعِيطِيِّ نَائِبِ السُّلْطَانِ عَمْرِ بْنِ
عَوْضٍ ، ثُمَّ تَغَيَّرَ ، وَفِي الْأَخِيرِ نَابَ مُدِيدَةً أَقْصَرَ مِنْ ظَمِّ الْحِمَارِ بِالْمَكْلَاءِ عَنِ السُّلْطَانِ
صَالِحِ بْنِ غَالِبٍ ، ثُمَّ أُقِيلَ ، وَاشْتَرَكَ بَعْدَهَا مَعَ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِاتٍ فِي
حَرَكَاتِهِ ، وَوَجَدُوا عِنْدَهُ كِتَابًا لَهُ مِنْهُ تُصَرِّحُ بِالْتَّمَرْدِ عَلَى الدَّوْلَةِ الْقَعِيطِيَّةِ ، وَالنَّاسُ
يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَنْ عَقْدِ ضَمِيرٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ ، وَجِدَّ فِي الْخِلَافِ وَلَكِنْ
لِيقْضِي حَاجَةً فِي نَفْسِهِ مِنَ الْأَمِيرِ عُبَيْدِ صَالِحٍ ، فَحَوَّكَمَ وَنُفِيَ إِلَى الْمَكْلَاءِ ، وَلَكِنْ شَفَعَ
لَهُ الْمَرَضُ فَسُمِّحَ لَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ ، لَكِنْ لَا إِلَى حَصْنِهِ الَّذِي أَسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ
حُكُومَتُهُ ، بَلْ إِلَى دَارٍ آخَرَ ؛ لِأَنَّهُمْ صَادَرُوهُ .

وَكُلُّ ذَلِكَ دُونَ مَا فَعَلَهُ بِمَرْبِيهِ الشَّيْخِ عَوْضِ بْنِ سَعِيدٍ بِافْضَلٍ ، وَقِصَّةُ ذَلِكَ : أَنَّ
عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الثَّوَيَّ أَرْضَى عَلِيَّ بْنَ صَالِحٍ ، عَلَى أَنْ يَخْطُبَ لَهُ بِنْتُ الشَّيْخِ عَوْضٍ ،
وَلَمَّا قَالَ لَهُ : إِنَّهَا مَخْطُوبَةٌ لِلْسَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ بَلْفَقِيهِ . . أَسْتَعَرَ غَضِبًا وَصَادَرَ أَمْوَالَ
الشَّيْخِ عَوْضٍ ، صَامِتَهَا وَنَاطِقَهَا ، وَأَمَرَ عِيْدَهُ بِقَتْلِهِ ، فَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ ، فَأَنْذَرُوهُ ، فَهَرَبَ
إِلَى سَيْثُونَ ، وَوَلَدَهُ الشَّيْخُ سَالِمٌ إِلَى عَدَنَ ، وَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَى الْقَطَنِ أَبَدًا .

وَلَا أَمَّ عَلِيَّ بْنَ صَالِحٍ حَدِيثٌ طَرِيفٌ : ذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ أَقَارِبِهَا مِنْ آلِ مَحْفُوظٍ خَطَبَهَا . .
فَرَدُّوهُ ، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ آخَرَ فَمَا زَالَ الْأَوَّلُ يَتَرَقَّبُ الْفُرْصَ حَتَّى هَجَمَ عَلَيْهِ - مَعَ اثْنَيْنِ مِنْ
أَصْحَابِهِ - وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ الرِّصَاصَ ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ خَارِجَ الدَّارِ . . فَأَسْرَعَتْ إِلَيْهِ ،
فَلَاقَاهَا الْقَتْلَةُ فَقَالُوا : أَبْكَى مُحَمَّدٌ ، فَقَالَتْ : سَالَفَ الْقَبُولَهُ ، وَكَانَ مَعَهَا خَنْجَرٌ
فَبَعَجَتْ بِهِ بَطْنَ الْأَوَّلِ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّلَاثِ ، ثُمَّ خَفَّتْ إِلَى وَالِدِهَا تَخْبِرُهُ بِالْحَالِ .

وَهَذَا خَبَرٌ عَظِيمٌ لَوْلَا أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَنِي بِهِ ثِقَّةٌ ضَابِطٌ . . لَمَا كَتَبْتُهُ ، أَلَا وَهُوَ الشَّيْخُ
سَالِمُ بْنُ عَوْضٍ بِافْضَلٍ ، وَذَكَرَ أَنَّ هَذَا هُوَ رَغَبُ الْأَمِيرِ صَالِحِ بْنِ مُحَمَّدٍ فِيهَا ، وَلَمْ
تَكُنْ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا ، غَيْرَ أَنَّ ابْنَهَا لَمْ يَكُنْ كَمَا هُنَاكَ .

وَأَسْمُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ : شَيْخَةُ ، وَقَارَنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ فُطُومٍ آلَاتِي خَبَرُهَا فِي وَادِي
الذَّهَبِ ، وَسَأَلْتُ بَعْضَ شَيْوْخِ نَهْدٍ عَنْ هَذَا الْخَبَرِ فَكَذَّبَهُ وَقَالَ : إِنَّمَا قَتَلَ زَوْجَهَا
إِخْوَانُهَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَبِالرَّيْضَةِ مِنَ الْقَطَنِ جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ الصَّالِحِ أَحْمَدَ الْهَدَّارِ بْنِ هَادِي بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ مُحَسَّنِ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ^(١) ، وَنَاسٌ مِنْ آلِ بَاهْرَمُزْ^(٢) ،
وَنَاسٌ مِنْ آلِ بَافُضَلٍ ، مِنْهُمْ الرَّجُلُ السِّيَاسِيُّ الْمُحَنِّكَ الَّذِي لَهُ الْأُضْلَعُ الْأَفْوَى فِي إِقَامَةِ
الدَّوْلَةِ الْقَعِيطِيَّةِ : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ بَافُضَلٍ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ عَوْضٌ يَعُدُّهُ أَحَدَ
أَوْلَادِهِ ، بَلْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْهُمْ ، وَلَا يَسْمَعُ فِيهِ لِأَحَدٍ كَلَامًا ، وَهُوَ أَهْلٌ لَذَلِكَ فَحَوْلَةٌ
وَذَكَاءٌ وَحُسْنُ رَأْيٍ ، وَصَدَقَ فِرَاسِيَّةٌ ، إِلَى حَسَنِ تَوَاضِعٍ وَدِمَائَةِ أَخْلَاقٍ ، فَلَمْ تُغَيَّرْ
فَخَفِضَتْ الدَّوْلَةُ شَيْئًا مِنْ أَخْلَاقِهِ ، بَلْ بَقِيَ عَلَى زِيٍّ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَعَادَاتِهِمْ ، وَلَهُ أَخْبَارٌ
جَزَلَةٌ كَثِيرَةٌ .

وَمِنْهُمْ : مَتَوَلَّى أَنْكِحَتَهَا وَأَهْلَتَهَا ، الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بَافُضَلٍ . وَجَمَاعَةٌ مِنْ آلِ
بَاطَرْفِ الْكَنْدِيِّينَ ، خَلَعُوا السَّلَاحَ - كَأَصْحَابِهِمُ السَّابِقِ ذِكْرُهُمْ فِي غِيلِ بَاوَزِيرٍ - وَلَبَسُوا
ثِيَابَ الصَّلَاحِ ، مِنْهُمْ الْيَوْمَ : مُحَمَّدٌ عُيَيْدٌ وَإِخْوَانُهُ ، مَذْكُورُونَ بِجَمِيلٍ وَمِعَامَلَةٍ طَيِّبَةٍ ،
حَتَّى لَقَدْ بَقُوا يَنْفَقُونَ عَلَى عَمَلَانِهِمُ الَّذِينَ أَنْقَطَعَتْ صِلَاتُهُمْ مِنْ جَاوَةِ مَعَ تَفَارِطِ الْأَيَّامِ
وَطَوْلِ الْمَدَّةِ بِنَصْفٍ مَا كَانُوا يَعْتَادُونَ فِي أَيَّامِ السَّعَةِ ، وَهَذِهِ حَسَنَةٌ غَرَاءُ مُحَجَّلَةٌ ،
لَا سِيَّامًا إِذَا قَرَنْتَهَا لِمَا عَلَيْهِ آلُ سَيْثُونَ ، فَأَنَا أَعْرِفُ أَحَدَ السَّادَةِ بِهَا ، لَا يَكُونُ عِنْدَهُ أَتْنَانٌ
إِلَّا كَانَ الْثَالِثَ وَكِيلُهُ ، الَّتِي تَصِلُ دِرَاهِمُهُ مِنْ جَاوَةِ وَسَنْغَاوَرَةِ عَنْ طَرِيقِهِ ، وَيَخْصِمُ
عَلَيْهِ مِنْهَا خِدْمَةً وَافِرَةً ، وَيَنْتَفِعُ بِإِبْقَائِهَا تَحْتَ يَدَيْهِ ، لِأَنَّهُ لَا يَأْخُذُ مِنْهَا إِلَّا لِلْحَاجَةِ
تَدْرِيجًا ، وَلَا يُحَاسِبُهُ فِي شَيْءٍ قَطُّ ، بَلْ يَدْعُ حَبْلَهُ عَلَى غَارِبِهِ لِيَفْعَلَ مَا يَرِيدُ ، وَبِمَجْرَدِ

(١) مَا ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ مِنْ نَسَبِهِمْ إِلَى أَحْمَدِ الْهَدَّارِ بْنِ هَادِي بْنِ عَلِيٍّ مُخَالَفٌ لِمَا فِي الشَّجَرَةِ الْعُلُويَّةِ .

وَهَنَّاكَ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ الْهَدَّارِ بَعِيْنَاتٍ يَنْسَبُونَ إِلَى الْحَبِيبِ هَادِي بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَسَّنِ بْنِ حُسَيْنٍ .

(٢) تَقْدِمُ ذِكْرَ آلِ بَاهْرَمُزْ فِي هَيْئَتِهِمْ ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ سَيَّاتُونَ فِي شَبَامٍ ، وَهُمْ يَتَسَبَّبُونَ إِلَى بَنِي شَيْبَةَ كَمَا فِي
مَشْجَرَاتِهِمْ .

ما أنقطعتِ الأسبابُ . . تنكَّرَ لَهُ تنكُّراً فاحشاً ، حتَّى لقد كادَ ينقطعُ السَّلامُ والكلامُ ،
فلعنةُ اللهِ تترى على اللِّثامِ !

وبعضهم يزعمُ أنَّ قَطْنَ هَذا المذكورُ في قولِ امرئِ القيسِ [في معلقتهِ مِنْ
الطَّويلِ] :

أَصَاحَ تَرَى بَرْقاً أَرِيكَ وَمِضَّةً كَلَمَعَ أَلْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلَّلِ
يُضِيءُ سَنَاهُ أَوْ مَصَابِيحَ رَاهِبٍ أَهَانَ السَّلِيطَ فِي الذَّبَالِ الْمُفْتَلِ
قَعَذْتُ وَأَصْحَابِي لَهُ بَيْنَ ضَارِجٍ وَبَيْنَ أَلْعَذِيبِ بَعْدَ مَا مُتَأَمَّلِ
عَلَى قَطَنِ بِالسَّيْمِ أَيْمَنُ صَوْبِهِ وَأَيْسَرُهُ فَوْقَ السَّتَارِ وَيَذُبِّلِ
وقولِ سُحيمِ بْنِ وَثِيلِ الرَّيَّاحِيِّ [مِنْ الْوافرِ] :

مَتَى أَحْلُلْ إِلَى قَطَنِ وَرَيْدٍ وَسَلَمَى تَكْثُرُ الْأَصْوَاتُ دُونِي
وجاء في (ص ٥٧ ج ٥) من « صبح الأعشى » في ترجيلِ الطَّرِيقِ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى
عَمَانَ^(١) أَنَّهَا : (تنتهي إِلَى ساحلِ هَجَرٍ ، ثُمَّ إِلَى الْعَقِيرِ ، ثُمَّ إِلَى الْقَطَنِ ، ثُمَّ إِلَى
السَّبَخَةِ ، ثُمَّ إِلَى عَمَانَ) اهـ
وقَطْنُ هَذا ، وفي الشَّعرِ الْمَاضِي بِالتَّحْرِيكِ ، وَأَمَّا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ . . فَسَاكِنُ
الْوَسْطِ .

وَمِنْ قُرَى الْقَطَنِ وَحِصُونِهِ : دَارُ آلِ رَشِيدٍ . وَدَارُ آلِ التَّقِيْبِ . وَسَاحَةُ
الْحَضَارِمَةِ^(٢) .

وَحِصْنُ آلِ الرُّزُوعِ ، وَهُمْ مِنْ نَهْدٍ ، وَلَهُمْ مَرْوَةٌ ، وَهُمْ مِثْلُ آلِ شَيْبٍ - أَصْحَابِ
غُصَيْصِ بْنِ يَزِيدَ الْمُجَلَّفِ - مِنْ نَهْدٍ عَرَمًا وَدُحْرَ حَسَبًا يُقَالُ . إِلَّا أَنَّ مِنْهُمْ وَاحِدًا يُقَالُ
لَهُ : نَاصِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، لَوْ أَمْتَزَجَ لُؤْمُهُ بِمَاءِ النَّيْلِ وَالْفَرَاتِ . . لَعَادَ مِلْحًا أُجَاجًا .

(١) في « صبح الأعشى » : (عِبَادَانِ) .

(٢) نسبةٌ إِلَى آلِ الْحَضْرَمِيِّ ، مِنْ بِيوتِ يَافِعِ .

وساحة آل عليّ الحاج^(١) .

وساحة الجّهاورّة ، ومنهم الشّيخ يحيى بن قاسم الجّهوريّ اليافعيّ ، رجلٌ شهمٌ جزلٌ لا يتقنُ من سوءةٍ ، وله شعرٌ جميلٌ^(٢) . وكان يُكثرُ الكونَ في قزة آل البطاطي ، أخبرني المنصبُ أحمدُ بنُ حسينِ العطّاسُ قالَ : إنّ جماعةً من الصّيعرِ سرقوا عجلًا للعبسِ من رعيّةِ العوابثة في وادي العينِ وذبحوه وحملوا به إلى عندِ آلِ باربّاعٍ في سدبةٍ ، وأخبروهم بالحالِ ، فقالوا لهم : لا ترضون علينا فإنّا نخافُ العوابثة ، فساروا إلى القزة ونزلوا على يحيى بن قاسم هذا ، وأخبروه فأواهم ، ثمّ إنّ العوابثة قدّما دغوى عندَ الحاكمِ النّهديّ على أولئك الصّيعرِ . فانكروا ، فقال لهم النّهديّ : شهودكم؟

فأتوا بآلِ ربّاعٍ ، فقال لهم : ما عندكم؟ قالوا : ما عندنا إلّا أنّنا سمعنا الكلبَ ينبُحُ ، ثمّ جاء هؤلاء الصّيعرُ معهم شيءٌ يحملونه لا ندري ما هو ، فقال لهم النّهديّ : ليست هذه بشهادةٍ ، فاستدعوا يحيى بن قاسم وأرسلوا له مطيّةً ، فقال : مطيّتي أسرعُ ، وعندما وصل . . سأله الحاكمُ عمّا عنده بعدَ شرحِ الحالِ ، فقال له : أشهدُ بالله أنّ هؤلاء أقرّوا بأنّهم سرقوا جحشَ العبسِ الأخضرَ وذبحوه ، وأروني جلدهُ ورأسه ، وأعطوني ربعةً مع الكبدِ ، ورجلي في القيدِ ويندقيّتي عدالةً إن أنكروا .

فاستجهرَ الصّيعرُ هذا الكلامَ الصّريحَ ، وهالهم ، فقالوا له : شهادتُك مقبولةٌ من الأرضِ إلى السّماءِ ، ودفعوا الثّمنَ .

ولمّا عزمَ الجّهوريّ على التّهوضِ . . قالَ له الحاكمُ : والله لا تخرجُ إلّا بعدَ أن تتغدّى ؛ فلقد ذبحْتُ لك كبشاً أنتَ به في شهامتِكَ جديرٌ ، وقالَ لآلِ باربّاعٍ : أخرجوا من داري يا مفخطة النّخلِ ، كتمتوا شهادتكم خوفاً من الصّيعرِ .

وأخبرني بعضُ ثقاتِ يافعٍ : أنّ يحيى بن قاسم المكنّى بولجِم - هذا - كان في

(١) وهم من بيوت يافع العليا .

(٢) تقدم ذكر الشيخ ونموذج من شعره في (قزة آل البطاطي) .

سيئون ، ولما زالوا .. سكن بنخري عمرو ، قبلي شبام ، ثم سار إلى هينن وطرده آل طاهر بن راجح فلهجوا إلى مصنعة خزبة باكرمان في وادي عمد ، وهي مصنعة ، منيعة لا تزال معهم إلى الآن .

ثم إن آل سدة أشتكوا إليه من ظلم البكري ، فحاربه ، وأستولى على سدة وذهب البكري إلى عندل ، ولا تزال مصنعتها بأيديهم إلى الآن ، ولكنهم لا يسكنونها ولا يأتون عندل إلا وقت حصاد زروعهم ، وثمار أموالهم بها ، وإنما يسكنون بالقطن ، وقد مر قبيل القطن أن آل البكري وبني أرض ليسوا من يافع ، وإنما هم من قبائل الرصاص . اهـ

وقوله : (إنه طرد آل طاهر بن راجح بعد جلالة من سيئون) .. لا يتفق مع ما سبق قبيل معوضه : أن آل طاهر بن راجح خلفوا آل كثير على هينن ، وأن يافعاً طردتهم سنة (١١٤٣هـ) ؛ لأن جلاء يافع عن سيئون إنما كان سنة (١٢٦٤هـ) ، والتعدّد بعيد ، وكلام الحبيب علي بن حسن هو الأثبت ؛ لأن ما يتلقى من الأفواه يزيد وينقص .

ومن الجواهر : جابر بن قاسم بن صالح الجهوري ، كان من رمة الحديق ، متفوقاً في الرماية ، يضرب به المثل فيها ، حتى إنه ليضع البيضة على رأس عبده ثم يطلق الرصاص عليها من بعيد .. فلا يخطيء المكان الذي يرسمه منها .

وسمعت سيدي العلامة حسين بن محمد الحبشي يخبر والدي بنظير ذلك عن بعض العلويين بالمدينة ، حتى لقد عزم أحد الأشراف على تأديبهم لأمر جرى منهم ، فخيّم بعسكره في العريض ، ولما تناول فنجان القهوة .. قال العلوي لأصحابه : سأرميه ، قالوا : لا تصيب الشريف فتعرضنا للبلاء ، فقال لهم : لا تخافوا ، ثم التقط الفنجان ببندقية من بين أصابع الشريف من غير أن يمسه بسوء ، فأكبر الشريف هذه المروءة والمهارة ، فأنصرف بالقوم .

أما قول يحيى : (مسكني حصن الدويل) .. فمحمّل لأن يكون المراد حصن سيئون أو حصن شبام ؛ إذ كل منهما يقال له : حصن الدويل .

ومن قرى القطن : حصن المداشلة .

وحَوْطَةُ الثَّوَرِ ، للسَّيِّدِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ سَقَّافِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ ^(١) ، وهي عبارة عن دارٍ ومسجدٍ ، وبساتينٍ نخلٍ لَهُ هناك ، وقد أَلَفَ بِشَأْنِهَا رسالةً سَمَّاها : « جالِبُ أَلْسُرورٍ في تاريخِ حوطةِ الثَّوَرِ » ، وخَلَفَهُ عَلَيْهَا وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وهو رجلٌ شهمٌ غيورٌ ، وَلَهُ أَوْلَادٌ مَبَارَكُونَ .

وفي شرقي حوطة الثَّوَرِ بوادي الحبط دِيَارِ آلِ بِالْحَامِضِ ، لا يزالُ بها منهم اليومَ نحوُ الأربعينَ رجلاً وهم من نهدٍ .

ومن قُرى القطنِ ديارُ آلِ أَحْمَدَ ، ومنهم : صاحبنا الشَّيْخُ صلاحُ أَحْمَدُ الْأَحْمَدِيُّ ، رجلٌ كريمٌ ، شريفُ النَّفْسِ ، طويلُ الْقَامَةِ ، جميلُ الصُّورَةِ ، فاضلُ الْأَخْلَاقِ ، قويُّ الْعَارِضَةِ ، لَهُ شِعْرٌ جَزَلٌ بِالطَّرِيقَةِ الدَّارِجَةِ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَتَّهِمُ - كما سيأتي في عرضِ مَسرورٍ - أَنَّهُ هُوَ الْفَرَزْدَقُ الشَّاعِرُ الْمَجْهُولُ الَّذِي دَوَّخَ الْهِنْدَ بِأَهَاجِيهِ ، ومَلَأَ أَلْبَلَادَ دَوِيًّا وضجيجاً ، وهو أَلآنَ يَخْتَنِقُ الْمَمْتَةَ ، مُتَمَعًّا بِالْعَقْلِ وَالْحَوَاسِّ ، لا حَرَمْنَا اللَّهُ لِقَاءَهُ فِي خَيْرٍ ؛ فَإِنِّي كَثِيرُ الْحَنِينِ إِلَى مِثْلِهِ مِنْ قَدَامَى الْأَصْحَابِ وَالْمَعَارِفِ ، كما قالَ أَبُو الطَّيِّبِ [في الْمَكْبَرِيِّ ٢٨٤ / ٤ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

خَلَقْتُ الْوفاَ لَوْ رُدِدْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبِي مُوجِعَ الْقَلْبِ بَاكِياً
وهو مِنْ أَصْحَابِ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ أَبِي شَهَابٍ ، الْمُخْتَصِّينَ بِهِ ^(٢) .
وَالْعَيْنِ ^(٣) ، وهو مِنْ قَدَامَى بِلَادِ الْقَطَنِ .

(١) هو الحبيب الفاضل الصالح المؤرخ محمد بن سقاف بن أبي بكر بن أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر . مولده بعينات في حدود (١٢٧٧هـ) ، ووفاته بالمكلا في حدود (١٣٥٠هـ) ، له مؤلفات ممتعة عجيبة مفيدة .

(٢) توفي صلاح الأحمدي بالهند حيدر آباد سنة (١٣٧٤هـ) ، عن (١٠٦) سنوات ، وآل الأحمدي من بطون يافع ، ومقرهم جبل لعبوس ، كان الشيخ صلاح شاعراً كبيراً ، وكان له صوت في نقد الأوضاع السياسية والاجتماعية في حضرموت من مقر إقامته بحيدر آباد .
ينظر كتاب السيد حامد المحضار « حياة السيد الزعيم » .

(٣) ويسكن العين جماعة من آل بامطرف ، وآل حسان الذين نزح جماعة منهم إلى شبام وتوطنوها ، =

ثُمَّ : عُقْدَةُ آلِ الْمُصَلِّي وَالشَّائِوش^(١) . ثُمَّ : دِيَارُ آلِ سَعْدِ .

ثُمَّ : عَرْضُ آلِ بُلْعَلَا ، وَسمعتُ أَنَّهُمْ مِنْ آلِ بِالْحَارِثِ أَهْلِ بِيحَانَ ، وَهُمْ مِنْ الْمُتَسَبِّينَ - كَالِ الْزَّوْعِ - بِالْخِدْمَةِ وَالْوَلَاءِ إِلَى الْأَسَادَةِ آلِ خَيْلِهِ^(٢) ، وَكَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَيُكْرِمُونَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ جَاؤُوا إِلَيْهِمْ مَرَّةً فِي الْعَيْشِ يَبْسُ ، فَأَرَادُوا مَدَاعِبَتَهُمْ .. فَتَلَقَّوهُمْ ، وَبَعْدَ أَنْ صَافَحُوهُمْ وَأَتَجَّهُوا بِهِمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ .. هَمُّوا بِالْأَرْتَجَازِ ، فَقَالَ شَاعِرُهُمْ :

حَيَّا بِذِي السَّادَةِ وَمَنْ جَا سَعَفَهُمْ يَا دَاخِلِينَ الْعَرْضِ فِي أَيَّامِ الصُّيُوفِ
الْعَامَ قَدْ جِئُوا ، وَجِئُوا ذِي السَّنَةِ مَا شِئِيَ عَلَى الْعِدَّانَ بَقْعًا إِلَّا حُفُوفُ
فَغَضِبَ آلُ خَيْلِهِ ، وَصَرَفُوا أَعْنَةَ الدَّوَابِّ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ آلُ بُلْعَلَا يَتَرْضَوْنَهُمْ
وَيَعْتَزُّونَ إِلَيْهِمْ .. حَتَّى رَضُوا وَسَارُوا مَعَهُمْ إِلَى عَرْضِهِمْ وَزَادُوا عَلَى الْعَادَةِ فِي
إِكْرَامِهِمْ . وَأَلُ بُلْعَلَا مِنْ كِرَامِ الْقَبَائِلِ ، يَتَّصِلُ طَارِفُهُمْ بِتَلِيدِهِمْ^(٣) ، وَكَانَ فِيهِمْ عِلْمَاءُ
وَشُعْرَاءُ ، أَمَّا الْعِلْمُ .. فَقَدْ أَنْقَرَضَ ، وَأَمَّا الشُّعْرَاءُ .. فَفِيهِمْ إِلَى الْآنَ ، وَفِي عَرْضِ آلِ
بُلْعَلَا نَاسٌ مِنْ آلِ السَّقَافِ ؛ مِنْهُمْ السَّيِّدُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

ثُمَّ : نَفَقَ ، فِيهِ سَادَةٌ مِنْ آلِ الْحَبَشِيِّ ، وَنَاسٌ مِنْ آلِ جَابِرٍ ، وَلَقَدْ مَرَرْتُ ذَاتَ سَنَةٍ -
فِي طَرِيقِي إِلَى الْمَشْهَدِ - بِتِلْكَ الْمَنَازِلِ فِي طَرِيقِي إِلَى دُوعَنْ . فَإِذَا أَكْثَرُ حَصُونٍ يَافِعٍ
خَالِيَةٍ عَنِ الرِّجَالِ ، فَتَذَكَّرْتُ قَوْلَ أَبِي عَلِيٍّ الْبَصِيرِ [فِي « دِيَوَانِهِ » مِنْ الْكَامِلِ] :
فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الشُّوَارِعُ بَعْضَ مَا أَخْلَتِ إِيَادُ مِنَ الْبِلَادِ وَجُرْهُمُ

= واشتهروا بصياغة الذهب . ومن سكان العنين : آل وحدين ، بطن من آل شراحيل ، ينسبون لجدهم الشيخ عبد الواحد شراحيل الملقب وحدين ، وقد نزحوا من العنين وتوطنت جماعة منهم بالمكلا ، وجماعة بشبام . ومنهم بيت بغيل أبي وزير ، صاحبه سالم أمبارك وحدين ، كان نجاراً ماهراً متواضعاً حسن الخلق .
(١) المُقَدِّد - جمع عُقْدَة - والمراد : عقدة آل المصلي ، وعقدة آل الشاوش ، وكلاهما من ديار يافع ، وظهر من آل المصلي علماء وفقهاء أفاضل ، منهم الشيخ محفوظ بن سعيد المصلي ، انظر « الفكر والثقافة » (١٨٤) . ومنهم جماعات في المهاجر لا سيما السعودية وبلاد الخليج .

(٢) أحوال المؤلف رحمه الله ، وسيأتي ذكرهم في سيئون .

(٣) طارفهم بتليدهم : حديثهم بقديمهم .

كَانَتْ مَعَاداً لِلْعُيُونِ فَأَصْبَحَتْ عِظَةً وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ يَتَوَسَّمُ^(١)
تَبْكِي بِظَاهِرٍ وَخَشَى وَكَأَنَّهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ تَبْكِي بَعَيْنٍ تَسْجُمُ
وَكَأَنَّ مَسْجِدَهَا الْمَشِيدَ بِنَاؤُهُ رُبْعُ أَحَالٍ وَمَنْزِلٌ مُتَرَسِّمُ
وَتَرَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءَ بِضَيْعَةٍ خَلْفَ أَقَامٍ وَغَابَ عَنْهُ الْقَيْمُ
نَسَأُ اللَّهُ أَنْ يَرِدَّ أَلْمِيَاءَ إِلَى مَجَارِيهَا ، وَيُسْكِنَ الدِّيَارَ بِبَانِيهَا .

الْمَسْحَرَةُ

أَرْضٌ وَاسِعَةٌ خَضْبَةٌ ، يَحْدُهَا قِبَلًا : دُبُورُ الْبَاطِنِ ، وَنَجْدِيَّ : الْجِبَالُ وَمَقْتُكُ وَادِي
سَرٍّ ، وَجَنُوبًا : الْقَطْنُ وَقَرَاهُ ، وَشَرْقِيًّا : الْمَوْزَعُ .
يَنْدَفِعُ فِيهَا مَا يَزِيدُ مِنْ مِيَاهِ عَمْدٍ وَدُوعِنِ وَوَادِي الْعَيْنِ ، وَمَتَى شَرِبْتَ . . يُخْصِبُ
النَّاسُ وَيَزْغُدُ الْعَيْشُ .

وَفِي طَرَفِهَا الْجَنُوبِيَّ : دَارُ الْكَرَّاكِ ؛ وَهِيَ دِيَارٌ خَرِبَةٌ لِلْحُكُومَةِ الْقَعِيطِيَّةِ .
وَمِنْ وَرَاءِ دَارِ الْكَرَّاكِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ : وَادِي عُقْرَانَ .

وَفِي شَرْقِيَّتِهِ : الْمَوْزَعُ^(٢) ؛ وَهُوَ ضَمِيرٌ فِي غُرْضٍ مِسْيَالِ سَرٍّ ، يَرْدُعُ أَلْمِيَاءَ إِلَى شِبَامٍ
وَمِنْهُ تُسْقَى ، وَكَثِيرًا مَا تَضُرُّهُ الْكُثُيُولُ ، فَيَتَكَبَّدُ أَلْ شِبَامُ فِي إِعَادَتِهِ خَسَائِرَ بَاهِظَةٍ ، إِلَّا أَنَّ
عِمَارَتَهُ الْأَخِيرَةَ كَانَتْ قَوِيَّةً مُحْكَمَةً فَلَمْ يَجْرِفْهَا تَيَّارُ الْكُثُيُولِ ، وَأَعَانَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ
يُغْلَوْهَا كَثِيرًا ، فَخَفَّتْ عَنْهَا فَرْطُ الصَّدَامِ .

(١) المعاد : المرجع .

(٢) الْمَوْزَعُ - بضم الميم وسكون الواو وكسر الزاي - هو : بناء كما ذكر المؤلف في غُرْضِ وَادِي سَرٍّ ، شبيه
بالسَّد ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَحْفَظُ الْمِيَاءَ خَلْفَهُ وَإِنَّمَا يَعْمَلُ عَلَى تَصْرِيفِهَا وَدَفْعِهَا بِطَرِيقَةٍ هَنْدَسِيَّةٍ مُحْكَمَةٍ إِلَى
جُرُوبِ شِبَامٍ وَمَزَارِعِهَا ، وَكَانَتْ آخِرُ عِمَارَةٍ مُحْكَمَةٍ لَهُ فِي سَنَةِ (١٣٦٤ هـ) تَقْرِيْبًا ، وَكَانَتْ تَشَكَّلَتْ
فِي شِبَامٍ لِحِجَابِ مَنْ كَبَارِ السَّنِ وَعَقَالِ الْبِلَادِ وَحَذَاقِهَا لِلنَّظَرِ فِي شُؤْنِ هَذَا الْمَوْزَعِ ، لِأَنَّ عَلَيْهِ اعْتِمَادَهُمْ
فِي حِفْظِ مِيَاهِ الْأَمْطَارِ وَالسِّيُولِ وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْهَا ، إِذْ بَدُونَهُ يَفْقَدُونَ تِلْكَ الْكَمِّيَّاتِ الْهَائِلَةَ مِنَ الْمِيَاهِ ،
وَيَخْسِرُونَ الْمَوْسِمَ الزَّرَاعِي .

وَمِنْ وَرَاءِ الْمُوزَعِ : خَشَائِمُ ، وَهِيَ : قَرْيَةُ آلِ عَلِيٍّ جَابِرِ الْيَافَعِيِّينَ ، وَهُمْ قَبِيلَةٌ خَشِنَةٌ .

تَنْمِيهِهُمْ مِنْ ذِي رُغَيْنِ أُسْرَةً بِيضُ الْوُجُوهِ إِلَى الْمَكَارِمِ تَنْمِي (١)
مِنْ كُلِّ أَغْلَبَ وَدُهُ أَنْ أَبْنَاهُ يَوْمَ الْحِفَاطِ يَمُوتُ إِنْ لَمْ يُكْرَمِ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا سَالِمُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الْحَبِيبِ بْنِ عَلِيٍّ جَابِرِ ، أَلْسَابُ ذِكْرُ
أَكْرَوْمَتِهِ فِي غِيَاظِ الشَّخْرِ . . لَأَبْقَى لَهُمْ مَجْدًا مَخْلَدًا . وَلَهُمْ مَعَ الدَّوْلَةِ الْقُعَيْطِيَّةِ
حُرُوبٌ وَمَوَاقِفٌ لَمْ تَضْرَعْ فِيهَا خَدُودُهُمْ (٢) ، وَلَمْ تَعْزُزْ مِنْهَا جَدُودُهُمْ (٣) .

مِنْ ذَلِكَ : أَنَّ الْحَدَّادِيَيْنِ أَفْسَدُوا بَعْضَ نَخْلِ آلِ عَلِيٍّ جَابِرِ بِالْقَازِ ، وَمِنْ عَادَاتِهِمْ :
أَنْ مَنْ فَعَلَ هَذَا الْفَسَادَ لَا يَخْفِرُهُ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ نَاصِرَ مُحَمَّدٍ الدَّهْرِيِّ - وَقَتَ مَا كَانَ
عَلَى شِبَامٍ مِنْ جِهَةِ الْقُعَيْطِيِّ - أَعْطَى ثَلَاثَةَ مِنَ الْحَدَّادِيَيْنِ خِفَارَةً بَعِيدَ ، فَتَعَرَّضَهُمْ آلُ عَلِيٍّ
جَابِرِ وَقَتَلُوا الثَّلَاثَةَ وَهَرَبَ الْعَبْدُ ، فَحَطَّ عَلَيْهِمْ نَاصِرٌ بِالْمَدَافِعِ ، وَلَكِنْ أَلْسَيْدُ أَبَا بَكْرٍ
أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمِخْضَارِ وَأَخَاهُ مُحَمَّدًا كَانُوا وَدَا لآلِ عَلِيٍّ جَابِرِ ، فَكَلَّمُوا أَلْسُلْطَانِ
غَالِبَ بْنِ عَوْضٍ فِيهِمْ ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ الْمَحْطَةِ .

وَمِنْهَا : أَنَّ لآلِ عَلِيٍّ جَابِرِ كُوتًا فِي أَرْضِ تُسَمَّى الصَّبَاحَ ، شَرْقِيَّ خُمُورٍ وَقَبْلَ
خُمَيْرٍ ، بَعْضُهَا عَامَرٌ وَأَكْثَرُهَا غَامَرٌ ، فَأَدَّعَاهَا عَلِيٌّ بْنُ صِلَاحٍ فِي أَيَّامِهِ لِلْقُعَيْطِيِّ ، وَلَمَّا
جَاءَ الْخَرِيفَ . . قَالَ لِأَكْرَاتِهِ : أَذْهَبُوا فَعَرَّشُوا فِيهَا ، فَطَرَدَهُمْ آلُ عَلِيٍّ جَابِرِ ، فَأَرْسَلَ
بِجَمَاعَةٍ مِنْ آلِ الدَّهْرِيِّ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَبِيدِ لِيَفْعَلُوا مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ فِي آلِ عَلِيٍّ جَابِرِ ،
وَلَكِنْ آلُ عَلِيٍّ جَابِرِ أَطْلَقُوا عَلَيْهِمُ الرِّصَاصَ بِمَجَرَّدِ مَا وَصَلُوا ، فَسَقَطَ خَمْسَةٌ مِنْ
الْعَبِيدِ مَعَ أَلْبَارُوتِ وَهَرَبَ أَلْبَاقُونُ ، فَحَطَّ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ بْنُ صِلَاحٍ بِالْمَدَافِعِ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ
بِدُونِ نَتِيجَةٍ ، فَأَشَارَ عَلَى بَعْضِ آلِ كَثِيرٍ بِالتَّوَشُّطِ ، فَتَوَاضَعُوا عَلَى الْكُهْدَنَةِ وَتَفْوِضِ
الْأَمْرِ لِلْإِسْلَاطَانِ عَمَرَ بْنِ عَوْضٍ ، فَأَرْضَى آلُ عَلِيٍّ جَابِرِ عَنِ الْأَرْضِ ثَلَاثَةَ آلَافِ رِيَالٍ ،

(١) البَيِّنَاتُ مِنَ الْكَامِلِ ، وَهِيَ لِلْبَحْرَتِيِّ فِي « دِيَوَانِهِ » (١٤٤ / ١) بِتَغْيِيرِ بَسِيطِ .

(٢) صَرَّحَ الْخَدُّ : كُنَايَةُ عَنِ الذَّلِّ ، وَعَدَمُهُ كُنَايَةُ عَنْ عَدَمِهِ .

(٣) جَدُودُهُمْ : حَظُوظُهُمْ .

وتَحَمَّلَ عَنْهُمْ الْفَقَاتِ الْبَالِغَةَ نَحْوًا مِنْ سِتَّةِ آلَافِ رِيَالٍ ، وَأَجَزَلَ لَهُمُ الْهَدَايَا ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، وَخَرَجَ هُوَ وَإِيَّاهُمْ خَرَجَتَهُ الَّتِي زَارَ بِهَا دَاخِلَ حَضْرَمَوْتَ .

وَشَيْخُ آلِ عَلِيٍّ جَابِرُ الْآنَ : يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ ، قَدْ خَنَقَ مِنْ عَمَرِهِ التَّسْعِينَ ، وَهُوَ مِنْ بَقَايَا الْكِرَامِ .

خَمُور

هِيَ لِلْسَّادَةِ آلِ الْمُحْضَارِ^(١) ، وَآلِ الْحَسَنِ مِنْ آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ^(٢) ، وَكَانَتْ لِآلِ هَظِيلٍ مِنْ آلِ كَثِيرٍ ، فَصَهَرَ إِلَيْهِمْ أَحَدُ السَّادَةِ آلِ الْمُحْضَارِ . وَرَزَقَ وَلَدًا ثُمَّ مَاتَ ، وَخَلَفَهُ عَلَى أَمْرَاتِهِ أَحَدُ آلِ الْحَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ ، وَرَزَقَ أَبْنَاءَ فَوْهَبَ لَهُمْ آلُ هَظِيلٍ خَمُورًا ، وَقَدْ مَرَّ لِلْسَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْضَارِ وَلَدِهِ صَالِحٍ ذَكَرُ فِي الْمَكَلَاءِ .

وَفِي شِمَالِ خَمُورٍ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : جُوجَه^(٣) ، مِنْ دِيَارِ بَنِي سَعْدٍ ، كَانَ يُصَيِّفُ بِهِ

(١) مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ الشَّيْخِ عَمْرِ الْمُحْضَارِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ، وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ أَبُو بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْضَارِ ، وَابْنُهُ : صَالِحٌ ، مِنْ مُعَاَصِرِي الْمُؤَلِّفِ .

(٢) الَّذِي فِي شَجَرَةِ آلِ بَاعْلُوِي كَمَا نَقَلَ عَنْهَا شَيْخُنَا الْأَسَاطِذُ الشَّاطِرِيُّ ، أَنَّ السَّادَةَ آلَ خَمُورٍ ، هُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ صَالِحِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ، وَعَرَفُوا بِآلِ خَمُورٍ ، قَالَ شَيْخُنَا الْعَلَمَاءُ الْأَسَاطِذُ الشَّاطِرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : (وَإِنَّمَا لَقِبَ كُلُّ مِنْهُمْ بِخَمُورٍ - بَفَتْحِ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَضَمِّ الْمِيمِ - اسْمٌ لِمَوْضِعٍ مَعْرُوفٍ غَرْبِي شِبَامٍ بِجَنُوبِهَا لِأَنَّ جَدَّهُمْ سَاكِنٌ بِهِ ، فَيُقَالُ لِكُلِّ مِنْهُمْ : خَمُورٌ كَالْمَعْتَادِ فِي أَمْثَالِهِ مِنْ الْإِكْتِفَاءِ بِالْمُضَافِ إِلَيْهِ ، فَلَا يَقُولُونَ سَاكِنٌ خَمُورٌ ، بَلْ يَقُولُونَ خَمُورًا اخْتِصَارًا) اهـ « الْمَعْجَمُ اللَّطِيف » (٨٦) .

(٣) جُوجَه : مَنَاطِقُ زَرَاعِيَّةٌ يَسْكُنُ فِي أَطْرَافِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ السَّعْدِيِّ كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ، وَبِهَا أَرَاضٌ وَاسِعَةٌ فِي مَلِكِ السَّادَةِ آلِ سَمِيطٍ ، أَهْلُ شِبَامٍ ، آلُ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْنٍ ، وَآلُ عَمْرِ بْنِ زَيْنٍ ، وَبِهَا مَسْجِدٌ بَنَاهُ الْإِمَامُ الْكَبِيرُ الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنٍ بْنِ سَمِيطٍ ، وَإِلَى جَوَارِهِ بَثْرٌ عَمِيقَةٌ ، وَهُوَ دَاثِرُ الْآنَ ، وَإِلَى جَوَارِ الْمَسْجِدِ بَرَكَةُ مَاءٍ جَابِيَةٌ يُقَالُ لَهَا : إِنَّ الَّذِي بَنَاهَا هُوَ السَّيِّدُ طَاهِرُ بْنُ حَسَنِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ زَيْنٍ بْنِ سَمِيطٍ . أَوْ وَالِدُهُ . وَفِي مَتَنَصِفِ الْجَبَلِ الْمُطَّلِ عَلَى جُوجَهٍ يَوْجَدُ كَهْفٌ وَاسِعٌ ، قِيلَ : إِنَّ السَّادَةَ آلَ سَمِيطٍ كَانُوا يَتَعَبَّدُونَ فِيهِ ، وَلَا سِيَمَا سَيِّدُنَا الْإِمَامَ الْعَابِدَ السَّجَّادَ الْحَبِيبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ . وَيَوْجَدُ بِهَا الْآنَ خَزَانُ مَاءٍ يُسْقِي بَيْوتَ شِبَامٍ مِنْ بَثْرِ ارْتَوَازِيَّةٍ حَفَرَتْ فِي جُوجَهٍ . وَبِهَا صَخُورٌ كَبَارٌ عَلَيْهَا كِتَابَةٌ قَدِيمَةٌ ، وَبِهَا أَشْكَالٌ غَرِيبَةٌ .

سَيِّدُنَا الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ سُمَيْطٍ ، وَيَخْتَرَفُ فِي بَسْتَانِ نَخْلٍ لَهُ بِهِ . وَبِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ مَرْزُقٍ ^(١) .

ثُمَّ : السَّعِيدِيَّةُ ^(٢) ، عبارة عن كُوتٍ وَاحِدٍ فِي طَرَفِ سَجِيلِ آلِ مَهْرِيٍّ الْغُرَبِيِّ .

وادي سَرْ وَقَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ صَالِحٍ

فِي شِمَالِ الْكَسْرِ : وَادِي سَرْ ^(٣) ، يَفْصُلُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ لَا عَرْضَ لَهُ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مُحَرَّفٌ عَنِ الرَّسِّ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ التَّحْرِيفِ وَقَعَ بِكَثْرَةِ عِنْدَ الْحَضَارِمِ وَغَيْرِهِمْ . وَهُوَ وَادٍ وَاسِعٌ ، تَصُبُّ إِلَيْهِ أَوْدِيَةٌ وَجِبَالٌ كَثِيرَةٌ .

وَفِي سَفْحِ الْجَبَلِ الَّذِي بِأَعْلَاهُ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : (عَسَنَبَ) : قَبْرُ نَبِيِّ اللَّهِ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْأَدَلَّةُ عَلَى وَجُودِهِ بِحَضْرَمَوْتَ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا : قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَإِلَى تَحْمُودِ آخَاهُمْ صَلَاحًا قَالَ يَنْفَوِرَ أَتَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آلِهِ ﴾ ^(٤) وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ؛ إِذِ الْخِلَافَةُ صَرِيحَةٌ بِوُجُودِهِمْ بِدِيَارِ عَادٍ ، وَهِيَ حَضْرَمَوْتُ غَيْرُ مَدَافِعَةٍ .

(١) السَّادَةُ آلُ مَرْزُقٍ - بَفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الزَّايِ - مُتِمَّاهُمْ إِلَى جَدِّهِمْ أَحْمَدَ الْمَلَقَبِ مَرْزُقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَطَبِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْقَرِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلُوِيٍّ . إلخ .

وَقَدْ سَكَنُوا شِبَامًا مِنْ الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ أَوْ الْعَاشِرِ . وَظَهَرَ فِيهِمْ أَعْلَامُ أَكَابِرٍ ، مِنْ أَشْهُرِهِمُ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهَ الْقَاضِي عَمْرُ بْنُ حُسَيْنٍ مَرْزُقِ الْمَتَوَفَى بِشِبَامَ سَنَةِ (١٢٦٥ هـ) تَقْرِيْبًا .

(٢) حَصْنُ سَعِيدِيَّةٍ : حَصْنٌ حَرْبِيٌّ قَدِيمٌ ، لَعَلَّ بِنَاءَهُ يَعُودُ إِلَى أَيَّامِ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ الْأُولَى ، وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ (١٢٦١ هـ) أَخَذَ السُّلْطَانُ مَنصُورُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَيْسَى بْنِ بَدْرِ حَصْنَ السَّعِيدِيَّةِ عَلَى الشَّنَافِرِ آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَهْرًا ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْهُمْ فِي (١٢٦٤ هـ) ، ثُمَّ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ عَسَاكِرُ يَافِعَ فِي سَنَةِ (١٢٧٣ هـ) ، كَمَا يُعْلَمُ مِنْ « الْعُدَّةِ الْمَفِيدَةِ » لِابْنِ حَمِيدٍ . وَسَيَأْتِي ذِكْرُ آلِ مَهْرِيٍّ فِي السَّجِيلِ لِاحْتِقَاقِهِ .

(٣) وَادِي سَرْ : مَسِيَالُ مَاءٍ شِمَالِ الْقَطْنِ ، يَسِيلُ مِنْ رَيْدَةِ الصَّيْعَرِ ، وَتَذْهَبُ مِيَاهُهُ لِتُرْوِيَ الْأَرْضَ وَالنَّخْلَ ، الْمُحِيطَةَ بِمَدِينَةِ شِبَامٍ .

وقال غير واحدٍ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ ، مِنْهُمْ الْيَعْقُوبِيُّ : (إِنَّهُ لَمَّا هَلَكَتْ عَادٌ . . صارَ في ديارِهِم ثمودٌ)^(١) .

وفي (ص ٥٩٠ ج ٢) مِنْ «شرح التَّهْجِ» : (قالَ الْمُفسِّرونَ : إِنَّ عاداً لَمَّا هَلَكَتْ . . عَمَّرَتْ ثمودٌ بلادَها ، وخَلَفُوهُم في الأَرْضِ) .

وفي «الْتَّاجِ» : (أَنَّ العربَ العاربةَ - وَهُم : عادٌ و ثمودٌ وأَمِيمٌ وَعِيبِلٌ . . . وَوَبَار - كُلُّهُم نزلوا الأَحْقَافَ وما جاورَها) .

وقالَ ياقوتُ [٤٣/٣] : (روي أَنَّ الرَّمْسَ ديارٌ لطائِفَةٍ مِنْ ثمود) .

وقالَ البَغَوِيُّ عندَ تفسِيرِ قولِهِ تعالى : ﴿ وَيَثْرُثُ مَعْطِلَةٌ وَاقْصِرْ مَشِيدٌ ﴾ : (روي عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ هَذِهِ الْبَثْرَ كانتَ بِحَضْرَمَوْتَ)^(٢)

ويتأكَّدُ هذا بما سيأتي في بَوْرِ وحنظلة بن صفوان عليهما السَّلَامُ ، ولا يَغْبِرُ على شيءٍ ما صحَّ أَنَّ ثمودَ بِالْحِجْرِ ؛ لِأَنَّ الموجودينَ بِحَضْرَمَوْتَ إمَّا أَنْ يكونوا نَجَعُوا إليها بعدَ نجاتِهِم مِنَ العذابِ كما فَصَّلَ بـ «الأَصْلِ» ، وإمَّا أَنْ يكونوا ضارِبِينَ مِنْ هُناكَ إلى حَضْرَمَوْتَ ؛ إذ لا يُسْتَنَكَّرُ ذلكَ مِنْ أُمَّةٍ عَظِيمَةٍ يملأُ خَبْرُها سَمْعَ الأَرْضِ وبصرَها وقد سبقَ في أخبارِ حَجَرِ القَوْلِ بأنَّ فيها الواديَ المُشارَ إليه في قولِهِ جَلَّ ذِكْرُهُ : ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ ﴾ .

وأخبرني غيرُ واحدٍ مِنَ أَهْلِ تلكَ النَّاحِيَةِ أَنَّهُم لا يَقْدرونَ أَنْ يَقْبِروا أَحداً في موضعٍ يُرَى مِنْ مَكَانِ قَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَإِنْ قَبِروا أَحداً مِنَ الْجَهْلَةِ أو تَرَكَتِ الصَّلَاةُ بِحَيْثُ يَتراءى مِنْ موضعِ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . لَفَطَتْهُ الأَرْضُ .

وإنَّما يَقْبِرونَ مِنْ وراءِ جَبَلٍ يَسْتُرُهُم مِنْ مَكَانِ ضَرِيحِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وأكثرُ وادي سرٍّ لآلِ كثيرٍ ؛ فَهَمُ بِغَايَةِ الْحَاجَةِ إلى التَّردُّدِ إليه .

(١) تاريخ اليعقوبي (٢٢/١) .

(٢) تفسير البغوي (٢٩١/٣)

وفي حدود سنة (١٣٠٧ هـ) بدأ لعبد الحميد بن عليّ جابر أن يبني كوتا في موضع يُقال له : (قلات) على طريقهم ، فأشتدّ عليهم الأمر ، وجاء محمد بن بدر إلى لحمان بن عبد العزيز فقال له : سر وأخبر عائض بن سالمين ، فسار إلى بابكر وأخبر آل عباد ، فكاتبوا السلطان وآل كثير ، فلم يجبههم أحد ، فعاد على غبراء الظهر فلاقاه لحمان إلى بعض الطريق ولما خبره بالجليّة . . سبه وأخذ جملة وركب عليه وهو أرمذ إلى عائض ، فكتب للسلطان ولآل كثير من الليلة الثانية : أن وافوا إلى القارة ، فجاؤوا بقضهم وقضيضهم ، وشعر بهم عبد الحميد ، فجاء إلى منصر بن عبد الله يطلب النجدة فلم يساعده ، وقال له : نحن نحب إخماد الشر وأنت تثيره ، وهجم عائض بمن معه على الكوت وأحرقه ، وكان فيه تسعة ؛ أثنان من الطراشمة^(١) رمى بهم البارود إلى مكان بعيد فسلموا ؛ وسبعة من العبيد سقط عليهم الكوت فهلكوا .
هذه رواية مبارك بن جعفر الفحوم والذي في « الأصل » غيرها ، والله أعلم .

وادي يَبْهُوض

هو وادٍ واسع عن يمين الدّاخل من الشّرق إلى وادي سرّ ، إلّا أنّ الجبال التي تدفع إلى وادي سرّ أكثر منه ، وفيه قرى صغيرة .
وبعد أن تُسقى الشّراج التي فيه . . يفيض ماؤه على : شراج الجّوادة ، وهي قرية يسكنها ناس من آل حريز ، وهم قبائل من حملة السّلاح ، ينتسبون بالخدمة إلى القطب الحذاد ، ولهم فيه اعتقاد جميل ، وظنّ حسن .
ومن اللّطائف : أنّ أحد متأخريهم كان يتصلّ بواحد من السّادة آل سميط ، وآخر من السّادة آل العيدروس ، وكان يُحبّهما ويواسيها ، فتنافسا ، وأراد العيدروسي أن يستأثر به ، فقال له : إنّ صاحبك السميطي ليس بكامل السّيادة ؛ لأنّه لم يكن من ذريّة ألفقيه المقدّم .

(١) الطراشمة : هم الذين وظيفتهم صيانة المدفع وضربه .

فَعُظِمَتْ عَلَى ابْنِ حَرِيزٍ ، وَرَأَى أَنَّهَا مَنْقُصَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَانْقَطَعَ عَنْهُ ، فَعَرَفَ دُخْلَةَ الْأَمْرِ . . فَتَصَيَّدَهُ ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ . . قَالَ لَهُ : مَا أَخْرَكَ عَنِّي ؟

فَقَالَ لَهُ : مَا أَحْبَبْتُ إِلَّا عَلَى ظَنِّ كِمَالِ سَيَادَتِكَ ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لِي أَنَّكَ لَسْتَ مِنْ ذُرِّيَةِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ .

فَقَالَ لَهُ : أَسْمَعْ ، أَمَّا أَنَا وَالْقَطْبُ الْحَدَّادُ . . فَعَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ وَهُوَ عَمُّ الْفَقِيهِ ، وَأَمَّا الْعِيدَرُوسِيُّ . . فَإِنَّمَا هُوَ وَالْجَفْرِيُّ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ .

وَكَانَ السَّادَةُ آلُ الْجَفْرِيِّ مَنْحَطِّينَ فِي أَنْظَارِ الْعَامَّةِ ؛ لِاحْتِرَافِهِمْ بِجَلْبِ الْأَبْقَارِ وَالْحَمِيرِ ، فَانْعَكَسَتْ نَتِيجَةُ التَّدْبِيرِ ، وَكَانَتِ الْفَيْصُولَةُ بَيْنَ الْحَرِيزِيِّ وَالْعِيدَرُوسِيِّ .

وَلَالَ شَبَامَ وَغَيْرِهِمْ أَمْوَالٌ كَثِيرَةٌ يَبْهُوضُ ، وَمَا يَزِيدُ مِنْ سِيلِهِ عَنِ الْجَوَادِهِ وَمَا إِلَيْهَا . . يَجْتَمِعُ مَعَ مِيَاهِ سَرِ .

وَفِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٧٩٤هـ) : أَنَّ آلَ سُؤَيْدِ بْنِ عَسَّالٍ بَنَوْا قَرْنًا بِالْمَيْصِ بِوَادِي يَبْهُوضَ .

عَرَضُ مَسْرُورٍ

هُوَ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ فِي جَنُوبِ الْجَبَلِ الشَّمَالِيِّ عَنْ شَبَامَ ، فِي غَرْبِهَا مَفْتَكُ^(١) وَادِي سَرِ ، وَكَانَتِ لآلِ سَالِمِ بْنِ زَيْمَةَ الْكَثِيرِيِّينَ .

وَلَمَّا اسْتَوْلَى السُّلْطَانُ الْكَثِيرِيُّ عَلَى أَمْوَالِ بَنِي بَكْرِ بِمَزَيْمِهِ ، بَعْدَ إِعَادِهِمْ عَنْهَا فِي سَنَةِ (١٢٨٤هـ) حَسَبَمَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِهِمْ . . حَصَلَ مِنَ السُّلْطَانِ الْقَعِيطِيُّ رَدُّ فَعْلٍ ، فَطَرَدَ آلَ سَالِمِ بْنِ زَيْمَةَ مِنْ عَرَضِ مَسْرُورٍ^(٢) .

وَفِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ : حُويلَةُ آلِ الشَّيْخِ عَلِيٍّ ، وَفِيهَا آلُ نَهِيمٍ ، مِنْ الْمَشَايِخِ آلِ بَاوَزِيرِ ، لَا يَزِيدُ رَجَالُهُمْ بِهَا أَلْيَوْمَ عَنْ خَمْسَةِ عَشَرَ ، وَآلُ حَوِيلٍ مِنْ آلِ كَثِيرٍ ، وَمِنْ بَقَايَاهُمْ بِهَا أَلَّآنَ نَحْوُ خَمْسَةِ رَجَالٍ بِعَائِلَاتِهِمْ .

(١) أَي : مَسِيلِ وَادِي سَرِ .

(٢) كَانَ ذَلِكَ فِي سَلْخِ ذِي الْقَعْدَةِ (١٢٨٤هـ) « الْعِدَّة » : (٢٧١ / ٢) وَالْحَاصِلُ : أَنَّهُ أَسْكَنَ كُلًّا مِنْهُمْ فِي مَحَلِّ الْآخَرِ . وَجَرَتْ حَوَادِثُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٢٧٠هـ) « الْعِدَّة » (١٢٣ / ٢) .

وفي شرقي حويلة : مَصْنَعَةُ آلِ سالم بنِ عليٍّ وآلِ عبدِ اللَّهِ بنِ عليٍّ . وفي جانبه الشرقي : حصون آلِ الشَّيخِ أحمد بنِ عليٍّ أيضاً ، ولا تزالُ بينهم خِماشاتٌ ؛ وأمَّا آلُ سالم بنِ حسين بنِ يحيى بنِ هزْهَرَةَ . فكانت ديارُهُم في وَسْطِ سيئون ، وكانت لَهُم رئاسةُ شهارةِ بسيئون والَشُوقِ ، وكانَ سَكَنُ رئيسِهِم - بل رئيسِ آلِ الطَّبِيِّ بسيئون : الشَّيخُ صالح بنِ سالم الشَّرْفِيُّ - : حصنَ الدَّوِيلِ بسيئون ، ولمَّا زالوا عنها انتقلوا أولاً ، ثُمَّ ابْتَنَوْا لَهُم حصوناً^(١) بِالْقَطَنِ ، بينَ آلِ الْفَضْلِيِّ وآلِ الْمَصْلِيِّ ، وما بها منهم الآنَ غيرُ الْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ ، وأمَّا الرِّجَالُ فـ(بِجَاوَةٍ) .

وآلُ الشَّيخِ عليٍّ كُلُّهُم مَسَاعِيرُ حَرْبٍ^(٢) ، وأبَاةٌ ذُلٌّ ، وَحُمَاةٌ حَقَائِقُ ، ينطبقُ على جَدِّهِم قولُ أَبِي تَمَّامٍ [في «ديوانه» : ٢٢٩/١ مِنْ الْكَامِلِ] :

أَكْفَاءُهُمْ تِلْدُ الرِّجَالِ وَإِنَّمَا وَلَدَ الْخُثُوفُ أَسَاوِدًا وَأُسُودًا
وهذا البيت مِنْ الْبَدَائِعِ ، وقد تحرَّشَ بِهِ الرَّضِيُّ فيما يَأْتِي عَنْهُ فِي حصنِ الْعِزِّ وَلَهُم أخبارٌ كثيرةٌ فِي «الْأَصْلِ» .

وكانَ بَيْنَهُم وبينَ جَدِّنا الْعَلَامَةِ الْإِمَامِ محسنٍ عِدَاءٌ وَسَوْءُ تَفَاهُمٍ^(٣) ، أَرَادَ الْمَاسُ عَمْرُ مولى الْقُعَيْطِيِّ بدهائه - الَّذِي تَمَزَّقُ بِهِ سَحْبُ الْمَشْكَلاتِ - أَنْ يُزِيلَهُ . . . فَلَمْ يَقْدِرْ ، وَلَوْ نَجَحَ . . . لَمَا قَامَتِ لآلٍ كَثِيرٍ قَائِمَةٌ قَطُّ .

وَعَدَدُ آلِ الشَّيخِ عليٍّ هُنْوَلاءٍ لَا يَزَالُ قَلِيلاً ، لَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ مِنْ الْقَصِيدَةِ الْأُخْرَى [في «ديوانه» : ٢٤٤/١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

فَلُّوا وَلَكِنَّهُمْ طَابُوا فَأَنْجَدَهُمْ جَيْشٌ مِنَ الصَّبْرِ لَا يُخْصِي لَهُ عَدَدٌ^(٤)

(١) كان زوالهم من سيئون ونواحيها في ربيع الأول عام (١٢٦٩هـ) «العدة» (١٠٣/٢) .
(٢) مساعير - جمع مِسْعَر - وهو : الَّذِي تُحَرِّكُ بِهِ النَّارَ . ومسعار حرب : كناية عن الشُّجَاع الَّذِي يُوجِّعُ نارَ الحربِ .

(٣) بدأ الخلاف من سنة (١٢٦٤هـ) «العدة» (١٠٣/١-٤٤٢-٤٥١) .

(٤) فُلُّوا : هربوا ، وليس المقصود هنا هروبهم حقيقة ، بل المقصود أَنَّهُم انْهَزَمُوا قَلِيلاً بِحَيْثُ لَوْ كَانَ هَذَا الْانْهِزَامُ بِغَيْرِهِمْ فُلُّ وَهَرَبَ ، وَلَكِنَّهُمْ طَابَتِ أَنْفُسُهُم بِالْمَوْتِ ، وَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ . . . فَرَبِحُوا .

إِذَا رَأَوْا لِلْمَنَآيَا عَارِضًا.. لَبِسُوا مِنْ أَلْيَقِينَ دُرُوعًا مَا لَهَا زَرَدٌ^(١)
نَازًا عَنِ الْمُضْرَحِ الْأَذْنَى فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الشُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَدَدٌ^(٢)

وَمِنْ أَخْبَارِ آلِ سَالِمِ بْنِ عَلِيٍّ - وَهُمْ صَالِحُ بْنُ سَالِمٍ وَحُسَيْنُ بْنُ سَالِمٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ سَالِمٍ - أَنَّ أَحَدَ آلِ جَوْفَانَ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٣٠ هـ) كَانَ يَمْشِي بِحِمْلٍ مِنَ الْحَطَبِ ، وَمَعَهُ عَبْدٌ صَغِيرٌ لَّالِ الشَّيْخِ الْمَشَارِ إِلَيْهِمْ ، فَلَقِيَهُ بَعْضُ الْغُرَبَاءِ مِنْ يَافِعَ ، وَكَانَ يَطْلُبُهُ بِثَأْرٍ .. فَأَرَادَهُ ، فَسَارَ الْعَبْدُ يَقُودُ بَعِيرَ الْجَوْفَانِيِّ ، وَأَخْبَرَ مَوْلَاهُ الشَّيْخَ حُسَيْنَ بْنَ سَالِمِ بْنِ عَلِيٍّ ، فَجَمَعَ أَوْلَادَهُ وَقَالَ لَهُمْ : أَتُكْمُ طَالِقٌ بِالثَّلَاثِ إِنْ لَمْ تُبَيِّضُوا وَجْهِي الْيَوْمَ وَلَمْ أَقْتُلْ أَحَدًا مِنْكُمْ غَدًا .

فَخَفُّوا إِلَى شَبَامٍ - وَعَلَيْهَا الشَّيْخُ يَحْيَى بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَلِيٍّ جَابِرٍ نَائِبًا مِنْ جَهَةِ السُّلْطَانِ غَالِبِ بْنِ عَوْضٍ - وَحَالًا طَلَعُوا إِلَى الْحَضَنِ ، وَأَغْلَقُوا الْأَبْوَابَ ، وَقَالُوا لِلشَّيْخِ : إِمَّا أَنْ تُسَلِّمَ لَنَا أَلْقَاتِلَ ، وَإِلَّا.. . تَقَاسَمْنَا الْمَوْتَ فِي هَذَا الْمَنْزِلِ حَتَّى لَا يَسْلَمَ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ الْأَجَلُ .

وَلَمَّا عَرَفَ أَنَّ الْأَمْرَ جَدُّ.. . تَخَلَّصَ مِنْ فَنَاءِ النُّفُوسِ الْكَثِيرَةِ بِتَسْلِيمِهِ ، وَمَا كَادُوا يَنْفَصِلُونَ بِهِ عَنْ شَبَامٍ حَتَّى ذَبَحُوهُ ، غَيْرَ أَنَّ السُّلْطَانَ غَالِبًا تَمَيَّزَ مِنَ الْغَيْظِ عَلَى يَحْيَى وَلَمْ يُؤَلِّهِ عَمَلًا بَعْدَهَا ، وَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ ، وَلَوْلَا أَنَّهُ جُبِلَ عَلَى الْعَفْوِ وَكَلَّمَهُ النَّاسُ.. . لَقَطَعَهُ إِرْبًا إِرْبًا ؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَدَرَ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرْضَ.. . لَمْ يَقْدِرْ آلُ الشَّيْخِ عَلَى مَا فَعَلُوا ، فَفِي الْقَضِيَّةِ ضَمِيرٌ تَقْدِيرُهُ : أَنَّ آلَ الشَّيْخِ عَلِيٍّ أَرْضُوا آلَ عَلِيٍّ جَابِرٍ ، وَإِلَّا.. . فَمَا كَانُوا لِيُؤْخَذُوا ضَغْطَةً ، وَإِنَّمَا أَشَاعُوا مَا سَبَقَ لِلتَّغْطِيَةِ ، وَإِلَى ذَلِكَ يَشِيرُ شَاعِرُ الْهِنْدِ الْمَجْهُولُ الْمَلْقَبُ بِالْفَرَزْدَقِ :

يَا بَنَ عَلِيٍّ جَابِرَ تَحَيَّلْ مَا الْجَمَاعَةُ لِلنَّقُودِ

(١) العارض : السحاب المعترض في السماء وكأنه يشتر بهطول المطر ، وهو هنا على الاستعارة ؛ أي : إذا رأوا بوادر وعوارض الموت.. فرحوا بذلك وثبتوا بشكل غريب ، وهو أنهم يثبتون ويقاتلون بدروع ليس لها زرد ؛ أي : حلق . والله أعلم .

(٢) المضرخ : المغيث .

ضحك عليهم قد حشمتوهم وسرحوا بالبرود

وقد اختلف في هذا الشاعر ؛ فقليل : إنه العلامة ابن شهاب ، وقيل : إنه الأمير حسين بن عبد الله القعيطي ، وقيل : إنه الشيخ صلاح أحمد لحمدي ، وقيل : إنه عبد القوي بن سعيد بن علي الحاج .

وأما آل أحمد بن علي^(١) : فیرأسهم الشيخ علي بن أحمد ، صاحب الدار التي بجانب سدة سيئون القبليّة ، وكان موجوداً في سنة (١٣٢٨هـ) ، ثم أصابته رصاصة غربت من آل سالم بن علي ، كان فيها حتفه .

واتفق أن كان عندهم يوم قتله رجل شرير من آل علي جابر يثير لأصحابه الفتن ، فزعم أن قتله وهو عندهم يخفر ذمته ؛ فأشار الشيخ يحيى بن عبد الحميد بقتله ، وكان له ابن غائب ، فقدم حتى ختل يوماً عبد الله بن عبد الحميد فأطلق عليه الرصاص مع خروجه لصلاة الصبح ، ولكن آل علي جابر قتلوه في الحال ، وما شيعوهما إلا معاً .

ولعبد الله بن عبد الحميد هذا شذوذ ، حتى إنه نزل مرة على الشيخ محمد بن علي بن عبود في باندوم ، ولما شرعوا في راتب الحداد . . قال الشيخ عبد الله بن عبد الحميد : هذا بدعة . فقال الشيخ محمد بن علي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . . إلخ . . بدعة !! وطردة .

والشيخ علي بن أحمد هو والد الشيخ عبد القادر بن علي ، الذي أقام دهرًا طويلاً على إمارة شبام بالنيابة عن السلطان غالب بن عوض ، وكان حسن الأخلاق مؤطاً الأكفاف ، محبوباً عند الناس^(٢) .

(١) وهم أصحاب المصنعة المقدم ذكرها .

(٢) آل الشيخ علي هريرة ، من قبائل يافع العليا ، ينسبون لجدهم الأعلى الشيخ علي هريرة ، الذي نصب سنة (٩٩٢هـ) ليكون مرشداً دينياً على بلاد يافع ، وخلفه ابنه أحمد ، فصالح ابن أحمد الذي تسلم زمام قيادة قبائل يافع ، وأعلن تغيير اللقب من شيخ إلى سلطان ، واستمر إلى سنة (١١١٧هـ) ، وخلفه ابنه ناصر الذي امتد حكمه إلى الشحر وخلفه أخوه السلطان عمر بن صالح الذي مر ذكر بعض أخباره ورحلته سابقاً . ولما مات السلطان عمر . . انقسمت يافع ، ولم تزل زعامة آل هريرة قائمة إلى عام (١٩٦٧م) ، وكان آخر السلاطين هو الشيخ فضل بن محمد هريرة . «المقضي» .

نُخْرَ عَمْرُو (١)

هو مكانٌ في غربيّ شبام على ساعة ، يسكنه الجَهَاوَرَةُ مِنْ يافع أصحابُ الشَّيْخِ يحيى بن قاسم السابق ذكره ، وهم خَوَاضُو غمراتٍ ، وحتوف أقرانٍ . وكان على رئاستهم عليُّ بنُ عبدِ الكريمِ الجَهْوَريِّ .

وكانت لآلِ النَّقِيبِ (٢) دولةٌ بشبام ، فضربَ أَحَدُهُمْ مسكيناً مِنْ مساكينِ نُخْرِ عَمْرُو فأشتكى إلى عليِّ عبدِ الكريمِ ، فأكنَّها في نفسه ، حتَّى سمعَ بعضَ التَّعْيِيرِ مِنَ الشُّعْرَاءِ والسَّماسرةِ ، فحملَ أصحابُه على أَنْ يَتَسَوَّروا سورَ شبام بالليل ، فكمنوا تحتَ الجامعِ حتَّى أَقبلَ عليهم اثْنانِ مِنْ آلِ النَّقِيبِ فقتلوهما ، ثُمَّ اتَّحَمَ الحربُ ، وقُتِلَ اثْنانِ مِنَ الجَهَاوَرَةِ وآخَرانِ مِنْ آلِ النَّقِيبِ ، ثُمَّ خَفَّ الجيرانُ (٣) لِإيقافِ الحربِ ، وأوَّلُ مَنْ وصلَ : صالحُ بنُ عبدِ الحبيبِ بنِ عليِّ جابرٍ في حشدٍ مِنْ أصحابِه ، فحجَزَ بينَ الفريقينِ ، وعقدَ بينَهُمْ هُدنةً لمدَّةٍ ما يُجَهِّزونَ قتلاَّهُمْ ، وفي أَثنائها . . وصلَتْهُمُ الذَّبائِحُ مِنَ النَّقِيبِ للجَهاوَرَةِ إلى الدَّارِ الَّذِي هُمْ فِيهِ بِشَبام ، وهكذا كانت بنو مالِكٍ .

إِذَا أَفْتَرَقُوا عَنْ وَقَعَةٍ جَمَعَتْهُمْ لِأُخْرَى دِمَاءٌ مَا يُطْلُ نَجِيعُهَا (٤)
تَذُمُّ أَلْفَتَاةُ الرُّودِ شِمَةَ بَغْلِهَا إِذَا بَاتَ دُونَ الْأَثَارِ وَهُوَ ضَجِيعُهَا (٥)
تُقْتَلُ مِنْ وَثَرٍ أَعَزَّ نَفْسِهَا عَلَيْهَا بِأَيْدٍ مَا تَكَادُ تُطِيعُهَا
إِذَا أَحْتَرَبَتْ يَوْمًا فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرَتْ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُهَا
وَلَا عَيْبَ إِلَّا أَنْ حِلِمَ حَلِيمِهَا يُسَقِّهُ فِي شَرِّ جَنَاهُ خَلِيعُهَا

(١) لفظة (النُّخْر) بضم فسكون ، تكررت في بعض مناطق حضرموت . . فهناك : نخر عيقون . في غيل بن يمين ، ونخر كعدة قرب تريم ، وهذا ، ونخر عينات وغيرها ويطلق على المحلة المقامة جوار الأرض التي نخرتها السيول .

(٢) آل النقيب من بطون يافع ، وكانت سيطرتهم في السابق على تريس ، ثم سكن منهم جماعة شباماً ، ثم جلوا عنها ، وتقدم ذكر عُقْدَتِهِمْ فِي الْقَطَن .

(٣) خَفَّ الجيرانُ : أسرعوا .

(٤) الأبيات من الطَّوِيل ، وهي للبحرِيِّ في « ديوانه » (١١-٩/١) . يطلُّ : يهدر . نجيعها : دمها .

(٥) الرُّود : الفتاة الجميلة الحسنة الشَّابة ، وهي مسهَّلة من : الرُّودُ .

وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ شَبِيهُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَرِّ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

إِذَا خَرَجُوا مِنْ غَمْرَةٍ رَجَعُوا لَهَا بِأَسْيَافِهِمْ وَالطَّغْنِ حَتَّى تَفَرَّجَا

وَهُوَ مِنْ قَصِيدَةٍ قَالَهَا وَهُوَ فِي حَبْسٍ مَصْعَبَ بْنِ الزُّبَيْرِ .

لقد كانت يافعٌ على أحسن ما كانت العربُ عليه منَ الْوَفَاءِ بِالذِّمَمِ ، وَصِدْقِ الْكَلِمِ ، وَبُعْدِ الْهَمَمِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ بِالْآخِرَةِ بَغَوْا وَتَكَبَّرُوا ، وَكَثُرَ مِنْ سَفَاهَتِهِمْ الظُّلْمُ ، وَالْجورُ وَالْفَسَادُ ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي تَمَّامٍ [فِي « دِيوانه » : ٩٨ / ٢ مِنْ الْبَسِيطِ] :

لَا تَجْعَلُوا الْبَغْيَ ظَهْرًا إِنَّهُ جَمَلٌ مِنْ الْقَطِيعَةِ يَزْعَى وَادِي النَّقَمِ ^(١)
نَظَرْتُ فِي السَّيْرِ الْلَاتِي خَلْتُ فَإِذَا أَيَّامُهُ أَكَلَتْ بَاكُورَةَ الْأُمَمِ
أَفْنَى جَدِيسًا وَطَسْمًا كُلَّهَا وَسَطًا بِالْأَنْجُمِ الزُّهْرِ مِنْ عَادٍ وَمِنْ إِرَمِ
أَزْدَى كُلِّيًّا وَهَمَامًا وَهَاجَ بِهِ يَوْمَ الذَّنَائِبِ وَالتَّخْلَاقِ لِلَّمَمِ ^(٢)
يَا عَفْرَةَ مَا وَقِئْتُمْ شَرَّ مَضْرَعِهَا وَزَلَّةُ الرَّأْيِ تُنْسِي زَلَّةَ الْقَدَمِ

(١) الظَّهْرُ : مَا يُرْكَبُ فَوْقَهُ وَيَحْمَلُ عَلَيْهِ الْأَمْتَعَةُ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ . وَالْمَعْنَى : لَا تَبْغُوا وَتَجْعَلُوا الْبَغْيَ كَالْجَمَلِ الَّذِي تَحْمِلُونَ عَلَيْهِ مَتَاعَكُمْ ؛ لِأَنَّهُ كَالْجَمَلِ غَيْرِ الذَّلُولِ ، وَرَبِّمَا أَكَلَ صَاحِبَهُ .

(٢) كَلِيبُ : هُوَ كَلِيبُ وَائِلٍ ، أَخُو الْمَهْلَلِ (الزُّبَيْرِ سَالِم) ، وَهُوَ الَّذِي كَانَتْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ بِعِزَّتِهِ . هَمَامٌ : هُوَ أَبْنُ مَرْءَةٍ مِنْ بَكْرِ ، وَهُوَ الَّذِي طَلَبَ التَّغْلِيثُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ بِكَلِيبِ الَّذِي قَتَلَهُ جَسَّاسُ بْنُ مَرْءَةٍ . يَوْمَ الذَّنَائِبِ : يَوْمٌ ظَفَرَ فِيهِ بَنُو تَغْلِبَ عَلَى بَنِي بَكْرِ . تَخْلَاقُ اللَّئِمَمِ : هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي ظَفَرَ فِيهِ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادَ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الزُّبَيْرَ سَالِمَ (الْمَهْلَلِ) قَتَلَ بُجَيْرَ بْنَ الْحَارِثِ هَذَا .

مَعَ الْعِلْمِ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عُبَادَ كَانَ مِنْ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ ، وَقَدْ اعْتَزَلَ حَرْبَ الْبَسُوسِ مِنْ أَوَّلِهَا ، وَقَالَ : (لَا نَاقَةَ لِي فِيهَا وَلَا جَمَلَ) فَعَدَا كَلَامَهُ مِثْلًا .

ثُمَّ لَمَّا أَكْثَرَ الْمَهْلَلُ وَأَسْرَفَ فِي الْقَتْلِ . . جَاءَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ إِلَى الْحَارِثِ هَذَا ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَكَلِّمَ الْمَهْلَلُ فِي ذَلِكَ . . فَأَرْسَلَ ابْنَهُ رَسُولًا لِلْمَهْلَلِ فِي كِتَابٍ ، وَقَالَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ : (وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَلْبُكَ قَدْ اشْتَفَى بِقَتْلِكَ مَنْ قَتَلْتَ . . فَاقْتُلْ ابْنِي بُجَيْرًا بِكَلِيبِ ، وَأَنَّهُ الْحَرْبُ ، وَتَكُونُ قَدْ قَتَلْتَ مَلَكًا بَمَلِكِ) . . فَتَارَ عِنْدَ ذَلِكَ غَضَبُ الْمَهْلَلِ ، وَطَعَنَ بِجَيْرٍ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ : (بُوُ . . بِشِيعِ نَعْلِ كَلِيبِ) .

وَلَمَّا بَلَغَ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادَ هَذَا الْكَلَامَ . . طَارَ لُبُّهُ ، وَفَقَدَ رُشْدَهُ ، وَثَارَ وَنَادَى بِالْحَرْبِ ، وَارْتَجَلَ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ ، الَّتِي كَرَّرَ فِيهَا قَوْلَهُ : (قَرَّبَا مِرْبَطَ النِّعَامَةِ مِنِّي) أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ مَرَّةً ، وَالنِّعَامَةُ : اسْمُ فَرَسِهِ ، فَجَاوَزَهُ بِهَا ، فَجَزَّ نَاصِيَتَهَا ، وَقَطَعَ ذَنْبَهَا - وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنَ الْعَرَبِ فَاتَّخَذَ سُنَّةً عِنْدَ إِرَادَةِ الْأَخْذِ بِالثَّأْرِ - وَأَمَرَ جَمِيعَ مَنْ مَعَهُ بِأَنْ يَحْلُقُوا لِمَمَمِهِمْ - وَمِنْ هُنَا سُمِّيَتِ الْمَعْرَكَةُ هَذِهِ بِاسْمِ : =

شِبَام^(١)

قَالَ ياقوتُ : (وشِبَامُ حَضْرَمَوْت^(٢)) : إِحْدَى مَدِينَتَيْهَا ، وَالْأُخْرَى تَرْيَمُ .

قَالَ عِمَارَةُ أَلَيْمَنِي : وَكَانَ حُسَيْنُ بْنُ سَلَامَةَ - وَهُوَ عَبْدُ نُوَيْي^(٣) وَزَرَ لِأَبِي الْجَيْشِ بْنِ زِيَادٍ صَاحِبِ أَلَيْمَنِ - أَنْشَأَ الْجَوَامِعَ الْكِبَارَ ، وَالْمَنَائِرَ الطُّوَالَ مِنْ حَضْرَمَوْتِ إِلَى مَكَّةَ ،

= تحلاق اللَّمَم - وَثَارَ عَلَى قَوْمِ الْمَهْلَهْلِ بَنِي تَغْلِبَ ، وَقَتْلَ مِنْهُمْ الْكَثِيرَ ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ ، وَأَسْرَ الْمَهْلَهْلَ ، فَجَزَّ نَاصِيَتَهُ وَأَطْلَقَهُ ، وَأَقْسَمَ أَنْ لَا يَكْفُفَ عَنْ تَغْلِبَ حَتَّى تَكْلُمَهُ الْأَرْضُ فِيهِمْ ، فَأَدْخَلُوا رَجُلًا فِي سِرْبٍ تَحْتَ الْأَرْضِ ، وَمَرَّ بِهِ الْحَارِثُ ، فَأَنشَدَ الرَّجُلُ :
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَبِيحُ بَعْضَنَا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
فَقِيلَ : بَرَّ الْقَسَمَ ، وَاصْطَلَحْتَ بِكَرٍ وَتَغْلِبَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) شِبَام : دَرَّةُ وَادِي حَضْرَمَوْت ، وَتَاجُ سَرِيرِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ يَزْهُو بِهَا وَبِرَجَالِهَا ، وَكَمَا قِيلَ كَثْرَةُ الْأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْمَسْمَى فَإِنَّ لِشِبَامِ أَسْمَاءَ عَدِيدَةً تَعْرِفُ بِهَا فِي الْجَهَةِ ، وَبَعْضُهَا قَدِيمٌ ، فَمِنْهَا : شِبَامُ ، الْعَالِيَةُ ، الصَّفْرَاءُ ، أُمُّ الْجَهَةِ ، الزُّرَافَةُ - لَعْلُوهَا - ، يَتَّحِمُ ، الدَّمَنَةُ .

وَهِيَ الْآنَ مُصَنَّفَةٌ ضَمْنَ أَقْدَمِ بِلْدَانِ الْعَالَمِ ، وَتَقُومُ مَنْظِمَةُ الْيُونِسْكُو الْعَالَمِيَّةُ بِرِعَايَتِهَا وَتَرْمِيمِهَا ، وَتَصْرِفُ أَمْوَالًا ضَخْمَةً لِحِمَايَةِ مَبَانِيهَا ، وَلِلْمَنْظِمَةِ الْمَذْكُورَةِ مَكْتَبٌ دَائِمٌ بِالْحَصْنِ الشَّرْقِيِّ بِشِبَامِ .
وَطَالَمَا كَتَبَ الرَّحَالُونَ الْعَرَبُ ، بَلْ وَالْأَجَانِبُ عَنْهَا ، وَسَمَوْهَا نَاطِحَاتُ السَّحَابِ ، بَلْ هِيَ أَقْدَمُ نَاطِحَاتِ سَحَابٍ فِي الْعَالَمِ ؛ لَعْلُو مَبَانِيهَا ، وَيَسْمِيهَا بَعْضُ الرِّحَالَةِ الْغَرْبِيِّينَ : مَانَهَاتِنَ الصَّحْرَاءِ ، عَلَى اسْمِ مَدِينَةِ أَمْرِيكِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ بَعْلُو مَبَانِيهَا ، وَلَكِنْ مَبَانِي شِبَامِ عُلَّتْ بِرَجَالِهَا وَقَوْمِهَا الصَّالِحِينَ ، أَمَا تِلْكَ فَعُلُّوهَا بِأَمْوَالِ الرِّبَا ، وَشَتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا .

(٢) شِبَامُ حَضْرَمَوْت : أَيُّ الْمَوْجُودَةِ فِي حَضْرَمَوْتِ وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ أَنَّ اسْمَهَا كَذَلِكَ وَإِلِزَافَةُ هُنَا لِلتَّبْيِينِ ؛ أَيُّ : لِتَبْيِينِهَا عَنْ غَيْرِهَا ؛ إِذْ قَالَ يَاقُوتُ قَبْلَ ذَلِكَ : (وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ يُوَثِّقُ بِرَوَايَتِهِ مِنْ أَهْلِ شِبَامِ : أَنَّ فِي الْيَمَنِ أَرْبَعَةَ مَوَاضِعَ اسْمِهَا شِبَامُ :

شِبَامُ كُوكِبَانِ : غَرْبِي صَنْعَاءَ ، وَبَيْنَهُمَا يَوْمٌ . . . وَمِنْهَا كَانَ هَذَا الْمُخْبِرُ .

شِبَامُ سُخَيْمِ : بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَالتَّصْفِيرِ ، قَبْلِي صَنْعَاءَ بِشَرْقٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَنْعَاءَ نَحْوُ ثَلَاثَةِ فَرَاسِخٍ .

شِبَامُ حَرَّازِ : بِتَقْدِيمِ الرَّاءِ عَلَى الزَّايِ وَحَاءَ مَهْمَلَةٍ ، وَهُوَ غَرْبِي صَنْعَاءَ نَحْوَ الْجَنُوبِ ، وَبَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ يَوْمَيْنِ .

شِبَامُ حَضْرَمَوْت (. . .) وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ ؛ وَقَدْ تَسَمَّى شِبَامُ سُخَيْمِ بِشِبَامِ الْغَرَّاسِ ؛ لِقَرْبِهَا مِنْ مَدِينَةِ الْغَرَّاسِ .

(٣) الثُّوبَةُ : جِيلٌ مِنَ السُّودَانِ ، الْوَاحِدُ مِنْهُمْ : نُوبِي .

وطول المسافة التي بنى فيها سئون يوماً ، وحفر الآبار المروية ، والقلب^(١) العاديّة ، فأولها شبام وتريم مدينتا حضرموت ، واتصلت عمارة الجوامع منها إلى عدن عشرون مرحلة^(٢) ، في كل مرحلة جامع ومثدنة ويثر^(٣) اهـ

وقد سبق في شبوة ما لاحظناه على ابن الحائك في تسميتها^(٤) ، وفي « روضة الألباب » للشريف أبي علامة اليماني : أنّ تريماً وشباماً وسناً . هم بنو السكون بن الأشرس بن كندة . وفيها - أيضاً - : أنّ تريماً والأسنى بحضرموت .

وأكثر الناس على أنّ شباماً لقب عبد الله بن أسعد بن جشم بن حاشد بن جشم بن حيران^(٥) بن نوف بن همدان ، وبهذه القبيلة سُميت المدينة اليمانيّة الواقعة في قضاء كوكبان ، وبها أيضاً سُميت القلعة الواقعة بقمّة الجبل الخشام ، المسمّى بأسمها أيضاً ، وهو واقع في قضاء حراز ما بين الحديدة وصنعاء ، وقد نزل بعض تلك القبيلة بحضرموت ، وسكنوا شباماً فسُميت بهم أيضاً^(٦) ، وبه يتأكد أنّ أهل شبام وأهل قارة آل عبد العزيز من نهد همدان ، لا من نهد قضاة .

أمّا حنظلة بن عبد الله الشبامي الذي قتل مع الحسين عليه السلام . فيحتمل أنّه من شبام حضرموت ، ويحتمل أنّه من شبام اليمن^(٧) .

ومن العجب أنّ صاحب « التاج » قال في مادّة (كثر) : (وآل باكثير - كأمير - : قبيلة بحضرموت ، فيهم محدثون ، منهم : الإمام المحدث المعمر عبد المعطي بن

(١) القلب : الآبار ، جمع قلب . والعادية نسبة إلى قوم عاد ، فلعلها كانت هناك قلب قديمة طمرتها السيول والرمال فأعادها واستخرجها الحسين بن سلامة .

(٢) المرحلة : المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم وليلة .

(٣) معجم البلدان (٣ / ٣١٨) .

(٤) من قوله : إن الأصل في شبام : شباه ؛ لأن أهل شبوة هم أول من سكنوها ، ثم أبدلت الهاء ميماً !! .

(٥) في نسخة : (حيران) بالخاء المعجمة .

(٦) وهناك قول آخر وهو : إنّما سميت باسم بانيها الحميري شبام بن الحارث بن حضرموت الأصغر بن

سبا الأصغر بن كعب بن سهل بن زيد الجمهور المتني إلى سبا الأكبر بن قحطان . ينظر : « معجم

البلدان والقبائل » (١ / ٨٤٥) ، « تعريفات تاريخية » (ص ٢٣) .

(٧) هو من شبام كوكبان لا شبام حضرموت ، كما يعلم من عبارة ياقوت في « البلدان » (٣ / ٣١٨) .

حسن بن عبد الله باكثر الحضرمي^(١) ، المتوفى بـ (أحمد آباد) ، ولد سنة (٩٠٥ هـ) وتوفي سنة (٩٨٩ هـ) ، أجازته شيخ الإسلام زكريا ، وعنه أخذ عبد القادر بن شيخ بالإجازة .

ومنهم : عبد الله بن أحمد بن محمد بن عمر باكثر الشبامي^(٢) ، ممن أخذ عن البخاري (اهـ)

وجود اسم عمر في عمود هذا النسب مما يتأكد به ما قررته في قول شيخنا المشهور ، وشيخه أحمد الجنيد - : إِنَّ الْعُلُوَيْنَ كَانُوا يَجْتَنِبُونَ أَسْمَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ حَضْرَمَوْتَ شِيعَةٌ - مِنْ تَخْصِيصِ الشَّيْخِ بِالْعُلُوَيْنِ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ .
وإني بتمعني العموم ، وأكثر أهل حَضْرَمَوْتَ إِذْ ذَاكَ إِبَاضِيَّةً ، وقد راجعت « تهذيب التهذيب » للحافظ ابن حجر فلم أر لعبد الله بن أحمد هذا ذكراً ، ولكن . . من حفظ حجة على من لم يحفظ .

ولكنني تبينت بعد - كما يأتي في تريس - أن البخاري في « التاج » ليس إلا محرفاً تحريفاً مطبعياً عن السخاوي ، فقد جاء في « الضوء اللامع » له ذكر : عبد الله بن أحمد هذا وأنه أخذ عنه ، ويتأكد بتأخير « التاج » له عن عبد المعطي ، ولو كان قديماً . . لقدّمه عليه .

أمّا عبد الجبار بن العباس الهمداني الشبامي^(٣) ، المحتمل النسبة إلى شبام هذه وإلى غيرها . . فقد أخرج له الترمذي وأبو داود في (القدر) ، والبخاري في « الأدب المفرد » .

وفي شبام جماعة كثيرة من آل باكثر ، منهم : الشيخ عبد الله بن صالح بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن سلمة باكثر ، ترجم له السيّد محمد بن زين بن سميّ في كتابه : « غاية القصد والمراد » ، وكان من خواص القطب

(١) ترجمته في « النور السافر » حوادث سنة (٩٨٩ هـ) ، و « البنان المشير » (٣٥-٣٩) .

(٢) توفي الشيخ عبد الله هذا سنة (٩٢٥ هـ) بمكة ، وكان مولده سنة (٨٤٦ هـ) .

(٣) إنما هو من شبام كوكبان ، كما في « التهذيب » في ترجمته : وشبام جبل باليمن اهـ

الحدّاد ، وله منه مكاتبات كثيرة ، توجد في « مجموعها » ، توفي بشبام .

ومن « تاريخ باسرا حيل » أنّه : (وقع وباء شديد في سنة ٧٨٤هـ) ، مات منه خلق كثير بشبام ، كان منهم : الشيخ محمد بن عبد الله باجمال ، والشيخ عبد الرحمن ابن عبد الله باعباد ، والشيخ عبد الله ابن الفقيه محمد بن أبي بكر عباد ، والفقيه عمر بن عبد الله بامهرة^(١) ، والفقيه أحمد بن أبي بكر حفص ، والفقيه ابن مزروع ، ودام ذلك الوباء نحواً من أربعة أشهر . ثم زال) اهـ

ومن هذه السّياقة . . تعرف ما كانت عليه شبام من الثروة العلميّة .

ومن فقهاء شبام وعلمائها^(٢) : الشيخ محمد بن أبي بكر عباد^(٣) ، كان الشيخ عبد الرحمن السّقف يقصده من تريم إلى شبام للقراءة عليه .

وفي الحكاية (٣٠٨) من « الجوهري » [٥٨/٢] : عن محمد بن أبي سلمة باكثر قال : (صعدت مع بعض آل باوزير إلى شبام ، فبينما نحن عند العارف بالله محمد بن أبي بكر عباد - وهو في آخر عمره - إذ جاء الشيخ عبد الرحمن السّقف ، فأجله واحترمه ، وأخذنا يتذاكران من الضّحى إلى الأصفرار ، لا يرفعان مجلسهما إلّا للضروريّات ، وكان الفقيه باعباد شيخ السّقف ، ولكنه يحترمه) اهـ بمعناه .

وفي سنة (٧٥٢هـ) قدّم الشيخ يحيى بن أبي بكر بن عبد القويّ التّونسيّ إلى شبام في رجب ، وسافر في رمضان من تلك السنة ، وقد ترجمه الطّيب بامخرمة ، وذكرت في « الأصل » أنّ قدومه إلى حضرموت كان في سنة (٧٧٢هـ) بناءً على ما وجد بخط سيّدنا الأستاذ الأبرّ ، لكنّ الذي في « سفينة البضائع » للحبيب عليّ بن حسن العطّاس

(١) كان من كبار فقهاء عصره ، وله ذكر في « مجموع بن طه الفهري » وغيره .

(٢) ومن أجل علماء شبام الحافظ المحدث الرحالة المسند الإمام أبو نزار ربيعة بن الحسن الشبامي ثم الصنعاني ، مولده بشبام حضرموت سنة (٥٢٥هـ) ، ووفاته بمصر القاهرة سنة (٦٠٩هـ) ، أخذ عن كبار حفاظ عصره ، ورحل إلى أصبهان وهمدان والعراق والشام والحرمين ومصر . له ترجمة في : « تذكرة الحفاظ » ، و« سير النبلاء » للذهبي ، و« التكملة لوفيات النقلة » للمنذري .

(٣) الشيخ الإمام الكبير ، وفاته بشبام سنة (٨٠١هـ) ، وتماّم نسبه محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد باعباد ، وعم أبيه هو الشيخ الكبير عبد الله بن محمد الملقب بالقديم باعباد .

و « عقود الالال » لسيدي الأستاذ الأبر : أن قدومه لم يكن إلا سنة (٧٥٢ هـ) ، وتكرّر عنه أخذ الشيخ محمد بن أبي بكر عبّاد .

ونقل الطيّب أنه وقع موت كثير بحضرموت أوائل سنة (٩٣٠ هـ) ، وفيها توفي الفقيه شجاع الدين عمر بن عقيل بلربيعة ، وعبد الله بن عمر باعقبة ، وأخوه أحمد بن عمر باعقبة ، وعمر بن أبي بكر باذيب في نحو أربع مئة جنازة من شبام وحدها .

وكان الشيخ أبو بكر بن سالم يتردد إلى شبام للأخذ عن الشيخ معروف باجمال ، وكذلك السيد أحمد بن حسين بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة (٩٦٨ هـ) يتردد على الشيخ معروف ، والسيد أحمد بن حسين هذا من كمل الرجال ، قال الشيخ عمر بن زيد الدوعني : (خرجت من بلدي أطلب مربياً ، فلما دخلت إلى تريم . . دلوني على الشيخ أحمد بن حسين ، فخدمته ولازمته ، وفتح علي من الفضل والخير ما لم يبق في اتساعا للغير) .

والشيخ معروف^(١) أوحّد صوفيّة شبام في زمانه ، ولقيته محن شديدة . . فزال عن شبام ثلاث مرّات :

- الأولى : سنة (٩٤٤ هـ) إلى السور ، وكان معه في هذه المرّة عشرة من تلاميذه وفقرائه ؛ منهم : محمد بن عمر جمال^(٢) ، وعمر بن محمد جمال ، ومحمد بن

(١) هو الشيخ الكبير معروف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد مؤذن بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن إبراهيم باجمال الكندي الشبامي الحضرمي ، مولده بشبام ليلة (١١) رمضان سنة (٨٩٣ هـ) ، ووفاته ببضه بدوعن ليلة السبت (١٥) صفر (٩٦٩ هـ) . تربى ونشأ في حجر والده ، وتخرج بشيخه الكبير الشيخ عبد الرحمن الأخضر باهرمز ، وكان صاحب دعوة وهمة عظيمة . ينظر ترجمته في : « مواهب الرب الرؤوف » الذي أفرد له ترجمته تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمن سراج باجمال ، و « النور السافر » ، و « السناء الباهر » ، و « تاريخ الشعراء » (١٤٧ / ١) .

(٢) الشيخ محمد بن عمر باجمال : من أجل تلامذة الشيخ معروف وأكثرهم ملازمة له ، ولد بشبام سنة (٩٠٥ هـ) ، كان عالماً إماماً محققاً ، له مجاهدات عظيمة ، مكث (٤٠) سنة يصوم ولا يفطر إلا في العيدين وأيام التشريق . له مؤلفات عظيمة منها : « مقال الناصحين » وهو أشهر كتبه ، وقد طبع بدار الحاوي ببירות في طبعة فاخرة مجلدة . و « الكفاية الوفية في إيضاح كلمات الصوفية » . وغير ذلك ، توفي ببضه سنة (٩٦٤ هـ) . « المجتمع الشبامي » (خ) .

شعيب ، وأحمد مَعْدَان ، وأحمد مُصَفَّر ، وحيدرة بن عمر ، ومحمد باكحيل ، وعمرُ قُعطِي ، وأمباركُ بازِياد . وأقام بالسُّورِ نحوَ سَنَةٍ ، ثمَّ عادَ إلى شِبابِ سَنَةِ (٩٤٥ هـ) .
- ثمَّ خَرَجَ إلى عندل بالكُسرِ أواخرَ عَمَدِ سَنَةِ (٩٤٥ هـ) ، وعادَ بعدَ سَنَةٍ .

- ولمَّا استولى بدر بوطويرق على شِباب . . أهانَهُ إهانةً بالغةً ، حتَّى لقد طافوا به في شوارعِ شِباب وفي جِديهِ حبلٌ من مَسَدٍ^(١) ، فخرجَ إلى بُضَةِ في سَنَةِ (٩٥٧ هـ) ، وبقيَ بها في ضِيافةِ أميرِ دوعن الشَّيخِ الجليلِ عثمانَ بنِ أحمدَ العموديِّ إلى أنْ توفِّيَ بها سَنَةً (٩٦٩ هـ) عن ستِّ وسبعينَ عاماً .

وكانَ محلُّ دعوةِ الشَّيخِ معروفٍ بشِباب . . هو مسجدُ الخَوَقةِ^(٢) .

ثمَّ في سَنَةِ (٩٣٢ هـ) أمرَ بعمارةِ مسجدِ المَقْدِشِيِّ^(٣) ، وكانَ بناؤُهُ في سَنَةِ (٩٣٦ هـ) ، ولكِنَّهُ أُنْدَثِرَ ، ولم يَبْقَ لَهُ أثرٌ ، حتَّى جَدَّدَهُ الشَّيخُ معروفٌ .

وكانَ الحبيبُ أحمدُ بنُ زينِ الحَبَشِيِّ يذهبُ إلى شِبابِ كلِّ خميسٍ وكلِّ إثنينٍ ماشياً ؛ للقراءةِ على الشَّيخِ الأنورِ : أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ باشراحيل ، وكانَ يُثني عليه ، ويُسنَدُ كثيراً من مرويَّاتِهِ إليه ، والشَّيخُ أحمدُ هذا من الآخِذِينَ عن الحبيبِ عمرَ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ العَطَّاسِ ، ثمَّ عن تلميذه القُطْبِ الحَدَّادِ ، ولَهُ أَخْذٌ أيضاً عن الحبيبِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بلفقيه .

ومن الصَّالِحِينَ المَشَارِ إِلَيْهِم بِالْوَلَايَةِ في شِبابِ : الشَّيخُ أبو بكرِ بنُ عبدِ اللهِ باصْهي . والشَّيخُ المَجْدُوبُ أحمدُ بنُ جُبَيْرِ شراحيل .

(١) المَسَدُ : هو اللَّيف .

(٢) مسجد الخوقة من مساجد شِباب القديمة ، وكان في العهد السالفة مقراً للإباضية ، ورد ذكره في حوادث سنة (٥٩١ هـ) عند شنبَل ، فقال : (وفي سنة ٥٩١ هـ) أزيلت الإباضية من مسجد شِباب المعروف بمسجد الخوقة) اهـ

(٣) بُنيَ مسجد المَقْدِشِيِّ سنة (٦٣٦ هـ) . وأعيدَ تعميره سنة : (٧٩٩ هـ) كما في « شنبَل » . وهذا المسجد صار يعرف بمسجد الشَّيخِ معروف الطَّالعي = (الفوقاني) ، تمييزاً عن مسجد الشَّيخِ معروف الواقع خارج سور بلد شِباب من الجهة القبليَّة .

وَمِنْ أَكْبَارِ عِلْمَاءِ شِبَام : الْعَلَّامَةُ الْفَقِيهَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشُّبَامِيِّ^(١) ، مَوْلَفُ كِتَابِ « قَوَارِعِ الْقُلُوبِ » ، وَهُوَ إِمَامٌ جَلِيلٌ ، مِنْ أَكْبَارِ أَعْيَانِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ ، مُعَاصِرٌ لِلْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بِلْحَاجِ وَأَبْنِ مَزْرُوع . قَالَهُ أَحْمَدُ مَوْذَن ، وَنَقَلَهُ عَنْهُ جَدُّنَا طَلَبُ بْنُ عَمْرِ فِي « مَجْمُوعِهِ » .

وَمِنْ عِلْمَاءِ شِبَام :

الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ سَالِمٍ بَازِيبِ^(٢) . وَالشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ عَلِيِّ عَبَاد . وَالشَّيْخُ عَمْرُ بِأَسْرَاحِيل ، لَهُ ذِكْرُ فِي « مَجْمُوعِ الْأَجْدَادِ »^(٣) .

وَنَقَلَ الْمُتَنَوِّئِيُّ فِي « طَبَقَاتِهِ » عَنِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ عَقْبَةَ الشُّبَامِيِّ^(٤) الْحَضْرَمِيِّ أَنَّهُ قَالَ : (أَرْتَفَعَتِ الْتَرْبِيَةُ بِالْأَصْطِلَاحِ مِنْ سَنَةِ (٨٢٤ هـ) وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْإِفَادَةُ) .

وَأَلَّ عَقْبَةَ الشُّبَامِيُّونَ مِنْ كِنْدَةَ ، وَهُمْ غَيْرُ آلِ عَقْبَةَ الْخَوْلَانِيِّينَ السَّابِقِ ذَكَرُ شَاعِرِهِمْ بِالْهَجْرَيْنِ^(٥) .

وَمِنْهُمْ : الْعَلَّامَةُ الْفَقِيهَ عَلِيُّ بْنُ عَمْرِ عَقْبَةَ تَلْمِيزُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عِبَاد .

وَمِنْ « رَحْلَةِ السَّيِّدِ يَوْسُفَ بْنِ عَابِدِ الْحَسَنِ » [ص ١٠٥ - ١٠٦] أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ بْنَ

(١) هُوَ مِنْ آلِ بَاجِمَال ، وَلَعَلَّ السَّابِقِينَ لَمْ يَذْكُرُوا لِقَبِهِ لَشَهْرَتِهِ عِنْدَهُمْ . وَلَدَ بِشِبَامِ سَنَةَ (٨٥٧ هـ) ، وَبِهَا تَوَفَّى سَنَةَ (٩١٦ هـ) ، وَهُوَ أَخُو الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ .

(٢) الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ سَالِمٍ بَازِيبِ ، مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَطَّاسِ ، وَبَعْدَ وَفَاتِهِ سَنَةَ (١٠٧٢ هـ) صَحَبَ الْإِمَامَ الْحَدَّادَ . وَكَانَ مِنَ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالصَّلَاحِ ، تَرَجَّمَ لَهُ الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ فِي « بَهْجَةِ الزَّمَانِ » .

(٣) الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَرَاحِيلِ ، مِنْ كِبَارِ فَقَهَاءِ عَصْرِهِ ، عَاشَ أَوَّلَ الْفَرْدِ الْعَاشِرِ .

(٤) الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ عَقْبَةَ الشُّبَامِيِّ ، الْمَوْلُودُ بِشِبَامِ ، وَالْمَتَوَفَّى بِصَحْرَاءِ مِصْرَ غَرِيباً وَحِيداً سَنَةَ (٨٩٥ هـ) ، تَرَجَّمَ لَهُ السَّخَاوِيُّ فِي « الضُّوْءِ » ، وَالْمُنَاوِيُّ فِي « الْكَوَاكِبِ الدَّرِيَّةِ » (٢ / ٢) ، ضَمَّنَ الطَّبَقَةَ التَّاسِعَةَ .

(٥) مِنْ آلِ عَقْبَةَ هَؤُلَاءِ - سَكَانُ شِبَامِ - الْمَشَافِخُ آلُ سُدَيْسٍ - مِصْرُ سُدَيْسٍ - لَقِبَ أَطْلُقَ عَلَى جَدِّهِمُ الشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ أَحْمَدَ عَقْبَةَ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْسِمُ التَّرَكَاتَ . . فَإِذَا وَجَدَ فِي الْقِسْمَةِ سُدَيْساً . قَالَ : وَهَذَا السُّدَيْسُ نَصِيبُ فَلَانٍ ، فَاطْلُقَ عَلَيْهِ : (سُدَيْسٍ) . تَوَفَّى الْمَعْلُومُ عَوْضُ بِشِبَامِ سَنَةَ (١٢٩٩ هـ) . وَلَهُ رِسَالَةٌ عَنْ وَظِيفَةِ جَامِعِ شِبَامِ سَمَّاهَا : « تَقْرِيبُ الشَّاسِعِ فِي تَرْتِيبِ وَظِيفَةِ الْجَامِعِ » مُفِيدَةٌ وَهَامَةٌ .

عبد القادر بن عقبة أنتفع بالشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، وهو الذي أشار عليه بالسفر من شبام إلى الحجاز ، ثم جاء إلى مصر وأستوطنها ، وفيها اتفق بالشيخ زروق ، وكان من أمرهما ما أشتهر في رسائل زروق و « مناقب الشيخ أحمد عقبة » (١) .

وممن سكن شباماً : السادة آل سميطة ، وأولهم^(٢) : العلامة الجليل محمد بن زين بن علوي بن سميطة ، وصلها لغرض السفر منها إلى القبلة ، فأبطأت عليه القوافل ، فأشار عليه الحبيب أحمد بن زين الحبشي أن يتدبرها للإرشاد والتعليم ، وقال له : إن آل شبام أهل اعتقاد وانتقاد ، فأمثل بقي بها إلى أن توفي بها سنة (١١٧٢ هـ) ، ترجمه الشيخ معروف بن محمد باجمال بكتاب كامل سماه : « مجمع البحرين » (٣) .

وكان الشيخ علي بن محمد لعجم يسير إلى حذية عند الشيخ عمر باهرمز ، فإذا أنشد قول ألقائل [من الوافر] :

سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَفِي فَقَالُوا مَا إِلَيَّ هَذَا سَبِيلٌ^(٤)
تَمَسَّكَ إِنْ ظَفِرْتَ بِوُدٍّ حُرٍّ فَإِنَّ الْحُرَّ فِي الدُّنْيَا قَلِيلٌ

(١) « مناقب الشيخ أحمد عقبة » هو الكتاب الذي ألفه الشيخ زروق في شيخه المذكور ، وضمنه المكاتبات والرسائل المشار إليها .

(٢) كان قدوم السادة آل سميطة إلى شبام في سنة (١١٣٥ هـ) ؛ إذ قدم السيد الفاضل زين بن علوي بن عبد الرحمن بن سميطة ومعه أولاده السادة محمد وعمر وعلي ، وكان السبب في قدومهم هو ابنه الحبيب محمد بن زين الذي كان ملازماً للإمام الحداد ، ولما توفي الإمام سنة (١١٣٢ هـ) . ضاقت تريم على الحبيب محمد ، وسار إلى الحوطة عند شيخه الثاني الحبيب أحمد بن زين الحبشي ، وبعد مداورات . . استقر عزمه على الجلوس في شبام بإشارة الحبيب أحمد وترغيبه له في ذلك ، ولما تهيأت الأمور ووضحت الرؤية . . قدم بكافة أفراد أسرته ، فقدموا في ذلك العام . وتوفي السيد زين بن علوي وابنه علي في سنة واحدة كليهما في عام (١١٤٠ هـ) . ترجم لهما الحبيب محمد في « بهجة الفؤاد » .

(٣) يقع في مجلد ، والشيخ معروف هذا توفي سنة (١٢٦٤ هـ) ، كان من صالحه شبام وعلمائها ، متواضعاً خمولاً .

(٤) البيتان لأبي إسحاق الشيرازي ، كما في « معجم السفر » (١١٣) .

.. يقول باهرمز : تدري من الحُرُّ اليوم يا علي؟ فيقول باهرمز : إِنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ . وَخَلَفَ وَلَدَيْنِ : أَحَدُهُمَا : عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَقَدْ تَزَوَّجَ بَابَنَةِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ ، وَانْتَفَعَ بِهِ . وَالثَّانِي : زَيْنٌ ، وَكَانَ مِنْ الْأَصَالِحِينَ . وَأَعَقَبَهُ بِهَا أَخُوهُ الْفَاضِلُ الْبَدَلُ عَمْرُ بْنُ زَيْنٍ ^(١) ، أَلْتَوَفَّى سَنَةَ (١٢٠٧هـ) عَنْ تَسْعِينَ عَاماً قَضَاهَا فِي الْخَيْرِ وَنَشَرَ الدَّعْوَةَ إِلَى اللَّهِ ، وَكَانَتْ سَكَنَاهُ بِشَبَامٍ لَمَّا تَوَفَّى أَخُوهُ مُحَمَّدٌ ، وَتَرَكَ - أَعْنَى الْحَبِيبَ عَمْرَ - سِتَّةَ أَوْلَادٍ ذُكُوراً ، وَهُمْ : عَلِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَحُسَيْنٌ وَأَبُو بَكْرٍ وَأَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ ، وَمِنْ كَلَامِهِ - كَمَا يَرَوِيهِ ابْنُهُ أَلْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍ - : أَنْ تَسْعَةَ أَعْشَارِ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ كَانُوا لَا يُصَلُّونَ ، وَالْعُسْرُ الَّذِي يُصَلِّي لَا أَدْرِي مَا صَلَاتُهُ .

قال سيدي الأستاذ الأبرُّ عیدروسُ بْنُ عَمْرٍ : إِنَّ الْحَبِيبَ عَمْرَ بْنَ زَيْنٍ مَكَثَ سَبْعَةَ عَشَرَ عَاماً لَا يَضَعُ جَنْبَهُ عَلَى الْأَرْضِ ؛ أَجْتِهَاداً فِي الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ ، وَكَانَ وَلَدُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍ أَكْثَرَ مَنْ يقرأُ عَلَيْهِ الْكُتُبَ ، وَإِذَا غَلَبَهُ النَّوْمُ .. أَعْطَاهُ شَيْئاً مِنَ اللَّوْزِ وَالزَّيْبِ ؛ لِيُطْرِدَ بِهِ الْنُّعَاسَ وَيَنْشِطَ لِلْقِرَاءَةِ .

وَمَنْ أَنْتَى عَلَيْهِ أَلْعَلَّامَةُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ مِنْ آلِ سَمِيطٍ : الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَمِيطٍ ، وَابْنُهُ أَلْعَبَادُ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وَمِنْهُمْ : أَلْقُطْبُ الْمَجْدُودُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ ابْنُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرٍ بْنِ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ ^(٢) ، لَقَدْ كَانَ عَلمَ هَدًى ، وَنَبْرَاسَ دُجًى ، وَنُورَ إِسْلَامٍ ، وَفَرْدَ أَعْلَامٍ ، أَرَدْتُ أَنْ أَتَمَثَّلَ لَهُ

(١) ولد بتریم سنة (١١٢٠هـ) ، حضر عند الإمام الحداد ، ثم انتقل إلى شبام بصحبة أخيه الأكبر الحبيب محمد ، كتب بعض مواعظه ومثور كلامه الشيخ عبد الله بن عوض باذیب .

(٢) ولد الحبيب أحمد بن عمر بشبام سنة (١١٧٨هـ) ، كان صاحب بصيرة عظيمة ، توفي سنة (١٢٥٧هـ) ، وقد كان القائم بالدعوة في شبام بعد وفاة الحبيب عمر بن زین : الحبيب عبد الرحمن بن محمد بن زین ، المتوفى سنة (١٢٢٣هـ) ، وقد لازمه الحبيب أحمد بن عمر بعد وفاة والده إلى وفاته ، ثم خلفه هو في مقامه .

بما يناسبُ ، ولكن رأيتُ مقاماً عظيماً للشَّأنِ حَيَّرني ، فلم يحضُرني إلَّا قول الشَّريفِ
الرَّضِيِّ [في « ديوانه » ٢٩٨-٢٩٩ من الرَّمَلِ] :

إِزْتُ أَبَاءَ عَلَوَا ، فَأَقْتَعَدُوا عَجَزَ الْمَجْدِ ، وَأَغَطَوْهُ السَّنَامَا
شَغُلُوا قَدَمًا عَنِ النَّاسِ الْعُلَا وَرَمَوْا عَنْ نُغْرِ الْمَجْدِ الْأَنَامَا
لَمْ يَعِشْ مَنْ عَاشَ مَذْمُومًا وَلَا مَاتَ أَقْوَامٌ إِذَا مَاتُوا كِرَامَا
يَعْظُمُ النَّاسُ ، فَإِنْ جِئْنَا بِكُمْ كُنْتُمْ الرَّاعِينَ ، وَالنَّاسُ السَّوَامَا

وهو الَّذي أَهْتَمَّ بِإِقَامَةِ دَوْلَةٍ لـ (حَضَرَمَوْت) ، وَاشْتَدَّ لَذَلِكَ أَسْفُهُ ، وَتَوَالَى لَهْفُهُ ،
وَلَمَّا مَاتَ بِحَسْرَةٍ عَلَى ذَلِكَ . . فَقَدْ كَلَّلَ اللَّهُ أَعْمَالَهُ بِالنَّجَاحِ فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ،
حَتَّى أَنْقَشَتِ الْجَهَالَةُ ، وَأَنْدَفَعَتِ الضَّلَالَةُ ، وَانْتَبَهَ الْجَمَاءُ مِنَ النَّوْمِ ، وَتَقَيَّلَ آثَارُهُ
أَرَاكِينُ الْقَوْمِ ؛ كَسَادَتِي : حَسَنِ بْنِ صَالِحِ الْبَحْرِ ، وَجُدِّي الْمَحْسَنِ ، وَالْحَبِيبِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ وَغَيْرِهِمْ ، حَتَّى لَقِدَ مَرَّ بَعْضُهُمْ وَإِحْدَى بَنَاتِ آلِ هَمَّامٍ
بَحْضَنَ تَرِيمَ تَقُولُ : جَاءَ جَبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَتُكْرِّرُ حَدِيثَ
الَّذِينَ^(١) ، فَقَالَ : (مَا كَانَ جَبْرِيلُ لِيَدْخُلَ دَارَ آلِ هَمَّامٍ لَوْلَا أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ) . تُوَفِّيَ
بِشْبَامَ سَنَةَ (١٢٥٧ هـ) .

وَخَلَفَهُ عَلَى مَنْهَاجِهِ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ ، الصَّادِعُ بِالْحَقِّ ، النَّاطِقُ بِالصِّدْقِ ، عُمَرُ بْنُ
مُحَمَّدٍ^(٢) ابْنِ سَمِيطٍ .

الْقَائِلُ الْحَقُّ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السَّرِّ وَالْعَلَنِ^(٣)
فَكَانَ يُغْلِظُ الْقَوْلَ لِلشُّلْطَانِ عَوْضَ بْنِ عُمَرَ وَهُوَ إِلَى جَانِبِ مَنْبَرِ شِبَامٍ فِي جَامِعِهَا ،

(١) هو الحديث الَّذي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨) عَنْ سَيِّدِنَا عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، الَّذِي يَأْتِي فِيهِ جَبْرِيلُ
إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ وَالسَّاعَةِ .

(٢) الْحَبِيبُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ زَيْنٍ ، وَلَدَ بِشْبَامَ حَدُودَ سَنَةِ (١٢٥٨ هـ) ، تَخْرُجُ بِعَمِّهِ الْإِمَامِ
أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ ، وَخَلَفَهُ فِي مَقَامِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْقِيَامِ بِوُظُفَةِ الْوَعظِ وَالْإِرْشَادِ ، لَهُ مَصْنُفَاتٌ وَرِسَالٌ
وَعَدَدٌ مِنَ الْمُخْتَصَرَاتِ .

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الْبَسِيطِ ، وَهُوَ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ فِي « الْعَكْبَرِيِّ » (٢١٦ / ٤) .

ويقول : إِنَّ أَلْعَدَنِي يَقُولُ مِنْ قَصِيدَةٍ [في «ديوانه» ١٨٨] :

نَزَمِيهِ بِأَسْهُمَنَا وَلَا يَرَانَا

ونحنُ نَزَمِيهِ بِأَسْهُمَنَا وهو يرانا ، وَالسُّلْطَانُ عَوْضٌ يَحْتَمِلُ ذَاكَ ؛ لِأَنَّهُ يُعَظَّمُ أَهْلَ
الَّذِينَ ، وَالْعُلَمَاءُ إِذْ ذَاكَ يُكْرَمُونَ أَنْفُسَهُمْ ، وَيَصُونُونَ الْعِلْمَ ، وَمَقَامُهُ كَبِيرٌ فِي
الْعِيُونِ ، جَلِيلٌ فِي الصُّدُورِ ، وَلَمْ يَزَلْ نَاشِرَ الدَّعْوَةِ ، أَمْرًا بِالْمَعْرُوفِ ، نَاهِيًا عَنِ
الْمُنْكَرِ ، حَتَّى تَوَفَّى بِشَبَامِ سَنَةِ (١٢٨٥هـ) ، وَوَقَعَ رِذَاؤُهُ عَلَى ابْنِهِ - الْخَلِيفَةِ الْقَانِتِ
الْأَوَّابِ ، الَّذِي لَا يِدَاهُنْ وَلَا يَهَابُ - : عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ^(١) ، أَلْمُتَوَفَّى بِهَا سَنَةُ
(١٣١٢هـ) .

وَمِنْهُمْ : السَّمُوحُ الْكَرِيمُ ، الرَّأْوِيَةُ لِأَخْبَارِ السَّلَفِ الطَّيِّبِ : حَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ
زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ^(٢) ، أَلْمُتَوَفَّى بِهَا سَنَةُ (١٣٢٣هـ) ، وَقَدْ رَثِيَتْهُ بِقَصِيدَةٍ تَوَجَّدَ بِمَحَلِّهَا
مِنْ «الْدِّيَّانِ» .

وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْوَاعِظُ الْفَقِيهُ : طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، أَلْمُتَوَفَّى بِهَا
سَنَةُ (١٣٣١هـ) .

وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْجَلِيلُ الْمَقْدَارِ : أَحْمَدُ بْنُ حَامِدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ زَيْنِ ، أَلْمُتَوَفَّى بِهَا
سَنَةُ (١٣٣١هـ) .

وَمِنْهُمْ :

عَلَامَةُ الْعُلَمَاءِ وَاللُّجُ الَّذِي لَا يَنْتَهِي وَلِكُلِّ لُجٍّ سَاحِلٌ^(٣)

الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ الْعَلَامَةُ الْمُحَقِّقُ الْمَتَفَنُّ : أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ

(١) هو الحبيب عبد الله بن عمر ، كان من كبار عباد الله الصالحين ، زاهداً متواضعاً ، لا يخاف في الله لومة
لائم ، وكان يقيم أكثر وقته في جوجة وكان يأكل من عمل يده ، وله رسائل وعظية لطيفة . ترجم له
باحسن في «تاريخ الشعر» .

(٢) الحبيب حسن بن أحمد بن زين بن محمد بن زين : توفي والده الحبيب أحمد سنة (١٢٨٠هـ) ،
وولد هو بسيتون سنة (١٢٥٠هـ) تقريباً ، وكان يتردد على الشعر ونواحيها متاجراً .

(٣) البيت من الكامل .

عبد الرَّحْمَنِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ زَيْنٍ ، وَلَدَ بِأَنْزِيحَةٍ مِنَ السَّوَاوِلِ الْأَفْرِيقِيَّةِ^(١) ، وَبِهَا تَعَلَّمَ ،
وَأَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ أَبِيهِ^(٢) وَعَنْ غَيْرِهِ ، وَقَدِمَ حَضْرَمَوْتَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، مِنْهَا : سَنَةَ
(١٢٩٨ هـ) ، وَمِنْهَا : سَنَةَ (١٣١٦ هـ) ، وَآخِرَ مَرَّةٍ قَدِمَهَا سَنَةَ (١٣٢٥ هـ) وَشَهِدَ
زِيَارَةَ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ لَهُ بِوَالِدِي اتِّصَالٌ عَظِيمٌ ، وَارْتِبَاطٌ وَثِيقٌ ، وَأَخَذَ تَأَمُّمًا ،
وَلَهُ مَوْلاَتٌ كَثِيرَةٌ ، وَأَشْعَارٌ جَزَلَةٌ :

مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ فِيهَا إِذَا أَجْنَيْتَ مِنْ كُلِّ مَا يَشْتَهِيهِ الْمُذْنَفُ الْوَصِيبُ
حَسِيَّةٌ فِي صَمِيمٍ الْمَذْحِ مَنْصِبُهَا إِذْ أَكْثَرَ الشَّعْرِ مُلْقَى مَا لَهُ حَسَبُ
تُوفِّيَ فِي زَنْجَبَارَ سَنَةَ (١٣٤٣ هـ)^(٣) .

وَمِنَ اللَّطَائِفِ : أَنَّنِي عَمِلْتُ احْتِفَالًا لِتَأْيِينِهِ وَالتَّعْزِيَةِ بِهِ فِي مَسْجِدِ طَه ، وَأَعَدَدْتُ
كَلِمَةً فِي نَفْسِي ، وَإِذَا بِمَوْثِرٍ نَخْلِي يَكْرُرُ وَيَتَغَنَّى بِقَوْلِهِ : (لَا حِلَّ لِلْمَوْتِ) فَقَطْ ،
فَبَقِيْتُ عَلَى أَحْرَمٍ مِنَ الْجَمْرِ فِي أَنْتِظَارِ الْبَاقِي ، حَتَّى قَالَ :

لَا حِلَّ لِلْمَوْتِ مَا خَلَى كَبْذَ سَالِيَةٍ^(٤)
شَلَّ الْوُجِيهِ الرُّضِيَةِ يَهُ وَاللَّحَى الْغَالِيَةِ
فَذَهَبَ مَا فِي نَفْسِي ، وَأَخَذَنِي شَأْنٌ عَظِيمٌ دَرَّ بِهِ كَلَامٌ أَحْسَنُ وَأَبْلَغُ وَأَنْجَعُ مِمَّا كُنْتُ
أَعَدَدْتُهُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْوَصْفَ مَنْطَبَقٌ عَلَيْهِ .

وَلَمْ يَنْسَ سَعْيَ الْعِلْمِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْثَفِ بَالٍ يَسْتَقِيمُ وَيُظْلَعُ^(٥)
عَلَى أَنَّ تَكْثِيرَ الْمُصْلِينَ أَرْبَعُ وَتَكْثِيرُهُ خَمْسًا عَلَيْهِ مُعَالِنًا

(١) مولده سنة (١٢٧٧ هـ) .

(٢) والده الحبيب أبو بكر ، ولد بشبام ، وهاجر إلى أفريقيا ، وبها توفي سنة (١٢٩٠ هـ) ، كان من أكابر تلامذة الإمام أحمد بن عمر بن سميح ، وصار له ولأولاده جاه كبير في شرق أفريقيا ، لا سيما بجزر القمر .

(٣) ترجمته في : مقدمة « منهل الورد » بقلم الحبيب أحمد مشهور الحداد ، وفي مقدمة « الابتهاج » بقلم ابنه الحبيب عمر ، و« لوامع النور » (١ / ٣٢٥) و« رحلة باكثير » (١٥٦) .

(٤) لا حِلَّ : عامية بمعنى لا أحله ؛ أي لا أسامحه ، يقال عند القبر بعد الدفن : فلان يطلب الحِلَّ من الكل .

(٥) البيتان من الطويل ، وهما لأبي تمام في « ديوانه » (٢ / ٣٠٩) ، بتغيير بسيط . أكسف : أسوأ .

يظلع : يعرج في مشيه .

فعظمت بموته الرزية ، ولكن كان ولده عمر بقية^(١) .

فإنه نحوه في حسن سيرته منذ الشببة وهو الآن مكتهل^(٢)
أضحى لنا بدلاً عن فقد والده والشبل من ليته إما مضى بدل

فخلاه اللوم ؛ إذ سدّ سدّ القوم ، لم ينقطع رشاه ، ولا قالوا : فلان رشاه^(٣) .

وما رأيت أحداً بعد أستاذي الأبر عيروس بن عمر ، وسيدي عبد الله بن حسن
البحر يستجهر الناس بفراط الوسام ، وبسطة الأجسام ؛ كالسادة آل سميطة ، لا يراهم
الناظر . إلا تذكر قول جرير [في « ديوانه » : ٤٥٦ من الطويل] :

تعالوا ففاتونا ففي الحق مقنع إلى الغر من أهل البطاح الأكارم
فإنني أرضي عبد شمس وما قضت وأرضي الطوال البيض من آل هاشم
فأولئك البيض الطوال ، وثمة ألهم العوال .

آراؤهم ووجوههم وعلومهم في الحادثات إذا دجون نجوم^(٤)
فيها معالم للهدى ومصباح تجلوا الدجى والأخريات رجوم
فأحوالهم جليّة ، وأخلاقهم جميلة ، وأخبارهم عريضة طويلة^(٥) ، ينطبق عليهم

(١) الحبيب العلامة المّم عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميطة ، ولد بزنجبار سنة (١٣٠٣هـ) ، وبها
توفي سنة (١٣٩٦هـ) ، ودفن إلى جوار والده ، كان كثير التردد إلى شبام ، ومكث فيها عند أهله
وأعمامه سنوات ، ودون رحلاته وفترات جلوسه بها صار مرجعاً عن أهل شبام وحضرموت
عموماً ، في رحلتيه : « تلبية الصوت » ، و « النفحة الشذية » وكلاهما مطبوعتان ، وتلامذة الحبيب
عمر كثير . وقد تقلد وظيفة الإفتاء بجزر القمر ، وكان له جاء عظيم ، وأصدرت الحكومة القمرية
طوابع برید تحمل صورته .

(٢) البيتان من البسيط ، والبيت الثاني منهما فقط في « ديوان أبي تمام » (٣٢٦ / ٢) .

(٣) رشاه : الأولى مسهلة من رشاء ، وهو الحبل . والثانية : فعل ماضٍ من الرشوة .

(٤) البيتان من الكامل ، وهما لابن الرومي في « ديوانه » .

(٥) وممن ينبغي أن يُذكر من أعيان السادة آل سميطة : الحبيب محسن بن حسن بن أحمد ، المتوفى بشبام

سنة (١٣٤٤هـ) ، وأخوه الحبيب محمد بن حسن بن أحمد ، المتوفى سنة (١٣٨٧هـ) ، وتوفي ابنه

الحبيب علي بستيون سنة (١٤١٠هـ) . ومنهم : الحبيب مصطفى بن عبد الله بن طاهر ، المتوفى سنة =

قَوْلُ الْمَسِيَّبِ بْنِ عَلِيٍّ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

وَكَا الشَّهْدِ بِالرَّاحِ أَخْلَاقَهُمْ وَأَخْلَامُهُمْ مِنْهُمْ مَا أَغْذَبَ
وَكَا الْمِسْكَ تُرْبُ مَقَامَاتِهِمْ وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطْيَبُ

وَمِنْ مُتَأَخَّرِي عِلْمَاءِ شِبَامٍ : الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاصْهِي^(١) ، أَحَدُ تَلَامِيذِ
وَالِدِي ، وَشَيْخُ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْإِدْرِيسِيِّ^(٢) ، وَكَانَ هُوَ هَمَزَةً
الْوَصْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فِي الْمَعْرِفَةِ الَّتِي كَانَ أَوَّلُهَا تَعْزِيَةً مِنْهُ لِي بِوَاسِطَتِهِ فِي وَالِدِي ، ثُمَّ
اسْتَمَرَّتِ الْمَوَاصِلَاتُ وَالْمَراسِلَاتُ بِمَا آثَارُهَا مِنْ الْقَصَائِدِ مُوجُودَةٌ بِمَوَاضِعِهَا مِنْ
« الْذِيَّانِ » [٣٧١ و ٣٨٤] .

وَمِنْ عِلْمَاءِ شِبَامٍ - فِيمَا رَأَيْنَا بِأَبْصَارِنَا - أَرْبَعَةُ إِخْوَانٍ ، كُلُّهُمْ عِلْمَاءٌ ؛ وَهُمْ :
أَحْمَدُ ، وَمُحَمَّدُ ، وَعَمْرُ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَبْنَاءُ أَبِي بَكْرٍ بَازِيبٍ^(٣) .

وَمِنْ كِبَارِ عِلْمَانِهِمْ وَمَصَاقِعِ شَعْرَانِهِمْ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَازِيبٍ ، الْمَتَوَفَّى
بِسَنْغَاوُورَةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٢٧٩ هـ)^(٤) .

= (١٣٧١ هـ) ، وَأَخُوهُ الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٧٤ هـ) ، وَآخِرُهُمْ وَخَاتَمُهُمْ : السَّيِّدُ
الْفَقِيهُ رَبِّي الْأَجْيَالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْطَفَى ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٩١ هـ) وَمِمَّنْ لَا زَالَ مِنْهُمْ بِشِبَامٍ :
الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَمِيطٍ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(١) وَلَدَ الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْضِ بْنِ أَحْمَدَ بَاصْهِي بِشِبَامِ سَنَةَ (١٢٨٠ هـ) ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ
(١٣٣٦ هـ) ، كَانَ عَالِمًا جَلِيلًا ، فَقِيهًا نَحْوِيًا ، دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ، لَهُ سِيرَةُ عِطْرَةٍ وَأَخْبَارُ زَكِيَّةٍ ، جَاوَزَتْ
مُصَنَّفَاتِهِ الْعَشْرِينَ ، فِي الْفَقْهِ وَالْعَقِيدَةِ وَالسَّلُوكِ .

(٢) مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الْإِدْرِيسِيَّةِ بِجَنُوبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، الْمَتَوَفَّى بِبَصِيَّا سَنَةَ (١٣٤٥ هـ) ، يَنْظُرُ : « مُلُوكُ
الْعَرَبِ » لِلرَّيْحَانِيِّ ، وَ« تَارِيخُ الْمَخْلَافِ السَّلِيمَانِيِّ » لِلْعَقِيلِيِّ .

(٣) وَهُمْ أَبْنَاءُ الْفَقِيهِ الصَّالِحِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عُبُودِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَازِيبٍ ، الْمَتَوَفَّى
بِشِبَامِ سَنَةَ (١٣١٢ هـ) ، أَحَدُ عِلْمَاءِ شِبَامٍ وَفَقَهَايْهَا وَاعْتَنَى بِتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهِ وَتَعْلِيمِهِمْ فَكَانُوا جَمِيعُهُمْ
فُقَهَاءَ عِلْمَاءَ صَالِحِينَ . أَكْبَرُهُمْ : الشَّيْخُ عَمْرُ ، تَوَفَّى بِشِبَامِ سَنَةَ (١٣٣٥ هـ) ، وَالثَّانِي : الشَّيْخُ
مُحَمَّدُ ، الْمَوْلُودُ سَنَةَ (١٢٧٠ هـ) ، وَالْمَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٢٤ هـ) ، وَالثَّلَاثُ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ ، الرَّابِعُ :
الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٣١٩ هـ) ، وَبَقِيَّةُ إِخْوَانِهِ لَهُمْ عَقَبٌ ، وَأَمَّا هُوَ . فَلَمْ يَعْقِبْ .

(٤) إِنَّمَا هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ بَازِيبٍ ، كَانَ عَالِمًا جَلِيلًا رَحَالًا ، صَادِعًا بِالْحَقِّ ، كَانَ نَادِرَةً فِي الزَّمَانِ ، وَغَرَّةٌ =

وعن الشَّيْخِ سالم بن عبد الرَّحْمَنِ باسويدان وغيره : أَنَّ سَبَبَ سفرِهِ مِنْ شَبَامٍ هُوَ أَنَّ خَطِيبَ الْجُمُعَةِ تَأَخَّرَ مَرَّةً ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ أَنْ يَقُومَ بِأَدَاءِ الْوَاجِبِ مِنْ أَرْكَانِ الْخُطْبَةِ ، فَأَرْتَجَلَ مَا مَلَأَ الْأَسْمَاعَ إعْجَاباً ، وَالنَّفُوسَ إِطْرَاباً ، فَخَشِيَ عَلَيْهِ الْعَيْنَ ، فَأَمَرَهُ بِمَغَادِرَةِ الْبِلَادِ وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَكَانَ أَهْلُ شَبَامٍ مَعْرُوفِينَ بِالْإِصَابَةِ بِالْعَيْنِ . وَمِنْ أَوَاخِرِهِمُ الْمُتَّهَمِينَ بِذَلِكَ : الشَّيْخُ مَعْرُوفٌ بِأَذِيبٍ ، وَالشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ هَادِي الْكُوثِيُّ .

وَمِنْ عِيُونِ صَلَاحَاتِهَا وَأَفَاضِلِهَا الشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِأَذِيبٍ ، وَأَوْلَادُهُ عَلِيُّ وَأَحْمَدُ وَمُحَمَّدٌ ، لَهُمْ مَرْوَةٌ حَيَّةٌ ، وَاعْتِبَارٌ تَامٌّ ، وَدِينٌ ثَابِتٌ ، وَكَانَتِ الْأَعْيَانُ تَزُورُ الشَّيْخَ عَوْضَ وَتَتَبَرَّكُ بِرُؤْيَيْهِ وَدَعَائِهِ .

وَمِنْ مُتَأَخَّرِي عِلْمَائِهَا : الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ حُمَيْدٌ ، وَوَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ .

وَمِنْ آلِ شَبَامٍ : آلُ جَبْرِ ، وَآلُ الْكُوثِيِّ ، وَآلُ بَاعِبِيدٍ ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ : مُحَمَّدٌ وَعَمْرٌ وَعَوْضٌ وَأَحْمَدُ بَنُو سَالِمٍ بَاعِبِيدٍ ، إِلَيْهِمْ الْآنَ أَرْمَةُ التَّجَارَةِ بِشَبَامٍ ، وَلَهُمْ مَرَاكِزُ فِي عَدَنَ وَغَيْرِهَا ، وَقَدْ مَاتَ عَمَّا قَرِيبٍ أَحَبُّهُمْ إِلَيَّ ، وَهُوَ أَحْمَدُ ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ وَأَخْلَفَهُ بِخَلْفٍ صَالِحٍ .

وَمَنْ تَدَيَّرَ شَبَاماً الْحَبِيبُ عَلَوِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ ، وَبِهَا تُوُفِيَ .

وَفِي « كَلَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ » : أَنَّ وَالِدَهُ لَمَّا مَاتَ . . قَالَ : مَاتَ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ ، وَإِنَّ آلَ شَبَامٍ كَانُوا يَهَابُونَهُ ، وَكَانَ آلُ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ يَزُورُونَهُ فِي مُحَرَّمٍ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ ، وَهُمْ قَارِبُوا شَبَامَ . . تَنَازَرُوا غَوَاؤُهُمْ مَعَ آلِ شَبَامٍ بِالْأَلْقَابِ ، وَقَالُوا : (أَلْهَر لَعْلُ الْقَعِيطِي يَفِر) فَأَوْقَفَهُمْ مَنْصَرُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ طَائِفَةً مِنَ النَّهَارِ فِي الشَّمْسِ ، فَتَرَكُوا الزِّيَارَةَ ، وَلَمَّا زَالَ مَنْصَرُّ وَشَيْكَا . . كَتَبَ لَهُمْ صَلَاحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِالْإِعْتِذَارِ ، فَأَعَادُواهَا .

= فِي جَبِينِ الدَّهْرِ ، تَرْجَمَتُهُ فِي « تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ الْحَضَرَمِيِّينَ » (٢٢ / ٤) .

وَمِنْ أَدْبَانِهِمْ وَأَكَابِرِ أُولِي الْمَرْوَةِ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
بِاسْوِيدَانٍ^(١) .

وفي مبحث صلاة الجمعة مِنْ « مجموع الأجداد » : (أَنَّ شِبَاماً مِنْ كِرَاسِي
حَضْرَمَوْتِ ، بَلْ لَا مَدِينَةَ فِي حَضْرَمَوْتِ إِلَّا هِيَ وَتَرِيمُ ، هَاتَانِ الْمَدِينَتَانِ الْمَذْكُورَتَانِ
فِي التَّوَارِيخِ فَقَطْ ، وَيَكَادُ أَنْ يَكُونَ مَا يَتَعَلَّقُ بِشِبَامٍ وَمَنْ سَكَنَهَا مِنَ الْمَشَايخِ وَالْعُلَمَاءِ ،
وَمَنْ لَهُ فِيهَا أَثَرٌ مِنْ مَسْجِدٍ وَغَيْرِهِ مِنْ دَائِمِ النَّفْعِ ، يَكُونُ نَبْذَةً صَالِحَةً) اهـ

وَأَهْلُهَا مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ ، وَمَحَاسِنُ شَهِيرَةٌ ، وَلَا سِيَّامَا فِي الْوَرَعِ وَصِدْقِ الْمَعَامَلَةِ
مَعَ اللَّهِ ، وَحَمَلِ الْكَلِّ ، وَفِعْلِ الْمَعْرُوفِ ، وَالْإِعَانَةِ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، أَخْبَرَنِي
الْمُكْرَّمُ الشَّيْخُ كِرَامَةُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَرَكَاتٍ قَالَ : كُنْتُ بِمَقْدُشُوهِ فِي سَنَةِ
(١٣٣٤ هـ) فَأَرْسَلْتُ بِلَاثِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ رُيَّةً بِرِعْمًا - وَهُوَ نَوَى الْقَطَنِ - إِلَى عَدَنَ عِنْدَ
الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بَلْفَقِيهِ ، فَبَاعَهُ لِي وَأَرْبَحَنِي النِّصْفَ ، وَأَبْرَقَ إِلَيَّ : أَنْ خُذْ كُلَّ
مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْهُ وَحَوِّلْ لِي بِالثَّمَنِ ، فَأَشْتَرِيْتُ أَوَّلًا بِنَحْوِ مِنْ أَلْفِ رُيَّةٍ ، وَثَانِيًا بِمِثْلِهِ ،
وَقَدَّمْتُ لَهُ حِسَابًا فِي ثَمَنِهِ وَسَائِرِ مَصَارِفِهِ ، وَخَدَمْتُهُ وَلَمْ يَبْقَ لِي عِنْدَهُ بِحَسَبِ مَا قَرَّرْتُهُ
فِي دَفْتَرِي إِلَّا أَرْبَعُونَ رُيَّةً فَقَطْ ، وَلَمَّا وَصَلْتُ عَدَنَ بَعْدَ خَمْسِ سِنَوَاتٍ . . . أَعْطَانِي كَاتِبُهُ
- وَهُوَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ بِاعْبِيدٍ - تَحْوِيلًا إِلَى شِبَامٍ فِي أَلْفَيْنِ وَنَحْوِ خَمْسِ مِئَةِ رُيَّةٍ ،
فَشَكَّكْتُ فِيهَا ، وَتَوَهَّمْتُ غَالِطًا ، وَلَمَّا قَدَّمْتُ شِبَامًا . . . أَخْبَرْتُ الْوَالِدَ أَحْمَدَ بْنَ عَمَرَ
بَلْفَقِيهِ ، فَأَخَذَ بِأَذْنِي وَقَالَ : إِذَا لَمْ نَرُبُّكَ نَحْنُ . . . فَمَنْ يَرِييُكُمْ؟ وَقَدْ رَبَّانَا نَاسٌ عَلَى مِثْلِ
هَذَا ، فَنَحْنُ مَدِينُونَ بِهِ .

وَإِذَا بِهِ قَيْدٌ لِي أَرْبَاحِ الْبَرَعِمِ بِأَسْرِهَا ، فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْإِنْسَانِ وَعَلَى جَمِيعِ
أَهْلِ الْإِحْسَانِ .

وَبَلَّغَنِي أَنَّ الشَّيْخَ عَوْضَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بِأَذْيَبٍ أَشْتَرَى خَرَابَةَ مِنَ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ
صَلَاحٍ ، قِيلَ : إِنَّ بَعْضَ أَهْلِهَا مَعْرُوفٌ فِي غَيْبَتِهِ الطَّوِيلَةِ ، وَأَنْفَقَ عَلَى بَنَائِهَا سَبْعَةَ آلَافٍ

(١) ولد الشيخ سالم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله باسويدان بشبام سنة (١٢٥٨ هـ) ، وتوفي بها
في (٢٦) رجب (١٣٣٦ هـ) .

ريال ، ولَمَّا أحتاج ورثته لبيعها . . لم تَنفُقْ إِلَّا عَلَى واحدٍ مِنْ آلِ باهرمزِ بِألفينِ مِنْ
الرِّيالاتِ فقط ؛ لِأَنَّ آلَ شَبامٍ - بما بقي في قلوبهم مِنْ هَيِّةِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ - تحامَوْها ،
وإِلَى آلانَ وَهم يتحامون عَنْ شراءِ الثَّمَرِ الَّذِي يَجْمَعُهُ مِنَ المَكْسِ صاحبُ السُّدَّةِ ؛ معَ
أَنَّهُ أرخصُ مِنْ غيرِهِ بثلثِ الأقيمةِ .

وبلغني أَنَّ لِبعضِهِم رسائلَ في سِيرِ آلِ شَبامٍ وأخبارِهِم الشَّاهِدَةِ بِالتَّقْوَى وَالْوَرَعِ ،
وهي مِنْ أنفعِ ما يَكُونُ لَهُم لو تَدَارَسوها عَلَى عادَتِهِم في درسِ يومِ الثُّلاثاءِ الَّذِي رَتَبَهُ
الحبيبُ أحمدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ سَمِيطٍ ، - متنقلاً في ديارِهِم ؛ سياسةً في حضورِهِم - ؛ إذ
هي خيرُ حافِزٍ لِلأَحْفَادِ عَلَى تَرَسُّمِ آثارِ الأجدادِ ، وَمِنْ كلامِهِ المُنثَوِرِ : إِنَّ شَباماً كانت
بِلادَ المَنقودِ^(١) ، وَأَنَّ أَحَدَ أَهْلِ شَبامٍ أَخَذَ دِراهمَ مِنْ أحمدَ ناصِرِ أليافي ، فهجروه
حَتَّى رَدَّها .

وَأَنَّ ثمانينَ حملاً مِنْ الحويرِ وَرَدَتْ شَباماً ، وفيها حِمْلٌ لِأَحَدِ آلِ كَثِيرِ بْنِ سَلامَةَ ،
فأشتروها بِأسْرِها إِلَّا ذَلِكَ الحِمْلَ لم يَأخُذْهُ أَحَدٌ وَعادَ بِهِ صاحِبُهُ .

وفي كلامِهِ ثناءٌ كَثِيرٌ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَوْضٍ بِأَذِيبٍ ، وَعَلَى أَخِيهِ عُبُودٍ ، وَأَنَّهُ حَصَلَ
عليهما خَلْلٌ فشاوَرَا الحبيبَ عبدَ اللَّهِ الحَدَّادَ فَقَالَ لَهُما : بِيَعَا جَمِيعَ ما مَعَكُما وَلَوْ لم
يَخْلُفْ لَكُم إِلَّا حُلِيٌّ نَسائِكُم ، فباعاه وَقضيا ما عليهما مِنَ الدُّيُونِ ، وَبَقِيَتْ ثَلاثُ مِئَةِ
رِيالٍ ، فَذَها بِإِلَى الحَوايِ ، وَلَمَّا وَصَلَا . . قالَ مُحَمَّدُ لِعُبُودٍ : إِنَّ وَافَقَتَنِي . . أَعْطَيْنا
الحبيبَ عبدَ اللَّهِ مِئَةَ وَافَقَتَنِي بِالْمِثْثينِ ، فوافَقَهُ ، فَقَبَلَهَا الحبيبُ وَأشارَ عَلَى مُحَمَّدٍ
بِالسَّفَرِ إِلَى الشَّحْرِ ، وَبَقِيَ يَتَرَدَّدُ إِلَيْها ، وَيُقيمُ بِها شَهرينِ أَيْامَ المَوسِمِ ، وَيَمُرُّ في ذَهابِهِ
وإِيابِهِ بِالْحَوايِ .

ولَمَّا عَلِمَ الحبيبُ عَمْرُ أَلْبازُ بِقِصَّةِ المِئَةِ . . قالَ لِمَنْ حَضَرَهُ : أَيَصُحُّ أَنَّ أَحَدًا
يَتَصَدَّقُ بِثَلْثِ مالِهِ؟! وَكانَ عِنْدَهُ دَلالٌ مِنْ آلِ باخِيزِ . فقالَ : إِنْ كانَ مِنْ آلِ شَبامٍ . .
فَنَعَمْ .

(١) أي : أن أهلها يتقنون ما خالف الشرع والأدب .

ومنه^(١) : أَنَّ مُحَمَّدَ لَعَجَمٍ مِنَ السَّابِقِينَ ؛ لِأَنَّهُ سَبَقَ سَلَفُهُ .

ومنه : أَنَّهُ لَمَّا تُوْفِّي أَحْمَدُ بَكَارٍ لَعَجَمٌ . . قَالَ وَالِدِي : تُوْفِّي وَهُوَ خَيْرٌ مِّنْ بِالْبَلَدِ .
وَلَمَّا تُوْفِّي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَعَجَمٌ . . قَالَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ سَمِيطٍ : إِنَّهُ مِّنَ
الْأَخْيَارِ الَّذِينَ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِمُ الْبَلَاءَ ، وَمِنَ الَّذِينَ يُحْيِيهِمْ وَيُمِيتُهُمُ اللَّهُ فِي عَافِيَةٍ ، وَكَانَتْ
وَفَاتُهُ بِسَبَبِ الْوَبَاءِ الَّذِي وَقَعَ بِشِبَامٍ وَسَيْثُونَ وَبُورٍ فِي سَنَةِ (١٢٥٠ هـ) .

ومنه : أَنَّ الْحَبِيبَ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ قَالَ : مَا تَحَقَّقْتُ أَنَّ أَحَدًا يَحِبُّ
لِلْمُسْلِمِينَ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ صَاحِبَ ثِيٍّ ، وَبَكَارَ بْنَ عَوْضٍ
لَعَجَمٌ ؛ فَإِنَّ هَذَا يَقُومُ إِلَيَّ فِي الدَّرْسِ وَيَقُولُ : تَكَلَّمْتُ فِي كَذَا ؛ فَإِنَّ النَّاسَ وَاقِعُونَ
فِيهِ .

ومنه : أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ صَلْعَانَ مَمَّنْ تَرَجَّمَ لَهُ الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ بْنُ سَمِيطٍ ، وَأَنَّ
مُحَمَّدَ صَلْعَانَ كَثِيرًا مَا يَسْتَشْهَدُ بِحُكْمِ أَبِي عَطَاءٍ اللَّهِ يَكَادُ يَحْفَظُهَا ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجُونٌ
بِمُحَمَّدِ بْنِ عُقْبَةَ سُدَيْسٍ .

ومنه : أَنَّ الْمَرْحُومَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بَايُوسَفَ - جَدَّ آلِ بَايُوسَفَ - مِّنَ الصَّالِحِينَ ،
وَكَذَلِكَ وَلَدُهُ أَحْمَدُ .

ومنه : أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بِاسْعُودٍ عَنِ الْحَبِيبِ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ قَالَ : أَدْرَكْنَا
أَهْلَ شِبَامٍ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ : أَوَّلُ طَبَقَةٍ لِبَاسُهُمْ كُوفِي بَيْضٌ وَأُرْدِيَّةٌ شِمَالٌ ، وَثَانِي طَبَقَةٍ
كُوفِي سَوْسِي وَمَلَا حِفْ بَيْضٌ ، وَثَالِثُ طَبَقَةٍ كُوفِي صِنْعَانِيَّاتٍ مِّنْ نِّصْفِ رِيَالٍ وَمَلَا حِفْ
سُودٌ .

قَالَ : وَمِنْ بَعْدُ تَوَسَّعُوا مَصَانِفَ وَكُوفِي صِنْعَانِيَّاتٍ مِّنْ رِّيَالِينَ .
ومنه : أَنَّهُ لَمَّا تُوْفِّي عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ مُعَاشِرٌ . . قَالَ : إِنَّهُ مِّنَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا ، وَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ لَمَّا مَاتَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ جَبَرٌ .

وَنَقَلَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ قَاضِي فِي تَرْجَمَتِهِ لِنَفْسِهِ : أَنَّ وَالِدَهُ تَوَلَّى

(١) أي : من كلام ابن سميطة .

القضاء بشبام أكثر من ستين ، وأنه يشي على أهلها بالتناصف والتعاون على الحق ،
وأنه كان يزورهم ويأتي إليهم من تريم لحسن حالهم . اهـ

ولو أرسلنا القلم ملء فؤوجه في مكارم الشيخ عبد الرحمن باصهي ، الملقب
بالطويل^(١) . . لاندقت عنقه قبل أن نبلغ منه ما نريد ، وهي مشهورة ، وآخرها :
وصيته بأن تبقى يده مكشوفة مع تشييعه في الجنائز ؛ لاستخراج الاعتبار بأنه مع ما كان
من ثروته الطائلة لم يخرج من الدنيا إلا صفر اليد وقد نفذوها على ما فيها من
الاختلاف بين الرملي وأبن حجر ؛ لما في ذلك من المصلحة والعظة البالغة .

وكان سيدي حسن بن أحمد بن سميط يفتتح عن ثبح بحر عندما يفيض فيها ، إلا
أن تلك المكارم أنطوى نشرها ، ولم يبق إلا ذكرها .

ونذكر تلك المكرمات وحسنها وأخر ما يبقى من الذاهب الذكر^(٢)

ولال شبام عامة وآل باصهي خاصة ، نجوع إلى صنعاء وإلى البيضاء من أرض
الظاهر ، وقد وقفت على وثيقة من الإمام المهدي لدين الله ، هذا نصها :

الخط الكريم والرسم العالي الفخيم الإمامي المهدوي أعزه الله ، وأقر عين
المتمسكين به وأرضاه ، وأنفذه في جميع الأقطار الإمامية وأسماءه ، إن شاء الله ، بيد
الحاج الأكرم جمال الدين سالم بن عبد الله باصهي وكافة إخوانه وبني عمه ، قاض لهم
بالإجلال والإكرام ، والرعاية والاحترام ، والإعزاز والإعظام ، فيجرون على أجمل
العوائد وأتم القواعد ، ليس عليهم حال يخشونه ، ولا أمر يتوقونه ، وأنهم منا
والينا ، وممن تحوطه شفقتنا ، وأن واجباتهم الشرعية يسلمونها بالأمانة ، ليس على
أموالهم حيث كانت حرص ولا اعتراض بمحروس البيضاء وحضر موت .

(١) الشيخ عبد الرحمن الطويل باصهي ، لقب الطويل لطول يده في الخير والإحسان ، وله مناقب ومكارم
أخلاق كثيرة ، وكانت له تجارة وأراض في عتق ، وصاحبه ورفيقه هو السيد زين بن علوي بن سميط
جد السادة آل سميط سكان شبام ، وكانا يمكثان معاً في عتق مدة من الزمان ، ثم يعودان بالخير إلى
شبام .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للبحراني في « ديوانه » (٧٤ / ٢) ، بتغيير بسيط .

وَأَنَّهُمْ يُخْرِجُونَ مَا دَخَلَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الْفِرَقِ وَالْمَطَالِبِ وَالسَّوَابِ وَالنَّوَابِ .
وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ إِلَّا الْحَقُّ الْوَاجِبُ وَزَكَاةُ الْأَمْوَالِ وَزَكَاةُ التِّجَارَةِ وَالْفِطْرَةِ ، يَسْلُمُونَهَا
إِلَى الْعُمَّالِ بِالْأَمَانَةِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةٍ .

وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مَجْبَىٰ أَيْنَمَا تَوَجَّهُوا فِي الْبِلَادِ الْإِمَامِيَّةِ ، فِي جَمِيعِ الْأَسْوَاقِ وَالْمَرَاسِي
وَالطَّرِقاتِ وَالْبُنَادِرِ ، فَلَا يُعْتَرَضُوا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ
وَالنَّصِيحَةِ لَهُمْ وَلِسُلْفِهِمْ ، فَيَجْرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ وَتَقْرَأُ أَعْيُنُهُمْ بِمَا هُنَاكَ ، وَعَلَيْهِمُ التَّوَقُّفُ
عَلَىٰ أَمْرِنَا ، وَالْكَوْنُ عِنْدَ رَأْيِنَا ، وَمَوَالَاةُ الْمُوَالِي ، وَمَعَادَاةُ الْمُعَادِي ، فَلْيَتَّقُوا بِذَلِكَ ،
وَبِاللَّهِ التَّقَى ، وَبِهِ الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَكَفَى ، وَنَعْمَ الْوَكِيلُ ، نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ
النَّصِيرُ .

حُرِّزَ فِي مُحَرَّمِ الْحَرَامِ عَامَ سَبْعَةِ وَثَمَانِينَ وَأَلْفٍ (١٠٨٧ هـ) ، وَكَانَ الشَّيْخُ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَاصْهِي مُعَاصِرًا لِلْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَحْجَّ
هُوَ وَمَنْ مَعَهُ عَلَىٰ نَفَقَتِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، كَمَا فِي « كَلَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ سَمِيطٍ » .
وَلَمْ يَبْقَ بِأَيْدِي آلِ شِبَامِ الْيَوْمَ مِنَ الْمَنَاقِبِ الشَّرِيفَةِ السَّابِقَةِ لِأَهْلِهِمْ . . . إِلَّا حَسَنُ
التَّأْسِي فِيهَا بَيْنَهُمْ ، وَمُسَاعَدَةُ الضَّعِيفِ ، وَقَضَاءُ الْحَاجَةِ ، وَجَبْرُ الْمُنْكَوبِ ، حَتَّى
لَقَلَّمَا تُرْفَعُ مِنْ أُولَىٰ مَرُوعَتِهِمْ دَعَا إِلَى الْقَاضِي ، وَإِنَّمَا يُسَوُّونَ أُمُورَهُمْ فِيهَا بَيْنَهُمْ
بِالْإِصْلَاحِ ، وَهَذَا لَيْسَ بِالْقَلِيلِ مَعَ تَرَاذُلِ الزَّمَانِ .

وَذَكَرَ أَبُو الْحَاثِكِ : (أَنَّ مَصْبَ مِيَاهِ الْأَوْدِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ كُلِّهَا كَانَ فِي شِمَالِ شِبَامِ ،
بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَارَةِ)^(١) .

وَهُوَ صَادِقٌ فِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ الْوَاقِعُ فِيهَا قَبْلُ . . . حَتَّى كَانَ السَّيْلُ الْعَظِيمُ الْهَائِلُ فِي
سَنَةِ (٦٩٩ هـ) فَأَخْرَبَ الْأَخْجَازَ ، وَأَخَذَ كَثِيرًا مِنَ الْبَشَرِ وَمِنَ الْمَوَاشِي^(٢) ، وَانْتَقَلَ

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٩) .

(٢) فِي « تَارِيخِ شَنْبِلِ » : أَنَّ ذَلِكَ كَانَ سَنَةَ (٦٩٨ هـ) ، وَزِيَادَةً عَلَى مَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ . . . فَإِنَّ ذَلِكَ السَّيْلَ أَخَذَ
قِطْعَةً مِنْ جَنُوبِي شِبَامِ فِيهَا ثَلَاثَةُ مَسَاجِدَ ، وَمَاوَالَهَا مِنَ الدِّيَارِ ، وَأَخَذَ بَنِي سَعْدِ وَبَنِي حَارِثَةَ ، وَأَخْرَبَ
حَبِوْطَةَ الرَّاكِ ، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ .

بقوّته مِنْ شِمَالِ شِبَامٍ وَأَتَّخَذَ لَهُ أُخْدُوداً بِجَنُوبِهَا ؛ إِذْ قَدْ أَجْتَا حَ كَثِيراً مِنْ الْخِجَةِ^(١) الَّتِي كَانَتْ مُتَّصِلةً بِشِبَامٍ ، ثُمَّ عُمِّرَتْ شَيْئاً فَشَيْئاً ، وَمَا زَالَتْ مَعْمُورَةً حَتَّى أَجْتَا حَهَا سَيْلُ الْإِكْلِيلِ الْجَارِفُ فِي سَنَةِ (١٠٤٩ هـ)^(٢) .

ثُمَّ أَحَبَّ آلُ شِبَامِ التَّنَزُّهَ . . فَعَمَّرُوها وَاحِداً وَاحِداً ، حَتَّى صَارَتْ قَرْيَةً ، وَعِنْدَ ذَلِكَ ابْتَنَى السَّيِّدُ عَقِيلُ بْنُ عَلِيٍّ السَّقَّافُ مَسْجِداً فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٠٦٣ هـ) ، وَأَحَبَّ أَنْ يُجَمِّعَ فِيهِ ، فَأَخْتَلَفَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ - حَسْبَمَا فَصَّلْنَاهُ بِ- « الْأَصْلِ » - فَأَمْتَنَعَتِ الْجُمُعَةُ^(٣) .

وَمَا يُفْهَمُهُ قَوْلُ يَاقُوتِ السَّابِقِ : (إِنَّ الْحَسِينَ بْنَ سَلَامَةَ^(٤) ابْتَنَى جَامِعَ شِبَامِ) مَحْمُولٌ عَلَى التَّجْدِيدِ أَوْ التَّرْمِيمِ ، وَإِلَّا . . فَقَدْ كَانَ جَامِعُهَا مَبْنِياً قَبْلَ ذَلِكَ بِزَمَانٍ ؛ فَفِي تَارِيخِ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاشِرَا حِيلَ أَنَّهُ (بُنِيَ فِي سَنَةِ « ٢١٥ هـ » ، وَأَنَّهُ كَالْقُطْبِ الَّذِي تَدَوَّرَ عَلَيْهِ غَالِبُ شَعَائِرِ الدِّينِ بِشِبَامِ) .

وَلَهُ أَوْقَافٌ تُنْسَبُ إِلَى هَارُونَ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ شَاهِدٌ بِأَنِّ بِنَاءَهُ كَانَ مُتَقَدِّماً عَلَى هَذَا التَّارِيخِ الَّذِي ذَكَرَهُ بَاشِرَا حِيلَ ؛ لِأَنَّ وَفَاةَ الرَّشِيدِ كَانَتْ فِي سَنَةِ (١٩٣ هـ) .

وَمِمَّا يَدُلُّ لَتَقْدِيمِهِ : مَا نَقَلَهُ الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ عَبْدُ اللَّهِ بَلْحَاج ، عَنِ الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ بَاشُكَيْلِ : (أَنَّ آلَ بَاذِيبِ مِنَ الْأَزْدِ ، وَأَصْلُهُمْ مِنَ الْبَصْرَةِ ، ثُمَّ اسْتَوْطَنُوا شِبَاماً .

(١) الْخِجَةُ - بِثَلَاثِ الْخَاءِ - : هِيَ الطَّرِيقُ الرَّمْلِيَّةُ ، كَمَا فِي « الْقَامُوسِ » . وَيُطْلَقُ هَذَا الْاسْمُ عَلَى الْبُقْعَةِ الَّتِي يعلوها جَبَلُ الْخِجَةِ جَنُوبَ مَدِينَةِ شِبَامِ ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ الْمُسَمَّاةُ : (السَّحِيلُ = سَحِيلُ ابْنِ مَهْرِي) .

(٢) « عَقْدُ الْجَوَاهِرِ وَالْدَّرَرِ » ، وَ« الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » (٢٣٦-٢٣٧) ، وَكَانَ سَيْلَانُهُ فِي صَفَرٍ . وَهَنَاقَ سَيْلٍ آخِرٍ يُسَمَّى : الْإِكْلِيلُ ، سَالَ سَنَةَ (١٣٣٥ هـ) ، وَيَعْرِفُ بِسَيْلِ بْنِ رَيْدَانٍ .

(٣) الْمَسْأَلَةُ فِي « مَجْمُوعِ » الْحَبِيبِ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِو الصَّافِي (١٠٨-١١٢) ، وَهُوَ جَوَابُ صَدْرٍ مِنَ الْعَلَامَةِ الْكَبِيرِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ صَفِيِّ الدِّينِ الْقَشَّاشِي الْمَدَنِيِّ ، وَذُكِّلَ عَلَى الْجَوَابِ بِكَلَامِ نَفِيسٍ مُحَرَّرٍ الْإِمَامَ الْفَقِيهَ أَحْمَدَ مُحَمَّدَ مَوْذَنَ الصُّبْحِيِّ بِاجْمَالٍ ، وَحَاصِلُ الْفَتْوَى : أَنَّ مَبَانِي الْخِجَةِ وَهِيَ حُدُودُ (٢٠٠) دَارٍ وَالثَّلَاثَةُ الْمَسَاجِدِ الَّتِي بِهَا لَا تَعُدُّ قَرْيَةً مُسْتَقِلَّةً ، بَلْ هِيَ مِنْ أَعْمَالِ شِبَامِ . . فَلَا يَصِحُّ فِيهَا إِقَامَةُ الْجُمُعَةِ .

(٤) هُوَ الْحَسِينُ بْنُ سَلَامَةَ النَّوْبِي ، أَمِيرُ تَهَامَةِ الْيَمَنِ ، كَانَ نَوْبِيّاً مِنْ مَوَالِي بَنِي زِيَادٍ وَلَاةِ الْيَمَنِ ، وَلَمَّا تَضَعُضِعَ حُكْمَ آلِ زِيَادٍ . . نَهَضَ الْحَسِينُ وَتَسَلَّمَ مَقَالِيدَ الْإِمَارَةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ (٣٧٥ هـ) ، وَكَانَ رَجُلًا عَادِلًا ، وَاخْتَطَّ عِدَّةَ مَدَنٍ ، وَأَنْشَأَ الْجَوَامِعَ وَحَفَرَ الْآبَارَ . . أَقَامَ فِي الْحُكْمِ (٣٠) سَنَةً وَمَاتَ بِزَيْدِ سَنَةِ (٤٠٢ هـ) .

قال : وذكر عمرُ بنُ عبدِ اللهِ باجمالِ الشَّبابي : أَنَّ آلَ باذِبِ خرجوا مِنَ البصرةِ إلى حَضْرَمَوْتَ في أَيَّامِ الْحِجَّاجِ ، وبقيت طائفةٌ مِنْهُمْ بالبصرةِ ، وَلَهُمْ حَافَةٌ عَظِيمَةٌ بالبصرةِ ، يقالُ لها : حَافَةُ الْأَسَدِ - بِالسَّيْنِ ، لَعَنَ في الْأَزْدِ - بِالزَّيِّ - وَلَمَّا وَصَلُوا حَضْرَمَوْتَ . . أَوَاهُمُ أَمِيرُ شَبَامٍ وَأَجْلَهُمُ ، وَكَانَ فِيهِمْ قَضَاءُ الدِّينِ وَقَضَاءُ الدَّوْلَةِ بِشَبَامٍ ، وَقَدْ أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ في زَمَنِ وَاحِدٍ سَبْعَةُ مُفْتَوْنَ ، وَقَاضِيَانِ : شَافِعِيٌّ وَحَنَفِيٌّ (١) اهـ

وهذه فائدةٌ نفيسةٌ ، ونقلٌ عزيزٌ نحتاجُهُ في كثيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ ، ونضربُ عليها بنغماتٍ متعدِّدةٍ ، وبعيدٌ أَنْ ينتشرَ فيها الإسلامُ والمُسلمونَ ثُمَّ لَا يُبْنَى بها جامعٌ إِلَّا في آخِرِ الْقَرْنِ الثَّانِي ، هَذَا مَا لَا يَتَمَعْنِي بِحَالٍ ، لَاسِيَّما وَأَنَّهَا كَانَتْ دَارَ إِقَامَةِ زِيَادِ بْنِ لَبِيدٍ الْأَصْحَابِيُّ الْمَشْهُورِ ، كَمَا في « مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ » لِمَوْلَفِ « الْقَلَائِدِ » ، وَغَيْرِهِ (١) .

وفي سَنَةِ (٥٣٢ هـ) عُمِّرَ مَقْدَمُ جَامِعِ شَبَامٍ (٢) ، وَجُدَّ مِنْبَرُهُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ الرَّسُولِيِّ ، وَذَلِكَ الْمَنْبَرُ هُوَ الَّذِي يُخَطَّبُ عَلَيْهِ إِلَى الْيَوْمِ . وَكَانَتْ هَذِهِ الْعِمَارَةُ عَلَى يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَاشِدٍ فِي وِلَايَةِ نَصَّارٍ بْنِ جَمِيلٍ السَّعْدِيِّ (٣) .

وفي مَوْضِعٍ مِنَ « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » لابنِ الْحَائِكِ [ص ١٦٩] يَقُولُ : (وَأَمَّا شَبَامُ : فَهِيَ مَدِينَةُ الْجَمِيعِ الْكَبِيرَةِ ، وَيَسْكُنُهَا حَضْرَمَوْتُ ، وَبِهَا ثَلَاثُونَ مَسْجِدًا ، وَنِصْفُهَا خَرَابٌ ، أَخْرَبَتْهُ كَنْدَةُ ، وَهِيَ أَوَّلُ بَلَدٍ حَمِيرٍ ثُمَّ . وَسَاكُنُ شَبَامٍ : بَنُو فَهْدٍ مِنْ حَمِيرٍ) اهـ

وَأَقُولُ : أَمَّا فَهْدٌ . . فَهُوَ ابْنُ الْقَلِيلِ بْنِ يَعْفَرَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ حَضْرَمَوْتَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قحطَانَ بْنِ الْعُومِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ فَهْدٍ بْنِ الْقَلِيلِ . . إِلَى آخِرِ النَّسَبِ .

وَسَيَأْتِي بَيْتُ نَشْوَانٍ مَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ .

أَمَّا مَسْجِدُهُمُ الْبَاقِي بَيْنَ مَنَازِلِهِمُ الْخَاصَّةِ فِي جَانِبِ خَبَّةِ شَبَامِ الْغَرْبِيِّ الْمَسْمُومِ

(١) وينظر : « أَدْوَارُ التَّارِيخِ الْحَضْرَمِيِّ » (٨٧) نَقْلًا عَنْ « الْبَرْدِ النِّعَمِ » لِلْخَطِيبِ .

(٢) هذه العمارة الأولى القديمة والتي بعدها كانت سنة (٥٣٩ هـ) ، كما في « شَنْبِلِ » (ص ٣٥) .

(٣) كانت عمارة الجامع وتجديد المنبر سنة (٦٤٣ هـ) ، كما في « شَنْبِلِ » (ص ٩٢) .

الآن : مسجد الطَّيِّبِ .. فقد بقي بأيديهم ، والظاهرُ أنَّه وقعَ فيما اجتاحه سيلُ سنة (٦٩٩هـ) آتِي ذكرُهُ ، وإلاَّ .. لما طمعَ السَّيِّدُ عَقِيلٌ - حَسَبَمَا يَأْتِي - فِي التَّجْمِيعِ بِمَسْجِدِهِ الَّذِي بَنَاهُ بِجَانِبِ خَبَّةِ شِبَامِ الشَّرْقِيِّ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ اخْتِلَافُ الْمَذْهَبِ دَاخِلًا تَحْتَ عُسْرِ الْاجْتِمَاعِ ، الْمَسْوَغُ لِلتَّعَدُّدِ .. فَلِلْبَحْثِ مَجَالٌ ، وَبَيْنَ الْعُلَمَاءِ اخْتِلَافٌ حَتَّى بَيْنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْحَضَارِمِ ؛ كَأَبْنِ يَحْيَى ، وَبِلَفْقِيهِ ، وَالسَّيِّدِ عُثْمَانَ بْنِ يَحْيَى ، وَبَعْضِ عُلَمَاءِ الْحِجَازِ ، وَهُوَ مَعْمُورٌ إِلَى الْآنَ .

وَأَمَّا كَثْرَةُ الْمَسَاجِدِ بِهَا .. فَإِنَّمَا كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تَجْتَاخَ أَطْرَافُهَا السُّيُولُ^(١) ، وَيَكُونَ مَجْرَاهَا فِي جَنُوبِهَا . وَكَانَ مَسْجِدُ الْخَوَاقَةِ بِشِبَامٍ هُوَ مَسْجِدُ الْإِبَاضِيَّةِ إِلَى أَنْ غَلِبَهُمُ الْأَشَاعِرَةُ عَلَيْهِ فِي سَنَةِ (٥٩١هـ) .

وَمِنْ أَشْعَارِ إِمَامِ الْإِبَاضِيَّةِ بِحَضْرَمَوْتَ فِي الْقَرْنِ الْخَامِسِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَيْسٍ^(٢) قَوْلُهُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

فَقُلْتُ : وَمَا يُبْكِيكَ يَا خَوْدُ ؟ لَا بَكَتْ	لَكَ أَلْعَيْنُ مَا هَبَّتْ رِيَّاحُ زَعَانُ
فَقَالَتْ : بَكَتُ الدِّينَ إِذْ رَتَّ حَبْلُهُ	وَلِلْعُلَمَاءِ لَمَّا حَوْنَتْهُمْ بَلَاغُ
فَأَيْنَ الْأَلَى إِنْ خُوطِبُوا عَنْ دَقَائِقِي	مِنَ الْعِلْمِ .. أَفْتَوَا سَائِلِيهِمْ وَسَارَعُوا ؟
فَقُلْتُ لَهَا : هُمْ فِي شِبَامٍ وَمِنْهُمْ	بِمَنْفَعَةٍ قَوْمٌ حَوْنَتْهُمْ مِيَّافُ
وَفِي هَيْنٍ مِنْهُمْ أَنْاسٌ وَمِنْهُمْ	بِذِي أَصْبَحَ حَيْثُ الرِّضَا وَالصَّمَادُ
وَمِنْهُمْ بِوَادِي حَضْرَمَوْتَ جَمَاعَةٌ	وَأَرْضِ عُمَانَ سَيْلُهُمْ ثُمَّ دَافِعُ

(١) كان بشبام (٣٠) مسجداً ، كما في التواريخ القديمة ، وأما اليوم فالذي بداخلها ستة مساجد فقط : المسجد الجامع ، ومسجد الخوقة ، ومسجد الشيخ معروف - المقدشي سابقاً - ومسجد باذيب ، ومسجد باجرش ومسجد بن أحمد ، ومسجد مدرسة الحارة القبلية . وخارج السور : مسجد معروف الهابطي . وفي الساحل : مسجد عقيل ، ومسجد بامكا ، ومسجد طيب ، ومسجد باعشرة . ويوجد قرب المقبرة مسجد السبع .

(٢) إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي ، ولد (بحضرموت) ، ومات نحو سنة (٤٧٥هـ) ، استعان بالخليل بن شاذان الإمام الإباضي بعمان ، واستولى على حضرموت باسم الخليل ، وأقامه عليها عاملاً .. وكان شجاعاً جلدأ ، وله غزوات إلى الهند ، له مصنفات . « الأعلام » (١ / ٥٨) .

وفي أوائل القرن التاسع كان قضاء شبام للشيخ عبد الرحمن باصهي^(١) ، وله قصة مع علي بن سعيد باصليب ، الملقب بالرخيلة ، مذكورة في الحكاية (٤٥٧)^(٢) من « الجواهر الشفاف » .

ومن قضاء شبام في القرن الثاني عشر : السيد علي بن علوي عديد^(٣) . وكان بشبام جماعة من آل بامهرة فيهم العلماء والقضاة ، وجماعة من آل شعيب مشهورون بالعلم ؛ منهم :

الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله شعيب . والشيخ أبو بكر بن شعيب ، له شرح على « المنهاج » . ولا اتصال لهؤلاء بالباشعيب الآتي ذكرهم في الواسط^(٤) .

وذكر الطيب بامخرمة في « تاريخ عدن » : (أن العلماء آل الشماخ^(٥) أصل جدّهم من حضرموت ، تفقه بزييد ، ولما أراد الرجوع . رغبه السلطان عمر بن المظفر فأقام هناك إلى أن مات ، فال الشماخ من ذريته) اهـ

وقرب جداً أن يكون آل شماخ الموجودون بشبام إلى اليوم متفرعين عن ذلك الأصل الذي نجع منه جدّ آل الشماخ إلى زييد .

ولما ذكر علامة اليمن السيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل عادة آل زييد في قراءة « البخاري » بشهر رجب . قال : إنها - فيما أحسب - من أيام الشيخين : أحمد بن أبي الخير منصور الشماخي ، ووالده الفقيه أبي الخير منصور الشماخي

(١) الشيخ الفقيه الإمام عبد الرحمن بن محمد باصهي ، توفي بشبام سنة (٨٧٠ هـ) ، وهو والد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الآخذ عن الحافظ السخاوي والشيخ علي بن أبي بكر السكران . والمترجم هنا هو غير الشيخ عبد الرحمن باصهي صاحب الصدقة ، وناظر أوقاف جامع شبام ؛ فإن هذا الناظر من أهل القرن العاشر الهجري .

(٢) في نسخة : (٤٩٧) .

(٣) السيد علي بن علوي بن عمر بن عبد الرحمن عديد ، توفي بتريم سنة (١١٠٩ هـ) .

(٤) وكان بعض آل شعيب سكان شبام يقول : إن أصلهم من الجوف . « مجموع الحبيد » .

(٥) آل الشماخ بطون كثيرة باليمن ، وأما آل الشماخي سكان زييد . فمن بطون آل سعد . وفي « تاريخ شنبل » ذكر لكثير منهم .

السَّعْدِيُّ نَسَباً ، الْحَضْرَمِيُّ أَصْلًا ، الزَّيْدِيُّ مَهْجَرًا ، الْآخِذُ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِ
الْحَافِظِ السَّلْفِيِّ ، تُوُفِّيَ بِمَدِينَةِ زَيْدَ سَنَةِ (٦٨٠ هـ) .

وَلَالِ شَبَامِ نَوَادِرُ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَا يُرَوَّى عَنِ السَّيِّدِ زَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سَمِيطٍ^(١) .
لَكْفَى ، فَمِنْ ذَلِكَ :

أَنَّ لَالَ الشُّخْرِ اعْتِقَادًا فِيهِ ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِيَسَاطَتِهِمْ يُمَكِّنُونَ نِسَاءَهُمْ مِنْ مَصَافِحَتِهِ ،
مَعَ أَنَّهُ لَا يَتَوَرَّعُ بَعْضُ الْأَحْيَانِ مِنْ غَمَزِ إِحْدَاهُنَّ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعِيدِ
الزَّيْدِيُّ وَعِنْدَهُ فِتَاءٌ جَمِيلَةٌ ، فَعَلَقَتْهَا نَفْسُهُ ، وَتَبِعَهَا هَوَاهُ ، فَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يَخْطُبَهَا لَهُ ،
فَقَالَ لَهُ : يَمْنَعُكَ عَنْهَا بِخُلُوكَ . فَقَالَ لَهُ : أَطْلُبُ لَهَا مَا تَرِيدُ . فَخَرَجَ ، ثُمَّ عَادَ ،
وَقَالَ : إِنَّ أَهْلَهَا يَطْلُبُونَ ثَلَاثَ مِثَّةِ رِيَالٍ . فَجَعَلَ بِهَا طِيبَةً نَفْسُهُ ، فَوَاعَدَهُ أَنْ يَجِيءَ إِلَى
ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنْ آخِرِ لَيْلَتِهِ ، وَعَقَدَ لَهُ بَعْجُوزٍ قَدْ تَغَضَّنَ^(٢) وَجْهَهَا ، وَأَنْشَرَتْ أَسْنَانَهَا ،
وَأَنْطَبَقَ عَلَيْهَا قَوْلُ الْبَحْرِيِّ [فِي « دِيَوَانِهِ » : ٢٧٢ / ٢ مِنْ الْمَنْسُوحِ] :

وَالسَّرُّ قَدْ بَيَّنَّتْ فَنَاءَكَ فِي شَذِيقِ عَلَى الْمَاضِغَيْنِ مُنْخَسِفِ
وَدَفَعَ لَتَلَكَ الْعَجُوزِ عَشْرَةَ رِيَالَاتٍ ، وَهَرَبَ هُوَ بِالْبَاقِي إِلَى شَبَامِ حَضْرَمُوتَ ،
وَكَانَتْ سَفَرَةً طِيبَةً ، وَوَقَعَ الشَّيْخُ فِي الشَّبَكَةِ .

وَمِنْهَا : أَنَّ الْجَمْعَمَدَارَ عَبْدَ اللَّهِ^(٣) كَانَ يَأْنَسُ بِهِ ، وَيَسْتَلِي بِأَحَادِيثِهِ عَنْ أَنْكَادِ حَوَادِثِ
صُدَّاعَ ، وَمَعَهُ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدِ الْمُحَضَّارِ ، وَكَانَ لَا يَصْبِرُ لَهُمْ إِلَّا إِذَا سَلَّمُوا لَهُ
إِمَامَةَ الصَّلَاةِ ، فَادَّعَنُوا لَهُ بِهَا ، حَتَّى جَاءَهُمْ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ . . فَاسْتَحْيَوْا أَنْ يُقَدِّمُوا عَلَيْهِ
زَيْنًا ، مَعَ مَا عُرِفَ بِهِ مِنَ الْتَهَاوَنِ فِي الطَّهَارَةِ وَنَوَاقِضِ الْوُضُوءِ ، فَصَلَّى بِهِمُ الشَّيْخُ
الْعِشَاءَ ، وَقَرَأَ فِي الْأُولَى (الضُّحَى) فَلَمْ يَجِدْ إِلَيْهِ زَيْنٌ سَبِيلًا ، وَلَمَّا قَرَأَ فِي الثَّانِيَةِ

(١) هو السيد زين بن أحمد بن زين بن محمد بن زين بن سميط ، ولد بشبام ، وتوفي بزنجبار سنة
(١٣٠٨ هـ) وله ذرية بجَاوَة .

(٢) أي : ظهرت فيه التجاعيد .

(٣) هو الجمعدار عبد الله بن عمر القعيطي ، أخو السلطان عوض بن عمر ، مر ذكر الخلاف بين أبنائه
وعمهم السلطان عوض في القطن .

بـ (الزلزلة) .. سَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ ، فَقَطَعَ الصَّلَاةَ ، وَقَالَ لَهُ : زَلَزَلَ اللَّهُ بِوَالِدَيْكَ يَا شَرَّ الْمَشَايخِ ! وهل لِلزَّلْزَلَةِ مكانٌ بعد ما نحنُ فيه ؟ الجمعدار مزلزل ، والمحضار مُبْهَذَل ، وأنا مسفلٌ ، ثُمَّ تَأْتِي لَنَا فَوْقَ ذَلِكَ بِالزَّلْزَلَةِ .

وهكذا سمعُها ، ولكنَّ وجودَ السَّيِّدِ حسينِ بنِ حامِدٍ لذلك الْعَهْدِ بصفَةِ الْكُنْدِيمِ أو نحوهِ لِلجَمْعِدَارِ عبدِ اللَّهِ .. لا يَخْلُو مِنَ الْبُعْدِ .. فلعلَّ النَّظَرَ أَنتَقَلَ عَنْ أَبِيهِ أو غيرهِ إِلَيْهِ .

ومِنْهَا : أَنَّهُ مَرَّ بِشِبَامِيٍّ وَيَهُودِيٍّ يَتَلَاظِمَانِ فِي عَدَنَ ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا .. أَسْأَلَ الشُّبَامِيَّ ، وَتَرَكَ زِينًا مَعَ الْيَهُودِيَّ ، حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمَا الشَّرْطُ ، وَسَاقُوهُمَا إِلَى السَّجَنِ ، فَسَأَلَ زَيْنٌ عَنِ الْمُقَرَّبَيْنِ لَدَى الْحُكُومَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : صَالِحُ جَعْفَرٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ .. فَوَصَلَ ، فَاسْتَخَفَّ رُوحَهُ ، فَضَمَّنَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ إِلَى دَارِهِ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، فَرَأَى عِنْدَهُ مِنَ النِّعْمَةِ مَا لَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنْهُ فِي بَيْوتِ آلِ شِبَامٍ بَعْدَنَ ، فَأَنْقَطَعَ عَنْهُمْ ، وَمَا زَالُوا يَحْتَوْنَ عَنْهُ حَتَّى ظَفَرُوا بِهِ ، فَسَبَّهَمُ وَقَالَ : لَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ النَّارِ إِلَى الْجَنَّةِ . قَالُوا : لَكِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا حَالُ صَالِحِ جَعْفَرٍ . قَالَ : وَمَا حَالُهُ ؟ قَالُوا : يُبْغِضُ الشَّيْخَيْنِ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ . فَاسْتَغْظَمَهَا ، وَقَالَ : إِذَا كَانَ يُبْغِضُ هَٰذَيْنِ .. فَأَيُّ دِينٍ لَهُ ، وَمَنْ يُحِبُّ ؟ قَالُوا : لَا يُحِبُّ إِلَّا فَاطِمَةَ وَزَوْجَهَا وَأَوْلَادَهُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . فَأَزْدَهَرَ وَجْهُهُ بَعْدَ الْعَبُوسِ ، وَقَالَ : أَمَّا إِذَا كَانَ يُحِبُّ أَهْلِي .. فَلْيُبْغِضْ مَنْ شَاءَ ، وَأَنَا كَبِدِي مُحْتَرَقَةٌ مِنْ بُو بَكْرٍ لَعْنَمُ وَعَمْرُ بْنُ بُو بَكْرٍ بَازِيبٌ ، فَسَأَلَهُمَا جَبْرًا لِخَاطِرِهِ .

ثُمَّ نَهَضَ مِنْ فُورِهِ وَدَخَلَ عَلَى صَالِحِ جَعْفَرٍ فَأَوْهَمَ أَنَّهُ عَثَرَ .. فَقَالَ : لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ ^(١) .

(١) وفي فعله هذا تورية عن سب الشيخين رضي الله عنهما بسب معاصريه ، ولفعله شواهد كثيرة كقصّة الإمام مع المأمون في مسألة خلق القرآن وغيرها ، ولكن رغم ذلك لم يخرج عن الإغذار ؛ فإنه لا يجوز لعن المعين ، بل هو حرام ، وكان على المؤلف رحمه الله أن لا يذكر الأشخاص كما فعل السيد صالح الحامد في « رحلته » ؛ فإنه ذكر الحكاية بدون ذكر الأشخاص .

وللشيخ أحمد بركات^(١) من هذا القليل ما ليس بالقليل ، إلا أنه لم يكن كالسيد زين في خفة الظل ؛ لأنَّ عنده شيئاً من الكلفة ؛ من نوادره :

أنَّ شيخنا الشهير أحمد بن حسن العطاس مرَّ بداره فناداه : أعندك رطوبة نطلع لها؟ قال له : أحذف الطاء وأطلع . يعني أنَّ عنده روبة^(٢) .

وبها ذكرت أنَّ ابنَ عمارٍ قال للدَّاني : أجلس يا داني بلا (ألف) ، فقال : نعم يا ابن عمار بلا (ميم) .

وكان سنة (١٣١٨هـ) بدوعن في منزلٍ استأجره ، فاتَّفَقَ أنَّ بنتاً لأهل المنزل استعارت ثوباً من أمها لتلبسه في وليمة زواج ، ففقدَ لهم عقدٌ من الفضَّة يسْمُونُهُ (مرية) ، فاتَّهَمُوا بها الشيخ أحمد ، فقالَ لهم : كم ثمنها؟ فقالوا : ستَّةَ ريالٍ . فدفعها لهم ، ولمَّا عادتِ البنتُ بالثوبِ . ألقوا المريَّةَ معها ؛ لأنها كانت بينَ طيَّاتِ الثَّوبِ ، فردُّوا ريالاً الشيخ أحمد وأعتذروا له ، ولمَّا أنتهى الخبرُ إلى باصرة . عاتبَ الشيخُ أحمد وقالَ : لو رضيت برفعهم أمركِ إليَّ . لما ألزمتكِ بشيءٍ ، فقالَ : مَنْ يدفعُ الثَّهْمَةَ بعدَ الرِّفْعِ ؛ إذ لا بدَّ من علوقها على أيِّ حالٍ ، فأخترتُ السَّترَ احتفاظاً بالمروءة ، لاسيَّما والمبلغُ زهيدٌ .

ودخلَ أحدُ أهلِ شبامٍ على صديقٍ له بها وهو يتغدَّى ، فقالَ له : أما عندك ثمانية وسبعون ؟ يعني لحم .

قالَ : لا ، ولكنَّ عندي مئةٌ وخمسون . وأحضرَ له عكَّةَ السَّمَنِ ، وكلُّ ذلكَ على الرُّويَّةِ من دونِ تفكيرٍ^(٣) .

(١) أحمد عبد الله بركات ، توفي بشبام سنة (١٣٤٦هـ) ، وله أشعار ونوادر ، جمع بعضها المستشرق سارجنت في كتابه : « الأدب العامي في حضرموت » ، وله مقامات أدبية نشرت ضمن « مجموع المقامات اليمنية » التي جمعها الأستاذ عبد الله محمد الحبشي ، وجمع بعض نكاته السيد الفاضل حسن بن سالم السقاف (السوم) ، المتوفى بجدة سنة (١٤١٨هـ) ، وسماها : « النوادر المضحكات من أخبار أحمد بركات » .

(٢) الروبة : اللبن الرائب الحامض .

(٣) يعني بالثمانية والسبعين : مجموع حروف كلمة (لحم) ؛ فاللام=٣٠ ، والحاء=٨ ، والميم=٤٠ . =

وكانَ لَهُم - كما سبقَ عنِ الحبيبِ أحمدَ بنِ عمرَ - في نقدِ الرِّجالِ ألفهُمُ الوَقَّادُ ،
وعندَهُم مِّنَ الإِزْكَانِ^(١) والتَّخْمِينِ^(٢) ما لا يحصرُهُ التَّعدادُ . مِن ذلكَ :

أَنَّ امرأةَ لأحدِهِم كثيراً ما تَأْكُلُ اللَّحْمَ وتعتذرُ بِالْهَرَّةِ ، فَلَمَّ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا أَنْ وَزَنَ
الْهَرَّةَ عِنْدَ السَّاعَةِ الَّتِي يَتَهَمُهَا فِيهَا بِأَكْلِ اللَّحْمِ ، وخرجَ مِنَ الدَّارِ ، ثُمَّ عادَ وقالَ لَهَا :
أَيْنَ اللَّحْمُ ؟ فقالتَ : أَكَلْتُهُ الْهَرَّةُ . فوزنَها ثانياً ، فَلَمَّ يَزِدْ فِيهَا شَيْئاً ، فَأَنكَشَفَ
الْخِيمُ ، وَأَنهَكَكَ الْحَرِيمُ .

وَأَلْ شَبامَ يَغْضَبُونَ مِنْ وَزَنِ الْهَرَّةِ إِلَى الْيَوْمِ لذلِكَ السَّبَبِ ، بل يَكْرَهُونَ مِنْ غَيْرِهِم
لفظَ الْوَزَنِ وَإِنْ لَمْ يُدَكِّرْ مَعَهُ الْهَرَّةُ .

حدَّثني المرحومُ أوالدُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ يحيى قالَ : كَتَبَ إِلَيَّ بعضُ أَهْلِ التَّيْمُورِ
يَطْلُبُ كَمِيَّةً مِنَ الْبَقَرِ فَأَخَذْتُهَا ، وفي الْعِشِيِّ كُنْتُ أَنَا وَالشَّيْخُ الْفاضِلُ سالمُ بنُ
عبدِ الرَّحْمَنِ باسُويدانَ بِمَنْزِلِ أميرِ الإِحْسانِ ، السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ السَّقَّافِ
بِسُغافورةَ ، فذكرْتُ شِراءَ الْبَقَرِ ، فقالوا : كَيْفَ كانَ شِراؤُكَ لَهَا ؟

فقلتُ لَهُم : بِالْوَزَنِ . فغَضِبَ الشَّيْخُ سالمٌ ، وَظَنَّ أَنَّ فِيهِ تَنْكِيتاً عَلَيْهِ ، وَأَنَا لَمْ
أَتَعَمَّدْ شَيْئاً مِنْ ذلِكَ ، وَإِنَّمَا أَرسلْتُها بِحَسَبِ السَّجِيَّةِ ، وَبَقِيَ عَلَى غَضَبِهِ مَدَّةٌ لَيْسَتْ
بِالْيَسِيرَةِ .

وَلَسَماسِيرةَ شَبامَ أَلِيدُ الطُّولَى فِي سَنِّ الْكَفَاتِرِ ، وَتَعْيِيرِ الْعائِبِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَا يَسْلُمُونَ
مِنَ التَّحْرِيشِ بَيْنَ النَّاسِ ؛ بَيْنَمَا أَحَدُ شَعْرَائِهِم بِالسُّوقِ - وَأَسْمُهُ عَلِيٌّ - . . إِذْ ظَهَرَ قَرْنُهُ
الَّذِي يَهاجِيهِ - وَهُوَ بِازِيادٍ - فَأَشْلَوْهُ عَلَيْهِ ، فَتَفَطَّنَ لَهَا بِازِيادٍ وَقَالَ :

يَا عَلِيَّ خُذْ لَكَ نَصِيحَةً مِنْ رَفِيقِكَ بِازِيادٍ
الشَّتْمُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ وَالضَّحِكُ لِأَهْلِ الْبِلَادِ

= وبالمئة والخمسين : مجموع حروف كلمة (سمن) ؛ فالسين=٦٠ ، والميم=٤٠ ، والنون=٥٠ .

(١) الإِزْكَانُ : الفِراسةُ والفِطْنةُ .

(٢) التَّخْمِينُ : ظَنُّ الشَّيْءِ بِالْحَدْسِ .

فَارْعَوِي عَلَيَّ ، وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ الصُّلْحِ بَيْنَهُمَا .

ولشِبَامِ ذِكْرٌ عِنْدَ الطَّيِّبِ بِامْخَرَمَةِ وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ ؛ إِذْ لَمْ يَزِدْ عَلَى قَوْلِهِ : (شِبَامُ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ بِحَضْرَمَوْتَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ تَرِيمَ سَبْعَةُ فَرَسَخَ ، إِلَيْهَا يُنْسَبُ جَمْعٌ كَثِيرٌ ، وَخَرَجَ مِنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُضَلَاءِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ ، مِنْهُمْ : الْفُقَهَاءُ بَنُو شَرَاهِيلَ ، وَالْفُقَهَاءُ أَبُو بَكْرٍ بِأَمْهَرَةَ ، وَالْفُقَهَاءُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَبَادَ ، وَالْفُقَهَاءُ الصَّالِحُ بَرَهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ . وَمِنْهُمْ : الْفُقَهَاءُ وَجِيهُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَرْزُوقٍ ^(١) ، وَالْفُقَهَاءُ الصَّالِحُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاصِهِي) اهـ ^(٢)

- (١) هو العلامة الفقيه مفتي حضرموت ، له « فتاوى » جمعها تلميذه السيد القاضي أحمد شريف بن علي خِرْدُ تُوْفِي أوائل القرن العاشر ، ويتقل عنها العلامة طه بن عمر الصافي في « المجموع الفقهي » .
- (٢) نسبة البلدان (خ ١٦٠) ، توفي سنة (٩٠٣ هـ) ، أخذ عن الحافظ السخاوي وطبقته . ذكره في « الضوء اللامع » .

تتمة : مدارس شبام : أقدم مدرسة قامت بشبام هي (مدرسة ومسجد الحارة القبليّة) ، تبرع بأرضها المقامة عليها أحد السلاطين في مطلع القرن الثالث عشر الهجري ، وكانت هذه الحارة مصدر إشعاع علمي وثقافي عمّ حضرموت بأسرها ؛ إذ كان إمام الدعوة الحبيب أحمد بن عمر بن سميّط (١٢٥٧ هـ) متولياً للإشراف عليها ، وأوقفت عليها وعلى طلبتها الأوقاف ، واستمرت هذه المدرسة تقوم بدورها حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري إلى حدود سنة (١٣٦٠ هـ) ، وبعدها أغلقت لاحتياجها للترميم .

المدرسة الشرقية : تقع في الجهة الشرقية من شبام ، أسسها وبنّاها المشايخ آل التوي ، وكان كبيرهم المتولي لذلك العمل هو الشيخ أبو بكر بن محمد التوي ، وتاريخ وقفيتها يعود إلى سنة (١٣٣٥ هـ) ، وقام بالتدريس بها محمد وعمر ابنا أبي بكر التوي ، وتولى إدارتها أولاً الشيخ القاضي محفوظ المصلي ، ثم تعاقب على الإدارة شخصيات أخرى ؛ كالسيدين علي بن محمد بن سميّط وعبد الله بن مصطفى بن سميّط . ومَرّت على المدرسة مدة توقفت خلالها ، لاسيما بعد وفاة الشيخ أبي بكر التوي وانقطاع الموارد المالية ، فقام الشيخ أحمد جُبران بن عوض جبران بترميمها ، وجلب بعض مدرسين من تريم ؛ منهم الشيخ : عبد القوي الدويلة بأفضل . ثم توقفت بعد مجيء الحزب الشيوعي ، وأخذت أرضها ظلماً وبني عليها منزل لأحد الأهالي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم في سنة (١٣٧٢ هـ) فتحت المدرسة الحكومية في عهد السلطان صالح القعيطي ، وكان مديرها السيد عبد الله بن مصطفى بن سميّط ، ثم ضُمَّت بعد الثورة إلى مدارس الحكومة ، وسميت بعد ذلك بمدرسة الشهيد غسان ، وحالياً تسمى : مدرسة الرشيد .

أَمَّا أَحْوَالُ شِبَامِ السِّيَاسِيَّةُ : فقد تَقَلَّبَتْ كَسَائِرِ بِلَادِ حَضْرَمَوْتِ ؛ إِذْ كَانَتْ أَوَّلًا لِحِمَيْرٍ ، ثُمَّ تَجَادَبَتْ فِيهَا الْحِبَالُ قَبِيلَتَا كِنْدَةَ وَحَضْرَمَوْتِ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ مُلُوكِهِمْ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ الْعِلْمُ فِي « الْأَصْلِ » ، عَلَى مَا فِي تِلْكَ الْأَخْبَارِ مِنَ الْأَضْطِرَابِ وَالتَّنَاقُضِ .

ونزیدُ هنا ما جاءَ في « النِّفْحَةِ الْمُلُوكِيَّةِ » (ص ٨٤)^(١) : (أَنَّ مَدَّةَ مُلُوكِ كِنْدَةَ بِالْحِجَازِ كَانَتْ مِنْ سَنَةِ (٤٥٠) إِلَى سَنَةِ (٥٣٠) مِيلَادِيَّةٍ ، وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ : حُجْرُ بْنُ عَمْرِو أَكْلُ الْمَرَارِ .

وكانت كندة - قَبْلَ أَنْ يُمْلِكَ عَلَيْهِمْ - فَوْضَى ، يَأْكُلُ قُوَّيَهُمْ ضَعِيفَهُمْ ، فَلَمَّا تَمَلَّكَ حُجْرٌ عَلَيْهِمْ . . سَدَّدَ أُمُورَهُمْ ، وَانْتَرَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِي اللَّخْمِيِّينَ مِنْ أَرْضِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ .
وكانَ أَبْتَدَاءُ مُلْكِهِ - حَسَبَما مرَّ - مِنْ سَنَةِ (٤٥٠) مِيلَادِيَّةٍ ، وَلَمَّا مَاتَ . . تَمَلَّكَ بَعْدَهُ ابْنُهُ عَمْرُو بْنُ حَجَرٍ ، الْمَلَقَّبُ بِالْمَقْصُورِ ؛ لِأَنَّهُ اقْتَصَرَ عَلَى مُلْكِ أَبِيهِ فَلَمْ يَتَجَاوِزْهُ .

وَأَقَامَ مَا شَاءَ اللَّهُ فِي الْمُلْكِ ، إِلَى أَنْ قُتِلَ ، ثُمَّ خَلَفَهُ ابْنُهُ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو ، وَكَانَ شَدِيدَ الْبَاسِ ، كَثِيرَ الْمَغَازِي وَالْغَارَاتِ ، فَمَلَّكَ ابْنَهُ حُجْرًا عَلَى بَنِي أَسَدٍ وَغُطْفَانَ ، وَابْنَهُ شَرْحِبِيلَ عَلَى بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وَابْنَهُ مَعْدِيكَرِبَ عَلَى بَنِي تَغْلِبَ ، وَالنَّمِرَ بْنِ قَاسِطٍ ، وَسَعْدَ بْنَ زَيْدٍ مَنَاةَ^(٢) ، وَطَوَائِفَ أُخْرَى مِنْ بَنِي دَارِمَ وَالصَّنَائِعِ . وَابْنُهُ سَلْمَةُ عَلَى بَنِي قَيْسٍ .

ثُمَّ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَمْرِو كَانَ قَدْ سَارَ إِلَى وَادِي سَحْلَانَ فَقَتَلَهُ بَنُو كَلْبٍ ، وَكَانَ حُجْرُ بْنُ الْحَارِثِ أَسَاءَ مَعَامَلَةٍ بِبَنِي أَسَدٍ ، وَأَهَانَ سِرَاتَهُمْ وَقَهَرَهُمْ ، فَهَجَمُوا عَلَيْهِ بَغْتَةً وَأَغْتَالُوهُ) اهـ

(١) اسمه بالكامل : « النِّفْحَةُ الْمُلُوكِيَّةُ فِي أَحْوَالِ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ » لمؤلفه الشيخ عمر نور الدين القاضي الأزهرى الحنفى ، انظر : « معجم المطبوعات » لسركيس ص (١٥٢٤) .

(٢) في « الكامل » لابن الأثير (١ / ٤٠٠) : أَنَّ مَعْدِيكَرِبَ مَلَّكَ : قَيْسَ عِيلَانَ وَطَوَائِفَ غَيْرِهِمْ .
وسلمة ملك : تغلب ، والنمر بن قاسط ، وبني سعد بن زيد مناة من تميم . والله أعلم .

وزعمَ العينيُّ في « شرحه لشواهد الألفيّة » : أَنَّ حُجْرَ بْنَ الْحَارِثِ هَذَا هُوَ وَالِدُ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ أَوَّلِ مَلُوكِ كِنْدَةَ ، وَأَخْطَأَ فِي ذَلِكَ أَوْ أُنْتَقَلَ عَنْهُ الْفَكْرُ مِنْ حُجْرِ بْنِ عَمْرِو
إِلَى هَذَا .

على أَنَّ مَا سَبَقَ مِنْ بَدْءِ مُلْكِ حُجْرِ بْنِ عَمْرِو إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْحِجَازِ ، أَمَّا فِي
حَضْرَمَوْتَ . . فَقَدْ كَانَ لَهُمْ مُلْكٌ قَدِيمٌ قَامَ عَلَى أَنْقَاضِ مُلْكِ حِمْيَرَ حَسَبًا أَسْلَفْنَا .

وسببُ تَمْلِيكِ الْحَارِثِ أَوْلَادَهُ عَلَى الْعَرَبِ أَنَّهُ - كَمَا فِي « الْكَامِلِ » [٤٠٠/١] - :
(لَمَّا كَانَ الْحَارِثُ بِالْحِجْرَةِ . . أَتَاهُ رُؤُوسَاءُ الْقَبَائِلِ مِنْ نِزَارٍ ، وَقَالُوا لَهُ : قَدْ وَقَعَ بَيْنَنَا مِنْ
الْشَّرِّ مَا تَعْلَمُ ، فَنَحْنُ فِي طَاعَتِكَ ، فَوَجَّهَ مَعَنَا بَنِيكَ يَنْزِلُونَ فِينَا . فَفَرَّقَ أَوْلَادَهُ فِي قَبَائِلِ
الْعَرَبِ مَلُوكًا عَلَيْهِمْ) .

وهذا ، وَإِنْ ذُكِرَ أَكْثَرُهُ بِـ « الْأَصْلِ » ، وَكَانَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِالْحِجَازِ لَا بِحَضْرَمَوْتَ . .
فَإِنَّ فِيهِ زِيَادَةً ؛ وَلَكِنْ كِنْدَةَ كَانَتْ تَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ ، ثُمَّ أُنْتَقَلَتْ إِلَى حَضْرَمَوْتَ وَزَهَتْ
بِهَا دَوْلَتُهَا ، وَإِنَّمَا نَجَعَتْ إِلَى أَرْضٍ مَعَدَّةٍ حِينَ كَرِهَتْ مُحَارَبَةَ حَضْرَمَوْتَ ، وَلَئِنْ لَهَا
بِسَبَبِ اخْتِلَافِهَا عَلَى الرِّيَاسَةِ بَعْضُ اللَّيْنِ ، حَسَبًا يَبْنَاهُ فِي « الْأَصْلِ » .

وقد أَقْنَعَتْ الْحِجَّةَ فِيهِ عَلَى مَنْ يَرِيدُ أَنْ يُبَاعَدَ مَا بَيْنَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ وَالْأَشْعَثِ بْنِ
قَيْسٍ فِي الْمُنَاسَبِ بِمَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِعَادَةِ .

وفي « سِبَائِكِ الذَّهَبِ » : أَنَّ مَعْدِيكَرَبَ جَدَّ الْأَشْعَثِ مِنْ وَلَدِ حُجْرِ الْقِرْدِ ابْنِ
الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ مَرْزُعٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ
عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ هُوَ أَجَدُّ الثَّالِثُ فِيهَا لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ .

وَالْمُلْكُ فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ لآلِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو ، إِلَّا أَنَّ الثُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ - نَائِبَ
أَنْوَشُرَوَانَ - كَانَ يُبْغِضُ الْحَارِثَ بْنَ عَمْرِو ، فَلَهُ يَدٌ فِي قَتْلِهِ ثُمَّ فِي قَتْلِ ثَلَاثَةٍ مِنْ أَوْلَادِهِ ،
وإِضْعَافِ مُلْكِهِمْ حَتَّى لَمْ تَبْقَ لَهُمْ إِلَّا مَنَاطِقُ مَحْدُودَةٌ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْبَحْرَيْنِ
وَنَجْرَانَ الْيَمَنِ وَعَمْرِ ذِي كِنْدَةَ . وَأَمَّا مُلْكُ كِنْدَةَ بِحَضْرَمَوْتَ . . فَلِلْمُتَوَجِّينَ مِنْ بَنِي
مَعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ ، وَآخَرُهُمُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ .

وجاء الإسلام وكنده على ملكها في بلاد حضرموت ، وكان ما كان من أخبار الردة .

وفي سنة (١١٩ هـ) نجمت الخوارج ، وتفرعت عنها الإباضية التي بقيت منها - كما سبق في الرشيد - بقية مذكورة في حضرموت حتى أواخر القرن الثامن ، كما ذكره ابن خلدون في (ص ١٧٠ ج ٣) من « تاريخه » : (وأما مسجدهم الذي ببخبة شبام فقد بقي بأيديهم إلى ما بعد ذلك بزمان طويل ، وما زالت نقاط محدودة من حضرموت - مع الاضطراب الهائل بالخوارج والإباضية - وكانت تلك النقاط التي بأيدي الخلفاء - مع هذا الزحام - تنبسط تارة ، وتنقبض أخرى ، حتى كانت أيام المأمون فخرجت عنه تماماً ، فاستعان ببني يزيد الأمويين ، فأخضعوها سنة « ٢٠٦ هـ » ، واستمرت بها دولتهم إلى سنة « ٤١٢ هـ » .

إلا أنه جاء في « التاريخ » : أن المعتمد ابن المتوكل أسند ولاية اليمن لمحمد بن يعفر^(١) ، ففتح حضرموت في حدود سنة « ٢٧٠ هـ » ، وولى الهذلي شباماً .

فأشكل ذلك علي بما اتفقوا عليه من دوام ملك اليزيديين الأمويين إلى سنة « ٤١٢ هـ » بالنيابة عن بني العباس ، حتى رأيت في بعض تواريخ اليمن للكسبي : أن محمد بن يعفر كان لا يرى مقاومة ابن زياد ، بل يهدي له ، ويوهمه الاعتراف له ، وربما ذكره في الخطبة ، وكان مستقلاً بأمر التهائم (اهـ)

وكان محمد بن يعفر بن عبد الرحيم أخذ البيعة في حياة أبيه من أهل اليمن للمعتمد بالله فولاه ، فغلب على مخاليف اليمن ، إلا التهائم ، فبقيت تحت آل زياد كما تقدم .

وفي سنة (٢٦٧ هـ) حج محمد بن يعفر ثم عاد وبني جامع صنعاء . وفي سنة

(١) آل يعفر من ولد يعفر بن عبد الرحمن بن كريب الحوالي ، ومؤسس دولة آل يعفر هو يعفر بن عبد الرحيم الحوالي ، استمرت دولتهم من عام (٢٢٥ هـ) إلى عام (٣٩٧ هـ) . كانوا أمراء على بلاد شبام كوكبان ، وامتد نفوذهم إلى صنعاء والجند وحضرموت . وهم غير آل يعفر الكهلانيين ، بنو يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد الكهلاني . قتل محمد بن يعفر سنة (٢٦٩ هـ) على يد ابنه إبراهيم ، بإيعاز من أبيه يعفر بن عبد الرحيم . « بلوغ المرام » (١٨) .

(٢٦٩هـ) أمرَ يعفرُ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ حفيدهُ إبراهيمَ بنَ مُحَمَّدٍ بنِ يعفرَ بقتلِ أبيه مُحَمَّدٍ بنِ يعفرَ ، فقتلهُ فَأَنْتَقَضَتْ عَلَيْهِ وَعَلَى جَدِّهِ الْأُمُورُ ، ثُمَّ وَصَلَ الْعَهْدُ مِنَ الْمُعْتَمِدِ ليعفرَ بنِ إبراهيمَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ يعفرَ ، فقتلَ بِشَبَامَ سَنَةَ (٢٧٩هـ) وَقَامَ بَعْدَهُ يَعْفَرُ^(١) بنُ عبدِ الْقَاهِرِ بنِ أَحْمَدَ يَعْفَرُ ، ثُمَّ عَادَ الْمُلْكُ لِإِبْرَاهِيمَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ يعفرَ فِي سَنَةِ (٢٩٠هـ) ، وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ أَسْعَدُ بنُ إِبْرَاهِيمَ ، وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَ عَلِيُّ بنُ الْفَضْلِ الْقُرْمَطِيُّ ، فَاسْتَعْمَلَ أَسْعَدَ هَذَا عَلَى صَنْعَاءَ ، وَلَمَّا قُتِلَ الْقُرْمَطِيُّ . . اسْتَوْلَى أَسْعَدُ عَلَى مُلْكِهِ وَعَلَى بَنَاتِهِ ، وَقَتَلَ وَلَدَهُ ، ثُمَّ تَوَفَّى أَسْعَدُ سَنَةَ (٣٣٢هـ) ، وَقَامَ بَعْدَهُ ابْنُهُ يَعْفَرُ ، غَيْرَ أَنَّهُ مَاتَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ .

وَأَمَّا الْهَزِيلِيُّ الَّذِي أُسْنِدَتْ إِلَيْهِ وَلَايَةُ شَبَامَ . . فَمِنْ بَنِي فَهْدٍ ، فَالْكَلَامُ مُتَّفِقٌ مَعَ مَا مَرَّ عَنْ أَبِي الْحَاثِكِ الْهَمْدَانِيِّ .

قَالَ نَشَوَانُ بنُ سَعِيدٍ الْحَمِيرِيُّ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَبَنُو الْهَزِيلِ وَالْ فَهْدِ مِنْهُمْ مِنْ كُلِّ هَشٍّ لِلنَّدَى مُزْتَاكِ^(٢)
وَال يَعْفَرُ بَطْنٌ مِنْ حَمِيرٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : الْأَوَزَاعُ ، وَقَدْ رَفَعَ نَسَبُهُمْ صَاحِبُ
« سَبَائِكِ الذَّهَبِ » إِلَى زَيْدِ الْجُمْهُورِ بنِ عَمْرِو بنِ قَيْسِ بنِ مَعَاوِيَةَ بنِ جِشْمِ بنِ عَبْدِ
شَمْسِ بنِ وَاثِلِ بنِ الْغَوْثِ بنِ قَطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زَهِيرِ بنِ أَبِييرِ بنِ حَمِيرِ بنِ سَبَأٍ^(٣) ،

(١) فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ قَدِمَ إِلَى الْيَمَنِ وَالْ مِنْ قَبْلِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ ، وَهُوَ عَلِيُّ بنِ الْحُسَيْنِ الْمَلَقَبُ (حَفْتَم) ، وَهُوَ آخِرُ وَلَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ بِالْيَمَنِ ، وَدَخَلَ صَنْعَاءَ الْإِمَامُ الْهَمْدَانِيُّ ، ثُمَّ هَرَبَ مِنْهَا وَرَجَعَ الْأَمْرَ لِلْحَوَالِيِّينَ .

(٢) بَنُو الْهَزِيلِ - بِالزَّي - وَلَيْسَ بِالذَّالِ ، وَكَذَا فِي « شَرْحِ قَصِيدَةِ نَشَوَانِ » . قَالَ فِي « شَرْحِهَا » (ص ٢١٦) : مِنْ آلِ الْهَزِيلِ : السُّلْطَانُ رَاشِدُ بنِ أَحْمَدَ بنِ الدِّغَارِ بنِ أَحْمَدَ بنِ أَبِي الْعَلَاءِ بنِ أَبِي الْهَزِيلِ بنِ أَبِي النُّعْمَانِ بنِ هَزِيلِ بنِ فَهْدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ . . إلَخَ النَّسَبِ الْمُتَّصِلُ بِحَضْرَمَوْتِ مِنْ سَبَأِ الْأَصْغَرِ . وَلَهُمْ بَقِيَّةٌ إِلَى الْيَوْمِ ؛ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ فِي قَرْيَةٍ بِأَهْزِيلِ الْوَاقِعَةِ فِي وَادِيِ بنِ عَلِيٍّ .

(٣) مَرَّ أَنَّ آلَ يَعْفَرِ مِنَ الْحَوَالِيِّينَ ، وَالْحَوَالِيُّونَ بَطْنٌ مِنْ حَمِيرٍ ، فِيهِ فَخَائِدٌ عَدَّةٌ ؛ مِنْهَا : ١- بَنُو يَعْفَرِ هُوَلَاءَ . ٢- الْأَوَزَاعُ وَالْأَصَابِيحُ بِالْحَجْرِيَّةِ . ٣- الْعَوَاسِجُ فِي حِيدَانٍ مِنْ خَوْلَانَ صَعْدَةَ . ٤- آلُ الْأَنْوَعِ . ٥- آلُ الزَّوَاخِي ، مُؤَسِّسُ الدَّوْلَةِ الصَّلِيحِيَّةِ .

وكانوا يَسْكُنُونَ بِجَبَلِ شِبَام^(١) ، وَلَهُمْ فِيهِ حَصُونٌ هَائِلَةٌ ، وَهُوَ جَبَلٌ أَشْمٌ ، صَعْبٌ
المرتقى ، لَيْسَ لَهُ طَرِيقٌ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ عَلَى خَمْسٍ وَعَشْرِينَ سَاعَةً مِنْ صَنْعَاءَ .

وَقَالَ فِي « الْأَكْلِيلِ » [٨٥/٨] : (وَشِبَامُ مَمْلَكَةٌ آلٍ يَغْفِرُ الْحَوَالِيْنَ ، وَهِيَ إِحْدَى
جَنَانِ الْيَمَنِ) اهـ

ثُمَّ اسْتَوْلَى مِنْ بَعْدِ آلِ يَزِيدَ أَوْ زِيَادٍ - الْأُمَوِيُّنَ نَسَبًا ، الْعَبَّاسِيُّنَ دَوْلَةً - بَنُو مَعْنٍ^(٢)
عَلَى عَدَنَ وَلَحْجٍ وَأَبِينَ وَحَضْرَمَوْتَ ، ثُمَّ جَاءَتْ دَوْلَةُ الصُّلَيْحِيِّ^(٣) فِي سَنَةِ (٤٥٥ هـ)
وَكَانَتْ شِيعَةً تَدْعُو وَتَخْطُبُ لِلْأَيْمَةِ الْفَاطِمِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ ، إِلَّا أَنَّ إِمَامَ الْإِبَاضِيَّةِ
إِبْرَاهِيمَ بْنَ قَيْسٍ كَانَ يَرَاوُغُ أَيْمَةَ عُمَانَ ، وَيَسْتَدِرُّ مِنْهُمْ الْمَعُونَةَ وَالْمُؤُونَةَ بِزَعْمٍ أَنَّهُ
يَزَاحِفُ الصُّلَيْحِيَّ ، وَهُوَ غَيْرُ بَارٍّ فِي قَوْلِهِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَأَمَّا نَوَاحِي حَضْرَمَوْتَ فَإِنَّهَا بِحَوْلِ إِلَهِي طَوْعُ أَمْرِي وَخَاتَمِي
وَلَمْ يَنْقُ لِي إِلَّا الصُّلَيْحِيُّ قَائِمًا وَهَذَا هُوَ أَيْضًا سَعْدُهُ غَيْرُ قَائِمٍ
وَقَدْ نَزَعَتْ عَنْهُ الْقَبَائِلُ نَحْوَنَا لِمَا نَظَرْتُ مِنْ رَغْمِهَا فِي أَلْمَاتِمِ
وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ ، وَمَا نَجَّاهُ مِنْ بَرَائِنِ الصُّلَيْحِيِّ إِلَّا هَرَبُهُ وَلِيَاذُهُ بَتُّجِبِ ،
وَخُضُوعُهُ لَهُمْ ، وَتَمَلُّقُهُ إِلَيْهِمْ ، بِشَهَادَةِ مَا سَبَقَ فِي هَيْئَتِهِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَشْعَارِهِ الْمَذْكُورَةِ
فِي « الْأَصْلِ » ؛ فَلَقَدْ جَاءَهُمْ بِجُرِيْعَةِ الذَّقَنِ فَأَجَارَوْهُ ، وَأَجَازَ الصُّلَيْحِيُّ جَوَارَهُمْ إِيَّاهُ .
وَبِإِثْرِ مَقْتَلِ الصُّلَيْحِيِّ . . . تَقَوَّضَتْ دَعَائِمُ مُلْكِهِ وَشَيْكَأَ عَنْ حَضْرَمَوْتَ ، وَبَقِيَتْ
الدَّوْلَةُ بِهَا لَالٍ قَخْطَانُ الْحَمِيرِيِّينَ بِنَفْوَذٍ مَحْدُودٍ فِي نَقَاطٍ لَا تَتَجَاوَزُهَا ؛ لِانْطِبَاعِ
حَضْرَمَوْتَ عَلَى الْفَوْضُوِيَّةِ ، وَلَهُمْ مَشَاغِبَاتٌ كَثِيرَةٌ مَعَ بَعْضِهِمْ وَمَعَ الْإِبَاضِيَّةِ وَقَبَائِلِ

(١) المراد شبام كوكبان ، وكان يسمى شبام اقيان .

(٢) كان ابتداء ملكهم سنة (٤١٢ هـ) ، ينظر ما كتبه عن بني معن السيد أبو بكر المشهور في « تاريخ
أحور » .

(٣) وهم الباطنية ، أو الإسماعيلية ، ومنهم فرقة تسمى : (البهرة) بعدين ، وسلطانهم بالهند ، إلى
اليوم ، وفرقهم وجماعاتهم كثيرة .

البلاد ، حتَّى جاءَ الأثيوبيُّونَ ومواليهم الغز^(١) في سنة (٥٧٥هـ) فعاثوا في البلادِ ، وفعلوا الأفاعيلَ ، وماجَتْ حَضْرَمَوْتُ بالقِبَائِلِ النَّاقِلَةِ إليها كما يَمُوجُ البحرُ .
وسبقَ في آخرِ مادَّةٍ قعوضه أنَّ نَهْدًا لم تجيءَ مِنَ اليَمَنِ إِلَّا لِأَنَّ حَضْرَمَوْتَ
أستنجدت بها . واللهُ أعلمُ .

وفي سنة (٥٩٠هـ) وردَ طغتكين بنُ أيوبَ إلى تريمَ وأخذَ شباماً^(٢) ، وعادَ إلى
اليَمَنِ وماتَ به ، وطالت مدَّةُ الغزِّ بحَضْرَمَوْتَ ، والدَّوْلَةُ الأسميَّةُ في خلالِ ذلكَ لبني
قحطانَ ، تُنازعهمُ شقُّ الأبلِمةِ^(٣) فيها أمراءُ الطَّوائِفِ ورؤساءُ القِبَائِلِ ، مِنْ بني حارثةَ
الكنديِّينَ ، وبني سعدٍ ، وبني حرامٍ ، وبني ظنَّةَ ، وغيرهم .

وسياسَةُ الغزِّ تتقلَّبُ ، تارةً معَ هذُلاءِ ، وتارةً معَ هذُلاءِ ، حَسَبَما فَصَّلَ
بـ «الأصلِ» . وجرتَ بينَهُم حروبٌ وخطوبٌ .

وآلُ يمانِي بنِ الأَعْلَمِ وآلُ سَعْدٍ يتناوبونَ على شِبابٍ وعلى غيرها مِنْ بلادِ
حَضْرَمَوْتَ ؛ لِأَنَّ الحَرْبَ سِجالٌ بينَهُم ، وجرتَ معَ الحَبُوطِ في تلكَ الأثناءِ أحوالٌ
مفصَّلةٌ بـ «الأصلِ» .

وفي سنة (٦٧٨هـ) تمَّ استيلاءُ المَلِكِ المَظْفَرِ الرَّسُولِيِّ على حَضْرَمَوْتَ^(٤) .

وفي سنة (٦٨٧هـ) توفِّيَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ ابْنُ السُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ راشِدٍ وكانَ
مشهوراً بالفقه^(٥) .

وبعقبِ أنقضاءِ مُلكِ آلِ قحطانَ ، وتلاشيِ أمرِ الرَّسُولِيِّينَ بحَضْرَمَوْتَ . . آلَ مُلكِها
إلى آلِ أحمدَ بنِ يمانِي والصَّبرَاتِ .

(١) الغزُّ : قبائلُ بدائيَّة ، أصلها من الأتراك غير المسلمين ، اكتسحت إيران قبل انسياح التَّار بمناطق الشَّرق الإسلامي .

(٢) تقدِّم سابقاً ذكر بعض الغز في الشجر ، وكانت بداية دخولهم اليمن سنة (٥٦٩هـ) بقيادة توران شاه .

(٣) الأبلِمة : بقلة لها قرون كالباقلَاء ، إذا شققها طولاً . . انشَقَّتْ نصفين سواءَ من أولها إلى آخرها .
وشقُّ الأبلِمة : مَثَلٌ يُضْرَبُ في المساواة والمشاركة في الأمر .

(٤) «شنبِل» (١٠٣) .

(٥) «شنبِل» (١٠٧) ، وفيه سنة (٦٨٩هـ) .

ثُمَّ إِلَى آلِ كَثِيرٍ^(١) .

ثُمَّ إِلَى الْإِمَامِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ ، ثُمَّ لِيَافِعَ ، إِلَّا أَنَّ يَافِعًا لَمْ تَدَّعِ سُلْطَنَةً ، بَلْ مَتَى أَنْتَصَبَ لَهُمْ سُلْطَانٌ . . . بَخَعُوا لَهُ بِالْأَسْمِ مَعَ الْأَسْتَبْدَادِ عَلَيْهِ بِالْعَمَلِ ، وَقَدْ يَسْتَغْنُونَ عَنِ السُّلْطَانِ بِالْكَلِّيَّةِ ، إِمَّا بِرُؤْسَانِهِمْ وَإِمَّا بِمَنْصِبِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ .

وَفِي أَيَّامِ يَافِعٍ كَانَتِ الدَّوْلَةُ الْكَثِيرِيَّةُ لآلِ عَيْسَى بْنِ بَذْرِ بِشِبَامَ ، أَوَّلُهُمْ : عَمْرُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ عَيْسَى بْنِ بَذْرِ .

ثُمَّ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ ، وَهُوَ الَّذِي بَاعَ لِيَافِعٍ نَاصِفَةَ شِبَامَ .

ثُمَّ مَنْصُورُ بْنُ عَمَرَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ عَيْسَى بْنِ بَذْرِ ، وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا حَمِيًّا الْأَنْفِ ، أَبِي الضَّمِيمِ ، وَلَهُ تَعَلَّقَ بِجَبَلِ الْمَجْدِ وَنَجَمِ الشَّرَفِ : السَّيِّدُ عَمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَمِيطٍ ، فَكَانَتْ لَهُ عِبَادَةٌ ؛ مِنْهَا : أَنَّ وَرَدَهُ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِثْلَ رَكْعَةٍ .

وَمِنْ أَخْبَارِهِ : أَنَّ السَّيِّدَ سَالِمَ بْنَ صَالِحِ الْحَبَشِيِّ كَانَ مِنْ أَثَرِيَاءِ شِبَامَ ، فَطَلَبَ مِنْهُ مَنْصُورٌ إِعَانَةً ، فَشَكَا إِلَى الْحَبِيبِ عَمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، فَعَاتَبَهُ ، فَقَالَ : أَنَا لَا أُحِبُّ الظُّلْمَ وَأَكْرَهُ أَنْ أُسَيَّءَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، وَلَكِنَّ السَّيِّدَ سَالِمًا عِنْدَهُ مِنْ جَيْفِ الدُّنْيَا ، لَوْ وُضِعَتْ جَيْفَةٌ عِنْدَ الْمَنْبَرِ فِي الْجَامِعِ . . . لَأَسْرَعَتْ إِلَيْهَا الْكِلَابُ وَالضَّرُورَةُ تُحَوِّجُ ، فَقَالَ الْحَبِيبُ عَمْرٌو لِّلْسَيِّدِ سَالِمٍ : أَعْطِهِ .

وَحَجَّ السُّلْطَانُ مَنْصُورٌ مَعَ الْحَبِيبِ عَمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ وَأَشِيعَ مَوْتُهُمَا كَذِبًا ، ثُمَّ عَادَا بِالسَّلَامَةِ ، أَخْبَرَنِي بِجَمِيعِ هَذَا الْأَخِ الصَّالِحِ الْمَنْصُوبِ عَلَيَّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحَبَشِيِّ .

ثُمَّ إِنْ مَنْصُورًا بَقِيَ كَمَا كَانَ عَمُّهُ مَعَ يَافِعٍ عَلَى الْمَنَاصِفَةِ بِشِبَامَ ، وَجَرَتْ بَيْنَ كُلِّ مِنْهُمَا وَبَيْنَ يَافِعٍ وَبَيْنَ أَصْحَابِهِمْ آلِ كَثِيرٍ مَشَاغِبَاتٌ وَمَحَارِبَاتٌ مِنْ أَشْهَرِهَا : أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ عَمَرَ سَمِعَ حَمُودَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَتَهَدَّدُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ شِبَامَ

(١) لمعرفة أخبار هذه الدويلات ينظر : « أدوار التاريخ الحضرمي » ، و« تاريخ حضرموت » و« تاريخ الدولة الكثيرية » ، و« الصفحات » .

بِالْجَامِع ، فَأَمَرَ عِيْدَهُ أَنْ يَقْتُلُوهُ بَعْدَ أَنْفَصَالِهِ عَنْ حَرِيمِ شَبَام ، ففَعَلُوا ، فَشَقَّ عَلَى آلِ كَثِيرٍ ؛ لِأَنَّ حَمُوداً عَظِيْماً الْمَكَانَةِ بَيْنَهُمْ ، فَحَصَرُوا شَبَاماً وَأَخْرَبُوا مَوْزِعَهَا ، حَتَّى جَمَعَهُمْ سَيِّدُ الْوَادِي الْإِمَامُ حَسَنُ بْنُ صَالِحٍ وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْصُورِ بْنِ عَمَرَ ، إِلَّا أَنَّهُمْ بَقُوا فِي نَفَرَةٍ عَنْهُمْ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْرَأُ عَلَى ظُلْمِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَلَا عَلَى تَعْدِيهِ ، حَتَّى وَقَعَتْ (حَادِثَةُ تَرَيْسَ) فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٢٥١ هـ) .

وَحَاصِلُهَا : أَنَّ آلَ كَثِيرٍ وَحُلَفَاءَهُمْ هَجَمُوا عَلَى تَرَيْسَ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى جَانِبِهَا الشَّرْقِيِّ ، فَاسْتَغَاثَ صَاحِبُهَا أَبْنُ النَّقِيبِ بِيَاغِ ، فَأَسْرَعُوا ، وَكَانُوا : لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ إِلَى الْفِتَالِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانَا فَحَصَرُوا آلَ كَثِيرٍ ، وَلَمَّا خَرَجُوا . . لَاقَتْهُمْ شَرْقِيَّ الْبَلَدِ ، وَأَثْنَتَ فِيهِمْ قِتْلًا ، وَسَلَبَتْ قِتْلَاهُمْ ، فَعَادُوا يَتَوَدَّدُونَ إِلَى مَنْصُورِ بْنِ عَمَرَ ، وَهَيَّجُوهُ عَلَى يَاغِ ، وَكَانَ يَحْرِقُ عَلَيْهِمُ الْأَرْمَ مِنَ الْغَيْظِ ^(١) .

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْفَطْرِ مِنْ سَنَةِ (١٢٦٠ هـ) فَعَلَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَرَ فَعْلَتَهُ الَّتِي فَعَلَ ، وَأَنْتَهَزَ فُرْصَةَ خُرُوجِ أَكْثَرِ مَنْ بِشَبَامٍ مِنْ يَاغِ إِلَى مَنَازِلِهِمْ خَارِجَهَا لِلْعِيْدِ . . فَأَعْلَنَ ثَوْرَتَهُ ، وَقَتَلَ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بِشَبَامٍ وَهُمْ غَارُؤُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَأَسْتَقْلَ بِمَلِكِ شَبَامٍ ^(٢) .

وَقَدْ أَنْكَرَ الْعُلُوْثُونَ صَنِيعَهُ ذَلِكَ ، إِلَّا الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ بْنِ يَحْيَى ؛ فَإِنَّهُ هَتَّاهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ الْمُطْوَلِ الَّذِي سِيرُهُ إِلَيْهِ بِتَارِيخِ عَشْرِ شَوَالٍ مِنْ نَفْسِ السَّنَةِ ، وَقَدْ نَشَرْتُ ذَلِكَ الْكِتَابَ فِي « الْأَصْلِ » مَعَ مَا تَعَاظَمَنِي مِنْ إِشْكَالِ صَنِيعِ الْحَبِيبِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ .

وَفِي آخِرِ الْقَعْدَةِ سَنَةِ (١٢٦٤ هـ) بَاعَ مَنْصُورُ بْنُ عَمَرَ نَاصِفَةً ^(٣) شَبَامَ عَلَى غَالِبِ بْنِ مُحَسِّنِ الْكَثِيرِيِّ صَاحِبِ سَيْثُونَ وَتَرِيمَ بِدَرَاهِمَ مَعِيْنَةٍ ، بِوَسْطَةِ عَبُودِ بْنِ سَالِمٍ ، أَعْطَوهُ قَلِيلاً ، وَلَوُوهُ بِالْبَاقِي ، وَعَقَدُوا بَيْنَهُمْ حُلْفًا ؛ مِنْ شَرْوْطِهِ : أَنْ يَتَوَلَّى الْمَالِيَّةَ ، وَيَنْفَقَ

(١) يَحْرِقُ عَلَيْهِمُ الْأَرْمَ مِنَ الْغَيْظِ : مِثْلُ يَضْرِبُ عِنْدَ شِدَّةِ غَيْظِ الْإِنْسَانِ . وَالْأَرْمَ : الْأَسْنَانُ . وَحَرَقَ :

مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِ الْعَرَبِ : حَرَقَ نَابَ الْبَعِيرِ . . إِذَا صَوَّتَ .

(٢) « الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » (٣٣٤ / ١) ، « تَارِيخُ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ » .

(٣) يَنْظُرُ : « الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » نِهَآيَةُ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَبِدَايَةِ الثَّانِي .

على حربهم مع القعيطي ويافع مناصفة ، وعلى أن يبقى الحكم في شبام لمنصور بن عمر ، وعلى أن يدفع له من جباية ناصفته الباقية كل يوم سبعة ريال ، وبقي الأمر بينهم على وفق ، ولم يسلموا له ما بقي من ثمن الناصفة حتى سافر بينهم الناس ، ففسحوا له الصفقة ، وردوا له خط البيع ، وبقيت المنازعات بينه وبين آل كثير على أشد ما يكون من قيامها على الساق والقدم ، ومثلها كان بينه وبين يافع . . فهو كما قال حبيب [في ديوانه ٢/ ٣٤٦-٣٤٧ من الكامل] :

مَا كَفَّ عَنْ حَرْبِ الزَّمَانِ وَرَمِيهِ بِالصَّبْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُنْصَرِ
مَا إِنْ يَزَالَ بِجِدِّ حَزْمٍ مُقْبِلٍ مُتَوَطَّنًا أَغْقَابَ مُلْكٍ مُذْبِرٍ
حتى ضاقت نفسه ، فباع ناصفة شبام الغريبة للسلطان القعيطي بعد أن حذره الحبيب عمر بن محمد وقال له : إن في هذا هلاكك ، قال له : لقد ضاق الناس ، وواحد ولا جماعة .

وبقي هو وعوض القعيطي على المصافاة في العلانية والمكايدة في السر ، ولكن . . ما كل مرة تسلم الجرّة ، وفي الأثر : « بشر القاتلين بالقتل » . فدعوه في (٣) شعبان من سنة (١٢٧٤ هـ) - وهي سنة الشراء بنفسها - للمشاورة في أمر فضحوا به وتغذوه قبل أن يتعشاهم ، وتم ملك شبام للقعيطي من ذلك اليوم إلى الآن ، والله وارث الأرض ومن عليها^(١) .

وأزياء آل شبام شبيهة بأزياء آل صنعاء ، إلا في تطويل أكمام القمصان ، غير أن المتأخرين من آل شبام غيروا تلك الأزياء سيرا مع الظروف .

وبيوت شبام كذلك على شبه بديار صنعاء ؛ فهي متضايقة ، ومنازلها وأزقتها

(١) ولا زال أهل شبام يتناقلون أخبار المناصفة وكيف كانت الأحوال آنذاك في شبام ، من انتشار العساكر والجنود في الأزقة ، مع أن القعيطي بنى لجنوده مراكز عند كل مدخل . ويذكرون أن إحدى نساء شبام رأت جندياً يسير في الشوارع فخافت أن يداهم منزلها ، فلما قارب سدة بيتها . أرسلت عليه حجر الرحي فرضت رأسه فمات لتوه ، فلم يعد الجنود يسرون بين البيوت ، بل اكتفوا بأماكنهم في الأطراف والأركان .

ضَيْقَةٌ ، وجوُّها ليسَ بِالنَّقِيِّ ؛ لِكثَرَةِ مِيَاهِ الْمَرَاخِضِ ^(١) ، مَعَ أَنَّ الشَّمْسَ لَا تَتَخَلَّلُهَا
لَطُولُ دِيَارِهَا ، فَلَا تَقْصُرُ مَا بَهَا مِنَ الْجَرَائِمِ .

وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْمَتَوَفَاةَ بِالسَّلِّ مِنْ نَسَائِهَا كَثِيرٌ ، وَمِنْ كَلَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ
سَمِيطٍ عَنِ الْحَبِيبِ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَبَشِيِّ : أَنَّ جَوْ شَبَامَ كَانَ طَيِّبًا يُشَبُّهُ جَوْ قَارَةَ
الصَّنَاهِجَةِ ، وَإِنَّمَا عَرَضَ لَهَا الْوَحْمُ مِنَ الْبَوَالِغِ وَمَجَارِي الْقَاذوراتِ .

وَكَانَ لَهُمْ تَشَدُّدٌ بَلِغٌ فِي الْحِجَابِ ، حَتَّى إِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا تَخْرُجُ إِلَّا جَنَازَتُهَا مِنْ سَدَةِ
الْبِلَادِ .

وَقَدْ اتَّفَقَ أَنَّ دَخَلْتُ سَاعَةً مِنْ نَهَارِ دَارِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ كُوَيْرَانَ ، فَحَدَّثَ لِي أُنْعَاظٌ
عَظِيمٌ ، وَأَقْشَعَرٌّ جَلْدِي ، وَتَرَطَّبَ خَدْيِي ، وَذَكَرْتُ ضَيْقَ الْقُبُورِ ، نَسَأْتُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ
وَالسَّلَامَةَ .

وَكَانَتْ بِنْتُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ كُوَيْرَانَ هَذَا تَحْتَ الشَّيْخِ جُمُعَانَ بَشِيرٍ ، وَقَدْ أَبْتَنَى لَهُ
وَلَعْمُهُ دَارًا فِي جَنُوبِنَا ، حَيْثُ الْفَضَاءُ الرَّحْبُ وَالْهَوَاءُ الْطَلْقُ ، وَالنَّسِيمُ النَّقِيُّ ، وَمَعَ
ذَلِكَ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَحْنُ إِلَى دَارِ أَبِيهَا ، وَمَسْقَطِ رَأْسِهَا ؛ فَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ [مِنْ الطُّوِيلِ] :

وَقَدْ تُعَشِّقُ الْأَرْضُ الَّتِي لَا هَوَىٰ بِهَا وَلَا مَأْوَها عَذْبٌ وَلَكِنَّهَا الْوَطَنُ
وَكَنتُ حَرِيصًا عَلَى سَوَالِ الشَّيْخِ جُمُعَانَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ كَلَّمَا جَاءَنِي فِي
الْأَعْيَادِ . . . نَسِيتُ .

أَمَّا دِيَارُ شَبَامِ الَّتِي تُشْرِفُ عَلَى الْفَضَاءِ مِنْ أَطْرَافِهَا . . . فَمِنْ أَجْمَلِ مَا يَكُونُ ؛ لِأَنَّ
الْمَنَاظَرَ الَّتِي حَوَالِيهَا جَمِيلَةٌ ، وَالْفَضَاءُ وَاسِعٌ ، وَلَا سَيِّمَا فِي أَيَّامِ الْخَصْبِ ، وَأَثَاثِ
الزُّرُوعِ ، وَأَنْتَعَاشِ النَّخِيلِ ، إِلَّا أَنَّ الْفَضَاءَ يَقِلُّ فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ ^(٢) لِقَرَبِ الْجَبَلِ ،
وَأَمَّا فِي الثَّلَاثِ . . . فإِلَى أَعْدَ مِنْ مَدِّ النَّظَرِ .

(١) كَانَ ذَلِكَ فِي السَّابِقِ ، أَمَّا بَعْدَ زَمَنِ الْمُؤَلِّفِ . . . فَقَدْ أَدَخَلْتَ الْمَوَاسِيرَ وَالْأَنْبِيَابَ وَلَمْ تَعُدِ الْمَجَارِيَ
مَكْشُوفَةً .

(٢) وَهِيَ الْمَشْرِقَةُ عَلَى جَبَلِ الْخَبَةِ وَالسَّحِيلِ وَالْبَطْحَاءِ .

وقد رأيتُ في صحيفة تُسمى « المستمع » - تصدرُ من عاصمةِ الجزائرِ البريطانيّةِ - رسماً شائقاً لـ (شبام) ، كُتِبَ تحتهُ : ناطحاتِ السّحابِ بحضرموت !

ولا بدّ ؛ فقد عرّف ملوك حضرموت من الأمم العارية كيف ينون نواطح السّحاب قبل أن يسمع النّاس بأسم أميركا بألوف السّنين ، وإنّما سُمع اسمها في الأخير ، وأوّل من ذكرها الصّوفي الكبيرُ ابنُ عربيّ ، كما ذكرها بيرم في « تاريخه » ، ولكنّ الإفرنج يريدون أن يستأثروا باكتشافها دونهُ ؛ غمطاً للحقّ ومعاذ الله ، أن يتلثم .

نعام

هو وادٍ في شمالِ شبام ، يفصلُ بينهما جبلٌ ، تكونُ قارّةُ آلِ عبدِ العزيزِ في سفحه الشّرقِيّ الجنوبيّ يذهبُ ذلكَ الوادي طويلاً من الشّرقِ إلى الغربِ ، والجبالُ الّتي تنهَرُ إليه متّصلةٌ بالجبالِ الّتي تدفعُ إلى وادي سَزَ ويهوض ، بينهُ وبين جعيمة جُبيلٍ يسايرُها غرباً إلى مفتك الدّائرة ، وفي نعام قرى صغيرة ، وهو ممتدٌّ من الشّرقِ إلى الغربِ ، وأوّل تلكَ القرى من الشّرقِ : بامشجع ، لآلِ ابنِ سبعين .

ثمّ : المخبجر ، وهو الآن لآلِ مزعيّ ، طائفةٌ من السّاكنين في بليل . وفيهِ أطلالٌ قديمةٌ ، ترجّحُ أنّه مخبجرُ الزُّرقانِ الّذي فتك فيه المهاجرُ بنُ أبي أميّة المخزوميّ وزيادُ بنُ ليبيد بكندة .

وقد اقتصر « التّاج » و « أصلهُ » على قولهما : (ومخبجرُ الزُّرقانِ موضعٌ بحضرموت ، أوقع فيه المهاجرُ بنُ أبي أميّة بنِ المغيرة بأهلِ الرّدة) .

وزاد ياقوتُ [١٣٧/٣] على هذا قولَ المهاجرِ [من المنسرح] :

كُنّا بِزُرْقَانِ إِذْ يُشَرِّدُكُمْ بَخْرٌ يُزْجِي مَوْجُهُ الْخَطْبَا
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِمَخْجَرِكُمْ حَتَّى رَكِبْتُمْ مِنْ خَوْفِنَا السَّيْبَا
إِلَى حِصَارٍ يَكُونُ أَهْوَنُهُ سَبِي الذَّرَارِي وَسَوْفَهَا جَنبَا

وفي «الأصل» : أَنَّ كِنْدَةَ أَنَهَزَتْ مِنْ وَاقِعَةِ مَخَجَرِ الزُّرْقَانِ ، ثُمَّ أَنَحَاذَتْ إِلَى النُّجَيْرِ ؛ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ حَصْنٌ يُقَالُ لَهُ : النُّجَيْرُ .
وَأَمَّا أَنْ تَكُونَ كِنْدَةُ ذَهَبَتْ بِالْهَزِيمَةِ عَرِيضَةً ، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ . أَمَّا مَخَجَرُ الزُّرْقَانِ . . فَمَا إِخَالُهُ إِلَّا هَذَا . ثُمَّ : صِهْبِيَّةُ ، لِلصَّقْعَانِ مِنْ آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ . ثُمَّ : مَرِيخُ ، لِآلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَيْضاً . ثُمَّ : الْحَزْيَةُ ، لَهُمْ وَلِلْمَسَامِيرِ . ثُمَّ : شَرْجُ نَعَامِ .

جَعِيمَةُ

هي واديان ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الْخَطُّ ، وَلِلثَّانِي : الدَّائِرَةُ .
فوادي الدَّائِرَةِ يَذْهَبُ إِلَى الْغَرْبِ طَوْلًا إِلَى جِبَالِ وادي سر ، وَشِمَالًا إِلَى نَجْدِ آلِ كَثِيرِ .

وَالْخَطُّ يَذْهَبُ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْجِبَالِ الَّتِي تَنْهَرُ إِلَى وادي الذَّهَبِ .
وفي جَعِيمَةِ قُرَى كَثِيرَةٌ ، غَيْرَ أَنَّهَا صَغِيرَةٌ جَدًّا ، أَوَّلُهَا مِنَ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ :

الشَّاعِي ، لِآلِ بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَآلِ الشَّرْعِيِّ مِنْ آلِ سَعِيدِ . ثُمَّ : الْعَقِيقَةُ ، لِآلِ عَوْضِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْ آلِ عُبُودِ بْنِ عَمْرِو آلِ عَبْدِاتِ . ثُمَّ : هَشِيمَةُ ، لِآلِ سَعِيدِ ، وَيُقَالُ :
إِنَّ مَرْجَعَ آلِ سَعِيدِ فِي الْكُنُسِ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِو ، وَأَسْمُ جَدِّهِمْ : بَدْرُ بْنُ سَعِيدِ ، وَلَهُ أَخَوَانِ ، وَهُمَا : مَرْعِيُّ جَدُّ آلِ بَلِيلِ ، وَجَعْفَرُ جَدُّ الدَّحَادِحَةِ . وَلِسَعِيدِ بْنِ عَلِيٍّ أَخَوَانِ ، وَهُمَا : يَمَانِيُّ جَدُّ آلِ يَمَانِيٍّ ، وَفَلْهُومُ جَدُّ آلِ فَلْهُومِ ، هَكَذَا يُقَالُ .

وَلِآلِ سَعِيدِ شَهْرَةٌ بِالْفُطْنَةِ ، وَمِنْ حُكَّامِهِمْ عُبُودُ بْنُ بَدْرِ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ سَعِيدِ ، بَلَغَ مِنْ ذِكَاثِهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ آلِ شِبَامٍ أَكَلَ تَمْرًا هُوَ وَأَمْرَأَتُهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : إِنْ لَمْ تُمَيِّرِي نَوَائِي مِنْ نَوَائِكَ . . فَأَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا ، فَأَعَيْتِ عَلَيَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، فَسُئِلَ عَنْهَا ، فَقَالَ :
تُجْعَلُ كُلُّ نَوَاقِدِ وَحْدَهَا ، وَتَنْحَلُّ الْيَمِينُ .

وهذه الْفُتُوَى هي عَيْنُ مَا يَقُولُهُ الْفُقَهَاءُ فِي الْمَسْأَلَةِ ، قَالَ فِي «الْمَنْهَاجِ»
[٥٦٣-٥٦٢/٢] : (وَلَوْ أَكَلَا تَمْرًا وَخَلَطَا نَوَاهُمَا ، فَقَالَ : إِنْ لَمْ تُمَيِّرِي نَوَائِكَ . . فَأَنْتِ

طالِقٌ ، فَجَعَلْتُ كُلَّ نَوَاةٍ وَحَدَا . . لَمْ يَقَعْ) اهـ وَذَكَرَ شُرَاحُهُ تَفْصِيلاً لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَيْهِ .

وَمِنْ آلِ سَعِيدٍ : الشَّيْخُ أَمْبَارُكُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَامِرِ بْنِ بَدْرِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمَرَ ، أَبْيَضُ الْقَلْبِ ، مُسْتَوِي السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ .

وَمِنْهُمْ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ بَدْرِ ، رَجُلٌ لَهُ فِكْرٌ ثَابِتٌ ، وَرَأْيٌ صَائِبٌ ، تَوْفِيٌّ بَيْتَاوِي ، وَيَأْتِي فِي حَصَنِ الْحَوَارِثِ ذِكْرُ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبُودٍ ، وَلَا يَزَالُ فِي آلِ سَعِيدٍ بَقِيَّةٌ صَالِحَةٌ .

وَهُنَاكَ هَشِيمَةُ أُخْرَى لِآلِ بَاوَزِيرِ الْمَشَايِخِ ، وَمَنْصِبُهُمْ : الشَّيْخُ كِرَامَةُ بْنُ سَعِيدٍ .
ثُمَّ : الْخَنْدَقُ ، لِآلِ سَعِيدٍ وَالْخَبَارِينَ . ثُمَّ : ثَوَخَرِي ، مَسَاكِنُ لِآلِ زَيْمَةَ . ثُمَّ : لَصَفٍ ، لِآلِ مَنِيَّارِي . ثُمَّ : مَكَانُ آلِ حُضَنٍ .

ثُمَّ : مَطَارِحُ ، لِآلِ جَعْفَرِ بْنِ بَدْرِ الْعَوِينِيِّينَ ، وَمَقَدَّمُهُمْ : بَقِيَّةُ الْعَرَبِ الصَّمِيمِ ، مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِينَ .

ثُمَّ : جَحُورُبُ ، لِآلِ عَامِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ آلِ سَعِيدٍ . ثُمَّ : الْحَوَاطَةُ ، لِآلِ بَاوَزِيرِ ، وَمَنْصِبُهُمْ : الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بَاوَزِيرِ . ثُمَّ : الْجَحْيِي ، لِآلِ جَعْفَرِ بْنِ بَدْرِ وَآلِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْوَزِيرِيِّينَ ، مِنْ أَوَاخِرِهِمْ : الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدِ بَاوَزِيرِ ، أَلْمَتَوْفِيُّ سَنَةِ (١٣٢٤ هـ) ، كَانَ رَجُلًا صَالِحًا ، سَلِيمَ الصَّدْرِ ، مُجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَلَهُ نَوَادِرُ ؛ مِنْهَا : أَنَّهُ كَانَ رَاكِبًا مَرْجِعَهُ مِنْ عِنْدِ الصَّبْعَرِ ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ صَالِحٌ ، وَرَجُلٌ مِنْ آلِ جَوْفَانَ يَشْتَكِي مِنَ أَلَمِ الْعُرُوقِ ، فَقَالَ يَخَاطِبُ صَالِحَ بْنَ عَلِيٍّ :

يَا شَيْخُ صَالِحُ ؛ عَسَى عِنْدَكَ دَوَا لِلْعُرُوقِ ؟ فَأَجَابَهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بِقَوْلِهِ : يَخْرُجَنَّ مِنْكَ وَيَلْحَقَنَّ أَلَوْلِدُ لِي يَسُوقَ - لَوْلِدُ يَسُوقُ مَعَهُمُ الْأَغْنَامَ الَّتِي أُهْدِيَتْ لَهُمْ - فَمَنْ اللَّهُ عَلَى ابْنِ جَوْفَانَ بِالْعَافِيَةِ ، وَأُصِيبَ ذَلِكَ أَلَوْلِدُ بِالْعُرُوقِ فِي الْحَالِ .

وَكَانَ مَرَّةً بَدَارٍ أَحَدِ آلِ فَحَيْثَا ، فَقَالَ : (الْحَمْدُ لِلَّهِ ، يَا سَاتِرُ عَلَى كُلِّ حَالٍ) ، فَصَادَفَ خُرُوجَ السَّيِّدِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ خَارِجًا مِنْ بَيْتِ الْخَلَا ، فَقَالَ :

(لا صِدَتْ نَجْوَةٌ وَلَا حَصَلَتْ مَاءٌ فِي الْجِحَالِ^(١)) . فَقَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ : (اللّوم والله عليهن ما نلوم الرّجال) .

ثمّ : رَضِيْمَةٌ ، لآلِ عَلِيٍّ بْنِ سَعِيدٍ . ثمّ : شَرْجُ مُذْرُوكٍ ، لآلِ جَعْفَرِ بْنِ بَدْرِ الْعَوِيْنِيِّينَ . ثمّ : حَصْنُ الرُّكْبَةِ ، لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمِ بْنِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ . ثمّ : الْقَطَارُ ، لآلِ زَيْمَةٍ . ثمّ : شَرْجُ آلِ الْقُحُومِ .

ثمّ : الْعَرْقُوبُ ، لآلِ عُبُودِ بْنِ عَمْرِ آلِ عِبْدَاتٍ . ثمّ : الْجَدْفَرُ ، فِيهَا الْمَسَامِيرُ وَالْأَشْرَعِيُّ . ثمّ : الْخُثُّ ، مَكَانُ آلِ دَخْدُوحٍ . ثمّ : بِالسَّانِ ، مَكَانُ عَوْضِ بْنِ سَالِمٍ مِنْ آلِ عَلِيٍّ آلِ سَعِيدٍ . ثمّ : رَوْضَةُ آلِ مَهْرِي ، وَرَوْضَةُ آلِ بَاهِدِيلِهِ . ثمّ : صَنْعَنُونَ ، وَبَاخْبَرُهُ ، وَالسَّحِيلُ : مَكَانُ آلِ سَعِيدٍ .

سِحِيلُ آلِ مَهْرِي^(٢)

هُوَ وَاقِعٌ فِي جَنُوبِ شِبَامٍ ، بَسْفَحِ جَبَلِ الْخَبَّةِ .

وَفِي أَوَّلِ سَنَةِ (١٢٨٢ هـ) اتَّفَقَ رَأْيُ السُّلْطَانِ غَالِبِ بْنِ مُحَسِّنٍ وَآلِ كَثِيرٍ عَلَى غَزْوِ شِبَامٍ ، وَجَعَلُوا سِحِيلَ آلِ مَهْرِي مَخْزَنَ التَّمْوِينِ ، وَبَعَقِبَ ذَلِكَ . . أَشْتَعَلَ الْحَرْبُ ، وَبَقِيَتْ سِجَالاً ، إِلَّا أَنَّ جَانِبَ الْقَعِيطِيِّ يَفْوِي ، فَأَنْعَقَدَ الصُّلْحُ فِي الْقَعْدَةِ مِنْ نَفْسِ السَّنَةِ ، وَسَلَّمَتِ الْمَعِيقَابُ^(٣) وَحَصُونُ آلِ مَهْرِي لِلْقَعِيطِيِّ عَلَى عَشْرَةِ آلَافِ رِيَالٍ ،

(١) الجحّال - مفردة جَحَلَة - : زير الماء .

(٢) آل مهري ، أو بن مهري : أسرة تنحدر من سلالة عيسى بن بدر بوطويرق ، من آل كثير . ديارهم بوادي سَرَّ قَرَبِ شِبَامِ إِلَى الْجَنُوبِ . وَإِلَيْهِمْ يَنْسَبُ هَذَا السَّحِيلُ الْوَاقِعُ فِي سَفْحِ جَبَلِ الْخَبَّةِ . « الْمُقْحَفِيُّ » (١٦٧٦/٢) .

(٣) المعيقاب : اسم حصن كان يقع قريباً من الحزم ، وكان يمثل الحدّ بين سلطنتي آل كثير والقعيطي ، وبه جماعة من السادة آل العيدروس من ذرية السيد محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن الشيخ الحسين بن عبد الله العيدروس ، ومن ذرية أخيه حسين بن علي ؛ منهم الحبيب العلامة الفقيه حسن بن عبد الله بن حسين العيدروس ؛ المتوفى بمكة سنة (١٢٩٨ هـ) ، ومنهم حفيده السيد حامد بن محمد بن حسن العيدروس أحد أصدقاء المؤلف ، ذكره في « بضائع الثابت » . وبالمعيقاب أيضاً آل العيدروس ، =

تسلّمها السُلطانُ غالبٌ ، وتكدّرَ لذلك رؤساءُ آلِ كثيرٍ . وكانت هذه العشرةُ أَلآلافِ نفقةَ الجيشِ الَّذي فتحَ الشُّخْرَ في جمادى الأولى مِنْ سَنَةِ (١٢٨٣ هـ) .

وفي (٢٨) القعدةِ مِنَ السَّنَةِ المذكورةِ كانَ أنْهَزامُ السُلطانِ غالبٍ مِنَ الشُّخْرِ ، وأستِلاءُ أَلْقَعيطِيَّ عليها ، حَسَبَما تقدَّمَ في أخبارِها .

الْحَزْمُ

هُوَ قَرْيَةٌ بِسَفْحِ جَبَلِ الْخَبَّةِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ ، وَأَصْلُهَا : أَنَّ الشَّيْخَ عَوْنَ بْنَ سَعِيدٍ مِنْ آلِ رَوَاسٍ بَنَى مَسْجِدًا فِي جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ الْجَنُوبِيِّ ، وَبَنَى عِنْدَهُ سَقَايَةً وَسَقِيفَةً إِلَى جَانِبِهِ ؛ لِيَقِيلَ فِيهَا مَنْ يَنْحَدِرُ مِنْ شَبَامَ بَعْدَ قِضَاءِ حَاجَتِهِ ؛ لِأَنَّ أَهْلَ تِلْكَ الْأَطْرَافِ يَمْتَارُونَ مِنْ شَبَامَ ، وَأَهْلُهَا لَا يَعْرِفُونَ قِرَاءَ الضَّيْفِ ، فَلَا يَجِدُ هُؤُلَاءِ مَنْ يَفْتَحُ لَهُمْ بِهَا دَارَهُ .

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَكَنَ الْحَزْمَ وَبَنَى بِهِ دَارًا هُوَ : الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدْرُوسِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١١٢٧ هـ) وَبَقِيَ - مَعَ إِيثارِهِ الْأَخْمُولَ - يَدْعُو إِلَى اللَّهِ ، وَيُرْشِدُ الْحَايِرَ ، وَيُعَلِّمُ الْجَاهِلَ ، ثُمَّ ظَهَرَ وَلَدُهُ عَمْرٌ بِمِظَاهِرِ الْمَنَاصِبِ فَنُسِبَ إِلَيْهِ الْحَزْمُ ، وَقِيلَ : حَزْمُ عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ ^(١) .

وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ : شَيْخُنَا الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ عِيدْرُوسُ بْنُ حُسَيْنٍ ^(٢) ، وَصَفَهُ شَيْخُنَا

= يُقَالُ لَهُمْ : آلُ شَرِيمَ ، جَدُّهُمُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ . . إلخ ، وَقَدْ انْتَشَرُوا فِي شَبَامَ وَدُوعَنَ وَجَاوَةَ وَمَلِيبَارَ بِالْهِنْدِ .

وَمِنْ ذُرِّيَةِ أَخِيهِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَقَدْ انْفَرَضُوا مِنْ حَضْرَمُوتَ ، وَكَانَ مِنْهُمْ السَّيِّدُ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدْرُوسِ بِجَاوَةَ ، ذَكَرَهُمُ السَّيِّدُ الْمَشْهُورُ فِي « الشَّمْسِ » (١١٦ / ١) .

(١) تَوَفَّى الْحَبِيبُ عَمَرَ بِالْحَزْمِ سَنَةَ (١١٩٩ هـ) ، وَدُفِنَ بِشَبَامَ .

(٢) الْحَبِيبُ الْمَعْمَرُ عِيدْرُوسُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الْعِيدْرُوسِ ، وَلَدَ بِالْحَزْمِ سَنَةَ

(١٢٤٤ هـ) ، وَتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٤٦ هـ) بِالْهِنْدِ ، طَلَبَ الْعِلْمَ عَلَى وَالِدِهِ وَعَمِّهِ وَعَلَى عُلَمَاءِ شَبَامَ

وَدُوعَنَ ، كَانَ مِنْ كِبَارِ أَهْلِ عَصْرِهِ ، صَاحِبُ جَاهٍ وَحُشْمَةٍ . يَنْظُرُ « صَلَةَ الْأَخْيَارِ » .

المشهورُ في « شمس الظهيرة » بالشرف والفضل والصدارة ، وهو من أعظم المناصبِ شأناً ، وأثبتهم جناحاً ، وأبعدهم مسافة غورِ عقلٍ ، وكانت له هيئة وهيبة تملآن الصدورَ ، وتستلفتانِ الأنظارَ ، وكانَ عاليَ الهمة ، أبيَ النفسِ ، حَمِيَّ الأنفِ ، يتحمَّلُ الكلفَ الكثيرةَ في الإصلاحِ ، حتَّى لَرِمَتْهُ بذلكَ ديونٌ كثيرةٌ ، سافرَ مِنْ أَجْلِهَا إلى الهندِ ، واتَّصلَ بِهِ كثيرٌ مِنَ المريدينَ ، فبقيَ يتردَّدُ إليها .

وفي إحدى قدماته إلى حضرموت وصلَ بأنابيط الحديدِ والآلاتِ الارتوازيةَ ، وشرعَ في حفرِ بئرٍ لذلكَ ، تكبَّدَ فيها الخسائرَ الباهظةَ ، وأنتهى الأمرُ فيها إلى الفشلِ . وقد وردَ سيئونٌ في سنة (١٣٢٦ هـ) لزيارة جدِّه المهاجرِ أحمدَ بنِ عيسى فتزلَّ عندي ، وأقامَ يومينِ لم يَزُرْ فيها شريفاً ولا مشروفاً ، كنتُ فيها أنا وأولادهُ نُجري الخيولَ مِنَ العشيِّ وهو يتفرَّجُ .

وبعقبِ ذلكَ أبحرَ إلى الهندِ ، ولم يَزَلْ ناشرَ الدَّعوةِ فيها إلى أنْ توفِّيَ سنة (١٣٤٦ هـ) ، وله أولادٌ منهم : حسينُ ، ومحمَّدُ ، وأحمدُ ، وأبو بكرٍ ، وزينُ .

ومن ذرِّيَةِ السَّيِّدِ عمرَ بنِ أحمدَ : أفاضلُ أَلْفَقِيهِ السَّيِّدِ عمرُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عليٍّ العيدروسُ ، له نكاثٌ ونوادرُ ، وتعلَّقَ بسَيِّدِي الأُسْتَاذِ الأَبْرَّ عِيدروسَ ، توفِّيَ بِالْحَزَمِ سنةَ (١٣٤٧ هـ)^(١) .

الدَّخَقَه

هي في جنوبِ الحَزمِ ، وفيها آلُ سَنَدَ ، كانَ مِنْهُمْ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ عامِرِ بنِ سَنَدَ ، حرّاً كريماً ، وعربيّاً صميماً .

فَتَى يَتَّقِي أَنْ يَخْدِشَ الذَّمَّ عِرْضَهُ وَلَا يَتَّقِي حَدَّ السُّيُوفِ الْبَوَاتِرِ

(١) ولد بالحزم في (٢) رجب سنة (١٢٧٩ هـ) ، وشيخ تخرجه هو الحبيب عيدروس بن حسين السابق الذكر ، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، وكان يقيم بالغرفة مدداً متطاولة للأخذ عنه ، كما طلب العلم بشبام . ترجم له في « تاريخ الشعراء » (٧٩-٧١/٥) ، وكانت وفاته (٥) شوال من السنة المذكورة .

ولكنه بإصراره على مبدئه الكثيري لم يجن إلا خيبة الأمل ؛ إذ ترفع عن مواساة القعيطي ، ولم يظفر بشيء من الكثيري ، حتى إن خلفه جاء مرةً وافداً من الدحقة فلم يجد من يسقيه الماء بسيتون ، فعاد أدراجهُ ينفضُ مذرويه من ساعته .
ومرجع آل سند في النسب إلى بني أمية ، ولكنه دخل في عداد الفخاوذ آل كثير .
وجرت بينهم وبين آل مرعي بن طالب حروب لم يزل فيها نعلهم ، ولم يمل ركنهم .

السَّليلُ أو السَّرِيرُ^(١)

لكل منهما ذكر لا يُهتُنَا عند ياقوت ، ونقل البكري عن ابن إسحاق أن وادي خيبر : خلص والسَّيرُ .

والذي نحن بسبيله على اسم موضع باليمن ، لا أذكر محله الآن من « الأصل » .
وقال ابن خلدون : (السَّيرُ آخرُ أعمال تهامة من اليمن ، وهي على البحر دون سور ، وبيوتها أخصاص) اهـ

و(السَّليلُ) أو (السَّرِيرُ) : فضاء واسع ، في غربيه شبام ، والجبل الذي يكون الحزم بسفحه ، فالدحقة داخله فيه ، ويمتد إلى أسفل حضرموت ، ثم إلى سيحوت وبلاد المَهْرَة .

وفي شماله الجبل النَّجدي الذي أوله : فُرْطُ قُبوسه ، وحده من الجنوب الطريق السلطانيَّة .

ومن ورائها : وادي بن علي ، وأوله فيما يلي الطريق التي إلى جنوبها : حوطة آل أحمد بن زين ، فليست من السَّليل ، ولكنها قاعدة بلاد بني سعد من وادي بن علي .

(١) وهو عند بامطرف : المنطقة المزروعة ذات النخيل ، الواقعة بين مصب وادي بن علي غرباً ، وبين مصب وادي شحوح شرقاً .

ويدخلُ في السِّلِيلِ كُلُّ ما كَانَ مِنْ قُرَى آلِ كَثِيرٍ وَحَصُونِهِمْ ، مِنْ الْحَزْمِ إِلَى مُحَاذَةِ سَيْثُونَ فِي عَرُوضِهَا الشَّمَالِيَّةِ ، بَلْ إِلَى ما وَرَاءَ ذَلِكَ .

وَمِنْ أَوَائِلِ السِّلِيلِ : فُرْطُ قُبُوسَةٍ^(١) ، وَهُوَ مَكَانٌ مَشْهُورٌ بِكَثْرَةِ الْكَنُوزِ الْحَمِيرِيَّةِ الْمَدْفُونَةِ فِيهِ ، وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ مَعْرُوفٌ بِاجْمَالِ^(٢) يَجْزُمُ بِهَا وَبِكَثْرَتِهَا جَدًّا ، وَلَهُ شَعْرٌ فِي ذَلِكَ أوردناه في « الْأَصْلِ » ، وَذَكَرَهَا أَيْضاً غَيْرُهُ .

وَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ [ص ١١٨-١٢١] مِنْ « الْإِكْلِيلِ » : (ذَكَرَ بَعْضُ حَنِيرٍ عَنْ أَسْلَافِهِ ، عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ : أَنَّهُ أَدْرَكَ مَنْ لَقِيَ مِنْ عَشِيرَتِهِ سَطِيحاً وَخَبْرَهُ أَعْقَابُ مَنْ لَقِيَ شِقًّا : أَنَّهُمَا سَيْلًا عَنْ كَثِيرٍ مِنْ أَخْبَارِ الْيَمَنِ ، فَخَبْرًا بِأَحْدَاثٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا : أَنَّهُمَا قَالَا : بِالْيَمَنِ أَرْبَعُ بَقَاعٍ مَقْدِسَةٍ أَوْ مَرْحُومَةٍ ، وَأَرْبَعُ مَحْرُومَةٍ أَوْ مَشْؤُومَةٍ ، وَثَمَانِيَةُ كُنُوزٍ) . ثُمَّ عَدَّدَ جَمِيعَ ذَلِكَ ، وَذَكَرَ أَنَّ الثَّامِنَ مِنَ الْكَنُوزِ : بِالْحَمْرَاءِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، وَسَاقَ خَبْرًا طَوِيلًا قَالَ فِي آخِرِهِ : (وَهَذَا حَدِيثٌ مَرْسَلٌ ، لَمْ يَقَعْ لَنَا بِإِسْنَادٍ ، فَذَكَرْنَاهُ عَلَى حَالِهِ) اهـ

وَأَهْلُ حَضْرَمَوْتَ يُسَمُّونَ ذَلِكَ الْمَكَانَ : فُرْطُ الْحُمَيْرَا ، كَمَا جَاءَ فِي شَعْرِ الشَّيْخِ بِاجْمَالٍ ، فَهُوَ هُوَ .

وَمِنْ وَرَاءِ قُبُوسَةٍ جَنُوبًا : الْقَارَةُ^(٣)

وَهِيَ كَمَا قَالَ أَبُو الْحَاثِلِ الْهَمْدَانِيُّ : (هِيَ قَرْيَةٌ عَظِيمَةٌ لِهَمْدَانَ ، وَفِيهَا حِصْنٌ) اهـ^(٤)

(١) قُبُوسَةٌ : تَقَعُ شِمَالِي شِبَامَ إِلَى الْغَرْبِ ، وَفِيهَا بَثْرُ قُبُوسَةٍ الَّتِي يُقَالُ : إِنَّهَا تَعُودُ إِلَى عَهْدِ عَادَ ، فَيُقَالُ لَهَا : الْبَثْرُ الْعَادِيَّةُ . وَأَلْ قُبُوسُ أَوْ بَنُ قُبُوسَ : أَسْرَةٌ مَعْرُوفَةٌ ؛ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ يَسْكُنُونَ الْحَوِطَةَ ، وَجَمَاعَةٌ فِي جَعِيمِهِ . وَلَعَلَّ هَذِهِ الْمَنْطَقَةَ نَسَبَتْ إِلَيْهِمْ .

(٢) هُوَ ابْنُ الشَّيْخِ مَعْرُوفٌ بِنُ مُحَمَّدٍ بِاجْمَالِ السَّابِقِ ذَكَرَهُ فِي شِبَامَ تَوَفَّى الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بِشِبَامَ سَنَةَ (١٢٩٢ هـ) أَوْ بَعْدَهَا ، وَهُوَ شَاعِرٌ شَعْبِيٌّ وَأَدِيبٌ بَلِيغٌ ، لَهُ مَقَامَاتٌ وَأَدْبِيَّاتٌ جَمِيلَةٌ . يَنْظُرُ : « تَارِيخُ الشُّعْرَاءِ » .

(٣) وَتَعْرِفُ بِقَارَةِ آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

(٤) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (١٦٩) .

وَسُكَّانُهَا مِنْ زَمَانٍ قَدِيمٍ : آلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فِي عِدَادِ آلِ كَثِيرٍ مِنْ قَبِيلَةِ آلِ عَامِرٍ .
وَالسَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَبِلٌ لَا يُطْلَقُ لَفْظُ الْشَّنَافِرِ إِلَّا عَلَى آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، لَكِنَّ
الْأَمْرَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَالْعَوَامِرِ ، فَإِنَّهُ كَمَا يُقَالُ لِأَهْلِ الْقَارَةِ : آلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، كَذَلِكَ
يُقَالُ لِلْعَوَامِرِ : آلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَقَدْ ذَكَرَ لَهُمْ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٩١٦ هـ) أُمُورًا جَرَتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آلِ مُحَمَّدٍ الْكَثِيرِيِّ
فِي مَدُودَةٍ ، وَالْعَوَامِرُ أَقْرَبُ إِلَى مَدُودَةٍ مِنْ أَهْلِ الْقَارَةِ ، وَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِمَا سَيَأْتِي فِي
تَارِيهِ .

ثُمَّ إِنَّ قُرْبَ الْقَارَةِ مِنْ شَبَامٍ - وَهُمَا كَمَا مَرَّ لَهْمْدَانٍ - يَرَجُّحُ أَنَّ سُكَّانَهَا أَلَانَ مِنْ آلِ
عَبْدِ الْعَزِيزِ هُمْ مِنْ أَعْقَابِ الْهَمْدَانِيِّينَ ، كَمَا أَنَّ آلَ كَثِيرٍ مُضْفِقُونَ عَلَى أَنَّهُمْ بِأَسْرِهِمْ مِنْ
هَمْدَانٍ ، وَالْمُؤَرِّخُونَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُمْ - أَعْنَى آلَ كَثِيرٍ - مِنْ بَنِي حِرَامٍ ، وَبَنُو حِرَامٍ كَمَا
قَرَّرَهُ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ مِنْ نَهْدٍ ، فَتَأَكَّدُ أَنَّ نَهْدَ شَبَامٍ وَالْقَارَةَ وَمَنْ لَقَّهْمُ يَرْجِعُونَ إِلَى نَهْدٍ
هَمْدَانٍ ، وَأَنَّ أَهْلَ الْكَسْرِ وَمَنْ لَقَّهْمُ يَرْجِعُونَ إِلَى نَهْدٍ قُضَاعَةٍ ، كَمَا يَظْهَرُ أَنَّ نَهْدَ قُضَاعَةٍ
نَاقِلُونَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَنَهْدَ هَمْدَانٍ مِنْ أَتْلَادِ الْبِلَادِ .

هَذَا مَا تَنَصَّبُ عَلَيْهِ الْقَرَائِنُ وَتَلْتَمِثُ بِهِ أَطْرَافُ الْكَلَامِ وَيُؤَكِّدُهُ الْأَسْتِصْحَابُ
الْمَقْلُوبُ^(١) .

وَسَيَأْتِي فِي رِيْدَةِ الصَّيْعَرِ - آخِرَ الْكِتَابِ - عَنِ ابْنِ الْحَائِكِ أَنَّ فِرْقَةً مِنْ هَمْدَانٍ ، يُقَالُ
لَهُمْ : الْمَحَائِلُ ، كَانَتْ مِنْ كِنْدَةَ ، فَلَعَلَّهُمْ أُصُولُ آلِ كَثِيرٍ .

أَمَّا الْمَهْرَةُ وَالْحُمُومُ وَالْمَنَاهِيلُ . . . فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قُضَاعَةِ الْحَمِيرِيِّينَ . . . فَلَا
يُمْكِنُنَا الْجَزْمُ بِأَنَّهُمْ مِنْ قُضَاعَةِ دُونَ نَصِّ صَرِيحٍ ، أَوْ قَرَائِنَ تَتَأَكَّدُ بِهَا الظُّنُونُ .

(١) الخلاف في نسب آل كثير ، وحاصله :

من يرى أنهم من بني ظنة ؛ فهم من نسل سبأ بن حمير . ومنهم : الحبيب أحمد بن حسن
العطاس ، والأستاذ الشاطري .

ومن يرى أنهم من نهد قضاة ؛ فمرجعهم في النسب إلى همدان . وهو ما حكاه الهمداني ،
والأشرف الرسولي ، والمؤلف .

ينظر : « الأدوار » (٢٣٤) « تاريخ الدولة الكثيرية » ، « المقضي » .

وآل عبد العزيز ثلاث فرق :

آل سويد ، والصُّقْعَانِ . وآل جعفر بن سويد . وآل عمر بن علي .

يبلغ عددُ رجالهم بالقارة سبعين رجلاً ، وكان من أواخر رؤسائهم : الشَّيْخُ لَحْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ ، وكان آل عمر بن علي قتلوا أباهُ في حربٍ بينهم ، ولمَّا تَرَاخَتْ وَكَثُرَ دُونَهَا عَدَدُ الْأَيَّامِ . . جَرَتْ بَيْنَهُمُ الْإِصْلَاحَاتُ عَلَى عَادَاتِهِمْ ، وَنَهْنَهَتْ الْأَحْقَادُ حَتَّى جَاءَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَعْبَانَ أَحَدُ آلِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى عِنْدِ الشَّيْخِ لَحْمَانَ فِي طَلَبِ الصُّلْحِ لِرَمْضَانَ وَمَا بَعْدَهُ فَلَمْ يُسْعِفْهُ ، وَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَكَادَ يَصِلُ إِلَى دَارِهِ صَوَّبَ إِلَيْهِ بِنْدَقِيَّتُهُ فَأَرَادَهُ ، وَأَشَاعَ مِنْ عَشِيَّةِ يَوْمِهِ أَنَّ رَمْضَانَ قَدْ دَخَلَ ، وَالْعَرَبُ قَدْ يَتَسَامَحُ بَعْضُهُمْ بِالْقَتْلِ فِي الْيَوْمِ الثَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ وَيُسَمُّونَهُ الْفَلْتَةَ ، كَمَا بَسَطْتُ الْكَلَامَ عَلَيْهِ فِي « الْأَصْلِ » .

أَمَّا الثَّامِنُ وَالْعَشْرُونَ . . فَلَا يَسْتَحِلُّهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، وَفِي حِينَ دُفِنَ الْمَقْتُولُ مِنَ الْيَوْمِ الثَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ . . اسْتَسْقَى أَحَدُ آلِ مَرْعِيٍّ مَاءً ، فَشَرِبَهُ أَمَامَ النَّاسِ ؛ لِيَحْرُسَ بِهِ عَلَى الشَّيْخِ لَحْمَانَ ، وَمَا زَالَ رَئِيسًا عَلَى قَوْمِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فَخَلَفَهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَحْمَانَ .
وَمِنْ آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْآنَ : الشَّيْخُ نَاصِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، رَجُلٌ شَهْمٌ يَسْكُنُ السَّوَاحِلَ الْأَفْرِيقِيَّةَ .

وَفِي حَضْرَمَوْتَ : الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، شَاعِرٌ جَزَلٌ بِلِسَانِهِمْ ، وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَى تَعْيِيرِ الشَّيْخِ عَبِيدِ صَالِحِ بْنِ سَالِمِينَ بْنِ طَالِبٍ ، لَمَّا تَوَارَى عَنْ غَسَلِ الْعَارِ الَّذِي جَرَّهُ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ سَالِمِ بْنِ طَالِبِ بْنِ يَمَانِي عَلَيْهِ وَعَلَى الدَّوْلَةِ وَعَلَى آلِ عِبْدَاتٍ وَجَمَاعَاتٍ مِنَ الْقَبَائِلِ بِقَتْلِهِ أَلْمَاسَ وَهُمْ يَخْفَرُونَهُ جَنَابًا بَجَنِبٍ فِي سَنَةِ (١٣١٩ هـ) -
بِقَوْلِهِ :

الْهَيْجَ لِي يَتَيْنِ الْعِدْلَ مَا نَازَ سَمِينًا وَالذُّوَّةَ كَيْسَرَةً
يَا رَيْثَ لُةَ بَيْعَهُ عَلَى جَزَازَ وَالْأَعْلَى مِنْصِبَ عَقِيرَةً

وإنَّما لصقَ العارُ بعبيدٍ صالحٍ أكثرَ من لصوقِهِ بَمَنْ سِوَاهُ وَفِيهِمُ الدَّوْلَةُ الْكَثِيرَةُ ؛

لأنَّهُ أَقْرَبُهُمْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ، وَلَأنَّهُ شَيْخُ آلِ كَثِيرٍ إِذْ ذَاكَ ، فَشأنُهُ فِيهِمْ أَقْوَى مِنْ شأنِ السُّلْطَانِ .

وَمِنْ أَخْبَارِ سَعِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ هَذَا أَنَّهُ كَمَنَّ فِي أَحَدِ مَسَاجِدِ الْغُرْفَةِ مَعَ عَبْدَيْنِ لَهُمْ ، فَأَرَدَى حَمُودُ بْنُ عَزَّانَ الْفَاسَ فِي قَتِيلٍ لَهُمْ عِنْدَ آلِ الْفَاسِ ، وَكَانَ حَمُودُ هَذَا خَرَجَ مِنْ حَصْنِهِمْ مُتَعِدّاً مَعَ أَحَدِ آلِ خَالِدِ بْنِ عَمَرَ فِي حَاجَةٍ إِلَى الْغُرْفَةِ ، وَكُلُّ مِنْهُمَا خَفِيرُ الثَّانِي ، إِلَّا أَنَّ سَعِيداً أَرَادَهُ قَبْلَ أَنْ يَتَلَقَّيَا ، وَلَكِنَّهُمَا مَتَخَافَرَانِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا قَيْسُ السَّهْمِ ، فَرَعَمَ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِلِفَاسٍ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ مِنْ آلِ خَالِدٍ لِيَمْهَدُوا لِمَصَاحِبِهِمُ الْثَّارَ إِذْ هُمْ كُلُّهُمْ مِنْ آلِ عَامِرٍ وَبِإِثْرِ ذَلِكَ اتَّقَدَّ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ ، وَهَجَمَ آلُ فَاسٍ عَلَى بَاقِيَوْحٍ وَجَرَى مَا هُوَ مَفْصَّلٌ بِـ « الْأَصْلِ » .

وَالْ كَثِيرِ ثَلَاثُ فَصَائِلَ :

- آلُ عَامِرٍ : وَمِنْهُمْ آلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَؤُلَاءِ وَآلُ عِبْدَاتٍ وَغَيْرُهُمْ .

- وَآلُ عُمَرَ : وَمِنْهُمْ آلُ طَالِبٍ وَآلُ الْعَاسِ وَآلُ الْفَاسِ وَآلُ فَلْهُومَ وَغَيْرُهُمْ .

- وَالْفَرْقَةُ الثَّلَاثَةُ فَخَائِذُ ، وَهُمْ : آلُ عَوْنٍ ، وَآلُ مَنِيَّارِي ، وَآلُ زَيْمَةَ ، وَآلُ الصُّقَيْرِ ، وَمَنْ لَقَّاهُمْ ، وَلَهُمْ مَشَجَرٌ يَحْفَظُ أَنْسَابَهُمْ ، مَوْجُودٌ عِنْدَ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمِينَ بْنِ مَرْعِيٍّ الْآتِي ذِكْرُهُ فِي بَلِيلٍ .

وَفِي شَرْحِ الْبَيْتِ (٣٧) مِنْ « الْأَصْلِ » مَا يَتَعَلَّقُ بِآلِ كَثِيرٍ ، وَأَنْتَهُمْ مِنْ بَنِي ظَنَّةَ ، وَأَنَّ بَنِي ظَنَّةَ مِنْ بَنِي حِرَامٍ ، وَلَكِنْ مِمَّا يُسْتَدْرَكُ عَلَيْهِ : أَنَّ بِالسَّلَامَاتِ ^(١) مِنْ بِلَادِ الْجُوفِ نَاساً مِنْ آلِ كَثِيرٍ ، يَرْجِعُونَ فِي النَّسَبِ إِلَى هَمْدَانَ ، يُقَالُ لِسُلْطَانِهِمُ الْمَوْجُودِ الْيَوْمَ : مَنْصَرُ قَوْزَانَ .

وَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي « الْأَصْفَةِ » [٢٣٢] : (وَبِلَدُ حِرَامٍ مِنْ كِنَانَةَ ، وَهِيَ : وَادِي إِثْمَدَ ، وَضَنْكَانَ ، فَالْحَرَّةُ حَرَّةُ كِنَانَةَ ، وَالْعَقْدُ ، وَحَلْيُ ، وَهُوَ مُخْلَافٌ ، وَقَصْبَتُهَا الصَّحَارِيَّةُ مَوْضِعُ رُؤَسَاءِ بَنِي حِرَامٍ) اهـ

(١) منطقة في جنوب مدينة الحزم من بلاد الجوف ، فيها قبائل بني نوف ، وهي واقعة على أكمة مرتفعة .

وفي موضع آخر « منها » [٢٢٨] - بعد أن عدّد مواضع - قال : (يسكن هذه البلاد من قبائل نهد : مُعرّف ، وحرام - وهي أكثر نهد - وبنو زهير ، وبنو دريد^(١) ، وبنو حزيمة ، وبنو مرمص^(٢) ، وبنو صخر ، وبنو ظنة - وظنة من عذرة - وبنو يربوع ، وبنو قيس ، وبنو ظبيان) اهـ

وبالقارة ناس من آل الحامد بن الشيخ أبي بكر بن سالم . وكان فيها الشيخ عليّ قيران^(٣) ، سائل مدفوع عن الأبواب ، ولكنه من أهل السرّ والخصوصيّة ، يسأل أرباب القلوب عن مشكلات صوفيّة ، فيجيبهم عنها بما لا يخطر لأحد على بال ، نازله حال وهو يلقم بقرة بالأجرة فأندهش عقله ، وألقي على لسانه اسم البقرة المصفرة ، فبقي يلهج ويوشح بها كلامه .

وفي كتاب « المعمّرين » لأبي حاتم السجستاني : (أن الثمر بن تولب رضي الله عنه تعمّر مئتي سنة وخرف وألقي على لسانه : أنحروا للضيف ، أعطوا السائل) اهـ ولعليّ قيران غرائب وعجائب ولما مات . . لم يشعر أحد بموته ؛ إلاّ بعد ما شرعت ألوحوش تأكله ؛ لأنه أشعث أغبر ، ساقط عن العيون ولكنه داخل تحت قوله : « ربّ أشعث أغبر مدفوع بالأبواب . . لو أقسم على الله لأبره » . وكان والدي رضوان الله عليه يبرّه ويطلب دعاءه .

ومن وراء القارة إلى جهة الجنوب حصن الهاجري : وهو أول حصون آل كثير في شرقيّ شِبام .

وفي شرقيّه : حصن قسبل ، لآل سويد ، وله ذكر في التّاريخ .

وفي شرقيّه : مسيال وادي بن عليّ .

وعلى ملتقاه بمسيال سز يكون : القروقر هو حصن لآل خالد بن عمر في شرقيّ

(١) في « صفة جزيرة العرب » : (دويد) .

(٢) في « صفة جزيرة العرب » : (مرمض) ؛ بالضاد المعجمة .

(٣) الشيخ عليّ قيران ، مدفون في سفح جبل يقع خلف القارة ، على مسيرة نصف ساعة بالسيارة لوعورة الطريق المؤدية . وهو من أهل القرن الرابع عشر .

القارّة إلى جهة الجنوب ، أبتنوه في الوقت الأخير على أنقاض أطلال بالية ، يحيط به فضاء واسع ؛ لأنّ النّظر يمتدّ منه جنوباً إلى أن ينقطع أمده دون أقصى وادي بن عليّ ، وغرباً إلى أقصى وادي نعام ، وشرقاً إلى أقصى حضرموت ، وشمالاً إلى فُرط قبوسه . وتحفّ به تربة طيّبة ، تدلّ على سابقِ عمرانٍ ، وخصوبة جنابٍ ، فلهو جديرٌ أن يكون محرّفاً عن قراقر الذي يقول عمرو بن شاش الأسديّ في روضته [من الطويل] :

وَأَنْتَ تَحُلُّ (الرَّوْضَ) (رَوْضَ قَرَاقِرٍ) كَعَيْنَاءِ مِرْبَاعٍ عَلَى جُوذِرِ طِفْلِ^(١)

المختزقة

هي واقعة في شرقيّ هدامه إلى شماله ، وهي المسمّاة في سابق الزّمان : أنف خطم .

وفيها صدر الحكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم بين المتنازعين في أرض منها ، حسبما هو مفصّل به «الأصل» .

وفيها كان غدر آل وبّر بولاة الحول آل الجزو ؛ فلقد استأصلوهم قتلاً في سنة (٦٠٤هـ) ، وما أفلت منهم إلا عشرة .

وآل وبّر من همدان ، كانت مساكنهم بالجوف خلف صنعاء ، فنجع هؤلاء إلى حضرموت ، وبه يتأكّد ما تقرّر من الفرق بين نهْد قضاة ونهْد همدان ، ووجود الفرقتين بحضرموت .

وكان آل الجزو^(٢) أمراء على الحول ، ولهم خيلٌ وحولٌ وقوّة وشوكة ، غير أنّ آل وبّر أخذوهم بالحيلة .

(١) العينة : البقرة الوحشية . جوذّر - بفتح الدالّ وضمتها - : البقرة الوحشية أيضاً . الطّفْل : المولود .

(٢) ومن أعلام آل الجزو المتقدمين : الشيخ عوض بن أحمد الجرو ، سبط الفقيه الإمام محمد بن عمر بحرق ، عاش في القرن العاشر ، وله كتاب هام في التاريخ والأنساب يسمّى : «الفرج بعد الشدة في إثبات فروع كندة» . ومن آل الجرو جماعة بشبام ؛ منهم : الشيخ الفاضل عبد الرحمن بن عبد الله بن سالم الجرو ، الملقب أبو البلاد ، توفي بشبام سنة (١٤٠٧هـ) ، ومنهم جماعة بالحوطة ونواحيها .

وَأَلَّ الْجُرُ وَالَّ بِالْحُلُوانِ إِخْوَةٌ مِنْ أُمِّ وَأَبٍ ، وَنَسَبُهُمْ فِي كِنْدَةَ ، وَلَا يَزَالُ مِنْهُمْ
جَمَاعَةٌ ، بِحَوَاطَةِ آلِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ مِنْ حَضْرَمَوْتٍ ؛ مِنْهُمْ :

صَدِيقُنَا الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَمَرَ الْجُرُو ، كَانَ تَاجِرًا ، وَلَكِنْ عَلَيْهِ آثَارُ الشَّهَامَةِ الَّتِي
يُظْهَرُ بِهَا سُرُّ أَنْتِسَابِهِ إِلَى الْمُلُوكِ حَتَّى فِي صَوْتِهِ الْأَجَشُّ ، وَكَلَامِهِ الْجَزَلُ ، تَوَفَّى
بِحَوَاطَةِ آلِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٦٠ هـ) .

وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقِ الصَّالِحِينَ ، وَكَذَلِكَ كَانَ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ الْجُرُو ،
وَلَعَبْدُ اللَّهِ هَذَا وَلَدُ أَسْمُهُ : صَالِحٌ ، ذَكِيٌّ أَدِيبٌ ، وَفِي الدِّمَامِ ، صَادِقُ الْكَلَامِ ،
مَرْضِيٌّ الْخَلَائِقِ ، مَحْمُودُ الشَّيْمِ ، لَهُ تِجَارَةٌ بَعْدَن .

وَعَلَى مَقَرَّبَةٍ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ كَانَتْ الْوَاقِعَةُ الْهَائِلَةُ ، الْمَسْمَاةُ : (حَادِثَةُ الْمَحَائِلِ)
بَيْنَ الْقُعَيْطِيِّ وَالْكَسَادِيِّ مِنْ جِهَةٍ ، وَآلِ كَثِيرٍ وَسُلْطَانِهِمْ مِنَ الْآخَرَى فِي سَنَةِ
(١٢٨٥ هـ) .

بَحِيرَه

هِيَ فِي شَرْقِي الْقُرُوقِ ، وَهِيَ قِسْمَانِ :

جَانِبُهَا الْقِبْلِيُّ لِآلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ ، مِنْ فَصِيلَةِ آلِ عَامِرٍ تَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الْبَسَاطَةُ
وَالسَّلَامَةُ ؛ فَهُمْ أَسْلَمُ آلِ كَثِيرٍ الْيَوْمَ جَانِبًا ؛ لِأَنَّهُمْ يَمْشُونَ بِسُوقِ الطَّبِيعَةِ ، وَلَا يَزِيدُ
عَدْدُ رَجَالِهِمُ الْيَوْمَ عَنْ عَشْرِينَ .

وَجَانِبُهَا الشَّرْقِيُّ : لِآلِ كُدَّةٍ مِنْ آلِ عَامِرٍ أَيْضًا ، وَلَا يَزِيدُ عَدْدُ رَجَالِهِمْ عَنْ عَشْرَةٍ .

وَكَانَ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ عِيدْرُوسَ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَمَرَ بْنِ الْحَامِدِ ابْنِ الشَّيْخِ
أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ، وَلَكِنْ أَتَأَثَّرَتْ بِهِمُ الْغُرْبُ وَالْمَنَايَا ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ بَاقِيَةٌ إِلَّا
النِّسَاءُ^(١) .

وَكَانَ يَنْتَابُهَا الشَّيْخُ عَتِيقُ بَاجُجِيرٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ تَقِيٌّ نَقِيٌّ ، صَادِعٌ بِالْحَقِّ ، أَمْرٌ

(١) بَلْ لَا زَالَ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ بِهَا .

بالمعروف ، ناهٍ عن المنكر ، كثيراً ما يُجابهُ الجائرين بقول الحق ، لا يهاب ولا يدهن ، وكان مع ذلك مضحاكاً مزاحاً ، وله دالة عظيمة على الأكابر .
وأصله من الحوطة ، وله بها مسكن صغير ؛ مرَّ الحبيب حسن بن صالح البحر تحتَه مرةً فناداه : يا حسن ؛ ألا تحبُّ أن تزورَ المَلِك - يعني نفسه - في قصره ؟ فقال له : بلى .

ولمَّا عزمَ على الدُّخول - وكان البابُ قصيراً -... قالَ له : طأطِء رأسك كما هي العادةُ في الدُّخولِ على الملوك ، ففعل ، ثمَّ قدَّمَ له طاسةً من الفَخَّارِ تفهقُ^(١) بالماء ، وقالَ له : أشرب ؛ فإنَّ هذا كأسُ المَلِك ، وسيُؤدُّ الوادي يمثِّلُ كلَّ ما يقولُ بصدرٍ مشروحٍ وخاطرٍ مبسوط .

ولعتيقٍ هذا نوادرُ :

منها : أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ أَهْلَ بِلادِهِ بحيره ، وكانَ إِمَامُهُم وخطيبُهُم ومعلم أولادِهِم ، فقالَ لَهُم : إنَّ لي شغلًا يومَ الجمعةِ بشبام ، وأنتم بالخيارِ :
إِمَّا أَنْ تكفوا أنفسكم بغيري يقومُ بالواجب .
وإِمَّا أَنْ تتركوها .

وإِمَّا أَنْ نُقدِّمها يومَ الخميسِ ؟ فأختاروا هذه ، فجمَعَ لَهُم يومَ الخميسِ .
وقالَ في الدُّعاءِ : لَكُمُ الهِجُّ والرَّجُّ والحِصا المدخرُجُ ، فقالوا : آمين !
وقد رأيتُ في بعضِ التَّواريخِ أَنَّ عمرو بنَ العاصي أشارَ على معاويةَ أَنْ يختبرَ طواغيةَ أَهْلِ الشَّامِ بتقديمِ الجمعةِ ، فرضوا ، وصلَّأها بهم يومَ الثلاثاءِ .
وكانَ ذلكَ أَيَّامَ خروجِهِم إلى صِفِّين ، ففي ذلكَ أسوةٌ ليست بالحسنة .
ومنها : أَنَّ أَحَدَ أعيانِ السَّادةِ آلِ أحمدَ بنِ زينِ الحبشيِّ طلبَ إِلَيْهِ أَنْ يذهبَ معه إلى هين ، فرضيَ على شرطٍ أَنْ يعقبهُ على أفرسٍ إذا تعبَ ، وأنَّ لا يأكلَ إلا ويدهُ معه .

(١) تفهق : تمتلئ .

فَلَمْ يَفِ السَّيِّدُ بِالشَّرْطِ ، فَرَكَبَ فَرَسَهُ عَلَى غَفْلَةٍ مِنْهُ ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْحَوَاطَةِ يَصِيحُ
بَنِعِيهِ ، فَصَلَّوْا عَلَيْهِ ، وَأَقْتَسَمُوا تَرْكَتَهُ ، وَلَبَسَتْ ثِيَابَ الْحِدَادِ أَمْرَأَتُهُ !

وَلَمَّا أَقْبَلَ السَّيِّدُ يَقْضِمُ الْإِرْمَ عَلَيْهِ مِنَ الْغَيْظِ ، عَازِماً عَلَى قَتْلِهِ لِأَخْذِهِ الْفَرَسَ . .
وَجَدَ أَنَّ الْأَمْرَ أَدْهَى وَأَمْرٌ ، وَلَكِنَّ عَتِيقاً لَازِماً بِالْمَنْصَبِ فَادْخَلَهُ بَيْنَ عِيَالِهِ حَتَّى سُوِّتَ
الْمَسْأَلَةُ .

ومرّة : دعا آل أحمد بن زين من الحوطة إلى سيئون في رمضان للإفطار والعشاء
عنده في أيام الخريف ، ولما تناثروا في البيت بعد أن نفخ القرب وأشعل النار في
المطبخ . . أغلق الدار عليهم ، وركب أحد خيلهم إلى الحوطة حيث أستجار بالمنصب
- وكان أحدهم يتظاهر بالشجاعة - فتصور له بصورة منكّرة ، يومهم أنّه جنّي ، وتسوّر
عليه الجابية وصاح في وجهه ، فخرج السيّد عرياناً ، فلاقاه مع جماعة أعدّهم له ،
وقال له : أين الشجاعة التي تدّعيها ؟

ومرّة : نادى سيّد الوادي الحبيب حسن بن صالح البحر بصلح ما بين قبائل آل كثير
بأسرها ، ولما فرغ المنادي من ذلك . . قام عتيق ينادي ويقول : حسن بن صالح عقد
صلح بين القبائل على المساكين ؛ ليتفرّغوا لهم ويفعلوا فيهم ما يشاؤون من التّعدي
والجور ، فأمر البحر المنادي أولاً بأن يقول : ومن تعرّض لمسكين . . فهو خارج عن
الصلح .

وكان الناس إذ ذاك يوفون الكلام ويلغون الذّمّام ، فمرّت الأيام بسلام .

وله من الجرأة على العلماء والكبراء في الممازح ما لا يحصى .

فَلِلَّهِ مِنْهُ جَانِبٌ لَا يُضِيعُهُ وَلِلَّهِ مِنْهُ وَالْبَطَالَةُ جَانِبٌ^(١)
وَأَخْبَارُهُ فِي الْمَعْنَى لَا يَرْقَى إِلَيْهَا الْحَصْرُ ، وَلَا تَنَالُهَا الْأَعْدَادُ .

(١) البيت من الطويل .

هَدَامَهُ

في شرقيّ بَحِيرِهِ وَغَرْبِيّ الْمَحْتَرَقَةِ ، لآلِ كُدّه ، لا يَزِيدُ عَدَدُ رَجَالِهِمْ بِهَا الْآنَ عَنْ ثَمَانِيَةٍ .
حواليها كانتِ الْحَادِثَةُ الْكَبْرَى بَيْنَ آلِ جَعْفَرِ بْنِ طَالِبٍ مِنْ جِهَةٍ وَآلِ كُدّه ، وَآلِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْجَهَةِ الْأُخْرَى ، وَفِيهَا كَانَ قَتْلُ عَائِظَ بْنِ سَالِمِينَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَأَشَارَ إِلَى ذَلِكَ بِاعْطُوه بِقَوْلِهِ فِي رِثَائِهِ :
جَبَلٌ عَرَضَ لَهُ جَبَلٌ مِنْ دُونِ هَدَامَةٍ وَتَعَاظَبُوا بِالْجَنَابِيِّ وَالرُّضَاصِ الشُّوْذِ
وَسَبَبُ تِلْكَ الْحَادِثَةِ أَنَّ أَحَدَ آلِ كُدّه أَخَذَ عِذْقَ خَرِيفٍ مِنْ نَخْلِ آلِ جَعْفَرِ بْنِ طَالِبٍ ،
فَقَتَلُوا وَاحِدًا أَوْ اثْنَيْنِ مِنْ آلِ كُدّه ، فَغَضِبَ مِنْ قَتْلِ رَجَالِهِمْ فِي عِذْقٍ ، وَأَصْبَحَ بِرَجَالِهِ عَلَى
شُعْبِ آلِ جَعْفَرِ بْنِ طَالِبٍ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ ، فَانْسَحَبَ آلُ كُدّه بِانْتِظَامٍ ، وَسَقَطَ مِنْهُمْ
اِثْنَانِ ، وَلَمَّا بَلَغُوا الْمِيسَالَ . . . أَرَادَ عَائِظُ الرُّجُوعَ ؛ لِأَنَّهُ قَدْ مَلَكَ ، فَمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجَحَ ،
لَا سِيَّمًا وَقَدْ أَصَابَ الْغَرَضَ ، فَأَرَادَ أَنْ يَطْفِئَ ، وَلَكِنْ عَيَّرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَقَالَ لَهُ : تَرِيدُ
الْقَهْوَةَ عِنْدَ غُصُونٍ ؟ وَهِيَ أَمْرَأَتُهُ ، وَكَانَتْ مِنْ آلِ عَبْدِاتٍ ، فَتَقَدَّمَ بِهِمْ وَكَانَ آلُ كُدّه تَمْنَعُوا
بِكُوتٍ لَهُمْ وَبِأَكْوَامٍ مِنَ الرَّمْلِ ، فَحَمَلَ آلُ طَالِبٍ بِالسَّلَاحِ الْأَبْيَضِ .

وَأَرَادَ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنٍ بْنُ صَالِحِ الْبَحْرِ أَنْ يَخْرُجَ بِلَوَائِهِ وَطَبُولِهِ لِيَحْجِزَ بَيْنَهُمْ
الْكَيْدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ حُسَيْنِ الْبَحْرِ ، فَدَعَا عَائِظٌ وَمَا خَرَجَ . . . إِلَّا وَقَدْ جَاءَتْ الطَّامَةُ
وَالْخَرَابُتُ أَنَّ أَحَدَ آلِ كُدّه - وَأَسْمُهُ هَوَيْدِيٌّ تَمَاسَكَ هُوَ وَعَائِظُ بْنُ صَالِحِ بْنِ سَالِمِينَ ،
وَأَتَخَنَ كُلُّ صَاحِبِهِ ، وَحُمِلَ هَوَيْدِيٌّ إِلَى الْقَارَةِ بِأَخْرِ رَمَقٍ ، وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ . .
سَأَلَ عَنْ عَائِظٍ ، فَقَالُوا : نَحْنُ نَسْأَلُكَ عَنْ نَفْسِكَ وَأَنْتَ تَسْأَلُ عَنْ عَدُوِّكَ ؟ ! قَالَ : أَمَّا
أَنَا . . فَكُمْ مِنْ بَدْوِيَّةٍ سَتَأْتِي بِمِثْلِي وَأَفْضَلَ ، أَمَّا عَائِظُ . . فَقَدْ عَقَمَتِ النِّسَاءُ أَنْ تَلِدَ
مِثْلَهُ ، فَقَالُوا لَهُ : هَلْكَ .

قَالَ : طَابَ الْمَوْتُ ؛ لِأَنَّ آلَ كَثِيرٍ سَيَمُوتُونَ مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ فَاضَتْ
رُوحُهُ . . فَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْإِنْصَافِ ؛ فَإِنَّهُ عِنْدِي أَكْبَرُ مِنْ قَبُولَةِ عَائِظٍ ، وَلَجْدِيرُ
بِالنِّسَاءِ أَنْ لَا يَعْقُمْنَ مِنْ مِثْلِ هَوَيْدِيٍّ الْمَذْكُورِ .

مَسِيلَةُ آلِ كُدَّة^(١)

هِيَ واقعةٌ في شرقيِّ القروقرِ إلى الجنوبِ ، فيها حصنٌ للشيخِ سعيدِ بنِ عوضِ بنِ كُدَّة وهو حصنٌ رفيعٌ منيعٌ ، إذا أُتِيَ أعلاه بالكهرباءِ . . ذَكَرَكَ بقولِ البحريِّ [في «ديوانه» ٤١/١ من الكامل] :

عَالٍ عَلَى لَحْظِ الْعُيُونِ كَأَنَّمَا يَنْظُرْنَ مِنْهُ إِلَى بَيَاضِ الْمُشْتَرِي
وبما أَنَّ هذا مِنْ عِيُونِ الْأَشْعَارِ وفرائدها . فقد تولَّعَ الشَّريفُ الرَّضِيُّ باختلاسه ، فقال [في «ديوانه» ٢١٦/٢٠ من البسيط] :

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْأَعْدَاءِ يَلْحَظُهُمْ لَوَاحِظَ الصَّفْرِ فَوْقَ الْمَرْبِأِ الْعَالِي
وقالَ من أُخرى^(٢) [من البسيط] :

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الْأَعْدَاءِ يَلْحَظُهُمْ لَوَاحِظَ الصَّفْرِ فَوْقَ الْمَرْبِأِ الْعَلَلِ
ثمَّ كَانَ الشَّيْخُ سعيدُ لَيْزَ الْجَانِبِ ، سهلَ الْأَخْلَاقِ ، بعيداً مِنَ الشَّرِّ ، يحبُّ قِضَاءَ الْحَاجَاتِ ، وتفريجَ الْكُرْبَاتِ ، لا يَرُدُّ مَقْتِضاً قَطُّ ، ثمَّ إِنْ أعَادَ لَهُ ما اقْتَرَضَهُ . . وَثِقَ بِهِ ، وأَسْتَمَرَ عَلَى قِضَاءِ حَاجَتِهِ عِنْدَ كُلِّ طَلِبٍ ، وَإِنْ لم يَرُدَّ . . كانت الْفَيْصُولَةُ بدونِ مَطَالِبَةٍ فيما عِنْدَهُ .

مَاتَ آخِرَ سَنَةِ (١٣٦٠هـ) .

وقد خَلَفَ عِدَّةُ أولَادٍ غَائِبِينَ ، وما كَانَ حَاضِراً عِنْدَهُ يَوْمَ تَوَفِّيهِ إِلَّا وَلَدَانِ ، أَحَدُهُمَا صَغِيرٌ ، وَالْآخَرُ هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ ، وَكَانَ مِنْ أَوْفَى الْخَلْقِ ذِمَّةً ، وَأَصْدَقِهِمْ لَهْجَةً ، وَأَوْفَاهُمْ عَهْداً ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ ، بل مَاتَ وَشَيْكَاً بَعْدَ الْوِلْدَةِ فِي سَنَةِ (١٣٦٢هـ) ، فَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِهِمْ رَجُلٌ تَوَاطَا مَعَ قَاضِي سَيْثُونَ وَوَزِيرِهَا ، وَأَرْضَاهُمْ حَتَّى أَثْبَتُوا رُشْدَ وَلَدِ الشَّيْخِ سَعِيدِ الَّذِي ذَكَرْنَا أَنَّهُ صَغِيرٌ ، وَالْحَالُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ

(١) آل كُدَّة - بضم الكاف فتشديد الدال المكسورة - : فخيذة من آل عامر من بطون آل كثير ، ومنهم جماعة بالمهرة يسكنون محيف .

(٢) لم نعر في «الديوان» المطبوع على هذا البيت في قصيدة غير التي ذكرناها .

الرُّشْدِ مسافاتٌ فيح ، تلغُبُ بينَهُنَّ الرِّيحُ ، فنابَ ذلكَ الرُّجُلُ عنهُ ، وأساءَ الصَّنِيعَ ، وعملَ فيهِم بوصيَّةَ الحَطيئةِ^(١) ، فتزوَّجَ مخلَّفةَ الشَّيخِ سعيدي عوض ، وخضمَ^(٢) أموالَهُم خَضْمَةَ الإِبِلِ نَبْتَةَ الرَّبِيعِ ، وليتَهُ وقفَ عندَ ذلكَ الحدُّ ، بل ما كفاهُ ذلكَ حتَّى طردَ ولدَ مُحَمَّدِ بنِ سعيدي عن حصنِ أبيهِ وجَدِهِ ، فأثيَّ محبٌّ لا يشتكي مِن الأَلمِ ؟ وقديماً كانَ يقالُ : مِنِ أسترعى الذُّئْبُ . . ظلمَ ، وجاءَ في تلكَ الديارِ موضعَ قولِ القائلِ [مِنَ الكَاملِ] :

عَرَصَاتُ عِزٍّ كَانَ يُذَكِّرُ أَهْلَهَا بِالْخَيْرِ خَيْمَ فِي رُبَاهَا أَلُّومٌ
وقدِ أَتَاهُمَ هَذَا الرَّجُلُ بِالْمِشَارِكَةِ فِي قَضِيَّةِ عُبيدِ صَالِحِ بنِ عِدَاتٍ ، فأصابَهُ شُؤْبُوبٌ مِنِ أَلْبَاءِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ ، فكَسَبُوا حَصْنَ الشَّيخِ سعيدي مِن أَجْلِهِ ، وأخذوا شيئاً ممَّا فيه ، إِلاَّ أَنَّهُ اسْتَغْلَى ذَلِكَ فَأَتَاهُمُ بِأَكْثَرِ ممَّا أَخَذُوا ؛ لِيَبْرَرَ خِيَانَتَهُ بِذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الْحَقَائِقَ لَا تَخْفَى عِنْدَ الْبَرِيِّ مِنَ الْغَرَضِ . وما فِي مَسِيلَةِ آلِ كُدَّةِ أَلاَّ أَكْثَرَ مِنِ خَمْسَةِ عَشَرَ رَجُلًا .

ومنها كانَ عامرُ بنُ كُدَّةِ قاتِلُ عَائِظِ بنِ سَالِمِينَ ، وولدهُ بَشْرُ بنُ عامِرٍ ، كانَ معمورَ أَلْفَنَاءِ ، مَفْتُوحَ أَلْبَابٍ ، ولذا تراكَمتَ عليه الدُّبُيُونُ ، وكانَ يُعْطِي لَغْرَمَائِهِ عُهُدَةً فَوْقَ عُهُدَةٍ مِن حَيْثُ لَا يَشْعُرُ أَحَدُهُم بِالْآخِرِ ، ومَرَّ ذَلِكَ فِي سِتْرِ جُودِهِ وَكَنَفِ سِيَّاسَتِهِ حتَّى تَوَفَّى فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٦٢ هـ) ، فَأَنكَشَفَ الْأَمْرُ .

وفي جَنُوبِهَا مائِلاً إِلَى جَهَةِ الْغَرْبِ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : بَارْفَعَةٌ ، فِيهِ شَخْصٌ وَاحِدٌ مِن آلِ السَّقَّافِ يَحْتَرِفُ بِالرُّبَا .

وجماعةٌ مِن آلِ هَذَبُولٍ ، ونحوَ عَشْرِينَ رَجُلًا مِن آلِ عَمَرَ بنِ طَالِبٍ .

وإِلَى جَنُوبِهِ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : الْعَادِي ، فِيهِ نَحْوُ عَشْرَةِ رِجَالٍ مِن آلِ كُدَّةِ ، رِئِيسُهُم : بَدْرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ كُدَّةِ .

(١) روى أبو الفرج الأصفهاني في « الأغاني » (١٨٨-١٩٠) وصية الحطيئة مطولة . . فلتنظر هناك .

(٢) خضم : قطع .

وفي جنوبه إلى الشرق : مَكَانُ آلِ الوُعْلِ ^(١) ، فيه منهم نحو عشرة رجالٍ .
ثم : مكانُ آلِ فحيثا ، فيه منهم نحو عشرين رجلاً .

الْحَاوِي ^(٢)

فيه جماعةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ ، أَخِي الْقَطْبِ الْحَدَّادِ ، مِنْ
أَوَاخِرِهِمْ : السَّيِّدُ جَعْفَرُ بْنُ طَلْحَةَ الْحَدَّادِ ، وَكَانَ مُضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالْأَيْدِ ، حَتَّى
لَقَدْ أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ مِنَ الصُّيُنِيِّينَ فِي بَتَاوِي فَهَزَمَهُمْ ، وَأَنْخَنَ فِيهِمْ ضَرْباً وَلَكُماً ،
وَلَمَّا رُفِعَتْ عَلَيْهِ الدَّعْوَى . . قَضَى لَهُ الْحَاكِمُ الْهولَنْدِيُّ بِالْبَرَاءَةِ .

وَأَنشَدَ بِلِسَانِ حَالِهِ قَوْلَ الْمَرْأَةِ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

تَجَمَّعْتُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَوَجْهَةٍ عَلَى وَاحِدٍ لَأَزِلُّهُ قَرْنَ وَاحِدٍ
وَكَانَ يَخْرُجُ بِانْتِي عَشْرَ جَمَلًا مُوقَرَةً مِنْ عَدَنِ إِلَى مَكَانِهِ الْحَاوِي وَخَدَهُ ، لَا يُعِينُهُ
أَحَدٌ - فِي حَطِّهَا وَتَرْحَالِهَا - مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ، وَلَهُ أَوْلَادٌ كَثِيرٌ ^(٣) :

منهم : السَّيِّدُ طَلْحَةُ بْنُ جَعْفَرٍ ، يُكْرَمُ الضُّيُوفَ ، وَيَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ ، وَيَصِلُ
الْأَرْحَامَ ، وَيُوَاسِي الْمُنْقَطِعِينَ مِنَ الْأَنَامِ ، وَلَهُ مَحَبَّةٌ فِي الْخَيْلِ ، وَمَهَارَةٌ فِي رُكُوبِهَا
عَلَيْهَا كَسَائِرِ أُسْرَتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَهُوَ أَلَانَ بِجَاوَةِ فِي قَرْيَةٍ تَقَرُّبُ مِنْ بَتَاوِي .

(١) آل الوعل ، منهم الشاعر الشعبي المعروف عايض الوعل ، وهم من بطون كندة .

(٢) ويقال له : حاوي الحوطة ؛ تمييزاً له عن الحاوي الشهير الذي بقرب تريم ، وسيأتي ذكره ، وأول من
سكنه من السادة آل الحداد هو الحبيب العلامة طلع بن عمر بن علوي الذي أصهر على ابنة الحبيب
أحمد بن زين وهي الشريفة (الحبابة) سلمى بنت أحمد ومنه تسلسلت ذرية آل طلع بن عمر ، وأما آل
محمد بن عمر . . فلهم وجود بستيون ونواحيها ، ومنهم جماعة بشبام .

(٣) لم يذكر سنة وفاته بالأصل ، ولم يترجم له في « نور الأبصار في مناقب الهدار » ، ومن ذريته : السيد
الفاضل عباس بن عبد الله بن جعفر الحداد ، ولد بالجهة الجاوية حدود عام (١٣٣٧ هـ) ، وأخرجه
والده إلى حضرموت للدراسة في رباط تريم ، وانقطعت أخباره عن والده بسبب الحرب العالمية ،
وعاش زمناً بين شبام والغرفة والحوطة ، ثم استقر به الأمر في الشحر ، وهو بها الآن .

ومنهم : السَّيِّدُ طَهَ بْنَ عَلِيٍّ^(١) ، وصلَ الحاوي عمًّا قريب ، وهو رجلٌ صالحٌ مشاركٌ في طرفٍ مِنَ الْعِلْمِ ، وقد سرَّني لقاءُهُ في ربيعِ الْأَوَّلِ مِنْ عامِنَا هَذَا بِالْحَوْطَةِ ؛ لِأَنَّهُ يَناهزُ الثَّمانينَ ، وقد أدركَ الرَّجَالَ وأخذَ عنهم ، فأطربني بِأَحاديثِهِ الشَّهِيَّةِ عَنْهُمْ ، في أخبارهم حتَّى تذكَّرتُ قولَ العباسِ بنِ الْأَحْنَفِ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

وَحَدَّثْتَنِي يَا سَعْدُ عَنْهُمْ فَزِدْتَنِي شُجُونًا فَرَزْدَنِي مِنْ حَدِيثِكَ يَا سَعْدُ

ومِمَّا أَفادني في ذلكَ الْيَوْمِ أَنَّهُ قَالَ : حضرتُ مجلساً ببتاوي شهدهُ كثيرٌ مِنْ أعيانِ الْعُلُوِّيِّينَ ؛ منهمُ الْحَبِيبَانِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْمِخْضَارُ وَمُحَمَّدُ بْنُ عِيدروسِ الْحَبْشِيُّ فَأَنشدَ ولدي مشهورٌ قصيدةً بصوتٍ شجيٍّ ، أَثْلجتْ خواطرَهُمْ ، وَمَلَكتْ سرائِرَهُمْ ، وَأَسْتَجَلَبَتْ خشوعَهُمْ ، وَأَسْتَمْطَرَتْ دموعَهُمْ ، وَلَمَّا سألوا عنها . . قال ولدي مشهورٌ : إِنَّهَا لَكَ - يَعْنِينِي - قَالَ : فَاطَنَبَ الْحَبِيبُ مُحَمَّدُ الْمِحْضَارُ في تفضيلِكَ وفي الثَّنَاءِ عَلَيْهَا وَعَلَيْكَ ، حتَّى اسْتغرَقَ ذلكَ الْمَجْلِسَ الَّذِي حضرَهُ جماعةٌ مِنْ أَصحابِكَ ؛ منهمُ : السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بنِ طَهَ السَّقَّافُ ، وما أَظُن ذلكَ إِلَّا قد بلغَكَ من أَحَدِهِمْ .

فقلتُ لَهُ : كَلَّا وَإِنَّ تَوَكَّنَ^(٢) غُرْبَانِ الْأَحْسَادِ في صدورهم لِيَمْنَعُهُمْ عن مثلِ ذلكَ ؛ إِذْ هم كما قالَ طَريحُ بْنُ إِسماعيلَ الثَّقَفِيُّ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ أَخْفَوْهُ وَإِنْ سَمِعُوا شَرًّا أَذَاعُوا وَإِنْ لَمْ يَسْمَعُوا كَذَبُوا

وكما قالَ الشَّرِيفُ الرِّضِيُّ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

إِنْ عَايَنُوا نِعْمَةً مَاتُوا بِهَا كَمَدَا وَإِنْ رَأَوْا غَمَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا

وللسَّيِّدِ طَهَ هَذَا وَلِذَلِكَ يَقَالُ لَهُ : أَحْمَدُ مشهورٌ ، أديبٌ ذكيٌّ ، وهو الآنَ في ممباسا مِنَ الْسَّوَاخِلِ الْأَفْرِيقِيَّةِ ، وقاضي الحاوي الآنَ هوَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَهَ الْحَدَّادُ ، حسنُ السَّمْتِ ، كثيرُ التَّواضُعِ^(٣) .

(١) السيد طه بن علي بن عبد الله الهدار الحداد ، ولد (بجاوة) ، وتوفي بالحاوي سنة (١٣٦٨ هـ) .

(٢) تَوَكَّنَ : عَشِشَ ، وَالْوَكْنُ : عَشِ الطَّائِرُ .

(٣) أَضِيفَ فِي هَامِشِ الْمَخْطُوطِ : (توفي السيد عبد الله هذا في عامنا بعد إِنْجَازِ هَذَا) .

وادي بن علي^(١)

بما أننا ذكرنا بعض حُصُون وقرى السَّليلِ ، وكانت الحَوْطَةُ في جنوبِهِ ، وهي آخرُ بلادِ وادي ابنِ عليٍّ . . اقتضى الحالُ أَنْ ننتقلَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ نعودُ لما نزلَ عنه مِنْ باقي السَّليلِ .

فوادي ابنِ عليٍّ داخلٌ في النَّجدِ الجنوبيِّ كدَوَعَنَ ووادي العينِ وساءَ وما لَقَّها ، وهو أكبرُ أوديةِ حَضْرَمَوْتِ ، حتَّى إِنَّهُمْ ليقولونَ : لا يضرُّ بحَضْرَمَوْتِ جذبٌ متى أخْصَبَ ، ولا ينفَعُ خِصْبُها متى أجْدَبَ .

وهو واسعُ الأَطْيَانِ والشَّراجِ ، كثيرُ القرى ، ونحنُ نذكرها على حسبِ مواقعِها ، مبتدئينَ مِنْ أعلاهُ الجنوبيِّ .

فأَوَّلُ قراهُ : القَيْرِجُ^(٢) ، وديارُ الرِّمالِكةِ وآلِ مُنِيفٍ . ثُمَّ : عُقْدَةُ الوِهاَلينِ . ثُمَّ : البَرِيكةِ لآلِ ثَابِتٍ . ثُمَّ : جُروبِ البَرِيكةِ .

وهاتِهِ القرى والشَّراجُ بَيْنَ مَسِيلَيْنِ للماءِ ، أوسعُها الغَربِيُّ ، وأَمَّا الشَّرْقِيُّ . . فَإِنَّهُ ساقِيتانِ بَيْنَهُمَا العَقْبَةُ ، ثُمَّ الظَّاهِرَةُ ، ثُمَّ تلتقيانِ .

وأَمَّا الغَربِيُّ : فَمِنْ ورائِهِ قرىٌ كثيرةٌ ، مِنْ جنوبِهِ إلى شمالِهِ ، أَوَّلُها : الخُصْمُ .

ثُمَّ : خموسة . ثُمَّ : الظَّاهِرُ . ثُمَّ : ديارُ آلِ مباركٍ . ثُمَّ : عَزْضُ الرَّبِيعَةِ . ثُمَّ : زَهْرُ الحِجَّانِ للسَّادَةِ آلِ الحامِدِ ؛ ومنهُمُ : السَّيِّدُ الصَّالِحُ الجليلُ ، صاحبُ المناقبِ

(١) ينسب وادي بن علي إلى قبيلة آل علي جابر من الشنافر ، والشنافر يطلق كما سبق على آل كثير ، وآل علي جابر ، والعوامر ، وآل باجري ينظر « أدوار التاريخ الحضرمي » (٣٧٦) وما بعدها .
ومن فخاند آل علي جابر : آل يمانى ، وآل حسن وهم سكان الوادي ، وآل عامر .

(٢) القيرج هذه لا تعدو كونها بيتين ، فيها السيد المعمر الصالح حسن بن صالح بن حسن الحامد ، المتوفى سنة (١٤٢٠ هـ) عن نحو (١٣٠) سنة ، وهو ممن أدرك مسند حضرموت الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ورآه عياناً ، وحصلت له منه الإجازة العامة ، حيث دخل في إجازته لأهل عصره .

الكثيرة ، والكرامات الشَّهيرة حامدُ بنُ حسن^(١) . ومنهم : ولدُه محمَّد ، شهمُ نافذٌ في الأمور ، فيصلٌ في الأحكام .

ثمَّ : باهزِيل . ثمَّ : رُكبة محيِصن . ثمَّ : جروب آل جعفر المِسيطي . ثمَّ : مَوْشَح^(٢) . ثمَّ : جَذْفرة الصَّيْعِر . ثمَّ : السَّقُوله لآل سيف . ثمَّ : بامْعَد . ثمَّ : بامْعَدان لآل عبد الله محمَّد من آل مرعيِّ بن طالب ، كانَ منهم صديقي الوفيُّ ، الشَّيْخُ طالبُ بنُ مرعيِّ ، رجلٌ شهمٌ ، مستوي السَّريرة والعلانية ، إذا وعد.. صدق ، وإذا قال.. وفى ، ذهبَ مع ظلمِ ألبابانيين ، وكانَ آخرَ العهدِ به - رحمهُ الله عليه - وله عدَّةُ أولادٍ نجباء ؛ منهم : محمَّد وعوضٌ ، إلَّا أنَّ الأوَّلَ يتشدَّد في مبادئ الإرشاديين ، والثَّاني يتقبَّلُه .

(١) الحبيب حامد بن حسن الحامد من آل الشيخ أبي بكر بن سالم ، وكان يلقب : (بياع السيول) لظهور كراماته وانتشارها بين الناس ، توفي أواسط القرن الرابع عشر .

(٢) موشح هذه كانت بلاداً وبيئة مشهورة بكثرة الجن ، وكانوا في زمن الإمام الحداد يتخطفون الصغار ، فوضع الإمام الحداد راتبه الشهير لما اشتكى أهلها عنده .

وبها سادة من آل العطاس ، منهم السيد الفاضل الحبيب أحمد بن حسين بن محمد بن شيخ بن أحمد بن حسين بن محسن بن حسين بن الحبيب عمر العطاس ، المتوفى نحو سنة (١٣٩٢هـ) ، وكان مولده بسدة ، ثم انتقل إلى موشح وتديرها ، وبها ولد ابنه السيد حسين بن أحمد الموجود بها الآن .

ومن موشح هذه نجح بعض من آل باقلاقل وسكنوا شبام ، وهو الفاضل هادي باقلاقل ، والد سعيد ومبارك ابني هادي ، وكان الشيخ مبارك هذا من الفضلاء الصالحين ، شديد الملازمة للسادة آل سميط ، لا سيما الحبيب مصطفى بن عبد الله ، وكان ابنه الشيخ الفاضل محفوظ بن مبارك من طلاب العلم النابهين ، تخرج من المدرسة الشرقية عند الشيخ محفوظ المصلي ، ولازم السيد عبد الله بن مصطفى إلى وفاته ، وهو مقيم بالخبر شرقي السعودية .

وابن عمه الشيخ الفقيه الدكتور صالح بن سعيد بن هادي - المولود بشبام حدود (١٣٦٥هـ) ، والمتوفى بالمدينة المنورة في (١٤١٧هـ) - كان عالماً فاضلاً ، ذكياً ألمعياً ، خفيف الظل ، درس بشبام على يد السيد عبد الله بن مصطفى ، وبترميم على السيد محمد بن سالم بن حفيظ وشيوخ الرباط ، ثم واصل دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية المدينة المنورة ، وتخرج منها بدرجة الدكتوراه عام (١٤٠٧هـ) تقريباً ، وظل مقيماً بها حتى توفي في التاريخ المذكور آنفاً ، رحمه الله وخلفه بخلف صالح .

ثُمَّ : مَسْجِدُ الثُّورِ . وَمِنْ وَرَاءِ السَّاقِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ : الْمَصْنَعَةُ . ثُمَّ : ظُلُومٌ . ثُمَّ :
حَبْرُهُ . ثُمَّ : النَّخْشُ . ثُمَّ : الرَّوْضَةُ . ثُمَّ : دِيَارُ الصُّوَيْلِ .

ثُمَّ : بِلَادُ الْغُرَيْبِ^(١) وقد كانت معمورة ، وفيها جامعٌ وصدقاتٌ واسعةٌ .
وفيها : الشَّيْخُ حَارِثُ بَاشِرَاحِيلَ ، جَدُّ آلِ بَاشِرَاحِيلَ ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ
بَاشِرَاحِيلَ ، وَهُوَ الَّذِي بَشَّرَ بِالْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ ، وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ ، وَلَمُوتِهِ قِصَّةٌ
تُوجَدُ فِي « مَجْمُوعِ » كَلَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ .

وَفِيهِ : أَنَّهُ كَانَ فِي شَبَابِهِ عَلَى زِيٍّ الْجَنْدِ ، حَتَّى لَفِيَهِ بَعْضُ السَّادَةِ بِتَرِيمٍ فَقَالَ لَهُ :
ابْنُ مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : ابْنُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بَاشِرَاحِيلَ ، فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ : حَاشَا مُحَمَّدٍ
بَاشِرَاحِيلَ مِنْكَ ، فَوَقَعْتَ مِنْ قَلْبِهِ ، وَجَاءَ إِلَى مَسْجِدِ حَارِثٍ ، وَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ
لَا يَخْرُجَ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْتَمَ الْقُرْآنُ ، ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ .

وَمِنْ بِلَادِ الْغُرَيْبِ أَيْضاً : الْفَقِيهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ بَاشِرَاحِيلَ ، مِنْ مَشَايِخِ
الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ .

وَقَدْ ذَكَرْتُ فِي الشُّعْرِ أَنَّ آلَ بَاشِرَاحِيلَ يَرْجِعُونَ إِلَى عِبَاهِلَةَ حَضْرَمَوْتَ ، وَالذَّلِيلُ
عَلَى ذَلِكَ : قَوْلُ الْعَلَامَةِ الْمُحَقِّقِ الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، صَاحِبِ الْحَمْرَا ، فِي
مَنَاقِبِ شَيْخِهِ الْعِيدَرُوسِ : (وَجَدْتُ بِخَطِّ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاشِرَاحِيلَ الْعَبْهَلِيِّ
الْحَضْرَمِيِّ ..) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ الَّتِي رَوَاهَا عَنْ شَيْخِهِ فَضْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَضْلِ الَّتِي
لَا يَعْنِينَا مِنْهَا إِلَّا قَوْلُهُ : (الْعَبْهَلِيُّ) ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ الشَّيْخَ أَحْمَدَ لَيْسَ إِلَّا مِنْ آلِ
بَاشِرَاحِيلَ الْمَذْكُورِينَ .

وَالْعِبَاهِلَةُ هُمُ الْمَشَارُ إِلَىهِمْ بِقَوْلِ نَشْوَانَ بْنِ سَعِيدٍ الْحَمِيرِيِّ [مِنَ الْكَامِلِ] :

وَعَبَاهِلٌ مِنْ حَضْرَمَوْتَ مِنْ بَنِي حَمَّادٍ وَالْأَشْبَا وَآلِ صَبَاحٍ

قَالَ فِي شَرْحِهَا : (الْعِبَاهِلَةُ : الَّذِينَ أَقْرَأُوا عَلَى مُلْكِهِمْ لَا يُزَالُونَ عَنْهُ ، وَمِنْ ذَلِكَ :
كِتَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْأَقْيَالِ وَالْعِبَاهِلَةِ مِنْ آلِ حَضْرَمَوْتَ .

(١) بِلَادُ الْغُرَيْبِ هَذِهِ انْدَثَرَتْ الْآنَ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا أَثَرٌ .

وذو حَمَادٍ وذو جَدَنَ بَطْنَانِ مِنْ وَلَدِ الْحَارِثِ بْنِ حَضْرَمَوْتَ بْنِ سَبَأِ الْأَصْغَرِ ،
وكذلك سَبَأُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَهُمْ الْأَشْبَاءُ ؛ مِنْهُمْ : مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَاتِلُ
مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ بَيْسْتِ (١) اهـ (١) ، وقد فَصَّلْتُ مَقْتَلَ مَعْنِ بِـ « الْأَصْلِ » .

وفي سَنَةِ (٥٨٣ هـ) بُنِيَ مَسْجِدُ الْغَرِيبِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَا بُنِيَ فِي الْقَرْيَةِ .
وَمِنْ وَرَاءِ بِلَادِ الْغَرِيبِ إِلَى الشَّمَالِ : دِيَارُ آلِ عُبُودٍ . ثُمَّ : بَلْعَقَبَةَ . ثُمَّ : زَيْدٍ ؛
وهي : دِيَارُ وَشِرَاجٍ كَانَتْ لآلِ عِبْدَاتٍ ، ثُمَّ غَلِبَهُمْ عَلَيْهَا آلُ مَرْعِيٍّ بْنِ طَالِبٍ وَأَخَذُوهَا
مِنْهُمْ عُنُوةً عَلَيْهِمْ بِعَقِبِ قِتَالٍ ، مَفْصَلُ خَبْرُهُ بِـ « الْأَصْلِ » . ثُمَّ : مَحَلُّ الصُّفْعَانِ . ثُمَّ :
جِفْلٍ (٢) ؛ وَهُوَ مَكَانٌ وَاسِعٌ ، فِيهِ جَمَلَةٌ قَرَى ، أَوَّلُهَا مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ : الْجِدْفِرَةُ :
لآلِ سَلَامَةَ بْنِ مَرْعِيٍّ . ثُمَّ : الْجَوَّةُ : وَهِيَ حَوْطَةُ الشَّرِيفَةِ سُلُومِ بِنْتِ زَيْنِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ هَاشِمٍ الْمَقْبُورِ بِالْحُسَيْسَةِ . ثُمَّ : سِحِيلُ الْفُقَرَا : فِيهِ آلُ بَاشِرَاحِيلَ وَغَيْرُهُمْ .
وَمِنْ الْأَصْطِلَاحِ أَنَّ مَنْ وَضَعَ السِّلَاحَ يَقَالُ لَهُ : تَفَقَّرَ ، وَكَانَ آلُ بَاشِرَاحِيلَ وَضَعُوا
السِّلَاحَ وَدَخَلُوا فِي طَرِيقِ التَّصَوُّفِ ، فَقِيلَ لَهُمْ : فَقَرَاءُ ، وَنُسِبَتْ إِلَيْهِمْ هَذِهِ الْقَرْيَةُ .
وَفِيهَا أَيْضاً آلُ السَّقَافِ ؛ مِنْهُمْ :

الْمَرْحُومُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ سَبُولُ السَّقَافِ ، السَّابِقُ ذَكَرَهُ فِي
الشَّحَرِ ، وَعَبَدَ اللَّهَ هَذَا أَحَدُ صُدُورِ الْعَلَوِيِّينَ وَوَجْهَانِهِمْ ، تَوَفَّى بِسِنَاغُورَةِ فِي أَيَّامِ
أَلْيَابَانِ ، وَلَهُ وَلَدٌ نَشِيطٌ يُسَمَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ .

وَأَكْبَرُ مَا يُطْلَقُ جِفْلٌ عَلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَالنَّاسُ يَلْفِظُونَ بِهَا بِالْجِيمِ وَيَكْتُبُونَهَا كَذَلِكَ ،
وَلَكِنَّ الْحَبِيبَ مُحَمَّدَ بْنَ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ ضَبَطَهَا فِي « قُرَّةِ الْعَيْنِ » بِالْيَاءِ الْمَثْنَاةِ مِنْ
تَحْتِ ، مَعَ أَنَّهَا تُطْلَقُ أَيْضاً عَلَى الْجِهَةِ عَامَّةً ، وَفِي « تَارِيخِ الطَّيِّبِ بِأَفْقِيهِ » أَنَّ الْفَقِيهَ
الْصَّالِحَ أَبَا بَكْرَ بْنَ مُحَمَّدٍ بَلْحَاجٍ وَالْوَلِيَّ الصَّالِحَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمَرَ بَاهِرْمِزٍ تَوَفَّيَا فُجَاءَةً
بِيفْلٍ فِي سَنَةِ (٩٠٤ هـ) .

(١) « خلاصة السيرة » (٢١٣) .

(٢) وتنطق (يفل) ، بكسر الياء والفاء ، وفيها مسجد ينسب لبعض المشايخ آل باصهي فقهاء شبام ، ولعله
الفقيه سالم بن عبد الرحمن باصهي القديم .

وقد بناها آل جميل السَّعْدِيُّونَ بمساعدة آل يمانِيٍّ وآل أحمدَ والصَّبرَاتِ ، وآلِ
 ثعلبٍ ، وصاحبِ مريمه ، وبعضِ آل كثيرٍ ، وكان هؤلاء اتَّفَقُوا في سَنَةِ (٨٤٥هـ)
 للقضاءِ على الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ ، وحاصروا الحصنَ الَّذِي بَنَتْهُ في الغُرفةِ شَهرينَ ، فانتَهَزَ
 تلكَ الْفرصةَ آلُ جميلٍ وأبَتُوا قريةَ جَفلَ بمساعدةِ أولئك^(١) ، وكانَ ذلكَ في أَيَّامِ
 السُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْكَثِيرِيِّ^(٢) ، أَلَمَتَوْفِي سَنَةِ (٨٥٠هـ) .

وقالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ بِاجْمَالٍ في كتابِهِ « مَقَالِ النَّاصِحِينَ » : (حُكِيَ أَنَّ
 السُّلْطَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلِيٍّ حَاصِرَ بَنِي سَعْدٍ بِقَرْيَةِ جِفلٍ في رَمَضَانَ ، فناداهُ أَحَدُهُمْ وقالَ
 لَهُ : أهْذهِ صَدَقَتُكَ؟! ، فَأَرْتَحَلَ عَنْهُمْ .

ويُحكى : أَنَّهُ أَهْدَى فَرَساً لِفَاضِلٍ بِالْكَرُوسِ السَّعْدِيِّ ، ولما أَرَادَ اللُّهُوقَ بِأَصْحَابِهِ
 وَهُمْ حَرْبٌ لِّلْسلْطَانِ . . رَدَّ فَرَسَهُ ، وقالَ : حاشا لِلَّهِ أَنْ أَسْتَعِينَ عَلَيْهِ بِفَرَسِهِ) .

وقد ذَكَرْتُ لِهَذهِ أَمْثالاً كَثيرةً في « بَلابِلِ التَّغْرِيدِ » تَسْتَخْرِجُ التَّرْحِمَ عَلَى أَهْلِ الْوَفَاءِ
 مِنْ أَعْمَاقِ الْقُلُوبِ ، وَصَوَادِقِ الْأَلْسِنَةِ .

وعلى ضِدِّها ما جَاءَ في الثَّوْرَةِ الْعَرَبِيَّةِ : أَنَّ الشَّرِيفَ فَيصَلَ بْنَ الْحُسَيْنِ تَسَلَّمَ
 عَشْرَاتِ أُلُوفِ الدَّنَانِيرِ مِنَ الْأَتْرَافِ في اللَّيْلَةِ الَّتِي أَعْلَنَ حَرْبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ صَبِيحَتِهَا .

وإِنِّي لَأَعْجَبُ مِمَّنْ يُسَمَّى : الْحُسَيْنَ الْمُنْقَذَ . . بعد ما شاعَ أَنَّهُ أَخَذَ الْمُسْلِمَاتِ مِنْ
 نِسَاءِ الْأَتْرَافِ وَهُنَّ مُتَعَلِّقَاتٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ ، وَسَلَّمَهُنَّ في جَمَلَةٍ الْأَسْرَى لِلْإِنْكِلِيزِ
 مَجْرَدَاتٍ^(٣) ، معَ أَنَّ الدَّوْلَةَ الْعُثْمَانِيَّةَ هِيَ الَّتِي رَبَّتْ شَخْمَ كُلَّاهِ .

أَقُولُ هَذَا لا عَنْ تَعْصُّبٍ ، بَلْ لَوْ كَانَتْ بِي مُحَابَاةٌ . . لَحَابِيتُهُ ؛ إِذْ لَمْ يَكْتُبْ لِأَحَدٍ
 بِحُضْرَمَاتٍ غَيْرِي بِنَاءَ تِلْكَ النَّهْضَةِ الْمَشْؤُومَةِ ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ فَوْقَ كُلِّ عَاطِفَةٍ ، وَلِئِنْ

(١) « تاريخ شنبل » (١٧٧) .

(٢) السُّلْطَانُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَمَرَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ بَدْرِ الْكَثِيرِيِّ ، تَوَلَّى حُكْمَ حُضْرَمَاتٍ مِنْ سَنَةِ (٨٢٥هـ)
 تَقْرِيْباً إِلَى وَفَاتِهِ بَعِيدَ سَنَةِ (٨٥٠هـ) ، « تاريخ الدولة الكثيرية » : (٢٠-٢٢) .

(٣) ولقد كُوفِيَ عَلَى فِعْلِهِ هَذَا بِأَن سَجَّتهِ حُكُومَةُ الْإِنْكِلِيزِ بِجَزِيرَةِ قَبْرِصَ ، وَمَاتَ فَقِيراً جَائِعاً شَرِيداً طَرِيداً ؛
 مَصْدَاقِيَّةَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَعَانَ ظَالِماً عَلَى ظَلَمَةٍ . . سَلَطَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ » .

صَحَّتِ الْأَخْبَارُ بِأَخْذِهِ نِسَاءَ الْأَتْرَاكِ الْقَانِتَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . . فَمَا هُوَ إِلَّا أَمْرٌ عَظِيمٌ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

وَأَنْظُرْ فَرْقَ مَا بَيْنَ هَذَا وَمَا فَعَلَهُ الْإِمَامُ يَحْيَى ؛ فَلَقَدْ أَحْسَنَ وَأَفْضَلَ ، وَأَعَانَ وَأَجْمَلَ ، وَلَمْ يَخْذُلِ الدَّوْلَةَ الْعُثْمَانِيَّةَ عِنْدَمَا تَقَاصَرَتْ خُطَاهَا ، بَلْ سَاعَدَ بِمَا أَشْرْنَا إِلَى قَلِيلٍ مِنْهُ فِي « الْأَصْلِ » ، مَعَ مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَشْلَاءِ الْمَمْرُوقَةِ ، وَالْأَرْوَاحِ الذَّاهِبَةِ .

فَلَقَدْ أَخْبَرَنِي الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ طَلْهٍ الْهَتَارِيُّ^(١) قَالَ : (أَخْبَرَنِي خَلِيلُ أَفَنْدِي ، أَمِينُ صَنْدُوقِ الْحَدِيدَةِ لِلْأَتْرَاكِ فِي أَيَّامِهِمْ : أَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي حُرُوبِ الْيَمَنِ مِنْ عَسَاكِرِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ يَبْلُغُونَ بِالْإِحْصَاءِ الرَّسْمِيِّ سَبْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ) وَلَا بَدَّ بِالطَّعِجِ أَنْ يُقْتَلَ مِنَ الْيَمَانِيِّينَ مَا يُنَاسِبُهُمْ ، وَلَكِنَّ الْإِمَامَ يَحْيَى أَظَارَتْهُ الرَّحِمُ الْإِسْلَامِيَّةُ ، فَحَيَّاهُ اللَّهُ وَبَيَّاهُ ، لَقَدْ أَقْتَنَى بِذَلِكَ كَمَالاً وَجَمَالاً ، وَتَأَثَّلَ بِهِ الشَّرَفُ الْخَالِدُ ، وَالْأَجْرُ الثَّالِدُ ، وَكَانَتْ لَهُ الْعَاقِبَةُ الْحَسَنَةُ .

وَبَلَّغَنِي : أَنَّهُ كَانَ يَثْنِي عَلَى الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْإِدْرِيسِيِّ بِأَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ أَسِيرًا وَلَا شَبْرًا مِنْ بِلَادِهِ لِلْأَجَانِبِ ، عَلَى كَثَرَةِ مَا أَبْتَرَّ مِنْ خَزَائِنِهِمْ مِنْ أَمْوَالٍ .
وَمِنْ وَرَاءِ جَفَلٍ إِلَى الشَّمَالِ :

حَصْنُ آلِ الرَّبَاكِيِّ

وَهُوَ أَطْلَالُ حَصْنٍ دَائِرٍ ، بِقُلَّةٍ قَارَةٍ شَاهِقَةٍ ، فِيهَا بَنْزٌ عَمِيقٌ ، وَفِي جَانِبِ تِلْكَ الْقَارَةِ غَارٌ يَصِلُ إِلَى الْبَيْتْرِ ، كَانَ أَحَدًا حَاصِرَ الْحَصْنِ ، وَلَمَّا أَعْيَاهُ . . حَفَرَ بِجَانِبِ الْقَارَةِ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الْبَيْتْرِ فَقَطَعَ عَلَى أَهْلِهِ الْمَاءَ .

وَقَدْ أَنْتَصَبَتْ الْقَرَائِنُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقَارَةَ هِيَ قَارَةُ الْأَشْبَاءِ ، وَمِنْهَا بَيْتُ نَشْوَانَ بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْفِ الذَّكْرِ ، وَقَدْ جَاءَ فِي « تَارِيخِ شَنْبِلٍ » : أَنَّ قَارَةَ الْأَشْبَاءِ عِنْدَ آلِ حَسَنِ ،

(١) كَانَ إِمَامًا وَخَطِيبَ مَسْجِدِ الْهَتَارِيِّ بَعْدَهُ ، فِي التَّوَاهِي ، كَانَ فَاضِلًا مُشَارِكًا فِي الْعِلْمِ ، وَلَهُ اتِّصَالٌ بِالْعَلَامَةِ عَلَوِيِّ بْنِ طَاهِرِ الْحَدَادِ ، وَبَيْنَهُمَا مَكَاتِبَاتٌ .

وهم من بني سعدٍ كما سيأتي في الحوطة^(١) .

وفي أخبارِ سَنَةِ (٨٠٨ هـ) : (أَنَّ آلَ جَمِيلٍ بَنُوا قَارَةَ الْأَشْبَاءِ) ، وَكَأَنَّهَا خَرِبَتْ سَرِيعاً ؛ ففِي « تَارِيخِ شَنْبِلٍ » : (أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ بَنَى قَارَةَ الْأَشْبَاءِ فِي سَنَةِ ٨٢٧ هـ)^(٢) .

وفي أخبارِ سَنَةِ (٨٤٠ هـ) أَنَّ الْكَثِيرِيَّ أَخْرَبَ بِأَهْزِيلَ بِجَهَةِ الْغُرَيْبِ وَالْأَشْبَاءِ ، وَكَانَتْ تَحْتَ يَدِهِ يَوْمَئِذٍ .

فَكُلُّ هَذِهِ الْأَخْبَارِ تُرْجِّحُ أَنَّهَا هِيَ هَذِهِ الْقَارَةُ ، وَلَا يُغَيِّرُ عَلَيْهِ قَوْلُ أَبِي الْحَاثِكِ الْهَمْدَانِيِّ : (ثُمَّ حَوْرَه ، وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ لِبَنِي حَارِثَةَ مِنْ كَنْدَةَ ، ثُمَّ قَارَةُ الْأَشْبَاءِ ، وَهِيَ لَكَنْدَةَ) اهـ^(٣) .

فَإِنَّهُ قَدْ يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ قَارَةَ الْأَشْبَاءِ قَرِيباً مِنْ حَوْرَه ، وَلَكِنْ يُجَابُ عَنْهُ بِشَيْئَيْنِ : أَحَدُهُمَا : أَنَّ الْهَمْدَانِيَّ فِي « الْأَصْفَةِ » كَثِيراً مَا يُخْطِئُ فِي مَوَاضِعٍ قَرَى حَضْرَمَوْتَ وَتَرْتِيبُهَا ؛ كَمَا فَعَلَ فِي التَّجْرِيرِ .

وَالثَّانِي : أَنَّ الْأَشْبَاءَ^(٤) مَنَشُرُونَ فِي وَسْطِ وَادِي حَضْرَمَوْتَ وَأَسْفَلِهَا ، وَقَدْ قَالَ الْهَمْدَانِيُّ نَفْسَهُ فِي الْعَجَزِ - وَهُوَ أَسْفَلُ حَضْرَمَوْتَ - : (إِنَّهُ مَقْسُومٌ بَيْنَ الْأَشْبَاءِ وَحُمَيْرِ)^(٥) . وَأُخْرَى وَهِيَ الظَّاهِرُ : أَنَّ قَرْيَةَ الْأَشْبَاءِ فِي أَيَّامِهِ كَانَتْ فِي أَيْدِي أَهْلِهَا الْحَضْرَمِيِّينَ نَسَباً ، لَا فِي أَيْدِي كَنْدَةَ .

(١) فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٧٧١ هـ) ، (ص ١٣٤) .

(٢) « شَنْبِلٍ » (ص ١٦٨) ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ هُوَ أَخُو السُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْآنَفِ الذَّكْرُ ، تَوَلَّى بَعْدَهُ ، وَكَانَ مُعَوَّناً لِأَخِيهِ فِي فِتْرَةِ حُكْمِهِ ، وَقَدْ أَرْسَلَهُ فِي عَامِ (٨٢٥ هـ) إِلَى الْكُسْرِ لِإِخْضَاعِ أَهْلِهَا ، ثُمَّ جَعَلَهُ حَاكِماً عَلَيْهَا .

(٣) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (١٦٨) .

(٤) الْأَشْبَاءُ وَالْأَيُّزُونَ : كَانُوا سُكَّانَ شَبْوَهٍ مِنْ بَطْنِ حُمَيْرٍ ، وَقِيلَ يَنْسُبُونَ لـ (حَضْرَمَوْتَ) الْقَبِيلَةِ . وَتَقْدِمُ التَّعْرِيفُ بِالْأَيُّزُونَ . وَالْأَوَّلُ هُوَ مَا اعْتَمَدَهُ الْهَمْدَانِيُّ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ « الْإِكْلِيلِ » ، وَمِنْ فُرُوعِ الْأَشْبَاءِ : آلُ هَزِيلٍ ، وَآلُ فَهْدٍ ، وَآلُ الْحَارِثِ . « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ وَالْقَبَائِلِ » لِلْحَجَرِيِّ ، وَالْمَقْهَفِيِّ .

(٥) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ (١٦٩) ، وَفِي ص (١٩٣) قَالَ : (مُخْلَافُ شَبْوَهٍ ، يَسْكُنُهُ الْأَشْبَاءُ وَالْأَيُّزُونَ) اهـ

ثمَّ رحابةُ : وهي لآلِ عبيدِ بنِ مرعيٍّ . ثمَّ : سحيلُ غانمٍ . ثمَّ : التَّيْقُولُ ، وفيه حصنُ الشَّيخِ سالمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ يمانِيٍّ المَثْرِيَّ الشَّهيريِّ ، وقد أخبرني بسببِ سفره من حَضْرَمَوْتَ وبما كان يُؤمِّلُهُ يومئذٍ .

أمَّا سببُ سفره.. فقال : مرَّ ذاتَ يومٍ جابريٌّ في رداثِهِ قيدُ بعيرٍ يُقعِّعُ ، فظنَّه والدي ربالاً ، وكان يهوى الشَّرَّ لقومه آلِ مرعيٍّ بنِ طالبٍ الأَقْرَبينَ دياراً من آلِ جابرٍ ، فأطلقَ عليه الرِّصاصَ ، ثمَّ خَفَّ هوَ وعمِّي عبدُ اللهِ ، فلَمَّا أَكَبَ الثَّانِي عليه ليطعنه وفيه رمقٌ . . أَسْتَلَّ خنجرَهُ ومكَّنه من ثغرةِ عمي ، وفاضتَ روحاهما معاً ، ولَمَّا عرفَ أبي أنَّ الَّذي طمعَ فيه إنَّمَا هوَ قيدُ بعيرٍ لم يحصلَ عليه إلاَّ بَشْمِنٍ غالٍ وهوَ أخوهُ . . ندِمَ ، فضاقتَ بي الدُّنيا ، وسافرتُ وأنا أتمنَّى مِنَ اللهِ أَنْ أَحْصَلَ في كُلِّ شهرٍ على ثلاثينَ ريالاً ، فانثالتَ عليه الأموالُ ونمتَ كما ينمو الدُّودُ حتَّى لَقِدْ بَلَغَ إيرادُهُ الشَّهريُّ من أجورِ عقاره بجاوةٍ وسنغافورةٍ ومصرَ ما يقاربُ ستِّينَ ألفَ ريالٍ .

وقد أخرجَ أبو نُعيمٍ في « الحلية » [١٨٨/٣] : (أن قُلَّ يومٌ إلاَّ كانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ يتمثِّلُ بهذا [من الطويل]) :

وَبَالِغِ أَمْرِ كَانَ يَأْمُلُ دُونَهُ وَمُخْتَلِجٍ مِنْ دُونِ مَا كَانَ يَأْمُلُ) اهـ
وهذا البيتُ منطبقٌ برمتهِ على الشَّيخِ سالمٍ ، أمَّا صدرُهُ.. فمِمَّا تقدَّم ، وأمَّا عجزُهُ.. فقد عاشَ بحسرةٍ ؛ لقلَّةِ الأَمَنِ بحضرموتَ ، وعندما بدأَ ينبسطُ فيها . . ماتَ .

وحديثُهُ معي عمَّا ذَكَرَ كانَ أوائلَ سنةٍ (١٣٣٠هـ) ببتاوي . . فربَّما يزيدُ أو ينقصُ ؛ لأنَّ الحفظَ يخونُ ولكِنَّهُ لا يخرجُ عَن ذَلِكَ الْمَعْنَى .

وقالَ الشَّيخُ حسنُ بنُ ربيعٍ : لم يكنِ المَقْتُولُ جابريّاً ، وإنَّمَا هوَ ابنُ جوفانَ والصَّفْوانِيٍّ من الجِوادةِ ، أطلقَ الرِّصاصَ عليهما مُحَمَّدُ بنُ سالمٍ وأخوهُ عبدُ اللهِ فخرُ الصَّفْوانِيٍّ قتيلاً ، ثمَّ إِنَّ ابنَ جوفانَ قتلَ عبدَ اللهِ بنَ سالمٍ ، ثمَّ إِنَّ مُحَمَّدَ بنَ سالمٍ قتلَ ابنَ جوفانَ .

وكان للشيخ سالم ولد شهيم شجاع ، هو : الشيخ علي بن سالم بن محمد بن يمانى ، له همّة عالية ، ورأى جزل ، وعنده مشاركة في بعض الفنون العلمية ؛ لأنه أطال الإقامة بالحجاز ، وثافن العلماء بمكة والمدينة ، وقليل ما يحصل منه في تينك البلدتين . . خير من كثير ما يحصل في غيرهما ، والكُتُبُ ثابتٌ في مضاعفة الصلاة^(١) ، وغيرُها لا يخرجُ عنها .

وكانت بيني وبين الشيخ علي بن سالم هذا صداقة متينة ، ولما مات سنة (١٣٣٧ هـ) . . اشتدَّ بي الحزنُ عليه ، وكان من كتابي لوالده في التَّعْزِيَةِ به :

إِنَّا كُنَّا نُوْمَلُّ أَنْ نَمُوتَ وَيَعِيشَ عَلِيٌّ ؛ لِبَيْنِي قُصُورَ الْمَجْدِ بِمَا تَأَثَّلْتُ مِنْ الْأُمُوالِ .
فَأَجَابَ بِمَا مَعْنَاهُ : إِنَّ الَّذِي تَتَمَنَّاهُ كَانَ نَفْسَ مَا أَتَمَنَّاهُ ، وَلَكِنْ . . لا خيرةَ لِأَحَدٍ مَعَ اللَّهِ .

ولما كانت ثروة الشيخ سالم لا تريدُ الشَّرَّ ، وكان هو لا يتمنَّاهُ حتَّى ولو أُرْكِبَ عليه ولم يكنْ لأَقْفَالِ صناديقهِ مفتاحٌ غيرُ الحربِ . . أَحَبَّ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يُوَقَّعَهُ فِي الشَّبَكَةِ ، وكان الشيخ علي بن سالم أرادَ أَنْ يَعُودَ لِمُطَلَّقَتِهِ بِنْتِ رَيْسِ بْنِ سَعِيدٍ ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوهُ ، فحملَهُ عُمَةُ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَقْتَلَ الَّذِي تَرَوَّجَهَا فِي لَيْلَةِ زَفَافِهِ سَنَةَ (١٣٢٠ هـ) ، فَأَخْطَأَهُ وَأَصَابَ عَبْدَ اللَّهِ بِنَ عَامِرِ الْعَاسِ ، وكان في القومِ جماعةٌ مِنْ عبيدِ الدَّوْلَةِ وَالْقَبَائِلِ الْكَثِيرَةِ ، وجماعةٌ مِنْ أَصْحَابِ عبيدِ صالحِ بْنِ طَالِبٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَبَائِلِ ، نَضَخَ رِشَاشُ دَمِهِ فِي ثِيَابِهِمْ ، فَظَنَّ عَبْدُ اللَّهِ بِنَ مُحَمَّدٍ وَالنَّاسُ مَعَهُ أَنَّ الْقِيَامَةَ سَتَقُومُ ، وَأَنَّ حَرْباً سَتَنْشُبُ بَيْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سَالِمٍ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَالْقَبَائِلِ الَّتِي أَخْفَرَ وَلَدُهُ ذِمَامَهُمْ ، فَلَا تَنْغَلِقُ صَنَادِقُهُ أَبَدًا - وكان سالمُ بِنَ مُحَمَّدٍ يَوْمئِذٍ فِي طَرِيقِهِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَصَلَ الشَّيْخُ سَالِمٌ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَاجْتَمَعَ بِالشَّيْخِ عبيدِ صالحِ بْنِ طَالِبٍ فِي دَارِ

(١) روى البخاري (١١٣٣) ، ومسلم (١٣٩٤) : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ . . إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ » .

مَشْعَبِي بِالْحَوِطَةِ ، فَسَوَّيْتُ الْمَسْأَلَةَ ، وَلَمْ تَنْتَطِخْ شَاتَانِ ، حَسَبَمَا سَبَقَ طَرَفٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقَارَةِ .

وَلَمَّا خَابَ أَمَلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ . . جَاءَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِلَى بَيْتِ أَخِيهِ سَالِمٍ ، وَقَالَ لَهُ :

إِنِّي مِنْ جَمَلَةٍ مَنْ لِحَقَّةِ الْعَارِ بِقَتْلِ الْعَاسِ ، فِيمَا أَنْ تُرْضِيَنِي ، وَإِلَّا . . كَانَ مَا لَا تُحَمَّدُ عَقْبَاهُ .

فَلَايَنَةُ الشَّيْخِ سَالِمٍ ، ثُمَّ تَرَكَ الْأَرْضَ لَهُ مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ ، إِذْ تُوُفِّيَ بَعْدَ حَوَالِي سَنَةِ (١٣٥٨ هـ) ، بَعْدَ أَنْ ذَرَفَ عَلَى التَّسْعِينَ .

وَلِلشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ذِكْرٌ جَمِيلٌ بِـ « الْأَصْلِ » .

وَبِحَاجَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمٍ إِلَى طَعْنِ الْجَابِرِيِّ . . ذَكَرْتُ أَنَّ أَبْنَ الْمُسْتَوْفِي أَنْتَقَدَ قَوْلَ الشَّاعِرِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَنَطَعْنُهُمْ حَيْثُ الْكُلَى بَعْدَ ضَرْبِهِمْ بِيَضْرِ الْمَوَاضِي حَيْثُ لِي الْعَمَائِمُ
وَقَالَ : إِنَّهُ مِمَّا لَا يَحْسُنُ الْإِفْتِخَارُ بِمِثْلِهِ ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَمُوتَا بِالضَّرْبِ حَيْثُ لِي
الْعَمَائِمُ ، وَاحْتَاجُوا إِلَى الضَّرْبِ حَيْثُ الْكُلَى ، أَوْ حَيْثُ الْحَبَا . . دَلَّ ذَلِكَ عَلَى
الضَّعْفِ وَالْخَوْفِ وَعَدَمِ الْتَمَكُّنِ ، وَإِنَّمَا الْجَيِّدُ قَوْلُ بُلْعَاءَ بْنِ قَيْسٍ مِنْ بَنِي لَيْثٍ بْنِ كِنَانَةَ
[فِي « دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ » ١٣/١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَفَارِسٍ فِي غِمَارِ الْمَوْتِ مُنْغَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهَةٍ صَدَقَا
غَشِيَّتُهُ وَهَوَ فِي جَاوَاءَ بَاسِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَأَنْفَلَقَا
بِضَرْبَةٍ لَمْ تَكُنْ مِنِّي مُخَالِسَةٍ وَلَا تَعَجَّلْتُهَا جُبْنًا وَلَا فَرَقَا

وَمَا أَشْبَهَ ضَرْبَةَ بُلْعَاءَ بِقَوْلِ قَيْسٍ بْنِ الْخَطِيمِ الْأَوْسِيِّ [فِي « دِيْوَانِهِ » ٤٦ مِنْ الطَّوِيلِ] :

طَعَنْتُ أَبْنَ عَبْدٍ أَلْقَيْسٍ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفَذٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا^(١)

(١) الشُّعَاعُ : الدَّمُ ، وَالْمَعْنَى : لَوْلَا الدَّمُ . . أَضَاءَتْ حَتَّى تَسْتَبِينَ .

مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَزْتُ فَتَقَّهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونَهَا مَا وَرَاءَهَا^(١)
وتدبر أيها الناظر هل ينحط شيء من نقد ابن المستوفي على قول ألفرزدق [في
«ديوانه» ٧٩/٢ من الطويل] :

قَرَيْنَاهُمْ الْمَأْثُورَةَ الْبَيْضَ قَبْلَهَا يُشِجُّ الْعُرُوقَ الْأَرَانِيَّ الْمُتَقَفُّ
أم لا ؟ والفرق أقرب .

ومن وراء البريكة الواقعة بين المسيلين إلى جهة الشمال : الحَذْبَه . ثم : الْقَوْرُ .
ثم : الْعُقْدَه ، وهي مسكنُ الشيخ جعفر بن سالم بن مرعي بن طالب ، وله أشعارُ
وأخبارُ في «الأصل» ، وقد مات عن جماعة من الأولاد ، وهم : عمرُ ، وطالبُ ،
ومرعيُ ، وسالمُ ، وصالحُ .

أَسْتُهُم : عمرُ ، وكان مع السلطان عبود بن سالم لما قُتِلَ في صيق العجز ، وهو
مكانٌ في غربي بيعث ، ينهر إلى حجر ابن دغار ، وله محاسنُ .

ومن الكَوَادِر : أَنِّي وصلتُ وادي بن علي مرةً في شراء أخشاب ، فأبردتُ عنده ،
فقال لي : لقد رأيتُ البارحة جدك محسناً جاء إلى بيتي ، وجلسَ في مكانك ، وسألتهُ
عن عدةٍ مسائلَ تتعلقُ بالطهارة والصلاة - وأنا ذاكرها لك - فأجابني عنها ، ولما أرادَ
الانصرافَ . . دفعتُ له خمسةً وعشرين ريالاً .

ثم إنَّه ذكرَ لي الأسئلةَ فأجبتُه عنها ، فقال لي : هنكذا - والله - كان جوابُ جدك .
وعلى الجملة فقد كان معي في اليقظة - حسبما يقول - كلُّ ما كان مع جدِّي في النوم ،
ما عدا الخمسةَ والعشرين ريالاً . . فإنَّه لم يكن لها أثرٌ في اليقظة .

أما الشيخُ طالبُ : فقد كان أصدقهم لساناً ، وأبسطهم بناناً ، وأبيضهم جناناً ،
وأملأهم جفاناً .

عَشِيقَ الْمَكَارِمِ فَهُوَ مُعْتَمِدٌ لَهَا وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةُ الْعَشَّاقِ^(٢)

(١) ملكتُ : شددت . أنهزت : أجريت الدم كالنهر .

(٢) البيت من الكامل ، وهو في «جمهرة خطب العرب» (٣/٢٩٠) ، ضمن أبيات بتغيير بسيط ،
والأبيات هي :

كَلِمٌ غَالِيَةٌ ، وَهَمٌّ غَالِيَةٌ ، وَوَجْهٌ أَبْيَضٌ ، وَبَنَانٌ مَبْسُوطٌ .

مَجْدٌ رَعَى تَلَعَاتِ الدَّهْرِ وَهُوَ فَتَى حَتَّى غَدَا الدَّهْرُ يَمْشِي مِشْيَةَ الْهَرَمِ^(١)
بَنَاهُ بَأْسٌ وَجُودٌ صَادِقٌ وَمَتَى تُبْنَى أَعْلَامٌ مِنْ سِوَى هَذَيْنِ تَنْهَدِمِ
لَمْ يَزَلْ مَعْمُورَ الْفَنَاءِ ، مَفْتُوحَ الْبَابِ ، مَهْزُولَ الْفَصِيلِ^(٢) ، يُقْصَدُ بِالْأَمَالِ ، وَتُشَدُّ
إِلَيْهِ الرِّحَالُ ، وَقُورَ الرُّكْنِ ، أَصِيلَ الرَّأْيِ .

مَا تَمَلَّيْتُ مِثْلَ ذَاكَ الْحَجَا الْمُنْعِ رِقِّ فِي الْحِلْمِ وَالسَّجَايَا الْعِتَاقِ^(٣)
خَالِصُ الْوُدِّ وَالْتِقَى فِي زَمَانٍ فَرَّخَتْ فِيهِ أُمَهَاتُ النَّفَاقِ
لَقَدْ كَانَ لآلٍ كَثِيرٌ رُكْنًا رَكِينًا ، وَحِصْنًا حَصِينًا ، وَلَمَّا مَاتَ فِي سَنَةِ (١٣٤١ هـ) ..
أَفْتَرَقَ مَلَأُوهُمْ ، وَأَضْطَرَبَ حَبْلُهُمْ ، فَجَاءَ مَوْضِعَ قَوْلِ عَبْدِ بْنِ الطَّيِّبِ [مِنْ الطَّرِيلِ] :
وَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلُكُهُ هُلُكَ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُيِّنَ قَوْمٍ تَهْدَمُ مَا
وَكَانَ هُوَ صَاحِبَ الصُّلَعِ الْأَقْوَى فِي حَرْبٍ قَسَبَلِ الْمَفْصَلِ خَبْرُهَا بـ « الْأَصْلِ » .

وَفِي الْعُقْدَةِ الْآنَ دِيَارٌ شَاهِقَةٌ ، وَمَنَازِلُ ضَخْمَةٌ ، كُلُّهَا لآلِ جَعْفَرِ بْنِ سَالِمٍ . وَلَمْ
يُضَنَّ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ طَالِبٍ بِمِيرَاثِ أَبِيهِ ، بَلْ بَقِيَ يَبْذُلُ حَقُوقَ الْعِزِّ وَالَّذِينَ فِيهِ ،
فَأَنْطَبَقَ عَلَى كَاسِبٍ ذَلِكَ مَا قَالَ أَبُو مُطَيْرٍ [مِنْ الطَّرِيلِ] :

فَتَى عَيْشٍ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَبِمَا أَنَّ الْكِرَامَ غُرُضُهُ أَلْبَاءٌ وَالْأَمْتَحَانِ .. فَقَدْ أَصِيبَ أَحْمَدُ هَذَا بَرِيحٌ لَا يَزَالُ مِنْهُ
أَسِيرَ الْفَرَاشِ ، وَلَكِنَّهُ مَمْتَعٌ بِالْعَقْلِ وَالْإِحْسَاسِ ، وَكُلُّ أَمْرٍ أَهْوَنُ مِنْ غَيْرِهِ ، وَاللَّهُ مَعَ
الصَّابِرِينَ .

= مَا لِي أَرَى أَبْرَابَهُمْ مَهْجُورَةً وَكَأَنَّ بَابَكَ مَجْمَعُ الْأَسْوَاقِ
حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى يَدَيْكَ فَاجْتَمَعُوا مِنْ أَلْفَاقِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ عَاشِقًا وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةَ الْعُشَاقِ

(١) البيتان من البسيط ، وهما لأبي تمام في « ديوانه » (٩٥ / ٢) .

(٢) مهزول الفيصل : يضرب مثلاً لمن كثرت ضيوفه ، وكثر منه نحر الفصائل ، فلم تتوفر عنده حتى تسمن .

(٣) البيتان من الخفيف ، وهما أيضاً لأبي تمام في « ديوانه » (٤٥٤-٤٥٥ / ١) .

حِصْنُ الشَّائِوشِ

هُوَ رَجُلٌ^(١) مِنْ آلِ مَرْعِيٍّ بْنِ طَالِبٍ الْكَثِيرِيِّ ، أَقَامَ زَمَانًا طَوِيلًا بِحَيْدَرِ آبَادِ الدَّكَنِ مِنْ أَلْهَنْدِ فِي خِدْمَةِ النِّظَامِ الْأَصْفِيِّ ، وَتَرَقَّى فِي الْمَرَاتِبِ الْعَسْكَرِيَّةِ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى رَتْبَةِ شَائِوشٍ ، فَأَفَادَ بِهَا مَالًا طَائِلًا ، وَأَكْثَرُ مَا يُفِيضُ الْأَمْوَالَ عَلَى مِثْلِهِ هُنَاكَ ؛ كَالْقَعِيطِيِّ ، وَالْعَوْلَقِيِّ ، وَغَالِبِ بْنِ مُحَسِّنٍ ، عَلَى حِسَابِ مَنْ تَحْتَ رِئَاسَتِهِمْ مِنَ الْعَسَاكِرِ حَتَّى جَاءَ صَرَارُ جَنْكِ فُضْبَطِ الْأُمُورِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَاعِرُ الْحَضَارِمِ :

مَا الْيَوْمَ جَاءَ صَرَّارُ صَرِّ الْمُلْكِ صَرٌّ وَالْقَى سِيَاسَةً مِنْ سِيَاسَةِ لِنْقَلِيزِ
إِنْ عَادَ شَيْءٌ تَرْكُوبٌ وَإِلَّا شَيْءٌ بَصَرٌ وَإِلَّا مَعَ اللَّهِ يَا طَيُورَ الطَّنِيزِ وَبِزْرِ

وَلَمَّا وَصَلَ حَضْرَمَوْتَ . . . كَانَتْ هَمَّتُهُ مُتَوَجِّهَةً إِلَى الْإِصْلَاحِ بَيْنَ آلِ كَثِيرٍ ، وَتَوْحِيدِ كَلِمَتِهِمْ ، وَتَأْطِيدِ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ بِهِمْ ، فَبَذَلَ فِيهَا أَمْوَالًا كَثِيرَةً ، بِسَخَاءٍ عَظِيمٍ ، وَلَمْ يَتَمَّ لَهُ شَيْءٌ ، إِلَّا أَنَّهُ وَقَعَ عَلَى شَهْرَةٍ عَظِيمَةٍ ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا دَخَلَ إِلَى سَيْتُونِ . . . أَسْتَقْبَلَهُ سُلْطَانُهَا الْمَنْصُورُ بْنُ غَالِبٍ أَسْتَقْبَالًا شَائِقًا ، حَتَّى كَادَ الْأَمْرَاءُ يَتَسَاوَرُونَ عَلَى الْإِمْسَاكِ بِيَدِهِ فِي مَعْرِضِ أَسْتِقْبَالِهِ . . . حَتَّى اقْتَسَمُوهَا ، فَكَانَتْ لِأَحَدِهِمَا الْيَمِينُ ، وَلِلْآخَرِ الشَّمَالُ ، إِلَّا أَنَّ صَاحِبَ الْيَمِينِ نَدِمَ ؛ إِذْ مَرَّ أَكْثَرُ الْوَقْتِ وَهِيَ مُتَزَعَّةٌ مِنْهُ لِكَثْرَةِ الْمَصَافِحِينَ !

وَسَمِعْتُ أَنَّ الشَّيْخَ جَعْفَرَ بْنَ سَالِمٍ - وَالِدَ الشَّيْخِ طَالِبِ بْنِ جَعْفَرٍ وَإِخْوَانِهِ - كَانَ وَكِيلًا لَهُ ، فَأَمَرَهُ ذَاتَ يَوْمٍ أَنْ يُعْطِيَ أَحَدًا مِمَّنْ لَا يُؤْبَهُ بِهِ مِنْ آلِ كَثِيرٍ كَمِيَّةً وَافِرَةً مِنَ الْكِرْيَالَاتِ ، لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الْإِصْلَاحِ ، فَقَالَ لَهُ : إِنَّ هَذَا لَا يُنْبِخُ وَلَا يُتَوَرُّ ، وَلَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ الْإِصْلَاحِ فَعِزْلُهُ ، وَأَضْعَفَ لَذَلِكَ الصُّعْلُوكِ الْعِطَاءَ .

وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى ضَحِكَ عَلَيْهِ آلُ كَثِيرٍ ، وَأَتْلَفُوا مَالَهُ بِدُونِ فَائِدَةٍ .

وَفِي أَخْبَارِ الْكَسَادِيِّ وَالْعُمُودِيِّ مِنْ « الْأَصْلِ » : أَنَّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ أَمَرُوا بِنَفْوذِ أَرْبَعِ مِثَّةٍ

(١) اسمه بدر بن علي بن جعفر بن مرعي بن طالب . « العدد » (٢ / ٢٩٣) .

مقاتلٍ في (٢٤) صفر سنة (١٢٨٨ هـ) لمساعدة العمودي ، وأكثرُ خَرَجِهِم مِن الشَّاووشِ بَذَرِ صاحبِ جفل .

وفي أخبارِ الهَجْرينِ منه : أَنَّ الشَّاووشَ بَذَرَا وَصَلَ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى عَدَنَ سَنَةَ (١٢٨٥ هـ) ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ بِدَاعٍ مِنَ الشَّرِيفِ مُحَمَّدِ بْنِ عَوْنٍ وَالسَّيِّدِ فَضْلِ ، وَذَلِكَ لِتَدْبِيرِ الْحَمَلَةِ الْتُرْكِيَّةِ الَّتِي سَعَى الْقَعِيطِيُّ فِي فَشْلِهَا ، بِوَسْطَةِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ آلِ الْعَطَّاسِ ، فَتَمَّ لَهُ مَا يَرِيدُ .

الْحَوْطَةُ^(١)

هِيَ مَدِينَةُ وَادِي بْنِ عَلِيٍّ ، وَهِيَ مِنْ قَدَامَى الْبُلْدَانِ ، وَكَانَتْ قَاعِدَةً مُلْكُ بَنِي سَعْدٍ . قَالَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٦٩٦ هـ) : (وَآلُ جَمِيلٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : بَنُو سَعْدٍ ، وَلَيْسُوا مِنْ بَنِي ظَنَّةَ ، وَمَشَايخُهُمْ : عَيْسَى بْنُ جَمِيلٍ بْنِ فَاضِلٍ ، وَابْنُ أَخِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ نَصَّارٍ بْنِ جَمِيلٍ بْنِ فَاضِلٍ .

(١) الحوطة وقديماً كانت تسمى : خَلْعُ رَاشِدٍ ؛ لأنها كانت منطقة زراعية وبها نخل ومال كثير خَلَعُهُ - أي زَرَعَهُ - السلطان راشد بن شجعته بن فهد بن أحمد بن قحطان ، وهو من سلاطين العهد الراشدي بحضرموت ، ولد سنة (٥١٧ هـ) ، وتوفي سنة (٥٩٣ هـ) ، وهو والد السلطان عبد الله بن راشد الذي ينسب وادي حضرموت له فيقال : وادي ابن راشد ، وهو يمتد من العقاد غرباً إلى قبر هود شرقاً كما مرَّ في التعريف بحضرموت أول الكتاب .. ينظر لمعرفة أخبار آل راشد « أدوار التاريخ » (١٦٩-٢١٤) .

أما إطلاق اسم الحوطة .. فهو من التحويط أو الإحاطة ، فهذا مصطلح عند المتقدمين من الحضارمة ، ويقصد به المنطقة أو البلدة التي يسكنها أحد العلماء أو المرشدين الكبار ويسكنها تلامذته فتكون في حمايته وحراسته من أي اعتداء على أحد من الناس ، محمية بجاه ذلك الشيخ . ويقابل هذا المصطلح لفظ : (هَجْرَة) عند علماء المناطق الشمالية ، وقد جمع تواريخ الهجرة وتراجم علمائها شيخنا العلامة إسماعيل الأكرع ، وتعريف الحوطة بما ذكرته هو التعريف الذي أورده العلامة الفقيه محمد بن عمر باجمل في « مقال الناصحين » . وأما هذه الحوطة - وهي حوطة أحمد بن زين - .. فإنها حُوِّطَتْ بعد سكنى مولانا الإمام الحبيب أحمد بن زين واستقراره بها ، وقد كانت معقلاً من معاقل العلم والدعوة إلى الله ، وتبعد الحوطة عن سيتون مسافة (١٠ كم) تقريباً .

وَمِنْ بَنِي سَعْدٍ : آلُ حَسَنِ . وَمَشَايُخُهُمْ : عَلِيُّ بْنُ جَبَلٍ بْنِ حَسَنِ ، وَفَاضِلٌ ، وَابْنُ عَمِّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَمِيلٍ بْنِ حَسَنِ بْنِ فَاضِلٍ (اهـ)

وَكَانَ نَصَارُ بْنُ جَمِيلٍ بْنِ فَاضِلٍ^(١) - وَهُوَ أَبُو مُحَمَّدٍ السَّابِقُ ذِكْرُهُ فِي كَلَامِ الْأَشْرَفِ - أَحَدَ كِبَارِ أُمَرَاءِ الطُّوَائِفِ بِخَضِرَ مَوْتٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ شَبَابٌ ، وَلَهُ غَزَوَاتٌ إِلَى دُوعَنْ وَإِلَى تَرِيمٍ وَغَيْرِهَا^(٢) ، وَكَانَ ظَالِمًا ، إِلَّا أَنَّهُ تَابَ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعُمُودِيِّ ، وَحَجَّ وَلَمْ يَتِمَّكَنْ مِنَ الزِّيَارَةِ ، وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَأْرَبَ مَرَجَعُهُ مِنَ الْحَجِّ . . . لَقَاهُ أَحَدُ مَعَارِفِهِ فَلَامَهُ ، فَعَادَ لِيَزُورَ فَمَاتَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ .

وَلَبِنِي سَعِيدٌ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ مِمْتَزِجَةٌ بِـ « الْأَصْلِ » بِأَخْبَارِ الْغَزِّ وَنَهْدِ وَآلِ يَمَانِي ، وَآلِ أَحْمَدَ وَالصَّبْرَاتِ وَآلِ كَثِيرٍ .

وَلَمْ يَزَلْ أَمْرُ آلِ كَثِيرٍ يَقْوَى ، وَأَمْرُ بَنِي سَعْدٍ يَضْعُفُ حَتَّى صَارُوا سُوقَةً .

وَكَانَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ^(٣) دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ ، وَجَبَلًا مِنْ جِبَالِ الْعِلْمِ ، وَرَكْنَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ .

عَلَيْهِ مِنَ النُّورِ الْإِلَهِيِّ مِسْحَةٌ تَكَادُ عَلَى أَرْجَائِهِ تَدَفَّقُ وَكَانَ بِالْغُرْفَةِ يُصَلِّيَ جَمَاعَةً فِي مَسْجِدٍ يُنْسَبُ لِبَعْضِ الْفُقَرَاءِ مِنْ أَهْلِ الْغُرْفَةِ ، وَيُدْرَسُ لَهُمُ الْعِلْمُ ، فَحَصَلَ مِنْ أَوْلَئِكَ الْفُقَرَاءِ - الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْمَسْجِدُ الْمَسْمِيُّ بِالْحَمَامِ - أَذَى ، فَتَحَمَّلَهُ ، وَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى أَخْرَجُوهُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَأَخْرَجُوا كِتَابَهُ ، وَأَذَاوًا مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَنْزِعْ وَلَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ إِلَّا الصَّبْرُ وَالثَّبَاتُ .

وَأَنْتَقَلَ إِلَى الْحَوِطَةِ الْغُرْبِيَّةِ - وَهُوَ الْمَكَانُ الْمَسْمِيُّ بِالْبُهَاءِ فِي غَرْبِي خَلْعٍ رَاشِدٍ -

(١) فِي وَلايَتِهِ عُمُرُ مُقَدَّمِ جَامِعِ شَبَابِ سَنَةِ (٦٤٣هـ) بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ الرَّسُولِيِّ .

(٢) كَمَا جَاءَ فِي حَوَادِثِ (٦٤٤هـ) عِنْدَ « شَبَل » ، وَبَنَى قَارَةَ الْعَزِّ تَحْتَ تَرِيمِ سَنَةِ (٦٥٥هـ) .

(٣) وَلَدَ الْحَبِيبِ أَحْمَدُ بْنُ زَيْنٍ فِي الْغُرْفَةِ سَنَةِ (١٠٦٩هـ) ، وَتَوَفَّى سَنَةِ (١١٤٥هـ) ، كَانَ إِمَامًا عَالِمًا ، عَامِلًا فُقِيهًا وَرِعًا ، أَخَذَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ، وَفِي مُقَدِّمَتِهِمُ الْعَلَامَةُ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بَلْفَقِيهِ ، وَالْحَبِيبُ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ الَّذِي هُوَ شَيْخٌ فَتَحَهُ وَتَخْرِيجَهُ ، أَفْرَدَهُ بِالترجمة تَلْمِيزَهُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنٍ بِنِ سَمِيطٍ بِكِتَابِ سَمَاءِ : « قُرَةُ الْعَيْنِ » .

وَبُنِيَ بِهَا مَسْجِدُهُ وَدَارُهُ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَرَدَّدُ إِلَى خَلْعِ رَاشِدٍ لِلتَّحْدِيسِ فِي مَسْجِدِ جَدِّهِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ الْحُسَيْنِيَّةِ - وَهُوَ أَصْلُ الْجَامِعِ الْمَوْجُودِ الْيَوْمَ^(١) - وَإِلَى شِبَامٍ لِلأَخْذِ عَنْ عُلَمَائِهَا .

قَالَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ فِي « سَفِينَةِ الْبُضَائِعِ » : (جِئْتُ إِلَى شِبَامٍ وَأَنَا فِي نَحْوِ (١٤) سَنَةً ، وَقَصَدْتُ عِنْدَ الْخَالِ بَكَارِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَقْبَةَ ، وَسَرْتُ أَنَا وَهُوَ إِلَى مَسْجِدِ أَبِي أَحْمَدَ^(٢) ، وَفِيهِ سَيِّدِي الْعَلَامَةُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ ، وَأَنَا بَغَايَةِ الشَّوْقِ لِلْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ . . إِذْ دَخَلَ عَلَيْنَا كَأَنَّهُ الْبَدْرُ فِي تَمَامِهِ ، وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ فَاحِرٌ أَبْيَضٌ ؛ قَمِيصَانِ وَعِمَامَةٌ ، وَشَالٌ أَبْيَضٌ مَشْجَرٌ بِأَسْوَدَ) أَه-
تَوَفَّى الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بِالْحَوِطَةِ فَجَاءَةً فِي سَنَةِ (١١٤٤ هـ) ، وَدُفِنَ بِشَرْقِيِّ الْحَوِطَةِ ، وَعُمِلَتْ عَلَيْهِ قُبَّةٌ ، وَلَمْ يَتِمَّ كُنْزُ الْوَهَابِيَّةِ مِنْ هَدْمِهَا ؛ لاسْتَعْجَالِهِمْ مَعَ نَوْعٍ مِنَ الْمَجَامِلَةِ لِأَلٍ كَثِيرٍ ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ كَانَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى تَنْفِيزِ كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ .

وَلَهُ عِدَّةُ أَوْلَادٍ ؛ مِنْهُمْ : عَلَوِيُّ ، وَقَدْ تَوَفَّى بِشِبَامٍ ، وَكَانَ أَهْلُهَا يَهَابُونَهُ هَيْبَةً عَظِيمَةً ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ الْحَبِيبُ عَمْرُ بْنُ زَيْنِ بْنِ سَمِيطٍ : لَقَدْ مَاتَ الْيَوْمَ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ ، وَآلُ شِبَامٍ لَا يُسْتَوْنَ إِلَى الْيَوْمِ بِعَلَوِيٍّ ؛ إِجْلَالًا لَهُ .

وَمِنْهُمْ : جَعْفَرُ^(٣) ، وَهُوَ الَّذِي خَلَفَ أَبَاهُ ، لَهُ مَظْهَرٌ عَظِيمٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْأَحْوَالِ الَّتِي يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا انْتِقَادُ الْفُقَهَاءِ بِحَقٍّ ، وَفِي « الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَنِ » : أَنَّ الْقُطْبَ الْحَدَّادَ أَلْبَسَهُ وَأَلْبَسَ إِخْوَانَهُ مِرَارًا عَدِيدَةً ، وَكَانَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ زَيْنٍ يَزُورُ الْقُطْبَ

(١) يعني به الإمام أحمد صاحب الشعب ، المتوفى سنة (١٠٣٨ هـ) ، وهذه فائدة عزيزة .

(٢) مر ذكر مسجد بن أحمد في شبام ، وهو مسجد قديم يعود بناؤه إلى القرن العاشر تقريباً ، وفي بعض المصادر أنه ينسب إلى الشيخ أحمد جبير شراحيل ، وقد قام الحبيب أحمد بن زين بعمارته وترميمه لشغفه الكبير بعمارة بيوت الله ؛ إذ بلغ عدد المساجد التي عمرها أو بناها أو جدها (١٧) مسجداً ، فكان شيخه الإمام الحداد يسميه : (أبا المساجد) .

(٣) توفي الحبيب جعفر بن أحمد سنة (١١٩٠ هـ) تقريباً ، وكان يسمّى : جعفر السلطان ؛ لعظم جاهه ، ترجم له بأسودان في « الفيض » ، وأفرده بالترجمة السيد الفاضل عبد القادر (قدري) ابن حسين الحبشي ، وسمّاها : « ذخيرة الأوطان » .

الحدّاد آخر عمره في كل سنة فيلبسه ويلبس أولاده ، وكانوا كلهم أئمة فحولاً علماء ، سادة وقتهم ومكانهم .

وفيها يقول الحبيب حسنُ ابنُ القطبِ الحدّاد : كنتُ أقرأ أنا والسَّيّد أحمدُ بنُ زين في بعضِ الكتبِ - وأظنُّهُ « المُستطرف » - فأنتهت بنا القراءةُ إلى ذكرِ الممتّع ، وكان الحبيبُ جعفرُ أُصيّبَ إحدى عينيهِ وهو صغيرٌ ، ولم ننتبه لحضورِ جعفرٍ إلّا بعدَ القراءةِ ، فحصلَ معنا الأسَفُ .

توفي الحبيبُ جعفرُ بخلعِ راشدٍ ، وخلفهُ ابنُهُ العلّامةُ الجليلُ أحمدُ بنُ جعفرٍ^(١) ، فانتقلَ إلى خلعِ راشدٍ ، وكانَ لَهُ اثنا عشرَ ابنًا .

بُنُو أَغْرٍ مِنَ الْأَقْوَامِ شَادَ لَهُمْ مَجْدَ الْحَيَاةِ وَأَقْنَاهُمْ إِلَى الْأَبَدِ^(٢) يَقْفُونَ مِنْهُ خِلَالًا كُلَّهَا حَسَنٌ إِنْ عُدَدَتْ غَادَرَتْ فَضْلًا عَلَى الْعَدَدِ

فابتنى لهم دياراً في خلعِ راشدٍ بعددِهِم ، فتدبّروها . كانَ بناءُ الدِّيارِ لا يكلفُ كثيراً حسبما يُعرفُ ممّا يأتي في حاوي تريم ، عن بناءِ القطبِ الحدّادِ لأولادِهِ ، ولم يبقَ من أَعقابِ الحبيبِ أحمدَ بنِ زينٍ بالحوطةِ الغربيّةِ المسمّاةِ بالبهاءِ إلّا القليلُ .

ولمّا ماتَ الإمامُ أحمدُ بنُ جعفرٍ . . خلفهُ ولدهُ الفاضلُ محمّدُ بنُ أحمدَ ، المتوفى بخلعِ راشدٍ سنّة (١٢٥٣هـ) ، وهو الشَّيخُ الرَّابِعُ من مشايخِ سيّدي الأستاذِ الأبرِّ عيّدروسِ بنِ عمر .

وخلفهُ ابنُهُ عبدُ اللهُ بنُ محمّدٍ بنِ أحمدَ ، وكانَ فقيهاً نبيهاً على القيامِ بمنصبِهِ .

ثم نزلَ عنه لأخيه صالحِ بنِ محمّدٍ^(٣) ، وكانَ كاسمِهِ صالحاً ، وكانَ لا يتكلّمُ إلّا بالعربيّةِ الفصحى ، ولذلك سببٌ ، وهو :

أنَّهُ وصلَ إلى بيتِ مفتي الشّافعيّةِ بمكّة السَّيّدِ محمّدِ بنِ حسينٍ [الحبشي] أيّامَ كانَ

(١) توفي سنة (١٢٢٠هـ) .

(٢) البيتان من البسيط ، وهما للبحرّي في « ديوانهِ » (١٣١ / ١) . أقنَاهُمْ : أعطاهم ما يُقتنى - يجمع - فأغناهم .

(٣) توفي سنة (١٣٠٣هـ) .

بالقنفذة ، فسأل عنه باللغة الدارجة ، فضحكت منه وأستهزأت به بثته آمنه^(١) - التي تزوجها بعد السَّيِّد علوي السَّقَّاف^(٢) صاحب الحاشية على « فتح المعين » - وأستهزأت بكلامه ، فالتى على نفسه أن يتعلم النحو ، وأن لا يتكلم إلا بالاعراب ، ولم يحنث .

وكان أبيض القلب لا يعرف حيل آل كثير ، حتى لقد ذهب مرة للإصلاح بين آل عباد وجيرانهم من آل عمر ، فأجابوا على شرط أن لا يخرج أحد من داره إلا بخفير ، فاقنع بذلك ، ولما اجتمع بأخيه عبد الله . . قال له : أي معنى للصُّلح إذا .

وانتهى به الصُّلح إلى أن تجهر قلبه فتفرس قُرب أجله ، فسير كتباً للأعيان ، منهم : سيّدنا الأبر عيدروس بن عمر بيوم وفاته ، وبات ليلتها يعط الناس ويذكر أعيان زمانه بما فيهم ، وممن فاز ببالغ ثنائه ليلتد : الأستاذ الأبر ، وسيدي عبد الله بن حسن البحر ، مع أن آل أحمد بن زين ينفسونهما ، ولا سيما الثاني ، ثم مات من آخر تلك الليلة .

وعاد السَّيِّد عبد الله بن محمّد^(٣) إلى المنصب ، وكان طلب العلم بمكة المشرفة وغيرها ، وكان يجعل الطلاق الثلاث باللفظ الواحد واحدة فقط ، وكنت أستشكل ذلك ؛ لإجماع الفقهاء الأربعة على خلافه ، حتى أمعنت النظر فيما قرره العلامة ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فرأيت حججاً تنقطع دونها السنة الاعتراض ، ومع ذلك بقيت على التوقُّف ؛ لأنّ السَّادة الحنابلة مع إعظامهم لهذين الشيخين لم يوافقوهما على هذا القول ، حتى رأيت ما ذكره الشوكاني في « نيل الأوطار »^(٤) وقول الإمام الرّازي في تفسير آية الطلاق من سورة البقرة : (إِنَّهُ الْأَقْيَسُ)^(٥) . . فأنشرح صدري لذكر إيّاه لمن يسألني من العامة .

(١) توفيت بمكة سنة (١٣٤٢هـ) ، ترجمتها في « الدليل المشير » لسبطها القاضي أبي بكر الحبشي (ص ٦٤-٦٨) .

(٢) العلامة الفقيه ، توفي بمكة سنة (١٣٢٩هـ) ، ترجمته في « الأعلام » ، و« سير وتراجم » (١٣٧) .

(٣) كان الحبيب عبد الله هذا متولياً القضاء في شبام ، ومن الآخذين عنه العلامة الحبيب عيدروس بن حسين عيدروس المقدم ذكره في الحزم .

(٤) انظر « نيل الأوطار » (٢٠/١١/٧) ؛ فهو البحث المراد .

(٥) انظر « التفسير الكبير » للرّازي (٩٦/٦) . وآية الطلاق هي قوله تعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ . . . ﴾ =

وكذلك بلغني عن السيد عبد الله بن محمد أنه يمنع نفوذ طلاق الغضبان! فقفت شعري أولاً ، ثم رأيت ما ذكره ابن القيم في « الزاد » . وفي رسالة أخرى مطبوعة إلى جانبها قصيدة أنقنتني ^(١) لشاعر العراق معروف الرصافي .

ومع ذلك فلم أجسر على تصويبه في ذلك ، حتى صوبت النظر في قوله جل ذكره : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيْفًا قَالَ إِنَّمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَدِيلٍ أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمِّ الْقَوْمِ اسْتَصْغَفُونِي كَمَا دُوا يَفْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ .

وقد روي : (أن التوراة كانت سبعة ألواح ، فلما ألقاها موسى . . تكسرت إلا واحداً ، فزفت ستة أسباعها ، وفيها تفصيل كل شيء ، وبقي منها سبع واحد فيه الرحمة والهدى) ، إلا أنه قد يغير على هذه الرواية إمكان تقريرها حتى من رضاها وقد قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ ﴾ مع ما يوجد من الأحكام ^(٢) والقصص بكثرة في « التوراة » .

ومهما يكن : فلو كان الغضبان مؤاخذاً . . لوقع موسى عليه السلام من ذلك في أمر عظيم لا يكفي للجواب عنه أن يقال : إن شرع من قبلنا ليس بشرع لنا ؛ لأنه لا يقال ذلك إلا فيما لا يتعلق بأصول الإيمان والدِّين ، أمّا هذا . . فإنه مما يدخل تحتها .

فالقائل بمؤاخذه الغضبان يلزمه من إساءة الأدب على موسى عليه السلام ما لا ينطلق به لساني ، ولا يخلصه منه قولهم : إن لازم المذهب ليس بمذهب .

والذي ينبغي أن يقال به في طلاق الغضبان : إجراؤه مجرى المسكر : فإن كان سببه مباحاً ، وأنهى بصاحبه إلى الحد الذي يغطي على عقله أو يحول بينه وبين نيته . . لم يؤاخذه . وإلا . . أوخذ .

= ولمعرفة مزيد تفصيل في هذا الموضوع ينظر كتاب : « الإشفاق في أحكام الطلاق » للعلامة المحقق محمد زاهر الكوثري ، مطبوع . وللعلامة الشيخ الفقيه عبد الله باجماع العمودي رسالة أيضاً في هذه المسألة ، وللعلامة محمد الخضر الشنقيطي مثلها ، وكلها مطبوعة .

(١) أنقنتني : أعجبتني .

(٢) الرضاخ : الفئات .

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِالْمَوْأَخَذَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ . . فَجَرَأَةٌ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى ، وَعَثْرَةٌ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَقَالَ لِصَاحِبِهَا : لَعَا^(١) .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا بِبَادِي الرِّأْيِ مَعَ وَجوبِ إِعَادَةِ النَّظَرِ وَاسْتِثْنَاءِ الْعَنَاءِ ؛ لِأَنَّ الْمَسْأَلَةَ - كَمَا قَرَرْنَا - أُصُولِيَّةٌ لَا فُرُوعِيَّةٌ ، فَلَا يَنْبَغِي فِيهَا الْاِخْتِلَافُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَلَا يَزَالُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنْ قَوْلِ فَهَائِنَا : إِنَّ شَرَعَ مَنْ قَبْلَنَا لَيْسَ لَنَا بِشَرِعٍ وَمَا كِفَاهُمْ ذَلِكَ حَتَّى زَادُوا فِي الطَّنْبُورِ نِعْمَةً بِقَوْلِهِمْ : وَإِنْ وَرَدَ فِي شَرِعِنَا مَا يُقَرَّرُهُ ؛ لِأَنَّهُ مَعَ تَقْلِيلِهِ لَكَثِيرٍ مِنْ فَوَائِدِ قَصَصِ التَّنْزِيلِ وَأَخْبَارِهِ . . لَا يَتَّفَقُ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي (الْأَنْعَامِ) : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْسَدَةٌ ﴾ .

وَمُخَالَفُ لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي كَسْرِ رَبَاعِيَةِ الرُّبُوعِ بِنْتِ مَعُودٍ : « كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ »^(٢) وَوَجْهُ الْمُخَالَفَةِ أَنَّهُ لَمْ يَرِدِ الْقِصَاصُ بِالسَّنِّ إِلَّا فِي الْكَلَامِ عَنْ غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ حَيْثُ يَقُولُ جَلَّ وَعَزَّ : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾^(٣) .

وَكَانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبْشِيِّ^(٤) أَحَدَ أَعْلَمَاءِ الْمُحَقِّقِينَ ، وَكَانَ عَلَى رَأْيِ أَبِي تَيْمِيَّةَ يَجْعَلُ الثَّلَاثَ بِاللَّفْظِ الْوَاحِدِ طَلْقَةً وَاحِدَةً ، وَكَانَ لَهُ اتِّصَالٌ وَثِيقٌ بِسَيِّدِنَا الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ الْبَحْرِ ، وَقَدْ أَفْتَى مَرَّةً بِتَوْحِيدِ الطَّلَاقِ مِمَّنْ نَطَقَ بِالثَّلَاثِ فِي لَفْظٍ وَاحِدٍ ، فَأَشْتَدَّ النُّكْيُ عَلَيْهِ ، حَتَّى أُنْعَقَدَ لَذَلِكَ مَجْلِسٌ بَدَارِ الْحَبِيبِ الْبَحْرِ تَقَاطَرُ لَهُ أَعْلَمَاءُ مِنْ دُوعَنَ وَمِنْ تَرِيمَ وَمَا بَيْنَهُمَا ، وَلَمْ

(١) لَعَا : كَلِمَةٌ يُدْعَى بِهَا لِلْعَاثِرِ ، مَعْنَاهَا الْارْتِفَاعُ .

(٢) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٣٣٥) .

(٣) الْجَوَابُ عَلَى هَذَا الْإِشْكَالِ مَا قَرَّرَهُ الْحَافِظُ تَقِي الدِّينِ السَّبْكِ فِي « الْإِبْتِهَاجِ » بِقَوْلِهِ : لَيْسَ الْكَلَامُ فِيهَا لَمْ نَعْلَمْهُ إِلَّا مِنْ كِتَابِهِمْ وَنَقَلَ أَحْبَارَهُمُ الْكُفَّارَ ؛ فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ التَّكْلِيفَ لَا يَقَعُ بِهِ عَلَيْنَا ؛ وَلَا فِيهَا عَلِمْنَا بِشَرْعِنَا أَنَّهُ كَانَ شَرْعاً لَهُمْ ، وَأَمَرْنَا فِي شَرْعِنَا بِمِثْلِهِ ، كَقَوْلِهِ : ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ ؛ فَإِنَّ الْإِجْمَاعَ مُنْعَقِدٌ عَلَى التَّكْلِيفِ بِهِ ، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي مَا ثَبَتَ أَنَّهُ مِنْ شَرْعِهِمْ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ نَقَبْلَهُ وَلَمْ نُؤْمَرْ بِهِ فِي شَرِيعَتِنَا . اهـ مِنْ تَقْرِيرَاتِ الشَّرِيعِيِّ عَلَى شَرْحِ « الْجَمْعِ » (٣٥٢ / ٢) .

(٤) تَوَفَّى لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ (٢٦) مُحَرَّمِ سَنَةِ (١٢٨٩ هـ) ، « الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » (٣٢٦ / ٢) .

يَنْفَصِلُ الْأَمْرُ بِأَثَرِ الْمُنَازَرَةِ مَعَ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ إِلَّا بِتَسْلِيمٍ مَا قَالَ ، وَكَانَ ذَلِكَ حَدِثَانِ وَصُولٍ « نِيلِ الْأَوْطَارِ » لِلشُّوْكَانِيِّ إِلَى حَضْرَمَوْتَ .

وَمَعَ ذَلِكَ . . . فَلَا أَجْزَمُ بِأَنَّ الْأَقْتِنَاعَ كَانَ لَذَلِكَ ؛ إِذْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي صِبْغَةِ الْأَطْلَاقِ مَا يَعُودُ عَلَيْهِ بِالْإِبْطَالِ عَلَى الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِي النَّفْسِ شَيْءٌ مِمَّا نَقَلَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بِاسْوَدَانَ عَنِ السَّيِّدِ يَوْسُفَ الْبَطَّاحِ الْأَهْدَلِ ، مِنْ حَصُولِ التَّثْلِيثِ مَثَلًا بِقَوْلِ الْمُصَلِّي فِي الرُّكُوعِ : (سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ ثَلَاثًا) ، وَفِي السُّجُودِ مِثْلَهُ ؛ أَخَذًا مِنْ حَدِيثِ « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ » [م (٢٧٢٦) (٧٩)] .

وَالَّذِي لَا أَشْكُ فِيهِ : أَنَّهُ كَلَامٌ أَجْنَبِيٌّ تَبَطَّلَ بِهِ الصَّلَاةُ ، فَضَلًّا عَنْ أَنْ تَحْصَلَ بِهِ السُّنَّةُ .

ثُمَّ رَأَيْتُ الْعَلَامَةَ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَهْدَلَ نَقَلَ عَنْ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْبَارِيِّ الْأَهْدَلَ عَنِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَمْرِو الْأَهْدَلَ مِثْلَ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ بَطْلَانِ الصَّلَاةِ بِذَلِكَ ، وَكَفَى بِهِؤْلَاءِ حُجَّةً ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى التَّوَافُقِ .

وَكَانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ يَقُومُ مِنْ مَجَالِسِ أَصْحَابِهِ وَمَدَارِسِهِمْ إِذَا سَمِعَ بِمَا لَا يُوَافِقُ مَشَارِبَ الْوَهَابِيَّةِ ، ثُمَّ صَارَ يُنْكَرُ عَلَيْهِمْ أحيانًا بِلِسَانِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْبِرْ حِينَ أَنْشَدُوا الْأَذْكَارَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَى نَغَمَاتِ الدُّفُوفِ ، وَلَمْ يَتِمَّاكَ أَنْ نَهَضَ لَتَكْسِيرِهَا ، فَلَبَّجُوهُ لَبَجًا^(١) شَدِيدًا ذَهَبَ مِنْهُ مَغَاضِبًا إِلَى خَشَامِرِ عِنْدَ آلِ الشَّيْخِ عَلِيِّ جَابِرِ الْوَهَابِيِّينَ وَلَكِنَّهُ غِيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدْ^(٢) ، وَمَا أَدْرِي أَبْقَى بِخَشَامِرِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، أَمْ رَاجَعَهُ قَوْمُهُ ؟

وَمَا كَانَ ذَلِكَ لِيَكُونَ فِي عَهْدِ سَيِّدِنَا الْبَحْرِ ، وَإِلَّا . . . لِأَدَّى الْوَاجِبَ مِنْ نُصْرَتِهِ .

وَرَأَيْتُ كِتَابًا سَيَّرَهُ لَهُ أَحَدُ السَّادَةِ آلِ السَّقَافِ مِنْ قَسَمٍ ، يَقُولُ لَهُ فِيهِ : (أَمَّا أَهْلُ

(١) لَبَّجُوهُ لَبَجًا : ضَرْبُهُ ضَرْبًا .

(٢) الْقَدْ : حَبْلٌ يَشْدُ بِهِ الْأَسِيرُ . قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتْنِيُّ :

وَعَيْظٌ عَلَى الْأَيَّامِ كَالنَّارِ فِي الْحَشَا وَلَكِنَّهُ غَيْظُ الْأَسِيرِ عَلَى الْقَدْ

وَالْمَعْنَى : لِي غَيْظٌ عَلَى الْأَيَّامِ يَلْتَهَبُ فِي الْحَشَا النَّارَ ، وَلَكِنَّهُ غَيْظٌ عَلَى مَنْ لَا يَكْتَرِثُ

وَلَا يَبَالِي بِغَيْظِي ، فَهُوَ كَغَيْظِ الْأَسِيرِ عَلَى مَا يَشْدُ بِهِ مِنَ الْقَدْ .

حَضَرَ مَوْتَ . . فلا يجادلونَ بحقٍّ ، إِنَّمَا يَقُولُونَ : أَلَوْهَا بَيَّةُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ الرَّدِيَّةِ .

فَقُلْنَا : وما بدعتُهُمْ ؟ قالوا : يُكْفَرُونَ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَسْتَحِلُّونَ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى نَوَاقِضٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وقواطعُ الإسلامِ بكلمةِ أَهْوَنَ مِنْ أَفْعَالِ أَهْلِ هَذَا الزَّمَانِ .

وَأَمَّا « الدَّلَائِلُ الْوَاضِحَةُ »^(١) . . فَلَسْنَا بِرَادِيِهِ إِلَّا بَعْدَ نَقْلِهِ ، حَيْثُ هُوَ أُعْجِبَةُ الزَّمَانِ ؛ أَدْعَنَ لِمُصَنِّفِهِ مَنْ لَا يُحِبُّهُ ، لَاسِيَّمَا تَرْجَمْتُهُ لِشَيْخِ الْإِسْلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَالذَّبُّ عَنْ عَرْضِهِ وَعَرْضِ ابْنِ الْقَيْمِ وَأَبْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، الَّذِينَ عَمِيَ عَنْ نُورِهِمُ الْخَفَافُ الَّذِي يَضْرِبُهُ نُورُ الشَّمْسِ ، وَالْجَعْلُ^(٢) الَّذِي يَضْرِبُهُ رِيحُ الْمَسْكِ .

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْنَائِكَ^(٣) سَالِمٌ وَمَحْسِنٌ ، وَالْوَلَدِ عَلَوِيِّ بْنِ سَقَافِ الْجَفْرِيِّ ، وَالْخَطُّ لَكَ وَلَهُ وَاحِدٌ) اهـ

وسياتي لبعض ما في هذه القطعة شرح في تريس إن شاء الله تعالى .

تُوفِّيَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيُّ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ (١٣١٤ هـ) ، وَخَلَفَهُ عَلَى الْمُنْصِبَةِ السَّيِّدُ صَالِحُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيُّ خَلْفًا صَالِحًا ، وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا ، إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ كَثِيرًا ، بَلْ تُوُفِّيَ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣١٨ هـ) ، وَلَهُ أَخٌ أَسْمُهُ عَلِيٌّ ، تُوُفِّيَ بِالْصَّرْعِ عَلَى إِثْرِهِ فِي مُتَنَصِّفِ رَمَضَانَ مِنْ تِلْكَ السَّنَةِ ، وَأَخٌ آخَرُ أَسْمُهُ مُحَمَّدٌ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ (١٣٢٩ هـ) ، وَأَنْقَرَضَ كُلُّهُمْ مِنَ الذُّكُورِ ، وَبَعْدَ وَفَاةِ السَّيِّدِ صَالِحٍ . . خَلَفَهُ السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ طَلَةَ الْحَبْشِيُّ ، وَكَانَ فَاضِلًا مُضِيًّا إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَيِّنَ الْعَرِيكَةِ ، ذَمَّتْ الْأَخْلَاقُ ، وَفِي أَصْحَابِهِ شِرَاسَةٌ فَتَهَضَّمُوهُ ، وَبَقِيَ عَلَى الْمُنْصِبَةِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ (١٣٣٤ هـ) .

ثُمَّ خَلَفَهُ عَلَيْهَا السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَنِ بْنِ شَيْخٍ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ سَنَةَ

(١) هو كتاب « الدلائل الواضحة في الرد على رسالة الفاتحة » ، للعلامة علوي بن سقاف الجفري ، يرد فيه على رسالة للعلامة طاهر بن حسين بن طاهر ، انظر كلام المصنف عنها في تريس لاحقاً .

(٢) الْجَعْلُ : حيوان كالخنفساء يكثر في المواضع النديّة .

(٣) أَصْنَاءٌ - جمع صنو - وهو : الأخ الشقيق والمعم والابن .

(١٣٣٦هـ) ، ووقع اختيار آل أحمد بن زين ومنصب الحداد على السيد عمر بن عبد الله بن محمد بن أحمد الحبشي ، وكان فكها أديباً ، له نوادر وولع كثير بالأغاني والأوتار ، وله تهجد واتصال بالسادة الأخيار ، ولهذا ذكرت في تأبينه ما جرى بين معاوية وإحدى نساؤه في عبد الله بن جعفر ؛ فلقد سمعته في أغانيه بين جواره وأصحابه ، فقالت لمعاوية : تعال ، فهذا الذي أنزلته بين جلدك ولحمك كيف يفعل ؟! فسكت ، ولما كان من آخر الليل . . سمعه يرتل آيات القرآن فأنبهاها وقال لها : تعالي فأسمعي مكان ما أسمعيني .

على أن لي في الأوتار كلاماً لم أسبق إليه ، فصلته في الفائدة (٢٤) من « بابل التغرید » ، وكانت وفاة السيد عمر بن عبد الله في آخر جمادى الآخرة من سنة (١٣٦١هـ) ، وخلفه السيد علي بن عبد الرحمن الحبشي ، وهو رجل لطيف شديد التواضع ، جميل الأخلاق^(١) ، وقد زاده نبلاً في عيني ، ومحبة في صدري : أن النجم الهادي عبد الله بن عمر بن سميط رباه في شبام ؛ إذ كان خال أمه ، ومات وهو في السابعة وقد فقد أباه من قبل ذلك ، أطال الله عمره وإيانا في خير وعافية ، وكانت منصبهم ولاسيما في أيام السيد محمد بن أحمد وولده عبد الله ، عبارة عن دولة قاهرة ، وسلطان نافذ ، إلا أنها لم تخل من شيء من الاستطالة ، أما الآن . . فقد تلاشى نفوذها بما كان من تداخل الأجانب بحضرموت .

وفي الحوطة بقايا من بني سغد ، ومن آل ويز ، ومن آل الجزو ، ومن آل مشعبي ، وآل باسراحيل ، وآل باطاهر ، وآل سمير ، وآل الثوي ، وآل بشير ، وآل غانم ، وآل باسيف^(٢) ، وآل جوبح ، وآل مربش ، وآل الجريدي وغيرهم .

(١) توفي السيد علي بالحوطة سنة (١٣٨٦هـ) ، والقائم بمنصب آل أحمد بن زين اليوم هو السيد الفاضل شيخ بن عبد الله بن سالم بن طه الحبشي .

(٢) وبها أيضاً آل باقلاقل ، وآل جويخ ، وآل مزيش ، وسادة من آل بلفقيه ، وأما آل مشعبي . . فشهريهم في سينون ؛ لأنهم كانوا تجاراً بها ، حتى إن الشاي كان ينسب لهم فيقال : شاي مشعبي ، وآل باطاهر كثير منهم في الحاوي .

أرباض الحوطة :

قد عَلِمَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ الحوطةَ فِي آخرِ حَدِّ وادي بنِ عليّ الشَّمالِيّ ، فأرباضُها مِنْ مِثْلي أَلِ كثيرٍ داخلَةٌ فِي حدودِ السَّليلِ .

أَمَّا حاوي أَلِ الحَدَّادِ . . فبِإِزائها إِلَى الجنوبِ .

وفي شَرْقيِّها إِلَى الشَّمالِ : ديارٌ لآلِ عمرَ بنِ سَعِيدٍ ، تَتَلوها ديارٌ لِأَناسٍ مِنْ أَلِ عمرَ بنِ سَعِيدٍ أُخْرَى إِلَى شَمالِها .

وفي شَرْقيِّ هَذِهِ : قَرْيَةٌ تُسَمَّى بِالْفَغْوَةِ ، لِلْمِشاخِ أَلِ باوزيرِ ، إِلَى جَانِبِها ضَرْيُخُ السَّيِّدِ صالِحِ بنِ عِيدروسِ الْبحرِ وَالِدِ سَيِّدِ الواديِ الْإمامِ حَسَنِ بنِ صالِحِ .

وَحِوَالِي الْفَغْوَةِ مِنْ أَجْهاتِ : حصونٌ لآلِ كثيرٍ وَنَخيلٌ مُنتَشِرٌ .

وفي جنوبِها حصونٌ أَلِ سَلامَةَ بنِ جَعْفَرِ بنِ طالِبِ ، كانتَ لَهُمْ قَبولَةٌ حادَّةٌ ، مَشوبَةٌ بِكثيرٍ مِنَ التَّعَدِّيِّ وَالْبَغْيِ ، حَتَّى لَقِدَ كانَ جَعْفَرُ بنُ عُبُودِ بنِ عَوْنٍ - وَهُوَ مِنْ أَوَخيرِهِمْ - يَتَخَفُّ صَبِيانَ الْمَساكِينِ وَيَبِيعُهُمْ عَلَى بَنِي أَرْضٍ ، وَهُمْ يَبِيعُونَهُمْ عَلَى مَنْ يَذْهَبُ إِلَى الْقَبْلَةِ وَالْحِجازِ ، وَقَدْ حاقَ بِهِ بَغْيُهُ حَتَّى ماتَ فِي سَجَنِ الْحُكُومَةِ الْكَثِيرَةِ .

وَحَصَلَتْ بَيْنَهُمْ فِي الْأَخِيرِ مِشاغِباتٌ وَفَتَنٌ داخلِيَّةٌ ، أَثخَنَتْهُمْ ، فَقَلُّوا وَذَلُّوا ، وَمَا كادَ أَمْرُ الْإِنْكِلابِ يَسْتَفْحِلُ إِلَّا وَقَدْ أَنتَهَوْا مِنَ الانْحِطاطِ إِلَى قَرارِهِ .

ذِي أَصْبَحٍ^(١)

هِيَ مِنْ قَدامِي بِلدانِ حَضْرَمَوْتِ ، لَهَا ذِكْرٌ عِنْدَ الْهَمْدانِيِّ وَغَيْرِهِ . وَكانَ بِها كَثيرٌ مِنَ الْإِباضِيَّةِ كَمَا يَنْطَلِقُ بِذلِكَ ما سَبَقَ فِي شِبابٍ مِنْ شَعْرِ إِمائِهِمْ إِبْراهِيمَ بنِ قَيْسٍ .

(١) ذُو أَصْبَحٍ : هُوَ اسْمٌ لِأَحَدِ أَقْبالِ حَميرِ ، واسمُهُ الْحارِثُ بنُ مالِكِ بنِ زَيْدِ بنِ قَيْسِ بنِ صَيْفِي بنِ حَميرِ الْأَصْغَرِ ، سَمَّى ذَا أَصْبَحٍ لِأَنَّهُ غَزاهُ عَدُوًّا وَأَرادَ أَنْ يَبِيتَهُ ثُمَّ نامَ دُونَهُ حَتَّى أَصْبَحَ الصَّباحُ ثُمَّ قالَ لِجيشِهِ أَصْبَحَ ، فَسَمَّى ذَا أَصْبَحٍ . وَهُوَ الَّذِي أَحدثَ السَّياطِ الْأَصْباحِيَّةَ . . فَنسَبَتْ إِلَيْهِ . هَلْذا ما قالَهُ نِشْوانُ فِي شرحِ قولِهِ :

أَمْ أَيْـنَ ذُو قَيْـفانٍ أَوْ ذُو أَصْبَحٍ لَمْ يَنْجِ بِالْإِمْساءِ وَالْإِصْباحِ
« خلاصة السيرة الجامعة » : (ص ١٩٣) . وَهناكَ أَقْوالُ أُخْرَى .

وَأَقْتَصَرَ الطَّيِّبُ بِامْخَرَمَةِ فِي كِتَابِهِ « نَسَبَةُ الْبُلْدَانِ » [خ/١٢٤] عَلَى قَوْلِهِ : (وَذِي
أَصْبَحَ قَرْيَةً بِحَضْرَمَوْتَ لَّالٍ بِاعْبَادٍ) اهـ

وَصَدَقَ فِي قَوْلِهِ : (لَّالٍ بِاعْبَادٍ) ؛ فَكُلُّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا . . لَابِذًا وَأَنْ يَأْخُذَ
إِجَازَةً مِنْهُمْ ؛ لِأَنَّ أَرْضِيهَا مِنْ جَمَلَةِ أَوْقَافِهِمْ ، وَلَكِنَّهَا قَدْ أُنْدَثَرَتْ وَجُهِلَتْ مَقَادِيرُهَا ،
وَكَثِيرٌ مِنْ بَقَاعِهَا .

وَجَامِعُهَا الْمَوْجُودُ الْآنَ هُوَ مِنْ بَنَاءِ الْمَكْرَمِ عَوْنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ رَوَّاسٍ السَّابِقِ ذِكْرُهُ
بِالْحَزَمِ .

وَمِنْهَا كَانَ الْعَلَمَةُ الْجَلِيلُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَمِيرٍ ، وَهُوَ الشَّيْخُ (١٩)
مِنْ مَشَايِخِ سَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، تُوَفِّي سَنَةَ (١٢٦٢ هـ) ، وَخَلَفَهُ عِلْمًا وَصَلَاحًا وَلَدُهُ
الْعَلَمَةُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَكَانَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ بْنِ يَحْيَى جَعَلَهُ وَزِيرًا لِلسُّلْطَانِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَسِّنِ بْنِ أَحْمَدَ حِينَمَا كَانَ نَائِبًا عَنْ أَخِيهِ غَالِبٍ فِي أَوَائِلِ دَوْلَتِهِمْ ، وَأَشْتَرَطَ
عَلَيْهِ أَنْ لَا يَخْرُجَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَأَنْ لَا يَخْلُوَ بِأَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ ، فَبَقِيَ عَلَى ذَلِكَ مَدَّةً يَطَالُغُ
السَّيِّدَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ فِيهَا بِكُلِّ مَا يَجْرِي ، وَيُنْفَذُ كُلَّ مَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّ
السُّلْطَانَ عَبْدَ اللَّهِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ . . فَنَقَضَهُ ، وَكَانَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ يَرْشَحُهُ
لِقَضَاءِ تَرْيَمَ لِيَكُونَ تَحْتَ إِشَارَتِهِ فِي كُلِّ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، وَلَكِنْ كَانَ أَهْلُ تَرْيَمَ وَفِي
مَقْدَمَتِهِمُ الْجَلِيلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنٍ بَلْفَقِيهِ - الشَّيْخُ (١٢) لِلأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ - مُخَالَفًا لِلسَّيِّدِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ ؛ حَتَّى لَوْ قَالَ أَحَدُهُمَا : (تَمْرَةٌ) . . لَقَالَ الْآخَرُ :
(جَمْرَةٌ) ، وَمَا نَظَلُّ بِهَمَا إِلَّا الْحَقُّ ، غَيْرَ أَنَّ الْهَوَى يَصَوِّرُ الشَّيْءَ فِي عَيْنِ صَاحِبِهِ بِغَيْرِ
مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَكُلُّ يُوْخِذُ مِنْ كَلَامِهِ وَيُتْرَكُ .

وَكَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ أَحْمَدُ بَاسُودَانَ يَفْضَلُ بَلْفَقِيهِ فِي سَعَةِ الْعِلْمِ وَغَزَاةِ الْمَادَّةِ .

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَمِيرٍ تَوَجَّهَ إِلَى جَاوَةَ وَمَاتَ بِبَتَاوِي فِي سَنَةِ
(١٢٧٠ هـ) .

وَبِذِي أَصْبَحَ سَكَنَ قَطْبُ الْجُودِ ، وَكَعْبَةُ الْوُفُودِ ، سَيِّدُنَا الْإِمَامُ حَسَنُ بْنُ صَالِحٍ

البحر^(١) ، لقد كَانَ عَلمَ هدىً ، ومصباحٌ دُجىً ، ومناطٌ آمالٍ ، وحمالٌ أثقالٍ ، وغرّةُ زمانٍ ، وحِرزٌ أمانٍ ، ومعقلٌ إيمانٍ ، عَقْلُ الدِّينِ عَقْلٌ وَعَايَةُ ورعايَةٍ ، لا عَقْلٌ تدرّيسٍ وروايةٍ ، أمّا العبادةُ . فيبيتُ صافاً قدميه إذا استثقلت بالمؤمنين الوسادةُ .

يَبِيتُ يُجَافِي جَنَبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُخْلِصِينَ الْمَضَاجِعُ
فلو زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا . لَمْ يَشْعُرْ بِشَيْءٍ مَعَ اسْتِغْرَاقِهِ بِالتَّهَجُّدِ ، ولقد جَرَتْ لَهُ في ذلكَ أَخْبَارٌ لا تُطِيلُ بها ، مِنْ جنسٍ ما وَقَعَ لابنِ الْكُزَّيْبِ ؛ إِذْ صَبَّأُوا عَلَى رَأْسِهِ الْمَاءَ الشَّدِيدَ الْحَرَارَةِ لَمَّا أَتَاهُمُوهُ بِالرِّيَاءِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَمَا أَحْسَنَ بِهِ .

ولقد كَانَ يُصَلِّي مَرَّةً وَمِنْ ورائِهِ الْحَبِيبُ مُحَمَّدٌ بْنُ أَحْمَدَ الْحَبَشِيُّ وَأَخُوهُ صَالِحٌ وَعَتِيقٌ - السَّابِقُ ذِكْرُهُ ، الَّذِي كَانَ لا يَجَازِفُ قَبْدَ شَعْرَةٍ في تَصْوِيرِ الرُّجَالِ - وَلَمَّا فَرَّغُوا . قَالَ عَتِيقٌ : لَقَدْ تَمَثَّلْتُ وَاحِدًا نَثَرَ أَمَانًا صُرَّةً مِنَ الرِّيَالَاتِ وَنَحْنُ نُصَلِّي ، فَقُلْتُ في نَفْسِي : أَمَّا حَسَنٌ . فَلَنْ يَشْعُرَ بِهَا أَصْلًا ، وَأَمَّا صَالِحٌ . . فسيُطَاعِنُ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا مُحَمَّدٌ . . فسيُجْمَعُ بِيَدَيْهِ وَيَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ ، فبَكَى مُحَمَّدٌ وَقَالَ : لَقَدْ جَعَلْتَنِي شَرَّهُمْ ؛ إِذْ تَلَّكَ سِمَةُ الْمُنَافِقِينَ .

وما تَفَرَّسَهُ عَتِيقٌ هُوَ عَيْنُ الْحَقِيقَةِ ؛ أَمَّا الْإِمَامُ الْبَحْرُ . فَقَدْ زَمَّتِ التَّقْوَى أُمُورَهُ ، وَأَمْتَلَكَ الْإِحْسَانَ شُعُورَهُ ، فَمَا هُوَ إِلَّا مَلَكٌ في الْمَعْنَى وَإِنْ بَقِيَ إِنْسَانًا في الصُّورَةِ .

فَمَا دَهْرُهُ إِلَّا جِهَادٌ يَقُودُهُ لِإِحْقَاقِ حَقِّ أَوْ صَلَاةٍ يُقِيمُهَا^(٢)

كَلَمَّا حَزَبَهُ أَمْرٌ . . فَنَزَعَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَيَصِيرُ عِنْدَهَا الْجَبَلُ الْخَشَامُ^(٣) كَرَمَلٍ الْفَلَاةِ .

وَأَمَّا الشَّجَاعَةُ : فَقَدْ رَادَى جِبَالَ الْجَوْرِ فَازَالَهَا ، وَكَانَ لَهَا شِمٌّ في النَّجْدَةِ مِثَالُهَا :

رَسَا جَبَلًا فِي الدِّينِ فَهُوَ بِنَصْرِهِ إِذَا مَا تَرَاخَى الصَّادِقُونَ مُكَلَّفُ

(١) أفرده بالترجمة أستاذه ومعلمه الفقيه الشيخ عبد الله بن سعد بن سُمَيْرٍ في كتاب سَمَاءِ : « قلادة النحر في مناقب الحسن بن صالح البحر » .

(٢) البيت من الطَّوِيل .

(٣) الخشام : العظيم .

تَرَى مَلَكًا فِي بُرْدَتَيْهِ وَتَارَةً إِذَا سَارَ هَزَّ الْأَرْضَ بَأْسًا وَقَلْبُهُ إِذَا قَامَ فِي الْمِخْرَابِ بِالذِّكْرِ يَرْجُفُ تَرَى اللَّيْثَ مِنْ أَعْطَافِهِ الْمَوْتُ يَنْطَفُ سَنَا قَمَرٍ أَوْ بَارِقٍ يَتَكَشَّفُ يُلُوحُ الثَّقَى فِي وَجْهِهِ فَكَأَنَّهُ

فكثيراً ما قادَ الكتائبَ للطَّعانِ ، ونصبَ صدرهَ للأقرانِ ، فلقد صدَّ عاديةَ قومٍ في غربيِّ شبَّامِ جاؤوا ليجتاحوا حضرموتَ ، وأوقعَ بهم شرَّ هزيمةٍ ، وقد أشكلَ عليَّ أمرُ أولئك أولاً ، يمكنُ أن يكونَ المكارمةُ الَّذِينَ جاؤوا في سنة (١٢١٨هـ) ، والنَّاسُ يقولونَ : إنَّهم ألوهائيَّةُ ، ولكنَّ بعضَ أهلِ حضرموتِ يُطلقونَ على المكارمةِ ألباطنيَّةِ لقبَ : ألوهائيَّةِ ؛ لأنَّهم لا يفرِّقونَ بينهم - على ما بينهم مِنَ ألبونِ - فالصَّوابُ - كما يُعرفُ من بعضِ المسوِّداتِ - : أنَّهم المكارمةُ ، جاؤوا هاجمينَ مرَّةً أُخرى غيرَ الأولى فَكَسَرَهُمْ ، ولكنَّ الَّذِي نقلَهُ والذي عَنِ الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ : أَنَّ بعضَ آلِ كثيرٍ قاوموا ألوهائيَّةَ ، وساعدهم بعضُ السَّادةِ ، وحملوا السِّلاحَ ، وجُرحَ السَّيِّدُ شَيْخُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَبَشِيُّ جُرحاً خطيراً ، فشفاهُ اللهُ بدعاءِ سيِّدنا الحسنِ البحرِ ، ولم يفصح سيِّدي أوالدُ فيما كتبهُ بأنَّ أميرَ القومِ إذ ذاكَ هوَ سيِّدُ الوادي مولانا الحسنُ البحرُ ، ولكنِّي سمعتُ مِن لسانهِ ذاتَ المرَّاتِ أنَّه هوَ ، وقد مرَّتِ الإشارةُ إليه في حوره .

وكانَ سيِّدنا الحسنُ البحرُ لا يقرُّ على كَظَّةِ ظالمٍ ، ولا على سَغَبٍ مظلومٍ ^(١) ، ولقد جَمَعَ كلمةَ الشَّنَافِرِ بعدَ جُهدٍ جهيدٍ على رَدِّ الْحَقُوقِ وإقامةِ الْحُدُودِ ، وأخذَ مِنْهُمْ الْعَهْدَ وَالرَّهَائِنَ ، حتَّى توجَّهَ على رئيسٍ مِنْهُمْ قِصاصٌ في قتلٍ ، ولمَّا صمَّم على أَسْتِيفائِهِ . . أحتالَ بعضُهُمْ على امرأةٍ المقتولِ - وكانت أجنبيَّةً - فعَفَّتْ ، فدخلَ ألوهنُ على تلكَ الجمعيَّةِ ؛ لأنَّ أكثرَهُمْ بسطاءٌ لا يفهمونَ ، ولو أنَّه أطلعَ على قولِ بعضهم بِتَحْتُمُ الْقِصَاصِ إِذَا التَزَمَ الْكَامِلُونَ مِنَ الْوَرِثَةِ بِنَصِيبِ الْقَاصِرِينَ ، أو الَّذِينَ يَعْفُونَ مِنَ الدِّيَةِ . . لأخذَ بِهِ ؛ لأنَّه معَ قوَّةِ عَزمِهِ كانَ مِنْ أَهْلِ الْأَجْتِهَادِ وَالْتِزَاجِ .

وكانَ لا يقومُ أَحَدٌ لِعِظْبِهِ إِذَا أَنتَهَكَتْ حَرَمُ اللهِ أوِ اعْتَدِيَ على من لا ناصرَ لَهُ

(١) الكَظَّةُ : امتلاء البطن حتى لا يستطيع معه التنفُّسُ . السَّغَبُ : الجوع . والمعنى : لا يترك الظالمَ ظالماً ، ولا المظلومَ مظلوماً . بل سرعان ما يأخذ الحق من الظالم ويرده للمظلوم .

سواه ، وكان لا يخاطبُ عبدَ اللهِ عوضَ غرامةِ فَمَنْ دونهِ مِنَ الرُّؤساءِ في المَعْتَبَةِ إِلَّا بِأَسْمِهِ ، مجرداً عن كلِّ صفةٍ ، يَسْكُتُ لغرامةٍ على آرائِهِ ألوهائيَّةٍ ؛ لأنَّ بعضها يوافقُ ما عندهُ من تجريدِ التَّوْحِيدِ ، ولكن لا هُوادةَ لَهُ عندهُ متى أنبسطت يدهُ في ظلمٍ مَنْ لا ناصرَ لَهُ إِلَّا اللهُ ، فهو ركنُ الإسلامِ ، وموئلُ الأنامِ .

تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً إِلَى بَابِ دَارِهِ كَأَنَّهُمْ رِجَالاً دَبَى وَجَرَادٍ^(١)
قلَّما تجدُ جذعاً مِنَ النَّخِيلِ الحَافَّةِ بدارِهِ إِلَّا مربوطاً بها - في أَيَّامِهِ - حصانٌ أو حمارٌ .

ولقد رأى كثرةَ الوفودِ مرَّةً ببابِهِ . فخرجَ بمنجلِهِ يحتطبُ ، ثمَّ جاءَ أَمامَهُم بحزمةٍ على رأسِهِ ، وقالَ لبعضِ خاصَّتِهِ : لقد أعجبتني نفسي فعمدتُ إلى وقْذِها ، ومازالَ بها حتَّى أمانتها كما فعلَ ابنُ الخطَّابِ رضي الله عنه .

وإنَّ كانَ ليقومُ بالمصحفِ في الجامعِ ، فقالَ لَهُ السَّيِّدُ عقيلُ الجفري - وكانَ آيةً في الإخلاصِ والنُّصحِ - : نِعَمَ هذا لو كانَ في بيتِكَ ، فما أجابَهُ إِلَّا بقولِ ابنِ الفارضِ [في «ديوانه» ٤٦ من الطُّويل] :

فَأَبْشَرْتُهَا مَا بِي وَلَمْ يَكْ حَاضِرِي رَقِيبٌ لَهَا حَاطِظٌ بِخُلُوةِ جَلُوتِي
فَأَقْتَنَعَ ؛ إِذْ كَانَ لَا يَخْتَلِجُهُ أَدْنَى رَيْبٍ فِي صِدْقِهِ .
وبحقُّ يقولُ فِيهِ الإمامُ المَحْضَرُ :

وَمَنْ فِي (ذِي صَبَخ)^(٢) أَصْبَحَ وَذَبَّاحٌ بِهَا يَذْبَحُ
وَطَبَّاحٌ بِهَا يَطْبَحُ وَبُو صَالِحٌ بِهَا يَنْضَحُ^(٣)
بِلا عَجَبٍ وَلَا كِبَرِ

(١) البيت من الطُّويل ، وهو لأبي نواس في «ديوانه» (٤٧٢) . الرَّجُلُ : القطيع من الجراد ونحوه من

الخلق . الدُّبَى - جمع دِباء - وهي : أصغر ما يكون من الجراد والتَّمَل .

(٢) ذِي صَبَخ : هكذا ينطق اسم البلدة عند العامة .

(٣) إما بالحاء المهملة من النضج ، أو (يَنْدَخ) بذال وخاء ؛ أي : يعطي ويقسم .

وكان في الجود آية ، وفي الشفقة بالأيامى واليتامى والضعاف غاية ، وإن كان جاهه الضخم في آخر أيامه ليدر عليه بالأموال الطائلة من شرق الأرض وغربها ، ثم لا يبيت عنده دينار ولا درهم ، ولقد أراد جماعة من محبيه أن يشتروا له عقارا . فغضب عليهم .

وورده مرة ألف ريال^(١) فلم يمس منه شيء .

جود يحرك منه كل عاطفة ورخمة رفرقت منه على الأمم^(٢) ولقد كاد مع وقار ركنه يطير طربا عندما تمثل له جدّي في مناسبة بقول جوبة بن النضر [من البسيط] :

إنّا إذا اجتمعنا يوما ذراهمنا ظلت إلى طرق المعروف تستبق
لا يعرف الدّزهم المضروب صرّتنا لكن يمرّ عليها وهو منطلق
لأنّ ذلك حاله رضوان الله عليه ، لا يتزل موضعا إلا عمه نورا ، وملاؤه سرورا .

إن ضلّ غيث أو خبا قمر فجيينه ويمينه ألبدل^(٣) وله من التّحنن على الفقراء ما من أمثله : أن جدّي المحسن طلب يد بنته بهيّة ، فعمل لهم ضيافة حسب العادة ، وبينما هو في انتظارهم . . أطلّ من النّافذة ، فإذا الدّار محفوف بالنّظارة من المساكين ، فأمر بإدخالهم وتقديم الطّعام لهم ، ثمّ لما أقبل جدّي بخيوله ومركبه وطوله . . استأنف لهم الدّبائح والطّبخ . وله من هذا النوع أمثال كثيرة ، يُعظّم أهل الدّين ، ويكرّم الفقراء والمساكين ، وإن كان الأغنياء والرؤساء في مجلسه لأذلّ منهم في مجلس سفيان الثّوري ، وأخرج أبو نعيم [٣٦٥/٦] بسنده إلى عيسى بن يونس قال : (ما رأينا الأغنياء والسّلاطين في مجلس قطّ أحقرّ منهم في

(١) من الرّيالات الفرائصة (ماريا تريزا) المتداولة آنذاك .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لأبي تمام في «ديوانه» (٩٧/٢) . باختلاف بسيط .

(٣) البيت من الكامل وهو للطّغزايّ في «ديوانه» ، وفيه لفّ ونشر مشوّش ، إذ ذكر في الشّطر الأوّل الغيث والقمر ، ثمّ ذكر في الشّطر الثّاني الوجه واليمين ، ويناسب الغيث . . اليمين ، ويناسب القمر . . الوجه ، والله أعلم .

مجلس الأعمش ، وهو محتاج إلى درهم) ، ولئن صحَّ هذا أو لا . . فقد جاء العيانُ
بسيّد الوادي فالوئى بالأسانيد .

مَنَاقِبُ يُنَدِّيهَا الْعِيَانُ كَمَا تَرَى وَإِنْ نَحْنُ حَدَّثْنَا بِهَا دَفَعَ الْعَقْلُ^(١)

وقد اعترف السيّد أحمد بن عليّ الجنيّد - وهو من أقرانه - بالعيّ عن وصف
ما شاهدته من أعماله واجتهاده في سفره . . فكيف بمثلي ؟

وهو بذلك جدير ؛ إذ الإمام البحرُ أكبرُ من قول أبي الطيّب [في «المكبري» ٣٥٢/١ من

البيّط] :

لَمْ أَجِرْ غَايَةَ فِكْرِي مِنْهُ فِي صِفَةٍ إِلَّا وَجَدْتُ مَدَاهَا غَايَةَ الْأَبَدِ
عَلَى أَنَّي لَا أُرِيدُ مِنْ عَدَمِ الْتَفَادٍ إِلَّا ضَيْقَ الْعِبَارَةِ عَنْ سَعَةِ الْمَعَانِي ، وَإِلَّا . . فكلُّ
شيءٍ في الحياة نافذٌ ما عداه جلّ جلاله .

وكان جدّي المحسنُ كثيراً ما يقول : إنّنا لا نعني الجوارح إلا بطريق المجاز عندما
نقول : اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، وَأَمَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ . . فلا نقصدُ إلا حسنَ بنِ
صالح ، وأحمدَ بنِ عمرَ بنِ سميط ، وعبدَ الله بنِ حسين بنِ طاهر ، فهؤلاء الثلاثة هم
أركانُ الإسلامِ وأشرفُ لذلك العهدِ ، فلهذا درّ البحرّي في قوله [في «ديوانه» ٧٧/٢ من
الطويل] :

فَأَزْكَائِهِمْ أَزْكَانُ (رَضَوِي) (وَيَذْبُلِ) وَأَيْدِيهِمْ بِأَسُ الْيَلِي وَجُودُهَا
وقد كانَ بينهم من التّصافي والاتّحاد ما يُشبهُ امتزاجَ الماءِ بالرّاح ، والأجسامِ
بالأرواح ، وكلُّ واحدٍ منهم أُمَّةٌ تنكشفُ بهُ الغمّةُ .

لَعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةً إِخْوَةً وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلِ^(٢)
والمفاضلةُ بينهم لا تليقُ بمثلي ، ومن دون ذلك ألفلواتُ ألفيخُ والعقباتُ

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبي الفتح البستي في «ديوانه» .

(٢) البيت من الطويل ، وهو من قطعة لأبي تمام في «ديوانه» (٣٢٢/٢) ، وما أجمل توافق الاستشهاد

بهذا البيت مع من ذكرهم من الأعلام وكانوا ثلاثة ! .

الكأداء ، غير أنَّ ما يتفَضَّلُ به علينا التَّاريخُ مِنْ يومٍ إِلَى آخَرٍ يَجْعَلُنَا لَا نَعْدُلُ بِالْحَبِيبِ حَسَنٍ أَحَدًا ، لَا فِي شَهَامَتِهِ ، وَلَا فِي شِدَّتِهِ فِي اللَّهِ ، وَلَا فِي قُوَّةِ ثِقَتِهِ بِهِ وَفَرَطِ تَوَكُّلِهِ عَلَيْهِ وَتَفَانِيهِ فِي مَوَاقِعِ رِضَاهُ .

وبهذه المناسبةِ ذَكَرْتُ شَيْئَيْنِ :

أحدهما : ما رواه غيرُ واحدٍ أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ سُئِلَ عَنِ الْأَسْوَدِ وَعَلْقَمَةَ وَعَطَاءَ أَتَيْهِمْ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قَدَرِي أَنْ أَذْكَرَهُمْ إِلَّا بِالْذُّعَاءِ وَالْإِسْتِغْفَارِ ؛ إِجْلَالاً لَهُمْ ، فَكَيْفَ أَفْضَلُ بَيْنَهُمْ ؟

هَذَا مَا يَقُولُهُ أَبُو حَنِيْفَةَ عَنْ هَضْمٍ لِلنَّفْسِ فِيمَا نَخَالُ ، وَإِذَا نَحْنُ قُلْنَا نَحْوَهُ فِي أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ... فَإِنَّمَا نَتَحَدَّثُ بِالْوَاقِعِ ، وَنُخْبِرُ عَنِ الْحَقِيقَةِ ؛ لِأَنَّ الْحُكْمَ بِالشَّيْءِ فَرَعُ تَصَوُّرِهِ ، وَالْأَمْرُ كَمَا قَالَ الْبُوصَيْرِيُّ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

فَوَرَى السَّائِرِينَ وَهُوَ أَمَامِي سُبُلٌ وَغُرَّةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءُ
وَالثَّانِي : مَا ذَكَرَهُ أَبُو الشُّبَكِيِّ فِي « طَبَقَاتِهِ » [٣٥٣/٥] وَيَا قُوتُ فِي مَادَّةِ (الْمَقْدِسِ)
مِنْ « مَعْجَمِهِ » [١٧٢/٥٤] وَغَيْرُهُمَا - عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ : (صَحِبْتُ أبا الْمَعَالِي
الْجَوِينِيَّ بِخِرَاسَانَ ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَصَحِبْتُ الشَّيْخَ أبا إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيَّ ، فَكَانَتْ
طَرِيقَتُهُ عِنْدِي أَفْضَلَ مِنْ طَرِيقَةِ الْجَوِينِيَّ ، ثُمَّ قَدِمْتُ أَلَشَّامَ فَرَأَيْتُ أَلْفَقِيَةَ أبا الْفَتْحِ
نَصْرَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْمَقْدِسِيَّ ، فَكَانَتْ طَرِيقَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ طَرِيقَتِهِمَا جَمِيعاً) .

وَقَدْ مِثَّلْتُ بَيْنَ الْجَوِينِيَّ وَالشَّيرَازِيَّ فِي « أَلْعُودِ الْهِنْدِيِّ » قَبْلَ أَطْلَاعِي عَلَى هَذَا
بِزَمَانٍ طَوِيلٍ بِمَا لَا يَبْعُدُ عَنْهُ ، وَمَا ظَنَنْتِي بِالزَّوَايِ لَوْ أَطَّلَعَ عَلَى ثَلَاثَتِنَا . . إِلَّا تَفْضِيلَهُمْ فِي
الْتَّقْوَى وَالذِّينِ ، وَإِنْ كَانَ أَوْلَئِكَ أَغْزَرَ فِي الْعِلْمِ .

فَمَا كَانَ بَيْنَ الْهَضْبِ فَرْقٌ وَبَيْنَهُمْ سَوَى أَنَّهُمْ زَالُوا وَمَا زَالَتْ الْهَضْبُ
وَكَلَّا وَاللَّهِ لَمْ يَزُولُوا وَلَكِنَّهُمْ أَنْتَقَلَوْا فَعُولُوا ، وَقَدْ جَاءَ فِيمَا يَقُولُوا [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَإِذَا الْكَرِيمُ مَضَى وَوَلَّى عُمْرُهُ كَفَلَ الْتَّاءَ لَهُ بِعُمْرِ نَازِي
وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ نَاقِيَاءَ فِي رِثَائِهِ لِأَبِي إِسْحَاقَ الشَّيرَازِيَّ [مِنْ الْكَامِلِ] :
إِنْ قِيلَ مَاتَ فَلَمْ يَمُتْ مَنْ ذَكَرُهُ حَيٌّ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي بَاقِي

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ وَالْمُطْلَعُ عَلَى خَفِيِّ مَا فِي الصُّدُورِ .

ولمَّا تَوَفَّى فِي سَنَةِ (١٢٧٣هـ) بقرية ذي أَصْبَحَ عَنْ عِدَّةِ أَوْلَادٍ . . لَمْ يَرِثْ حَالَهُ مِنْهُمْ إِلَّا وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ^(١) ، وَكَانَ يُسَمِّيهِ : قُرَّةَ الْعَيْنِ ، بِسَبَبِ أَنَّهُ وَصَلَ لَهُ مَالٌ دَثْرٌ فَقَالَ لِأَوْلَادِهِ : خَذُوا مَا شِئْتُمْ ، فَكُلُّ أَحَدٍ مِنَ الرِّبَالَاتِ مَا يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ . . إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ^(٢) فَإِنَّهُ أَقْتَصَرَ عَلَى طَلَبِ الدُّعَاءِ بِالثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ ، فَقَالَ لَهُ : قَرَّتْ بِكَ عَيْنِي يَا وَلَدِي ، فَأُطْلِقَ عَلَيْهِ ذَلِكَ اللَّقَبَ مِنْ يَوْمَئِذٍ ، فَكَانَ هُوَ خَلِيفَتُهُ وَوَارِثَ سِرِّهِ .

أَبْقَى لَنَا أَلْعَبَّاسُ غُرَّتَكَ ابْنَهُ مَرَأَى لَنَا وَإِلَى الْقِيَامَةِ مَسْمَعًا^(٣)
لَقَدْ كَانَ رُكْنَ إِسْلَامٍ ، وَطُودَ تَقْوَى ، وَعُمُودَ مُحْرَابٍ ، وَثِمَالَ أَيَّامِي ، وَمَوَئِلَ يَتَامَى ، وَمَعَادَ مَظْلُومٍ . . وَحَامِي حَمَى ، وَحَارِسَ حَدُودٍ .

مُزَايِدُ نَفْسٍ فِي تَقَى اللَّهِ لَمْ تَدَغْ لَهُ غَايَةً فِي جِدِّهَا وَاجْتِهَادِهَا^(٤)
فَمَا مَالَتْ الدُّنْيَا بِهِ حِينَ أَشْرَقَتْ لَهُ فِي تَنَاهِي حُسْنِهَا وَاجْتِهَادِهَا
لَسَجَّادَةُ السَّجَّادِ أَحْسَنُ مَنْظَرًا مِنْ أَلْتَّاجِ فِي أَحْجَارِهِ وَأَتَّقَادِهَا
لَقَدْ كَانَ يَسْتَجْهَرُ النَّاسَ بوسامته وما على جبينه من آثارِ الْقَبُولِ وَارْتِسَامِهِ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا قَامَ فِي مُحْفَلٍ يُذَكِّرُهُم بِالْجَلَالَةِ ، بِوَجْهِ جَمِيلٍ ، عَالِيهِ جَلَالَةٌ ، وَتَغْشَاهُ مِنَ الْأَنْوَارِ هَالَةٌ .

مَنْ أَلْيَضِ الْوُجُوهِ بَنِي عَلِيٍّ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاؤُوا^(٥)
هُمْ حُلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمُعَلَّى وَمِنْ كَرَمِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا

(١) ينطق بكسر الدال وترقيق اللام الأولى ؛ (عبد اللاه) .

(٢) ينطق بكسر الدال وترقيق اللام الأولى ؛ (عبد اللاه) .

(٣) البيت من الطويل ، وهو لأبي الطَّيِّبِ المُنْتَبِي فِي «العكبري» (٢٦٨/٢) ، والمعنى : قد خَلَفَ - أَبوك - الْعَبَّاسُ طلعته ، يا ابنه ؛ فهو على حذف حرف النداء ؛ أي : قد خَلَفَ طلعته لشاهد فضلك وكرمك ، وليبقى ذكرها إلى يوم القيامة .

(٤) الأبيات من الطويل ، وهي للبحراني فِي «ديوانه» (١٢٧/١-١٢٨) .

(٥) البيتان من الوافر .

تزيده تلك السَّجَّادَةُ نوراً ، فتمتليءُ بمرآة القلوب سروراً ، وما زال كآبِه عَلمَ المهتدين ، وأسوة المقتدين ، ومنهل الشَّارين ، ومأمن الخائفين إلى أن دعاه الحِمام^(١) ، وهو يُردُّ كلمة الإسلام بقرينه ذي أَصْبَح ، في سنة (١٣١٩هـ) عن غير أولاد ذكور .

وكانت صغرى بناته ، وموضع رعايته ، وأحبهنَّ إليه . هي زوجتي المِعْمَةُ الْمُخُولَةُ ؛ إذ كانت أمُّها هي البرَّةُ التَّقِيَّةُ رِقْوَانُ بنتِ سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ عِيدروس بنِ عمر ، المتوفَّاة على أبلغ ما يكون من الثَّبات على الإيمان في الحِجَّة من سنة (١٣٦٢هـ) .

تَخَيَّرَتْهَا مِنْ بَنَاتِ الْكِرَامِ وَمِنْ أَشْرَفِ النَّاسِ عَمَّا وَخَالاً^(٢) وهي أُمُّ أولادي : حسن ، ومحمَّد ، وعيدروس ، وأحمد ، وعلوي ، وشقائقهم الموجودين اليوم ، وقد مات لي منها : بصري ، وأشدُّ حزني عليه ، ورثته بعدة مراثٍ توجد بمواضعها من « الدِّيوان » ، وعلي ، ورثته بمرثاة واحدة ، وأكبرُ وجدي عليه ؛ لأنَّه جدُّ الجروح التي لم تكن لتندمل على بصري [من الطويل] :

فَمَا سَرَ قَلْبِي مُنْذُ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى نَعِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا مُتَصَرِّفٌ
وَمَا ذُقْتُ طَعْمَ الْمَاءِ إِلَّا وَجَذْتُهُ سَوَى ذَلِكَ الْمَاءِ الَّذِي كُنْتُ أَغْرِفُ
وَلَمْ أَشْهَدْ اللَّذَاتِ إِلَّا تَكَلُّفًا وَأَيُّ نَعِيمٍ يَقْتَضِيهِ التَّكَلُّفُ

وقد أشرت في بعض مراثيه إلى تكذيب زهير بن جناب في قوله [في « ديوان الحماسة » ١٠٢/٢ من الوافر] :

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تَنْسَى حَيِّياً فَأَكْثَرُ دُونَهُ عَدَّ الْيَالِي

ومما صغَّرَ المعرِّي في نفسي قوله [في « سقط الزند » ٢٠ من الطويل] :

فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحُزْنَ لِلْحُزَنِ مَاحِياً كَمَا خُطَّ فِي الْفِرْطَاسِ رَسْمٌ عَلَى رَسْمٍ

(١) الحِمام : الموت .

(٢) البيت من المتقارب .

فَلَهُ الْيَوْمَ مِنْذُ قَضَى سَبْعٌ وَعَشْرُونَ عَامًا ، وَالْجَرْحُ عَانِدٌ ، وَالصَّبْرُ يُعَانِدُ ، وَلَا أَزَالُ
أَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الْبُهَاءِ زُهَيْرٍ [مِنْ الْوَافِرِ] :

فِيَا مَنْ غَابَ عَنِّي وَهُوَ رُوحِي وَكَيْفَ أُطِيقُ مِنْ رُوحِي أَنْفِكََا
يَعِزُّ عَلَيَّ حِينَ أُدِيرُ عَيْنِي أَفْتَشُ فِي مَكَانِكَ لَا أَرَاكََا
خَتَمْتُ عَلَى وَدَادِكَ فِي ضَمِيرِي وَلَيْسَ يَزَالُ مَخْتُومًا هُنَاكََا
فَوَا أَسْفِي لِحِسْمِكَ كَيْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ بَعْدَ يَهْجَتِهِ سَنَاكََا

ويعجبني قولُ ابنِ الرُّومِيّ في رثائه ليحيى بنِ عمر بنِ حسين بنِ زيد بنِ عليّ [مِنْ
الطُّوِيلِ] :

مَضَى وَمَضَى الْفُرَاطُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يَوْمٌ بِهِمْ وَرَدَ الْمَيِّتَةُ مِنْهُجُ
فَلَا هُوَ أَنْسَانِي أَسَايَ عَلَيْهِمْ بَلَى هَاجَهُ وَالشَّجْوُ لِلشَّجْوِ أَهْيَجُ
وقولُ المرارِ العدويّ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرُكُمْ مَذْ لَمْ أَلَاقِكُمْ عَيْشٌ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدْمُ
وقد ماتَ لي منها أيضاً غيرُ هذينِ ، ومعَ فرطِ الحزنِ . . فلمَ نتدرّعُ إلّا بالصَّبْرِ ،
ولمَ نستشعرُ إلّا الرُّضَا ، ونحتسبُهم عندَ اللهِ فرطاً وذخراً ، ونرجو بهمَ مثلَ ما رآه
مالكُ بنُ دينارٍ عن بنتِهِ في الدَّارِ الأُخْرَى :

وَهَوْنٌ بَغْضِ الْوَجْدِ عَنِّي أَنَّنِي أَجَاوَرُهُ فِي دَارِهِ الْيَوْمَ أَوْ غَدَا
ويعجبني قولُ شبيبِ بنِ شبَّةٍ للمهديّ في التَّعْزِيَةِ عن بنتِ : ثوابُ اللهِ خيرٌ لك
منها ، ورحمةُ اللهِ خيرٌ لها منك ، وأحقُّ ما صَبِرَ عليه . . ما لا سبيلَ إلى رَدِّهِ ، وهو
مثلُ قولِ الآخرِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

إِصْبِرْ نَكُنْ بِكَ صَابِرِينَ فَإِنَّمَا صَبِرُ الرَّعِيَّةِ بَعْدَ صَبْرِ الرَّاسِ
خَيْرٌ مِنَ الْعَبَّاسِ رَبُّكَ بَعْدَهُ وَاللهُ خَيْرٌ مِنْكَ لِلْعَبَّاسِ

وخيرٌ منه ما عَزَى الْأَشْعَثُ بِهِ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَأشارَ إليه أبو تَمَّامٍ بما لا حاجةَ إلى

الإملا ل به ، وقد أشرت في بعض المراتي إلى أن نصيبي من الرحمة كان أوفر ، وأن حظها من الرضا بقضاء الله كان أكثر ، وهي كما قال حسّان [في « ديوانه » ٣٧٧ من الطويل] :
 حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ^(١)
 راضية بعيشها ، قانعة برزقها ، مصونة في قصرها ، من اللاء يقول في مثلهن
 ألفرزدق [في « ديوانه » ٤٠٧/١ من الكامل] :

رُجِعْ وَلَسَنْ مِنَ اللَّوَاتِي بِالضُّحَى لَذِيُولِهِنَّ عَلَى الطَّرِيقِ غُبَارُ^(٢)
 وكما يقول قيس بن الأسلت [من الطويل] :

وَيُكْرِمْنَهَا جَارَاتُهَا فَيَرْزُنَهَا وَتَعْتَلُ عَنْ إِيْنَانِهِنَّ فَتَعْذُرُ
 وَلَيْسَ بِهَا أَنْ تَسْتَهِنَ بِجَارَةٍ وَلَكِنَّهَا مِنْ ذَاكَ تَخِيَا وَتَخْفَرُ
 وقول عليّة بنت المهدي [من الطويل] :

فَمَا خَرَقَتْ خُفًّا وَلَمْ تُبْلِ جَوْرِيَا وَأَمَّا سَرَاوِيلُهَا فَتَمَزَّقُ
 أي : لشدة لزامها ؛ من فرط الصّون والعفاف .

قائمة بحق ربها ، صالحة في دينها على جانب واسع من المعرفة والأدب ، لا يعرض لها حالٌ إلاّ تمثلت ببعض بيت ؛ إذ كان عندها مئات الأطراف من الأبيات ،

(١) الحصان : العفيفة . الرّزان : المرأة التي عليها الثّبات والوقار . ما تُزَنُ : لا تتهم . غرنى : جائعة .
 الغوافل : النساء الغافلات . والمعنى : لا تأكل لحوم النّاس لأنّها لا تتكلّم في أعراضهم .

(٢) رجّع : صاحبات عقول راجحة . وظاهر معنى البيت - كما في « المثل السائر » (٦٣-٦٢ / ٢) - أن هؤلاء النساء يمشين هوناً لحياتهن . فلا يظهر لذيولهن غبار على الطريق . وليس المراد ذلك ، بل المراد أنهن لا يمشين على الطريق أصلاً ؛ أي : إنهن مخبات لا يخرجن من بيوتهن ، فلا يكون إذاً لذيولهن على الطريق غبار . اهـ بلفظه من « المثل السائر » . وهذا من المبحث البلاغي (نفي الشيء بإيجابه) ؛ كقولهم عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا تُتَّى فلتاته) وظاهر هذا الكلام أنه تكون في مجلس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هفوات . لكنّها لا تُتَّى - أي : تزداع - وليس ذلك مراداً البتة ، بل المراد : أنه لا هفوات فيه أصلاً . ومثله بيتنا هذا كما في نفس المرجع والله أعلم .

ولكنّها بالأكثر لا تستوفي ألبيت حفظاً ولا تقيمه لحناً ، غير أنّها متى أنشدت بجملة منه . . ذكرتني بباقيه فأنشدته إن حَضَرْتُ .

وكانت إحدى بناتها - وعندها شيء من العلم - لا تقتدي بها^(١) ؛ تزعم أنّها لا تحسن الضاد ، بل تبدلها ظاء ، ولكن أكثر أهل العلم كما ذكره ابن كثير في « تفسيره » [٣١/١] على اغتفاره .

وأنا وإياها - والله الحمد - في عيش طيب ، وبإل رخى ، وسكون تام ، ومودة ورحمة ، واسترسال ومؤازرة ، لا نختلف في شيء قط من أمر الدنيا ، وإليها - مع أنّها أُمِّيَّة لا تكتب ولا تحسب - أمر ألبيت كما قضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين علي وفاطمة ، إلّا أنّ من شأنها :

١- بطاء الحركة ، ومن طبعتي الاستعجال .

٢- وهي مبتلاة بضياغ المفاتيح - وكلها في يدها - فكثيراً ما أعدمت حاجتي عند طلبها .
٣- وقد تقصّر عن فهم إشارتي ولا تستوضحها ؛ اعتماداً على فهمها ، أو خشية أن تقطع عليّ فكراً أو كتابة أو مطالعة ، من أمثلة ذلك : أنّه وردني ضيف وهو السيّد عبد القادر بن عمر بن محمد بن أحمد الحبشي بعد ما ترجّل النهار^(٢) ، فأشرت بذبح جذي لا تزيد قيمته عن أربع روبيّات ، فذهب وهما إلى شاة تزيد عن ثلاثين ، وأدخلوا اللحم على حاله لم تؤثّر فيه النار .

٤- وأنّها لا تلوم أحداً من أولادها . . إلّا كنت معها عليه ، ومتى انعكست القضية . . كانت معه إلّبا عليّ ، مع اعتقادي أنّي مصيب في الحالين .

أمّا من هذه المواضع . . فإنّ الشيطان يجد السبيل المهيّج^(٣) ، فيذكي جمرات الغضب ، ويثير معركة التّراع ، ويقف مع النظّارة ، ولا تسل عمّا يجري حينئذ .

وربّما يكون أوّل المعركة ألتبّ الجميل لشيء صغير من أنواع ما تقدّم ، فيحصل في

(١) أي : في الصلاة .

(٢) ترجّل الثّهار : ارتفع .

(٣) السبيل المهيّج : الطريق الواسع .

الاعتذار لَوْنٍ مِنَ التَّلْبِيسِ ، فعندَ ذلكَ يشتعلُ ألوطيسُ ، ويبلغُ ما يريدُهُ الشَّيْخُ إبليسَ .

وَمِنْ سَيِّئَاتِهَا : أَنَّهَا لَمْ تَغْرِسْ لِنَفْسِهَا هِيئَةً فِي صَدُورِ أَوْلَادِهَا تَعِينُهَا عَلَى مَا يَجِبُ عَلَى الْأُمِّ مِنَ التَّأْدِيبِ وَالتَّقْصِيفِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّهْذِيبِ . . بل تُلقِي لَهُمُ الْحِجَالَ عَلَى الْغَوَارِبِ ، فَلَا تَعَاتِبُ أَحَدًا عَلَى تَقْصِيرِ ، وَلَا تَرْجُرُهُ عَنْ إِسَاءَةِ أَدَبِ ، وَلَا تَكْلُفُ أَحَدًا بِعَمَلٍ يَنْفَعُهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، فَهِيَ تَسِيءُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ تَرِيدُ الْإِحْسَانَ .

غَيْرَ أَنَّهُ يَكْفُ مِنْ ثَوْرَتِي عَلَيْهَا لَذَلِكَ قَوْلُ الْإِمَامِ مَالِكٍ : (الْأَدَبُ أَدَبُ اللَّهِ لَا أَدَبُ الْآبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ) ، وَقَوْلُ الشَّعْرَانِيِّ : (لَقَدْ كُنْتُ فِي عَنَاءٍ مِنْ تَأْدِيبِ وَلَدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، حَتَّى وَكَلْتُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ . . فَصَلَحَ) أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا .

وَمِنْ جَزَاءِ ذَلِكَ : اسْتَهَانَ الْخَدْمُ بِأَوَامِرِهَا ؛ وَلَطَالَمَا أَشْرَتْ عَلَيْهَا أَنْ تَعَزَّمَ عَلَيْهِمْ بِقَشْرِ الْبَازَنْجَانِ الْأَحْمَرِ - لِأَنِّي أَكْرَهُ قَشْرَهُ وَبَذْرَهُ . . فلم يفعلوا يوماً ما ، وَإِنَّهُ لِيَأْتِينِي فِي كُلِّ وَجَبَةٍ بِقَشْرِهِ وَبَذْرِهِ عَلَى مَا لَا أَحِبُّ ، فِيمَا أَنْ تَكُونَ مُسْتَخَفَّةً بَعَثِي - عَلَى شِدَّتِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ - وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ الطُّهَاءُ غَيْرَ مُبَالِغِينَ بِأَمْرِهَا وَإِرْشَادِهَا ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ . . فَإِنَّ إِفْرَاطَهَا فِي الْمِيَاسَةِ مَعَ رَعِيَّتِهَا . . قَدْ أَتَعَبْنَا وَإِيَّاهَا ، وَأَدَّى إِلَى خَسَائِرِ جَسِيمَةٍ وَإِلَى خَلَلٍ لَا يُحْتَمَلُ ، وَلَا سِيَّما فِي تَدْبِيرِ أَمْرِ الْبَيْتِ ؛ لِأَنِّي أَجْعَلُ تَبْعَةَ تَقْصِيرِهِمْ عَلَيْهَا ؛ بِحَكْمِ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ، وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا » (١) .

وَمَتَى عَاتَبْتُهَا وَأَجَابَتْ بِمَا لَمْ تَرَعُو عَنْهُ مِنَ الْأَجْوِبَةِ الْبَارِدَةِ . . أَصْعَبْتُ لَهَا الْقَوْلَ ، وَنَاشَبْتُهَا الشَّرَّ ، فَزَادَ النُّكَدُ ، وَاشْتَدَّ التَّعَبُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

وَمِنْ التَّنَوُّدِ : أَنَّنِي لَمَّا ذَاكِرْتُهَا مَرَّةً بِمَسْأَلَةِ الشَّاةِ . . تَنَصَّلَتْ مِنَ الذَّنْبِ ، وَأَحَالَتْهُ عَلَى شَوْمِ نَاصِيَةِ الضَّيْفِ ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ قَدْ جَاءَكَ مَرَّةً ، وَأَرْسَلْتَ فِي شَرَاءِ لَحْمٍ لَهُ فَأَنْسَى الرَّسُولَ ، ثُمَّ اسْتَأْنَفْتَ رَسُولًا فَجَاءَ بِهِ مُتَأَخِّرًا ، وَاقْتَضَى الْوَقْتَ إِدْخَالَهُ عَلَيْهِ فِي مِثْلِ حَالِ لَحْمِ الشَّاةِ .

(١) أخرجه البخاري (٨٩٣) .

وأخرى ، وهي : أَنَّ سُرَاتِ النِّسَاءِ^(١) يَقْصِدْنَهَا لِلْمَشَاوِرَةِ فِي أُمُورِهِنَّ ، فَيَحْمَدَنَّ عَاقِبَةَ رَأْيِهَا لَهُنَّ ، وَلَكِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ ؛ وَلَئِنْ وَجَدَ عِنْدِي ضَعْفٌ فِي مَشَاوِرَةِ النِّسَاءِ عِنْدَمَا تَكَلَّمْتُ عَلَى انْتِطَاقِ خَدِيجَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فِي كِتَابِي « بَلَابُلُ الْتَغْرِيدِ » . . فَمَا هُوَ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْبَابَةِ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُسِّرَنِي وَإِيَّاهَا وَأَوْلَادَنَا لِلْيُسْرَى ، وَأَنْ يَجْنِبَنَا وَإِيَّاهَا الْعُسْرَى ، وَأَنْ يَجْمَعَ لَنَا وَلَهُمْ بَيْنَ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَى ، وَأَنْ يَحْسِنَ عَاقِبَتَنَا وَعَاقِبَتَهُمْ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، وَيَجِيرَنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ ، وَأَنْ يُبَارِكَ لِي فِيهَا وَفِي أَوْلَادِهَا ، وَلَا يَضُرَّهُمْ ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا وَإِيَّاهُمْ الشَّيْطَانَ ، وَيَرْزُقَنَا بِرَّهْمٍ ، وَأَنْ يُطِيلَ لَنَا وَلَهُمْ الْأَعْمَارَ فِي خَيْرٍ وَلُطْفٍ وَعَافِيَةٍ وَثَبَاتٍ عَلَى الْإِيمَانِ ، بِمَنِّهِ وَجُودِهِ .

وَمِنْ آلِ ذِي أَصْبَحَ : الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ ، الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ سُمَيْرٍ^(٢) ، وَهُوَ الشَّيْخُ الثَّلَاثَعَشَرَ مِنْ أَشْيَاحِ أَسْتَاذِنَا الْأَبَرِّ ، تُوْفِيَ سَنَةَ (١٢٦٢ هـ) .

وَكَانَتْ وَفَاةُ أَبْنِهِ الْعَلَامَةِ سَالِمٍ^(٣) بِنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي بَتَاوِي^(٤) سَنَةَ (١٢٧٠ هـ) ، وَكَانَ

(١) سُرَاتِ النِّسَاءِ : سَادَاتُهُنَّ وَأَشْرَافُهُنَّ .

(٢) كَانَ مَوْلَدُهُ بِذِي أَصْبَحَ عَامَ (١١٨٥ هـ) ، وَتُوْفِيَ فِي الْحَوِطَةِ فِي (٢٨) ذِي الْقَعْدَةِ (١٢٦٢ هـ) ، أَخَذَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شَيْوخِ عَصْرِهِ ؛ كَالْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ ، وَالْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ الْحَبْشِيِّ وَالْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ سَقَافٍ ، وَغَيْرِهِمْ ، وَكَانَ هُوَ مَقْرِئَ الْحَبِيبِ عَمْرِ الْمَذْكُورِ ، ثُمَّ لَمَّا ظَهَرَ نُبُوْغُ الْحَبِيبِ الْحَسَنِ وَعَلَوْ قَدَمُهُ فِي الْعِبَادَةِ . . صَارَ مَلَاذِمًا لَهُ وَمُسْتَفِيدًا مِنْهُ كَمَثَالٍ وَنُمُودَجٍ لِلتَّوَاضُعِ وَالْإِعْتِرَافِ بِالْفَضْلِ . وَلِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ عِدَدٌ مِنَ الْمَصْنُفَاتِ . يَنْظُرُ : « عَقْدُ الْيَوَاقِيتِ الْجَوْهَرِيَّةِ » ، وَ« تَارِيخُ الشُّعْرَاءِ » (١٢٢/٣ - ١٣٥) .

(٣) وَلَدَ الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِذِي أَصْبَحَ ، وَتَرَبَّى فِي حِجْرِ وَالِدِهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ مَبَادِيءَ الْعُلُومِ ، كَانَ مِنَ الْأَذْكِيَاءِ ، وَلَهُ مَعْرِفَةٌ بَعْتَادَ الْحُرُوبِ ، سَارَ إِلَى الْهِنْدِ لِيَخْتَارَ لِلدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ خَبِيرًا عَسْكَرِيًّا فِي شُؤْنِ الْمُدَافِعِ ؛ إِذْ كَانَ مُسْتَشَارًا لِلسُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَسِّنٍ كَمَا ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ . دَخَلَ مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْعِبَادَةِ وَالْإِفَادَةِ ، يَقُولُ عَنْهُ مَعَاصِرُهُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ الْحَضْرَاوِي : إِنَّهُ كَانَ يَخْتَمُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ . ثُمَّ سَارَ إِلَى جَاوَةِ وَتَدِيرَهَا ، وَبِهَا مَاتَ سَنَةَ (١٢٧٠ هـ) ، وَتَرَدَّدَ عَلَى سَنَخَاوُورَةِ . يَنْظُرُ : « مُقَدِّمَةُ الدَّرَةِ الْيَتِيمَةِ » بِقَلَمِ السَّيِّدِ عَمْرِ الْجِيلَانِيِّ ، « الْجَامِعُ » لِבَامْطَرَفٍ ، وَقَدْ أَخْطَأَ فِي اسْمِ الْمُتَرْجِمِ فَجَعَلَهُ : سَالِمُ بْنُ سَعْدٍ ، وَهَذَا وَهْمٌ فَلْيَتَبَّهْ لَهُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(٤) بَتَاوِي هِيَ (بَتَاوِيَا = BTAVIA) عَاصِمَةُ إِنْدُونِيسِيَا إِبَّانَ احْتِلَالِهَا مِنْ قَبْلِ هَوْلَنْدَا ، وَهِيَ الْمُسَمَّاةُ =

أَلْعُلُوُّونَ جَعَلُوهُ وَزِيْرًا لِلْإِسْلَامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ مُحْسِنٍ حِينَما كَانَ نَائِبًا مِنْ أَخِيهِ أَوَائِلَ دَوْلَتِهِمْ ، وَأَشْتَرَطُوا عَلَيْهِ أَنْ لَا يَخْرُجَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَأَنْ لَا يَخْلُوَ بِأَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مَعَهُ ، فَنَقَضَ ذَلِكَ ، وَسَارَ الشَّيْخُ إِلَى جَاوَةِ^(١) .

وفي « مجموع الجَدِّ طه بن عمر » ذِكْرُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سُمَيْرٍ ، وَلِكُتَابِهِ « الرُّوضَةُ الْأَنْبِيَّةُ »^(٢) .

وَأَكْثَرُ سَكَانِ ذِي أَصْبَحٍ مِنَ الْحَاكَةِ وَالْأَكْرَةِ ، وَكَانُوا يَبْلُغُونَ أَرْبَعَ مِائَةِ نَفْسٍ ، لَكِنْ الْأَزْمَةُ أَجْتَاكَهُمْ ، فَلَنْ يَبْلُغُوا الْيَوْمَ الْأَرْبَعِينَ ، فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا بَعْدَ تِلْكَ الْعُهُودِ ، وَأَزْدَحَامِ الْوُفُودِ .

أَقَوْتُ فَلَمْ أَذْكَرْ بِهَا لَمَّا خَلْتُ إِلَّا مِنْى لَمَّا تَقَضَّى الْمَوْسِمُ^(٣) وَلَقَدْ أَرَاهَا وَهِيَ عِرْسٌ حِقْبَةٌ فَالْيَوْمَ أَضْحَتْ وَهِيَ تُكَلِّىْ أَيْمُ^(٤) نَسَأُ اللَّهُ أَنْ يَعْمُرَ الْأَذْيَارَ بِأَهْلِهَا ، وَأَنْ يَدِيلَ حَزْنَ الْأَيَّامِ بِسَهْلِهَا^(٥) .

الشَّعْبُ^(٦)

هِيَ قَرْيَةٌ تُحَازِي ذِي أَصْبَحٍ فِي جَنُوبِهَا بِسَفْحِ الْجَبَلِ الْوَاقِعِ عَنْ يَسَارِ الذَّاهِبِ غَرْبًا فِي الطَّرِيقِ السُّلْطَانِيَّةِ ، فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ كَثِيرٍ ، يُقَالُ لَهُمْ : آلُ جَعْفَرِ بْنِ طَالِبٍ ، تَنْتَهِي إِلَيْهِمْ زُعَامَةُ آلِ كَثِيرٍ ، مِنْهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ ، ثُمَّ وَلَدُهُ سَالِمِينَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي

= الْيَوْمَ : جَاكَرْتَا ، وَإِنَّمَا الْحَضَارَةُ حَرَّفُوا بِتَأْفِيَا إِلَى بَتَاوِي .

(١) إِذَا أُطْلِقَتْ جَاوَةُ . فَالْمُرَادُ بِهَا جِهَتُهَا ؛ أَيِ : دَوْلَةِ إِنْدُونِيسِيَا .

(٢) اسْمُهُ كَامِلًا : « الرُّوضَةُ الْأَنْبِيَّةُ وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى فِي الرَّدِّ عَلَى مَنْ لَا يَعْرِفُ الْمَسَائِلَ الدَّقِيقَةَ » .

(٣) الْبَيْتَانِ مِنَ الْكَامِلِ ، وَهُمَا لِأَبِي تَمَّامٍ فِي « دِيْوَانِهِ » (١٠٠ / ٢) . أَقَوْتُ : خَلْتُ .

(٤) الْعِرْسُ : الْعُرُوسُ . الْكُلَى : مَنْ أَفْجَعَتْهَا الْمَصَائِبُ . الْأَيْمُ : الَّتِي لَا زَوْجَ لَهَا .

(٥) يَدِيلُ : يَأْخُذُ الدَّوْلَةَ وَالْغَلْبَةَ مِنْ شَيْءٍ وَيَضَعُهَا فِي الْآخَرِ . وَالْمَعْنَى : نَسَأُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَأْخُذَ الْغَلْبَةَ مِنْ أَيَّامِنَا الصَّعْبَةِ ، وَيَضَعُهَا فِي أَيَّامِنَا السَّهْلَةِ الْحُلُوةِ ؛ فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ أَدَالَ حَزْنَ الْأَيَّامِ بِسَهْلِهَا ، وَنَكُونُ بِذَلِكَ مِنَ السَّعْدَاءِ .

(٦) وَقَدْ خَطَطْتَ مَنَاطِقَ الشَّعْبِ مُؤَخَّرًا ، وَبَنَيْتَ فِيهَا بِيُوتَ كَثِيرَةً ، وَأَصْبَحَتْ أَهْلُهُ بِالسَّكَنِ .

يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ ، فيقالُ : (سالمين في الخرابَةِ) وشرُّهُ : أَنَّ آلَ كثيرٍ أَنهَزَموا في حربٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يافع ، وركبت يافع أَكْتَافَهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى خرابَةِ كَانَ فِيهَا سَالِمِينَ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا ، وَكَلَّمَا هُمُوا بِالْهَجُومِ عَلَيْهَا وَقِيلَ لَهُمْ : سَالِمِينَ فِي الْخَرَابَةِ . . تَرَاجَعُوا .

وخلَفَهُ وَلَدُهُ صَالِحُ بْنُ سَالِمِينَ ، ثُمَّ أَخُوهُ عَائِظُ بْنُ سَالِمِينَ ، وَكَانَ جَمْرَةَ حَرْبٍ ، شَجَاعاً ، وَهَاباً نَهَاباً لَا يَزَالُ مِنْهُ آلٌ شَبَامَ عَلَى وَجَلٍ ؛ إِذْ كَانَتْ غَارَاتُهُ تَتَرَى عَلَى ضَوَاحِيهَا ، وَهُوَ كَمَا قَالَ الْأَعَشَى [الْبَاهِلِيُّ مِنَ الْبَسِيطِ] :

لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُنْسَاهُ وَمُضْبَحَهُ إِنْ يَغْزُ . . يُؤْذِ وَإِنْ لَمْ يَغْزُ يُتَنَظَّرُ
قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [في « ديوانه » ١/ ٣٦٩ من الطُّوِيلِ] :

فَقُلْ لِلْعِدَا أَمْنًا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْ نَوْمًا عَلَى كُلِّ مَرْقَدٍ
فَقَدْ زَالَ مَنْ كَانَتْ طَلَائِعُ خَوْفِهِ تُعَارِضُكُمْ فِي كُلِّ مَرْعَى وَمَوْرِدٍ
وبِهِ تَأْطَدَتْ دَوْلَةُ آلِ كَثِيرٍ .

وَكَانَ ذِكْرُ الصُّلَحِ بَيْنَ الْقُعَيْطِيِّ وَآلِ كَثِيرٍ أَكْبَرَ الْعَارِ وَالْغَدْرِ فِي أَيَّامِهِ ، وَهَكَذَا تَفْعَلُ الدُّعَايَاتُ فِي تَكْبِيرِ الْأَمْرِ وَتَفْخِيمِهِ ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ : مَا أَنتَشَرَتْ بِهِ الدُّعَايَاتُ الْيَوْمَ لِفِلَسْطِينَ ، مَعَ أَنَّ غَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَقِلُّ عَنْهَا أَهْمِيَّةٌ وَخَطَرًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَا مَعِشَارُ صَدَى فِلَسْطِينَ ؛ كَحِيدَرِ أَبَادٍ ، وَالْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ ، وَجَاوَةِ وَلِيبِيَا وَغَيْرِهَا .

مَعَ أَنِّي لَا أَمْنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْفِلَسْطِينِيِّينَ مَنْ يُوْطِئُ مَنَاقِبَ قَوْمِهِ لِلْيَهُودِ ، بَلْ رَأَيْتُ فِي الْعَدَدِ الْأَصَادِرِ (١٣) رَجَبٍ مِنْ هَذَا الْعَامِ - أَعْنِي سَنَةَ (١٣٦٧ هـ) مِنْ « أَخْبَارِ الْيَوْمِ » : أَنَّ عَمْدَةَ سَمَخَ وَرئيسَ اللَّجْنَةِ الْقَوْمِيَّةِ فِيهَا حَضَرَ لَدَى الْمَسْؤُولِينَ ، وَقَالَ : أَعْطُونَا مَا لَا وَذَخِيرَةَ وَبِنَادِقَ ، وَإِلَّا . . فَسَنُضْطَرُّ إِلَى التَّسْلِيمِ . وَلَمَّا أَعْطَوْهُ . . بَاعَ الذَّخِيرَةَ وَالْبِنَادِقَ لِلْيَهُودِ !!

وَمِنْ ذَلِكَ الْعَدَدِ أَيْضًا أَنَّ سَمَخَ - وَهِيَ قَرْيَةٌ عَرَبِيَّةٌ - بَاعَتْهَا اللَّجْنَةُ الْقَوْمِيَّةُ . . فَحَرَّرَتْهَا

الجيوشُ السُّوريَّةُ ، على حينَ لَم يَتَقَ مِنْهَا إِلَّا أَطْلَالٌ ، ولهذا فَإِنِّي لا أَخْلُو عن ظنِّ سَيِّءِ
 بمن تقدَّمت في تاريخِهِ معَ المسلمينَ نقاطُ سوداءُ ، وأرى أَن لا أَمَلُ فيمن لا يستمدُّ نفوذَهُ
 أو إمارتَهُ إِلَّا مِنْ الْأَجَانِبِ ؛ لأنَّهُم من أَعرفِ الْخَلْقِ بِشراءِ الصُّمائرِ ، فلن يُنصَّبُوا ولن
 يُرَشَّحُوا إِلَّا مَنْ يملأُ هواهم ، ويتابعُ رضاهم ، ويتفياً حيثُما مالَ ريحُهم ، ويدورُ حيثُما
 دارت زجاجاتُهم ، حتَّى لقد عَزَمْتُ أَن أَبْرِقَ إِلَى عَزَّام باشا - لنوعِ تعارفٍ بَيْننا - بما هذِهِ
 صورتهُ : إِنِّي لأَحذَرُكُمْ أَن يَكُونَ جيشُكم تمامَ العَشْرينَ ، وَلَكِنْ :

تَكْتَفِنِي الْوُشَاةُ فَأَزْعَجُونِي فَيَا لِّلْوَاشِي الْمُطَاعِ
 ولا سِيَّما بعدَ أَن فَسَّرْتُ لَهُم معناه ، وما أُشِيرُ بِهِ إِلَيْهِ .

ومهما يَكُن مِنَ الْأَمْرِ . . فَاَلْمُسْتَقْبَلُ كَشَافُ الْحَقَائِقِ ، وَالْفِشْلُ مَأْمُونٌ ، وَالنَّصْرُ
 بِشَرَطِهِ مَضْمُونٌ ، وَلَكِنَّهُ بِيَدِ اللَّهِ يُوْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى الزُّعَمَاءِ
 وَالصَّحَفِيِّينَ وَغَيْرِهِم أَن يَشْرَحُوا الْوَقَائِعَ ناصعةً ، وَيُلْزِمُوا كُلَّ طَائِفٍ عِنقَهُ ، وَيَذْكُرُوا
 الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ ، وَالْمَسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ ، وَإِلَّا سَاءَ الظَّنُّ بِهِم أَجْمَعِينَ .

وَمِنَ اللَّطَائِفِ : أَنَّا كُنَّا يَوْمًا نَتَذَكَّرُ مُسَاعِدَةَ فِلَسْطِينَ ، فَقَالَ لَنَا بَدويٌّ مِنْ آلِ كَثِيرٍ ،
 وَأَسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِينَ : وَلِمَ هَذِهِ الْمُسَاعِدَةُ ؟ قُلْنَا لَهُ : إِنَّ الْيَهُودَ يَرِيدُونَ أَلَا سَتِيلَاءَ
 عَلَى بِلَادِ الْعَرَبِ .

فَقَالَ : أَوَلَيْسَ النَّصَارَى مِثْلَ الْيَهُودِ ؟ وَقَدْ سَعَى بَعْضُكُمْ - أَيُّهَا السَّادَةُ - فِي بَيْعِ
 حَضْرَمَوْتَ عَلَيْهِم ، وَالثَّمَنُ مَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ لَا مِنَ النَّصَارَى . فَكَانَ جَوَاباً مَسْكُتاً .
 وَكَانَ الْقَعِيطِيُّ حَرِيصاً عَلَى مُحَالَفَتِهِ بِمَا شَاءَ فَلَمْ يَفْعَلْ وَكَيْفَ يَفْعَلُ وَلِلدَّعَايَةِ ذَلِكَ
 التَّأثيرُ الْعَظِيمُ يَوْمئِذٍ .

وَكَانَ عَلَى سُنَّةِ الْعَرَبِ فِي إِكْرَامِ الضُّيْفَانِ ، وَنَقْلِ الْجِفَانِ ، وَإِغْلَاءِ الْكَلَامِ ، وَتَوْفِيَةِ
 الذِّمَامِ . وَبِهِ كَانَ صَدْعُ آلِ كَثِيرٍ مَنْشَعِباً ، وَوَهْيُهُمْ مَنْجَبِراً ، وَشَتُّهُمْ مَجْتَمِعاً ، يَسْعَى
 بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَلَا تَرَالُ مَطْيِئَتُهُ مَرَحُولَةً لِرَتَقِ فَتَوْقِهِمْ ، وَإِصْلَاحِ شُؤُونِهِمْ ، وَهُمْ أَتْبَعُ
 لَهُ مِنَ الظَّلِّ ، وَأَطْوَعُ مِنَ الْخَاتِمِ .

ولَمَّا كَانَ الْهَاجِرِيُّ أَدْنَاهُمْ إِلَى شَبَامَ مَعَ قَلَّةِ الْمَالِ وَالرَّجَالِ . . جَعَلَ إِلَيْهِ الْخِفَارَةُ ، فَكُلُّ مَنْ أَخَذَ مِنْهُ شَفْرَةً أَوْ نَحْوَهَا . . آمَنَ بِهَا وَمَرَّ عَلَى رُؤُوسِ الْعِفَارِيَةِ . قُتِلَ فِي سَنَةِ (١٣٠٨ هـ) بَعْدَ أَنْ :

مَلَأَ الزَّمَانَ جَرَائِحًا وَمَنَائِحًا خَبَطًا يَبْؤُسُ فِي الرَّجَالِ وَأَنْعَمُ^(١) فَغَدَتِ عَرَائِينُ الْعُلَا وَأَكْفَهَا . مِنْ بَيْنِ أَجْدَعِ بَعْدَهُ أَوْ أَجْدَمَ وَسَبُّ قَتْلِهِ^(٢) : أَنَّ أَحَدَ آلِ كُذَّةَ أَخَذَ عِذْقَ خَرِيفٍ^(٣) مِنْ نَخِيلِهِمْ فَقَتَلُوهُ ، فَكَبِرَ عَلَيْهِمْ قَتْلُ وَلَدِهِمْ فِي عِذْقِ خَرِيفٍ وَلَا سِيَّما بَعْدَ مَا عَيَّرَهُمْ سَمَاسِرَةُ شَبَامَ ، فَكَمَنُوا مِنَ اللَّيْلِ عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنَ الشَّعْبِ ، وَفِي الصَّبَاحِ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ الْبِنَادِقَ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ عَائِظُ بِأَصْحَابِهِ وَأَرْدَى مِنْهُمْ اثْنَيْنِ وَاسْتَلْبَوْهُمَا ، وَلَمَّا كَادُوا يَصِلُونَ مِسيَالَ سَرِّ الْفَارِقِ بَيْنَ ذِي أَصْبَحٍ وَبَحِيرَةٍ . . كَفَّتْ عَنْهُمْ ، وَكَانَ الصَّوَابُ فِيمَا فَعَلَ ، وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ لِسُلَيْمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ : « مَلَكْتُ فَاسْجَحْ »^(٤) .

ولكن أحد أصحابه كان شريراً مع منافسته له ، فقال له : تريدُ الْقَهْوَةَ عِنْدَ غُصُونٍ ؟ وَهِيَ أَمْرَأَةٌ عَائِظُ مِنْ آلِ عَامِرٍ أَصْحَابِ آلِ كُذَّةَ ، فَحَمِيَّ ، وَتَقَدَّمَ بِهِمْ ، وَقَدْ تَسَرَّ آلُ كُذَّةَ بِأَشْجَارِ الْأَرَاكِ وَأَكْوَامِ الرِّمْلِ ، وَجَاءَتْهُمْ نَجْدَةُ آلِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِ ، فَأَصْلَوْهُمْ نَاراً حَامِيَةً ، فَعَمِدَ عَائِظُ وَأَصْحَابُهُ إِلَى السَّلَاحِ الْأَبْيَضِ .

وما زالوا يتناحرونَ حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمُ السَّيِّدَانِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ صَالِحِ الْبَحْرِ ، وَعِيدَرُوسُ بْنُ حُسَيْنِ الْعِيدَرُوسِ ، وَلَكِنْ بَعْدَ مَا قُتِلَ مِنْ آلِ كُذَّةَ وَآلِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِ سَبْعَةٌ ، وَمِنْ آلِ جَعْفَرِ بْنِ طَالِبٍ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ قَتِيلًا وَثَلَاثُونَ جَرِيحًا .

وكانتِ الْحَادِثَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى مَقْرِبَةٍ مِنْ هَذَامَةِ ، كَمَا مَرَّ فِيهَا .

وَعَظَّمَ الْمَصَابِ عَلَى آلِ كَثِيرٍ بِمَقْتَلِ عَائِظٍ وَأَصْطَكَّتْ بَعْدَهُ رُكْبُهُمْ ، وَتَخَاذَلَتْ

(١) البيت من الكامل وهو للشَّريف الرُّضِيِّ في « ديوانه » (٢٩٠ / ٢) بتحريف بسيط .

(٢) أي : عائِظ بن سالمين .

(٣) العِذْقُ : العنقود . الخَرِيفُ : هو الرُّطْبُ من النخلة ؛ في عُرف الحضارمة .

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٤١) ، ومعنى فأسجح : أحسن وأرفق .

أَيديهم ، بل وعلى يافع ؛ لأنَّهم شَعَرُوا بِأَسْتِغْنَاءِ الْقَعِيطِيِّ عَنْهُمْ مِنْ بَعْدِهِ .

وَلَمَّا قُتِلَ عَائِظُ بْنُ سَالِمِينَ . . وَقَعَ رِداؤُهُ عَلَى عبيدِ صَالِحِ بْنِ سَالِمِينَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ ، وَهُوَ ابْنُ أَخِيهِ ، وَكَانَ مَدِيدَ الْقَامَةِ ، كَبِيرَ الْأَهَامَةِ .

سَبَطَ الْبَنَانِ إِذَا اخْتَبَسَى فِي مَجْلِسٍ فَرَعَ الْجَمَاجِمَ وَالرَّجَالَ قِيَامٌ^(١)

وَمَعْنَى سِبَاطَةِ الْبَنَانِ هُنَا : طَوْلُهَا لَا سِمَاحُهَا ، وَكَانَ قَوِيَّ الْعَارِضَةِ ، يَخْلُطُ الْجَدَّ بِالْهَزْلِ ، فَيَتَّقِي الرُّؤْسَاءُ لِسَانَهُ ، وَلَا يَبْقَى لِأَحَدٍ مَعَهُ كَلَامٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَّقِي الْعَوْرَاءَ فِيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هَمٌّ بَعْدَ عَمِّهِ إِلَّا تَغْيِيرُ تِلْكَ السِّيَاسَةِ ، وَمَصَالِحَةُ الْقَعِيطِيِّ ، فَغَزَا شَبَابَ بَالٍ كَثِيرٍ ، فَأَنْذَرَ بِهِمْ رِئْسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَلْقَبَ عَبْلَهُ عَنْ أَمْرِهِ - فِيمَا يُقَالُ - لِتَتَمَهَّدَ لَهُ الْوَسَاطَةُ فِي ذَلِكَ ، وَكَانَتْ النِّهَايَةُ : أَنْبِرَامُ الصَّلْحِ .

وَالْأَخْبَارُ فِي ذَلِكَ وَالْمَاجَرِيَّاتُ بَيْنَ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ الْمُخْضَرِ وَعَبِيدِ صَالِحٍ وَبَيْنِيهِمْ طَوِيلَةٌ ، وَفِي « الْأَصْلِ » مِنْهَا الشَّيْءُ الْكَثِيرُ .

وَهُوَ أَقْوَى مِنْ عَمِّهِ عَائِظٍ فِي الْحُجَّةِ ، وَأَهْيَبُ فِي الْمَنْظَرِ ، وَأَرْجَحُ فِي الْحِجَا ، وَلَكِنَّهُ أَقْلُ مِنْهُ فِي النَّجْدَةِ وَالْجُودِ ، وَقَدْ قَصُرَ كَلَامُهُ فِي آخِرِ وَقْتِهِ ، وَقَلَّتْ هَيْبَتُهُ ، وَضَعُفَتْ زَعَامَتُهُ وَعَجَزَ عَنْ أَخْذِ مَا لَهُ مِنْ ثَارٍ عِنْدَ آلِ عَامِرٍ ، وَعِنْدَ آلِ بَلَّيْلِ الَّذِي يَلِي هَذَا ، وَمِنْ بَقَايَا حَظِّهِ أَنْ مَاتَ فِي سِتْرِ اللَّهِ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٥٣ هـ) قَبْلَ أَنْ يَصَلَ آلُ كَثِيرٍ إِلَى الْحَدِّ الْنِّهَايِيِّ مِنَ التَّخَاذُلِ وَالسَّقُوطِ ، وَالْأَخِيرُ . لِحَلِّ بِهِ مَا حَلَّ بِهِمْ .

وَمَعَ أَنْتِهَائِهِمْ إِلَى الْقَرَارِ مِنَ الْمَهَانَةِ بِحَضْرَمَوْتَ . . فَإِنَّ لَهُمْ جَمْعِيَّةً تُذَكِّرُ بَبْتَاوِي^(٢)

(١) البيت من الكامل ، وهو لأبي نواس في « ديوانه » (٤٠٩) .

(٢) هي الجمعية الشفوية الكثيرة ، ولها نظام ودستور وتنظيم ، مثلها مثل غيرها من الجمعيات التي قامت في جَاوَة . ومن أعلام آل طالب ممن امتحن الصحافة : فرج بن طالب الكثيري ، الذي كان له نشاط صحفي بارز في المهجر الحضرمي سنغافورة ، وقام بإصدار (٤) صحف خلال أربعة أعوام وهي : « القصاص » : جريدة نصف شهرية ، أصدرها باللغة العامية الحضرمية في فبراير (١٩٣٢ م) ، وتوقفت في جُولَاي (١٩٣٣ م) .

« الشعب الحضرمي » : أيضاً بالعامية الحضرمية ، بدأت بالصدور في فبراير (١٩٣٤ م) ، ولم تستمر طويلاً .

مِنْ أَرْضِ جَاوَةَ ، يَرَأْسُهَا الشَّيْخُ سَالِمِينَ بْنُ عَلِيٍّ الْكَثِيرِيُّ وَأُحْرَى أَنْ يُنَاطَ بِهَا الْأَمْلُ ،
وَيُرْبَطُ بِهَا الرَّجَاءُ إِذَا سَلِمُوا مِنَ التَّحَاوُدِ .

أَمَّا الْمَطَامِعُ . . فَمَا أَظْنُهَا تَصِلُ بِهِمْ كَمَا وَصَلَتْ بِالْجَمْعِيَّتَيْنِ السَّابِقِ ذِكْرُهَا قُبِيلَ
الْقَطَنِ . . لِمَا لَدَى أَكْثَرِهِمْ مِنَ الثَّرْوَةِ .

بَلِيل

هُوَ مِنْ وَرَاءِ ذِي أَصْبَحٍ وَالشُّعْبِ إِلَى الْجَهَةِ الشَّرْقِيَّةِ ، يَسْكُنُهُ آلُ مَرْعِيٍّ بْنِ سَعِيدٍ ،
وَمَرْجِعُهُمْ إِلَى الْفَخَائِدِ ، وَهُمْ آلُ بَدْرِ بْنِ سَعِيدٍ وَآلُ جَعْفَرِ بْنِ سَعِيدٍ - أَصْحَابِ جَعِيمِهِ
- عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ سَعِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِ ، وَقِيلَ : إِنَّ عَلِيَّ بْنَ عَمَرَ هَذَا أَخُ
لَيْمَانِيَّ بْنِ عَمَرَ ، وَعَامِرِ بْنِ عَمَرَ ، وَفَلَهُومِ بْنِ عَمَرَ ، وَإِنَّمَا دَخَلَ فِي الْفَخَائِدِ مِنْ آلِ
عَوْنٍ بِالْخُؤُولَةِ .

وَكَانَ فِي آلِ مَرْعِيٍّ الْمَذْكُورِينَ حُكَّامًا مَبْرُوزِينَ ؛ مِنْ أَوَاخِرِهِمْ : عَوْضُ بْنُ رَيْسِ بْنِ
جَعْفَرِ بْنِ عُبُودِ بْنِ بَدْرِ ، وَكُلُّ آبَائِهِ الْمَذْكُورِينَ مِنْ حُكَّامِ حَضْرَمُوتَ ، حَتَّى لَقَدْ ذَكَرُوا
أَنَّ آلَ عَجَّاجٍ وَآلَ ثَابِتٍ مِنْ نَهْدٍ ، وَهُمْ أَرَاكِينُ الْأَحْكَامِ فِي حَضْرَمُوتَ ، وَرَدُّوا عَلَى
جَعْفَرِ بْنِ عُبُودٍ فَقَدَّمُوا دَعَاوِيَهُمْ إِلَيْهِ ، وَكَانَ فِي أَثْنَاءِ حَوَارِهِمْ يَكْثُرُ الْاَلْتِفَاتُ مِنَ النَّافِذَةِ
إِلَى فَخٍّ لَهُ بِالْأَرْضِ مَنْصُوبٍ لِلْيَمَامِ ، فَعَاتَبُوهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا أَسْمَعُ الْكَلَامَ بَعِينِي ،
وَلَكِنْ بِأُذُنِي ، وَهِيَ إِلَيْكُمْ ، وَفِي الْأَثْنَاءِ وَقَعَتْ يَمَامَةٌ فِي الْفَخِّ ، فَخَرَجَ وَذَبَحَهَا ،
وَنَصَبَهُ ثَانِيًا ، وَأَصَاحَ إِلَى حَوَارِهِمْ حَتَّى أَنْتَهَوْا مِنَ الدَّعَاوَى إِلَى الْأَجُوبَةِ وَإِقَامَةِ الْحَجَجِ
وَعَرَضَ الْوُثَاثِ .

قَدَّمَ لَهُمُ الْغَدَاءَ وَقَالَ لَهُمْ : اسْتَرِيحُوا . وَبَعْدَ أَنْ أَنْتَبَهُوا وَأَدَّوْا فَرِيضَةَ الظُّهْرِ

= « الجزء » : نصف شهرية ، باللغة الفصحى ، أصدرها في إبريل (١٩٣٤م) ، استمرت إلى مايو
(١٩٣٤م) .

« المجد العربي » : نصف شهرية ، أصدرها في مارس (١٩٣٥م) ، استمرت إلى سبتمبر
(١٩٣٦م) .

وأبردوا . . استأذنوه في الانصراف ، وطلبوا موعداً يعودون فيه للفصائل ، وكان كتبها في أثناء استراحتهم ، فأعطاهم إيّاها ، فتعجبوا من قوة حفظه وحدة فهمه وحسن توفيقه ، فاقنعوا ؛ لأنّ العدل مقنع . فلتضمّ هذه إلى ما سبق في الظاهرة وجعيمة .

ومن متأخريهم : العلامة الفاضل الشيخ عبد الله بن سالمين بن مرعي ، كان يكتب لي من الهند ويرفع لي منها الأسئلة العلمية ، توفي رحمه الله عليه بحيدر آباد الدكن ، وترك ولدين فاضلين : سليمان ومحمداً .

ومن آل مرعي أيضاً : الشيخ عوض بن جعفر بن مرعي ، جمع ثروة لابأس بها ، ولكنه لما وصل إلى حضرموت في حدود سنة (١٣٣١ هـ) . . أسرف فيها بالجوّد حتّى فنيّت ، فسافر ، وتغيّر عقله ، وأنطق عليه قول العنبري [من الكامل] :

مَا كَانَ يُعْطِي مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمُ الْخَيْمِ أَوْ مَجْنُونٌ^(١)
وقول حبيب [في ديوانه ١/ ٣١٦ من الوافر] :

لَهُ خُلِقَ نَهْيُ الْقُرْآنِ عَنْهُ وَذَاكَ عَطَاؤُهُ السَّرْفُ الْبِدَارُ
ومن وراء بليّل شرقاً : مكان آل البرقي^(٢) . ثمّ : مكان آل كحيل .

ثمّ : الغليل ، لآل عمر بن بدر ، وكانوا قبيلة خشيّة ، ولهم قبولة حارة ، حتّى لقد كانت بينهم وبين آل بابكر حروب أردوا في عشية واحدة سبعة من آل بابكر .

ثمّ ما زال بهم الظلم والاعتداء على ضعفاء الشوق والقبائل ، وعلى أوقاف لهم أهلية ، حتّى قلّ عددهم ، وأفترق ملؤهم ، ولم يبق منهم بحضرموت اليوم إلا نحو العشرين رجلاً ، أسنهم رجل ليثيم نيّف على التسعين ، جمع ثروة لابأس بها ، إلا أنّها بجُلّها أو كلّها من الرّبا ، ولا يزال مع هذا السنّ مصراً على ذلك الصنيع المقبوح .

ويتعالم الناس بأنّ النّخيل التي تحت يده مشترك بينه وبين أخيه عبد الله ، وأنّ هذا هو الذي اشتراه ، والوثائق ناطقة ، ولكنّ عبد الله جنّ ، ثمّ مات ولم يترك إلا ولداً

(١) الخيم : الأصل .

(٢) آل البرقي : من قبائل آل مرعي بن سعيد الكثيري .

صغيراً منعته أمُّه المنازعة ؛ لخوفها عليه أن يقتله عمُّه ، فأثرت روحه على ماله ؛ لأنه لو نازع.. لذهب الاثنان .

بابكر

هو في جنوب الغبيل إلى شرق ، فيه فرقان من آل عبادات ، وهم : آل الطمل في جانبه القبلي . وآل علي بن عمر في جانبه الشرقي ؛ منهم : الشيخ عبد الله بن عوض بن ناصر ، صليب رأس ، وحمي أنف ، وغالي كلام ، وأصيل رأي ، ورجيح عقل .

وهو الذي عمر الروضة بشحوح ابن يمان ، تزيد مساحتها على ثلاثين ألف مطيرة ، باعتبار المطيرة ستة أذرع في مثلها .

وكان ممن أمضى على الوثيقة التي تتضمن اعتراف الموقعين عليها بالتبعية للدولة العثمانية الآتي خبرها في سيئون ، وإنما ذكرته بالخصوص مع أن الموقعين عليها كثير ؛ لأن كلهم لم يرض عليها إلا رغبة ، وأما هو.. فقد أمضى عليها بدافع الدين ؛ وذلك أنني اجتمعت به في غرض ، فسألني عنها - بعد ما غضبت منها الحكومة الإنكليزية فطلبها ليضمي عليها - فقلت له : ربما يلومك عمر عبيد بن خالد بن عمر ، أو حفيدك عوض بن عزان بن عبد الله عوض ، أو تنال أولادك مشقة من الإنكليز بسنغافورة أو عدن . فأخذه زعم^(١) وقال : أوفي دين الله وسُلطان المسلمين الذي ندعو له على المنابر محابة أو وليجة ؟ والله لو أن الإنكليز يذبح أولادي أُممي.. ما أنحجرت عن التوقيع عليها ، فأمضى عليها ، وبَعثنا بنسختها إلى قائد الجيوش العثمانية بلخج علي سعيد باشا ، فلم تصله إلا بعد إعلان الهدنة .

توفي الشيخ عبد الله عوض في حدود سنة (١٣٤٢هـ) عن عمر قارب فيه المئة ، وله أعقاب كثيرة بحضرموت وجاوة ؛ منهم : ولده الشهم الكريم ، والعربي

(١) الزعم : رعدة تعترى الشجاع عند الغضب .

الصَّمِيمُ ، عزَّانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، أَحَدُ تَجَّارِ بوقور^(١) أَلْوَاعَةِ بجوارِ بتاوي مِنْ أَرْضِ
جاوة ، لَهُ محاسنٌ ومكارمٌ ، وصلاتٌ أرحامٌ ، باركَ اللهُ فِيهِ .

وقد جَرَتْ بَيْنَ آلِ بابكرٍ وآلِ خالِدِ بْنِ عَمَرَ حروبٌ ، بسببِ أَنَّ مُحْسِنَ قاسمٍ اشترى
بئراً يُقالُ لَهَا : (بنُ بَقِيل) ، فقالَ عَمْرُ عبيدٍ : نحنُ أَوْلَى بِهَا ، وحَمَلَ أَخاهُ صالحاً
على أَنْ يَشْتَدَّ فِي ذَلِكَ ؛ ليسوغَهُ ما شاءَ مِنَ الْأَمْوالِ ، فطالَبوا بِهَا بِحُكْمِ الْعَادَةِ الْقَبَلِيَّةِ
لَا الطَّرِيقَةِ الشَّرْعِيَّةِ ، وكانَ بَيْنَهُمْ ما هُوَ مُفَصَّلُ بـ « الْأَصْل » .

وكانَ إيرادُ محسنٍ قاسمٍ وقتما كُنْتُ بجَاوَةَ سَنَةَ (١٣٤٦ هـ) لا يَقلُّ عنَ خَمْسَةِ عَشَرَ
أَلْفَ رُبَيْيَّةٍ هولَنديَّةٍ شَهريَّةً ، وقد ذَهَبَتْ أَدراجُ الرِّياحِ ، وصارَ أبنائُهُ تحتَ رَحْمَةِ الْمُحْسِنِينَ .

الْحَوْلُ^(٢)

قد عَلِمَ مِمَّا مَرَّ فِي الْمِخْتَزِقَةِ أَنَّ إِمَارَتَهُ كانتَ لآلِ الْجَرَوِ إِلَى أَنْ غَدَرَ بِهِمُ آلُ وَبَرٍ^(٣) ،
ثُمَّ سَكَنَهُ آلُ باعْبَادٍ ، وكانَ فِي الْأَخِيرِ لآلِ الْفَاسِ ، وفي الصُّلْحِ الْأَخِيرِ ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آلِ
خالِدِ بْنِ عَمَرَ تَحَوَّلَ لِلْأَخِيرِينَ ، فِي قِصَصِ مَنْشُورَةٍ بـ « الْأَصْل » ، وأَخْبَارُهُ مَمزُوجَةٌ
بِأَخْبَارِ الْغُرْفَةِ وَهُوَ الْآنَ بِخُلُوعِهِ عَنِ السُّكَّانِ عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

الْغُرْفَةُ

هي على مقربةٍ مِنْ بابِكرٍ . وكانَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عِبَادَ^(٤)

(١) بوقور : مدينة إندونيسية كبيرة ، لها تاريخ عريق ، وسكنها كثير من الحضارة ، ووصفها وصفاً جميلاً
السيد الأديب صالح الحامد في رحلته : « جاوة الجميلة » .

(٢) لها ذكر عند شنبُل في حوادث سنة (٦٠١ هـ) و (٧٢٣ هـ) و (٧٣٠ هـ) . فلتنظر هناك .

(٣) وذلك أن آل وبر وآل باصهي كانوا متحالفين ومحلتهم تريس ، ثم كان من آل وبر أن أخذوا آل الجرو
بالخداع وغدروا بهم في (أنف خطم) .. وهزموهم هزيمة منكرة ، وقتلوا عدداً من رجالهم حتى لم
يبق منهم إلا عشرة رجال فقط ، وذلك في القرن السابع الهجري . ينظر : « جواهر الأحقاف » ،
و « نبذة الأنساب » للعطاس ، وغيرها .

(٤) آل عباد هؤلاء هم آل باعباد ، المشايخ ذوي الصيت الذائع بحضرموت ، أما عن تحقيق نسبتهم .. =

- المشهورُ بِالْقَدِيمِ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٨٧ هـ) ^(١) عن إحدَى وسبعين سَنَةً - أَوَّلَ مَنْ بَنَى
غُرْفَةً بِسَفْحِ الْجَبَلِ الَّذِي يُطْلُ عَلَيْهَا ، وَحَفَرَ عِنْدَهَا بَيْتاً سَمَّاهَا : غُرْفَتِهِ ، لَا تَزَالُ تُمَلَأُ
مِنْهَا جَوَابِي مَسْجِدِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى الْآنَ .

ثُمَّ زَادَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٢) سَنَةَ (٧٠١ هـ) فِي بِنَاءِ
تِلْكَ الْغُرْفَةِ حَتَّى صَارَتْ دَاراً ، ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَيْهَا وَلَدُهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ
شِبَامٍ بِعَائِلَتِهِ وَتَلَامِيذِهِ ، وَابْتَنَوْا بِهَا جَامِعاً .

وَكَانَ لآلِ بَاعِبَادٍ مَنْصِبٌ عَظِيمٌ عَلَيْهِ بِإِشَارَةِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ - عَلَى مَا يُزَوَّى - كَانَ أَنْبَاءُ
دَوْلَةِ آلِ كَثِيرٍ ، حَسَبَمَا فَصَّلَ بـ « الْأَصْلِ » .

وَقَالَ الطَّيِّبُ بِامْخَرَمَةِ : (الْغُرْفَةُ : قَرْيَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ ، ذَاتُ نَخِيلٍ
وَمَزَارِعَ ، بِهَا فَقَرَاءُ صَالِحُونَ ، يُعْرَفُونَ بِآلِ أَبِي عَبَّادٍ .

وَمِنْ مَشَايِخِهِمُ الْكِبَارِ وَمَشَاهِيرِهِمُ : الشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاعِبَادٍ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَشْتَهَرَ بِالتَّصَوُّفِ بِحَضْرَمَوْتَ ، لَهُ ذُرِّيَّةٌ

= فينظر كلام المؤلف الآتي . ولإزالة الوهم . . فإن هناك أربع أسر تسكن ما بين شبام والغرفة متشابهة في
رسمها - أي : كتابتها - . . وهي :

- ١- آل بَاعِبَادٍ ، وَهُمْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْغُرْفَةِ ، بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ .
- ٢- وَآلُ عَبَّادٍ أَيْضاً بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ ، وَهُمْ مِنْ آلِ بَاذِيبِ سَكَانِ شِبَامٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : عَبَّادُ بَاذِيبٍ ، وَمِنْهُمْ
جَمَاعَةٌ فِي عَدَنَ ، سَمَاهُمْ النَّاسُ : بَاعِبَادٍ ، وَلَيْسُوا مِنْهُمْ .
- ٣- وَآلُ بَاعِبَادٍ - بِتَخْفِيفِ الْبَاءِ - وَهُمْ مِنْ سَكَانِ شِبَامٍ ، وَلَعَلَّهُمْ مِنْ كُنْدَةٍ .
- ٤- آلُ عَبَّادٍ ، وَهُمْ مِنْ سَكَانِ دُوعَنَ لَيْسَرٍ ، سَبَقَ ذِكْرُهُمْ فِي حَوْفَةٍ ، وَيَنْطَقُونَهَا بِضَمِّ الْعَيْنِ ، وَمِنْهُمْ
جَمَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَنَاطِقِ حَلْدِيِّ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

- (١) « تَارِيخُ شَنْبَلِ » (ص ١٠٦) ، وَجَاءَ فِي حَوَادِثِ (٦٨٦ هـ) : خَرَجَ الشَّيْخُ أَبُو عَبَّادٍ مِنْ شِبَامٍ إِلَى
الْغَرِيبِ . وَقَدْ تَوَفَّى وَالِدُ الشَّيْخِ الْقَدِيمِ بِالشَّحْرِ سَنَةَ (٦٢٢ هـ) كَمَا تَقْدُمُ فِيهَا . وَلِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدِيمِ
ضَرْيَحٌ فِي مَقْبَرَةِ شِبَامٍ جَرَبٌ هَيْصَمٌ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ أَقْدَمِ الْقُبُورِ الْمَعْرُوفَةِ بِالْجَرَبِ إِنْ لَمْ يَكُنْ أَقْدَمُهَا . وَلَهُ
مَنَاقِبُ تَسَمَّى : « الْمَنَاجِيقُ الْقَدِيمُ فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ الْقَدِيمِ » ، تَأَلَّفَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بَاعِبَادٍ .
- (٢) تَوَفَّى الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَنَةِ (٧٢١ هـ) فِي حَيَاةِ وَالِدِهِ وَدُفِنَ بِشِبَامٍ ، أَمَّا وَالِدُهُ . . فَتَوَفَّى سَنَةَ
(٧٢٧ هـ) عَنْ (١٠٥) مِنَ السِّنِينَ . وَالشَّيْخُ عَمْرٌ هَذَا ثَانِي ثَلَاثَةِ إِخْوَةٍ ، ثَانِيهِمُ : الْقَدِيمُ ، وَثَالِثُهُمُ :
عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (٧١١ هـ) عَنْ نِيفٍ وَتَسْعِينَ سَنَةً .

وفقراء أخيار صالحون ، دُفِنَ بِشِيبَام ، وترتُّبُهُ مِنَ الثَّرَبِ المشهورة ، المقصودة بِالزِّيَارَةِ مِنَ الْأَمَاكِنِ الشَّاسِعَةِ ، ومنصبُهُم مِّنْ أَعْلَى مَنَاصِبِ حَضْرَمَوْتِ (اهـ^(١))

وقوله : (إِنَّ الْغُرْفَةَ بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتِ) .. مِّنْ الْأَوْهَامِ ، وكذلك قوله : (إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدِ اللَّهِ أَوَّلَ مَنْ أَشْتَهَرَ بِالتَّصَوُّفِ) . وَأَمَّا قَوْلُهُ : (إِنَّ مَنَاصِبَهُم مِّنْ أَعْلَى مَنَاصِبِ حَضْرَمَوْتِ) .. فنعم كما سيأتي .

ومن أكبر مناصبهم : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عِبَاد^(٢) ، الَّذِي يَقَالُ لَهُ : صَاحِبُ الْجَابِيَةِ ؛ لِأَنَّهُ بَنَى جَابِيَةً لِلوَارِدِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ ، وَلَا يَزَالُ فِي ضِيَافَتِهِ خَمْسُ مِئَةِ نَفَرٍ غَيْرِ الطَّارِثِينَ . وَكَانَ حَمَلًا لِلْأَثْقَالِ ، يَتَحَمَّلُ الْمَغَارِمَ ، وَيُدْفَعُ الْمَظَالِمَ .

وفي مناقبه : أَنَّ أَحَدَ أَهْلِ الْيَمَنِ سَاءَتْ حَالُهُ ، وَلَزِمَهُ دَيْنٌ يُقَدَّرُ بِمِئَةِ دِينَارٍ ، وَأَنْقَطَعَتْ بِهِ الْحِيلُ ، وَأَسَدَّتْ فِي وَجْهِهِ الْأَبْوَابُ ، فَطَوَى الْبِلَادَ سَائِرًا إِلَى الْغُرْفَةِ ، فَاسْتَجْهَرَهُ مَا رَأَى مِنْ عَظِيمِ حَالِ الشَّيْخِ وَكَثْرَةِ وَفُودِهِ ، فَهَابَهُ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَكَالَمَتِهِ ، إِلَى أَنْ سَنَحَتْ لَهُ الْفُرْصَةُ ، فَذَكَرَ لَهُ حَالَهُ ، فَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ .. أَنْتَهَبَهُ اللَّصُوصُ ، فَعَادَ أَدْرَاجَهُ إِلَى الْغُرْفَةِ حَرَّانَ^(٣) أَسْفًا^(٤) ، فَعَوَّضَهُ الشَّيْخُ بِأَلْفٍ آخَرَ أَعْطَاهُ بِهِ تَحْوِيلًا إِلَى الشَّخْرِ كَيْلًا يَأْخُذُهُ اللَّصُوصُ مَرَّةً أُخْرَى . وَبِالْثَّمَرَةِ الْوَاحِدَةِ تُعْرَفُ الشَّجَرَةُ .

وَكَانَ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَدِيمِ وَلِذَرِّيَّتِهِ مِنْ بَعْدِهِ تَعَلُّقٌ عَظِيمٌ بِالْعَلَوِيِّينَ ، وَسَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ الْمَشَائِخِ أَنَّهُمْ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ تَقْبِيلَ أَيْدِي الْعَلَوِيِّينَ بِحَضْرَمَوْتِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَصَلَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِي الْتَنَافُرَ ، وَأَوَّلُهُ - فِيمَا أَظُنُّ - مَا وَقَعَ فِي زَمَانِ الشَّيْخِ عَمْرِو الْمُحَضَّارِ

(١) نسبة البلدان (خ / ١٨٩) .

(٢) توفي الشيخ محمد هذا سنة (٨٠٥ هـ) ، كما في « شنبل » (١٥٦) ، و « الحامد » (٢ / ٢٨٤) . أما والده الشيخ عبد الله بن محمد . . فيلقب بعبد الله الأخير ؛ تمييزاً له عن الشيخ عبد الله بن محمد

القديم المتقدم الذكر ، توفي هذا الأخير في (٢٥) رجب سنة (٧٦٣ هـ) « شنبل » (١٣٠) .

(٣) حرَّان : عطشان .

(٤) أَسْفًا : شديد الحزن .

وَالشَّيْخُ عَقِيلٌ بَاعِبَادٍ^(١) ، حَتَّى أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا الْفَقِيهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَكَمٍ بِاقْشِيرٍ ، حَسَبَمَا ذَكَرْنَاهُ بِـ « الْأَصْلِ » عَنْ « مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ فِي مَنَاقِبِ السَّادَةِ آلِ بَاقْشِيرٍ » لِمَوْلَفِ « الْقَلَائِدِ » .

وَعَنِ الْفَاضِلِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورِ عَنِ وَالِدِهِ مُفْتِي الدِّيَارِ الْحَضَرَمِيَّةِ أَنَّهُ يَقُولُ : (سَمِعْتُ كَثِيرًا مِنْ مَشَايِخِي يَقُولُونَ : كَانَتْ الْمَشِيخَةُ بِتَرِيمٍ لِلخُطْبَاءِ وَآلِ بَافُضِلٍ ، فَلَمَّا سَكَنَهَا الْعُلُوِّيُّونَ . . تَنَازَلُوا لَهُمْ عَنْ تَقْبِيلِ أَيْدِي وَلِبْسِ الْعِمَامَةِ ، وَالنَّدَاءِ بِلَفْظِ الْحَبِيبِ ، فَمَحَوْهُ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَخَصَّصُوهُ بِالْأَشْرَافِ ، وَجَعَلُوهُ عَلَامَةً لَهُمْ) اهـ

وهو في حاجةٍ إلى البحثِ والنَّظَرِ والرُّجُوعِ إلى ما يَأْتِي فِي الْمَبْحَثِ الثَّلَاثِ مِنَ الْحَسِيَّسَةِ .

وَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ : إِنَّ آلَ بَاعِبَادٍ هُمُ الَّذِينَ حَمَلُوا النَّاسَ عَلَى دَعَائِهِمْ بِالْحَبِيبِ ، وَعَلَى تَقْبِيلِ أَيْدِيهِمْ ، لَا عَلَى تَقْبِيلِ أَيْدِي الْعُلُوِّيِّينَ .

وَأَيُّهُ هَذَا أَنَّهُمْ لَا يَزَالُونَ عَلَى ذَلِكَ بَيْنَ اتِّبَاعِهِمْ إِلَى الْيَوْمِ ، وَالْمَسْأَلَةُ لَا تَعْدُو دَائِرَةَ الظَّنِّ وَالْإِحْتِمَالِ ، لَا سِيَّما وَأَنَّ الْخُطْبَاءَ وَآلَ بَافُضِلٍ لَا يَزَالُونَ مُعَمِّمِينَ ، وَإِنَّمَا كَانَ جُلُّ آلِ سَيْثُونَ لَا يَلْبَسُونَ الْعِمَامَةَ ، إِنَّمَا اقْتَصَادًا ، أَوْ أَدْبًا مَعَ الْأَشْرَافِ وَالْفُقَرَاءِ مِنْ آلِ بَارِجَاءٍ تَلَامِيذِ آلِ بَاعِبَادٍ ، وَالْأَقْرَبُ الثَّانِي ؛ بِأَمَارَةٍ وَجُودِ الْكَثِيرِ مِمَّنْ أَذْرَكْنَا مِنْ آلِ حَسَّانَ يَلْبَسُونَ الْقُلَنْسُوءَ الْمَخْصُوصَةَ بِالْعِمَامَةِ - وَهِيَ الْمَسْمُوءَةُ بِالْأَلْفِيَّةِ - مِنْ دُونِ عِمَامَةٍ ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ . . فَتَرَكُوا الْعِمَامَةَ مِنَ الْبَدِءِ أَخْفُ إِشْكَالًا مِنْ تَرْكِ أَهْلِ الْعِلْمِ لَهَا بَعْدَ اسْتِعْمَالِهَا .

وَلِلْحَضَارِمَةِ أَوْلِيَّاتٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ ؛ مِنْهَا : مَا أَظُنُّنِي ذَكَرْتُهُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْ « الْبُضَائِعِ » : (أَنَّ الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ الْكِنْدِيَّ أَوَّلُ مَنْ رَكِبَ وَالرُّجَالُ تَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ) .

(١) الشَّيْخُ عَقِيلٌ هَذَا هُوَ عَقِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَاعِبَادٍ ، تَوَفَّى سَنَةَ (٩١١ هـ) ، وَهُوَ غَيْرُ الشَّيْخِ عَقِيلِ بْنِ أَحْمَدَ بَانِي جَامِعِ الْغُرْفَةِ ، وَسَيَّاتِي ذَكَرَهُ لَاحِقًا .

وَكَانَ السَّلَفُ إِذَا نَظَرُوا إِلَى رَاكِبٍ وَرَجُلٍ يَحْضُرُ مَعَهُ . . قالوا : قَاتَلَهُ اللَّهُ مِنْ جَبَّارٍ .
 وَكَانَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ - أَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٠٣٨ هـ) - كَثِيرًا مَا يَشْكُو
 إِلَى شَيْخِهِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ مَا يَلْقَاهُ مِنْ أَذْيَةِ آلِ بَاعِبَادٍ إِذَا جَاءَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ
 بِالْغُرْفَةِ ، فَقَالَ لَهُ : (لَعَلَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنْ ذَرِّيَّتِكَ مَنْ يَتَّبِعُكَ بِهِ) فَلَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ هَذَا
 الدُّعَاءِ إِلَّا فِي سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ عِيدروسِ بْنِ عَمَرَ .

وَفِي آلِ بَاعِبَادٍ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَمِنْ أَكَابِرِهِمْ - كَمَا فِي « جَوْهَرِ الْخَطِيبِ » - :
 إِمَامُ الطَّرِيقَيْنِ وَمِفْتَاحُ الْفَرِيقَيْنِ ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عِبَاد ، تَرْجَمَ لَهُ الْأُسْتَاذُ الْأَبَرُّ
 فِي « الْعَقْدِ » وَقَالَ : (إِنَّهُ وُلِدَ سَنَةَ « ٧١٢ هـ » ، وَتَوَفَّى أَوَّلَ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ) وَقَدْ مَرَّ
 ذِكْرُهُ فِي شَبَام .

وَرَأَيْتُ فِي رِسَالَةِ كَتَبَهَا السَّيِّدُ شَيْخُ بْنُ عَمَرَ فِي « الْعَهْدَةِ » : (أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ
 أَبِي بَكْرٍ هَذَا دَعَا عَلَى آلِ بَاعِبَادٍ أَنْ لَا يَجْعَلَ اللَّهُ مِنْهُمْ عَالِمًا ؛ لِقَضِيَّةٍ مَنْكَرَةٍ أَوْجَبَتْ
 ذَلِكَ جَهْلًا ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ) اهـ

وَفِي « مَجْمُوعِ الْجَدِّ طَهَ بْنِ عَمَرَ » [ص ١٣١] عَنْ أَحْمَدَ مُؤَذِّنٍ مَا حَاصِلُهُ : (كَانَ فِي
 الْغُرْفَةِ قَبْلَ أَنْ تُقَامَ فِيهَا الْجُمُعَةُ مَسْجِدَانِ مُتَجَاوِرَانِ : أَحَدُهُمَا : لآلِ بَاعِبَادٍ ،
 وَالثَّانِي : لآلِ بَا جَمَّال ، فَأَرَادَ الشَّيْخُ الْجَلِيلُ بَانِي الْجَامِعِ جَعْلَهُمَا مَسْجِدًا وَاحِدًا ،
 وَاسْتَفْتَى الْعُلَمَاءَ فَتَوَقَّفُوا عَنِ الْجَوَابِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا أَنْ خَلَطَهُمَا بِدُونِ فَتَوَى مِنْ
 أَحَدٍ ، وَسَرَّ الْعُلَمَاءُ بِتَوَقُّفِهِمْ عَنِ الْجَوَابِ) اهـ

وَفِي « مَوَاهِبِ الْبَرِّ الرَّؤُوفِ » لَابْنِ سِرَاجٍ التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الَّذِي جَعَلَ الْمَسْجِدَيْنِ
 وَاحِدًا هُوَ الشَّيْخُ عَقِيلٌ ، وَهُوَ ابْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَرَ عِبَادٍ ^(١) ، وَقَدْ سَبَقَ
 أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَمَرَ هَذَا هُوَ الَّذِي زَادَ فِي سَنَةِ (٧٠١ هـ) فِي غُرْفَةِ عَمِّهِ حَتَّى صَارَتْ
 دَارًا .

وَالْعَمَلُ بِخُلُطِ الْمَسَاجِدِ وَاقِعٌ بِكَثْرَةِ فِي تَرْيَم ، حَتَّى لَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ الْجَامِعَ كَانَ

(١) الشَّيْخُ عَقِيلُ بْنُ أَحْمَدَ تَوَفَّى سَنَةَ (٨٤١ هـ) .

سبعة مساجد ، ومسجد الشَّيْخِ عَلِيِّ كَانَ خَمْسَةً ، وَهَلَمْ جَرَأً .

وَقَدْ اُخْتَلَفَ اَلْعُلَمَاءُ فِي نَظِيرِ الْمَسْأَلَةِ : فَأَفْتَى أَحْمَدُ بْنُ مُوسَى بْنِ عَجِيلٍ اَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٦٩٠ هـ) بِجَوَازِ نَقْضِ الْمَسْجِدِ لِتَوْسِعَتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ خَرَابًا ، وَمَنْعَهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَصْبَحِيُّ الْيَمَنِيُّ اَلْمُتَوَفَّى سَنَةَ (٧٠٠ هـ) .

وَقَالَ بَعْضُ شُرَاحِ « اَلْوَسِيطِ » : يَجُوزُ بِشَرَطِ أَنْ تَدْعُو اَلْحَاجَّةُ إِلَيْهِ وَيَرَاهُ اَلْإِمَامُ أَوْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ؛ فَقَدْ فُعِلَ بِالْحَرَمَيْنِ مَرَارًا ، مَعَ وَجُودِ اَلْمُجْتَهِدِينَ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ .

وَقَالَ الْأَشْخَرُ فِي « فِتَاوَاهِ » : (قَالَ أَبُو الرُّفْعَةِ : كَانَ شَيْخُنَا الشَّرِيفُ اَلْعَبَّاسِيُّ يَقُولُ : بِتَغْيِيرِ بِنَاءِ اَلْوَقْفِ فِي صُورَتِهِ عِنْدَ اقْتِضَاءِ اَلْمَصْلَحَةِ . قَالَ : وَقُلْتُ ذَلِكَ لِشَيْخِ اَلْإِسْلَامِ أَبِي دَقِيقٍ اَلْعَيْدِ فَأَرْضَاهُ .

وَقَالَ اَلشُّبْكِيُّ : اَلَّذِي أَرَاهُ : اَلْجَوَازُ بِثَلَاثَةِ شُرُوطٍ : أَنْ يَكُونَ اَلتَّغْيِيرُ يَسِيرًا لَا يُزِيلُ أَسْمَ اَلْوَقْفِ . وَأَنْ لَا يُزِيلَ شَيْئًا مِنْ عَيْنِهِ ، بَلْ يُنْقَلُ نَقْضُهُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى آخَرَ ، فَإِذَا اقْتَضَى زَوَالُ شَيْءٍ مِنْ عَيْنِهِ لَمْ يَجْزُ ، فَتَجِبُ اَلْمَحَافَظَةُ عَلَى صُورَتِهِ مِنْ حِمَامٍ وَنَحْوِهِ كَمَا تَجِبُ عَلَى اَلْمَادَّةِ وَإِنْ وَقَعَ اَلنَّسْخُ فِي بَعْضِ الصِّفَاتِ . وَأَنْ تَكُونَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ لِّلْوَقْفِ) اهـ كَلَامُ الْأَشْخَرِ بِاِخْتِصَارٍ وَزِيَادَةٍ مِنْ « تَيْسِيرِ اَلْوَقُوفِ » .

وَأَمَّا هَدْمُ الْمَسْجِدِ اَلْخَرَابِ وَإِعَادَتُهُ . . فَجَائِزٌ بِلَا خِلَافٍ . وَلَا يَعْدَمُ اَلشَّيْخُ تَوْسِعَةً لِمَا صَنَعَ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ اَلْقُيُولِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ آلُ بَاجِمَالٍ وَلَاةَ بَوْرٍ ، فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ آلُ بَانَجَارٍ ، فَأَنْتَقَلُوا إِلَى شِبَامٍ ، ثُمَّ أَنْتَقَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَاثُورٍ مِنْ أَعْمَالِ اَلْغُرْفَةِ ، ثُمَّ أَنْتَقَلُوا إِلَى اَلْغُرْفَةِ .

وَكَانَ اَلشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَاهِرْمِزٍ يُهْنَى آلُ شِبَامٍ بِمُجَاوَرَةِ اَلْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ جَمَّالٍ ، وَيُهْنَى أَهْلُ اَلْغُرْفَةِ بِمُجَاوَرَةِ اَلْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمَّالٍ .

وَقَالَ اَلشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سِرَاجٍ ^(١) : (لَمْ يَخُلْ زَمَنٌ مِنَ الْأَزْمَانِ مِنْ عَصْرِ قَدِيمٍ عَنْ

(١) هو العلامة الفقيه النحرير ، مؤرخ آل بَاجِمَالٍ وعالمهم المبرز في عصره ، ولد سنة (٩٤٤ هـ) ، وتوفي سنة (١٠١٩ هـ) ، ترجمته في : « الجواهر والدرر » للشُّلِّي ، و« خلاصة الأثر » للمُحَبِّي .

كثير فيهم من العلماء إلى وقتنا هذا ، وقلما نقصوا فيما مضى عن أربعين عالماً ، وبقية عاَمَتِهِمْ أخيارٌ وصلحاء) اهـ

ونُقِلَ عن الشَّيْخِ صالحِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ أَحْمَدَ عَبَّادٍ أَنَّهُ قَالَ : (يَكْفِينَا فَخْرًا مَجَاوِرُتَنَا لِلْفَقِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سِرَاجٍ ، وَخَالِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ جَمَّالٍ) .

وكانت صلاتُهُمْ في المسجدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : بِأَجْرِيْدَانٍ في الغُرْفَةِ ، وقد سبقَ في الشَّخَرِ ذِكْرُ تَخْرِجِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سِرَاجٍ مِنْ مَدْرَسَتِهَا ، وَقَبْلَ ذَلِكَ وبعدهُ كَانَ أَخَذَهُ عن علماءِ بِلَادِهِ - وفي مقدِّمَتِهِمْ : أبوه - كثيراً كثيراً .

وقدِ اضْطَرَبَ الْكَلَامُ في نَسَبِ آلِ بَاعِبَادٍ بما هوَ مَفْصَّلٌ بـ « الْأَصْل » ، وَالْأَكْثَرُ على أَنَّهُمْ مِنْ بني أُمَيَّةَ ، وَلَكِنْ نَقَلَ بَعْضُهُمْ - أعني آلَ بَاعِبَادٍ - عن « تاريخِ أبْنِ حَسَّانٍ » : (أَنَّ جَدَّ الشَّيْخِ الْقَدِيمِ ، وَهُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، خَرَجَ وَثَلَاثَةُ مَعَهُ مِنَ الْحِجَازِ لِلسِّيَاحَةِ ، فَتَزَلُّوا بِالْهَجْرَيْنِ على الْأَمِيرِ مَحْفُوظٍ ، فَأَحَبَّهُ وَزَوَّجَهُ بِنْتَهُ ، فَأَوْلَدَهَا مُحَمَّدًا وَالِدَ الْقَدِيمِ ، فَلَمَّا شَبَّ - أعني مُحَمَّدًا - . . . جَاءَ إلى بَاثُورٍ فَأَلْفَى فِيهِ بِأَجْمَالٍ ، فَخَطَبَ إِلَيْهِ بِنْتَهُ . فَقَالَ لَهُ : مَا نَسَبُكَ ؟ فَقَالَ : أَلْتَقَوَى . فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ ، فَأَوْلَدَهَا عَبْدُ اللَّهِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَعَمْرٌ) اهـ

وهو صريحٌ في كونِهِمْ طَارِئِينَ على حَضْرَمَوْتَ لَا مِنْ صَمِيمِهَا ، ولماذا يعدلُ الشَّيْخُ عن ذِكْرِ نَسَبِهِ وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ ؟ ! وَعَلَّ لَهُ عِذْرًا وَنَحْنُ نَلُومُ ؛ فَلَرُبَّمَا كَانَ الْمَنَعُ عَنِ التَّنْصِيحِ بِنَسَبِهِ الْخِلَافَاتِ الْمَذْهَبِيَّةِ ؛ فَإِنَّهَا كَثِيرَةٌ إِذْ ذَاكَ ، وَهِيَ عَرْضَةُ الْمُوَارَبَةِ وَالْتَقِيَّةِ .

أَمَّا بنو أُمَيَّةَ الْيَزِيدِيُّونَ : فَقَدْ مَرَّ في شِبَامٍ أَنَّ دَوْلَتَهُمْ أَسْتَمَرَّتْ بِحَضْرَمَوْتَ مِنْ سَنَةِ (٢٠٦هـ) إلى سَنَةِ (٤١٢هـ) ، وَكُونُ هَؤُلَاءِ مِنَ الْحِجَازِ يَمْنَعُ كَوْنَهُمْ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّ آلَ بَاعِبَادٍ لَمْ يَدَّعُوا إِلَى يَزِيدَ ، وَإِنَّمَا أَدَّعَا فِي آلِ عُثْمَانَ ، وَهُمْ مَوْجُودُونَ إِذْ ذَاكَ بِالْحِجَازِ ، وَالْبَحْثُ مُسْتَوْفَى بـ « الْأَصْل » .

وفي « ذيلِ رَشِيدَةِ الْإِخْوَانِ » لعَبْدِ اللَّهِ بَكَرَانَ : (أَنَّ آلَ بَاحْلَوَانَ وَآلَ بَاعِبَادٍ فِي

الغرفة لهم مآثرٌ وصداقاتٌ جاريةٌ ، وأوقافٌ ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، قال ابن خلدون في « مقدّمة تاريخه » : بنو عامرٍ وبنو عبّادٍ من موالى بني أميّة ، وكان أهلهم قضاة بني أميّة (اهـ)

ونقل بعده عن ابن خلدون : أنّ بني عبّادٍ أصحاب إشبيلية من لحم ، من قحطان وهو منافٍ لكونهم موالى بني أميّة ، إلّا أنّه أشار إلى أنّ الموالاة كانت بالحلف ، وبعيدٌ أن يرجع نسب آل با عبّادٍ إلى أصحاب إشبيلية ؛ لما عرف ممّا سبق .

ومن المقبورين بالغرفة : الشّيخ عمر بن عيسى بركوة السمرقندي ، أطال سيدي الأستاذ الأبرّ في ذكره ، وأثنى عليه ثناءً جمّاً ، وهو من تلاميذ الشّيخ أبي بكر بن سالم .

وممن أخذ عنه : السيّد عمر بن عبد الرّحمن العطّاس ، والشّيخ أحمد بن عبد القادر باعشن ، صاحب الرّباط . وغيرهما . وله ذكرٌ كثيرٌ في « القرطاس » و« شرح العينية » وغيرهما .

ومن أهل الغرفة : الشّيخ الصّالح الشّهير سالم بن عبد الله باعامر ، له مسجدٌ صغيرٌ في طرفها الشّرقي ، اتّخذهُ آل ألفاسٍ مخفراً بالآخرة . وله أيضاً مسجدٌ آخرٌ في جنوب البلاد ، بسفح الجبل الذي يُطلُّ عليها .

ومن اللّطائف : أنّ الشّيخ عوضَ بامختار^(١) - وكان مشهوراً بالولاية والصّلاح - مات له امرأةٌ ، فاشتدَّ وجدهُ عليها ، وبينما هو واضعٌ كفَّ حائرٍ على ذقنٍ نادٍ - من فرطِ اللّوعة - على دكّة دارٍ بالغرفة . إذ مرَّ به الشّيخ عمر بن عبد الله بامخرمة ، فقال له :

يا عمر ؛ (آه) طبّ أهل القلوب المِراضِ ؟

فأجابهُ الشّيخ عمرُ قبل أن يبلع الرّيق :

طبّه العذب لي ينزخ على بير راضي

(١) هو الشيخ عوض بن عبد الله بامختار ، ولد بالغرفة سنة (٩١٣هـ) ، وتوفي بها سنة (٩٧٨هـ) ، كان أمياً من الصالحين العارفين . « السناء الباهر » ، « تاريخ الشعراء » : (١٦٦/١) .

وَهِيَ بَثْرٌ يُسْتَقَى مِنْهَا بِالْغُرْفَةِ - فَذَهَبَ إِلَيْهَا فَأَلْفَى أَمْرًا تَنْزَحُ مِنْهَا فَتَرْوِجُهَا ، وَكَانَ وَإِيَّاهَا كَمَا قَالَ قَيْسُ [الْمَجْنُونُ فِي « دِيوانه ١٦٦١ مِنْ الطُّوِيلِ] :

مَحَا حُبُّهَا حُبَّ الْأَلَى كُنَّ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ مَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلٌّ مِنْ قَبْلُ
وَبِالْغُرْفَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْقَابِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيِّ ، أَلْتَمَوْا سَنَةَ (١٠٣٨هـ) .

مِنْهُمْ : السَّيِّدُ زَيْنُ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ، أَلْتَمَوْا بِهَا سَنَةَ (١١٠٠هـ) .

وَمِنْهُمْ : الْإِمَامُ الْجَلِيلُ ، صَاحِبُ الْفَرَاةِ الصَّادِقَةِ وَالْكَشْفِ الْخَارِقِ ، السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ زَيْنِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ ، أَلْتَمَوْا بِهَا سَنَةَ (١٢٥٠هـ) ^(١) ، فَلَقَدْ كَانَ جَلِيلَ الشَّانِ ، عَظِيمَ الْمَقْدَارِ ، حَتَّى إِنَّ سَيِّدَ الْوَادِي الْحَسَنَ بْنَ صَالِحِ الْبَحْرِ لَا يَزُورُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَغْتَسَلَ وَيَتَطَيَّبَ ، وَيَبَالِغُ فِي أَحْتِرَامِهِ ، وَبِمَا غَرَسَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمَحَبَّةِ فِي الْقُلُوبِ . . أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ النَّاسُ ، فَقَامَتْ عَلَيْهِ بَعْضُ نَفُوسِ السَّادَةِ آلِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ وَعَقَرُوا فَرَسَهُ ، وَأَصِيبَ عَاقِرُهَا ، وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهِ بِمَا لَا يَلِيقُ ، كَمَا يُعْرَفُ بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ كِتَابِ بَخْطٍ يَدِهِ سِيرَةُ إِلَيْهِمْ ، وَهُوَ هَذَا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَنَّمَ فَتُصَيِّرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ ﴿ لَيْنًا بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾ . . . الْآيَةُ .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ ﴾

الْآيَةُ .

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ . . . الْخ .

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ .

(١) كَانَ الْحَبِيبُ عَبْدُ الْقَادِرِ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ ، وَلَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا فِي زَمَانِهِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ فِي « الْعَقْدِ » ، وَجَمَعَ بَعْضُ أَحْفَادِهِ مَكَاتِبَاتِهِ مَعَ مُعَاصِرِهِ .

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدٌ مِنْ رَدِّ أَمْرِهِ إِلَيْهِ ، وَلَجَأٌ فِي مَهْمَاتِهِ عَلَيْهِ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الْخَلْقِ لَدِيهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَائِرِ ذَوِيهِ .

مِنْ عَبْدِ خَائِفٍ مِنْ مَوْلَاهُ ، الْحَقِيرِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ إِلَى إِخْوَانِهِ
وَأَصْحَابِهِ فِي اللَّهِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ آلِ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبْشِيِّ ، وَكَذَلِكَ مُجِبٍ
أَهْلَ الْبَيْتِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدِ بْنِ سُمْيرٍ . . سَلَكَ اللَّهُ بِهِمْ إِلَى الطَّرِيقِ السَّيِّدَةِ ، وَدَلَّاهُمْ
عَلَى الْأَفْعَالِ الْحَمِيدَةِ وَإِنَّا آمِينَ .

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، صَدَرَتْ الْأَحْرَفُ مِنَ الْغُرْفَةِ وَالْمُوجِبِ -
يَا سَادَتِي وَأَنْتِ يَا مُحَبَّ عَبْدَ اللَّهِ - أَنَّ هَذَا أَمْرٌ جَرَى فِي جَنَابِنَا وَرَدَّيْنَا أَمْرَنَا إِلَى مَوْلَانَا
إِخْمَادًا لِلشُّرُورِ وَتَقْيِيدًا لِلْمَحْتَرِيِّ مِنَ الْأَشْرَارِ ، وَمَعَامَلَةً مَعَ عَالَمِ خَفِيَّاتِ الْأَسْرَارِ ،
الَّذِي لَا تَضِيعُ الْمَعَامَلَةُ لَدِيهِ ، وَالَّذِي كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ حُكْمِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ ، وَبَعْدَ :

إِنَّ السَّادَةَ يَا مُحَبَّ عَبْدَ اللَّهِ يَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ مَا يُقَالُ فِي الْبِلَادِ ، وَيَقُولُونَ :
عَادَ نَحْنُ مُرَادَنَا مِنْهُ الشَّرِيعَةُ ، وَكَسَرَ الشَّرِيعَةَ وَسَارَ إِلَى سَيِّئُونَ خَوْفٌ مِنْ طُلَّابِ
الشَّرِيعَةِ ، وَنَحْنُ سِرْنَا إِلَى سَيِّئُونَ مِنَ الْقِيلِ وَالْقَالَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَقُلُوبِنَا مِمَّا جَرَى فِينَا مِنَ
الْأُمُورِ الشَّنِيعَةِ ، وَجَاؤُوا لَنَا وَسَائِطُ اللَّهِ أَعْلَمَ هَلْ هُمْ مِنْ طَرَفِ السَّادَةِ؟ أَوْ هُمْ حَقُّ
فُضُولٍ مِنْهُمْ؟ وَقَلْنَا نَحْنُ قَدْ عَفِينَا فِي الْحَقِّ الَّذِي لَنَا وَلَا نَحْنُ طَالِبِينَ حَقِّ مِنَ السَّادَةِ ،
وَطَرَبْنَا فِي الشُّوقِ أَنَّ كَلَامًا مَعْدُورًا مِنَ الْقِبَالِ وَوَجْهَهُ أَبْيَضٌ مِنَ الَّذِي حَضَرُوا وَالَّذِي هُمْ
شَائِلِينَ عَنَّا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، وَفِي وَجْهِهِمْ اعْذَرْنَا هُمْ وَمُرَادُنَا السَّكُونُ لَنَا وَدَحْرُ لِلْسَّادَةِ
حَسَبِمَا حَضَرَ الْوَلَدُ جَعْفَرُ بْنُ هَاشِمٍ ، وَمَا قَدْ بَلَغَكُمْ ، وَبَعْدَ أَنْ السَّادَةُ بَقِيَ يُصَدِّرُ مِنْهُمْ
كَلَامًا فِينَا وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ طَالِبِينَ نَحْنُ الْحَقُّ ، وَبَعْدَ جَاءَ لَنَا وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَفْضَلِ
وَقَالَ : مَا يُمَكِّنُ مَا تَعْطِي الْحَقَّ السَّادَةُ فِي هَذَا الْكَلَامِ الشَّنِيعِ ، إِنْ كَانَ السَّادَةُ
مُطَالِبِينَ . . نَحْنُ فِيمَا يَقُولُونَ الْوَعْدُ مِنْهُمْ ، وَحَيْثُ أَرَادُوا قَرِيبٌ أَوْ بَعِيدٌ وَمُوفِينَ لَهُمْ
الْحَقُّ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَرَبِّمَا وَفِينَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَلَا حَدَّ عَالِمٍ بِهِ ، وَنَحْنُ مُصَرِّينَ
عَلَى فَاحِشَةٍ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا حَقٌّ لِلْسَّادَةِ وَلَا فِينَا شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ، وَهَذَا إِلَّا
بُهْتَانٌ وَلَغْوٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ ؛ فَالْأُمُورُ كُلُّهَا إِلَى اللَّهِ ، ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ

أَعْمَلَكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا قَالَه الصَّابِرُونَ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَلَنَا أَسُوءُ بَمَنْ مَضَى مِنْ سَادَتِنَا أَلْعُلُوتَيْنِ كَمَا قَالَ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ الْاَحْدَادُ [في « ديوانه » ١٢٧ مِنْ الرَّمْلِ] :

بَهْتُونَا بِمَقَالِ سَيِّءٍ كَانَتْ الْأَخْرَى بِهِ لَوْ أَبْصَرْتَ
قَدْ حَلُمْنَا وَصَفَخْنَا عَنْهُمْ وَبِذَا أَسْلَفْنَا قَدْ أَخْبَرْتَ
﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴾ .

ومن أجل الأمور الذي دخل في خواطر السادة من طرفها ، يشهد الله علينا وملائكته : أنا ما طلبناها ولا دَوَّرْنَا لها غير جاءت نحن من غير طلب . انتهى الموجود من الكتاب .

وقد حذفْتُ منه آيات وحديثاً لا تكثرُ فيها مناسبةُ الموضوع ، وفي الكتابِ أغلاطٌ حتى في الآياتِ تعرفُ بالفهمِ والذوقِ ^(١) ، واللهُ أعلمُ .

قال سيدي الأستاذ الأبرُّ عيدورسُ بنُ عمرَ : وكانت للحبيبِ عبدِ القادرِ المذكورِ أمورٌ غريبةٌ من الرياضاتِ والخلواتِ ، وله أربعينياتٌ متعددةٌ .

وربَّما تخلفَ عن شهودِ الجمعة ؛ لأنَّ اللهَ كشفَ له عن أحوالِ النَّاسِ الباطنةِ ، فيراهم في صورِ معانيهم . حتَّى دعا له الحبيبُ حسنُ بنُ صالحِ البحرِ فسترَ اللهُ ذلكَ عنه .

ومنهمُ السَّادَةُ الْأَجَلَاءُ : عيدورسُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عيسى الحَبَشِيِّ . وولده : الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ مُحَمَّدُ بنُ عيدورسٍ ، أَلَمْتُوقِي بها سَنَةُ (١٢٤٧ هـ) . وَأَخُوهُ الْعَلَامَةُ الْإِمَامُ عَمْرُ بنُ عيدورسٍ ، أَلَمْتُوقِي بها سَنَةُ (١٢٥٠ هـ) . . مناهلُ علومٍ ، ومفتاحُ فُهومٍ ، وقُرْآتُ عيونٍ ، وأحاديثُ أَلْمُثُونِ ، وصفاءُ كَانَمَا أَخْلَصَتْهُ أَلْقِيُون :

لَهُمْ سُرَّةُ أَلْمَجْدِ أَلْتَلِيدِ وَسِرُّهُ وَمَخْضُ أَلْمَعَالِي فِيهِمْ وَأَلْمَنَاقِبِ ^(٢)

(١) وقد أصلحنا الآيات القرآنية .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للشريف الرضي في « ديوانه » ، (٩٠ / ١) .

ومنهم مُسِنِدٌ حَضَرَ مَوْتَ بِلِ مُسِنِدِ الدُّنْيَا كُلِّهَا فِي عَصْرِهِ إِذْ زَلَّتْ عَنْ مِرْقَاتِهِ
الأُصول ، ولم يَتَّفِقْ لِأَحَدٍ إِلَى مِثْلِ عُلُوِّهِ الْوُصُولُ : أَسْتَأْذِنُ الْأَبْرَّ عِيدِرُوسَ بْنَ عَمَرَ ؛
فَإِنَّهُ مَجْمَعُ الْمَفَاخِرِ ، وَبَحْرُ الْعِلْمِ الْزَّآخِرِ ، وَزِينَةُ الْزَّمَنِ الْآخِرِ :

أَزَالَتْ بِهِ الْأَيَّامُ عَنِّي كَأَنَّمَا بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَهَذَا لَهَا عُذْرٌ^(١)
وَهُوَ الْإِمَامُ بِحَقِّهِ ، وَالْكَامِلُ بِصَدَقِهِ ، وَعَلَى الْجَمْلَةِ : فَإِنِّي لَا أَجِدُ عِبَارَةً تُرْضِينِي
فِي وَصْفِ مَا شَاهَدْتُهُ مِنْ مَحَاسِنِهِ ، فَضْلاً عَمَّا لَمْ أَشَاهِدْهُ ، وَلَمْ يَنْتَهِ إِلَى تَصَوُّرِهِ إِذْ ذَاكَ
سَنِي ؛ إِذِ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ [فِي « الْعُكْبَرِيِّ » ٢ / ٢٨٧ مِنْ الطُّوِيلِ] :

وَمَا حَارَتْ الْأَفْهَامُ فِي عُظَمِ شَأْنِهِ بِأَكْثَرِ مِمَّا حَارَ فِي حُسْنِهِ الطَّرْفُ
جَمَالٌ يَحْسُرُ الْأَنْظَارُ ، وَكَمَالٌ يَدْهَشُ الْحُضَارُ ، وَجَلَالٌ يَمَلَأُ الْبَصَائِرَ ، وَمَقَامٌ
يَمْلِكُ الضَّمَائِرَ ، وَوَقَارٌ يَأْخُذُ النَّفُوسَ ، فَلَا يَبْقَى لَدَيْهِ رَئِيسٌ وَلَا مَرْؤُوسٌ . . . إِلَّا وَهُمْ
خَاضِعُونَ الْأَذْقَانِ ، نَاكِسُونَ الرُّؤُوسَ .

كَأَنَّ شُعَاعَ عَيْنِ الشَّمْسِ فِيهِ فَفِي أَبْصَارِنَا عَنْهُ انْكِسَارٌ^(٢)
وَحَدِيثٌ يَهْزُ الشُّعُورَ ، وَيَجْلِبُ الشُّرُورَ ، كَأَنَّمَا هُوَ اللَّوْلُؤُ الْمَثُورُ ، وَتَهْتَرُ لَهُ
الْجِبَالُ الرُّكِينَةُ ، وَكَأَنَّمَا تَنْزِلُ عَنْدَهُ السَّكِينَةُ .

أَنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى . وَالَّذِي فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى^(٣)
وَمِمَّا أَسْتَخْرِجُ بِهِ الْعَجَبَ مِنَ الْقَوْمِ ، وَلَا أَزَالُ مِمِّثْلًا بِهِ فِي نَفْسِي إِلَى الْيَوْمِ . . . أَنَّنِي
وَأَتْرَابِي مِنَ الصُّغَارِ - مَعَ الْإِنْطِبَاعِ عَلَى الْحَرَكَةِ - نَبَقِي فِي مَجْلِسِهِ الشَّرِيفِ السَّاعَاتِ
الْعَدِيدَةِ ، وَكَأَنَّمَا عَلَى الرُّؤُوسِ الطَّيْرُ .

فَبَقَايَا وَقَارِهِ عَافَتْ النَّاسَ سَ وَصَارَتْ رَكَائَةً فِي الْجِبَالِ^(٤)

(١) البيت من الطويل .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لأبي الطَّيِّبِ المَتَنِّي فِي « الْعُكْبَرِيِّ » (١١٠ / ٢) .

(٣) البيت من الكامل ، وهو من قصيدة رائِثَةٍ مشهورة لابن عَمَّارٍ يمدح بها المعتضد عِبَادَ ، وَالِدَ الْمُعْتَمِدِ ،
تَجَدَّهَا فِي « نَفْحِ الطَّيْبِ » (٩٥ / ١) . السَّنَةُ : النُّعَاسُ . الْكَرَى : النَّوْمُ .

(٤) البيت من الخفيف ، وهو لأبي الطَّيِّبِ المَتَنِّي فِي « الْعُكْبَرِيِّ » (١٩٩ / ٣) . عَافَتْ : كَرِهَتْ . =

وكَيْفَ لَا أَعْجَبُ مِنْ شَمُولِ السَّكُونِ ، مَعَ أَنَّنَا لَا نَعْرِفُ كُلَّ مَا يَكُونُ ، وَإِنَّمَا نَلْتَذُّ
 بِرِيَّاهُ ، وَنَنْعَمُ بِمُحَيَّاهُ ، وَحَيَّاهُ اللَّهُ وَبَيَّاهُ ، فَمَعَ قُصُورِنَا عَنْ فَهْمِ الْكَثِيرِ مِمَّا يَسْرَحُ فِيهِ مِنْ
 الْمَعَانِي الرَّائِقَةِ ، وَالْعِبَارَاتِ الْفَائِقَةِ . . نَحْسُ كَأَنَّمَا تَبَسُّطُ لَهُ أَلْمَلَانُكَةُ أَجْنَحَتَهَا ، وَتُلْقِي
 - وَمَا تَدْرِي - لَهُ الْأَكُفُّ أَسْلَحَتَهَا ، لَا سَيِّمًا إِذَا أَزْدَحَمَ الْجَمْعُ يَسْتَجْلُونَ هَلَالَهُ ،
 وَيَسْمَعُونَ مِنْهُ كَلِمَةَ الْجَلَالَةِ .

فَتَلْقِي وَمَا تَدْرِي الْأَكُفُّ سِلَاحَهَا وَيُخْرِقُ مِنْ زَحَمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ^(١)
 وَقَدْ سَبَقَ فِي الْقَوِيرَةِ : أَنَّ شَيْخَنَا الْعَلَامَةَ أَبْنَ شَهَابٍ يَقُولُ : (لَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ
 ثَلَاثَةً ؛ وَهُمْ : مُحَسِّنُ بْنُ عَلَوِيٍّ السَّقَّافُ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّارُ ،
 وَعِيدَرُوسُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْحَبْشِيِّ . . لَمَا صَدَّقْتُ بِمَا يُرَوَّى عَنِ الرِّجَالِ مِنْ مَقَامَاتِ الْكَمَالِ)
 وَلَكِنْ جَاءَ الْعِيَانُ فَالْوَيْ بِالرُّوَايَاتِ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو عِبَادَةَ [الْبَحْرِيُّ فِي « دِيَوَانِهِ » ٣١٠/٢ مِنْ
 الْبَسِيطِ] :

رَأَيْتُ مَجْدًا عَيْنَانَا فِي بَنِي أَدَدٍ إِذْ مَجْدُ كُلِّ قَبِيلٍ غَيْرِهِمْ خَبَرُ
 وَلَا جَرَمَ فَقَدْ كَانَ الْأُسْتَاذُ نَسْخَةَ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ ، لَا يَحِيدُ عَنْهَا شَعْرَةً ، وَلَا يَلْتَفِتُ
 يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً .

فَمَا هُوَ إِلَّا تَبَعَةٌ مِنْ غُضُونِهِ وَطَلَعَةُ نُورٍ مِنْ شَرِيفٍ خِلَالِهِ^(٢)
 وَلَقَدْ زَرْتُ هُودَا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ فِي سَنَةِ (١٣١١ هـ) ، وَرَأَيْتُ النَّاسَ حَافِينَ بِهِ .
 كَأَنَّهُمْ عِنْدَ اسْتِئْلَامِ رِكَابِهِ عَصَائِبُ حَوْلِ الْبَيْتِ حَانَ قُفُولُهَا^(٣)

= الرِّكَانَةُ : الرُّسُوخُ . وَالْمَعْنَى - كَمَا فِي الْعَكْبَرِيِّ - : وَمَا بَقِيَ مِنْ حِلْمِهِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ . . كَرِهَ النَّاسُ ،
 فَلَمْ يَحِلَّ بِهِمْ ، فَحُلَّ فِي الْجِبَالِ ، فَصَارَ رَكَانَةً فِيهَا وَثُوبَاتٌ .

(١) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَهُوَ مُتَدَاخِلٌ مِنْ بَيْتَيْنِ لِلْمَتَنِ فِي « الْعَكْبَرِيِّ » (٥ / ٢) ، وَالْبَيْتَانِ هُمَا :

بِمَنْ تَشْخَصُ الْأَبْصَارُ يَوْمَ رُكُوبِهِ وَيُخْرِقُ مِنْ زَحَمٍ عَلَى الرَّجُلِ الْبُرْدُ
 وَتَلْقِي وَمَا تَدْرِي الْبَنَانُ سِلَاحَهَا لِكُفْرَةٍ إِيْمَاءٍ إِلَيْهِ إِذَا يَنْدُو
 (٢) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ .

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَهُوَ لِلْبَحْرِيِّ فِي « دِيَوَانِهِ » (٤٠٠ / ١) .

وهو يسيرُ بسيرِ ضعيفهم ، وكلّما مشى ميلاً . عَرَضَ الْعُقْبَةُ^(١) عَلَى مَوْلَى لَهُ - يَقَالُ لَهُ : فرج - يسيرُ أَمَامَ دَابَّتِهِ ، ينبو عن جَنْبِهِ الرُّمَحُ ، كَأَنَّهُ الْمُهْرُ الْأَرْنُ^(٢) من فرطِ الْقُوَّةِ وَالنَّشَاطِ ، وَلَكِنْ هَكَذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

وما قَدَّرُ ثَنَائِي عَلَيْهِ بعدما كَانَ ثَنَاءُ مُشَايخِهِ عَلَيْهِ الْبَابُ الْوَاسِعُ؟! وَمَنْ قِيلَ بَيْنَ مَا يَأْتِي آخَرَ هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَحْتِيَاظِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ بِلَفْقِيهِ فِي تَوْثِيقِ الرُّجَالِ . . وَبَيْنَ مَمَادِحِهِ الضَّخْمَةِ لِلْأُسْتَاذِ الْأَبْرِ فِي أَيَّامِ شَبَابِهِ . . عَرَفَ صَدَقَ مَا أَقُولُ .
وَصَحَّ أَنَّ أَبْنَاءَ الْإِمَامِ الشَّهِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ عَادُوا مِنْ زِيَارَةِ دَوْعَنَ ، وَلَمَّا سَأَلَهُمْ آبَاؤُهُمْ : هَلْ عَرَّجْتُمْ عَلَى الْوَلَدِ عَيْدَرُوسِ بْنِ عَمْرٍ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : لَا تَحْلُوا الرُّحَالَ حَتَّى تَرْجِعُوا فَتُزَوِّرُوهُ ؛ لِأَنَّ الْأَمَرَ كَمَا قَالَ ذُو الرُّمَّةِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٢٧٠ مِنْ الْوَافِرِ] :

تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءَ وَاضِعَةَ اللَّثَامِ
وَمَعَ إِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَى تَفْضِيلِهِ ، وَإِضْفَاقِهِمْ بِتَفَرُّدِهِ ؛ لِأَنَّ أَمْرَهُ كَمَا قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٤٠٣/٢ مِنْ الطُّوِيلِ] :

وَلَوْ لَمْ يُقَرَّ الْحَاسِدُونَ بِمَجْدِهِ أَقَرُّوا عَلَى رُغْمِ بَفْضَلِ التَّقَدُّمِ
. . فَإِنَّهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ أَذَى الْحُسَادِ ، بَلْ كَانَ لَهُ مِنْهُ النَّصِيبُ الْكَائِرُ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا أَبْرَأَ عَلَيْهِمْ . . سَقَطَتْ هَمُّهُمْ عَنْ مَنَافَسَتِهِ ، وَكَانُوا مَعَهُ كَمَا قَالَ مِرْوَانَ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٧٤ مِنْ الطُّوِيلِ] :

فَمَا أَحْجَمَ الْأَعْدَاءُ عَنْكَ بِقِيَّةَ عَلَيْنِكَ وَلَكِنْ مَا رَأَوْا فِيكَ مَطْمَعًا
وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا وَسِيلَةً لِمَا يَشْفِي ضَبَابَ ضَغْنِهِمْ عَلَيْهِ . . أَرْضَوْا الْمَعْلَمَ عَلِيَّ بْنَ سَعِيدٍ حَمِيدِ ابْنِ عَبْدِ هُوْدٍ عَلَى أَنْ يَسْحَرَهُ - وَكَانَ مَتَمَكِّنًا فِي ذَلِكَ الْفَنِّ - فَعَفَلَ .
وَلَمَّا عُرِفَ خَبْرُهُ وَانْكَشَفَ أَمْرُهُ . . جَاؤُوا بِهِ إِلَى حَضْرَةِ الْأُسْتَاذِ ، فَأَعْتَرَفَ وَقَالَ :

(١) الْعُقْبَةُ : النَّوْبَةُ .

(٢) الْأَرْنُ : النَّشِيطُ .

إِنَّهُ بِإِغْرَاءٍ مِنْ بَعْضِ الْعُلُوِّيَّيْنَ وَأَحَدِ آلِ بَاجِمَالٍ ، وَأَعْتَزَمَ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِلِفَاسٍ قَتْلَهُ ، وَلَكِنَّ الْأُسْتَاذَ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، وَأَقْتَنَعَ مِنْهُ بِالتَّوْبَةِ .

ثُمَّ إِنَّهُ خَانَ وَعَاوَدَ الْعَمَلَ بِرِشْوَةِ كَبِيرٍ مِنْ أَوْلَثِكَ ، وَهَرَبَ عَنْ حَضْرَمَوْتَ ، وَأَشْتَهَرَ أَمْرُهُ فَقُتِلَ ، وَالْأَمْرُ أَجْلَى مِنْ أَيْنَ جَلَا .

وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِيمَنْ حَقَّهُ التَّوْفِيقُ . . . فَالْمَجَالُ رَحْبٌ وَلَكِنْ فِي الْكَلَامِ ضِيقٌ ، وَمَا يَزَالُ بَعِينِي ذَلِكَ الْوَجْهُ الرَّضِيي كَأَنَّمَا هُوَ فَلَقَةُ الْقَمَرِ الْمُضِيِّ ، لَا يَكْسِفُ نُورُهُ بُوسٌ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ عُيُوسٌ ، بَلْ كَانَ جَبَلَ رِضَا لَا يَتَحَلَّحُلُ وَلَا يَتَكَدَّرُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَسَامِ ، وَقَدْ تَعَوَّدَ أَنْ يَطْرُدَ الْبِكَاءَ كُلَّمَا عَرَّضَ لَهُ بِالْإِبْتِسَامِ ، كَأَنَّمَا عَنْهُ تَمِيمٌ بْنُ الْمُعِزِّ بِقَوْلِهِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَبِي كُلِّ مَا يُنْكِي الْعُيُونُ أَقْلَهُ وَإِنْ كُنْتُ مِنْهُ دَائِمًا أَتَبَسَّمُ
وَلَقَدْ مَاتَ لَهُ حَفِيدٌ يُسَمَّى أَحْمَدَ ، كَأَنَّهُ زَهْرَةٌ شَرَفَتْ فِي رَوْضَةٍ تَرْفُ .

زَهْرَةٌ غَضَّةٌ تَفْتَحُ عَنْهَا آلَ مَجْدٍ فِي مَنِيَةِ أَيْتِي الْجَنَابِ^(١)
قَصَدَتْ نَحْوَهَا الْمَنِيَّةُ حَتَّى وَهَبَتْ حُسْنَ وَجْهَهَا لِلْثَرَابِ
تَعْنُو لَهُ الْبَدُورُ ، كَأَنَّمَا خُلِقَ مِنْ نُورٍ ، وَتَلُوحُ عَلَيْهِ شَوَاهِدُ الْفَتْوحِ ، وَيَضُمُّ إِلَى الشَّرَفِ وَالْجَمَالِ حَقَّةَ الرُّوحِ .

رَأَتْهُ فِي الْمَهْدِ عَتَابٌ فَقَالَ لَهَا ذُو الْفِرَاسَةِ هَذَا صَفْوَةُ الْكَرَمِ^(٢)
وَلَا عِبَارَةَ تَفِي وَقَدْ بَدَّ جَمَالَهُ الْمَكْتَفِي ، وَمَعَ الْكَمَالِ النَّاجِمُ . . . لَمْ يَأْخُذْ بِقَوْلِ كُشَاجِمٍ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٦١ مِنْ الْكَامِلِ] :

شَخْصَ الْأَنْأَامِ إِلَى كَمَالِكَ فَاسْتَعِذْ مِنْ شَرِّ أَعْيُنِهِمْ بِعَيْنٍ وَاحِدٍ
وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ (١٣١٣هـ) ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَجْدُهُ ، وَغَلَبَتْهُ

(١) البيتان من الخفيف ، وهما لأبي تمام في « ديوانه » (٢٨٣ / ٢) .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (٩٤ / ٢) . عَتَابٌ : هم آل عتاب بن سعد بن زهير ، يتصل نسبه بربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، من بني تغلب .

عَيْنُهُ ؛ لِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ سَادَاتِ الْعَارِفِينَ الَّذِينَ لَا تَبْقَى لَهُمْ مَعَ اللَّهِ إِرَادَةٌ . . . لَمْ يَنْسَ
مَقَامَ الرَّحْمَةِ ، بَلْ وَفَّى كُلَّ حَقِّهِ ، كَمَا قُلْتُ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَطْوَلَةٍ
نَبَوِيَّةٍ [فِي « دِيوانِ الْمُؤَلَّفِ » ١٤٤-١٤٥ مِنْ الْكَامِلِ] :

وَأَذْكُرُ مَصَارِعَ إِلَهٍ فَهُمْ الْأَلَى يَتَقَدَّمُونَ إِذَا الْفَوَارِسُ أَحْجَمُوا
فَلَطَّالَمَا حَزَنَ النَّبِيُّ لِحُجَفَرٍ وَلَعَمَّهِ وَهُوَ الْكَمِيُّ الْمُسْلِمُ^(١)
وَيَكِي عِيْدَةَ يَوْمٍ بَذَرَ قَبْلَهُمْ عَيْنَاهُ تَذْمَعُ وَأَنْفُوَادُ مُسْلِمٍ^(٢)

وَقُلْتُ فِي رِثَائِي لِثَمَرَةِ الْفَوَادِ وَلَدِي بَصْرِي السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي ذِي أَصْبَحٍ [مِنْ الْكَامِلِ] :
هَذَا الْكَمَالُ فَلَوْ أَخْلَ بِمَظْهَرٍ لَأَتَى إِلَى أَخْلَاقِهِ يَتَذَمُّ
وَقُلْتُ مِنْ أُخْرَى :

وَمَا زَالَ حَرْبٌ بَيْنَ صَبْرِي وَرَحْمَتِي وَإِنِّي لَرَاجٍ فِيهِمَا كَامِلَ الْأَجْرِ^(٣)
وَقَدْ أَنْكَرُوا فِعْلَ الْفَضِيلِ وَمَشِيئَهُ لِدَفْنِ أَنِيهِ فِي حَبْرَةٍ ضَاكٍ الثَّغْرِ^(٤)
وَخَيْرُ الْوَرَى فِي غَيْرِ مَا مَوْقِفٍ ذَرَى وَبَلَّ الثَّرَى دَمْعًا يَفُوقُ عَلَى الدَّرِّ

أَمَّا سَيِّدُنَا الْأُسْتَاذُ الْأَبْرُ . . . فَلَوْ رَأَاهُ أَكْبَرُ أَدِيبٍ بِذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ . . . لَمَا خَرَجَ عَنْ
قَوْلِ حَبِيبٍ [فِي « دِيوانِهِ » ١/١٢٣ مِنْ الْكَامِلِ] :

وَرَأَيْتُ غُرَّتَهُ صَيِّحَةً نَكْبَةً جَلَلِي فَقُلْتُ : أَبَارِقُ أَمْ كَوَكَبُ؟
وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ وَفَّى حَقَّ الْمَقَامَيْنِ يَوْمئِذٍ فَأَذَالَ الدَّمَعَ بَادِيًا ، ثُمَّ لَجَأَ إِلَى التَّبَسُّمِ

(١) جعفر : هو سَيِّدُنَا جعفر الطَّيَّار بن أبي طالب ، استشهد في غزوة مؤتة . لعَمَّهِ : هو سَيِّدُنَا حمزة بن عبد المطلب ، استشهد في غزوة أحد . الكَمِيُّ : الشُّجَاع . المَعْلَمُ : المشهور .

(٢) عبيدة : هو عبيدة بن الحارث الصَّحَابِي ، مِنْ آلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ ، استشهد في يوم بدر ، عليه رحمة الله .

(٣) الأبيات من الطويل ، وهي في « دِيوانِ الْمُؤَلَّفِ » ق (٩٦) .

(٤) فِعْلُ الْفَضِيلِ : هو ما رواه غير واحد ؛ منهم الحافظ أبو نعيم في « الحلية » (١٠٠/٨) قال : عن أبي عليِّ الرَّازِي قال : (صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ، ما رأيته ضاحكاً ولا متبسماً إلا يوم مات ابنه عليٌّ ، فقلت له في ذلك ! فقال : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبُّ أَمْرًا . . . فَأَحْبَبْتُ مَا أَحَبَّ اللَّهُ) .

ثانياً ، على حدّ قول الرّضويّ [في « ديوانه » ٢١١/٢ من الكامل] :

وَلَرُبَّمَا ابْتَسَمَ الْفَتَى وَفُوَادُهُ شَرِقَ الْجَنَانِ بِرَنَّةٍ وَعَوِيلِ
وَذَكَرَ الْجَنَانِ بَعْدَ الْفَوَادِ مِنَ الْحَشْوِ الْقَبِيحِ .

وقول الآخر [من الطويل] :

صَحِحْتُ وَكَانَ الصَّبْرُ مِنِّي سَجِيَّةً وَقَدْ يَضْحَكُ الْإِنْسَانُ وَهُوَ حَزِينُ
وَقَالَ الْأَوَّلُ [من الكامل] :

وَلَرُبَّمَا ابْتَسَمَ الْكَرِيمُ مِنَ الْأَذَى وَفُوَادُهُ مِنْ حَرِّهِ يَتَأَوَّهُ
ثمَّ إِنَّ ابْتِسَامَةَ الْأُسْتَاذِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَنْ بَرْدِ الرِّضَا ، وَلَكِنَّهَا وَقَعَتْ عَلَى وَالِدِي
وَأَمْثَالِهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ وَعَارِفِيهِ أَمْثَالَ الصَّاعِقَةِ ، فَانْقَبَضَ رَجَاهُمْ ، وَأَطْلَحَ دُجَاهَهُمْ ،
وَفَاضَتْ مِنْهُمْ الْعِبْرَاتُ وَتَصَاعَدَتْ مِنْهُمْ الزَّفَرَاتُ ، وَكَانَ لَهُ أَمْرٌ غَرِيبٌ ، وَمَشْهُدٌ
مَهِيبٌ ، وَزَادَ الطِّينَ بِلَّةً أَنَّ سَيِّدِي عَلَوِيَّ بْنَ عَمْرِو شَقِيقَ الْأُسْتَاذِ - وَكَانَ جَبَلًا مِنَ الْحِلْمِ
وَالْعِبَادَةِ ، وَرَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ - تَوَفَّى قَبْلَهُ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنْ تِلْكَ
السَّنَةِ .

وَالشَّابُّ الْمُنْغَضُ الشَّابُّ أَحْمَدُ ، قَالَ الشَّيْخُ عَمْرُو شَيْبَانَ - وَقَدْ أَظْهَرَ الشَّمَاتَةَ لَهُ
بَعْضُ أَهْلِ الظَّاهِرِ - فَقَالَ أَبْيَاتًا فِي يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ (٢٩) جُمَادَى الْآخِرِ سَنَةِ (١٣١٣ هـ)
[من مجزوء الخفيف] :

نَحْنُ بِإِلَهِ عَوِذْنَا وَالْحَيِّبِ الْمُقَرَّبِ
كُلُّ مَنْ رَامَ ضُرَرْنَا مِنْ قَرِيبٍ وَأَجْنَبِي
سَهْمُنَا فِيهِ قَوْلُنَا حَسْبُنَا اللَّهُ وَالنَّبِي

في أبيات ضعيفة التّركيب ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَعْلَمْهُ الشُّعْرَ لِعَظِيمِ نَصِيهِهِ مِنَ الْوَرَاثَةِ النَّبَوِيَّةِ
فِيمَا أَظُنُّ ، وَقَدْ دَعَا فِيهَا عَلَى الشَّمَاتِ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ إِنْ كَانَ الَّذِي عَرَفْتُهُ فِي لَحْنِ
الْقَوْلِ بَرِغْمِ تَكْتُمِ وَالَّذِي وَرَفَاقِهِ بِذَلِكَ لِبَعْدِهِمْ عَنِ الْمَنَافَسَاتِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

وقد قرأتُ على سيّدنا الأستاذ الأبرّ ، وسمعتُ منه ، وحضرتُ لديه ، وتكرّرتُ لي الإجازة والمصافحة والتّلقيم والإلباسُ منه ، وتلقّيتُ عنه المسلسلاتِ بالفعلِ بعضاً ، والإجازة في الباقي ، وأخلصني بدعائه ، وشمّلني باعتنائه ، وما ألدَّ على لساني وقلمي من ثنائه ، والله درُّ المُتنبّي في قوله [في «العكبري» ٣/ ٢٦١ من الكامل] :

مَا دَارَ فِي الْخَنَكِ اللِّسَانُ وَقَلَّبْتُ قَلَمًا بِأَحْسَنَ مِنْ نَثَاكَ أَنَامِلُ^(١)

وقد ذكرته في «الأصل» و«الدّيوان» بأكثر ممّا هنا ، وكلُّه قليل ، لا يشتفي به الغليل ؛ لأنَّ محاسنه الفضاء لا يقطعه نسر ، والكثير لا يشملُه حضر .

وَتَحَيَّرْتُ فِيهِ الصِّفَاتُ لِأَنَّهَا أَلْفَتْ طَرَائِقَهُ عَلَيْهَا تَبَعُدُ^(٢)

وقد أنتهت مناقبُ السّلفِ الصّالحِ إليه ، وما رأى النّاسُ إجماعاً على فضلِ أحدٍ مثل إجماعهم عليه .

مَا زَالَ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ وَقَدْ أَرَى مَنْ لَا يَزَالُ مُشَاكِلُ يَلْقَاهُ^(٣)
لَيْسَ التَّفَرُّدُ بِالسِّيَادَةِ عِنْدَنَا أَنْ تُوجَدَ الضُّرْبَاءُ وَالْأَشْبَاهُ

ثمَّ إنَّه لم يزل يعاني الآلام ، في ثباتِ الأعلام ، حتّى نزلَ به الحِمَام ، فاستدعى أهله وأولاده ، وشربَ من ماءٍ سقاهم فضله ، وودّعهم وأوصاهم ودعا لهم ، ثمَّ أخذ الموتُ يلتاطُ به ، حتّى بردت أطرافُه ، ونزلَ به قومٌ من آل أحمد بن زَيْن الحَبَشِيِّ فأمرَ بتسخينِ يده كيلا ينكروا بردها ، وأذنَ لهم وقرأ الفاتحة ، ولمّا نهضوا . . عزَمَ على الصّلاة ، فأريدَ على التّرخُّصِ في الطّهارة لضعفه وموتِ أطرافه . . فقال : كيف آخذُ بالتّوسعة وهذه آخرُ صلاتي في الدّنيا وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « صَلِّ صَلَاةَ مُودّع »^(٤) .

(١) نثاك : خبرك ، وهو هنكذا بتقديم النون . والمعنى - كما في «العكبري» - : ماتكلم ولا كتب بأحسن من أخبارك .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للمتنبّي في «العكبري» (٣٣٣/١) .

(٣) البيتان من الكامل ، وهما للبحري في «ديوانه» (٣٣٧/١) .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٧١) ، والطبراني في «الأوسط» (٣٥٨/٤) .

فَمَا تِلْكَمُ الْأَخْلَاقُ إِلَّا مَوَاهِبٌ وَإِلَّا حُظُوظٌ فِي الرَّجَالِ تُقَسَّمُ^(١)
وبعد أن فرغ من صلاة العصر على أتم حالٍ . . أَمَرَ بِأَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ عَلَى شِقِّهِ
الْأَيْمَنِ ، وما كَادَ يَنْتَهِي مِنَ الْجَلَالَةِ حَتَّى فَاضَتْ رَوْحُهُ فِي التَّاسِعِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ
(١٣١٤ هـ) ، ولم يَزَلْ حَيًّا بِآثَارِهِ الْمُشَاهِدَةِ ، وَمُنَاقِبِهِ الْخَالِدَةِ ، ونشره الْفَائِحُ ، وأَبْنَاهُ
الصَّالِحُ ، غَزِيرُ الْحِلْمِ ، وَمَنْ لَهُ مِنَ الْمَكَارِمِ أَفْضَلُ سَهْمٍ ، وَالصَّادِقِ عَلَيْهِ قَوْلُ عَلِيِّ بْنِ
الْجَهْمِ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَمَا مَاتَ مَنْ كَانَ أَبْنَاهُ لَا وَلَا الَّذِي لَهُ مِثْلُ مَا سَدَّيْ أَبُوهُ وَمَا سَعَى
فلقد خَلَفَهُ وَلَدُهُ جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ عَلَى مَزَايَا فَاضِلَةٍ ، وَأَخْلَاقٍ كَامِلَةٍ ، وخيراتٍ
شَامِلَةٍ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَطْلُ عُمُرُهُ ، بل مَاتَ وَشَيْكَا فِي سَنَةِ (١٣١٩ هـ) ، وَأَتَّفَقَ أَنْ تَوَارَدَ
كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الطَّيِّبِ - نِسَاءً وَرِجَالاً - عَلَى حِيَاضِ الْمَنِيِّ ، قَبِيلَ وَفَاةِ الْأُسْتَاذِ
الْأَبْرَرِ وَعَقِيْبِيْهَا ، فَكَانُوا كَمَا قِيلَ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَهْلُ بَيْتٍ تَتَابَعُوا لِلْمَنَايَا مَا عَلَى الْمَوْتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابٍ
وكما قَالَ الرَّضِيُّ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١ / ١٨٢ مِنْ الْكَامِلِ] :

هَتَفَ الرَّدَى لِجَمِيعِهِمْ فَتَتَابَعُوا طَلَقَ الْعُطَاسِ بَنِي أَبٍ وَبَنِي أَبٍ
وَالْقَائِمُ فِي مَقَامِهِ الْيَوْمَ ، وَتَرْتِيبِ مَجَالِسِهِ وَمَدَارِسِهِ : حَفِيدُهُ الْفَاضِلُ الْمَكْرُمُ
عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عِيدَرُوسٍ أَخُو أَحْمَدَ السَّابِقِ ذِكْرُهُ ، نَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَسْلِكَ بَنَاهُ وَبِهِ
الطَّرِيقَ ، وَيُلْحِقَنَا وَإِيَّاهُ بِأَوْلَتِكَ الْفَرِيقِ ، وَيَعْمَرَ بَنَاهُ وَبِهِ الدِّيَارَ وَيُحْيِيَ بَنَاهُ وَبِهِ الْآثَارَ ،
وَاللهُ دُرُّ أَبِي عِبَادَةٍ فِي قَوْلِهِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١ / ٣٣٦ مِنْ الْكَامِلِ] :

لَا عُذَرَ لِلشَّجَرِ الَّذِي طَابَتْ لَهُ أَغْرَافُهُ أَنْ لَا يَطْيِبَ جَنَاهُ
وَنَسِيتُ - مَا أَنْسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ - ذِكْرَ أَنْ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَ كَلَامِ سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبْرَرِ فِي
مَجَالِسِهِ وَبَيْنَ قَلَمِهِ ؛ إِذْ كَانَ لَا يَرِيدُ مِنْ قَلَمِهِ إِلَّا تَقْيِيدَ الشُّوَارِدِ وَتَحْصِيلَ الْفَوَائِدِ ،
وَكَذَلِكَ كَانَ شِعْرُهُ ضَعِيفًا .

(١) البيت من الطويل ، وهو للبحثري في « دِيَوَانِهِ » (١ / ١١٢) .

أَمَّا مَجَالِسُهُ . فقد كانت بساتين نافحة الأزهار يانعة الأثمار ، كما يُعرف بعض ذلك بما حصَّله والدي رضوان الله عليه بأستذكاره بعد وفاته من كلامه .

ومن فضلاء الغرفة : شيخنا الإمام ، السَّيِّدُ : شيخان بن محمد الحبشي^(١) ، كان بحراً من بحور العلم ، وجبلاً من جبال العبادة ، ونجماً من نجوم الإرشاد ، ورجماً من رجوم الإلحاد .

إِمَامٌ رَسَتْ لِلْعِلْمِ فِي أَرْضِ صَدْرِهِ جِبَالُ جِبَالِ الْأَرْضِ فِي جَنْبِهَا قُفٌّ^(٢) أَقَامَ فِي طَلَبِهِ زَمَانًا بِمَكَّةَ الْمَشْرِفَةِ ، وَأَخَذَ عَنْ أَرَاكِينِهَا ، وَكَانَ سَرِيعَ الْمَطَالَعَةِ ، طَالَعَ تَفْسِيرَ « الْخَازَن » فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ مَطَالَعَةً بَحْثٍ وَتَحْقِيقٍ ، وَكَتَبَ عَلَيْهِ تَعْلِيقَاتٍ ، وَلَهُ شِعْرٌ يَرْتَفِعُ عَنْ أَشْعَارِ الْعُلَمَاءِ ، مِنْهُ الْقَصِيدَةُ الطُّوْلَى الَّتِي أَسْتَهْلَهَا بِقَوْلِهِ [مِنْ الرَّمْلِ] :
لَمَعَ الْبَرْقُ عَلَى أَطْلَالِ مَيِّ وَسَقَى الْوَدْقُ هُضَيْنَاتِ لُؤْيٍ
ووردَ مَرَّةً إِلَى سَيِّتُونِ سَوَالٍ مِنْ آلِ يَحْيَى ، يَتَعَلَّقُ بِسُجُودِ التَّلَاوَةِ فِي الصَّلَاةِ ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ بْنُ عَمْرِ السَّقَّافُ جَوَاباً ، صَادَقَ عَلَيْهِ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ بِسَيِّتُونِ ، فَوَافَقَ وَصُولَ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ شَيْخَانَ ، فَعَرَضُوهُ عَلَيْهِ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ الْمَصَادِقَةَ ، فَأَبَى إِلَّا بَعْدَ الْمَرَاஜَعَةِ ، فَأَعْطَوْهُ « حَاشِيَةَ الْإِقْنَاعِ » فَاسْتَدَّ فِي رَدِّ ذَلِكَ الْجَوَابِ إِلَى عِبَارَةٍ عَنِ الْمَدَابِغِيِّ ، فَقَالَ لَهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ : دَعْنَا مِنَ الْمَدَابِغِيِّ ، فَغَضِبَ السَّيِّدُ شَيْخَانُ وَقَالَ لِلْسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ : لَا صَوَابَ فِي جَوَابِكُمْ إِلَّا الْبَسْمَلَةُ وَمَا وَالَاهَا ، فَحَالاً أَخَذَ السَّيِّدُ الْعَلَامَةُ عَلِيُّ بْنُ

(١) هو الحبيب شيخان بن محمد بن شيخان بن حسين بن محمد بن حسين بن أحمد الحبشي ، ولد بالغرفة سنة (١٢٥٩هـ) ، وتوفي بسيتون سنة (١٣١٣هـ) . نشأ يتيمًا في حجر والدته وجده لأمه العلامة عبد الله بن حسن الحداد ، وأدرك جملة من الأكابر ؛ كالحبيب الحسن بن صالح البحر ، رحل إلى مكة لطلب العلم عام (١٢٨٣هـ) ، وأقام بها (٤) سنوات ، ثم عاد وحصل به نفع عظيم . وله بسيتون ذرية مباركة ، ومن أعلام ذريته : الفقيه حسن بن عمر بن شيخان .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبي الطَّيِّبِ المَتَنِّيِّ فِي « الْعُكْبَرِيِّ » (٢ / ٢٨٥) ، بتغيير بسيط . الْقُفُّ : الغليظ من الأرض ، ولكنه لا يبلغ أن يكون جبلاً . والمعنى : - كما في « الْعُكْبَرِيِّ » - : أَنَّ جِبَالَ الْأَرْضِ ، تصغر في جنب الجبال التي في صدره من العلم .

محمّد الحبشيّ الجواب ، وسحب مصادقته ، وشطب اسمه .

وقد نوهت بهذا في إحدى خطبي بالمحافل العامّة ، وأشهد لتبقى أقدامه وسوقه متورّمة مدّة من شوال ؛ لكثرة قيامه برمضان ؛ إذ كان يتلو ختمه بالليل وختمه بالنهار ، كلّها من قيام .

وكان شديداً على أهل المنكرات ، متجافياً عن أبناء الدُّنيا منحرفاً عنهم ، يُغلظ القول لهم ، ولا يُحابي ولا يداهن . وطائفة بني طويح يبغضونه ، ويزعمون أن الحال خرج به عن حدّ الاعتدال ، ولذا لم يجر الأمر بينه وبين العلامة الشَّهير السيّد عليّ بن محمّد الحبشيّ على ما تقتضيه القرابة ؛ إذ كانا مستويين في تعدّد النسب ، يجتمعان في الجدّ الخامس لكلّ منهما وهو السيّد محمّد بن حسين بن أحمد الحبشيّ صاحب الحسيّة .

وقد بدا له أن ينتقل في آخر أيامه من الغرفة إلى سيئون ، فأشترى أرضاً^(١) - في شرقيّ حوطتنا علم بذر - واسعة بثمان يسير لاتي بذلك الزمان ؛ لأنها كانت غامرة^(٢) ، فأبتنى له بها داراً واسعة على طبقة واحدة ، لم يقدر على إكمالها ؛ لضيق يده ، وشدة يبوسة عيشه ، وصار يتردّد بينها وبين الغرفة إلى أن ألقى بها العصا وحطّ الرّحل .

وكان يتردّد على والدي كثيراً ، وكان والدي يُجلّه ويكرّمه ، ويجعله في مقام أشياخه . قرأت عليه وأخذتُ عنه وسمعتُ منه ، مع أنّه لم يأخذ عنه إلاّ القليل ؛ كالشيخين عوض بكران الصّبّان وأخيه أحمد ، والأخوين محمّد بن هادي بن حسن ، وشيخ بن أحمد بن طلة .

ولا يخلو الجوّ بينه وبين سيّدي الأستاذ الأبرّ عيدروس بن عمر من تكدير نشأ عن وجود بنت الأستاذ الأبرّ في بيته عند ولده محمّد بن شيخان ، فلم يُحسنوا عشرتها ، ولم يؤدّوا حقّها ، ومع ذلك فكانت تأتيه منهم قوارصٌ بظهر الغيب .

(١) عُرفت هذه الأرض إلى يومنا هذا باسم صاحب الترجمة . . فيقال : فلان في شيخان ، وذهب إلى شيخان ، وجاء من شيخان . . .

(٢) غامرة : مهجورة .

ويرى بعضهم أَنَّ ذلكَ هوَ السَّبَبُ في قَلَّةِ الِاتِّفَاعِ بِهِ ، ولا غرورٌ ؛ فقد أشارَ
القشيريُّ أَنَّ ما وقعَ للحلاجِ سببُهُ الاعتراضُ على المشايخِ ، وذكرَ الياضيُّ في
« تاريخه » [٤٧٧/٣] أَنَّ ما جرى على ابنِ الجوزيِّ سببُهُ الكلامُ على الإمامِ الرِّبَّانِيِّ سيِّدنا
عبدِ القادرِ الجيلانيِّ ، توفيَّ المُترجمُ في رجبٍ من سَنَةِ (١٣١٣ هـ) وأنطبقَ على ذلكَ
العامِ قولُ حافظِ إبراهيم [في « ديوانه » من الطُّويل] :

فَيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعْشِهِ لَأَنْتِ عَلَيْنَا أَشَامُ السَّنَوَاتِ
إِذْ مَاتَ بِإِثَرِهِ جَمَاعَاتٌ مِنْ أَرَاكِينِ حَضْرَمَوْتٍ ، كَانَ صَاحِبُنَا الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الدُّنْيُ
يُوصِلُهُمْ إِلَى خَمْسَةِ وَعَشْرِينَ ، كُلُّهُمْ أَعْيَانٌ ، وَمَعَ الْأَسْفِ لَمْ تَكُنْ أَسْمَاؤُهُمْ
مَجْمُوعَةً ، وَإِلَّا . . . فَقَدْ كَانَ تَقْيِيدُهَا مِنْ الْفَوَائِدِ ، عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ يُعْرَفُ مِمَّا فِي غَيْرِ
هَذَا الْمَكَانِ^(١) .

لَقَدْ أُولِعَ الْمَوْتُ الزُّوَامَ بِجَمْعِهِمْ كَأَنَّ الرَّدَى فِيهِمْ تَحَلَّلَ مِنْ نَذْرِ^(٢)
مَضَوْا فَكَأَنَّ الْحَيَّ فَرَعُ أَرَاكَةِ عَلَى إِثْرِهِمْ عَزِيٌّ مِنَ الْوَرَقِ النَّصْرِ
وَصَلَّى عَلَيْهِ الْأُسْتَاذُ الْأَبْرُ ، وَحَصَلَ سَاعَتَيْدِ نَزَاعٍ بَيْنَ الْأَسَادَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَدَّادِ - السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي قِيدُون - وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ مِنْ آلِ الْحَدَّادِ بِالْغُرْفَةِ ، أَرْتَفَعَ فِيهِ
الْصَّوْتُ ، حَتَّى أَسْكَنَهُمُ الْأُسْتَاذُ الْأَبْرُ بِإِشَارَتِهِ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ اخْتِلَافُ الرَّجُلَيْنِ فِي
الْمَكَانِ الَّذِي يُصَلَّى فِيهِ عَلَى الْجَنَازَةِ .

وبِإِثْرِ انْتِقَالِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبْشِيِّ مِنَ الْغُرْفَةِ - حَسَبَمَا تَقَدَّمَ بِالْحَوِطَةِ - بَقِيَ
بِهَا وَلَدُهُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَلَا يَزَالُ بِهَا أَعْقَابُهُ^(٣) .
وبِالْغُرْفَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ عُمَرَ بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ .

-
- (١) ممن مات في تلك السنة : الحبيب عبد الله بن عمر بن سميط بشبام ، والحبيب شيخان بن علي بن
هاشم السقاف بالمكلا ، والعلامة عبد الله بن محسن السقاف - عم المؤلف - والسيد المنصب
عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن الحداد بالحوطة ، وجماعة غيرهم .
(٢) البيتان من الطويل ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (٥٠٦/١) .
(٣) ومن عقبه : السيد الجليل الحبيب هاشم بن شيخ بن هاشم بن محمد بن الحبيب أحمد بن زين
الحبشي ، عاداه في أهل المدينة المنورة ، توفي بها سنة (١٢٩٥ هـ) .

منهم : الشَّيْخُ الرَّابِعُ مِنْ مَشَايِخِ سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، وَهُوَ : أَلْسَيْدُ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِو الْمَذْكُورِ ، أَلَمُتُوفَى سَنَةَ (١٢٨٥هـ) ^(١) .
ومنهم : أَلْفَاضِلُ الْجَلِيلِ ، أَحَدُ تَلَامِيذِ الْوَلَدِيِّ أَلْسَيْدِ حَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ ^(٢) ،
تُوفِي بِالْحَرَشِيَّاتِ مَرْجَعَهُ مِنْ الْحَجِّ سَنَةَ (١٣٤٩هـ) وَدُفِنَ بِالْمُكَلَّا ^(٣) ، وَقَدْ سَارَ وَلَدُهُ
أَلْمُبَارَكُ أَحْمَدُ ^(٤) أَلْمَوْجُودُ أَلَّآنَ بِالْغُرْفَةِ فِي طَرِيقِهِ .

وَمِنْ صُلَحَاءِ الْغُرْفَةِ : أَلشَّيْخُ عَمْرُو عُبُودُ بَلْخَيْرِ ، كَانَ قِطْعَةً مِنَ النُّورِ ، كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ
فَرْطِ الْعِبَادَةِ وَصَفَاءِ السَّرِيرَةِ وَصَدَقِ الْفِرَاسَةِ ، مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، أَخَذَتْ عَنْهُ ،
وَلَبِسَتْ مِنْهُ ، تُوفِي بِالْغُرْفَةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣١٦هـ) .

وَكَانَ بِالْغُرْفَةِ كَثِيرٌ مِنْ آلِ بَاحِفِينَ ، وَآلِ فَضْلِ ، وَآلِ عُطُوفِهِ ، وَآلِ مُسَلِّمٍ ،
وَمِنْهُمْ : آيَةُ الْوَرَعِ ، وَمِثَالُ التَّزَاهَةِ ، صَاحِبُ الْقِصَّةِ الْمَذْكُورَةِ بِـ « الْأَصْلِ » ،
أَحْمَدُ بْنُ سَالِمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُسَلِّمٍ ، أَلَمُتُوفَى بِهَا فِي سَنَةِ (١٣٥٢هـ) .

وَمِنْ أَهْلِ الْغُرْفَةِ : آلُ شَيْبَانَ ؛ مِنْهُمْ : الرَّجُلُ الصَّالِحُ ، حَلِيفُ الْمَكَارِمِ ، وَحَمَّالُ
الْمَغَارِمِ ، عَوْضُ بْنُ عَمْرِو شَيْبَانَ ^(٥) .

لَا يُتْبَعُ أَلْمَالُ أَنْفَاساً مُصْعَدَةً وَلَا يُعِيرُ أَلْعَطَايَا زَفَرَةَ أَلنَّدَمِ ^(٦)
تُوفِي بِالْغُرْفَةِ سَنَةَ (١٣٢٩هـ) .

وَمِنْهُمْ : أَبْنُهُ - أَلَّذِي حَظِيَ بِخِدْمَةِ سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، وَكَانَ يَدُهُ وَلِسَانُهُ وَمَوْضِعُ

(١) هُوَ الْعَالِمُ الصَّالِحُ ، الزَّاهِدُ الْمُتَبَتِّلُ ، عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَلْحَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ ،
وُلِدَ الْحَبِيبُ الْمُرْتَجِمُ بِالْغُرْفَةِ سَنَةَ (١٢٠٨هـ) ، وَنَشَأَ بِهَا ، وَسَكَنَهَا حَتَّى تُوْفِيَ يَوْمَ الْإِثْنِينَ فِي رَجَبِ
(١٢٨٥هـ) .

(٢) هُوَ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، حَفِيدُ السَّابِقِ ، وَوُلِدَ بِالْغُرْفَةِ سَنَةَ (١٢٨٧هـ) ، وَتَوَلَّى
الْقَضَاءَ بِهَا ، وَتُوْفِيَ سَنَةَ (١٣٤٩هـ) .

(٣) فِي قُبَةِ الْحَبِيبِ شَيْخَانِ بْنِ هَاشِمِ السَّقَافِ .

(٤) وَوُلِدَ بِالْغُرْفَةِ سَنَةَ (١٣١٤هـ) ، وَتُوْفِيَ بِهَا فِي رَجَبِ سَنَةِ (١٤٠٣هـ) ، أَخَذَ عَنْ جَمْعٍ غَفِيرٍ مِنْ
الْأَكْبَابِ . « نُورُ الْأَبْصَارِ » (١٣٩-١٤٠) .

(٥) تُرْجِمَ لَهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنِ عَيْدِيدٍ فِي « الْإِنْحَافِ » ، وَهُوَ مُجَازٌ مِنْهُ .

(٦) الْبَيْتُ مِنْ أَلْبَسِيطٍ ، وَهُوَ لِلشَّرِيفِ الرُّضِيِّ فِي « دِيَوَانِهِ » (٣٠٦/٢) .

ثقتِه ، وَنَجَّى روحه ، وَأَنَيْسَهُ فِي خلواتِه ، وَكَاتَبَهُ وَجَامَعَ بعضِ مناقبه - عمرُ بنُ عوضِ بنِ عمرَ شيبان^(١) ، المتوفى بالغرفة في سنة (١٣٥٦هـ) .

ومنهم : آل بلخير ، أسرة الشيخ عمر السَّابِقِ ذِكْرُهُ . يقال : إنهم من ذرية أبي الخير الكندي الآتي ذكره أوائل تريم .

ومن آل الغرفة : آل ابنِ ثعلب^(٢) ؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا تَفَرَّقُوا بَعْدَ زَوَالِ دولتهم بتريس . . تَوَطَّنَ بقاياهم بالغرفة .

ومن أهلها : آل بنِ ذياب ، وآل بلجون ، وآل طرموم ، و آل باحارثة ، وآل عمران ، وآل منقوش ، وآل باحلوان ، وأصلهم من أليمن من بلدة يُقالُ لها : بَرط من أعمالِ صعدة ، ولكنَّ جدَّهم قيسَ بنَ زملي بنِ عمرَ عبدِ الله بنِ قاسمِ بنِ عبدِ الله بنِ فضلِ بنِ ناصرِ الدِّينِ عبدِ الله باحلوان . . جاء هوَ وأولادُه أحمدُ وبوبكرِ وزمليَّ وعبدُ الله في جيشِ أَصْفِي أَحْمَدَ بنِ حَسَنِ فَاتِحِ حَضْرَمَوْتَ للمتوكِّلِ على الله إِسماعيلَ ، وبقيَ أميراً على الهجرينِ من جهةِ الإمامِ إلى أن توفِّي بها سنة (١٠٦٨هـ) ، ثُمَّ أَنتَقَلَ أولادُه السَّابِقُ ذِكْرَهُمْ إلى الغُرفة ، وَأَنْتَشَرُوا ، وَهَاجَرَ نَاسٌ منهم إلى جَاوة ، وَأَعَقَبُوا هناك .

وزمليَّ والدُ قيسِ هوَ مؤلِّفُ كتابِ « رشيدة الإخوان » الَّذي نقلنا عنه في وادي عَمْدٍ ، وغيرِه .

وناصرُ الدِّينِ باحلوان هوَ أميرُ زيلع ، وهوَ صاحبُ الشَّيخِ أَبِي بكرِ العَدَنِيِّ .

(١) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في « الإنحاف » .

(٢) آل بن ثعلب ، يعود أصلهم إلى حضرموت القبيلة كما ذكر العلامة الناجي في كتابه « حضرموت » ، وأخبر أن هذه القبيلة هي الوحيدة التي بقيت معروفة بحضرموت كونها من قبيلة حضرموت . ونذكر استطراداً هنا : أن من بقايا قبيلة حضرموت الأم المشايخ آل الحضرمي ذرية الشيخ الولي الكبير إِسماعيل الحضرمي صاحب بلدة الضحي بتهامة اليمن ، ومنهم العلامة الفقيه الشيخ إِسماعيل بن زين الحضرمي الضحوي ، المتوفى بمكة المكرمة سنة (١٤١٥هـ) ، وهو من العلماء المبرزين ، وله طلاب كثيرون ، ومصنفات فقهية . وآل الحضرمي هؤلاء غير آل الحضرمي الذين هم من يافع العليا ، وأما آل بن ثعلب هؤلاء . . فقد كان أسلافهم يحكمون بلدة تريس ، وسيأتي ذكرهم فيها .

أَمَّا حالاتُ الغُرفةِ السِّيَاسِيَّةِ : فقد كانَ آلُ كثيرٍ يتسببونَ لِلشَّيخِ عبدِ اللَّهِ القَديمِ عَبادَ بالخدمةِ ؛ لأنَّ جَدَّهُم تَرَبَّى بِهِ .

وكانوا يزورونَ الشَّيخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَمَرَ فيها ، ويتردَّدونَ عليه بها ، ويتبرَّكونَ بدعائه ، كما كانوا عليه معَ عَمِّهِ ، حتَّى لَقد كادَ مِنِ اعتقادِهِم فيه يَكونُ هوَ الأَميرَ لا على الغُرفةِ فقط . . بل على كُلِّ ما تحت نفوذِهِم من بلادِ حَضَرَموت .

وفي الحِكايةِ (٣٤٩) مِن « الجَواهرِ الشَّفافِ » ما يُعرفُ مِنْهُ أَنَّ جَاهِ آلِ باعِبَادِ كانَ أَضخَمَ مِن جَاهِ العَلَوِيِّينَ - وسيأتي ما يؤكِّدُهُ في مَدُودِهِ - غيرَ أَنَّ السُّلطانَ عبدَ اللَّهِ بْنَ عليِّ بْنَ عَمَرَ الكَثيريَّ المَتموِّفِي سَنَةِ (٨٩٤ هـ)^(١) هوَ الَّذِي أَبتَدَأَ بِإِسَاءَةِ الأَدبِ على آلِ باعِبَادِ ، فَأَبْتَنَى حَصْنَ الغُرفةِ على القَارَةِ الَّتِي بها حِصُونُ آلِ عُبودِ بْنِ عَمَرَ آلَانَ ، فَعَظُمَتِ الرِّزْيَةُ على المَشايخِ بِضَغْطِهِ عَلِيهِم ، وَعَزَمُوا على التَّحَوُّلِ مِنَ الغُرفةِ .

أَمَّا بدرُ بوطَويَرق : فقد دَلَّتِ الأَخْبَارُ على أَنَّ وَطْأَتَهُ عَلِيهِم كانتَ أَشدَّ ؛ إِذْ تَدَخَّلَ في كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِم ، ونَزَعَ عَنْهُم نَظَارَةَ أَوْقافِهِم ، وصارَ يُولِّي وَيَعزِلُ ، وَبَعَثَ مَرَّةً مِنَ الشَّخْرِ بِعِزْلِ الشَّيخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلِ عَبادَ ، وإِبْدالِهِ بِالشَّيخِ حَسينِ بْنِ عليٍّ عَبادَ .

ولَمَّا ضَعُفَتِ دَوْلَةُ آلِ عبدِ اللَّهِ الكَثيريِّينَ^(٢) . . اسْتَبَدَّ عَلِيهِم آلُ كثيرٍ بِأَمْرِ الغُرفةِ ، وَجَعَلُوا لآلِ باعِبَادِ الاستِقلالَ الأَسميَّ ، وَهُم يَفعَلونَ ما شَاؤُوا بِدونِ أَنَّ يَتَنَاهَوْا عن مَنكَرٍ يَفعَلونَهُ بها قَطُّ ؛ إِذْ لا وازِعَ إِلَّا مَنصِبُهُ باعِبَادِ ، وما سَلاحُها إِلَّا أَمثالُ التَّمائِمِ ، وقد قالَ أَبُو الطَّيِّبِ [في « المُكَبَّرِي » ١١١/٤ مِنْ الطُّويل] :

دِيَارُ اللَّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ أَلْقَنَّا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَائِمِ

(١) عبد الله بن علي ، تقدم ذكره قريباً ، وكانت وفاته سنة (٨٥٠ هـ) ، وهذه الحادثة إنما جرت لابنه بدر بن عبد الله المتوفى في ذلك التاريخ . وإزالة اللوم والإشكال . . فهناك عبد الله بن علي الكثيري مات سنة (٨٩٨ هـ) ، وعبد الله بن علي الكثيري الأسقع قتل سنة (٨٧٥ هـ) على يد السلطان جعفر بن عبد الله . . وهذان غير السلطان الأنف الذكر ، وخبرهما عند « شبل » وغيره .

(٢) آل عبد الله هم السلاطين نسل بدر بوطويَرق ، من ذرية حفيده عبد الله بن عمر بن بدر ، وهم سلاطين حَضَرَموت إلى ما قبل الثورة ، فيقال لهم : آل عبد الله ، ولغيرهم : آل كثير ؛ تمييزاً لبيت السلطنة عن غيره .

وفي سنة (١٣٤٤هـ) نشبت الحرب بين آل خالد بن عمر^(١) ، الَّذِينَ يرأسهم صالح عبيد وعمر عبيد ، وبين آل بابكر الَّذِينَ يرأسهم عوض بن عزان بن عبد الله بن عوض بن ناصر بن عبدات ، بالسبب الَّذي سبقت الإشارة إليه في بابكر ، فلم يكن من آل بابكر إلا أن وضعوا بعض عسكرهم بالغرفة بإشارة من عبيد صالح بن سالمين بن طالب ؛ لأن عبد الله بن محسن بن قاسم - الَّذي كانت عامّة كلف الحرب على كيس أبيه - كان يستنصحه ويأخذ بإشارته - وهو له غاش - فلم يسع عوض بن عزان إلا الموافقة ، فضرّر أهل الغرفة .

ونصحت أنا عبيد صالح بن سالمين ، فوعدني أن يُشير عليهم برفع عسكرهم عنها ، ولم يفعل ؛ لأنه كان يُغضبهم في السرّ - وإن تظاهر بمساعدتهم فيما يرى الناس - فلم يكن من صالح عبيد بن خالد بن عمر إلا أن هجم على الغرفة وأخذ أكثرها عنوة ، ثم أخذ البقية الباقية عن رضى من عوض بن عزان بن عبد الله بن عوض بن ناصر ، إزاء ثمان مئة ريال قبضها من آل خالد ، حسبما يُخبرني هو بنفسه .

ولما وضعت الحرب أوزارها بين آل عبدات بعضهم بعضاً ، ورسخت قدم صالح عبيد بالغرفة . . سیر الكتب لقبايل آل كثير ، وللسيد حسين بن حامد^(٢) ، ولدولة آل عبد الله بسينون وتريم يُخبرهم بأن لا قصد له إلا إصلاح الغرفة وحفظها وتأمينها ، ويدعو إلى المشاركة في الرأي ، فعادت أجوبتهم عليه بما يُبرّر صنيعة ، ثم جاشت جوائشهم ، والَّذي تولّى كبر أمرهم هو : الشيخ سالم بن جعفر بن سالم بن مرعي بن طالب ، والشيخ عامر بن جعفر بلفاس ، وساعدهما السيد حسين بن حامد ، ودولة آل عبد الله ، وحاصروا الغرفة وآل خالد بالحوّل ، واحتلوا الجبل الَّذي يُطل على الغرفة من جنوبها ، وأذكوا نار الحرب ، وصوبوا المدافع ، ولم يظفروا بطايل .

ثم تدخلت حكومة عدن ، وطلبت إيقاف الحرب ووصول المتحاربين ، فذهب

(١) من آل كثير ، وهم المسمون : آل عبدات .

(٢) كان السيد حسين بن حامد آنذاك مقيماً بشبام لأمر سياسية ونفسية اقتضته أن يبعد عن المكلا ؛ لوجود السلطان عمر بها ، كما يعلم من كلام المؤرخ البطاطي في كتابه « إثبات ما ليس مشهور » .

الشيخ صالح عبيد عن طريق البر ، وذهب الآخرون عن طريق الشحر ، وأكثروا من العرائض هناك ، ولم يحصل للقضية حلٌّ نهائيٌّ ، ونشر الشيخ صالح عبيد كتاباً في ذلك فرقه بين الناس من إنشاء الفاضل الناقد الشيخ عبد القادر بن عبد الله باحميد . فلم يرد عليه أحد .

وأريق في تلك الفتنة دماءٌ غزيرةٌ من أبرياء أهل الغرفة ، يغضب لقتلهم جبارُ السماء .

وبقي على إمارة الغرفة عمرُ عبيد بالنيابة عن أخيه صالح^(١) ، وكانوا متساندين في أمورهم ، وكان الشيخ عمرُ عبيد من الموقعين على « هُدنة الثلاث سنين »^(٢) التي اقترحها الضابط السياسي (انجرامس) ، وأولها - فيما أظن - سنة (١٣٥٦ هـ) .

ولما مات صالح عبيد بجاوة . . وصل ولده عبيد صالح من سنغافورة إلى المكلا ، ومنها بطريق السيارات المستحدثة إلى تريم ، ومنها إلى مكانه الحول ، ولم يجلس مع عمه عمر إلا يوماً واحداً بإثره مات الشيخ عمر في سنة (١٣٥٧ هـ) فاستقل ولده عبيد صالح بالغرفة .

ولما انتهت هُدنة الثلاث سنين . . لم يشعر الناس إلا بمنشورات توزع بين الناس

(١) لأن الشيخ صالح هذا كان صاحب تجارة وثروة في جاوة ، يصرف منها على أخيه عمر عبيد وعلى ثورته .

(٢) هدنة الثلاث سنين هذه . . كتبت سنة (١٩٣٢ م) ، فقد نجح المستر انجرامس في توقيعها بين مجموعتين من فخاند آل كثير هما : آل الفاس ، وآل مرعي بن طالب ، ومن بنودها : تعيين حدود مدينة الغرفة . والكف عن تبادل إطلاق النار بين الغرفة والمناطق الكثيرة المجاورة لها . وحرية الخروج والدخول من وإلى الغرفة . وحق أهل البلاد بالتمتع بحرية النفس . وعدم فرض رسوم وضرائب على السكان . وإرجاع العبيد والجواري اللاجئين في الغرفة إلى ملاكهم ، والحفاظ على الملكية الشرعية .

قال بعض الباحثين : وتعتبر هذه الاتفاقية بحق شهادة لإثبات أفضلية الأوضاع الاجتماعية في الغرفة عنها في المناطق الكثيرة الأخرى حيثئذ ؛ بدليل لجوء العبيد والجواري إلى الغرفة هروباً من الاستغلال والاضطهاد الكثيري لهم ، ورغبتهم في التمتع بالعدل والمساواة تحت رعاية الحكم الإرشادي الجديد في الغرفة . اهـ « بحوث المقاومة الشعبية » (٥٤) .

بهذه لمدّة عشر سنوات ، وفيها وعدٌ بتحسين القضاء ؛ لأنّ الجورَ تفسى عن مجلسه
بسيئون المؤلف من السّادة : محمّد بن أحمد كيسان ، وعيدورس بن سالم السّوم ،
وعبد القادر بن عبد الله الحامد ، والشّيخ محمّد مسعود بارجا ، في مدّة الثلاث السّنين
تفسياً هائلاً . فكان الودعُ بإصلاحه من بين سائر الأمور شاهد عدلٍ ودليل صدقٍ على
ما تقرّر من فرط فسادِه وجوره .

ولم يطلبوا توقيعاً من أحدٍ على تلك الهدنة بخلاف الأولى - فإنّها لم تكن إلّا
بالرضا - فلم يرض عبّيد صالح بن عبّادات بالإذعان لهذه الهدنة بالضغط والإكراه .
وحدّث أنّ عبّيده ضربوا مولى لابن عمّه حسن بن عوض بن عبّادات ، وكان مطروداً
في أيام عمّه عمر من الغرقة ؛ لتعديده على المساكين من الرعايا .

فرُفع الأمر إلى سيئون - وكان يخسّد صالح عبّيد ابن عمّه ويتغنى له الغوائل ،
ويتطلّب له العثرات طمعاً في أن تُسند الحكومة إليه إمارة الغرقة - فطلبت حكومة
سيئون بقوة الضّابط (انجرامس) إرسال الضّارين إلى سيئون للمحاكمة . فامتنع عبّيد
صالح عن إرسالهم ؛ لأنّه لا يعترف لصاحب سيئون بولاية على بلده الغرقة فليست
المحاكمة من اختصاصه ، وحدثت أمورٌ أخرى نشب بها الحرب بين سلطان سيئون
وعبّيد صالح .

وفي ربيع الأوّل من سنة (١٣٥٩ هـ) ألقت الطّائرة كتاباً على عبّيد صالح يعزم عليه
بالحضور إلى سيئون للمحاكمة ، فردّ عليه بأنّه مستعدّ للمحاكمة إلى الشّريعة في
الموضع الذي لا تأثير لدولة الكثيري ولا لدولة القعيطي عليه .

ثمّ طلب من الضّابط السّياسي أن يقوم بتأديبه ، فامتنع إلّا بمبررٍ لرميه عليه ،
فأمضى نحو سّتين من العلويين ومن لفهم بسيئون على مذكرة تبرز حربه .

وكان الغبن لو ذلّوا ونالوا فكيف إذا وقد ذلّوا وخابوا؟! (١)
فجهّزوا عليه جيشاً يُقدّر بنحو أربع مئة مقاتلٍ بسائر المعدّات من المدافع

(١) البيت من الوافر ، وهو للشريف الرضي في « ديوانه » (١٢٥ / ١) .

وَالرَّشَاشَاتِ وَغَيْرِهَا ، وَشَرَعَتْ الطَّيَّارَاتُ تَرْمِي بِقَنَابِلِهَا عَلَى ضَوَاحِي الْغُرْفَةِ ثُمَّ عَلَيْهَا ، وَتَكَرَّرَ الْهَجُومُ مِنَ الْجَيْشِ الْبَرِّيِّ ، إِلَّا أَنَّهُ يَتَرَجَعُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ .

وَقَدْ وَصَفْتُ الْحَالَةَ وَمَا جَرَى عَلَى الْغُرْفَةِ مِنَ الْأَنْكَادِ بِقَصِيدَةٍ مُؤَثَّرَةٍ تَوْجَدُ بِمَوْضِعِهَا مِنْ ثَالِثِ أَجْزَاءِ « الدِّيَّوَانِ » .

وَدَامَ الزَّمِيُّ مِنَ الطَّائِرَاتِ وَمِرَابِطَةِ الْجَيْشِ حَوْلَ الْغُرْفَةِ تِسْعَةً وَعِشْرِينَ يَوْمًا^(١) ، وَلَكِنْ لَمَّا انْضَمَّتْ إِيطَالِيَا إِلَى أَلْمَانِيَا فِي الْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ . . أَهْتَمَّ الْإِنْكَلِيزُ لَذَلِكَ ، وَسَعَى لِإِيقَافِ حَرْبِ الْغُرْفَةِ ، وَنُشِرَتْ إِعْلَانَاتٌ بِأَنَّ الشَّيْخَ عُيَيْدَ صَالِحٍ أذَعَنَ لَمَّا حُكِمَ بِهِ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ : مَغَادِرَةُ الْغُرْفَةِ فِي ظَرْفِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ . وَدَفْعُ غَرَامَةٍ مُقَدَّرَةٍ بِنَحْوِ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ رِبْيَّةٍ .

وَهَذَا نَصُّ الْإِعْلَانِ : (لِيَكُنْ مَعْلُومًا لَدَى الْعُمُومِ أَنَّ عُيَيْدَ صَالِحٍ بِنِ عِبْدَاتٍ ، أَمْضَى الْيَوْمَ عَلَى وَثِيقَةٍ ، مُطِيعًا لِأَوَامِرِ الْحُكُومَةِ ، أَيْ دَفَعَ « ٢٥٠٠٠ » رِبْيَّةٍ ،

(١) كَانَ السَّبَبُ الْأَوَّلُ فِي إِشْعَالِ قَتِيلِ هَذِهِ الْحَرْبِ غَيْرِ الْعَادِلَةِ هُوَ حَقْدُ الْمُسْتَرِ أَنْجَرَامِس .

وَأَمَّا الْبَدَايَةُ . . فَقَدْ كَانَتْ فِي مَكْتَبِ الْمُسْتَشَارَةِ الْبَرِيطَانِيَّةِ فِي سِيْثُونِ ؛ إِذْ أَصِيبَ جِهَازُ اللَّاسْلِكِي فِيهَا بِخَلَلٍ ، فَأَرَادَ أَنْجَرَامِسُ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْجِهَازَ الْمَمَائِلَ الْمَوْجُودَ فِي شِبَامِ ، وَلَمَّا أَرَادَ اخْتِرَاقَ الْغُرْفَةِ . . اعْتَرَضَهُ الْحِرَاسُ ، وَلَمَّا أَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ . . وَجَدَ بَابَ الْخُرُوجِ مَغْلَقًا ، وَأَخَذَهُ الْجُنُودُ إِلَى ابْنِ عِبْدَاتٍ بَعْدَ تَمَنُّعٍ ، وَلَمَّا قَابَلَهُ . . أَخَذَ ابْنُ عِبْدَاتٍ يُوْبِخُهُ عَلَى تَصَرُّفَاتِهِ الْمَشِينَةِ ، مُؤَكِّدًا لَهُ أَنَّ الْغُرْفَةَ هِيَ أَرْضٌ مُسْتَقِلَّةٌ عَنِ التَّبَعِيَّةِ لـ (بَرِيطَانِيَا) ، ثُمَّ خَرَجَ أَنْجَرَامِسُ ذَلِيلًا ، وَقَدْ أَضْمَرَ الشَّرَّ فِي نَفْسِهِ .

بَعْدَ هَذَا . . قَامَتِ طَائِرَاتُ سِلَاحِ الْجَوِّ الْمَلِكِيِّ الْبَرِيطَانِيِّ بِالْقَصْفِ الْجَوِّيِّ عَلَى الْغُرْفَةِ بِالْقَنَابِلِ لِمُدَّةِ (٣) أَيَّامٍ دُونَ جَدْوَى ؛ إِذْ كَانَ الْجُنُودُ مِنَ الْحُمُومِ مَتَمَرِّكِينَ فِي أَعَالِي الْجِبَالِ وَأَرْغَمُوا الطَّائِرَاتِ عَلَى الْمَغَادِرَةِ وَعَدَمِ الْاقْتِرَابِ مِنْ سَمَاءِ الْغُرْفَةِ ، وَكَانَ هَذَا الْقَصْفُ مُتَزَامًا مَعَ الْمَسَاعِيِ الْبَرِيطَانِيَّةِ لِمَتَمِيدِ الْهَدَنَةِ إِلَى (١٠) سَنَوَاتٍ قَادِمَةٍ .

وَلَمَّا أَنَّ ابْنَ عِبْدَاتٍ كَانَ صَعَبَ الْمِرَاسِ وَرَجُلَ مَوْقِفٍ . . فَلَمْ يَقْبَلْ هَذَا التَّمِيدَ ، فَقَامَتِ الْقَوَاتُ الْبَرِيطَانِيَّةُ بِضَرْبِهِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، وَلَكِنِّهَا اسْتَمَرَّتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ لِمُدَّةِ (٢٩) يَوْمًا ، فَضَرَبَتْ الْغُرْفَةَ مِنَ الْجَوِّ (٩) طَائِرَاتٌ قَازِقَةٌ قَنَابِلَ (فَنَسْنَتْ) بَدَأَ مِنْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ (٢٤) أَبْرِيلَ (١٩٤٠ م) ، وَقَدِمَتْ مِنَ الْمَكَلَا فِرْقٍ مِنَ الْجَيْشِ النَّظَامِيِّ وَشُنَّتْ هَجُومًا عَسْكَرِيًّا ، لَكِنِّهَا بَاءَتْ بِالْفَشْلِ فِي اقْتِحَامِ الْغُرْفَةِ ، وَأَضْطَرَّتْ لِلانْسِحَابِ تَحْتَ ضَرْبَاتِ رِجَالِ الْمَقَاوِمَةِ التَّابِعِينَ لِابْنِ عِبْدَاتٍ . وَالْغَرِيبُ أَنَّ عِدَدًا مِنَ الْقَنَابِلِ الَّتِي رَمِيَتْ بِهَا الْغُرْفَةُ لَمْ تَنْفَجِرَ ، بَلْ كَانَتْ تَسْقُطُ دُونَ أَنْ تُحْدِثَ أَيَّ أَضْرَارٍ تَذَكَّرُ ، وَكَانَ الْجُنُودُ يَجْمَعُونَهَا وَيَعْرِضُونَهَا أَمَامَ أَسْوَارِ الْغُرْفَةِ !! .

و« ٨٠٠٠ » ربيّة ، قيمة « ٤٠٠٠٠ » حبة رصاص ، وأن يُغادرَ حضرموتَ وهو دافعُ ستّة آلافِ ربيّة ، وقد سُمِحَ له بأن يدفعَ الباقي ويُغادرَ حضرموتَ في ضمنِ ستّة أشهر ، وقد تعهّد أن لا يعملَ أيّ اضطراباتٍ أخرى (١٥)

غيرَ أنّه لم ينفذْ شيءٌ من ذلك ، ولم يظهرْ له أثرٌ^(١) .

وبقيَ الشّيخُ عبيدُ صالحٍ على حاله متملّكاً بالغرفةِ يأمرُ وينهى ، ويحكمُ ويرسمُ ، غيرَ أنّه بدأ في سنة (١٣٦١هـ) يجورُ على رعاياه ويأخذُ حبوبَ الفلاحينَ بثمانٍ بخسٍ ، ينسؤُهُم^(٢) بالثمنِ لا إلى غايةٍ محدودةٍ ، ثمَّ يرُدُّ عليهم بعضَهُ للاقتياتِ الضّروريِّ بأعلى ممّا أخذَهُ منهم ، فأشدّتْ ألبلاءُ ، وضجّتْ الأرضُ والسّماءُ ، وأحدثَ جُمُركاً على الطّريقِ ، يأخذُ من كلّ ما يمرُّ بها من البضائعِ نحوَ العُشورِ ، وأستهانَ بالدّولةِ الكُثيرةِ ، وتخطّمَ أنوفُ الشّنافِرِ ، وأبقى عليهم بالعجزِ عن النّصفَةِ عاراً لا يفنى ، كما قالَ إياسُ بنُ الوليدِ [من البسيط] :

تَبَقِيَ الْمَعَايِرُ بَعْدَ الْقَوْمِ بَاقِيَةً وَيَذْهَبُ الْمَالُ فِيمَا كَانَ قَدْ ذَهَبَا
وتعلّمَ النّاسُ حينئذٍ بأخبارِ شنيعةٍ عن جَوْرِهِ بحقٍّ وبباطلٍ ، فتألّمتُ من ذلك ، وأنشأتُ قصيدةً فصلّتُ الأمورَ فيها ، كانَ إنشاؤها لخمسٍ من شوالِ سنة (١٣٦٣هـ) ، وأنشدتها حينئذٍ لكثيرٍ من رادّتي^(٣) ، ومنهمُ : السّلطانُ عبدُ الله بنُ محسنٍ بنِ غالبٍ ؛ لأنّه كانَ من مُحبّيه وتربطُهُ به قرابةٌ دُنيا ؛ إذ كانت جدّتاها أختين ، وتناولتُهُ بكثيرٍ من المَعْتَبَةِ والمَذْمَةِ ، وأقذعتُ له ، ولكنّ ذكرَ لي بعضُ أعدائه أنّه أطلَعَ على وصيّته بينَ أوراقِهِ الّتي أعجلوه عن أخذِها يومَ جلائهِ ، وفيها الأمرُ برَدِّ كلّ مظلمةٍ إلى صاحبِها ، والفضلُ ما شهِدَتْ بهِ الأعداءُ ، فعدتُ لبعضٍ ما كنتُ عليه من ظنٍّ أمثليّهِ .

(١) إن هذه مزاعم تفتقر إلى دليل مادي ، فهي في واقع الأمر محض افتراء استعماري أرادت به بريطانيا إبراز قوتها في المنطقة وإضعاف حركة المقاومة الوطنية في الغرفة . « بحوث المقاومة » (٦٩) .

(٢) ينسؤُهُم : يؤخّرهم .

(٣) أي : الذين يرتادون مجلس المؤلف .

وبالحقيقة : أَنَّهُ أَعَانَ عَلَى نَفْسِهِ بترفَعِهِ عَنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ بَعْدَ سَلَامَتِهِ مِنْ تِلْكَ الْحَرْبِ
الضَّرُوسِ الَّتِي فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْهَا بِالطَّلِيَانِ ، وَخَرَجَ مِنْهَا وَقُلُوبُ النَّاسِ مَعَهُ ، وَبَعْضُ
أَهْلِ الْخَبْرَةِ لَا يَعِيبُهُ إِلَّا بِسَلَامَةِ صَدْرِ أَنْطَلَى عَلَيْهِ بِسَبِيهَا غَشٌّ جَلِيسٍ لَهُ لَا يَهْمُهُ إِلَّا
حَمَايَتُهُ عَنْ نَصْحِ الْعُقْلَاءِ كَيْلًا يُشِيرُوا عَلَيْهِ بِإِبْعَادِهِ ، وَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْأَرْضُ وَلَمْ يَجِدْ
مَلْجَأً بِحَضْرَمُوتَ إِلَّا إِلَيْهِ .

وَأَتَّفَقَ أَنَّ أَحَدَ السَّيَّاحِ الْإِنْكَلِيزِ أَرَادَ أَنْ يَمُرَّ بِالطَّرِيقِ الَّتِي تَلِي بَحِيرَةَ ، وَهُوَ قَدْ حَمَاهَا
بِعَسْكَرِهِ كَيْلًا تُهَرَّبُ الْبَضَائِعُ مِنْ نَاحِيَّتِهَا بَعْدَمَا جَعَلَ الْعَشُورَ ضَرْبَةً لِازِبٍ عَلَى كُلِّ
وَارِدٍ ، فَمَنَعُوا السَّيَّاحَ الْمُرُورَ ، وَلَمَّا أَظْهَرَ الْعِنَادَ . . أَطْلَقُوا عَلَيْهِ الرِّصَاصَ بِقَصْدِ
الْتَّخْوِيفِ ، وَلَكِنَّ الْحُكُومَةَ الْإِنْكَلِيزِيَّةَ رَأَتْ أَنَّ شَرْفَهَا مُسَّ بِذَلِكَ الْإِطْلَاقِ ، فَأَنْذَرَتْهُ ،
ثُمَّ جَهَّزَتْ إِلَيْهِ جَيْشًا عَرَفَرَمًا لَمْ تَعْرِفِ الْبِلَادُ مِثْلَهُ ، يَقُودُهُ الْجَنَرَالُ الْسَيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ
مَحْضَارِ الْعِيدُرُوسِ^(١) الْآتِي ذِكْرُهُ فِي بُورَ ، فِيهِ مِنَ الْمَدَافِعِ الْضَخْمَةِ ، وَالذَّبَابَاتِ
الْهَائِلَةِ ، وَالسِّيَّارَاتِ الْمَصْفُوحَةِ بِالْفُولاذِ مَا تَنْفَسُخُ لَهُ الْعُقُولُ ، وَمَعَ ذَلِكَ . . فَقَدْ ثَبَتَ
وَبَقِيَ يَدَافِعُ وَيُطْلِقُ الرِّصَاصَ بِدُونِ جَدْوَى ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْثَرُ فِي تِلْكَ السِّيَّارَاتِ ، وَأَنْسَلَ
عَنْهُ لَوْأَذَا^(٢) كُلُّ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، مَا عَدَا قَاضِيَهُ الشَّيْخَ مُحْفُوظَ الْمَصْلِيِّ الْيَافِعِي^(٣) ،
وَحِينَئِذٍ بَخَعَ بِتَسْلِيمِ نَفْسِهِ ، فَأَرْكَبُوهُ عَلَى السِّيَّارَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ إِلَى مَطَارِ الْقَطْنِ ، حَيْثُ
أَخَذُوهُ بِالطَّائِرَةِ إِلَى عَدَنَ ، وَلَمْ يُشْمِتُوا بِهِ عَدُوًّا ، وَلَمْ يُؤْلِمُوا بِهِ صَدِيقًا ، وَلَمْ يُمَكِّنُوا
أَحَدًا مِنْ مَنَافِسِيهِ وَمُبْغِضِيهِ حَتَّى مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ ، فَشَكَرَ الْعُقْلَاءُ مِنَ النَّاسِ لِلدَّوْلَةِ
الْإِنْكَلِيزِيَّةِ تَقْدِيرَهَا لَشَهَامَتِهِ وَأَنْفَتَهُ .

(١) فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ أَنَّ اسْمَهُ : الْمِيْجَرُ جَنْرَالُ أَحْمَدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْعِيدُرُوسَ ، الْقَائِدَ الْعَامَ لِقَوَاتِ وَلايَةِ
حِيْدَرْ أَبَادَ ، جَاءَ مُرَافِقًا لِلْكُولُونِيْلِ دِي . جِي - اِيْجِرْتُونِ ، كَمِشْتَارْ عَسْكَرِي لَجْمِيْعِ الْقَوَاتِ الَّتِي
سَتَقْتَحِمُ الْغُرْفَةَ . « بَحُوْثُ الْمَقَاوِمَةِ » (٩١) .

(٢) لَوْأَذَا : عَائِدًا .

(٣) الشَّيْخُ مُحْفُوظُ بْنُ سَعِيْدِ بْنِ ثَابِتِ الْمَصْلِيِّ ، وَكَانَ قَدُومُهُ إِلَى الْغُرْفَةِ بَعْدَ سَنَةِ (١٩٣٧ م) إِثْرَ عَزْلِ الْأَمِيْرِ
عَلِيِّ بْنِ صِلَاحٍ مِنْ وَلايَةِ شِبَامَ عَلَى يَدِ أَنْجِرَامَسَ ، وَتَلَا ذَلِكَ تَدْخُلَ الْحُكُومَةِ وَأَصْحَابِ الْجَاهِ وَالنَّفُوْذِ
فِي شُؤْنِ الْقَضَاءِ بِالدَّوْلَةِ .

وقد قلتُ بمناسبة ذلك قصيدةً توجدُ بمحلّها في الجزء الثالثِ مِنْ « الدِّيوانِ » ،
ومنها [مِنْ الكامل] :

لَا شَامِتٌ قَرَّتْ لَهُ عَيْنٌ وَلَا تَرَكْنَهُ يَسْمَعُ فِي الطَّرِيقِ مُوبِّخًا
ومِنْهَا مَا قَلْتُهُ فِي وَصْفِ ذَلِكَ الْجَيْشِ وَمَعْدَاتِهِ الْهَائِلَةِ :

جَيْشٌ تَمِيدُ بِهِ الْفَلَاةُ وَمَنْظَرٌ مِنْهُ الرِّعَانُ تَكَادُ أَنْ تَتَفَسَّخَا^(١)
هَضَبَاتٌ فُلُودًا تَقِلُّ مَدَافِعَا مُلِثَتْ وَقَدْ سَارَتْ قِطَارًا فَرَسَخَا
وَقَذَائِفٌ لَا يَسْتَقِيلُ لِرَمِيهَا حِصْنٌ وَطِيدُ الرُّكْنِ حَتَّى يُنْفَخَا
سُلُّ الْأَمِيرِ وَمَا بِمِخْجَمَةِ دَمٍ يَوْمَ أَجَرَ مِنَ الْمَذَلَّةِ أَلْسِنَا
يَوْمَ الشَّنَافِرُ يَضْحَكُونَ شِمَاتَةً وَأَمَدٌ أُخْرَى بِالتَّطَوُّلِ بُذَخَا
كَمْ مِنْ طَوِيلٍ شَامِخٍ عَزِينُهُ وَسَيَجْهَشُونَ إِذَا الظَّلَامُ تَدَخَّدَا^(٢)
وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ ، فَقَدْ صَارَ الشَّنَافِرُ بَعْدَهُ أَذَلٌّ مِنْ أَبْنَاءِ السَّبِيلِ ، حَتَّى لَقَدْ مُنِعُوا
حَمْلَ السِّلَاحِ ، بَلْ مُنِعُوا مِنْ إِطْلَاقِ الْبِنَادِقِ فِي أَفْرَاحِهِمْ .

وَمِنْ الْغَرَائِبِ : أَنَّ ضُبْعًا وَقَعَ فِي شَبَكَةِ أَحَدِهِمْ ، فَمَا جَسَرَ أَنْ يُطْلَقَ بِنْدَقِيَّتُهُ عَلَيْهَا ،
فَبَقِيَتْ تَنَاوُصُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا حَتَّى هَرَبَتْ .

وَمَا أَظُنُّ الْأَمْرَ يَبْلُغُ إِلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ خَوَرِ الْعِزَائِمِ وَأَسْتِيْلَاءِ الذُّلِّ ، وَمَا أَجَدُّ
لصَاحِبِ الضُّبْعِ مَثَلًا إِلَّا عُليَّةُ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ ، فَلَقَدْ مَنَعَهَا الرَّشِيدُ أَنْ تَذَكَرَ غَلَامًا كَانَتْ
تُتَهَّمُ بِهِوَاهُ ، وَأَسْمُهُ طَلٌّ ، فَيَنْمَا هِيَ تَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ إِذْ أَنْتَهَتْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ لَمْ
يُصِيبْهَا وَابِلٌ ﴾ فَلَمْ تَجْسُرْ أَنْ تَقُولَ ﴿ قَطَلٌ ﴾ وَإِنَّمَا قَالَتْ : (فَإِنْ لَمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ . . فَمَا

(١) الرعان : الجبال الطويلة ، تميد : تميل .

(٢) جهش للبكاء : استعمل له واستعبر . تدخخ : اختلط ظلامه .

(٣) يتنخنخا : مأخوذ من النَّخ ، وهو برك الإبل ، وهو هنا كناية عن الذُّلِّ ، على حدِّ قول الشاعر :
مَا طَارَ طَيْرٌ وَأَرْتَفَعَ إِلَّا كَمَا طَارَ وَقَفَعَ

نهى عنه أمير المؤمنين . فظهر عليها وكان ذلك بمسمعٍ من الرّشيد بحيث لا تشعرُ وقال لها : ولا كلُّ ذلك يا أختي^(١) .

أمّا نفقات ذلك الجيش فلا يزال أمرها مجهولاً ، وقد أخبرني مَنْ لا يُتهم أن أحد رؤساء الإنكليز خطب بالْمُكَلَّا مع سفره عنها ، وقال في خطبته : إنَّ ألبت في نفقات ذلك الجيش مؤخَّر إلى الفرصة المناسبة ، ولا شكَّ أنَّها ستكون باهظة جدًّا^(٢) .

أمّا عبيدُ صالح . . فقد بقي بعدن موفور الكرامة مدّة من الزّمان ، ثمَّ أُذن له في السّفر إلى سنغافورة ، وبقي يتردّد بينها وبين بتاوي ، معتمداً على أمواله ، رخيّ البال ، مشروح الصّدر ، قد أراحته الحكومة من الحالة التي توغّر الصّدر ، وتقبض النّفس ، وتطيل التّعّب والعناء في مسايصة مَنْ لا بدّ له منهم في الدّفاع عن الغرفة ، من أمثال الحموم الذين يتجنّون عليه ويملؤون قلبه كلّ يوم قيحاً وغيظاً ، ويأتي فيهم قول المتنبيّ [في « العكبري » ١/ ٣٧٥ من الطّويل] :

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْخُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا لَهُ مَا مِنْ صَدَاقَتِهِ بُدُّ

حصون آل كثير

والغرفة محاطة بحصون آل كثير :

ففي شريقها : حصون آل خالد بن عمر ، وفي الرّسالة التي طبعها الشّيخ عبيد بن عبادت وورّعها بين النّاس ، ما يُصرّح بأنَّ آل خالد بن عمر لم يبنوا ديارهم بذلك المكان إلّا بمخابرة من آل الفاس .

وفيها أيضاً : أن ديار آل الفاس كانت بالجانب الغربيّ من السّليل ، في شمال ديار آل فحيثا .

(١) القصّة في « المستطرف » (١٠٠ / ١) .

(٢) لمعرفة نهاية أمر ابن عبادت . . ينظر : « حركة ابن عبادت في الغرفة بحضرموت ١٩٢٤-١٩٤٥ م » بحث أعدّه الأستاذ المساعد الدكتور محمد سعيد داود بكلية التربية بالمكلا ، ضمن فعاليات الندوة التاريخية حول « المقاومة الشعبية في حضرموت » المنعقدة في كلية التربية (٢٥-٢٦) فبراير (١٩٨٩ م) .

وفيها أيضاً : أَنَّ لآلِ الْفَاسِ ذِكْرٌ فِي كَلَامِ الشَّيْخِ سَعْدِ السَّوْنِيِّ حَيْثُ يَقُولُ :
(بِاسِيرِ أَرْضِ لَنْفَاسٍ مِنْ ظَلَمِ بِلْفَاسٍ) وهذا يدلُّ على تقادم عهدهم .
وفي الصُّلَحِ الْوَاقِعِ بَيْنَ آلِ خَالِدٍ وَآلِ الْفَاسِ سَنَةَ (١٣٣٦ هـ) . . . كَانَ مِنَ الشُّرُوطِ
لِآلِ خَالِدٍ : أَنْ يَسْتَقْلُوا بِوَلَايَةِ الْحَوْلِ .

وَمِنَ الشُّرُوطِ عَلَيْهِمْ : أَنْ تُهْدَمَ حَصُونُهُمْ تِلْكَ ، فَهُذِّمَتْ ، وَلَكِنْ آلُ الْفَاسِ ابْتَنَوْا
بِهَا مَخْفَرًا وَسَمَّوْهُ (خَيْر) تَشْبِيهاً لِآلِ خَالِدٍ بِالْيَهُودِ ، فَكَانَتْ حَزَازَةً فِي نَفْسِ الشَّيْخِ
صَالِحِ عُبَيْدٍ ، يَتَحَيَّنُ الْفُرْصَ لِأَنْ يَثَّارَ بِهَا فَمَاتَ بِحَسْرَتِهِ ، وَلَكِنْ وَلَدَهُ عُبَيْدًا أُنْلِجَ
خَاطِرُهُ وَبَلَ غَلِيلُهُ ، فَتَمَكَّنَ مِنْ أَسْتِمَالَةِ عَزَّانِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَحَدِ بِلْفَاسٍ ، حَتَّى مَكَّنَهُ مِنْ
دِيَارِهِ وَمِنْ دَارِ مُحَمَّدٍ بْنِ شُعْبَانَ فِي مَثْوَى آلِ الْفَاسِ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْفَرِ فَهَدَمَهُ ، وَلَكِنَّهَا
لَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ .

وَبَيْنَمَا عَزَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ رَاجِعٌ مِنَ الْغُرْفَةِ ذَاتِ يَوْمٍ ، بَعْدَ تَسْلِيمِهِ دِيَارَهُ لِعُبَيْدٍ صَالِحٍ . .
بَصَرَ بِهِ آلُ الْفَاسِ ، فَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ الرِّصَاصَ حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَرَفَعُوا مُحَمَّدًا بْنُ شُعْبَانَ إِلَى
الْحُكُومَةِ ، فَأَخَذَتْهُ إِلَى الْمُكَلَّا ، ثُمَّ رَدَّتْهُ إِلَى سَجْنِ سَيْثُونٍ ، وَبِهِ كَانَ هَلَاكُهُ .
وَمِنَ اللَّطَائِفِ : أَنَّي زُرْتُ سَيِّدِي الشَّهْمَ الْفَاضِلَ مُحَمَّدَ ابْنَ سَيِّدِنَا وَشَيْخِنَا الْأَسْتَاذِ
الْأَبْرَّ عِيدَرُوسِ بْنِ عَمَرَ فِي سَنَةِ (١٣١٨ هـ) . . . فَالْفَيْتُ مَنْزِلَهُ مَلَانًا بِرِجَالِ آلِ الْفَاسِ ،
لِلتَّرَضِيَةِ عَنْ حَالِ صَدَرَ عَنْ بَعْضِ سَفَهَائِهِمْ إِزَاءَ بَعْضِ أَتْبَاعِهِ وَخُدَمِهِ ، وَإِذَا رِجَالٌ عَلَيْهِمْ
وَسَامٌ ، وَلَهُمْ بَسْطَةٌ فِي الْأَجْسَامِ ، وَغُرُورٌ بِأَهْرَةٍ ، وَوَجُوهٌ زَاهِرَةٌ ، وَلَحَى غَالِيَةٌ ، وَهَمَمٌ
عَالِيَةٌ .

إِذَا لَبَسُوا عَمَائِمَهُمْ طَوَّوْهَا عَلَى كَرَمٍ وَإِنْ سَفَرُوا أَنْارُوا^(١)
وَرِئِيسُهُمْ لِذَلِكَ الْعَهْدِ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِلْفَاسٍ ، قَدَّمُوهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَمَا بَقَلَ
عَارِضَاهُ ، وَمَا زَالَ عَلَى رِئَاسَتِهِمْ إِلَى أَنْ مَاتَ عَنْ عُمرٍ طَوِيلٍ ، وَكَانَ جَمِيلًا طَوِيلًا ،
يَأْتِي فِيهِ قَوْلُ الرَّضِيِّ^(٢) :

(١) البيت من الوافر ، وهو لأبي الطمحان القيني .

(٢) البيت من الطويل ، وهو ليس للشريف الرضي ، بل للبحري في « ديوانه » (١ / ٧٤) ، من قصيدته =

مَضَى مِثْلَ مَا يَمْضِي السَّنَانُ وَأَشْرَقَتْ بِهِ بَسْطَةٌ زَادَتْ عَلَى بَسْطَةِ الرُّمَحِ
وقولُ ليلي الأَخِيلِيَّةِ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

فَنِعْمَ فَتَى الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا وَفَوْقَ الْفَتَى لَوْ أَنَّهُ غَيْرُ فَاجِرٍ
بعدَ إبدالِ (فاجر) بـ (ظالم) ، وقد ذكرنا هذا البيتَ لمحسنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ
العلويِّ ولغيرِهِ ، وصالحُ محمدٍ هو الأَحَقُّ بِهِ .

وقيلَ أَن يَهْلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ شِعْبَانَ وَرَدَنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ آلِ الْفَاسِ - لَا يَقِلُّ عَدَدُهُمْ
عَنْ عَشْرَةٍ - فِي مَسْأَلَةٍ ، فَتَعَجَّبْتُ مِنْ قَصْرِ قَامَاتِهِمْ وَصَغَرِ هَامَتِهِمْ ، وَلَمْ أَصْذُقْ - إِلَّا بَعْدَ
الِإِلْحَاحِ فِي السُّؤَالِ - أَنَّهُمْ مِنْ سُلَالَةٍ أَوْلَتْكَ ، وَهَكَذَا يَهْرُمُ الزَّمَانُ ، وَتَتَرَاذَلُ الْأَيَّامُ .
وكانت لآلِ الْفَاسِ قَبُولُهُ حَارَةً وَنَجْدَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَلَهُمْ مَعَ آلِ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو خَاصَّةٌ ،
وَمَعَ آلِ عِبْدَاتٍ عَامَّةٌ حُرُوبٌ لَمْ تَضْرَعْ فِيهَا خَدُودُهُمْ ، وَلَا زَلَّتْ فِيهَا نَعَالُهُمْ .

وقد بلغَ مِنْ جَرَاتِهِمْ أَنَّهُمْ أَخَفَرُوا آلَ جَعْفَرِ بْنِ طَالِبٍ ، وَقَتَلُوا وَاحِدًا مِنْ آلِ عِبْدَاتٍ
فِي غَرْبِي تَرِيَسَ ، وَمَعَهُ أَحَدُ آلِ جَعْفَرِ بْنِ طَالِبٍ ، فَتَضَخَّ رِشَاشُ دَمِهِ فِي ثِيَابِهِ ، وَلَمْ
يَنْتَصِفُوا مِنْهُمْ .

وَلَمْ يَبْقَ بِحَصُونِهِمْ مِنْهُمْ أَلْيَوْمَ إِلَّا نَحْوُ الثَّلَاثِينَ رَجُلًا ؛ إِذْ صَارَ مَثْوَى الْعُلُوِّيِّينَ وَآلِ
كَثِيرِ الْيَوْمِ بِجَاوَةٍ .

وَحَصُونُ آلِ الْفَاسِ : وَاقِعَةٌ فِي شِمَالِ حَصُونِ آلِ خَالِدِ بْنِ عَمْرِو الْمَهْدُومَةِ . وَفِي
شَرْقِيَّ الْغُرْفَةِ مُتَشَامِلَةٌ : حَصُونُ آلِ الْعَاسِ ، لَا يَزِيدُونَ عَنْ أَثْنِي عَشَرَ رَجُلًا . ثُمَّ :
حَصُونُ آلِ عَوْنٍ ، وَهُمْ نَحْوُهُمْ فِي الْعِدَدِ . ثُمَّ : حَصُونُ آلِ مَهْرِيٍّ ، الَّتِي سَكَنُوا بِهَا بَعْدَ
جَلَائِهِمْ عَنْ سَحِيلِ شِبَامٍ ، وَعَدَدُهُمْ بِحَضْرَمَوْتَ نَحْوَ الْعَشْرِينَ رَجُلًا .

التي يمدح فيها الفتح بن خاقان ، والتي مطلعها :
هَلِ الْفَتْحُ إِلَّا الْبَذْرُ فِي الْأَفْئِ الْمُضْجِي
تَجَلَّى فَأَجَلَى اللَّيْلُ جُنْحًا عَلَى جُنْحِ

يَرْقُق

هو وادي الغرفة في شريقيها ، وهو وادٍ أنيس ، في أعلاه قُلُوتٌ كثيرةٌ يَتَنَزَّهُ النَّاسُ فيها بِعَقَبِ السُّيُولِ ، ينهرُ إليه الماءُ مِنَ النَّجْدِ الْمُنْبَسِطِ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلَى ما شاءَ اللهُ . وهو نَجْدٌ واسعٌ تَتَفَرَّقُ مِياهُ الْأَمْطَارِ مِنْهُ عَلَى وادي الْعَيْنِ ، ووادي بن علي ، ووادي يرقق - هذا - ووادي شحوح ، ووادي يَنْمَةُ ، ووادي يَثِمَةَ ، ووادي مَرَيَمَةَ ، ووادي تَارِبَةَ .

وليرقق ذِكْرُ كَثِيرٍ فِي « دِيوانِ الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بِامْخَرَمَةَ » .
وكانَ سَيِّدِي الْأُسْتَاذُ الْأَبْرُ كَثِيرَ التَّحَنُّثِ فِيهِ ، وَرَبَّمَا أَقَامَ بِهِ اللَّيَالِيَ الْعَدِيدَةَ فِي أَوَائِلِ أَمْرِهِ يَتَعَبَّدُ اللهُ .

وفي منتصفِ الْجَبَلِ الَّذِي بِجَنُوبِ الْغُرْفَةِ بِقَايَا مَخْفَرٍ يُقَالُ لَهُ : كُوتُ ابْنِ قَمْلًا^(١) ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلَيَّ الْمَعْمُرُونَ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ :
فبَعْضُهُمْ قَالَ : ابْنُ قَمْلًا أَسْتَوْلَى عَلَى الْغُرْفَةِ وَأَبْتَنَى ذَلِكَ الْكُوتَ لِیَأْمَنَ بِهِ عَادِيَةُ آلِ كَثِيرٍ . وَقَالَ آخَرُونَ : إِنَّمَا بَنَاهُ آلُ كَثِيرٍ لِيَكُونَ حَامِيًا لَهُمْ مِنْ شَرِّهِ .
وَالْحَقُّ أَنَّ لَا تَخَالَفَ ؛ لِأَنَّ ابْنَ قَمْلًا إِنَّمَا يَصُولُ فِي جِهَةِ آلِ كَثِيرٍ بِهِمْ . . . فَهُوَ وَإِيَّاهُمْ وَمَنْ تَابَعَهُ مِنْ غَيْرِهِمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

حَصُونُ الْعَوَانِزَةِ

هي واقعةٌ في شَرْقِيِّ حَصُونِ آلِ الْفَاسِ . وَالْعَوَانِزَةُ مِنَ الْعَوَامِرِ ، وَهُمْ قَوْمٌ كَرَامٌ ، وَفِيهِمْ صَالِحُونَ فَضْلَاءُ .

مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَانُوزَ ، لَهُ مَنَاقِبُ شَهِيرَةٌ ، وَمَحَاسِنُ كَثِيرَةٌ ،

(١) الكوت : هو كما قال عنه المؤلف يشبه المخفر ، أو مركز مراقبة ، يبنى بأعلى الجبال المطلّة على المدن الشهيرة بحضرموت ، ويوجد لهذا الكوت نظائر كثيرة ، منها كوت الخِجَّةِ المطل على شبام ، الذي بني سنة (١٣٣٣هـ) كما في « مذكرات » الشيخ سالم باسويدان .

كَانَ سَيِّدِي الْأُسْتَاذُ الْأَبْرُ يُزَوِّرُهُ ، وَيَطْلُبُ دَعَاءَهُ ، وَيَتَبَرَّكُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ .

وَكَانَ لَهُ الضَّلْعُ الْأَقْوَى فِي حَادِثَةِ الْمَحَايِلِ ، وَلَمَّا أَنْتَهَتْ بِأَنْهَازِمْ يَافِعٍ . . خَرَجَ السُّلْطَانُ غَالِبُ بْنُ مُحَسِّنٍ إِلَى عِنْدِ الشَّيْخِ عَوْضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَانُوزٍ ، بِكَثِيرٍ مِنَ الرِّصَاصِ وَالْبَارُوتِ ، مَكَافَأَةً لَهُ عَلَى مَا أَبْلَى وَأَنْفَقَ ، فَرَدَّهُ وَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ بِمَعُونَتِي وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ وَلَايَةَ تَرِيَسٍ . . فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَقَالَ لَهُ : لَا أُرِيدُ مِنْكُمْ إِلَّا الشَّفَقَةَ بِالَّذِينَ يَحْرُثُونَ آبَارَنَا بِأَعْمَالِ تَرِيَسٍ .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَانُوزٍ ، كَانَ كَسَابِقَهُ ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ ، شَدِيدَ الْوَرَعِ ، طَوِيلَ الْأَصْلَةِ . وَكَانَ سَيِّدُ الْوَادِي الْحَسَنُ بْنُ صَالِحِ الْبَحْرِ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِ . . يَقُولُ لَهُ : (الْوَلَدُ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ) .

وَكُنْتُ أَقُولُ لَهُ : هَلْ قَتَلْتَ أَحَدًا بِيَدِكَ فِي وَاقِعَةِ الْمَحَايِلِ؟ . . فَيَقُولُ : إِنَّهُمْ بَغَاءٌ . وَلَأَيُّهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ يَافِعٍ وَآلِ كَثِيرٍ ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ صَدْرٌ مِنْ صُدُورِ الْقَبَائِلِ وَأُولَى رَأْيِهَا وَزَعَامَتِهَا .

وَكَانَ الْعَوَانِزَةُ يَسْكُنُونَ الْمُخْتَزِفَةَ ، فَتَنَكَّدُوا مِنْ مَلُوحَةِ مَائِهَا ، وَلَحِقَهُمْ مِنْ ذَلِكَ عَنَاءٌ شَدِيدٌ ، فَانْتَقَلُوا عَنْهَا إِلَى تِلْكَ الْحُصُونِ الَّتِي لَمْ يَتِمَكَّنُوا مِنْ بِنَائِهَا إِلَّا بِاجْتِمَاعِ خَرَقِ الْعَادَةِ مِنْ آلِ كَثِيرٍ وَالْعَوَامِرِ ، وَرَابَطُوا حَوَالِيهَا إِلَى أَنْ أَنْتَهَى بِنَاؤُهَا بِالرَّغْمِ مِنْ مَعَاطِسِ يَافِعٍ بِتَرِيَسٍ وَغَيْرِهَا ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ مَعَارِكُ ، وَأُرِيقَتْ فِيهِ دِمَاءٌ .

وَمَعَ صَلَاحِ الْعَوَانِزَةِ وَفَضْلِهِمْ . . فَقَدْ كَانُوا مِنْ أَشْجَعِ النَّاسِ وَالَّذِي عَلَيْهِمُ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، وَلَهُمْ فِي وَاقِعَةِ الْمَحَايِلِ الْمَشْهُورَةِ الْيَدُ الْبَيضَاءُ ، وَالنَّصِيبُ الْأَوْفَى .

أُولَئِكَ قَوْمٌ إِنْ بَسَوْا أَحْسَنُوا الْبِنَا وَإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا^(١) وَإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلِّ حَادِثٍ مِنْ الْأَمْرِ : رُدُّوا فَضْلَ أَخْلَامِكُمْ رَدُّوا

وَمِنْهُمْ قَوْمٌ مَنْتَشَرُونَ بِبَوَارِ عُثْمَانَ ، وَلَا يَزَالُونَ مَعَهُمْ عَلَى اتِّصَالٍ ، وَفِي الْوَقْتِ الْآخِيرِ - أَيِ مَنْذُ نَحْوِ مِنْ خَمْسِ سِنَوَاتٍ - زَارَهُمْ شَيْخٌ مِنَ الْعَوَانِزَةِ بِعُمَانَ ، يَظْهَرُ عَلَى

(١) الْبَيْتَانِ مِنَ الطَّوِيلِ ، وَهُمَا لِلْحَطِيبَةِ فِي « دِيْوَانِهِ » (٤١) .

وجهِهِ وَعَيْنِيهِ أَثَرُ الشَّهَامَةِ وَالنَّجْدَةِ ، وَقَدْ قَضَىٰ عِنْدِي سَحَابَةٌ يَوْمَ حَدَّثَنِي عَنْ أَخْبَارِهِمْ
وَكثَرَتِهِمْ وَعَنْ وَبَارٍ وَخَصُوصِيَّتِهَا . . . بِالتَّعَاجِيْبِ ، وَلَكِنِّي نَسِيتُ أَسْمَهُ حَالِ رَقْمِ هَذَا .
وَرَجَالُ الْعَوَازِ بِحَصْنِهِمْ أَلْيَوْمَ ، لَا يَزِيدُونَ عَنِّي عَشَرَ رَجُلًا .

حَصُونُ آلِ جَعْفَرِ بْنِ بَدْرِ مِنَ الْفَخَائِذِ

هِيَ وَاقِعَةٌ بِإِزَاءِ الْغُرْفَةِ مِنَ الْجَبَلِ النَّجْدِيِّ فِي شَرْقِيٍّ الْمَحْتَرَقَةِ ، وَهُمْ أَهْلُ بَسَاطَةٍ
وَحُسْنِ ظَنٍّ وَسَلَامَةٍ صُدُورٍ ، يَنْتَسِبُونَ بِالْخِدْمَةِ إِلَى السَّادَةِ آلِ خَيْلِهِ ، وَرِئِيسُهُمْ أَلْيَوْمَ :
مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِينَ ، عَلَى غِرَارِ السَّابِقِينَ فِي أَسْتَوَاءِ الْعِلَانِيَةِ وَالسَّرِيرَةِ ، وَالسَّيْرِ بِسُوقِ
الطَّبِيعَةِ ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْخِدَاعِ وَالْاِحْتِيَالِ .
وَعَدَدُ رَجَالِهِمْ أَلْيَوْمَ بِالتَّقْرِيْبِ أَرْبَعُونَ .
وَأَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهِمْ : آلُ مَنِيَّيَارٍ ، وَلَكِنْ نَزَعَ بَيْنَهُمُ الشَّيْطَانُ فِي الْآخِرِ ، وَجَرَى
بَيْنَهُمْ مِنَ الشَّرِّ مَا أَشْرْنَا إِلَى بَعْضِهِ فِي « الْأَصْلِ » .

حَصُونُ آلِ مَنِيَّيَارٍ (١)

وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ حَصُونِ آلِ جَعْفَرِ بْنِ بَدْرِ . وَيُقَالُ لِمَجْمُوعِهِمَا : حَضْنُ خُزَامِ .
وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي « الْأَصْلِ » أَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَاهُ : الشَّيْخُ سَعِيدُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَنِيَّيَارٍ ،
وَذَكَرْنَا جُمْلَةً مِنْ أَخْبَارِهِ ، وَأَنَّهُ كَانَ بِسَحِيلِ سَيْثُونَ فَأَنْتَقَلَ إِلَى الْحَصَنِ لَمَّا أَثَرَى ، وَكَانَ
فَقِيرًا مَمْلِقًا لَا يَمْلِكُ غَيْرَ أَثْنِي عَشَرَ رِيَالًا ، أَشْتَرَى بِهَا ثَوْرًا فِي حَلْفَةٍ ، فَشَكَا إِلَى
الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْعِيدَرُوسِ . . . فَدَعَا لَهُ ، فَأَبْتَعَ الثَّوْرَ فِي يَوْمِهِ بِأَرْبَعَةٍ وَعَشْرِينَ
رِيَالًا ، فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهَا وَنَمَتَ تِجَارَتُهُ كَمَا يَنْمُو الدُّودُ ، فَتَأَثَّلَ الْأَمْوَالُ الْكَثِيرَةُ .

(١) آل مَنِيَّيَارٍ : فَخِيزَةٌ مِنْ آلِ عَوْنٍ مِنْ آلِ كَثِيرِ الشَّنَافِرِ .

وكان آل منياري أهل نجد ، حتّى إنّه لا يقوم ليافع أحد من آل كثير سواهم ، فكانوا يحسبون لهم ألف حساب .

وإليهم وإلى آل عبد الله بن سعيد بن جعفر بن طالب كان مرجع آل كثير في عظيمات الأمور ، وكانوا كما قال الشريف الرضي [من الطويل] :

مَلِئُونَ فِي يَوْمِ الْقَضَاءِ إِذَا أُنْتُدُوا بِجَذَعِ الْقَضَايَا مِنْ أُنُوفِ الْمَظَالِمِ
وَإِنْ مُنِعُوا النِّصْفَ . . أَقْتَضَوْهُ وَأَفْضَلُوا عَلَى النِّصْفِ بِأَلْيَدِي الطَّوَالِ الْغَوَاشِمِ

وكان لهم حصن في نخيل سيئون في شمالها ، بنوه في أيام يافع بعكر البارود^(١) ، في الوقت الذي نهضوا فيه ببناء حصن العوانزه ، فال كثير ساعدوا العوامر على بناء حصن العوانزه ، والعوامر ساعدوا آل كثير في بناء حصن آل منياري المسمّى حصن العجوز ، وكانت يافع تمنعهم عن بنائه ، حتّى لقد أصلحوا اللّبن لبنائه ، فمرّ عليه أحد آل باعطوه وقال :

يَا أَلَمَدَزْ يَا أَلَمَدَزْ بَا تَبْتَنِي وَيْنِ عَادَكْ

تَبْتَنِي تَبْتَنِي مَالِينِ إِلَّا سَرَادَكْ

عَادَنَا أَنْفَعَكْ فِي مَضُوكْ وَلَا بَرَادَكْ

فهيج آل كثير بذلك ، فحالفوا العوامر ، وتمّ ما أرادوا .

وكان هذا الحصن بلاء على الدّولة الكثيرة ؛ إذ لا ينجم بينهم أدنى حادثٍ إلّا رابطوا فيه ، وأطلقوا الرّصاص منه على ضواحي سيئون وجانبها الغربيّ ، فأنقطعت الأسباب ، وتعطلت المعاش .

وكان السيّد حسين بن حامد حريصاً على محالفتهم ؛ لقبضهم بالمخنق في سيئون ، وما زال يكتائبهم ويخاطبهم في ذلك حتّى استقدمهم هم وآل جعفر بن بدر إلى المكلا ، وهناك تمّ الحلف بينهم ، وفي وثيقته المحرّرة بتاريخ (١٢) محرّم سنة (١٣٣٣ هـ) ، عاهد آل منياري وآل جعفر بن بدر على أنّهم عيال الدّولة وأولادها ،

(١) هي كلمة تقال لغرض الأمر بالقوة ؛ أي : ابتنوه على الرغم من يافع . . فهو مدح لهم بالشجاعة .

ومنهُ وإليه ، وأَرْضُهُمْ ومثاويهم أَرْضُ الدَّوْلَةِ ومثاويه ، وأَرْضُ الدَّوْلَةِ كذلك لَهُمْ المنافعُ مثلَ أَرْضِهِمْ ، وَهُمْ تبعَةٌ وسمعةٌ للدَّوْلَةِ القَعِيطِيَّةِ مثلَ أمثالِهِمْ مِنَ الحلفاءِ ، ولا يعتدُّونَ عن داعي الدَّوْلَةِ عندَ الحاجةِ ، والدَّوْلَةُ كذلك لَهُمْ مِنْهُ المنفعةُ ؛ بحيثُ يصلُ نفعُهُ قريبٌ أو بعيد .

وعليهم للدَّوْلَةِ أَنْ يقوموا حَسَبَ طاقتِهِمْ وقُدْرَتِهِمْ ، بكلِّ ما يَجْلِبُ للدَّوْلَةِ الصَّلَاحَ ويُبعدُ عنه الضَّرَرَ ، وكذلك الدَّوْلَةُ مِنْ جانِبِهِ .

وشلُّوا وبدُّوا بوجوهِهِمْ^(١) أَنْ كُلَّ ما يشومُ ويلومُ الدَّوْلَةَ ويعلِّقُ بوجهِهِ . فهو بوجهِهِمْ ، مِنْ حَالٍ ومالٍ ، وطارِفةٍ عسكريٍّ أو رعوِيٍّ ، أو غيرِهِما . يتعلَّقُ بالدَّوْلَةِ فعليهِمْ إذا علِموا بخلافٍ على الدَّوْلَةِ أَنْ يقوموا فيه حَسَبَ طاقتِهِمْ .

وقد كُتِبَ بَيْنَهُمْ وثرٌ بتاريخِ هذا الحلفِ على شروطِ عليهِم للدَّوْلَةِ ، وشروطِ لَهُمْ مِنَ الدَّوْلَةِ ، وأقرَّ المذكورونَ بالسَّيَادَةِ للدَّوْلَةِ القَعِيطِيَّةِ في الجِهَةِ الحَضْرَمِيَّةِ الجَمِيعِ ، وباللهِ أَلْعَمَادُ .

وعليه إمضاءُ السُّلْطَانِ غالِبِ بنِ عوضٍ ، وشهادةُ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ سَقَافٍ ، والسَّيِّدِ حَسَنِ بنِ حامِدٍ وغيرِهِمْ .

ولكنَّهُ لَمْ يَنْفُذْ مِنْهُ شَيْءٌ ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ حَسِينَ رَغِبَ فيما بعدَ ذَلِكَ إلى مَصَالِحَةِ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ ، وَلَمَّا تَمَّتْ . . اسْتَغْنَى بها عن حِلْفِهِمْ وحَلَفِ آلِ جَعْفَرِ بنِ بَدْرِ - الَّذِي لَمْ يَجْعَلْهُ إِلَّا تَمْهيداً لحَمْلِ الدَّوْلَةِ على المَصَالِحَةِ - وَلَكِنْ حَلَفَ الدَّوْلَتَيْنِ لا يَزَالُ على دَخَنِ إلى اليَوْمِ .

وبإِثْرِ جَلَاءِ عُبَيْدِ صَالِحِ بنِ عِدَاتٍ وَهَنَ جانبُ آلِ كَثِيرٍ ، وَاسْتَنْهَرَ فَتَقَهُمْ^(٢) ، وَأَنْهَارَ رَكْنَهُمْ ، فَتَوَسَّعَتْ مَمْلَكَةُ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ على حَسَابِ النُّفُوزِ الْإِنْكِلِيزِيِّ ، وَجَاءَهَا الْقَوْسُ بلا ثَمَنِ ، وَاسْتَوْلَتْ على حصنِ بئرِ العَجُوزِ صَفْوَاً عَفْوَاً ، وَجَرَى أخيراً على

(١) هذه من عبارات تلك المعاهدة ، وشلَّ فلان بوجهه ويدى ، أي : التزم بالعهد .

(٢) استنهر النهر : حفر لمجره موضعاً مكيناً ، واستنهر الفتق : كناية عن تأصله وتمكُّنه وتوسعه .

رئيس آل منياري - وهو الشَّابُّ الشَّهْمُ النَّشِيطُ مُحَمَّدُ عامر بن مُحَمَّد بن منياري - نوعٌ
مِنَ الضَّغَطِ بسيئون ، ثُمَّ سُويَتِ المسائلُ بالحسنِ .

وعددُ آل منياري اليومَ لا يزيدُ مع عبيدهم عن خمسةٍ وأربعينَ رجلاً .

تَريس (١)

هي مِن قدامى البلدانِ ، وَلَمْ يَذْكُرْها ياقوتُ ، وَلَمْ يَزِدِ الطَّيِّبُ بامخرمةَ على قولِهِ :
(تريس : قريةٌ مِن قرى حَضْرَمَوْتِ ، شرقيَّ محلَّةِ المشايخِ آلِ باعبادِ المعروفةِ
بالغُرْفَةِ ، ذَكَرَها القاضي مسعودُ) اهـ (٢)

وفي موضعٍ مِنْ « صِفَةِ حَزِيرَةِ الْعَرَبِ » لِلْهَمْدَانِيِّ [ص ٢٩٣] : (تريمٌ مِنْ ديارِ تميمِ ،
وتريسٌ بِحَضْرَمَوْتِ) اهـ

ولعلَّ تريساً فيهِ محَرَفَةٌ عن تريمٍ ؛ لِأَنَّهُ الْأَلِيقُ بِالسِّيَاقِ .

وفي « الْأَصْلِ » عن صاحبِ « معجمِ البلدانِ » عن « معجمِ البكريِّ » أَنَّها :
(سُمِّيَتْ بِأَسْمِ تريسٍ بنِ خوالي بنِ الصَّدْفِ بنِ مرتعِ الكنديِّ) اهـ

ثُمَّ رَأَيْتُ « معجمَ البكريِّ » فإذا النُّقْلُ صحيحٌ ، وفيهِ : أَنَّ لتريسَ أَخاً أَسْمُهُ
مَدِيسُ ، وما ذَكَرَهُ مِنْ سَبَبِ التَّسْمِيَةِ معقولٌ ؛ فَإِنْ أَغْلَبَ سُكَّانُهَا مِنْ أَعْقَابِ الصَّدْفِ ،
ففيها مَثَرُ المشايخِ آلِ باكثيرٍ ، وقد سبقَ في شِبابِ أَنَّ مِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بنِ أَحْمَدَ بنِ
مُحَمَّدٍ ، أَحَدُ أَصْحَابِ الْإِمَامِ الْبَخَارِيِّ .

ولكنَّهُ جَاءَ في « الضَّوِّءِ الْأَمْعِ » [١١/٥] للسَّخَاوِيِّ ذِكْرُ : عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَحْمَدَ باكثيرٍ
هَذَا ، وَقَالَ : إِنَّهُ أَخَذَ عَنْهُ ، فَتَبَيَّنَ بِهِ أَنَّ الْبَخَارِيَّ في « الْتَّاجِ » [٢١/١٤] مَصْحَفُ
تَصْحِيفاً مطبوعياً عَنِ السَّخَاوِيِّ ، وقد تَرَجَّمَ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ الْعِيدَرُوسُ في « الْنُورِ
السَّافِرِ » [١٧٨] لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَحْمَدَ باكثيرٍ هَذَا ، وَذَكَرَ أَنَّ وَفَاتَهُ سَنَةَ (٩٢٥ هـ) ،

(١) تبعد عن سيئون (٣) أميال إلى جهة الغرب .

(٢) نسبة البلدان (ق ٦٠) .

وولادته بحضرموت ، وطلبه للعلم بغيل باوزير . وكانت وفاة السخاوي بالمدينة
المشرقة سنة (٩٠٢هـ) .

ولا بأس بعلامة الدرك بعد الفوت أن تتمثل بقولهم : (إن ذهب عير . . فغير في
الرباط) ؛ لأنه إن فاتنا الشيخ عبد الله بن أحمد باكثر . . ففي أيدينا من هو أقدم وأولى
بالذكر منه وهو الشيخ عبد الله الحضرمي الذي كان يخطي ألفردق في أشعاره ، فهجاه
فخطأه في نفس هجائه . . جاء في « خزنة الأدب » [٢٣٧ / ١] بعد ذكره لذلك ما نصه :
(وعبد الله هذا هو عبد الله بن أبي إسحاق الزبدي الحضرمي ، قال الواحد في كتاب
« الإعراب في علم الإعراب » كان عبد الله من تلامذة عتبة بن سفيان ، وهو من تلامذة أبي
الأسود الدؤلي واضع النحو ، وليس في أصحاب عتبة مثل عبد الله . . . إلى أن قال :
وكان يقال : عبد الله أعلم أهل البصرة وأعقلهم ، وفرع النحو وقاسه ، وكان أبو عمرو بن
العلاء قد أخذ عنه النحو ، ومن أصحابه الذين أخذوا عنه النحو : عيسى بن عمر الثقفي ،
ويونس بن حبيب ، وأبو الخطاب الأخفش) اهـ

توفي سنة (١١٧هـ) ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة ، وصلى عليه بلال بن أبي
بردة ، وقد ذكرناه هنا عن غير كبير مناسبة ؛ لأن فيه تعزية عن باكثر . قال شبل :
وفي سنة (٩١٢هـ) توفي الفقيه القاضي شجاع الدين محمد بن أحمد باكثر في
سيئون ، ودُفن بها .

وفي سنة (٩١٣هـ) : توفي الرجل الصالح عتيق بن أحمد باكثر ، وهذا هو جد
آل بن عتيق أصحاب مدوده .

وقد ألف العلامة الجليل ، شيخنا الشيخ محمد بن محمد باكثر كتاباً سماه « لبنان
المشير إلى علماء وفضلاء آل باكثر »^(١) .

وممن بتريس منهم : الشيخ أبو بكر بن عمر ، عنده حظ وافر من الفقه ، قال الشيخ
علي بن عبد الرحيم : (ولم أعلم له مشاركة في غيره ، ولي قضاء شمام بعد والدي ،

(١) طبع هذا « لبنان » في حياة ابن المؤلف الشيخ عمر المتوفى سنة (١٤٠٥هـ) ، وقام بتحقيق الكتاب
السيد عبد الله الحبشي .

وولي قضاء الغرفة وقضاء هينن ، وإليه المرجع عند المنازعات بين الدرسية (اهـ)
قال الشيخ محمد باكير : (وكانت وفاته في حدود سنة ١٠٨٣ هـ)^(١) .

ومنهم : الشيخ عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله المعلم بن عمر بن قاضي
باكير^(٢) ، وإنما قيل لجدهم : (قاضي) ، ولم يكن به ؛ لأنه حضر نزاعاً في مشكل
فحلّه بفهمه ، ف قيل له : إنك لقاضي ، فلزمه ، تولى الشيخ عبد الرحيم القضاء ببور
نحواً من سنتين ، ثم حصلت عليه شدة من بعض الظلمة فعزل نفسه وعاد إلى بلده
تريس ، ثم طلبه السلطان لقضاء شبام ، ففعل وأقام سنتين وخمسة أشهر ، ثم تعصب
عليه الحساد فعزل ، وعاد إلى تريس ، وأشتغل بالمطالعة ، ثم تولى قضاء تريم في
سنة (١٠٩٤ هـ) .

وفي سنة (١٠٩٦ هـ) تنازع هو وآل تريم في قضية الهلال ، وردّ على جواب في
القضية للشيخ محمد بن عبد الله باعلي برسالة سماها : « المنهل الزلال في مسألة
الهلال » ، فوافقه السيّد علوي بن عبد الله باحسن - مع أنه كان من منابذيه - ، والشيخ
عبد الله بن محمد بن قطنة^(٣) ، والشيخ عبد الله قدرّي باشعيب .

وفيه يقول عبد الله قدرّي [من السّريع] :

فَتَرِيمُ قَاضِيهَا التَّرِيسِي غَدَا يَقُومُ الدِّينَ لِتَهْنَا تَرِي
فَبِالْحَرِي مِنْ بَعْدِ عُرِّي أَتَتْ تَرِيمُ تَزْهُو فِي ثِيَابِ الْحَرِي
وفي البيتين الاكتفاء^(٤) ، وأما حذف الهمزة من (تهنا) للجزم . . فكما جاء في

(١) « البنان » (٧٤) .

(٢) كان طلبه للعلم على يد والده ؛ إذ علمه القرآن العظيم ورباه ، وتفقه بالشيخ الفقيه النحوي عامر بن
أحمد بن طاهر الخولاني ، والشيخ علي بن حسين بامهير . ورحل إلى مكة المكرمة وطلب العلم على
الشيخ عبد الله بن أبي بكر القدري باشعيب وغيره .

(٣) هو الشيخ الفقيه عبد الله بن محمد بن عوض بن قطنة الشامي . كان عالماً فقيهاً ، له مصنفات ، عاصر
الإمام الحداد ، وله ذكر في « مناقبه » ، وكان معدوداً من أصحابه ، وله آثار علمية .

(٤) الاكتفاء من أبواب البديع ، وهو في قوله في البيتين : (تري) أي تريم ، و (الحري) أي (الحرير) ،
وتعريف الاكتفاء وما إلى ذلك يؤخذ من كتب البلاغة .

حديث توبة كعب بن مالك : « لَتُهَنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ »^(١) . وَلَمْ يُعَلِّمْ بِمَوْتِهِ وَلَا قَبْرِهِ^(٢) .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَاكْثِيرٍ^(٣) ، وَلَمْ يُعَلِّمْ وَقْتُ وَفَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُ مِنْ تَلَامِيذِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيِّ ، أَلْتَمَوْفَى بِالْحَسْبِ سَنَةَ (١٠٣٨ هـ) ، وَالسَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْجَفَرِيِّ مَوْلَى الْعَرْشَةِ ، أَلْتَمَوْفَى بِتَرِيسَ سَنَةَ (١٠٣٧ هـ) .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَثْمَانَ بَاكْثِيرٍ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي « مَجْمُوعِ الْأَجْدَادِ » .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بَاكْثِيرٍ ، تَوَفَّى بِتَرِيسَ^(٤) .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَاكْثِيرٍ^(٥) ، تَوَفَّى بِتَرِيسَ .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاكْثِيرٍ^(٦) ، لَهُ مَسْجِدٌ بِتَرِيسَ .

وَمِنْهُمْ : الْفَاضِلُ الْجَلِيلُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ قَاضِي ، وَلَدَ بِتَرِيسَ سَنَةَ (١٠٨١ هـ) ، لَهُ تَرْجُمَةٌ طَوِيلَةٌ بِلا ذِكْرِ وَقْتِ الْوَفَاةِ^(٧) وَقَدْ تَرْجَمَ لِنَفْسِهِ ، وَذَكَرَ جَمَاعَةً مِنْ آلِ بَاكْثِيرٍ ، وَمِنْهُمْ الشَّيْخُ عَبْدُ الصَّمَدِ بَاكْثِيرٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَعْلَامَةِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ مَسَاجِلَاتٌ شَعْرِيَّةٌ ؛ مِنْهَا أَنَّ عَبْدَ الصَّمَدِ أَرَّخَ مِيلَادَ السَّيِّدِ حَامِدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ بِأَبْيَاتٍ جَاءَ فِيهَا قَوْلُهُ :

(١) الحديث أخرجه البخاري (٤١٥٦) ، ومسلم (٢٧٦٩) بلفظ : (لَتُهَنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ) في حديث طويل وشيئ . فليراجع منهما . والله أعلم .

(٢) ترجمته في « البنان » : (٧٦-٨٠) ، ومن الآخذين عنه : السيد علوي باحسن ، والحبیب أحمد بن زين الحبشي .

(٣) « البنان » (ص ٨٠) .

(٤) ترجمته في « البنان » (٣٣-٣٥) .

(٥) ترجمته في « البنان » (٨٢) .

(٦) « البنان » (٨٥) .

(٧) في « البنان » (٩١-١١١) ، وفي النسخة المطبوعة التي نعزو إليها أن وفاته سنة (١١٤٥ هـ) ، فلعل المؤلف اطلع على نسخة خطية لم تكمل . وللشيخ علي مصنفات كثيرة ، تفوق العشرين مصنفاً .

وَقَدْ أَرَخْتُ مَوْلَدَهُ بِقَوْلِي : (شَرِيفٌ عَارِفٌ حَبْرٌ أَدِيبٌ)
= (٥٩٠) + (٣٥١) + (٢١٠) + (١٧)

سنة (١١٦٨ هـ)

فَأَجَابَهُ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بِقَصِيدَةٍ مِنْ بَحْرِهِ وَقَافِيَتِهِ .

وَمِنْهُمْ : صَاحِبُ التَّصَانِيفِ الْكَثِيرَةِ ، الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ عَمَرَ بْنِ قَاضِي^(١) ، تَوَفِّيَ
حَوَالِي سَنَةِ (١٢٣٠ هـ) .

وَمِنْهُمْ : الْخَطَّاطُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ^(٢) ،
تَوَفِّيَ بِتَرِيسَ سَنَةِ (١٢٤٧ هـ) . وَغَيْرُهُمْ .

وَمَرْجِعُ أَكْثَرِ آلِ بَاكثِيرٍ فِي النِّسَبِ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَيْسَى بْنِ سَلَمَةَ
الْكَنْدِيِّ^(٣) ، تَلْمِيزُ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعُمُودِيِّ الْمَتَوَفَّى بِقِيدُونِ سَنَةِ (٦٧١ هـ) .

وَقَالَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ الْمَتَوَفَّى سَنَةِ (٦٩٦ هـ) : (وَجَدْتُ بَنِي شَهَابٍ الَّذِينَ يُنْسَبُونَ
إِلَيْهِ هُوَ : مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْكَنْدِيُّ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْتَجَعَ مِنْ حَضْرَمَوْتِ ، وَسَكَنَ بِالْبِلَادِ
الشَّهَابِيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ صَنْعَاءَ ، وَلَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ : حَاجِبٌ وَعَطُوءٌ وَدَغْفَانٌ ، وَلِكُلِّ مِنْهُمْ
أَوْلَادٌ)^(٤) هـ .

وَلَكِنْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا هُوَ الْمَرَادُ ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ : (وَجَدْتُ بَنِي شَهَابٍ . . إلخ)
يَدُلُّ عَلَى تَقَدُّمِ زَمَانِهِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْ أَوْلَادِهِ مَنْ أَسْمُهُ أَحْمَدُ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ
مُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ الْمَذْكُورُ فِي كَلَامِ الْأَشْرَفِ هُوَ جَدُّ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَمَةَ الْمَذْكُورِ فِي نِسْبِ
آلِ بَاكثِيرٍ ، وَالْمَدَارُ فِي ذَلِكَ عَلَى النَّقْلِ ، فَعَسَى أَنْ يَوْجَدَ مَا يُوَافِقُ هَذَا .

(١) «البنان» (١٢٨-١٣٤) ، وتاريخ وفاته بسنة (١٢٣٠ هـ) يحل إشكالا سببه ما ذكره صاحب «تاريخ
الشعراء» من كون وفاته سنة (١٢١٠ هـ) ؛ لأن أحد أولاده وهو الشيخ عمر بن علي ولد سنة
(١٢١٢ هـ) . له مصنفات كثيرة .

(٢) «البنان» (١٣٤-١٣٦) .

(٣) ترجمته في «البنان» (١٣-١٤) .

(٤) «الطرفة» (١٢٥) ، وقد فصل فخاندهم فيما تلاها من الصفحات .

وفي تريس خاصة وحضر موت عامة كثير من آل باعطوة ، فيهم الشعراء والشعاذون ، فلا يبعد أن يكونوا من ذرية عطوة بن محمد بن سلمة جد بني شهاب^(١) ، بل إن الأمر قريب من بعضه جداً .

ومن أهل تريس : آل ابن حميد الصدفئون ، منهم : القاضي الفاضل ، الفقيه الصالح المؤرخ الشيخ : سالم بن محمد بن سالم بن حميد^(٢) ، توفي بتريس في حدود سنة (١٣١٤ هـ) عن عمر ناهز المئة ، قضاة في أعمال البر . وقد أحضرني والدي إليه ، فألبسني ، وأجازني ، وبارك علي .

أما السادة العلويون الذين بتريس . . فقد سبق منهم ذكر السيد عبد الرحمن الجفري ، وهو المعروف بصاحب العرش^(٣) ، ومن خط سيدي عبد الرحمن بن علي السقف : أن الأستاذ الحداد ذكر من أمر ونهى في القرون الماضية حتى وصل إلى ذكر القرن العاشر فذكر عن الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجفري صاحب تريس فقال : إنه كان قد طلب العلم وعمل وسلك ولقي المشايخ ، وكان إذا أمر ونهى . . لا يبالي بمن يأمره كائناً من كان ، وإنه رأى رجلاً في المسجد يقرأ القرآن وهو لا يحسن القراءة ، فبعد الصلاة سأل عنه؟ قال له رجل من أصحاب الدولة : إنه أثلج ، وهذا مقدوره . . فقال له : وأنت يوم تصلي ولا تطمئن يا فاعل يا تارك ، وبقي يصيح عليه حتى أنهزموا من المسجد ، وكان يكتب إلى بعض سلاطين الجهة : (إلى فلين ، مَرَدَمَ جهنم) اهـ

وقوله : فلين : تصغير فلان .

(١) « الطرف » (١٢٨) .

(٢) ولد بتريس سنة (١٢١٧ هـ) ، وهو مؤلف كتاب « العدة المفيدة من تواريخ قديمة وحديثة » في مجلدين وقد طبع بتحقيق السيد عبد الله الحبشي عام (١٤١١ هـ) عن مكتبة الإرشاد بصنعاء ، وقد استقى المؤلف منه كثيراً . ينظر المقدمة التي كتبها السيد عبد الله الحبشي (١ / ٥ - ١٩) .

وللفائدة . . قال بن حميد هؤلاء من كندة ، وهم غير آل حميد شراحيل سكان شبام والشحر . وغير آل باحميد سكان مدوده وسيئون ، وكلهم بضم الحاء وفتح الميم - تصغير حمد .

(٣) المتوفى سنة (١٠٣٧ هـ) ، ترجمته في « المشرع » (٢ / ٣٢٠ - ٣٢١) .

وقد كَانَ جَدُّهُ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ تَرِيس^(١) ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ عَمْرِ بْنِ سَالِمٍ^(٢) ، تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِشِبَام .

وعيدروسُ وعبدُ اللَّهِ ابْنَا أَحْمَدَ أَخِيَارٍ فَهَاءُ ، تَوَفَّى الْأَخِيرُ مِنْهُمَا بِتَرِيسَ سَنَةَ (١٢٦٤هـ) .

وَمِنْ ذُرِّيَّةِ شَيْخَانِ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّرِيسِيِّ^(٣) : أَلْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ عَلَوِيُّ بْنُ سَقَّافِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيدْرُوسِ بْنِ سَالِمِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخَانِ الْمَذْكُورِ ، وَهُوَ الشَّيْخُ الْخَامِسُ عَشَرَ مِنْ مَشَايِخِ سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ عِيدْرُوسِ بْنِ عَمْرِ^(٤) ، كَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ وَالرَّوَايَةِ ، مُتَفَنًّا ، وَلَهُ رِحَالٌ إِلَى الْيَمَنِ وَغَيْرِهَا .

وَكَانَ هُوَ وَسَيِّدِي الْجَدُّ مُحَسِّنُ بْنُ عَلَوِيٍّ أَخَصُّ تَلَامِيذِ سَيِّدِنَا الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ الْبَحْرِ ، وَكَانَ الْحَقُّ عِنْدَهُ فَوْقَ كُلِّ عَاطِفَةٍ ، مِنْ ذَلِكَ :

أَنَّ بَعْضَ الْوَهَّابِيَّةِ أَنْكَرَ عَلَى آلِ حَضْرَمَوْتَ جَعْلَهُمْ خَتَمَ الْمَجَالِسِ بِالْفَاتِحَةِ عَلَى الْكَيْفِيَّةِ الْمَعْلُومَةِ سُنَّةً مَطْرَدَةً ، مَعَ أَنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَى ذَلِكَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ سَيِّدُنَا طَاهِرُ بْنُ حُسَيْنِ بَرْدٌ خَرَجَ مَخْرَجَ الْخَطَابَةِ وَالْوَعظِ^(٥) ، فَنَقَضَهُ الْحَبِيبُ عَلَوِيُّ بْنُ سَقَّافِ الْجَفْرِيِّ هَذَا بِرِسَالَةٍ سَمَّاها « الدَّلَائِلُ الْوَاضِحَةُ فِي الرَّدِّ عَلَى رِسَالَةِ الْفَاتِحَةِ » ، تَرَجَمَ فِيهَا لِابْنِ تَيْمِيَّةَ ، وَتَلْمِيذِهِ ابْنِ الْقَيِّمِ ، وَلِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ الْمَشْهُورَةِ ، وَأُطْنَبَ فِي الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ .

(١) وهو الملقب بالتريسي ، وأخواله هم آل بادباه من قوم الشيخ عمر المتقدم ذكره في صDAC .

(٢) ذكره الحبيب عيدروس في « العقد » ، عاش في القرن الثالث عشر ، وهو من شيوخ العلامة علوي بن سقاف الجفري .

(٣) قال في « شمس الظهيرة » (٢ / ٤٢٤) : (وأما شيخان بن علوي بن عبد الله التريسي . . فعقبه آل الجفري بجأوة بسورابايا ، وقده ، وبهان ، والمدينة ، وتريس) اهـ ومنهم : آل الصافي الجفري بدوعن ومصوع وسواكن وعدن ، وغيرها .

وقوله : قدح وبهان ينطقان الآن (كده) و (فاهانغ) وهما في جمهورية ماليزيا حالياً .

(٤) ترجمته في « عقد البواقيت » : (٢ / ١٩-٢٤) .

(٥) وهو المسمى : « المقالة الواضحة » .

ولَمَّا أَطْلَعَ عَلَيْهَا الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنٍ . . كَتَبَ عَلَيْهَا بِحَظِّهِ : (علويُّ بنُ سَقَّافٍ يَقُولُ الْحَقُّ وَلَوْ كَانَ مُرًّا) !!

غَيْرَ أَنَّنِي تَحَيَّرْتُ زَمَانًا فِي الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ هَذَا الْمُقَرَّرِ ، أَهْوَ بَلْفَقِيهِ أَمِ ابْنُ طَاهِرٍ ؟ حَتَّى تَذَكَّرْتُ مَا جَاءَ فِي خَطِّ السَّقَّافِ الَّذِي سَيَّرَهُ لِلسَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ الْحَبَشِيِّ - حَسَبَمَا سَبَقَ فِي الْحَوَاطَةِ - مِنْ قَوْلِهِ : (وَأَذَعَنَ لِمَصْنُفِهِ مَنْ لَا يُحِبُّهُ) ، فَعَرَفْتُ أَنَّ الْمَرَادَ بَلْفَقِيهِ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي لَا يُحِبُّ مُؤَلَّفَ « الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ » ؛ لِاتِّسَاعِ شُقَّةِ الْخِلَافِ بَيْنَهُمَا فِي عِدَّةِ مَسَائِلَ فُرُوعِيَّةٍ ، تُبَوِّدُكَ بَيْنَهُمَا فِي بَعْضِهَا الرُّدُودُ الدَّلَّاعَةُ مِنَ الطَّرْفَيْنِ .

وَكَانَتْ « الدَّلَائِلُ الْوَاضِحَةُ » عِنْدِي . . فَاسْتَعَارَهَا مِنِّي الْفَاضِلُ الْأَدِيبُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَافُ ، ثُمَّ لَمْ يَزِدْهَا وَأَحَالَنِي إِلَى عَدَنَ بَعْدَةَ كِتَابِ قِيَاضَ عَنْهَا ، فَلَمْ تُدْفَعْ الْحَوَالَةُ ، وَأَخَافُ أَنْ يَكُونَ أَعْدَمَهَا ؛ فَإِنَّهُ بِخَوْفٍ شَدِيدٍ مِنْ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهَا الْإِرْشَادِيُّونَ فَيَجْمَعُوا مِنْهَا أَيْدِيَهُمْ عَلَى حُجَّةٍ ضِدَّ الْعُلَوِيِّينَ فَيَمَازُفُوهُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .

وَمِنْ هَذَا وَمِنْ أَخَذِ الْجَمَاعَةِ كُلِّهِمْ عَنِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهِنْدَوَانِ^(١) - وَهُوَ وَهَّابِيٌّ قَحٌّ - تَبَيَّنْتُ أَنَّ عِنْدَ مَوْلَانَا شَيْخِ الْوَادِي الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ مَسْحُوحَةً مِنْ تِلْكَ الْأَرَاءِ بَغَايَةَ الْأَعْتَدَالِ ؛ لِمَوَافَقَتِهَا لِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْأَسْتِغْرَاقِ فِي تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ ، وَعَدَمِ التَّفَاتِيهِ إِلَى غَيْرِ الْحَمِيدِ الْمَجِيدِ .

وَلَا يَشْكُلُ - عَلَى هَذَا مَا فِي « بَغِيَةِ الْمُسْتَرَشِدِينَ » عَنْ فَتَاوَى الْحَبِيبِ عَلَوِيِّ بْنِ سَقَّافِ الْجَفَرِيِّ هَذَا . . مِنْ جَوَازِ التَّوَسُّلِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَبِيعُ مِنْهُ مَا لَا يُؤْهِمُ الْقَدَحَ فِي التَّوْحِيدِ ، كَمَا لَا يُشْكُلُ مَا يَوْجَدُ فِي بَعْضِ مَكَاتِبَاتِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ بَلْفَقِيهِ - مَعَ تَوْهِيهِ - مِنَ الْإِنْكَارِ عَلَى بَعْضِ الْمُتَشَدِّدِينَ فِي ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْإِنْكَارَ إِنَّمَا كَانَ لِلتَّهْوُرِ وَفِرَطِ الْغُلُوِّ اللَّذِينَ أَشْتَطَّ فِيهِمَا الرَّجُلُ ، وَظَنِّي أَنَّهُ السَّيِّدُ جَعْفَرُ الْكَسَّافُ الَّذِي ذَكَرَ عَمَّا قَرِيبَ .

(١) المتوفى بترميم سنة (١٢٤٨هـ) ، وهو حفيد العلامة أحمد بن عمر الهندوان ، وله ذكر في « عقد اليواقيت » .

وقد قال أبو سليمان الخطابي - وهو أحمد بن محمد بن إبراهيم - [من الطويل] :
 وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَافْتَصِدْ كَلَّا طَرَفِي كُلِّ الْأُمُورِ ذِمِّمُ
 ومعاذ الله أن يخرج مولانا البخر ومن على طريقه عن حدّ الاعتدال ، ويقول بتكفير
 أحد من المسلمين ، إلا بعد ثبوت المكفر والإصرار عليه بعد الاستتابة ، وقد قال
 العلامة ابن تيمية في (ص ٢٥٨) من رده على البكري : (فلهذا كان أهل العلم
 والسنة لا يكفرون من خالفهم) اهـ

مع أن هؤلاء ينكرون إنكاراً شديداً على القبوريين وجهاً لهم - حسبما قاله لسان
 حالهم الشيخ عبد الله بن أحمد بأسودان في غير موضع من كتبه - ولم يكونوا في ذلك
 بمقلدين ، بل كما قال سيدي عبد الله بن حسين بلفقيه حين رمى كتاب غرامة : (نحن
 وهابيون من أيام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء بتكسير
 الأوثان ، والحنيفية البيضاء) .

ورأيْتُ للسيد محمد بن أحمد الأهدل سِياقةً توافق ما هم عليه ؛ منها : أن طلب
 التَّوَجُّهِ إلى الله في المهمات من الأولياء - مع اعتقاد براءتهم من الحول والقوة
 والاتصاف بالعبودية المحضة - جائز ، وهو معنى التَّوَشُّل . ولكنه لا يكون إلا عند
 ضعف اليقين ، والأولى للمؤمن القوي الإيمان أن لا يجعل بينه وبين الله واسطة ؛ فقد
 قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ .

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يستعين إلا بالصبر والصلاة ، ومتى حزبه
 أمر . . . فزع إلى الصلاة .

أمّا الأولياء . . . فإنهم - مع وجاهتهم وقرب دعائهم من القبول - ضِعْفُ فَقْرَاءِ
 لا يملكون لأنفسهم - فضلاً عن غيرهم - نفعاً ولا ضرراً ، ولا موتاً ولا حياةً
 ولا نشوراً . والمكفرات مقررّة حتّى في المتون ، والاستتابة واجبة ، والكلام في
 العلل والأسباب معروف ، والتَّوَشُّلات من جملة ذلك . . فلا حاجة إلى الشَّغْب فيما
 الاتفاق على أصله حاصل .

وذكر البرزالي وغيره أنَّ شيخ الصوفيَّة كريم الأبلِّي وأبن عطاء جاءا ومعهم جماعة نحو من خمس مئة يشكون إلى الدَّولة من تقيِّ الدِّين أبن تيمية . فعقد له مجلس قال فيه أن لا يُستغاث إلا بالله ، حتَّى لا يُستغاث بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - الاستغاثة بمعنى العبادة - ولكنه يُتوسَّل ويُشفَّع به إلى الله . فبعض الحاضرين قال : ليس في هذا شيء ، ورأى قاضي القضاة أنَّ فيه قلة أدب ؛ فالأمر لولا الحسد والمنافسات الحزبية . . أدنى إلى الوفاق .

وما أكثر ما يوجد التَّوسُّلُ في شعري بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أصلاً وبيقية الخمسة الأرواح تبعاً ، مع فرط تكيفي بما في السياق السابق من أنَّ التَّوسُّلُ به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس كغيره ، كما نقله أبن القيم وغيره عن أبن عبد السلام ؛ لحديث الأعمى ، وهو مروئي عند أحمد [١٣٨/٤] والبيهقي ، وأثر مزي [٣٥٧٨] ، والنسائي (في الكبرى ١٦٩/٦) ، وأبن ماجه [١٣٨٥] ، والحاكم [٧٠٧/١] ، وغيرهم .

وذكره أبن تيمية في « القاعدة الجلية في التَّوسُّلِ والوسيلة » ، ولم يقدر على تضعيفه بحال ، بل ولا على إنكار الزيادة المشهورة فيه عند الطبراني [طب ٣٠/٩] والبيهقي ، وقال في تلك الرسالة : (إذا كان التَّوسُّلُ بالإيمان بالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحبته جائزاً بلا نزاع . . فلم لا يحمل التَّوسُّلُ به على ذلك ، قيل : من أراد هذا المعنى . . فهو مصيب في ذلك بلا نزاع) اهـ

ومن هنا يكثر التَّوسُّلُ في أشعاري ، ويشتدُّ على القبوريين إنكاري ؛ لأنهم لا يقصدون ما أقصده ، وإنما يأتون بصريح الإشراك والجهل ، فالقرائن محكمة ، والعلاقات معتبرة ، والفروق بين الحقيقة والمجاز مرعية ، وكلا جانبي الإفراط والتفريط مردود .

ورأيت العلامة أبن تيمية في (ص ٢٥١) من رده على البكري يعذر الشيخ يحيى الصرصري الشاعرة المشهور في سؤال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته ما كان يُسأل فيه أيام حياته ؛ حيث يقول : (وهذا - مشيراً إلى التسوية ما بين المحيا والممات - ما علمته ينقل عن أحد من العلماء ، لكنّه موجود في كلام بعض الناس

مثل الشيخ يحيى الصرصري ؛ ففي شعره قطعة منه ، والشيخ محمد بن النعمان كان له كتاب « المستغيثين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليقظة والمنام » ، وهذا الرجل قد نقل منه فيما يغلب على ظني ، وهؤلاء لهم صلاح ودين ، ولكنهم ليسوا من أهل العلم (اهـ)

وحسبنا منه عذرهم ، وبه يتبين أن ابن تيمية لم يثبت في إنكاره الاستغاثة والتوسل على حال واحد ، بل يقول تارة : إنه شرك ، وأخرى : إنه بدعة ، والثالثة : إنه يعذر من فعله من أهل الدين والصلاح ، وكلامه الذي يوافق الجمهور أحب إلينا من كلامه الذي ينفرد به ، وقد قال الإمام علي بن أبي طالب في أمهات الأولاد قولاً غير الذي قاله بموافقة عمر ، فقال له قاضيه : رأيك مع عمر أحب إلينا من رأيك في الفرقة . وحسب ابن تيمية من منصفيه أن يقولوا هكذا . والله أعلم .

رأيت في « مجلة الفتح » أن أشد ما يتألم منه ملك الحجاز ونجد : أن يُشيع المرجفون عنه أو عن قومهم أنهم يكفرون المسلمين أو يخرجونهم عن دائرة الدين . . . إذن فنحن وإياهم من المتفقين ، وما ذكره العلامة ابن تيمية عن الصرصري موجود بكثرة عند أهل العلم ؛ كالحافظ ابن حجر ، وابن الزمكاني ، وابن دقيق العيد . . . وغيرهم ، وحسبنا بهم أسوة .

ورأيت ابن القيم في « الزاد » يعتبر كلام الصرصري في زمن ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ويعد قوله في شعره عنها من الأقوال التي تذكر ، ومعاذ الله أن يُثني العلامة السيّد علوي بن سقاف الجفري على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهو يعلم أنه يكفر أحداً من المسلمين بمجرد التوسل والاستغاثة القابلين الاحتمال ، وكان العلامة السيّد محمد بن إسماعيل الأمير أمتدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقصيدة تستهل بقوله :

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ فِي نَجْدٍ

ولما بلغه عن قوميه ما لا يرضاه من الغلو . . . أنشأ قصيدته المستهلة بقوله :

رَجَعْتُ عَنِ الْقَوْلِ الَّذِي قُلْتُ فِي النَّجْدِي

وقد مرَّ في ذي أصبح ما يعرفُ منه تعصُّبُ عبدِ اللهِ عوضِ غرامةَ لآراءِ الكُوهَابِيَّةِ ، وأنَّ الإمامَ البحرَ ينكرُ عليه جورَهُ بعباراتٍ قاسيةٍ تكادُ تشقُّقُ منها الحجارةُ ، حتَّى إنَّه لا يقولُ في كتبه إلَّاهُ عندما يثورُ عليه إلَّا : من حسنِ بنِ صالحِ البحرِ إلى عبدِ اللهِ عوضِ غرامةَ ، السَّلامُ على مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ . . . ثُمَّ يُصْعَبُ لَهُ الْقَوْلُ ، وَيَطِيلُ فِي وَعْظِهِ الْجَوَلِ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ رَأْيِهِ إنْكَارُ تَوْهِيهِ . . لما سَكَتَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، وَهُوَ لِسَانُ الدِّينِ النَّاطِقُ ، وَبِرْهَانُ الْحَقِّ الصَّادِقُ .

توفيَّ الْحَبِيبُ علويُّ بنُ سَقَّافِ الجفريِّ المذكورُ بتريس ، سَنَةَ (١٢٧٣ هـ)^(١) قُبِيلَ وفاةِ شيخِهِ الْبَحْرِ بِمَدَّةٍ يَسِيرَةٍ^(٢) .

وَحَلَفَهُ وَلَدُهُ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهُ سَالِمُ بنُ علويٍّ^(٣) ، وَكَانَ عَلَى قِضَاءِ تَرِيسَ ، وَجَرَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مَحَاوِرَاتٌ وَمَنَاقِضَاتٌ وَرِسَائِلٌ ؛ وَخَبِرُ ذَلِكَ أَنَّنِي لَمَّا عَدْتُ مِنْ جَاوَةِ مَشْبَعًا بِالْأَمَالِ فِي الْإِصْلَاحِ . . خَطَبْتُ فِي الْجَامِعِ فِي سَنَةِ (١٣٣٠ هـ) إِثْرَ الصَّلَاةِ وَدَعَوْتُ إِلَى التَّسَامُحِ وَالتَّصَالِحِ وَالتَّآلُفِ وَالْإِجْتِمَاعِ ، فَاسْتَأْنَتْ لَذَلِكَ طَائِفَةٌ بِاطْوِيحَ ، وَأَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِمِرْأَىٍّ وَمَسْمَعٍ مِنْ حَضْرَةِ السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيِّ ، وَرَبَّمَا فَهَمُوا مِنْ السِّيَاقِ تَعْرِضًا بِأَنْحِرَافِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ عَنْ سَبْرِ السَّلَفِ الطَّيِّبِينَ ، فَلَمْ أَشْعُرْ بَعْدَ مَدَّةٍ إِلَّا بِوَرَقَةٍ فِيهَا مَا يُشْبِهُ الرَّدَّ عَلَى بَعْضِ نِقَاطٍ مِنْ تِلْكَ الْخُطْبَةِ الَّتِي أَخْتَرَلَهَا بَعْضُ الطُّلَبَةِ^(٤) وَوَزَّعَ نَسْخًا مِنْهَا بَيْنَ النَّاسِ ، مَعَزُوةً تِلْكَ الْوَرَقَةَ إِلَى الْفَاضِلِ الْأَدِيبِ - الَّذِي أَخْلَصَ صِدَاقَتِي فِيهَا بَعْدَ - السَّيِّدِ عِيدروسِ بْنِ سَالِمِ بْنِ علويٍّ الْجَفَرِيِّ ، فَكَتَبْتُ رَدًّا عَلَيْهَا مِنْ لِسَانِ الْقَلَمِ عَزَوْتُهُ إِلَى غَيْرِي .

وبعدَ شهرٍ تقريباً وصلَّتني عدَّةُ أَوْرَاقٍ - نحوَ العَشْرِ - يُرَادُ مِنْهَا دَفْعُ ذَلِكَ الرَّدِّ ،

(١) كانت وفاته عصر يوم الخميس (١٦) ربيع الأول ، ودفن بكرة الجمعة ، وله ذكر في مواضع من « العدة » لابن حميد .

(٢) إذ وفاة الإمام البحر في ذي القعدة .

(٣) ولد السيد سالم بتريس سنة (١٢٦٥ هـ) ، ذكره السيد ضياء في « تعليقاته على شمس الظهيرة » (٤١١ / ٢) .

(٤) الذي كان يختزل خطب ابن عبيد الله هو تلميذه النجيب السيد محمد بن أحمد بن عمر بن يحيى فلعله هو .

فَنَقَضْتُهَا فِي بَضْعَةِ أَيَّامٍ بِرِسَالَةٍ ضَافِيَةٍ الْذِيُولِ ، سَمَّيْتُهَا بـ : « النَّجْمِ الدَّرِّيِّ فِي الرَّدِّ عَلَى السَّيِّدِ سَالِمِ الْجَفَرِيِّ » فَكَانَتْ الْقَاضِيَةُ - فِي أَخْبَارٍ طَوِيلَةٍ مُسْتَوَفَاةٍ بِـ « الْأَصْلِ » - فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ - أَعْنِي السَّيِّدَ سَالِمَ بْنِ عَلَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَّا أَنْ جَاءَنِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ ، وَصَارَحَنِي بِأَنَّهُ لَمْ يُرَاجِعْنِي الْقَوْلَ إِلَّا عَنْ إِيْعَازٍ قَوِيٍّ مِمَّنْ يَذُبُّ عَنْهُمْ ، وَأَنَّهُ مُكْرَهُ لَا بَطْلٌ ، وَأَنَّ الصَّوَابَ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ « النَّجْمِ الدَّرِّيِّ » فَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَأَكْبَرَتْهُ وَأَعْظَمْتُ طِيبَ نَيْسِهِ ، وَسَلَامَةَ صَدْرِهِ ، إِلَى ذَلِكَ الْحَدِّ الَّذِي يَصْعَبُ مِثْلُهُ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ ، وَقَلِيلٍ مَا هُمْ .

وَمِنْ الْعَجَبِ الْعَجِيبِ أَنَّ كَلَامَ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ سَالِمِ بْنِ عَلَوِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي دِفَاعِهِ عَنْ صَاحِبِهِ كَانَ مُخَالَفًا عَلَى طَوْلِ الْخَطِّ لِمَا قَرَّرَهُ أَبُوهُ فِي « الدَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ » وَهِيَ مُوجُودَةٌ عِنْدَهُ ، وَالْحَقُّ فِيهَا أَعْظَمُ وَأَوْضَحُ مِمَّا هُوَ فِي « النَّجْمِ » ، وَمَا وَقَعْتُ عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ يَدِ وَلَدِهِ الْفَاضِلِ السَّيِّدِ عِيدَرُوسَ ، وَلَوْ كَانَتْ عِنْدِي مِنْ قَبْلُ . . لَكَانَتْ الْحُجَّةُ أَدْمَغَ وَالْعِبَارَةُ أَبْلَغَ ، وَيَقِينِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى ذِكْرِ مِنْهَا حِينَ كَتَبَ مَا كَتَبَ ، تَوْفِي رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٣٦ هـ) .

وَحَلَفْتُ عَلَى الْقَضَاءِ وَالتَّدْرِيسِ بِتَرِيسَ وَلَدُهُ الْعَالِمُ الْجَلِيلُ ، وَالْفَاضِلُ النَّبِيلُ عِيدَرُوسُ^(١) ، وَكَانَ أَدِيبًا شَاعِرًا ، جَمِيلَ الْوَجْهِ ، نَظِيفَ الثَّوْبِ ، حَسَنَ الشَّارَةِ ، كَبِيرَ أَلْهَمَةٍ ، لَمْ تَضَعْ الْأَعَادِي قَدْرَ شَأْنِهِ وَقَتْمَا كَانَ عَلَى الْقَضَاءِ ، وَلَكِنَّهُ أَرَادَ مَا أَرَادَهُ أَطْعَرَانِي فِي قَوْلِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

(١) السيد العلامة الرحالة عیدروس بن سالم ، ولد بتريس في (١٥) شعبان (١٣٠٩ هـ) ، وتوفي ببلدة فالو بجزيرة سولاويسي بجاوة يوم الإثنين (١٢) شوال (١٣٨٩ هـ) .

وهو مؤسس مدارس الخيرات منذ عام (١٣٣٩ هـ) ، ولهذه المدارس فروع بلغت إلى (٧٠٠) فرع في أنحاء إندونيسيا ، بها ألوف الطلبة ، تشمل : مدارس رياض الأطفال ، ومدارس المعلمين ، ومدارس تربية المعلمين . . بنيت بمجهودات الأهالي وإرشادات السيد عیدروس ، وقد جعلت لها أوقاف ، وتأتيها تبرعات من أهل الخير . ثم أقامت في (١٣٨٤ هـ) مؤسسة الخيرات جامعة إسلامية تشمل (٣) كليات : الآداب ، والتربية ، والشرعية .

ترجم له عارف قدره ومعاصره السيد ضياء شهاب في « التعليقات » : (٢ / ٤١٢ - ٤١٣) ، ونشرت خبر موته الصحف الإندونيسية وكتب فيه المقالات .

أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ لِلْعَلَا قِبَلِي
 فطوّحت به الأسفارُ إلى جاوة من حدودِ سنة (١٣٤٢هـ) إلى اليوم^(١) ، نسألُ اللهَ
 أنْ يقضيَ لنا ولَهُ الحاجاتِ ، ويُفَرِّجَ الكرباتِ ، ويَجْمَعنا به في الأوطانِ على أرغدِ
 عيشٍ وأنعمِ بالٍ .

أما دولةُ تريس : فقد كانت لآلِ ثعلبٍ ، ومن صلحائهم : السلطانُ عمرُ بنُ
 سليمانَ بنِ ثعلبٍ أثنى عليه الشيخُ محمدُ بنُ عمرَ باجمال في كتابه « مقالُ الناصحين »
 [ص ١٩٦] وقال : (كانت له أحوالٌ محمودَةٌ ، وشفقةٌ على الرعيةِ صالحةٌ ، وتفقدٌ لهم
 تامٌ ، وكان يقتني من البهائمِ وآلاتِ الحرثِ لرعاياه مثل ما يعدهُ لنفسه ، ويبدلُ ذلكَ
 لهم ، وكان يتفقدُ أهلَ الفقرِ والحاجةِ منهم ، فيواسيهم ويحسنُ إليهم ، ويصلحُ بينَ
 المتخاصمينَ ، ويتحملُ في ذلكَ الأثقالَ الكثيرةَ) اهـ

ومعَ هذا . . فقد كان الشيخُ عمرُ بنُ عبدِ اللهِ بامخرمة يُغري به سلاطينَ آلِ كثيرٍ
 ويهيجُهم عليه ، إلا أنَّ الشيخَ من أهلِ الأحوالِ الَّذِينَ لا يُقتدى بهم .
 ولمَّا تلاشى ملكُ آلِ ثعلبٍ . . صاروا سُوقَةً وتجاراً بالغرفةِ وغيرها ، حسبما مرّت
 الإشارةُ فيها إليه .

ثمَّ استولت يافعٌ على تريس ، وكانَ عليها منهم : الأميرُ صالحُ بنُ ناصرِ بنِ
 نقيبٍ ، يُعَشِّرُها وما حوالياها إلى مكانِ آلِ مهري ، لا يقدِرُ أحدٌ من آلِ كثيرٍ أنْ يعترضهُ
 في شيءٍ ، معَ أنَّ عسكره قليلٌ جدًّا ، غيرَ أنَّه كانَ شجاعاً مُهاباً ، وكانَ ولدهُ عبدُ اللهِ
 جَمْرَةَ حَرْبٍ ، متورداً على حياضِ القتلِ والضَّرْبِ .

وفي جمادى الآخرةِ مِنْ سَنَةِ (١٢٦٤هـ) : نازلهم آلُ عبدِ اللهِ الكثيريُون بأشرافِ
 القِبْلةِ^(٢) وغيرهم بعدَ أنْ فرغوا من آلِ الظُّبَيِّ بسيئون .

وبعدَ حصارٍ دامَ سبعينَ يوماً . . سلَّمت تريسُ ، وتمَّ الصُّلحُ ، وكانَ جلاءُ آلِ ابنِ

(١) لعل سفره كان حدود (١٣٣٧هـ) بُعِيد وفاة والده . . كما ذكر السيد ضياء .

(٢) ولكن في العرف الخاص بالحضارمة : يراد بأرض القبلة بلاد الجوف وبيحان ، وهي من بعد شبام
 والقطن كما تقدم ذكرها في الكتاب .

نقيب إلى القطن حَسَبَمَا هُوَ مَفْصَّلٌ بِـ «الأصل» ، وتلك الأيامُ نداولُها بينَ الناسِ ^(١) .
وعلى ذكر بيت الطُّغْرَائِي السَّابِقِ : بلغني أَنَّ بعضَ بني شيبَةَ أَعْتَزَمَ السَّفَرَ فجاءَ
لموادعةِ الشَّريفِ ، فقالَ لَهُ : فيمَ ؟ قالَ : أريدُ .

فلم يصل دَارَهُ إلا وقد سبقَهُ ألف دينارٍ له إليه مِنَ الشَّريفِ ، أَرَادَ الشَّريفُ قولَ
الطُّغْرَائِي [مِنَ البسيط] :

فِيمَ أَفْتَحَا مُكَ لُجَّ الْبَحْرِ تَرْكَبُهُ وَأَنْتَ تَكْفِيكَ مِنْهُ مَصَّةُ الْوَشَلِ ؟ ^(٢)
وَأَرَادَ الرَّجُلُ ذَلِكَ الْبَيْتَ السَّابِقَ ذَكَرَهُ مِنْ نَفْسِ الْقَصِيدَةِ .

رحمةُ اللهِ على أهلِ الجودِ ، ووا أسفا إِذْ قد تَضَمَّنَتْهُمُ اللَّحُودُ ، واللهِ دُرُّ الرِّضَى في
قولِهِ [في «ديوانهِ» ١/ ٦٦٥ مِنْ الطُّويل] :

وَهَلْ تَدَّعِي حِفْظَ الْمَكَارِمِ عُضْبَةٌ لِسَامٍ وَمِثْلِي بَيْنَهَا أَلْيَوْمَ ضَائِعُ
نَعَمْ لَسْتُمْ الْأَيْدِي الطَّوَالُ فَعَاوَنُوا عَلَى قَدْرِكُمْ قَدْ تُسْتَعَانُ الْأَصَابِعُ
وللشُعراءِ في معنى الْأَوَّلِ مجالٌ واسعٌ ، ذَكَرْنَا مِنْهُ في «الْعُودِ الْهِنْدِيِّ» ما شاءَ اللهُ
أَنْ نَذْكُرَ .

السَّوْمُ ^(٣)

مَوْضِعٌ في شَرْقِيّ تَرِيسَ ، فِيهِ نَخِيلٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ بِهِ مَسْجِدٌ صَغِيرٌ لِلسَّيِّدِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَفْرِيِّ ، مَوْلَى الْعَرْشَةِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي تَرِيسَ وَغَيْرِهَا .

وَكَانَ مَكْمَنًا لِقَطَاعِ الطَّرِيقِ ، ثُمَّ أَحَبَّهُ السَّيِّدُ الْإِمَامُ عَمْرُ بْنُ سَقَّافٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِ

(١) تنظر أخبار آل النقيب وحصارهم لـ (تريس) مفصلةً تفصيلاً دقيقاً في «العدة» (١/ ٣٧٤) وما بعدها .

(٢) الْوَشَلُ : الماءُ القليل الذي يخرج من الصَّخْرِ قليلاً قليلاً .

(٣) أصل إطلاق كلمة السوم على الفواصل الطينية الواقعة بين الجروب - المزارع - وهي مرتفعة نوعاً ما ، يصعد عليها صعوداً . وأطلق فيما بعد على هذا الموضع ، وعلى مواضع أخرى بحضرموت .

السَّقَافُ^(١) وأكثر من التَّرْدُدِ إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَبْتَنَى بِهِ دَاراً وَعَمَرَ ذَلِكَ الْمَسْجِدَ ، وَزَادَ فِيهِ زَاوِيَةً ، فَعَادَ مَوْثِلاً لِكُلِّ شَارِدٍ ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ حَلَّ بِهِ بِكَرُ عَطَارِدِ^(٢) ؟

أَغَرُّ أَبْلَجُ تَأْتُمُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلِمَ فِي رَأْسِهِ نَارُ^(٣) لَهُ مَنَاقِبُ كَثِيرَةٌ ، وَفَضَائِلُ شَهِيرَةٌ ، وَقَدْ تَرَجَّمَهُ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ سُمَيْرٍ - السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي ذِي أَصْبَحٍ - بِكِتَابِ سَمَاءُ : « الْمَنْهَلُ الْعَذْبُ الصَّافِ »^(٤) ، جَمَعَ فِيهِ وَأَوْعَى ، وَمَعَ ذَلِكَ فَسَيِّدُنَا عَمْرُ بْنُ سَقَافٍ حَقِيقٌ بِقَوْلِ شَاعِرٍ « الْخَرِيدَةُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

قَدْ حَلَّ فِي مَذْرَجِ الْعُلَيَاءِ مَرْتَبَةً مَطَامِحُ الشُّهْبِ عَنْ غَايَاتِهَا تَقِفُ
أَغْرَى بِوَصْفِ مَعَالِيهِ الْوَرَى شَغَفَا لَكِنَّهُ وَالْمَعَالِي فَوْقَ مَا وَصَفُوا
وَفِي كَلَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ : (أَنَّهُ - أَعْنَى الْحَبِيبِ عَمْرُ بْنُ سَقَافٍ - يَقُولُ كُلَّمَا قَامَ أَوْ قَعَدَ : « اللَّهُ ، لَا شَرِيكَ مَعَ اللَّهِ » ؛ لِأَنَّ الْأَكَابِرَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِخَالِصِ التَّوْحِيدِ) اهـ

وفيه تأكيد لما أسلفناه عما قريب .

تَوَفَّى سَنَةَ (١٢١٦ هـ) وَلَهُ عِدَّةٌ تَأْلِيفٍ ، وَأَشْعَارٌ بَعْضُهَا جَيِّدٌ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لَدَيْنَا حَادٍ ثَقِيلُ رُوحٍ أَمْلَنِي بِتَكَرُّرِ قَصِيدَةٍ مِنْ أَدَائِهِ يَتَوَاجَدُ عَلَيْهَا حَتَّى أَضْجَرَنِي وَصَرَفَنِي عَنْهُ جَمَلَةً ، وَكُنْتُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

إِذَا أَنْصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ إِلَيْهِ بِوَجْهِ آخِرِ الدَّهْرِ تُقْبَلُ

(١) الحبيب عمر بن سقاف (١١٥٤-١٢١٦ هـ) : ولد بسيئون ، وتربى على يد أبيه الإمام ، وجده لأمه الحبيب علي بن عبد الله السقاف ، قرأ القرآن وهو ابن أربع سنوات ، وحفظه وهو ابن ست ، ومناقبه فخيمة ، وأحواله جسيمة . ينظر : « التلخيص الشافي » (٥٨-٦٢) .

(٢) البكر : أول أولاد المرأة . عطار : نجم من النجوم السيارة . وهذا كناية عن التفرّد .

(٣) البيت من البسيط ، وهو للخنساء في « ديوانها » (٢٣٠) . الأغرّ : المشهور . الأبلج : الأبيض الوجه . تأتم : تقتدي . الهداة : الأدلاء ، الذين يهتدى بهم في الأمور والشرف . العلم : الجبل المرتفع .

(٤) واسمه كاملاً : « المنهل العذب الصاف في مناقب الحبيب عمر بن سقاف » .

وَحَلَفَهُ عَلَى عِمَارَةِ مَسْجِدِهِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَى مَكَانِهِ بِالسَّوْمِ الَّذِي سَمَّاهُ الطَّائِفَ . . وَلَدُهُ الْجَلِيلُ الْمَقْدَارِ نَوْرُ الدِّينِ حَسَنُ بْنُ عَمْرِ^(١) ، وَابْتَنَى بِهِ دَارَيْنِ زَائِدَيْنِ عَلَى الدَّارِ الَّذِي بَنَاهُ وَالِدُهُ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٢٣٥هـ) ، وَحَلَفَهُ وَلَدُهُ الْعَالِمُ الْعَابِدُ عَبْدُ الْقَادِرِ^(٢) ، أَلْمَتَوْفَى سَنَةَ (١٢٩٦هـ) ، ثُمَّ وَلَدُهُ الْعَلَامَةُ النَّاسِكُ مُحَمَّدٌ ، أَلْمَتَوْفَى سَنَةَ (١٣٠٥هـ)^(٣) ، ثُمَّ وَلَدُهُ الْقَانِتُ أَلْمَتَوَاضِعُ سَالِمٌ^(٤) ، وَقَدْ عَمَّرَ بِهِ دَاراً وَاسِعَةً فِي سَنَةِ (١٣١١هـ) ، إِلَّا أَنَّهَا آلَانَ تَرِيدُ أَنْ تَنْقُضَ ، فَنَسَّأَلُ اللَّهَ أَنْ يُقِيمَهَا ، وَأَنْ يُدِيمَ مَنَازِلَنَا عَامِرَةً بِالْعِلْمِ وَيُدِيمَهَا ، تَوَفَّى فِي سَنَةِ (١٣٥٧هـ) ، عَنْ جَمَلَةٍ أَوْلَادٍ مِنْهُمْ : عِيدَرُوسٌ ، شَاعِرٌ فَقِيهٌ ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ ، أَبِي غِيُورٌ .

الْقَرَيْن^(٥)

هِيَ حَوْطَةُ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ الشَّرِيفِ ، أَلْغَانِي عَنِ الْوَصْفِ وَالتَّعْرِيفِ ، أَلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الصَّادِقِ الْجَفْرِيِّ^(٦) ، أَحَدِ مَشَايِخِ الْحَبِيبِ عَمَرَ بْنِ سَقَّافٍ ، لَهُ فِي التَّقْوَى وَالْعِبَادَةِ وَالتَّوَاضُعِ أَحْوَالٌ عَجِيبَةٌ .

قَالَ سَيِّدِي حَسَنُ بْنُ سَقَّافٍ بْنِ مُحَمَّدٍ فِي مَنَاقِبِهِ لَوْلَا إِلَهُ لَمَّا ذَكَرَ سَيِّدِي حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ الْجَفْرِيِّ الْمَذْكُورَ : وَأَسْتَوِطَنْ مَكَاناً نَجْدِيَّ تَرِيسَ يُسَمَّى : الْقَرَيْنَ ، ضَعِيفَ الْبَقْعَةِ وَالنَّخْلَةِ ، وَلَكِنَّ الْحَبِيبَ كَانَ قَانِعاً ، وَقَدْ أَخَذَهُ مَعَ خُلُوفِ يَدِهِ بِقِيَمَةٍ حَقِيرَةٍ وَبَنَى فِيهِ - بِالتَّدرِيجِ - بَيْتاً ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ (١١٧١هـ) ، وَدُفِنَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ لِأَخٍ لَهُ

(١) المولود سنة (١١٧٥هـ) ، والمتوفى سنة (١٢٣٥هـ) .

(٢) وكان مولده سنة (١٢٢٥هـ) ، ترجم له الحبيب أحمد بن عبد الرحمن في « الأملاني » ، والسيد علوي في « التلخيص » (٧٤-٧٣) .

(٣) وكان مولده سنة (١٢٥١هـ) . « التلخيص » (٧٤) .

(٤) ولد بسيتون سنة (١٢٨٣هـ) ، وتوفي سنة (١٣٥٧هـ) ، ترجمته في « التلخيص » (٧٥) .

(٥) القرين هذا . . هو غير بلدة القرين المارة في دوعن .

(٦) هو الحسن بن علي الصادق بن الهادي بن عبد الرحمن مولى العرشة ، أخبره في « العدة » (٣٠٤/١) ، ومواضع أخرى .

مَجْدُوبٌ : مَا تَرَى فِي الْقَرْنَيْنِ؟ فَقَالَ : هُوَ قَرْنٌ مَا زَالَ حَسَنٌ فِيهِ ، فَأَحَبُّ أَنْ لَا يَزَالَ فِيهِ ؛ لِكَلَامِ أَخِيهِ .

وَلَا يَزَالُ أَعْقَابُهُ بِهَا يَعْمُرُونَ مَسْجِدَهُ وَيُكْرِمُونَ وَارِدَهُ ، إِلَّا أَنَّهُمْ قَلُّوا ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ بِالْقَرْنَيْنِ إِلَّا سَوَى أَرْبَعَةِ رِجَالٍ ، وَهِيَ فِي شِمَالِ السَّوْمِ إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ قَلِيلًا ، وَحَوْلَ إِلَيْهَا نَخِيلٌ كَثِيرٌ .

وَفِي شِمَالِهَا إِلَى شَرْقٍ : حُصُونٌ آلِ حُضَيْنٍ مِنْ آلِ كَثِيرٍ ، لَا يَوْجَدُ بِهَا إِلَّا الْآنَ مِنْ الرِّجَالِ إِلَّا الْقَلِيلُ .

شُحُوحٌ

هُوَ وَادٍ وَاسِعٌ عَنْ يَسَارِ الْأَذَاهِبِ مِنْ سَيْثُونَ غَرْبًا إِلَى تَرِيسَ ، أَخَذَ فِي الْجَنُوبِ ، يَدْفَعُ فِيهِ وَادِيَانِ عَظِيمَانِ :

يُقَالُ لِغَرِيبَيْهِمَا : شُحُوحُ ابْنِ ثَعْلَبَ ، نَسَبُهُ إِلَى أُمَرَاءِ تَرِيسَ السَّابِقِ ذَكَرَهُمْ .

وَلِشَرْقِيَّيْهِمَا : شُحُوحُ ابْنِ يَمَانِيٍّ ، نَسَبُهُ إِلَى مَسْعُودِ بْنِ يَمَانِيٍّ ^(١) ؛ لِأَنَّ نَهْدًا ثَارَتْ وَحُلَفَاؤُهَا عَلَى عَمْرِ بْنِ مَهْدِيٍّ أَحَدِ أُمَرَاءِ الرَّسُولِيِّينَ مَوَالِي الْأَيُّوبِيِّينَ فِي سَنَةِ (٦٢١ هـ) ^(٢) ، فَقَتَلُوهُ فِي وَادِي شُحُوحٍ هَذَا ، ثُمَّ أَنْدَفَعُوا فِي ثَوَرَتِهِمْ إِلَى تَرِيسَ ، وَأَسْتَوْلُوا عَلَى جَمِيعِ بِلْدَانِ حَضْرَمَوْتِ ، غَيْرَ أَنَّ مَسْعُودَ بْنَ يَمَانِيٍّ هَذَا أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا صَاغِرِينَ ، وَأَسْتَقَالَ مِنْهُمْ فِي نَفْسِ الْعَامِ جَمِيعَ بِلْدَانِ حَضْرَمَوْتِ ، كَمَا قَالَ كُثَيْبٌ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٢٠٥ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

فَمَا تَرَكَوْهَا عَنُودَةً عَنْ مَوْدَّةٍ وَلَكِنْ بَحْدًا الْمَشْرِفِيِّ اسْتَقَالَهَا ^(٣)

(١) تَوَفَّى مَسْعُودُ بْنُ يَمَانِيٍّ سَنَةَ (٦٤٨ هـ) . « شَنْبَل » (٩٤) .

(٢) « شَنْبَل » (٨١) .

(٣) الْعَنُودَةُ : مِنَ الْأَضْدَادِ فَيَكُونُ بِمَعْنَى : الْقَهْرُ وَالْغَضَبُ . أَوْ الطَّوَاعِيَةُ وَالْمَوْدَّةُ . وَالْمَقْصُودُ هُنَا الثَّانِي . الْمَشْرِفِيُّ : السَّيْفُ . اسْتَقَالَ : اسْتَعَاثَ أَوْ اسْتَبَدَلَ .

وقد ذكرتُ هذا ألبيتَ بـ «الأصل» ، ووازنتُ بينَهُ وبينَ نظرائهِ في المعنى ،
فلتُكشِف منه .

وكانَ ذلكَ بدءَ أمرِ مسعودٍ ، وقد أبقيَ على ابنِ ثعلبٍ فلمَ يتعرَّضْ لَهُ بسوءٍ - وكأنَّهُ
ساعدهُ على نهْدٍ - فبقيتَ في يدهِ تريسُ ، ثمَّ في أعقابِهِ مِن بعدهِ ، وكذلكَ بقيَ لهم
وادي شحوحَ الغربيُّ ، وأمَّا وادي شحوحَ الشرقيُّ . . فصارَ إلى ابنِ يمانِي ، فأطلقَ
عليه : شحوحُ ابنِ يمانِي ، كذا سمعتهُ مِن بعضِ المعمرينَ .

مدودة^(١)

هي في سفحِ الجبلِ الشِّماليِّ عن سيئون . وهي مِن البلادِ القديمةِ ، ذكرها ابنُ
الحائكِ الهمدانيُّ ، إلاَّ أنَّه أخطأ في ترتيبِ موقعِها كما هو شأنُهُ في كثيرٍ مِنَ البلدانِ^(٢) .
وفي «الأصل» عنِ الشَّيخِ سالمِ بنِ أحمدَ باحميدٍ : أنَّ الشَّيخَ أحمدَ بنَ الجعدِ
اجتمعَ فيها هوَ والشَّيخُ عبدُ اللهِ القديمُ عبَّادَ المتوفَّى سَنَةَ (٦٨٧هـ) .

وفي «المُشرع»^(٣) (ص ٤٣٥ ج ٢) : أن برهانَ الدِّينِ بنَ عبدِ الكبيرِ بنِ عبدِ اللهِ
باحميدٍ اشترى مدوده - وهي قريةٌ خربةٌ - مِن السُّلطانِ بدرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ
الكثيريِّ ، المتوفَّى سَنَةَ (٨٩٤هـ) ، وأنَّه بناها وحفرَ بها بئراً فمنعَهُ آلُ كثيرٍ ، فقامتِ
الحربُ بينهم ، وحملَ آلُ باحميدٍ السُّلاحَ ودخلوا في حربِ آلِ يمانِيِّ بأسفلِ
حَضْرَمَوْتَ .

ولمَ يذكُرْ صاحبُ «المُشرع» تاريخَ الشُّراءِ ، ولكنَّهُ كانَ قَبْلَ سَنَةِ (٨٨٦هـ) قطعاً .
ثمَّ إنَّ الشَّيخَ برهانَ الدِّينِ وهبها لوالدهِ عبدِ الكبيرِ^(٤) المقبورِ في الشُّبَيْكَةِ مِن مَكَّةَ

(١) وهي مسقط رأس آل باحميد ، وهي غير مدودة بالراء موضع بالكسر ، سبق ذكره .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٦٩) .

(٣) في ترجمة السيد عبد الله بن محمد صاحب الشبيكة القديم ، المتوفى سنة (٨٨٦هـ) بمكة .

(٢/ ٤٣٥-٤٣٦) .

(٤) الشيخ عبد الكبير هذا كان من أكابر أهل القرن التاسع ، له ترجمة في «الضوء اللامع» ، و«الدر =

المشرفة ، فوقفها ، وقد أشكل شراؤها مع أنها كانت معمورة في أيام الشيخ عبد الله القديم ، وما بالعهد من قدم حتى يقال : إنها خربت وجهل ملائكتها فعادت من الأموال الضائعة فسأغ للسلطان بيعها ، ولبرهان الذين شراؤها . . فالإشكال قوي .

لكن الجواب حاصل بأن الخراب كثيراً ما يتكرر على قرى حضرموت كما وقع في الحسيّة والعر وغيرهما .

ومتى حصل الخراب . . تبعه الجهل بالملأك سريعاً في الغالب ؛ لأن شملهم يفرق وأموارهم تمزق ، فلا تبقى لهم بقايا معروفة ، بل يشملهم الأندثار والخبول .

وليس في اجتماع ابن الجعد والقديم ما يدل على سلامتها من الخراب إذ ذاك ؛ ألا ترى إلى مريمه الشرقية فإنها خاوية على عروشها منذ زمان طويل ؟

وليس بالمستنكر أن يتعد جماعة للاجتماع في أطلال أحد مساجدها لشأن من الشؤون . ومثل هذا كافٍ لدفع الإشكال .

وجاء في حوادث سنة (٩١٦ هـ) من « تاريخ سنبل » وغيره : أن عمر بن عامر الشنفرى سلطان آل عبد العزيز الشنافر أخذ مدوده من أحمد بن بدر بخيانة من راميتها .

= المكين ذيل العقد الثمين للفاسي « للبدر ابن فهد المكي (خ) ، و « خبايا الزوايا » للعجمي (٤٥) (خ) ، و « الجامع » لبامطرف باختصار .

وملخص ترجمته : أنه الشيخ عبد الكبير بن عبد الكبير بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله باحميد ، المتهى نسبه إلى أبي حميد الأنصاري الصحابي ، ولد بحضرموت حوالي سنة (٧٩٤ هـ) ، وتوفي بمكة سنة (٨٦٩ هـ) ، أخذ عن الإمام الشيخ عبد الرحمن السقاف - ت (٨١٩ هـ) - وصحب أولاده : عمر المحضار ، والشيخ أبا بكر السكران ، وحسن ، وصحب الشيخ عبد الرحيم باوزير وابنه أحمد ، وساح في البلدان ، واجتمع بعدد من الصالحين كالشيخ الصديق بن إسماعيل الجبرتي بزييد . حج سنة (٨٢١ هـ) ، وزار سنة (٨٢٧ هـ) ، ثم عاد إلى بلده ، ثم عاد إلى مكة ، وخرج إلى حضرموت مرة أخرى حدود سنة (٨٥٠ هـ) ، وعاد إلى مكة سنة (٨٥٢ هـ) ، ثم انقطع بها إلى وفاته .

أخذ عنه عدد من الأكابر ؛ كالحافظين السيوطي والسخاوي ، ولبسا منه خرقة آل باعلوي ، وأيضاً لقيه الشيخ أحمد بن عبد القادر بن عقبة الشامي وأخذ عنه ، وجمع ابن ظهيرة القرشي في مناقبه كتاباً سماه : « نشر العبير في ترجمة الشيخ عبد الكبير » ، وتوفي بمكة ودفن بالشبيكة .

وَأَنَّ تَبِيعَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ هَجَمَ عَلَى مَدُودِهِ ، وَحَصَرَهَا شَهْرَيْنِ حَتَّى صَالَحَهُ
ابْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ .

وَأَنَّ آلَ كَثِيرٍ أَثَارُوا الْحَرْبَ عَلَى مَدُودِهِ وَهِيَ فِي أَيْدِي الشَّنَافِرِ آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
وَأَضْرَبُوا بِنَخِيلِهَا .

وَأَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ سُلْطَانَ سَارَ مِنْ تَرِيمٍ هَاجِماً عَلَى آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِمَدُودِهِ ،
وَأَحْرَقَ بِهَا نَخْلاً كَثِيراً^(١) .

وَذَكَرَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٩١٨ هـ) أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ بَدْرٍ أَخَذَ مَدُودَهُ مِنْ عُبُودِ بْنِ عَامِرٍ
الشَّنْفَرِيِّ^(٢) . هَذَا آخِرُ كَلَامِ شَنْبَلٍ ، وَفِي هَذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ آلَ كَثِيرٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّنَافِرِ ،
وَقَدْ مَرَّ فِي الْقَارَةِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ .

وَسَبَقَ قُبَيْلَ الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْكِتَابِ : أَنَّ الشَّنَافِرَ لَقِبُ فِرْقَةٍ مِنْ آلِ كَثِيرٍ بِظَفَارٍ
فَقَطْ ، فَلْيَكُنْ مِنَ النَّظَرِ عَلَى بَالٍ .

وَأَلْ بِأَحْمَدِ ثَلَاثَ فِرَقٍ : آلُ نَادِرٍ ، وَآلُ فَرَجٍ ، وَآلُ عَوْضٍ ، وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ،
وَأَوْفَرُهُمْ حِظًّا مِنَ الشَّيْطَانَةِ ، وَالْاعْتِمَادِ عَلَى حَمَلَةِ السِّلَاحِ مِنَ الْقَبَائِلِ : آلُ عَوْضٍ ،
وَلِذَا أَحْتَالَ جَدُّنا عَلَوِيُّ بْنُ سَقَّافٍ فِي إِصْلَاحِهِمْ بِمَدَاوِلَةِ الْمَنْصِبَةِ مُسَانَهَةً^(٣) فِيمَا
بَيْنَهُمْ .

وَفِي « مَجْمُوعِ الْجَدِّ طَلَهَ بْنِ عَمَرَ » : أَنَّ لَا أَكْبَرَ بِخَضِرَ مَوْتَ مِنْ مَنْصِبِ آلِ بِأَحْمَدِ
وَمَنْصِبِ بَاعِبَادٍ .

وَمَثَرَى آلِ بِأَحْمَدِ فِي مَدُودِهِ ، وَفِيهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ^(٤) ؛ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ
الصَّالِحُ الْكَبِيرُ الشَّهِيرُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ ، أَلْمُتَوَفَّى بِمَدُودِهِ فِي سَنَةِ (٩٦٨ هـ) .

(١) « شَنْبَل » (٢٤٦-٢٤٢) . وَهَذَا الْخَبَرُ الْأَخِيرُ أَوْرَدَهُ شَنْبَلُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٩١٧ هـ) .

(٢) « شَنْبَل » (٢٤٩) ، فِي حَوَادِثِ (٩١٧ هـ) .

(٣) أَي : سَنَةً بَسَنَةً ، وَهَذَا مَعْرُوفٌ عَنْهُمْ .

(٤) وَمِنْ قَدَمَاءِ آلِ بِأَحْمَدِ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ بِأَحْمَدِ ، كَانَ مُعَاصِراً لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلُوِي . ذَكَرَهُ فِي
« الْمَشْرِعِ » وَأَوْرَدَ لَهُ قِصَّةَ فِيهِ ، وَوَفَاةَ الشَّيْخِ بِاعْلُوِي سَنَةَ (٧٣١ هـ) .

ومن متأخريهم : الصالح الكبير ، صاحب الفراسة الصادقة ، الشيخ أحمد بن طه باحميد ، كان ضريراً ، ولكنه يخط ويدخل الخيط في الإبرة عن مشاهدة بعيني ! وكان والدي يحبه كثيراً ، وكان كثير الدعاء لي والاعتناء بي ، توفي بمدوده بعد الثلاثين والثلاث مئة وألف .

ومنهم : الشيخ سالم بن أحمد باحميد ، له مؤلفات كثيرة ، وكان عابداً متبتلاً ، حصوراً تقياً ورعاً ، توفي بمدوده سنة (١٣٤٥ هـ)^(١) ، وكان مولعاً بمحبة الفضل السيد حسين بن عبد الله عديد ، كثير الثناء عليه ، حتى لقد أوصى بأن يقبر إلى قريب من داره ومسجده اللذين أبتناهما بمدوده ، فأختار جواره على مجاورة الشيخ عبد الله بن ياسين .

وكان السيد حسين بن عبد الله عديد^(٢) هذا أنتقل من سيئون بعد وفاة السيد علي بن محمد الحبشي ، والناس يتعاملون بأنه ورث حاله ، ولم تطب له سيئون فبارحها وسكن مدوده وأبتنى بها داراً ومسجداً - حسبما قدّمنا - ولم يزل موثلاً الضيفان والوافدين ، وأمره غريب ، وحاله عجيب ، ونفقاته طائلة ، وله كلام من جنس ما يتكلم به مؤرثه في الحال : العلامة السيد علي الحبشي ، إلا أن شعره أخط من شعر ذلك ؛ لأن بضاعته في علم العربية مزجاة ،^(٣) بخلاف السيد علي ، وله رحلات إلى عدن وإلى الحجاز ، وله واجهة ، ولاسيما لدى أهل دوعن وبعض حضارمة عدن والحبشة وغيرهم ، وإنهم لمشكورون على معرفتهم بقدرة وقيامهم بحقه ، وإعانتهم له على المروءة والضيافة .

ولما كثرت الفتن بمدوده ، ولاسيما بين آل منياري وآل جعفر بن بدر ، بسبب أن

(١) ترجم له السيد محمد بن حسن عديد في « ثبته » ، ووفاته في (٢٨) جمادى الآخرة من العام المذكور .

(٢) ولد بمدودة ، وأخواله من آل باحميد ، تربي عندهم يتيماً ، ثم لما كبر . . أنت به والدته إلى الحبيب علي الحبشي ، ومكث عنده في بيته طويلاً . . وقد كان مشهوراً ببناء المساجد ، رمم وبنى الكثير منها ، توفي بمدودة سنة (١٣٨٨ هـ) ، وابنه السيد علي مقيم بمكة المكرمة .

(٣) مزجاة : قليلة .

الْأَوَّلِينَ أَخْفَرُوا ذِمَّةَ الْآخَرِينَ ، فَلَمْ يَتَّقِنُوا وَلَمْ يَنَامُوا عَنْ ثَارٍ ، بَلْ غَسَلُوا بِالنَّجِيعِ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ أَلْعَارِ . . فتكدر من جزاء ذلك ، وأبتنى داراً واسعةً بسفح جبل عفاك غربي مدينة سيئون ، قريباً من القارة التي كانت عليها حصون آل الشيخ علي بن حسين بن هريرة السابق ذكرهم في عرض مسرور ، وهي معمورة ألفناء بالقاصدين ، مملوءة ألجفان للواردين .

وفي مدوده جماعة من آل باسلامه . وجماعة من آل ابن عتيق ، جدُّهم : الشيخ عيسى بن سلمة بن عيسى بن سلمة ، أخي الشيخ محمد بن سلمة جد آل كثير . فيهم كثير من الصالحين .

ولو لم يكن لهم من الفساق إلا عدو الله عبد الرحمن بن عبد الله بن عتيق ، وزير الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات . . لكفى ؛ فلقد ذكر عنه المحبي والعصامي وغيرهما ما تكاد تنشق له الأرض ، وتخر الجبال هداً^(١) .

وفي مدوده جماعة من آل بامطرف يحترفون بشطف الحضر وزنايل الخريف المسماة - في عرف الحضارم - بالخبر ، وأصلهم - كآل الغيل وآل القطن - من الصَّيعر . وفيها جماعة من آل حاتم يرجع نسبهم إلى الصَّيعر ، لا إلى العلماء الذين كانوا في تريم^(٢) .

(١) ولد ابن عتيق هذا بمكة ، وأمه بنت المشايخ آل ظهيرة ، وخاله هو العلامة الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة الحنفي ، تولى الوزارة بعد سنة (١٠٠٣هـ) ، وعاث في مكة فساداً ؛ إذ تسلط على الشريف حسن أمير مكة ، وصار هو الذي يصدر الأوامر ، وأكل أموال الناس ظلماً ، وكان إذا مات أحد من الحجاج . . أخذ ماله وحجبه عن الورثة ، وهرب من مكة بعض سكانها خوفاً من ظلمه ، ولما ولي أبو طالب بن الحسن سنة (١٠١٠هـ) . . استدعاه فأقر بكل ما عمله فحبسه ، فقتل نفسه بجنية ، فأخذه الشريف ورمى به في حفرة في طريق جدة ، ولم يغسل ولم يكفن ، ورموا عليه الحجارة وقيل فيه :

أشقى النفوس الباغية ابن عتيق الطاغية
نار الجحيم استعودت منه وقالت ما لي
لما أتى تاريخه (أجب لظى والهاريه)

ذكره القطبي في « وقائع مكة » ، والمحيي في « الخلاصة » (٣٦١-٣٦٢) ، وقد ذكر أنه كان يصرح بقوله : الشرع ما نريده ، فباع أمهات الأولاد وألغى الوصايا والأحكام .

(٢) وكان منهم جماعة في شبام ثم عادوا أدراجهم إلى مدوده .

وفي غربي مدوده : حِصْنُ خُزَام - كما سبق - لآلِ مِنياري ، وقد كانَ بينَهُ وبينَ مدوده فضاءً رحبٌ لكن عُمَرَ بِالْبُيُوتِ فَأَتَصَلَ بِمدوده .

وفي جنوبها : ديارُ آلِ شَمْلان ، لا يزيدُ الموجودونَ مِنْ رجالِهِم بِحَضَرِ مَوْتٍ عن سِتَّةِ نَفَرٍ .

وفي شرقِها : مكانُ آلِ الصُّقَيْرِ^(١) ، وَهُم قَبائِلُ تَغَلَّبَ عَلَيْهِمُ الْبَسَاطَةُ وسلامةُ الصَّدْرِ ، فهم من أبعدِ آلٍ كثيرٍ عن التَّنَطُّعِ والتَّحْدَلِ ، وأقربِهِم إلى سَوَاقِ الطَّبِيعَةِ كانَ مِنْهُمْ : الشَّيْخُ سَعِيدُ عامِرٍ ، رجلٌ طَيِّبٌ . وخَلَفَهُ ولَدُهُ عامِرُ بْنُ سَعِيدٍ على مِثْلِ حالِهِ ، وكانت لَهُم شِدَّةٌ تَحَلَّبَ مِنْهَا آلُ سَيْثُونَ الْكُمَرِّ في سَنَةِ (١٣١٨هـ) ، ولا يزيدُ عددُ الموجودينَ بديارِهِم هُناكَ الآنَ عن أربعينَ رَجُلًا .

ولَهُم باديةٌ بنجدِ آلٍ كثيرٍ لا يزيدُ عددُهُم عن ثلاثينَ رامياً ، وكانَ على رِئاستِهِم رجلٌ لَهُ مِروءَةٌ وشِجَاعَةٌ ، يُقالُ لَهُ : الُورِيقَةُ ، مِنْ مِروءَتِهِ أَنَّ أَحَدَ عبيدِ آلِ مِنياري حَسَمَ^(٢) آلَ الصُّقَيْرِ ، فأَصَبَحُوا على آلِ مِنياري ، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامَةَ مِنْ آلِ الصُّقَيْرِ ، وكانت أَعْرَافُهُم تَقْضِي بِأَنْغَسَالِ الْعَارِ بِهِ ، وَلَكِنَّ آلَ الصُّقَيْرِ جَدُّوا في طَلَبِ ثأرِهِ ، وبينا هُم كامنونَ في الحِميراتِ . . أَقبلَ عائِظُ بْنُ صالِحٍ بنِ مِنياري في عَبيدٍ لَهُ ، فَأَرادَ آلُ الصُّقَيْرِ إِطلاقَ الرِّصاصِ عَلَيْهِ . . فكَفَّهُمُ الُورِيقَةُ وقالَ : مِثْلُ عائِظِ بنِ صالِحٍ لا يُقتلُ ، فتعمى بِقتلِهِ جَهةً حَتَّى قَتَلُوا بَعْدَ مَدَّةٍ واحِداً آخَرَ مِنْ آلِ مِنياري يُقالُ لَهُ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بنِ سالِمِينَ ، فَأَدْرَكُوا بِهِ ثأرَهُم .

وفي شرقي مدوده أيضاً : ديارُ آلِ عليِّ بنِ سَعِيدٍ ، وكُلُّهُم مِنْ آلٍ كثيرٍ ، إِلَّا أَنَّ الْأَخِيرِينَ مِنْ قَبِيلَةِ آلِ عامِرٍ ، وعددُ الموجودينَ مِنْهُمْ الْيَوْمَ بديارِهِم قليلٌ .

(١) من فخاذ آل كثير ، ويوجد آل الصقير أيضاً في وادي جردان ، ولكنهم من قبيلة النمارة من بني هلال المقحفي » .

(٢) حشم : عامية بمعنى : خفر ذمتهم .

سَيْتُون^(١)

زنه : زيدون ، بعضهم يكتبها بواو واحدة ، وبعضهم بواوين ، والقاعدة : أَنَّ ما كثر استعماله وأشتهر وفيه واوان . . يكتب بواحدة فقط ، كداود .

وقد قلت في « منظومة » أنشأتها في « عِلْمُ الْخَطِّ » [مِنَ الرَّجَزِ] :

مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ وَفِيهِ وَآوٌ وَاحِدٌ يَكْفِيهِ

وهي مِنَ الْبُلْدَانِ الْقَدِيمَةِ ، نقلَ الشَّيْخُ الْمُورِّخُ سَالِمُ بْنُ حَمِيدٍ : أَنَّ سَيْتُونَ ، وتريم ، وشبام ، وتريس أبناءَ حَضْرَمَوْتْ ، وَأَنَّ هَذِهِ الْبِلَادَ سَمَّيَتْ بِأَسْمَائِهِمْ .

وقد ذكرها أَلْهَمْدَانِيُّ فِي « صِفَةِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » [١٧٠] إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ بِأَسْمِهَا ، بَلْ قَالَ : (وَشَزَنُ وَذُو أَصْبَحَ مَدِينَتَانِ فِي دَوْعِنَ) اهـ

وقد أَسْتَشْكَلْتُ هَذَا رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ^(٢) حَتَّى فَرَّجَ اللَّهُ عَنِّي بِمَا رَأَيْتُهُ مَنْقُولًا عَنْ أَبِي شَكِيلٍ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَشْعَرِيِّ^(٣) مِنْ قَوْلِهِ : (وَذِي أَصْبَحَ وَسَيْتُونَ مَدِينَتَانِ عَظِيمَتَانِ لِبَنِي مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ) ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى قِدَمِهِمَا .

فَقَوْلُ الْهَمْدَانِيِّ : (شَزَن) . . إِمَّا غَلَطَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَرْضَ بَعْدَهُ التَّبْدِيلُ ، لَكِنْ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ سَيْتُونَ مَنْعُطَةٌ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي هِيَ بِحَضِيضِهِ أَنْعَطَافَ الْأَلَامِ . وَالْأَنْعَطَافُ مِنَ الْأَنْحِرَافِ هُوَ الشَّزَنُ بِنَفْسِهِ ، قَالَ أَبُو أَحْمَرَ [مِنَ الْوَافِرِ] :

أَلَا لَيْتَ الْمَنَازِلَ قَدْ بَلَيْنَا فَلَا يَرْمِيَنَّ عَنْ شَزَنِ حَزِينَا

(١) أكبر بلدان وادي حضرموت ، وهي الآن عاصمة المحافظة ، تبعد عن شبام شرقاً نحو (١٨ كم) ، وعن تريم غرباً نحو (٣٤ كم) .

(٢) الرَّدْحُ مِنَ الزَّمَنِ : المدة الطويلة منه .

(٣) تقدم ذكره في مواضع من الكتاب ، وهو : العلامة الفقيه النحوي اللغوي أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ، من أعلام المئة السادسة . أخذ عن الفقيه عمارة اليميني المؤرخ ، وسكن بلدة القرطب ، ولم تعلم وفاته ، له مؤلفات مفيدة . ينظر : « مصادر الفكر الإسلامي » (٤٥٣) ، « هجر العلم » (١٦٨٤) ، « طبقات فقهاء اليمن » (١٨٤) ، « السلوك » (٣٨٠ / ٢) ، « بغية السوعة » (٣٥٦ / ١) ، « تاريخ عمارة » (٣٨) .

ولعلَّ سيئون في القديم كانت كحالها اليوم في الانعطافِ على جيلها .
وأما قوله : (بدوعن) .. فخطأً ظاهرٌ لا يحتملُ التأويلَ ، ولهذا تركهُ أبو سُكَيْلٍ .
وقد يُغَيَّرُ على قَدَمِ سيئون شيان :

أحدهما : أَنَّهُ لا ذِكْرَ لَهَا في الحوادثِ القديمة ، وأوَّلُ ما يحضرنِي مِنْ ذِكْرِهَا فيها
أَنَّ نَهْدًا أَقْسَمَتِ الْكَرِيرَ في (سَنَةِ ٦٠١ هـ) فصارت سيئون وحبوظة لبني سعدٍ
وظبيان .

وثانيهما : أَنَّ الجامعَ الأوَّلَ بسيئون كَانَ صغيراً لا يَتَّسِعُ لِمَتْنِي نَفْسٍ تقريباً ، ومع
ذلك فالَّذِي بناه هُوَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلْمَةَ بَاكْشِيرَ ، وهو
متأخِّرُ الزَّمَانِ ، لَمْ يَمُتْ كما في « أَلْبَنَانِ الْمَشِيرِ » [ص ٢٥] إِلَّا في حدودِ سَنَةِ (٩٢٠ هـ)
وله قِصَّةٌ مع سَيِّدِنَا الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ الْعَدْنِيِّ أَبْنِ سَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ لَمَّا أَجْتَازَ
بسيئونَ ، وقد كانت وفاةُ الْعَدْنِيِّ في سَنَةِ (٩١٤ هـ) .

ولكنَّ الْجَوَابَ يَحْصُلُ عن ذينكَ الْأَمْرَيْنِ ، ممَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُؤَرِّخُونَ ؛ كَشَبِلٍ
وبإسراحيل وغيرهما : أَنَّ سيئون خَرِبَتْ في سَنَةِ (٥٩٥ هـ) فَتَحَصَّلَ أَنَّهَا كَانَتْ مَدِينَةً
عَظِيمَةً لبني معاويةَ الْأَكْرَمِينَ مِنْ كِنْدَةَ ، ثُمَّ خَرِبَتْ حَتَّى لَمْ تَكُنْ شَيْئاً مذكوراً ، ثُمَّ
عادت شيئاً مذكوراً حَتَّى دَخَلَتْ في قِسْمَةِ نَهْدِ سَنَةِ (٦٠١ هـ) ، إِنْ لَمْ تَوُلْ بِأَرْبَاضِهَا .

ثُمَّ كَانَتْ في أَيَّامِ الْعِيدَرُوسِ ^(١) الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٨٦٥ هـ) قَرْيَةً ، كما يُعْرَفُ مِنْ قَوْلِ
السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبِ الْحَمَاءِ في تَرْجَمَتِهِ لِلْعِيدَرُوسِ عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَلِيٍّ بِاسْلَامَةٍ ، وَكَانَ مِنَ الثَّقَاتِ : (إِنَّ الْعِيدَرُوسَ جَاءَ إِلَى عِنْدِهِ بِمَرْيَمَةَ ، فَكَلَّفَ عَلَيْهِ
أَنْ يَذْهَبَ إِلَى سيئون - وهي قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى حَضْرَمَوْتَ - لِيُشْفَعَ إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ
الْجَعْفَرِيِّ نَائِبِ بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَيْهَا فِي إِطْلَاقِ عَلِيٍّ بِاحَارْثَةَ ، فَلَمْ يَقْبَلْ
شَفَاعَتَهُ) اهـ

(١) أي : الأكبر ، والد العدني المتقدم .

بل سبق في شِباب عن الجد طلة ما يفهم منه أنها لم تكن في أيامه إلا قرية ، مع أنه متأخر التاريخ .

وأخبرني السيّد عمر بن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن سقاف عن والده : (أن سيئون أسم امرأة كان لها عريش في جانب سيئون الغربي ، المسمّى اليوم بالسّحيل ، يمرّ عليها أبناء السّبيل المنقطعون ، فسُميت بأسمها البلاد) .

وقد يجمع بينه وبين بعض ما تقدّم بأن أسم سيئون الأوّل إنّما هو شزن - حسبما مرّ عن الهمداني - ثمّ خربت ، وكانت المرأة المسماة سيئون أوّل من اتخذت عريشاً في أطلالها الدائرة . . فغلب عليها أسمها .

وحديثي السيّد المؤرّخ الراوية محمّد بن عقيل بن يحيى : أن سيئون أسم يهودي محرف عن صهيون ، وقد كان مثرى اليهود بسيئون . وصهيون كنيسة بيت المقدس ، وإليها يشير الأعشى في مديحه لأساقفة نجران بقوله [في «ديوانه» ٢٤٣ من الطويل] :

وَإِنْ أَجْلَبَتْ صِهْيُونُ يَوْمًا عَلَيْكُمَا فَإِنَّ رَحَا الْحَزْبِ الدَّكُوكِ رَحَاكُمَا^(١)
وفي (ص ٣٠٩ ج ٥) من «صبح الأعشى» : (إنّ صهيون بيعة^(٢) قديمة البناء بالإسكندرية ، معظمة عند النصارى) .

وقبله من تلك الصّفحة - في الكلام على بطارقة الإسكندرية الذين تنشأ عن ولايتهم مملكة الحبشة - : (إنّ الملك الأكبر الحاكم على جميع أقطارهم يُسمّى بلغتهم : (الخطي) ومعناه : السّلطان ، وهو لقب لكلّ من قام عليهم ملكاً كبيراً . ويقال : إنّ تحت يده تسعة وتسعين ملكاً ، وهو تمام المئة . وإنّ الملك الكبير في زمن صاحب «مسالك الأبصار» يقال له : عمّد سيئون ، ومعناه : ركن صهيون) اهـ
وهو كالصّريح في أنّ سيئون وصهيون شيء واحد .

ورأيت في بعض الصّحف أنّ اليهود قدّموا عريضة على يد أحد زعمائهم للسّلطان

(١) «معجم البلدان» (٤٣٦/٣) . الحرب الدّكوك : المدّرة .

(٢) البيعة : متعب النصارى ، جمعها : بيعّ ، ذكرت في القرآن الكريم .

عبد الحميد رحمه الله يُسترحمونه في أن يُعَيِّنَ قطعةً مِنْ فِلَسْطِينَ لِسُكْنَى الْيَهُودِ الَّذِينَ قَتَلَهُمُ الضَّغَطُ فِي رُوسِيَا وَإِسْبَانِيَا ، وفيها ما صورتهُ : إِنَّ جَمِيعَةَ سَيُثُونِ الَّتِي تَشَكَّلَتْ فِي صَهْيُونَ بَعْدَ الْإِيلَادِ بِمِئَةِ وَخَمْسَةِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً قَدْ أَخْتَارَتْنِي لِلْمَثُولِ بَيْنَ يَدَيْكُمْ ؛ لِأَقْدَمَ لَكُمْ هَذِهِ الْإِعْرِيضَةَ . وَتَسْتَرْحِمُ الْجَمِيعَةَ الْيَهُودِيَّةَ مِنْ صَاحِبِ الْجَلَالَةِ الْتَكْرَمَ بِتَخْصِيصِ الْقِطْعَةِ الْفِلَانِيَّةِ - وَحَدَّهَا - لِإِسْكَانِ الْيَهُودِ .

وَنَظَرَا لَمَّا أَتَا بَخَزِينَةُ الدَّوْلَةِ مِنَ الضَّائِقَةِ الْمَالِيَّةِ مِنْ جَرَاءِ الْحَرْبِ الْيُونَانِيَّةِ . . فَإِنَّ الْجَمِيعَةَ تُقَدِّمُ بِوَاسِطَتِي عِشْرِينَ مِليونَ لِيرَةٍ ذَهَباً لِصَنْدُوقِ الْبَخَزِينَةِ عَلَى سَبِيلِ الْقَرْضِ لِمُدَّةٍ غَيْرِ مَعِيْنَةٍ بِدُونِ فَائِدَةٍ ، وَخَمْسَةَ مِلايينَ لِيرَةٍ ذَهَباً إِلَى بَخَزِينَتِكُمْ الْخَاصَّةِ ، لِقَاءِ مَا تَكْرَمْتُمْ بِهِ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَأَسْتَرْحِمُ قَبُولَ هَذَا الْإِعْرَضِ .

فَلَمْ يَكُنْ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَّا أَنْ أَسْتَشَاطَ غَضَباً وَطَرَدَهُ ، وَلَكِنْ جَمِيعَةَ الْإِتِّحَادِ وَالْتَرَفِيِّ جَعَلَتْ ذَلِكَ الزَّعِيمَ الْيَهُودِيَّ عَلَى رَأْسِ الْهَيْئَةِ الَّتِي جَاءَتْ لِتَبْلِيغِ السُّلْطَانِ خَلْعَهُ عَنِ الْعَرْشِ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الْيَهُودِيَّ كَانَ مِنْ مُؤَسَّسِي تِلْكَ الْجَمِيعَةِ !! وَكَانَ نَائِباً عَنْ سِبْلَانِيكُ فِي مَجْلِسِ الْمَبْعُوثَانِ . اهـ

وَمِنْهُ تَعْرِفُ أَنَّ سَيُثُونَ أَسْمُ لِلْجَمِيعَةِ الَّتِي أَلْفَتْ ، أَوْ لِلَّذِينَ أَلْفَوْهَا ، أَوْ لِلْمَكَانِ الَّذِي أَلْفَتْ فِيهِ .

وَقَدْ مَلَأَ الْعَرَبُ الْيَوْمَ الدُّنْيَا ضَجِيجاً بِشَأْنِ فِلَسْطِينَ ، وَنَسْنُظِرُ - كَمَا فِي الْمَثَلِ الْحَضْرَمِيِّ - أَسْيَادَنَا آلَ بَاعِبَادٍ عَلَى الصَّرَاطِ ، فَإِذَا سَبَقْنَاهُمْ عَلَى الظَّفَرِ ، وَإِلَّا . . . كَانَ لِلنَّاسِ الْحَقُّ أَنْ يَنْشُدُوهُمْ مَا نَكَرُّهُ مِنْ قَوْلِ الْحُطَيْيَةِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٤٠ مِنْ الطُّوِيلِ] :

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ مِنْ أَلْوَمٍ أَوْ سُدُّوا أَلْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
وَفِي مَعْنَاهُ مَا أَنْشَدَهُ الْحَجَّاجُ [مِنْ الطُّوِيلِ] :

أَلَامَ عَلَى عَمْرٍو وَلَوْ مَاتَ أَوْ نَأَى لَقَلَّ الَّذِي يُغْنِي غَنَاءَكَ يَا عَمْرُو
إِذْ كَانَ الْيَهُودُ لَا يَطْمَعُونَ فِي شِبْرِ مِنْ فِلَسْطِينَ أَيَّامَ الْأَتْرَاكِ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْكَشِفُ الْغُبَارُ عَمَّا فِي الْمَضْمَارِ ، وَالْبَيْتُ الَّذِي يَتِمَثَّلُ بِهِ الْحَجَّاجُ شَبِيهٌ بِقَوْلِ ابْنِ عَرَادَةَ السَّعْدِيِّ

وكان بخراسان مع سلمة بن زياد يكرمه وهو يتجنى عليه ، ثم فارقهُ وصحب غيره فلم
يحمد . . فعاد إليه وقال [من الطويل] :

عَيَّنْتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَصَاحَبْتُ أَقْوَامًا . . بَكَيْتُ عَلَى سَلَمٍ
رَجَعْتُ إِلَيْهِ بَعْدَ تَجَرُّيبٍ غَيْرِهِ فَكَانَ كِبْرُهُ بَعْدَ طُولٍ مِنَ السُّقَمِ

وقال زياد ابن منقذ العدوي التميمي من قصيدة جزلة أنشأها بصنعاء يتشوق فيها إلى
وطنه ببطن الرَّمَّة - وهو واد بنجد [في « ديوان الحماسة » ١٥٣/٢ من البسيط] :

لَمْ أَلَقْ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبِرْهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَيَّ هُمْ
وقال أبو العتاهية [في « ديوانه » ١٨ من الطويل] :

جَزَى اللَّهُ عَنِّي جَعْفَرًا بِوَفَائِهِ وَأَضْعَفَ إِضْعَافًا لَهُ بِوَفَائِهِ
بَلَوْتُ رِجَالًا بَعْدَهُ فِي إِخَانِهِمْ فَمَا أَزْدَدْتُ إِلَّا رَغْبَةً فِي إِخَائِهِ
وقال أحمد بن أبي طاهر [من الوافر] :

بَلَوْتُ النَّاسَ فِي شَرْقٍ وَغَرْبٍ وَمَيَّزْتُ الْكِرَامَ مِنَ اللَّئَامِ
فَرَدَّنِي الزَّمَانُ إِلَى ابْنٍ يَخِيْ عَلِيٍّ بَعْدَ تَجَرُّيبِ الْأَنَامِ

فإن نجح العرب حسبما يتبجحون في هذه الأيام . . فيها ونعمت ؛ لأنها أمنيّة كل
مؤمن ، وإلا . . فما أخذوا إلا يومَ الثَّورِ الأبيض^(١) ؛ أي يومَ نهضِ المنقذ ، وكانت
نهضته فاتحة هزائم الأتراك التي أتهزّت لها منابرُ الدُّنيا بالدُّعاء لهم عدّة قرون .

(١) يوم الثور الأبيض ؛ مأخوذ من المثل : (إنما أكلتُ يومَ أكلِ الثور الأبيض) قال الميداني في « مجمع
الأمثال » (٢٥ / ١) : (يروى أن أمير المؤمنين علياً رضي الله تعالى عنه قال : إنما مثلي ومثل عثمان
كمثل أثور ثلاثة كن في أجمة ؛ أبيض وأسود وأحمر ، ومعهم فيها أسد ، فكان لا يقدر منهم على
شيء ؛ لاجتماعهم عليه ، فقال للثور الأسود والأحمر : لا يدلُّ علينا في أجمتنا . . إلا الثور الأبيض ؛
فإن لونه مشهور ، ولوني على لونكما . . فلو تركتاني أكله . . صفت لنا الأجمة ، فقالا : دونك
فكله ، فأكله ، ثم قال للأحمر : لوني على لونك . . فدعني أكل الأسود لتصفو لنا الأجمة ، فقال :
دونك فكله ، فأكله ، ثم قال للأحمر : إني أكلك لا محالة ، فقال : دعني أنادي ثلاثاً ، فقال :
افعل ، فنادى : ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض .

ثم قال علي رضي الله عنه : « ألا إني وهنت يوم قتل عثمان » يرفع بها صوته .

ولئن لَمْ تَكُنْ زَنَةً سَيِّئُونَ فِي اللَّفْظِ . . فقد كانتْ عَلَى رَسْمِهَا فِي الْخَطِّ كَمَا تَقْدَمُ أَوَّلَ الْمَسْوَدَةِ ، وما أَكْثَرَ التَّصْحِيفَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ ، فَمَهْمَا يَكُنْ . . فَأَلَامُرُ قَرِيبٌ مِنْ بَعْضِهِ ، ولا مانعَ أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي كَلَامِ سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ يَهُودِيَّةً ، وبِذَلِكَ تَلْتَمِثُ أَطْرَافُ الْكَلَامِ^(١) .

ثُمَّ إِنَّ سَيِّئُونَ نَهَضَتْ نَهْضَةً سَرِيعَةً ، وَنَبَتْ كَمَا يَنْبْتُ الْحَبُّ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ : أَنَّ بَانِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَسْعُ الْأُلُوفَ إِلَى الْيَوْمِ . . هُوَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَعْدِ بَارِجَاءِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الظَّفَارِيُّ الْعَبْهَلِيُّ الْمَذْحِجِيُّ - كَمَا مَرَّ فِي الشُّحْرِ - ، كَانَ موجوداً فِي أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّاسِعِ ، بِشَهَادَةِ مَا سَقْنَاهُ بِـ « الْأَصْلِ » مِنْ خَبَرِهِ مَعَ السُّلْطَانِ بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِو الْكَثِيرِيِّ ، الَّذِي كَانَتْ وَلَايَتُهُ فِي سَنَةِ (٨٥٠ هـ) ، وَوَفَاتُهُ فِي سَنَةِ (٨٩٤ هـ) ، فَبَاكثِيرِ بَانِي الْجَامِعِ الْأَوَّلِ ، وَبَارِجَاءِ بَانِي الْجَامِعِ الثَّانِيِ مُتَعَاَصِرَانِ ، فَعَايَةُ مَا يَحْتَمِلُ : تَقْدُمُ الْجَامِعِ الْأَوَّلِ بِسِنَوَاتٍ مَعْدُودَةٍ ، وَمَتَى عَرَفْتَ تَعَاَصَرَهُمَا . . تَقَرَّرَ لَدَيْكَ أَنَّ عِمَارَةَ الْبِلَادِ حَدِيثَةٌ ، وَأَنَّ اتِّسَاعَهَا كَانَ دَفْعَةً وَاحِدَةً فِي أَيَّامِ بَدْرِ بُوَطُورِق .

وَمِمَّا يُوَكِّدُ ذَلِكَ : اتِّفَاقُهُمْ عَلَى أَنَّ مَقْبَرَةَ سَيِّئُونَ فِي شَرْقِيَّهَا . أَمَّا نَسْبُهُمْ تِلْكَ الْمَقْبَرَةَ إِلَى الشَّيْخِ عَمْرِو بَامُخْرَمَةٍ :

فَإِذَا أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ جَانِبَهَا الشَّرْقِيَّ مِنْهَا فَقَطْ . وَإِذَا أَنْ يَكُونَ لِلشَّهْرَةِ ، وَإِلَّا . . فَالْ بَارِجَاءِ كَانُوا مُتَقَدِّمِينَ عَلَيْهِ .

وَكَانَ الشَّيْخُ سَعْدُ بَارِجَاءِ موجوداً بِسَيِّئُونَ مِنْ أَوَائِلِ الْقَرْنِ السَّابِعِ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ عَمِّهِ تَاجِ الْعَارِفِينَ سَعْدِ الظَّفَارِيِّ بِالشُّحْرِ سَنَةِ (٦٠٩ هـ) .

(١) قال بعض الباحثين : إن أسماء بلدان حضرموت استوقفت بعض الباحثين أو المستشرقين عندها ، لأنها في اعتقادهم تمثل حقبةً زمنيةً متفاوتةً مرت على حضرموت .

فمن هذه الأسماء : سَيِّئُونَ ، وَرَيْبُونَ ، وَدَمُونُ ، وَخُودُونَ ، وَسَمْعُونَ ، وَنَفْحُونَ ، وَنَظِيرَاتِهَا .

ومنها : سِيحُوتُ ، رَيْسُوتُ ، يَعِشُوتُ ، خَيْصُوتُ ، دَمَقُوتُ ، خَرْفُوتُ ، وَمِثْلَاتِهَا . وَخَلَصَ الْبَاثِحُونَ أَوَّلُكَ إِلَى أَنَّ الْوَاوَ وَالنُّونَ ، وَالْوَاوَ وَالتَّاءَ . . إِنَّمَا هِيَ بِمِثَابَةِ (أَل) التَّعْرِيفِيَّةِ ، وَأَنَّهَا اخْتَلَفَتْ بِاخْتِلَافِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ .

وكان الشَّيْخُ سعدُ بارِجاءَ مِنَ المشهورينَ بِالْفَضْلِ ، نَجَعَ هُوَ وَعَمُّهُ الشَّيْخُ سعدُ بْنُ عليٍّ الظَّفَارِيُّ مِنْ ظَفَّارٍ إِلَى الشَّحْرِ ، وَأَسْتَطَنَهَا أَيَّامَ كَانَتْ خِصَاصاً^(١) قَبْلَ أَنْ تَكُونَ مَدِينَةً ، وَأَشَارَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ سعدٍ هَذَا أَنَّ يَذْهَبَ إِلَى أَرْضٍ لَا يَكُونُ لَهُ بِهَا شَأْنٌ ، فَكَانَتْ سَيْتُونَ ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ إِذْ ذَاكَ إِلَّا صَغِيرَةً جَدًّا .

ولا يَشُوْشُ عَلَى قولنا : (أَنَّ سَيْتُونَ اتَّسَعَتْ دَفْعَةً) . مَا سَبَقَ عَنِ الْجَدِّ طَنَةً ، مِمَّا يُفْهَمُ اسْتِصْحَابَ اسْمِ الْقَرْيَةِ عَلَيْهَا ؛ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ بِاعْتِبَارِ مَا كَانَ .

وكان الشَّيْخُ أحمدُ بْنُ مسعود - باني جامع سَيْتُونَ الثَّانِي - أَحَدَ مشايخِ سَيْتُونَ المشهورينَ ، وَلَهُ بِهَا آثارٌ ، مِنْهَا : الْجَامِعُ الْمَذْكُورُ ، وَقَدْ زَادَ فِيهِ الشَّيْخُ عليٌّ بارِجاءَ صَفِّينَ فِي جِهَتِهِ الْغَرْبِيَّةِ أَيَّامَ السُّلْطَانِ عمرَ بْنِ بدرٍ - أَي : فِي الْقَرْنِ الْحَادِي عَشَرَ - فِي أَرْضٍ اشْتَرَاهَا مِنْ صُلْبِ مَالِهِ ، ثُمَّ زَادَ فِيهِ السَّيِّدَانِ مُحَمَّدُ بْنُ سَقَّافٍ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عليٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ آلِ السَّقَّافِ زِيَادَاتٍ قَلِيلَةً ، ثُمَّ زَادَ فِيهِ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ عليٍّ سَمِيطَةً ثَلَاثَةَ صَفُوفٍ فِي جَانِبِهِ الشَّرْقِيِّ ، ثُمَّ جُدِّدَتْ عِمَارَتُهُ عَلَى عَهْدِ جَدِّنا مُحَسِّنِ بْنِ علويٍّ بْنِ سَقَّافٍ ، وَهِيَ الْمَوْجُودَةُ إِلَى الْآنَ ، وَكَانَتْ النِّفْقَةُ مِنَ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عليٍّ الْعَوْلَقِيِّ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي الْحَزْمِ وَصَدَاعٍ ، يُرْسَلُهَا مِنْ حَيْدَرِ آبَادِ الدَّكَنِ إِلَى يَدِ الْجَدِّ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ زَادَ فِيهِ السَّيِّدُ الْجَلِيلُ أحمدُ بْنُ جعفرٍ بْنِ أحمدَ بْنِ عليٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ الْمَتَوَفَّى بِسَيْتُونَ سَنَةَ (١٣٢٠ هـ) رَوَاقًا فِي جَانِبِهِ الْغَرْبِيِّ الْجَنُوبِيِّ .

وَفِي آلِ بارِجاءَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصُّلَحَاءِ .

مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عمرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ عمرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بارِجاءَ ، مُؤَلِّفُ « تَشْيِيدِ الْبَنِيَانِ » ، وَهُوَ كِتَابٌ حَافِلٌ فِي رِيعِ الْعِبَادَاتِ ، نَقَلَ فِيهِ نَقُولًا كَثِيرَةً الْفَائِدَةِ ، فَرَعَ مِنْهُ فِي سَنَةِ (١٠٣٦ هـ) .

(١) الْخِصَاصُ : الْبُيُوتُ الْمَصْنُوعَةُ مِنَ الْقَصَبِ ، سَمَّيَتْ بِذَلِكَ لِمَا فِيهَا مِنَ الْخِصَاصِ وَهِيَ الْفُرَجُ وَالْأَنْقَابُ .

ومنهم : الشَّيْخُ عمرُ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ ، المشهورُ بقاضي ظَفَّار^(١) .
ومنهم : الشَّيْخُ عبدُ الجامع بنُ أبي بكرٍ بارِجاء ، ذَكَرَهُ الشَّيْخُ وَأثنى عليه ، توفِّيَ
بمَكَّةَ سَنَةَ (١٠٨٢ هـ) وترجمَ لَهُ الْمُحِبِّيُّ فِي « الْخُلَاصَةِ » [٢٩٨ / ٢] .

ومنهم : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ ، خطيبُ جامعِ سيئون ، كَانَ شَهِماً صَلياً ، عارفاً
بِالْقِرَاءَاتِ وَالتَّجْوِيدِ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ طَعَامَ الدَّوْلَةِ فَانْكَرُوا عَلَيْهِ ؛ إِذْ كَانَ أَكَلَ طَعَامَهُمْ
مِنْ أَكْبَرِ الْمُنْكَرَاتِ لِذَلِكَ أَلْعَهْدِ الصَّالِحِ ، توفِّيَ سَنَةَ (١٣٢٨ هـ) .

ومنهم : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدٍ بارِجاء ، تولى الْقَضَاءَ مَرَّاتٍ بَسيثون ، وَكَانَتْ لَهُ
بِهَا خُطَابَةُ الْجَامِعِ . وَكَانَ سَخِيّاً ، دَمَتْ الْأَخْلَاقُ ، لَيْزَنَ الْجَانِبِ ، خَفِيفَ الرُّوحِ ،
فَقِيهاً مُشَارِكاً فِي بَعْضِ الْفُنُونِ ، وَكَانَ مَمَّنْ يَحْضُرُ عَلَيَّ وَلَهُ مَكَارِمُ وَمِيزَاتٌ كَثِيرَةٌ .
توفِّيَ بِرَمْضَانَ مِنْ سَنَةِ (١٣٣٤ هـ) ، وَلَهُ أَوْلَادٌ كَثِيرُونَ ، كَانَ أَحَبَّهُمْ إِلَيَّ سَالِمٌ
وَمُحَمَّدٌ . وَكَانَتْ لَهُ ثَرَوَةٌ بِجَاوَةِ فَاتْلَفُوهَا عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَدْرَكَهُ ابْنُهُ الصَّالِحُ سَعِيدٌ بِجَمِيلِ
الْمَوَاصِلَةِ وَغَزِيرِ الْمَوَاسَاةِ .

وَكَانَ سَعِيدٌ هَذَا مِنْ الْمُثْرَيْنَ بِالصُّوْلُو مِنْ أَرْضِ جَاوَةِ ، فَأَنْفَقَ مَالَهُ فِي بَذْلِ
الْمَعْرُوفِ ، وَلا سِيَّماً لِلْسَّادَةِ آلِ الْحَنْبِيَّ وَآلِ الْعَطَّاسِ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ يَشْتَرِي مِنْ
بَعْضِهِمْ عَسلاً بِأَعْلَى ثَمَنِ ، ثُمَّ يَقْدِمُهُ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ مَعَ اللَّحْمِ الْحَنِيدِ^(٢) إِلَى أَنْ يَنْفَدَ ، وَقَدْ
أَمْلَقَ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمْ يَشْنَهُ الْفَقْرُ ؛ لِغِنَاؤِهِ بِاللَّهِ ، وَلَأنَّهُ لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا عِيَالٌ . وَقَدْ كُتِمَتْ
الْأَفْوَاهُ عَنِ الْمَصَارَحَةِ بِالْحَقِّ ، وَلَكِنَّهُ رَافِعُ الْعَقِيرَةِ بِإِنْكَارِ الْمُنْكَرِ حَسَبَ جَهْدِهِ
وَمَعْرِفَتِهِ ، لَا يُحَابِي وَلَا يُدَاهِنُ ، جَزَاهُ اللَّهُ خَيْراً .

وَأَمَّا آلُ بَاكثِيرٍ : فَأَكْثَرُ أَعْقَابِهِمْ بِتَرِيسَ ، حَسَبَمَا سَبَقَ فِيهَا ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ بِمَكَّةَ
الْمَشْرِفَةِ ، وَلَا يَزَالُ بَعْضُهُمْ بِسَيْثُونَ ، وَلَهُمْ بِهَا مَأْتَرٌ وَمَسَاجِدُ .

وَمِنْ آخِرِهِمْ بِهَا : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ بَاكثِيرٍ^(٣) ، كَانَ عِيْبَةً عُلُومٍ ، وَدَائِرَةً

(١) وهو من شيوخ العلامة الشلي ، ذكره في « المشرع » عَرَضاً ، وترجم له في « عقد الجواهر » .

(٢) اللَّحْمُ الْحَنِيدُ : المشوي .

(٣) ولد بسيثون سنة (١٢٨٣ هـ) ، وبها توفي في (١٣) محرم (١٣٥٥ هـ) ، ترجمته حافلة في كتابه =

معارف ، وعنه أخذتُ عِلْمَ النُّحُوِّ وَالصَّرَفِ ، وكانَ يُؤَثِّرُنِي وَيُقَدِّمُنِي عَلَى النَّاسِ ، حَتَّى لَقَدْ قَالَ لِي مَرَّةً - عَنْ تَدْبِيرِ وَالِدِي - : (إِنِّ حَفِظْتُ لَامِيَّةَ الْأَفْعَالِ . . فَلَكَ رِيَالٌ) فقرأتها عليه في الصَّبَاحِ ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ مِنَ الْعَشِيِّ : أَسَمِعَهَا . وسردتها عن ظَهْرِ قَلْبٍ وَتَسَلَّمْتُ الرِّيَالَ ، غَيْرَ أَنَّ هِمَّتِي كَانَتْ ضَعِيفَةً فِي الصَّرَفِ وَلَا سِيَّما الْقَلْبُ وَالْإِبْدَالُ فَتَفَلَّتْ عَنِّي أَكْثَرُهُ .

وكانَ الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُتَخَصِّصاً فِي هَذَيْنِ الْعِلْمَيْنِ ، كَثِيرَ الْإِكْبَابِ عَلَيْهِمَا ، وَالْوُلُوعِ بِهِمَا وَالْبَحْثِ فِيهِمَا ، وَلَهُ مَوْلُفَاتٌ عَدِيدَةٌ وَأَشْعَارٌ كَثِيرَةٌ^(١) .

وكانَ شَدِيدَ التَّلَعُّقِ بِوَالِدِي^(٢) ، جَمَّ الْقِرَاءَةَ عَلَيْهِ . ثُمَّ كَانَ يَحْضُرُ دُرُوسِي فِي التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ ، وَلَقَدْ زَارَنِي مَرَّةً فِي سَنَةِ (١٣٥٢ هـ) فَقَالَ : (لَقَدْ عَدَدْنَا سِتِّينَ مَاتُوا مِمَّنْ كَانُوا يَحْضُرُونَ دُرُوسَكَ الشَّيْخَةَ) . تَوَفَّى عَلَيَّ أَبْلَغُ مَا يَكُونُ مِنَ الثَّبَاتِ بِسِتُونِ أَوَّلِ سَنَةِ (١٣٥٥ هـ)^(٣) .

وَمِنْهُمْ : أَخُوهُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَاكَثِيرٍ ، كَانَتْ لَهُ خَيْرَاتٌ وَمَبْرَاتٌ ، وَصَلَةُ أَرْحَامٍ ، وَكِفَالَةُ أَيْتَامٍ ، وَقَضَاءُ حَاجَاتٍ ، وَتَفْرِيجُ كُرْبَاتٍ ، تَوَفَّى بِسِتُونِ سَنَةِ (١٣٤٣ هـ)^(٤) .

وَمِنْهُمْ : وَلَدُهُ عَبْدُ الْقَادِرِ ، كَانَ تَقِيّاً ، مُتَشَدِّداً فِي الْعِبَادَةِ ، مُتَحَرِّياً فِي الطَّهَارَةِ ، أَخْذاً بِالْعَزِيمَةِ ، سَرِيعَ الْحِفْظِ ، يَكَادُ يَحْفَظُ مِنْ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ بَعْضَ مَا كُنْتُ أَرْتَجِلُهُ فِي الْمَحَافِلِ الْمَشْهُودَةِ مِنَ الْخُطْبِ الطَّوِيلَةِ ، وَكُنْتُ أَظُنُّهُ الشَّيْخَ مُحَمَّدَداً ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي دَفَعَهَا إِلَيَّ حَتَّى أَخْبَرَنِي وَلَدُهُ الْأَدِيبُ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِأَنَّ الْجَامِعَ

= « البنان المشير » ، و« تاريخ الشعراء » (١٢١-١٠٤/٥) .

(١) عدد تلميذه السيد عبد الله السقاف (٢٣) مؤلفاً من مؤلفاته . ينظر « الشعراء » (١١٠-١٠٩/٥) .

(٢) ومن ثمرات هذا التعلق : تلك الوصية العظيمة التي كتبها الحبيب عبيد الله - والد المؤلف - للمترجم ، بلغت مجلداً كبيراً ، عدد صفحاته (٣٩٧) صفحة بالخط العادي ، مؤرخة في محرم (١٣١٨ هـ) .

(٣) وقصة وفاته : أنه كان جالساً في مجلس الدرس ، يقرأ عليه القارئ في « الجامع الصغير » للسيوطي ، فلما بلغ حديث : « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » . . . نطق بها ومات لتوه .

(٤) ترجمته في « البنان » (١٧٥-١٥٢) .

إنما هو عبدُ القادرِ بنُ أحمدَ ، بمساعدةٍ من الشيخ محمدٍ في تحريرِ الآياتِ والآياتِ
والأحاديثِ فقط . توفيَ بجاوةٍ في حدودِ سنة (١٣٤٤هـ)^(١) .

وَأَلَّ بأكثيرٍ كُلَّهُمْ على جانبٍ عظيمٍ مِنَ الذَّكَاةِ وقَرْضِ الشَّعْرِ ، وَلِعُمَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٢)
شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وحاملٌ لواءِ شِعْرِهِمُ الْيَوْمَ هُوَ : الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بأكثيرٍ^(٣) ، نَزِيلُ
مِصْرَ ، وَأَنَا مَعَ حُبِّي لَهُ عَاتَبْتُ عَلَيْهِ ؛ لِأَنِّي أَرَسَلْتُ إِلَيْهِ مَسْوَدَةَ « الْعُودِ الْهِنْدِيِّ »^(٤) فَلَمْ
يَرُدَّهَا ، وطَبَعَ لِي محاضرةً مَسْلَمَةً الْفَنَقَةِ وَلَمْ يَذْفَعْ لِأَمْرِي إِلَّا نَحْوَ ثَلَاثِ مِئَةِ نَسْخَةٍ
فَقَطْ ، وَكَانَ كُلُّ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٣٥٥هـ) ، غَيْرَ أَنِّي أَحَلْتُ السَّيِّدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
مُحَمَّدٍ بْنِ حَامِدٍ السَّقَّافَ لِيَقْبِضَ الْجَمِيعَ مِنْهُ ، ثُمَّ كَاتَبْتُ وَطَالَبْتُ الْاِثْنَيْنِ حَتَّى عَيَّيْتُ
بِدُونِ جَدْوِي وَلَا جَوَابٍ ، فَأَحَدَهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا مَلُومٌ ، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا أَنْ
يُبرِّئَ نَفْسَهُ ، وَأَنْ يُوَدِّيَ الْأَمَانَةَ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ^(٥) .

وَمِنْ أَكْبَرِ مَنْ تَدَيَّرَ سَيِّثُونَ : الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ
بَامْخَرْمَةِ^(٦) ، السَّيِّيَانِيُّ الْهَجْرَانِيُّ ، تَرْجَمَهُ السُّلَيْيُ فِي « السَّنَا الْبَاهِرِ »^(٧) تَرْجَمَةً

(١) ولد عبد القادر بن أحمد في سربايا سنة (١٣١٦هـ) ، وسمّاه الحبيب محمد بن طاهر ، وتوفي بها في
(٢٨) جمادى الآخرة (١٣٤٥هـ) ، وله ولد على اسم أبيه . « البنان » : (١٧٦) .

أما ابنه أحمد هذا . . فولد سنة (١٣٤٤هـ) ، ترجم له معاصره الصبّان في كتابه : « الحركة
الأدبية في حضرموت » (١٨٦) .

(٢) ولد عمر بن محمد سنة (١٣٢٠هـ) ، ترجم له والده في « البنان » ، والصبّان في « الحركة الأدبية »
(١٧٨) ، وكانت وفاته سنة (١٤٠٥هـ) بعد طبع « البنان » .

(٣) شاعر حضرموت الشهير ، ورائد القصة المسرحية في العالم العربي ، ولد بسربايا حدود (١٣٢٠هـ)
أو قبلها ، وتوفي بمصر سنة (١٣٨٩هـ) = (١٠) نوفمبر (١٩٦٩م) . ترجم له عمه الشيخ محمد
في « البنان » ، وكتب عنه د . محمد أبو بكر حميد في مقدمة ديوان « أزهار الربى في شعر الصبا » ،
والزركلي في « الأعلام » (٢٦٢ / ٤) .

(٤) وبحمد الله تمت طباعته محققاً مرتباً ، بدار المنهاج بجدة ، وصدر في (٣) مجلدات .

(٥) توفي المذكوران بعد المؤلف ؛ فالسيد عبد الله توفي سنة (١٣٨٧هـ) ، وبأكثير بعده بستين .

(٦) الشيخ عمر بامخرمة ولد سنة (٨٧٠هـ) ، وتوفي بسيتون سنة (٩٥٢هـ) في يوم السبت (٢٠) ذي
القعدة الحرام ، تقدم ذكر والده وإخوته في الهجرين . ومن مراجع ترجمة الشيخ عمر : « تاريخ
بافقيه » (٣١٢) ، و « السنا الباهر » ، و « الشعراء » (١٣٠ / ١) ، وغيرها .

(٧) في حوادث سنة (٩٥٢هـ) .

طويلة ، وذكر أَنَّ فقهاء عصره أنكروا عليه بعض الأحوال ، منها : أَنَّهُ يحضرُ أغاني ألفتايا ويجلسُ إليهنَّ وأنَّهنَّ ممَّن يضربُ الدُّفوفَ ويغني بينَ يديه في المواقبِ والمجالسِ .

ولذا لم يذكره ولده عبدُ الله في « ذيل طبقات ألقهاء » للإسنوي ، وذكر أخاه الطَّيِّبَ ، مع أَنَّهُ لا يزيدُ عليه فقهاً . ونقل تلك التَّرجمة بأسرها سيدي عمرُ بنُ سقافٍ في كتابه « تفریح القلوب » .

وما صنعه عبدُ الله بنُ عمرَ من إغفالِ ذكرِ والده يدلُّك على تحرُّ شديدٍ وحَيَظَةٍ هائلةٍ ، وماذا عليه لو ذكرَ فقهاء وأشارَ إلى بعضِ أحواله ؟ غيرَ أَنَّ فَرْطَ إنصافه ذهبَ به إلى أَنَّ يتصوَّرَ أَنَّ ذكرَ أبيه مع ما يُنكرُ عليه يوقعه في شيءٍ من ألهوادة ، وهو يُنزِّهه عدالته عن كلِّ ما يعلِّقُ بها من الرِّيبِ أو يمسُّها من التُّهم ، وإنَّه لمقامٌ صعبٌ إلَّا على مَنْ وفَّقه اللهُ ، فلهو أحقُّ بقولِ حبيبٍ [أبي تمام في « ديوانه » ١٧١/٢ من الكامل] :

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنَ هُوَ بِأَيْنِهِ وَيَشْعُرُهُ مَفْتُونُ
أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَالِمٍ . وَالشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنٍ الْعِيدَرُوسُ .

وأخذَ هوَ عن جماعةٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ^(١) ، مِنْهُمْ : سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الْعَدَنِيُّ ، لَكِنْ لَمْ يُحْمَدَ بَيْنَهُمَا الْمَالُ ، لِأَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بَاهِرْمَزٍ لَمْ يَقْبَلْ تَحَكُّمَ الشَّيْخِ عَمْرَ لَهُ إِلَّا بِشَرْطِ أَنْ يُسْمَعَ الْعَدَنِيُّ مَا يَكْرَهُ ، ففعلَ ، وساءت بينهما الحالُ حتَّى لقد كانَ الشَّيْخُ يمدحُ بدرَ بنَ مُحَمَّدٍ الْكَثِيرِيَّ وَالْعَدَنِيُّ يَهْجُوهُ ، وَالْعَدَنِيُّ يمدحُ السُّلْطَانَ عَامَرَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَيَذُمُّ الْبَهَّالَ^(٢) ، وَالشَّيْخُ عَمْرٌ بَعَكْسِهِ .

ولمَّا جرتِ الحادثةُ الْهَائِلَةُ عَلَى الْبَهَّالِ . . عَدَّهَا الْغَوَاةُ مِنَ هَوَاةِ الْخَوَارِقِ مِنْ كِرَامَاتِ الْعَدَنِيِّ ، ثُمَّ لَمَّا قُتِلَ عَامَرٌ شَرَّ قِتْلَةٍ . . عَدَّهَا الْآخَرُونَ فِي كِرَامَاتِ الشَّيْخِ عَمْرٍ .

(١) ومن شيوخه : الشيخ عبد الرحمن الأخضر باهرمز ، (ت ٩١٤هـ) ، المتقدم ذكره في هين .

(٢) البهال هو شريف بيحان وحاكمها .

وما أحسنَ قولَ ابنِ نباتةَ : (والله.. لا يضرُّ ولا ينفعُ ، ولا يضعُ ولا يرفعُ ، ولا يُعطي ولا يمنعُ.. إلَّا اللهُ) .

وكنْتُ أظنُّ النَّفْرةَ أَسْتَحْكَمَتْ بَيْنَ الْعَلَوِيِّينَ وَآلِ بَاْمَخْرَمَةِ فِي عَهْدِهِ وَعَهْدِ وَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ ، حَسَبَمَا أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي « الْأَصْلِ » ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ بِالْقِصَّةِ الْآتِيَةِ لَهُ مَعَ السَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ عَقِيلٍ فِي الْعَرِّ مِنْ ضَرْبِ السَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ عَقِيلٍ الشَّيْخِ عَمَرَ بِالنُّعَالِ ، وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ هَوَادَةٍ وَلَا حَفِظٍ لَخَطِّ الرَّجْعَةِ .

لَا سِيَّما وَقَدْ نَقَلَ سَيِّدِي عَلِيُّ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ عَنِ الْقُطْبِ الْحَدَّادِ مَا يَقْتَضِي انْحِصَارَ أَخِي الشَّيْخِ عَمَرَ بَاْمَخْرَمَةِ عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاهِرْمِزٍ وَأَنْ لَا شَيْخَ لَهُ مِنْ الْعَلَوِيِّينَ .

وَلَا يَنْتَقِضُ ذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْ أَخْذِهِ عَنِ الْعَدْنِيِّ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَمْ ، بَلْ بَطَلَ حُكْمُهُ ، وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى جَمِيعِ هَذَا فِي « الْأَصْلِ » وَرَبِّمَا كَانَ مُبَالِغاً فِيهِ ، وَقَدْ عُوِّضَ الشَّيْخُ عَمَرُ عَمَّا لَحَقَهُ مِنْ جَفَاءِ الْعَلَوِيِّينَ فِي زَمَانِهِ بِمَا كَانَ مِنْ إِصْفَاقِ أَعْقَابِهِمْ عَلَى فَضْلِهِ وَالْوُلُوعِ بِدِيَوَانِهِ وَقَدْ أَطْنَبَ سَيِّدِي عَمَرُ بْنُ سَقَّافٍ فِي مَدْحِهِ .

أَمَّا أَشْعَارُ الشَّيْخِ عَمَرَ بَاْمَخْرَمَةِ.. فَالَّذِي مِنَ الْوِصَالِ ، وَأَحْلَى مِنَ السَّلْسَالِ ، وَفِيهَا فِرَاسَاتٌ صَادِقَةٌ عَنْ أُمُورٍ مُتَأَخِّرَةٍ ، كَمَا يُعْرَفُ ذَلِكَ بِالْإِسْتِقْرَاءِ^(١) . وَلَمْ يَزَلْ بِسَيِّئُونَ تَحْتَ الْضَغْطِ وَالْمِرَاقِبَةِ مِنْ بَدْرِ بُوَطُورِقِ^(٢) ، لَا مِنَ النَّاحِيَةِ الَّتِي يُنْكِرُهَا عَلَيْهِ الْفُقَهَاءُ ، وَلَكِنْ لِمَا عَلَى كَلَامِهِ مِنَ الْقَبُولِ : وَلَهُ مِنَ التَّأَثُّيرِ ؛ فَهُوَ يَخْشَى أَنْ يُحَرِّضَ عَلَيْهِ ، فَتَنْكَرُ لَهُ النَّاسُ^(٣) ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ عَلَيْهِ مَعَ شِدَّةِ تَحْرِيرِهِ ، فَثَارَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ^(٤) ، وَأَلْقَى الْقَبْضَ عَلَيْهِ ، وَسَجَنَهُ حَتَّى مَاتَ بِغَيْظِهِ مَقْهُوراً فِي سَجْنِهِ سَنَةَ (٩٧٧ هـ) .

(١) وشعره مجموع في دواوين ، والمسموع من أفواه الشيوخ أن شعره كله يزيد على (٢٠) ديواناً . والموجود حالياً من شعره مجلدان مخطوطان متداولان بين الناس ، ويقال : إنها تصل إلى عشرة مجلدات .

(٢) تماماً كما فعل بدر مع الشيخ معروف باجمال في شبام ، كما مر فيها .

(٣) أي : لبدر بوطورق .

(٤) أي : عبد الله بن بدر . انظر مادة مريمه .

وما كنت أدري أَنَّ للشيخِ عمرَ بامخرمةَ حَسْماً وأُبْهَةً وأتباعاً إِلَّا مِنْ قِصَّةِ السَّابِقَةِ فِي هَيْنٍ مَعَ الشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَفْضَلٍ ، فَإِذَا أَنْ تَكُونَ قَبْلَ الْمَرَاqَةِ عَلَيْهِ ، وَإِذَا أَنْ تَكُونَ الْمَرَاqَةُ مَحْدُودَةً بِمَا يُخْشَى مِنْهُ الثَّوْرَةُ .

وكانت وفاةُ الشَّيْخِ حَسَنِ كَمَا فِي « النُّورِ السَّافِرِ » سَنَةِ (٩٧٩ هـ) .

وكانت وفاةُ الشَّيْخِ عمرَ بامخرمةَ بَسِيثُونَ فِي سَنَةِ (٩٥٢ هـ) ، وَكَانَ السَّيِّدُ زَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيٍّ الْحَدَّادُ كَثِيرَ الْمَدْحِ لَهُ وَالْتِنَاءِ عَلَيْهِ ، وَمَا أَكْثَرَ مَا يَتِمُّ أَنْ يُدْفَنَ بِجَوَارِهِ ^(١) .

وَفِي غَرْبِيِّ قَبْرِه : ضَرِيحُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ مَسْعُودَ بَارِجَاءَ ، بَانِي الْجَامِعِ الثَّانِي السَّابِقِ ذِكْرُهُ .

وَفِي غَرْبِيِّهِ إِلَى الْجَنُوبِ : مَقْبَرَةُ آلِ بَاحْوَيْرِثَ ، كَانَ فِيهِمْ كَثِيرٌ مِنَ الْأَخْيَارِ ، يُكْثِرُونَ الْعِبَادَةَ ، وَيُحَافِظُونَ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَأَظْهَرُهُمْ عَلَى اتِّصَالِ فِي الْمُنَاسِبِ بِآلِ حَوَيْرِثِ السَّابِقِ ذِكْرُهُمْ فِي الْخَرِيبَةِ .

وكانت أُمُّ جَدُّنَا عَلِيٌّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ مِنْ آلِ ثُبَّتَانَ ، وَهُمْ مِنْ سَيْثُونَ .

وَكَانَ جَدُّنَا عَمْرُ الصَّافِي ^(٢) بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَعْلَمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ يَتَرَدَّدُ مِنْ تَرِيمَ إِلَى سَيْثُونَ بِسَبَبِ أَنَّ أَحَدَ مُحَبِّبِيهِ مِنْ تَرِيمَ أَنْتَقَلَ مِنْهَا إِلَيْهَا ، وَلَمَّا عَلِمَ بِذُرِّ بَوَطُورِقَ بَتَرْدُدِهِ . . أَمَرَ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَنْ يُزَيِّنَ لَهُ الزَّوْاجَ بِسَيْثُونَ ، فَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى اقْتَرَنَ بِسُلْطَانَةِ بِنْتِ مُحَمَّدٍ بَانَجَّارَ ، مِنْ قَوْمٍ يَرْجِعُونَ إِلَى نَجَّارِ بْنِ نَشْوَانَ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي بَنِي حَارِثَةَ : فَقِيلَ : كَنْدِيُّونَ . وَقِيلَ : مَذْحِجِيُّونَ ^(٣) .

وكانت لآلِ بَانَجَّارِ دَوْلَةُ بَيُورٍ فَأَنْمَحَتْ بِدَوْلَةِ آلِ كَثِيرٍ وَصَارُوا سُوْقَةً بِسَيْثُونَ وَغَيْرِهَا .

وَقَدْ وُلِدَ لَجَدُّنَا عَمْرٍ وَلَدُهُ طَلَّةٌ مِنْ سُلْطَانَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَنَشَأَ فِي حَجَرِ أُمِّهِ بِسَيْثُونَ ،

(١) وَلَكِنَّهُ مَاتَ بِعُمَانَ بِجَزِيرَةِ الصَّيْرِ سَنَةِ (١١٥٧ هـ) .

(٢) تَوَفَّى الْحَبِيبُ عَمْرُ الصَّافِي بِتَرِيمَ ، وَدُفِنَ بِهَا ، وَلَمْ تَوْرَخْ وَفَاتُهُ .

(٣) وَزَادَ الْمُقْهَفِيُّ فِي « مَعْجَمِهِ » : ذَكَرَ انْتِسَابَهُمْ لِبَنِي زِيَادِ الْخَوْلَانِيِّينَ (١٧١٨/٢) .

ولمّا شبَّ.. ذهب إلى تريم ، فضجَّ آل سيثون وراجعوه ، فعادَ وتزوَّج بها وبني بها مسجده المشهور ، ولم يزل بها منفرداً بالسيادة إلى أن توفيَّ سنة (١٠٠٧هـ) .
وله ابنُ اسمه : عمرُ ، له حالاتٌ شريفةٌ ، طلبَ العلمَ ، ثمَّ غلبَ عليه التَّصوُّفُ ، وأكبَّ على « رسالة القشيري » ، ونقلها بخطه ، وكتبَ سبعةً كراريسَ منها في يومٍ واحدٍ .

وكانَ له اتِّصالٌ أكيدٌ بالسَّادة آل عبد الله بن شيخ العيدروس في تريم ، لا ينزلُ هناك إلاَّ عليهم . وله عباداتٌ جليَّةٌ ، وأوقاتٌ موزَّعةٌ ، توفيَّ بسيثون سنة (١٠٥٣هـ) ^(١) .
وهو والدُ العلَّامة الجليل طه بن عمر الثاني ، المتوفَّى بسيثون سنة (١٠٦٣هـ) المترجمُ له في « المشرع » [٢٨٥/٢] ، ورثاه جماعةٌ من الشُّعراء ، فكانت أبلغَ مريَّةٍ فيه للشيخ عمر بن محمَّد باكير .
وخلفه ولده عمرُ ، توفيَّ بمكَّة سنة (١٠٨٥هـ) ، وسنَّه سبعٌ وعشرون سنةً ، وخلفه ابنه محمَّد بن عمر بن طه بن عمر .

وقد رسخت أقدامُ هذا البيتِ بسيثون ، غير أنَّهم كانوا لا يزيدون على سبعة ، متى وُجدَ لأحدهم ذكرٌ.. ماتَ أحدُ السَّبعة حتَّى كانت أيَّامُ الجدِّ سقاف بن محمَّد بن عمر بن طه المتوفَّى سنة (١١٩٥هـ) ^(٢) ، فبدؤوا يتكاثرون ، ولم يمُتْ إلاَّ وقد بلغوا الثلاثين ، إلاَّ أنَّ عصاهمُ انشَقَّت ، وأمرهم أنفرج ، وكانوا - وهم قليلٌ - خيراً منهم بعدما كثروا ، والله درُّ حبيبٍ حيثُ يقولُ [في « ديوانه » ١/ ٣٣٠ من البسيط] :
إِنَّ الْكِرَامَ كَثِيرٌ فِي الْبِلَادِ وَإِنْ قَلُّوا ، كَمَا غَيْرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ كَثُرُوا ^(٣)

(١) هو الحبيب عمر بن طه بن عمر الصافي الأول ، ولد بسيثون سنة (٩٩٠هـ) ، وبها توفي ضحى السبت (٢٠) جمادى الثانية (١٠٥٣هـ) .

(٢) الحبيب سقاف بن محمد ، كان عالماً شريفاً عفيفاً ، تولى القضاء ، وتولاه بعده عدد من أولاده ، أفرده بالترجمة ابنه حسن وهي المسماة : « نشر محاسن الأوصاف » ، وقد طُبعت في مجلِّد صدرَ عن دار المنهاج .

(٣) المعنى : إنَّ الكرامَ لهم شأنٌ عظيمٌ وإن كان عددهم قليلاً ؛ فهم قليلو العدد كثيرو الفائدة ، على العكس من اللثام ؛ فإنَّهم وإن كثر عددهم.. لكنَّ فعلهم قليل ، ولا تأثير له .

وَالشَّرِيفِ الرَّضِيِّ حَيْثُ يَقُولُ [في «ديوانه» ٥٢٨/١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

قَلُّوا عَنَاءً وَإِنْ أَثَرِي عَدِيدُهُمْ وَرُبَّمَا قَلَّ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَثُرُوا
وَهُوَ بَيْتٌ طَيِّبٌ ، مَغْرَسٌ عِلْمٌ ، وَمَنْبُتٌ صِلَاحٌ ، سِيَمَاهُمْ التَّوَاضُعُ ، وَشَأْنُهُمُ
الْخُمُولُ ، يَقْضُونَ حَوَائِجَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَلَا يَتَمَيَّزُونَ عَنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِالْعِلْمِ إِذَا
سُئِلُوا عَنْهُ أَوْ تَفَتَّحُوا فِي الدُّرُوسِ .

وَكَانَ نَجْوَعُهُمْ مِنْ تَرِيمٍ عَلَى حِينٍ خَلَلٍ بَدَأَ فِي طَرِيقِ الْعُلُويِّينَ ، كَمَا يُعْرَفُ مِنْ
«الْفَوَائِدِ السَّنِيَّةِ» لِسَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ ، وَمِنْ «الْعُقُودِ اللَّوْلُؤِيَّةِ»^(١) لِلْعَلَامَةِ
السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ الْحَبَشِيِّ ، فَانْحَفَظْتُ طَرِيقَهُمْ بِسَيُتُونَ عَنْ ذَلِكَ الْخَلَلِ ، وَبَقُوا
عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَوَّلُهُمْ مِنَ التَّلَزُّمِ بِالْفَقْهِ ، حَسَبَمَا قَلْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَرَدْتُ بِهَا عَلَى بَعْضِ
الْمَغْتَرِّينَ مِنْ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالرَّئَاسَاتِ [في «ديوان المؤلف» ق ١٩٢ مِنْ الْبَسِيطِ] :

سَلِّ مَنْ أَرَدْتَ فَقَدْ كَانَتْ أُبُوتُنَا عَلَى طَرِيقٍ مِنَ الْإِنْصَافِ مَخْمُودِ
طَرِيقَةٍ مِنْ قَدَى الْأَوْهَامِ صَافِيَةٍ وَمَنْهَلٍ مِنْ زُلَالِ الْفَقْهِ مَوْزُودِ
لَا يَدْخُلُ مَسْجِدَهُمْ طَبْلٌ وَلَا يِرَاعُ^(٢) ، وَلَقَدْ عَمَلَ الشَّيْخُ عَوْضُ جَبْرَانَ تَابُوتًا لِقَبْرِ
جَدِّي الْمَحْسَنِ فَمَنْعْتُهُ مِنْ وَضْعِهِ عَلَيْهِ .

وَكَانُوا يَتَوَسَّعُونَ فِي الْفَقْهِ ، وَيُشَارِكُونَ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ
عُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَلِبَعْضِهِمْ أَشْعَارٌ لَا تَنْتَهِي إِلَى إِجَادَةٍ . وَلَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ
الْصَّالِحَةِ وَتَحْتَلِلُ الْمَشَاقِّ فِي مُجَاهَدَةِ النُّفُوسِ مَا لَوْ لَمْ أَرَهُ عِيَانًا فِي مِثْلِ الْوَالِدِيِّ . لَمْ
يَكُنْ لِي بِمَا يُذَكِّرُ عَنِ السَّلَفِ سَبِيلٌ إِلَى التَّصَدِيقِ ، لَكِنْ جَاءَ الْعِيَانُ فَأَلَوِي بِالْأَسَانِيدِ .
فَلَقَدْ نَشَأَ وَالِدِي فِي طَاعَةِ اللَّهِ^(٣) ، لَهُوُهُ التَّلَحُّثُ مَعَ أَتْرَابٍ لَهُ فِي جِبَالِ سَيُتُونَ ،

(١) اسمه كاملاً : «العقود اللؤلؤية في بيان طريق السادة العلوية» . طبع ضمن مجموع بالمطبعة الشرفية
بمصر سنة (١٣٢٨هـ) ، على نفقة السيد شيخ بن محمد الحبشي ابن مؤلفه ، يقع في (٣٠) صفحة .

(٢) اليراع : قصبة يُزَمَّرُ بها ، وقد يقال لها : الشبابة ، أو المدراف ، أو الناي .

(٣) أي : الحبيب العالم الورع الزاهد الإمام عبيد الله بن محسن بن علوي بن سقاف ، ولد سنة =

وكان يكتفي بوجبة ويتصدق بالأخرى ، حتى عَلمَ به أبوه لما كان يذهب بها من مخترفهم إلى من كانوا يعتادونه منه بالبلد ، فنهاه .

ومنذ عرفته وهو يقوم من النوم قبل انتصاف الليل فيخف إلى الطهارة ، ثم يُصلي سُنَّتها ، ثم الأوتر إحدى عشرة بحسن قراءة وطول قيام ، ثم يقرأ حصّة من القرآن بصوت شجي ، ثم يأخذ في الأوراد والمناجاة ، وكثيراً ما يقول في آخر دعائه :

اللَّهُمَّ ؛ أرحمنا إذا عرق منّا الجبين ، وأنقطع منّا الأنين ، وأيس منّا الطيب ، ويكى علينا الحبيب .

اللَّهُمَّ ؛ أرحمنا يوم نركب على العود ، ونساق إلى اللّخود .

اللَّهُمَّ ؛ أرحمنا إذا نسي اسمنا ، وأندرس رسمنا ، وفنينا وأنطوى ذكركنا ، فلم يَزُرنّا زائرٌ ، ولم يذكركنا ذاكرٌ .

اللَّهُمَّ ؛ أرحمنا يوم تبلى السرائر ، وتكشف الضمائر ، وتوضع الموازين ، وتُنشر الدواوين .

ومتى جاء فصل الصيف والخريف . . كان تهجدّه على سطح مُصلّاه أو في بطن مسيله ، فكانما تؤوّب معه الجبال^(١) ، وتكاد تنقذ لخشوعه الصدور وتنفطر المرائز^(٢) ، ثم يُصلي الصبح وناقلته ، ويأخذ في أذكار الصباح ، حتى إذا أسفر الأفق . . نبّهني وأعاد معي الصلاة وجلس يُقرئني إلى أن ترتفع الشمس قدر رمح ، فيصلي سبحة الضحى ثمانياً ، وتارة يختص بالإشراق بركعتين ؛ إذ المسألة خلافية ، فالذي في « الإحياء » [٣٣٧/١] أن صلاة الإشراق غير صلاة الضحى ، وجرى عليه في « العباب » [٢٦٣/١] و« اللّحفة » [٢٣٨-٢٣٧/٢] .

= (١٢٦١هـ) ، وتوفي سنة (١٣٢٤هـ) . « التلخيص الشافي » (١٣٢-١٣٧) ، « تاريخ الشعراء » (١٧٦-١٧٠ / ٤) .

(١) تؤوّب معه : تردّد معه بالتسبيح ، وهو من قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَالنَّارُ الْهَدِيدُ ﴾ .

(٢) جمع مراوة ، كناية عن شدة الهلع .

وقال ابنُ زيادٍ في « فتاويه » : ويظهرُ عدمُ الاكتفاءِ في نيتها بمطلق الصلاة ؛ لأنها ذاتُ وقتٍ كالضحى ، وقال في « الإمداد » : وهي غيرُ الضحى على ما قاله في « الإحياء » . فبتراً منه ، وأعتمدَ في « الأيعاب » أنها من الضحى وأن مقتضى المذهب امتناعُ فعلها بنيتة الإشراق ، وعليه الرَّمليُّ في « النهاية » ، ومال إليه السيّدُ عمرُ البصريُّ .

ثم يتناول ما تيسرَ من الفُطورِ ويعودُ إلى صلاةِ الَّذي بناه في سنة (١٣٠٠ هـ) ، ووقفَ منه قطعةً صغيرةً للمسجديةِ علينا وعلى ذريّاتنا فقط ؛ ليصحَّ الاعتكافُ فيه ، فيجلسُ للتدريسِ به لأناسٍ مخصوصين ؛ هم : السيّدُ سقّافُ بنُ علويِّ بنِ محسن^(١) ، والسيّدُ عبدُ الله بنُ حسين بنِ محسن^(٢) ، والشيخُ عمرُ عبيدِ حسان^(٣) ، والشيخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثيرٍ ، والشيخُ محفوظُ بنُ عبدِ القادرِ حسان^(٤) ، وأمّا الشيخُ مُحَمَّدُ بنُ عليٍّ الدثنيُّ . . فإنه لزيّمهُ .

وكلُّ هؤلاءِ حضَرَ بعضَ دروسي في التفسيرِ والشّمايلِ والفقهِ بسيئون ، إلّا السيّدَ سقّافَ بنَ علويٍّ فإنما حضرَ دروسي بسرّبايا من أرضِ جاوةِ في سنة (١٣٣٠ هـ) .

فإذا قضى أولئك دروسَهُمْ . . أستاذعاني لياشَرَ تعليمي بنفسه بعقبِ أنصرافِ المخصّصين لتعليمي في محلّنا ؛ إذ كانَ يحميني عن مخالطةِ أبناءِ النَّاسِ ، ويُسرّبُ إليّ أولاداً في سنيّ يرضاهم للعبِ معي ، يراقبُ أخلاقَهُمْ وأحوالَهُمْ بنفسه ، منهم السيّدُ علويُّ بنُ حسين بنِ محسنٍ ، ومنهم : سالمُ بنُ حسن بنِ مُحَمَّدٍ حسان .

(١) ابن عم المؤلف ، ولد بسيئون ، وطلب العلم بها ، هاجر إلى إندونيسيا ، وكان له بها نفع ، فتولى منصب قاضي العرب بسورابايا ، وتوفي بها سنة (١٣٣٦ هـ) . « التلخيص » (١٦١) .

(٢) ابن عم المؤلف أيضاً ، ولد سنة (١٢٨٨ هـ) ، وتوفي في (٨) رجب (١٣٤٩ هـ) ، كان عالماً زعيماً ، قاضياً مصلحاً حكيماً ، وعرف أولاده بالالقاضي ، ومن ذريته : السيد العلامة علوي بن عبد الله ، المتوفى سنة (١٣٩١ هـ) بمصر مؤلف كتاب : « التلخيص الشافي في تاريخ آل طه بن عمر الصافي » ، وشيخنا الحبيب العلامة علي بن عبد الله المتوفى بجدة في محرم سنة (١٤٢٣ هـ) ، تراجمهم في « التلخيص » (١٤٥ - ١٦١) .

(٣) توفي بسيئون سنة (١٣٥٦ هـ) .

(٤) المعروف بقاضي شبام ؛ لإقامته مدة بها في عمل القضاء ، ثم عاد إلى سيئون ، وتوفي بها ، لعله حدود (١٣٤٨ هـ) .

ومتى فرغ من درسي . . جاء إليه الدثني يقرأ عليه إلى قريب الظهر ، عندئذ يتناول ما تيسر من الغداء ، ثم يقبل نصف ساعة أو أقل ، ثم يتهيأ للظهر فريضة ونوافل ، وبعد أن يفرغ فتارة يحضر عليه أولئك الكرهط فيقرؤون ، وتارة يدخل إلى أهله ، وهناك تحضر الوالدة^(١) بكتابتها فتقرأ عليه ، كلما انتهت من كتاب . . شرعت في آخر ؛ لأنها كانت مشاركة في العلم ، وأحياناً يضرب الستر ويأتي الدثني بكتابه وسيدتي الوالدة من ورائه إلى أن تجب العصر ، فيقوم إلى مصلاه ويؤديها نافلة وفريضة بطهر مجدّد ، ثم يشتغل بشيء من الأوراد والحزوب ، ثم أحضر بكتابي فأقرأ درساً ، ثم أنهض للعب مع أصحابي المخصّصين لذلك ، وكثيراً ما يزورنا ويراقبنا ، وربما شاركنا ؛ تطيباً لأنفسنا دقيقة أو دقيقتين .

يَرُوعُ رَكَانَةٌ وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا تَذَرِي أَشِيخُ أُمُ غُلَامٍ^(٢)
ثم يحضر الدثني إلى المغرب ، وعند ذاك يستأنف الطهارة ، ثم يؤدّي المغرب بنوافلها الرّاتبة وغيرها ، ثم أحضر بكتابي فأقرأ درساً خفيفاً ، ويخلفني الدثني في القراءة إلى العشاء ، وقد يحضر السابقون في هذا الوقت وغيرهم فيكون درسهم واحداً .

ثم يؤدّي العشاء بدون تجديد طهارة ، ثم يصلي راتبة ، ويستغل بأذكار المساء ، ثم يتناول العلفّة من الطعام ، ثم يأخذ مضجعه وقد غلب عليه الخوف من الله والشوق إليه ، فقلما يطمئن به مضجعه ، وهكذا دواليك .

وقد أنطبعَت نفسه - ورسخت أعضاؤه على أتباع السنّة في يقظته وانتباهه ، وقيامه وقعوده ، ومدخله ومخرجه ، وقضائه للحاجة ، وأكله وشربه - أنطباعاً لا يحتاج معه إلى تكلف ، بل كثيراً ما أراه يتضجّر من النهار ، ولاسيما إذا كثر عليه الكواردون - مع أنّ كلامه معهم لا يخرج عن التمجيد والتحميد ، والتعريف والتوحيد ، والوعظ الذي

(١) هي الشريفة نور بنت محمد بن سقاف مولى خيلة .

(٢) البيت من الوافر ، وهو لأبي الطيّب المتنبّي في « العكبريّ » (٧٥ / ٤) . يروع : يفرع . الرّكانة : الوقار . الظرف : الحسن .

يلينُ لَهُ الحديدُ - فيَحْرُ إلى اللَّيالي حينَ الصَّبِّ المشتاقِ إلى حبيبهِ ألقاَدِمَ بعدَ طولِ
الفراقِ ؛ لِمَا يَجِدُهُ مِنْ لَذَّةِ العبادَةِ ، وحلاوةِ التَّلاوةِ ، وعذوبةِ المناجاةِ الَّتِي أشارَ إلى
مِثْلِها ابنُ القَيِّمِ في (ص ٣٣١) مِنْ « إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ » .

ومَعَ ذَلِكَ فقد كانَ يتملِّمُ لِمَا يَجِدُ مِنْ تِلْكَ اللَّذَّةِ خوفاً أَنْ ينقطعَ بها عنِ
المقصودِ ، أو تكونَ حظُّهُ مِنَ العملِ ، وكانَ يحكي مثلَ ذَلِكَ عن أبيهِ . وأقولُ : أمَّا
خوفُ الانقطاعِ بها عنِ المقصودِ . . فممكِنٌ ، وأمَّا أن تكونَ حظُّهُ مِنَ العملِ . . فلا ؛
لأنَّها بعضُ ثمرتِهِ المعجَلَةِ .

وكانَ آيَةً في عِزَّةِ النَّفْسِ والصَّدعِ بِالْحَقِّ والشَّدَّةِ فِيهِ والغِيَرَةِ عَلَيْهِ ، إلى بسطةِ كَفِّ ،
وفرطِ رَحْمَةٍ ، وسلامةِ صَدْرِ ، وورعِ حاجِزٍ ، واحتياطِ تامٍّ ، وقناعةٍ بما يَجِدُ مِنْ
حرثِهِ ، وما يصلُ مِنَ الْفَتْوحِ إِلَيْهِ مِنْ غيرِ طَمَعٍ ولا إِشْرَافٍ نَفْسٍ ، فعندَهُ غُفَّةٌ^(١) مِنْ
الْعِيشِ ، جَمَعَ إِلَيْهَا شَعْبَةً وافرةً مِنَ الْقَنَاعَةِ ، مغتَبِطٌ بَعِيشِهِ ، قانعٌ بِرِزْقِهِ ، راضٍ عن
رَبِّهِ ، ليسَ لَهُ حِجَابٌ ، ولا يُغْلَقُ عَلَيْهِ بَابٌ ، وإنَّما هُوَ كما قالَ السُّلَامِيُّ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

كَمَاءِ الْفَرَاتِ النِّجْمُ أَغْرَضَ وَرَدَهُ لِكُلِّ أَنْاسٍ فَهَوَ سَهْلُ الشَّرَائِعِ
وكانَ لَهُ في الوِعْظِ لِسَانٌ ، ويأخُذُهُ فِيهِ حالٌ عَظِيمٌ يشغَلُهُ عن نَفْسِهِ ، وَلَهُ قَلَمٌ سَيَّالٌ
في المَكاتِبَاتِ والرِّسائِلِ الْعِلْمِيَّةِ ، جَمَعَ مِنْ ذَلِكَ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ حَفِيطٍ ما دَخَلَ
في سِتَّةِ مَجَلِّدَاتٍ .

ولكنَّ لِسَانَهُ أَقْوَى بِكَثِيرٍ مِنْ قَلَمِهِ .

يَقُولُ عَارِفٌ مِقْدَارُ الْكَلَامِ لَهُ سُبْحَانَ خَالِقِهِ سُبْحَانَ بَارِيهِ^(٢)
وطيلةَ حياتِي لَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ لَغْواً قطُّ ، وكانَ أَعْيَانُ زَمَانِهِ يَعْرِفُونَ مِنْهُ ذَلِكَ ،
فيحاولُونَ أَنْ يتسَقَطُوهُ الْكَلَامَ ويحتالُونَ ليخوضَ مَعَهُمْ ، فلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ، فلا
أَجْدُ لَهُمْ وَإِيَّاهُ مثلاً إِلَّا الْرَّبِيعَ بْنَ خَيْثَمٍ ؛ إِذْ خَفُّوا إِلَيْهِ يَوْمَ قَتْلِ الْحَسَنِ لِيَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ

(١) الْغُفَّةُ : الْبُلْغَةُ مِنَ الْعِيشِ .

(٢) الْبَيْتُ مِنَ الْبَسِيطِ .

كلاماً ، فأخبروه ، فلم يَزِدْ عَلَى أَنْ قَالَ : أَوْ قَدْ فَعَلُوهَا ؟! قالوا : نَعَمْ .

فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَيَّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(١) .

فَمَا أَشْبَهَ هَذَا بِذَاكَ . لَا يَنْفِذُ إِلَى فَعْلِهِ التَّعْلِيلُ ، وَلَا يَحْتَاجُ شَيْءٌ مِنْهُ إِلَى التَّأْوِيلِ ؛ إِذْ صَارَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ فِيهِ مَوْضِعُ قَوْلِ أَبِي كِنَاسَةَ فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

أَمَاتَ الْهَوَى حَتَّى تَجَنَّبَهُ الْهَوَى كَمَا اجْتَنَبَ الْجَانِي الدَّمَ الطَّالِبُ الدَّمَ
سُرُورُهُ فِي إِقْبَالِ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ ، وَحُزْنُهُ فِي إِعْرَاضِهِمْ عَنْهُ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ سَبَبُ
مَوْتِهِ مِنْ هَذَا أَلْبَابٍ .

وَكَانَ كَثِيرَ الْأَخْذِ عَنِ الْمَشَايِخِ ، جَمَّ الْحَرَصِ عَلَى الْأَسْتِثْنَاءِ مِنَ الْأَسَانِيدِ
وَالْإِتِّصَالِ بِسُلَاسِلِ الرُّجَالِ وَأَثْمَةِ الْحَدِيثِ وَالطَّرِيقِ . وَقَدْ اجْتَمَعَ لَهُ وَلِيٌّ بِفَضْلِهِ -
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ- مَا لَا يَوْجَدُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ .

وَكَانَ فِي أَيَّامِ أَسْتَاذِهِ الْأَبَرِّ عِيدَرُوسِ بْنِ عَمْرِو يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ مِنْ أَيَّامٍ وَالِدِهِ^(٢) عَنْ أَمْرِهِ فِي
كُلِّ ثَلَاثِ مَاشِيًا ، وَبَيْنَهُمَا نَحْوُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ أَوْ أَكْثَرَ ، وَلَقَدْ أَرَادَ أَخُوهُ فِي اللَّهِ الشَّيْخُ
عَوْضُ بْنُ عَمْرِو شَيْبَانَ السَّابِقُ ذِكْرَهُ فِي الْغُرْفَةِ أَنْ يَشْتَرِيَ لَهُ مَرْكُوبًا ، فَأَبَى وَقَالَ : لَوْ
أَحْسَسْتُ بِتَعَبٍ .. لَقَبَلْتُ . وَلَقَدْ كَادَ أَنْ يَخْرُجَ عَنْ إِهَابِهِ مِنَ الطَّرَبِ ؛ إِذْ تَمَثَّلَتْ لَهُ عِنْدَ
مِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ بِقَوْلِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

أَرَى الطَّرِيقَ قَرِيبًا حِينَ أَسْلُكُهُ إِلَى الْحَيِّبِ بَعِيدًا حِينَ أَنْصَرِفُ
وَقَوْلِ الْآخِرِ [كَثِيرَ عَزَّةٍ فِي « دِيَوَانِهِ » ١٠٩] مِنْ الطُّوَيْلِ :

وَكُنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى أَزُورُهَا أَرَى الْأَرْضَ تَطْوِي لِي وَيَدْنُو بَعِيدَهَا^(٣)

(١) حلية الأولياء (١١١/٢) .

(٢) أي : الحبيب محسن بن علوي ، المتوفى سنة (١٢٩١هـ) ، وعُمَرُ المُرْجَمُ حينذاك (٣٠) عاماً .

(٣) في « الديوان » : (سُعْدَى) بدل : (لَيْلَى) .

مِنَ الْخَفِرَاتِ اللَّاءِ وَدَّ جَلِيسَهَا إِذَا مَا أَنْقَضَتْ أُحْذُوثةً لَوْ تُعِيدُهَا
ثُمَّ ظَفَرَ هُوَ بِقَوْلِ الْآخِرِ [مِنَ السَّرِيعِ] :

وَاللَّهِ مَا جِئْتُكُمْ زَائِرًا إِلَّا رَأَيْتُ الْأَرْضَ تُطَوِّئُ لِي
وَلَا أَتْنِي عَزْمِي عَنْ بَابِكُمْ إِلَّا تَعَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي
فَكَانَ كَثِيرَ التَّغْنِي بِيهَا ، وَهُوَ مَعْنَى وَاسِعٌ لِلشُّعْرَاءِ فِيهِ مَجَالٌ ، وَلَمْ يَنْسَ الْمَتْنِي
حَظَّهُ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى ، لَكِنْ مِنْ غَيْرِ إِجَادَةٍ ، حَيْثُ يَقُولُ [فِي « الْعُكْبَرِيِّ » ٦٣/١ مِنْ
الطَّوِيلِ] :

أَتَى مَرْعَشًا يَسْتَقْرِئُ الْبُعْدَ مُقْبِلًا وَأَدْبَرَ إِذْ أَقْبَلْتَ يَسْتَبْعِدُ الْقُرْبَا^(١)
وَكَانَتْ تَرَعْدُ عِنْدَهُ فَرَائِصُ الْمُلُوكِ ؛ لِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَحْتِرَامِ الْحَقِّ وَهَيْبَةِ الدِّينِ ،
وَلَمَّا يَرُونَ عَلَيْهِ مِنْ عِزَّةِ الْإِيمَانِ وَشَرَفِ الْعِلْمِ ، وَصَوْلَةِ الْحَقِّ ، وَسُلْطَانِ الصِّدْقِ ،
وَقُوَّةِ الْيَقِينِ ، فَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ ، وَلَا يُؤْمَلُونَ أَبَدًا فِي أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا ؛ إِذْ كَانَتْ
الشُّبُهَاتُ فِي عَهْدِهِ - فَضْلًا عَنِ الْحَرَامِ - ظَاهِرَةً النَّكَارَةِ ، فَاحِشَةً أَلْمَامَةٍ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ
مَكَّاسُ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ - الْمُسَمَّى تَوْفِيقًا - مَبْذُورًا مُهَانًا ، وَكَثِيرًا مَا يَمُرُّ بِجَانِبِ مَدْرَسَةِ
طَلَّةِ بْنِ عَمْرِ فِيرْمِيهِ صَبِيانُهَا بِالْحَجَارَةِ ، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الدَّفَاعِ ، وَلَوْ دَافَعَ . . . لِلْقِي
أَكْبَرَ .

وَلَهُ مُحَاسِنٌ ، وَكَانَ مَوْتُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَأَشْكَلَ ذَلِكَ عَلَى وَالِدِي ، فَخَفَّ إِلَى
الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ فَقَالَ - قَبْلَ أَنْ يَبْلَعَ الرَّيْقَ - : أَحْجُجِ النَّاسَ إِلَى الْجُمُعَةِ : تَوْفِيقُ .

ثُمَّ صَارَ أَبْنَاءُ السَّادَةِ الْيَوْمَ يَتَسَابِقُونَ إِلَى مِثْلِ وَظِيفَتِهِ ، وَيَتَنَافَسُونَ فِيهَا ، وَيَشْمَخُونَ
بِأَنْوَفِهِمْ ؛ ظَنًّا أَنْ قَدْ رَفَعَتْ مِنْ أَقْدَارِهِمْ .

وَعَلَى الْجُمْلَةِ : فَكُلُّ سَاعَاتِهِ ذِكْرٌ أَوْ تَذْكِيرٌ ، أَوْ قِرَاءَةٌ أَوْ تَدْرِيسٌ ، أَوْ صَلَاةٌ يَسْتَشْعُرُ
حَاضِرُهَا - بِمَا يَغْشَاهُ مِنَ الطَّمَأْنِينَةِ وَالْخَشْيَةِ - نَزُولَ السَّكِينَةِ ، وَشُمُولَ الرَّحْمَةِ ،
وَحَضُورَ الْمَلَائِكَةِ .

(١) مَرْعَش : حَصْنٌ بِلَدِ الرُّومِ مِنْ أَعْمَالِ مَلَطِيَّةِ .

وما أَلَذَّ ما تسمعُ آياتِ القرآنِ مِنْ لسانِهِ في الصَّلَاةِ الجَهْرِيَّةِ ، بصوتهِ الجَهيرِ ،
ونغمتهِ الشَّجِيَّةِ ، غَضَّةً طَرِيَّةً ، تكادُ تنتزعُ القلوبَ مِنْ أَمَكانِها ، ويخيَّلُ لَهُم أَنَّهُمْ لَمْ
يَسمَعوها مِنْ قَبْلُ ، وَأَنَّها إِنَّمَا نزلتْ تلكَ السَّاعةَ ، حتَّى ليحسبُ المقتدون بما يَشمَلُهُم
مِنَ اللَّذَّةِ وَيَغمرُهُم مِنَ الهَيْبَةِ ويستولي عليهم مِنَ الخشوعِ أَنَّ قَدِ انفصلوا عن عالمِ
الحسِّ ، وَالتَّحقَّقوا بعوالمِ القُدُسِ ، بحيثُ لا يَمكُنُ لمسبوقٍ أَنْ يقرأ (الفاتحة) من
خلفِهِ .

وَأَذْكَرُ أَيَّامِي لَدَيْهِ فَأَنْتَبِهي عَلَى كَبْدي مِنْ خَشْيَةِ أَنْ تَقَطَّعا^(١)

وما أَذْكَرُ صلاةَ أَشْفى لِلنَّفْسِ ، وأَجْمَعَ لِلقلبِ ، وأَبْرَدَ لِلخاطرِ وَأَنْفَى لِلهَمِّ ، وأَدْنَى
إِلَى الإِخلاصِ مِنْ صلواتي في الجَهْرِيَّاتِ خَلْفَهُ ، وخَلَفَ شَيْخنا الفاضلِ الشَّيخِ
حسنِ بنِ عوضِ بنِ زَيْنٍ مُخَدَّمٍ ، وصلواتي خَلَفَ الأُسْتاذِ الأَبْرَّ جَهْرِيَّةً كانت أَوْ سَرِيَّةً ؛
فإنَّهُ يسري إلينا سرٌّ مِنْ إِخلاصِهِ ، يلدُّ لنا بِهِ التَّطويلُ مطلقاً .

وَأَذْكَرُ أَنَّ أَوَّلَ صلاةٍ كانت لي بالمسجدِ الحرامِ لَمَّا حَجَجْنا في سَنَةِ (١٣٢٢ هـ) هِيَ
الصُّبْحُ خَلَفَ واحِدٍ مِنَ العلماءِ - يُدعى فيما اتَّوَهَّمُ خَوَفير - قرأ في الأَوَّلَى بِالثَّانِي فَكَادَ
الْقَلْبُ يَخْرُجُ عن شِغافِهِ عِنْدَ إِشارَتِهِ إِلى الْبَلَدِ بقوله : ﴿ وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ ﴾ ثُمَّ ما كَفاهُ
حتَّى قرأ في الثَّانِيَةِ سورةَ - (قريش) فلا تَسَلَّ عَمَّا داخَلَنِي عِنْدَ إِشارَتِهِ إِلى أَلْبَيْتِ -
وما بَيْننا وَبَيْنَهُ إِلاَّ ثمانيةُ أَذْرعٍ أَوْ أَقلُّ - بقوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ فلولا
الاعتصامُ بِالْأَجَلِ . . لالتحقت الرُّوحُ بِالباري عَزَّ وَجَلَّ ، وَلَكِنِّي :

ضَمَمْتُ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ مَخَافَةً وَقَدْ قَرَعَتْهُ بِالْعَطَاةِ الْقَوَارِعِ^(٢)
وَمَا يَنْفَعُ الْقَلْبَ الَّذِي طَاشَ لُبُّهُ لِتِلْكَ الْمَعَانِي أَنْ تَضُمَّ الْأَصَابِعُ

(١) البيت من الطَّويل ، وهو للصُّمَّةِ بن عبد الله القشيري ، بتغيير بسيط .

(٢) البيتان من الطَّويل ، وهما كما عند ابن نباتة السَّعْدِيِّ :

أَضَمُّ عَلَى قَلْبِي يَدَيَّ مَخَافَةً إِذَا لَاحَ لِي بَرْقٌ مِنَ الشَّرْقِ لَامِعُ
وَمَا يَنْفَعُ الْقَلْبَ الَّذِي بَانَ إِلْفُهُ إِذَا طَارَ شَوْقاً أَنْ تَضُمَّ الْأَصَابِعُ

وكثيراً ما شتَفَ سمعي ، وأستوكفَ دمعي ، وأمتلكَ لبي ، وأستأسرَ قلبي
 ما سمعتهُ من قراءةِ إمامِ الحرمِ بأوساطِ المفصلِ في صلاةِ الصُّبحِ سنةَ (١٣٥٤ هـ) ،
 وتذكَرتُ صلاةَ والدي ، إلاَّ أنَّ تلكَ أخشعُ وقراءةُ إمامِ الحرمِ أجودُ وأسمعُ ، فهو
 مقرئٌ غيرُ مدافعٍ ، ولكنَّ خطابتهُ دونَ ما يليقُ بالمسجدِ الحرامِ الَّذي يطلبُ بلاغةً
 تتفرَّى لها الأهبُ ، وتكادُ لها النفوسُ تنتهبُ .

ثمَّ إنَّ والدي رحمه الله مع ما سبقَ كلُّهُ لم يَكُنْ بالمتزمتِ ولا بالمتنطِّعِ
 ولا بالمتنقبِصِ ، بل لا يفارقُ ثغرهُ ألابتسامُ في سراءٍ ولا ضراءٍ ، ولهُ في الدُّعابةِ مذهبٌ
 جميلٌ ، يُخرجهُ عن طريقِ المُرَّاثينَ المتصنِّعينَ ، ويُحلِّيه بقولِ المتنبي [في « العُكْبَرِي »
 ٢٨٧/٢ من الطويل] :

تَفَكَّرُهُ عِلْمٌ ، وَسِيرَتُهُ هُدًى وَبَاطِنُهُ دِينٌ ، وَظَاهِرُهُ ظَرْفُ
 فَلَهُ مَعْنَا - وَلَا سَيِّمًا عِنْدَ الْأَكْلِ ، بل وفي مثنائي الدُّروسِ عِنْدَ الْمُنَاسَبَاتِ - مفاكهاتُ
 شهيَّةٍ ، ومنادراتُ لذيذةٍ ، وتراءُ يُصغي بِسَمْعِهِ وَقَلْبِهِ لِمَا أَنشَدَهُ إِيَّاهُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الْأَدَبِيَّةِ
 عِنْدَ الْمُقْتَضِيَّاتِ ، وَيَطْرَبُ لَذَلِكَ وَيَسْتَعِيدُهُ .

وقد سبقَ أَنَّهُ يُشاركني أحياناً في اللَّعِبِ إِنِّسَاءً لي ، وَضَنَّةً بِي عن مخالطةِ
 الْأَضْدَادِ ، فَلَمْ تَكُنِ الْهَيْبَةُ الْغَالِبَةُ عَلَيْهِ هَيْبَةً تَعَاطُمُ وَلَا تَرْفَعُ ، كَلَّا وَاللَّهِ ، ثُمَّ كَلَّا وَاللَّهِ ،
 وَلَكِنْ كَمَا قَالَ أَبُو عِبَادَةَ [في « ديوانه » ٣٠٩/٢ من البسيط] :

يُهَابُ فِينَا وَمَا فِي لَحْظِهِ شَزْرٌ وَسَطَ النَّدِيِّ وَلَا فِي خَدِّهِ صَعَرٌ^(١)
 وَإِنْ كَانَ لِيَجْرُنِي الرَّسْنُ فَأَنَاقِشُهُ الْمَسَائِلَ وَأَجَاذِبُهُ الْبَحْثَ فَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا سُرُوراً
 وَاعْتِبَاطاً ، عَلَى شَرِطٍ أَنْ أَتَوَكَّأَ عَلَى الدَّلِيلِ وَأَعْتَمِدَ عَلَى النَّصِّ . وَلَقَدْ جَهَدْتُ أَنْ أَتَعَلَّقَ
 لَهُ بِهَفْوَةٍ أَحْتِجُّ بِهَا عِنْدَمَا يُنَاقِشُنِي الْحِسَابَ عَلَى الْمُبَاحَاتِ ، وَيُكَلِّفُنِي الصَّعَبَ مِنَ
 الْمَجَاهِدَاتِ فَلَمْ أَسْتَطِعْ .

(١) الشَّرْزُ : النَّظَرُ بِمَوْخَرِ الْعَيْنِ ، وَيَكُونُ عِنْدَ الْغَضَبِ . النَّدِيُّ : مَجْلِسُ الْقَوْمِ . الصَّعَرُ : إِمَالَةُ الْخَدِّ عَنِ النَّاسِ تَكْبِيراً .

وقد سُئِلَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ^(١) ، فَقَالَ : (لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ رَجُلٍ كَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ أَدْبَتْهُ ، وَكَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ رَبَّتْهُ ، إِنْ قَامَ بِأَمْرٍ . . قَعَدَ بِهِ ، وَإِنْ قَعَدَ بِأَمْرٍ . . قَامَ بِهِ ، وَإِنْ أَمَرَ بِشَيْءٍ . . كَانَ أَلَزَمَ النَّاسَ لَهُ ، وَإِنْ نَهَى عَنْ شَيْءٍ . . كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ ، مَا رَأَيْتُ ظَاهِرًا أَشْبَهَ بِبَاطِنٍ مِنْهُ)^(٢) ، وَكَأَنَّمَا نَظَرَ فِي هَذَا بِلَحْظِ الْغَيْبِ إِلَى وَالِدِي ، فَإِنَّهُ أَلَوْصَفُ الَّذِي يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ تَمَامًا ، لَا يَأْنِفُ مِنْ حَقٍّ ، وَلَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ بِبَاطِلٍ ، فَلَهُوَ وَاللَّهُ مِنْ أَحَقِّ النَّاسِ بِقَوْلٍ كَثِيرٍ لَفِي « دِيَوَانِهِ » ١٤٥ مِنْ الطُّوِيلِ :

تَرَى الْقَوْمَ يُخْفُونَ التَّبَسُّمَ عِنْدَهُ وَيُنْذِرُهُمْ غُورَ الْكَلَامِ نَذِيرُهَا^(٣)
فَلَا هَاجِرَاتُ الْقَوْلِ يُؤْثِرْنَ عِنْدَهُ وَلَا كَلِمَاتُ التَّنْصِيحِ يُقْصِي مُشِيرُهَا
وقول كعب بن سعد الغنوي [مِنْ الطُّوِيلِ] :

إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرَّجَالُ تَحَفَّظُوا فَلَمْ يَنْطَفُوا الْعَوْرَاءَ وَهُوَ قَرِيبٌ
وَلَيْتَنِي قَالَ ابْنُ عَنقَاءَ : (إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ . . أَغْضِي) فَإِنَّ هَذَا إِذَا قِيلَتِ :
الْعَوْرَاءُ . . غَضِبَ ، بَلْ لَا أَذْكَرُ أَنَّ أَحَدًا نَطَقَ فِي مَجْلِسِهِ بِكَلِمَةٍ غِيْبَةٍ أَوْ نَحْوِهَا .
وكذلك كَانَ يَقُولُ عَنْهُ الشَّيْخُ الدُّنْيِيُّ ، وَيُكْثِرُ التَّعَجُّبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَشَدُّ وَأَقْدَمُ
لَهُ لَزَامًا مِنِّي .

ومَعَ هَذَا كُلِّهِ فَمَا هُوَ إِلَّا صُورَةٌ مُصَغَّرَةٌ مِنْ أَحْوَالِ وَالِدِهِ وَأَحْوَالِ سَيِّدِنَا الْأُسْتَاذِ الْأَكْبَرِ
عِيدروس بن عمر ، وَكَلَّمَا اسْتَكْثَرْنَا أَعْمَالَهُ . . قَلَّلَ مِنْهَا بِالنِّسْبَةِ لِأَعْمَالِهِمْ ، وَأَقْسَمُ أَنَّهُ
غَيْرُ هَاضِمٍ لِنَفْسِهِ ، وَلَكِنَّهُ مُخْبِرٌ بِالْوَقَاعِ .

وَعَلَى مِثْلِ حَالِهِ رَأَيْتُ سَيِّدِي شَيْخَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيِّ ، عَلَى ضَيْقٍ فِي عَطْفِهِ ،
وَحَشُونَةٍ فِي خَلْقِهِ ، وَإِلَّا . . فَقَدْ كَانَ هَذَا أَوْسَعَ عِلْمًا وَأَكْثَرَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ مُجَاهِدَةً

(١) هو عمرو بن عبيد بن باب ، وقيل : ابن كيسان ، التميمي المعتزلي مولاهم أبو عثمان البصري . ولد سنة (٨٠ هـ) ، ومات سنة (١٤٢ هـ) ، ترجمته مطولة في « تهذيب الكمال » ومختصراته .

(٢) انظر ترجمة عمرو بن عبيد ، والقصة هذه في « وفيات الأعيان » (٤٦٠ / ٣) .

(٣) غور الكلام : قبيحه .

لِلنَّفْسِ ، إِلَّا أَنَّ وَالِدِي كَانَ أَجُودَ وَأَسْمَحَ ، وَأَنْصَحَ وَأَفْصَحَ ، وَأَرَأَفَ وَأَعْطَفَ ، وَأَظْرَفَ وَالْطَفَّ .

وكانَ سيّدي عبدُ اللهِ بنُ حسنِ البحرِ على قَريبٍ مِنْ تلكَ الحالِ ، بل هو أُنْدَى بناً ، وأشجعُ جَناناً ، وأكثرُ ضِيفاناً ، وأطولُ قياماً وركوعاً ، وأغزُرُ بكاءً وخشوعاً ، إِلَّا أَنَّ وَالِدِي كَانَ أَكْثَرَ عِلْماً وَأَغْزَرَ فَهْماً ، وَأَبْلَغَ لِسَاناً ، وَأَفْصَحَ بَيَاناً ، وَأَحْلَى لَفْظاً وَأَنْجَعَ وَعْظاً .

ولقد أُشهدتُ منهما مشهداً عجيباً بمنزِلِ سيّدي الفاضلِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأُسْتَاذِ الْأَبْرِّ الْمُسَمَّى : باوعيل في شَرْقِيّ تَرِيَسَ سَنَةِ (١٣١٨هـ) ، تذاكراً فِيهِ أَحْوالِ الْإِمَامِ الْبَحْرِ وَالْأُسْتَاذِ الْأَبْرِّ وَشِدَّةِ خَوْفِهِمَا مِنَ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ ، وفِرطِ أَنْكَسَارِهِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَجَرَى لهما مِثْلُ ما جَرَى لابنِ الْمُنْكَدِرِ وَأَبِي حازِمٍ ؛ فقد ذَكَرَ غَيْرُ واحدٍ أَنَّ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ صَلَّى وَبَكَى ، ففَرَعَ أَهْلُهُ حَتَّى اسْتَعَانُوا بِأَبِي حازِمٍ . فقالَ لَهُ : ما الَّذِي يُبْكِيكَ حَتَّى رُعْتَ أَهْلَكَ ؟

قالَ : مَرَّ بِي قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَبَدَأْهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ، فصَعَقَ أَبُو حازِمٍ وَأَشْتَدَّ بكاؤُهُما ، فقالَ بَعْضُ أَهْلِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ لِأَبِي حازِمٍ : جِئْنَا بِكَ لِتُفَرِّجَ عَنْهُ فَزِدْتَهُ . فَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ جَرَى لَوَالِدِي مَعَ الْقَانِتِ الْأَوَّابِ الْبَحْرِ يَوْمَئِذٍ ، وَكانا جِاءا لِلتَّرويحِ . . فعادا فِي مَأْتَمٍ .

وعلى الْجُمْلَةِ : فقد كانَ كَثِيرٌ مِمَّنْ أَدْرَكَناهُمْ وَأَخَذَنا عَنْهُمْ على غِرارِهِم ، وَشَرِيفِ آثارِهِم ؛ كسادتي : عبدُ اللهِ بنِ عَمَرَ بنِ سَمِيطٍ ، الْمَتوفى بِشِبابِ سَنَةِ (١٣١٣هـ) . وَأحمدُ بنِ مُحَمَّدٍ الْكَافِ ، الْمَتوفى بِتَريمَ سَنَةِ (١٣١٧هـ) . وعبدُ الرَّحْمَنِ بنِ حامِدٍ السَّقَّافِ ، الْمَتوفى بِسَيُونِ سَنَةِ (١٣١٦هـ) . وَالشَّيخُ عُمَرُ عُبُودٍ بَلْخِيرٍ ، الْمَتوفى بِالْغُرْفَةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣١٦هـ) . وعبدُ الرَّحْمَنِ بنِ مُحَمَّدٍ الْمَشْهُورِ ، الْمَتوفى بِتَريمَ سَنَةِ (١٣٢٠هـ) .

والشَّيخُ أحمدُ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أَبِي بَكْرِ الْخَطِيبِ ، الْمَتوفى بِتَريمَ سَنَةِ (١٣٣١هـ) . وَالشَّيخُ مُحَمَّدُ بنِ أحمدَ قَيعِطبانَ ، الْمَتوفى بِها سَنَةِ (١٣١٦هـ) . وَالشَّيخُ أحمدُ بنِ

عبد الله بن عمر الخطيب ، المتوفى بها سنة (١٣٣٣هـ) . والسيد عيدروس بن علوي
 العيدروس ، المتوفى بتريم سنة (١٣٢٠هـ) . وأخيه من الأم السيد شيخ بن
 عيدروس بن محمد العيدروس المتوفى بها سنة (١٣٣٠هـ) . والسيد علوي بن
 عبد الرحمن السقف ، المتوفى بسيئون سنة (١٣٢٨هـ) . والشيخ حسن بن عوض بن
 زين بن مخدّم ، المتوفى ببور سنة (١٣٢٨هـ) . والسيد أحمد بن حامد بن سميط ،
 المتوفى بشبام سنة (١٣٣١هـ) . وطاهر بن عبد الله بن سميط ، المتوفى بشبام أيضاً سنة
 (١٣٣١هـ) . والسيد عبد القادر بن أحمد بن قطبان ، المتوفى بسيئون سنة
 (١٣٣٤هـ) . والسيد عبد الله بن علي بن شهاب ، المتوفى بتريم سنة (١٣٤٠هـ) .

ومن في طبقاتهم ممن لم تحضرني أسماؤهم حال رقم هذا ، فقد كانوا بتفاوت
 الدرجات العلمية أراكين إسلام ، وجمال أيام .

وَجُوءٌ عَلَيْهَا لِلْقُبُولِ عِلَامَةٌ وَلَيْسَ عَلَى كُلِّ الْوُجُوهِ قُبُولٌ^(١)
 وَجُوءٌ إِذَا مَا أَسْفَرَتْ عَنْ جَمَالِهَا سَجَدْنَ عَلَى أَعْيَابِهِنَّ عُقُولٌ

أما من قبلهم ؛ كسادتي : أحمد بن عمر بن سميط ، وسيد الوادي الحسن بن
 صالح البحر ، وعبد الله بن حسين بن طاهر ، وعبد الله بن حسين بلقييه ،
 وعبد الله بن أحمد باسودان ، وعبد الله بن سعد بن سمير ، وجدّي المحسن ،
 وعبد الله بن عمر بن يحيى ، والإمام المحضار ، ومن على شاكلتهم من تلك
 الطبقة . . فقد كانوا أفضل فريقاً ، وأقوم طريقاً .

جَمَالَ ذِي الْأَرْضِ كَانُوا فِي الْحَيَاةِ وَهُمْ بَعْدَ الْمَمَاتِ جَمَالُ الْكُتُبِ وَالسَّيْرِ^(٢)

وقد ذكر سيدي عبد الله بن حسين بن طاهر في (ص ١٠٧) من « مجموعه »
 جماعة من أفاضل من رآهم وعاشرهم بهم تقرأ النواظر ، وتبرد الخواطر ، وتطيب
 الأخبار ، وتزین الأسمار ، ومع هذا كله فلا أتصور أحداً يتفضل على سيدي الأستاذ

(١) البيت من الطويل .

(٢) البيت من البسيط ، وهو لأبي العلاء المعري في « سقط الزند » (٥٩) .

الْأَبْرُ ؛ وما أدري أذلك هو أواقع؟ أو إنما هي دهشة النَّظَرِ ، وقد قال أبو الطَّيِّبِ [في
«المكبري» ٨١/٣ من البسيط] :

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ
وَرَبِّمَا كَانَ فِي مِثْلِ هَذَا إِسَاءَةٌ أَدَبٍ مِنَّا ؛ إِذِ الْعِلْمُ لِلَّهِ ، وما نَظَرُ إِلَّا ظَنًّا ؛ لِأَنَّ
شَمَائِلَهُ لَمْ تَكُنْ لَتُخْرِجَ - بَعْدَ اسْتِثْنَاءِ الْجِهَادِ - عَنْ شَمَائِلِ جَدِّهِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَالِهِ وَسَلَّمَ ، وههنا موضع قول كشاجم :

لَوْلَا عَجَائِبُ صُنْعِ اللَّهِ مَا نَبَّتْ تِلْكَ الْفَضَائِلُ فِي لَحْمٍ وَلَا عَصَبٍ^(١)
وإنما أسهبْتُ في الموضوع مع خروجه عن سمت المقصود ؛ لِأَنَّ الزَّمانَ أَنْحَطَّ
دُفْعَةً ، وتراذَلْ فجأةً ، فلم تكتحلْ عيون المتأخرين بأحدٍ مِنْ أمثال أولئك الَّذِينَ :

رَضِعُوا لِبَانِ الْمَجْدِ فِي حِجْرِ الْعُلَا فَعَلَوْا عَلَى الْأَكْفَاءِ وَالْأَنْدَادِ^(٢)
وَأَظْلَلَهُمْ بَيْتُ النَّبُوءَةِ وَأَبْتَنَوْا شَرَفًا عَلَى شَرَفٍ بَغِيرِ حَدَادِ
فَلَهُمْ إِذَا مَا زُرْتَهُمْ وَخَبِرْتَهُمْ شَرَفُ الْمُلُوكِ وَسِيرَةُ الزُّهَادِ
قَوْمٌ إِذَا سَفَرُوا حَسِبَتْ وَجُوهُهُمْ لِلنَّاطِرِينَ أَهْلَةَ الْأَعْيَادِ

فأحببتُ تقريرهم به عن مشاهدة بالعين ؛ كيلا تحملَهُمُ الظُّروفُ السَّيِّئَةُ بقياس
المشاهدة على إنكارهم وتوهم استحالتهِم ، وما كانوا إِلَّا كما قال الْقُطَامِيُّ ، أو
لقيطُ بنُ زُرارة :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَظَّمَ الْجِرْعَ نَاقِبُهُ^(٣)

(١) البيت من البسيط ، وهو ليس لكشاجم ، بل لابن الرومي من قصيدته الطويلة التي مطلعها :
مَا أَنَسَ لَا أَنَسَ هُنْدًا أَخْصَرَ الْحَقْبِ عَلَى اخْتِلَافِ حُرُوفِ الدَّهْرِ وَالْعُقْبِ
وعدد أبيات القصيدة (١٤٠) بيتاً .

(٢) الأبيات من الكامل ، وهي لناصح الدين الأَرْجَانِي .

(٣) الأبيات من الطَّوِيل ، وهي ليست للقُطَامِيِّ ، ولا للقيط بن زُرارة ، بل لأبي الطَّمَحَانِ القِينِيِّ ، كما في
«ديوان الحماسة» (٢٧١-٢٧٢) . دُجَى اللَّيْلِ : ظلمته . نَظَّمَ : جمع . الجِرْع : الخرز
اليمني . نَاقِبُهُ : الذي يضمه .

نُجُومُ سَمَاءٍ كُلَّمَا انْقَضَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تَأْوِي إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ
وَمَا زَالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوِّدٌ تَسِيرُ الْمَعَالِي حَيْثُ سَارَتْ رَكَائِبُهُ

لا يُفَقِّدُ مِنْهُمْ زَعِيمٌ . . إِلَّا سَدَّ مَسَدَهُ رَجُلٌ عَظِيمٌ ، وَكُلَّمَا غَابَ مِنْهُمْ نَجِيبٌ . . سَدُّوا
مَعَاوِزَ فَقْدِهِ بَلِيبٌ ، قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [في «ديوانه» ١/ ٥٠٠ من الخفيف] :

كُلَّمَا غَابَ مِنْ بَنِي خَلْفٍ بَذَ رُ يُضِيءُ الظُّلَامَ أَخْلَفَ بَذَرَا
نَقَضَ الْذَهْرُ مِنْهُمْ ثُمَّ أَغْيَوُ هُ بُدُوراً مِنَ الْمَطَالِيعِ تَثَرَى

وما زالَ والدي على فِعْلِهِ الْجَمِيلِ وَسَعِيهِ الْجَلِيلِ إِلَى أَنْ تَوَفَّيَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ فِي يَوْمِ
الْجُمُعَةِ (٢١) جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ (١٣٢٤ هـ) ^(١) .

وَلِنَعُذَ عَلَى الْبَدءِ . . فَمَمَّنْ سَكَنَ سَيْثُونَ : الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَقِيلِ السَّقَافِ ^(٢) .

هُمَامٌ يَلْمَعِيٌّ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ جَنِينَهُ فَلَقَى الصَّبَاحَ ^(٣)
عَلَيْهِ سِمِيَاءُ الْمَجْدِ بَادٍ وَعُتُوانُ الْفَضَائِلِ وَالسَّمَّاحِ

كَانَ أَبُوهُ يَتَرَدَّدُ إِلَى سَيْثُونَ ، ثُمَّ اقْتَرَنَ بِسَلَامَةَ بِنْتِ الْحَبِيبِ عَلِيٍّ ^(٤) بْنِ عَمْرِ بْنِ
طَةَ بْنِ عَمْرِ السَّقَافِ ، فَأَوْلَدَهَا إِثَاءً .

وَفِي «الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَنِ» : (أَنَّ وَالِدَ السَّيِّدِ عَلِيٍّ كَانَ يَتَرَدَّدُ إِلَى الْحَاوِي عَلَى
حَصَانٍ مَعَهُ إِلَى عِنْدِ الْقُطْبِ الْحَدَّادِ ، وَكَانَ سَاكِنًا بِالْمَسْفَلَةِ ، وَلَهُ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ :

(١) وَلَمْ يُغْفَبِ الْحَبِيبُ عِيْدُ اللَّهِ مِنَ الذِّكُورِ سِوَى ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُؤَلِّفِ الْكِتَابِ ، وَثَلَاثُ بَنَاتٍ ، أَعْلَمُهُنَّ
وَأَشْهَرُهُنَّ ذِكْرُ الشَّرِيفَةِ عَلَوِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْقِدُ مَجَالِسَ الْعِلْمِ لِلنِّسَاءِ فَيَأْتِيهِنَّ مِنْ أَطْرَافِ الْبَلَدِ ، بَلْ وَمِنْ
خَارِجِهَا لِلانْتِفَاعِ بِهَا ، وَكَانَ مَجْلِسُهَا يَعْقِدُ مَرَّتَيْنِ فِي الْأُسْبُوعِ ، وَقَدْ تَوَفَّيْتُ حُدُودَ سَنَةِ (١٣٨٠ هـ) .
«التلخيص» (١٤٣) .

(٢) وَلَدَ الْحَبِيبِ عَلِيٍّ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بِسَيْثُونَ ، وَتَوَفَّيْتُ بِهَا كَمَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ، أَمَّا وَالِدُهُ . . فَمَقْبُورٌ بِقِسْمٍ ، تَوَفَّيْتُ
بِهَا سَنَةَ (١١٢٣ هـ) .

(٣) الْبَيْتَانِ مِنَ الْوَاظِرِ ، وَهُمَا لِلشَّرِيفِ الرُّضِيِّ فِي «ديوانه» (٢٤٦/١) بِتَغْيِيرِ يَسِيرٍ .

(٤) وَلَدَ بِسَيْثُونَ سَنَةَ (١٠٢٠ هـ) ، وَتَوَفَّيْتُ سَنَةَ (١٠٧٤ هـ) ، كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ سَيْثُونَ الْبَارِزِينَ ، تَوَلَّى
الْإِفْتَاءَ وَالْقَضَاءَ بِهَا . «التلخيص» (٢٥) .

سَقَاف ، أَكْبَرُ مِنْ عَلِيٍّ ، إِلَّا أَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَكْثَرَ مِنْهُ بَحْثًا وَقِرَاءَةً ، وَنَشَأَ فِي ضَنْكِ مِنْ
الْمَعِيشَةِ وَشَدَّةِ شَدِيدَةٍ ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ إِلَى الْحَاوِي هُوَ وَزَوْجَتُهُ . . يَنْسَوْنَهُمْ بِلا غَدَاءٍ ،
وَلَكِنَّ الْقَطْبَ الْحَدَّادَ كَانَ يَتَفَقَّدُهُمْ بِنَفْسِهِ ، ثُمَّ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ آخِرَ عَمْرِهِ بِسَيِّثُونَ ، فَكَانَ
يَكْثُرُ مِنْ شَرْبِ السَّمَنِ بِاللَّيْلِ فَذَهَبَ بِصَرُّهُ (١٥٥)

وقد ترجمه سيدي عمر بن سقاف وهو حفيده من بنته بجزء خاص .

وَكَانَ - أَعْنَى الْحَبِيبِ عَلِيًّا - كَثِيرَ التَّنْقُلِ فِي الْبُلْدَانِ (١) ، وَلَا سِيَّمَا حَوَاطَةَ الشَّيْخَةِ
سُلْطَانَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ الزُّبَيْدِيِّ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى الْهِنْدِ وَعَادَ - مُتَجَرِّدًا عَنِ الدُّنْيَا كَمَا بَدَأَ - إِلَى
سَيِّثُونَ ، وَلَمْ يَزَلْ يَتَنَقَّلُ فِي دِيَارِ مِنْهَا حَتَّى عَمَرَ مَكَانَهُ الَّذِي يَسْمُوهُ ، فَكَانَ مِنْهَا
لِلوَارِدِينَ ، وَمرجعاً لِلطَّالِبِينَ ، وَأَسْتَقَرَّ فِيهِ يَقْرِي الضُّفْيَانَ ، وَيُنْشِرُ الْعُرْفَانَ حَتَّى مَاتَ
بِهَا فِي سَنَةِ (١١٨١ هـ) ، وَقُبِرَ بِجَانِبِ مَسْجِدِهِ فِي شَرْقِيَّةِ بَدُونٍ وَصِيَّةٍ مِنْهُ ، بَلْ قِيلَ لَهُ
فِي مَرَضِ مَوْتِهِ : أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ قَبْرُكَ ؟ فَقَالَ : حَيْثُمَا يَرِيدُهُ اللَّهُ .

وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ صَالِحُونَ ، مِنْ أَوَاخِرِهِمْ : حَفِيدُهُ الْمُعَمَّرُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ ، تَوَفَّى بِسَيِّثُونَ فِي رَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ (١٣٠٧ هـ) عَنْ مِائَةٍ وَخَمْسَةِ عَشَرَ
رَبِيعًا ، وَقَدْ حَضَرَتْهُ وَقَرَأَتْ عَلَيْهِ ، وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَدَعَا لِي وَالْبُسْنِي بِفَضْلِ وَالِدِي
رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ .

وَقَدْ أَدْرَكَ أَثْنَى عَشَرَ عَامًا مِنْ حَيَاةِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ وَهُوَ قَدْ أَدْرَكَ
خَمْسَ سِنِينَ مِنْ حَيَاةِ جَدِّهِ الْقَطْبِ الْحَدَّادِ .

وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ : الْفَاضِلُ الْمَحْبُوبُ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، الْوَصُولُ لِلْأَرْحَامِ : أَحْمَدُ بْنُ
جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (٢) ، أَلْتَوَفَّى بِسَيِّثُونَ سَنَةَ (١٣٢٠ هـ) عَنْ عَمْرِ

(١) أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ الْحَدَّادِ ، وَعَنِ الْحَبِيبِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدَرُوسِ صَاحِبِ سَوْرَتِ الْهِنْدِ ، وَهُوَ مِمَّنْ
اخْتَصَرَ كِتَابَ « مَجْمَعِ الْأَحْبَابِ » لِلْوَاسِطِيِّ ، وَاسْمُ مُخْتَصَرِهِ : « لُبُّ اللَّبَابِ » ، وَهُوَ غَيْرُ مُخْتَصَرِ
الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْنِ بْنِ سَمِيطِ الْمَسْمُومِ بِنَفْسِ الْأَسْمِ .

(٢) هُوَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحَبِيبِ عَلِيِّ . . وَلَدَ بِسَيِّثُونَ ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي (٤) صَفَرِ سَنَةِ
(١٣٢٠ هـ) ، وَهُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةِ إِخْوَةٍ كُلُّهُمْ صَالِحُونَ أَخْيَارَ ، وَالْآخِرَانِ هُمَا : عَبْدُ الرَّحْمَنِ تَوَفَّى بِمَكَّةَ =

يُنَاهِزُ الْمَنَّةَ . وقد أَخَذَتْ عَنْهُ بِفَضْلِ وَالِدِي مَرَّةً فِي الْحِجَّةِ مِنْ سَنَةِ (١٣٠٩ هـ)
 بِمَكَانِهِ ، وَأُخْرَى بِمَكَانِنَا عَلَّمَ بِذُرِّ لَيْلَةِ الْإِثْنَيْنِ (٧) أَلْقَعْدَةَ مِنْ سَنَةِ (١٣١٣ هـ) ،
 فَأَجَازَنَا وَأَلْبَسَنَا أَنَا وَالْوَالِدِي وَالشَّيْخَ مُحَمَّدَ الدُّثْنِيَّ وَوَلَدَهُ عَمَرَ ، بَعْدَ أَنْ أَمَرَنِي وَالِدِي
 بِقِرَاءَةِ شَيْءٍ مِنَ الْكُتُبِ ، وَقَالَ لَوَالِدِي : (لَمْ يَسْأَلْنِي إِلَّا جَازَةً مِنْ سَيِّئُونَ أَحَدٌ غَيْرُكَ) ،
 فَذَكَرْتُ بِهِ مَا رَوَاهُ شَارِحُ « أَلْعَيْنَةِ » فِي (ص ٣٢٠) عَنْ الْحَبِيبِ عَقِيلِ بْنِ عَبْدِ
 الرَّحْمَنِ أَنَّهُ أَلْبَسَ الْقُطْبَ الْحَدَّادَ كُوفِيَّةً ، وَقَالَ لَهُ : (أَلْبَسْنَاكَ وَلَمْ نَلْبَسْ غَيْرَكَ) اهـ
 وما رَوَيْ عَنْ الْحَبِيبِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَارِ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ الْقُطْبَ الْحَدَّادَ
 أَلْبَسَنِي وَأَذِنَ لِي فِي الْإِلْبَاسِ وَالْتَحَكِيمِ إِذْنًا مُطْلَقًا ، وَلَمْ يَأْذَنْ لِأَحَدٍ غَيْرِي إِلَّا الْحَبِيبَ
 أَحْمَدَ بْنَ زَيْنٍ .

لَكِنِ فِي « الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَنِ » : أَنَّ الْحَبِيبَ عَمَرَ حَامِدٍ غَضِبَ مِنْ كَلَامِ الْبَارِ
 هَذَا ، وَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ وَأَكْمَلَ مِنْهُ قَوْلُ الْحَدَّادِ لَوْلَدِيهِ عَلَوِيٍّ وَحَسَنِ : أَقَمْتُكُمَا
 مَقَامِي ، وَأَنْبَتُكُمَا عَنِّي .

ثُمَّ رَأَيْتُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَنِ عِيدِيْدَ يَقُولُ : إِنَّهُ أَخَذَ عَنْ شَيْخِنَا أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ
 وَلَبَسَ مِنْهُ .

وَلَا يَغْبِرُّ عَلَيَّ مَا تَقَدَّمَ ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ إِنَّمَا كَانَ خَاصًّا بِأَلِ سَيِّئُونَ ، وَإِنَّمَا لَأَن يَكُونَ
 أَخْذُهُ بَعْدَ التَّارِيخِ السَّابِقِ . اهـ

وَفِي ذَلِكَ الْمَجْلَسِ ذَكَرَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّهُ : أَجْتَمَعَ بِالْحَبِيبِ طَاهِرِ بْنِ
 حُسَيْنٍ ، وَالْحَبِيبِ عَلَوِيٍّ بْنِ سَهْلٍ مَوْلَى خِيْلِهِ^(١) ، وَالْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

= سَنَةِ (١٢٧١ هـ) ، وَعَلِيٌّ تَوَفَّى بِسَيِّئُونَ سَنَةِ (١٣١١ هـ) .

وَذَكَرُوا أَنَّهُ لَمَّا تَوَفَّى الْمُرْتَجِمُ . . حَفَرُوا لَهُ عِنْدَ رَأْسِ أَخِيهِ عَلِيٍّ فَوْجُدُوهُ بَعْدَ (٩) سَنَاتٍ سَالِمًا لَمْ
 يَبْلُغْ جِسْمُهُ ، ذَكَرَ هَذَا الْحَبِيبُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورُ فِي تَرْجُمَتِهِ لَهُ فِي « الشَّجَرَةِ » .

(١) هُوَ السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عَلَوِيٌّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
 سَهْلٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَوْلَى خِيْلِهِ الْعَلَوِيٍّ . وَلَدَ بِتَرْيَمِ سَنَةِ (١١٦٦ هـ) ، وَنَشَأَ بِهَا ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى
 الْهِنْدِ وَاسْتَقَرَّ بِمَلِيبَارَ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا يَتَرَفَّى فِي مَرَاقِي الْكَمَالِ حَتَّى وَاثَفَهُ الْحِمَامُ سَنَةِ (١٢٦٣ هـ) بِبِلَدَةِ
 تَرْنَقَالِي . جَمَعَ نَبْذَةً مِنْ كَرَامَاتِهِ الْعَلَامَةِ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَمِيطَ وَطَبَعَتْ بِمِصْرَ ، وَلَهُ ذِكْرٌ فِي « تَاجِ =

صاحب ملاك^(١) ، والسيد أحمد بيتي ، والسيد أحمد بافقيه ، وأبنة شيخ ، والحيب شيخ بن علوي بن شيخ بن عبد الرحمن بن سقاف ، والحيب عبد الرحمن بن حسن بن سقاف ، والحيب محمد بن عمر بن سقاف^(٢) ، والشيخ عمر بن عبد الرسول العطار^(٣) ، والسيد يوسف البطاح الأهدل^(٤) ، والمعلم عمر مشغان^(٥) ، والشيخ محمد باقيس . وغيرهم .

وله مكارم ومآثر ؛ منها : مسجد بسيئون ، ومسجد سربايا ، وزيادة حسبما سبق في الجامع .

وهلها مسائل :

الأولى : أن مسجد السيد أحمد بن جعفر بسيئون كان صغيراً محتاجاً إلى التوسعة ، فاستفتاني ولده عمر في ذلك ؟ فأفتيته بالجواز تبعاً لما استظهره بعضهم ، بل قيل بالجواب حيثن إذا قام مال الوقف بذلك .

والثانية : أن هذا المسجد كان فقيراً ، ومسجده سربايا كان غنياً ، فأفتيته بجواز الصرف من مال هذا على ذاك ، مستدلاً بكلام للشيخ الجليل محمد بن عبد الله باسودان في ذلك ، وفتوى للخليفي ناصية عليه .

وقد نقل عن كثير من علماء اليمن أنه يجوز صرف الفاضل من ريع الموقوف على مسجد في مصالح المسلمين وإلى عمارة مسجد آخر في موضعه ؛ لأن القصد مصلحة المسلمين . وقد نقل ذلك عن العمراني مؤلف « البيان » .

ولئن لم يكن مسجد سيئون بموضع مسجد سربايا . . فإنه أقرب إلى غرض الوقف

= الأعراس .

(١) المولود بالشحر ، والمتوفى بملأكه بماليزيا سنة (١٢٥٥هـ) ، وترجمته في « نشر النفعات المسكية » لباحسن (خ) .

(٢) مولده سنة (١١٩٨هـ) ، ووفاته (١٢٤٩هـ) . « التلخيص » (٧٧-٧٨) .

(٣) وفاته بمكة سنة (١٢٤٧هـ) .

(٤) وفاته بمكة سنة (١٢٤٦هـ) .

(٥) توفي سنة (١٢٩٣هـ) ، وله بعض مصنفات .

مِنَ الصَّرْفِ لمصالحِ المسلمين ولفقراءِ ذلكَ الموضعِ ، وما أَكْثَرَ ما تُراعَى مقاصدُ
الواقفينَ .

وَالثَّالِثَةُ : أَنَّهُ عَمِلَ لَهُ مَنَارَةٌ رَفَعَهَا وَتَضَرَّرَ بِهَا الْجِيرَانُ ، وَنَهَيْتُهُ . . فما أَنتَهَى .

وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمَنَائِرَ : شُرْحَبِيلُ بْنُ عَامِرٍ الْمُرَادِيُّ زَمَنَ معاويةَ .

وَكَانَ بِلَالٌ - كما عند أبي داود [٥١٩] - يُوَدِّعُ عَلَى بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ ؛ لِأَنَّهُ

أَطُولُ بَيْتٍ حَوْلَ الْمَسْجِدِ .

وَقَدْ أَمَرَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ بِهِدْمَ الْمَنَائِرِ ، فَقَالَ فِيهِ الْفَرَزْدَقُ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

بَنَى بَيْعَةً فِيهَا النَّصَارَى لِأُمِّهِ وَيَهْدِمُ مِنْ كُفْرِ مَنَارِ الْمَسَاجِدِ

وَقَالَ [فِي « دِيوانه » ١٧٨/١ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

عَلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ وَأَصْحَابِهِ لَا طَهَرَ اللَّهُ خَالِدًا

بَنَى بَيْعَةً فِيهَا الصَّلِيبُ لِأُمِّهِ وَهَدَمَ مِنْ بُغْضِ الصَّلَاةِ الْمَسَاجِدَا

عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَهْدِمَهَا إِلَّا لِأَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا - ظَنَنْتُهُ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ - يَنْشُدُ :

لَيْتَنِي فِي الْمُؤَذِّنِينَ حَيَاتِي إِنَّهُمْ يُنْصِرُونَ مَنْ فِي الشُّطُوحِ

فَيُشِيرُونَ أَوْ تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْهَوَى كُلِّ ذَاتِ دَلٍّ مَلِيحِ

وَإِنْ لَمْ يَخْنِي الْحَفْظُ . . فخالِدٌ هَذَا هُوَ الَّذِي أَلْزَمَ النِّسَاءَ حَاشِيَةَ الْمَطَافِ عِنْدَمَا بَلَغَهُ

قَوْلُ عَمْرِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ :

وَحَبَّذَا اللَّائِي يُزَاحِمُنَنَا عِنْدَ اسْتِلامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ

وَقَالَ : إِنَّهُمْ لَنْ يَزَاحِمَنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ .

وَذَكَرْتُ لَهَا نِظَائِرَ فِي « الْعُودِ » ، ثُمَّ رَأَيْتُ بَعْضَهُ عِنْدَ الْأَزْرَقِيِّ ، وَأَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ

مَنْصُورٍ : أَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ نَهَى أَنْ يَطُوفَ الرِّجَالُ مَعَ النِّسَاءِ ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ ذَاتِ

يَوْمٍ يَطُوفُ مَعَ النِّسَاءِ ، فَأَنْهَالَ عَلَيْهِ ضَرْبًا ، وَقَالَ لَهُ : أَلَمْ أَنَّهُ عَنْ هَذَا؟! فَقَالَ : لَا ،

لَمْ تَبْلُغْنِي عِزْمَتَكَ ، فَقَالَ لَهُ : دُونَكَ ؛ يَعْنِي : فَأَقْتَصَرَ . . فلم يفعل ، قَالَ : فَأَعْفُ ،

قَالَ : ولا أعفو ، فما زالت الكراهية تُعرفُ في وجهِ عمرٍ حتَّى راجعَ النَّاسُ الرَّجُلَ فَعَفَا ، فُسِّرِي عن ابنِ الخطَّابِ . أو ما هذا معناه .

ثمَّ إِنَّ الَّذِي أذكرُهُ عن مذهبنا مِنْ أَنَّ لِلإنسانِ أَنْ يتصرَّفَ في ملكه وإن أضرَّ بجارِهِ لا بملكِهِ إذا خالفَ العادةَ . . بخلافِ المصالحِ العامَّةِ ، فلا يتصرَّفُ فيها بما يضرُّ الجيرانَ .

والَّذي أَكتبُهُ في الجوابِ عن هذهِ المسألةِ هوَ مِنْ لسانِ القلمِ وبقيَّةِ الحفظِ لا عن رجوعٍ مِنِّي إلى ما حرَّرتُهُ في أجوبتها يومَ سُنْتُ ، فلا مجالَ للاعتمادِ عليه إلاَّ بعدَ النَّظَرِ ، وإنَّما كُتِبَتْهُ لمجردِ البَحْثِ والمذاكرةِ .

وفي « تبصرة الحُكَّامِ » : يُمنعُ الرَّجُلُ مِنْ إحداثِ إصطبلٍ للذَّوابِّ عندَ بابِ جاريه ؛ لما يؤذيه من بولها وزيلها وحركتها ليلاً ونهاراً ، وكذلك الطَّاحُونُ وكِيرُ الحَدَّادِ .

وفيها تنازعُ الشُّيوخُ ببلدنا - قديماً وحديثاً - في الرَّجُلِ يجعلُ في دارِهِ رَحِيَّ أو شبهَ ذلكَ ممَّا له دويٌّ ، فقالَ بعضهم بالَمَنعِ مطلقاً ، وقالَ بعضهم لا مَنعَ مطلقاً ، وقالَ بعضٌ : يُمنعُ بالليلِ لا بالنَّهارِ ، ومتى اجتمعَ ضررانِ . . مُنِعَ الحادثُ لا القديمُ .

وبسيئون جماعةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ الهادي بنِ أحمدَ الحَبشيِّ صاحبِ الشَّعبِ . وَمِنْ ذُرِّيَةِ الحسنِ بنِ أحمدَ^(١) .

منهُمُ : السَّيِّدُ الصَّالِحُ علويُّ بنُ عليٍّ الحَبشيِّ ، المَتوفى بـ سيئونَ في حدودِ سَنَةِ (١٣٣٤هـ) ، كانَ هوَ وأخوه أحمدُ وأبوهما مِنْ أَهْلِ الْأَحْوالِ الصَّالِحِينَ ، ويقالُ لَهُمُ : أَهْلُ الرُّوشَنِ^(٢) ، لَهُمُ أُمُورٌ غريبةٌ وخوارقٌ عجيبةٌ .

(١) توفي الحبيب الحسن سنة (١٠٩٩هـ) بسيئون ، وعقبه بسيئون وسمارانغ بجَاوَة .

(٢) آل الروشن : ذرية السيد علي الروشن بن أحمد بن عبد الله بن علوي بن طه بن حسن بن أحمد صاحب الشعب . « المعجم اللطيف » (٩٧) . وعند ضياء شهاب في « التعليقات » (٤٦٦/٢) غير هذا . والروشن : ما يعمل في البيوت على سبيل الإضاءة والتهوية ، ويسميه البعض : الروشان ؛ لأن جدهم كان أول من عمله في سيئون . . فلقبوه به .

وفيه جماعة مِنْ ذُرِّيَّةِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ ، مِنْهُمْ : الْعَلَامَةُ الْفَاضِلُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ^(١) ، كَانَ أَبُوهُ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ - كَمَا سَبَقَ فِي قِيدُون - يَتَنَقَّلُ فِي الْبُلْدَانِ بِإِشَارَةِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ ، لَا يَخْرُجُ عَنْ أَمْرِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ . فَوُلِدَ لَهُ السَّيِّدُ عَلِيُّ فِي قَسَمٍ ، وَانْتَقَلَتْ بِهِ أُمُّهُ^(٢) إِلَى سَيْتُونَ ، وَبِهَا نَشَأَ ، وَلَهُ رَحْلَةٌ إِلَى الْحِجَازِ ، وَتَخَصُّصٌ فِي عِلْمِ النَّحْوِ ، وَلَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَأَكْثَرُ أَوَّلِهِ عَلَى لِسَانِ الصُّوفِيَّةِ ، وَلَهُ تَأْلِيفٌ صَغِيرٌ فِي قِصَّةِ الْمَوْلِدِ^(٣) ، وَلَهُ أَشْعَارٌ حُمَيْنِيَّةٌ ، وَقَدْ طُبِعَ جَمِيعُ ذَلِكَ ، وَفِيهِ مِنَ الدَّلَالَةِ عَلَى رَتْبَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ وَالشَّعْرِيَّةِ مَا يُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ .

إِنَّ أَثَارَنَا تَذُلُّ عَلَيْنَا فَانْظُرُوا بَعْدَنَا إِلَى الْآثَارِ
وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

وَأَعْلَمُ أَنَّ عُقُولَ الرَّجَا لِي يُقْضَى عَلَيْهَا بِأَثَارِهَا

أَمَّا أَبُوهُ : فَإِنَّهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ الْحَبْشِيِّ ، مَفْتِي الشَّافِعِيَّةِ بِمَكَّةَ ، وَهُوَ الشَّيْخُ السَّادِسَ عَشَرَ مِنْ مَشَايِخِ سَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، تَوَفَّى بِمَكَّةَ سَنَةَ (١٢٨١ هـ) ، وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ حُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ^(٤) ، لَهُ رِحَالٌ كَثِيرَةٌ إِلَى حَضْرَمَوْتَ يَتَنَفَّسُ بِهَا الزَّمَانُ ، وَتَبَسَّمُ بِهَا الْأَيَّامُ ، حَتَّى إِنَّهَا لَتَكَادُ تَكُونُ أَعْيَادًا وَأَخُوهُ السَّيِّدُ عَلِيُّ

(١) العلامة الكبير صاحب المقام والصيت الذائع ، ولد سنة (١٢٥٩ هـ) ، وتوفي سنة (١٣٣٣ هـ) ، أخباره كثيرة وشهيرة ، جمع ترجمته وسيرة حياته السيد الفاضل طه بن حسن السقاف في كتاب سماه : « فيوضات البحر الملي » في مجلد كبير .

(٢) والدة الحبيب علي هي الشريفة علوية بنت حسين بن أحمد الجفري ، سكان شبام ، عقد بها على والده شيخه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر .

(٣) هو المولد الذائع الصيت المسمى : « سبط الدرر في أخبار مولد خير البشر وما له من أخلاق وأوصاف وسير » ، طبعاته كثيرة . وأما مواظبه وكلامه المنشور . . فجمعه عدد كبير من المريدين والتلامذة ؛ منهم السيد عمر مولى خيله ، والسيد محسن بن عبد الله بن محسن السقاف ابن عم المؤلف ، والسيد حسين بن عبد الله الحبشي وغيرهم .

(٤) ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (١١٠ / ٤) ، « فهرس الفهارس » (٣٢٠) ، « رياض الجنة » للفاسي (١٣ / ٢ - ١٩) ، « فتح القوي » لتلميذه الشيخ عبد الله غازي ، وحفيده العلامة أبو بكر بن أحمد بن حسين في « الدليل المشير » (٩٢-٩٧) .

يبالغ في إكرامه ويعترف بفضلِهِ ويقدمُهُ في الصَّلَاةِ ؛ إِذْ كَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ ، وَفِيرَ الْحِلْمِ ،
جميلَ المحاضرة ، لطيفَ المحاورَةِ .

لَا طَائِشٌ تَهْفُو خَلَائِقُهُ وَلَا خَشِنُ الْوَقَارِ كَأَنَّهُ فِي جَحْفَلٍ^(١)
فَكُهُ يُجِمُّ الْجَدَّ أَخِيَانًا ، وَقَدْ يَضْنَى وَيَهْزُلُ حَدٌّ مَنْ لَمْ يَهْزِلْ^(٢)
وقد أخذتُ عنه ولبستُ منه مراراً ، وسمعتُ عنه السُّلْسِلَاتِ ، وقرأتُ عليه ، توفيَّ
بمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ سَنَةَ (١٣٣٠ هـ) .

وَأَمَّا أَخُوهُ السَّيِّدُ شَيْخُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ^(٣) . . فقد كَانَ شَهِمًا كَرِيمًا ، وَنَزْهَةً
نَدِيمًا ، سَلِيمَ الذَّوْقِ ، مَائِيَّ الْأَخْلَاقِ .
فَلَوْ كَانَ مَاءً . . كَانَ مَاءَ عَمَامَةٍ وَلَوْ كَانَ نَوْمًا . . كَانَ تَغْرِيسَةَ الْفَجْرِ^(٤)
لَهُ شِعْرٌ جَيِّدٌ ، وَأَدَبٌ غَضٌّ ، وَنَكَاتٌ لَطِيفَةٌ ، وَنَوَادِرُ عَجِيبَةٌ . وَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِخَاءٌ
وَوُدٌّ ، وَكَانَ لَا يُبَالِي فِي زِيَارَتِي وَالتَّرَدُّدِ عَلَيَّ بِلَوْمٍ لَائِمٍ مَتَّنَ عَلَى شَاكِلَةِ بَاطُوحٍ .
تُوفِّيَ بِسَيْثُونَ سَنَةَ (١٣٤٨ هـ) ، وَدُفِنَ بِقَبَّةِ أَخِيهِ .

وَيَمَّا أَنَّ السَّيِّدَ شَيْخًا كَانَ عَذَبَ السَّمَائِلِ ، رَقِيقَ الْحَاشِيَةِ ، مِيَالًا إِلَى الْأَشْعَارِ
الْغَزَلِيَّةِ ، كَثِيرَ الْوُلُوعِ بِشِعْرِ ابْنِ الْفَارَضِ . . تَذَكَّرْتُ أَنَّ الْجَعْبَرِيَّ زَارَ قَبْرَ ابْنِ الْفَارَضِ
فَرَأَهُ مَشْعَتًا مَغْمُورًا بِالْثَّرَابِ ، فَأَنْشَدَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :
مَسَاكِينُ أَهْلِ الْعِشْقِ حَتَّى قُبُورِهِمْ عَلَيْهَا ثَرَابٌ أَلْذَلُّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ^(٥)

(١) البیتان من الكامل ، وهما لأبي تمام في « ديوانه » (١٩ / ٢) .

(٢) يُجِمُّ الْجَدُّ : يتركه ، وهو مستعار من إجمام الفرس ، إذا تركه صاحبه فلم يركبه .

(٣) ولد السيد شيخ سيثون سنة (١٢٦٤) ، وتوفي بها سنة (١٣٤٨ هـ) ، ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (٢٠٩ / ٤ - ٢١٨) ، وله رحلة إلى مصر وإستنبول سمّاها : « الشاهد المقبول في الرحلة إلى مصر والحجاز واستنبول » .

(٤) البيت من الطَّوِيل . تعريسة الفجر : نومة المسافر واستراحته عند الفجر .

(٥) روى العلامة جعفر بن أحمد السَّراج في كتابه « مصارع العشاق » (١٣٠ / ١) عن ابن المعتز بيتين في عكس هذا البيت ، وهما :

مَرَزْتُ بِقَبْرِ مُشْرِقٍ وَسَطَ رَوْضَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الْأَنْوَارِ مِثْلُ الشَّقَائِقِ =

وفي سيئون جماعة من آل حسان ، يرجعون في النسب - حسبما يقولون - إلى الشيخ المؤرخ عبد الرحمن بن علي بن حسان^(١) ، يحترفون بالصياغة ، وكانت لهم منها ثروة - بالنخيل - ومواساة ، ولكنهم على وشك التلاشي اليوم .

ومن آخرهم : شيخنا العلامة المحقق عمر عبيد حسان ، كان عابداً ناسكاً ، قويم السيرة ، طاهر السريرة ، غزير الفقه ، شديد الورع ، متين التقوى ، وكان من أخصر تلاميذ والدي وقرائه ، وهو المخصص لتعليمي الفقه ، ثم كان ممن يحضر دروسي بمسجد طلة في التفسير والفقه والحديث .

توفي رحمه الله عليه بسيئون سنة (١٣٤٩هـ) ، وخلفه ولده عبد الله على قريب من حاله بارك الله فيه .

وفي سلسلة ذوي الأنساب الموجودة بتريم : أن يهودياً أسمه لحج ، له ثلاثة أولاد ؛ هم : داود وحسن ووحش ، أسلموا مع أبيهم وانتشر عقبهم ، وأحترفوا بالصياغة ، فال باطود من ذرية داود ، آل حسان - بكسر الحاء ، وبالسّين - من ذرية حسن ، وآل باحشوان من ذرية وحش . اهـ بمعناه .

ولكنه يغبر عليه ما ذكره من وصول لحج وإسلامه وإسلام بنيه على يد القطب الحداد ، مع أنهم أقدم من ذلك بكثير .

وفيها أيضاً : أن آل باسلامة وآل التوي وآل هبيص وآل مشعبي . . عبيد لحمير . اهـ والعهد على مؤلفها ، أو على الشيخ محمد بن سعيد بن مرتع الذي روى لي هذا عنها .

وعن الأخ عيدروس البار - السابق ذكره في القرين من بلاد دوعن - : أنه وصل من البصرة مع المهاجر أحمد بن عيسى أربعة عبيد ، ثم أعتقهم ومولهم ، وهم : مخدّم

= فقلت لمن هذا؟ فقال لي الثري : ترحم عليه إنه قبر عائش
(١) المولود بريدة المشقاص سنة (٧٥٠هـ) ، والمتوفى بكروشم من بلدان الريدة المذكورة سنة (٨١٨هـ) ، كان عالماً فقيهاً مؤرخاً ، له مصنفات . ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (١ / ٧٤ - ٧٦) .

جَدُّ آلِ مَخْدَمٍ ، وَشُوَيْعُ جَدُّ آلِ شُوَيْعٍ ، وَحُشَوَانُ جَدُّ آلِ بَاحْشَوَانٍ ، وَحَسَّانُ جَدُّ آلِ حَسَّانٍ . وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلِيُّ بِالْقَبُولِ .

وَكَانَ فِي سَيْثُونَ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ بَاشِيخٍ ، يَرْجِعُونَ فِي النَّسَبِ - كَمَا هُوَ مَنْقُولٌ بِخَطِّ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ عَلِيِّ بَاصْبَرِينَ - إِلَى بَنِي الْعَبَّاسِ ، مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيِّ بْنِ طَرَادِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ .

وَفِي « تَارِيخِ بَاعْبَادٍ » : أَنَّ الْحَبِيبَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بَلَفَقِيهِ مَرَّةً بِسَيْثُونَ فِي سَنَةِ (١١٩ هـ) ، وَزَارَ تَرْبَتَهَا ، وَتَعَشَّى عِنْدَ آلِ بَاشِيخٍ ، وَسَارَ إِلَى دَوْعَنَ ، وَمِنْهَا إِلَى الشَّخْرِ يَرِيدُ الْحَجَّ .

وَفِي تَرْجَمَةِ سَيِّدِنَا الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبَشِيِّ مِنْ « عِقْدِ أَسْتَازِنَا الْأَبَرِّ » : أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي إِلَى سَيْثُونَ مِنْ غَيْرِ مَرْكُوبٍ يَأْخُذُ النَّحْوَ عَنِ الشَّيْخِ مُحْرُوسٍ .

وَبِهَا كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ - أَعْنَى آلَ مُحْرُوسٍ - ثُمَّ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ؛ مِنْهُمْ : تَاجِرُ غَاشِمٍ يَمْتَصُّ دِمَاءَ الْمُحْتَاجِينَ بِالرِّبَاءِ أَوْ بِأَخِيهِ ، وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ أَرْبَاحاً بَاهِظَةً تُلْجِئُهُمْ إِلَيْهَا الضَّرُورَةُ ، وَيَرْتَهُنُ بِهَا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَنْ تَغْلُقَ ^(١) .

وَقَدْ سَبَقَ لَآلِ وَبَرٍ ذِكْرٌ فِي الْمِخْتَرَةِ . وَكَانَ بِسَيْثُونَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَجَمَاعَةٌ مِنْ آلِ هَذْبُولٍ ، أَمَّا الْآنَ . . فَلَآ ، وَلَكِنْ مِنْ آلِ وَبَرٍ نَاسٌ فِي الْحُوطَةِ وَتَارِبِهِ وَبَحِيرَةٍ وَثْبِي .

وَفِي « مَجْمُوعِ الْجَدِّ طَلَّةَ بْنِ عَمَرَ » أَنَّ : (آلَ وَبَرٍ وَآلَ هَذْبُولٍ أَكْفَاءٌ ؛ لِأَنَّ حِرْفَةَ الْجَمِيعِ السَّنَاوَةُ وَالْحَرْثُ سَابِقًا) هــ

وَكَانَ بِسَيْثُونَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفَرَقَتَيْنِ ، أَمَّا الْآنَ . . فَلَآ ، وَلَكِنْ مِنْ آلِ وَبَرٍ جَمَاعَةٌ فِي تَارِبِهِ وَالْحُوطَةِ وَبَحِيرِهِ وَثْبِي .

وَمِنْ « مَجْمُوعِ الْجَدِّ طَلَّةَ » أَيْضًا : (أَنَّ عَقُودَ سَيْثُونَ أَكْثَرُهَا بِغَيْرِ كَفٍّ ؛ لِأَنَّ فِيهَا أَرَاذِلَ كَثِيرًا) هــ

(١) تَغْلُقُ : تُسْتَحَقُّ لِلْمَرْتَنِ فَيَأْخُذُهَا .

وكنْتُ أَسْتَشْكِلُ لُؤْمَ أَهْلِ سَيْثُونَ الَّذِي لَا يَنْتَهِي إِلَى حَدٍّ حَتَّى رَأَيْتُ هَذَا ، فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَ فِيهَا نَاسٌ مِنْ أُولَى الْأَصُولِ الطَّيِّبَةِ وَالْيُوتَاتِ الشَّرِيفَةِ . . فَإِنَّ الْأَخْتِلَاطَ مَدْعَاةُ الْفُسَادِ ، وَهُوَ مَوْجُودٌ بِكَثْرَةِ مِنَ الرِّضَاعِ وَالْمَصَاهِرَةِ وَغَيْرِهِمَا ، وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ [أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ فِي « دِيْوَانِهِ » ٥٦ مِنْ الْوَافِرِ] :

إِذَا الْحَسَبُ الصَّمِيمُ تَدَاوَلَتْهُ بُنَاةُ السُّوءِ . . أَوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا
وَأَرْجِعْ إِلَى مَا ذَكَرْتُهُ فِي الْقَطَنِ .

وَقَدْ سَلَّنِي اللَّهُ مِنْ أَهْلِ سَيْثُونَ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ ، فَجَاءَ مَوْضِعَ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ [فِي « الْعُكْبَرِيِّ » ٧٠ / ٤ مِنْ الْوَافِرِ] :

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْنِشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرِّغَامِ
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَكُنْ مِنْهَا ، وَإِنَّمَا أَنَا مِنْ حَوِطَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ ، بِضَاحِيَّتِهَا الشَّرَقِيَّةُ .

أَمَّا مَا أَخْرَجَهُ الْأَصْفَهَانِيُّ بِسَنَدِهِ فِي « الْأَغَانِي » [٢٦٥ / ١١] أَنَّ حَضْرَمِيًّا بِالْكُوفَةِ خَطَبَ أَمْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، فَأَخَذَ يَسْأَلُ عَنْ حَسِبِهَا وَنَسَبِهَا ، فَقَالَ الْأُقَيْشِرُ الْمَعْرُوفُ [مِنْ الرَّمَلِ] :

حَضْرَمَوْتُ فَكَشَتْ أَحْسَابَنَا وَإِلَيْنَا حَضْرَمَوْتُ تَتَسَبَّبُ
إِخْوَةُ الْقِرْدِ وَهُمْ أَعْمَامُهُ بَرِئْتُ مِنْكُمْ إِلَى اللَّهِ الْعَرَبِ . .
فَجَزَأْتُ غَيْرُ مَقْبُولٍ ، وَهَجَاءُ الْأُقَيْشِرِ غَيْرُ ضَائِرٍ ؛ لَشَهْرَتِهِ بِالْفُسُوقِ ، وَلَكِنْ

الْفَرَزْدَقُ يَقُولُ فِي هَجَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ الْحَضْرَمِيِّ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجَوْتُهُ وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

أَرَادَ بِالْمَوَالِي : الْحَضْرَمِيِّينَ ، وَكَانُوا مَوَالِيَ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى الْحَضْرَمِيِّينَ . . فَهُوَ مَوْلَى مَوَالِي ، وَلَكِنَّهُ أَعْلَمُ أَهْلَ الْبَصْرَةِ بِالنَّحْوِ ، وَعَنْهُ أَخَذَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ وَأَبُو الْخَطَّابِ الْأَخْفَشُ ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ ، وَعِيسَى بْنُ عَمْرِ . وَكَانَ يُلَحِّنُ الْفَرَزْدَقَ . . فَهَجَاهُ ، تَوَفِّيَ سَنَةَ (١١٧ هـ) ، عَنْ ثَمَانِيَةٍ وَثَمَانِينَ عَامًا .

مع أَنَّهُ لَا يَنْكُرُ اخْتِلَاطُ حَضَرَمَوْتَ بِالْعَجَمِ كَمَا سَبَقَ قَرِيباً وَفِي حُورَةٍ ، وَمَرَّ فِي كَلَامِ
جَدُّنَا تَأْكِيدُهُ عَنْ أَهْلِ سَيْثُونَ خَاصَّةً . . فَهُوَ أَخَذَ إِلَيْهِمْ بَعْنِي قَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ [فِي
« دِيَوَانِهِ » ٤٠٤/١ مِنْ الطُّوِيلِ] :

لَهُمْ حَسَبٌ أَعْمَى أَضَلَّ دَلِيلَهُ فَلَمْ يُذَرِّ فِي الْأَخْسَابِ أَيْنَ يُقَادُ
وَفِي « دِيَوَانِ » الشَّيْخِ عَبْدِ الصَّمَدِ بَاكثِيرٍ مَا يَدُلُّ عَلَى وَصُولِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ
زَيْنِ الْعَابِدِينَ الْمُقَدِّسِيِّ الْأَنْصَارِيِّ إِلَى سَيْثُونَ فِي سَنَةِ (١٠١٠ هـ) ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ خَاطَبَ
عَبْدَ الصَّمَدِ بِأَبْيَاتٍ ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ [مِنْ الطُّوِيلِ] :

لِسَيْثُونَ سِرْزَنَا بَلْ سُرْزَنَا لَأَنَّنَا لِسَاحَةِ مَوْلَانَا عَلَى النُّجْبِ نَسْبِقُ
وَفِي سَيْثُونَ نَاسٌ مِنْ آلِ وَثَّابٍ ، لَهُمْ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي « سَفِينَةِ الْبَضَائِعِ » لِسَيِّدِي عَلِيِّ بْنِ
حَسَنِ الْعَطَّاسِ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَحِبُّهُمْ وَيَنْزِلُ بِسَيْثُونَ عَلَيْهِمْ .

وَمِنْهُمْ بَقَايَا لَا أَدْرِي أَيْرَاعُونَ أَمْ لَا وَدَّ أَجْدَادُهُمْ فِي ذُرِّيَةِ الْحَبِيبِ وَمَنْصَبِهِ ؛ فَقَدْ جَاءَ
الْحَثُّ عَلَى ذَلِكَ كَمَا فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ عِنْدَ مُسْلِمٍ بْنِ الْحَجَّاجِ [٢٥٥٢] ،
وَمَعْنَاهُ : « إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ أَنْ يَوَدَّ الرَّجُلُ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ » أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيُؤَكِّدُهُ
مَا صَحَّ مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَإِنَّهَا كَانَتْ
تَأْتِينَا فِي أَيَّامِ خَدِيجَةَ » .

الْقَضَاءُ بِسَيْثُونَ :

أَوَّلُ مَنْ تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِسَيْثُونَ مِنَ السَّادَةِ آلِ الصَّافِيِّ النَّاقِلِينَ إِلَيْهَا مِنْ تَرِيمٍ هُوَ :
جَدُّنَا الْعَلَامَةُ الْإِمَامُ طَلَهُ بْنُ عُمَرَ بْنِ طَلَهَ بْنِ عُمَرَ ، أَلْتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (١٠٦٣ هـ) .
ثُمَّ أَخُوهُ عَلِيُّ بْنُ عُمَرَ ، ثُمَّ السَّيِّدُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عُمَرَ ، ثُمَّ جَدُّنَا مُحَمَّدُ بْنُ
عُمَرَ بْنِ طَلَهَ بْنِ عُمَرَ ، ثُمَّ جَدُّنَا سَقَّافُ بْنُ مُحَمَّدٍ^(١) ، أَلْتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (١١٩٥ هـ) .
ثُمَّ ابْنُهُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ عُمَرُ بْنُ سَقَّافٍ ، أَلْسَابِقُ ذِكْرُهُ فِي السُّوْمِ ، وَلَمْ يَتَوَلَّهِ إِلَّا

(١) وَلَدَ بِسَيْثُونَ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١١١٥ هـ) . تَرَجَمَتْهُ فِي « التَّلْخِصِ » (٤٦-٥٢) . وَأَفْرَدَهُ ابْنُ السَّيِّدِ
حَسَنٌ بِتَرْجُمَةٍ وَاسِعَةٍ سَمَّاها : « نَشْرُ مُحَاسِنِ الْأَوْصَافِ » طُبِعَتْ وَصَدُرَتْ عَنْ دَارِ الْحَاوِي .

تَأْتِمَا مَدَّةً قَصِيرَةً ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُ لِأَخِيهِ عَلَوِيِّ^(١) ، فَلَا قِيَّ عِدَاءَ كَبِيرًا مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّهِ
عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٢) ، ثُمَّ نَزَلَ عَنْهُ لِأَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَقَّافٍ^(٣) ، وَلَمْ يُحَمَّدِ الْحَالُ بَيْنَ
مُحَمَّدٍ هَذَا وَأَخَوِيهِ عَمْرٍو وَعَلَوِيِّ ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْحَدَّادُ .

وَكَانَ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ هَذَا شَدِيدًا ، حَتَّى لَقِيَ قَتْلَ أَحَدِ آلِ بَاجِرِي مَسْكِينًا بِسَيِّئُونَ فِي
أَيَّامِ يَافِعٍ . فَلَمْ تَرْفَعْ يَافِعٌ رَأْسًا بِذَلِكَ ، وَمَا كَانَتْ تَسْكُتُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ مَعَ أَنْفِهَا
وَبِأَيْتِهَا إِلَّا لَغَرَضٍ - وَكَأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهَا دِمَاءُ لَالٍ بَاجِرِي فَأَرَادَتْ الْمُبَادَلَةَ - فَاشْتَدَّ السَّيِّدُ
مُحَمَّدُ بْنُ سَقَّافٍ وَقَالَ : إِمَّا أَنْ يُسَلِّمُوا آلَ بَاجِرِي الْقَاتِلَ لِلْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ ، وَإِمَّا أَنْ
تَحَارِبُوهُمْ .

وَرَجَّهْمُ فِي النَّارِ ، فَاهْتَمُّوا بِذَلِكَ وَالْجُؤُوا آلَ بَاجِرِي عَلَى الْخُضُوعِ لِلْحَقِّ ، وَبَعْدَ
مَحَاكِمَةِ صَاحِبِهِمْ وَامْتِنَاعِ أَوْلِيَاءِ الْقَتِيلِ عَنِ الْعَفْوِ . قُتِلَ بِالسَّيْفِ قِصَاصًا أَمَامَ دَارِ
الْقَاضِي . هَكَذَا بَلَّغَنِي عَنْ أَحَدِهِمْ .

وَبَقِيَ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ سَقَّافٍ هَذَا عَلَى الْقَضَاءِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِسَيِّئُونَ سَنَةَ
(١٢٢٢ هـ) ، ثُمَّ لَمْ يَجِدْ سَيِّدُنَا عَلَوِيُّ بْنُ سَقَّافٍ بَدَأَ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ ، فَتَوَلَّاهُ إِلَى أَنْ
مَاتَ بِسَيِّئُونَ سَنَةَ (١٢٣٥ هـ) ، فَأُكْرِهَ عَلَيْهِ وَلَدُهُ جَدُّنَا الْمُحْسِنُ^(٤) ، وَكَانَ سِنُّهُ إِذْ ذَاكَ
نَحْوَ الْأَرْبَعَةِ وَعِشْرِينَ رِبْعًا ، وَلَكِنَّهُ أُعِينَ بِالتَّوْفِيقِ ، وَكَانَ آيَةً فِي فَصْلِ الْأَحْكَامِ :

(١) هو العلامة الجليل ، علوي بن سقاف بن محمد . ولد بسيتون ، وبها توفي سنة (١٢٣٥ هـ) ، تولى
القضاء بسيتون وهو لم يجاوز الثانية والعشرين من عمره ، وهو أصغر أولاد أبيه ، وجد والد المؤلف .
ينظر : « التلخيص الشافي » (١٠٠ - ١٠٩) ، « تاريخ الشعراء » (٥٥ / ٣) .

(٢) هو الحبيب علوي بن محمد بن عمر الصافي . أكبر إخوانه سنًا ، توفي سنة (٧٠) أو (١١٧١ هـ) ،
وأولاده : حسن وحسين ومحمد .

(٣) العالم القاضي الفقيه ، ولد بسيتون سنة (١١٥٨ هـ) ، وبها توفي سنة (١٢٢٢ هـ) . ينظر :
« التلخيص الشافي » (٨٨ - ٨٩) .

(٤) هو العلامة المصلح الحبيب محسن بن علوي بن سقاف ، جد المؤلف مباشرة ، ولد سنة
(١٢١١ هـ) ، وتوفي سنة (١٢٩١ هـ) ، له سيرة زكية ، ومناقب عطرة ، وأخبار كثيرة ، وله
مصنفات . ينظر : « التلخيص الشافي » (١٠٩ - ١٢٥) ، « تاريخ الشعراء » (٢١ - ١ / ٤) ، « العدة
المفيدة » عدة مواضع .

وَإِذَا خِطَابُ الْقَوْمِ فِي الْخُطْبِ اعْتَلى فَصَلَ الْقَضِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ
ثُمَّ تَبَرَّمَ بِالْقَضَاءِ ، وَاشْتَكَى إِلَى سَيِّدِ الْوَادِي سَيِّدِنَا الْحَسَنِ بْنِ صَالِحِ الْبَحْرِ ، فَأشارَ
عليه بالسَّفرِ إِلَى الشَّخْرِ .

وَلَا أَتَحَقَّقُ مَنْ أَسَدَ إِلَيْهِ الْقَضَاءُ بَعْدَهُ ، وَلَكِنْ مَمَّنْ تَوَلَّى قَضَاءَ سَيِّثُونَ الشَّيْخُ عَمْرُ بْنُ
أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاكثِيرٍ ، إِلَّا أَنَّهُ مَتَأَخَّرُ الْوَفَاةِ ؛ إِذْ لَمْ تَكُنْ إِلَّا فِي سَنَةِ (١٣٠٧ هـ) .

وَلَمَّا اسْتَوْلَى آلُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَثِيرِيُّونَ عَلَى سَيِّثُونَ . . . اسْتَدُوا الْقَضَاءَ فِي سَنَةِ
(١٢٦٥ هـ) ، إِلَى الْعَلَامَةِ التَّقِيِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ^(١) ، ثُمَّ
تَرْكُهُ ، وَتَوَلَّاهُ السَّيِّدُ طَلَبَةُ بْنُ عَلَوِيِّ ^(٢) ، ثُمَّ عُزَلَ ، وَأُعِيدَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي سَنَةِ
(١٢٦٧ هـ) ، ثُمَّ أَنْفَصَلَ وَعَادَ إِلَيْهِ السَّيِّدُ طَلَبَةُ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ حَسَنِ ، ثُمَّ عُزَلَ ، ثُمَّ أُعِيدَ
فِي سَنَةِ (١٢٧٢ هـ) ، وَطَالَتْ مَدَّتُهُ عَلَى الْقَضَاءِ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ ، ثُمَّ عُزَلَ ، وَوَلِيَ
السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٢٩٠ هـ) ، ثُمَّ أَنْفَصَلَ لِأَمْرِ جَرَى عَلَيْهِ مِنْ
الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْسَنِ ، وَعَبُودِ بْنِ سَالِمٍ وَتَوَلَّاهُ السَّيِّدُ صَافِي بْنُ شَيْخٍ إِلَى أَنْ مَاتَ
سَنَةَ (١٣٠٠ هـ) ، وَاللَّفَ مَجْمُوعَةً فِي ضَبْطِ أَمْوَالِ سَيِّثُونَ ، ذَكَرَ فِيهِ الْأَيْدِي الْعَادِيَّةُ ،
وَمَا دَخَلَ فِيهِ الْحَرَامُ وَالشُّبْهَةُ مِنَ الْأَمْوَالِ بِتَحَرُّ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهُ .

وَبِإِثْرِ وَفَاتِهِ . . . تَوَلَّى الْقَضَاءَ عُمَّنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحْسَنِ ، ثُمَّ سَافَرَ إِلَى جَاوَةِ وَأَنَابَ
شَيْخَنَا الْعَلَامَةَ عَلَوِيَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٣) ، وَلَمَّا عَادَ . . . لَمْ يَزُضْ بِالرُّجُوعِ إِلَى
الْقَضَاءِ ، وَأَمْتَنَعَ نَائِبُهُ مِنَ الْإِسْتِمْرَارِ عَلَيْهِ ، فَتَوَلَّاهُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ بْنِ أَبِي
بَكْرٍ ^(٤) ، أَلْتَمَوْفَى بِسَيِّثُونَ سَنَةَ (١٣٢٠ هـ) ، ثُمَّ عُزَلَ ، وَوَلِيَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ

(١) التمتوفى ساجداً في صلاة الضحى بمسجد المحضار بتريم سنة (١٣٠٤ هـ) . أفردته حفيده مصطفى بن
سالم بن محمد بترجمة سماها : « البيان الجلي » طبع .

(٢) هو السيد العلامة طه بن علوي بن حسن بن علوي بن محمد بن عمر الصافي ، ولد سنة (١٢١٦ هـ) ،
وتوفي سنة (١٢٩١ هـ) . « التلخيص » (٣٦) .

(٣) العلامة الورع الحبيب علوي بن عبد الرحمن بن علوي بن سقاف بن محمد . . ابن عم والد المؤلف ،
مولده سنة (١٢٥٦ هـ) ، ووفاته سنة (١٣٢٨ هـ) ، « التلخيص » (١٦٢ - ١٦٦) .

(٤) هو السيد عبد الله بن عمر بن أبي بكر بن عمر بن سقاف بن محمد « التلخيص » (٨٦) .

بارجاء ، ثُمَّ عَزَلَ ، وَأَعِيدَ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، ثُمَّ عَزَلَ وَأَسْنَدُوهُ إِلَى عَمَّنَا
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْسِنٍ ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ (١٣١٣ هـ) .

فَاجْتَمَعَ الْأَعْيَانُ وَالسُّلْطَانُ بَدَارِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَارِجَاء . وَأَرَادُوا تَوَلِيَهُ
سَيِّدِي عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . فَأَمْتَنَعَ ، فَوَلَّوْا الشَّيْخَ أَحْمَدَ بَارِجَاءَ مُؤَقَّتًا رِيثَمَا يَقْنَعُوا
سَيِّدِي عَلَوِي .

فَخَرَجَ سَيِّدِي عَلَوِيُّ مِنْ فُورِهِ وَعَقَدَ بَيْنَتِ عَمَّنَا الْغَائِبِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحْسِنٍ عَلَى السَّيِّدِ
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ مُحْسِنٍ ، وَكَانَتْ لَهُ وَلَايَةُ عَلَى الْأَنْكَحَةِ ، فَأَشَارَ الْعَلَامَةُ
السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ بَعْدَ خُرُوجِهِ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَعْزَلَ كُلُّ مَتَوَلٍّ غَيْرَ
بَارِجَاءَ ، فَفَعَلَ ، وَعَلِمُوا بِعَقْدِ شَيْخِنَا فَأَرْسَلُوا الشَّيْخَ أَحْمَدَ بَارِجَاءَ لِيُخْبَرَ وَيَجِدَّ
الْعَقْدَ ؛ لِأَنَّ الْعَقْدَ الْأَوَّلَ وَقَعَ بَعْدَ عَزْلِ الْعَاقِدِ ، فَقَالَ لَهُمْ شَيْخُنَا : إِنَّ الْقَاضِي لَا يَنْعَزِلُ
بِنَفْسِ الْعَزْلِ ، وَلَكِنْ يَبْلُوغُ الْخَبَرَ ، فَالْعَقْدُ عَلَى صَحَّتِهِ ، فَلَمْ يُسْتَأْنَفْ ، وَكَنْتُ أَنَا
مَمَّنْ شَهِدَ ذَلِكَ .

وَكَانَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حَامِدٍ^(١) يُرْشِحُ نَفْسَهُ لَهُ - بَعْدَ عَمَّنَا - وَالنَّاسُ لَا يَعْدِلُونَ أَحَدًا
بَشَيْخِنَا عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَهُوَ مُصَمَّمٌ عَلَى الْاِمْتِنَاعِ مِنْ قَبُولِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ
الْأَعْيَانِ إِلَّا أَنْ اجْتَمَعُوا ثَانِيًا اجْتِمَاعًا مَشْهُودًا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ فِي مَنْزِلِ السَّيِّدِ شَيْخِ بْنِ
مُحَمَّدِ بْنِ شَيْخِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ^(٢) ، وَأَقْرَعُوا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ ،
وَالْقِرْعَةُ تَخْرُجُ عَلَيْهِ فِي الثَّلَاثِ بِحِيلَةٍ مَدْبُورَةٍ مِنَ اللَّيْلِ بَيْنَ السَّيِّدِ شَيْخِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالشَّيْخِ عَمْرِو جَوَّاس ، وَبَعْدَ خُرُوجِهَا عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَارٍ . لَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنَ
الْقَبُولِ .

وَقَدْ سَارَ سِيرَةً حَمِيدَةً ، أَتَعَبَ بِهَا مَنْ بَعْدَهُ ، وَأَزْرَى عَلَى بَعْضِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَلَمْ

(١) المتوفى بمكة عقب حج سنة (١٣٣٨ هـ) ، وهو والد السيد عبد الله مؤلف « تاريخ الشعراء » ،
ترجمته في « تاريخ ابنه » (٢١٩/٤ - ٢٤٤) ، وفي « التلخيص » (٩٠) .

(٢) من آل عبد الرحمن بن سقاف بن محمد . مولده سنة (١٢٤١ هـ) ، ووفاته في رمضان
(١٣١٦ هـ) . « التلخيص » (٥٦-٥٧) .

يَتَأَثَّل مَالاً ، وَكَانَتْ قِيَمَةُ أَثَاثِ بَيْتِهِ - يَوْمَ تَوَفَّى - لَا تَزِيدُ عَنْ ثَلَاثَةِ عَشَرَ رِيَالاً .

عَلَامَةٌ لَيْسَ فِي فَتَوَاهُ سَفْسَطَةٌ لِلْسَّائِلِينَ وَلَا فِي حُكْمِهِ جَنَفٌ^(١) فِي هَذِهِ خَلْفٌ عَنْ جُلِّ سُبُقِهِ وَرُبَّمَا جَارَ قَدَرُ الذَّاهِبِ الْخَلْفُ حَيْثُ الْحُقُوقُ قِيَامٌ فِي مَقَاطِعِهَا وَكُلُّ مَنْ حَاكَمَ الْأَيَّامَ يَنْتَصِفُ وَلَمَّا تَوَفَّى سَنَةَ (١٣٢٨هـ) . . كَانَ الْمُرْشَحُونَ لِلْقَضَاءِ : أَلْسَيْدُ مُحَمَّدُ بْنُ

حَامِدِ بْنِ عَمْرِ السَّابِقُ ذِكْرُهُ . وَالسَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ مُحْسِنٍ .

فَرَجَحَتْ كَفَّةُ الثَّانِي ، وَتَحَلَّبَ الْأَوَّلُ مَرَارَةَ الْفُشْلِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَلَكِنَّهُ تَجَلَّدَ وَكَظَمَ غِيظَهُ - عَلَى خِلَافِ طَبْعِهِ - ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنِ الْأَمْرِ مَعْدَى ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَعِيدَ الْغُورِ .

وَدَامَتْ وَلَايَةُ الثَّانِي إِلَى حُدُودِ سَنَةِ (١٣٤٠هـ) ، ثُمَّ أَنْفَصَلَ بَعْدَ أَنْ صَارَ مَا لَا يُحَمَّدُ ، وَكَانَ الزَّمَانُ تَغْيِيرَ ، وَسَاءَ الظُّلُّ بِالْوَاحِدِ فَأُسْنَدَ إِلَى جَمَاعَةٍ ، هُمْ : الشَّيْخَانِ : مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بَاكثِيرَ ، وَعَوْضُ بْنُ كِرَانَ الصَّبَّانُ . وَالسَّادَةُ : عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَفَرِيُّ ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ بَارِجَاءَ . وَلَمْ تَطُلْ مَدَّةُ وَلَايَتِهِمْ .

وَأُحِيلَ بَعْدَهُمْ إِلَى الشَّيْخَيْنِ : مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاكثِيرَ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ مَسْعُودِ بَارِجَاءَ ، وَالسَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ سَقَّافِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ أَبِي بَكْرِ السَّقَّافِ^(٢) .

ثُمَّ مَاتَ السَّيِّدُ عَمْرُ ، وَأَسْتَقَلَّ بِهِ الشَّيْخَانِ ، ثُمَّ أَنْعَزَلَا ، وَوَلِيَ الشَّيْخَانِ : عَبْدُ الْقَادِرِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنَا مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بَارِجَاءَ ، ثُمَّ مَاتَ الْأَوَّلُ ، فَأَبْقَى الثَّانِي مُسْتَقْلًا إِلَى أَنْ لَصِقَتْ بِهِ رِيَّةٌ ، فَضَمُّوا إِلَيْهِ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْعُودِ بَارِجَاءَ ، ثُمَّ سَافَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَسْتَقَلَّ بِهِ مُحَمَّدُ مَسْعُودِ ، ثُمَّ ضَمُّوا إِلَيْهِ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ كَرِيَّسَانَ^(٣) .

(١) الأبيات من البسيط ، وهي للشريف الرضي في « ديوانه » (٧ / ٢) بتغيير يسير .

(٢) حفيد السيد عبد الله بن عمر السابق ذكره ، ولد سنة (١٣١٠هـ) ، وتوفي سنة (١٣٤٣هـ) عن (٣٢) عاماً . « التلخيص » (٨٧) .

(٣) توفي بسرماية في حدود سنة (١٣٦٩هـ) .

وَالسَّيِّدَ عِيدروسَ بْنَ سَالِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّوَمِ . وَالسَّيِّدَ عَبْدَ الْقَادِرِ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ الْحَامِدِ .

ثُمَّ أَنْتَهتْ وَلَايَتُهُمْ ، وَأَسْنَدُوا الْقَضَاءَ إِلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ الْجَفَرِيِّ ، ثُمَّ غُزِلَ وَوَلِيَ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ ^(١) ، ثُمَّ أَنْفَصَلَ وَأُسْنَدَ الْقَضَاءَ لِلشَّيْخِ أَمْبَارِكِ عُمَيْرٍ بَاخَرِيشٍ ^(٢) ، أَحَدِ طَلِبَةِ الْعِلْمِ بِتَرِيمٍ ، وَكَانَ آيَةً فِي التَّزَاهَةِ عَلَى غَرَارِ سَيِّدِي عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الْكَرَّحَمَنِ ، لَوْلَا ضَيْقُ خُلُقِي وَتَعْصُّبِي يَقْصِدُ بِهِ الْأَحْتِيَاظَ فَيَوْفِقُهُ فِي تَعْنَتِ الشُّهُودِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ .

وَمَنْ أَلْمَقَرَّرِ أَنَّ الْأَحْتِيَاظَ - فِي حَقِّ الْقَاضِي - مِنْ أَصْعَبِ مَا يَكُونُ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا أَحْتَاطَ فِي جَانِبٍ . . أَضَرَّ بِالْآخَرِ .

وَمَعَ حُبِّي لَهُ وَإِعْجَابِي بِهِ وَأَنْقِطَاعِي إِلَيْهِ فِي قِرَاءَةِ كُتُبِ السَّلَفِ . . فَقَدْ لَاحِظْتُ عَلَيْهِ أَغْلَاطًا مَا أَظُنُّهُ يَتَعَمَّدُهَا ، وَلَكِنَّهُ يَقَعُ فِيهَا بَغْشٌ بَعْضِ الْمَغْرُضِينَ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ عَنْهَا .

وَلَمَّا أَضْطَرَبَ الْقَضَاءُ بَسِيتُونَ وَتَحَوَّلَ إِلَى تِجَارَةٍ - وَكَانَ الْأَغْلَبُ أَنْ يُلْقَى لِلْقَاضِي حَبْلُهُ عَلَى غَارِبِهِ ، لَا رَادًّا لِأَمْرِهِ ، وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ ، بِشَرَطِ أَنْ يَتَجَنَّبَ مَسَاخِطَ أَهْلِ النُّفُوزِ فَقَطْ . . . سَاءَتِ الْقَالَةُ ، وَفِي الْأَخِيرِ أُنْشِئَتْ لَجَنَةٌ لِلِاسْتِنَافِ ، فَسَرَّ النَّاسُ وَأَمْلَأُوا الْإِنْصَافَ ، وَأَنْ تَكُونَ الْأَحْكَامُ وَفَقَّ أَلْمَقَرَّرِ الْمَعْتَمَدِ مِنَ الْمَذْهَبِ ، فَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلَةٌ . . حَتَّى تَبَيَّنَا أَنَّ النُّكْسَ شَرٌّ مِنَ الْبَرِّ ، وَإِلَيْكُمْ مِثَالٌ مِنْ مَقَرَّرَاتِ اسْتِنَافِهِمْ ؛ لِيَكُونَ عِنَانًا لِمَا سِوَاهُ :

(١) قَالَ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ الْمَذْكُورُ فِي « تَلْخِيصِهِ » (١٥٧) : وَفِي سَنَةِ (١٣٦٤ هـ) طَلَبَ مِنِّي السُّلْطَانُ جَعْفَرُ الْمَنْصُورُ وَوَزِيرُهُ سَالِمُ الْمَشْهُورُ مَعَ زَمْرَةٍ مِنْ يَعْزُ عَلِيٍّ مِنْ آبَائِي وَإِخْوَانِي أَنْ أَتَوَلَّى الْقَضَاءَ ثَانِيًا وَلَوْ لِمُدَّةٍ وَجِيزَةٍ . . فَقَبِلْتُهُ وَتَوَلَّيْتُهُ لِمُدَّةٍ (٢٧) شَهْرًا ، وَبِالْإِيتِنَانِ لَمْ أَتَحْمَلْهُ ، كَمَا قَالَ جَدِّي مُحْسِنٌ : (الْقَضَاءُ صِفَاءُ زَلَالٍ لَا تَثْبِتُ عَلَيْهِ إِلَّا أَقْدَامُ الْكَمَلِ مِنَ الرِّجَالِ) ، وَلَسْتُ مِنْهُمْ فِي عِيرٍ وَلَا نَفِيرٍ ، ثُمَّ تَخَلَّصْتُ مِنْهُ بِالْعِزْمِ عَلَى السَّفَرِ . هـ

(٢) مَوْلَدُهُ بِتَرِيمٍ ، وَدَرَسَ بِمَدْرَسَةِ جَمْعِيَةِ الْحَقِّ بِهَا ، وَبِرِبَاطِ الْعِلْمِ ، وَشَبَّوْخِهِ كَثِيرُونَ ، وَكَانَ مِنْ خَوَاصِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ عِيدِيدٍ ، وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ لَهُ الثَّبْتَ الْمُسَمَّى : « إِتْحَافُ الْمُسْتَفِيدِ » ، تَوَفَّى بِتَرِيمٍ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنَ الْقَضَاءِ فِي شَوَّالِ (١٣٦٧ هـ) .

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ ، وَبَعْدُ :

فقد رُفِعَ الْحُكْمُ الْصَادِرُ مِنَ السَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ قَاضِي سِيثُونَ إِلَيْنَا ،
الْمُؤَرَّخِ فِي (٢٧) جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ (١٣٦٤ هـ) فِي قَضِيَّةِ الشَّرِيفَةِ رَقِيَّةَ بِنْتِ
مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْعِيدَرُوسِ مَعَ أَوْلَادِ السَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ عِيدَرُوسٍ ، مَعَ الْمَلَاخِظَاتِ
الَّتِي قُدِّمَتْ عَلَيْهِ ، فَتَأَمَّلْنَا ذَلِكَ .

وَحَيْثُ إِنَّ الْمَلَاخِظَاتِ بِمَنَاقِضَةِ الدَّعْوَى الَّتِي بُنِيَ الْحُكْمُ عَلَيْهَا لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ إِقْرَارِهَا
عِنْدَ الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ حُسَيْنِ الْجَفْرِيِّ ، بِأَنَّ الْمَالَ مَعَهُدٌّ ، وَأَنَّهَا تَطَالِبُ بِالْفِكَالِ . .
ظَاهِرٌ فِي الْقَدَحِ .

وَحَيْثُ إِنَّ كِتَابَةَ الْقَاضِي السَّابِقِ مُحَمَّدِ الْجَفْرِيِّ الْمَذْكُورِ يُصْرِّحُ بِاعْتِرَافِهَا بِأَنَّ الْمَالَ
مَعَهُدٌّ عِنْدَ أَوْلَادِ السَّيِّدِ عَلَوِيِّ الْعِيدَرُوسِ الْمَذْكُورِ ، وَمَطَالِبَتِهَا بِفِكَالِ الْعَهْدَةِ .

وَلَوْ فَرَضَ أَنَّ الْإِقْرَارَ لَمْ يَصْدُرْ إِلَّا مِنْ وَكِيلِهَا . . فَهَذَا أَيْضًا مُثَبَّتٌ لِمَنَاقِضَةِ الدَّعْوَى
الْأُولَى لِلدَّعْوَى الثَّانِيَةِ الَّتِي فِي الْحُكْمِ بِالنِّسْبَةِ لِلْوَكِيلِ .

فَبِنَاءٍ عَلَى مَا ذَكَرَ . . اتَّضَحَ لَنَا أَنَّ الدَّعْوَى الثَّانِيَةَ غَيْرُ صَحِيحَةٍ ، وَأَنَّ الْحُكْمَ
الْمُتَرَتَّبَ عَلَيْهَا غَيْرُ صَحِيحٍ . وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَحَرَّرَ فِي
(٢٤) صَفَرِ سَنَةِ (١٣٦٥ هـ) ، وَفِي « مَجْمُوعِ الْحَبِيبِ طَلَّة » مَا يُصْرِّحُ بِمَا تَقَدَّمَ وَاللَّهُ
رَقِيبٌ .

عِيدَرُوسُ بْنُ سَالِمِ السَّوْمِ صَالِحُ بْنُ عَلِيِّ الْحَامِدُ

مُصْطَفَى بْنُ سَالِمِ السَّقَّافِ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْخِ الْمَسَاوَى

فَكَتَبْتُ عَلَيْهَا غَيْرَةَ عَلَى الْعِلْمِ لَا مَسَاعِدَةَ لِلْحَاكِمِ ؛ فَلَمْ أَكُنْ بِالرَّاضِي عَنْ أَحْكَامِهِ
الَّتِي بَدَأَهَا بِحُكْمِ لِعَمْرِ بْنِ كَرَامَةَ الزَّوْعِ عَلَى زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمِ بَاقِطِيَّانَ
وَعَرَضُهُ عَلَيَّ ، وَمِنْ شَهْوَدِهِ : السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ . .
فَلَمْ تَلْبِثْ أَنْ أَرْضَتْهُ الْمَرْأَةُ فَقَضِي لَهَا ، وَدُفِنَ الْحُكْمُ الْأَوَّلُ .

وَمَعَ هَذَا فَقَدْ كَتَبْتُ عَلَى كَلِمَةِ الْأَسْتِنَافِ مَا يَلِي :

بما أَنَّ الْقَاضِيَ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَنِ الْجَفَرِيِّ مُنْكَرٌ مِنْ إِقْرَارِ رَقِيَّةَ وَوَكِيلِهَا بِالْعَهْدَةِ
 إنْكَاراً شَدِيداً ، وَلَمْ يَثْبُتْ ذَلِكَ الْإِقْرَارُ بَيِّنَةً قَطُّ عِنْدَ أَهْلِ الْأَسْتِنَافِ كَمَا يَسْتَهْلُ بِهِ
 بَعْضُهُمْ ، وَإِنَّ إِنْكَارَ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ مِنْ ذَلِكَ مَلَأَ سَمْعَ الْأَرْضِ وَبَصَرَهَا قَبْلَ أَنْ
 يَقُولَ الْأَسْتِنَافُ قَوْلَهُ ذَلِكَ ، وَفِي إِمْكَانِهِمْ أَنْ يَسْأَلُوهُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ عَلَى الْقَضَاءِ ، أَوْ
 يَطْلُبُوا ثُبُوتَ ذَلِكَ بِطَرِيقِهِ الشَّرْعِيِّ - وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ . . . يَتَبَيَّنُ أَنَّ هَذَا التَّقْرِيرَ رَمْلٌ مَبْنِيٌّ
 عَلَى مَاءٍ ، وَأَتَعَجَّبُ كَثِيراً مِنْ قَوْلِهِمْ : وَفِي « مَجْمُوعِ الْحَبِيبِ طَه » مَا يُصَرِّحُ بِمَا
 تَقَدَّمَ ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى غَفْلَةٍ فَاحِشَةٍ وَسَهْوٍ قَبِيحٍ ؛ إِذِ الَّذِي فِي « الْمَجْمُوعِ » عَلَى الْوَانِ ،
 مِنْهُ :

مَا نَقَلَهُ عَنْ « فِتَاوَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبِ » : (فِيمَا لَوْ أَسْتَدْعَى رَجُلٌ
 لِأَوْلَادِهِ نَذراً مَعْلَقاً ، ثُمَّ أَدْعَى لَهُمْ نَذراً مَنْجِزاً وَأَسْتَدْعَى إِلَى مَا قَبْلَ التَّعْلِيقِ . . لَمْ تُسْمَعْ
 دَعْوَاهُ إِلَّا لِلتَّحْلِيفِ ؛ لِمَنَاقِضَةِ ذَلِكَ لِدَعْوَاهُ الْأُولَى ، فَبَطَلَتْ بِالنِّسْبَةِ لَهُ ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ
 لِأَوْلَادِهِ . . فَلَا ، وَلَكِنْ لَا يَصِحُّ أَنْ يَدْعِيَ هُوَ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ بِإِقْرَارِهِ عَنْ كَوْنِهِ وَلِيّاً
 لَهُمْ فِي ذَلِكَ ، بَلْ يُنْصَبُ الْحَاكِمُ مَنْ يَدْعِي لَهُمْ ، وَتَقْبَلُ دَعْوَاهُ وَيُثَبِّتُهَا) اهـ مِنْ كِرَاسِ
 الْإِقْرَارِ

وَفِي الدَّعْوَى وَالْبَيِّنَةِ مِنْهُ : عَنِ الْخَطِيبِ الْمَذْكُورِ : (لَوْ بَاعَ دَاراً ، فَأَدْعَى أَبْنُوهُ عَلَى
 الْمُشْتَرِي أَنَّ الْبَائِعَ وَقَفَهَا عَلَيْهِ وَعَلَى أَوْلَادِهِ ، وَأَقَامَ بَيِّنَةً . . بَطَلَ الْبَيْعُ .
 فَلَوْ أَقَامَ الْمُشْتَرِي بَيِّنَةً بِإِقْرَارِ الْمُدَّعِي أَنَّهَا كَانَتْ مِلْكَاً لِأَبِيهِ حِينَ بَاعَهَا وَثُمَّ أَطْفَالٌ مِنْ
 أَوْلَادِ أَوْلَادِهِ . . سُمِعَتْ ، وَبَطَلَتْ الْوَقْفِيَّةُ فِي نَصِيْبِهِ دُونَ نَصِيْبِ الْأَطْفَالِ ، وَلَيْسَ لَهُ أَنْ
 يَدْعِيَ نَصِيْبَ الْأَطْفَالِ ؛ لِأَنَّهُ خَرَجَ بِإِقْرَارِهِ عَنْ كَوْنِهِ قِيَّماً لَهُمْ ، وَيجوزُ أَنْ يَنْصَبَ الْمُقَرَّرُ
 مُدَّعِياً . قَالَهُ الْقَاضِي حَسِينُ .

قَالَ الْبَغَوِيُّ كَمَا قَالَ الْعَبَادِيُّ : وَلَوْ أَدْعَى الْمُقَرَّرُ جَهْلَةً بِالْوَقْفِ حَالَ الْإِقْرَارِ . . صُدِّقَ
 بِبَيِّنَتِهِ ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ ، وَيجبُ الْجُزْمُ بِهِ إِذَا دَلَّتِ الْقَرَائِنُ عَلَى صِدْقِهِ ؛ كَأَن كَانَ
 طِفْلاً) اهـ

وَمِثْلُ هَذَا مَوْجُودٌ فِي (ص ١١٥ ج ٣) مِنْ « فِتَاوَى أَبِي حَجَرٍ » .

وقوله : (كَأَن كَانَ طِفْلاً) مثله لو أعتذر بأن إقراره مبني على ظاهر الحال ، كما في ذلك « المجموع » أيضاً من تصريح الخطيب المذكور قبيله بأسطر .

ومن قوله : (ويجوز أن يُنصب المقرء... إلخ) يُعرف تقييدُ خروجه عن الولاية على أولاده بخصوص الدعوى فيما ناقضه بإقراره فقط ، وبه يندفع الإشكال .

وفي التذير من ذلك « المجموع » : (رجلٌ استدعى من امرأة نذراً لأولاده ، فنذرت لهم نذراً معلّقاً ، ولما علم أنها تريد نقضه.. أدعى نذراً سابقاً ، لم تسمع دعواه ؛ لأنه باستدعائه المعلق أقر لها بالملك . وهو مبسوط في كراريس الإقرار من جواب مُحَمَّدٍ باحْوِيرث ، وردّه أحمد مؤذن) اهـ

وظاهره أن أحمد مؤذن يقول بسماع الدعوى مطلقاً ، ويلزمه القول بأن الوكيل إذا أنزل بالإقرار ثم تجددت له الوكالة.. صحّت ، وبذلك صرح الشيخ عبد الله بن أبي بكر الخطيب ، كما في « المجموع » المذكور أوائل الدعوى .

وحاصل كلام أحمد مؤذن في « المجموع » المذكور : (أن أحمد باعطب أدعى على عائشة بنت مُحَمَّدٍ الحاج شعيب أنها نذرت لأولاده بنصف دارها نذراً منجزاً ، وثبت ذلك بشهادة السيد فلان ، ولم يبق إلا يمين التكملة ، فعارضني فلان وكتب سؤالاً ذكر فيه أن باعطب استدعى بعد ذلك نذراً من عائشة ، وأن ذلك إقرار منه يُناقض دعواه .

فكتبت على ظهره : هذا غلط واضح ؛ لأن إقرار الأب لاغ في حق أولاده .

ثم أجاب بعض أكابر دوعن بما يوافق المعترض ، وصادق عليه باخيزان في بضعه ، وبامعلم في قيدون ، فأخذ الله على بصائرهم فلم ينتفعوا بأبصارهم) اهـ

والحاصل : أن أحمد مؤذن يقول بإلغاء الإقرار وصحة الدعوى ، وكان باخيزان ومن لفه يقولون بصحة الإقرار والمواخذة به ، وهو غلط إن صح عنهم .

وعبد الله بن أبي بكر الخطيب يقول : لا مواخذة على الأولاد بإقرار أبيهم إلا في عدم سماع الدعوى ما لم يُبدِ عذراً . هذا كله في « المجموع » ، فماذا الذي أراد منه

أهلُ الاستِثْنافِ ؟ لقد حَفِظُوا شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْهُمْ أَشْيَاءٌ ، أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الْقَاضِي الْكَامِلِ بَيَانُ مُسْتَنَدِهِ إِذَا نَقَضَ حُكْمَ غَيْرِهِ فَضْلاً عَنْ قَضَاءِ الضَّرُورَةِ ؟ وَأَيُّ مُسْتَنَدٍ بَيْنَهُ هُنَا ؟! أَمَا كَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمُ بِالْتَّنْزِيلِ وَجَعْلِ إِقْرَارِ الْمَرْأَةِ أَوْ وَكِيلِهَا مَانِعاً مِنْ سَمَاعِ الدَّعْوَى الثَّانِيَةِ - لَغَرَضٍ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَأْوِيلٍ - أَنْ يَقُولُوا : ثَبَتَ لَدِينَا بِشَهَادَةِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وَيَرَاوَعُوا الْأَوْضَاعَ الشَّرْعِيَّةَ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَيَنْقَلُوا النَّصَّ الَّذِي اعْتَمَدُوهُ بَعِينَهُ ؟! وَإِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . . فَمَا قَوْلُهُمْ إِلَّا هَرَاءٌ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّوَابِ سُبُلٌ وَعَرَةٌ وَأَرْضٌ عَرَاءٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

كَتَبَهُ : عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

وَبَلَّغَنِي أَنَّ السَّيِّدَ مُصْطَفَى أَرْعَوَى وَرَجَعَ عَنْ كَلَامِهِ ، وَأَمَّا الْبَاقُونَ . . فَأَصْرُوا ، وَلَكِنْ أُلْغِيَ كَلَامُهُمْ وَأُعِيدَ الْمَالُ إِلَى رَقِيَّةَ ، ثُمَّ فُصِّلُوا تَمَاماً وَأُسْنَدَ الْأَسْتِثْنَاءُ إِلَى جَمَاعَةٍ بِتَرِيمٍ مَدَّةً قَلِيلَةً ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ فِي يَدِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحِ بْنِ هَاشِمِ الْحَبَشِيِّ^(١) ، وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاهُ لِلْسَّدَادِ ، وَجَعَلْنَا وَإِيَّاهُ مَمَّنْ يُؤَثِّرُ النُّصُوصَ الْمَقْرَّرَةَ فِي الْأَعْتِمَادِ .

وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالتَّزَاهَةِ ، إِلَّا أَنَّ مِنْ أَصْحَابِهِ مُغْرَضِينَ يَزْعُمُ النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ يَنْخَدِعُ بِكَلَامِهِمْ .

وَمِنْ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ وَالْأَشْخَاصِ الظَّاهِرِينَ بَسِثُونَ : أَخُونَا الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ هَادِي بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنِ بْنِ سَقَّافٍ^(٢) ، فَلَقَدْ شَمَّرَ -

(١) وَلَدَ بِالْحَوِطَةِ ، وَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (١٣٨٧هـ) ، وَكَانَ طَلَبَ الْعِلْمِ بِمَكَّةَ وَكَانَ فَقِيهاً عَالِماً ، لَهُ اعْتِنَاءٌ بِعِلْمِ الْفَلَكَ ، وَقَدَّمَ تَرِيمَ وَدَرَسَ فِي الرِّبَاطِ فِي حَيَاةِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الشَّاطِرِيِّ .

(٢) وَلَدَ الْحَبِيبِ مُحَمَّدُ بْنُ هَادِي بَسِثُونَ سَنَةَ (١٢٩١هـ) ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي (١٥) رَجَبِ (١٣٨٢هـ) . نَشَأَ فِي حَجَرٍ وَالِدِهِ ، وَأَخَذَ عَنْ جُمْلَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ ؛ مِنْهُمْ : الْإِمَامُ الْأَبَرُ ، وَالْحَبِيبُ عَلِيُّ الْحَبَشِيِّ ، وَقَرَأَ عَلَى وَالِدِهِ الْحَبِيبِ هَادِيِ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٢٩هـ ، لَهُ رَحْلَةٌ إِلَى مِصْرَ سَنَةَ ١٣٤٢هـ دَوَّنَ وَقَاتِعَهَا مِرَافِقَهُ وَتَلْمِيزَهُ الشَّيْخَ بَكْرَانَ الصَّبَانَ ، وَأُخْرَى إِلَى الْحِجَازِ كَتَبَ وَقَاتِعَهَا تَلْمِيزَهُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ شَيْخَ الْمَسَاوِي . وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ كَلَامَهُ وَمَوَاعِظَهُ فِي مَجْلَدٍ . يَنْظُرُ : « التَّلْخِصُ » (٩٧ - ٩٨) ، « تَارِيخُ الشُّعْرَاءِ » (١٦٦/٥) .

بسائقِ أبيه من نعمة أظفاره - أذليل ، وواصل في طلابِ العلوم بينَ النهارِ والليل ،
ولم يَزَلْ يردُّ الضَّجَرَ ، ويفترشُ المدرَّ ، ويدمنُ السَّهَر ، ويدمُّ التحديقَ ، ويُلازمُ
التَّحقيقَ ، حتَّى يَنعَثَ لَهُ الأمانِي ، واقتطفَ ثمارَ التَّهاني . . فجاءَ موضعَ قولِ الشَّريفِ
الرَّضِيِّ [في « ديوانه » ٨/٢ من البسيط] :

لَوْ أَنَّ عَيْنَ أَبِيهِ الْيَوْمَ نَاطِرَةٌ تَعَجَّبُ الْأَصْلُ مِمَّا أَثْمَرَ الطَّرْفُ
وكانَ أَكثَرُ تَخْصُّصِهِ فِي عِلْمِ النَّحْوِ ، فهوَ وَالشَّيْخُ مُحَمَّدٌ بَاكثِرٌ فِيهِ فَرَسًا رَهَانِ ،
ورضيعةً لبانٍ ، وربَّما اختلفا في بعضِ المسائلِ ؛ كما في (منهلاً) من قولِ ذي الرُّمَّةِ
[في « ديوانه » ١٠٢ من الطَّويل] :

وَلَا زَالَ مُنْهَلًا بِجَزَعَاتِكَ الْقَطْرُ

- فالأوَّلُ يرى أَنَّ (منهلاً) اسمُ فاعِلٍ ورفعَ المسألةُ إلى بعضِ العلماءِ بمكَّةَ ،
فصوَّبَ كلامَهُ .

- والثَّاني يرى أَنَّهُ اسمُ مفعولٍ ، وظفرَ من شرحِ « المتَّممة » لِلسيِّدِ الأهدلِ بنصرٍ
يُوافِقُهُ على ذلك .

وعندي : أَنَّ كلاً مِنْهُمَا مُصِيبٌ ؛ لأنَّ (منهلاً) زنةٌ (معتلاً) ، وهو صالحٌ
للثَّنينِ ، كما في « حاشية الأصبانِ على الأشموني » [٤٧٦/٢] ، لا يتميَّزُ أَحَدُهُمَا إِلَّا
بِالنِّيَّةِ .

خصائصُ سيئون :

منها : عذوبةُ الماءِ ، حتَّى إِنْ قَاتَلَهُمْ يَقُولُ : (سيئونُ وألماءُ ، ولا سَمْنُ البقرِ في
شبابٍ) .

ومنها : اعتدالُ هوائِها ، وكثرةُ صفائِها ، ولهذا كانَ لها منظرٌ جذَّابٌ يأخذُ بقلوبِ
أهلِها فيكثرُ لَهُ حنينُ الغائبينَ عنها من أبنائِها .

ولأهلِها ميلٌ كثيرٌ إلى الأَنسِ ، حتَّى إِنَّهُمْ كانوا يَخْرُجونَ بأهاليهم في فضلي الصَّيفِ

وَالْخَرِيفِ كُلَّ عَشِيَّةٍ إِلَى الْفُضَاءِ الرَّحْبِ فِي سَفُوحِ يَثْمِهِ^(١) عَلَى طَبْحِ الْقَهَاوِي ،
وَمُنَاشِدَةِ الْأَشْعَارِ ، وَمِبَادِلَةِ النَّوَادِرِ ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ إِلَّا لِلْعِشَاءِ ، مَعَ نِزَاهَةِ وَصِيَانَةِ
وَتَبَاعُدِ فِي الْمَجَالِسِ ، بَحِثُ لَا يَبِينُ لِأَحَدٍ لَوْ أَنَّ أَمْرًا لَا تَحُلُ ، إِلَّا مَنْ كَانُوا مِنْ
الْمُبَرِّزِينَ الَّذِينَ لَا تَتَحَجَّبُ نِسَاؤُهُمْ . . فَبَيْنَ مَا يَفْعَلُونَ وَمَا يُؤَثِّرُ قَدِيمًا عَنْ سَمَرِ أَهْلِ
ظَفَّار . . بُعْدُ الْمَشْرِقَيْنِ .

وهذه السُّفُوحُ قاحلةٌ ليسَ بها شيءٌ مِنَ الْأَعْشَابِ وَالْأَشْجَارِ إِلَّا تَعَاشَيْبُ مِنَ الْإِذْخَرِ
وَالْأَشْنَانِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَحَوَالِيهَا مَجَارِي السُّيُولِ وَالْمَطَرُ بِهَا قَلِيلَةٌ أَلْهَطُولِ ، وَلَكِنَّهُ
مَنْظَرٌ يَجْلُو أَلْهَمٌ ، وَيُفْرِجُ الْحَزْنَ ، وَيُجِمُّ الْفُؤَادَ .

وَلَمَّا أَشْتَكَى الْحَبِيبُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافُ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ أَلْهَمٍ إِلَى الْحَبِيبِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ . . أَشَارَ عَلَيْهِ بِمُقَابَلَةِ وَادِي يَثْمِهِ كُلَّمَا طَرَقَهُ ، فَفَعَلَ فَنَجَحَ ،
وَوَجَدَ مِنْهُ أَفْضَلَ عِلَاجٍ لَهُ وَلِهَذَا اتَّخَذَ بِفَنَاءِ مَسْجِدِهِ مَكَانًا فِي شَرْقِيَّتِهِ يَنْظُرُ مِنْهُ إِلَيْهِ .

وَمَا أَشْبَهَ حَنِينَ آلِ سَيْثُونَ إِلَيْهَا . . بِمَا كَانَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
وَأَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، حَتَّى لَقَدْ جَاءَهُ أَصِيلُ الْغَفَارِيِّ مِنْ مَكَّةَ وَوَصَفَ
لَهُ خَصْبَهَا ، وَقَالَ : إِنَّ الْإِذْخَرَ أَوْرَقٌ ، وَالشَّجَرُ قَدْ أَعْدَقَ^(٢) ، أَوْ مَا يَشْبَهُ هَذَا ،
فَاغْرُورِقَتْ عَيْنَاهُ . وَإِنْ كَانَ بِلَالٌ لِيرْفَعُ عَقِيرَتَهُ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى - مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَلَاقِ بِمَكَّةَ
إِلَّا كُلَّ بَلَاءٍ - وَيَقُولُ [مِنَ الطَّلِيلِ] :

أَلَا لَيْتَ شِغْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ
وَهَلْ أَرَدَنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَةٍ وَهَلْ تَبْدُونُ لِي شَامَةً وَطَفِيلُ
وَفِي جَنُوبِ تِلْكَ السُّفُوحِ فِي شَرْقِيٍّ سَيْثُونَ مَوْقِعُ مَكَانِنَا عَلمَ بَدْرِ^(٣) ، وَكُلَّمَا بَارَحْتُهُ

(١) وَادٍ مِنَ الْأَوْدِيَةِ الْمَشْهُورَةِ فِي سَيْثُونَ . وَهُوَ الَّذِي نَشَأَ فِيهِ الْحَبِيبُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافُ - الْمَتَقَدِّمُ
ذَكَرَهُ - وَبُنِيَ فِيهِ مَسْجِدُهُ . وَهُوَ يَقَعُ الْآنَ دَاخِلَ سَيْثُونَ .

(٢) أَعْدَقَ : أَخْرَجَ ثَمَرَهُ .

(٣) أَصْلُ تَسْمِيَّتِهِ بِاسْمِ السُّلْطَانِ عَلِيِّ بْنِ بَدْرِ بْنِ عَمْرِ بْنِ بَدْرِ بِطُورِ بَرْقٍ ، الْمَتَوَفَى بِالشَّحْرِ سَنَةَ
(١١٠٧هـ) . « تَارِيخُ الدَّوْلَةِ » (٨٦ - ٨٨) . وَلَكِنْ لَمَّا كَثُرَ دَوْرَانِ الْاسْمِ عَلَى الْأَلْسِنَةِ . . تَحَرَّفَ =

- على ما ألقى به من الأذيا - أشتد شوقي إليه ، كما يُعرف من « ديواني » المحشو به ، من ذلك قولي من قصيدة إمامية [في « ديوان المؤلف » ٥٢١-٥٢٢ من الطويل] :

شُجُونُ أَطَارَتْ فِي الظَّلَامِ مَنَامِي	لَتَذْكَارِ أَيَّامٍ بِسَفْحِ يَثَامِ
بِحَيْثُ الْفَضَاءِ الرَّحْبِ وَالسُّدْرِ حَوْلُهُ	مَنَابِتُ نَخْلٍ بِأَسْقِي وَبِشَامِ ^(١)
قَلِيلٌ بِهِ الْأَغْشَابُ لَكِنَّ مَاءَهُ	أَلَذُّ وَأَصْفَى مِنْ سُلَافِ مُدَامِ ^(٢)
وَمَا نَزَهُ الدُّنْيَا وَجَنَاتُ رِفْهَهَا	بِأَنْفَعِ مَنْ بَطَحَائِهِ لِسَقَامِ
وَلَنْ أُنْسَ فَوْقَ الرَّمْلِ فِيهِ مَجَالِسِي	شِمَالِي بِنْتِي وَالْيَمِينِ غَلَامِي
عَشَايَا عَلَى تِلْكَ الشُّفُوحِ تَصَرَّمَتْ	بِإِنْرِ غَدَايَا فِي هَنَاءٍ وَوِثَامِ
بِصُحْبَةِ قَوْمٍ طَاهِرِينَ مَرَّاجِحِ	مَيَّامِينَ شَمِّ صَادِقِينَ كِرَامِ
مَضَوْا كُلُّهُمْ قَدَمًا وَعَاشُوا بِحَمْدِهِمْ	وَإِنْ أُعْقِبُوا فِي عَضْرِنَا بِلَثَامِ

وَمِنْ أُخْرَى وَدَاعِيَةٍ كَانَ إِنشَاؤها فِي سَنَةِ (١٣٥٤ هـ) [في « ديوان المؤلف » ٥٢٥-٥٢٦ من

الطويل] :

تَذَكَّرْتُ شَرْقِيَّ الْحِمَى مِنْبِتِ الْأَثَلِ	وَمَا أَضْعَبَ الذِّكْرَى عَلَى ذِي الْوَفَا مِنْلِي ^(٣)
مَشَارِفُ مَا فِيهِنَّ لِلْعَيْنِ مَنْظَرٌ	يَرُوقُ سِوَى شَيْءٍ مِنَ السُّدْرِ وَالنَّخْلِ
فَمَا زَرَعُهَا زَاكِ وَلَا نَمَّ سَاكِنٌ	بِهَا غَيْرُ شَاكِ قِلَّةَ الْأَمْنِ وَالْعَدْلِ
وَلَكِنَّ فِيهَا نَشَاتِي وَوِلَادَتِي	وَخَلَقْتُ فِيهَا صِبْيَتِي وَبِهَا أَهْلِي
فَمَا فِي بِلَادِ اللَّهِ أَرْضٌ كَمِثْلِهَا	لَدَيَّ عَلَى تِلْكَ الْمَخَاوِفِ وَالْأَزْلِ ^(٤)
وَلَمْ أُنْسَ فِي يَوْمِ الْوَدَاعِ مَوَاقِفًا	لَوَاعِجُهَا فِي الْقَلْبِ أَشْوَى مِنَ الثُّكْلِ ^(٥)

= فصار (علم بدر) كما يوردها المؤلف كثيراً في هذا الكتاب .

- (١) البشام : نبت طيب الرائحة ، يستاك به .
- (٢) سلاف المدام : أجودها وأزكاها .
- (٣) الأثل : شجر طويل ، يعمر كثيراً ، جيد الخشب ، كثير الأغصان متعقدها ، دقيق الورق .
- (٤) الأزل : الشدة .
- (٥) اللواعج : الآلام .

تُرَاجِعُنِي فِيهَا أَلْهَوَىٰ أُمُّ شَادِنٍ وَأَجْفَانُهَا تَجْرِي وَأَشْجَانُهَا تَغْلِي^(١)
وَتَلْوِي بَلِيَّتُهَا مَخَافَةَ طِفْلَةٍ تَرَىٰ مَا بِهَا مِنْ حَسْرَةِ الْبَيْنِ أَوْ طِفْلِ
تَصُدُّ لِإِيْهَامِ الْأَطِفَالِ تَارَةً وَتَقْبَلُ أَحْيَانًا بِفَوَارَتِي وَبَلِ^(٢)
وَيَمْنَعُهَا سَوْقُ الْمَقَالِ نَشِيجُهَا سَوَىٰ كَلِمَاتٍ سَاقَطَتْهَا عَلَىٰ رِسْلِ
تَقُولُ : إِلَىٰ أَيْنَ الشَّرَىٰ بَعْدَ مَا تَرَىٰ؟ فَلَيْسَ لَنَا ذَنْعٌ عَلَىٰ فُرْقَةِ الشَّمْلِ^(٣)
فَقُلْتُ : قَرِيبًا تَنْطَوِي مُدَّةَ النَّوَىٰ وَيُعْقِبُهَا مِنْ فَضْلِهِ اللَّهُ بِالْوَصْلِ

وَالشَّوْطُ بَطِينٌ جَدًّا مِنْ أَمْثَالِ هَذَا ، وَلَكِنْ لَا حَاجَةَ لِإِثَارَةِ الْأَشْوَاقِ ، وَتَجْدِيدِ
الْأَحْزَانِ ، وَلَقَدْ كَانَتْ لِي أُخْتُ صَالِحَةٌ تَجَرَّمَتْ لَهَا الْأَعْوَامُ فِي الْأَمْرَاضِ الْمَزْمِنَةِ
وَالْأَوْجَاعِ الْمُؤْذِيَةِ ، وَعَرَضْنَا عَلَيْهَا أَنْ تُمَرِّضَ فِي بَيْتِنَا . فَامْتَنَعَ زَوْجُهَا ، فَكَانَتْ
لَا تَغِيَّبُنَا زِيَارَةً مَعَ ضَعْفِهَا ، تَسْتَشْفِي بِرُؤْيَيْنَا وَاسْتِنْشَاقِ هَوَائِنَا ، حَتَّى أَشَدَّتْ بِهَا الْمَرَضُ
وَالْحُ عَلَيْهِمَا الْأَلَمُ ، فَكَانَتْ تَأْمُرُ أَنْ تُحْمَلَ لِتُطَلَّ مِنْ نَافِذَةٍ يَتَرَاءَىٰ لَهَا مِنْهَا مَكَانُنَا ، فَقُلْتُ
فِي جُمْلَةِ رِثَائِهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَكَمْ هَزَّهَا شَوْقٌ لِمَسْقَطِ رَأْسِهَا فَنَاءَ بِهَا ضَعْفٌ فَجَاشَ لَهَا وَبَلُ
تَذُوبُ حَشَاهَا حَسْرَةً كُلَّمَا بَدَا مُصَلَّىٰ أَحِبَّهَا أَوْ تَرَاءَىٰ لَهَا النَّخْلُ

وَكَانَ سَيِّدُنَا الْجَدُّ سَقَافُ بْنُ مُحَمَّدٍ يَحْرُصُ كَثِيرًا عَلَىٰ سُرُورِ أَهْلِ بِلَادِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ
لِيرْتَقِي سَطْحَ دَارِهِ فِي أَيَّامِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ فَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ غِنَاءً وَلَا طَبْلًا . . . تَكَدَّرَ ؛
لَأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ بِتَرْكِهِ عَنْ عَادَتِهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا لِمُكَدَّرِ عَيْشٍ ، وَمَشْوَشٍ بِالِ . وَكَانُوا
مَعَ فَرْطِ الصَّفَاءِ وَتَرَادُفِ الشُّرُورِ فِي فَقْرِ مُدْقِعٍ مُتَسَاوِينَ فِيهِ ، وَإِنْ وُجِدَ لَدَىٰ أَحَدٍ شَيْءٌ
مِنْ الْأَمَالِ . . . لَمْ يُعْرِفْ أَثَرُهُ فِي لِبَاسِهِ ، وَلَا فِي أَثْنَائِهِ وَلَا فِي دَارِهِ ، وَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي

(١) الشَّادِنُ : وَلَدُ الْغَزَالِ عِنْدَمَا يَطْلُعُ قَرْنَاهُ وَيَسْتَفْنِي عَنْ أُمِّهِ .

(٢) الْفَوَارَةُ : الْعَيْنُ الَّتِي يَفُورُ وَيَجْرِي وَلَا يَنْقَطِعُ مَآؤُهَا . الْوَيْلُ : الْمَطَرُ الشَّدِيدُ وَهُوَ هُنَا كُنَايَةٌ عَنْ فُورَانِ

الْعَيْنِينَ بِالْدموعِ .

(٣) ذَرْعٌ : قُوَّةٌ وَطَاقَةٌ .

الإحسان ومواساة الأقراب والجيران؛ كسيدي جعفر بن شيخ^(١)، والشيخ عمر دحيمي^(٢).

وفي أوائل هذا القرن بدأت زهراء ضييلة من الثروة، استفرت بعض أهل العلم فاستمالوا أهلها وعظموهم، وكبروهم في أنفسهم، وحملوهم على اقتناء الفراش والأثاث، وتشيد الدور، وزخرفة القصور، ونهجوا لهم السبيل إلى اتباع الشهوات، والتقلب في اللذات، فأخذ الشرور يغيض^(٣) والأحزان تفيض^(٤)، حتى انحل الرباط، وطوي البساط، وتقوض ذلك الفسقاط، وأدىل الاجتماع بالافتراق، والاتحاد بالانشقاق، وأنكسرت خواطر الفقراء، فأقشعرت بهم بطن البلاد، وتوزعتهم الأقاليم النائية.

ونجمت المنافسات والمزاحمات - العائد كثير من شرها إلى بدعة طائفة باطويح، فهم ومن على شاكلتهم الذين بذروا بذور التحاسد، وأثاروا الأحقاد - وما كان آل سينون قبل ظهور الثروة والجاه ونجوم هذه البدعة إلا إخواناً على سرر الصفاء متقابلين، وكان الدرسه أحراراً، والأوقات موزعة، لكل وقت شيخ يدرس العلم ويحضر عليه الطالبون، فيبث فيهم الحب، ويؤكد الإخاء، ويثني بينهم على أقرانه، ويغريهم بالأخذ عنهم. لا يمتاز شيخ بأحد، بل كلهم شرع فيهم.

وقد قال النووي في مقدمة «المجموع» [٦١]: (ومن أهم ما يؤمر به العالم: أن لا يتأذى ممن يقرأ عليه إذا قرأ على غيره، وهذه مصيبة يبتلى بها جهلة المعلمين، وهو من الدلائل الصريحة على عدم إرادتهم وجه الله، وقد قدمنا عن علي - كرم الله وجهه - ما فيه من الإغلاظ) اهـ.

فعند نجوم الجاه، وتفشي المال، وظهور البدعة..

غاص الشرور وفاض ألهم واتسعت مسافة الخلف بين القول والعمل^(٥)

(١) هو السيد جعفر بن شيخ بن عبد الرحمن بن سقاف توفي سنة (١٢٩٥هـ). «التلخيص» (٥٤-٥٥).

(٢) وعمر دحيمي من آل السبايا، تنظر أخباره في: «العدة المفيدة».

(٣) يغيض: يذهب، ويقطع.

(٤) يفيض: يزداد.

(٥) البيت من البسيط، وهو للطبراني في «ديوانه».

ثُمَّ جَاءَتِ الطَّائِمَةُ الْكُبْرَى وَكَانَتِ الْحَرْبُ الطَّاحِنَةُ ، وَانْقَطَعَتْ صَلَاتُ جَاوَةِ
وَسَنَافُورَةٍ عَنْ حَضْرَمَوْتَ ، فَوْقَ الْحَضَارْمِ - وَلَا سِيَّامَا مَنْ نَزَلَ عَنْ شَبَامٍ - فِي أَضِيقَ مِنْ
حَلَقَةِ الْمِيمِ ، وَأَشَدَّ مِنْ صَمَاءِ الْغَبْرِ^(١) ، وَرَمَاهُمُ اللَّهُ بِسَبْعِ كَسْبِ يَوْسُفَ^(٢) ، يَكْفِي
لَوْصِفِهَا مَا جَاءَ فِي قَصِيدَتِي الْمُسْتَهْلَّةِ بِقَوْلِي [مِنْ الْكَامِلِ] :

عَبَّرُ يَلِينُ بِهَا الْغَلِيظُ الْجَافِي وَيَحْسُ مِنْهَا الْقَلْبُ وَخَزَ أَشَافِي^(٣)
وَقَدْ طُبِعَتْ مَرَاتٍ ، وَأَشْرْتُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي قَصِيدَةٍ أُخْرَى ، مَطْلَعُهَا [مِنْ الْكَامِلِ] :

يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يُسَاغُ الرِّيقُ وَيُدَالُ بِالْإِفْرَاجِ هَذَا الْأَضِيقُ
وَلَوْ أَنَّ سَيْتُونَ عَادَتْ بِالْفَقْرِ الْآخِرِ سِيرَتَهَا الْأُولَى مِنَ الْأُنْسِ وَالْأَصْفَاءِ ، وَكَثْرَةِ
السُّرُورِ وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ . لَكَانَ الْأَمْرُ هَيْئًا ، بَلْ مَمْدُوحًا ، فَلَا مَرْحَبًا بِالْمَالِ إِنْ لَمْ
يَكْشِفِ الْبُؤْسَ ، وَيُؤْنِسِ النَّفُوسَ ، وَلَكِنْ . لَا ذَا تَأْتِي وَلَا ذَا حَصَلَ^(٤) ، وَمَا أَتَوْا إِلَّا
مِنْ قَبْلِ نَفُوسِهِمْ ، وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ ، وَنَغْلِ قُلُوبِهِمْ ، وَفَسَادِ نِيَّاتِهِمْ ، فَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا
قَالَ الْقُطْبُ الْحَدَّادُ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١٢٦ مِنْ الرَّمَلِ] :

آيَةُ الْأَنْفَالِ وَالرَّغْدِ مَعَ النَّحْلِ لَمَّا غَيَّرُوهُمَا . . غَيَّرَتْ^(٥)

(١) الصَّمَاءُ : الْحَيَّةُ . الْغَبْرُ : الْأَرْضُ الَّتِي لَا يَهْتَدِي فِيهَا ، يَضْرِبُ مَثَلًا لِلدَّاهِيَةِ الْعَظِيمَةِ .

(٢) الْمَجَاعَةُ الْكُبْرَى فِي حَضْرَمَوْتَ : بَدَأَتْ مِنْ حُدُودِ (١٣٦٢هـ) إِلَى سَنَةِ (١٣٦٦هـ) إِبَانُ الْحَرْبِ
الْعَالَمِيَةِ الثَّانِيَةِ ، وَقَدْ مَاتَ أَثْنَاءُهَا أُمٌّ لَا تَحْصَى ، وَقَدْ كَانَتْ مِنْ أَسْبَابِ الْهَجْرَةِ إِلَى الْحِجَازِ وَنَوَاحِي
الْجَزِيرَةِ ، وَالْبَعْضُ إِلَى الْجَبْشَةِ وَأَرْتِيرِيَا ، وَمُؤَخَّرًا إِلَى السُّعُودِيَّةِ وَبِلْدَانِ الْخَلِيجِ .

(٣) الْأَشَافِي : الْإِبْر .

(٤) أَخَذًا مِنَ الْبَيْتَيْنِ الْمَشْهُورَيْنِ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ التَّقْلِيدِ الْأَعْمَى :

غَرَابُ تَعْلَمُ مَشْيَ الْقَطَا وَقَدْ كَانَ يَحْسُنُ مَشْيَ الْحَجَلِ
فَهَزُولُ مَا يَبِينُ هَذَا وَذَا فَلَا ذَا تَأْتِي وَلَا ذَا حَصَلَ

(٥) آيَةُ الْأَنْفَالِ : هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

آيَةُ الرَّعْدِ : هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ » .

آيَةُ النَّحْلِ : هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِسَانَ الْجُرْعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .

وَمِنْ خَصَائِصِ سَيْتُونَ : مِلَاحَةُ نَسَائِهَا ، حَتَّى جَاءَ فِي أَمْثَالِهِمْ : (مِصْبَاةٌ فِي سَيْتُونَ . . خَيْرٌ مِنْ حُرْمَةٍ فِي مَدُودِهِ) . وَالْمِصْبَاةُ هِيَ : الْأَثَافِيُّ إِزَاءَ الْمَنْصَةِ الَّتِي تَطْبُخُ عَلَيْهَا الْمِلَاحُ الْقَهْوَةَ .

فَفِيهَا الْمِلَاحُ الْهَيْفُ يَلْعَبْنَ بِالنُّهَى وَيَقْتُلْنَ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْعِشْقَ قَلْبُهُ^(١)

وَهُنَّ كَمَا يَقُولُ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ أَبُو شَهَابٍ عَنْ نِسَاءِ عَدَنَ [فِي «دِيوانه» ٢٣٦ مِنْ الطُّوِيلِ] :
حَوَاضِرُ آدَابٍ وَلُطْفٍ وَرِقَّةٍ أَعَارِبُ إِنْ حَاوَزْنَ نُطْقًا وَتَبَيَّنَا
مَعَاطِيرُ لَا مِنْ مَسِّ جَامٍ لَطِيْمَةٍ وَأَذَكِي شَدًّا مِنْ مِنْكِ دَارِينَ أَرْدَانَا^(٢)
وَكَمْ لِأَخِي عَلَوِيِّ وَلَأَبِي رِيًّا مِنَ التَّغْزَلَاتِ السَّائِقَةِ بَغَوَانِي سَيْتُونَ الْفَائِقَةِ .

وَمِنْ خَصَائِصِهَا : لِينُ الطَّبَاعِ ، حَتَّى لَقَدْ رَوَوْا أَنَّ أَمِيرِينَ بَبُورَ اخْتَلَفَا وَطَالَ بَيْنَهُمَا التَّرَاغُ ، فَأَشَارَ بَعْضُ أَهْلِ الْفِرَاسَةِ بِطِينٍ مِنْ سَيْتُونَ فَرَشُوهُ تَحْتَ قَطِيفَةٍ أَحَدِهِمَا ، فَلَانَ وَبَخَعَ لِلْآخِرِ بِمَا يَرِيدُ ، وَسَوَّيْتَ الْمَسْأَلَةَ فِي دِمَائِهِمْ .

أَمَّا أَحْوَالُ سَيْتُونَ السِّيَاسِيَّةُ :

- فَقَدْ مَرَّ فِي هَذِهِ الْمَسْوُودَةِ أَنَّهَا كَانَتْ سَنَةَ (٦٠١ هـ) لَطَبِيَّانَ وَبَنِي سَعْدٍ ، وَالْمَقْصُودُ نُخَيْلُهَا ، أَمَّا دِيَارُهَا . . فَإِنَّهَا خَرَابٌ لَذَلِكَ الْعَهْدِ .

- وَفِي سَنَةِ (٨٤٢ هـ) أَخَذَهَا السُّلْطَانُ الْكَثِيرِيُّ كَمَا عِنْدَ شَنْبَلٍ [ص ١٧٦] .

- وَفِي سَنَةِ (٨٥٤ هـ) كَانَتْ سَيْتُونَ وَالْغُرْفَةُ وَجِفْلُ مَلِكِ الْكَثِيرِيِّ ، وَلَكِنْ آلَ يَمَانِيٍّ وَآلَ ثَعْلَبٍ يَغْزُونَهُمْ وَيُحَارِبُونَهُمْ ، ثُمَّ تَقَلَّبَتْ بِهَا الْأَحْوَالُ الَّتِي تَقَلَّبَتْ بِسَائِرِ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ ، حَسَبَمَا يَفْهَمُ مِمَّا مَرَّ فِي شِبَامِ .

وَهَذَا نَلْخِصُ شَيْئًا مِنْ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْأَخِيرَةِ عَنِ « الْأَصْلِ » : فِي سَنَةِ (١٢٦٤ هـ) أَخَذَهَا نَوَّابُ السُّلْطَانِ غَالِبِ بْنِ مُحْسَنِ الْكَثِيرِيِّ مِنْ أَيْدِي آلِ الطُّبِّيِّ الْيَافَعِيِّينَ^(٣) ، يَرْجِعُ

(١) الْبَيْتُ مِنَ الطُّوِيلِ .

(٢) اللَّطِيْمَةُ : وَعَاءُ الْعَطَرِ .

(٣) يَنْظُرُ « الْعُدَّةُ الْمَفِيدَةُ » (٤٠٠ / ١) وَمَا بَعْدَهَا .

نَسَبُهُمْ إِلَى يَافِعِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ ذِي رُعَيْنٍ ، وَكَانَ لَجَلَائِهِمْ مِنْهَا رَنَاتٌ حُزْنٌ مُؤَثَّرَةٌ ، كَمَا قَالَ أَبُو عِبَادَةَ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٢/ ٣٦٣ مِنْ الْكَامِلِ] :

كَانُوا جَمِيعاً ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ بَيْنَ كَتَفِيضِ الْجَهَامِ الْمُقْلِعِ^(١)
وَوَرَاءَهُمْ صَعْدَاءُ أَنْفَاسٍ إِذَا ذَكَرُوا الْفِرَاقَ . . أَقْمَنَ عُوجَ الْأَضْلَعِ

لَأَنَّ لِفِرَاقِ الْأَوْطَانِ مُطْلَقاً عِبْرَاتٌ تَنْقُضُ^(٢) لَهَا الْأَضْلُوعُ ، فَكَيْفَ بَسِثُونَ الَّذِي مَرَّ بِكَ مِنْ وَصْفِهَا مَا يُشْعِرُ بِتَزِيدِهَا فِي هَذَا الشَّأْنِ ؟ وَلِذَا لَمْ تَزَلْ يَافِعُ تَتَحَرَّقُ حَتَّى ظَفَرْتَ بِالْمُسَاعَدَةِ مِنَ الْأَمِيرِ عُمَرَ بْنِ عَوْضٍ الْقَعِيطِيِّ ، فَاسْتَرَدَّهَا فِي سَنَةِ (١٢٦٥ هـ) ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُقِيمُوا بِهَا إِلَّا سَبْعِينَ يَوْماً ، وَالْفَتْنَةُ ذَاكَ أَوَّارُهَا ، مَتْرَامٍ شَرَارُهَا .

وَفِي يَوْمِ الْخَمِيسِ غَرَّةَ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ (١٢٧٢ هـ) . . وَصَلَ السُّلْطَانُ غَالِبُ بْنُ مُحَسِّنٍ^(٣) مِنَ الْهِنْدِ إِلَى رِيْدَةِ ابْنِ حَمْدَاتٍ - السَّابِقِ ذِكْرُهَا فِي الْمَرَاسِي - وَنَزَلَ عِنْدَ أَصْحَابِهِ آلِ عَبْدِ الْوُدِّ ، ثُمَّ إِلَى تَارِبِهِ ، ثُمَّ إِلَى تَرِيمٍ ، ثُمَّ إِلَى سَيْثُونَ .

وَفِي ثَانِي يَوْمٍ وَصُولِهِ إِلَى سَيْثُونَ خَفَّ إِلَى ذِي أَصْبَحٍ لَزِيَارَةِ وَحِيدٍ حَضَرَ مَوْتَ ،

(١) تَقْوِيضُ : تَفْرِيقُ . الْجَهَامُ : السَّحَابُ .

(٢) تَنْقُضُ : تَنْقُطِعُ .

(٣) هُوَ غَالِبُ بْنُ مُحَسِّنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، الْمُنْتَهَى نَسَبُهُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرِ بَوَطُورِقِ الْكَثِيرِيِّ ، وَلَدَ سَنَةِ (١٢٢٤ هـ) أَوْ (١٢٢٣ هـ) فِي قَرْيَةِ غَنِيْمَةِ بَوَادِي تَارِبَةِ ، وَسَافَرَ سَنَةَ (١٢٤٦ هـ) إِلَى الْهِنْدِ ، وَالتَّحَقَّقَ بِالْجَيْشِ النَّظَامِيِّ ، وَتَرَقَّى إِلَى رَتْبَةِ جَمْعِدَارٍ بِمَعُونَةِ الْجَمْعِدَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَوْلَقِيِّ .

وَكَانَتْ عَوْدَتُهُ لِإِقَامَةِ دَوْلَةِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ الْآخِرَةِ بِمَعُونَةِ بَنِي عُمُوْمَتِهِ : عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ ، وَعُيُودَ بْنِ سَالِمٍ آلِ كَثِيرٍ ، وَكَانَ ابْنُ أُخْتِهِ عُيُودُ بْنُ سَالِمٍ قَدْ وَرَدَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ (١٢٦١ هـ) وَبَدَأَ فِي التَّمْهِيدِ ، وَأَخَذَ يَجُوبُ حَضْرَمَوْتَ شَرْقاً وَغَرْباً يَأْخُذُ الْعُهُودَ وَالْمَوَائِقَ مِنَ الْقَبَائِلِ ، وَكَانَ السُّلْطَانُ غَالِبٌ يَمِدُّهُ مِنَ الْهِنْدِ بِالْأَمْوَالِ اللَّازِمَةِ ، وَلَمْ يَأْتِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ إِلَّا وَقَدْ مَلَأَ اسْمُهُ وَصِيَّتُهُ الْأَسْمَاعَ . يَنْظُرُ : « الصَّفَحَاتِ » لِابَوَزِيرٍ (١٩٠ - ٢٠٠) .

أَمَّا دَوْلَةُ آلِ كَثِيرٍ الْأُولَى . . فَقَدْ انْتَهَتْ فِي عَامِ (١٢٢٣ هـ) بَعْدَ هَزِيمَةِ يَافِعٍ لِلْأَمِيرِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَبِوَفَاتِهِ انْحَصَرَتْ سُلْطَةُ أَبْنَائِهِ عَلَى شِبَامٍ فَقَطْ ، وَقَامَتْ بِهَا دَوْلَةُ آلِ عَيْسَى بْنِ بَدْرِ سَنَةَ (١٢٣٩ هـ) ، وَانْتَهَتْ بِمَقْتَلِ السُّلْطَانِ مَنْصُورِ بْنِ عَمْرِ فِي شِبَامٍ سَنَةَ (١٢٧٤ هـ) عَلَى يَدِ السُّلْطَانِ عَوْضِ بْنِ عَمْرِ الْقَعِيطِيِّ .

الإمام : حسن بن صالح البحر وطلب دعاءه ، وكان السلطان غالباً صالحاً عادلاً ، أبيض السريرة ، غير أن وزيره عبود بن سالم - وهو ابن أخته - لم يكن هناك ، وقد استولى على خواطره ، فكانت تتجه إليه ملاوم أهل الحق من هذه الناحية من حين إلى آخر ، ولم يزل على السلطنة إلى أن توفي فجأة في (٢١) رجب ، سنة (١٢٨٧ هـ) ، ودُفن من اليوم الثاني في جمع عظيم أم الناس فيه سيدي الجد محسن بن علوي ، وخطب خطبة وجلت لها القلوب ، وذرفت العيون .

وقد طمع في الإمارة بعده كل من : أخيه عبد الله بن محسن ، وابن أخته عبود بن سالم ، وابن عمه عبد الله بن صالح . وكان أشدهم طمعاً عبود ؛ لأن خاله تهاً قبيل وفاته للتنازل عنها له تأمناً من التبعات ، غير أن الجد محسناً بحكمته وشهامته وصرامته وضع عمامته على رأس ولده منصور ، فكمت الأفاؤه وكان إذ ذاك أوان البلوغ ، وكان ذلك الصنيع فلتة ، إلا أن الله وقى شرها .

وكان السلطان محسن بن غالب صغيراً يوم مات أبوه ، ولما شب . . ساهم أخاه^(١) ، فتناصفا الملك عن طيبة خاطر .

وفي سنة (١٣٣٤ هـ) وصلني كتاب من قائد الجيوش العثمانية بلخج ، وهو علي سعيد باشا ، يطلب اعتراف سلاطين خضر موت بأنهم تبع الدولة العلية ، فما زلت بالسلطانين حتى وقعا على الوثيقة المكتوبة في ذلك المعنى بمضائهما ومهرهما ، إلا أن مهر^(٢) السلطان محسن كان مع الاستعجال منكوساً ، فتشاءمنا من ذلك .

ووقع عليها السلطان علي بن منصور بصفته ولي عهد أبيه ، والقاضي^(٣) لذلك العهد .

وأرسلتها إليه فلم يكتف بها حتى طلب إمضاء المناصب والرؤساء ، فما زلت بهم حتى أمضى أكثرهم على مثلها ، وسيرتها إليه . وغضبت لها حكومة عدن ، وتوعدني

(١) ساهم أخاه : أعطاه سهمه وحصته ، وكان لمحسن وأولاده تريم ونواحيها .

(٢) المهر - بضم الميم - الختم .

(٣) أي وقع معهم القاضي ، وحكمته : ليُعلم أن السلاطين يحكمون الشريعة .

السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ الْمُحَضَّرُ ظَاهِرًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُغْرِنِي فِي السَّرِّ عَلَى تَوْثِيقِ
الْعَلَائِقِ بَيْنِي وَبَيْنَ عَلِيِّ سَعِيدِ بَاشَا ، وَمَوَاصِلَةِ الْكُتُبِ إِلَيْهِ ، وَقَدْ تُبَوِّدَلْتُ بَيْنَنَا كَثِيرٌ مِنْ
الْكَتُبِ وَالْقَصَائِدِ تَوْجِدُ بِمَحَلِّهَا مِنْ « الْأَصْلِ » وَ « الدِّيَوَانِ » .

وَبِإِثْرِ ذَلِكَ كَانَتْ حُرُوبٌ صُورِيَّةٌ بَيْنَ الْقَعِيطِيِّ وَالْكَثِيرِ ، وَهِيَ الْمَسْمَاةُ : حَرْبُ
قَسَبَلٍ ، وَكَانَ الضَّلْعُ الْأَقْوَى فِيهَا الشَّيْخُ طَالِبُ بْنُ جَعْفَرٍ مِنْ آلِ كَثِيرٍ .

وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَتَفَرَّسُونَ أَنَّ السَّيِّدَ حُسَيْنَ بْنَ حَامِدٍ كَانَ يَتَعَلَّلُ بِتِلْكَ الْمَنَاوِشَاتِ مَعَ آلِ
كَثِيرٍ عَمَّا تُطَالِبُهُ بِهِ حُكُومَةُ عَدَنَ مِنَ الْأَشْتِرَاكِ فِي مِبَاشَرَةِ الْحَرْبِ مَعَ عَلِيِّ سَعِيدِ بَاشَا .

وَلَمَّا شَعَرَ بِانْتِهَاءِ الْحَرْبِ الْعَظُمَى . . أَشَارَ عَلَى حُكُومَةِ عَدَنَ بِإِيقَافِ حَرْبِ
حَضْرَمَوْتٍ ، وَطَلَبَ الْمُتَحَارِبِينَ إِلَى عَدَنَ ، فَفَعَلَتْ ، وَسَارَ هُوَ بِالنِّيَابَةِ عَنِ السُّلْطَانِ
غَالِبِ بْنِ عَوْضٍ ، وَجَاءَ الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَالِبٍ ، وَالشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ جَعْفَرٍ ،
وَالشَّيْخُ نَاصِرُ بْنُ عَمْرِ بْنِ يَمَانِيٍّ بِصِفَةِ الْنِّيَابَةِ عَنِ آلِ كَثِيرٍ ، وَهَنَّاكَ تَوَاضَعُوا عَلَى
الْمُعَاهَدَةِ ذَاتِ الْإِحْدَى عَشْرَةَ مَادَّةً ، الْمَحْرُورَةِ فِي (٢٧) شَعْبَانَ سَنَةِ (١٣٣٦ هـ) ،
وَقَدْ حَدَّدُوا فِيهَا نَفُوذَ سُلَاطِينِ آلِ كَثِيرٍ فِي سِتِّ نَقِطٍ ، وَهِيَ : تَرِيمُ ، وَالْغُرْفُ ،
وَسَيْثُونُ ، وَمَرِيْمَةُ ، وَتَرِيْسُ ، وَغِيلُ ابْنِ يَمِينٍ .

قَالُوا : وَصَارَ الْإِعْتِرَافُ : أَنَّ الشَّنَافَرَ تَابِعُونَ لِسُلَاطِينِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَهُمْ : آلُ عَمْرِ
وَالْغَامِرِ^(١) ، وَالْفَخَائِدُ : آلُ كَثِيرٍ وَالْعَوَامِرُ ، وَالْجَابِرُ ، وَالْجَابِرِيُّ وَمَا شَمِلَتْهُ
حُدُودُهُمْ .

فَمِنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى تَوْسِيعِ مَنْطِقَتِهِمْ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَ الْقَعِيطِيِّ
كَفْيٌ بِقَرْعِ هَذِهِ الْحُجَّةِ بِمِثْلِهَا .

وَبِإِثْرِ ذَلِكَ وَصَلَ السَّيِّدُ حُسَيْنُ بْنُ حَامِدٍ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ ، وَأَسْتَقْبَلَ أَسْتَقْبَالًا مَهِيْبًا
عَظِيمًا ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْ وَصُولِهِ إِلَى سَيْثُونَ زَارَنِي بِمَكَانِي عَلَمَ بَدْرِ ، وَحَضَرَ

(١) هذه هي المعاهدة الثانية وهي معاهدة صلح ، أما الأولى . . فكانت : معاهدة الحماية ، والثالثة :
معاهدة الاستشارة وتقدمتا . ينظر : « الأدوار » (٤١٤) .

بحضوره زهاء ألف وخمسة مئة من العلويين ، والسلاطين ، ويافع ، وآل كثير ،
والعوامر ، وآل باجري ، وآل تميم ، وغيرهم ، وهناك أنشدت قصيدة مطولة ، أقول
فيها للسيد حسين [في « ديوان المؤلف » ق : ١٣٦-١٣٨ من البسيط] :

أَدْرَكَتْ بِالْجِدِّ وَالْتِّشْمِيرِ مَا عَجَزَتْ عَنْهُ الْمُلُوكُ بِجَلْبِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
مَلَكَتْ قَسْرًا قُلُوبَ النَّاسِ قَاطِبَةً بِخَفَةِ الرُّوحِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْحَيْلِ
لَا شَكَّ أَنَّكَ ذُو سِحْرِ وَشَغْوَذَةٍ أَوْ ذُو مَقَامٍ لَدَى الْبَرِّ اللَّطِيفِ عَلِي
وَالْيَوْمَ أَتَمَمْتَ عَقْدَ الصُّلْحِ مُخْتَسِبًا هَذَا الصَّنِيعَ فَقَرَّتْ أَعْيُنُ الدُّوَلِ
عَسَى تَكُونُ لَنَا عُقْبَاهُ صَالِحَةً فَمَا عَلِمْنَا بِتَفْصِيلِ وَلَا جَمَلِ
تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ عَنْهُ وَلَمْ أَعْرِفْ حَقِيقَتَهُ مَاذَا عَلَيَّ وَلِي
هَلْ فِيهِ لِلنَّاسِ وَالْإِسْلَامِ فَايِدَةٌ أَمْ لَا ؟ فَإِنَّ رُوَاةَ الْقَوْلِ فِي جَدَلِ
ومنها :

يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ جُيُوشَ الثُّرَاةِ دَوْلَتَنَا وَأَمْلَأْ قُلُوبَ الْعِدَى بِالْخَوْفِ وَالْوَجَلِ
وَأَحْمِ الشَّرِيعَةَ فِي شِبْهِ الْجَزِيرَةِ بِآلِ مَوْلَى الْإِمَامِ مِنَ آفَاتِ وَالْعَلَلِ

وقولي : (لَمْ أَعْرِفْ حَقِيقَتَهُ) هُوَ الْوَاقِعُ يَوْمَئِذٍ ؛ لِأَنَّ سُلَاطِينَ آلِ كَثِيرٍ وَمَنْ عَلَى
رَأْيِهِمْ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا غَضَبَ حُكُومَةِ عَدَنٍ مِنْ تِلْكَ الْوَثِيقَةِ ، وَعَلِمُوا أَنْهَزَامَ
الْأَتْرَاكِ . . تَجَافَوْا عَنِّي ، وَكَتَمُونِي أَخْبَارَهُمْ ؛ لِأَنِّي لَا أَرْضَى أَنْسَحَابَ حُكْمِ الْحِمَايَةِ
الْإِنْكِلِيزِيَّةِ عَلَى بِلَادِنَا ، لِأَنَّ الْحِمَايَةَ مِظَنَّةُ الْجَوْرِ الْفَاحِشِ ، وَلَا سِيَّمَا لَوْ سُلِّمَتِ الْأُمُورُ
إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا - كَمَا هُوَ الْأَغْلَبُ - فَهِيَ إِذَنْ شَرٌّ مِنَ الْأَسْتِعْمَارِ ؛ بِشَهَادَةِ الْفُرُوقِ الشَّاسِعَةِ
بَيْنَ إِدَارَةِ عَدَنَ وَإِدَارَاتِ حَضْرَمَوْتَ الَّتِي لَا أَثَرَ لشيءٍ فِيهَا مِنْ عَدَالَةِ الدِّينِ الْقَيِّمِ .

أَمَّا فِي بِلَادِهِمْ . . فَإِنَّ الْعَدْلَ فِيهَا - حَسَبَمَا بَلَغَنِي - أَشْبَهُ بِهِ عِنْدَنَا فِي خَيْرِ الْعُصُورِ ؛
لَأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَنَّا مَا أَعَانَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، وَبَالِغَتْ جَهْدِي فِي عِرْقَلَةِ ذَلِكَ ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ
سُوءِ مَغْبِتِهِ بِمَا نَشَرْتُ بَعْضَهُ فِي « الْأَصْل » . . فَكَانَ أَوَّلَ مَا زَيَّنَ لَهُمْ مُحِبُّوهُمَا الْإِبْتِعَادُ
عَنِّي ، وَمَا زَالُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ ، وَقَدْ خَارَ اللَّهُ لِي فِي ذَلِكَ ، وَمَا زَلَّ نَعْلِي ،

ولا خوى نجمي ، ولا تغير رأيي ، وأنا الذي أقول [من الطويل] :

وَقَدْ أَحْسَنَ الْحُسَّادُ بِي حَيْثُ كَايَدُوا مَكَانِي مِنَ السُّلْطَانِ حَتَّى تَغَيَّرَا
لَأَنْتِي لَوْ قَارَبْتُهُ فِي مَشُورَةٍ لَأَتَعَبْتُ نَفْسِي أَوْ لَكُنْتُ مُقْصِرَا
وَأَنْتِي يُحَايِي مَنْ بَنَاهُ إِلَهُهُ عَلَى الصَّدَقِ وَالتَّضَرُّعِ مِنْ يَوْمٍ أَنْغَرَا
صَفَا لَهُمْ جَوْ السِّيَاسَةِ فَأَنْتَهُوَا إِلَى مَا أَشْتَهَوْا وَالْحَالُ يَكْفِيكَ مُخْبِرَا
فَقَدْ طَوَّقُوا أَغْنَاقَهُمْ بِمَلَاوِمٍ تَدْرُمُ إِلَيَّ أَنْ يَنْعَثَ الْخَالِقُ الْوَرَى
وَقَدْ أَنْشَبُوا أَوْطَانَهُمْ فِي مَعَاطِبٍ تُطِيلُ لِيذِي اللَّبِّ الْبُكَاءَ وَالتَّحْشُرَا
وَتُكْثِرُ لِلْوَالِي النَّدَامَةَ وَالْأَسَى لَوْ أَنْتَبَهْتَ أَفْكَارُهُ وَتَدَبَّرَا
وَقَدْ خَارَ لِي الرَّحْمَنُ فِي الْبُعْدِ عَنْهُمْ فَلَا ذَنْبَ لِي إِذْ لَا حَضَرْتُ وَلَا أَرَى

وفي جمادى الآخرة من سنة (١٣٣٧ هـ) توجه الأمير علي بن منصور بن غالب يحمل توكيلاً من والده بإمضاء تلك المعاهدة بدار الاعتماد في عدن ، وتوجه الأمير سالم بن عبود بن سالم يحمل توكيلاً من السلطان محسن بن غالب بإمضاءها ، ونزلا بالمكلا على ضيافة السلطان غالب بن عوض القعيطي ، وسارا بمعيته إلى عدن حيث وقعوا عليها هناك .

وكان السلطان المنصور بن غالب ، وأخوه السلطان المحسن بن غالب تقاسما الممالك بوثيقة محررة بينهم لتاريخ فاتحة رجب من سنة (١٣٣٦ هـ) ، فكانت سيئون ومريمه وتريس وأعمالها للمنصور ولأولاده من بعده ، وكانت تريم والغرف للمحسن بن غالب ولأولاده من بعده .

وفي (١٢) من جمادى الأولى سنة (١٣٤٣ هـ) توفي السلطان محسن بن غالب بسيئون ، وخلفه ولده السلطان عبد الله بن محسن ، وكان رحيب الصدر ، طويل الباع ، رخي ألبال ، رقيق الطبع ، مأمون الغضب ، جميل الأخلاق ، خبيراً بالأمور ، خليفاً بالملك ، إلا أنه لا ينجو من بيت ليلي الأخيلية - الذي تمثلنا به في

(الْحَزْمُ وَصُدَاعٌ)^(١) ، لمحسن بن عبد الله العولقي - ويشاركه في الأمر أخوه السلطان مُحَمَّدُ بْنُ مُحَسِّنٍ .

وفي اليوم الثَّامِنِ مِنَ الْحَجَّةِ سَنَةِ (١٣٤٧ هـ) توفِّي السلطان المنصورُ بْنُ غَالِبٍ الكثيريُّ بعرفة ، وخلفه ولده السلطانُ عليُّ بْنُ منصورٍ .

وفي ليلةِ الْخَمِيسِ (١٨) شَعْبَانَ سَنَةِ (١٣٥٧ هـ) توفِّيَ فجأةً بَسَيْثُونُ^(٢) ، ودُفِنَ بها مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي . وكان ذكياً نبيهاً ، مشاركاً في الأدب والعلم ؛ إذ كان يحضر مجالسي ويكثرُ المكوثُ عندي فتتقفُ بذلك لا بغيره . وخلفه أخوه السلطانُ جعفرُ بْنُ منصورٍ^(٣) وكان يحضرُ مع أبيه وأخيه عندي ، ويتولَّى طبخَ الشَّاي بيده ، وكان الغالبُ عليه الشُّكوتُ ، ولهذا أخفي حاله عَنَّا ؛ لأنَّ المرأةَ مخبوءٌ تحتَ لسانه ، وكثيراً ما أسألُ أباه عن حاله فيقولُ : لا أعرفُ عنه إلَّا ما تعرفُ ، ولكن كان منصرُّ بْنُ عبودٍ خصيصاً به ، فلما أحفيناها السُّؤالَ . أشارَ إلى أَنَّهُ حقودٌ ، وله من الشَّجاعةِ نصيبٌ لا يُنكرُ .

وفي محرَّمِ سَنَةِ (١٣٥٨ هـ) أبرمتَ بينه وبينَ الْحُكُومَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ معاهدةٌ رضي

(١) والبيت هو :

فَنِعْمَ فَتَى الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا وَتَوَقَّ الْفَتَى إِنْ كَانَ لَيْسَ بِفَاجِرٍ

(٢) علي بن منصور كان مولده بسيتون سنة (١٢٩٨ هـ) ، وهو الذي أقام السور المحيط بمدينة سيتون ، وفرغ منه سنة (١٣٥٢ هـ) ، وفي عهده دخلت البلاد تحت الاستشارة ، وكان من مناقبه أنه : يُعيد المسروقات إلى أربابها ليلاً ويؤدب السارق سراً حفاظاً على السمعة والكرامة ، وقمَّع شوكة العبيد عندما بدؤوا بالأعمال الفوضوية بأن أجلى رأسهم بخيت عبد الخير ، وهدم داره عام (١٣٤٤ هـ) .

(٣) السلطان جعفر بن منصور بن غالب . . خلف أخاه علياً في الحكم من سنة (١٣٥٧ هـ) ، إلى وفاته في سنة (١٣٦٨ هـ) ، وفي أيامه ترسَّمت الحدود بين دولته ودولة القعيطي ، وعاصر حركة ابن عبدات وقمَّعها بواسطة الإنكليز كما سبق في الغرفة .

ولما توفي . . خلفه ابنُ أخيه السلطان حسين بن علي بن منصور ، الذي تولى الحكم سنة (١٣٦٨ هـ) وهو في ريعان شبابه ، وظل في الحكم نحو (٢٠) عاماً ، إلى أن أزاحه الحكم الشيوعي على إثر استقلال المنطقة من الاستعمار البريطاني عام (١٣٨٧ هـ = ١٩٦٧ م) .

وهاجر السلطان حسين إلى السعودية ، وتوفي بجدة سنة (١٣٩٦ هـ = ١٩٧٦ م) ودفن في مكة المكرمة . وانتهى بتنحيته تاريخ الدولة الكثيرة في حضرموت ، والله الأمر من قبل ومن بعد .

فيها بأن يكون له منها مستشارٌ يقبل نصيحته في جميع الأمور ، ما عدا المسائل المتعلقة بالديانة والعادة الإسلامية^(١) . وكان تمتع الأمضاء على تلك المعاهدة زماناً طويلاً ، ولكن الضابط السياسي بمساعدة السيد أبي بكر بن شيخ الكاف أحفاه السؤال حتى رضي على شرط أن يكون الأمر سراً ، فامضى على وثيقة مكتوبة بالإنكليزية ، ولكنهم أعلنوها في جريدة محمية عدن ، ومنها نقلت نصها المنشور بـ «الأصل» .

وفي يوم الخميس (١١) جمادى الأولى من سنة (١٣٦٦ هـ) قرّرت الحكومة الكثيرة مكوساً جائرة - لا تتحملها الجبال فضلاً عن الرجال - على كل ما يرد إلى منطقتها ، فوقع الناس - ولا سيما الضعفاء - في شرٍّ ممّا كانوا أنكروه على ابن عبدات ، وضجّوا منه .

أما الأقوياء : فإنّ العمّال في أيديهم ، والتّهرّب أيسر شيء عليهم ، فالظلم - كما قال العلامة ابن تيمية - مكرّر .

وبدلاً من الاحتجاج عليه . . قام آل تريم يهيّجون الشعب الميت للاحتجاج على الحكومة القعيطية فيما تأخذه من الرّسوم على البضائع الواردة إلى المنطقة الكثيرة ، وما أظنّهم ينجحون في هذا الاحتجاج مع تفارط الأيام ومرور نحو المئة عام ، وما تلك إلاّ أعمال من رضي بهذه المكوس الباهظة ، وأراد خدعة الصّبي عن اللّبن بتلك الاحتجاجات الآيلة إلى الفشل لا محالة التي ليست من اختصاصات الرّعية ، وإنّما واجبهم أن يحتجّوا على ما نزل بهم ، ولكنّ الشعب ميّث ، يشكر على الإساءة ، ويؤني على الجناية ، ويتهاف في تولّي من يمكّن الأجانب من ناصيته ، ويوطئ لهم مناكبه لسلطة موهومة ، ورتاسة مزعومة ، وإلاّ . . فأني معني لهذه

(١) وهي معاهدة الاستشارة السابق ذكرها . وينودها اثنان فقط ، وهما :

البند الأول : تقبل حكومة جلالة الملك في المملكة المتحدة أن تعين مستشاراً مقيماً للسلطان ، والسلطان يرتضي أن يجهز بيتاً لانقاً للمستشار المقيم المذكور ، ولأجل سعادة مملكته ، يقبل نصيحته في جميع الأمور عدا المسائل المتعلقة بالديانة المحمدية والعادة .

أما البند الثاني : فمتعلّق بتعيين الخلفاء للسلطان . وكان توقيعها في عدن بنظر المستر رايلي والي عدن ، والمستر انجرامس .

الرُّسُومِ الْغَاشِمَةِ مَعَ تَصْرِيحِ الْمَعَاهِدَاتِ بِأَنَّ السَّاحِلَ وَسَائِرَ حَضْرَمَوْتَ إِقْلِيمٌ وَاحِدٌ ، بَلْ بَلَّغْنِي عَنْ جَرِيدَةِ الْحُكُومَةِ الرَّسْمِيَّةِ بَعْدَ إِطْلَاقِ لَفْظِ عَدَنَ عَلَى الْجَمِيعِ ، فَلَوْ رَأَيْتَ مَا يُصْنَعُ بِمَنْكُوبِي جَاوَةَ الَّذِينَ وَصَلُوا حَضْرَمَوْتَ مِنَ التَّفْتِيشِ وَالْإِرْهَاقِ . . . لَرَأَيْتَ مَا يَكْمُدُ الثُّفُوسَ ، وَيَذِيبُ الْقُلُوبَ إِنْ كَانَ فِيهَا إِسْلَامٌ وَإِيمَانٌ ، وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَبْرِي جِمَارَكَ السَّاحِلَ مِنَ الظُّلُمِ الْفَاحِشِ ، وَالْجَوْرِ الْفَادِحِ ، لَكِنَّ الْبَرَاءَةَ بِالْأَوَّلَى أَلْزَمُ ، وَالْأَخْذَ مِنَ الْأَطْرَافِ أَحْزَمُ .

ضواحي سيئون :

هِيَ مُحَاطَةٌ بِالنَّخِيلِ فِيمَا عَدَا جَنُوبَهَا ، وَفِي جَانِبِهَا الشَّمَالِيِّ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ مِيلٍ مِنْهَا قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا : الْفُجَيْرُ ، يَسْكُنُهَا أَعْقَابُ الْإِمَامِ السَّيِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^(١) ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ مَوْلَى الدَّوِيلَةِ^(٢) تَرْجَمَ لَهُ فِي « الْمَشْرِعِ » وَلَحْفِيدِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَالِمِ بْنِ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ .

وَمِنْهُمْ الْعَلَامَةُ سَالِمٌ ، وَفِي « الْمَوَاهِبِ وَالْمَنَنِ » : أَنَّ الْحَبِيبِينَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَوِيِّ خَيْلَهُ ، وَمُحَمَّدَ بْنَ حَسَنِ خَيْلَهُ مِمَّنْ أَنْتَفَعَ بِالْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ .

وَعَلَى الْجَمْلَةِ . . . فَقَدْ كَانَ فِيهِمُ الْعُلَمَاءُ وَالصُّلَحَاءُ ، وَأَطَالَ سَيِّدِي حَسَنُ بْنُ سَقَّافٍ فِي تَرْجُمَةِ السَّابِقِ الذِّكْرِ ؛ مِنْهُمْ : السَّيِّدُ الشَّرِيفُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَلْمُتَوَفَّى بِالْفُجَيْرِ سَنَةَ (١٢٦٧ هـ) وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ حَسَنِ ، كَانَ أَغْزَرَهُمْ جُوداً فِي أَهْلِهِ وَغَيْرِ أَهْلِهِ ، قَالَ عَنْهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيِّ عَلَى مَنْ عَابَهُ بِذَلِكَ : (مَا حَذَّ عَرَفَ الْقُدْرَةَ الدُّنْيَا إِلَّا حَسِينَ) ، فَهُوَ فِي فَرْطِ بَذْلِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى زِيَادَةٍ عَنْ قَوْلِ أَبِي عِبَادَةَ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٣٣٩/٢] مِنْ الطُّوِيلِ :

تَغَطَّرَسَ جُودَ لَمْ يُمْلِكْهُ وَقْفَةٌ فَيَخْتَارُ فِيهَا لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعَا

(١) مولى خيله .

(٢) آل مولى الدويلة هم ذرية السيد الإمام محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه ، توفي بتريم سنة (٧٦٥ هـ) . « المعجم » (٨٧) .

وقد ذكرنا في «الأصل» سيّدنا العارف علويّ بن سهل مولى خيله ، وولده فضلاً ، وفصلنا أخبار دولته بظفار ، وأشرنا إلى أنّ السيّد محمّد بن أحمد السّقف أودعه جارية ، ثمّ اتّهم بها ، ثمّ أخبرني الثّقات عن الفاضل الجليل الأخ عیدروس بن سالم البارّ أنّ ليس الأمر كذلك ، ولكن للأمير فضل كثير من المنافسين ؛ لشريف منزلته عند السلطان عبد الحميد ، فكانوا يتطلّبون له العيوب لما أحرّقهم من سؤدده ، ولما اتّهموه بذلك . . جاء أمير الإحسان السيّد محمّد بن أحمد السّقف لخصوص تبرّئته من الاتّهم ، وأعلن للسلطان وللخاص والعام أنّه لم يودعه الجارية . . بل وهبها له . . فشرق الحسدة بريقهم ، ورجموا بحجرهم ، والله الحمد على هذه الرواية الصّحيحة التي بلغ بي الشّروء إلى ما لا نهاية له ، ولم أذكر تلك الاتّهم بـ «الأصل» إلاّ أداء للأمانة ، وكشفاً للحقيقة ؛ لأنّ السيّد أمير ، يُحتاج بيان حاله ، فله الحمد على السّلامة ، وكان من كبار رجالات الصّوفيّة العارفين ، ولكن قد سئل الجنيد : أيزني العارف . . فقال : وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

ومنهم : جدّي لأمي ، المنور ألبال ، السيّد محمّد بن سقاف مولى خيله ، المتوفّي بها سنة (١٣١٦هـ) وحديث عن آل خيله بلا حرج ؛ فإنهم المذكورون في خباب الشّرف بلا عرج .

وأما الجود وكرم الضّيافة . . فبيت قصيدهم ، وخاصّيتهم التي بسطت ذراعيها بوصيدهم^(١) لا يجزر لهم مدّ ، ولا يقف سماحهم عند حدّ .

وتأخذهم في ساعة الجود هزة فتحبسهم فيها نشاوى من الغنى عظيم عليهم أن يبيتوا بلا يد إذا نزل الحيّ الغريب تقارعوا

كما خايل المطراب من نشوة الخمر^(٢) وهم في جلابيب الخصاصة والفقر وهين عليهم أن يبيتوا بلا وفر عليه فلم يذر المقل من المثري

(١) الوصيد : الفناء .

(٢) الأبيات من الطويل ، وهي للشريف الرضي في «ديوانه» (١/٥٠٥) .

لقد كانت بهم الفجيرة موضع العج والنج^(١) لا يشبهها إلا منى في أيام الحج ،
فالشفار من الذبائح تسيل ، والطهارة من المطابخ لا تميل .

يُغَشُونَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ^(٢)

لا تخبو مصابيحهم طول الليل ، ثم بين ديارهم رباط الخيل ، أخبرني محفوظ
هويدي بأنه رأى ليلة الشعبانية فيهم ثمانية عشر عنانا من جياذ الصافات كلهم بيض كرام ،
لا يسود بينهم إلا المطابخ والبرام^(٣) ، ولا يعابون إلا بمثل قول أبي هفان [من المنسرح] :

عَيْبُ بَنِي مُخَلِدٍ سَمَاحَتُهُمْ وَأَنَّهُمْ يُتْلَفُونَ مَا مَلَكَوا^(٤)

فلقد أطلق الجود ما بأيديهم ، حتى صوّح ناديتهم ، وأسرفوا في المكارم ، حتى
أنقلتهم المغارم .

كَانَتْ لَهُمْ هِمٌّ فَرَّقَنَ بَيْنَهُمْ إِذَا الْفَعَايِدُ عَنْ أُمَثَالِهَا قَعَدُوا^(٥)
فَعَلُ الْجَمِيلِ وَتَفَرِيجُ الْجَلِيلِ وَإِعْ طَاءَ الْجَزِيلِ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ

(١) العج : رفع الأصوات . النج : سيلان دماء الذبائح .

(٢) البيت من الكامل ، وهو لسيدنا حسّان بن ثابت رضي الله عنه في « ديوانه » (٣٦٢) . يُغَشُونَ :
يُزَارُونَ ولا تخلو منازلهم من الأضياف . والمعنى : هم قوم كرام ، دائم الدوم عندهم ضيوف ،
فألفت كلابهم منظر الضيفان وما عادت تنبح على أحد .

(٣) البرام : القدور ، جمع : (برمة) .

(٤) ما أجمل العيوب إذا كانت هكذا ، وهذا ما يسمّيه علماء البلاغة بـ (المدح بما يشبه الذم) ؛ كقول
الشاعر :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سِيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُوقٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
فَأَنْتَ عِنْدَمَا تَسْمَعُ (ولا عيب فيهم غير أن) تظنّ أنّه سيذكر بعد هذا صفة من الصفات المعيبة ،
ولكنك تفاجأ بقوله : (إن سيوفهم قد تكسرت وألتوت من كثرة قتالهم الأعداء) . وهذه صفة مدح ،
فتعلم أنّه لم يذكر صفة مشينة بل ذكر صفة مدح بأسلوب عربيّ جميل وهو : أسلوب المدح بما يشبه
الذم .

(٥) البيتان من البسيط .

فَاقْشَعَرَتْ قَرِيئَتُهُمْ ، وَتَفَرَّقَتْ فَرِيئَتُهُمْ ، وَقَدْ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفِ الْبَيْرْمَانِيِّ
[مِنْ الطَّوِيلِ] :

يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمُسِرُّونَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا
وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْذِيَارُ الْخَاوِيَةُ ، وَالْكَلَابُ الْعاوِيَةُ ، يَسْتَمِرِّي الْعَيُونَ بَوْمُهَا ، وَتُفْتَتُّ
الْأَكْبَادَ رَسُومُهَا .

أَوْ مَا رَأَيْتَ مَنَازِلَ ابْنَةِ مَالِكٍ رَسَمَتْ لَهُ - كَيْفَ الزَّفِيرُ - رُسُومُهَا^(١)
آثَاوُهَا وَطُلُوعُهَا وَنَجَادُهَا وَوَهَادُهَا وَحَدِيثُهَا وَقَدِيمُهَا^(٢)
تَغْدُو الرِّيَّاحُ سَوَافِيَا وَعَوَافِيَا فَتَضِيْمُ مَغْنَاهَا وَلَيْسَ تَضِيْمُهَا^(٣)
وَكَاثِمًا أَلْقَى عَصَاهُ بِهَا أَلِيلَى مِنْ شُقَّةٍ قُدْفٍ فَلَيْسَ يَرِيْمُهَا^(٤)
وفي المفاضلة بينها وبين ذي أصبح وأهليهما . لي ولأُمُّ أولادي كلامٌ طويلٌ ؛ إذ
أهلُ الفَجْرِ أحوالي ، وأهلُ ذي أصبح أهلُها ، وألحقُ أن ليسَ لسيِّدِ الوادي الحسنِ بنِ
صالحٍ ثمَّ لولده عبدِ اللهِ مثيل ، وكلُّ كَفَّةٍ بهما تَشِيل ، وفيهما يأتي موضع قولِ الأوَّلِ [مِنْ
الطَّوِيلِ] :

أَبُونَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ أَبٌ مِثْلُهُ أَغْنَاهُمْ بِالْمَنَاقِبِ
أَمَّا بَقِيَّةُ آلِ الْبَحْرِ . . فَالْ خِيْلُهُ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، إِلَّا مَنْ سَقَطَ مِنْ مُحَلِّهِمْ عَنْ عَنَاقِيدِ
الْعِزِّ ؛ إذ لا مدفعَ لهم عن قولِ الأوَّلِ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَلَيْسَ لَنَا عَيْبٌ سِوَى أَنْ جُودَنَا أَضَرَّ بِنَا ، وَالْبَأْسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَقَدْ هَلَكَ - أَوْ كَادَ - كُلٌّ مِنَ الْقَرِيَتَيْنِ ، نَسَأُ اللهُ أَنْ يُقَيِّضَ لِكُسْرِهِمَا جَبْرَهُ ، وَأَنْ
يُدِيلَ عِبْرَتَهُمَا حَبْرَهُ .

(١) الأبيات من الكامل ، وهي لأبي تمام في « ديوانه » (١٤٣/٢) .

(٢) آثَاوُهَا : أطرافها . نَجَادُهَا : مرتفعاتها . وَهَادُهَا : منخفضاتها .

(٣) سَوَافِيَا : تسفي التراب ، وتذريه . عَوَافِيَا : ماحية .

(٤) الشُّقَّةُ : الوجهة . قُدْفٌ : بعيدة . يَرِيْمُهَا : يفارقها .

وفي غربيّ الفجبر ، قرية للحوارث ، يقال لها : ملفوق ، شملها الأندثار ، ولم يَبْقَ منها إلا آثار .

وفي شرقيها قرية كان يسكنها السادة آل بامزروع من آل الحبشي ، منهم أم جدّي المحسن ، لم يَبْقَ منها إلا مسجد صغير ، كثير الأنوار ، مشهور بالأسرار ، يقال له : مسجد باسكن .

القرن : هو مخترف السادة آل طه بن عمر ، في شرقيّ سيئون على نصف ميل منها ، وكان قرية صغيرة يسكنها الفلاحون ، ثم بنى به جدنا محمد بن عمر بن طه بن عمر بن طه بن عمر مسجد الذي بحضيض الجبل الجنوبي ، ثم تابعت البناءات بعد ذلك في البساتين ، ولهذا لا تصح ولا تنعقد الجمعة فيها على ما في « مجموع الجد طه بن عمر » عن الشيخ عبد الله بن أحمد بامخرمة ؛ لأنها لم تخط بلدًا من البدء .

كان منفصلاً عن سيئون في القديم ، ثم اتصلت العمائر . وكانت لهم فيه الديار العامرة ، والأفراح الغامرة ، وكانت أيامهم لديهم أعياداً زاهرة ، وقد سبق ذكر ما أمتازت به سيئون من الأنس والصفاء ، ولكنه لا يُعد شيئاً بالنسبة لأيام القرن ولياليها ، فلو شهذتها والبُرْد^(١) ماطرة بالأوراق ، وجاوة دارة بالأرزاق ، وسمعت طبول أغواني بشجيات المغاني ، ورأيت الشبان متوزعين على بطحائه ليالي القمر الأضحيان على الشاهي اللذيذ ، والشواء الغريض^(٢) ، بالأحاديث الجنية ، والأشعار الشهية ، كل فرقة على قدر ما عندها . لما خرج عن لسانك قول الصمة بن عبيد الله القشيري [من الوافر] :

شُهُورٌ يَنْقُضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهُنَّ وَلَا سَرَارِ^(٣)
فَأَمَّا لَيْلُهُنَّ فَخَيْرٌ لَيْلٍ وَأَقْصَرُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّهَارِ

(١) البُرْد : جمع بريد ، وهو ما يأتي من رسائل .

(٢) الغريض : الطري من اللحم .

(٣) السرار : آخر ليلة من الشهر .

أو قولُ البحتريّ [في «ديوانه» ١٠٠/١ من الطويل] :

فَلَا تَذْكُرَا عَهْدَ التَّصَابِي فَإِنَّهُ تَقْضَى - وَلَمْ نَشْعُرْ بِهِ - ذَلِكَ الْعَصْرُ

وَمِنْ خَيْرٍ مَا فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ قَوْلُ مَتَّمٍ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُولِ اجْتِمَاعِ لَمْ نَبْتَ لَيْلَةً مَعَا
وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جُذَيْمَةَ بُرْهَةً مِنْ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ لَنْ نَتَّصِدَّعَا

ولقد شهد بعض ذلك السائح الباسقي ، فقال : (إِنِّي لَأَرْتِي لِمَنْ يَفَارُقُ هَذِهِ
الدِّيَارَ ، وَاتَّصُرُ أَنَّ حَنِينَهُ يَطُولُ وَبِكَاءُهُ يَدُومُ) .

لَكِنَّ الزَّمَانَ جَفُولٌ ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غُفُولٍ . . إِذْ تَضَيَّعَتِ الشَّمْسُ
لِلْأَفُولِ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقَلِيلُ ، الَّذِي لَا يَرُوي الْغَلِيلُ .

يَا مَنْزِلًا أَعْنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ عَلَى رَسْمٍ مُجِيلٍ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِسٍ
هَرِمْتَ بَعْدِي وَالرَّبْعُ الَّذِي أَفَلَتْ مِنْهُ بُدُورُكَ مَغْدُورٌ عَلَى الْهَرَمِ^(١)

ولقد وصفته في يوم غام ضحاه ، وأزجف رعداه برحاه ، وتخيَّلتُ عهدَ الأشياخ ،
فقلتُ مِنْ مَطْوَلَةٍ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

فِي رِيَاضٍ مِنَ النِّخِيلِ تَلَاقَى أَلْ حَمَاءُ فِيهَا مِنَ السَّمَاءِ وَالسَّوَانِي
طِبْنٌ مَرَأَى وَمَسْمَعَا وَمَذَاقَا وَخَيْالًا بِذِكْرِيَّاتِ حِسَانٍ
مَلْعَبُ اللَّهِوِ مَسْقُطُ الرَّأْسِ مَاوَى أَلْ غَيْدِ مِنْ هَاشِمِ سَبَاطِ الْبَنَانِ
سَادَةٌ يَمْلَأُ الزَّمَانَ سَنَاهُمْ بَهْجَةً مِنْ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ

وأسعد ما شهدت من زمانه العام الذي أخترف بقربه سيدي وشيخي الأستاذ الأبرُّ
مسند الدنيا : عيدروس بن عمر ، وهو عام (١٣٠٧هـ) ، فلقد عظمَت تلك السنة
المنة ، حتَّى كأنما استرقت الأيَّام من الجنة ، وكانوا أوَّل الخريف في جذب ، فلمَّا

(١) البيتان من البسيط ، وهما لأبي تمام في «ديوانه» (٩٣/٢) . أعنت : سارت بسرعة . الرسم : ما
لصق بالأرض من آثار الديار . محيل : دارس .

أوى العلامة السَّيِّدُ عليُّ بنُ محمَّدٍ الحبشيِّ إلى فراشه . . ذكرَ ما النَّاسُ فيه ، فخفَّ
لبلباسِ النَّومِ إلى الأستاذِ يستشيرُهُ في الاستسقاء ، فأهتَمَّ الأستاذُ وياتِ يُلحُّ على ربِّهِ في
الدُّعاء ، فما كادَ يبرُقُ الفجرُ . . إلّا وقد جاءتِ الشُّيولُ ، وأمتلأتِ الحقولُ ، ثمَّ
تتابعت حتّى لم يكنِ أنجلاؤها إلّا بعدَ التَّضرُّعِ والابتهاالِ ، فجاءَ موضعَ قولِ
البوصيريِّ :

جَبَّ لَغَيْثٍ إِفْلَاحُهُ اسْتِسْقَاءُ فَأَغْ

فكيفَ لا تفيضُ العبراتُ ، وتتصاعدُ الزَّفراتُ ، لتلكَ الوجوه النَّاضرة ، والأَيَّامُ
الزَّاهرة ، والليالي العاطرة .

أَعَزَّايَ مَا أَبَقُوا لِعَيْنِي قُرَّةً وَلَا زَوَدُوا إِلَّا الْخَيْنَ الْمُرْجَعَا^(١)
وَكَانُوا عَلَى الْأَيَّامِ مَلْهَى وَمَطَرِيَا فَقَدْ أَصْبَحُوا لِلْقَلْبِ مَبْكَى وَمَجْزَعَا

فما أطولَ الرُّثَا ، ولا سيمًا إذ لم يبقَ إلّا الغُثَا ، فجاءَ موضعَ قولِ الشَّريفِ الرُّضِيِّ

[في « ديوانه » ٢٠ / ٢٦٢ من السَّريع] :

كَانُوا صَفَاءَ الْكَاسِ ثُمَّ أَنْجَلَوْا مِنْ الْبَوَاقِي عَنْ قَذَى ثَافِلِ

ومن أواخرِ رثائي لأولئك قولِي [من الطَّويل] :

فَكَمْ فِي الْحَشَا مِنْ مَوْجَعَاتِ لِسَادَةِ مَنَاطِ الرِّجَا كَانُوا فَعَطَّاهُمْ الرَّمْلُ
جِبَالُ مُنِيفَاتٍ مِنَ الْمَجْدِ أَصْبَحَتْ كَأَن لَمْ تَكُنْ لَوْلَا الْأَحَادِيثُ - مِنْ قَبْلُ
أَمَرَّا لَنَا الْعَيْنِشَ الرَّغِيدَ فِرَاقُهُمْ وَأَثَقَلْنَا مِنْ بَعْدِ مَا أَوْحَشُوا الْحَمْلُ
وَلَوْلَا اعْتِصَامُ بِالَّذِي لَمْ يَكُنْ لَنَا نَعِيشُ فَوَاقًا بَعْدَمَا انْقَطَعَ الْوَصْلُ
فَفِي كُلِّ حِينٍ يَأْخُذُ الْبَيْنُ غُرَّةً تَذُوبٌ لَهَا أَكْبَادُنَا ثُمَّ لَا نَسْلُو
فَأَيْنَ الْمَصَابِيحُ الَّتِي كَانَ لِلْهُدَى بِهَا فِي الْبِلَادِ الشَّانُ وَالشَّرَفُ الْجَزْلُ
وَأَيْنَ الْمَرَاجِيحُ الْمَسَامِيحُ وَالْأَلَى بَغْرَاتِهِمْ يُسْتَدْفَعُ الشَّرُّ وَالْأَزْلُ

(١) البيتان من الطَّويل ، وهما للشَّريف الرُّضِيِّ في « ديوانه » (١ / ٦٣٩) .

وَأِنْ قَصُرَتْ ذُرْعَانُ قَوْمٍ بِحَادِثٍ تَلَقَّاهُ مِنْ آرَائِهِمْ كَاهِلٌ عَبْلُ
تَلَذُّ لَنَا أَخْبَارُهُمْ وَتُذِيَّتُنَا فَوَاعَجَبًا مِنْهَا تَمُرُّ كَمَا تَخْلُو
يُذَكِّرُنِيهِمْ كُلُّ مَمْسَى وَمَضْبَحٍ فَمَا زَالَ فِي خَدِّي لِتَذْكَارِهِمْ طَلُّ

ومن أواخر ما رأيت من بهجة القرن ونضارته : أَنِّي أَصْعَدُ ذُرْوَةَ دَارِي بَعْدَ الْمَغْرِبِ
سَنَةَ (١٣٥٥ هـ) ، وَهِيَ سَطْحٌ صَغِيرٌ قَاصِرُ الْجِدَارِ ، يُسَافِرُ الطَّرْفُ مِنْ ثَلَاثِ نَوَاحِيهِ ،
إِحَاطَةً ثَلَاثِي الدَّائِرَةِ ، كَانَتْهَا الْكَوَاكِبُ الْمُنْتَشِرَةُ ، وَالشُّبَّانُ أَوْزَاعُ ، وَالْفَرْحُ مَخِيْمٌ عَلَى
سَائِرِ الْبِقَاعِ ، فَاسْتَغْرَقُ فِي ذَلِكَ الْجَمَالِ الْبَاهِرِ ، وَاللَّذَّةِ الَّتِي تَحْمِي النَّوْمَ عَنِ السَّامِرِ
وَالسَّاهِرِ ، ثُمَّ عَدْتُ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١٣٦٣ هـ) فَكُنْتُ كَمَا قَالَ الرَّضِي [فِي
« دِيَوَانِهِ » ١ / ٦٥٤ مِنْ الطَّوِيلِ] :

نَظَرْتُ الْكَثِيبَ الْأَيْمَنَ الْيَوْمَ نَظْرَةً فَرَدَّتْ إِلَيَّ الطَّرْفَ يَذْمَى وَيَذْمَعُ
إِذْ قَدْ أَدْبَرَ الْعَيْشُ ، وَكَرَّ مِنَ الْإِدْبَارِ جَيْشُ ، وَأَدِيلُ الثُّورِ بِالظَّلَامِ ، فَلَا سَمَرَ
وَلَا غَنَاءَ وَلَا سَرَاجَ وَلَا كَلَامَ ، وَكَأَنَّمَا كُلُّ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْلَامِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا بِيَعْضِ
مَا أَكْتَسَبُوا ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ وَالسَّلَامُ .

وَلَى الزَّمَانُ وَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الْمَنَازِلِ وَالنَّزِيلِ سَلَامٌ^(١)
ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ أَنْ خَبَتِ الْمَصَابِيحُ ، وَأَوْحَشَتِ الشُّطُوحُ وَالْمَرَاوِيحُ . . هَجَرْتُ الذَّرَى
لَيْلًا ، وَجَعَلْتُ أَتَسَنَّمُهَا غَدِيَّاتِ الْخَرِيفِ ، وَأَسْرَحُ النَّظَرَ مِنَ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ تَالِيًا
مَا تَعَوَّدْتُهُ مِنَ الْأَوْرَادِ فِي الظَّلِّ الظَّلِيلِ ، وَالْجَوِّ الْبَلِيلِ ، وَالرَّيْحِ الْعَلِيلِ ، وَالْفَضَاءِ
الرَّحْبِ ، وَالْهَوَاءِ الطَّلَقِ الشَّبِيهِ بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ ، لَا يَمْتَازُ بِهِ أَحَدٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ كَجَمَالِ
الْأَفْلَاقِ وَأَنْوَارِهَا ، مَا يَكُونُ مِنْهُ عِنْدَ هُلُولِهِ . . يَكُونُ عِنْدَ الْآخِرِينَ ، وَلِهَذَا يَنْتَفِي
الْحَاسِدُ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ النَّاسَ مَشَاعٍ فِيهِ ، فَأَرَى النَّخِيلَ الْبَاسِقَةَ ، وَالْقُصُورَ الْبَيْضَاءَ
الشَّاهِقَةَ ، فَاسْتَغْرَقُ فِي النِّعْمَةِ ، وَأَنْبَسْتُ مِنَ الْبَهْجَةِ ؛ إِذْ يَظْهَرُ حِينَئِذٍ مَا يَدْهَشُ الْعَقْلَ

(١) البيت من الكامل ، وهو للإمام عبد الله بن علوي الحداد في « دِيَوَانِهِ » (٤٧٤) .

ويخلبُ اللَّبَّ ، وينيرُ الفكرَ وينعشُ الرُّوحَ ، ويعثُ الذِّكرياتِ الجميلة ، ويوحى
بالمعاني النَّبيلة ، فأكادُ أخرجُ عن جِلدي ، وأغيبُ عن نفسي ، وأُلامِسُ الْعَالَمَ
الْقُدسي ، وأتأكَّدُ أن ليسَ بينَ الأدعيةِ وبينَ سماءِ القبولِ حجاب ، وأنَّ قد أنفتحَ منَ
الخيرِ بشهادةِ القشعريرةِ وهيمنةِ الروحنةِ كلُّ باب ، لا أَفْضَلَ ولا أَجْمَلَ ولا أروعَ
ولا أبدعَ عندي من ذلك . . إلاَّ مجالسةً بالروضةِ الشَّريفةِ تجاهَ القبرِ الأعظم ، وقعودي
على بطحاءٍ أمَّ المناسكِ عشيَّاتِ الْأَشْتِيَةِ إزاءَ ألبيتِ المعمور ، ثمَّ أنثني على كبدِي
خشيةً أن تقطَعَ ، وألوثُ بُردي على صدري حذارَ أن يتفلَّق .

فَلَوْ فَلَقَ الْفُؤَادَ شَدِيدُ وَجْدٍ لَهُمَّ سَوَادُ قَلْبِي بِأَنْفِلَاقِي^(١)

وَمَا أَشَدَّ رِقَّتِي لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتَشَتُّونَ فِي الْبُلْدَانِ ، ويفارقونَ هذهِ الأوطان .

وَارْحَمْنَا لِلْغَرِيبِ فِي الْبَلَدِ النَّا زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا^(٢)
فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا أَنْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَمَا أَنْتَفَعَا

ولو أَنَّهُمْ جَمَعُوا قَنَاطِيرَ الرَّقِيقِ^(٣) . . لما أَسْتَعَاضُوا إِلَّا بِتَدَارُكِ اللَّيَالِي اللَّوَاتِي
بَقَيْنَ ، وماذا يفيدونَ وقد رَضُوا بِالْأَدُونِ ، وأبناؤُهُم يتامى ، وأزواجُهُم أَيْامى .

كَمْ غَادَةً فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ بَاكِيةٍ عَلَى أَلَيْفٍ لَهَا يَهْوِي بِهِ الْطَّلَبُ^(٤)

فَالْقُلُوبُ تَنْدَابُ ، وَالْبَيْنُ أَكْبَرُ عَذَابُ ، يبعثُ الشُّجونَ ، ويكثرُ الدُّجونَ ، ويشبهُ
الشُّجونَ ، وما لي أرى الْأَحْبَابَ وَالْأَوْلَادَ يَذْهَبُونَ ثُمَّ لَا يَجِئُونَ ، وقد قالَ الْقَطْبُ
الْحَدَّادُ [في «ديوانه» ٩١ من البسيط] :

مُشْتَتُونَ بِأَطْرَافِ الْبِلَادِ عَلَى رَغَمِ الْأَنْوَفِ كَمَا تَهْوَاهُ حُسَادُ

(١) البيت من الوافر ، وهو لأمية بن الأسكر كما في «خزانة الأدب» (٢٠/٦) .

(٢) البيتان من المنسرح ، وهما لعلي بن الجهم .

(٣) الرِّقِيقُ : الدراهم .

(٤) البيت من البسيط ، وهو لحافظ إبراهيم في «ديوانه» (٢٦٩/١) .

وقال قيس [ابن ذريح في «ديوانه» ٣٣ من الطويل] :

رَأَيْتُ مُصِيبَاتِ الزَّمَانِ بِأَسْرِهِا سِوَى فُرْقَةِ الْأَخْبَابِ هَيِّنَةَ الْخَطْبِ

وقال حبيب [في «ديوانه» ٣١/٢ من الكامل] :

لَوْ جَاءَ مُرْتَادُ الْمَنِيَّةِ لَمْ يَجِدْ إِلَّا الْفِرَاقَ عَلَى النَّفْسِ دَلِيلَا

وقال أبو الطيّب [في «العكبري» ١٦٣/٣ من البسيط] :

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَخْبَابِ مَا وَجَدْتُ لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلَا

ومما يزيد الأمر عُقْدَةً ، وَالشُّوقَ وَقْدَةً : تذكّري قولَ الجَدِّ رضوانَ الله عليه وقد قابلَ سيئونَ في مرجعه من فسحةٍ قضّاها مع أصحابٍ له تحتَ حَصَاةٍ بحضيضِ الجبلِ الشَّرْقِيِّ يسمُّونها : (الرَّضْه) فلقد ملأَ صدره ، وأستجهرَ نظره جمالُ سيئونَ وصفائِها ، فقال : ما أحسنَ هذا المنظر . . وأطنبَ بوصفه لولا تشوُّشه بظلمِ يافع ، ثم لم يزل يفتلُ في الذُّرَى والغاربِ حتّى أخذَ بالثَّار ، وأرتفعَ الحقُّ وثار ، وأخذتِ المظالمُ في الأندثار ، فكيفَ لو شاهدَ جدُّنا سيئونَ في ليالي سنة (١٣٥٤هـ) ، أو لو أشرفَ من ذروة دارٍ مُخترَفي حتّى صبحَ اليوم . . إذن لرأى ما يملأُ صدره نوراً ، ويغمره سروراً ، هذا من جهةِ الجمالِ والكُشَاة ؛ إذ لم يرَ إذ ذاك حتّى معشاره ، وأمّا من جهةِ انحطاطِ العلمِ والدين ، وظهورِ أمرِ الملحدينِ والمفسدين ، وتجهُّمِ الدَّهرِ الغاشم . . فلا نقولُ إلّا ما قالَ عبدُ المطلبِ بنُ هاشم ، واللهُ المسؤولُ أن يطويَ البين ، ويقربَ الأين ، ويُقرَّ العين ، ويقضيَ الدَّين .

فَكُلُّ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ الْقَدْرِ إِنْ دَنَتْ كَمَا كُلُّ أَيَّامِ اللَّقَا يَوْمَ جُمُعَةٍ^(١)

وهو المومِّلُ أن يعطينا وإياهم عطاءً جزيلاً ، ويردَّهم إلينا مردّاً جميلاً يدخلُ تحتَ

قولِ الوليد [بن عبيد البحر] في «ديوانه» ٧٣/٢ من الطويل] :

مَلَأْتُ يَدَيَّ فَاشْتَقْتُ وَالشُّوقُ عَادَةٌ لِكُلِّ غَرِيبٍ زَالَ عَنْ يَدِهِ الْفَقْرُ

(١) البيت من الطويل ، وهو لسلطان العاشقين في «ديوانه» (٨٠) .

فَإِنَّ أَهَالِيَهُمْ يَحْتُونُ إِلَيْهِمْ حَنِينَ الْعَشَارِ ، وَتَهْتَرُّ لَهُمْ مِنَ الْأَشْعَارُ وَالْأَبْشَارِ ، وَتَتَحَدَّرُ
مَدَامِعُهُمْ عِنْدَمَا إِلَيْهِمْ يُشَار ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّا نُعِيدُهُمْ بِاللَّهِ مِنْ قَوْلِ بَشَارٍ [مِنَ الطُّوِيلِ] :

وَأَوْبَهُ مُشْتَقٍ بِغَيْرِ دَرَاهِمٍ إِلَى أَهْلِهِ مِنْ أَعْظَمِ الْحَدَثَانِ
وَمَا أَمْرِي أَلْعِيُونَ ، وَأَشْوَى الْجَفُونَ مِنْ كِتَابِ سَيْرِهِ جَدُّنَا الْمَحْسَنُ لِأَحْبَابِهِ بِجَاوَةٍ مِنْ
رَوْضَةِ الْعُلُومِ إِذْ ذَاكَ مَسْجِدٍ طَهَّ حِينَمَا أَخَذَهُ الطَّرَبُ ، وَمَلَأَهُ الْأُنْسُ بِالرَّبِّ ، يَصِفُ لَهُمْ
مَا يَجْنُونَ مِنَ الْمَعَارِفِ ، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهِ فِي ظِلِّهَا الْوَارِفِ ، يَحْدُوهُمْ لِنَادِيهِمْ ، وَيَشْفُوهُمْ
لِوَادِيهِمْ ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُصِيبَ مَهْزَمَهُمْ ، وَيُطَبِّقَ مَحْزَمَهُمْ ، وَيُسِيلَ شُؤْنَهُمْ ، وَيُرْعَفَ
عِيُونَهُمْ ، وَلَنْ أُنْشِرَ الْجِمَانُ ، وَأَنْحَطَّ الزَّمَانُ . . فَلَا يَزَالُ حُبُّ الْأَوْطَانِ مِنَ الْإِيمَانِ .

بِلَادِي - وَإِنْ هَانَتْ مَقَامًا - عَزِيزَةً وَأَهْلِي وَإِنْ جَارُوا عَلَيَّ كِرَامًا^(١)
وَقَالَ بَعْضُ مَنْ أَغْزَاهُ عُثْمَانُ وَجَمْرُهُ^(٢) [مِنَ الطُّوِيلِ] :

بَلَّغْنَا إِلَى حُلُوَانٍ وَالْقَلْبُ نَازِعٌ إِلَى أَهْلِ نَجْدٍ أَيْنَ حُلُوَانٍ مِنْ نَجْدٍ
لَجَجْنَاتٍ نَجْدٍ حِينَ يَضْرِبُهُ النَّدَى أَحَبُّ وَأَشْهَى عِنْدَنَا مِنْ جَنَى الْوَرْدِ^(٣)

وَعَنَّتْ حَبَابَةُ بِقَوْلِ الْأَحْوَصِ^(٤) [مِنَ الْوَارِفِ] :

لَعَنَرِي إِنِّي لِأَحِبُّ سَلْعًا وَمَنْ قَدْ حَلَّ فِي أَكْنَافِ سَلْعٍ
حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى وَأَيْدِي السَّابِحَاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ
لَأَنْتَ عَلَى التَّدَانِي وَالتَّنَائِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَصَرِي وَسَمْعِي

ثُمَّ تَأَوَّهَتْ آهَةً كَادَتْ تُقْضِبُ ضُلُوعَهَا ، فَقَالَ لَهَا الْوَلِيدُ : مَا هَذَا؟ وَأَنَا لَوْ شِئْتُ
حَمَلْتُ إِلَيْكَ سَلْعًا حَجْرًا حَجْرًا ، فَقَالَتْ : إِنَّمَا أَحِبُّ الْمَكَانَ لِأَجْلِ السُّكَّانِ ، وَكَانَ لَهَا
رَبَاءٌ بِالْمَدِينَةِ .

(١) البيت من الطويل .

(٢) جَمْرُهُ : حبسه في الثغر ومنعه عن العود إلى أهله .

(٣) الْجَنِينَاتُ : شجر أصفر ، مرٌّ ، طيب الريح .

(٤) القصة والأيات في « الأغاني » (١٣٥ / ١٥) .

وقال أبو العلاء [في «سقط الزند» ٢٣٣ من الطويل] :

فَيَا وَطَنِي إِنْ فَاتَنِي بِكَ سَابِقُ مِنْ الدَّهْرِ فَلْيَنْعَمْ لِسَاكِنِكَ أَلْبَالُ
وَإِنْ أَسْتَطِغَ آتِيكَ فِي الْحَشْرِ زَائِرًا وَهَيْهَاتَ ؛ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ

وقال [في «سقط الزند» ٢٤٧ من الطويل] :

فَيَا بَزْقُ لَيْسَ الْكَرْخُ دَارِي وَإِنَّمَا رَمَانِي إِلَيْهِ الدَّهْرُ مُنْذُ لَيَالِي
فَهَلْ فِيكَ مِنْ مَاءِ الْمَعْرَةِ قَطْرَةٌ تَبْلُ بِهَا ظَمْآنَ لَيْسَ بِسَالِي

ولشد ما أودى شيخنا العلامة ابن شهاب في تريم ، ولكنه لما كان كريم
المنبت . . لم يسكن حنيه ، فضلاً عن أن ينبت ، وقد بكى جماعة من شيوخ العلويين
لما أنشد بينهم قوله [في «ديوانه» : ١٨٦-١٨٧ من البسيط] :

يَا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْغَادِي إِلَى بَلَدٍ جَزَعَاؤُهُ خَضَبَةُ الْمَرْعَى وَأَبْرُقُهُ
نَاشِدْتُكَ اللَّهُ وَالْوَدَّ الْقَدِيمَ إِذَا مَا بَانَ مِنْ بَانَ ذَلِكَ السَّفْحِ مَوْرُقُهُ
أَنْ تَسْتَهْلَ صَرِيخاً بِالتَّحِيَّةِ عَنْ بَاكِ تَكَادُ شُؤُونُ الدَّمْعِ تُغْرِقُهُ
بِالْهِنْدِ نَاءِ أَخِي وَجِدِ يَحْنُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَسِهَامِ الْيَتِيمِ تَرْشُقُهُ
إِلَى الْعَرَانِينَ مِنْ أَقْرَانِهِ وَإِلَى حَدِيثِهِمْ عَبْرَاتُ الشُّوقِ تَخْنُقُهُ

حصنُ الحوارثِ

هو ديارٌ في شرقي القرن ، كان به أناسٌ من الحوارثِ لهم ثروة وأعمالٌ خيرية ،
منها مسجدٌ ببيتونَ يقالُ له : مسجدُ الحومرة ، ثم أضمحلوا وتشَتَّتْ أمورهم ،
وذهبت أموالهم ضحيةً ألفوضويةً في حضرموت ، وخلفهم ناسٌ من آلِ جعفر بن بدرٍ
العوينيينَ يقالُ لهم : آلُ ريس .

وحصلَ فيه فسوقٌ كبيرٌ ، حتَّى اشترى بعضَ ديارهِ السُّلطانُ منصورُ بنُ غالب ،
وأجهزَ عليهم سوءَ عملِهِم ، فقلُّوا .

وأخبرني الشيخُ أَمباركُ بنُ جعفرٍ القحومِ بنِ سعيدٍ : أنَّ الحومرةَ تركَ امرأةً وبتاً ،

فَأَمَّا الْبَنْتُ . . فتزوجها ريسُ بنُ عامرٍ الملقَّبُ بالصرّاح ، من آلِ سعيدٍ ، وأمّا المرأةُ . . فلم تكد تحلّ حتّى تزوّجها عليّ بنُ عوضٍ العوينيّ ، ثمّ تراحموا على التّركة ، وكان ذلك في أواخر أيّامِ يافعٍ ، ولم يشعِرِ الصّراحُ وهو في قصرِ الحومرةِ بحصنِ الحوارثِ . . إلّا وقد دخلَ عليه جماعةٌ من آلِ جعفرِ بنِ بدرٍ ، فوائبهم ، ولمّا كثروه . . تحاجّزوا على أن يخرجَ بأهله مع الشرفِ العسكريّ ، وتخلّصَ منهم أيضاً عبدهُ المكينُ لديه وكان شجاعاً لا يُطاق وأسمه ناصراً ، ولمّا استقرَّ بجعيمة وأستولى آلُ جعفرِ بنِ بدرٍ على حصنِ الحومرةِ وأمواله . . ركبَ الصّراحُ اللَّيْلَ في عبديهِ ناصِرٍ وسالّمين ونفِرٍ من آلِ سعيدٍ ، وهجموا على دارِ البيّتيّ ، وكان من جملةِ ما أَسْتولَى عليه آلُ جعفرِ بنِ بدرٍ من أموالِ الحومرةِ ، وكان فيه نحو ستّة فقتلوهم ، وأحتلّوا الدّارَ ، ودامت المناوشاتُ بينهم مدّةً ، حدّثَ في أثنائها أن سمعَ ناصِرٌ وسالّمينَ بطلوعِ عليّ بنِ عوضٍ العوينيّ من حصنِ الحومرةِ إلى سيئونَ في نفِرٍ من أصحابِهِ ، فأخذوا عليهم الطّريقَ وناشبوهم الحربَ وظفروا عوّنَ بعدَ ذلكَ بواحدٍ من آلِ سعيدٍ فقتلوه ، وكان الصّراحُ أَسْتولَى على تركة عمِّ له ، فرضيَ بعضُ أبناءِ عمِّه ، وذهبَ ألباقونَ إلى جفلٍ ، وكان منهم محمّدُ بنُ عليّ بنِ عبودٍ ، فسافرَ إلى باندوم ، وجمعَ له من المالِ ما يسّره اللهُ ، ولمّا عادَ إلى حضرموتَ بعدَ موتِ الصّراحِ بديقه أيّامَ حربِها . . قصدَ جفلاً ، ووجدَ جعفرَ بنَ عليّ بنِ سعيدٍ قد أَسْتولَى على مالِهِ بجعيمةَ بسببِ أنّه تعهّدَ من بعضِ إخوانِهِ ، فسارَ إلى القوزِ من سحيلِ جعيمة ، ومعه ناصِرٌ وسالّمينَ عبيدُ الصّراحِ ، فألقوا محمّدَ بنَ جعفرِ بنِ عليّ بنِ سعيدٍ يحصد الزروع الذي في مالِ محمد بن علي بن عبود . . فأنقضَّ عليه ناصِرٌ وقد بطنه ، ولم يشتفِ غيظه بذلك . . فأرسلَ جماعةً من أصحابِهِ إلى قوزِ سحيلِ جعيمة فلم يغنوا شيئاً ، فتبعَهُم هو بنفسِهِ وناوشَ آلَ محمّدِ بنِ عليّ الحربَ ، فخرجوا عليهم ، وقُتِلَ ناصِرٌ ، فجاءَ جماعةٌ من آلِ سعيدٍ ليحجزوا بينهم ، فلم يرضَ محمّدُ بنُ عليّ لِمَا اشتدَّ عليه من مصرعِ ناصِرٍ حتّى قالَ له أحدُهُم : أما علمتَ أنّ عامرَ بنَ سعيدٍ يأكلُ جُلجلَ في الكوتِ ، فرضيَ ، وكان الَّذي أصابَ ناصراً عليّ بنُ جعفرِ بنِ عليّ بنِ سعيدٍ فوثبَ عامرُ بنُ سعيدٍ فرأه ناصِرٌ وكان فيه رمقٌ

أمكنه به أن يستلّ خنجره ويوجر^(١) به عامراً .

وقوله: (ياكل جلجل) كنايةٌ عجيبةٌ عن دخول النمل إلى فيه وهو مطروح بالكوت .
ثم عادَ محمد بن علي بن عبود إلى باندوم ، وكان مقصداً فيها للضيّفان ، وقد
تلقاني إلى المحطة لما أجترت باندوم سنة (١٣٣٠هـ) ، وبثّ عنده على أرغد عيش ،
إلاّ أنّه كان عنده ليلتي رجل من السادة نفس عليّ تخصيصه بالمنزل والمبالغة في
التحفي فقاتل الله الحسد الذي لا يؤذي إلاّ صاحبه .

وفي حدود سنة (١٣٢٦هـ) حضر بعضُ ورثة الحوارث فأدعى على السيّد محمد بن
حامد بن عمر السّقف بحصّته من البير المسماة (الحضيره) في شمال حصن الحوارث
إلى الجهة الشرقيّة ، وكانت من جملة أموالهم فأنتهت إلى السيّد محمد بن حامد فيما تُورّع
من تراثهم ، ولم يعدم المدعي بيّنات كثيرة بأنّها ملكُ مورثه إلى أن مات ، وكان على
القضاء إذ ذاك سيدي علويّ بن عبد الرحمن السّقف ، وهو أخو السيّد محمد بن حامد
من الأمّ ، فتوقّف عن الحكم في القضيّة خشية أن يحابي أخاه فلا يستوفي حقّ المدعي
بأجمعه ، فأمر السلطان بنفوذ الطرفين إلى تريم للتحاكم عند قاضيهما .

ولما هبوا للسّير وأحضر المدعي بيّناته وعرف السيّد شيخ بن محمد الحبشيّ حقّ
المعرفة توجّه القضاء على السيّد محمد بن حامد - وكان له صديقاً ومحباً - أنقذ
الموقف ، وطلب سحب المسألة من القضاء ، وتفويض الأمر إلى أربعة نفرٍ هو
أحدهم ، وأنا الثاني ، والثالث الأخ عبد الله بن حسين ، والرابع هو السيّد سقاف بن
عبد الله بن عمر شهيد الهدم ، فخلّصنا السيّد محمد بن حامد من الأحمال الفادحة التي
لا محيصَ لها عنها لو أنبرم القضاء بشيء من الدّراهم حوالي الأربع مئة ريالٍ عن حصّة
ذلك الوارث من الحظيرة ، وعمّا كان استغلّه السيّد محمد بن حامد من ثمراتها طوال
السّنين - وبرضا الطرفين تمّ استحلّالها عن طيبة نفس - أبرمنا الصّلح على ذلك بعد
الإقرار الصّريح بالعقد الصحيح ، ولو لم يكن إقرار . لما صحّ الصّلح ، وبقي المدعي
على دعواه ، فسرّ به سيدي العلامة القاضي علويّ بن عبد الرحمن سروراً كثيراً .

(١) يوجر: يطعن .

وما أظنُّ سعيَ الفاضلِ السَّيِّدِ شَيْخِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ إِلَّا عَنْ إِشَارَةِ أَخِيهِ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ لِأَنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ حَامِدٍ مِنْ أَخَصِّ تَلَامِيذِهِ ، وَقَدْ نُشِرَتِ الْقَضِيَّةُ فِي جَرِيدَةِ الْإِصْلَاحِ الَّتِي كَانَ يُصَدِّرُهَا الشَّيْخُ كَرَامَةً بَلَدْرَمٍ فِي سَنَافُورَةَ لَذَلِكَ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَكْذِبَهَا أَحَدٌ بِنَتِ شَفَةِ ، عَلَى أَنَّهُ جَاءَ عَنْهَا : هَذَا حَاصِلُ قَضِيَّةِ الْبَيِّرِ بِتَلْطِيفٍ وَتَصْغِيرٍ . وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ .

وَحَصْنُ الْحَوَارِثِ الْيَوْمَ مَوْضِعٌ لِعَسْكَرٍ أَبَادِيَةِ الَّذِي تَجَلَّبَهُ الْحُكُومَةُ الْإِنْكِلِيزِيَّةُ لِتَأْمِينِ الطَّرِيقِ بِأَسْفَلِ حَضْرَمَوْتِ ، قَدْ قَلَّ سَكَانُهُ قَبْلَ سَكْنَى الْعَسْكَرِ حَتَّى أُنْتَهَوْا إِلَى أَقَلِّ مِنْ عَشْرِينَ .

مَرْيَمَةُ^(١)

قَالَ فِي «الْتَّاجِ» : (مَرْيَمَةُ - بِكْسَرِ الرَّاءِ - بِلَدَّةٍ بِحَضْرَمَوْتِ ، وَبِهَا سَكَنُ السَّادَةِ آلِ بَاعْلُوِيٍّ الْآنَ) ، وَفِيهِ خَطَأٌ مِنْ جِهَتَيْنِ :
 الْأُولَى : مِنْ جِهَةِ الضُّبْطِ ، فَالرَّاءُ فِيهَا سَاكِنَةٌ ، وَالْمِيمَانِ وَالْيَاءُ مَفْتُوحَاتٌ - كَمَا عَلَيْهِ الْأَسْتِعْمَالُ - وَبِذَلِكَ صَرَّحَ السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ الْحَمَرَاءِ فِي كِتَابِهِ « فَتْحُ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ » .
 وَالثَّانِيَةُ : قَوْلُهُ : (إِنَّهَا مَسْكَنُ الْعَلَوِيِّينَ الْآنَ) مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ لِعَهْدِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ بِهَا مِنْهُمْ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَلَوِيٍّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافُ ، وَلَهُ أَبْنَانُ :
 أَحَدُهُمَا : عَمْرُ^(٢) ، وَذَرِيَّتُهُ بِدَيْثِينَةَ .
 وَالْآخَرُ : عَلَوِيٌّ ، لَهُ أَبْنَانُ :

(١) مَرْيَمَةُ : تَقَعُ جَنُوبَ شَرْقِ سَيْثُونِ ، وَتَبْعَدُ عَنْهَا نَحْوُ (٨ كَم) .

(٢) عَمْرٌ هَذَا هُوَ الْمَلَقَبُ بِالْمَكْنُونِ ، كَمَا لُقِّبَ بِنَفْسِ اللَّقَبِ ابْنُ عَمِّ أَبِيهِ السَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، وَآلُ مَكْنُونٍ لَهُمْ انْتِشَارٌ فِي الْحَامِي وَالشَّحَرِ وَنَوَاحِيهَا ، وَمِنْهُمْ جَمَاعَةٌ بِالْمَكْلَا ، تُوْفِيَ عَمْرُ الْمَكْنُونِ سَنَةَ (٩٧٤ هـ) ، وَهُوَ صَاحِبُ الْحَوِطَةِ بِالشَّعْبِ بَيْنَ مَشْطَةِ وَرَوْعَةٍ ، وَذَرِيَّتُهُ مِنْ ابْنَتِهِ أَحْمَدَ بْنِ عَمْرِ الْمَكْنُونِ .

- أَحَدُهُمَا : عَلِيٌّ ، وَعَقِبُهُ آلُ قَيْسِيَّة^(١) ، كَانُوا بِسَيْثُونَ ثُمَّ نَجَعُوا إِلَى جَاوَةِ .

- وَالثَّانِي : عَبْدُ الرَّحْمَنِ^(٢) ، لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ :

أَحَدُهُمْ : أَحْمَدُ ، تُوْفِيَ بِمَرْيَمَةَ ، وَدُفِنَ بِتَرِيمَ ، وَعَقِبُهُ آلُ أَحْمَدَ بْنِ عَلَوِيٍّ بِسَيْثُونَ ، وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ الصَّالِحُ شَيْخُ بَنِي سَقَافٍ ، تُوْفِيَ بِسَيْثُونَ سَنَةَ (١٣٢٢ هـ)^(٣) ، وَلَهُ أَوْلَادٌ ؛ أَكْبَرُهُمْ : جَعْفَرُ ، كَانَ عَلَى رِئَاسَةِ الْعَرَبِ فِي فَلَمْبَانَ .

وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ عَلَوِيٍّ ، مُثِرٌ مُتَوَاضِعٌ ، يَحْسِبُهُ النَّاسُ فَقِيرًا ، وَلَطَالَمَا أَرَادَهُ السَّيِّدُ الشَّهِيرُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ عَلَى تَبْدِيلِ دَارِهِ وَأَثَانِهِ لِيُكَثِّرَ الْمَجِيءَ إِلَيْهِ وَالتَّرَدُّدَ عَلَيْهِ ؛ لِأَنَّ بَنَتَهُ كَانَتْ تَحْتَ أَحَدِ أَوْلَادِهِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، تُوْفِيَ بِسَيْثُونَ حُدُودَ سَنَةِ (١٣٢٦ هـ) ، وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ مِنَ التَّوَاضُعِ ، وَزَادَ عَلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ ؛ فَلَقَدْ أَقَامَ نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً يُحْيِي ثَلَاثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ كُلَّهُ بِالتَّهَجُّدِ . وَيَقَالُ : إِنَّ لَهُ صَدَقَاتٍ سَرِيَّةً ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ . تُوْفِيَ سَنَةَ (١٣٦٠ هـ) عَنْ عُمرٍ يَنَاهِزُ الثَّمَانِينَ .

وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ هُوْدُ بْنُ أَحْمَدَ السَّقَافُ ، لَهُ وَجَاهَةٌ عِنْدَ آلِ كَثِيرٍ ، أَكْتَسَبَهَا بِإِكْرَامِهِمْ وَفَتْحِ دَارِهِ لَهُمْ ، وَبَذْلِهِ الْجَهْدَ فِي مَدَارَاتِهِمْ وَإِرْضَاءِ مَنْ يَغْضَبُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ - وَالْمَتَعَزُّزُ بِهِمْ ذَلِيلٌ - فَمَرَّتْ حَيَاتُهُ مَعَهُمْ فِي عَنَاءٍ ، وَأَشَدُّ مِنْهُ مُحَاوَلَتُهُ إِخْفَاءَ إِسَاءَاتِهِمْ وَتَجَنُّبِهِمْ عَلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ الْاِثْنَانِ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ عَبِيدِ الدَّوْلَةِ لِيَتَوَاضَعَا عَلَى أَنْ يَدَّعِي أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ بِشَيْءٍ ؛ فَيُتَرَفَعَا إِلَى اللَّهِ ؛ فَيُصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، وَيَتَحَمَّلُ الْمَبْلَغُ . . فَيَقْتَسِمَانِهِ . تُوْفِيَ بِسَيْثُونَ سَنَةَ (١٣٥٢ هـ) .

وَالثَّانِي : عَلَوِيٌّ^(٤) ، عَقِبُهُ بِالْهِنْدِ وَجِفَلٍ وَسَيْثُونَ .

(١) آل قيسية (من الأمر قيسي) وهم ذرية السيد علي بن علوي بن أحمد بن علوي المذكور هنا ، وهم بجَاوَةِ ، وَمِنْهُمْ السَّادَةُ آلُ الْمَعْلَمِ عَبْدِ سَيْثُونَ وَسَمَارَنْغَ .

(٢) ويعرف بالمفقود .

(٣) هو السيد شيخ بن سقاف - الملقب فرقر - أبْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلَوِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ صَاحِبِ (مَرِيَمَ) . وَلَدَ بِسَيْثُونَ سَنَةَ (١٢٥١ هـ) ، وَتُوْفِيَ بِهَا فِي (٢٠) جُمَادَى الْأُولَى (١٣٢٢ هـ) .

(٤) تُوْفِيَ بِتَرِيمَ وَقَبْرُ شَرْقِيِّ الْعِيدَرُوسَ .

وَالثَّلَاثُ : شَيْخُ الْمَجْذُوبِ ، عَقِبُهُ بِحَوَاطَةِ الزُّبَيْدِيِّ ، كَذَا فِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » ، وَلَكِنَّهُ لَا ذِكْرَ لَهُمْ أَلَا بِالْحَوَاطَةِ ، فَلَعَلَّهُمْ تَحَوَّلُوا ، أَوْ أَنْقَرَضُوا ؛ فَمَا بِالْحَوَاطَةِ أَلَا نَفَخَ نَارٍ مِنَ الْعُلُوِّينَ .

وَمِمَّنْ تَدِيرُ مَزِيَمَهُ : أَلْعَلَامَةُ السَّيِّدُ يَوْسُفُ بْنُ عَابِدِ الْحَسَنِ الْفَاسِيَّ^(١) ، جَاءَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِ سَيِّدِنَا الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ وَأَخَذَ عَنْهُ ، وَسَكَنَ مَرِيَمَهُ ، وَكَانَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَزْمَةِ بِمَارَبَ ، وَلَهُ فِي كُلِّ أَهْلٍ .

وَفِي سَنَةِ (٩٩٣ هـ) أَقْتَرَنَ بِنْتِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمَرَ الْحَارِثِيِّ ، قَالَ : وَحَضَرَ عَقْدَ النِّكَاحِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلُوِّينَ ، مِنْهُمْ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ الزُّبَيْدَةِ أَهْلِ الرِّبَاطِ^(٢) ، وَكَثِيرٌ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ^(٣) . ثُمَّ تَزَوَّجَ عَلَى ابْنَةِ عَمِّ هَذِهِ كَمَا فَصَّلَ ذَلِكَ فِي « رَحْلَتِهِ »^(٤) .

وَكَانَ تَوَلَّى الْقَضَاءَ بِمَرِيَمِهِ ، وَكَانَ يُزَوِّجُ الشَّرَائِفَ مِنْ غَيْرِ الْكَفَاءِ فَلَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ .

وَجَاءَ فِي « مَجْمُوعِ الْأَجْدَادِ : طَهَ بْنَ عَمَرَ وَعَلِيَّ بْنَ عَمَرَ » ، عَنْ الْفَقِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ حَنْبَلٍ^(٥) ، قَالَ : (لَمَّا طَلَبَ السُّلْطَانُ عَبْدُ اللَّهِ الزَّوْجَ مِنْ بِنْتِ

(١) ولد السيد يوسف سنة (٩٦٥ هـ) أو (٩٦٦ هـ) بالمغرب ، ببلدة الفيضة بالفاء أو الغين ، من بلاد أنقاد الواقعة بين فاس وتلمسان التي فيها جبال زناته . وكان والده مات سنة (٩٧٥ هـ) وهو في نحو العاشرة ، فدخل فاس واجتمع بسلطانها مولاي إسماعيل العلوي ، وبعدما هاجر وطوف كثيراً من البلدان ، وكان وصوله عينات واجتماعه بالشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ فِي (١٢) ربيع الثاني سنة (٩٩٢ هـ) ، وكانت وفاته بمريم سنة (١٠٤٨ هـ) .

وله عقب كثير ؛ إذ تزوج مراراً ، وبلغ عدد زوجاته اللاتي دخل بهن بحضرموت فقط سبع زوجات من عدة نواحي .

وعرفت ذريته بآل بن يوسف ، وآل الحسني - بسكون السين - وآل مشهور .

(٢) الرباط : يقصد به رباط الشَّيْخَةِ سُلْطَانَةِ ، الْآتِي ذَكَرَهُ عَقِبَ مَرِيَمِهِ .

(٣) وحضر هذا النكاح من الأعيان أيضاً : الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَاكْتِيرٍ ، وَالشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ بَاغْمَالٍ ، وَالْفَقِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ سَرَّاجُ بَاغْمَالٍ ، وَالشَّيْخُ نَادِرُ بَاغْمِيدٍ ، وَعَبْدُ الْكَبِيرِ بَاغْمِيدٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّؤُوفِ بَاغْمِيدٍ . إلخ . « الرحلة » (ص ١٠٩) .

(٤) وهي الرحلة التي دَوَّنَ أحداثها سنة (١٠٣٦ هـ) ، وتعرف باسم « رحلة يوسف بن عابد » .

(٥) آل حنبل هؤلاء من آل بارجاء ، ولهم مسجد يعرف بمسجد حنبل بسينون ، ومنهم الشَّيْخُ الْفَاضِلُ =

الملكاني وأحد أخويها غائب.. قلتُ له: لا يجوزُ إلا بالتقليد. فأمر به، فعقدتُ له.

ثمَّ اجتمعْتُ بالسَّيِّدِ يوسفَ بنِ عابدٍ، فقالَ لي: عقدتَ لِلسُّلْطَانِ؟ قلتُ: نَعَمْ.
قالَ: أصبتَ، هوَ مذهبُ مالِكٍ. وقالَ لي: إِنَّ السَّيِّدَ عبدَ الرَّحْمَنِ بنَ شهابٍ
أرسلَ إليَّ بِشَريفةٍ وليَّها غائبٌ فزوَّجْتُها مِن باحنانٍ مِن غيرِ ضرورةٍ. وذكرَ والدي أَنَّ
السَّيِّدَ أبا بكرٍ بنَ عبدِ اللَّهِ العيْدروسَ العدنِيَّ خرجَ إلى تريمٍ فزوَّجَ الشَّرائِفَ مِن آلِ
بافضلٍ) اهـ

وقولُ السَّيِّدِ يوسفَ بنِ عابدٍ: (أصبتَ هوَ مذهبُ مالِكٍ) أي: بقطعِ النَّظَرِ عن
أمرِ السُّلْطَانِ بتقليدِهِ، أمَّا معَ أمرِهِ به.. فيصيرُ مذهباً لِلشَّافِعِيِّ، كما قرَّره أبو حجرٍ
وبامخرمةَ في «فتاويهما».

وقد مرَّ في حوره أَنَّ آلَ الملكاني - بفتحَاتٍ - مِن مُسْلِمَةِ الرُّومِ، وما أدري ما سببُ
أنحطاطِ السُّلْطَانِ عنهم في الكفاءةِ حتَّى لم يصحَّ اقترانهُ ببنْتِهِم إلا بالتقليدِ.

ثمَّ عرفتُ أَنَّ آلَ الملكاني سادةٌ كانوا يسيثون من بني الحسنِ بنِ عليٍّ، ومنهمُ
الشَّريفةُ علويَّةُ بنتُ حسينِ الملكانيِّ الحسنِيَّ، لها ذِكْرٌ في أدعيةِ مسجدِ الجَدِّ طه بنِ
عمرٍ لمن تصدَّقَ عليه.

وفي النُّسخِ الصَّحيحةِ مِن «مجموعِ الجدِّ» أَنَّ السُّلْطَانَ عبدَ اللَّهِ طلبَ الزَّوَاجَ مِن
بنتِ المَلْطَانِي بِالطَّاءِ لا بِالكَافِ، وبهذا ينكشفُ الإشكالُ.

وفي الحكايةِ (٣٨٠) مِن «الجوهرِ الشَّفَافِ» [١٣٢/٢]: (أَنَّ يَمَانِيَّ بنَ فاضلٍ مرَّ
هوَ وأخوهُ فتفرَّسَ السَّيِّدُ أبو بكرٍ السَّكرَانُ المَتوفَّى سَنَةَ (٨٢١هـ) أَنَّ يَمَانِيَّ سِيلِحِقُ
الْأَذَى بِأَبِيهِ ظِلْمًا، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَيْنَ.. اَعْتَدَى عَلَى أَبِيهِ فَاضِلٍ وَأَخْرَجَهُ مِنْ مَرِيْمِهِ،
وَبَقِيَ هُوَ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ أَبُوهُ) اهـ

= النساخ شيخ بن عبد الله بن حنبل بارجاء ، من مُجَالِسي المؤلف ، ونسخ له بعض مؤلفاته ، كان حياً
سنة (١٣٦٢هـ) .

ومنه تعرف أنَّ دولة مريمه كانت للحوارث ؛ لأنَّ هؤلاء كانوا منهم ، ويتأكَّد ذلك بما ذكره « شنبُل » في أخبارِ سنة (٩١٤ هـ) أنَّ : (مجلب بن عقيل الأظلفي تسوَّر على السلطان مُحَمَّد بن جعفر بن عبد الله بن عليِّ الكثيري ليلة النصف من صفر من تلك السنة وهو بمصنعة مريمه ، فقتله وهو راقد بجانب زوجته بنت مُحَمَّد بن جميل الحارثي) اهـ

وما كان السلطان متمكلاً على مريمه وإنما جاءها زائراً ، وبلغني أنَّ بعض سلاطين آل كثير حاصر الحارثي بمصنعة مريمه سنة ، ثم ولدت للكثيري فرسٌ بعد انتهاء السنة ، فادلى له حزمة من القضب من رأس المصنعة^(١) ، فقال : (من لا يعوزه القضب مع هذا الحصار . . فلن يعوزه غيره) فارتحل عنه .

وآثار النقب في أسافل هذه القارة ظاهرة إلى اليوم ، وكأنَّ ذلك المحاصر أو غيره أرادوا حفرها ليمنعوه الماء فلم يقدروا .

وبلغنا عن بعض المشايخ : أنَّ القطب الحداد زار بعض صلحاء مريمه وكان مقعداً ، وسأله أن يدعو له بحسن الخاتمة ، فحمي الشيخ وأخذ حائلًا وأهتز ، وقال : حولها ندندن ، وأنشأ الرجل يقول [من المجت] :

قَدِ اسْتَعْنَتْكَ رَبِّي عَلَى مُدَاوَةِ قَلْبِي
وَحَلَّ عُقْدَةَ كَرْبِي فَأَخْتِمَ بِالْإِيمَانِ أَلْجَانِ^(٢)

وأخذته حالة شريفة جرى من حرارتها في عروقه الدَّم ، وقام سويًا كأنَّ لم يكن به ألمٌ ، وقد استحسن القطب الحداد هذا الكلام فأدرجه في قصيدة له بناها عليه ، وبعض هذه القصبة موجود في « كلام سيِّدنا عمر بن حسن الحداد » .

ولم تزل ذريَّة السيِّد يوسف بن عابد بمريمه إلى الآن .

ومنهم : السيِّد حسين بن مُحَمَّد بن عبد الله بن شيخ بن إبراهيم الحسني ، المتوفى بها سنة (١٣٤٠ هـ) ، وكان أكثرًا من البنين والبنات ، له منهم فوق الخمسين ،

(١) القضب : البرسيم (دارجة) .

(٢) انظر البيتين والقصة في « ديوان الإمام الحداد » (٤٤١-٤٤٥) .

ولكن لم يُبارك الله فيهم ولا في أعقابهم ، وكان بينهم وبين بعض المشايخ الزُّيَّديين آل الحوطة نزاعٌ وضربٌ ، حتَّى لقد شجُّوا مرَّةً رأسَ السيِّد حسين بن مُحَمَّد الحسنيِّ هذا ، وتمغثوه ، فلم يثأر له أولادُه على وفرة عددهم وقوَّة أجسام بعضهم ، ولم تُغنيه كثرتهم .

ومن ذُرِّيَّة السيِّد يوسف بن عابد : العارفُ الكاملُ والسَّالِكُ الواصلُ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ الفاسيِّ ، وقد انتقل من مريمه إلى سيثونَ وتديَّرها . اثنى عليه سيِّدي الأستاذ الأبرُّ في (ص ٥٨ ج ٢) من « عقده » ثناءً جميلاً .

وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميطة أنَّه أفضلُ من الأوَّل ، ومن أعقابِه سيثون : الشَّهْمُ الجوادُ السيِّدُ عبدُ الله بنُ علويِّ المشهور ، سكن سيثونَ وكانت له ثروةٌ يُنفقُ منها في سبيلِ الخيراتِ بسرورِ نفسٍ ، وطبيرةِ خاطرٍ ، يصحُّ فيه قولُ أبي جده الشريف الرضويّ [في « ديوانه » ٤٠٣/٢ من الطُّويل] :

كثيرُ ارتيَاحِ القلبِ في عَقَبِ جوده إِذَا جَائِدُ الْقَى يَدَا فِي التَّنَدُّمِ
توفي سيثون سنة (١٣٢٩هـ) ، وترك ولدين لم يُحسنا سياسةَ تلك الثَّروة ، ثمَّ تآكلها القضاةُ والأوصياءُ ، فأضحلت أو كادت .

وقد مرَّ قبيلَ القطنِ أنَّ إمارةَ مريمه كانت لبني بكرٍ من يافعٍ ، ثمَّ أجلتْهم الدَّولةُ منها في سنة (١٢٨٤هـ) ، وأستولت على أموالهم بها ، وكانت لهم ذمَّةٌ من آلِ زيمةٍ الكثيرين فلم تُبالِ بهم ، وعيَّرتهم النَّاسُ حتَّى الصُّبيانُ فصَبَّروا .

وفي شمالِ تربةٍ مريمةٍ كانَ مدفُنُ السُّلطانِ عبدِ الله بنِ راشدٍ^(١) ؛ لأنَّه كانَ قُتِلَ على مقربةٍ منها .

(١) السُّلطانُ الصالحُ العالمُ عبدُ الله بنِ راشد بنِ شجاعه بنِ فهد بنِ أحمد بنِ قحطان . . ولد سنة (٥٥٣هـ) ، وتوفي مقتولاً سنة (٦١٦هـ) ، ولي الحكم عام (٥٩٣هـ) عقب مقتل أخيه شجاعه . وكان عصره أحسنَ عصورِ حضرموتِ التاريخة ؛ إذ كان فقيهاً محدثاً عالماً ، طلب العلم بمكة وغيرها ، فجمع الحديث على ابن أبي الصيف والحافظ عبد الغني المقدسي والحافظ ابن عساكر ، وقرأ « صحيح البخاري » على الفقيه محمد بن أحمد بن أبي النعمان الهجري . . وإليه ينسب وادي حضرموت ، ويقال : وادي ابن راشد . ينظر : « الأدوار » (١١٠) ، « الحامد » (٤١١/٢) .

وبينَ مريمه هذِهِ ومريمه الشَّرْقِيَّة : قَارَةٌ فَارِدَةٌ عَالِيَةُ الذَّرْوَةِ ، وفيها بَثْرٌ عَذْبَةٌ ، وهيَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا مَصْنَعَةُ مَرِيَمَةَ السَّابِقَةِ الذَّكَرِ .
ولا تَزَالُ آثَارُ مَرِيَمَةِ الشَّرْقِيَّةِ ظَاهِرَةً وَلَكِنَّهَا كُلُّهَا غَامِرَةٌ ، وهيَ إِسْلَامِيَّةٌ ، وفيها عِدَّةُ مَسَاجِدَ .

وكانت مَدِينَةُ كُبْرَى فِي سَابِقِ الْأَيَّامِ ، ولا أَدرِي مَن هَدَمَهَا . وسيأتي فِي قَارَةِ الْعَرِ
أَنَّ عُمَرَ بْنَ مَهْدِيٍّ أَعَادَ بِنَاءَ الْعَرِّ حَوَالِي سَنَةِ (٦١٩هـ) ، فيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِي هَدَمَ
الْعَرَّ هُوَ الَّذِي هَدَمَ مَرِيَمَةَ الشَّرْقِيَّةَ ، وَيَحْتَمِلُ غَيْرَ ذَلِكَ .
وفي مَرِيَمَةَ نَاسٌ مِنَ آلِ بَاجِبِيرٍ ، فِيهِمْ عُلَمَاءٌ ؛ مِنْهُمْ : شَيْخُ صَاحِبِ « الْمَشْرِعِ »
بَتْرِيمَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بَاجِبِيرٍ .

وفي سَنَةِ (١٣٢١هـ) هَجَمَ الْعَوَامِرُ عَلَى مَرِيَمَ ، وَأَسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا ، وَنَهَبُوا مَا فِيهَا ،
ثُمَّ تَقَدَّمُوا إِلَى مُتَنَصِّفِ الطَّرِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْقَرْنِ فَلَاقَتْهُمْ عِبِيدُ الدَّوْلَةِ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ ،
وَالْتَحَمَ الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ ، وَلَكِنَّ الْعَوَامِرَ كَانُوا أَلْعَبِيدَ وَأَحَاطُوا بِهِمْ ، وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ
أَدْرَكَهُمْ بِالْمَنْصَبِ السَّيِّدِ عِيدَرُوسَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْعِيدَرُوسِ - حَدَاثَةً وَفَاةً أَبِيهِ - فَحَجَزَ
بَيْنَهُمْ .. لَا سِتْأَصِلُوهُمْ قِتْلًا .

جَدْعُ

هُوَ أَسْمٌ لِعِدِّ مَاءٍ^(١) لَا يَزُولُ شَتَاءً وَلَا صَيْفًا فِي أَثْنَاءِ جَبَلٍ عَنْ جَنُوبِ مَرِيَمَ ، يَمْتَدُّ
طَوْلًا يَنْهَرُ إِلَيْهِ بَعْضُ مَاءِ الْجِبَالِ الَّتِي تَدْفَعُ إِلَى تَارِبِهِ وَيُشِمُّهُ وَشُحُوحٌ .
وَتُشْرَعُ مِنْهُ مَجَارِي مَاءٍ مَجْصَصَةٌ لَا تَزَالُ آثَارُهَا ظَاهِرَةً تَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَاءَهُ كَانَ جَارِيًا
يَسْقِي النَّخِيلَ وَالْمَزَارِعَ الَّتِي حَوَالِيهِ ، وَالنَّاسُ يَقْصِدُونَ ذَلِكَ الْمَكَانَ لِلَاغْتَسَالِ وَالتَّنْزِهِ
فِيهِ .

وفي « فَتْحِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ » : (أَنَّ السَّيِّدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الْعِيدَرُوسَ دَخَلَ

(١) الْمَاءُ الْعَدُّ : الَّذِي يَجْرِي بِدُونِ انْقِطَاعٍ .

هو وجماعة من أهل مريمه غديرًا يغتسلون فيه، فقال لهم الشيخ: هلموا نتغاطس (اهـ)
وما أظنه إلا هذا الغدير .

وبه ذكرت ما جاء في (ص ٢٠٩) من «القرى لقاصد أم القرى»: أن عاصم بن
عمر وعبد الرحمن بن زيد تماقلا في البحر وهما محرمان، يغيب كل واحد منهما
رأس صاحبه، وعمر رضي الله عنه جالس على شاطئ البحر لا ينكر ذلك. أخرجه
أبو ذر الهروي بلفظه، والشافعي بمعناه^(١)، ومعنى: تماقلا: تغاطسا كما فسره في
السياق .

خوطة سلطنة^(٢)

بين مريمه الشرقية وقارة العر فضاء فيه نخيل، وله وادٍ مخصوص، سكن فيه آل
الزبيدي، ثم اشتهر بحوطة سلطنة بنت علي الزبيدي، وهي من أكابر الصالحين، لها
عبادات وأحوال تشبه أحوال رابعة العدوية .

قيل: إن بعض أهل الفضل قال لها: (والبكرة يومها ناقة تماري الجمال) .

فقلت: (الحمل بالحمل والزائد لبن والعيان) قال الشيخ محمد بن أبي بكر عبّاد في
«ترجمته» للشيخ عبد الله بن محمد القديم^(٣): (كان الشيخ عمر الزبيدي الحارثي من
الصالحين، وكانت له أخت أسماها سلطنة، لها أحوال عظيمة، وقد تحكمت للشيخ
محمد بن عبد الله القديم هي وإخوانها ورجعوا عن طريق العوام، وكان الشيخ
عبد الرحمن السقاف وأولاده أبو بكر وعمر يزورونها، وقد بنت رباطاً بالعر) اهـ
ومنه يتأكد ما أرتأيناه في مريمه الشرقية من أن العر اسم شامل لذلك الفضاء
بأسره، وأن القارة ليست إلا منسوبة إليه .

(١) انظر: «الأم» (٢٠٥/٢) .

(٢) الشیخة سلطنة إحدى کبریات وشہیرات النساء بحضرموت، بلغت جاهاً وعلماً وصلاًحاً شهد به
القريب والبعيد .

(٣) المسماة: «المنهاج القويم» (خ) .

ولرباط الشَّيْخَةِ سُلْطَانَةِ ذِكْرُ كَثِيرٍ فِي كِتَابِ التَّرَاجِمِ الْحَضَرَمِيَّةِ^(١) .

أَمَّا كَوْنُ الشَّيْخَةِ سُلْطَانَةً تَحَكَّمَتْ هِيَ وَأَخُوها لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بَاعِبَادٍ .. فَلَا يُخَالِفُهُ مَا جَاءَ فِي « مِفْتَاحِ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ » لِمُؤَلِّفِ صَاحِبِ « الْفَلَائِدِ » مِنْ قَوْلِهِ : (أَخْبَرَنِي مَنْ أَعْرَفُهُ وَأَشْكُ فِي عَيْنِهِ ، وَأُظَنُّهُ عَلَيَّ بَنَ عَثْمَانَ الزُّبَيْدِيِّ : أَنَّ سَبَبَ رَجُوعِ جَدِّهِمْ عَمَرَ الزُّبَيْدِيِّ عَنْ طَرِيقِ الْجَهَالَةِ إِلَى طَرِيقِ الْفَقْرِ أَنَّهُ كَمَنْ وَمَعَهُ غَيْرُهُ بِطَرِيقِ كُخْلَانَ ، فَمَرَّ بِهِمْ بَعِيرٌ لِلْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكَمٍ بَاقْشِيرٍ ، فَأَخَذُوهُ وَلَمْ يَعْرِفُوا أَنَّهُ لَهُ ، فَأَخْبَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ حَكَمٍ بِذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنْ كَانَ أَخَذُوهُ مِنْ حَاجَةٍ وَفَاقَةٍ .. تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . وَكَذَلِكَ كَانَ ، فَحَصَلَ لَهُ رَجُوعٌ صَادِقٌ وَتَابَ فِي الْحَالِ) اهـ لِأَنَّهُ لَوْ جَاءَ إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ حَكَمٍ وَتَابَ عَلَى يَدِهِ ، وَتَحَكَّمْ لَهُ .. لَذَكَرَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَذْهَبْ إِلَّا إِلَى عِنْدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَاعِبَادٍ بِشَبَامَ ، مَعَ أَنَّ التَّوْبَةَ لَا تَصَحُّ إِلَّا بِالِاسْتِحْلَالِ وَرَدِّ الْمَظْلَمَةِ ، وَكَيْفَ يَقْبَلُهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَاعِبَادٍ مِنْ دُونِهَا ، وَلَعَلَّهُ لَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ ، أَوْ لَعَلَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ حَكَمٍ حَلَّلَهُ ، غَيْرَ أَنَّ التَّحْلِيلَ الْمَذْكُورَ فِي كَلَامِ بَاقْشِيرٍ لَمْ يَسْتَوْفِ الْشَّرَاطَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَكَانَ لِلْسَّيِّدِ الْفَاضِلِ ، الْكَثِيرِ الْإِحْسَانِ ، طَلَبُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ عَمَرَ السَّقَّافِ^(٢) ، أَلْمُتَوَفَّى بِسَيُونٍ فِي سَنَةِ (١٣٢٠ هـ) تَعَلَّقَ كَثِيرٌ بِحَوَاطَةِ سُلْطَانَةِ وَتَرَدَّدَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ أَبْتَنَى بِهَا دَاراً وَاسِعَةً لِلْمَنْصِبِ هِيَ الَّتِي يَسْكُنُهَا الْآنَ . وَأَكْثَرُ نَفَقَاتِهَا مِمَّا كَانَ يَرْسَلُهُ إِلَيْهِ الشَّيْخُ زَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ الزُّبَيْدِيِّ أَخُو الْمَنْصِبِ لِذَلِكَ الْعَهْدِ - الشَّيْخِ كِرَامَةَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ - وَكَانَ الشَّيْخُ زَيْنُ هَذَا وَقَفَ حَيَاتُهُ عَلَى خِدْمَةِ الْحَبِيبِ طَلَبُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ .. فَكَانَ يُسَافِرُ السَّفَرَاتِ الطَّوِيلَةَ إِلَى جَاوَةِ ، وَكَلَّمَا عَادَ .. دَفَعَ جَمِيعَ

(١) فِي « الْأَدْوَارِ » (٣١٠) : (وَلِلشَّيْخَةِ سُلْطَانَةِ رِبَاطُ تَرَدَّدَ ذَكَرَهُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ وَالْأَمْوَالِ الْحَضَرَمِيَّةِ ، بَنَتْهُ بِالْعَرَبِ وَهُوَ الْعَرَاءُ الْمَمْتَدُّ شَرْقِيَّ مَرْيَمَةَ إِلَى نَهَايَةِ حَوْطِهَا .

وَلَكِنْ تِلْكَ الْكُتُبُ لَمْ تَشْرَحْ لَنَا شَيْئاً عَنِ الرِّبَاطِ الْمَذْكُورِ وَلَا عَنِ مَرِيدِيهِ وَلَا عَنِ الْعُلُومِ الَّتِي تَدْرَسُ فِيهِ ، وَهَلْ تَبَاشَرُ هِيَ بِنَفْسِهَا تَطْبِيقَ شَيْءٍ مِنَ الرِّيَاضَاتِ أَوِ الدَّرُوسِ فِيهِ أَمْ هُوَ أَشْبَهُ بِخَانَ صُوفِيَةٍ لَتَنْزِيلِ الضُّيُوفِ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ فِيهِ ، وَلَعَلَّ هَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ) اهـ

(٢) تَرْجَمْتُهُ فِي « التَّلْخِصِ » (٢٨) .

ما يأتي به من المال للحبيب طه . وكان هذا السيد آية من آيات الله في رقة القلب ،
والانفعال عند سماع القرآن ، وكان مطبوعاً على الجود ، حتى إنه ليستدين ويتصدق ،
إلى أن بلغ دينه يوم مات خمسة عشر ألفاً من الريالات ، لم يُنفقه إلا في هذه السبيل ،
فقضاه الله لصحة قصده وإخلاص نيته ^(١) .

ولده أبو بكر بن طه ^(٢) من أهل العلم والأدب ، والشهامة والفضل ، وهو الآن
منذ زمان بسنغافورة ، وله بها ابن ذكي نبيه ، يُحرر صحيفة عربية تظهر تارة وتغيب
أخرى ^(٣) .

وللزبدة بلدان كثيرة ذاهبة في الوادي حفا في مشيال عدم ، ما بين ساه والغرف
ومسيلة آل شيخ ؛ منها : الكردود ، وسونة ، وتمران ، وشريوف .

وللشيخ سعيد بن محمد الزبيدي نهضة أخضع بها آل جابر وآل تميم ، وحرر بها
بيت مسلمة من أخذ الشراحة منه بدون رضى من أرباب الأموال ، وكانت تلك النهضة
في حدود سنة (١٢٣٠ هـ) ، وقد استوفيناها بـ «الأصل» .

ومنصب الزبدة اليوم العام هو : الشيخ محمد بن كرامة الزبيدي ، من أكثر
المناصب رماداً ، وأوسعهم صدرأ ، وأكثرهم ضيفاناً ، وهو من التواضع في الاعتبار
الأول ، لا تدل عليه هيئته الزنة ، ولا يعرف إلا بالتعريف ، وقد لدغته حيّة يعاوده
سئها في كثير من الأوقات ، كما قال شاعر المعرفة [في «سقط الزند» ١٦١ من الوافر] :

وَمَنْ تَغَلَّقَ بِهِ حُمَةُ الْأَفَاعِي يَعِشُ - إِنْ فَاتَهُ أَجَلٌ - عَلِيلاً

(١) كان قضاء دينه على يد ربيبه السيد محمد بن عبد الله بن جعفر بن شيخ بن عبد الرحمن بن سقاف .
«التلخيص» (٢٩) .

(٢) مولده بسيئون ، ووفاته بسنغافورة سنة (١٣٧٥ هـ) ، وعند تأسيس مدرسة النهضة بسيئون على يد
السيد سقاف بن محمد بن عبد الرحمن بن علوي السقاف سنة (١٣٣٩ هـ) . . قام بمساعدته فيها .
رحم الله الجميع .

(٣) وهو السيد الأديب الفاضل طه بن أبي بكر بن طه . ولد بسيئون ، ودرس بمدرسة النهضة ، ثم هاجر
إلى إندونيسيا وسنغافورة ، وعمل بها تارة مدرساً وتارة مديراً لبعض المدارس ، ثم أصدر صحيفتين
عريبتين ، فيهما مرتع خصب للباحثين والكتاب .

وَمِنْ فُحُولِ الزُّبْدَةِ : الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ سَعِيدِ الزُّبَيْدِيِّ ، ممدوحُ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ أَبِي شَهَابٍ . وَهُوَ صَاحِبُ الْقِصَّةِ السَّابِقَةِ فِي شَبَابِ وَإِلَى رَأْيِهِ يَرْجِعُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُظَمَاءِ عِنْدَ الْمُهَمَّاتِ .

وَمِنْهُمْ : أَلَوْلُذُ النَّجِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ الزُّبَيْدِيِّ .
وَمَرْجِعُهُمْ فِي النَّسَبِ إِلَى مَذْحِجٍ ، وَقِيلَ : إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ ، وَيُؤَكِّدُهُ أَنََّّهُمْ يَتَّفِقُونَ مَعَ آلِ سَنَدٍ ، وَقَدْ مَرَّ فِي الدَّحْقَةِ الَّتِي إِلَى جَنْبِ الْحَزَمِ : أَنََّّهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ .
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْسَبُ بَنِي حَارِثَةَ إِلَى كِنْدَةَ ، وَالزُّبْدَةُ مُصَفَّقُونَ عَلَى أَنََّّهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَالنَّاسُ مُأْمُونُونَ عَلَى أَنْسَابِهِمْ .

قَارَةُ الْحَبُوظِيِّ وَقَارَةُ الْعُرِّ^(١)

- أَمَّا قَارَةُ الْحَبُوظِيِّ : فَبِئْسَ سَفْحُ الْجَبَلِ الشَّمَالِيِّ ، غَرْبِيٌّ صَلِيلَةٌ ، وَشَرْقِيٌّ حَصُونِ آلِ الصَّقِيرِ . وَفِيهَا آثَارُ عِمَارَاتٍ قَدِيمَةٍ ، وَبَثْرٌ فِي أَعْلَاهَا .
وَالْحَبُوظِيُّ هُوَ : صَاحِبُ ظَفَّارٍ ، وَقَدْ أَسْتَوْلَى عَلَى حَضْرَمَوْتَ بِأَسْرِهَا فِي سَنَةِ (٦٧٣هـ) ، وَلَهُ بِهَا آثَارٌ وَمَنَازِلٌ كَثِيرَةٌ لِلضَّيْفَانِ ، وَصَدَقَاتٌ جَمَّةٌ تَكَرَّرَ ذِكْرُهَا فِي أَعَالِي حَضْرَمَوْتَ^(٢) ، وَأَمَّا فِي أَسْفَلِهَا . فَذِكْرُهَا قَلِيلٌ إِذَا أَسْتَشْنَيْنَا : مَسْجِدَ الْحَبُوظِيِّ بِتَرْيَمِ^(٣) ، وَهَذِهِ الْقَارَةُ ، وَمَكَانًا آخَرَ بَيْنَ الْعَجَزِ وَتَرْيَمِ .
وَمَا قِلَّةُ ذِكْرِ صَدَقَاتِ الْحَبُوظِيِّ بِأَسْفَلِ حَضْرَمَوْتَ - فِيمَا أَرَاهُ - إِلَّا لَكَثْرَةِ خِيَانَةِ النُّظَّارِ بِهِ أَكْثَرَ مِمَّا بِأَعْلَاهَا .

وَبَنُو حَارِثَةَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى فِرْقَتَيْنِ :

الْأُولَى : بَنُو حَارِثَةَ الْحَبُوظِيِّ ، وَسُكْنَاهُمْ بِهَذِهِ الْقَارَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنَ الدِّيَارِ ،

(١) العُرّ - تضبط بعين وراء مهملتين - : وهي غير حصن العز بالعين المهملة والزاي المعجمة الآتي ذكره

قبيل تريم ، فليعلم ؛ فإن هذه قارة وذاك حصن .

(٢) في وادي عمد ونواحيه .

(٣) وهو الكائن في حافة السوق قريباً من الجامع .

ولا تزال لأعقابهم من آل خليفة أموالٌ بصليلة وما حوالها ؛ لأنهم من بني حارثة الحبوذي .

والفرقة الأخرى : بنو حارثة العُرّ ؛ لأنهم كانوا يسكنون القارة التي بسفح الجبل الجنوبي الذي على يمين الذاهب من الجهة الغربية إلى الحسيّة وتاربه وما وراءهما .

وقد جاء في أخبار سنة (٦١٩ هـ) أنّ عمر بن مهديّ أحد أمراء الرّسوليين باليمن أعاد بناء قارة العُرّ^(١) ، ولنّ يُعيده إلا عن سابق بناءٍ وأنهدام .

وكان الشّيخ عبد الرّحمن السّقاف متزوجاً بها على امرأة من بني حارثة العُرّ ، وهي أم بنته عائشة ، وله بها مسجد لا يزال موجوداً إلى اليوم .

وصهر إليهم أيضاً الشّيخ عمر المخصار ، فمنهم أم بنته مريم^(٢) .

وإليها ينسب السيّد عبد الرّحمن بن عليّ بن الشّيخ محمّد بن حسن جمل الليل ، فيقال : عبد الرّحمن قارة العُرّ ، وبها يسكن السيّد علويّ بن عقيل .

وقد أشرنا في سيئون إلى قصّته مع الشّيخ عمر بن عبد الله بامخرمة ، وهي ما جاء في الحكاية (١٤٨) من « أنس السّالكين » للسيّد باهارون^(٣) : (أنّ السيّد الشّريف علويّ بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر السّكران بن عبد الرّحمن السّقاف أقبل من العُرّ إلى بور ، فألفى السّلطان عبد الله بن جعفر والفقيه عمر بن عبد الله بامخرمة جلوساً على عُصبيّ الجامع^(٤) ، فقال بامخرمة بصوت خافت ، لا يمكن للسيّد أن يسمعه : إنّك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طويلاً .

فدخل السيّد علويّ إلى المسجد وصلى ركعتين ، ثمّ خرج إلى العُصبيّ وضرب

(١) « شنبل » (٨١) .

(٢) وإلى مريم هلته ينسب السادة آل الكاف من جهة الأمهات .

(٣) هو السيّد عبد الله بن عبد الرحمن بن علي بن هارون بن حسن بن علي بن الشّيخ جمل الليل ، توفي بالهند ، ولم تُورّخ وفاته .

(٤) العُصبي - بضم العين وسكون الصاد - : الدكة التي تكون خارج المسجد وقد تحيط به ، يجلس الناس عليها .

بامخرمة بِنَعَالِهِ ، وَقَالَ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : نَحْتَرِمُكَ ، وَلَكِنْ إِذَا لَمْ تُرْسَلْ لِي بِحِمْلٍ بُرٍّ وَحِمْلٍ ذُرَّةٍ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ بِلَادِ سُلْطَانَةٍ . . تَرَى مَا يَحْدُثُ عَلَيْكَ . فَبَعَثَ لَهُ بِذَلِكَ ، وَقَالَ لِلشَّيْخِ عَمَرَ بامخرمة : مَا لَكَ حَاجَةٌ مَعَ هَؤُلَاءِ ؛ فَإِنَّهُمْ مَجْبَرِينَ (١) اهـ
وَكَانَ هَذَا السَّيِّدُ مِنْ أَهْلِ الْأَحْوَالِ الْمَجَازِبِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَجَاءَ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٩١٨ هـ) أَنَّ وَلَدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ حَصَرَ الْعَرَّ ، ثُمَّ أَخَذَهَا قَهْرًا ، وَأَخْرَبَ دِيَارَهَا وَلَمْ يُبْقِ إِلَّا الْمَصْنَعَةَ فَقَطْ (١) .

وَفِي حَوَادِثِ تِلْكَ السَّنَةِ هَجَمَ أَوْلَادُ الْفَقِيرِ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ عَلَى دِيَارِ أَصْحَابِهِمْ بِالْعَرِّ ، وَأَخَذُوا الْحِصْنَ ، وَنَهَبُوا بِيوتَ أَصْحَابِهِمْ وَأَحْرَقُوهَا ، وَأَخْرَبُوهَا مَا عَدَا الْمَصْنَعَةَ ، وَكَانَ أَصْحَابُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِالْكَسْرِ غَائِبِينَ عَنِ الْعَرِّ . وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّخْرِيبَ الَّذِي كَانَ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَمْ يَسْتَأْصِلْ دِيَارَ الْعَرِّ ، وَإِلَّا . . لَمَا كَانَ هَذَا .

وَالْفَقِيرُ فِي عَرَفِ السَّابِقِينَ مِنْ مَشَائِخِ حَضْرَمَوْتَ مَنْ تَرَكَ السَّلَاحَ وَتَحَكَّمَ لِأَحَدِ مَشَائِخِ التَّصَوُّفِ إِذْ ذَاكَ ؛ كَبَاعِبَادٍ ، وَبَاقُشِيرٍ ، وَالْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بَاعْلَوِيِّ ، وَالشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعَمُودِيِّ .

وَلِلْعَرِّ (٢) - وَهُوَ جَبَلٌ عَلَى مَقَرِيَّةٍ مِنْ أَرْضِ الْبَيْضَاءِ كَمَا يُفْهَمُ مِنْ رِحْلَةِ الشَّيْخِ عَمَرَ صَالِحِ بْنِ هَرْمَةَ - ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْحُرُوبِ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ الْإِمَامِ وَيَافِعٍ فِي سَنَةِ (١١٠٤ هـ) . وَفِي الْحِيَمَةِ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ : (الْعَر) أَيْضًا .

بَوْرٌ وَحَنْظَلَةُ أَبْنُ صَفْوَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَرَضُ عبيدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَيْسَى

أَمَّا بَوْرٌ (٣) : فَمِنْ الْبُلْدَانِ الْقَدِيمَةِ ، وَ« دِيوَانُ الشَّيْخِ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بامخرمة » يَسْتَهْلُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْقَصَائِدِ بِأَنَّهَا مِنْ دِيَارِ عَادٍ ، وَلَهُ فِيهَا أُمَادِيحٌ كَثِيرَةٌ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

(١) شَنْبَل (٢٥٢) .

(٢) هُنَاكَ (١١) مَوْضِعًا بِالْيَمَنِ وَحَضْرَمَوْتَ تَعْرِفُ بِهَذَا الْاسْمِ ، وَمِنْهَا السَّابِقُ الَّذِي فِي حَضْرَمَوْتَ . وَأَمَّا مَا عَنَاهُ الْمَصْنَفُ . . فَهُوَ جَبَلٌ بِأَعْلَى يَافِعٍ ، بِهِ قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ يَعُودُ تَارِيخُ بَنَائِهَا إِلَى الْقَرْنِ السَّابِعِ الْهَجْرِيِّ . « الْمُقْحَفِيُّ » (١٠٣٥ / ٢) .

(٣) بَوْرٌ : تَقَعُ شِمَالُ شَرْقِيِّ سَيْثُونٍ ، وَتَبْعَدُ عَنْهَا نَحْوَ (١٠) كَم .

يَا بَورُ يَا جَنَّةَ الدُّنْيَا يَا مُضَرَّنَا ذِي لَهَا شَارَةَ

وقوله - قبل أن ينزغ الشيطانُ بينَهُ وبينَ بدرٍ بوطويق - :

ثَلَاثَ اللَّهِ جَمَعَهُمْ فِي كَمَالِ الْكَمَالِ كَفَى بِهَا: بَذْرُ، وَالْدُمْنَةُ، وَبَاهِي الْجَمَالِ
يريدُ بالدُّمْنَةِ : بوراً .

وفي طرفِ بورِ الشَّرْقِيِّ جامعٌ كبيرٌ ، بناه سيِّدُنَا علويُّ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عيسى^(١) ، وقد أرتفعتُ عليه الأَرْضُ فصاروا لا ينزلونَ إليه إِلَّا بِدَرَجٍ ، وَلَكِنَّهُمْ بَنَوْا عليه مثالَهُ ، وبقيَ القديمُ مطموراً بالثَّرَابِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهِ ، إِلَّا مِنْ جِهَةِ دَرَجِهِ الَّذِي ينزلونَ منه إليه ، وَحَفَرَ على قَرِيبٍ مِنْهُ بئراً طواها بالحجارةِ ، أَلَّتِي كَتَبَ أَسْمَهُ على كُلِّ حَجَرٍ مِنْهَا ، تَسْمَى الْآنَ : بَيْرَ الْأَعْمَشِ ، وَمِنْ خَصَائِصِهَا : أَنَّهَا اغْتَسَلَ فِيهَا مَجْرَبٌ لِحُمَى الرَّبِيعِ^(٢) .

وقد عُرِفَ ممَّا سَبَقَ في الغُرْفَةِ وسَيُتَوَّنَ أَنَّ ولايةَ بور كانت لآلِ باجَمَّالِ ، ثُمَّ أَنْتَزَعَهَا مِنْهُمْ آلُ بَانَجَارِ الْكَنْدِيُّونَ ، أَوِ الْمَذْحِجِيُّونَ على اِخْتِلَافِ الْأَقْوَالِ فِيهِمْ .
ولَمَّا جَاءَتْ سَنَةُ (٧٢٣ هـ) . . هَجَمَ آلُ كَثِيرٍ على بَورٍ وَأَسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا ، وَقَتَلُوا جماعةً مِنْ آلِ بَانَجَارِ ، مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ وَلَدُوا في يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَأَخْتَنُوا في يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَخَتَمُوا الْقُرْآنَ في يَوْمٍ وَاحِدٍ ، وَشَرَعُوا يُصَلُّونَ في يَوْمٍ وَاحِدٍ .
وكانت بَورُ قَاعَةً مُلْكٍ آلِ كَثِيرٍ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَنِ ، وَهَذَا ممَّا يَتَأَكَّدُ بِهِ أَنَّ سَيُتَوَّنَ كانت خراباً ، وَإِنَّمَا تَجَدَّدَتْ عِمَارَتُهَا شَيْئاً فَشَيْئاً ، أَكْثَرُهَا في الْقَرْنِ الْعَاشِرِ .

ولَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ آلِ كَثِيرٍ ببور ، وَأَشْتَدَّتِ الْفُوضُويَّةُ فِيهَا وفي أَعْمَالِهَا . . سَعَى آلُ بَورٍ وَآلُ بَاغْزِي في اسْتِقْدَامِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بنِ علويِّ الْعِيدروس^(٣) ، وَأَقَامُوهُ مَنْصَباً

(١) وهو الملقب عند أهل الطبقات من النسابين بالمبتكر ، لأنه ابتكر له اسم (علوي) ولم يكن معروفاً في آبائه من قبل ، وهو جد بني علوي قاطبة ، توفي حدود الأربع مئة وقبر بِسَمَلِ الواقعة على ثلث مرحلة من تريم .

(٢) هي الحُمَى التي تأتي يوماً وتغيب يومين وتعود في الرابع .

(٣) هو السيد الحبيب أحمد - الملقب المحتجي أو المحتجب - بن علوي ، من ذرية الشيخ عبد الله العيدروس . كان مولده ببور ، وبها وفاته .

على بور ، وكان له رباء فيها ؛ إذ كانت أمُّه من آلِ بَاعْبُودٍ ، ثمَّ أخذه أبوه صغيراً للتَّعليمِ إلى تريم ، فتعبت أمُّه لفراقه .

وكان آل بور محتاجين إلى والٍ يجتمعون عليه . فاستقدموه ، وأقام على المنصبِ بها إلى أن توفيَّ سنة (١١٠٤ هـ) ، وخلفه ابنه علوي^(١) ، ثمَّ ابنه عبدُ الله بنُ علوي ، المتوفَّى ببور سنة (١١٤٥ هـ) ، وكان فاضلاً جليلاً القدر ، له اتِّصالٌ أكيدٌ بالقطبِ الحَدَّادِ ، وكثيراً ما يذهبُ إليه هو وخادمه ابنُ زامل ، وهو الشَّاعرُ المطبوعُ من آلِ باجري ، وله فيه وفي القطبِ الحَدَّادِ غررُ المَدائِحِ بِالْعِبَارَةِ الْعَامِيَّةِ .

وخلفه ولده علوي ، ثمَّ ولده سالمٌ باحْجَرَة ، ثمَّ ولده علوي بنُ سالم ، ثمَّ سالم بنُ علوي (الآخر) ، وكان عالماً فاضلاً ، له كلامٌ كثيرٌ في التَّصَوُّفِ ، توفيَّ ببور سنة (١٢٨٠ هـ) ، وله أَخٌ أسمه عبدُ الله ، كان شريفاً فاضلاً متواضعاً ، لم يَلِ المنصبَ ، توفيَّ ببور قبل أخيه سنة (١٢٧٤ هـ) .

وتولَّى المنصبَ بعدَ الحبيبِ سالم بنِ علوي : ولده عبدُ القادر ، وكان شهماً شجاعاً ذا وجاهة تامَّة ، له يدٌ في الإصلاحِ ، وكم سَلِمَتِ نفوسٌ بحجزه بين المتحاربين ؛ لأنَّهم متى رأوا علماً عرفوا . كَفُّوا ، مهما يكن من حَرَدِهِمْ وَغِيظِهِمْ .

وكان من أجهر النَّاسِ صوتاً ، حتَّى إِنَّهُ لَيَنَادِي مِنَ صَلِيلَةٍ^(٢) فيسمعُ مَنْ بحوطةِ سلطنةٍ وبينهما نحوٌ من أربعةِ أميالٍ ، فينطبقُ عليه قولُ بعضهم في شبيب بنِ يزيد الخارجي [مِن البسيط] :

إِنْ صَاحَ يَوْماً حَسِبْتَ الصَّخْرَ مُنْحَدِراً وَالرَّيْحَ عَاصِفَةً وَالْمَوْجَ يَلْتَطِمُ وَقَوْلُ الْآخِرِ [مِن المتقارب] :

جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ الْعُطَّاسِ جَهِيرُ الْكَلَامِ جَهِيرُ النَّغَمِ
وفي غيرِ موضعٍ من كُتُبِي ذَكَرْتُ نَدَى صَوْتِ الْعَبَّاسِ وَعُرْوَةَ السَّبَاعِ وَمَا يَتَعَلَّقُ

(١) توفي ببور .

(٢) ضاحية من ضواحي بور .

بذلك ، وقول أبي الطَّيِّبِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

وَرَدَّ إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ شَارِبًا وَرَدَ الْفَرَاتَ زَيْلُهُ وَالنَّيْلَ

توفي السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ سَالِمٍ ببور سنة (١٣٢٠ هـ) .

وخلفه ولده خَوَاضُ الْعَمَرَاتِ ، ووقَّادُ الْجَمَرَاتِ ، وحامي الحقائق ، وحنف الأقران ، الفاضل المتواضع ، عيدروسُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ ، كان رجلاً بطلاً ، طوالاً شديد الأسر :

قَدْ أَرْضَعْتُهُ وَأَسَدُ الْغَيْلِ تَخَرَّسُهُ بِالْبَذْرِ كُلُّ دُرُورٍ حَافِلُ الرِّيِّ^(١)
فَجَاءَ إِذْ جَاءَ مِثْلُ الرُّمَحِ مُغْتَدِلًا وَشَبَّ إِذْ شَبَّ كَالصَّقْرِ الْقُطَامِيَّ^(٢)

لَهُ فِي النُّجْدَةِ وَالشَّهَامَةِ أَخْبَارٌ كَبِيرَةٌ ، مِنْ أَدْنَاهَا : أَنَّ أَوْلَادَ السَّيِّدِ زَيْنِ بْنِ عَلَوِيِّ الْعِيدَرُوسِ كَانُوا مُضْطَغْنِينَ عَلَيْهِ يُنَافِسُونَهُ - وَهُمْ أَرْبَعَةٌ - فَمَرَّ عَلَيْهِمْ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقَالُوا لَهُ : لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ ؟ قَالَ : لَمْ أَرْكَمْ .

فَانْقَضُوا عَلَيْهِ ، وَمَا زَالُوا يَسَاوِرُونَهُ بِكُلِّهِمْ وَهُوَ وَحْدَهُ حَتَّى قَتَلَ عُمَرَ بْنَ زَيْنٍ ، وَطَرَدَ الْبَاقِينَ ، وَبِهِ مِنْهُمْ سَنَعُ طَعْنَاتٍ ، وَبِإِثْرِ ذَلِكَ تَعَصَّبَ آلُ بَاجِرِيِّ عَلَى عِيدَرُوسٍ ، فَاِمْتَنَعَ عَنِ الظُّهُورِ إِلَّا بِخَفِيرٍ فَمَنْعُوا النَّاسَ مِنْ خَفَارَتِهِ ، فَلَمْ يَمْتَنِعْ أَحَدُ آلِ سَالِمٍ بِنِ عُمَرَ خَفَرَهُ ، فَتَعَرَّضَ لَهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنْ آلِ حُمُودٍ فِي سَوِّقِ بَوْرٍ ، فَفَشَلَ الْخَفِيرُ ، وَلَكِنْ عِيدَرُوساً ثَبَتَ ، وَلَمَّا ضَرَبَهُ أَحَدُهُمْ بِنَمَشْتِهِ . . تَلَقَّاهَا بِذِرَاعِهِ . فَلَمْ تُؤْثَرْ فِيهِ إِلَّا قَلِيلاً ، ثُمَّ أَطْلَقَ عَلَيْهِ عَامِلُهُ وَدَقَّهُ فِيهِ . . فَخَرَجَ سَنَانُهُ مِنْ ظَهْرِهِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْتِرَاعِهِ إِلَّا بِجُهِدٍ مَعَ قُوَّةِ أَيْدِيهِ ، وَلَكِنْ الْمَطْعُونَ سَلِمَ وَهَرَبَ الثَّلَاثَةُ إِلَى أَنْ سُوِّيتِ الْمَسْأَلَةُ بِالصُّلْحِ ، وَكَيْفَتُهُ رَاجِحَةٌ ، وَخُدُودُ أَعْدَائِهِ ضَارِعَةٌ ، وَعِذْرُهُ فِي قَتْلِ عُمَرَ بْنِ زَيْنٍ ظَاهِرٌ ؛ إِذْ بَدُوهُ بِالْإِعْتِدَاءِ ، وَلَمْ يُمْكِنُهُ الدَّفْعُ إِلَّا بِالْقَتْلِ ، وَعِنْدَ ظُهُورِ الْقَرِينَةِ بِالصُّيَالِ . . يَكُونُ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ هُوَ الْمُصَدَّقُ ، وَيَذْهَبُ دَمُ الصَّائِلِ هَدْرًا .

(١) البيتان من البسيط ، وهما لابن هانئ الأندلسي بتغيير بسيط . درور : المرأة ذات اللبن الكثير .

(٢) القطامي : نوع من أنواع الصقور .

وبإثر هذه الحادثة كانت حادثة آل أحمد بن حسين العيدروس ببور ، وذلك أنَّ الفاضل التقيَّ الكريم السيّد حسن بن أحمد العيدروس^(١) - المتوفى بترميم سنة (١٣٠٤هـ) - كان له أخ يقال له : عبد الله بن أحمد ، ولكلُّ منهما أولادٌ ، غير أنَّ أولاد السيّد حسن بن أحمد كانوا أكثر ، فتنازَعوا ذات ليلة ، فزعم شيخُ بن حسن بن أحمد أنَّه مطعونٌ من أحد أولاد عمِّه عبد الله ، فخفَّ مصطفى بن حسن وقتلَ مُحَمَّد بن عبد القادر بن عبد الله بن أحمد ، وسمعتُ من المنصب السيّد عليّ بن عبد القادر : أنَّ مصطفى لم يقدر على مُحَمَّد بن عبد القادر حتَّى أمسَّكه له السيّد علويّ بن حسين ، وهو رجلٌ أكوْلُ ذو مِرَّةٍ ؛ فإنه لما سمعَ بقتلِ شيخِ بن حسن . . أحبَّ أن يتوافوا ، فأمسكَ مُحَمَّداً فقتله مصطفى والحالُ أنَّ جرحَ شيخٍ لم يكن إلاّ خفيفاً سرعانَ ما برىء منه .

فتداخلَ المنصب السيّد عبد القادر بن سالم في القضية ، وجمعَ لها الأعيانَ ، فسوّيتَ على عفوٍ معلقٍ على أنَّ لا يعودَ القتاتلُ إلى بورٍ مادامَ أحدٌ من والدي المقتول حيّاً .

والَّذي يظهرُ أنَّ هذا العفوَ غيرُ صحيحٍ ؛ لأنَّ العفوَ والإبراءَ أخوانٌ ؛ إذ يصحُّ العفو عن الدِّم بلفظِ الإبراء ، ويصحُّ الإبراءُ مِنَ المالِ بلفظِ العفو ، وقد صرَّحَ الفقهاءُ بأنَّ تعليقَ الإبراءِ يُبطلُهُ .

وقد ذهبَ مصطفى^(٢) بإثرِ هذه الحادثة إلى مَكَّة المشرفة ، وأكتسبَ بها ثروة طائلةً ، وماتَ في سنة (١٣٦٣هـ) ، وتركَ هناك أولاداً لهم سَمْتُ حَسَنٌ وتواضعٌ ، إلاَّ أنَّه يؤثّرُ عنهم لوْمٌ ، بلغَ بهم أنَّ الأخَ الفاضلَ مُحَمَّد بنَ هادي السَّقَّافَ أبرقَ إليهم بسفرِهِ من عدنٍ إليهم معَ أهلهِ برقيَّةٍ وصلتهم في وقتِها ، وكانوا يتردّدونَ عليه ،

(١) حسن بن أحمد بن حسين . . كان جليلاً فاضلاً من الصالحين ، ولد ببور سنة (١٢٣٤هـ) ، وتوفي في (٢٧) محرم (١٣٠٤هـ) ، وجمع بعض أحفاده ترجمة مختصرة له .

(٢) هو مصطفى بن حسن بن أحمد ، توفي بمكة سنة (١٣٦٣هـ) ، وله بالحجاز عدد من الأبناء ، ومنهم : عبد الله وهو الذي جمع الأدعية والأذكار المأثورة في كتاب سماه : « مخ العبادة » .

ويتظاهرون بحسن الظن فيه ، فتركوه حائراً في المطار ، لا يدري ماذا يفعل . . حتى فرج الله عليه بمبارك النصيحة السيد عبد الرحمن بن حسن الجفري ، وكان جاء في لقاء بعض أصحابه ، فقام بأمره ، كما أخبرني بجميع هذا السيد عيدروس بن سالم السوم .

وكانت قبائل آل عون أطوع للسيد عيدروس من الخاتم ، ولم يزل بهم وبقوة بأسه وهمته مرهوب الجانب ، محترماً للفناء ، حتى أنقذ لبعض آراء السيد عمر بن بوبكر العيدروس ، وكان على بنته ، ففترت العلاقة بينه وبينهم ؛ لأن عمر بن بوبكر حملة - بإيعاز من آل الكاف - على إثارة جانب دولة آل عبد الله عليهم .

ولما توفي السيد عيدروس بن عبد القادر في سنة (١٣٤٤ هـ) . . وقع رداؤه على أخيه العلامة الجليل علي بن عبد القادر بن سالم العيدروس^(١) ، وكان عالماً فاضلاً ، طلب العلم بمكة المشرفة على كثير من مراجيحها ، وكان متخصصاً في « علم الأصول » ، ومشاركاً مشاركة قوية في غيره ، وعنه أخذت « علم الجبر والمقابلة » ، و« علم الخطأين »^(٢) ، و« علم العروض والقوافي » ، أنا والشَّيخ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ باكثر معاً في منزلنا ؛ لأنه كان يتردد إلى سيئون ، ولكنه لم يبق بذهني شيء من هذه العلوم إلا التزُّر من القوافي ، وأما البواقي مع أنني أنقذتها عليه . . فقد تفلتت عني لضعف التوجه إليها حتى كأنني لم أقرأها بعد .

ولقد أردت أن أستذكر « علم الجبر » مرة ، لوقوع رسالة في يدي منه ، فأعتاصت علي وضاق صدري وأطرحتها .

(١) السيد العلامة المنصب علي بن عبد القادر بن سالم ، مولده سنة (١٢٩٢ هـ) بقرية صليبة ، طلب العلم بتريم ، ثم رحل إلى مكة مجاوراً برباط السادة بسوق الليل ، ترجمته في : « تاريخ الشعراء » (١٨٩/٥ - ١٩٧) ، « تعليقات ضياء شهاب » (١٢٤/١) .

(٢) علم الخطأين : من فروع علم الحساب ، وهو علم يتعرف منه استخراج المجهولات العددية ، إذا أمكن صيورتها في أربعة أعداد متناسبة ، ومنفعته كالجبر والمقابلة ، إلا أنه أقل عموماً وأسهل عملاً ، وإنما سمي به لأنه يفرض المطلوب شيئاً ويختبر ، فإن وافق . . فذاك ، وإلا . . حفظ الخطأ الثاني ، ويستخرج المطلوب منهما ، فإذا اتفق وقوع المسألة أولاً في أربعة أعداد متناسبة . . أمكن استخراجها بخطأ واحد . ينظر : « كشف الظنون » (٧٠٧/١) .

ولَهُ مَوْلُفَاتٌ ؛ مِنْهَا : شَرْحُهُ عَلَى « أَلْفِيَّةِ » السُّيُوطِيِّ فِي النُّحُو^(١) . وَرِسَالَةٌ رَدَّ بِهَا عَلَى الْقَضَاةِ : عِيدَرُوسِ بْنِ سَالِمِ السُّومِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ كَرِيْسَانَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْعُودِ بَارِجَاءَ ، رَدًّا مَفْحَمًا ، صَادَقَ عَلَيْهِ طَلَبَةُ الْعِلْمِ بِأَسْرِهِمْ فِي نَوَاحِي حَضْرَمَوْتَ وَسَاحِلِهَا . وَلَهُ أَشْعَارٌ جَزَلَةٌ ، إِلَّا أَنَّهُ مُقِلٌّ مِنْهَا .

وَمِنْ اللَّطَائِفِ : أَنَّهُ هَجَا عَبْدَ اللَّهِ عَلِيَّ حَسَّانَ حَوَالِي سَنَةِ (١٣٢٠ هـ) . . فَوْقَ كُلِّ مَا تَفَرَّسَهُ فِيهَا عَنْهُ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ .

وَلَهُ عَنَايَةٌ بِغَرَسِ النَّخِيلِ ، غَرَسَ مِنْهَا الشَّيْءَ الْكَثِيرَ فَنَمَتْ وَآتَتْ أَكْلَهَا ، وَدَرَّ عَلَيْهِ مِنْ ثَمَارِهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ .

تُوَفِّيَ بِبُورٍ لِأَحَدِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةِ (١٣٦٣ هـ) ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فَجَاءَةً بِالسَّكْتَةِ الْقَلْبِيَّةِ .

وَحَلَفَهُ وَلَدُهُ عَبْدُ الْقَادِرِ - وَكَانَ طَائِشًا - فَتَوَقَّرَ وَفَتَحَ بَابَهُ لَوُجْهَاءِ الضُّيْفَانِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِمَنْصِبِهِمْ ضَعْفُهُ^(٢) ؛ إِذْ قَلَّتْ مَهْمَاتُ الْمَنْصِبِ لَضَغْطِ الْحُكُومَةِ عَلَيْهِ وَمُضَاقِيَّتِهِ . وَيُعْجِبُنِي مِنْهُ تَلَزُّمُهُ بِالشَّرِيعَةِ ، حَتَّى لَقَدْ سَأَلَنِي فِي عِيدِ الْحَجَّةِ مِنَ السَّنَةِ الْمُنْصَرِمَةِ - أَعْنِي سَنَةَ (١٣٦٦ هـ) - عَنْ جَخْشٍ ، قَالَ يَوْمَ اشْتَرَاهُ وَهُوَ صَغِيرٌ : بَغْيَتُهُ أَضْحِيَّةٌ ؟ فَأَجَبْتُهُ بِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ كُنَايَةٌ - كَمَا صَرَّحَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بِامْخَرَمَةِ - إِنْ اقْتَرَنْتَ بِهِ نِيَّةً . . وَجَبَتْ التَّضْحِيَّةُ بِهِ ، وَإِلَّا . . فَلَاحِظُ .

وَمَرَّ فِي الْغُرْفَةِ ، ذِكْرُ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَضَّرِ الْعِيدَرُوسِ ، وَهُوَ مِنْ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْعِيدَرُوسِ آلِ بُورِ الْمَذْكُورِينَ ، وَكَانَ قَائِدًا مُحَنِّكًَا عِنْدَ عِظَامِ حَيْدَرِ أَبَادَ الدَّكَنِ ، وَلَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُ الْأُمَّةِ الْيَابَانِيَّةِ بِبُورْزَمَا فِي الْحَرْبِ الْأَخِيرَةِ ، وَطَفَحَ سَيْلُهَا ، وَأَمْتَدَّ ذَيْلُهَا . . ضَاقَ صَدْرُ الْإِنْكَلِيزِ ، فَاسْتَنْجَدَ بِحُكُومَةِ حَيْدَرِ أَبَادَ فَأَمَدَّتْهُ بِهِ ، فَأَعْطَاهُ قِيَادَةً

(١) هذه الألفية تسمى : « الفريدة » أو « الزبدة » تحوي علم النحو والصرف والخط ، وقد بدأ الحافظ السيوطي في شرحها بنفسه ، وسماه : « المطالع السعيدة شرح المنظومة الفريدة » ولم يكمل .

(٢) أي : ضعف المنصب (المقام) .

عامةً ، ورمى به أليابان في بوزما ، فكان كما قال الشريف الرضي [في «ديوانه» ٢/ ٢٩٣ من الكامل] :

عَمَرِي لَقَدْ قَذَفُوا الْكُرُوبَ بِفَارِجٍ مِنْهَا وَقَدْ رَجَمُوا الْخُطُوبَ بِمِرْجَمٍ
فَكَأَنَّمَا قَرَعُوا الْقَنَا بِعُتَيْيَةٍ وَلَقُوا الْعِدَا بِرَيْعَةٍ بَنٍ مُكَدَّمٍ
رَقَاءُ أَضْغَانٍ يَسُلُّ شَبَاتَهَا حَتَّى يُغَيِّرَ سُمْ ذَاكَ الْأَزْقَمِ

فعل نايها ، وقطع أسبابها ، وأظهر شجاعة خارقة ، وتدبيراً حازماً ، وكلل الله أعماله بالنجاح ، حتى لقد سمعت أن ملك الإنكليز رسم بعشرين نيشاناً لتلك الجيوش ، فحاز هو وعسكره منها سبعة عشر ، ولم يقع لبقية الأجناس إلا ثلاثة أوسمة منها فقط . والله أعلم .

وله إلى جانب ذلك ألباس أخلاق فاضلة ، وغيرة على العروبة ، ودفاع عنها ؛ فإن أنضم إلى ذلك انتهاء عن المحظورات وقيام بفرائض العبادة . . فقد تم تمامه ، لكن قال لي مرتضى ابن أبي بكر شهاب أنه هو الذي باع حيدر آباد الدكن على البوذيين بست مئة ألف ربيّة ، ثم لم يدفعوها له ، ومن المتواتر بين الناس في الهند أن أخته متروجة بناصر بن عوض بليل .

وكان في بوز جماعة من السادة آل الحبشي ؛ منهم : السيّد أحمد^(١) بن هاشم بن أحمد بن محمّد الحبشي ، كان مقيماً ببور ، ترجمه في «شرح العينية» (ص ٣٢٥) وذكر في ترجمته أنه : (أخذ عن الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بامدرك ، المقيم ببور ، كان فقيهاً يتولّى فيها الأحكام الشرعيّة ، وأظنه قرأ عليه «المنهاج» بكمالهِ) اهـ . وكان بين السيّد أحمد بن هاشم والقطب الحدّاد وُد وإخاء ، ثمّ تواحشا لاختلاف جرى بينهما حول الهجرين ، ومع ذلك فلم يمنعهُ الانحرافُ عن الاعترافِ بفضل الحدّاد وإرشاده أهل بور إلى الأخذِ عنه والاعتباسِ مِنْ علومِهِ .

(١) هو حفيد صاحب الشعب ، هو السبب في تصنيف الإمام الحدّاد كتاب : «رسالة المعاونة» توفي في ذي الحجة (١١١٥هـ) ، ودفن بشعب أحمد .

ولمّا مات . . رثاه ألقطبُ الحدّادُ بقصيدته الّتي أستهلّها بقوله [في « ديوانه » ٥٥٠ من الطّويل] :

شَرَى الْبَرْقُ مِنْ نَجْدٍ فَهَيَّجَ لِي شَجْوِي فَهَلْ مِنْ سَبِيلٍ مَا إِلَى الْعَالَمِ الْعُلُوِي^(١)
وفيه أيضاً جماعةٌ من آل خيله ، ولكنّهم أنقرضوا ، وجماعةٌ من آل باعبود ؛ منهم :
السّيّد ألفقيه عليّ بن مُحَمَّد بن عبد الرّحمن باعبود ، المتوفى بعرض آل خيله من
أعمال بور ، في سنة (١٢٩١ هـ) . والعلامة السّيّد مُحَمَّد بن زين بن مُحَمَّد بن
عبد الرّحمن باعبود^(٢) .

ولم يبقَ منهم الآن إلاّ القليل ؛ منهم : الولد البَحَّاثُ الفاضلُ الأديبُ عليّ بن
مُحَمَّد بن زين باعبود ، نزيل مصر الآن^(٣) .

وفيهما جماعاتٌ من أهل الفضل والعلم والمروءة كآل باشرّاحيل وغيرهم ؛ ومن
أواخرهم : العلامة المتفنّن الجليل : عبد الله بن عمر باشرّاحيل^(٤) .

(١) شرى البرق : تتابع في لمعانه .

(٢) ولد ببور سنة (١٢١٣ هـ) ، كانت وفاته بجدة سنة (١٢٩٧ هـ) ، من شيوخه إمام الدعوة الحبيب
أحمد بن عمر بن سميّط .

(٣) السيد علي باعبود العلوي - المتوفى حوالي (١٣٩٧ هـ) - : كان عالماً أديباً واسع الاطلاع والثقافة ،
باحثاً مؤرخاً ، طلب العلم بترميم ، ثم هاجر إلى جاوة فمصر ، كان من أعضاء الرابطة العلوية ، ثم أحد
أركان جمعية الدفاع عن العلويين بمصر تحت رئاسة السيد عبد الله السقاف صاحب « تاريخ الشعراء » .
صحّب عدداً من الأعلام ، في طلبعتهم : السيد علوي بن طاهر الحداد ، وكانت بينهما مراسلات
متواترة ؛ إذ كان السيد علي معيّناً له في جمع بعض المعلومات من مخطوطات دار الكتب المصرية ،
وأخذ في مصر عن الإمامين الجبهذين : العلامة محمد زاهد الكوثري ، والحافظ المحدث السيد
أحمد بن الصديق الغماري ، وأفاد منهما علماً جماً . وله مقالات نشر بعضها في الصحف العربية
بإندونيسيا ومصر .

ذكره المستشرق سارجنت في كتابه : « حول مصادر التاريخ الحضرمي » ، وتحدث عن اجتماعه به
سنة (١٩٥٤ م = ١٣٧٥ هـ) فقال : لن أنسى ذكر علي باعبود الساكن في القاهرة ، والذي قابلته في
زيارتي لـ (عدن) عام (١٩٥٤) . ثم أشار لبعض إفاداته (ص ٩٣-٩٤) .

(٤) هناك شخصان من آل باشرّاحيل يحملان نفس هذا الاسم :
أما الأول منهما . . فعاش في القرن العاشر الهجري ، وكان تولى الإفتاء في عدن ، وهو من تلامذة =

ومن أولي مروءة متأخريهم : الشَّيْخُ عمر باسرا حيل ، ولذُّهُ عبد القادر .
 ومن متأخري فضلائها : العلامةُ الصُّوفيُّ المنقطعُ النَّظيرُ ، شيخنا الشَّيْخُ :
 حسنُ بنِ عوضِ بنِ زينِ مخدَّم ، كانَ جبلاً من جبالِ التَّقوى والعِلْمِ والعبادة ، لَهُ
 مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ من لسانِ القلم ، على منهجِ الصُّوفيَّةِ ؛ منها : شرحُهُ على « الرِّشقاتِ »
 في خمسةِ مجلِّداتٍ . ومنها : شرحُهُ على « الحَكَمِ » ، وغيرها .
 لَهُ أخذٌ كثيرٌ عن الحبيبِ أبو بكر بن عبدِ اللهِ العِطَّاسِ ، ثمَّ عن شيخنا وسيِّدنا
 الأستاذِ الأبرَّ عيْدروسِ بنِ عمر ، وغيرِهِم .
 وكانَ والدي - رحمهُ اللهِ - يُؤثِّرُهُ ويُقدِّمُهُ ، ويأمرُنَا بتقْييلِ يَدِهِ . وكانَ كثيرٌ منَ
 العلويِّينَ يتَهَضَّمونَ فضلَهُ ويَحسدونَهُ .
 وَفِي تَعَبٍ مَنْ يَجْحَدُ الشَّمْسَ ضَوْءَهَا وَيَجْهَدُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِضَرْبٍ^(١)
 وقد أخذتُ عنه كثيراً ، وجَرَّتْ بيني وبينَهُ أمورٌ طَيِّبَةٌ ؛ وَلِي فِيهِ مَدَائِحُ يَوجَدُ بعضُها
 فِي « الدِّيوانِ »^(٢) .
 وكانَ يقرأ رِبعَ القرآنِ في صلاةِ العِشاءِ كُلِّ ليلةٍ منَ رمضانَ ، ولا يُؤمُّ إِلَّا محصورينَ

= الفقيه عبد الله بن عمر بامخرمة (٩٧٢هـ) ، وأحد الذين اختصروا « فتاواه » .
 وأما الثاني منهما . فهو العلامة الفقيه عبد الله بن عمر بن عبد الله باسرا حيل ، طلب العلم بمكة
 المكرمة ، وتفقه على يد العلامة الشيخ محمد صالح الرئيس الزمزمي (ت ١٢٤٤هـ) ، وحرر له إجازة
 حافلة عند عزمه العودة إلى حضرموت ، مؤرخة في ذي الحجة سنة (١٢٣٣هـ) . له مصنفات
 مفيدة .

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبي الطَّيِّبِ المَتَنِّيِّ في « المُكَبَّرِي » (٥٦/١) .

(٢) منها قصيدة مطلعها :

أثخن الروح جرحها بالعباد حين أضرمتم الجوى في فؤادي
 واعتقلتكم من القدود رماحاً مزقت مهجتي بطعن الصعاد
 قال في ديباجتها :

(وهذه أرسلتها لشيخنا الجليل العارف بالله الشيخ حسن بن عوض مخدَّم ، وكان أرسل لوالدي
 كتاباً خصني فيه بخطاب طويل يحثني فيه على الزهد والانتظام في سلك طريق الصوفية . . إلخ .
 « الديوان » (٣٦٥-٣٦٣) .

رَضُوا بِالتَّطْوِيلِ نطقاً ، مِنْهُمْ : الْمَنْصَبُ السَّيِّدُ عِيدروسُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ السَّابِقُ ذِكْرُهُ ،
وَكَانَ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ مِثْلَ الْفَاتِحَةِ ، وَلَهُ شِعْرٌ لَا يَنْتَهِي إِلَى إِجَادَةٍ .

وَلَمَّا دَنَا أَجَلُهُ . . قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ : (هَلُمُّوا بِنَا نُصَلِّيْ عَلَى النَّفْسِ الْمُؤْمِنَةِ) ثُمَّ
صَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْجَنَازَةِ ، وَبِمَجَرَّدِ مَا فَرَّغَ مِنْهَا . . فَاضَتْ رَوْحُهُ ، وَكَانَ آخِرَ كَلَامِهِ فِي
الدُّنْيَا : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) . وَهَذِهِ الصَّلَاةُ وَإِنْ لَمْ يُجَوِّزْهَا الْفَقْهُ . . فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى شَأْنِ
كَرِيمٍ ، وَثَبَاتٍ عَظِيمٍ وَمَا لَاجْتِهَادٍ مِنَ الشَّيْخِ بِبَعِيدٍ ؛ فَلَا إِنكَارَ عَلَيْهِ .

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ (١٣٢٨ هـ) ^(١) وَخَطَبَ النَّاسَ قُبِيلَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ الشَّهْمُ الْجَلِيلُ
السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عِيدروسِ بْنِ عَلَوِيٍّ ، وَوَعظَهُمْ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَكَانَ أَحَدَ مُحِبِّهِ وَالْآخِذِينَ
عَنْهُ .

وَعَنْ أَبِي شَكِيلٍ : أَنَّ آلَ بَاخَطِيبٍ وَآلَ بَاغَانِمِ بَبُورَ ، وَكِلَاهُمَا مِنْ الصَّدَفِ .
وَكَانَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ بَاغَشِيرٍ .

مِنْهُمْ : الْفَقِيهُ اللَّغَوِيُّ الْمَقْرِيُّ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بَاغَشِيرٍ ، صَاحِبُ الْمَدَائِحِ فِي
الْقُطْبِ الْعِيدروسِ ^(٢) .

وَمِنْهُمْ : شَيْخُ الْعِيدروسِ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ : عَبْدُ اللَّهِ بَاغَشِيرٍ ، عَمُّ الْأَوَّلِ ، لَهُمَا ذِكْرٌ
فِي « فَتْحِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنِ » وَ« الْمَشْرِع » [٢٤٣ / ٢] وَغَيْرُهُمَا .

وَبَعْضُهُمْ يَلْبَسُ عَلَيْهِ هُلُولًا بِآلِ بَاغَشِيرٍ أَصْحَابِ الْعَجْزِ الْآتِي ذِكْرُهُمْ فِيهِ .

وَفِي غَرْبِيٍّ بُورَ : دِيَارُ آلِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ آلِ بَاغَشِيرٍ ، لَا يَزِيدُونَ الْيَوْمَ مَعَ مَوَالِيهِمْ
وَأَكْرَبَتِهِمْ عَنْ مِئَةِ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا ، وَكَانَ سَيِّدِي الْحَسَنُ بْنُ صَالِحِ الْبَحْرِ طَلَبَ مِنْهُمْ
صُلْحًا لَّآلِ قَصِيرٍ فَأَمْتَنَعُوا ، وَكَانَ لِأَحَدِهِمْ لِسَانٌ وَعَارِضَةٌ ، فَأَقْتَحَرَ أَمَامَ سَيِّدِنَا الْبَحْرِ ،
فَدَعَا عَلَيْهِ . . فَسَقَطَ عَلَيْهِ الدَّارُ مِنْ يَوْمِهِ ، ثُمَّ طَلَبَ الصُّلْحَ مِنْ مُقْبِلِ بْنِ رَسَامِ أَحَدِ آلِ
أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ ، فَأَجَابَهُ ، فَسَرَّ مِنْهُ وَهَوَاةُ الْكِرَامَاتِ يَذْكُرُونَ حَوْلَ هَذَا كَلَامًا كَثِيرًا هُمْ
فِيهِ مُخْتَلِفُونَ .

(١) كَانَتْ وَفَاتُهُ مَسَاءَ الْإِثْنَيْنِ (١٩) مُحْرَمَ ، وَدُفِنَ صَبِيحَةَ الثَّلَاثَاءِ (٢٠) مُحْرَمَ .

(٢) تَرْجُمَةُ الْعِيدروسِ فِي « الْمَشْرِع » [٣٤٨ / ٢] .

وفي شمال مكان آل أحمد بن علي مكان يقال له : الحاي ، عذب الماء جدًا ،
أبتنى به المنصب السابق المرحوم علي بن عبد القادر بن سالم العيدروس قصرًا
فخمًا ، وسكنه آخر أيامه ، ثم بنى على مقربة منه مسجدًا ، وبالحاي يسكن خلفه
المنصب الحالي الآن .

وفي غربيه بحضيض الجبل الغربي قبر يقال : إنه قبر نبي الله حنظلة بن صفوان عليه
السلام ، وقد دلت على تصديق كونه بحضرموت في « الأصل » بجملة من الأدلة :

- منها : أن الله تعالى قرّن قومه - وهم أصحاب الرّس - بعاد وثمود في سياقة
واحدة ، حيث يقول في آية الفرقان : ﴿ وَعَادًا وَثُمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾ ، وقد قال بدلالة
الاقتران جماعة من أهل العلم ؛ كالمزني وابن أبي هريرة من الشافعية ، وأبي يوسف
من الحنفية ، وغيرهم .

- ومنها : قول صاحب « خريدة العجائب » : (إن حضرموت شرقي اليمن ، وإن
بها بلاد أصحاب الرّس) .

- ومنها : قول البكري في « معجمه » [٦٥٢/٢] : (والرّس المذكور في التّنزيل
بناحية صيهّد من أرض اليمن ، وأنظره في رسم صيهّد) اهـ
ولكنّ المجلّد الذي فيه (صيهّد) منه لم يكن عندي ^(١) .

وقد قرّنا في « الأصل » أن وباراً منها والرّمّال التي في جنوبها ممتدة منها إليها مع

(١) وإنّاماً للفائدة نذكر ما جاء في المجلد الذي أشار إليه المؤلف رحمه الله تعالى ، قال البكري في
« معجمه » (٨٤٩/٣) : (صيهّد - بفتح أوّله وإسكان ثانيه ، بعده هاء مفتوحة ودال مهملة - : أرض
باليمن ، وهي ناحية منحرفة ما بين بيحان فمأرب فالجوف فنجران فالعقيق فالدهناء ، فراجعاً إلى غير
حضرموت . والرّس المذكور في التّنزيل . . . بناحية صيهّد .

قال الهمداني : ذهب في صيهّد بعهدنا قطارٌ فيه سبعون محملاً من حاج الحضارم صادرين من
نجران ، كانت في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل ، فساروا الليلة وأصبحوا قد تياسروا عن
الطريق ، وتمادى بهم الجور حتى انقطعوا في الدهناء فهلكوا) اهـ كلام البكري رحمه الله تعالى .

أَنْعَاطٍ ، فِيمَا يَقْرُبُ مِنَ الْعَبْرِ ، إِلَّا أَنَّ الْجَبَلَ الطَّوِيلَ - الَّذِي يَمْتَدُّ مِنْ هُنَاكَ إِلَى نَحْوِ سَيْحُوتَ - يَفْصِلُهَا عَنْ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ .

وَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ «الْإِكْلِيلِ» [١٩٣/١-١٩٤]: (وَوَلَدَ الْحَارِثُ بْنُ قَحْطَانَ بْنِ هُوْدٍ بَطْنًا يُقَالُ لَهُمْ : الْأَقْيُونُ ، دَخَلُوا فِي حِمَيْرَ ، وَهُمْ رَهْطُ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ ، وَوُجِدَ فِي قَبْرِهِ لَوْحٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ : أَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، بَعَثَنِي إِلَى حِمَيْرَ وَهَمْدَانَ وَالْعَرِيبِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَكَذَّبُونِي وَقَتَلُونِي ، فَمَنْ يَرَى هَذَا الْخَبَرَ . . يَرَى أَنَّهُ بُعِثَ إِلَى سَبَأٍ بِمَارِبَ ، فَلَمَّا كَذَّبُوهُ . . أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) اهـ
وَلَا يَخْلُو عَنْهُ الْوَهْمُ فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ .

ثُمَّ قَالَ : قَالَ أَبُو هِشَامٍ : هُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ مِنَ الْأَقْيُونِ بَنِي الرَّسِّ . وَالرَّسُّ مَدِينَةٌ بِنَاحِيَةِ صَبِيهِ ، وَهِيَ بَلَدَةٌ مَخْتَرَقَةٌ مَا بَيْنَ بِيحَانَ وَمَارِبَ وَالْجُوفِ فَنَجْرَانَ فَالْعَقِيقِ فَالذَّهْنَاءِ فَارَاجَعًا إِلَى حَضْرَمَوْتَ . . . إِلَى أَنْ قَالَ :

حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ مِنَ الْأَقْيُونِ . كَذَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ؛ مِثْلُ : الْأَمْلُوكِ ، وَالْأَصْنَوعِ ، وَالْأَخْصُوصِ . وَكَانَ هَذَا الْأَسْمُ جَمَاعَ قَبِيلَةٍ ، وَلَمَّا كَذَّبُوهُ . . أَهْلَكَهُمُ اللَّهُ . كَمَا قَالَ :
﴿ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونَابِينَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ يَرِثُهُمْ [مِنْ الْهَزَجِ] :

بَكَثَ عَيْنِي لِأَهْلِ الرَّسِّ رَغْوِيْلٌ وَقِدْمَانُ

وَمِنْهَا : قَوْلُ الْمُحَدِّثِ الشَّهِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ عَقِيلَةَ^(١) فِي كِتَابِهِ «نَسْخَةُ الْجُودِ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْوُجُودِ»^(٢) : (أَمَّا مَنْ آمَنَ بِصَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . فَسَارَ إِلَى الْيَمَنِ ،

(١) الشَّيْخُ الْعَلَمَاءُ ، الْمَتَوَفَى بِمَكَّةَ سَنَةَ (١١٥٠هـ) ، رَوَى عَنْ الْحَبِيبِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعِيدِرُوسِ صَاحِبِ سُورَتِ مَكَاتِبَةٍ ، لَهُ مَصْنُفَاتٌ عَدِيدَةٌ تَبْلُغُ (٩٠) مَوْلَفًا ، لَهُ تَرْجُمَةٌ فِي «مَخْتَصَرِ نَشْرِ النُّورِ» (٤٦٢) ، وَ«سَلَكِ الدَّرَجِ» (٣٠/٤) .

(٢) اسْمُهُ كَامِلًا : «نَسْخَةُ الْوُجُودِ فِي الْإِخْبَارِ عَنْ حَالِ الْوُجُودِ» ، قَالَ عَنْهُ مِيرَدَادُ : (ذَكَرَ فِيهِ مِنْ إِبْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى زَمَانِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَالْخُلَفَاءُ وَالْمُلُوكُ وَالسُّلَاطِينُ وَمَشَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ . وَفِي آخِرِهِ أَحْوَالُ الْمَعَادِ . يَوْجَدُ مِنْهُ الْآنَ بِمَكَّةَ نَسْخَةٌ وَاحِدَةٌ عِنْدَ السَّيِّدِ حُسَيْنِ الْحَبِشِيِّ ، قَالَ فِي آخِرِهَا : كَانَ الْفَرَاغُ مِنْ تَأْلِيفِهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ١١٢٣هـ) اهـ

وَأَقَامَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَعْدَنَ ، وَهُمْ أَهْلُ الْبَثْرِ الْمَعْطَلَةِ ، وَطَائِفَةٌ بِحَضْرَمَوْتَ ، وَهُمْ أَهْلُ الْقَصْرِ الْمَشِيدِ) إِلَى أَنْ قَالَ : (وَقَرِيباً مِنْ هَذَا الزَّمَانِ أَصْحَابُ الرَّسِّ ، وَمَسْكَنُهُمْ أَيْضاً حَضْرَمَوْتُ) .

وَمِنْهَا : قَوْلُ الْمِيدَانِيِّ : (إِنَّهُ يُقَالُ لَجَبَلِ أَهْلِ الرَّسِّ : دَمَخٌ)^(١) .

وَفِي حَضْرَمَوْتَ جَبَلَانِ :

جَبَلٌ فِي جَنُوبِ الْعُرْفِ ، يُقَالُ لَهُ : (دَمَخٌ) بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

وَجَبَلٌ بِالسَّاحِلِ ، يُقَالُ لَهُ : (دَمَخٌ) بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ ، لَهُ دَخْلَةٌ فِي الْبَحْرِ ، وَهُوَ الْحُدُّ الْفَاصِلُ بَيْنَ الْقُعَيْطِيِّ وَالْمَهْرِيِّ حَسَبَمَا فَصَّلْنَاهُ فِي مَوْضِعِهِ ، وَبِمَا أَنَّ كِلَا الْمَوْضِعَيْنِ مِنْ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ . . فَفِيهَا شَوَاهِدُ عَدَلٍ عَلَى صَدَقِ مَا أَشْتَهَرَ بِهِ وَجُودُ قَبْرِ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِحَضْرَمَوْتَ .

وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ « إِكْلِيلِ الْهَمْدَانِيِّ » [ص ١٣٨] وَمَا بَعْدَهَا حَدِيثٌ طَوِيلٌ عَنْ قَبْرِ حَنْظَلَةَ بْنِ صَفْوَانَ ، وَلَيْسَ فِيهِ التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ فِي حَضْرَمَوْتَ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يُفْهَمُ مِنْهُ .

وَقَالَ الْمَفْسَّرُونَ - وَالْعَبَّارَةُ لِلْبَغَوِيِّ - : (رَوَى أَبُو رُوَيْقٍ عَنِ الضَّحَّاكِ أَنَّ هَذِهِ الْبَيْرَ - يَعْنِي الْمُعْطَلَةَ - كَانَتْ بِحَضْرَمَوْتَ فِي بَلَدَةٍ يُقَالُ لَهَا : حَاضِرَاءُ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَعَةَ آلَافٍ نَفَرٍ مِمَّنْ آمَنَ بِصَالِحٍ نَجَّوْا مِنَ الْعَذَابِ . . أَتَوْا حَضْرَمَوْتَ وَمَعَهُمْ صَالِحٌ ، فَلَمَّا حَضَرُوا . . مَاتَ صَالِحٌ ، فَسُمِّيَ : حَضْرَمَوْتَ ؛ لِأَنَّ صَالِحاً لَمَّا حَضَرَهُ مَاتَ ، فَبَنَوْا حَاضِرَاءَ وَقَعَدُوا عَلَى هَذِهِ الْبَيْرِ وَأَمَرُوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا ، فَأَقَامُوا دَهْرًا وَتَنَاسَلُوا حَتَّى كَثُرُوا ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ وَكَفَرُوا . . فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ : حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ ، وَكَانَ حَمَلًا فِيهِمْ ، فَقَتَلُوهُ فِي الشُّوقِ ، فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ وَعُطِّلَتْ بَيْرُهُمْ ، وَخُرِبَتْ قَصُورُهُمْ) اهـ^(٢)

وَفِي شِمَالِ قَبْرِ حَنْظَلَةَ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا : الرَّيْثِدَةُ . وَفِي غَرْبِهَا : وَادِي مَدَرُ .

(١) ذَكَرَهَا الْمِيدَانِيُّ فِي « مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ » (٤٢٩/١) عِنْدَ قَوْلِهِ : (طَارَتْ بِهِمُ الْعِنَاءُ) .

(٢) « تَفْسِيرُ الْبَغَوِيِّ » (٢٩١/٣) .

وفي جنوب بلادِ بور أرضٌ واسعةٌ لا يُعرفُ مَلاؤها ، وفيها آثارُ عماراتٍ إسلاميةٍ ، غرسوها نخلاً فزكا ونما ، وهو عثريٌّ يشربُ بعروقه ، لا يحتاجُ إلى سقيٍّ مِنَ الآبارِ ، إلا في الابتداء .

وبما أَنَّها مِنَ الأموالِ الضائعةِ مرجعُها لبيتِ المالِ . . طالبَهُمُ المنصبُ السَّابِقُ السَّيِّدُ عيْدروسُ بنُ عبدِ القادرِ ، ثمَّ المرحومُ السَّيِّدُ عليُّ بنُ عبدِ القادرِ بحصَّةِ الأرضِ مِنَ النَّخْلِ ، وهو في عادتِهِمُ الخُمُسُ ، فلمْ يدفعْ لهُما إلا الضُّعْفاءُ ، أمَّا الأَقوياءُ مِنَ السَّادَةِ ومن آلِ باجرِيٍّ . . فتارةً يعترفونَ ويدفعونَ الشَّيْءَ اليسيرَ مِنَ الثَّمَرَةِ ، وأُخرى يتمرَّدونَ ويُجاهرونَ بالَمَنعِ ، معَ أَنَّهُمُ قد أمضوا لِلسَّيِّدِ عليِّ بنِ عبدِ القادرِ بالاعترافِ في عدَّةٍ وثائقٍ ، ولمَّا لمْ يجدِ المنصبُ الحاليُّ علاجاً غيرَ الكيِّ وخاف من تشوفِ الحكومةِ إليه : الاستيلاءَ عليه ، ودفعهُ جملةً عنه . . اتَّفَقَ هو وإياها على أن يكونَ عليه إظهارُ الوثائقِ وإقامةُ الحجَّةِ الشَّرعيةِ ، وعلى الحكومةِ أن تساعدَهُ بالقوَّةِ على استخراجِ حصَّةِ الذَّبرِ مِنَ النَّخْلِ وهو الخُمُسُ - كما مرَّ آنفاً - ثمَّ يُقسَّمُ على ثمانيةِ أجزاءٍ : ثلاثةٌ يكونُ أمرُها لِلمنصبِ ، يصرفُها في مصارفِها الشَّرعيةِ .

وخمسةٌ للحكومةِ الكثيرةِ تصرفُها كذلك . وعلى هذا وقَّعوا ، وما ندرِي ماذا تكونُ الخاتمةُ ؟

وفي شرقيِّ بور : عَرَضُ عبدِ اللَّهِ : فيه مسجدٌ ، وحولُهُ ضريحٌ لعبيدِ اللَّهِ بنِ أحمد^(١) ، عليه قَبَّةٌ ، معَ أَنَّ الأَثْبَتَ أَنَّهُ إِنَّمَا دُفِنَ بِسُمل كما سيأتي فيها .

وسُكَّانُ العَرَضِ طائفةٌ مِنَ آلِ باجرِيٍّ ، يقالُ لَهُمُ : آلُ بدرِ بنِ مُحَمَّدٍ ، وآلُ حسنِ بنِ عليٍّ ، وآلُ بدرِ بنِ عليٍّ ، لا يزدونَ معَ موالِيهِمُ وخدمِهِمُ وعمَّالِهِمُ عن مَتَي رجلٍ ، وكانت لَهُمُ قبولةٌ خشنَةٌ ، حتَّى إِنَّ أَحَدَ العوامِرِ أخضرَ ذِمَّتَهُمُ ، فتسَوَّروا دارَهُ وقتلوهُ إلى جانبِ امرأتِهِ .

(١) هو ابنُ المهاجرِ إلى الله أحمد بن عيسى ، ولكن لأن المؤلف يرى أَنه مقبور بِسُمل . . فقد أرجأ ذكره إليها .

وفي سنة (١٣٣٧هـ) حدث شجارٌ بينَ رَجَلينِ مِنْهُم - يُقالُ لأحدهما : عبدُ اللَّهِ بنُ صلاح ، وللآخر : كرامةُ بنُ فرَج - على قطعةِ أرضٍ ، فلمَ يَكُنْ مِنْ كرامةٍ إِلَّا أنْ قَتَلَ عبدُ اللَّهِ بنُ صلاح ، وأخذَ دارَهُ وأخرجَ عائلَتَهُ مِنْهُ ، فوصلَ إِلَيْهِ سِتَّةٌ مِنْ أَقربائِهِ ، وبينما هُم يراجعونَهُ . . أَقبلَ آلُ باجَرِيٍّ ، فلَمَّا رَأَوْهُم أَقبلوا . . أَطلقَ عَلَيْهِمُ الرِّصاصَ ، فلمَ يَكُنْ مِنْ أَحَدِ السِّتَّةِ إِلَّا أنْ قَتَلَهُ ؛ لِأَنَّهُ رَأَى إِطلاقَهُ الرِّصاصَ على القومِ وهو إلى جانبِهِ مَخْلاً بذيَمائِهِ ، فَأَبرأَ لَهُ أَخَرُ مِنْ السِّتَّةِ فقتَلَ قاتِلَ كرامةٍ ، وهكُذا تناحَرَ السِّتَةُ وسَقَطوا يَتَشَحَّطونَ في دَمائِهِم .

وكانَ آلُ باجَرِيٍّ مِنْ أَبعدِ قبائِلِ حَضَرَمَوْتَ عَنِ السَّلْبِ وَالنَّهْبِ وقَطَعَ الطَّرِيقَ حَتَّى في أَيَّامِ الْفُوضُويَّةِ . وَمِنْ أواخرِ رُؤُوسائِهِمُ : الشَّيخُ سَعِيدُ بنُ قِطاميٍّ ، كانَ شجاعاً ، قوِيَّ العارِضَةِ ، لا يَنكُصُ^(١) في مَازِقِ الْقِتالِ ، ولا يَتَلَجَّجُ إِذا تَشادَقَتِ الرِّجالُ ، إِلَّا أَنَّهُ آلانَ ضَعُفَ ، وَذهبَ بَصَرُهُ وَسَمِعُهُ ، وَخَفَّ شَعورُهُ ، حَتَّى لا يُحسُّ بِأَنكَشافِ عورتِهِ ، فَدخلَ حَتَّى قولُهُ تَعالَى : ﴿ وَمَنْ تُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ ، على أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِالطَّاعِنِ في السِّنِّ كَثِيراً ، وَغايةُ ما يَكُونُ أَنَّهُ ذَرَفَ على الثَّمانينَ ، وَفيهِم مَن ناهَزَ المِئَةَ مَتَمِّعاً بِالْحَواسِّ ؛ كسَعِيدِ بنِ حَبشيٍّ باجَرِيٍّ .

وفي سنة (١٣٦٠هـ) أَحدثَ بَعْضُ عبيدِ الدَّولَةِ الكُثيريَّةِ حَدَثاً بَترِيمَ ، وَهَرَبوا ، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ يَجِيرُهُم ؛ خَوْفاً مِنَ الْإِنْكِلِيزِ . . فَضاقتْ بِهِمُ الْأَرْضُ ، فَنزَلوا على آلِ باجَرِيٍّ فَأَضافوهُم ، وَعَزَموا على تَبليغِهِمُ الْأَمَنَ على عادَةِ الْعَرَبِ الْمُطَرِّدَةِ في ذَلِكَ ، فَلَمْ يَشْعُرُوا إِلَّا وَقَدْ باغَتْهُمُ ثُلَّةٌ مِنْ عَساکِرِ الدَّولَةِ الْإِنْكِلِيزيَّةِ الْمُوكِّلِينَ بِحِمايَةِ الطُّرُقِ وَحَفَظِ الْأَمَانِ ، وَقالوا لآلِ باجَرِيٍّ : إِمَّا أَنْ تُسَلِّموا الْعبيدَ ، وإِلَّا . . وَقَعَ عَلَيْكُمُ الْحَرْبُ .

فقالَ لَهُمُ سَعِيدُ بنُ قِطاميٍّ - بَعْدَ أَنْ أَجْتَمَعَ حَولَهُ آلُ باجَرِيٍّ كُلُّهُم ، آلُ أَحْمَدَ بنِ عليٍّ وآلُ حُمُودٍ وَغَيرُهُم - : وَاللَّهِ ، لوَ تَناطَحَتِ الْجَبالُ . . لَنَ نَدْفَعُ لَكُم جيراننا بِسَبيلِ

(١) يَنكُصُ : يَرجِعُ .

ما بقي فينا نافخُ ضَرَمٍ . فتبادلوا إطلاقَ الرِّصاصِ ، وأصيبَ أحدُ العسكِ وأحدُ آلِ باجَرِيٍّ بإصاباتٍ خفيفةٍ ، ثمَّ أحاطَ آلُ باجَرِيٍّ بالعسكِ في كُوتٍ لأحدِهِم - وهو بدرُ بنُ صلاحِ بنِ يمانِيٍّ ، كانَ العسكِ أَرْضَوْهُ فدفعَهُ لَهُم - وبِإِثْرِ تطويقِ آلِ باجَرِيٍّ للكُوتِ . . . سَفَرَ الكُشَفَاءُ بَيْنَهُم ، وسُوِّيتِ المسأَلَةُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، وأبْلَغُوا الْعَبِيدَ الْأَمَنَ ، وطلبَ منهم بعضُ الرُّعَمَاءِ أَنْ يخضعوا للضَّابِطِ الْإِنْكَلِيزِيِّ . . فَأَبَوْا .

ولكنَّ هَذَا كَانَ قَبْلَ جَلَاءِ أَبِي عِبْدَاتٍ عَنِ الْغُرْفَةِ ، أَمَّا بَعْدَهُ . . فَقَدْ هَانَتْ الشَّنَافِرُ حَتَّى صَارُوا أَذَلَّ مِنَ الْأَيْدِي فِي الْأَرْحَامِ ، وَصَدَقَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمْتُهُ فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي وَصَفْتُ بِهَا زَوَالَ أَبِي عِبْدَاتٍ .

وفي سَوَالٍ مِنْ سَنَةِ (١٣٦٦هـ) . . ادَّعَى السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ شَيْخِ الْعِيدِرُوسِ عَلَى أَحَدِ آلِ باجَرِيٍّ بِدَعْوَى فِي بَثْرِ ، وَتَوَجَّهَ لَهُ الْقَضَاءُ ، فَأَمْتَنَعَ باجَرِيٌّ عَنْ قَبُولِ الْحُكْمِ بِتَشْجِيعٍ مِنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَقَالُ لَهُ : عَبْدُ بْنُ عَلِيٍّ ، فَرَصَدَتْهُ الْحُكُومَةُ الْكَثِيرِيَّةُ حَتَّى قِيلَ لَهَا : إِنَّهُ بِتَارِبِهِ ، فَأَرْسَلَتْ لَهُ عَسْكَرًا ، فَأَخَذُوهُ مِنْهَا إِلَى سَيْثُونَ ، وَلَكِنَّ أَصْحَابَهُ عَلِمُوا ، فَتَحَزَّبُوا وَلَا قُوَّةَ لَهُمْ أَثْنَاءَ الطَّرِيقِ ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِمُ الرِّصَاصَ ، فَتَرَجَعُوا ، وَأَفْلَتَ عَبْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَعَادَ الْعَسْكَرُ بِالْفِشْلِ ، فَغَضِبَتِ الْحُكُومَةُ الْإِنْكَلِيزِيَّةُ ، وَأَرْسَلَتْ بِثُلَّةٍ مِنْ جَيْشِ الْبَادِيَةِ^(١) الْمَحَافِظِ عَلَى أَمَنِ الطَّرِيقِ بَعْتَادِهِمْ وَمَعْدَاتِهِمْ ، فَلَانَتْ أَعْصَابُ آلِ باجَرِيٍّ ، وَأَنْشَقَّتْ عَصَاهُمْ ، وَمَا كُلُّ مَرَّةٍ تَسْلُمُ الْجَرَّةُ ، فَتَوَسَّطَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ سَالِمِينَ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ بَدْرِ الْعَوِينِيِّ ، فَسُوِّيتِ الْمَسْأَلَةُ عَلَى : تَسْلِيمِ الْبِنَادِقِ الَّتِي صَوَّبَتْ رِصَاصَهَا عَلَى الْعَسْكَرِ ، وَغَرَامَةِ أَلْفِ رُوبِيَّةٍ ، وَحَبْسِ عَبْدِ بْنِ عَلِيٍّ ثَلَاثَ سَنِينَ بِالْمُكَلَّأِ تَحْتَ الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ .

(١) جيش البادية : أنشأه انجرامس في عام (١٩٣٩م) تقريباً ، قال في « مذكراته » : (لقد اقترحت إنشاء قوة من البدو لتكون قوة بوليس للمناطق النائية التي كان لها اتصالات ضعيفة بالسلطنتين) . . . إلخ . ولقد أرادت بريطانيا من هذا الجيش أن يكون يدها التي تبطش بها من غير أن تستفز المشاعر الوطنية ، وكان أفراد هذا الجيش يُرَبُّون على الانتماء المطلق لـ (بريطانيا) ، وكان عدده عند تكوينه (٥٠) رجلاً خصص له (١٢) جملاً ، وسيارتين ، وجهاز لاسلكي . ينظر : « سياسة بريطانيا تجاه حزموت » للأستاذ صادق عمر مكنون السقاف (١٠٢-١٠٣) .

وفي بور كثيرٌ مِنَ الْقُرَى لَمْ نذكرْها ؛ منها :
عَرْضُ مولى خيلة : في شمالِ بور ، يَسْكُنُهُ آلُ سالمِ بنِ عمرَ مِنْ آلِ باجرِي ،
لا يزيدُ عَدَدُهُمْ مَعَ حُرَّائِهِمْ عَلَى عشرينَ رَجُلًا .
ويبِيزُ الْمَدِينِي : لآلِ عُبُودٍ مِنْ آلِ باجرِي ، لا يزيدُ عَدَدُهُمْ مَعَ حُرَّائِهِمْ عَنْ خَمْسِينَ
رَجُلًا .

ومِنها : الْقُفْل : لآلِ رَطَاسٍ مِنْ آلِ باجرِي ، لا يزيدُ عَدَدُهُمْ عَنْ عَشْرَةِ رَجَالٍ .
ومِنها : مَكَانُ آلِ مِعْتَاشِي ، فِيهِ نَحْوُ ثَلَاثِينَ رَجُلًا .
ومِنها : مُقْبِيلٌ ، فِيهَا نَحْوُ مِئَةِ رَجُلٍ .
وفي ضواحي بور : قَارَةُ جُشَيْرٍ - وَيُقَالُ : جُشَيْبٍ - وَقَدْ سَكَنَهَا الْمَهَاجِرُ أَحْمَدُ بْنُ
عِيسَى فَلَمْ تَطْبُ لَهُ ، فَانْتَقَلَ عَنْهَا إِلَى الْحُسَيْسَةِ . وَيَأْتِي فِي قَارَةِ الصَّنَاهِجَةِ مَا لَهُ بِهَا
تَعَلُّقٌ .

نُخْرُ كُغْدَه

مَوْضِعٌ بَيْنَ قَارَةِ الْعُرِّ وَالْحُسَيْسَةِ ، يَكْمُنُ بِهِ اللَّصُوصُ وَقُطَاعُ الطَّرِيقِ ، وَكَمْ تَلَفَتْ
بِهِ أَمْوَالٌ ، وَمَاتَ فِيهِ رَجَالٌ .

مِنهَا : أَنَّ الْفَاضِلَ الرَّقِيقَ الطَّيِّعَ السَّيِّدَ شَيْخَ بَنِ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيِّ كَانَ عَائِدًا مِنْ تَرْيَمَ
إِلَى سَيْثُونَ حَوَالِي سَنَةِ (١٣٢٤ هـ) مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الثَّرْوَةِ ، فَعَرَضَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ
بَدْوِ آلِ عَامِرٍ ، فَنَهَبُوهُمْ وَأَخَذُوا دَوَابَّهُمْ وَمَا عَلَيْهَا إِلَى نَحْوِ بَحِيرِهِ ، فَجَاءَ سَيِّدِي
عِيدَرُوسُ بْنُ حُسَيْنٍ الْعِيدَرُوسُ وَآلُ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ لِمَرَاجِعَتِهِمْ فِي ذَلِكَ ، وَلَمَّا أَثَّرَ فِيهِمْ
كَلَامُ الْحَبِيبِ عِيدَرُوسِ بْنِ حُسَيْنٍ ، وَبَخَعُوا لَهُ بَرْدَ الْمَنُهَوْبِ . . نَفَسَهُ آلُ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ
فَزَيَّنُوا لَهُمْ أَقْتَسَامَهُ ، فَلَمْ يَرُدُّوا إِلَّا الدَّوَابَّ مَعَ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الْأَمَالِ بِدَرَاهِمَ تَسَلَّمُوهَا مِنْ
الْمَنُهَوْبِينَ .

وهذه مِنْ صَغَارِ تِلْكَ الْأَحْوَاثِ ، وَإِنَّمَا ذَكَرْتُهَا لِاسْتِخْرَاجِ الْعِبَرَةِ مِنْهَا بِتَخَاذُلِ

أَلْعَلُّوَيْنَ إِلَى هَذَا الَّذِي لَا بَدَّ وَأَنْ يُعَرِّضَهُمْ لِكُلِّ مَهَانَةٍ وَأَبْتَلَاءٍ .

وسببُ تسميته بهذا الاسم - حَسَبَ مَا أَخْبَرَنِي السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِ بْنِ سَقَّافٍ عَنِ وَالِدِهِ - : أَنَّ اللَّصُوصَ أَخَذُوا كُعْدَةَ - وَهِيَ إِبْرِيْقٌ مِنَ الْخَرْفِ تُطْبَخُ فِيهِ الْقَهْوَةُ - عَلَى أَحَدِ رَعَايَا السُّلْطَانِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْكَثِيرِيِّ مِنْ بُورٍ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَّا أَنْ سَارَ بِقَضِيهِ وَقَضِيضِهِ وَسَائِرِ عَسْكَرِهِ ، وَنَزَلَ بِهِمْ ضَيْفًا عَلَى عَشِيرَةِ اللَّصِّ ، فَأَنْفَقُوا عَلَى ضَيَافَتِهِ كُلَّ طَارِفٍ وَتَلِيدٍ ، حَتَّى أَحْتَاجُوا إِلَى الَّذِينَ ، فَوَسَّطُوا مَنْ يَسْأَلُهُ عَنْ شَأْنِهِ ، فَأَخْبَرَهُمْ ، وَقَالَ : لَا أُرْتَفَعُ عَنْهُمْ إِلَّا بِالَّذِي أَخَذَ الْكُعْدَةَ .

فَدَفَعُوهُ بِرَمْتِهِ إِلَيْهِ ، فَهَابَهُ النَّاسُ ، وَأُطْلِقَ اللَّقْبُ عَلَى الْمَكَانِ مِنْ يَوْمِئِذٍ .

وَكَانَ سَيِّدِي أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ سَمِيطٍ كَثِيرًا مَا يُعَاتَبُ أَهْلَ زَمَانِهِ عَلَى الْقَهْوَةِ وَيُحَذِّرُهُمْ مِنْهَا ؛ لِأَنَّهَا تَأْخُذُ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْأَمْوَالِ بِدُونِ فَائِدَةٍ ، وَيَقُولُ لَهُمْ : (إِنَّكُمْ أَنْتَهَبْتُمْ فِي نُخْرِ كُعْدَةٍ) يُعَرِّضُ بِهِذَا فِي تَوْرِيَةِ لَطِيفَةٍ ، وَكَانَ يَتَقَطَّعُ - كَمَا مَرَّ - حَسْرَاتٍ لِعَدَمِ الْوَالِي وَيَقُولُ : (لَوْ جُمِعَتِ الْأَمْوَالُ الَّتِي تُتْلَفُ فِي الْقَهْوَةِ . . لِأَمْكَانَ بِهَا إِقَامَةُ دَوْلَةٍ عَادِلَةٍ بِحَضْرَمَوْتَ)^(١) .

الْحُسَيْيَسَةُ

هِيَ بَقْرِيَّةٌ خَارِيَّةٌ بِإِزَاءِ بُورٍ ، فِي سَفْحِ الْجَبَلِ الْجَنْبِيِّ الْمَعْرُوفِ بِشُعْبٍ مُخَدَّمٍ . وَكَانَتْ قَرْيَةً مَعْمُورَةً ، ثُمَّ خَرِبَتْ ، فَبْنَاهَا عَلِيُّ بْنُ عَمَرَ الْكَثِيرِيُّ فِي سَنَةِ (٨٢١ هـ) ، ثُمَّ أَخْرَبَهَا عَقِيلُ بْنُ عَيْسَى الصَّبْرَاتِيُّ سَنَةَ (٨٣٩ هـ) ، كَذَا فِي « تَارِيخِ أَبِي حَمِيدٍ » ، وَهُوَ إِنَّمَا يَنْقُلُ عَنْ « شَنْبَلٍ » ، وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِيهِ : أَنَّ عَقِيلًا هَذَا أَخْرَبَهَا فِي سَنَةِ (٨٨٩ هـ) .

(١) لِأَنَّ الْفَوْضَى كَانَتْ سَائِدَةً فِي زَمَانِ الْإِمَامِ ابْنِ سَمِيطٍ ، كَمَا يَعْلَمُ مِمَّا مَرَّ فِي شِبَامٍ وَسَيْثُونَ . وَلَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَامٌ اقْتِصَادِيٌّ وَسِيَاسِيٌّ نَفِيسٌ نَحْوُ هَذَا فِي « مَجْمُوعِ كَلَامِهِ » الَّذِي جَمَعَهُ الشَّيْخُ دَحْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ لَعَجَمٍ بِأَذِيبٍ .

وفي رحلة المهاجر إلى الله السيد أحمد بن عيسى^(١) أنه : لَمَّا وَصَلَ حَضْرَمَوْتَ . .
دَخَلَ الْهَجْرَيْنِ ، وَأَقَامَ بِهَا مُدِيدَةً ، وَاشْتَرَى مَالاً ، فَلَمْ تَطْبَ لَهُ ، فَوَهَبَ الْمَالَ لَعَتِيقِهِ
شَوِيهِ .

وَأَنْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى قَارَةِ جُشَيْبٍ ، فَلَمْ يَأْنَسْ بِهَا .

فَأَنْتَقَلَ إِلَى الْحُسَيْسَةِ - بَضْمُ الْحَاءِ وَفَتْحُ السَّيْنِ الْمَكْرَرَةِ بَيْنَهُمَا يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ ،
قَرْيَةٌ عَلَى نَصْفِ مَرَحِلَةٍ مِنْ تَرِيمٍ - فَاسْتَوْطَنَهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (٣٤٥ هـ) ، وَدُفِنَ
بِحَضْنِ الْجَبَلِ الْمَذْكُورِ .

قَالَ السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صَاحِبُ الْحَمَاءِ فِي تَرْجُمَتِهِ لِلْعِيدْرُوسِ : (تَوَفَّى
الْشَيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى بِالْحُسَيْسَةِ ، وَدُفِنَ فِي شَعْبِهَا ، وَلَمْ يُعْرَفِ إِلَّا أَنْ مَوْضِعَ قَبْرِهِ ، بَلْ
إِنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الْعِيدْرُوسَ كَانَ يَزُورُهُ فِي الشَّعْبِ الْمَذْكُورِ ، وَقَالَ : إِنَّ
الْشَّيْخَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ كَانَ يَزُورُهُ) اهـ

وهو ظاهرٌ في أنَّهُمَا كَانَا يَزُورَانِ الْجَبَلَ بِدُونِ تَعْيِينِ مَوْضِعٍ ، أَمَّا الْآنَ . . فَقَدْ
عَيَّنُوهُ : إِمَّا بِالْقَرَّائِنِ ، وَإِمَّا بِالْكَشْفِ ، عَلَى ارْتِفَاعٍ يَزِيدُ عَنْ مِثَّةِ ذِرَاعٍ فِي الْجَبَلِ ،
وهل هنا مباحث :

المبحث الأول :

زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّ سَيِّدَنَا الْمُهَاجِرَ ، وَابْنَهُ عَيْدَ اللَّهِ ، وَأَوْلَادَهُمُ الثَّلَاثَةَ : بَصْرِيٌّ وَجَدِيدٌ
وَعَلَوِيٌّ ، كَانُوا شَافِعِيَّةً أَشْعَرِيَّةً ، وَقَدْ فَنَدْتُ ذَلِكَ مُتَوَكِّئًا عَلَى مَا يُغْنِي وَيُقْنِي مِنَ الْأَدَلَّةِ
وَالْأَمَارَاتِ فِي « الْأَصْلِ » ، وَتَشَكَّكْتُ فِي وَقْتِ دُخُولِ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ إِلَى
حَضْرَمَوْتَ ، وَقَرَّرْتُ كَثْرَةَ الْعُلَمَاءِ بِحَضْرَمَوْتَ لِعَهْدِ الْمُهَاجِرِ وَمَا قَبْلَهُ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنَّ
أَجْمَعَ مَا أَنْجَبَتْهُمْ تِلْكَ الْعَصُورُ مِنْ رَجَالَاتِ الْعِلْمِ وَالْحَدِيثِ . . لَاسْتَدَعَى مُجَلِّدًا

(١) ينظر لمعرفة ترجمته : « المشرح » (٧٧ / ١) ، و « الغرر » وتواريخ حضرموت للشاطري ، والحامد ،
والبكري ، وللسيد محمد ضياء شهاب كتاب خاص عن المهاجر ، اسمه : « الإمام المهاجر » مطبوع
صدر عن دار الشروق بجدة .

ضخماً ؛ إذ لا يخلو « تهذيبُ التَّهْذِيبِ » في حرفٍ منه عن العددِ الكثيرِ منهم .
وَإِذَا اسْتَطَالَ الشَّيْءُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَصِفَاتُ ضَوْءِ الشَّمْسِ تَذْهَبُ بِاطِلَالٍ^(١)
ومعاذَ الله أن تحصلَ منهم تلكَ الثَّروَةُ الضَّخْمَةُ في الآفاقِ ، ويملؤونَ زوايا الشَّامِ
والحجازِ ومصرَ والعراقِ ، بدونِ نظيره أو أقلَّ منه في مساقطِ رؤوسِهِمْ .
ويتأكَّدُ بما سيأتي عن « المشرعِ » في تَريمَ من تردُّدِ السَّادَةِ مِنْ بَيْتِ جُبَيْرٍ إِلَى تَريمَ
في سبيلِ العلمِ .

وفي ترجمة عبدِ الله بنِ أحمدَ : أَنَّهُ أَخَذَ عَنْ أَبِيهِ وَعَنْ غَيْرِهِ مِنْ عِلْمَاءِ عَصَرِهِ ، مَعَ
ذَكَرِهِمْ لاجتماعِهِ بِأَبِي طَالِبٍ وَقَرَاءَتِهِ لَكِتَابِهِ « الْقُوتُ » عَلَيْهِ .

ومرَّ في شِبَامَ مَا يَكْثُرُ عِلْمَاءُ الْإِبَاضِيَّةِ مِنْ شَعْرِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ قَيْسٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْقُرْنِ الْخَامِسِ ، وَذَكَرُ مَنْ نَجَعَ مِنَ الْأَزْدِ إِلَيْهَا فِي أَيَّامِ الْحَجَّاجِ .

وسبقَ في الشَّحْرِ مَا يَدُلُّ عَلَى حَالَتِهَا الْعِلْمِيَّةِ حَوَالِي سَنَةِ (٢٨٠ هـ) ، وَفِي صُورَانِ
وَنَقَعَةٍ وَغَيْرِهَا مَا يُوَكِّدُ ذَلِكَ ، وَحَسْبُكَ أَنَّ أَكْثَرَ مَشَايِخِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ مِنْ غَيْرِ الْعُلُوِّيِّينَ ،
قَالَ سَيِّدِي الْأَبْرُ فِي « عِقْدِهِ » : (وَتَفَقَّهَ - يَعْنِي : الْفَقِيهَ الْمَقْدَمَ - عَلَى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاعِبِيدٍ ، وَعَلَى الْقَاضِي أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَاعِيسِيٍّ ، وَأَخَذَ الْأُصُولَ
وَالْعُلُومَ الْعَقْلِيَّةَ عَنِ الْإِمَامِ الْعَلَامَةِ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بَامِرْوَانَ ، وَالْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ
أَبِي الْحَبِّ ، وَأَخَذَ عِلْمَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ عَنِ الْحَافِظِ الْمُجْتَهِدِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ
بَاجِدِيدٍ ، وَأَخَذَ التَّصَوُّفَ وَالْحَقَائِقَ عَنْ عَمِّهِ الشَّيْخِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ صَاحِبِ مِرْبَاطٍ ،
وَعَنِ الْإِمَامِ سَالِمِ بْنِ بَصْرِيِّ ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْخَطِيبِ) اهـ

وأكبرُ من هذا ما تَضَمَّنَهُ الْغَنَاءُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
ودُعَايِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى لِهَذَا أَنْكَرَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بَاعِلُوِيٌّ عَلَى مَنْ اسْتَبَعَدَ وَجُودَ رِيعِ
أَهْلِ بَدْرِ فِيهَا كَمَا سَيَأْتِي فِي تَريمَ ، وَقَالَ : إِنَّهُ يَتَلَقَّاهُ الْخَلْفُ عَنْ السَّلَفِ ، فَانْطَمَسَ
مَنَارُهُمْ ، وَأَنْدَرَسَتْ آثَارُهُمْ ، وَهُمْ نَجُومُ الْهَدْيِ ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَى ، وَشَفَاءُ

(١) البيت من الكامل .

الكلوم ، وينابيع العلوم ، كلاً ، ولكنها الأقدام تزل ، والأفهام تضل ، والأهواء تتغلب ، والأوهام تتألب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ولا يلزم - على كثرة العلماء بها - أن يتمذهبوا بشيء من المذاهب المشهورة ؛ فقد اشتهروا بالعلوم في عصر التابعين فمن بعدهم قبل ظهور المذاهب ، وإن كان البدوي الجاني ليأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقيم أياً لا يقرأ كتاباً ، فيعود وفي يده سراج الإسلام يرشد قومه ويدعوهم إلى الله ؛ ففي (ص ٤٩٢ ج ١) من « إمتاع الأسماع » للمقرزي : (أن عثمان بن أبي العاصي كان أصغر وفد ثقيف ، فكانوا يخلفونه في رحالهم وكان إذا ناموا بالهاجرة . . عمداً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الدين وأستقرأه القرآن ، وأسلم سرّاً وفية ، وقرأ من القرآن سوراً) اهـ

والشاهد : في فقهه مع أنه لم يلق إلا أوقاتاً يسيرة ، وكذلك أحوال كثير من الوافدين .

وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مئة وعشرين ألفاً من الصحابة ، وفيهم من الأجلاف من لا يعرف إلا الفاتحة أو إلا البسملة ، كما في « معاهد التخصيص » في قسمة أنفال القادسية ، وهم يصلون ويصومون ويحجون ويؤكفون بدون تمذهب ، وكذلك كان أهل حضرموت فيما أظن وفيما يقضي الاستصحاب ، حتى غزتهم المذاهب بسبب الاختلاط الواقع أكثره بالحجاز واليمن .

وقد جاء في « المشرع » : (أن فتاوى السيد سالم بن بصري على أساليب أولي الاجتهاد) وفي (ص ٥ ج ٢) منه : (أن أهل حضرموت يشتغلون بالعلوم الفقهية ، وجمع الأحاديث النبوية) اهـ

ويؤيده ما جاء في موضع آخر منه : (أن كثيراً من الصلحاء والعلماء لا يعرفون عين قبره ، بل ولا جهته ؛ لأن المتقدمين كانوا يجتنبون البناء والكتابة على القبور) اهـ فإنه أنصح الأدلة على تمسكهم بالسنة . وفي (ص ١٤٤ ج ٦) من « تاريخ ابن

خُلُكَانَ » (عَنِ ابْنِ حَزْمٍ : مَذْهَبَانِ اُنتَشَرَا فِي بَدْءِ اَمْرِهِمَا بِالرِّثَاسَةِ وَالسُّلْطَانِ ؛ مَذْهَبُ اَبِي حَنِيفَةَ ، وَمَذْهَبُ مَالِكِ بْنِ اَنْسٍ) اهـ مختصراً .

وفي (ص ٢٣٣ ج ٥) : (اَنَّ الْمُعِزَّ بْنَ بَادِيسَ حَمَلَ اَهْلَ الْمَغْرِبِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ بَعْدَمَا كَانَ مَذْهَبُ اَبِي حَنِيفَةَ اَظْهَرَ الْمَذَاهِبِ بِهِ) . وكانت وفاة الْمُعِزِّ الْمَذْكُورِ سَنَةَ (٤٥٤ هـ) .

وفي « مذكراتي » : (اَنَّ عَبْدَ الرَّحِيمِ بْنَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنَ يَحْيَى بْنَ مَوْلَى جَمْعٍ وَصَلَ إِلَى مِصْرَ فِي أَيَّامِ اَللَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ ، فَأَخَذَ عَنْهُ اَللَّيْثُ وَابْنُ وَهْبٍ وَرَشِيدُ بْنُ سَعْدٍ ، وَانْتَشَرَ بِهِ مَذْهَبُ مَالِكٍ ، وَتَوَفَّى بِاَلْإِسْكَندَرِيَّةِ سَنَةَ « ١٦٣ هـ » ، وَخَلَفَهُ - فِي نَشْرِ مَذْهَبِ مَالِكٍ بِمِصْرَ - عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْقَاسِمِ ، وَمَا زَالَ مَشْهُوراً حَتَّى قَدِمَهَا اَلشَّافِعِيُّ فِي سَنَةِ « ١٩٨ هـ » فَصَحَبَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِهَا كَأَبْنِ اَلْحَكَمِ وَالرَّبِيعِ بْنِ سَلِيمَانَ وَالمُزْنِيِّ وَابْنِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَعْلُومَاتِهِمْ ، وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ مِصْرَ يَعْرِفُونَ مَذْهَبَ اَبِي حَنِيفَةَ مَعْرِفَتَهُمْ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ وَاَلشَّافِعِيِّ .

وَيُعَلَّلُ اَلْمَقْرِيزِيُّ ذَلِكَ بِأَنَّ إِسْمَاعِيلَ بْنَ الرَّبِيعِ اَلْكُوفِيَّ - اَلَّذِي تَوَلَّى قِضَاءَ مِصْرَ بَعْدَ ابْنِ لَهِيعةَ - كَانَ يَبْطُلُ اَلْأَخْبَاسَ ، فَثَقُلَ عَلَى اَلْمِصْرِيِّينَ مَذْهَبُهُ فِي ذَلِكَ ، وَسُمِّمُوهُ .

أَمَّا اَلْإِمَامُ أَحْمَدُ . . فَكَانَ فِي اَلْقَرْنِ اَلثَّالِثِ ، وَلَمْ يَخْرُجْ مَذْهَبُهُ عَنْ اَلْعِرَاقِ إِلَّا فِي اَلْقَرْنِ الرَّابِعِ ، وَفِي هَذَا اَلْقَرْنِ مَلَكَ اَلْفَاطِمِيُّونَ مِصْرَ ، وَجَاؤُوا بِمَذْهَبِهِمْ عَلَى يَدِ جَوْهَرَ اَلصَّقْلِيِّ) اهـ

وَلَا بَدَعَ أَنْ يَغْزَوْا اَلْمَذْهَبَ اَلشَّافِعِيَّ حَضْرَمُوتَ ؛ إِمَّا مِنْ أَصْحَابِ اَلشَّافِعِيِّ اَلْأَدْنِيِّينَ ، أَوْ مِنْ أُمَّ اَلْقُرَى ، أَوْ مِنْ زَيْدٍ بِوَاسِطَةِ اَلْحُجَّاجِ وَاَلتُّجَّارِ وَطُلَّابِ اَلْعِلْمِ ؛ فَالْمَوَاصِلَاتُ مُتَوَاتِرَةٌ بَيْنَ حَضْرَمُوتَ وَبَيْنَ هَذِهِ اَلْأَطْرَافِ ، عَلَى أَنَّ اَلْحَضَارِمَةَ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ عَنِ اَلتَّمَذُّهِبِ .

وفي « نسيم حاجر » وفي اَلْمَبْحَثِ اَلثَّالِثِ نِسْبَةُ اَلْإِجْتِهَادِ لكَثِيرٍ مِنْ اَللَّاحِقِينَ فَضْلاً عَنْ اَلسَّابِقِينَ . قَالَ اَلشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بِأَفْضَلِ ، اَلْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٦٨٤ هـ) [مِنْ اَلْوَاوِرِ] :

إِذَا لَمْ أَفْتِكُمْ بِصَرِيحٍ عِلْمٍ فَلَا مِنْ بَعْدِهَا تَسْتَفْتُونِي
بِمَا فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ أَفْتِي وَإِلَّا بَعْدَ هَذَا كَذَّبُونِي

أوليس من أصرح الصريح في دعوى الاجتهاد ؟

وذكر العلامة ابن حجر في « فتاويه » عن علماء المتأخرين من الحضارم : أنهم لا يتقيدون بكلام الرافعي والنووي ، وهما عمدة المذهب ، ولا يحضرنني نص صريح في تعيين وقت التمدب ، وكانت العرب إذ ذاك متصلة ، والأسواق جالبة ، والمشاهد جامعة ، والبلاذ بما ألفوه من الترحل واستقراب البعيد متقاربة .

ومما يشهد لهذا : أن كل مرحلة يأتي ذكرها عند الهمداني وأمثاله تزيد عن مرحلتين بسير أهل العصور المتأخرة .

ومر في الكسر أن يونس بن عبد الأعلى كان منه ، وهو أحد أصحاب الشافعي ، وغير خاف أن حرمله بن عبيد الله صاحب الإمام الشافعي وأحد رواة مذهبه . . كان من تجيب ، ومثله أبو نعيم التجيبي المتوفى سنة (٢٠٤ هـ) .

ومثري تجيب بالكسر ، ثم نجع منهم الكثير إلى مصر ، ولا بد بطبيعة الحال أن يكونوا على اتصال بأهل وطنهم أديباً ومادياً كما هي العادة بين العشائر ، ومعاذ الله أن تقطع رجالاً العلم صلاتها بأوطانها وقراباتها وهم أحق الناس بصلة الأرحام والحنين إلى الأوطان والقيام بحقوقها التي تفضل حقوق الأمهات على الأولاد كما فصلت في غير قصيدة من « الديوان » .

ومرت الإشارة في هذا المبحث لبعض العلماء الحضرميين ، وأن آل باذيب نجعوا من العراق إلى حضرموت في أيام الحجاج ، وكان فيهم مفتون وقضاة .

وقال الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان في « جواهر الأنفاس » : (نقل الشيخ علي بن أبي بكر عن بعض علماء آل عبّاد أنه كان في تريم ثلاث مئة مفتي ، وألصف الأول من جامعها كله فقهاء ، يعني : مجتهدين في المذهب .

وفي شبام ستون مفتياً ، وقاضٍ شافعي ، وقاضٍ حنفي ، وفي الهجرين مثل ذلك) اهـ

وفي موضع آخر منه عن الشيخ محمد بن عمر جمال : (أنه يقول : عمت أبلوى في جهة حضرموت بكثرة الجهل ، والجهال أشبه بالشياطين في أحوالهم ، وأقرب من البهائم في طبائعهم ، وقد كانت هذه الجهة معمورة بالعلم ، حكى المؤرخون أنه كان ببلد تريم ثلاث مئة مفت ، وفي شبام ستون مفت ، وقاضٍ شافعي ، وقاضٍ حنفي ، وفي الهجرين قريب من ذلك) اهـ

وما نقله عن الشيخ علي بن أبي بكر موجود في آخر الصفحة (١١٧) من « البرقة » ونصه : (وقد صح بالنقل الصحيح عن الثقات أنه اجتمع في تريم في زمن واحد ثلاث مئة مفت ، وبلغ الصنف الأول في صلاة الجمعة كله فقهاء) اهـ وسيعاد هذا بأبسط مما هنا في تريم .

وفي الصفحة التي قبلها : أن الإمام علي بن محمد حاتم هنا شيخه المحقق قاضي القضاة وسيد القراء في عصره أبا بكر بن يحيى بن سالم أكرد بأبيات على شفايته من مرض ألم به ؛ منها :

قَدْ حَنَّ مَسْجِدُنَا لِفَقْدِكَ وَاشْتَكَى خَلَاً وَإِنْ كَثُرَتْ بِهِ الْأَقْوَامُ
وَفِي الْحَاشِيَةِ : أن مسجدهم هو المعروف بمسجد عاشق ، يجلس على دكته منهم من أهل العلم والفتوى (٤٥) رجلاً .

وفي « سموم ناجر » : أن وفاة الشيخ أبي بكر بن يحيى هذا كانت سنة (٥٧٥ هـ) شهيداً ، ويأتي في تريم عن « جوهر الخطيب » ما يؤهم أن كثرة المفتين بتريم يعود إلى ما بذله الشيخ سالم بافضل من نشر العلم ، والله أعلم .

وكانت وفاة الشيخ بافضل في سنة (٥٨١ هـ) أي : بعد الشيخ أبي بكر أكرد بنحو ست سنين ، ومن البعيد أن يكون تفقهه عليه . . فليأمل .

أما أشتهار مذهب الشافعي في اليمن . . فقد قال السخاوي : إنه كان في المئة الثالثة ، ونقله عن الجندي .

وقال أليافعي : إِنَّ مَن أَظْهَرَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ بِأَلْيَمَنِ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ الْمُعَافِرِيُّ ،
قال : وَمَنْ نَشَرَهُ بَزِيدَ بنِ عَقَامَةَ .

ومن كتاب « المسالك اليمينية » للسَّيِّد مُحَمَّد بن إِسْمَاعِيلَ الْكَبْسِيِّ : أَنَّ الْأَمَامُونَ
وَلِيُّ مُحَمَّد بن هَارُونَ الْتَغْلِبِيُّ قَضَاءَ التَّهَائِمِ فِي سَنَةِ (٢٠٣ هـ) .
ومحمَّد بن هَارُونَ هَذَا هُوَ جَدُّ بَنِي عَقَامَةَ .

وفي « طبقات أبنِ الشُّبْكِيِّ » [١٣٠ / ٧] : (عَنْ أبنِ سَمُرَةَ : أَنَّ فُضَائِلَ بَنِي عَقَامَةَ
مَشْهُورَةٌ ، وَهُمْ الَّذِينَ نَشَرَ اللَّهُ بِهِمْ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ فِي تَهَامَةٍ ، وَقَدْ مَاؤُهُمْ جَهْرُوا
بِالْبَسْمَلَةِ فِي الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ) اهـ

وقوله : (وَهُمْ الَّذِينَ . . . إلخ) صِيغَةُ حَصَرٍ ، وَكَأَنَّ الْمَذْهَبَ الشَّافِعِيَّ أَتَاهُمْ قَبْلَ
أَنْ يَعْرِفُوا الْمَذَاهِبَ ، فَوَافَقَ مَا عِنْدَهُمْ فَتَمَكَّنَ وَنَشَرَهُ اللَّهُ بِهِمْ .

يَعْجُبُنِي مَا ذَكَرَهُ يَاقُوتُ [١٠٨ / ٤] لِبَعْضِ قَضَائِهِمْ يَرِثِي هَلَكَاةَ الْمَدْفُونِينَ بِالْعَرَقِ وَهُوَ
مَوْضِعُ بَزِيدَ [من الكامل] :

يَا صَاحِبِ قِفْ بِالْعَرَقِ وَفَقَّةَ مُغُولِ	وَأَنْزِلْ هُنَاكَ فَتَمَّ أَكْرَمُ مَنْزِلِ
نَزَلَتْ بِهِ الشُّمُّ الْبَوَاذِخُ بَعْدَمَا	لَحَظَتْهُمْ الْجَوَزَاءُ لَخْطَةً أَسْفَلِ
أَخَوَايَ وَالْوَلَدُ الْعَزِيزُ وَالْإِدِي	يَا حَظْمَ رُمُحِي عِنْدَ ذَاكَ وَمُنْصَلِ
هَلْ كَانَ فِي أَلْيَمَنِ الْمُبَارَكِ بَعْدَنَا	أَحَدٌ يُقِيمُ صَغَا الْكَلَامِ الْأَمِيلِ
حَتَّى أَنْارَ اللَّهُ سَدْفَةَ أَهْلِهِ	بَيْنِي عُقَامَةَ بَعْدَ لَيْلِ أَلِيلِ
لَا خَيْرَ فِي قَوْلِ أَمْرِيءِ مُسْتَمْدَحِ	لَكِنْ طَغَى قَلَمِي وَأَفْرَطَ مِقْوَلِي

وَذَكَرَ أليافعي أَيْضاً : (أَنَّ الْقَاسِمَ بنَ مُحَمَّد بنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيَّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ
« ٤٣٨ هـ » نَشَرَ مَذْهَبَ الشَّافِعِيِّ فِي نَوَاحِي الْجَنْدِ وَصَنْعَاءَ وَالْمُعَافِرِ وَالشُّحُولِ وَعَدَنَ
وَلَحِجَ وَأَبِينَ) اهـ

وَلْتَن تَأَخَّرَ وَصُولُ الْمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ إِلَى حَضْرَمَوْتَ عَمَّا مَرَّ . . فلن يخطئها فيما
حوالي هذا التَّارِيخِ .

وقال بعض الزيدية : إِنَّ العترة الطيبة قد تفرقت في البلاد ، وملأت الأغوار
والأنجاد ، وكل من كان منهم في إقليم . . . فإنما هو على مذهب جهته وإقليمه في
غالب الأمر ، لم يتواصوا كلهم بمذهب واحد في مهمات الأصول ، فضلاً عن نواذر
الفروع ، فهؤلاء الأئمة المعروفون في اليمن وعدد قليل من الجبل شاعت أقوالهم ،
وسارت الركبان بمذاهبهم كالناصر .

وفي الكثير منهم - وهم أهل الكوفة وما والاها - ذكر بعض العلماء جماعة كثيرة
زيدية من دعائهم ، وأهل اليمن لا يعرفونهم ولا يعرفون مقاتلهم ، وكذلك
الإدريسيون في المغرب فيهم كثرة ، وظاهرهم على مذهب مالك ، ثم من هذه الذرية
شافعية أو حنيفة في الفروع ، أشعرية في الأصول ، متظاهرون بذلك ؛ كالمحقق
السيد الشريف الجرجاني وغيره .

وفي المحدثين الكثير الطيب علماء مجتهدون منتسبون إلى المذاهب الأربعة ،
مُصَنَّفون فيها ، إذا طالعت كتب الرجال . . . عرفت ما يصفونهم به .

وبه نعرف أن الذي في الزيدية لا يزيدون عليهم وصفاً ولا عدداً ، وكل يدعي أنه
المقتفي لآبائه القدماء من أهل البيت علي والحسين ونحوهم رضي الله عنهم . . . إلخ
كلامه .

وكتب عليه القاضي إسماعيل بن مزاحم المجاهد بما حاصله : حصر الحق على
السادة الزيدية باليمن ؛ لأنهم هم الذين بقوا مع القرآن في قرن متبوعين لا تابعين .

وقال : ألا ترى لو أن أحد أهل البيت المقلدين لمالك قال : إن الكلب طاهر . .
لأنكر عليه الكل أن تكون هذه المقالة لأهل البيت . اهـ مختصراً بالمعنى

وأنا لا أرضى هذا الجواب ؛ لما فيه من تحجّر ، وليس الزيدية بفرقة واحدة ،
وإنما هم - كغيرهم - فيهم المغالون والمعتدلون ، وما أحسن ما فسر به الشوكاني
الفرقة الناجية من أنها : من كانت على هديه صلى الله عليه وآله وسلم في إثارة الحق
على ما سواه . أو ما يقرب هذا من معناه .

وَالْوَسْطُ هُوَ الْمَحْمُودُ ، وَعِنْدَهُ يَلْتَقِي شَأُو الْمُنْصِفِينَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ، وَقَبْلُنَا مَنْ أَمَّهَا . . لَا يُكْفَرُ .

وفي غيرِ هذا الموضع أَنَّهُ كَانَ لِلْعُلُوِّيِّينَ اتِّصَالٌ بِالسَّادَةِ الزَّيْدِيَّةِ إِلَّا أَنَّهُ تَلَاشَى بَعْدَ التَّمَذُّهِبِ حَتَّى جَدَّدَهُ اللَّهُ بِاتِّصَالِي بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى اللَّهِ يَحْيَى بْنِ مُحَمَّدٍ حَفَظَهُ اللَّهُ .

المبحثُ الثَّانِي :

لا نزاعَ فيما يُؤَثَّرُ عَنْ سَابِقِي الْعُلُوِّيِّينَ مِنَ الشَّهَامَةِ وَالْفِتْوَةِ وَالْكَرَمِ ، وَالْمَرْوَةِ وَالْجَاهِ وَالشَّرَفِ وَالسِّيَادَةِ ، وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالْعِبَادَةِ ، وَالنَّجْدَةِ وَالْتَوَاضِعِ وَالْوَرَعَ وَالْتَقْوَى ، وَالْأَخْذِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ بِالْغَايَاتِ الْقَصْوَى ، بَلْ كُلُّ ثَنَاءٍ مَقْصُرٌ عَنْهُمْ فِي هَذِهِ النَّوَاحِي .

وَجَاءَ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِ الْحَبِيبِ عَمَرِ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ أَنَّ الْمَشَائِخَ اسْتَنَكَرُوا الْعُلُوِّيِّينَ ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَائِمَهُمْ ، وَفِي كَلَامِ غَيْرِهِ : أَنَّ النَّاسَ أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ بَدِئِ الْأَمْرِ ، وَتَجَمَّعَ أَطْرَافُ الْكَلَامِ بِمَا اسْتَنْصَبَتْ عَلَيْهِ الْقَرَائِنُ مِنْ اسْتِنكَارِ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ لِلتَّخَالُفِ الْمُنْظَمِ إِلَى الْحَسِدِ ، وَلَكِنَّ الْعَامَّةَ - بِسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ وَنَشَائِهِمْ عَلَى الْفِطْرَةِ وَانْقِيَادِهِمْ بِسَوْقِ الطَّيِّعَةِ - أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ إِقْبَالاً عَظِيماً ، وَكَيْفَ لَا . . وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ عُرِفُوا مِنْ الْعِتْرَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَقَدْ قِيلَ^(١) :

يَقُولُونَ مَا بَالُ النَّصَارَى تُحِبُّهُمْ وَأَهْلُ الْكُفْرِ مِنْ أَعْرَابٍ وَأَعَاجِمٍ فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي لَأَحْسِبُ حُبَّهُمْ سَرَى فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ حَتَّى الْبَهَائِمِ

لَا سِيَّامَا وَقَدْ أَنْضَمَ إِلَى ذَلِكَ مَا يَسْتَجْهَرُ الْأَبْصَارَ وَالْبَصَائِرَ مِنَ الشَّرَفِ الْفَخْمِ وَالسُّودِدِ الضَّخْمِ ؛ فَقَدْ كَانَ الْأَمْرُ أَعْظَمَ مِمَّا يُتَصَوَّرُ ، وَإِنْ كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَلِيٍّ - صَاحِبُ مِرْبَاطٍ - لِيَخْفِرُ الْقَوَافِلَ مِنْ بَيْتِ جُبَيْرٍ إِلَى ظَفَارٍ ، بِمَا لَهُ مِنْ ضَخَامَةِ الْجَاهِ ، كَمَا ذَكَرَهُ الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ حَمِيدٍ عَنِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الْكُثَيْرِيِّ .

(١) البیتان من الطویل ، وهما لزینب بنت إسحاق النصرانی ، وهما فی « نفع الطیب » (٢ / ٨٤٤) .

وكانت القوافل ترحل من حضرموت إلى صنعاء في خفارة مسبحة سيدنا الشيخ عبد الله باعلوي كما رواه والدي عن الأستاذ الأبرر فيما جمعه من كلامه .

ولا شاهد بشيء من ذلك على التوسّع في العلم بأمارّة المشاهدة ؛ فأولو الجاء عند البوادي والعامة وغيرهم من مناصب حضرموت قديماً وحديثاً لا يتسبّب منهم إلى العلم إلا القليل ، فأرى أنّه مبالغ فيما يُنسب منه إلى الأسلاف الطيّبين .

فقد نقلوا عن « الياقوت الثمين » : (أنّ عبيد الله بن أحمد من أكابر العلماء) ، مع أنّهم لم يذكروا أثراً لعلمه إلا قراءته لـ « قوت القلوب » على مؤلفه ، وطننوا على ذلك بما دلّنا على أنّه لو كان هناك أثر أكبر منه . . لذكروه وكبروه ، على أنّ الذي في « المشرع » أنّه : (حجّ في سنة ٣٧٧هـ) ، وفي ذلك العام حجّ أبو طالب المكي ، فأخذ عنه مؤلفاته ، وسمع منه مروياته) اهـ

ولم يذكر أنّه قرأ عليه « قوت القلوب » . . ومعلوم أنّ وقت الحجّ لا يتسّع لغير مجرد الأخذ ، فأما قراءة « قوت القلوب » بحذافيره . . فلا بدّ لها من زمان طويل ، ثمّ إنّ مجرد قراءة « القوت » - بتسليمها - لا تستدعي التوسّع في العلم الشرعيّ ، بل ولا الاتّسام بسنّته ؛ إذ لا يُعطى من حفظ « قوت القلوب » وتعقله - فضلاً عمّن قرأه فقط - ممّا يوصى به للعلماء أو يوقّف عليهم .

وممّا يدلّك على تسامحهم في الثناء بالعلم : أنّ الشلّي وغيره ترجم للسيد عبد الله بن محمّد صاحب مرباط ، ووصفوه بالحفظ ، ثمّ لم يذكروا له أثراً من ذلك سوى إجازة له من القلعي^(١) في رواية « جامع الترمذي »^(٢) ، مع أنّ البخاريّ - كما

(١) هو الفقيه الإمام العلامة محمد بن علي القلعي الظفاري ، المتوفى سنة (٦٣٠هـ) . ينظر : « عقود الألباس » (٢٣٠) وما بعدها ، ومقدمة كتابه « تهذيب الرياسة » .

(٢) أورد السيد خرد في « الغرر » نصّ هذه الإجازة المؤرخة في (٥٧٥هـ) ، وهو رآها مكتوبة على ظهر الجزء الأول من « الترمذي » وهي للشريف عبد الله وللفقيه الإمام أبي القاسم بن فارس بن ماضي . ونصّها : (أجزت لهما « جامع أبي عيسى الترمذي » وغيره ، كتبه محمد بن علي القلعي) اهـ توفي الشريف عبد الله سنة (٥٩٢هـ) .

رواه غير واحد - يقول : (أَعْلَمَ أَنَّ الرَّجُلَ لَا يَصِيرُ مُحَدَّثًا كَامِلًا فِي الْحَدِيثِ . . إِلَّا أَنْ يَكْتَبَ أَرْبَعًا مَعَ أَرْبَعٍ ، كَأَرْبَعٍ مِثْلَ أَرْبَعٍ ، فِي أَرْبَعٍ عِنْدَ أَرْبَعٍ ، بِأَرْبَعٍ عَلَى أَرْبَعٍ ، عَنْ أَرْبَعٍ لِأَرْبَعٍ . وَكُلُّ هَذِهِ الرُّبَاعِيَّاتِ لَا تَتِمُّ إِلَّا بِأَرْبَعٍ مَعَ أَرْبَعٍ . .) إِلَى آخِرِهِ ^(١) ، مِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يَكْشِفَ مِنْ [ص ٢٨٤] « فِتَاوَى حَدِيثِيَّة » لابن حجر الهيتمي .

وَأُخْرَى ، وَهِيَ أَنَّ بَيْنَ أَيْدِينَا « الْبَرَقَةُ » وَ« عَقْدَةُ » سَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، وَقَدْ ذَكَرُوا عُمُودَ النَّسَبِ فَلَمْ يُطِئُوا فِي الثَّنَاءِ بِالْعِلْمِ إِلَّا عَلَى الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ وَصَاحِبِ مِرْبَاطٍ ، وَلَمْ يَصِفُوا وَالِدَ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ إِلَّا بِأَنَّهُ عَالِمٌ صَوْفِيٌّ .

وَأَقْتَصَرُوا فِي الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى عَلَى : (ذِي الْعَقْلِ الْكَبِيرِ ، وَالْقَلْبِ الْمُسْتَنِيرِ ، وَالْعِلْمِ الْغَزِيرِ) لِأَجْلِ السَّجْعِ ، وَلَوْ كَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ . . لَبَسَطُوا الْقَوْلَ فِيهِ ، كَمَا لَمْ يَذْكُرُوا وَلَدَهُ عُبَيْدَ اللَّهِ وَلَا مُحَمَّدًا صَاحِبَ الصَّوْمَعَةِ ، وَلَا عَلِيًّا الْغُرَيْضِيَّ ، وَلَا عَلِيًّا خَالَعَ قَسَمَ بَعْلَمٍ أَصْلًا .

وَأَضْجَعُوا الْقَوْلَ فِي وَصْفِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ وَعِيسَى بْنِ مُحَمَّدٍ بِالْعِلْمِ ، مَعَ إِطْنَابِهِمْ فِي فَضْلِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ ، عَلَى أَنَّنَا لَا نَنْسِي مَا نَقُلُهُ وَالَّذِي عَنْ سَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ عِيدَرُوسِ بْنِ عَمَرَ : أَنَّهُ زَارَ الْمَهَاجِرَ مَعَ الْعَلَامَةِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ ، فَقَالَ لَوْلِي لَهُ صَغِيرٌ - يُدْعَى مُحَمَّدَ الطَّاهِرِ - : تَدْرِي مَنْ هَذَا - يَعْنِي الْمَهَاجِرَ - يَا وَلَدِي ؟ فَقَالَ لَهُ : هَذَا الْمَهَاجِرُ ، أَفْضَلُ مَنْ فِي الْوَادِي عِلْمًا وَعَمَلًا وَقُرْبًا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؛ لِأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ قَدْ لَا يَرَادُ بِهِ كُلُّ ظَاهِرِهِ فِي تَبْصِيرِ الْأَوْلَادِ وَحُثِّهِمْ عَلَى الْاجْتِهَادِ .

وَسَيَأْتِي فِي تَرْيِمِ أَنَّ الطَّيِّبَ بِامْخَرَمَةِ لَمْ يَذْكُرْ فِقْهَهَا مِنَ الْعَلَوِيِّينَ إِلَّا الْفَقِيهِ الْمَقْدَمَ .

(١) ثُمَّ قَالَ الرَّاوي : فَهَالنِي قَوْلُهُ ، فَسَكْتُ مُتَفَكِّرًا ، وَأَطْرَقَتْ نَادِمًا . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنِّي . . قَالَ - أَي : الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ - : وَإِنْ لَا تَطُقُ احْتِمَالَ هَذِهِ الْمَشَاقِّ كُلِّهَا . . فَعَلَيْكَ بِالْفَقْهِ الَّذِي يُمْكِنُكَ تَعْلَمُهُ وَأَنْتَ فِي بَيْتِكَ ، قَارِ سَاكِنٌ ، لَا تَحْتَاجُ إِلَى بَعْدِ الْأَسْفَارِ ، وَوُطْءِ الدِّيَارِ ، وَرُكُوبِ الْبَحَارِ ، وَهُوَ مَعَ ذَا ثَمَرَةٍ الْحَدِيثِ . وَلَيْسَ ثَوَابُ الْفَقِيهِ بِدُونِ ثَوَابِ الْمُحَدِّثِ فِي الْآخِرَةِ ، وَلَا عِزُّهُ بِأَقْلٍ مِنْ عِزِّ الْمُحَدِّثِ . وَانْظُرْ هَذَا الْخَبَرَ بِطَوْلِهِ فِي « الْغِنَى » لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (ص ٦٨) ، وَ« الْإِلْمَاعُ » (ص ٢٩) .

وفي ترجمة علي بن الجديد من « تاريخ الجندی » : أَنَّهُ مِنْ أَشْرَافِ هُنَاكَ يُعْرَفُونَ بِأَبِي عَلَوِيٍّ ، بَيْتِ عِبَادَةٍ وَصَلَاحٍ ، عَلَى طَرِيقِ التَّصَوُّفِ ، وَفِيهِمْ فَقَهَاءُ يَأْتِي ذِكْرُ مَنْ أَتَحَقَّقُ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ومن مجموع ما سَفَنَاهُ مَعَ مَا سَبَقَ مِنْ مِبَالِغَةِ « الْعِقْدِ الثَّمِينِ » .. تعرفُ أَنَّ تِلْكَ الْمِبَالِغَاتِ - مِنْ غَيْرِ شَهَادَةِ الْآثَارِ - مَبْنِيَّةٌ عَلَى مِمَادِحِ الْعَنَاوِينَ الَّتِي لَا يَرَادُ مِنْ أَكْثَرِهَا إِلَّا مَجْرَدُ الثَّنَاءِ ، وَهُوَ شَيْءٌ مَعْرُوفٌ بَيْنَ النَّاسِ .

والثالثة : هِيَ : أَنَّ قَرِيشًا - وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ - أَنْصَرَفُوا لِتِلْكَ الْعَصُورِ عَنْ طَلِبِ الْعِلْمِ ؛ لِمَا فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْذُلِّ الَّذِي يَمْنَعُهُمُ الشَّرَفَ - بَعْدَ الطُّفُولِيَّةِ - عَنْ أَمْتِهَانِ أَنْفُسِهِمْ فِيهِ ، وَلِذَا قُلَّ مَا يَوْجَدُ الْعِلْمُ فِيهِمْ إِلَّا فِي التَّنْذِرِ ؛ كَأَبَاقِرٍ وَأَخِيهِ ، وَالصَّادِقِ وَأَبْنِهِ ، وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنَ عِيْسَى بْنِ زَيْدٍ ثُمَّ الْمُرْتَضَى وَأَخِيهِ وَالنَّاصِرَ لِلْحَقِّ مِنْ بَعْدِهِمْ .

وهناك دَسِيسٌ آخَرُ ، وَهُوَ : أَنَّ الْمُلُوكَ لَا يُنْصَفُونَ الْعُلَمَاءَ مِنْهُمْ ، وَلَا يُنْعَمُونَ بِهِمْ عِيُونًا ؛ لِأَنَّ لِلْعِلْمِ سُلْطَانًا فَوْقَ كُلِّ سُلْطَانِهِمْ ، فَلَا بَدَّ لِلْمُسْتَبَدِّ أَنْ يَسْتَحْقَرَ نَفْسَهُ - وَلَوْ فِي سِرِّهِ - كُلَّمَا وَقَعَتْ عَيْنُهُ عَلَى مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ سُلْطَانًا ، فَإِنْ أَضْطَرَّ إِلَى الْعِلْمِ .. اخْتَارَ الْمُتَصَاغِرَ الْمُتَمَلِّقَ .

وَإِذَا كَانَ الْأُمُورُ وَالْعَبَاسِيُّونَ يَطَارِدُونَ الْعُلَوِيِّينَ لِمَجْرَدِ بُسُوقِهِمْ فِي الشَّرَفِ ^(١) .. أَفْتَرَاهُمْ يَسْكُتُونَ عَنْهُمْ لَوْ جَمَعُوا إِلَيْهِ عِزَّةَ الْعِلْمِ وَسُلْطَانَ الْمَعْرِفَةِ ؟ هَذَا مَا لَا يُتَصَوَّرُ بِحَالٍ .

وقد أَخْرَجَ ابْنُ الصَّلَاحِ فِي « رَحْلَتِهِ » عَنِ الزُّهْرِيِّ ، قَالَ : (قَدِمْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنِ مَرْوَانَ . فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ مَكَّةَ . قَالَ : مَنْ يَسُودُ أَهْلَهَا ؟ قُلْتُ : عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ . قَالَ : مِنَ الْعَرَبِ هُوَ ؟ قُلْتُ : لَا ، بَلْ مِنَ الْأَمْوَالِيِّ . قَالَ : بِمَ سَادَهُمْ ؟ قُلْتُ : بِالذِّيَانَةِ وَالرَّوَايَةِ . قَالَ : فَمَنْ يَسُودُ أَهْلَ الْيَمَنِ ؟ قُلْتُ :

(١) البسوق : الطُّول ، وَهِيَ كُنَايَةٌ عَنِ الرَّفْعَةِ وَالشُّمُوءِ .

طاووسُ بنُ كيسانَ . فقالَ مِثْلَ قولِهِ الْأَوَّلِ . فأجبتُهُ بمِثْلِ قولِي في عطاءٍ . قالَ : فَمَنْ يسودُّ أهلَ مِصرَ ؟ قلتُ : يزيدُ بنُ أبي حبيبٍ . قالَ : فَمَنْ يسودُّ أهلَ دمشقَ ؟ قلتُ : مكحولٌ ، وهوَ عبدُ نوبيٍّ أعتقتهُ امرأةٌ مِنْ هذيلٍ . قالَ : فَمَنْ يسودُّ أهلَ الجزيرةِ ؟ قلتُ : ميمونُ بنُ مهرانٍ . قالَ : فَمَنْ يسودُّ أهلَ خراسانَ ؟ قلتُ : الضَّحَّاكُ بنُ مزاحمٍ . قالَ : فَمَنْ يسودُّ أهلَ البصرةِ ؟ قلتُ : الحسنُ بنُ أبي الحسنِ . وهوَ في كلِّ ذلكَ يسألُنِي مِثْلَ سؤَالِهِ عن عطاءٍ ، وأجيبُهُ بمِثْلِ جوابِي فيه ، حتَّى قالَ : مَنْ يسودُّ أهلَ الكوفةِ ؟ قلتُ : إبراهيمُ النَّخعيُّ .

قالَ : مِنْ العربِ أمْ مِنْ المِواليِ ؟ قلتُ : بلْ مِنْ العربِ . قالَ : ويليكَ يا زهريُّ ! فرَجَّتْ عَنِّي ، واللهُ لتَسودَنَّ المِواليِ حتَّى يُخطَبَ لَهَا على المنابرِ والعربُ مِنْ تحِتها . قلتُ : إنَّما هوَ أمرُ اللهِ ودينُهُ ، مَنْ حفظَهُ . . سادَ ، وَمَنْ ضيَّعَهُ . . سقطَ) اهـ مختصراً .

وما كانَ أبْنُ مروانَ ليجهَلَ حالَ أولئكَ ، وإنَّما هوَ من سَوَاقِ المَعلومِ مساقَ المَجهولِ ؛ لنكتةِ هيَ - فيما أُرَجِّحُ - قرَّةُ عينِهِ بأنصرافِ العربِ عَنِ العِلْمِ ؛ لِئَلَّا يستحقِرَ نَفْسُهُ في جانبِهِم ، خلافَ ما يتظاهِرُ بِهِ مِنْ قولِهِ : (فرَجَّتْ عَنِّي) ؛ إذْ لو كانَ أولئكَ مِنْ قريشٍ فضلاً عن أنْ يكونوا هاشميِّين . . لاستشاطَ غضباً ، وتأجَّجَ حسداً ، لاسيَّما وأشدُّ النَّاسِ حسداً هُمُ المَملوكُ كما قيلَ .

وما كانت قُريشٌ إذْ ذاكَ خاليةً مِنَ العِلْمِ ، ولكنَّهُم ضيَّقوا عليهمُ الأنفاسَ ، وأخذوا منهمُ بالمخنقِ ، وقد أشرتُ إلى شيءٍ مِنْ أنصرافِهِم عَنِ العِلْمِ أوائلَ « النِّجمِ المضيِّ في نقدِ عبقريةِ الرِّضي » .

وفي آخِرِ الجزءِ الْأَوَّلِ مِنْ « ألبیانِ والتَّبیینِ » للجاحظِ : أنَّ رجلاً مِنْ بني العباسِ قالَ : ليسَ ينبغِي للقرشيِّ أنْ يستغرقَ في شيءٍ مِنَ العِلْمِ إلَّا عِلْمَ الأخبارِ ، فأما غيرُ ذلكَ . . فالتَّنَفُّ والشَّدوُ مِنَ القولِ .

وفيه أيضاً : (أنَّ رجلاً مِنْ قريشٍ مرَّ بفتىٍّ مِنْ ولدِ عَتَّابِ بنِ أُسَيدٍ يقرأُ « كتابَ سيبويه » ، فقالَ : إنَّ لَكُمْ عِلْمَ الْمُؤدِّبِينَ وهَمَّةَ الْمُحتاجِينَ) .

وفيه: (قال ابن عتّاب: يكون الرجلُ نخويّاً عروضيّاً ، قساماً فرضيّاً ، حسنَ الكتابةِ جيّدَ الحسابِ ، حافظاً للقرآنِ ، راويةً للأشعارِ ، يرضى أن يُعلّمَ أولادنا بستينَ درهماً^(١)).

ومتى تقرّر أنحرافُ قريشٍ عنِ العِلْمِ لما يجلبه لها من تهضمِ الملوكِ ، ولأنّها تسودُ قبلَ أن تتفقّه . . فما كانَ العلويّونَ المهاجرونَ إلى حَضْرَمَوْتَ ليخرقوا عادتهمُ إلاّ بعدَ أن تُؤثّرَ فيهمُ الظُّروفُ ، وينطبّعوا بطابعِ الزّمانِ والمكانِ ، وتقهرهمُ العوائِدُ وتنتفي الموانعُ ، وربّما كانَ ذلكَ أواسطَ القرنِ السّابعِ ، معَ استثناءِ القليلِ فيما قبلَ ذلكَ .

وإنّما بقيَ العِلْمُ في السّادةِ الزّيديةِ بعدهم عنِ المدنيّةِ السُّومى ، وتصديقاً لوعِدِ النّبىِّ صلى الله عليه وآله وسلّم ، ولاشتراطِهِ للخلافةِ ، وهى لا تزالُ فيهم ، والنّاسُ على دينِ ملوكِهِم ، والسُّلطانُ سَوْقٌ يُجلبُ إليه ما يناسبُهُ ، ولهذا فلا بدّ أن تتفاوتَ أزمتهُم بحسَبِ رغباتِ خلفائِهِم فيه كثرةً وقلةً . ولهذا المبحثِ تكميلٌ - إن شاء الله - يأتي في تريم .

أما المبحثُ الثّالثُ :

فقد اتّسعَ فيه القولُ ، وتفتّحتْ شأبيبُ الكلامِ ، وسالت فيه عزالي البراهينِ والأدلةِ ، حتّى صارَ رسالةً فضفاضةً تستحقُّ أن تُسمّى : « سمومٌ ناجر لمن يعترضُ نسيمَ حاجر » ، ولا بأسَ أن نزيدَ هنا ما يتأكّدُ به بعضُ ما فيها وما في « النّسيم » معَ الاعتذارِ عمّا لا بدّ منه للفائدةِ من التّكرارِ .

قال سيّدِي الحبيبُ أحمدُ بنُ زين الحبشيّ في كتابِهِ « المسلِكُ السّويّ » : (ومن ثمّ لمّا ذهبت عنهمُ الخلافةُ الظّاهرةُ - لكونها صارتْ مُلكاً عضوضاً - ولذا لم تتمّ للحسنِ . . عوّضوا عنها بالخلافةِ الباطنةِ حتّى ذهبَ كثيرٌ من القومِ إلى أنّ قطبَ الأُولياءِ في كلّ زمانٍ لا يكونُ إلّا منهم) اهـ

ثمّ رأيتُ هذه العبارةَ عندَ الحفظيّ آخرَ كلامٍ نقلَ عن « صواعقِ ابنِ حجرٍ » [٤٢٦/٢] واللهُ أعلمُ .

(١) انظر « البيان والتبيين » (١ / ٢٠٨-٢٠٧) .

وقال في «المسلك السوي» أيضاً : (ولمبالغة الشافعي في تعظيمهم . . صرح بأنه من شيعتهم حتى نسبة الخوارج إلى الرفض) اهـ

وذكر الذهبي : أن والي اليمن كتب إلى العراق : إن كنتم لطاعة أهل اليمن أرسلتم الشافعي . . فإنه يعمل مع الطالبين للخروج ، فأرسلوا به إلى العراق مكبلاً بالحديد ، ومما قال حين أنهم بالرفض [من الكامل] :

إِنْ كَانَ رَفْضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي
وفي «المسلك» أيضاً عن الأستاذ الحداد أنه قال : (جاءني جماعة من علماء مكة يسألوني عن مذهبي ، فأردت أن أقول لهم : مذهبي الكتاب والسنة ، لكن حصلت مُحاذرة ؛ خوفاً عليهم من الإنكار .

وهذه إشارة إلى أنه مجتهد لا مُقلد ، وكثيراً ما أسمعه يقول عند المذاكرة في المسائل : وعندنا فيها رأي آخر ، لكن التمسك بمذهب الشافعي كافي) اهـ

ونقل عن الأستاذ أيضاً أنه قال : (أريت أصول أهل الأصول ، لكن يغلب علينا الرجاء حتى للمخالفين من الفرق . وهذه المسألة متصلة بالذوق ، ولا يمكن التعبير عنها ؛ لخفاء الحق فيها ، فلا يعلم إلا في الدار الآخرة .

وأدعى أناس أنهم حققوها ، ولم يظهر لنا ذلك ؛ لأن التدقيق لا تحيط به العبارة ، ولا بد أن يقع في الغلط من يُعبر عنها ؛ كقول الغزالي : ما في الإمكان أبدع مما كان) اهـ

وقوله : (حتى للمخالفين من الفرق) أي : الإسلامية ؛ لإجماعهم على تكفير من لم يدن بدين الإسلام - كما فصلناه في «السيف الحاد» - وكل من يعتقد بنجاة ملة غير الإسلام . . فهو كافر ، وقد حاول البهائيون - الذين ذكرهم فريد وجدي - أن يؤخِّدوا بين الأديان ، فوقعوا في شر من كفر اليهود قاتلهم الله أنى يوفكون . ومنهم القائلون بالإباحة من أهل الوحدة المطلقة الذين يعتقدون بأن الباري عز شأنه هذا الوجود الساري في الموجودات الظاهر فيها على اختلاف صورها وأنواعها بحسبها . . فهو في الماء ماء ، وفي النار نار ، وهو حقيقة كل شيء وماهيته ، ووجود كل موجود صغير

أو كبير ، خسيس أو شريف . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وليسَ منها كما قالَ سعدُ الدِّينِ التَّفْتَازانيُّ في « شرح المقاصدِ » أن يستغرقَ السَّالِكُ عندَ انتهاءِ سلوكِهِ في بحرِ التَّوْحِيدِ والعرفانِ بحيثُ تضمحلُّ ذاتهُ في ذاتِهِ ، وصفاتهُ في صفاتهِ ، ويغيبُ عن كلِّ ما سواه ، ولا يرى في الوجودِ إلَّا اللهَ ، وهذا مايسمُّونهُ : الفناءَ في التَّوْحِيدِ ، ويسمُّونهُ : الجمعَ أيضاً .

وغايةُ سيرِ السَّالِكِينَ . . فناءُ المريدِ عن نفسهِ ، ومنهُ يرجعُ إلى عالمِ المَلِكِ ، وهوَ الفرقُ الثَّاني ، والصَّحْوُ بعدَ المَحْوِ ، ويعبرُ عنه أيضاً : بأنصداعِ الجمعِ ، وبالفِرْقِ بعدَ الجمعِ ، وبظهورِ الكثرةِ في الوحدةِ ، ويعبرُ عنه أيضاً : بمحوِ المَحْوِ ، وبشهودِ الوحدةِ في الكثرةِ ، والكثرةِ في الوحدةِ ، وصاحبُ هذا المقامِ عندهم لا يحجبُهُ الحقُّ عن الخلقِ ، ولا الخلقُ عن الحقِّ ، وهوَ مقامُ إرشادِ المريدِينَ .

المبحثُ الرَّابِعُ :

جاءَ في (ص ٣٣ ج ١) مِنْ « المِشْرِعِ » : (أَنَّهُ كَانَ لِلْمُهَاجِرِ فِي الْوَعظِ لِسَانٌ فَصِيحٌ ، ثُمَّ لَمَّا اسْتَوْلَى أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى عَلَى أَقَالِيمِ الْعِرَاقِ . . أَتَى إِلَيْهِ وَوَعظَهُ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ، بِالْفَافِظِ فَصِيحَةٍ جَسِيمَةٍ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى تَرَكَ ذَلِكَ ، وَزَهَدَ فِيمَا هُنَالِكَ) اهـ

وفي (ص ١٣٩) مِنْ « الْبَرَقَةِ » : (أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عِيسَى اسْتَوْلَى عَلَى جِهَةِ مِنْ الْعِرَاقِ ، وَتَبَعَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَجَمٌّ غَفِيرٌ ، ثُمَّ تَرَكَ الْوِلَايَةَ زَاهِداً) اهـ

وبينَ الرَّوَايَتَيْنِ فَرْقٌ لَيْسَ بِالْيَسِيرِ ، وَقَدْ رَاجَعْتُ « كَامِلَ ابْنِ الْأَثِيرِ » وَ« تَارِيخَ ابْنِ خَلْدُونِ » . . فَلَمْ أَرَ لَخُرُوجِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى ذِكْراً ، وَلَوْ كَانَ كَمَا يَقُولُ صَاحِبُ « الْمِشْرِعِ » فِي شَمُولِ اسْتِيلَائِهِ لِلْعِرَاقِ . . لَذَكَرَهُ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْهُ . . كَانَ ذَلِكَ قَادِحاً فِيهِ ؛ لِأَنَّ الْخَبَرَ الَّذِي تَتَوَافَرُ الدَّوَاعِي عَلَى تَوَاتُرِهِ ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَّا الْأَحَادُ . . يَكُونُ مُرَدُوداً كَمَا قَرَّرَهُ أَهْلُ الْأَثَرِ ؛ فَإِنْ وُجِدَ لَهُ ذِكْرٌ فِي التَّارِيخِ ، وَإِلَّا . . فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْتَقَالَ نَظَرٌ إِلَيْهِ مِنْ زَيْدٍ بِنِ مُوسَى الْكَاطِمِ .

وقد كان زيدٌ هذا - كما عند ابنِ خلدون - من قُوَادِ أَبِي السَّرَايَا مُدَبَّرِ أَمْرِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، وكانَ أَبُو السَّرَايَا وَجَّهُ زَيْدَ بْنِ مُوسَى هَذَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَعَاتَ وَأَحْرَقَ خَلْقًا كَثِيرًا حَتَّى سَمَّوْهُ : زَيْدَ النَّارِ .

وفي (ص ٢٧١ ج ٣) من « تاريخ ابنِ خُلْكَانَ » : (وكانَ زَيْدُ بْنُ مُوسَى الْكَاطِمِ خَرَجَ بِالْبَصْرَةِ وَفَتَكَ بِأَهْلِهَا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْأَمَامُونَ أَخَاهُ عَلِيًّا الرُّضَا يَرُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ يَا زَيْدُ ؛ فَعَلْتَ بِالْمُسْلِمِينَ بِالْبَصْرَةِ مَا فَعَلْتَ وَتَزَعُمُ أَنَّكَ ابْنُ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ؟ وَاللَّهِ لِأَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَا زَيْدُ ، يَنْبَغِي لِمَنْ أَخَذَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُعْطِيَ بِهِ . فَبَلَغَ كَلَامُهُ الْأَمَامُونَ ، فَبَكَى وَقَالَ : هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَهْلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

قلتُ : وَآخِرُ هَذَا الْكَلَامِ مَأْخُودٌ مِنْ كَلَامِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ؛ فَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ إِذَا سَافَرَ . . كَتَمَ نَفْسَهُ ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَخَذَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا لَا أُعْطِي بِهِ) اهـ كَلَامُ ابْنِ خُلْكَانَ

أقولُ : وَمِثْلُهُ مَوْجُودٌ فِي خُطْبَةِ عَلِيِّ الرُّضَا يَوْمَ بَوَيْعِ لَهُ ، فَقَدْ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ حَقًّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا حَقٌّ بِهِ ، فَإِذَا أَدَيْتُمْ لَنَا ذَلِكَ . . وَجَبَ لَكُمْ عَلَيْنَا الْحَقُّ ، وَالسَّلَامُ .

الْمَبْحَثُ الْخَامِسُ :

أَشْتَبَهَ عَلِيٌّ وَقْتُ أَنْهَارِ سُدِّ سَنَا ، وَقَدْ رَأَيْتُ فِي مَنَاقِبِ الْحَبِيبِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ - تَأْلِيفُ الْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ سَقَّافِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْفَافِيِّ ، السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي السَّوْمِ - : (أَنَّ الْحَبِيبَ عَلِيًّا الْمَذْكُورَ أَجْتَمَعَ بِالسَّيِّدِ الْجَلِيلِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَرْتِفَاعِ قَبْرِ الْمُهَاجِرِ ، فَقَالَ : لَعَلَّهُ خَشِيةُ الشُّيُولِ السَّابِقَةِ الْهَائِلَةِ مَعَ عَدَمِ الْخَدِّ فِي الْأَرْضِ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَحْدُثْ إِلَّا بَعْدَ زَمَانٍ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ بِسَبِيلِ قَاحِشٍ ، الَّذِي أَخْبَرَ عَنْهُ فِي غَيْبَتِهِ ، قَالَ الْحَبِيبُ عَلِيٌّ : هَذَا هُوَ الَّذِي أَرَاهُ) اهـ بِمَعْنَاهُ وَفِيهِ إِشْكَالَاتٌ وَفَائِدَةٌ :

فَمِنْ الإِشْكَالَاتِ : أَنَّ الْحُسَيْسَةَ - وَهِيَ مَحَلُّ السُّكْنَى - لَمْ تَكُنْ بِذَلِكَ الارتفاع ولا بقرب منه ، وإنَّما كانت بِسَفْحِ الجبلِ وحضيضِهِ ، وآثارُها ظاهرةٌ بهِ إلى اليومِ . . فكيف يخافونَ على أَلَمِيتِ في قبرِهِ ما لا يخافونَهُ على الأحياءِ في دُورِهِم ؟!

ومِنْهَا : أَنَّهُ لَوْ كَانَ ماءُ السَّيْلِ الرَّاجِعِ عن سَدِّ سنا يصلُ ولو إلى ربعِ ارتفاعِ الموجودِ . . لأغرقَ شَباماً فضلاً عمَّا دونَهَا ، حَسَبَما قُلْنَا في الكَثرِ .

ومِنْهَا : أَنَّ تَريمَ ، وِبورَ ، وَتَنعَةَ ، وَالْعِجْزَ ، وَثُوبَهُ ، كانت موجودةٌ مِنْ قَبْلِ أنْهيارِ سَدِّ سنا ، وَلَوْ كَانَ رَجُعُ الماءِ عَنْهُ يَضُرُّهَا . . لَمَا أَمَكْنَ بِقاوُها .

وَأَمَّا الْفائِدَةُ الَّتِي لَمْ نَسْمَعْ بِهَا إِلَّا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ . . فَهِيَ : أَنَّ الْخَذَّ بِالْأَرْضِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مِنْ بَعْدِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ ، الْمتوفى سنة (٦٥٢ هـ) ، ومعلومٌ أَنَّهُ لَنْ يَكُونَ دَفْعَةً ، بَلْ بِالْتَدْرِيجِ ، فِي الَّذِي يَلِي السَّدَّ ، ثُمَّ فِي الَّذِي يَلِيهِ ، وَهَكَذَا كَمَا يَشْهَدُ لَهُ الْحِجْسُ ، فَمَسِيالَ سَرِّ الْوَأَقِعِ الْآنَ بَيْنَ الْحُسَيْسَةِ وَبُورَ لَا يَنْخَفِضُ الْآنَ عَنْ سَطْحِ الْأَرْضِ بِأَكْثَرِ مِنْ نَحْوِ سِتَّةِ أَذْرَعٍ . . إِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَقْلَى .

وَجَاءَ فِي « النُّورِ السَّافِرِ » [ص ١١٨] عَنْ تَريمَ أَنَّهَا كَانَتْ فِي قَدِيمِ الزَّمانِ عامرةً جَدًّا ، وَأَمَّا الْآنَ . . فَهِيَ ضَعِيفَةٌ إِلَى الْغَايَةِ ^(١) ، إِلَى أَنْ قَالَ : (وَالظَّاهِرُ أَنَّ سَبَبَ خَرَابِهَا سَيْلُ الْعَرَمِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَلَى سَبَأٍ ، فَأَنْقَطَعَتْ عَنْهَا أَلْمِياءُ الَّتِي كَانَتْ تَزْرَعُ عَلَيْهَا ، فَسَبَحَانَ مَنْ يُقَلِّبُ الْأُمُورَ) اهـ

وهذا أيضاً فيه فائدة وإشكال :

أَمَّا الْفائِدَةُ فَهِيَ : الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ حَضَرَ مَوْتَ كَانَتْ تَشْرَبُ مِنَ الْمِيَاهِ الْمَخْزُونَةِ بِسَدِّ مَأْرَبَ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا ذَكَرْتُهُ فِي « الْأَصْلِ » عَنْ الْخَزْرَجِيِّ وَ« شَرْحِ الْأَمْثَالِ » لِلْمِيدَانِيِّ ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَغْبِرُّ عَلَيْهِ مَا جَاءَ فِي « إِكْلِيلِ الْهَمْدَانِيِّ » (ص ٤٦ ج ٨) مِنْ قَوْلِهِ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

(١) مفاد الكلام هنا : أن تريم كانت عامرة - أي : بالزروع والنخيل - ولكنها ضعفت جداً في أواخر القرن العاشر ، زمن تأليف « النور السافر » .

وَجَتَّأَ مَأْرِبٍ مِنْ بَعْدِ ذَا مُثْلٍ وَالْعَرْشُ فِيهَا وَسَدٌّ وَسَطٌ وَادِيهَا
تُسْقَى بِهِ جَتَّأَهَا ثُمَّ بَعْدَهُمَا مَسَافَةُ الْخَمْسِ مَوْصُولًا لِيَالِيهَا
ولكن يجاب بأن المسافة من مأرب إلى الكسرة إنما هي أربع مراحل ، وهي لا
تستوفي الخمسة الأيام ، وإذا بقي لليالي مثلها . . بلغ سد سنا أو جاوزها ، فالأمر
قريب من بعضه .

وَأَمَّا الْإِشْكَالُ : فَإِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَصِلَ حَضْرَمَوْتُ مِنَ الضَّعْفِ إِلَى حَيْثُ ذَكَرَ مَا دَامَ
الماء ينبسط على الأرض كلها فتثت زروعها ، وتؤتي أكلها كما كانت أيام ملوك كندة
وملوك حضرموت ، وإنما تناهى بها الجذب والقحط من حين ظهور الأخدود ،
وأنقباض الماء عن أكثر الأرض ولم يكن ذلك إلا بعد ألفيه المقدم بزمان طويل ،
حتى إنه - مع تفارط الأيام - لم يصل إلى المسحرة بعد ؛ فهي لا تزال سالمة منه ،
والماء ينبسط فيها من الشمال إلى الجنوب .

وقد كان الإشكال في سد سنا أثقل علي من الطود العظيم ، وكلما التأم لي الكلام
عنه من جانب . . أنتشر من الآخر ، حتى أخبرني الأخ الفاضل عبد الرحمن بن
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب عن مشاهدة أن سد سنا طبعي من حجارة
رخوة ، يمازجها طين صلب ، شبه القارة الصغيرة ، يدفع الماء عن جانبيها المرتفعين
عن مستوى الأرض بنحو من ستة أذرع تقريباً ، ثم إن السيول جرفت تلك القارة
وحفرتها فصار الماء يجري في مكانها الذي خذه سيل قاحش وما بعده ، وأرتفع
جانباها اللذان كان عليهما يجري السيل - كما سنرسم صورته التي دفعها لي في موضعه
إن شاء الله^(١) - فلم يكن رجوع السيول عن ذلك السد الطبيعي بالفاحش حتى يكتسح
الأبلاذ ، ولكنه صغير يصد تيار الماء فقط ، فينبسط في كل ناحية ، ويسقي الناس منه
أراضيهم بدون أن يجرف في الأرض ؛ لأن أنبساطه يقلل من قوة جريه فلا يخذ في
الأرض ، وهذا هو المعقول ؛ فقد كانت الحصة التي يصلي عليها سيدنا عمر

(١) ستاتي الصورة في سنا .

المحضار بحاقّة نهر هود عليه السلام بارزة لعهدِهِ ، وما به بُعد عن عهدِ ألفقيه ، وليس ارتفاعُها عن النهرِ اليومَ بالفاحشِ ، مع تناهي الخدّ ، ولكِنَّه قريبٌ . ولهذا السَّببِ أنكرَ بعضُ الشُّيَاحِ الأَجانِبِ وجودَ هذا السَّدِّ رأساً ؛ لأنَّ ألوهَمَ يذهبُ بهم إلى ارتفاعِهِ ، فيتأملونَ ولا يجدونَ له أثراً ، فأنكروه . والحالُ أَنَّهُ كما وصفَهُ لي الأَخُ عبدُ الرَّحْمَنِ ابنُ شهابٍ .

وفي حدودِ سنة (١٣٣٩هـ) أشدَّ التَّزاعُ بينَ آلِ بورٍ وآلِ تاربه بشأنِ جبلِ الحُسيَّةِ ، وكلُّ أَدْعَى أَنَّهُ في حَدِّهِ ، فَلَهُ قَنَصُ صَيْدِهِ وإدارةُ ألْقَهْوَةِ وألْعُودِ في حفلاتِهِ العامَّةِ ، حتَّى عَطَلَتْ مراراً ، ثمَّ تواضعوا على أن لا يُدارَ شيءٌ خوفَ أَلْفِتْنَةٍ .

وما زالوا كذلك حتَّى أُقيمتَ جمعيَّةٌ يبتاوي لآلِ ألعيدروسِ ، كانَ من أغراضِها : الالتفاتُ إلى إصلاحِ ذاتِ بينهم .

وفي سنة (١٣٤١هـ) وافقَ آلُ ألعيدروسِ بحضرموتَ ، وصارَ الإِصلاحُ بينَ آلِ بورٍ وآلِ تاربه على أن لكلِّ منهم قَنَصَ الجبلِ ، وعلى أن خُدَامَهُم يشتركونَ فيما يُدارُ فيه .

تاربه

هي أرضٌ واسعةٌ ، فيها قرى كثيرةٌ ، أكثرُها عن يمينِ الأَذهابِ مِنْ سيئونَ وألْحُسيَّةِ في الطَّرِيقِ السُّلْطانيَّةِ^(١) - أو أَلْعَبَادِيَّةِ - إلى تريم ، وبعضُها عن يسارِهِ .

فأمَّا أَلَّتِي عن يمينِهِ : فأولُها قريةٌ يقالُ لها : السَّحِيلُ الْقِبْلِيُّ ، وكذلك يقالُ لها : سَحِيلُ بَدْرِ ، يَعْنُونَ بَدْرَ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ بَنِ عَمَرَ بَنِ بَدْرِ بوطويرق^(٢) .

وفي «الأَصْلِ» : أَنَّ أَلْمُلْكَ كَانَ لِأَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بَنِ عَمَرَ بَنِ بَدْرِ بوطويرق^(٣) ، فتنازَلَ عَنْهُ فِي سَنَةِ (١٠٢٤هـ) لِأَخِيهِ بَدْرِ بَنِ عَمَرَ ، وَلَكِنَّ بَدْرَ بَنِ عَبْدِ اللَّهِ هَذَا وَثَبَ

(١) الطريق السلطانية هي التي عبدها آل كثير لتصل السيارات بين سيئون وتريم .

(٢) المتوفى سنة (١٠٧٥هـ) . « تاريخ الدولة » (٧٤-٨٣) .

(٣) المتوفى بمكة سنة (١٠٤٥هـ) . « تاريخ الدولة » (٦٧-٦٨) .

في سنة (١٠٥٨ هـ) على عمه بدر بن عمر - وكان طغى وبغى - فجاءت نجدة الإمام المتوكل على الله إسماعيل فهزمته ، وردت الملك لعمه ، وألقى هو بنفسه في أحضان قائد الجيوش المتوكلية الصفي أحمد بن الحسن ، فأرسله إلى صنعاء ، فعفا عنه الإمام ، ثم عاد وأقام بسيئون إلى أن مات في سنة (١٠٧٥ هـ) ، كذاب «الأصل» .

والذي يظهر من هذا : أنه بعد رجوعه من صنعاء . . لم تطب نفسه بالمقام في سيئون على الذلة والمهانة بعد الملك والعزة ، وعز عليه أن يتوجع له صديق أو يشمت به عدو . . فأبتنى له داراً بهذا السحيل ، ولم يقيم بسيئون إلا ريثما عمّر الدار ، ثم عمّر شماله مسجداً لا يزال معموراً إلى اليوم ، وهو خارج عن سور السحيل القبلي ، ومع ذلك فإنهم يجتمعون فيه^(١) .

وحضن بدر ومسجده - حسبما يقول الشيخ المعمّر أحمد بن عبود الزبيدي - أول ما بُني بتاربه ، وما كانت قبل ذلك - إذا استثنينا سمل حسبما يعرف ممّا يأتي فيها - إلا مرعى وبعض خيام ينتجعها العوام إذا أجذب نجدهم وقلّ عليهم الماء فيه .

أما في وقت الخصب . . فإنهم لا يقنعون بتاربه في جنب خيراته الفائضة وأراضيه الخصبة وكان للعوام - في حاضرهم وباديهم - شهامة كما يقول حسن في « ديوانه » ٤٢٣ من الطويل :

لَنَا حَاضِرٌ فَعَمَّ وَيَادِ كَأَنَّهُ شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وَتَكْرُمًا^(٢)

ومن سگان السحيل هذا جماعة من ذرية السيد عیدروس بن سالم بن عمر بن الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ؛ منهم :

السيد صالح بن أحمد بن صالح . وأخوه سالم بن أحمد بن صالح .

فأما سالم . . فبقي بالسحيل إلى أن مات ، وخلف أولاداً ؛ منهم : السيد

(١) يجتمعون فيه : يصلون فيه الجمعة .

(٢) فعمّ كثير . شماريخ رضوى : أعاليه .

عبدُ الله بنُ سالم ، بقيَ بمكانِ أبيه ، إلاَّ أَنَّهُ يُكثِرُ التَّرَدُّدَ إِلَى سَيِّتُون . وفي سَنَةِ (١٣٦٤هـ) توفِّيَ بها لعشرٍ منَ رمضانَ .

وَأَمَّا السَّيِّدُ صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ : فَقَدْ أَنتَقَلَ إِلَى سَيِّتُون ، وكانت لَهُ يَدٌ في خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ الكَثِيرَةِ ، وَجَلَبَ الْعُسْكَرَ لَهُمْ مِنَ الصَّيْعِرِ ضِدَّ يَافِعٍ . توفِّيَ بسَيِّتُون^(١) ، وَلَهُ بِهَا أَوْلَادٌ .

أكبرُهم وأغناهم : السَّهْمُ الْغَيُورُ الْفَاضِلُ ، السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ ، جَمَعَ ثَرَوَةً منَ جَاوَةِ فَوَصَلَ فِيهَا الْأَرْحَامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَقْرَضَ الْمُحْتَاجِينَ ، وَأَعَانَ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، وَأَوْصَى بِمَا يُغْلُ نَحْوَ ثَمَانِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ رَبِيَّةً لِمِثْلِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ مِنَ الضِّيَافَةِ وَالْمَعْرُوفِ فِي حَيَاتِهِ ، وَكَانَ يُنْكِرُ الْخِرَافَاتِ وَالِدَّعَاوِي الْكَاذِبَةَ ، وَلَمَّا وَاطَبَ عَلَى حُضُورِ دُرُوسِي فِي « السَّمَائِلِ النَّبَوِيَّةِ » . . تَأَكَّدَ مَا بِخَاطِرِهِ مِنْ ذَلِكَ ، فَوَافَقَنِي عَلَى إِنْكَارِهَا وَصَارَحَ بِذَلِكَ ، فَلَحَقَهُ شَيْءٌ يَسِيرٌ مِنْ فُضُولِ مَا لِحَقَنِي مِنْ تَعْصِبِ عَشَاقِ الْجَاهِ الْمَنْفُوخِ ، وَالْوَلَايَةِ الْمَزِيْفَةِ ، مِنْهَا أَنَّهُ مِنَ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيِّ [من الكامل] :

حُجِّبُوا وَحَسِبُهُمْ الْحِجَابُ عَذَابٌ يَأْلَيْتُهُمْ سَمِعُوا أَلْنَدَا فَأَجَابُوا
وَالْقِيَاسُ : نَضَبُ (الْعَذَابِ) وَلَكِنَّهُ أَرْتَفَعَ .

ولولا اعتصامُهُ بِالثَّرْوَةِ - وَهِيَ الشَّافِعُ الْمَقْبُولُ فِي بِلَادِنَا - . . لَنَالَهُ مَا نَالَنِي أَوْ أَكْثَرُ .
توفِّيَ بسَيِّتُون سَنَةَ (١٣٤٩هـ)^(٢) ، وَرِثَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَدْبَاءِ سَيِّتُون وَشُعْرَائِهَا ؛ مِنْهُمْ : وَلَدُهُ الْكَجِيبُ صَالِحُ^(٣) ، وَالسَّيِّدُ عِيدْرُوسُ بْنُ سَالِمِ السَّوْمِ ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ شَيْخِ الْمَسَاوِي .

(١) سَنَةِ (١٢٩٩هـ) .

(٢) وَصَدَرَ كِتَابٌ صَغِيرٌ بِعَنْوَانِ : « فَقِيدُ سَيِّتُون » ، طُبِعَ بِجَاوَةِ ، اشْتَمَلَ عَلَى نَبْذَةٍ عَنْ حَيَاتِهِ وَالْمَرَاثِي الَّتِي قِيلَتْ فِيهِ .

(٣) صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ صَالِحِ الْحَامِدِ (١٣٤٢-١٣٨٧هـ) ، وَلَدَ بِسَيِّتُون ، وَتَرَبَّى فِي حَجَرِ وَالِدِهِ ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ عِنْدَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَادِرِ بَاحْمِيدَ ، وَتَفَقَّهُ عَلَى السَّيِّدِ الْعَلَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي السَّقَافِ ، وَتَتَلَمَّذَ =

وفي «مجموعة مراثيه» : أَنَّ لَهُ اتِّصَالاً بِالْعَلَامَةِ السَّيِّدِ شَيْخَانِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ .

وما أراه إلاَّ وهما ؛ لِأَنَّ السَّيِّدَ شَيْخَانَ تَوَفَّى فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ (١٣١٣ هـ) ،
وَالسَّيِّدَ عَلِيَّ بْنَ صَالِحٍ لَمْ يَعُدْ مِنْ جَاوَةِ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ بِأَكْثَرِ مِنْ سَتَيْنِ عَنْ غِيَةِ طَوِيلَةٍ ،
كَانَ فِي أَثْنَائِهَا اتِّصَالُ السَّيِّدِ شَيْخَانِ بِسَيِّثُونَ .

وبالسَّحِيلِ جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ الْحَبْشِيِّ ؛ مِنْ أَوَاخِرِهِمْ : السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الْحَبْشِيِّ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - أَصْحَابُ بَيْرِ الْمِيرِ الْوَاقِعَةِ فِي شَرْقِي هَذَا السَّحِيلِ
وِغَرْبِي بَاعِدِ اللَّهِ - وَطَهُهُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَأَخُوهُ عَبْدُ الْقَادِرِ ، وَكَانَتْ لِلثَّانِي ثُرُوءٌ جَمَعَهَا مِنْ
سِنَاغُورَةٍ ، وَلَكِنَّهَا تَلَاشَتْ أَوْ كَادَتْ ، وَكَانَ وَصَلَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ
السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ بُوْفَطِيمٍ شِجَارٌ ، فَشَجَّهُ حُسَيْنُ بْنُ أَحْمَدَ بُوْفَطِيمٍ فِي رَأْسِهِ شَجَّةً
مَنْكَرَةً ، فَذَهَبَ يَسْتَنْجِدُ بِالْعَلَامَةِ السَّيِّدِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَبْشِيِّ وَإِلَى أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ
الْحَبْشِيِّ . فَلَمْ يَنْفَعُهُ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ وَلَدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ اسْتَعَانَ بِبَعْضِ الْعَوَامِرِ ،
فَتَسَوَّرَ - وَهُمْ مَعَهُ - ذَاتَ لَيْلَةٍ عَلَى حُسَيْنِ بْنِ أَحْمَدَ وَضَرِبَهُ ضَرْباً مَبْرُحاً وَهُوَ إِلَى جَانِبِ
أَمْرَاتِهِ وَكَانَتْ حَامِلاً فَأَجْهَضَتْ وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتَهَا .

وَسَافَرَ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ وَلَدَهُ مُحَمَّدٌ إِلَى سِنَاغُورَةٍ .

ثُمَّ عَادَ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ عَلِيٍّ فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٣٠ هـ) إِلَى تَرْيَمٍ وَمَعَهُ أَهْلٌ
وَأَوْلَادٌ صَغَارٌ ، فَتَوَفَّى وَشَيْكَاً ، وَوَصَلَ وَلَدُهُ مُحَمَّدٌ إِلَى تَرْيَمٍ أَيْضاً فَأُودِيَ بِهَا ، فَعَادَ
إِلَى سِنَاغُورَةٍ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى مَالِ أَبِيهِ فِيهَا ، وَتَدَخَّلَ آلُ الْكَافِ - بِتَوْكِيلٍ مِنَ الْأَوْلَادِ
الْصَّغَارِ وَبَعْضِ النِّسَاءِ - وَسَعَوْا فِي حَبْسِ مُحَمَّدٍ ، فَحَبَسَتْهُ حُكُومَةُ سِنَاغُورَةٍ مَدَّةً ، ثُمَّ
أَطْلَقَتْهُ ، وَصَاحَ الشَّيْطَانُ فِي تِلْكَ الْكُرْكَةِ ، فَهَلَكَتْ وَهَلَكَ الْأَبْنَاءُ كُلُّهُمْ إِلَّا مُحَمَّدًا ،

لِلْمُؤَلِّفِ ، وَأَخَذَ فِي مَهْجَرِهِ عَنِ الْعَلَامَةِ الْإِمَامِ عَلَوِيِّ بْنِ طَاهِرِ الْحَدَّادِ . تَرَدَّدَ عَلَى بِلْدَانِ جَاوَةِ وَمِصْرَ
وَالْحَرَمَيْنِ ، وَكَانَ أَدِيباً مَطْبُوعاً ، نَشَرَتْ لَهُ الصُّحُفُ الْمِصْرِيَّةُ عِدَّةً مِنْ أَشْعَارِهِ ، وَمَقَالَاتِهِ التَّارِيخِيَّةِ
الْقِيَمَةُ ، لَهُ مَوْلاَتُ قِيَمَةٌ تَقْلِدُ عِدَّةً مِنَ الْمَنَاصِبِ الْكُبْرَى فِي حَضْرَمَوْتَ ؛ مِنْهَا : مَنَصِبُ مَفْتَشِ
الْمَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَعُضُوءٌ فِي مَحْكَمَةِ الاسْتِثْنَاءِ الْعُلْيَا ، فَمَفْتِياً رَسْمِيّاً لِلدَّوْلَةِ الْكُثْرِيَّةِ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ
فِي (٦) رَبِيعِ الْأَوَّلِ (١٣٨٧ هـ) بِسَيِّثُونَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ .

وهو أكبرهم ؛ فإنه لا يزال بسنغافورة إلى الآن .

ومنهم : العلامة السيّد عليّ بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمّد بن حسين الحبشي ، يجتمع مع السيّد عبد القادر بن عليّ في محمّد بن حسين الحبشي وجدّ بجاوة في حدود سنة (١٢٨٦ هـ) ، وخرج إلى حضرموت سنة (١٢٩٨ هـ) ، وأخذ عن أراكينها ، وأقام مدّة خمس سنوات ببور يطلب العلم ويتدّ إلى مدائن حضرموت للأخذ والتلقّي ، ثم عاد إلى جاوة وحجّ أربع مرّات : الأولى سنة (١٣١١ هـ) ، والثانية سنة (١٣٤٨ هـ) ، والثالثة سنة (١٣٥٤ هـ) ، والرابعة سنة (١٣٦٧ هـ) .

وبيني وبينه ودّ وإخاء ، ولبس منّي ولبست منه ، ولا يزال له بجاوة شأن عظيم ، وله لسان في الوعظ باللّغة الجاويّة ، وأنفع به خلائق ، وأسلم على يده كثير ، ولا يزال ناشراً الدّعوة إلى الله ، وأهل الرّابطة العلويّة ينتفعون بجاهه ، ويأخذون به إلى مساعدتهم بالحياء ، وإلاّ . فإنه لم يسلك فجّهم في التّفريق بين الحضارم ، وله تواضع وخلق حسن ، ودمعة غزيرة ، مدّ الله في حياته على خير .

وبالسّجيل أيضاً جماعة من المشايخ الزّبيديّين ، منهم : الشّيخ أحمد بن عبود بن عيسى بن عبد الله بن تميم الزّبيديّ ، كان عاقلاً ، أصيل الرّأي ، له يد في الطّب الحضرميّ ، يوافقه التّفوق في كثير من المعالجات ، توفيّ سنة (١٣٢٥ هـ) .

وأصلهم من حوطة سلطنة ، فانتقل جدّهم عبد الله بن تميم - من جورٍ حصل عليه من يافع - إلى عرض عبد الله ببور ، ثم انتقل إلى تاربه ، وحفر بها مئة وستين بئراً ، غرسها بالنّخيل ، والوثائق الموجودة بين آل تاربه ناطقة - حسبما يقال - بأنّ تلك الآبار لم تنتقل إلى ملائكتها إلّا بالشّراء منه ، أو من ورثته . وكان انتقاله إلى تاربه في حدود سنة (١٠٩٠ هـ) .

وبالسّجيل مسجد صغير ، بناه السيّد عبد الله بن سالم بن أحمد الحامد في جانبه الجنوبيّ - وهو غير جامع بدر الذي بالشّمال - وفيه جماعة من العوامر آل خميس ، كان بينهم في الوقت الأخير رجل له نجدة ووفاء ، يقال له : سالم بن عويّض ، قتل غيلة في حدود سنة (١٣٣٣ هـ) .

وفي جنوب السَّحِيلِ : حراد ، وهو موضعٌ بسفحِ جبلٍ ، فيه قريةٌ صغيرةٌ ، وأكثرُ أرضه إلى الآنَ لمقامِ الشَّيْخَةِ سلطانة بنتِ عليٍّ الزُّبَيْدِيَّةِ .

وسكَّانُهُ : آلُ سيفٍ مِنَ العوامِرِ ، ينتسبونَ إليها بالخدمةِ ، وكانَ فيهم رجالٌ يهابونَ العارَ ، ولا يُبالونَ طَعْنَ الكُفَّارِ ، لا تحُلُّ جِباهُمُ الخطوبُ ، ولا تَعْرِفُ وجوهُهُمُ القُطوبُ ؛ مِثْلُ الشَّيْخِ هادي بنِ سيفٍ ، فلقد كانَ ينطبقُ عليه قولُ لقيطٍ الأباديِّ [مِنَ البسيطِ] :

لَا يَمْلَأُ الْهَوْلُ قَلْبِي قَبْلَ مَوْقِعِهِ وَلَا أَضِيقُ بِهِ صَدْرًا إِذَا وَقَعَا
ولهُ ولابنهُ عليٍّ بنِ هادي ذِكْرٌ كثيرٌ في حروبِ الدَّوْلَةِ آلِ عبدِ اللهِ معَ القُعَيطِيِّ ويافع .
وفيهما ناسٌ مِنَ الحَرَّاثِيْنَ آلِ عبدِ الشَّيْخِ المُنْتَشِرِينَ بقرى تاربةٍ ونخيلها ؛ ومنهم
الرَّجُلُ الصَّالِحُ سالمُ عبدِ الشَّيْخِ ، لَهُ عَمَلٌ مبرورٌ ، وسعيٌّ مشكورٌ ، وتواضعٌ جَمٌّ مذكورٌ .

وفي جنوبِ حرادٍ : وادي عبدِ اللهِ بنِ سَلَمَانَ ، سَكَّانُهُ حَرَّاثُونَ . ثمَّ : حصنُ الدَّوْلَةِ آلِ جعفرِ بنِ أحمدَ .

ثمَّ : غنيمه ، وهي مسكنُ آلِ أحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ عليٍّ بنِ بدرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ بدرِ بوطويرق ، ولأحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ هَذَا أربعةُ أولادٍ : جعفرٌ ، وعبدُ اللهِ أنقرضا عن الذُّكُورِ . ومحسنُ بنُ أحمدَ ، وهو والدُ السُّلْطَانِ غالِبِ بنِ محسنٍ ، وأخيه عبدُ اللهِ . وعليُّ بنُ أحمدَ والدُ أصحابِ قِيطَعِ .

ولأحمدَ بنِ مُحَمَّدٍ هَذَا إِخْوَانُ أربعةُ : يقالُ لأَحَدِهِم : صالحُ بنُ مُحَمَّدٍ ، ولهُ أولادٌ ؛ منهم : السُّلْطَانُ عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، الشُّجَاعُ المَوْفُوقُ المَشْهُورُ . وللثَّانِي : سالمُ بنُ مُحَمَّدٍ ، والدُ عبودِ بنِ سالمٍ . وللثَّالِثِ : حسنُ بنُ مُحَمَّدٍ ، وهو جدُّ حسنِ بنِ عمرَ بنِ حسنِ بنِ مُحَمَّدٍ . وللرَّابِعِ : جعفرُ بنُ مُحَمَّدٍ ، وهو أبو سعيدِ بنِ جعفرٍ ، والدُ أحمدَ بنِ سعيدٍ ، وعليُّ بنِ جعفرٍ والدُ منصورِ بنِ عليٍّ .

ثمَّ إِنَّ أحمدَ بنَ مُحَمَّدٍ أو والدَهُ مُحَمَّدًا فارقَ غنيمه ، وسكنَ على مَقَرَّةٍ مِنْ قَارَةِ

الشَّناهِز ، وَكَانَ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ عَبْدِ الْوُدِّ ، فَصَهَرَ إِلَيْهِمْ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَبَقِيَ
يَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَيُخِيفُ السَّابِلَةَ حَتَّى تَابَ عَلَى يَدِ الْحَبِيبِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَحْمَدَ
الْعِيدْرُوسِ ، وَعَادَ بِأَمْرِهِ إِلَى وَادٍ فِي تَارِبِهِ ، وَلِهَذَا السَّبَبُ بَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ أَعْقَابِهِ
احْتِرَامٌ لآلِ إِسْمَاعِيلِ

وَمِنْ وَرَاءِ غَنِيمِهِ جَنُوبًا : غَيْلُ بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ بَدْرِ بُوَطُورِقَ ، وَعِنْدَهُ
أَثَارُ دِيَارٍ صَغِيرَةٍ .

وَمِنْ وَرَائِهِ : مَكَانٌ لآلِ خَمِيسٍ ، يُقَالُ لَهُ : حَرِيزٌ^(١) ، وَهُوَ مَنِيْعٌ عَيْنٍ مَاءٍ تَدْفَعُ
إِلَى غَيْلِ بَدْرِ .

سَحِيلُ مُحْسِنٍ ، وَعِنْدَمَا يَرْجِعُ الذَّاهِبُ مِنْ وَادِي تَارِبِهِ إِلَى جَهَةِ الشَّمَالِ . . يَجِدُ
دِيَارًا بِسَفْحِ الْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ ، فِيهَا جَامِعٌ كَبِيرٌ ، يُقَالُ لَتِلْكَ الدِّيَارِ : سَحِيلُ مُحْسِنٍ ،
نَسَبَةً إِلَى السَّيِّدِ مُحْسِنِ بْنِ حُسَيْنِ ابْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ . وَبِهَا كَانَ يَسْكُنُ الشَّيْخُ
أَبُو بَكْرُ بْنُ سَعِيدِ الزُّبَيْدِيِّ السَّالْفُ ذِكْرُهُ فِي حَوَاطِئِ سُلْطَانَةٍ .

وَمِنْ سَكَّانِهَا : آلُ عَبْدِ الْبَاقِي الْعَامِرِيُّونَ ؛ مِنْهُمْ : آلُ كَرْتَمَ ، كَانَ مِنْ آخِرِهِمْ :
الشَّيْخُ بِخَيْثُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَرْتَمَ ، رَجُلٌ لَهُ شَهَامَةٌ وَمُرُوءَةٌ .

وَمِنْهُمْ : نَاصِرُ بْنُ عَوْضِ بْنِ عَيْدٍ قَاتِلُ السَّيِّدِ بُوَبَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ظَلَمًا حَسَبَمَا
يَأْتِي قَرِيبًا فِي بَاعِدِ اللَّهِ ، وَلَهُ أَخٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ سِيرَةً ، وَأَصْفَاهُمْ سَرِيرَةً ، وَهُوَ
سَالِمِينَ بْنُ عَوْضٍ ، لَهُ أَعْمَالٌ مَشْكُورَةٌ ، مِنْهَا تَأْسِيسُ مَدْرَسَةِ الرِّيَاضَةِ الْعَرَبِيَّةِ
بِمَمْبَاسَا ، وَقِيَامُهُ بِمَصَالِحِهَا ، وَهُوَ الرَّئِيسُ الْأَوَّلُ لَهَا ، وَيَعَاوَنُهُ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ عَلِيٍّ
بَاكْتِيرٍ عَلَى التَّدْرِيسِ فِيهَا .

وَقَرِيبًا مِنْ سَحِيلِ مُحْسِنٍ كَانَ يَسْكُنُ الشَّيْخُ صَالِحُ بْنُ عَائِضِ بْنِ جَخِيرٍ وَأُسْرَتُهُ آلُ
جَخِيرٍ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ لَهَامِيمِ^(٢) الْعَرَبِ ، يَهَابُ اللَّوْمَ ، وَلَا يُبَالِي كَثُرَتْ أَمْ قَلَّتْ

(١) وَهُوَ غَيْرُ حَرِيزِ مَوْضِعِ الْكَسْرِ يَنْسَبُ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ ، وَفِيهِ أَمْلَاكٌ وَأَرَاضُ وَاسِعَةٌ لَهُ .

(٢) اللَّهَامِيمُ : السَّابِقُونَ فِي الْجُودِ ، مَفْرَدُهَا : لِهَامِيمٌ .

القوم ، يُغلي الكلام ، ويوفي الذمام ، وَقَلَّ أَنْ تُنَجَّبَ مِثْلُهُ الْأَيَّامُ ، لا ينام عن ثار ، ولا يعلق به العار .

أَخُو الْحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضَّهَا وَإِنْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا الْحَرْبُ شَمَرًا^(١)
ولهُ أخبارٌ جميلةٌ ، ذكرنا بعضها في «الأصل» . ولهُ محبةٌ في الصالحين وأهل العلم ، توفي حوالي سنة (١٣٣٣هـ) .

وفي شمالهم : ديارُ آلِ مطرفٍ مِنَ الحَطَّاطَةِ^(٢) ، كانَ لَهُم تعلقٌ بالسَّادَةِ آلِ خيله وأنتسابٌ إليهم بالخدمة .

ومنهم : عبودٌ ومحمدٌ أبنا سَلَامَةَ بْنِ مَطْرِفٍ ، كانت لَهُم ثروةٌ ، حتَّى إِنَّهُ يُذَكَّرُ أَنَّهُم أعانوا السُّلْطَانَ الْكَثِيرِيَّ في تجهيزِهِ على الشُّخْرِ سَنَةَ (١٢٨٣هـ) .

بَاعِدَ اللَّهِ

هو في شرقي السَّحِيلِ الْقِبْلِيِّ بيسيرٍ مِنَ الانعطافِ ، وهي عاصمَةُ تاربه ، ويقالُ لها : باعِدَ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ تَمِيمٍ باعَهَا في أَوَّلِ ما باعَ مِنْ أَرْضِ تاربه ، فقيلَ : باعَ عبدُ اللَّهِ ، ثُمَّ سَقَطَتِ الْعَيْنُ بِالتَّدرِيجِ وتداولتهُ الْأَلْسُنُ حتَّى صارَ عِلْمًا عليها ، ويتأَيَّدُ هذا بما سبقَ عن الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ تَمِيمٍ في السَّحِيلِ الْقِبْلِيِّ . وقيلَ : وعليهِ الْأَكْثَرُ ؛ لِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ تَدَيَّرَهَا مِنْ أَعقابِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - صاحبِ الطَّاقَةِ - ابنُ أَحْمَدَ بْنِ حُسَيْنِ الْعِيدروس . هو السَّيِّدُ الْجَلِيلُ عَلَوِيُّ بْنُ أَحْمَدَ ، وبها توفي سَنَةَ (١١١٩هـ) ، فنُسِبَتْ إِلَيْهِ - لِأَنَّ جَدَّهُ عَبْدَ اللَّهِ - أي : قريةُ ابنِ عبدِ اللَّهِ ، ومثلُ هذا ولا سِيَّما في دُوعَن كثيرٌ ، كذا سمعته وهو معقولٌ .

وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ آلُ عَمَرَ بْنِ زَيْنٍ ، وآلُ جَعْفَرٍ ، ومنهمُ : السَّيِّدُ بوبكرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَعْفَرٍ ، الْمَقْتُولُ ظُلْمًا بِجامِعِها لَيْلَةَ (٢٧) مِنْ رَمَضَانَ ، سَنَةَ (١٣٥٩هـ) ، قَتَلَهُ

(١) البيت من الطُّوبَلِ ، وهو لحاتم الطَّائِي في «ديوانه» (١٠٩) .

(٢) آل مطرف هؤلاء غير آلِ بِمَطْرِفِ القنازلة الكنديين السابق ذكرهم في المكلا والقطن .

ناصرُ بنُ عوضٍ أحدُ آلِ عبدِ الباقي والجامعُ مملوءٌ بالنَّاسِ وبيجماعاتٍ مِنْ كلِّ قبائلِ العوامِ ، وَلَمْ تَحِقِّقْ فِي ذَلِكَ شَأْ! والعوامرُ يعتذرونَ عن ذلكَ بأنَّ لیسَ لهم وجهٌ بعدما بَسَطَتْ نفوذَها علیهمُ الحُکومةُ الکثیریَّةُ بالقُوَّةِ الإنکلیزیَّةِ .

وقد هربَ القتالُ إلى نَجْدِ العوامِ حیثُ تزوَّجَ وتبَسَّطَ على الأمانِ ، وبقيَ یرتدُّ إلى دارِهِ بتاربه أَوَّلًا في السَّرِّ ، ثُمَّ تعالَّنَ في ذلكَ . ویقالُ : إِنَّ الحُکومةَ الکثیریَّةَ جَدَّتْ في طلبِهِ ، فلمَ تَقْدِرْ علیهِ ، ویأثرُ ذلكَ ركبَ إلى السَّواحِلِ الإفريقيَّةِ عن طریقِ سیحوت .

وَمِنْ ذَرِیَّتِهِ بها : آلُ محضارٍ ، وآلُ إسماعیلَ بنِ أحمدَ ، وهؤلاءِ هُمَ مناصِبُها وأمرؤها ، وكانَ لَهُمُ الضَّلَعُ الْأَقْوَى في الْفِتْنَةِ الَّتِي قامت بِتَريمَ سَنَةِ (١١٦١ هـ) بسببِ تابوتِ الْقُطْبِ الْحَدَّادِ ؛ فَإِنَّ آلَ عیدروسَ جَدُّوا في مَنَعِهِ ومَعَهُمُ آلُ جابرٍ ، وآلُ الْحَدَّادِ صَمَّمُوا على وَضْعِهِ ومَعَهُمُ آلُ كَثِيرٍ ومنصبُ الشَّيْخِ أَبِي بَكرٍ بنِ سالمٍ ، وأَمَّا يافعٌ . . فمفترقونَ ومواربونَ ، وكانتِ النَّتِيجَةُ أَنَّ التَّابوتَ وَضَعَ على قَبْرِ الْحَدَّادِ ثُمَّ أُحْرِقَ ، ثُمَّ رُمِيَ ، ثُمَّ وَضَعَ ، ثُمَّ أَزِيلَ ، ولذلكَ حَدِيثٌ طویلٌ مستوفى بـ « الْأَصْلِ » .

وَمِنْ آخِرِ مناصِبِ آلِ إسماعیلَ بنِ أحمدَ : الْمَنصِبُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بنُ حَسينٍ ، كانَ شَهِماً شجاعاً ، محبّاً للعلماءِ ، كثيرَ الْبِرِّ بِأَمِّهِ ، لَهُ مَعَ الْمَنصِبِ السَّيِّدِ عبدُ الْقادرِ بنِ سالمٍ مَداعِبُ ومفاكهاةٌ ، تشهدُ بِسلامَةِ الصُّدُورِ والبُعْدِ عَنِ التَّصَنُّعِ والتَّنَطُّعِ والتَّكَلُّفِ ، وكانَ بَيْنَهُ وبينَ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ السَّيِّدِ أَبِي بَكرٍ بنِ شَهابٍ مِشاحَنَةٌ يوسِّعُها الْعُلُوِّيُّونَ توسيعاً هائِلاً ؛ كِياداً لابنِ شَهابٍ وحسداً لَهُ ؛ إِذْ كانَ لِلْمَنصِبِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ حَسينٍ إِذْ ذاكَ نفوذٌ كبيرٌ على الدَّوْلَةِ آلِ عبدِ اللَّهِ بَسينونَ وتَريمَ ، وعلى آلِ جابرٍ وعلى كثيرٍ مِنَ العوامِ ، وضالَّةُ الْعُلُوِّيِّينَ إِذْ ذاكَ : أَذْيَةُ الْعَلَامَةِ أَبْنِ شَهابٍ ومُضايقَتُهُ وإِهانتُهُ ، فَأَذْكَوا نارَ الْعداوَةِ بَيْنَهُ وبينَ الْمَنصِبِ الْمَذْكَورِ حَتَّى لَحِقَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَذَى ، فلمَ يَكُنْ مِنَ أَبْنِ شَهابٍ إِلَّا أَنْ جاءَ ليلَةٌ بِخَفَّارَةٍ قَوِيَّةٍ إلى دارِ الشَّيْخِ أَبِي بَكرٍ بنِ سَعِيدِ الزُّبَيْدِيِّ في سَحيلِ محسِنٍ - وكانَ لَهُ صديقاً - وخَفَّاً مِنَ آخِرِ اللَّيْلِ إلى جامعِ بَاعِبدِ اللَّهِ حَيْثُ كانَ الْمَنصِبُ يَتَهَجَّدُ هُناكَ ، فتصافحا وتعانقا وتباكيا ، وأستحالتِ الصَّهْبَاءُ^(١) ، وصارَ الْمَنصِبُ مِنَ أَكْبَرِ أَصْدِقائِهِ

(١) استحالت : تحوَّلت . الصَّهْبَاءُ : الخمر . والمفعول محذوف معلوم بالضرورة ؛ أي : خلا . وفي =

العلامة ابن شهاب ، ورافقهما في سفرهما من حضر موت إلى الشحر ، ثم إلى عدن ، ثم إلى لَحَج .

توفي المنصب في سنة (١٣٢٥ هـ) ، وخلفه ولده محمد بن محمد ، وكان سليم البال أبيض السريرة ، توفي في سنة (١٣٤٩ هـ) .

وفي سنة (١٣٤٢ هـ) نشر الشر أذنيه بين آل تريم وآل العيدروس ، بسبب أن آل العيدروس أرادوا بناء حصن إلى جانب حصنهم المسمى بحصن العز ، في حد ثبي الشمالي ، فمنعهم آل تريم ، فغضب لذلك السيد علوي بن عبد الله بن حسين ووافقه أكثر آل العيدروس ، واشتعلت الفتنة ، ثم سويت القضية في سنة (١٣٤٤ هـ) على يد السيد حسين بن حامد المحضار ، ففضى بهدم بعض الحصن الجديد ، وإلى ذلك الإشارة بقصيدي المستهله بقولي [من الطويل] :

على العز ينيكي ملء عبرته الناعي هوى حصنه يا ويح بان وصناع
ولها قصة طريفة مستوفاة - مع أخبار تلك الحادثة - بـ « الأصل » ، وفي ديباجة القصيدة من الديوان .

توفي المنصب السيد محمد بن محمد بن حسين في سنة (١٣٥٤ هـ) ، وأختلف فيمن يتولّى بعده ، فالسلطان علي بن منصور رشح لها ابنه محمداً ، الملقب بـ : (الفاخري) ، وكان شهماً ، إلا أنه غائب بجاوة ، فأراد أن ينوب عنه أخوه إلى وصوله .

ولكن آل العيدروس أسندوا المنصب إلى السيد حسين بن عبد الله بن حسين العيدروس .

ثم لما توفي . . أسندوها إلى أخيه السيد محمد بن عبد الله بن حسين ، وهو الذي عليها اليوم ، إلا أنه ضعف نفوذهم - كما قدّمنا في بور - بمضايقة الحكومة لهم .

وفي باعبد الله جماعة من ذرية السيد أحمد بن علي بن الحسن ابن الشيخ أبي

= هذا كناية عن تبدل الأمر من السيء إلى الأحسن . كما تقول : تحوّلت الخمر خلاً .

بكر بن سالم ، يقال لَهُم : آلُ بوفَطيمَ ؛ مِنْهُمُ : السَّيِّدُ عمرُ بنُ سالمٍ^(١) ، وكانَ شَهِماً
غيوراً ، أَبِي الضَّيِّمِ ، قوِيَّ النَّفْسِ .

وكانتَ لَدَيْهِم ثَروَةٌ في أَلَمالٍ وألْرجالٍ ، فبدا لَهُم أَن يَتَبَنُوا مَسْجِداً بَفناءِ دُورِهِم
الضَّخْمَةِ في سَنَةِ (١٣٠٧ هـ) ، وَلَمَّا شَرَعُوا فِيهِ . . . مِنْعَهُمُ السَّادَةُ آلُ العِيدروسِ ،
وتَداعوا لِلقِتالِ وأَسْتَعانَ آلُ العِيدروسِ بِألٍ كَثِيرٍ ، وجاءَ الشَّيْخُ عائِضُ بنُ سالمينَ في
جَمْهَورٍ مِنْهُم بِصُورَةِ المُساعِدِينَ لَهُم ، وَلَمَّا وَصَلُوا تارِبَهُ . . . أَسْتَقْبَلَهُم أَحَدُ العَوامِرِ
الَّذِينَ في جَانِبِ آلِ بوفَطيمَ بِقَولِهِ :

حيا بِكم يا أَهلَ التَّكْفِ يا أَهلَ الطَّرَفِ يا أَللي تهابونَ المَعارِ
أَن لا تَقْدَى العِيدروسِي واعْتَرَفَ بِأَنحَرَقِ الوادِي بِنارِ
فقالَ عائِضُ : أَجيبُوهُ ، فَأجابَهُ سَعِيدُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ عمرَ بنِ عليٍّ - الَّذِي لا يَزالُ
حَتَّى الآنَ مَوجوداً - بِقَولِهِ :

يا حاز أَن بَخْزِيكَ يا ذِيبَ أَفتَنِي يا زاهِدَ المَعْنى وحَرَفَ الاِفتِكارِ
عُودَ الدَّقْلِ صاري مَعا غُبةَ قَمَرِ حافِظَ عَلى السَّنْبوقِ مِن دَقِّ القِشارِ
ثُمَّ إِنَّ آلَ بوفَطيمَ أَرَضُوا عائِضَ فَأَخَذَ يَهُوُّ عَلى آلِ العِيدروسِ بِأَن مَنَعَ بَنايَ مَسْجِدِ
مِنَ المَنكَراتِ - وَلم يَدِرِ حَكمَ ذَلِكَ الَّذِي قَرَرناهُ في « الأَصَلِ » - ثُمَّ إِنَّهُ أَنْصَرَفَ وَلم يَنفَعِ
آلَ العِيدروسِ بِشيءٍ ، وما زالَتِ القَضِيَّةُ تَتَعَقَّدُ حَتَّى تَوَسَّطَ سَيِّدِي الأُسْتادُ الأَبْرُ
عِيدروسُ بنُ عمرَ ، فَسَوَّى المَسالَةَ عَلى أَن يَكُونَ مَسْجِداً صَغيراً لا يَزِيدُ عَن عَمودينَ ،
فَسَكَنَ الشَّرُّ ، وَفَرَّغُوا مِن بَنايِهِ سَنَةَ (١٣٠٨ هـ) ، فَكانَ تارِيعُها : (مَسْجِدُ ضَرارِ) .
ثُمَّ نَجَمَ الشَّرُّ بَينَهُم مَرَّةً أُخْرى يَومَ العَيدِ في الجامِعِ ، فَتَضارَبُوا بِأَلعِصِي ، وَكانَ
ما فَصَّلناهُ بِـ « الأَصَلِ » .

ثُمَّ ضَعَفَ أَمْرُ آلِ بوفَطيمَ ، فَقَلَّتِ رِجالُهُم ، وَتَبَدَّدَتِ أُمُوالُهُم .
وَمِنَ اللَّطائِفِ : أَنَّ أَحَدَ الرُّعَماءِ مِنَ الأَعلَويِّينَ - بِمَرايَ مَنِيٍّ وَمِسمَعٍ - أَطالَ في

(١) ذَكَرَهُ العَلامةُ المَشْهُورُ في « الشَّمسِ » (١ / ٢٧٥) .

تَهْضُمُ آلُ بُو فُطَيْمٍ ، وَالْحَطُّ مِنْهُمْ بِحُضُورِ بَعْضِهِمْ ، فَأَنْبَرِيْتُ لَهُ وَقُلْتُ :
أَمَّا تَكُنِّي جَدَّهُمْ بَبُو فُطَيْمٍ فَشَرَفُ لَهُمْ ، وَقَدْ أَكْتَنِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
بِفَاطِمَةَ .

وَأَمَّا التَّصْغِيرُ . . فَمَا هُوَ إِلَّا أَدَبٌ مَعَ جَدَّهُمْ وَجَدَّتِهِمْ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ . فَأَنْقَطَعَ .
وَمِنْ وَرَاءِ بَاعِبَدَ اللَّهِ إِلَى جِهَةِ الشَّرْقِ عَنْ يَمِينِ الذَّاهِبِ إِلَى تَرِيمٍ أَيْضاً دَارٌ صَغِيرَةٌ لَّالٍ
كَلِيلَةٍ ، تَقَابِلُ دَارَهُمُ الْأُخْرَى الَّتِي عَنْ يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى تَرِيمٍ .
وَمِنْ وَرَائِهَا : دَارُ لَّالٍ بُو فُطَيْمٍ . وَمِنْ وَرَائِهَا : قَرْيَةُ شَرْمِهِ . وَأَمَّا عَنْ يَسَارِ
الْمُنْحَدِرِ إِلَى تَرِيمٍ : فَأَوَّلُ مَا يَكُونُ : مَكَانُ آلِ كَرْتَمٍ .

ثُمَّ : كَسَاخُ ، مَسَاكِنِ آلِ سَالِمٍ مِنَ الْحِطَّاطِيَّةِ . ثُمَّ : مَكَانُ آلِ غَرِيبٍ ، وَهُمْ وَآلُ
خَمِيسٍ أَهْلُ السَّحِيلِ الْقَبْلِيِّ يَنْتَسِبُونَ إِلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ . ثُمَّ : مَكَانُ آلِ جَعْفَرٍ .

وَقَدْ سَبَقَ فِي الْقَارَةِ أَنَّ شَبْلَ لَا يُطْلَقُ لِقَبِّ الشَّنَافِرِ إِلَّا عَلَى آلِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، وَقَدْ
تَشَكَّكْتُ هَلْ يَعْنِي آلَ الْقَارَةِ أَمْ الْعَوَامِرُ ؟ ثُمَّ رَجَّحْتُ الثَّانِي ، وَيَتَأَكَّدُ بِمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ
جَمَاعَةٌ مِنْ مَعْمَرِي الْعَوَامِرِ - تَلَقَّوْهُ عَنْ آبَائِهِمْ وَهَلَمَّ جَرَأً - مِنْهُمْ : الشَّيْخُ عَوْضُ بْنُ
رُبَيْعِ بْنِ سَيْفٍ ، وَنَاصِرُ بْنُ الضُّبِّ ، وَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَرِيبٍ - وَهُوَ : أَنَّ جَدَّهُمْ
عَاشَ مَعَ الْوَحُوشِ فَلَمْ يَعْرِفِ الْكَلَامَ ، وَمَا كَادَ أَهْلُهُ يَقْدُرُونَ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ لَأْيٍ مَا ،
وَعِنْدَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ . . أَمْسَكُوهُ ، وَمَا زَالُوا بِهِ حَتَّى أَنْسَ بِهِمْ ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى رَأَى
الْشَّنَّةَ^(١) أَنْشَقَّتْ فَقَالَ : (الْشَّنُّ أَنْفَرِي) ، وَلَمَّا كَانَتْ هِيَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ نَطَقَ بِهَا . .
أَطْلَقُوهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ غَيَّرُوهَا قَلِيلاً وَقَالُوا : (الشَّنْفَرِي) .

هَذَا هُوَ جَدُّ الْعَوَامِرِ ، وَفِيهِ رَدٌّ لِمَا طَرَقَ سَمْعِي أَخيراً عَنْ بَعْضِ الْمَجَلَّاتِ الْمَصْرِئَةِ
أَنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْكَلَامَ لُبُّعْدِهِ عَنِ النَّاسِ . . يَمُوتُ .

وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الْعَوَامِرُ مِنْ أَعْقَابِ سُمَلٍ الَّذِي صَهَرَ إِلَيْهِ جَدُّنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) الشَّنَّةُ : قَرْيَةُ الْمَاءِ .

أحمد ، وكان مثرى العوامر بالنَّجْدِ^(١) ، وكانوا منتشرين فيه وفي وبارٍ إلى أرضِ عُمَانَ ، ولا يزالُ بمشارفِ عُمَانَ - كما سبقَ في حصنِ العوانزه - منهمُ العددُ الكثيرُ إلى الآن .

وقد مرَّ أوائلُ هذهِ المسوَّدةِ أنَّ تاربه لم تكنْ إلا مراعيَ ينتجعُها العوامرُ إذا أجذبَ نَجْدُهُمْ ، ثُمَّ تحضَّرَ بعضُهم وأبتنوا بها الدِّيَارَ ، وشيَّدوا الحصونَ ، ولَهُمْ أقوالٌ في أنسابِهِمْ تُخالفُ ما ذكرَهُ غيرُهُمْ ؛ مِنْهَا : أنَّ رجلاً يقالُ لَهُ : مُحَمَّدٌ ، ولدَ أربعةَ رجالٍ :

الأوَّلُ : عبدُ اللَّهِ ، وهو جدُّ الدَّولةِ آلِ عبدِ اللَّهِ ، وآل عبدِ اللَّهِ العوينيينَ ، وهُم : آلُ منباري ، وآلُ جعفرِ بنِ بدرٍ .

والثَّاني : بدرٌ ، وهو جدُّ آلِ كثيرٍ ، ويؤيِّدُهُ إصفاقُهُمْ على أنَّهم آلُ بدرِ بنِ مُحَمَّدٍ .

والثَّالثُ : جابرٌ ، وهو جدُّ آلِ جابرٍ .

والرَّابِعُ : عامرٌ ، وهو جدُّ العوامرِ . وكانَ في العوامرِ كثرةٌ ، ولكنْ أخذتْ حاضرتُهُمُ الأسفارُ والحروبُ ، وباديتُهُمُ الجذوبُ والغاراتُ ، فلا يزيدُ أهلُ نَجْدِهِمْ عن مِئتينِ وخمسينَ رجلاً ، كما لا تزيدُ حاضرتُهُمْ عن مِئتينِ وعشرينَ رجلاً .

شُرْمَةٌ^(٢)

هي قريةُ الكسايِبِ مِنَ العوامرِ ، ولَهُمْ بها مسجدٌ يُجمَعُونَ فِيهِ .

وكانَ بالأخيرِ فِيهِمْ رجلٌ نَجْدٌ ثَقَّةٌ ، يقالُ لَهُ : هادي بنُ بِخَيْتٍ ، ثَقَلَ على بعضِ منافسيهِ رُجْحَانُ كَفْتِهِ عَلَيْهِ ، وأنضمَّ إلى ذلكَ أنَّ بعضَ أهلِ الثَّروةِ حملَهُ على قَتْلِهِ . فلمْ يَقْدِرْ ، فأغرى بِهِ ابنَ عَمٍّ لَهُ صغيراً فقتلَهُ على غِرَّةٍ ، ونضخَ دَمُهُ في ثيابِ أَحَدٍ الكسايِبِ ، فتقنَّعَ وأنكرَ مِنْ شهودِهِ القَتْلَ .

(١) نجد العوامر : يقع غربيَّ نجد المناهيل ، وشمال وادي حضرموت ، ويحدّه من غربه نجد الكثيري ،

وهو نجد قليل الخير ، ويقرب من خط الطول : (٤٩-١٢-٥٠) . « الشامل » (١٢٠-١٢١) .

(٢) تقع شمال شرق سينون ، على بعد (١٨ كم) ، وهي غير شرما التي بالساحل التابعة لمديرية الشحر .

وما كاد ولد هادي يبلغ الحنث إلا وأغرته أمه بأخذ ثاره ، فقتل قاتل أبيه ، وأقر بصنيعه العيون ، وأثلج الخواطر ، وقد أودى وحبس من جهة الحكومة بدون حق ، ثم أطلق .

والكسايب وإن كانوا قبيلة واحدة . فهم - كأكثر فرق العوامر - بيوت كثيرة ؛ منهم :

- آل كبرى : ولهم مساكن في شرمه ، وأخرى بسمل حوالي ضريح الإمام علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى ، ولهم هناك بساتين نخل حواليها ، فيها دور يخترفون فيها .

وأتفق أن تنازع في سنة (١٣٦٠ هـ) أمارك بن عمر بن كبرى وكرامة بن عيسى الدويل على قطعة أرض بمسيال سر ، حوالي الجبل الشمالي ، بإزاء شرمه الواقعة بسفح الجبل الجنوبي ، فالتقوا ذات يوم وتبادل بينهم إطلاق الرصاص ، فسقط أحدهم وهو أمارك بن عمر بن كبرى ميتاً ، وأنكر قتله آل الدويل ، وقالوا : إنما أصابته طلقة من أصحابه ، ولم يطلبوا صلحاً ، وتقدم آل كبرى بإعلان للعوامر بأن لا يعطوا خفيراً لآل الدويل ، ولكن الحطاطة لم يبالوا بهذا الإعلان .

وفي رمضان من سنة (١٣٦١ هـ) كان كرامة بن عيطة بن الدويل يمشي ومعه خفير من الحطاطية ، يقال له : سالم بن صالح بن حاضر ، فهجم عليهما آل كبرى وقتلوهما ، فغضبت الحطاطة لقتل ابن الدويل أكثر مما غضبوا لقتل صاحبهم ؛ لأن قتل الأول إلى جانب صاحبهم يلطخهم بالعار ، فأنذروا الكسايب بالحرب ، فبرؤوا من آل كبرى ، وبما أنه لا طاقة لآل كبرى بحفظ ديارهم في شرمه وسمل ؛ لقلتهم . ذهبوا إلى سمل وأخلوا ديارهم التي في شرمه بالنساء ؛ ثقة بأن الكسايب وإن تبرؤوا منهم لن يخفروا ذمتهم بتمكين الحطاطة من ديارهم التي بين ظهرانهم ليس فيها إلا نساؤهم ؛ لأن ذلك من أكبر أعار بين القبائل ، ولكن الكسايب لم يبالوا بشيء من ذلك ، فهجم الحطاطة على ديار آل كبرى بين الكسايب ، وطردوا النساء ، ونهبوها ، ثم أحرقوها .

ويأثر ذلك توسط بينهم أحد آل تميم - وهو سليمان بن عبد الله بن سليمان - فأبى الحطاطة من بذل الصلح في قتلهم سالم بن صالح بن حاضر حتى يغسل آل كبرى

الْعَارَ الَّذِي أَلْصَقُوهُ بِالْحَطَاطِبَةِ بِخَفَرِ ذِمَّةِ صَاحِبِهِمْ ، وَكَانَ لآلِ كَبْرِى طَمَعٌ فِي مَالِ
أَمْبَارِكِ بْنِ عَمْرِ بْنِ كَبْرِى ، وَلَمْ يَنْقُ لَهُ إِلَّا وَلَدٌ وَاحِدٌ ، فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُلْقُوا عَلَيْهِ
الْقَبْضَ وَيَقْتُلُوهُ صَبْرًا ، وَبِذَلِكَ تَجَلَّلَ الْكَسَائِبُ بِأَسْرِهِمْ خَزِيًا وَإِثْمًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

سُمَل (١)

جاءَ في ترجمةِ الْفَاضِلِ الْجَلِيلِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ مِنْ « شَرْحِ الْعَيْنِيَّةِ » [١٣٥] ما
نَصَّهُ : (وَهُوَ الَّذِي خَلَفَ أَبَاهُ زَهْدًا وَعِلْمًا وَعِبَادَةً ، وَارْتَحَلَ بَعْدَ وَالِدِهِ إِلَى سُمَل ،
وَوَهَبَ أَرْضَ صَوَحَ لِمَوْلَاهُ جَعْفَرِ بْنِ مَخْدَمٍ ، وَأَسْتَوطنَ بِقَرْيَةِ سُمَل ، وَاشْتَرَى بِهَا
أَمْوَالًا ، وَتَزَوَّجَ بِابْنَةِ سُمَل ، وَأَوْلَدَهَا ابْنُهُ جَدِيدًا ، وَتَوَفَّى بِسُمَل فِي سَنَةِ (٣٨٣ هـ) ،
وَرثَاهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُدْبَاءِ ، وَلِلْمَتَأَخِّرِينَ مَدَائِحُ فِيهِ كَثِيرَةٌ) اهـ

وَلَوْ أَنَّهُ تَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِنَسَبِ سُمَل ، وَذَكَرَ لَنَا مَرَاتِي بَعْضُ أَدْبَاءِ ذَلِكَ الْعَصْرِ فِيهِ . .
لَتَوَفَّرَ لِلتَّارِيخِ مِنْهُ فَوَائِدُ جَلِيلَةٌ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ ، وَلَيْسَ فِي أَيْدِينَا إِلَّا مَا حَصَلَ .

وَقَالَ فِي « شَمْسِ الظَّهِيرَةِ » [٧١ / ١] : (وَقَبُرَ عَلَوِيُّ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بِسُمَل ، وَأَمَّا قَبْرُ
أَبِيهِ . . فَبَعْضُ بَورٍ ، وَقِيلَ : بِسُمَل) اهـ بِمَعْنَاهُ

وَفِي كَوْنِ قَبْرِهِ بَعْضُ عَبْدِ اللَّهِ بَبُورٍ ، مَعَ أَنَّ وَفَاتَهُ بِسُمَل . . إِشْكَالٌ قَوِيٌّ ، وَلِهَذَا
يَتَرَجَّعُ دَفْنُهُ بِسُمَل وَأَنَّ الَّذِي بـ (بَعْضُ عَبْدِ اللَّهِ) لَيْسَ إِلَّا مُشْهَدًا لَهُ ، عَلَى مَا يَفْعَلُهُ
الْجَهْلَةُ بِحَضْرَمَوْتَ .

وَلِعُبَيْدِ اللَّهِ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ : بَصْرِيٌّ ، وَلَمْ يُذَكَّرْ مُحَلُّ وَلَادَتِهِ ، وَعَلَوِيُّ وَجَدِيدٌ وَلَدَا
بِحَضْرَمَوْتَ ، وَكَانَتْ وَفَاةُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ بِسُمَل ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ تَارِيخُ وَفَاتِهِمْ .

وَفِي كَلَامِ « شَرْحِ الْعَيْنِيَّةِ » بَعْضُ التَّنَاقُضِ عَنْ وَلَادَتِهِمْ ؛ فَفِي (ص ٢٢٣) مِنْهُ
يَقُولُ : (وَخَرَجَ سَيِّدُنَا الْمَهَاجِرُ أَحْمَدُ بْنُ عَيْسَى وَمَعَهُ وَلَدُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ ، وَأَوْلَادُهُ
الْثَّلَاثَةُ : عَلَوِيُّ ، وَبَصْرِيٌّ ، وَجَدِيدٌ ، إِلَى وَادِي حَضْرَمَوْتَ) اهـ

(١) تبعد عن تريم نحو (٩ كم) .

وفي (ص ٢٣٢) يقول : (إِنَّ عَلَوِيَّ بْنَ عبيدِ اللَّهِ وَلَدَ بِحَضْرَمَوْتَ) .
 وجاءَ في (ص ٢٣٥) : (أَنَّ بَصْرِيًّا شَقِيقَ عَلَوِيٍّ أُمُّهُمَا بِنْتُ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى ، تُدْعَى أُمَّ الْبَنِينَ) .
 وفي (ص ٢٣٩) : (أَنَّ جَدِيداً وَلَدَ بِحَضْرَمَوْتَ ، وَلِهَذَا سُمِّيَ جَدِيداً ؛ لِتَجَدُّدِهِ بَعْدَ الْكُفْرِ ، وَأُمُّهُ أُمُّ وَلَدٍ) اهـ .
 وقوله : (إِنَّ أُمَّهُ أُمُّ وَلَدٍ) مُخَالَفٌ لِمَا سَبَقَ مِنْ أَنَّهَا بِنْتُ سَمَلٍ .
 وليسَ لِعلويِّ بنِ عبيدِ اللَّهِ إِلَّا ابْنٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ : مُحَمَّدٌ^(١) ، وَقَدْ بَقِيَ هُوَ وَبَنُو عَمِّهِ بَصْرِيٌّ وَجَدِيدٌ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَانِ بِقَرِيَةِ سَمَلٍ ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا إِلَى بَيْتِ جُبَيْرٍ كَمَا فِي « مَشْرِعِ الشَّلِيِّ » وَ« شَرْحِ أَلْعَيْنَةِ » وَغَيْرِهِمَا .
 وَقَبْرُ الْإِمَامِ عَلَوِيِّ بْنِ عبيدِ اللَّهِ لَا يَزَالُ مَعْرُوفاً بِسَمَلٍ إِلَى الْآنَ ، وَأَمَّا قَبْرُ جَدِيدٍ . . . فَلَا يُعْرَفُ ، وَقَدْ قِيلَ : إِنَّهُ انْتَقَلَ فِي حَيَاتِهِ إِلَى بَيْتِ جُبَيْرٍ .

قَارَةُ الشَّناهِزِ

قَالَ فِي « الْقَامُوسِ » : (الشَّناهُزُ قَلْعَةٌ بِحَضْرَمَوْتَ) . قَالَ شَارِحُهُ :
 (وَالصَّوَابُ : قَارَةُ الشَّناهِزِ ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ عِنْدَهُمْ) اهـ .
 وَهِيَ مَبَانٍ عَلَى قَارَةٍ فَارِدَةٍ لَهَا ثَلَاثَةُ رُؤُوسٍ ، فِي جَنُوبِهَا جَبَلٌ ، بِسَفْحِهِ قَرْيَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا . كَانَ مِنْ سُكَّانِهَا : السَّيِّدُ طَلَّةُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ شَيْخِ بْنِ يَخْيَى ، وَبِهَا كَانَتْ وَفَاتُهُ .
 وَحَوَالِيهَا مَزَارِعٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِلَيْهَا يَنْسَبُ جَمَاعَةٌ مِنَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَقَدْ اجْتَمَعَ بِهَا - حَسْبَمَا سَمِعْتُ مِنْ ثِقَاتِ الْأَشْيَاخِ - خَمْسُونَ حَافِظاً لِكِتَابِ اللَّهِ .
 وَفِي « شَمْسِ الظَّهْيَةِ » [٥٦٦ / ٢] : أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ - صَاحِبَ مَسْجِدِ بَابُطَيْنَةَ - ابْنَ أَحْمَدَ بْنِ عَلَوِيٍّ ، عَمُّ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ لَهُ أَرْبَعَةُ بَنُونَ . مِنْهُمْ : عَمْرُ أَحْمَرُ الْعَيُونِ بْنُ

(١) محمد بن علوي ، ولد سنة (٣٩٠ هـ) بِسَمَلٍ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى بَيْتِ جُبَيْرٍ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِهَا سَنَةً (٤٤٦ هـ) ، عَنْ (٥٦) عَاماً . « تَعْلِيقَاتُ ضِيَاءِ شَهَابٍ » (٧٠ / ١) .

عبد الرحمن ، مِنْ عَقِبِهِ آلُ النَّضِيرِ بِمَقْدُشُوهِ^(١) ، وَيُقَالُ لَهُ : الصَّنْهَجِيُّ ، أَوْ الشَّنْهَزِيُّ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُ مِنْ صَنْهَاجَةَ ، مِنَ الْقَارَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وَجَدُّ آلِ النَّضِيرِ هُوَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ أَحْمَرَ الْعَيُونِ - الثَّانِي - ابْنِ مُحَمَّدٍ النَّضِيرِ - سُمِّيَ بِذَلِكَ لِفَرَطِ جَمَالِهِ - ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ وَهُوَ أَحْمَرُ الْعَيُونِ الْأَوَّلُ .

وقد هاجرَ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ أَحْمَرَ الْعَيُونِ الثَّانِي مِنْ تَرِيمٍ - فِي الْأَلْفِ مِنَ الْهَجْرَةِ - إِلَى مَرِبَاطٍ ، ثُمَّ إِلَى الشُّحْرِ ، وَتَزَوَّجَ وَأَوْلَدَ فِيهَا وَلَدًا سَمَّاهُ عَلَوِيًّا ، وَثُمَّ رَكِبَ إِلَى مَقْدُشُوهِ ، وَوَصَلَهَا فِي سَنَةِ (١٠٠٣هـ) ، وَتَوَفَّى بِقَرْيَةٍ فِي السَّوَاخِلِ سَنَةَ (١٠٢٧هـ) ، وَلَهُ أَعْقَابٌ ، بِالسَّوَاخِلِ وَسِيلَانَ وَبَرْنِيوَ وَسُورَةَ وَمَقْدُشُوهِ .

وفِيهَا مِنْهُمْ الْآنَ : الْفَاضِلُ النَّبِيُّ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عِيدْرُوسِ النَّضِيرِيِّ ، لَهُ سِيرَةٌ حَسَنَةٌ ، وَخِدْمَةٌ لِلْجَنَابِ الْمَصْطَفَوِيِّ ، وَدَعْوَةٌ إِلَى مُحَبَّتِهِ وَالْإِعْتَصَامِ بِسُنَّتِهِ ، وَلَهُ وَجَاهَةٌ تَامَّةٌ ، وَعِنْدَهُ وَلَدٌ مُبَارَكٌ ، هُوَ : عِيدْرُوسُ بْنُ عَلِيٍّ النَّضِيرِيِّ ، يَشُدُّ أَرْزَ أَبِيهِ وَيُسَاعِدُهُ عَلَى مَقَاصِدِهِ الْحَسَنَةِ ، إِلَّا أَنَّهُ اتَّفَقَ بِالْآخِرَةِ أَنْ طَعَى الصُّومَالِيِّينَ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْأَسْلِحَةِ عَلَى الْعَرَبِ بِمَقْدُشُوهِ وَهُمْ عُزِّلَ ، فَأَنهَالُوا عَلَيْهِمْ قَتْلًا وَنَهَبًا ، وَكَانَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ مَمَّنْ شَايَعَ الصُّومَالِيِّينَ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهِ فَجَفَوْهُ ، وَكَادَتْ أَنْ تَتَلَاشَى بَيْنَهُمْ وَجَاهَتُهُ الْكَبِيرَةُ ، وَعَلَّ لَهُ عَذْرًا وَنَحْنُ نَلُومُ !

وَمِنْهُمْ : عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الشَّنْهَزِيِّ ، وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ ذَكَرْتُ أَحْمَرَ الْعَيُونِ وَأَعْقَابَهُ ، وَهُمْ وَالْقَطْبُ الْحَدَّادُ وَالسَّادَةُ آلُ الشُّمَيْطِ يَرْجِعُونَ إِلَى جَدِّ وَاحِدٍ حَسَبًا سَبَقَ فِي الْحَزَمِ .

وقد أَصْفَقَ مَوْزَخُو حَضْرَمَوْتَ عَلَى بِنَاءِ الْقَارَةِ وَخَرَابِ كُخْلَانَ سَنَةَ (٦٠٤هـ) ،

(١) لقب أحمر العيون قال عنه في « المعجم اللطيف » : (لقب يستعمل لكل من عرف بالنجابة والذكاء والإقدام ، فيقال : فلان أحمر عين ، وأحمر العيون وأكثر ما تستعمله العامة فيما ذكرته ، ويحتمل أن يكون أحمر العيون خلقياً أو لعارض . ولكن الخلقي يدل على ما ذكرته . وكانت العرب تتغالى في الإبل الحمر الحديق ؛ لأنها من أحسن أنواع الإبل ، وفي بعض قبائل البادية المعروفين بالشجاعة توجد حمرة في أحداقهم) اهـ

وما أظنّها إلا هذه القارة ، بأمارة قُربها من كُحلان ، أمّا قارة العُزّ السّابق ذكرُها . . فلا تُذكرُ مطلقةً وإنّما تُذكرُ مقيّدةً بالعُزّ ، وقد سبق أنّ ابنَ مهديّ أعادَ عمارتها في سنة (٦١٩ هـ) ، فيبعدُ أنّ تكونَ هي المرادة ، وكذلك لا يُمكنُ أنّ تكونَ قارة العُزّ - بالمعجمة - إلّا في ذكرُها ؛ لأنّها لم تُبنَ إلّا في سنة (٨٤٢ هـ) .

وعمارَةُ قارة الشّناهِزِ بالتّاريخِ المُتقدّمِ لم يَكُنْ بأوّلِ وجودها ، بل كانَ تجديدًا ، وإلّا . . فهي من أيّامِ الجاهليّةِ ، بل من الدّيارِ العاديّةِ^(١) .

وعنِ العلّامةِ البصيرِ السيّدِ أحمدَ بنِ حُسينِ العُطّاسِ : (أنّ أوّلَ مَنْ بناها جُشيبُ بنُ شلّهَمَ بنِ شِماخٍ) اهـ

ولعلّهُ انتَقَلَ فِكرَ إليها عن قارة جُشيبِ الواقعةِ على مقربةٍ من بور .

ومقبرةُ قارةِ الشّناهِزِ مشهورةٌ بكثرةِ الأُولياءِ والصّالحينَ ، وممّا يكادُ يتواترُ أنّه يُسمعُ من تربتها أذانٌ من آخرِ كلّ ليلةٍ جمعةٍ إلى اليومِ .

وفي حوادثِ سنة (٥٩٥ هـ) حُصرتِ الشّناهِزُ تَريمَ ، وفي سنة (٥٩٨ هـ) كانت واقعةُ الشّناهِزِ ونهْدٍ في رمضانَ ، واختلّفتِ آراؤُهُم .

وفي آخرِ الشّهرِ وقعتِ الشّناهِزُ على نَهْدٍ فأخذوا فريقاً منهم ، وقتلَ فيها يزيدُ بنُ يزيدَ .

وفي « تاريخِ باسراحيلى » : (أنّ حَضَرَ مَوْتَ الكَسْرِ وشِباءَ والشّناهِزِ تجمّعوا وأخربوا قارةَ جُشيبٍ وحبوطةَ وكحلانَ في سنة (٦٠٥ هـ)) اهـ

وهذا التّاريخُ قريبٌ ممّا سبقَ عن خرابِ كُحلانَ ؛ فإنّما أن يكونَ واحدًا ، وإنّما أن يكونَ بقيَ شيءٌ عن الخرابِ الأوّلِ فأكملوه .

وفي حوادثِ سنة (٧٤٦ هـ) أخذَ أحمدُ بنُ يمانيّ قارةَ الشّناهِزِ .

وفي سنة (٧٧٣ هـ) ألقيَ راصعُ القُبُضَ على ولدِ عمِّه يمانيّ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ أحمدَ ، فقتلَهُ أخذاهُ بأمرِهِ في قارةِ الشّناهِزِ بالنّهارِ .

(١) أي : من أيّامِ قومِ عاد .

وفي هذه السنة وقع الحلف بين راصع بن دويس وآل كثير وآل جميل ، وأخذوا قارة الشناهز من الصبرات .

وفي حوادث سنة (٧٩١هـ) أن راصعاً أخذ قارة الشناهز ، وفيه دلالة على سرعة تقلب الدول على هذه القارة المذكورة .

ودولتها في الأكثر للشناهز^(١) ، وقد بقي منهم جماعة من الحرّائين ، من آخرهم رجل يقال له : صالح بن عوض الشنهزي ، وكان له شيء من المال طمع فيه أحد شياطين آل تميم ، فأغرى به عبداً من عبيد القرامصة يقال له : كليوناس ، فقتله وأستولى هو على ماله ، وكان ذلك حوالي سنة (١٣٥٠هـ) .

وقد سبق في سنده أن الطير يعف عن التعدي على زروعها ، وكان فيها أرساداً تمنعها من ذلك إن صح ما قيل .

الْغَرْفُ

هي بلدة صغيرة في موقع جميل ، يحيط بها الفضاء الواسع من كل جهة ، تنشعب منها الطرق ، فعلى مقربة منها في شمالها تمر الطريق السلطانية التي تجيء من أعلى حضرموت إلى أسفلها ، ومنها إلى الجنوب مرر الطريق المهيع إلى الشحر والمكلا وغيرهما من السواحل^(٢) .

(١) أرجع المؤرخ الأستاذ بامطرف أصل التسمية إلى (صنهاجة) . . وهي من فخاذ قبيلة حمير الكبيرة ، وكتب تحت هذا الاسم في « الجامع » : (بنو صنهاجة أو الصنهاج فخذ من حمير حضرموت ، غادروا حضرموت بأجمعهم مع قبائل حضرمية أخرى ؛ تلبية لدعوة من الخليفة أبي بكر الصديق لفتح الشام . استقر الصنهاج أول الأمر بفلسطين ، ثم نزحوا منها إلى مصر ، فاستقرت طائفة منهم بخطة القرافة بالفسطاط ، ونزحت جماعة إلى منطقة الفيوم وبلدة أبو صير المجاورة لها ، ومن هؤلاء : الشاعر البوصيري صاحب البردة والهمزية . وبنو صنهاجة هؤلاء هم الذين اندمجت فيهم عدة قبائل بربرية في شمال أفريقيا يدعون : (صنهاجة) ، والنسبة إليهم صنهاجي ، وفي حضرموت يقال لهؤلاء : صنهاجة ، وأطلال محلثهم باقية إلى اليوم إلى الشرق من مدينة تاربة بوادي حضرموت ، واسمها قارة الصنهاج . .) إلخ هذا كلام بامطرف بنصه .

(٢) وطريق المكلا والشحر هذه قام بتعبيدها السادة آل الكاف ، وتعرف بطريق الكاف .

وهي من أقرى الحديثه العهد ، كانت لآل زيدان من القرامصة التميميين ،
فأشترها منهم السلطان عبد الله بن محسن بن أحمد الكثيري لأخيه السلطان غالب ،
بهمّة جدّي المحسن ، وإشارة سيّد الوادي الحسن بن صالح البحر ، ومساعدة جبل
العبادة عبد الله بن حسين بن طاهر بألف ومئتي ريال - والمبيع إنما هو إمارتها لا رقبته
- وكانت أول دولتهم بها ، ولما بدأ السلطان عبد الله بن محسن بسورها . . ثارت ثائرة
القرامصة حتى أرضاهم بنافلة من المال .

وكان يسكنها السيّد الجليل ، الدّاعي إلى الله بلسانه وقلمه ، أوالد عثمان بن
عبد الله بن يحيى^(١) ، حفيد العلامة الفاضل الجليل عقيل بن عمر بن يحيى^(٢) ، له
مؤلفات كثيرة في خدمة الدّين الإسلامي ، ويدّ بيضاء في نشر دعوته وشرح أسرارهِ بين
الجاوئين .

ولما وردت جأوة في سنة (١٣٣٠ هـ) . . وجدت جماعة من السّادة يُناوئونه ؛
منهم : السيّد محمّد بن عبد الرّحمن بن شهاب^(٣) ، والسيّد عبد الله بن عليّ بن شيخ
العيدروس ، ومن على شاكلتهم من الرّهط الذي كان يبيّث مبادئ الإرشاد في

(١) ولد السيّد عثمان بيتاوي جاكارتا سنة (١٢٤٨ هـ) ، ونشأ في كنف والده ، ثم أرسله إلى حضرموت
وأقام مدة بها يطلب العلم ما بين المسيلة وتريم ؛ وقد قام برحلات إلى عدد من الأقطار ، فدخل مكة
والمدينة والجزائر وتونس ومصر وإستانبول ، وله بها شيوخ عدة . ثم عاد إلى مسقط رأسه ، وأسس
مطبعة حجرية نشر من خلالها مؤلفاته التي فاقت على (١٦٠) مؤلفاً ما بين رسالة وكتاب ، وأكبر
مؤلفاته كتاب : « القوانين الشرعية » ، وكانت له لقاءات مع المستشرق الهولندي المعروف : سنوك
هرخرونيه الذي يقال : إنه أسلم على يديه ، وقد ذكره المستر سنوك كثيراً في مذكراته المطبوعة .
وكانت وفاته بيتاوي يوم الأحد (٢١) صفر (١٣٣٢ هـ) .

(٢) السيّد عقيل بن عمر . . كان من كبار العارفين ، له مناقب جليّة وسيرة حسنة جميلة ، توفي بمكة سنة
(١٢٣٧ هـ) ، وله بها مقام كبير ، وذرية كثيرة ، له ذكر في « عقد اليواقيت » ، وله مؤلفات عظيمة ،
تنظر ترجمته منه .

(٣) المؤرخ والكاّتب والأديب ، ولد بتريم سنة (١٢٨٧ هـ) ، وتوفي بجاكارتا سنة (١٣٤٩ هـ) ، كان من
قدماء مؤسسي الرابطة العلوية ، له رسائل تاريخية ومقالات نشرت في الصحف الإندونيسية ، ينظر :
« الرابطة » عدد (جمادى الأولى - رجب) ، وفيها معلومات كثيرة عن المذكور ، « الأعلام »
(١٩٩ / ٦) نقلاً عن مقال لعبد الله السقاف بجريدة « المقطم » ، « الجامع » لبامطرف .

الحَضَرَمِيِّينَ لغرضِ الانتقامِ والتَّشْفِيٍّ مِنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِ السَّادَةِ الْأَجْلَاءِ الْكَرَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمُحَضَّارِ ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عِيدروسِ بْنِ مُحَمَّدِ الْحَبَشِيِّ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحْسِنِ الْعَطَّاسِ وَأَمْثَالِهِمْ .

ثُمَّ أَنْقَلَبُوا بِشِدَّةٍ وَحَرَدٍ^(١) لِنَقْضِ تِلْكَ الْمَبَادِيءِ ، فَأَشْعَلُوا نَارَ الْفَرْقَةِ وَالْاِخْتِلَافِ وَالْعِدَاوَةِ بَيْنَ الْحَضَارِمِ - حَسْبَمَا هُوَ مَفْصَّلٌ بِـ « الْأَصْلِ » - وَكَادَ أُولَئِكَ الرَّهْطُ يَسْتَمِيلُونِي إِلَيْهِ وَأَشْتَدَّ حَرَصُهُ عَلَيَّ أَنْ يَنْفَرَجَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ سَيِّدِي الْوَالِدِ عَثْمَانَ ، وَكَدْتُ أَفْعُ فِي حَبَالَتِهِمْ لَأَسِيَّماً وَقَدْ زَوَّدَنِي أَهْلُ فُلْمَبَانَ بِشَيْءٍ مِنْ ثَمَارِ نِيَّاتِهِمْ وَمِبَادِيهِمْ الَّتِي كَانَ يَبْثُهَا فِيهِمْ أَحَدُ أَحْفَادِ السَّيِّدِ عَثْمَانَ ضِدَّ جَدِّهِ ، وَلَكِنْ عَزَمَ اللَّهُ لِي بِالثَّبَاتِ ، لَأَسِيَّماً بَعْدَ أَنْ دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ وَأَهْدَانِي مَجْمُوعَةَ مَوْلاَفَاتِهِ الْقِيَمَةِ مَعْنَى وَإِنْ لَمْ تَبْلُغِ الْإِجَادَةَ مَبْنَى ، وَرَأَيْتُهُ بِخِلَافِ مَا ذَكَرُوا لِي عَنْهُ ، فَأَكْبَرْتُ صَنِيعَهُ ، وَأَحْمَدْتُ أَثَرَهُ ، وَأَعْتَرَفْتُ بِفَضْلِهِ ، وَرَأَيْتُ مِنْ سُلُوكِهِ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ وَمَجَاهَدَتِهِ فِيهِ مَا يَمَلَأُ صَدْرِي وَصَدَرَ كُلِّ مَنْصِفٍ بِاحْتِرَامِهِ وَإِجْلَالِهِ ، وَهُوَ مُلْتَزِمٌ بِالسُّنَّةِ وَالْفَقْهِ ، وَلَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ الْكَرَامَاتِ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَنْكَرَ مَجَازِفَةَ الْمَغْرُورِينَ فِيهَا إِنْكَاراً شَدِيداً ، وَقَالَ : لَقَدْ كُنْتُ مُخْتَصَّاً بِخَالِي وَسَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ مَمَّنْ لَا تَدْفَعُ وَلَا يَتُّهُ ، وَجَالِسُهُ زَمَاناً طَوِيلاً . فَلَمْ أَرَ مِنْهُ إِلَّا كَرَامَتَيْنِ ، لَيْسَ فِيهَا خَرَقٌ عَادَةٍ ، وَإِنَّمَا :

أَوَّلَاهُمَا : أَنَّهُ خَرَجَ يَصِلِّي الْعَصْرَ وَعَلَيْهِ رِداءٌ فَتَنَنِي ، وَتَمَنَيْتُ أَنْ لَوْ كَانَ لِي مِثْلُهُ ، وَمَرَّتْ صَلَاتِي وَأَنَا أَفْكُرُ فِيهِ ، وَمَا كَانَ يَنْفَتِلُ مِنْ صَلَاتِهِ حَتَّى دَعَانِي وَقَالَ لِي : هَذَا الرِّدَاءُ لَكَ ، وَأَعْطَانِي مِفْتَاحَهُ الْخَاصَّ لِآتِيهِ بِرِداءٍ آخَرَ - وَصَفَهُ لِي - وَلَوْلَا أَنَّهُ تَفَرَّسَ مَا فِي خَاطِرِي . . مَا خَالَفَ عَادَتَهُ مِنْ عَدَمِ الْكَلَامِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنْ وَرْدِهِ .

وَالْأُخْرَى : أَنَّ السَّيِّدَيْنِ مُحَمَّدًا وَعَمَرَ ابْنَيْ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ بْنِ يَحْيَى عَزَمَا عَلَى الْإِنْتِقَالِ سَرّاً مِنَ الْمَسِيلَةِ ، وَتَكَتَّمَا بِالْأَمْرِ حَتَّى لَا يَشْعُرَ فِيهِمَا هُمَا ، وَأَرَادَا أَنْ لَا يَعْلَمَ إِلَّا بَعْدَ الْأَمْرِ الْوَاقِعِ ، فَلَمَّا صَلَّيْنَا الْعِشَاءَ وَفَرَّغَ مِنْ وَرْدِهِ وَنَافَلْتِهِ . . قَالَ لِي : أَدْعُهُمْ لِي ، فَدَعَوْتُهُمَا ، فَقَالَ لَهُمَا : إِذَا عَزَمْتُمَا عَلَى أَمْرِ فُشَاوَرَانِي ؛ فَعَنْدِي مَا لَيْسَ

(١) الْحَرَدُ : الْغَضَبُ .

عندكما مِنَ الْعَقْلِ ، وقد جَرَّبْتُ الزَّمانَ وأَهْلَهُ ، لم يزد على ذلك ، فسكتا ، ولكنهما أنصرفا عَمَّا كانا نوياهُ ، وأنا على يقين أَنَّهُ لم يكن إِلَّا عَن فِراسَةٍ صادقة ؛ إذ لم تعلم حَتَّى ثيابُهُم بما كانوا يبيِّنون ، ولقد حَفَظَني بظهِرِ الْغَيْبِ ، وطبعَ نَشْرَتَيْنِ فِي الذَّبِّ عَنِّي لَمَّا تَكَلَّمْتُ عَلَيَّ صحيفَةُ «الوطن»^(١) الصَّادِرَةُ بسنغافورة ، إِحْدَاهُمَا خاصَّةٌ بِي ، والثَّانِيَةُ جامعةٌ لي وللِسَّادَةِ الْأَجْلَاءِ الْكِرَامِ : مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ السَّقَّافِ ، وحسنِ بنِ علويِّ بنِ شهابٍ ، ومُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شهابٍ ، فِي الثَّنَاءِ عَلَيْنَا وَالنُّضالِ عَنَّا ، مع أَنَّ الْأَخِيرَ كانَ يَنافِسُهُ وَيَتَغَيُّ لهُ الْغَوَائِلَ وَيَدْبُرُ لَهُ الْمَكَايِدَ ، وَلَمَّا خَلَى مَكَانَهُ فِي سَنَةِ (١٣٣٢هـ) . . لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْلَثُكَ الرَّهْطُ الَّذِينَ ملؤُوا نواحيَ جاوَةِ بَقَاقًا^(٢) وأوراقًا أَنْ يَشْغَلُوا مَكَانَهُ بِأَحَدٍ مَعْنٍ يُرْشِحُونَهُ وَيَتَمَنَّوْنَ أَنْ لو كانَ فِي مَوْضِعِهِ ، فَأَنْطَبَقَ عَلَيْهِم مَعَهُ قَوْلُ الْحَظِيثَةِ [فِي «ديوانهِ» : ٤٠ : مِنَ الطَّوِيلِ] :

أَقْلُوا عَلَيْهِم لَا أَبَا لَأَبِيكُم مِّنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا
وَمِنَ اللَّطَائِفِ : أَنَّ سَيِّدِي عِثْمَانَ وَقَتْمَا كانَ بِالْغَرْفِ أَعْتَلَّ يَوْمًا عَن حُضُورِ الْجُمُعَةِ
بِبَعْضِ أَعْذارِها ، وكانَ مِنْ عاداتِهِ التَّبْكِيْرُ ، فَكُلُّ مَنْ جاءَ إِلى الجامِعِ . . رَجَعَ وَتَوَهَّم أَنَّ
الوقتَ لَمْ يَدْخُلْ ، وهَلْكَذا حَتَّى بَقِيَ الْخُطيبُ وَحدَهُ حَتَّى وَجَبَتْ الْعَصْرُ .
وَمِنَ أَهْلِ الْغُرْفِ : وَلَدُهُ الْعَلَامَةُ الْبَحَّائَةُ ، الْمَحَقُّقُ الْفَقِيهَ مُحَمَّدُ بْنُ عِثْمَانَ^(٣) ،
كانَ مِنْ أَسْتَحْضارِهِ «تحفة ابن حجر» كَأَنَّمَا يَحْفَظُها تَوْفِيَّ بِسَنغافورة سَنَةَ (١٣١٦هـ) .
وَمِنْهُمْ : وَلَدُهُ علويُّ بْنُ عِثْمَانَ ، كانَ مِنْ أَهْلِ الْعَقْلِ وَالْدِّينِ وَالصَّلَاحِ ، تَوْفِيَّ
حوالِي سَنَةِ (١٣٤٤هـ) .

وَمِنْهُمْ : أَبْنَةُ مُحَمَّدُ بْنُ علويِّ بْنِ عِثْمَانَ ، كانَ شَهِمًا صالِحًا ، لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ

(١) «صحيفة الوطن» : أسبوعية ، كان يصدرها السيد حسن بن علوي بن شهاب في سنغافورة ، وهو مدير تحريرها ، ولكنه كان ينسبها إلى غيره توارياً عن الأنظار .

(٢) رجل بَقَاقٌ : كثير الكلام .

(٣) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في «الإتحاف» ، وذكر أنه كان ذكياً عالماً ، وإذا سئل عن مسئلة . . أجاب وأحال السائل إلى المراجع الكبيرة ، بل ربما ذكر له الجزء والصفحة ! .

تَوْضُأً وَأَسْتَاكَ وَأَخَذَ يَكْرُرُ الْجَلَالََةَ حَتَّى فَارَقَ الْحَيَاةَ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ قَبْلَ وَفَاةِ أَبِيهِ .

وَمِنْهُمْ : أَخُوهُ صَاحِبُ النُّوَادِرِ اللَّطِيفَةِ ، وَالتُّكَاثِ الْعَجِيبَةِ ، عَقِيلُ بْنُ عُثْمَانَ^(١) بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى ، كَانَ شَاعِرًا أَدِيبًا ، لَهُ يَدٌ فِي التَّارِيخِ حَتَّى لَقَدْ هَنَأَنِي عَلَى الرَّوِّيَّةِ يَوْمَ اقْتَرَنْتُ بِأُمِّ حَسَنِ وَأَشَقَّائِهِ بِقَصِيدَةٍ طَوَّلَى ، كُلُّ شَطْرِ مِنْهَا تَارِيخٌ ، أَخَذَ عَنِ وَالِدِهِ ، وَعَنِ سَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، وَعَنِ وَالِدِي ، وَلَهُ فِيهِ مَدَائِحُ .

وَلِغَزِيرِ الْإِحْسَانِ أَلِوَالِدِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ يَحْيَى فَضْلٌ عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ حَضَرْتُ عِنْدَهُ أَنَا وَهُوَ - أَعْنِي أَلِوَالِدِ أَحْمَدَ - قُبَيْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ ، فَقَالَ لِي : مَرَّ عَلَيَّ مِثْلُ هَذَا الْيَوْمِ الْعَامِ الْمَاضِي وَأَنَا أَشْقَى أَهْلِ الْمَسِيلَةِ حَالًا ، ثُمَّ إِنِّي الْيَوْمَ - بِفَضْلِهِ - أَسْعِدُهُمْ ، يَتَبَدَّرُونَ إِشَارَتِي إِذَا أَشْرْتُ ، وَيَتَسَابِقُونَ فِي مَرْضَاتِي إِذَا أَمَرْتُ ، وَكَانُوا لَا يَرُدُّونَ عَلَيَّ السَّلَامَ قَبْلُ .

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ ، أَوْ قَالَ لِي : مَا أُرَانِي إِلَّا مُتَوَفَّى فِي مَرَضِي هَذَا ، فَمَاذَا تَفْعَلُ؟
فَقُلْتُ : أَرِثُكَ بِقَصِيدَةٍ أَسْتَهْلُهَا بِقَوْلِي [مِنَ الطَّوِيلِ] :

مُصَابٌ أَصَابَ النَّاسَ وَهُوَ جَلِيلٌ غَدَاةً أَتَى النَّاعِي فَقَالَ عَقِيلُ
فَقَالَ : يَكْفِينِي مِنْكَ هَذَا ، وَإِنَّهُ لَكَثِيرٌ . تَوَفَّى بِالْمَسِيلَةِ سَنَةَ (١٣٤٦هـ) .

وَفِي حَدُودِ سَنَةِ (١٢٩٨هـ) كَانَ أَحَدُ عِبِيدِ الشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَائِضِ بْنِ جَخِيرٍ يَخْفَرُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَافِ بِتَرِيمٍ ، فَاسْتَاءَ السُّلْطَانُ الْكَثِيرِيُّ مِنْ جَرَأَةِ الشَّيْخِ صَالِحِ وَجَوَارِهِ عَلَيْهِ فِي بِلَادِهِ ، فَأَنْتَهَكَ السُّلْطَانُ الْكَثِيرِيُّ حُرْمَتَهُ وَطَرَدَ عَبْدَهُ - وَالْعَارُ مَضَاضٌ - عِنْدَ الشَّيْخِ صَالِحِ بْنِ عَائِضٍ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ إِلَّا أَنْ اقْتَحَمَ الْغُرْفَ وَاحْتَلَّهَا فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ ، وَطَرَدَ عِبِيدَ السُّلْطَانِ مِنْهَا وَجَاءَتْ نَجْدَاتُ الدَّوْلَةِ مِنْ تَرِيمٍ وَسَيْثُونَ ،

(١) وَلَدَ السَّيِّدِ عَقِيلَ بِالْمَسِيلَةِ سَنَةَ (١٢٩٠هـ) ، وَتَرَبَّى فِي كَنَفِ وَالِدَتِهِ وَأَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، وَتَعَلَّمَ عَلَى يَدِ السَّيِّدِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ بْنِ يَحْيَى ، ثُمَّ طَلَبَهُ وَالِدُهُ إِلَى جَاوَةِ ، فَسَافَرَ سَنَةَ (١٣١١هـ) ، كَانَ ذَكِيًّا شَدِيدَ الذِّكَاءِ ، اشْتَغَلَ بِالتَّجَارَةِ مَعَ وَالِدِهِ ، وَكَانَ يَنْظُمُ الشَّعْرَ . عَادَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ (١٣٢٩هـ) ، وَأَصِيبَ بِالْعَمَى ، وَظَلَّ بِهَا إِلَى أَنْ تَوَفَّى .

« تَارِيخُ الشَّعْرَاءِ » (١٤٧/٥ - ١٥٩) .

والتحَمَ القتالُ ، وقُتِلَ أَحَدُ الْعَوَامِرِ وَثَلَاثَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الدَّوْلَةِ ، وما زالوا في الحربِ حَتَّى وَصَلَ الْمَنْصَبُ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ سَالِمِ الْعِيدَرُوسُ مِنْ بَوْرِ بَطْبُولِهِ وَخِيُولِهِ وَرَايَاتِهِ فَحَجَزَ بَيْنَهُمْ ، وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا صُلْحاً لَا عَنُوةَ مِنَ الْغَرْفِ بَعْدَ مَا غَسَلُوا الْعَارَ ، وَأَسْتَجْهَرُوا الْأَبْصَارَ ، وَسُوِّتِ الْقَضِيَّةُ عَلَى مَا يُحِبُّهُ الشَّيْخُ صَالِحٌ .

وَأَخْبَرَنِي الْأَخُ عَقِيلُ بْنُ عَثْمَانَ الْمَذْكُورُ أَنَّ أَهْلَ الْغَرْفِ خَرَجُوا فِي نَزْهَةٍ ، وَلَمَّا تَهَيَّأَ غَدَاؤُهُمْ - وَكَانَ شُرْبَةً - جَاءَ بَعْضُ أَعْدَائِهِمْ فَطَرَدَهُمْ عَنْ مَوْضِعِ الْفَسْحَةِ ، فَهَرَبُوا وَتَرَكُوا غَدَاءَهُمْ ، وَلِهَذَا كَانَ النَّاسُ يُعَيِّرُونَهُمْ فَصَارُوا يَغْضَبُونَ مِنْ ذِكْرِ الشُّرْبَةِ كَمَا يَغْضَبُ آلُ شِبَامٍ مِنْ وَزَنِ الْهَرِّ .

وَلِلْأَخِ عَقِيلٍ مَنْظُومَةٌ جَمِيلَةٌ فِي الْقَابِ الْبِلَادِ الْحَضْرَمِيَّةِ .

وَكَانَ الْوَالِدُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ يَحْيَى يَصْنَعُ بِالْمَسِيلَةِ عِشَاءً مِنَ الشُّرْبَةِ لِلْمَسَاكِينِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، فَغَضِبَ آلُ الْغَرْفِ وَحَقَدُوهَا عَلَيْهِ ! فَكَانَتْ شَبِيهَةً بِقَصَّتِهِ مَعَ الشَّيْخِ سَالِمِ بَاسُوِيدَانَ السَّابِقَةِ فِي شِبَامٍ .

وَأَخْبَرَنِي الْأَخُ عَقِيلُ بْنُ عَثْمَانَ الْمَذْكُورُ أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْغَرْفِ مَاتَ بِحَسْرَةٍ عَلَى عَدَمِ الْتَوَفِّيِّ فِي قِصَصِ الْوَعُولِ ؛ إِذْ كَانَ الْغَالِبُ عَلَيْهِمُ الْإِخْفَاقُ وَالْخَيْبَةُ كُلَّمَا صَعَدُوا الْجِبَالَ ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَمَّا عَزَمُوا عَلَى صُعُودِ الْجِبَالِ مَرَّةً لَذَلِكَ ، ففِيمَا يَسْتَعِدُّونَ وَيَعْمَلُونَ الْأَسْمَارَ وَالْأَشْعَارَ . . اسْتَقْدَمُوا شَاعِراً لِيَسْتَعِينُوا بِهِ فِي أَفْرَاحِهِمْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَا أَنْشَأَهُ لَهُمْ قَوْلُهُ :

قَالَ بَدَاغُ الْقَوَافِي : بَارِقَ الْجُودَاتِ رَفَ مِنْ خُلُقِنَا مَا سَمِعْنَا رَفَ عِنْدَ أَهْلِ الْغَرْفِ
فَطَرَدُوهُ وَكَادُوا يَسْطُونَهُ !!

وَقَدْ أَعْتَنَتْ بِهَا الْحُكُومَةُ الْإِنْكَلِيزِيَّةُ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ ، وَاحْتَلَّتْهَا وَأَتَّخَذَتْهَا مَقَرّاً لِإِدَارَتِهَا الْعَامَّةِ ، وَلَكِنْ بَدُونَ اسْتِثْنَانٍ - حَسَبَمَا يَقُولُ لِي السُّلْطَانُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحْسِنٍ - مِنْهُمْ ، وَهُمْ مَلَائِكُهَا ، ثُمَّ نُقِلَتْ إِدَارَتُهَا مِنْهَا إِلَى سَيْثُونَ .

الْمَسِيلَةُ

بميم مفتوحة ، ثم سين مكسورة ، ثم ياء ساكنة ، ثم لام مفتوحة . سُمِّيَتْ بذلك لأنها على ضفّة مسيلٍ عديم الغريّة .

وعديم - بعين ودال مكسورتين - : أكبر - لا أكثر - مجاري الشّول بحضرموت ، تنهرُ إليه مياه النّجد الجنوبيّ بحضرموت ، عدا ما يسقطُ إلى السّاحل ، وما يفيضُ إلى وادي سنّا .

وكلّ مياهه تذهبُ ضياعاً لا تنفعُ إلّا ما في عين المسيل من النّخيل ، وتلتقي مياهه مع مياه سرّ عند طرف جبل كحلان .

والمسيلة هي مسكن السيّد شيخ بن أحمد بن يحيى ، ولذا قيل لها : مسيلة آل شيخ .

قال السيّد أحمد بن عليّ الجنيد : منهم : أبو بكر وعبد الله ، أبنا عمر بن طه بن محمّد بن شيخ ، كانا فاضليّن ، وقد انتقلا ؛ أي : من قارة الشّناhez إلى عينات ، وأستوطنّاها حتّى ماتا .

فأمّا عبد الله : فقد أنقرضَ عقبه من الذّكور .

وأما أبو بكر : فترك ولده عمّر ، فعاد إلى المسيلة ، وبنى عندهم الحبيب حسين بن طاهر بن محمّد بن هاشم^(١) مسجده وداره الذي سكنه بعده أولاده :

الحبيب طاهر بن حسين ، صاحب النّهضة المشهورة ، المتوفى بالمسيلة سنة (١٢٤١هـ)^(٢) .

(١) وكانت بها وفاته في (١٢) رجب (١٢٢٠هـ) ، ودفن بتريم ، عن عمر ناهز (٧٠) عاماً . وكان سبب نزوحه إلى المسيلة : هو الاضطراب الأمني ، وشيوع القوضى في البلاد .

(٢) الحبيب طاهر بن حسين من أكابر أهل عصره ، ومن أراد معرفة أخباره . . فعليه بكتاب حفيده الأستاذ محمد بن هاشم المسمّى : « تاريخ الدولة الكثيرة » ، و« العدة المفيدة » لابن حميد ، و« تعليقات ضياء شهاب » (٥٨٧/٢) ، وغيرها .

والحبيب عبد الله بن حسين ، الذي لا تستوفي العبارة كنهه ما له من الفضل ،
المتوفى بها سنة (١٢٧٢ هـ) (١) .

وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط : أنَّ أباهم فرغهم للعلم ، وسافر إلى
جاوة نحو ثلاث مرَّات .

ومن آل طاهر : شيخنا السيّد الجليل أحمد بن عبد الله بن حسين بن طاهر ، كان
جبلًا من جبال العلم والعبادة ، توفي بالمسيلة لأربع في جمادى الآخرة من سنة
(١٣١٧ هـ) .

ومنهم : هاشم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن طاهر ، كان من أهل
الصّلاح والعبادة والأذكار ، توفي بعدن في رجب سنة (١٣١٦ هـ) ، وله ابن ذكي ،
ناظم نائر ، تقلّب في الأعمال المدرسيّة بفليمان ، ثمّ في جاوة ، ورأس التّحرير
بجريدة « حضرموت » ، ثمّ ورزّ للسلطان جعفر بن منصور ، وهو الآن يدرّس بمدرسة
جمعيّة الأخوة والمعونة بتريم .

ومنهم : السيّد أبو بكر بن عبد الرحمن بن طاهر ، له جاه ورئاسة بالتيّمور ، ثمّ
وصل إلى المسيلة ومعه الأعلام الحريريّة المحلّاة بالذهب التّبر والطّبول والخيول ،
توفي بالمسيلة سنة (١٣٣١ هـ) ، وأبقى عتاداً نفيساً ، وأثاثاً فاخراً ، وعُلوقاً مُثمّنة ،
تولّاهما أحد خدامه بعده ، فعاث بها عيث الجراد بالزروع ، ولم يبق لأولاده الصّغار إلّا
ما لا يُسمِن ولا يُغني من جوع .

ومنهم : أخوه الخفيف الظّل : عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين بن طاهر ، كان
ظاهر التّفوى والورع ، وله معرفة بالطّب ، وتعلّق بالسيّد فضل بن علويّ مؤلّي خيله ،
وطول صحبة معه في الأساتنة ، ولين جانب ، ولطف أخلاق ، وحسن محاضرة .
توفي بالمدينة المنورة في رمضان سنة (١٣٥٢ هـ) .

(١) ترجمته الحافلة في « عقد اليواقيت الجوهريّة » لتلميذه الإمام عيدروس بن عمر الحبشي (١٠٢ / ١) ،
و « تاريخ الشعراء » (١٦٢ / ٣ - ١٧٨) .

ومنهم : السَّيِّدُ الْفَاضِلُ أَحْمَدُ بْنُ طَاهِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ طَاهِرِ بْنِ حُسَيْنٍ ، لَهُ أَعْتَاءٌ بِالْأَوْرَادِ ، تُوْفِّيَ بِسِنَاغُورَةِ فِي (١٥) رَمَضَانَ سَنَةِ (١٣١٤ هـ) .

ومنهم : الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ طَاهِرِ بْنِ حُسَيْنٍ ، لَهُ سَعَةُ أَطْلَاعٍ ، تُوْفِّيَ بِالْمَسِيلَةِ سَنَةِ (١٣٠٠ هـ) .

وَقَدْ عَاشَ آلُ طَاهِرٍ إِلَى وَفَاةِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ مَعَ آلِ يَحْيَى عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَمَدَارِسَةِ الْعُلُومِ ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالْإِنْكَارِ لِلْمُنْكَرِ .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى جَبَلًا مِنْ جِبَالِ التَّقْوَى ، وَبَحْرًا مِنْ بَحُورِ الْعِلْمِ ، تُوْفِّيَ بِالْمَسِيلَةِ فِي سَنَةِ (١٢٦٥ هـ) ^(١) بِإِثْرِ وَفَاةِ وَلَدٍ لَهُ شَدِيدِ الْأَسْرِ ، حَدِيدِ الْفَهْمِ ، يَعْرِفُ مَوَاقِعَ رِضَاءِ أَبِيهِ وَيَفْعَلُ مَا يُحِبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشَارَةٍ ، حَتَّى لَقِيَ وَرَدَهُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ حُسَيْنِ الْحَدَّادُ وَحْدَهُ ، فَذَبَحَ لَهُ كَبْشًا سَاحًا كَبِيرًا ، وَمَا كَادَ يَسْتَقَرُّ بِهِ الْمَجْلِسُ حَتَّى دَعَاهُ وَسَارَهُ بِقَوْلِهِ : أَذْبَحَ الْكَبْشَ الْفُلَانِيَّ - يَعْنِي الْمَذْبُوحَ - وَإِنَّمَا لَمْ يَكْتَفِ بِعَمَلِهِ حَسَبَ الْعَادَةِ ؛ لِإِثَارِ الْخُرُوجِ عَنْهَا بِذَبْحِ الْكَبْشِ الْكَبِيرِ لَوَاحِدٍ ، فَقَالَ لَوَالِدِهِ : إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَحْدَهُ مَعَ خَادِمٍ وَاحِدٍ ، فَيَكْفِي لَهُ رَأْسٌ صَغِيرٌ .

فَقَالَ : لَا تُرَاجِعْ ، وَأَذْبَحِ الْكَبِيرَ ، قَالَ : قَدْ ذَبَحْتُهُ . فَسَرَّ مِنْهُ وَقَرَّتْ بِهِ عَيْنُهُ . وَأَسْمُهُ أَبُو بَكْرٍ .

وَسَمِعْتُ وَالِدِي يَرْوِي عَنِ الْأُسْتَاذِ الْأَبْرَّ أَنَّ قِصَّةَ ذَبْحِ الْكَبْشِ لِلْحَدَّادِ وَقَعَتْ لِلْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ مَعَ أَحَدِ أَوْلَادِهِ ، وَالَّذِي يَرْوِيهِ آلُ يَحْيَى بِحِذَافِيرِهِمْ : الْأَوَّلُ ، وَالْأَمْرُ قَرِيبٌ ، وَالتَّعَدُّدُ بَعِيدٌ .

ثُمَّ تُوْفِّيَ بَعْدَهُ بِهَا وَلَدُهُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي سَنَةِ (١٢٧٧ هـ) ثُمَّ أَخُوهُ الصُّوفِيُّ الْفَقِيهَ مُحَمَّدٌ سَنَةِ (١٣٠٨ هـ) ، وَدُفِنَ بِهَا .

(١) العلامة الكبير عبد الله بن عمر بن أبي بكر ، كان واحداً من العبادلة السبعة فقهاء حضرموت ، ولد بالمسيلة سنة (١٢٠٧ هـ) ، وتوفي بها كما ذكر المؤلف ، له ترجمة في : « عقد الیواقیت » ، و « تاریخ الشعراء » (٢٠٨/٣ - ٢١٤) ، وأخبار متفرقة في « العدة » .

وكان الشيطان - كما قال بعضهم - يفرق من الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر فرقة من ابن الخطاب رضي الله عنه فلم يدخل المسيلة في أيامه ، ولكنه لم يمت إلا والشيطان ممتلىء الصدر غيظاً من طول ما طرد عنها ، فأحتبى إثره في محراب مسجدها .

ونزع الشيطان بين أبناء الحبيب عبد الله بن حسين وأبناء الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى على أوقاف المسجد ونظارتِهِ ، وكان الذي تولى كبر المخاصمة السيّد عقيل بن عبد الله بن عمر ، وكان له اختصاص شديد بالدولة الكثيرة ، فلم يبلوا غليل صدره ، بل خذلوه ، فسافر إلى الهند وحالف آل القعيطي وهجم بهم على تريم ، وكانت حادثة النويدرة وهي جانب تريم الشمالي ، وأستولت عليه عساكر القعيطي من جهة دثون ، بمساعدة آل تميم وخيانة من بعض عبيد الدولة ، وكان ذلك في سنة (١٢٩٢هـ) ، ودام الحرب واحتلال النويدرة إلى سنة (١٢٩٤هـ) ، وفي تلك الأثناء كانت وفاة السيّد عقيل بن عبد الله بن يحيى عن أربعين ربيعاً وأربعة أيام ، أخبرني الفاضل الوالد أحمد بن عمر بن يحيى : أن عمه عقيلاً رأى كأن قائلاً يقول له : عمرك أربعون عاماً ، فأنزعج ، ولكن عاد فرأى ذلك القائل يقول له : زدناك أربع مرات ، فأطمأن .

فكانت الرؤيا حقاً ، ولكن لم تكن الزيادة إلا أربعة أيام .

وفي تلك السنة أيضاً انتصر القعيطي على العولقي وعلى الدولة الكثيرة في الحزم وصداع ، حسبما سبق عند ذكرهما .

وبإثر ذلك انعقد الصلح بواسطة السيّد علي بن عمر الحفيد^(١) ابن الشيخ أبي بكر بن سالم ، والعلامة السيّد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب على تخيير الدولة الكثيرة بين :

أن تخرج من تريم ، وتسلم عشرة آلاف ريال .

(١) هو السيد الفاضل الشريف علي بن عمر بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله الحفيد بن أبي بكر بن حسن بن الحسين بن الشيخ أبي بكر .

وبين أن تدفعها للقبيطي فيرتفع بعسكره عن التويدرة فأختارت هذه ، ووقع الناس من جزاء تحصيلها في قرن الحمار ، وكُتبت بينهم وثيقة بتاريخ ربيع الثاني من سنة (١٢٩٤ هـ) ، وأوردناها مع تفصيل أخبار تلك الحادثة مفصلة في « الأصل » ، وإلى هذه الحادثة الإشارة بقول العلامة ابن شهاب [في « دبرانه » ١٢١ من الكامل] :

كَمْ فِتْنَةٍ فِيهَا أَكْفَهَرَّ وَبَالُهَا حَمَدَ الْأَنَامِ سُرَايَ فِي إِخْمَادِهَا
وهو بارز راشد في ذلك ، فلقد كان له السعي الحثيث في الإخماد ، ثم كانت له اليد البيضاء في تحصيل الدرهم .

أمّا محمد بن عبد الله بن عمر . فترك أولاداً كراماً ؛ منهم : شيخ ، وعمر ، وأحمد ، لهم مساع جليلة ، وفضائل جميلة ، وهم من أخص الناس بأستاذي الأبرار عيدروس بن عمر ، أقاموا عنده بالغرفة مدة طويلة للأخذ والتلقي عنه . توفي الأول بالمسيلة سنة (١٣١١ هـ) ، والآخرون بمكة بعد أداء النسكين سنة (١٣١٠ هـ) وولده عبد القادر بن محمد حيّ يُرزق إلى الآن .

وأما السيد عمر بن عبد الله . فقد ترك أولاداً منهم : المتيق على صلاحه وتقواه ، السيد أبو بكر بن عمر ، المتوفى بسربايا سنة (١٣٣١ هـ) (١) .

ومنهم : تاجر الآخرة ، المشارك في كثير من فنون العلم ، الوالد : أحمد بن عمر بن يحيى ، المتوفى بتريم سنة (١٣٥٧ هـ) ، وكان الناس ينسبونه إلى الشذوذ ؛ لأنه يسامح في الكبير ويستد في الصغير ، وربما عزّ علي الانفصال عن قولهم : (لأنه يجود بالآلف وقد يضي بالدرهم) وكنت ألوم نفسي ، وأستحي من نظيره حتى رأيت

(١) هو الحبيب المرشد الصالح أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن عمر ، وكان من خواصه السيد العلامة علوي بن محمد بن طاهر الحداد ، الذي جمع بعض الكرايس من مشور كلامه ومواعظه ، وللحبيب أبو بكر رسالة حوت فوائد وأذكار (مخطوط) ، وله ذرية متشرة ، ومن أجل ذريته : ابنته السيدة المسندة العابدة الصالحة فاطمة بنت أبي بكر ، المتوفاة بتريم في (١٢) جمادى الأولى (١٣٥١ هـ) .

ما يُشبهه في سيرة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وحاتم الطائي ،
وعبد الله بن جعفر . وقال البحتري [من الطويل] :

يَضِيقُ مِنَ الْأَمْرِ الْيَسِيرِ مَخَافَةً وَإِنْ كَانَ أَضْحَى وَاسِعَ الصَّدْرِ وَالْيَدِ
وله أولاد ؛ منهم : أبنة ، قرّة العين ، المنغص الشباب مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ،
المتوفى بتريم في حياة أبيه سنة (١٣٥٤ هـ)^(١) ، وأخوه الفاضل الأديب عبد الله^(٢) بن
أحمد ، يسكن الآن في سنغافورة ، وهو الذي كان يُصدرُ مجلة (عكاظ) في
حضر موت بخطّ أليد ، وقد أطلعتُ على أعدادٍ منها مليئة بالفوائد .

ولعمري ، لقد كانت المسيلة منزلَ علم ، ومكرجَ ري ، ومهادَ تقوى ، وعمادَ
شرف ، بها رست قواعدُ المجد ، وأنبتت عيونُ الجود ، وأستحصفت^(٣) أسبابُ
المكارم ، حتّى لقد وصفها بعضهم بقصيدة قال في مطلعها بحق :

اللهُ أَكْبَرُ هَذِهِ الْمَسِيلَةُ فِيهَا الْهُدَى وَالنُّورُ وَالْفَضِيلَةُ
إِلَّا أَنَّهَا تَعَاوَرَهَا الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ ، وَالْغَمُّ وَالشُّرُورُ ، وَلَمَّا وَصَلَهَا الْوَالِدُ أَحْمَدُ بْنُ
عمر بن يحيى في سنة (١٣٤٥ هـ)^(٤) . . . أطلعَ بوحها^(٥) ، وأعادَ رُوحها ، فأثَّ
نباتها ، وانتشرَ رُفاتها ، ولكنّه لم يسلم من أذية آل تميم مع انتسابهم إليه وإلى أجداده
بالخدمة ، فغادرها إلى تريم ، وكان له بها قصرٌ فخيمٌ ، فعادت المسيلة إلى الدُّبُولِ ،
وغابَ عنها القَبُولُ .

(١) كان السيد محمد بن المع بن يحيى المتأخرين ، ذكياً أديباً شاعراً نحويّاً ، درس في حضرموت على يد
المؤلف وغيره ، وكتب مصنفات في النحو والصرف .

(٢) كان مولده بسنغافورة حيث كان والده يقيم في حدود عام (١٣٢٥ هـ) ، وتوفي سنة (١٤٠٥ هـ) تقريباً
بدولة بالإمارات العربية عند أولاده ، عن سن عالية ناهزت التسعين .

وكان قد تقلب في مناصب حكومية عديدة . ينظر : « تعليقات ضياء شهاب على شمس الظهيرة »

(٣٢٦ - ٣٢٥ / ١) .

(٣) استحصفت : تمكّنت وأستحكمت .

(٤) عائداً من سنغافورة .

(٥) بوحها : شمسها .

أَشْلَى الزَّمَانُ عَلَيْهَا كُلَّ حَادِثَةٍ وَفَرْقَةٍ تُظْلِمُ الدُّنْيَا لِنَازِحِهَا^(١)
 دَارُ أَجَلٍ أَلْهَوَى عَنْ أَنَّ أَلَمَ بِهَا فِي الرُّكْبِ إِلَّا وَعَيْنِي مِنْ مَنَائِحِهَا
 وسيأتي ذكرُ السَّيِّدِ عَقِيلٍ وأولاده في يشحر .

دَمَح

إِعْلَمَنَّ أَنَّ فِي جَنُوبِ الْغُرْفِ فُضَاءً وَاسِعاً تَشْرُعُ - كَمَا سَبَقَ - فِيهِ الطَّرِيقُ إِلَى سَوَاحِلِ
 حَضْرَمَوْتَ وَالْمَسِيلَةِ فِي شَرْقِي الْغُرْفِ ، وَذَلِكَ الْفُضَاءُ يَمْتَدُّ فِي جَنُوبِهَا أَيْضاً . وَفِي
 ذَلِكَ الْفُضَاءِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى وَالْمَزَارِعِ وَالصَّحَارِي ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَّا بِالْعُقْبَةِ الْمَسْمَاةِ بـ :
 عُقْبَةِ الْغَزْزِ عَلَى مَا نُفَصِّلُهُ .

وَأَوَّلُ مَا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْفُضَاءِ يُقَالُ لَهُ : دَمَح .

وَفِي جَنُوبِهِ جَبَلٌ شَاهِقٌ ، يَمْتَدُّ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ ، وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ
 الشَّرْقِ . . فَإِنَّهُ يَنْقَطِعُ حَيْثُ يَنْبَسِطُ ذَلِكَ الْفُضَاءُ .

وَقَدْ وَقَعَ فِي « الْأَصْلِ » أَنَّ هَذَا الْجَبَلَ بِقَرَبٍ مِنَ الشُّوَيْرِيِّ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ حَسَبَمَا
 أَخْبَرَنِي مَنْ أَتَقُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْجِهَةِ أَكْثَرُ مِنْ ثِقَتِي بِمَنْ أَخْبَرَنِي بِمَا أَنْبَأَنِي عَلَيْهِ كَلَامِي
 فِي « الْأَصْلِ » ، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ . . فَلَمْ يَنْخَرِمِ التَّنْدِيلُ بِهِ عَلَى وَجُودِ أَهْلِ الرَّسِّ
 بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ ؛ لِأَنَّ الْغُرْفَ وَالشُّوَيْرِيَّ مُتَقَارِبَتَانِ ، وَعَنْ تَقَارُبِهِمَا نَشَأَ غَلْطٌ مِنْ
 أَخْبَرَنِي أَوَّلًا وَقَدْ نَقَلَ الْمِيدَانِيُّ عَنِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ : (أَنَّ لِأَهْلِ الرَّسِّ نَبِيًّا يُقَالُ لَهُ :
 حَنْظَلَةُ بْنُ صَفْوَانَ ، وَكَانَ بَارِضِهِمْ جَبَلٌ يُقَالُ لَهُ : دَمَحٌ ، مُصْعَدُهُ فِي السَّمَاءِ مِيلٌ) اهـ^(٢)
 وَلَيْتَن كَانَ ذَاكَ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَهَذَا بِالْمَهْمَلَةِ . . فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ جَدًّا وَالتَّصْحِيفُ
 فِي مِثْلِهِ كَثِيرٌ ؛ كَمَا صَحَّفُوا (سِر) عَنْ (رَس) .

(١) البیتان من البسیط ، وهما لأبي تمام في « ديوانه » (٢٠٣-٢٠٢/١) . أشلى : أغرى . النَّازح : الذي
 ترك دياره ، وبَعُدَ عنها .

(٢) « مجمع الأمثال » (٤٢٩/١) .

وفوق هذا فإنَّ الجبلَ الفاصلَ بينَ القُعَيطِيِّ والمَهْرِيِّ بِسَاحِلِ البَحْرِ يُقالُ لَهُ : دَمَخٌ
بِالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ كما مرَّ في المَرافِئِ ، والأَماكُنُ مُتقاربةٌ ، وكلُّها مِنْ حَضْرَمَوْتِ ،
فالتَّدليلُ ثابتٌ على كُلِّ حالٍ .

وقالَ ابنُ مُقْبِلٍ - وكانَ وصَّافاً لكثيرٍ مِنَ الأَماكُنِ الحَضْرَمِيَّةِ [مِنَ الكَامِلِ] - :

لَمَنِ الدِّيَارُ بِجَانِبِ الْأَمْهَارِ فَبِتَلِّ دَمَخٍ أَوْ بِسَلْعِ حِرَارِ
خَلَدَتْ وَلَمْ يَخْلُدْ بِهَا مَنْ حَلَّهَا ذَاتُ النُّطَاقِ قُبْرَقُهُ الْأَخْفَارِ

وقالَ عَتْرَةُ بْنُ الْأَخْرَسِ الطَّائِي [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

لَقَدْ حَلَقْتُ بِالْجَوْ فَتَخَاءُ كَاسِرٍ كَفَتَخَاءِ دَمَخٍ حَلَقْتُ بِالْحَزَوْرِ^(١)

وهوَ غَيْرُ دَمَخٍ الْوَاقِعِ بِالطَّائِفِ الَّذِي يَقولُ فِيهِ مُزَاحِمُ الْعُقَيْلِيِّ [مِنَ الْبَسِيطِ] :

حَتَّى تُحَوِّلَ دَمَخاً عَنْ مَوَاضِعِهِ وَهَضَبَ تُرْبَانَ وَالْجَلْحَاءِ مِنْ طُنْبٍ
وَالْأَسْمَاءُ كَثِيرًا مَا تَتَشَابَهُ .

وقالَ حمزةُ بْنُ الْحَسَنِ الْأَصْبَهَانِيُّ : دَمَخٌ : جَبَلٌ مِنْ جِبَالِ ضَرِيَّةِ ، طَوْلُهُ فِي
السَّمَاءِ مِيلٌ .

وقالَ طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

وَلَمَّا بَدَا دَمَخٌ وَأَعْرَضَ دُونَهُ غَوَارِبُ مِنْ رَمَلٍ تَلُوحُ شَوَاكِلُهُ

السَّهْلَةُ

وَمِنْ وراءِ دَمَخٍ فِي الْجَنُوبِ مَكَانٌ يُقالُ لَهُ : السَّهْلَةُ ، لآلٍ بِالْهِنْدِيِّ مِنْ آلِ تَمِيمٍ .
وَفِي أَوَّلِ سَفَرِي لِي مِنْ حَضْرَمَوْتِ - سَنَةَ (١٣٢٢ هـ) إِلَى الْحِجَازِ - بَكَرْتُ مِنْ سَيْتُونَ مَعَ
الْمَرْحُومِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرِ السَّقَّافِ مِنْ مَكَانِنَا عَلَمَ بَدْرِ ، وَأَبْرَدْنَا بِظِلِّ

(١) الفَتْخَاءُ : لِيَّةُ الْجَنَاحِ . الْكَاسِرُ : الْعُقَابُ . الْحَزَوْرُ : الْمَكَانُ الْغَلِيظُ . وَلِلْبَيْتِ قِصَّةٌ ذَكَرَهَا الْمِيدَانِيُّ
فِي « مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ » (٤٢٩ / ١) عِنْدَ قَوْلِهِ : (طَارَتْ بِهِمُ الْعَنْقَاءُ) ، فَلْيَرِاجِعْهَا هُنَاكَ مِنْ أَحَبِّ .

أَثَلٍ^(١) حَوْلَ الْغَرْفِ ، ثُمَّ كَانَ الْمَبِيتُ بِهَذَا الْمَوْضِعِ - أَعْنَى : السَّهْلَةُ - ، وَمَعَ امْتِلَاءِ صَدْرِي بِالْأَحْزَانِ لِفِرَاقِ وَالِدَيَّ وَأَهْلِي .. كَانَ سُرُورِي عَظِيماً لَمَّا عَلِمْتُ أَنَّ أَسْمَ هَذَا الْمَكَانِ هُوَ السَّهْلَةُ وَتَفَاءَلْتُ خَيْرًا ، كَمَا أَنَّ وَالِدِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَكَدَّرَ لِفِرَاقِي كَثِيراً وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَنَعِي عَنِ الْحُجِّ ، وَفِي اللَّيْلَةِ الَّتِي رَكِبْتُ مِنْ فَجْرِهَا أَوْ سَحَرِهَا .. زَارَ بِي أَحَدُ الْفَضَلَاءِ الصَّالِحِينَ ، وَبِمَجَرَّدِ مَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ إِذَا بِإِنْسَانٍ يَصِيحُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ فتبادرت دموعُ وَالِدِي مِنْ فَرَطِ السُّرُورِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

وَمِنْ وَرَاءِ السَّهْلَةِ جَنُوبًا : بَاغِلَال . وَعَنْ يَمِينِهِ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ كَانَ فِيهَا الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلِيمَانَ أَحَدُ حُكَّامِ آلِ تَمِيمٍ وَأُولَى رَأْيِهِمْ ، قُتِلَ فِي حَرْبٍ أَشْتَبَكَ فِيهَا مَعَ آلِ شَمْلَانَ بَعْدَ أَنْ سَلَّمَ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ ، فَلَمْ تَشْغَلْهُ الْحُرُوبُ عَنْ آدَاءِ الْفَرِيضَةِ .
وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَشَائِخِ الزُّبَيْدِيِّينَ .

- وَمِنْ وَرَائِهِمَا : الْغَارِينَ ، لَّالِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّينَ . ثُمَّ : بَرِيكَةَ ، لَّالِ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيِّينَ أَيْضًا .

يَشْحَرُ

وَهُوَ وَادٍ لَيْسَ بِالْوَاسِعِ فِي جَنُوبِ الْمَسِيلَةِ إِلَى شَرْقٍ ، فِيهِ عَيْنٌ مَاءٍ صَغِيرَةٌ .
كَانَ السَّيِّدُ عَقِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى اشْتَرَاهُ لِلْأَمِيرِ مُحْسِنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَوْلَقِيِّ ، السَّابِقُ ذِكْرُهُ فِي صَدَاحٍ ، ثُمَّ وَقَفَهُ بِتَوَكُّيلٍ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَعَلَى الْوَارِدِينَ وَالصَّادِرِينَ ، وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَفَقِّهِينَ ، وَفِي صِغَةِ الْوَقْفِ مَجَالٌ وَاسِعٌ لِلنَّظَرِ ، لَا سِيَّما وَقَدْ فَهِمَ بَعْضُ مُتَأَخَّرِي الْعُلَمَاءِ مِنْ كَلَامِ ابْنِ حَجَرٍ مُوَافَقَتَهُ لِلرَّمْلِيِّ فِي اشْتِرَاطِ قَبُولِ الْمَوْقُوفِ عَلَيْهِ الْمُعَيَّنَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَأْتَى مِنَ السَّيِّدِ عَقِيلٍ حِينَئِذٍ الْوَقْفُ عَلَى نَفْسِهِ ، ثُمَّ الْقَبُولُ ، عَلَى مَا بَسَطْتُهُ فِي « الْأَصْلِ » مِنْ وَجْهِ النَّظَرِ .

(١) الأَثَلُ : نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّجَرِ .

وَكَانَ السَّيِّدُ عَقِيلٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ شَهْمًا قَوِيَّ النَّفْسِ ، حَمِيَّ الْأَنْفِ ، كَمَا يُعْرَفُ مِنْ قَضِيَّةِ النُّوَيْدِرَةِ .

فَقَى عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ وَشَرُّهُ وَمِنْهُ الْإِبَاءُ الْمَلْحُ وَالْكَرَمُ الْعَذْبُ^(١)

وَكَانَ رَجُلٌ جِدٌّ ، وَلَهُ غَرَائِبُ ؛ مِنْهَا : أَنَّهُ حَجٌّ ، وَأَنْعَقَدَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ - الْمَثَرِي الشَّهِيرِ صَاحِبِ الْخَيْرَاتِ الْكَثِيرَةِ ، وَالْأَرْبُطَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِمَكَّةَ وَجُدَّةَ - فَرَجٍ يُسِرُّ صَدَاقَةً مَتِينَةً ، وَلَمَّا عَزَمَ السَّيِّدُ عَقِيلٌ عَلَى السَّفَرِ إِلَى جَاوَةَ بَعْدَ آدَاءِ النَّسْكِينَ . . قَالَ لَهُ : مِثْلُكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَغِيبَ عَنْ حَضْرَمَوْتَ .

فَقَالَ لَهُ : لَا يُمَكِّنُنِي الرُّجُوعُ إِلَيْهَا إِلَّا بِسِطَةِ كَفٍّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى حَقُوقِ الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ . قَالَ لَهُ : كَمْ تُؤَمِّلُ مِنْ جَاوَةَ ؟ قَالَ : مَا أَنْتَ وَذَاكَ ؟

فَالْحَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : لَا يُمَكِّنُنِي الرُّجُوعُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ إِلَّا بِشَمَانِينَ أَلْفَ رِيَالٍ .

فَأَعْطَاهُ إِثَّاهَا مَعَ مَلءٍ مَرْكَبٍ شَرَاعِيٍّ مِنَ الْأَرُزِّ وَمَا يَنَاسِبُهُ مِنَ الْبَضَائِعِ وَالْحَبُوبِ ، وَبِمَجَرَّدٍ مَا وَصَلَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ . . بَنَى سَدًّا لِلْمَاءِ فِي مَسِيَالِ عِدَمٍ ، كَلَّفَهُ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفًا مِنَ الرِّيَالَاتِ ، فَاجْتَاَحَهُ السَّيْلُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ !

وَمَا زَالَ السَّيِّدُ عَقِيلٌ عَلَى كَسْبِ الْجَمِيلِ ، وَفَعَلَ الْجَلِيلِ ، لَا يَقْرَأُ عَلَى ضَمِيمٍ ، وَلَا يَلِينُ لِقَائِدٍ ، وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ عِنْدَ الْكَثِيرِيِّ لِلنَّفْعِ وَالصَّنْعِ مَوْضِعًا . . أَنْبَرَى لِلْمُضَرَّةِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ عَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ - وَكَانَ كَمَا فِي « طَبَقَاتِ النُّحَاةِ » مِنْ الْأَفْصَحَاءِ - [مِنْ الطُّوِيلِ] :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ . . فَضُرَّ فَإِنَّمَا يُرْجَى الْفَتْى كَيْمَا يَضُرَّ وَيَنْفَعَا^(٢)

وَقَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٤١٥/١ مِنْ مَجْزُوءِ الرَّجَزِ] :

مِنْ مَغْشَرٍ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا لِنَفْعٍ وَضَرَرٍ

(١) البيت من الطويل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٤٣/١) .

(٢) البيت للناطقة الجعدي في « ديوانه » (١٠٦) .

وقال كعب الأشقر [مِن الطويل] :

رَأَيْتُ يَزِيداً جَامِعَ الْحَزْمِ وَالنَّدَى وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

وقال حبيب [في «ديوانه» ٤٠٠/١] مِنَ الطويل :

وَلَمْ أَرْ نَفْعاً عِنْدَ مَنْ لَيْسَ ضَائِراً وَلَمْ أَرْ ضِراً عِنْدَ مَنْ لَيْسَ يَنْفَعُ

وقال عدي بن زيد [مِن الطويل] :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعِ بِوُدِّكَ أَهْلَهُ وَلَمْ تُنْكِرْ بِالْبُؤْسِ عَدُوَّكَ فَابْعِدِ

وعندي قام بفتنة التويدرة السابق ذكرها في المسيلة .

ومن مكارم عقيل : أَنَّهُ وَضَعَ عِنْدَ أَبِي بَسِيطٍ أَرْبَعِينَ أَلْفَ رِيَالٍ عَنْ مِئَةِ أَلْفِ رِبَّةٍ
هولندية بمصرفٍ ذلكَ الْعَهْدِ عَلَى سَبِيلِ الْقَرْضِ ، فَلَمَّا تَأَخَّرَ شَغْلُ أَبِي بَسِيطٍ . . كَتَبَ لَهُ
النَّاصِحُونَ لِيَتَلَفَى مَالَهُ بِالسَّفَرِ إِلَى سِرْبَايَا مِنْ أَرْضِ جَاوَةِ ، فَلَا مَهْمَ وَقَالَ : إِنِّي أَهْرَجَ
الْأَوْقَاتِ أَضْيُّ عَلَى صَدِيقِي ، لَوْ كَانَ مَالِي بِأَسْرِهِ يَنْفُسُ عَنْهُ مَا وَقَعَ فِيهِ . . لِأَعِيتُهُ
إِيَّاهُ .

ثم لم أدر ماذا صار ، غير أن هذا من الشَّهَامَةِ وَالْوَفَاءِ بِمَكَانٍ .

يَا هِمَّةٌ نُبَلْتُ عَنْ أَنْ يُقَالَ لَهَا كَأَنَّهَا وَتَعَالَتْ عَنْ مَدَى الْهِمَمِ
وقد خَلَّفَ جَمَلَةً مِنَ الْأَوْلَادِ ، أَكْبَرُهُمُ : الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ
عَقِيلٍ^(١) ، كَانَتْ لَهُ حَافِظَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَأَطْلَاعٌ تَامٌ ، وَإِكْبَابٌ عَلَى الْمِطَالَعَةِ ، وَكَانَ بَدْءَ أَمْرِهِ

(١) ولد بالمسيلة سنة (١٢٧٩هـ) ، عكف من صغره على مكتبة آبائه وأجداده ، ونهل منها علماً كثيراً .

ثم سافر إلى سنغافورة تاجراً وأثرى بها ، رحل إلى بلدان عديدة .

كان له الريادة في إصدار أول صحيفة عربية تصدر في شرق آسيا ، وهي صحيفة : « الأيام » ،
صدر عددها الأول في جمادى الآخرة (١٣٢٤هـ) (١٩٠٦م) ، وآخر عدد في ذي الحجة
(١٣٢٦هـ) . وأتبعها بصحيفة : « الإصلاح » ، وكانت أسبوعية ، صدر عددها الأول في شوال
(١٣٢٦هـ) ، واستمرت إلى ذي الحجة (١٣٢٨هـ) ، وكانت رئاسة تحريرها للأستاذ كرامة بلدرم .
ثم أصدر صحيفة : « برهوت » عندما كان مقيماً في الصولو بإندونيسيا ، مكثت عامين ثم انقطعت
كمثيلاتها .

على اعتدالٍ في التَّشيعِ حتَّى لَقَدْ دَخَلَ الْعِرَاقَ فِي سَنَةِ (١٣٣٠هـ) وَمَعَهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحَيْدُ وَالسَّيِّدُ يَوْسُفُ بْنُ أَحْمَدَ الزَّوَاوِي صَاحِبُ مَسْقُطٍ ، فَلَمْ يُرْضِ الشَّيْعَةُ وَلَا أَهْلَ الشُّنَّةِ ؛ لَخُرُوجِهِ عَنِ سَنَتِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ غَلَا بِالْآخِرَةِ فِي تَشْيِعِهِ حَتَّى اقْتَرَبَ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَّةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَتَأَثَّرَ بِكَلَامِهِ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْحِرَافُهُمْ ، فَلَقَدْ بَعَثَ لِي بِنَسْخَةٍ مِنْ قَصِيدَةِ سَيَرِهَا لِلْإِمَامِ الْحَالِي ، يَقُولُ مِنْهَا فِي مَدْحِهِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

رُوحٌ مُقَدَّسَةٌ وَقَلْبٌ ضَمُّهُ فِي قَالِبِ التَّصْوِيرِ أَحْسَنُ هَيْكَلِ
ويقولُ فيها عن أَهْلِ الْبَيْتِ :

بُرَاءٌ مِنْ حَسَدِ الْمَشُومِ وَغِلْظَةِ الْفَظْظِ الْعَشُومِ وَمِنْ تَقَهُّقِرِ نَعْلِ^(١)
وما أرى هذا التَّعْرِيضَ الْفَاحِشَ عَنْ عَقْدِ قَلْبِي وَنِيَّةِ قَطْعِيَّةٍ ، وَعَلَّه كَانَ عَنْ ثَوْرَةِ نَفْسِيَّةٍ ذَهَبَ بِهِ الْكَلَامُ فِيهَا إِلَى غَيْرِ مَا يَرِيدُ ، وَمَا أَصْدَقَ قَوْلَ بَدِيعِ الزَّمَانِ : الْكَلَامُ مَجُونٌ ، وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ ، وَاللَّفْظُ قَدْ يُوحِشُ وَكَلَهُ وَدٌ ، وَالشَّيْءُ قَدْ يُكْرَهُ وَمَا مِنْ فَعْلِهِ بُدٌ ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ : لَا أَبَا لَكَ فِي الْأَمْرِ إِذَا هَمَّ ، وَقَاتَلَهُ اللَّهُ وَلَا يَرِيدُونَ بِهِ الذَّمَّ ، وَوَيْلٌ أُمِّهِ لِلْمَرْءِ إِذَا أَهَمَّ .

أَمَّا الْإِمَامُ حَفْظُهُ اللَّهُ : فَإِنَّهُ لَا يَعْجِبُهُ مِثْلُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُتَعَصِّبِينَ ، بَلْ هُوَ الَّذِي أَجْتَنَّى عُرُوقَ التَّعَصُّبِ مِنْ بَيْنِ الزَّيْدِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ حَتَّى عَادُوا إِخْوَانًا ، وَسَلَكَ فَجَّهُ وَلِيٍّ عَهْدِهِ ، وَبَابَ مَدِينَةِ مُلْكِهِ وَمَجْدِهِ : وَلَدُهُ أَحْمَدُ وَلَدُهُ زَيْنُ الشَّابَابِ الْمَأْسُوفُ عَلَيْهِ الْبَدْرُ مُحَمَّدٌ .

وَأَمَّا أَنَا : فَقَدْ اتَّعَظْتُ بِغُلُوِّ الْعَلَامَةِ ابْنِ عَقِيلٍ اتِّعَظًا حَسَنًا ؛ إِذْ سَلِمْتُ بِاسْتِنَاكَ عَنْ الْوُقُوعِ فِي الْحِمَى الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَرَّبَ ، لَا سِيَّمَا وَحَامِيهِ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا لِلْقَاصِرِينَ أَمْثَالُنَا وَالذُّخُولَ بَيْنَ الْمَهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَعْرِيفَ

(١) التَّهْقِيرُ : الرُّجُوعُ . التَّعْتَلُ : الشَّيْخُ الْأَحْمَقُ .

طبقاتهم وترتيب درجاتهم ؟ هيهات ! لقد حنَّ قدحٌ ليسَ منها^(١) .

وكانَ العلامةُ ابنُ عقيلٍ قويَّ الإرادة ، حميَّ الأنف ، وجرى عليه امتحانٌ بسنغافورة وجاوة . فلم يزلْ نعلهُ ، ولا لان جانبهُ ، ولهُ رحلاتٌ - حتَّى إلى القارةِ الأوربيَّة - بمعيَّة أميرِ الإحسانِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السَّقَّافِ^(٢) ، ولهُ اتِّصالٌ بكثيرٍ من أعيانِ مصرَ وغيرها . ولهُ مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ ، أجمعُها وأحبُّها إليه الكتابُ الموسومُ بـ « ثمراتِ المطالعة » ، ومنها : « العتبُ الجميلُ على أهلِ الجرحِ والتَّعديلِ »^(٣) .

غيرَ أنَّ السَّيِّخَ الأديبَ أحمدَ الحضرائيَّ أخبرني عن العباديِّ الثَّقة الَّذي كانَ موظِّفًا بدارِ الضَّربِ في حيدر آباد الدَّكن : أنَّه ليسَ له ، وإنَّما كانَ من تاليفِ العلامةِ السَّيِّدِ أبي بكرٍ بنِ شهابٍ ، فنزلَ عنه للعلامةِ ابنِ عقيلٍ ، وأنَّه كانَ شاهدَ ذلكَ التَّزولِ .

وأنا في شكٍّ منه ؛ أمَّا أوَّلاً : فلأنَّ عبارتهُ وموضوعهُ أمسُّ بعبارةِ ابنِ عقيلٍ وجديليتهُ ، وأمَّا ثانياً : فإنَّه حصيلُ مطالعاتٍ كثيرةٍ ومراجعاتٍ وفيرةٍ لا يصبرُ عليها شيخُنَا العلامةُ ابنُ شهابٍ ، وإنَّما كانَ له فهمٌ وقادٌّ يتيسَّرُ له عفواً معه المرادُ ، واللهُ أعلمُ .

توفيَ السَّيِّدُ ابنُ عقيلٍ بالحديدة سنةَ (١٣٥٠ هـ) ، وقد رثيتهُ بمرثيةٍ لزوميةٍ توجَدُ بمكانِها من « الدِّيوانِ » .

ورثاهُ جماعةٌ منَ الأدباءِ ؛ منهم العلامةُ الأخُ علويُّ بنُ طاهرٍ الحَدَّادُ ، والشَّاعرُ

(١) حنَّ قدحٌ ليسَ منها : مثل تضربه العرب للرجل يتمدح بالشَّيء وهو من غير أهله .

(٢) هو السيد المحسن صاحب المبرات والأوقاف الخيرية ، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوي بن عبد الله بن محمد بن عمر الصافي السَّقَّاف . . .

ولد بسنغافورة ، وكان والده من أعيان تجارها ، مشهوراً بالسخاء والكرم ، واقفني ابنه المترجم نهجه ، وأجرى الله على يديهما خيراً كثيراً ، توفي السيد محمد بسنغافورة سنة (١٣٢٣ هـ) . تكلم عن جودهما صاحب « التلخيص » (٤٤) .

(٣) وقد طبع « العتب » بمصر قديماً ، وهو يتناول الدفاع عن بعض الرواة ضعفاً بسبب تهمتهم بالتشيع ! وله مؤلفات أخرى غير هذا . . . تنظر في ترجمته الطويلة من « التعليقات » لضياء شهاب : (٣٢٤-٣١٨/١) ، « الرابطة » أعداد سنة (١٣٥١ هـ) ، و « الأعلام » (٦/٢٦٩-٢٧٠) .

المطبوع : أحمد بن عبد الله السَّقَّاف ، والكَاتِبُ الشَّهِيرُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ هَاشِمِ بْنِ طَاهِرٍ ، وَغَيْرُهُمْ .

وَتَرَكَ أَوْلَادًا ؛ مِنْهُمْ - وَهُوَ أَكْبَرُهُمْ - : عَيْسَى ، لَهُ نَكَاتٌ وَنَوَادِرُ ، يَسْكُنُ الْآنَ بِصَنْعَاءَ . وَمِنْهُمْ : عَلِيٌّ ، شَابٌّ فَاضِلٌ ، كَرِيمُ الْأَخْلَاقِ ، كَانَ كَاتِمَ سِرِّ سَيْفِ الْإِسْلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَ بِمَعِيَّتِهِ فِي سَفَرِهِ إِلَى أَوْرَبَّةَ ثُمَّ إِلَى الْحَجَّازِ ، تُوْفِّي بِصَنْعَاءَ فِي سَنَةِ (١٣٦٣ هـ) .

وَمِنْ أَوْلَادِ السَّيِّدِ عَقِيلٌ : السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عَقِيلٍ ، كَانَ فَقِيهًا حَكِيمًا ، ذَا رَأْيٍ أَصِيلٍ ، وَسَعْيٍ جَمِيلٍ ، وَخُلُقٍ حَسَنٍ ، تُوْفِّي بِالْمَسِيلَةِ بِإِثْرِ حَمَى خَفِيفَةٍ جَدًّا^(١) فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ (١٣٣٩ هـ) ، وَشَهِدَ دَفْنَهُ أَخُوهُ الْعَلَامَةُ مُحَمَّدٌ ؛ لِأَنَّهُ وَصَلَ حَضْرَمُوتَ فِي آوَاخِرِ سَنَةِ (١٣٣٨ هـ) ، وَلَمْ تَطُلْ إِقَامَتُهُ بَعْدَ وَفَاةِ أَخِيهِ بَلْ عَادَ إِلَى مَقَرِّ تِجَارَتِهِ .

وَلَا بَأْسَ إِذْ جَرَى ذِكْرُ الشَّيْخِ فَرَجٍ يُسْرِ مِنْ الْإِشَارَةِ إِلَى سَبَبِ ثَرْوَتِهِ وَزَوَالِهَا ؛ لِأَنَّ خَبَرَ ذَلِكَ طَرِيفٌ جَدًّا ، فَقَدْ كَانَ رَاكِبًا فِي أَحَدِ الْمَرَكَبِ الشَّرَاعِيَّةِ ، وَكَانَ فِي خُلُقِهِ حَذَّةٌ وَشِرَاسَةٌ ، وَكَانَ رُبَّانُ الْمَرْكَبِ يُحِبُّ أَنْ يُغْضِبَهُ وَيَتَنَادَرَ عَلَيْهِ ، فَرَسَى بِهِمُ الْمَرْكَبُ فِي سِيلَانٍ^(٢) وَلَهُ بِهَا مَعَارِفٌ ، وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ لَا يُقْلَعُوا إِلَّا بَعْدَ شَحْنِ الْبَضَائِعِ مِنْهَا وَهِيَ تَسْتَغْرِقُ أَيَّامًا ، فَكَانُوا يَخْرُجُونَ لِلتَّزْهِةِ صَبَاحَ كُلِّ يَوْمٍ إِلَى مَرَسَى كُلْمَبُو^(٣) ، وَهَنَّاكَ يَحْضُرُ الدَّلَالُونَ بِالْأَشْيَاءِ الْتَافِهَةِ لِيَبْعَهَا بِالْمَزَادِ ، فَيُطَاوَأُ الرُّبَّانُ مَعَ الْحَاضِرِينَ أَنْ يُوقِعُوا فَرَجَ يَسْرِ فِي الشَّبَكَةِ ، فَكَانَ الْمَعْرُوضَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ صَنْدُوقَانِ خَشْبِيَّانِ أَكَلَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمَا وَشَرَبَ ، وَأَعْتَرَقَتِ الْأَرْضُ ظَوَاهِرَهُمَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمَا إِلَّا الرُّسُومُ ، إِلَّا أَنَّهُمَا

(١) وَقَدْ خَلَفَ السَّيِّدَ عَمْرٌ فِي فَضْلِهِ وَعِلْمِهِ ابْنُهُ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهُ الْأَدِيبُ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَمْرِ الْمَوْلُودُ بِالْمَسِيلَةِ سَنَةَ (١٣٢٧ هـ) تَقْرِيْبًا . وَقَدْ كَانَ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَعْيَانِ عُلَمَاءِ الْيَمَنِ ، وَتَوَلَّى نَظَارَةَ الْمَعَارِفِ فِي صَنْعَاءَ وَتَعَزَّزَ أَيَّامَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ . وَهُوَ مِنْ خَرِيجِي الرِّبَاطِ وَجَمْعِيَةِ الْأَخْوَةِ بَتْرِيمَ ، وَدَرَسَ عَلَى شَيْخِ عَصْرِهِ ، وَلَهُ مَنَظُومَةٌ عَذْبَةٌ حَوَتْ أَسْمَاءَ شَيْخُوهُ سَمَّاها : « مَشْرَعُ الْمَدَدِ الْقَوِي نَظْمُ السَّنَدِ الْعُلُوي » . ثُمَّ تَوَلَّى مَنَاصِبَ إِفْتَاءَ لَوَاءَ تَعَزَّزَ إِلَى أَنْ تُوْفِيَ سَنَةَ (١٤١٥ هـ) . لَهُ تَرْجُمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ فِي : « لَوَاعِجُ النُّورِ » .

(٢) جَزِيرَةُ سِيلَانَ الشَّهِيرَةِ الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِاسْمِ : (سِيرَلَانْكَا) .

(٣) وَهِيَ الْعَاصِمَةُ .

لا يزالان مُقفلين ، فوقعا بتدبيرِ الرُّبَّانِ عندَ فَرَجٍ ، فأخذوا يغمزون ويلمزون إلى أن ضاقَ صدرُ فرج - وسرعان ما يضيّقُ - فعادَ إلى المركبِ حزينا ، ولَمَّا كَانَ وَسْطُ اللَّيْلِ . . عزمَ على رميهما في البحرِ ، ثمَّ ثابَ إليه رشدهُ وأرتأى أن لا يرميهما حتَّى يرى ما فيهما ، فعادَ بهما إلى مَخْدَعِهِ وفتحهما . . فإذا بهما مشحونان بالأوراقِ المَالِيَّةِ مِنْ ذَوَاتِ أَلْفِ رِبِّيَّةٍ بما يُقَوِّمُ بعشراتِ الملايينِ ، مِنْ ذَلِكَ كانت ثروتهُ أَلْتِي لَمْ يَقِفْ فيها عندَ غَايَةٍ مِنْ فَعْلِ الْمَكْرُمَاتِ ، إِلَّا أَنَّ أَمْرَهَا مَخَوْفٌ ، وَلَا سِيَّما إِنْ أَمَكْنَ مَعْرِفَةُ أَرْبَابِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ ، فَعَسَى أَنْ لَا تُمَكِّنَ مَعْرِفَتُهُمْ إِذْ ذَاكَ لِيَكُونَ لَهَا وَجْهٌ مِنَ الْحَلِّ .

وَلَمْ يَكْتَفِ بِتِلْكَ الْمَبَالِغِ الضَّخْمَةِ حَتَّى أَخَذَ يوسِعُهَا بِالتَّجَارَةِ ، فَأَقْتَنَى الْعَدَدَ الْكَثِيرَ مِنْ الْمَرَاكِبِ الشَّرَاعِيَّةِ ، يَمْخُرُ بِهَا عِبَابَ الْبَحْرِ الْهَادِي وَالْهِنْدِي وَالْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ وَغَيْرِهَا ، حَتَّى لَقَدْ جَهَّزَ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَفِينَةً هِيَ وَمَا فِيهَا مِنْ الْبُضَائِعِ . . مِنْ أَمْوَالِهِ الْخَالِصَةِ . وَلَمَّا جَاءَ الْإِدْبَارُ . . وَرَدَّتْهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ بَرْقِيَّةً ، كُلُّ وَاحِدَةٍ بِتَلْفِ سَفِينَةٍ وَمَا فِيهَا مِنَ الْبُضَائِعِ ، فَلَمْ يَنْكَسِفْ بِالْهُ ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ حَالُهُ . عَلَى رَوَايَةٍ هَذَا اتَّفَقَ جَمَاعَةٌ مِنْ مَعْمَرِي الْحُدَيْدَةِ فِي سَنَةِ (١٣٤٠ هـ) عَنْ خُبْرَةٍ بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ ؛ إِذْ كَانَ رَبَاؤُهُ هُوَ بِالْحَدِيدَةِ ، إِلَّا أَنَّ فِي النَّفْسِ شَيْئًا مِنَ الْبَرْقِيَّاتِ ؛ لَأَنِّي لَا أَدْرِي أَكَانَتْ مُتَّصِلَةً لَذَلِكَ الْعَهْدِ أَمْ لَا ؟

وَكَانَ عَبْدًا حَبْشِيًّا أَعْتَقَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيدَةِ ، وَكَانَتْ أُمُّ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ عَقِيلٌ حَبْشِيَّةٌ أَيْضًا ، فَهَذَا مَعَ عَشْقِ الْمَكَارِمِ وَتَحْمُلِ الْمَغَارِمِ . . هُوَ الْجَامِعُ بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ .
وَمِنْ وَرَاءِ يَشْحَرِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مَكَانٌ يُقَالُ لَهُ :

الصَّارِي ، وَهُوَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ لَّالِ مَقِيدِحِ الْجَابَرِيِّينَ ، لَا يَزِيدُ سُكَّانُهَا إِلَّا كَرَةً عَنْ سَبْعِينَ شَخْصًا .

ثُمَّ : شَرْيُوفٌ ، وَهُوَ وَادٍ أَكْثَرُ أَمْوَالِهِ لِلْسَّادَةِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ الْعِيدَرُوسِ وَالْمَشَائِخِ الزُّبَيْدِيِّينَ .

ثُمَّ : رَضِيحٌ ، وَهُوَ وَادٍ مَبَارِكٌ ، كَانَ لِلْحَبِيبِ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْعِيدَرُوسِ ، ثُمَّ انْقَسَمَ بَيْنَ وَرَثَتِهِ ، ثُمَّ اسْتَخْلَصَ أَكْثَرُهُ الْمَنْصَبُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ حُسَيْنِ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي

تاربه ، وكانَ تَحْمَلُ ديوناً في الحَرْبِ الَّتِي جَرَتْ بسببِ مَسْجِدِ آلِ بوفطيم ، أثقلتْ كاهلهُ ، ولكنَّهُ قضاها مِنْ موسمٍ واحدٍ فيه صادفَ غلاءً وسلامةً مِنَ الجرادِ الَّذِي أَجتاحَ أَكْثَرَ زرعِ حَضْرَمَوْتَ في ذلكَ العامِ .

وبِإِثْرِ وفاتهِ أَسْتولى إمارةَ رَضِيخٍ ولَدُهُ الْمَنْصِبُ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وفي أَيَّامِهِ دخلَ آلُ عَمِّهِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَسَنِ بِالشُّراءِ مِنْ إِخوانِهِ إِلى ما لَأيُّهُمْ مِنْ ميراثٍ أَبِيهِ فيه ، فَأَقْلَقُوا راحتهُ ، وجرتَ بَيْنَهُمْ منازعاتٌ لا تَزَالُ أَثارُها في نفوسِ الطَّرْفِينِ إِلى اليومِ . وقد قالَ حَبِيبٌ [في « ديوانِهِ » (١٠٢ / ٢) مِنْ الكَاملِ] :

حَسَدُ الْقَرَابَةِ لِلْقَرَابَةِ قَرْحَةٌ تُذِمِّي عَوَانِدُهَا وَجُرْحُ أَقْدَمِ^(١)

وقد مرَّ في الْحَسِيَّةِ أَنَّ آلَ الْعِيدروسِ أَلْفَوْا جَمْعِيَّةً أَهْمُ أَغراضِها : إِصلاحُ ذاتِ بَيْنِهِمْ ، وَلكنَّها لم تَفْعَلْ شيئاً إِزاءَ هذا ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْجَمْعِيَّةَ معقودةٌ بما يَهوَاهُ السَّيِّدُ عبدُ اللَّهِ بنُ حَسَنِ الْعِيدروسُ ؛ إِذْ هُوَ الْقائِمُ بِأَكْثَرِ كَلَفِها ، وكانَ متعصباً على ابنِ أَخِيهِ . فلم تَتداخلْ جَمْعِيَّتُهُمْ في ذلكَ ؛ مراعاةً لَخاطِرِهِ .

ثمَّ حصَنُ ابْنِ ضَوَّيانَ ، لآلِ جابِرٍ ، ومنهُ تَنشَعُبُ الطُّرُقُ ، فتَذهَبُ طريقاً إِلى النُّعْرِ ؛ وهُوَ مَسِيلٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، تَنصَبُ فِيهِ أَلْمِياءُ مِنْ عَدَّةِ جبالٍ واسِعَةٍ .

ومتى أَرْتَفَعْتَ عن ذلكَ الْمَسِيلِ وتَسَنَّمْتَ الْجَبَلَ . . فَأَوَّلُ ما تَمُرُّ بِهِ . . حَرُّو ، وفيهِ حَوْضٌ يَحْفَظُ أَلْماءَ مَدَّةٍ لَيْسَتْ بِالطَّوِيلَةِ ؛ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَجْصَصٍ . ثمَّ رِيْدَةُ الْجَوْهِيَّيْنَ . ثمَّ بَضِي .

وتَذهَبُ الأُخْرَى في ذلكَ الْفَضاءِ الْواسِعِ تَوّاً . وَأَوَّلُ ما يَمُرُّ الذَّاهِبُ فِيها بِالرُّدُودِ ، قَرِيَّةٌ لَابأسَ بِها لِلْمَشايِخِ الزُّبَيْدِيِّينَ وآلِ جابِرٍ . وَمِنْ الزُّبَيْدَةِ بِها أَلانَ الشَّيْخِ يَسْلَمُ بْنُ سَعِيدٍ .

ثمَّ سُونَةُ ، وهُوَ وادٍ صَغِيرٌ لِلزُّبَيْدَةِ . ثمَّ حَكِمَةُ ، وهُوَ وادٍ آخَرُ أَوْسَعُ وَأَكْثَرُ عِمارةً مِنْ سُونَةِ ، لآلِ جابِرٍ وَلِلزُّبَيْدَةِ .

(١) القَرْحَةُ : الجرح الَّذِي امتلأَ قِيحاً . عواندها : سِيلانها ، مِنْ عَنَدِ الدَّمِّ . . إِذا سالَ .

وتصعدُ من وادي حِكمه في عقبِها طريقٌ إلى رِيب ، ومنها إلى عَثه عَقَبَةٌ كَأْدَاءُ يُنَزَلُ منها إلى الأَرْضِ الْمُتَّصِلَةِ بِالسَّاحِلِ على مَسَافَةٍ يَوْمٍ لِلرَّكَّابِ الْمُجَدِّ .
وفي أَثْنَاءِ عَقَبَةِ حِكمه عَيْنٌ صَغِيرَةٌ عَذْبَةٌ بَارِدَةٌ .

وفي قِطْعٍ مَعِينَةٍ مِنْ شَرَاخِ حِكمه تَدَاعٍ بَيْنَ الزُّبْدَةِ وَأَبْنِ مُتَيْهِمْ ، وَحَاصِلُهُ : أَنَّ أَبْنَ مُتَيْهِمْ بِاسِطٌ ذِرَاعِيهِ عَلَى تِلْكَ الْقِطْعِ مِنْذُ نَحْوِ مِائَةِ سَنَةٍ ، وَمَعَهُ خَطٌّ بِالْقِسْمَةِ بَيْنَ الزُّبْدَةِ وَبَيْنَ أَبِيهِ ، فَادَّعَى الزُّبَيْدِيُّونَ أَنَّ يَدَهُ غَاصِبَةٌ بِطَرِيقِ الشَّرَاحَةِ الظَّالِمَةِ ، وَشَهِدَ لَهُمْ شُهُودٌ مِنْهُمْ ، وَصَدَرَ لَهُمْ حُكْمَانِ ضِدَّ أَبْنِ مُتَيْهِمْ مِنْ قَاضِي تَرْيَمٍ لَمَّا قَبْلَ الْيَوْمِ بِأَكْثَرِ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ ، فَسُئِلْتُ عَنْ الْحُكْمَيْنِ . . فَأَتَيْتُ بِبَطْلَانِهِمَا ؛ لِأَنَّ الشُّهُودَ شَهِدُوا بِأَنَّ فُلَانًا غَضِبَ هَذِهِ الْقِطْعَ ، وَالْحَالُ أَنََّّهُمْ لَمْ يَشْهَدُوا زَمَنَ الْغَضَبِ ، وَمِنْ شَرِطِ الشَّهَادَةِ بِالتَّسَامُعِ فِي الْغَضَبِ أَنَّ يَقُولَ الشَّاهِدُ : (أَشْهَدُ أَنَّهُ مَغْضُوبٌ) لَا (أَنَّهُ غَضِبَ) - بِصِيغَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي - لِأَنَّ هَذِهِ صُورَةُ كَذِبٍ ؛ لِاقْتِضَائِهِ أَنَّهُ رَأَى ذَلِكَ وَشَاهدَهُ .

هَذَا مَا قَرَّرَهُ الْفُقَهَاءُ بِالتَّفَاقُقِ ، وَانْضَمَّ إِلَى ذَلِكَ مَا قَرَّرُوهُ فِي الْإِيمَانِ أَنَّ اسْتِدْمَاعَ الْغَضَبِ لَيْسَتْ بِغَضَبٍ ، فَالشَّهَادَةُ بَاطِلَةٌ .

وَيَزِيدُ الْحُكْمُ الثَّانِي بِأَنَّ أَحَدَ شُهُودِهِ كَانَ مِنَ الْمُدَّعِينَ فِي الْأَوَّلِ .

ثُمَّ تَكَرَّرَتْ الْأَحْكَامُ ، وَخَبَطَ الْقَضَاءُ وَالْمُسْتَأْنِفُونَ ، وَاخْتَلَفُوا .

وَمِنْ الْمُدْهَشِ : أَنَّهُمْ لَمْ يَنْفَصِلُوا عَنِ الْأَعْتَاضِينَ الَّذِينَ ذَكَرْتُهُمَا بِحَالٍ ، وَكَأَنَّهُمْ لَا يَلْجَأُونَ إِلَى الْكُرَّاسِ ، وَإِنَّمَا يَأْخُذُونَ مِمَّا فِي الرَّاسِ .

وَأُحِيلَتِ الْقَضِيَّةُ فِي الْأَخِيرِ إِلَى اسْتِثْنَائِي جَدِيدٍ لَا نَدْرِي مَاذَا يَفْعَلُ . وَالْمَسْأَلَةُ مُشْكَلَةٌ لَا مِنْ حَيْثُ التَّنْصُوصُ الْعِلْمِيُّ ، وَلَكِنْ لِاخْتِلَافِ مَشَارِبِ أَهْلِ التَّنْفُوزِ ؛ فَأَحَدُهُمْ يُؤَيِّدُ الزُّبْدَةَ ، وَالْآخَرُ يُؤَيِّدُ أَبْنَ مُتَيْهِمْ وَالْحَقُّ فِي ظَاهِرِ الْأَوْضَاعِ الشَّرْعِيَّةِ إِلَى جَانِبِ أَبْنِ مُتَيْهِمْ ، وَأَمَّا فِي بَاطِنِ الْأَمْرِ . . فَالْتَّشْبَهُةُ قَائِمَةٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي غَرْبِي حِكمه : وَادٍ وَاسِعٌ يَقَالُ لَهُ : بَايُوت ، يَسْكُنُهُ كَثِيرٌ مِنْ آلِ نَهِيمِ الْوَزِيرَيْنِ ، وَغَيْرُهُمْ . وَرِيبٌ ، وَهُوَ لَآلِ جَابِرٍ ، وَمِنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً تَعَرَّضُوا

لسيَّارة فيها أحدُ رجالِ الحكومةِ الإنكليزيةِ^(١) فأصابوها بخللٍ قليلٍ ، فحكمَ عليهم سلطانُ سيئونَ غيابياً بغرامةٍ كثيرٍ مِنَ ألبنادقِ والإبلِ ، فلمَ يَمْتثلوا ، فأمرتْهُمُ الطَّائِرَاتُ نيراناً أضرَّت بحصونِهِم وعلوِيهِم ، فبَخَعُوا بِهَا وَسَلَّمُوا صَاغِرِينَ مَظْلُومِينَ .

وَمِنْ وَرَاءِ حِكْمَةِ إِلَى الْجَنُوبِ : سَكْدَان ، يَسْكُنُهُ : آلُ جَابِرٍ ، وَحَرَّاثُونَ ، وَسَادَةُ مِنْ بَيْتِ حُمُودَةَ ، وَنَاسٌ مِنْ آلِ قَعْفَانَ ، وَنَاسٌ مِنْ آلِ بَلْحَاجٍ ، وَنَاسٌ مِنْ آلِ أَبْنِ قِمَاشٍ .
ثُمَّ رَاوُكُ ، لِلْمَشَايخِ آلِ بَاوَزِيرٍ . ثُمَّ غَيْلُ عُمَرَ ، وَقَدْ سَبَقَ فِي غَيْلِ بَاوَزِيرٍ أَنَّ غَيْلَ عُمَرَ هَذَا هُوَ أَقْدَمُ مِنْهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ بَنَى بِهِ بَيْتاً الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سَالِمِ بَاوَزِيرٍ ، سَنَةَ (٧٠٦ هـ) ، ثُمَّ بَنَى النَّاسُ بَعْدَهُ ، ذَكَرَهُ أَبُو حَسَّانٍ فِي « تَارِيخِهِ » .

وَالشَّيْخُ عُمَرُ هَذَا أَحَدُ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلُوِيٍّ ، كَمَا فِي (ص ١٨٦ ج ٢) مِنْ « الْمَشْرِعِ »^(٢) .

وَالْمَنَازِلُ الَّتِي يَشْمَلُهَا اسْمُ غَيْلٍ عُمَرَ مَنقَسَمَةٌ بِالْمَسِيَالِ :

فَالَّذِي فِي الشَّاطِئِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ : الضُّبَيْعَةُ ، وَفِي جَنُوبِهَا مَسْجِدُ الشَّيْخِ عُمَرَ .
وَالَّذِي فِي الشَّاطِئِ الشَّرْقِيِّ : الدَّلْفَةُ . ثُمَّ الْحَزْمُ . ثُمَّ سَكْدَان . ثُمَّ كُوْتُ سُرُور . ثُمَّ الْعَرَضُ . ثُمَّ التَّوَيْدَرَةُ .

وَقَدْ اسْتَوْخَمَهُ كَثِيرٌ مِنَ السُّكَّانِ فَانْتَقَلُوا عَنْهُ إِلَى سَكْدَانِ . وَكَانَ فِيهِ أَجْدَادُ الْمَشَايخِ آلِ بَاسُودَانَ ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ يَنْسَبُهُ إِلَيْهِمْ ، فَيَقُولُ : غَيْلٌ بَاسُودَانَ .

وَرَبِّمَا يَكُونُ الْمَنْسُوبُ إِلَى بَاسُودَانَ نَاحِيَةً غَيْرُ النَّاحِيَةِ الْمَنْسُوبَةِ إِلَى الشَّيْخِ عُمَرَ ؛ فَالْغَيْلُ طَوِيلٌ ، مَنبَعُ مِيَاهِهِ مِنْ جَنُوبِ سَاهٍ ، وَلَا يَنْتَهِي إِلَّا بَعْدَ مَجَاوِزَةِ سَنَاءٍ ، إِلَّا أَنَّهَا تَتَقَطَّعُ ؛ فَفِي أَكْثَرِ النَّقَاطِ تَظْهَرُ ، وَفِي الْكَثِيرِ تَغُورُ .

ثُمَّ إِنَّ آلَ بَاسُودَانَ خَرَجُوا عَنِ الْعَامِّيَّةِ وَتَفَقَّرُوا ، وَأَخَذُوا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ حَسَبَمَا سَبَقَ فِي الْخُرَيْبَةِ مِنْ بِلَادِ دَوْعَنَ .

(١) هُوَ انْجِرَامَس ، مِمَثِلُ بَرِيطَانِيَا فِي حَضْرَمُوت .

(٢) فِي النُّسخَةِ الَّتِي اعْتَمَدْنَاهَا فِي التَّحْقِيقِ (٤٠٦ / ٢) .

ثُمَّ عَرَفْتُ أَنَّهُمْ كَانُوا حُلُولًا فِي سَكْدَانَ ، وَبِذَلِكَ يَنْطَقُ شَعْرُ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ ، وَلَهُمْ اتِّصَالٌ بِدُوعَنْ فِي أَيَّامِ الشَّيْخِ سَعِيدِ بْنِ عَيْسَى الْعَمُودِيِّ ، ثُمَّ تَزَوَّجَ فِيهِمُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ بَاوَزِيرٍ ، فَكَانُوا أَحْوَالَ وَلَدِهِ عَمَرَ الْمَذْكُورِ ، وَلَمَّا ظَهَرَ . . . بَنَى بِالْغِيلِ وَطَرَدَ عَنْهُ أَحْوَالَهُ ، فَذَهَبُوا إِلَى دُوعَنْ .

سَاهُ (١)

هِيَ فِي جَنُوبِ غِيلِ عَمَرَ ، عَنْ يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى عَقْبَةِ الْغَزِّ ، وَهِيَ بِلَدَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا ، فِي حَدُودِ آلِ جَابِرٍ ، بَلْ هِيَ عَاصِمَةُ بِلَادِهِمْ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الْمَظَالِمُ ، وَلَمْ يَنْتَصِفْ أَحَدٌ مِنَ الْآخَرِ . . . جَاؤُوا فِي حَدُودِ سَنَةِ (١٣٣٦ هـ) إِلَى سَيْثُونَ يَطْلُبُونَ مِنْ أُمَرَائِهَا أَنْ يَحْتَلُّوْهَا ، فَرَأَوْا أَنَّ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحِفْظِهَا ، فَذَهَبُوا إِلَى شِبَامٍ وَطَلَبُوا مِنْ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ أَنْ يَحْتَلَّهَا ، فَبَسَطَ الرَّأْيَ لِلدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ ، فَيَقَالُ : إِنَّهُمْ أَذْنُوا لَهُ ، وَعَنْ لَهُمْ بَعْدَ أُمَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أَنْ يُطَالَبُوا بِحَقُوقِهِمْ فِيهَا ، وَبَعْدَ الْأَخِذِ وَالرَّدِّ . . . اتَّعَدُوا عَلَى الْاجْتِمَاعِ بِدَارِ الرَّئِيسِ الْمَكْرَمِ طَالِبِ بْنِ جَعْفَرٍ بِالْعُقْدَةِ ، قَالَ لِي السُّلْطَانُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَسِّنٍ : (فَحَضَرْتُ أَنَا وَأَبْنُ عَمِّي عَلِيُّ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَبَعْدَ شَيْءٍ مِنْ الْمَحَاوِرَةِ . . . أَخْرَجَ نَائِبُ الْقَعِيطِيِّ - وَهُوَ عَلِيُّ بْنُ صِلَاحٍ - كِتَابًا مِنْ وَالِدِي وَمِنْ عَمِّي مَنْصُورٍ لِلْسَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ بِالْإِذْنِ فِي أَحْتِلَالِهَا ، فَأَنْقَطَعَتْ حُجَّتُنَا) .

- وَمِنْ وَرَاءِ سَاهٍ جَنُوبًا إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ : صَيْقَةُ آلِ عَامِرٍ ، وَهِيَ عَنْ يَمِينِ الذَّاهِبِ إِلَى عَقْبَةِ الْغَزِّ ، فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ جَابِرٍ مِنْهُمْ : صَالِحٌ عِيْضُهُ ، كَانَتْ لَهُمْ ثُرُوءٌ ، ثُمَّ

(١) سَاهُ : هِيَ مَدِينَةٌ فِي أَعْلَى هَضَابِ وَادِي عِدْمٍ ، تَقَعُ عَلَى يَسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى عَقْبَةِ الْغَزِّ ، وَعَلَى بَعْدِ (٧٥) كَمٍ (مِنْ سَيْثُونَ .

وَتَتَكُونُ مَدِينَةُ سَاهٍ مِنْ جَزَائِنَ : الصَّيْقَةُ ، وَالْبِلَادُ ؛ لِأَنَّهُ يَشْطَرُهَا مَجْرَى مَاءٍ - سَاقِيَةٌ - إِلَى شَطْرَيْنِ يَصِلُ بَيْنَهُمَا جَسَرٌ حَدِيثٌ ، وَتَبْلُغُ مَسَاحَتُهَا : (١٥٠ كَمٍ) طَوْلًا ، وَ(٧٥ كَمٍ) عَرْضًا ، وَبِهَا مَخْزُونٌ نَفْطِيٌّ ، وَيَجْرِي مِنْ سَاهٍ جَدُولٌ مَائِيٌّ يَنْتَهِي بِغِيلِ عَمَرَ بِطُولِ (٢٥ كَمٍ) ، وَيُوجَدُ فِي سَاهٍ مِيَاهٌ وَفِيرَةٌ ، وَيَبْلُغُ عَدَدُ الْآبَارِ بِهَا (١٦٣) بَثْرًا سَطْحِيَّةً ، وَبَثْرَ جَوْفِيَّةٍ وَاحِدَةً فَقَطْ . كَمَا أَنَّ الْإِحْصَائِيَّاتِ الْحَدِيثَةَ تُشِيرُ إِلَى وَجُودِ مِلْيُونِ نَخْلَةٍ بِمَنْطَقَةِ سَاهٍ . « الْمُقْحَفِيُّ » (١ / ٧٦٤) .

نجمت بينهم مشاغبات أخذت منها الحظّ الوافر .

- ومن ورائها في الجنوب : عَقَبَةُ الْغُرِّ ، وهي طريقٌ مختصرةٌ يُصْعَدُ فيها من مستوى الأرض إلى عُرْغَرَةِ الْجَبَلِ^(١) ، لا يحتاجُ مُصْعِدُهَا لَأَكْثَرَ مِنْ نَصْفِ سَاعَةٍ ، ولكنَّ الانحدارَ بعدها عن قَمَّةِ الْجَبَلِ بطريقِ عَقَبَةِ الْفِقْرِهْ أَوْ الْعَرْشِهْ أَوْ عَثَهْ ، أو عبدِ اللَّهِ غريبٍ ، أو غيرها منَ الْعُقَابِ الَّتِي تنزُلُ إلى جهاتِ السَّاحِلِ لا تَقُلُ مسافتُها عن ثلاثِ ساعاتٍ ؛ وذلكَ لأنَّ داخلَ حَضْرَمَوْتِ مرتفعٌ عن سطحِ البحرِ بمقدارِ ذلكَ التَّفَاوُتِ بينَ الصُّعُودِ وَالنُّزُولِ .

وهي منسوبةٌ إلى الْغُرِّ ؛ إمَّا لكثرةِ سلوكهم فيها ، أو لأنَّ أَوَّلَ هجومهم على حَضْرَمَوْتِ كانَ منها .

ومنها إلى ريدةِ المعارَّةِ في جنوبها مرحلةٌ ، ونحو ذلك منها إلى ريدةِ الجوهيين الَّتِي في جنوبها أيضاً .

كُحْلَان

هي قريةٌ كانت بطرفِ الْجَبَلِ الَّذِي تلتقي عنده مياهُ سَرَّ وَعِدَمَ ، في جانبهِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ ، باقيةٌ آثارُ بعضِ خرائبِها حوالِي مَضْرَحِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاجَلْجَبَانَ ، وهي على اسمِ مَخْلَافٍ مِنْ مَخَالِفِ الْيَمَنِ . فيه بينونَ ورُعَيْنَ ، وهما قصرانِ عجيبانِ^(٢) ، قالَ امرؤُ الْقَيْسِ [مِنَ الْوَافِرِ] :

وَدَارُ بَنِي سُوَّاسَةَ فِي (رُعَيْنِ) تَجُرُّ عَلَى جَوَانِبِهِ الشَّمَالَا

وفي « الْقَامُوسِ » « وَشَرْحِهِ » : (كُحْلَانُ - بِالضَّمِّ - ابْنُ شَرِيحٍ ، أَبُو قَبِيلَةٍ مِنْ الْيَمَنِ مِنْ ذِي رُعَيْنِ) اهـ

(١) عُرْغَرَةُ الْجَبَلِ : رأسه وأعلاه .

(٢) وهما بكحلان ذي رُعَيْنَ ، التابعة حالياً لمديرية الرضمة بمحافظة إب ، تقع شرقي مدينة يريم بـ (٢٣ كم) .

وقد مرَّ في قارة الشَّناهِزِ أَنَّ الْمُؤرِّخِينَ أَصَفَقُوا عَلَى بَنَائِهَا وَعَلَى خَرَابِ قَرْيَةِ كُحْلَانَ
سَنَةِ (٦٠٤ هـ) ، وفي ذَلِكَ الْعَامِ كَانَتْ أَحْدَاثٌ كَثِيرَةٌ مَذْكُورٌ بَعْضُهَا فِي « الْأَصْلِ » .
وَذَكَرَ شَنْبَلٌ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٥٩٩ هـ) مِنْ « تَارِيخِهِ » [ص ٦٣] حَادِثَةً فِي كُحْلَانَ ،
وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفَصِّلْهَا ، وَبِإِثْرِهَا أَخَذَتْ نَهْدٌ وَمَنْ أَعَانَهَا مِنْ تَجِيبِ وَالِدَهُمْ وَبَنِي حَارِثَةَ
خَرِيفَ الْمَسِيلَةِ ؛ يَعْنِي : خَرِيفَ النَّخْلِ الَّذِي حَوَالِي كُحْلَانَ .

الصَّومَةُ^(١)

هِيَ مَدِينَةُ الْعُلُوِّيِّينَ بَيْتِ جَبْرِ . وَهِيَ الَّتِي سَبَقَ فِي سَمَلِ أَنْهَمُ أَنْتَقَلَوْا مِنْهَا إِلَيْهَا .
قَالَ الشَّلَّيُّ : (وَهِيَ مَدِينَةٌ لَطِيفَةُ الْهَوَاءِ ، عَذْبَةُ الْمَاءِ ، سَكَنَهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَعْيَانِ
ذَلِكَ الزَّمَانِ ، فَطَابَ لَهُمْ الْبَقَاءُ ، وَأَسَّسُوا بِهَا مَسْجِدًا ، وَكَانَ لَهُمْ حَارَةٌ تُسَمَّى :
الْعُلُوِّيَّةُ) اهـ

وَبِهَا تُوُفِّيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَلَا يُعْرَفُ تَارِيخُ مَوْتِهِ .
وَفِيهَا كَانَتْ وَفَاةُ وَلَدِهِ عَلَوِيِّ سَنَةِ (٥١٣ هـ) ، وَكَانَ كَرِيمًا عَظِيمًا مُمَدِّحًا ، مِنْ
جَمَلَةِ مَا دَحِيهِ : تَلْمِيزُهُ الْفَقِيهَ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَاتِمِيِّ^(٢) ، أَلْتَمَوْفَى بِتَرْيَمِ سَنَةِ
(٥٤٠ هـ) ، أَمْتَدَحُهُ بِقَصِيدَةٍ أوردَ مِنْهَا صَاحِبُ « الْمَشْرِعِ » وَصَاحِبُ « الْجَوْهَرِ »
وَشَارَحُ « الْعَيْنِيَّةِ » وَغَيْرُهُمْ مِنْهَا قَوْلُهُ [مِنْ الْكَامِلِ] :
هَذَا قَرِيعُ الْعَصْرِ وَأَبْنُ قَرِيعِهِ وَلَبَّابُ تَخْتِ الْفَخْرِ وَالْتَّعْظِيمِ^(٣)

-
- (١) أورد المصحفي في « معجمه » ذكر (٧) بلدان وقرى تحمل نفس الاسم .
(٢) من كبار علماء تريم وفقهائها ، ولد سنة (٤٨٠ هـ) ، وتوفي سنة (٥٤٠ هـ) ، تفقه على علماء عصره ، وأخذ عن الإمام علوي بن محمد المذكور . « تاريخ الشعراء » (١ / ٥٢-٥٣) .
(٣) التَّخْتُ : كلمة فارسية ، معناها : الكرسي أو المنبر ، واصطلاحاً : سرير السُّلْطَانِ ، كان يجلس عليه في المواكب والاجتماعات العامة ؛ ليكون مميزاً عن غيره من الناس ، وهو هنا كناية على أنه استولى على أصول المفاخر والمحامد . والله أعلم .

أَمَّا وَلَدُهُ عَلِيُّ بْنُ عَلَوِيِّ خَالِعُ قَسَمَ . . فَقَدْ أُنْتَقَلَ مِنْ بَيْتِ جَبْرِ فِي سَنَةِ (٥٢١ هـ)
إِلَى تَرِيمَ ، وَبِهَا تُوُفِّيَ سَنَةَ (٥٢٩ هـ) .

وَبَيْتُ جَبْرِ وَادٍ وَاسِعٌ ، قَالَ الشُّلِّيُّ : كَانَ (كَثِيرَ أَلْمِيَاهِ وَالْأَنْهَارِ) ، وَأَنَا فِي شَكِّ
مِنَ الْأَنْهَارِ مَا لَمْ يَغْنِ النَّهْرَ الَّذِي كَانَ يَجْرِي فِي أَخْدُودٍ مَسِيلٍ سَرٍ وَعِدِمٍ ؛ فَإِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ
شَرَاكِ بَيْتِ جَبْرِ ، وَلَكِنْ مَا أَظْنُهُ يَنْسَبُ عَلَيْهَا وَلَا يَسْقِي شَيْئاً مِنْهَا فِي أَيَّامِ الشُّلِّيِّ ، فَمَا
هُوَ إِلَّا بِأَعْتَابِ الزَّمَانِ الْقَدِيمِ وَقَتْمَا كَانَتْ حَضْرَمَوْتُ بِأَسْرَهَا رِياضاً غَنَاءً ، وَجَنَاناً
خَضِرَاءً ، ثُمَّ كَانَ مِنْ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ مَا كَانَ مِنْ سَكِّ سُكْرِ الْأَنْهَارِ ، وَأَعْقَبَهُ أَنْهِيَارُ سَدِّ
سَنَا ، فَذَوَى النَّبَاتِ وَأَشْتَدَّ الْإِسْنَاتُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الشُّيُولُ الَّتِي يَذْهَبُ أَكْثَرُهَا ضِيَاعاً فِي
وَادِي بَيْتِ جَبْرِ ؛ لَعْدَمِ إِصْلَاحِهِ ، وَأَنْدَثَارِ أَسْوَامِهِ وَضُرِّهِ .

وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ فَضْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عِرْفَانُ ، عَنْ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ الْفَاضِلِ
عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورِ : (أَنَّ أَمْوَالَ بَيْتِ جَبْرِ صَارَتْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَمْوَالِ
الضَّائِعَةِ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّ بَيْتَ أَلْمَالِ قَدْ بَاعَهَا مَرَّتَيْنِ) . وَهَذِهِ فَائِدَةٌ نَفِيسَةٌ نَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي
كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاضِعِ .

وَأَكْثَرُ مَسْمُوعِي وَادِي بَيْتِ جَبْرِ يَدْخُلُ بَيْنَ الْجَبَلِ الَّذِي فِي طَرِيقِهِ إِلَى الصَّوْمَعَةِ
وَالْجَبَلِ الشَّرْقِيِّ الَّذِي يُحَازِيهِ .

وَفِي بَيْتِ جَبْرِ قَامَتِ دَوْلَةُ الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُقَيْصِ الْأَحْمَدِيِّ الْيَافَعِيِّ
بِإِشَارَةِ الْعَلَوِيِّينَ حَسَبَمَا فُصِّلَ بِـ « الْأَصْلِ » .

وَأَشْتَرَوْا لَهُ حَصْنَ مَطَهَّرِ الْوَقَاعِ بِحَضِيضِ جَبَلِ كَحْلَانَ فِي رُكْنِهِ الشَّمَالِيِّ عَلَى يَسَارِ
الذَّاهِبِ إِلَى تَرِيمَ .

وَكَانَ لَأَلِ مَطَهَّرِ نَاسٌ مِنْ يَافَعٍ ، وَقَدْ وُزِّرَ لَهُ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُوْبَكْرِ
عَيْدِيْدُ ، الَّذِي هَجَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا نَقَلْنَاهُ فِي « الْأَصْلِ » ، وَكَانَتْ دَوْلَتُهُ أَقْصَرَ مِنْ ظَمَاءِ
الْحِمَارِ حَتَّى لَقَدْ صَارَتْ مُضْرَبُ الْمَثَلِ فِي قَصْرِ الْمَدَّةِ ، وَعَمَّا قَرِيبٍ يَأْتِي ذِكْرُ شَرَاءِ
الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ لِهَذَا الْحَصَنِ .

الرَّيْضَةُ

وَمِنْ وَرَاءِ الصَّوْمَعَةِ إِلَى الشَّمَالِ فُضَاءٌ وَاسِعٌ ، أَوَّلُ مَا يَكُونُ فِيهِ قَرْيَةُ الرَّيْضَةِ ، أَوَّلُ مَنْ أَخْطَطَهَا السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حُسَيْنٍ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ وَرَثَ وَادِي الذَّهَبِ - الْآتِي ذِكْرُهُ - عَنْ أَبِيهِ ، فَبَاعَهُ وَنَزَلَ الرَّيْضَةَ ، ثُمَّ بَنَى عِنْدَهُ بَعْضُ النَّاسِ .
وَمِنْ أَهْلِ الرَّيْضَةِ : السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عِيدِيدُ ، أَلْمَقْتُولُ سَنَةَ (١٢٢٦ هـ) ،
أَتْنَى عَلَيْهِ شَيْخُنَا الْمَشْهُورُ ، وَتَرْجَمَ لَهُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَنِيدُ .

وَلَا يَزَالُ أَهْلُ الرَّيْضَةِ بِحَسْرَةٍ عَلَى عَدَمِ الْجِبَالِ لَدَيْهِمْ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حِطٌّ مِنْ الْقَنْصِ ، وَيُرَوَّى : أَنَّ بَعْضَهُمْ تَنَادَرَوْا عَلَيْهِمْ وَقَالُوا لَهُمْ : لَوْ غَرَسْتُمْ حِصَاةً وَتَعَاهَدْتُمُوهَا بِالسَّقْيِ . . لَنَمَتْ وَصَارَتْ جَبَلًا فَفَعَلُوا ، هَكَذَا يُقَالُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَفِي شَرْقِيَّهَا إِلَى الْجَنُوبِ بَلَدٌ : السُّوَيْرِيُّ ، هِيَ قَرْيَةٌ مَسُورَةٌ لآلِ شَمْلَانَ الْأَتَمِيمِيِّينَ ، كَانَ فِيهِمْ رَجَالٌ يَشَارُ إِلَيْهِمْ ؛ مِنْهُمْ : أَلْمَقْدَمُ عَوْضُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ شَمْلَانَ ، لَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي حَوَادِثِ الْقَعِيطِيِّ وَآلِ كَثِيرٍ وَغَيْرِهَا .

وَفِيهَا كَانَ يَسْكُنُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ الْمُتَفَنِّنُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عِيدِيدُ ، ذَكَرَهُ سَيِّدِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِنَاءً حَسَنًا فِي « مَشْجَرِهِ » ، وَتَرْجَمَهُ ابْنُ أُخْتِهِ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَنِيدُ فِي « النُّورِ الْمُزْهِرِ » .

وَلَدَ سَنَةَ (١١٩٥ هـ) ، وَتَوَفَّى بِالسُّوَيْرِيِّ سَنَةَ (١٢٥٥ هـ) ، وَدُفِنَ بِتَرْيَمَ .

وَبِإِزَاءِ الصَّوْمَعَةِ فِي شِمَالِهَا : دَحَامَةُ آلِ قَصِيرٍ :

وَكَانَ بِهَا مَسْكَنُ الْأَمِيرِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُقَيِّصٍ ، الَّذِي يُضْرَبُ أَلْمَثَلُ بِقَصْرِ دَوْلَتِهِ كَمَا مَرَّ ، وَكَانَتْ فِي سَنَةِ (١٢٤٢ هـ) حَسَبَمَا فَصَّلْتُ بِـ « الْأَصْلِ » .

وَفِي شِمَالِهَا دِيَارٌ أُخْرَى لآلِ قَصِيرٍ ، تَقَابُلُ حَصْنَ مَطْهَرٍ^(١) أَلْوَاقِعَ فِي جَبَلِ كُخْلَانَ الْغَرْبِيِّ ، وَهُوَ حَصِينُ الْمَوْقِعِ ، وَكَانَ لِابْنِ مُقَيِّصٍ ، وَلَمَّا تَلَا شَتَّ دَوْلَتَهُ وَصَارَ تَرَاثُهُ إِلَى

(١) آل مطهر هؤلاء الذين ابتاع السادة منهم الحصن هم من بطون يافع وليسوا من السادة آل باعلوي .

آلِ قَصِيرٍ . . باعوه على الأمير عبود بن سالم الكثيري في سنة (١٢٦١ هـ) بثلاث مئة ريال فرانصة .

وقد ذكر المؤرخ الشهير سالم بن حميد شراء هذا الحصن . وترك موضع البائع بياضاً ، ويبعد أن يكون عن جهل به وهو الخبير المطلع البحاث المعاصر ، ولكن لنكتة لا ندرها .

وأقرب ما يُظن : أن البائع غير شرعي ؛ فذكره يعود بالبطلان على الصفة .

وهذا الحصن الآن في أيدي آل قصير ، وقد سلموه للحكومة القعيطية فجعلته مركزاً لأخذ الرسوم من البضائع التي تمر به إذا لم تكن عثرت في شيء من بلادها ؛ لأن الدولتين القعيطية والكثيرية أخذتا تتسابقان في نهب أموال المستضعفين بالمكوس الباهظة في كل ناحية ، مع اعترافها بأن الإقليم واحد لا يتجزأ .

وفي هذا تصديق لما تفرسته في القصيدة التي قدّمها للسلطان صالح بن غالب القعيطي في سنة (١٣٥٥ هـ) بقولي [من الطويل] :

وَمَا زَالَتِ الْأَخْلَافُ جَبْرًا بِمَهْرٍ أَذِيعَتْ لَهَا الْأَخْبَارُ لَكِنْ بِلَا أَنْزِ
وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ كَفَافاً وَلَا جَرِي عَلَى إِثْرِهَا لِلْمُسْلِمِينَ أَذَى وَشَرِ
فَكَتَّمْتُمْ كَشَانَ الضُّبُعِ وَالذِّيبِ حَرْبَهَا نَجَاةً وَفِي الْإِضْلَاحِ مَا بَيْنَهَا الْخَطَرُ

وأرجع إلى قولي السابق في أحوال سينون السياسية ، والضمير فيه للصالح [من البسيط] :
هَلْ فِيهِ لِلنَّاسِ وَالْإِسْلَامِ فَايْدَةٌ أَمْ لَا ؟ فَإِنَّ رُؤَاةَ الْقَوْلِ فِي جَدَلِ

الرَّمْلَةُ

هي قرية في أرباض تريم في شمال حصن العز إلى الشرق ، تبعد عن سورها بنحو ميل ، يسكنها الآن بعض السادة آل عبد الله بن شيخ العيدروس ، وهم : آل زين بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن شيخ - صاحب الشحر - ابن عبد الله بن شيخ الشهير ، صاحب القبة بتريم .

كانت مَصِيْفاً لَهُمْ ، ثُمَّ أَسْتَوَظَنُهَا بَعْضُ مَتَأَخِّرِيهِمْ مَعَ بَقَاءِ صِلَتِهِمْ بِتَرِيمَ ، فِيهَا يُصَلُّونَ الْجُمُعَةَ ، وَيَشْهَدُونَ الْجَنَائِزَ ، وَيَحْضَرُونَ الْدَّرُوسَ .

وهذه الرَّمْلَةُ منسوبة للإمامِ الجليلِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، أَلَمَتَوْفَى بِتَرِيمَ سَنَةَ (١١٩٣هـ) ، كانت لَهُ أحوالٌ عَجِيبَةٌ ، وَمَنَاقِبُ كَرِيمَةٌ ؛ مِنْهَا - كَمَا فِي « شَرْحِ قَصِيدَةِ مَدَهْرِ » لِلسَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْجَنِيدِ - :

(أَنْ وَلَدَنِيهِ - زَيْنَا السَّابِقِ الذَّكْرِ وَجَعْفَرًا - لَمْ يَرِغْبَا فِي حِفْظِ الْقُرْآنِ ، فَآلَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ مِنَ الرَّمْلَةِ إِلَى تَرِيمَ ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَحْفَظَ أَبْنَاهُ الْقُرْآنَ وَرَبَعَ « الْإِرْشَادِ » ، وَأَبْرَأَ قَسَمَهُ) .

وَذَكَرَ الْعَلَامَةُ الْإِمَامُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُصْطَفَى نَزِيلُ مِصْرَ فِي كِتَابِهِ « مَرَاةُ الشُّمُوسِ » : أَنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ جَعْفَرٍ - هَذَا - هُوَ الَّذِي أَمَّ النَّاسَ فِي الصَّلَاةِ عَلَى وَالِدِهِ مُصْطَفَى بْنِ شَيْخٍ ، أَلَمَتَوْفَى بِتَرِيمَ سَنَةَ (١١٦٤هـ) ، وَعَلَى عَمِّهِ أَحْمَدَ ، أَلَمَتَوْفَى بِتَرِيمَ سَنَةَ (١١٦٤هـ) أَيْضًا .

وَلِزَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرٍ أَوْلَادٌ ؛ مِنْهُمْ : صَادِقٌ ، أَلَمَتَوْفَى بِتَرِيمَ سَنَةَ (١٢٨١هـ) ، وَهُوَ وَالِدُ السَّيِّدِ زَيْنِ بْنِ صَادِقٍ ، كَانَ شَهْمًا مَهَابًا ، وَلِيثًا وَثَابًا ، لَا يَحْسَبُ لِلدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ وَلَا غَيْرِهَا حِسَابًا ، وَقَدْ اخْتَلَفَ مَعَ آلِ تَرِيمَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَائِلِ فَازَ فِيهَا قَدْحُهُ ، وَنَفَذَ أَمْرُهُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ فَقِيرًا ، حَتَّى إِنَّ الْعَلَامَةَ أَبْنَ شَهَابٍ يَقُولُ : مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى آلِ تَرِيمَ : فَقَرُّ زَيْنِ بْنِ صَادِقٍ ، وَبَخْلُ شَيْخِ الْكَافِ .

وَكَانَ السَّيِّدُ زَيْنُ بْنُ صَادِقٍ - عَلَى فَقْرِهِ - مَسْوَطَ الْكَفِّ ، وَهُوَ طَوِيلُ الْقَامَةِ ، كَبِيرُ الْهَامَةِ ، مَشْبُوحُ الذَّرَاعِ ، طَوِيلُ الْبَاعِ ، تَوَفَّى لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ (٢٣) رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ (١٣٢٨هـ) ، فَأَمَتُّهُنَ بَعْدَهُ السَّرْحُ^(١) ، وَأُصِيبَ إِثْرُهُ الشَّرْفُ بِالْكَمْدِ الْبَرْحِ^(٢) ، وَجَاءَ هُنَا مَوْضِعُ قَوْلِ الرِّضِيِّ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١ / ٦٢٧ مِنْ أَلْبَسِيطِ] :

(١) السَّرْحُ : قَطِيعُ الْمَاشِيَةِ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ تَحْتِهِ مِنَ الرِّعْيَةِ .

(٢) الْبَرْحُ : الشَّدِيدُ .

مَنَابِتُ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعِي أَوْدَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرُّمَحِ وَالْبَاعِ
وللرَّمْلَةِ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي شِعْرِ الْعَلَامَةِ الْجَلِيلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُصْطَفَى نَزِيلِ مِصْرَ ،
منهُ قَوْلُهُ :

يَقُولُ الْهَاشِمِيُّ آهَ عَلَى أَزْمَانٍ تَقَضَّتْ فِي رُبَا أَلْغَنَّا بِلَادِي
وَرَمَلْنَا أَلَّتِي فَاقَتْ بَغْزَلَانِ سَبَتْ بِاللَّحْظِ ظَنِّيَّاتِ الْبَوَادِي
فَكَمْ فِي (الرَّمْلَةِ) أَلْفِيحًا مِنْ أَعْوَانٍ عَلَى النَّافِعِ لَهُمْ يَوْمَ الْمَعَادِي
وَكَمْ فِيهَا غُرْفَ زَانَتْ بَيْنِيَانِ عَلَى بُنْيَانٍ بِالرَّاحَةِ تَهَادِي
وَكَمْ طَفْنَا بِهَا لِيَمًا وَرُؤْمَانِ وَشَمِينًا بِهَا عَنَهَزَ وَجَادِي
وَكَمْ بُسْتَانٍ فِيهَا إِنْزَ بُسْتَانِ مِنَ النَّخْلِ أَلَّتِي سَرَّتْ فُؤَادِي
وقولُهُ :

آهٍ مِنْ ذِكْرَانِي (حَوِطْنَا) وَ(السَّحِيلِ) أَلْفَايِقِ الْخَضْبِ
آهٍ شَوْقًا نَحْوَ (رَمَلْنَا) وَظَبَاهَا الْخُرْدُ الْعُزْبِ
وقولُهُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

وَفِي (الرَّمْلَةِ) أَلْغَرَا غَزَالُ غَزَى الْحَشَا أَغْنُ إِذَا غَنَى بَدَا مُضْمَرُ الْوَجْدِ
وعَنِ السَّيِّدِ عَبْدِ الْبَارِي بْنِ شَيْخِ بْنِ عِيدروس ، عن والده : أَنَّهُ ضَاعَ كَبْشٌ لِبَعْضِ
أَهْلِهَا وَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا بَعْدَ شَهْرٍ ؛ إِذْ بَقِيَ طِيلَةً أَلْمَدَّةَ يَرَعَى فِي مِرَاعِيهَا الْخَضْبَةَ ، وَيَشْرُبُ
مِنْ مِيَاهِ الْغَدْرَانِ الْعَذْبَةِ الْمَوْجُودَةِ بِهَا لِكثَرَةِ السُّيُولِ .

وفي شَمَالِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِلَى شَرْقٍ : آثَارُ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : الرَّمْلَةُ الْقَدِيمَةُ ، لَعَلَّهَا
كَانَتْ مَصِيفَ السَّادَةِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ الْعِيدروس قَبْلَ أَنْ يَخْتَطُوا هَذِهِ .

وبِالْقُرْبِ مِنْهَا بَنُو تَسْمَى آلَانَ : بِيَرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْطَفَى بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ، يَغْنُونُ
الْمَلَقَبَ بِالْبَاهِرِ ، أَلَمُتَوْفَى سَنَةَ (١١٢٨هـ) ، وَقَدْ تَرَجَّمَهُ السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
مُصْطَفَى فِي كِتَابِهِ : «مَرَاةُ الشُّمُوسِ» ، وَأَطَالَ بَلَّ أَفْرَدَهُ بِالْتَّرْجَمَةِ فِي كِتَابِ سَمَاءُ :
«حَدِيقَةُ الْأَصْفَا» .

ونقل في « المرأة » عن السيّد أبي بكر بن عبد الله بن شيخ أنّه قال لما مات ألباهر :
(ودذت أن نفديه بسبعة من كبار آل العيدروس ، ولكن . . كان ذلك في الكتاب
مسطوراً) وعند هذا ذكرت قول متمم [من الطويل] :

فلو أخذت مني المنيّة فديّة فدينك منها بالسّوام وبالأهل^(١)
وقول إبراهيم بن إسماعيل [من الطويل] :

أجاري لو نفس فدت نفس ميّت فديتك - مسروراً - بأهلي ومالي
وموضع الرملة بالحقيقة بعد حصن العزّ ، ولكن طغى القلم ، ولم أتنبّه له إلا وقد
خاضها ، والأمر قريب .

حصن جرّة

هو عن يسار الذّاهب إلى تريم ، في آخر الفضاء الواسع المسمّى بـ : باجلحبان ؛
نسبة إلى الشيخ الكبير عبد الرحمن باجلحبان المقبور في أثنائه ، وقد ترجم له
صاحب « الجوهري » ، ولم يترجم لأحد خارج تريم سواه .

وحصن جرّة هو لآل أمبارك بن عمر بن شيان التميميين ، وكانوا أهل نزوة ،
جمعها أمبارك ، وأصلها ريال دفعه له الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر مع استيادته
منه للسفر ، فأشترى لبناً من الشحر وباعه في سنغافورة وبارك الله له فيه .

ولمبارك هذا مكارم أخلاق ، ومواساة لأهل الفضل ، خصوصاً لسيدي
عيدروس بن علوي العيدروس ، توفي^(٢) حوالي سنة (١٣١١ هـ) ، ودفن بزنبل ،
بمقابر العلويين ، وخلفه أولاد كرام ؛ منهم : ولده عمر .

وكان أوّل ما دخل عليهم الوهن : أنّ الشيخ أمبارك أوصى بثلث ماله لمثل
ما يعتاده من الخيرات في حياته ، وأسند وصايته إلى عمر ، فنازعه أخوه عبد الله في

(١) السّوام : كل إبل وماشية ترسل للرعي ولا تُعَلَف .

(٢) أي : أمبارك شيان ، لا العيدروس .

الوصية ، ولم يقدر على إبطالها لا بحضرموت ولا بجاوة ، ثم نُسبت بينهم وبين آل
فلوقة - الواقعة حصونهم إزاءهم بسفح الجبل الشرقي المسمى بعشميل - حرب ،
فابتزت طارفهم وتلبدتهم ، حتى أثقلت كواهلهم الديون ، وأبحر عمر إلى جاوة ،
وبقي على ما يقدر عليه من المبرات إلى أن مات في سربايا حوالي سنة (١٣٣٥ هـ) ،
وما علمناه إلا شهماً أبيتاً ومقدماً عربياً [من الطويل] :

يَزِيدُ عَلَى فَضْلِ الرَّجَالِ فَضِيلَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ مَذْحُ مَنْ يَتَمَدَّحُ
وَيُذْلِجُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ وَيُورِي كَرِيمَاتِ الْوَدَى حِينَ يَقْدَحُ

وخلف أولاداً كثيرين ؛ منهم : الشاعر المطبوع عبد القادر بن عمر^(١) ، له أشعار
عامية ، لكنها جزلة المعاني ، خلوة المباني ، وله هجاء كثير لجمعية الحق بتريم ،
ومما يطربني من شعره : قوله - من قصيدة مجد فيها مولاه - :

هُوَ لِي عَطَى مُوسَى الْعَصَا هُوَ لِي رَتَقَ هُوَ لِي فَتَقَ
وَقَتِ الْإِجَابَةَ مِنْ عَيْدِهِ نَاطِقِ الْقُدْرَةِ نَطَقَ
فِي الْإِتِّدَا قَالُوا بَلَى وَمَنْ بَقِيَ صَادِقِ صَدَقَ
وَالْإِنْتِهَا يُلْطَفُ بِنَا يَوْمَ الْغَرْقِ يَوْمَ الْقَلَقِ
وَالْعِثْرَةَ الْعَظْمَى خَلَقَ هَهَا رَبَّنَا مِيزَانَ حَقَ
فِي عِلْمٍ مَكْنُونِ السَّرَا نَزَّ عِلْمَ مَا هُوَ فِي وَرَقَ
مَنْ يُبْغِضُ أَهْلَ الْبَيْتِ بَا لُهُ يَوْمَ وَاحِدَ مَا شَرَقَ
لَوْ كَانَ لِي فِيهِمْ وَلَا^(٢) بَادَقَهُمْ فِي الْأَرْضِ دَقَ

ويقال : له ابن عم على غير رأيه يقال له : علي بن صالح بن أمبارك أحرَقَ

« ديوانه » .

(١) توفي عبد القادر بن عمر بسربايا سنة (١٣٤٢ هـ) ، الملقَّب أبو صالح والشُّعيرة ، ولقب الشُّعيرة أطلق
على جده أمبارك ؛ لأن أمه كانت تحبه جداً وتسميه شُّعيرة العين ، ومنه سرى اللقب لأولاده وأحفاده .

(٢) أي : لو كان لي ولاية على من يبغض أهل البيت . . لدقتهم بالأرض دقاً .

ثبي

هي قرية لا بأس بها في شمال حصن جرّه ، لا تبعد عنه إلا نصف ميل تقريباً ، حولها شراج كثيرة ، فيها نخيل تشرب من الشبول .

وكان السيد عبد الله بن أحمد بن حسين العيدروس^(١) يَخْتَرِفُ فِيهِ ، ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَيْهِ ولده علوي - المترجم له في « المشرح » (ص ٢٤٩ ج ٢) - وأتخذَه قراراً إلى أن توفي سنة (١٠٥٥ هـ) ، ودُفِنَ بتريم ، وكان وادي الذهب لحسن بن علوي ، فباعه - حسبما مر في الرِيْضَةِ - وأعتاضها به . ووادي ثبي والحِطِيطَةُ لحسين بن علوي .

وثبي من جملة أودية تريم ، والجبال التي تنهر إلى بعيده الفروع وكلها في شمالها ، يأخذ بعضها إلى الغرب ، وبعضها إلى الشرق .

وفي حوادث سنة (٩٠٤ هـ) من « تاريخ سنبل » : أَنَّ ضَمِيرَ ثبي عَمَّرَ بِنَحْوِ أَلْفَيْنِ وَثَلَاثِ مِئَةِ دِينَارٍ مَرْسَلَةٍ لِدَلِكِ مِنَ السُّلْطَانِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ، سُلْطَانِ عَدَنَ وَالْيَمَنِ ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْعَدْنِيُّ الْعِيدْرُوسُ يُحِبُّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ، وَكَانَ كَثِيرَ الْخَيْرَاتِ وَالْعَمَارَاتِ .

وقد أشبه علي في « الأصل » باني صهاريج عدن ، ثم وقفت على ما ذكره سيدي عبد القادر بن شيخ العيدروس في ص [١٧٠] من « الثور السافر » عن عامر هذا من أنه (بنى مسجداً بداخل عدن ، وأجرى المياه بظاهر باب البر منها ، وعمل بها صهريجاً عظيماً ، لم يسبق إلى مثله) اهـ .

وبما أن أكبر الصهاريج في الواقع هو آخرها . فقد تعين بانيه ، لكن السؤال عن القدامى لا يزال بحاله ، ولكنها لن تكون قبل الهمداني ، المتوفى سنة (٣٣٤ هـ) لأنها لو كانت موجودة في زمانه أو قبله . لذكرها في عجائب اليمن التي ليس في بلاد

(١) هو السيد الشريف العالم العامل عبد الله بن أحمد بن الحسين بن الإمام عبد الله العيدروس ، يلقب بمولى الطاقة ، كان من أهل المعرفة والصلاح والكشف ، توفي سنة (١٠٢٥ هـ) بتريم .

مثلاً ؛ فقد ذكرَ منها بابَ عدن ، قالَ : (وهو شَصْرٌ^(١) مقطوعٌ في جبلٍ كانَ محيطاً بها ، ولم يكنْ لها طريقٌ إلى البرِّ إلَّا لَمَنْ يتسَمَّ ظهرَ الجبلِ ، فقطعَ في الجبلِ بابٌ مبلغُ عرضه حتَّى سلكت فيه الدَّوابُّ والمُحاملُ وغيرها . وفي بينون أيضاً جبلٌ قطعهُ بعضُ ملوكِ حِميرَ حتَّى أجرى فيه سيلاً من بلدٍ وراءهُ إلى أرضِ بينون) اهـ بمعناه^(٢) ، وفيه شبهٌ بما سبقَ في ميفعة .

وفيه شاهدٌ لما سبقَ في ميفعة ، ومن العجبِ أنَّ الهمدانيَّ لم يذكرْ ذلكَ ، وبعيدٌ أن يكونَ من بعده ، بل مُحالٌ .

ثمَّ وقعَ إليَّ « تاريخ أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد » المعروفِ بأبنِ المُجاورِ ، فإذا فيه : أنَّ السُّلطانَ شاهَ بنَ جمشيدَ بنَ أسعدَ بنِ قيصَرَ تولَّى عدنَ في حدودِ سنة (٦٢٥ هـ) ، وكانَ يجلبُ إليهم ماءَ الشُّربِ من زيلعَ ، ثمَّ بنوا الصُّهرِيجَ لأجلِ ماءِ الغيثِ .

إذا فالصُّهرِيجُ الأوَّلُ بعدنَ من بناءِ الفُرسِ .

ولكن قد مرَّ أوائلُ هذا الكتابِ ما يُعرفُ منه حالُ ذلكَ التَّاريخِ ، ومرَّ عنه - أيضاً - في تلكَ النُّقطةِ : أنَّ فتحَ بابِ عدنَ كانَ من عملِ عفريتِ شدَّادِ بنِ عادٍ لا من أعمالِ حِميرَ .

ثمَّ إنَّ عمارةَ عامرٍ لضميرِ ثبي لم يطلْ أمدها ، بل أنهارَتْ وشيكةٌ ، وجدَّدها الشَّيخُ الكبيرُ عبدُ الله بنُ شيخِ بنِ عبدِ الله بنِ شيخِ ، المتوفى بتريم سنة (١٠١٩ هـ) ألفٍ وتسعَ عشرةَ ، ومن الغريبِ أنَّ صاحبَ « المشرع » لم يذكرْ له هذه المَكْرَمةَ الخالدةَ فإنَّها ألباقيةٌ إلى اليومِ .

ومن ذرِّيَةِ السَّيِّدِ حسينِ بنِ علويِّ بنِ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ حسينِ العيدروسِ . . السَّيِّدُ المجدوبُ : حسينُ بنُ عبدِ الله بنِ حسينِ بنِ علويِّ ، المتوفى سنة (١١٧٣ هـ) ، وهو صاحبُ المقطَبِ بشبي ، ومن ذرِّيَتِهِ آلُ علويِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بالمقطَبِ .

(١) الشَّصْرُ : الشَّنْقُ والقطعة ، قال في « اللسان » : (الشُّصور : الشُّطور) وشرط الشيء : بعضه .

(٢) صفة جزيرة العرب (٣٠٦-٣٠٧) .

قَالَ شَيْخُنَا الْمَشْهُورُ فِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » [١/١٢٠] : (وَهُمْ مَنَاصِبُهَا وَأَوْلِيَاءُ أَمْرِهَا) اهـ

وَفِي سَنَةِ (١٢٠٦هـ) نَشَبَتِ الْحَرْبُ فِي تَرِيمَ بَيْنَ يَافِعٍ وَالْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعِيدَرُوسِ مَنَصِبِ ثَبِي ، وَقَامَ مَعَهُ آلُ تَمِيمٍ وَجَمِيعُ قَبَائِلِ حَضْرَمَوْتَ ، وَدَخَلُوا تَرِيمَ وَنَهَبُوهَا ، وَأَحْرَقُوا جَمَلَةَ بَيُوتٍ فِي الْحَوِطَةِ وَالسَّحِيلِ .

أَمَّا الْحَبِيبُ عَلَوِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ . . فَتَرَبَّى بِالْعَلَامَةِ الْإِمَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ ، فَهَذَّبَ أَخْلَاقَهُ ، وَقَوَّمَ أَوْدَهُ^(١) ، وَثَقَّفَ قَنَاتَهُ ، فَلَمْ يَتَوَلَّ الْمَنَصِبَةَ إِلَّا وَهُوَ بِهَا خَلِيقٌ - وَكَانَ سَيِّدِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ كَثِيرًا مَا يَعْتَنِي بِأُمُورِ الْمَنَاصِبِ وَالْمُرْشَحِينَ لَهَا وَتَهْذِيبِهِمْ ؛ لِعُمُومِ نَفْعِهِمْ - وَلَمَّا مَاتَ خَلَفَهُ وَلَدُهُ عَبْدُ اللَّهِ إِلَى أَنْ تَوَفَّى سَنَةَ (١٣٢٩هـ) .

وَكَثِيرًا مَا يَنْوُبُ عَنْهُ - وَلَا سَيِّمَا فِي غِيَابِهِ - أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلَوِيٍّ ، وَكَانَ كَثِيرَ التَّعَلُّقِ بِسَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ عِيدَرُوسِ بْنِ عَمَرَ ، حَتَّى إِنَّهُ لِيُصَلِّي الْعَصْرَ فِي جَامِعِ ثَبِي ، ثُمَّ يَرْكُبُ حَصَانَهُ وَيُعْدِيهِ مِلَّةً فَرُوجِهِ^(٢) ، وَيَزُورُ وَالِدِي بِمَكَانِنَا عِلْمَ بَدْرِ وَيَجْلِسُ مَعَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ لَا تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْمَغْرَبِ خَلْفَ الْأُسْتَاذِ ، وَبَيْنَهُمَا قِرَابُ الْمَرْحَلَةِ .

ذَهَبَ إِلَى جَاوَةِ فِي سَنَةِ (١٣٤٢هـ) ، ثُمَّ رَجَعَ عَنْهَا بِدُونِ طَائِلٍ ، وَقَدْ قَالَ أَبُو نَوَاسٍ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

وَأَوْبَهُ مُشْتَاقٍ بَغَيْرِ دَرَاهِمٍ إِلَى أَهْلِهِ مِنْ أَغْظَمِ الْحَدَثَانِ
غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا لِلدَّرَاهِمِ ؛ إِذْ لَا أَوْلَادَ لَهُ ، وَإِنَّمَا هُوَ عَقِيمٌ ، وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ
بَعْدَ عَوْدَتِهِ ، بَلْ مَاتَ بَعْدَ وَصُولِهِ بِأَيَّامٍ فِي (٨) ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ (١٣٤٦هـ) .

وَخَلَفَ السَّيِّدَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلَوِيٍّ عَلَى الْمَنَصِبَةِ وَلَدُهُ حُسَيْنٌ وَلَمَّا مَاتَ ، وَقَعَ رِداؤُهُ

(١) الْأَوْدُ : الْأَعْوَجَاجُ .

(٢) يُعْدِيهِ مِلَّةً فَرُوجِهِ : أَيِ يَرْكُضُهُ رُكْضًا يَمْلَأُ الْفَرَاغَ الَّذِي بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ سُرْعَةِ الْفَرَسِ ؛ إِذْ إِنَّكَ لَا تَرَى فَرَاغًا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، بَلْ تَحْسُنُ أَنَّ رِجْلَيْهِ لَصَقَتْ بَبَطْنِهِ مِنْ شِدَّةِ سُرْعَةِ حَرَكَتِهَا .

على ابنه أفاضل أحمد بن حسين ، وكان غزير المروءة ، كثير الصمت ، جم الوقار ، وهو الذي جرى بينه وبين آل تريم ما أشرنا إليه في تاريخه^(١) .

وثبي من الأودية المباركة ، يتيامن به الناس ، متى صلحت ثماره وأمرع^(٢) . . عم الخصب في وادي حضر موت ، حتى لقد كان الحبيب حسين بن عمر بن عبد الرحمن العطاس يقول : إننا لنعرف خصب وادي ثبي بدرور البركات في زروع وادي عمد ونخيله .

وسكان ثبي من السادة آل العيدروس ، ومن السادة آل الحبشي ، ومنهم : العالم الصالح ، أفاضل العابد المتواضع : عبد الله بن علوي الحبشي^(٣) ، المتوفى سنة (١٣٤٣هـ) عن جملة أولاد ؛ منهم : العالم الصوفي الناسك ، الحافظ لكتاب الله : حسين ، نفع الله به^(٤) .

وسكانها ناس من آل الراقي آل بافضل ؛ منهم : الرجل الصالح أبو بكر بن سالم بن بوبكر الراقي^(٥) المتوفى سنة (١٣١٣هـ) ، وصاحبنا الشيخ عوض بن محمد المتوفى سنة (١٣٦٠هـ)^(٦) .

وناس من الزبيديين ؛ منهم : صافي وعيسى وأبو بكر بنو أحمد الزبيدي ، لهم ضيافة ومكارم أخلاق ، وقد أوصى الأول - وهو صافي - بثلاث ماله في سبيل

(١) جاء في هامش المخطوط : (توفي السيد أحمد بن حسين في غرة شوال من عامنا بعد الفراغ من هذا «١٣٦٧هـ») .

(٢) أمرع : أعشب .

(٣) ولد بتريم سنة (١٢٧٣هـ) ، وكان عالماً ورعاً ، تولى التدريس والدعوة ، أخذ عن بعض علماء تريم وشبام ، وسار إلى جاوة - فليمانغ - وعدن ، وعاد إلى حضرموت سنة (١٢٩٩هـ) ، وتوفي بها سنة (١٣٤٣هـ) .

(٤) جاء في هامش المخطوط : (توفي السيد حسين بن عبد الله هذا آخر أعلام هذا بعد الفراغ من هذا الكتاب «١٣٦٧هـ») .

(٥) كان في سن السيد علوي بن زين الحبشي ، ودرسا سوية ، حتى إنهما كانا يترافقان في الذهاب إلى المسيلة للقراءة على الإمام عبد الله بن حسين بن طاهر . «الصلة» (٢٩٦) .

(٦) وهو : عوض بن محمد بن أبي بكر ، الجد الجامع لآل الراقي الذين بثبي ، وهو الشيخ أبو بكر بن أحمد بن محمد بن فضل الراقي .

الْمَبْرَاتِ ، وجعلَ النَّظَرَ لِلسَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلَوِيٍّ الْحَبْشِيِّ وولدهِ حَسِينٍ ، وَمِنْ حَيْثُ
 إِنَّهُمَا شُهُودُ الْوَصِيَّةِ . . فقد ثبتت بشهادتهما ، لكن لم تثبتِ الْوَصَايَةُ ؛ لِأَنَّ فِيهَا شَهَادَةَ
 لَأَنْفُسِهِمَا ، وَلَمَّا بَطَلَتْ . . أَسْنَدَ مَنْصَبُ ثِيي السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسِينٍ النَّظَرَ إِلَى عَيْسَى .
 وفي ثِيي كثيرٌ مِنَ الْأَكْرَةِ وَالْمَسَاكِينِ ، إِلَّا أَنَّ الْمَجَاعَةَ الْأَخِيرَةَ أَجْتَاكَ مِنْهُمْ
 الْكَثِيرَ .

وادي الذهب

هُوَ وَادٍ لَيْسَ بِالْوَاسِعِ وَلَا بِالضَّيِّقِ ، وَلَكِنْ بَيْنَ بَيْنَ ، يَبْعُدُ عَنْ ثِيي شِمَالاً إِلَى جِهَةِ
 الْغَرْبِ بِنَحْوِ سَاعَتَيْنِ وَنَصْفٍ لِلْمَاشِي ، وَهُوَ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، وَعَلَيْهِ شَرَاخُ كَثِيرَةٌ ، بَعْضُهَا
 لِلْمَشَايخِ الزُّبَيْدِيِّينَ آلَ بُو بَكْرِ بْنِ عَيْسَى ، يُزْبِعُونَ بِهِ فِي أَيَّامِ الْخَصْبِ عَلَى مَلَأِ
 الْجَفَانِ ، وَإِكْرَامِ الضُّيْفَانِ ، وَيَهْرَبُونَ إِلَيْهِ فِي أَيَّامِ الْجَدْبِ ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ
 أَبْنَاءِ السَّبِيلِ إِذَا بَقُوا بِثِيي .

وقد نزلَ بِهِ أَوْلَادِي حَسَنٌ وَمُحَمَّدٌ عَلَى ضِيَاغَةِ الشَّهْمِ الْكَرِيمِ الْوَلَدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي
 بَكْرِ الزُّبَيْدِيِّ ، عَلَى نِيَّةٍ أَنْ يَنْقَلِبُوا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِمْ ، فَأَعْجَبَهُمُ الْهَوَاءُ الطَّلُقُ ، وَالْفَضَاءُ
 الرَّحْبُ ، وَالْأُنْسُ الْكَثَامُ ، فَأَقَامُوا بِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ .

وبعضُ شَرَاخِهِ لِسُكَّانِهِ - الَّذِينَ لَا يَرْحَلُونَ عَنْهُ خَصْباً وَلَا جَدْباً وَلَا شَتَاءً وَلَا صَيْفاً -
 وَهُمْ آلُ بَرَاهِمَ ، وَهُمْ مِنَ الْمَهْرَةِ ، وَإِنَّمَا نَجَعُوا فِي أَيَّامِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ
 الثَّانِي^(١) ، وَبَعْضُهُمْ يَعُدُّهُمْ مِنَ الْعَوَامِرِ بِأَعْتَابِ أَنْغَمَاتِهِمْ فِيهِمْ بِالْحَلْفِ .

وَمِنَ الْغَرَائِبِ : أَنَّ نَيْراً وَثَبَ عَلَى أَمْرَأَةٍ مِنْ سَرَوَاتِهِمْ - وَهِيَ تَحْطُبُ - فَأَتَقَتُهُ
 بِمَشْعَبٍ مَعَهَا وَضَعَتْهُ فِي فَمِهِ ، وَجَعَلَتْ تَضْرِبُهُ بِمَسْحَاةٍ مَعَهَا حَتَّى قَتَلَتْهُ ، وَطَمَعَ فِيهَا
 رَجُلٌ وَهِيَ مَنْفَرْدَةٌ تَحْطُبُ ، فَأَلَانَتْ لَهُ الْقَوْلَ ، وَلَمَّا أَقْتَرَبَ مِنْهَا . . أَلْقَتْ رَأْسَهُ بَيْنَ
 رَكْبَتَيْهَا تَدْوِسُهُ ، حَتَّى شَمَّ أَلْمُوتَ ، فَتَعَهَّدَ لَهَا بِخَمْسِ عَشْرَةِ شَاةٍ إِزَاءَ مَا أَجْتَرَأَ عَلَيْهَا ،

(١) المتوفى بتريم سنة (١٠١٩هـ) .

ووفى لها ، وأسمها فطوم بنت بخيت بن كرتم بن براهيم ، كانت موجودة في سنة (١٣٦٠هـ) ، وإنما ماتت بعد ذلك .

وقد مرّ في شبوة خبر عن عليّ ناصر القردعيّ فيه شبهة من خبر هذه المرأة الجزلة رحمة الله على عظامها ، وأكبر منه ما سبق في القطن عن امرأة الأمير صلاح بن محمّد القعيطي .

حصن العزّ

قد سبق في قارة الشناhez أنّه لم يُنَّ إلا في سنة (٨٤٢هـ) ، وذلك أنّ دويس بن راصع تحرّش بالسُّلطان عبد الله بن عليّ بن عمر الكثيريّ ، فأقبل من ظفار وحصر تريم ، وتعدّدت المعارك تحت تريم ، وشاد السُّلطان بعض معاقل لتشيديد الحصر عليها ، فكان حصن العزّ مما بناه يومئذ .

وفي « المشرع » [٢٥٣/١] عن « تاريخ سنبل » [٦٣] أنّه : (بُني لتريم في سنة (٦٠١هـ) سورٌ من قارة العزّ إلى حيد قاسم ، ثمّ أخربته السُّلطان بدر بن مُحمّد الكثيريّ^(١) سنة (٨٩٥هـ) ، ثمّ عمّر ، ثمّ أخربته السُّلطان عبد الله بن راصع^(٢) سنة (٩١٠هـ) ، ثمّ أعاده السُّلطان مُحمّد بن أحمد^(٣) سنة (٩١٣هـ) ، ولا وجود لذلك السُّور ، والظاهر أنّ بدر بن عبد الله بوطويرق هدمه لما أخذها سنة (٩٢٦هـ) ، من مُحمّد بن أحمد المذكور) اهـ بمعناه .

وقد ذكرنا في « الأصل » ما يُروى أنّ عبد الله بن راشد اعتزل السياسة بالآخرة ، وسكن قارة العزّ - بما فيه - وأنّ بعض الصّالحين بتريم مات ، فأحبّ ألفقيه مُحمّد بن

(١) هو بدر بن محمد بن عبد الله بن علي بن عمر ، توفي في (٣) شوال (٩١٥هـ) ، ودفن بجرب هيصم بشبام . « الدولة » (٢٨-٣٠) .

(٢) كان والياً وقتها على (تريم) ، وهو من آل يمانى . « الحامد » (٢/٥٣٢) .

(٣) هو محمد بن أحمد بن سلطان بن يمانى كان حاكماً على تريم من عام (٩١٢) إلى (٩٢٦هـ) . « الحامد » (٢/٥٣٣) .

أبي الحب حضور السلطان عبد الله بن راشد للصلاة عليه ، فلم يقدّر على أجره رسول يبعث به إليه في قرية العزّ المذكورة ، فاتفق حضور السلطان مصادفة .

وقد رجّحت في «الأصل» أنّ المراد قارة العزّ التي بحوطة سلطنة ، بأمانة أنّ السلطان قتل على مقربة منها ، فلعلّها هي التي أقام بها بعد اعتزال السياسة إن صحّ - على ما فيه - وهي التي يتمنّى أن لا يقدّر أبني أبي الحب على أجره رسول إليها ، أمّا قارة العزّ . فلا تحتاج إلى أجره تذكّر ؛ لأنها على دون نصف الميل من تريم ، بل قد مرّ بك أنّها منها ؛ لانتهاء سورها إليها في سابق الزمان ، ولكنني رأيت في الحكاية الخامسة من «الجوهر الشفاف» [١/٥٩-٦٠] ما يعين هذه .

ويُفهم ممّا مرّ أنّ لفظ العزّ يُطلق على القارة من قديم ، وإن كان البناء بها متأخراً .

حصن آل فلوقه^(١)

هو قرية واقعة في سفح الجبل المسمّى باعشميل ، في جنوب تريم بإزاء الرملة ، إلى شرفيّها ، فيصلح عدّها هنا في القرى التي بجنوب تريم ، ويصلح عدّها في القرى التي في شرفيّها ، ولكنني أثرت الأول لأتمكّن من كلمات تليق بفضيلة شيخنا العلامة أبي بكر بن شهاب بمناسبة وجوده فيها مع نشاط خاطر ؛ إذ لا يمكنني أن أبلغ فيه شيئاً ممّا أريد في أخبار تريم المقصود مراجعتها بالحظّ الأوفى من قول العلامة الجليل عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد أليافي [من الطويل] :

مَرَزْتُ بِوَادِي حَضْرَمَوْتَ مُسَلِّمًا فَالْفَيْئُهُ بِالْبِشْرِ مُبْتَسِمًا رَحْبًا
وَأَلْفَيْتُ فِيهِ مِنْ جَهَابِذَةِ الْعُلَا أَكَابِرَ لَا يُلْفُونَ شَرْقًا وَلَا غَرْبًا

وقد سمعت كثيراً من الشيوخ وأهل العلم يقولون : (إن هذا كان جواب الشيخ لما سأله أبوه عن أهل حضرموت) ، وهو وهم ظاهر ؛ لأن وفاة الشيخ عبد الله بن

(١) آل فلوقه : بطن من بطون قبيلة تميم .

أَسْعَدَ كَانَتْ فِي سَنَةِ (٧٦٨ هـ)^(١) ، وَوَفَادَةُ وَلَدِهِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ إِنَّمَا كَانَتْ فِي سَنَةِ (٧٩٤ هـ) كَمَا ذَكَرَهُ شَنِبَلٌ^(٢) .

وَسَيَّاتِي عَنْ بَامْخَرَمَةَ فِي تَرِيمٍ أَنَّ صَاحِبَ الْقِصَّةِ إِنَّمَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدَ ، وَلَكِنَّ كَلَامَ شَنِبَلٍ أَثْبَتُ ؛ لِأَنَّهُ أَعْرَفُ بِحَضْرَمَوْتَ وَأَخْبَارِهَا .
وُلِدَ شَيْخُنَا - الَّذِي لَا حَاجَةَ إِلَى ذِكْرِ أَطْرَادِ نَسَبِهِ ؛ لِغِنَاؤِهِ عَنْهُ بِشَهْرَتِهِ ، كَمَا قَالَ
الْمُتَنَبِّيُّ [فِي « الْمُكَبَّرِيِّ » ١٧٦/١ مِنْ الْبَسِيطِ] :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْغَنَائِي بِتَسْمِيَةِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبٍ
فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ سَنَةَ (١٢٦٢ هـ) ، وَدَرَجَ بَيْنَ أَحْضَانِ الْعَنَابَةِ ، وَشَبَّ مُحْفُوفًا
بِالرُّعَايَةِ ، وَكَانَ فِي صَفَاءِ الذَّهْنِ وَحِدَّةِ الْفَهْمِ آيَةً ، نَعَسَ مَرَّةً بَيْنَ أَصْحَابٍ لَهُ - مِنْهُمْ
السَّيِّدُ الشَّهِيرُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيُّ - يَقْرَءُونَ فِي الْفَرَائِضِ فَعَاتَبَهُ أَحَدُهُمْ ، فَسَرَدَ لَهُمْ
مَا كَانُوا فِيهِ ! ثُمَّ صَبَّحَهُمْ مِنَ الْيَوْمِ الثَّانِي بِمَنْظُومَتِهِ الْمَوْسُومَةِ بِ : « ذَرِيعَةُ النَّاهِضِ »
وَقَدْ أَخَذَ قَوْلَهُ فِي آخِرِهَا [مِنْ الرَّجَزِ] :

وَعُذْرُ مَنْ لَمْ يَنْلِغِ الْعِشْرِينَ يُقْبَلُ عِنْدَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ
مِنْ قَوْلِ صَاحِبِ « السَّلَامِ » [فِي الْبَيْتِ ١٣٨ مِنْ الرَّجَزِ] :

وَلِيَنِّي إِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً مَغْذِرَةٌ مَقْبُولَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ
وَجَرَى الْاِخْتِلَافُ بِمُحَضَّرِ شَيْخِنَا الْمَشْهُورِ فِيمَا لَوْ اِخْتَلَفَ الْمَاءُ وَزَنًا وَمِسَاحَةً بِمَاذَا
يَكُونُ الْاِعْتِبَارُ فِي الْقُلَّتَيْنِ ؟ فَنَظَمَ عَلَى الْبَدِيعَةِ سَوْالًا سَيَّرَهُ لِمَفْتِي زَبِيدِ السَّيِّدِ دَاوُدَ حَجَرَ^(٣) ،

(١) ترجمة الشيخ عبد الله الياضي في المصادر التالية : « الدرر الكامنة » (٢٤٧/٢) ، « شذرات الذهب » (٢١٠/٦) ، « طبقات الشافعية » (١٠٣/٦) ، « الأعلام » (٧٢/٤) .

(٢) « شَنِبَل » (ص ١٥٠) .

(٣) العلامة المحقق الفقيه داود بن عبد الرحمن بن قاسم الملقب : (حَجَرُ الْقُدَيْمِي) الحسيني الزبيدي الشافعي ، المولود بزييد ، والمتوفى بها سنة (١٣١٣ هـ) ، أخذ عن جَمْعٍ مِنْ شُيُوخِ عَصَرِهِ . . . كَانَ عَالِمًا نَحْرِيرًا ، وَبَحْرًا غَزِيرًا ، تَنْظُرُ تَرْجَمَتُهُ فِي : « أئمة اليمن » لزابرة (٣٧٨/٢) ، وَثَبَتَ الْفَقِيهَ .

فَعَادَ الْجَوَابُ عَلَى غَرَارِ ذَلِكَ النَّظْمِ مَصْرُحاً بِأَعْتِبَارِ الْمَسَاحَةِ^(١) .

(١) ومن باب إتمام الفائدة المرجوة منها حسن العائدة . . نسرد هنا أبيات السيد أبي بكر (السؤال) ، ثم تتبعه برد السيد داود (الجواب) نقلاً عن خط العلامة الفقيه المعمر عبد الله الناجبي حفظه الله تعالى :

نص السؤال :

إلى علماء العصر في البر والبحر
سؤالٌ ولولا الجهل ما خُطَّ رسمُهُ
لقد جاء ما معناه عن سيّد الوري
إذا بلغ الماء قلتني حَجَرٍ فلي
وأطبق أتباع ابن إدريس بعده
وذلك تقريباً بخمس مئتي وفت
وأنهما طُولاً وَعَرْضاً ونازلاً
وجرّب أهلُ الخِبرة الماءَ فهو في
وكيف إذا جئنا بخمس مئتي كما
وبالعكس ما لو كان بالمسح كاملاً
فعند اختلاف الوزنِ والمسح ما الذي
فإن قلتُم بالمسح نأخذُ أُلْغِيَتْ
وإن قلتُم بالوزن ثم رددتم
وبالمسح لا بالوزن كَثُرَتْهُ التي
فهذا سؤالٌ يا بني الفقه لم أجد
فلما وصل هذا السؤال المنظوم إلى حضرة السيد داود . . دفعه إلى ابنه العلامة السيد محمد
داود . . المتوفى بإستنبول سنة (١٣٠٧هـ) ، فأجابه نظماً على وزنه وقافيته :

أحبُّ غمام أم عقود من الدر
نعم طرسٌ علم ذو معانٍ نفيسة
أعاد لنا ذكر الأُلَى سبقوا إلى
فأبدى سؤالاً ما سؤالاتُ نافع
يقول : اختلافُ الماءِ ثَقُلًا وخِفَةً
فخمس مئتي الأرطال تقصُرُ إن يكن
وأكثرَ منها يَتَلَفَنُ بِخِفَةٍ
جوابك : أن المرتضَى الذرعُ حسبما
لتعليقه للحكم بالظرفِ وهو ذو
ولو كان للوزن اعتبارٌ أتى به

أم الغادة الحسناء باسمه الثغر
أتى من نُضَارِ الآل والسادة الغر
معالي المعاني فوق سابعة الفكر
ولا معن في تحقيقه غير ذي حصر
يباينُ ضبطُ القلتين لدى السَّبر
ثِقِلًا عن المقدار بالذرع والشبر
فما المرتضَى عند اختلافِ ذوي الحَزَرِ
يشير إلى ذاك الحديث لمن يدري
جوانبُ تُذَرَى بالمساحة للخبر
فمن عَذَلِه عنه أطرحناه في القَدَرِ=

وقد ذكرَ شيخنا المسألة في «البغية» ، ولكنه لم يُشر إلى ما كان واقعاً من القصة ، وأمتحت شاعريته في حضرة الشريف عبد الله^(١) بمكة المشرفة ، فخرج كما يخرج الذهب التبر من كير الصانع ؛ إذ أنشأ في المجلس من لسان القلم أكثر مما اقترحوه عليه .

وفي «ديوانه» عدّة قصائد بهيئة الأرتقيات^(٢) في مديح خديوي مصر الجليل توفيق باشا^(٣) ، وزعم جامعو «ديوانه» أنه لم يُقدّمها إليه ، وأنا لا أصدق ذلك ؛ لخروجه عن الطبيعة الغالبة ؛ إذ فلما يُنجز الشاعر قصيدته إلا كانت في صدره ولولة لا تهدأ إلا بإظهارها ، فالظاهر أنه قدّمها ولكنها لم تخطّ بالقبول ، وقد قيل لأرسطو : إنَّ أهل أنطاكية لم يقبلوا كلامك . . قال : لا يهتني قبولهم ، وإنما يهتني أن يكون صواباً .
وللعلامة ابن شهاب أسوة بسابقيه من الفحول ، فقد أقشعر بطن مضر بآراكين القريض ؛ كحبيب وأبي عبادة ، ولم ينج الممتني إلا بجريعة الذقن حسبما قرزته في «النجم المضي» .

وكون صحاب الشافعي يذكرونه
نظير الذي قالوه في صاع فطرة
فقد ذكروا الميزان لكن مدارهم
ومما يقوي ما ذكرناه : نصهم
وما جاوز التحديد في قدر أذرع
وحاصلُهُ : أن التخالُف إن يكن
هذا ما كتبه الشيخ عبد الله الناحي ، في كراس له ، كتبه سنة (١٣٤٧هـ) ، أي قبل (٧٥) سنة من اليوم ، أطال الله عمره ، وأمتع به في خير وعافية .

(١) يعني به : الشريف عبد الله بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي (١٢٩٩-١٣٧٠هـ) ، ولد بمكة ، وصار نائباً عن أبيه سنة (١٣٢٦هـ) ، وفي عام (١٣٦٥هـ) أقيم ملكاً على الأردن ، ومات سنة (١٣٧٠هـ) . «الأعلام» (٨٢/٤) .

(٢) جمع أرتقية ؛ وهي القصائد التي تبتدىء أبياتها وتنتهي بحرف واحد ، وأول من ابتكرها صفي الدين الحلي عبد العزيز بن سرايا (ت ٧٥٠هـ) في مدح ملوك الدولة الأرتقية بالشام .

(٣) هو خديوي مصر محمد توفيق باشا ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا ، سادس ملوك مصر ، ولد سنة (١٢٦٩هـ) ، ومات في (٦) جمادى الثانية (١٣٠٩هـ) في حلوان . «الأعلام الشرقية» (٣٩/١) .

وأخبار العلامة ابن شهاب أكثر من أن يتسع لها المجال ، وهو الذي مهد له الصواب ، وأطلق الخطاب ، وألين القول ، وأطيل الجول .

كَأَنَّ كَلَامَ النَّاسِ جُمَعَ حَوْلَهُ فَأُطْلِقَ فِي إِخْسَانِهِ يَتَخَيَّرُ^(١)
لقد أخذ قصَب السَّبَقِ ، ولم تنجب حَضْرَمَوْثُ مثله من الخلق .

أما في الفقه . . فكثير من يفوقه من السابقين ، بل لا يصل فيه إلى درجة سادتي :
علوي بن عبد الرحمن السَّقَافِ وعبد الرحمن بن محمد المشهور ، وشيخان بن
محمد الحبشي ، ومحمد بن عثمان بن عبد الله بن يحيى من الألاحقين .
وأما في التفسير والحديث . . فلا أدري .

وأما في الأصولين ، وعلم المعقول ، وعلوم الأدب والعربية ، وقرض الشعر
ونقده . . فهو نقطة بكارها ، وله فيها الرتبة التي لا سبيل إلى إنكارها .

وقد رأينا أشعار إمام الإباضية ، والشيخ سالم بافضل ، وأبن عقبة ،
وعبد المعطي ، وعبد الصمد ، ومطالع القطب الحداد الرائعة ، ومنقحات العلامة
أبن مصطفى الشاعرة ، فضلاً عن دونهم . . فلم نر أحداً يفري فزيه^(٢) ، ولا يمتح
بغربه^(٣) ، ولا يسعى بقدمه ، والآثار شاهدة والمؤلفات والأشعار ناطقة .

مَجْدٌ تَلُوحُ حُجُولُهُ وَفَضِيلَةٌ لَكَ سَافِرٌ وَالْحَقُّ لَا يَتَلَاَمُ^(٤)
أما إن كلامه ليسوق القلوب النافرة أحسن مساق ، ويستصرف الأبصار^(٥) الجامعة
كما تستصرف الألفاظ العُشَّاق .

يَنْسَى لَهَا الرَّاكِبُ الْعَجَلَانَ حَاجَتَهُ وَيُضْبِحُ الْحَاسِدُ الْغَضْبَانَ يَزْوِيهَا^(٦)

(١) البيت من الطويل .

(٢) يفري فزيه : يعمل عملاً متقناً كعمله .

(٣) يمتح : يستقي . بغربه : دلوه العظيمة .

(٤) البيت من الكامل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٠٤ / ٢) .

(٥) يستصرف الأبصار : يردّها عن وجهتها .

(٦) البيت من البسيط ، وهو من قصيدة لابن نباتة السعدي .

وَلَطَالَمَا وَرَدَتْ الْقَصِيدَةُ بَعْدَ الْقَصِيدَةِ مِنْ أَشْعَارِهِ إِلَى حَضْرَةِ سَيِّدِي الْوَالِدِ فِي حَفْلَةٍ
فَلَا تَسْلُ عَمَّا يَقَعُ مِنَ الْأَسْتِحْسَانِ وَالْثَنَاءِ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ ، وَالْإِجْمَاعِ عَلَى فَضْلِ ذَلِكَ
الْإِنْسَانِ ، غَيْرَ أَنَّ وَالِدِي كَثِيراً مَا يَخْشَى عَلَيَّ الْاِفْتِتَانَ بِتِلْكَ الْرَوَائِعِ فَيَغَيِّرُ مَجْرَى
الْحَدِيثِ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُنْقِذَ الْمَوْقِفَ مَتَى حَضَرَ سَيِّدِي الْوَالِدُ عَلَوِيُّ بْنُ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْمَوْلَعِينَ بِأَبْنِ شِهَابٍ وَيَأْدِبِهِ ، فَلَا يَزَالُ يُكْرِّرُ إِنْشَادَهَا ،
وَيَطْنُبُ فِيمَنْ شَادَهَا ، وَكَلِّمًا أَرَادَ أَبِي أَنْ يُنْقِذَ الْمَوْقِفَ . . قَالَ لَهُ : دَعْنَا يَا عُبَيْدُ اللَّهَ
نَتَمَتَّعَ بِهَذَا الْكَلَامِ ، لَنْ يَفُوتَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ .

وَنَحْنُ نَجِدُ مِنَ اللَّذَّةِ بِذَلِكَ الشَّعْرِ الْعَذْبِ ، وَاللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ ، مَا يَكَادُ يَنْطَبِقُ عَلَيْهِ
قَوْلُ الْمُتَنَبِّئِيِّ [في « العُكْبَرِيِّ » ٨٦/٤ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

أَلَدُّ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِأَلْمَاءٍ ذَكَرُهُ وَأَخْسَنُ مِنْ يُسْرِ تَلَقَّاهُ مُعْدِمٌ^(١)

وَكُلٌّ مِنَ الْقَوْمِ ضَارِبٌ بِذَقْنِهِ ، أَوْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ، وَيَزِيدُ أَهْلَ الشَّعْرِ مِنْهُمْ
بِتَمَنِّي أَنْ لَوْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ بَيْتٌ مِنْهَا بِجُمْلَةٍ مِنَ الْقَصِيدِ .

وَكَمَا لُقِّحَتْ أَلْبَلَادُ بِفَنُونِهِ عَنْ حِيَالٍ . . فَلَا أَكْذِبُ اللَّهَ : كُلُّ مَنْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ عِيَالٌ ،
وَأَنَا مُعْتَرِفٌ بِأَنْ مَا يُوْجَدُ عَلَى شِعْرِي مِنْ مَسْحَةِ الْإِجَادَةِ . . إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِهِ ؛ لِأَنِّي أُطِيلُ
النَّظَرَ فِي شِعْرِهِ ، وَأَتَمَنَّى أَنْ أَصِلَ إِلَى مِثْلِهِ .

وَكَأَنَّنا لَمَّا أَنْتَحَيْنَا نَهْجَهُ نَقْفُو ضِيَاءَ الْكَوْكَبِ الْوَقَّادِ^(٢)

وَكَانَ يُحَسِّدُ حَسِداً شَدِيداً ، لَا مِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْأَدَبِيَّةِ اللَّتَيْنِ سَقَطَتْ دُونَهُمَا
هِمُّ الْعِدَا وَنَفَاسَةُ الْحَسَادِ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ كَمَا قَالَ الْبَحْثَرِيُّ لَنِي « دِيَوَانِهِ »
١٤/١ مِنْ الْكَامِلِ] :

فَنَيْتَ أَحَادِيثَ التُّفُوسِ بِذِكْرِهَا وَأَفَاقَ كُلِّ مُنَافِسٍ وَحَسُودِ

(١) الصَّهْبَاءُ : اسم من أسماء الخمر . المعدم : الفقير .

(٢) البيت من الكامل ، وهو للبحراني في « ديوانه » (١٨٦/١) بتغيير بسيط .

ولكن من قوة نفسه ومغالاته بها ، وما يصحبه من التوفيق في الإصلاح ؛ فإنه لا يهيبُ بمشكِلٍ إلَّا أنحلَّ ، ولا ينبري لمعضلٍ إلَّا أضْمحلَّ .

فَأَرَى الْأُمُورَ الْمُشْكِلَاتِ تَمَزَّقَتْ ظَلَمَاتُهَا عَنْ رَأْيِهِ الْمُسْتَوْقِدِ^(١)
ومع تألُّبِ الأعداءِ عليه من كلِّ صوبٍ . . تخلَّصَ منهم قاتبةٌ من قوب^(٢) ، ووُقيَ
شرُّهم وُقيًا ، وما زادوه إلَّا رُقيًا ، فأنطبقَ عليهم قولُ حبيبٍ [في «ديوانه» ١٠٣/٢ من
الكمال] :

وَلَقَدْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُزِيلُوا عِزَّهُ فَإِذَا (أَبَانٌ) قَدْ رَسَى وَ(يَلْمَلَمْ)^(٣)
وهو محبوبٌ بعدُ لدَى فُحُولِ الرِّجَالِ وأئمةِ أهلِ الكمالِ ، كسيدي الجدِّ ،
والأستاذِ الأبرِّ ، والحبیبِ أحمد بن مُحَمَّدٍ المحضارِ ، والحبیبِ علي بن حسنِ
الحدَّادِ ، والحبیبِ عمر بن حسنِ الحدَّادِ ، والحبیبِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيم ، وأمثالهم .
وقد قال الأولُ [من الطويل] :

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامَ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِئَامُهَا
وله رحلاتٌ كثيرةٌ ، أولاهَا سَنَةٌ (١٢٨٦هـ) إلى الحجازِ ، ثم عادَ إلى تريم ،
وفي سَنَةِ (١٢٨٨هـ) ركبَ إلى عدن وأتصلَ بأمرأٍ لَحَجٍّ ومدحهم ، وزعمَ بعضُ
النَّاسِ أَنَّهُ كَانَ يَعْنِيهِمْ بقصيدتهِ المستهْلَّةِ بقوله [في «ديوانه» (٩٣-٩٥) من ألوافر] :
ذَهَبَتْ مِنَ الْغَرِيبِ بِكُلِّ مَذْهَبٍ وَمِلْتُ إِلَى النَّسِيبِ وَكَانَ أَنْسَبُ
وأنا في شكٍّ من ذلك ؛ لأنَّ لَهُ فِيهِمْ بعدَهَا غررَ ألفصائدٍ ، ومنها قوله [من الطويل] :
هُوَ الْحَيُّ إِنْ بُلِّغَتْهُ فَأَنْزِلِ الْحَانَا وَحَيِّ الْأَلَى تَلْقَاهُمْ فِيهِ سُكَّانَا

(١) البيت من الكامل ، وهو للبحرِّي في «ديوانه» (٦٦/١) .

(٢) يقال في المثل : تخلصت قاتبة من قوب ؛ أي بيضة من فرخ ، يضرب لمن انفصل من صاحبه .

(٣) أَبَانٌ ويَلْمَلَمْ : اسما جبلين .

على أَنَّ لِلْإِنْسَانِ لِسَانًا فِي الْغَضَبِ غَيْرَ لِسَانِهِ فِي الرِّضَا ، وَقَدْ قَالَ الْأَوَّلُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
هَجَوْتُ زُهَيْرًا ثُمَّ إِنِّي مَدَخْتُهُ وَمَا زَالَتِ الْأَشْرَافُ تُهَجِّى وَتُمَدِّحُ
ثُمَّ إِنَّ الْمُرْجَمَ رَكِبَ مِنْ عَدَنٍ إِلَى جَاوَةِ وَأَقَامَ بِهَا نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى
الْغَنَاءِ فِي سَنَةِ (١٢٩٢هـ) ، وَثُمَّ نَجِمَتْ فِتْنَةُ التَّوَيْدَةِ وَكَانَ لَهُ أَفْضَلُ السَّعْيِ فِي
إِخْمَادِهَا وَنَجَحَ ، ثُمَّ أَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْأَذَى فَهَجَرَ حَضْرَمَوْتَ سَنَةَ (١٣٠٢هـ) ، وَهِيَ
الرَّحْلَةُ الَّتِي يَقُولُ عِنْدَ رَجُوعِهِ مِنْهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :

ثَلَاثُونَ عَامًا بِالْبَعَادِ طَوَيْتُهَا وَكَمْ أَمَلٍ فِي طَيِّ أَيَّامِهَا أَنْطَوَى
وَهَا عَوْدَتِي لَمَّا أُتِيحَتْ نَوَيْتُهَا عَسَى وَعَسَى أَنْ لَيْسَ مِنْ بَعْدِهَا نَوَى
وَلَمَّا قَدِمَ إِلَى تَرْيَمَ فِي سَنَةِ (١٣٣١هـ) . . هُنَاكَ بِقَصِيدَةٍ نَكَرَ مِنْهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ
بِتَرْيَمَ أَبْيَاتًا ، فَقَالَ لِي السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَافِ : أَتَحِبُّ أَنْ يَبْحَثَ مَعَكَ
إِخْوَانُكَ فِي أَبْيَاتٍ أَنْكَرُوهَا مِنْ قَصِيدَتِكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : نَعَمْ ، بِكُلِّ مَسْرَةٍ وَفَرَجٍ .

فَأَقْبَلَ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ شَهَابٍ - لِأَنَّهُمْ نَصَّبُوهُ إِذْ ذَاكَ لِلرِّيَاسَةِ
الْعِلْمِيَّةِ بِتَرْيَمَ لِيُنَافِسَ الْوَالِدَ أَبَا بَكْرَ بْنَ شَهَابٍ فِي عَشْرِينَ مِنْ عِلِّيَّةِ طُلَّابِ الْعِلْمِ ، فِيهِمْ
الْعَلَامَةُ عَلِيُّ بْنُ زَيْنِ الْهَادِي^(١) ، وَلَمْ أَكْرِهْ حُضُورَ أَحَدٍ سِوَاهُ ؛ لِمَا أَشْتَهَرَ بِهِ مِنَ
الْحِدَّةِ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَخْرُجَ بِنَا الْجِدَالَ عَنِ الْإِلْيَاقَةِ ، وَمَا فَرَعْنَا مِنَ الْمُنَاقَشَةِ . . إِلَّا وَقَدْ
رَجَعُوا إِلَى كَلَامِي ، وَأَوَّلُ مَنْ أَنْحَازَ إِلَى جَانِبِي هُوَ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ زَيْنِ الْهَادِي مُصَدِّقُ
أَنَّ الْحِدَّةَ تَعْتَرِي الْأَخْيَارَ . . فَكَانَ مِنْ خِيَارِ الْمُنْصِفِينَ ، فَهَابَهُ مَنْ رَامَ الْمَغَالِطَةَ .

وَمَا أَنَا فِي هَذَا بِمُجَازِفٍ وَلَا كَاذِبٍ ، وَلَا أَسْتَشْهَدُ عَلَى طَوْلِ الزَّمَانِ بِمِيتٍ
وَلَا غَائِبٍ ؛ فَقَدْ بَقِيَ السَّيِّدُ يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَشْهُورُ مِمَّنْ حَضَرَ ذَلِكَ الْبَحْثَ فَلْيَسْأَلْهُ
مَنْ أَحَبَّ .

وَمَوْضُوعُ الْمُنَاقَشَةِ أَنَّنِي عَرَّضْتُ - فِي تِلْكَ الْقَصِيدَةِ - بِبَعْضٍ مِنْ يِعْزُّ عَلَيْهِمْ مِمَّنْ غَيَّرَ

(١) كَانَ السَّيِّدُ عَلِيُّ فَقِيهًا عَالِمًا مُفْتِيًّا ، تَوَلَّى التَّدْرِيسَ بِزَاوِيَةِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بِتَرْيَمَ ، وَتَوَفَّى بِهَا فِي (٧) ذِي
الْحِجَّةِ (١٣٤٦هـ) .

منار سيرة السلف بإعزاز الأغنياء وإذلال الفقراء والعلماء ، ولما صدقتهم وذكرتهم لهم من أعمال أولئك ما يخالف هديته صلى الله عليه وآله وسلم . . لم يسعهم إلا الإذعان ، ووعدوا بالتوسط لإصلاح الأمور ، وكأنهم لم يجدوا قبولاً من ذلك الجانب فأنشؤا ، والقصيدة بموضعها من « الديوان » .

وأشهد لقد طلعت عليه فجأة إلى سطح قصره بعد المغرب . . فإذا به يدور على غاية من الاستغراق والحضور ، ويكرّر قول أبي فراس [في « ديوانه » ٤٥ من الطويل] :
 فَلَيْتَكَ تَخْلُوَ وَالْحَيَاةَ مَرِيرَةً وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالْأَنَامَ غَضَابُ
 وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
 فجمعت يدي منه على دين ثابت ، ويقين فرعته في السماء وأصله في التخوم
 ثابت .

ولطالما ترنحت طرباً لهذين البيتين ، وأستجهرني جمالهما ، وترنمت بهما في مناجاة الباري عز وجل ، لاسيما وقد تمثل بهما جلّة العلماء ، ومنهم سلطانهم عزّ الدّين ابن عبد السلام ، غير أنّي لما أنعمت النظر ، وأفقت من دهشة الإعجاب به . . ألفيته مصادماً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا تَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ ، وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ »^(١) ؛ إذ لم يترك شيئاً من البلاء إلا تمنّاه .

وربّما يكون ما وقع فيه ابن عبد السلام من السّجن والامتحان مسبباً عن ذلك ، وقد ذكرت في « العود » [٢٥٩/٢] جماعة ممّن أصيبوا بالعاهات من جهة تمنّيهم ذلك في طريق الوصال ، وقد أخذ الله بصرّ المؤمل ابن أميل من صباح الليلة التي قال فيها [من البسيط] :

شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْخَيْرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤْمَلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ
 وبرّص المجنون لقوله [في « ديوانه » ٢٢٦ من الطويل] :

قَضَاهَا لِغَيْرِي وَأَبْتَلَانِي بِحُبِّهَا فَهَلَا بِشَيْءٍ غَيْرِ هَذَا أَبْتَلَانِيَا

(١) أخرجه البخاري (٢٨٠٤) ، ومسلم (١٧٤٢) .

وقال عمرُ بنُ أبي ربيعةٍ لكثيرٌ : أخبرني عن قولك لنفسك ولحببتك [في «ديوان كثير»
٤٨٤٧ من الطويل] :

أَلَا لَيْتَنَا يَا عَزُّ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ بَعِيرَيْنِ نَزَعَى فِي الْخَلَاءِ وَنَعَزُبُ
كَلَانَا بِهِ عَرَفَمَنْ يَرَنَا يَقْلُ عَلَى حُسْنِهَا جَزَاءُ تُغْدِي وَأَجْرُبُ^(١)
إِذَا مَا وَرَدْنَا مِنْهُلَا صَاحَ أَهْلُهُ عَلَيْنَا فَمَا تَنَفَّكَ نُزَمَى وَنُضْرَبُ
وَدِدْتُ وَيَيْتِ اللَّهِ أَنَّكَ بِكَرَّةٍ هِجَانٌ وَأَنْتِي مُضْعَبٌ ثُمَّ نَهْرُبُ^(٢)
نَكُونُ بَعِيرِي ذِي غِنَى فَيُضِيعُنَا فَلَا هُوَ يَزْعَانَا وَلَا نَحْنُ نُطْلُبُ

وَيْلَكَ ! تَمَنَيْتَ لَهَا الزَّفَّ وَالْجَرْبَ وَالرَّمِيَّ وَالطَّرْدَ وَالْمَسْخَ !! فَأَيُّ مَكْرُوهِ لَمْ تَتَمَنَّهُ
لكما؟ أما والله لقد أصابها منك قولُ الأول : (مودَّةُ الأحمي . . شرٌّ من معاداةِ
العاقلِ) .

وعاتبته عزة على ذلك ، ومعاذ الله أن يسلموا من سوء العاقبة .

وما وقع فيه أبو فراسٍ لا ينقص - إن لم يزد - على ما تمنَّاهُ كثيرٌ ، وسبق في ذي
أصبح أن جدِّي المحسنَ كان يقولُ : ما نغني بالأسماعِ والأبصارِ عندما ندعو بحفظها
إلا حسنَ بنَ صالحٍ وأحمدَ بنَ عمرَ وعبدَ اللهَ بنَ حسينَ ، ولكنه أضمرَ بالآخرة ، ومثله
المرجَم . . فلا بعد أن يكونَ من تلكَ ألبايةِ .

كما تبث عن الدعاءِ بقولِ سيِّدنا عمرَ بنِ الخطَّابِ : (بل أغناني اللهُ عنهم) ، لما
قيلَ لَهُ : (نفعك بنوك) ، وكنتُ أستحسِنُهُ وأدعو بمقتضاهُ ، حتَّى تَفْطَنْتُ لما فيه ،
ورأيتُ أن أبناءَ أبنِ الخطَّابِ لم يكونوا هناك ، وليسَ هو بأفضلَ من العبدِ الصَّالحِ إذ
عُوقِبَ على قولِهِ : ﴿ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ ﴾ كما جاء في الحديثِ .

بعدَ هذا كُلِّهِ ذَهَبَتِ النُّشُوءُ ، وأنجابتِ الغفوةُ ، وظهرَ ما تحتهُ مِنَ الْهَفْوَةِ .

وفي روايةٍ عنِ الشَّافِعِيِّ : أَنَّهُ لَا يُحِبُّ أَنْ يُقَالَ فِي التَّعْزِيَةِ : أَعْظَمَ اللَّهُ أَجْرَكَ ؛ لِمَا

(١) العزُّ : الجرب .

(٢) البكرةُ : الفتية من الإبل ، المصعب : فحل الإبل .

فِي طَيْهِ مِنَ الْأَسْتِكْثَارِ مِنَ الْمَصَائِبِ ، فَسَحَبْتُ عِنْدِيذِ مَا كَانَ مِنِّي مِنْ أَسْتِحْسَانٍ ذَلِكَ ،
وَتُبْتُ عَنْهُ تَوْبَةً صَادِقَةً أَرْجُو اللَّهُ قَبُولَهَا .

وَمَا أَشَدَّ مَا يُسِيءُ هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ الْأَدَبَ وَيُقْلُونَ الْحَيَاءَ ؛ فَمَثَلُ كَلَامِ أَبِي فِرَاسٍ
لَا يَلِيقُ بِخُطَابِ الْمَخْلُوقِ ، وَمِنْ ثَمَّ صَرَفَهُ الْمُفْتُونُونَ بِجَمَالِهِ إِلَى خُطَابِ الْخَالِقِ غَفْلَةً
عَمَّا فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْبَلَاءِ الْمُنْهِيٍّ عَنْ مِثْلِهِ ، وَكَمِثْلِهِ قَوْلُ الْبَحْتَرِيِّ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ [مِنْ
الطُّوِيلِ] :

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي لَوْلَا مَحَبَّتُكَ الْفَقْرُ
وَقَدْ صَرَفْتُهُ إِلَى الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ فِي قَصِيدَةِ الْهَيْتَةِ جَرَى لِي فِيهَا حَدِيثٌ لَا أَمَلُ بِهِ ،
فَأَرْجُو أَنْ لَا يَلْحَقَنِي بَأْسٌ بَعْدُ ؛ إِذْ لَا يَحْسُنُ غَيْرُ الْمَأْثُورِ ، وَقَدْ فُتِنَ الرَّضِيُّ بِهَذَا
الْبَيْتِ ، وَأَغَارَ عَلَيْهِ فَلَمْ يُحْسِنْ الْأَتْبَاعَ حَيْثُ يَقُولُ [فِي « دِيوانِهِ » ٥٤١/١ مِنْ الطُّوِيلِ] :
فَمَا كَانَ لَوْلَاكُمْ يَمُرُّ لِي الْغِنَى وَيَخْلُو إِلَيَّ قَلْبِي الْخَصَاصَةُ وَالْفَقْرُ
وَمِنْ الْغُلُوِّ الْمَمْقُوتِ قَوْلُ أَبِي هَانِيءٍ الْأَنْدَلُسِيِّ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

أَتَّبَعْتُهُ فِكْرَتِي حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ غَايَاتَهَا بَيْنَ تَضْوِيٍّ وَتَضْعِيدِ
أَبْصَرْتُ مَوْضِعَ بُرْهَانٍ يَلُوحُ وَمَا أَبْصَرْتُ مَوْضِعَ تَكْيِيفٍ وَتَخْدِيدِ
وَلَقَدْ أَحْتَرَسْتُ حِينَ تَمَثَّلْتُ فِي ذِي أَصْبَحَ بَيْتٍ مِنْ شِعْرِ الْمُتَنَبِّيِّ لَا يَخْلُو عَنْ
الْغُلُوِّ ، عَلَى أَنَّ الرُّوحَ لَا تَنْفَدُ فَلَا يَنْفَدُ وَصْفُهَا .

وَمِنْ الثَّرَاهَاتِ الْمَمْقُوتَةِ أَيْضاً : قَوْلُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْخَلِيعِ ، يَخَاطَبُ أَحْمَدَ بْنَ
طُولُونَ الْمَتَوْفَى سَنَةَ (٢٧٠ هـ) [مِنْ الْكَامِلِ] :

أَنَا حَامِدٌ أَنَا شَاكِرٌ أَنَا ذَاكِرٌ أَنَا جَائِعٌ أَنَا رَاجِلٌ أَنَا عَارِي
هِيَ سِنَّةٌ وَأَنَا الضَّمِيمُ لِنِصْفِهَا فَكُنِ الضَّمِيمُ لِنِصْفِهَا بَعِيَارِ
وَلِذَا نَقَلَهُمَا كَسَابِقِيهِمَا أَهْلُ الْحَقِّ إِلَى خُطَابِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَبْدَلُوا قَافِيَةَ الثَّانِي
بـ « يَابَارِي » فَكَانَتْ أَعْدَبَ وَأَطْيَبَ .

وَكُنْتُ مُعْجَباً بِمَخْتَارَاتِ حَافِظٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ . . فَإِنِّي أَفْضَلُ عَلَيْهِ الْأُسْتَاذَ ، حَتَّى قُلْتُ

لَهُ مَرَّةً : أَلَسْتَ أَشْعَرَ مِنْهُ ؟ قَالَ : أَيْنَكَ عَنْ قَوْلِهِ [في « ديوانه » ١٦١/٢ مِنْ أَلْبَسِيْطِ] :

إِنِّي أَرَى وَفُؤَادِي لَيْسَ يَكْذِبُنِي رُوحاً يَحْفُفُ بِهَا الْإِجْلَالُ وَالْعِظَمُ
أَرَى جَلالاً أَرَى نُوراً أَرَى مَلَكاً أَرَى مُحَيّاً يُحْيِي وَيُنْشِسُ
اللهُ أَكْبَرُ هَذَا الْوَجْهَ نَعْرِفُهُ هَذَا فَتَى النَّيْلِ هَذَا الْمُفْرَدُ الْعَلَمُ

وقوله [في « ديوانه » ٢٨٩/١ مِنْ أَلْبَسِيْطِ] :

كَمْ غَادَةً فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ بَاكِيةً عَلَى أَلَيْفٍ لَهَا يَهْوِي بِهِ الطَّلَبُ
لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَنْتَغُوا بَدلاً مِنْ طِيبِ رِيَّاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعْبُ

ولهذا حديث مبسوط في « أَلْعُودِ الْهِنْدِيِّ » [٤٠/٢] .

أَمَّا شوقي : فَلَمْ أَقْرَأ شِعْرَهُ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدِي شَيْئاً فِي جَانِبِ جَيِّدِ
حَافِظٍ ، وَمَا أَرَى إِغْرَاقَ بَعْضِهِمْ فِيهِ وَتَأْمِيرَهُ وَتَفْضِيلَهُ إِلَّا مِنْ جِنْسِ تَفْضِيلِ جَرِيرٍ عَلَى
الْفَرْزَدِقِ ، بَدُونِ حَقٍّ ، حَسَبَمَا فَضَّلْتُهُ بِدَلَالَتِهِ فِي « أَلْعُودِ الْهِنْدِيِّ » .

وَبَقِيَ عَلَيَّ أَنْ أَشِيرَ إِلَى مَا أَجْتَمَعَ لِلْأُسْتَاذِ مِنَ الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ ، وَالشَّمَمِ وَالْإِبَاءِ ،
وَدِمَائَةِ الْأَخْلَاقِ ، وَطُوعِ الْجَانِبِ ، وَحِلَاوَةِ الْغَرِيزَةِ .

قَسَا فَالْأُسْدُ تَهْرُبُ مِنْ قُوَاهُ وَرَقَّ فَتَنْحُنُ نَخَشَى أَنْ يَذُوبَا^(١)

وَمَا أَظُنُّ الْعَلَامَةَ أَبْنَ شَهَابٍ إِلَّا عَلَى رَأْيِي فِيهِ ، وَإِلَّا . . . لَذَكَرُهُ لِي وَأُنْثِي عَلَيْهِ ،
وَلَا أَنْكُرُ أَنَّ لَهُ مُحَاسِنَ ، لَكِنْهُمْ رَفَعُوهُ عَنْ مَسْتَوَاهَا إِلَى مَا لَا يَسْتَحِقُّ ، وَكَانَ أَبْنُ
شَهَابٍ يَتَشَبَّهُ ، لَكِنْ بَدُونِ غُلُوٍّ ، بَلْ لَقَدْ أَعْتَدَلْ أَعْتَدَالاً حَسَنًا جَمِيلاً بِعَقَبِ زِيَارَتِهِ
لِحَضْرَمَوْتَ وَأَطْلَاعِهِ عَلَى « الْرَوْضِ الْبَاسِمِ » ، وَرِسَائِلِ الْإِمَامِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ ، وَكَانَ
قَلَمُهُ أَقْوَى مِنْ لِسَانِهِ ، أَمَّا لِسَانُهُ مَعَ فَرْطِ تَوَاضُعِهِ وَلُطْفِ دَيْدَنِهِ . . فَإِنَّكَ لَا تَكَادُ تَعْرِفُ
أَنَّهُ هُوَ الَّذِي مَلَأَ سَمْعَ الْأَرْضِ وَبَصَرَهَا إِلَّا إِذَا سُئِلَ فَتَفَتَّحَ عَنْ ثُبُجٍ بِحَرِّ جِيَّاشِ
الْغَوَارِبِ^(٢) .

(١) البيت من الوافر ، وهو للمنتبّي في « العُكْبَرِيِّ » (١٤٣/١) .

(٢) يقال : جاش البحر ؛ إذا هاج موجه وتلاطم . والغوارب : الموج العالي ، وبهذا يتضح معنى العبارة .

إِذَا قَالَ . . لَمْ يَتْرُكْ مَقَالًا لِقَائِلٍ بِمُبْتَدَعَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَضْلًا^(١)
كَفَى وَشَفَى مَا فِي النُّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ لِدِي إِزْبَةَ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا
وَالْأَدْلَةَ حَاضِرَةً ، وَمَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ لَا يوصَفُ ، وَلَهُوَ الْأَحَقُّ مِنَ الْقَزَازِ الْقَيْرَوَانِيِّ
بِقَوْلِ يَغْلَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

أَبْدَأَ عَلَى طَرْفِ اللِّسَانِ جَوَابُهُ فَكَأَنَّمَا هُوَ دُفْعَةٌ مِنْ صَيِّبٍ
وَقَدْ عَرَفْتَ مِنْ قَوْلِهِ فِي حَافِظٍ . . أَنَّهُ مِنْ سَادَاتِ الْمُنْصَفِينَ ، وَلِي مَعَهُ مِنْ ذَلِكَ
مَا يُؤَكِّدُهُ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ بَعْضَهُ فِي خُطْبَةِ الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ « الدِّيَوَانِ » .

وَفِي سَنَةِ (١٣٣٤ هـ) تَوَجَّهَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ إِلَى الْهِنْدِ لِيَقْطَعَ عِلَاقَتَهُ مِنْهَا وَيَبِيعَ دَارًا
لَهُ بِهَا ، وَبَيْنَا هُوَ يَجْمَعُ مَتَاعَهُ لِلسَّفَرِ الْنَهَائِيِّ إِلَى مَسْقِطِ رَأْسِهِ ، وَمَرْبَعِ أُنَاسِهِ الَّذِي
لَا يَزَالُ يَحْنُ إِلَيْهِ بِمَا يَذِيبُ الْجَمَادَ ، وَيُفْتِتُ الْأَكْبَادَ ؛ كَقَوْلِهِ فِي « دِيَوَانِهِ » ١٨٧ مِنْ الْبَسِيطِ :
بِالْهِنْدِ نَاءٌ أَخِي وَجَدِ يَحْنُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَسِهَامُ الْبَيْنِ تَرْشُقُهُ
إِلَى الْعَرَانِينَ مِنْ أَقْرَانِهِ وَإِلَى حَدِيثِهِمْ عَبْرَاتُ الشُّوقِ تَخْنُقُهُ
. . إِذْ وَافَانَا نَعِيُهُ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ (١٣٤١ هـ)^(٢) .

فَصَاقَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّمَا تُصَعَّدُنَا أَرْكَانُهَا وَتَجُولُ^(٣)
فَأَشْتَدَّ الْأَسَى ، وَلَمْ تَنْفَعِ عَسَى ، وَكَادَتْ الْأَرْضُ تَمِيدُ ، لِمَوْتِ ذَلِكَ الْعَمِيدِ ،
وَطَفَقَ النَّاسُ زَمَانًا .

يُعَزُّونَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزِّي بِهِ الْعُلَا وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْجُودُ وَالْعِلْمُ وَالشُّعْرُ^(٤)

(١) البيت من الطُّوِيل ، وهما لسيِّدنا حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي « دِيَوَانِهِ » (٤١٢) .

(٢) كَانَتْ الْوَفَاةُ بِحَيْدَرِ آبَادِ الدِّكَنِ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ (١٠) جَمَادَى الْأُولَى . . وَسَبَبُ تَأَخُّرِهِ وَطُولِ الْمُدَّةِ بَيْنَ
سَفَرِهِ مِنْ تَرْبِيعِ سَنَةِ (١٣٣٤ هـ) مَعَ عَزْمِهِ عَلَى الرَّجُوعِ وَمِنْ ثَمَّ مَوْتِهِ بِالْهِنْدِ . . إِنَّمَا هُوَ نَشُوبُ الْحَرْبِ
الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى وَصُعُوبَةُ السَّفَرِ آنَئِذٍ وَخَطُورَتُهُ ، لِأَسِيْمَا عَبْرَ الْمَحِيطِ الْهِنْدِيِّ .

(٣) الْبَيْتُ مِنَ الطُّوِيلِ .

(٤) الْبَيْتُ مِنَ الطُّوِيلِ ، وَهُوَ لِأَبِي تَمَّامٍ فِي « دِيَوَانِهِ » (٣٠٤ / ٢) .

(١) تريم

هي قاعدة حَضْرَمَوْت ، وقد أطلَّ الخطيبُ في « جوهره » والسُّلِّي في « مشرعه » وغيرُهما بما يُعني ويُقني في وصفها وشرح أحوالها^(٢) ، فأنا في تعاطي شيءٍ من ذلك بعدهم .. كواصف النّجم السّاطع والبدر الطّالع ، وإنّما نحصرُ على شاردةٍ نتلقّفها ، أو نادرةٍ نتخطّفها .

قالَ الهمدانيُّ : (وتريم مدينةٌ عظيمةٌ)^(٣) . وقالَ ياقوتُ : (تريم اسمٌ لإحدى مدينتي حَضْرَمَوْت ؛ لأنَّ حَضْرَمَوْت اسمٌ للنّاحيةِ بجملتها ، ومدينتها تريم وشبام - وهما قبيلتان - سمّيتَ بِأسميهما المدينتان ، وقالَ الْأَعْشَى [في « ديوانه » ٢٤٦ من مجزوء الكامل] :

طَالَ الثُّوَاءُ عَلَى تَرِيمٍ مَ وَقَدْ نَأَتْ بِكُرْبُنُ وَإِئِلْ^(٤)
وقال كثيرٌ [في « ديوانه » ١٣٧ من ألوافر] :

كَأَنَّ حُمُولَهَا بِمَلَا تَرِيمٍ سَفِينٌ بِالشُّعْبَةِ مَا تَسِيرُ
وقد مرَّ آخرَ الكلامِ على تريس قولُ الهمدانيِّ في موضعٍ من « صفة جزيرة العرب » : (تريمُ ديارُ تميم ، وتريسُ بحَضْرَمَوْت) اهـ
وتفرّسنا أنَّ قوله : (وتريس) محرّفٌ عن تريم كما يُفهمُ من السِّياق .

وقالَ في الجزء الثّامن [ص ١٩٠] من « الإكليل » : (حصونُ حَضْرَمَوْت : دُمُونُ لِحْمِيرَ ، والكُجَيْرُ لبني معدي كرب من كِنْدَةَ ، وحَضْرَمَوْتُ وحَوْرَه فيها كِنْدَةُ الْيَوْمَ ،

(١) هي أشهر بلدان وادي حضرموت ، الفاتكة على غيرها من البلدان بالعلم والعلماء ، وكثرة الصالحين والأولياء ، وهي مسقط رأس السادة بني علوي ، ومنها تفرقوا وهاجروا إلى سائر البلدان والأودية والأقطار ، تقع في الشمال الشرقي من سيئون ، وتبعد عنها نحو (٣٢ كم) .

(٢) في « المشرع » (٢٥١/١) . وصف لها جميل .. فلينظر هناك .

(٣) صفة جزيرة العرب (ص ١٧٠) .

(٤) معجم البلدان (٢٨/٢) .

وتريم موضع الملوك من بني عمرو بن معاوية ؛ منهم : أبو الخير بن عمرو الوافد على كسرى ليستمد منه على ابن الحارث بن معاوية (اهـ)^(١)

وما ذكره عن دثون مخالف لما ذكرناه عنه فيها ، ما لم يُرد دثون الشَّرْقِيَّةُ الْآتِي ذِكْرُهَا ؛ فَإِنَّهُ مُمْكِنٌ .

وجاء ذكر حورة فيه بالزَّايِ الْمَعْجَمَةِ ، وهو غلطٌ مِنَ النَّاسِخِ لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهِ مُصَحِّحُهُ حِينَ الطَّبْعِ .

وممَّا أَسْتَدْرَكُهُ « التَّاجُ » عَلَى « أَصْلِهِ » قَوْلُهُ : (وتريم - كَامِير - مدينةٌ بِحَضْرَمَوْتَ ، سُمِّيَتْ بِأَسْمِ بَانِيهَا تَرِيمَ بْنِ حَضْرَمَوْتَ . قَالَ شَيْخُنَا^(٢) : هِيَ عُشُّ الْأَوْلِيَاءِ وَمِنْبَتُهُمْ ، وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مَمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَهِيَ مَسْكَنُ الْأَسَادَةِ آلِ بَاعْلُوِيٍّ ، وَمِنْهَا تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ) اهـ

وهذا كُلُّهُ صَحِيحٌ ، وَلَا وَهَمَ فِيهِ ، وَبِمَجْرَدِ مَا وَصَلَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَرِيمٍ . . أَسْلَمَ أَهْلُهَا ، وَأَنْتَشَرَ الْإِسْلَامُ بِحَضْرَمَوْتَ ، وَكَانَ سَلِيمُ بْنُ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ دَاعِيَةَ الْإِسْلَامِ بِحَضْرَمَوْتَ ، فَنَجَحَ نَجَاحًا بَاهِرًا . وَلَمَّا تَوَفَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَارْتَدَّ مِنْ أَرْتَدَّ بِحَضْرَمَوْتَ . . وَرَدَّ كِتَابُ أَبِي بَكْرٍ الْأَصْدِيقِ عَلَى لَبِيدِ بْنِ زِيَادٍ^(٣) وَهُوَ بِمَدِينَةِ تَرِيمٍ ، فَقَرَأَهُ عَلَى أَهْلِهَا فَبَايَعُوهُ ، ثُمَّ بَايَعَهُ أَكْثَرُ أَهْلِ حَضْرَمَوْتَ ،

(١) يفهم من كلام الهمداني هذا : أن تريم كانت محكومة من قبل الملوك بني معاوية الأكرمين من كندة ، وقد صحح العلامة علوي بن طاهر الحداد هذه المعلومة . . فقال بعد أن عدد قبائلهم وفخائذهم التي كان فيها المُلْكُ : ولم تكن تريم ولا أسافل وادي حضرموت بمنزل لهم ، وإنما كانت منازل حضرموت القبيلة الأصلية الحضرمية والسكون من كندة ، ومن هؤلاء : بنو قَتيرة سكان تريم إذ ذاك .

وإنما كانت منازل كندة الملوك في أعالي وادي حضرموت ، وقد أصابتهم الحرب بحدّها لما ارتدوا ، ففضّعوا وتفرّقوا أيادي سبأ ، وسَلِمَتِ السكون والسكاسك من ذلك .

(٢) هو السيد عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس ، شيخ الزبيدي صاحب « التاج » .

(٣) اسمه في معاجم الصحابة وكتب التاريخ : زياد بن لبيد ، ممن شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولما كانت الردة . . قام بالقبض على الأشعث بن قيس ، وبعث به أسيراً إلى أبي بكر رضي الله عنه .

فطالعَ أبا بكرٍ بالخبرِ ، فدعا لأهلِ تريم^(١) بما بعضُ أثرِ إجابتهِ محسوسٌ إلى اليومِ من البركةِ ، ثمَّ ظهرتِ الإباضيةُ ، وكانَ مِنْ تَقْلُبِ الْأَحْوالِ وَالذُّولِ ما لَحْصَنَاهُ في شِبابِ .

أَمَّا جَامِعُ تَريمَ : فَأَوَّلُ ما أَنتَهَى إلينا مِنْ عِمَارَتِهِ كَوْنُهَا في سَنَةِ (٢١٥ هـ) ، ثُمَّ جَدَّدَ عِمَارَتَهُ الْحَسِينُ بْنُ سَلَامَةَ ، وَالْعَجَبُ مِنْ الشَّلِيِّ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ إِلَّا عِمَارَتَهُ سَنَةَ (٥٨١ هـ) ، قَالَ : (ثُمَّ جُدِّدَتْ عِمَارَتُهُ سَنَةَ « ٥٨٥ هـ » ، ثُمَّ في سَنَةِ « ٩٠٣ هـ » ، كَتَبَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بِافْضَلٍ بِلِحَاجٍ إِلَى السُّلْطَانِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ يَطْلُبُ مِنْهُ تَوْسِيعَ الْمَسْجِدِ ؛ لِأَنَّهُ ضَاقَ بِالنَّاسِ ، فَأَرْسَلَ بِمَالٍ جَزِيلٍ مَعَ السَّيِّدِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بِاسَاكُوتِهِ ، فَعَمَّرَهُ عِمَارَةً أَكِيدَةً هِيَ الْمَوْجُودَةُ إِلَى الْآنَ) اهـ^(٢)

وَبَعِيدٌ جَدًّا أَنْ تَبْقَى تَريمُ بِدُونِ جَامِعٍ إِلَى سَنَةِ (٢١٥ هـ) وَبِهَا مِنْ الصَّحَابَةِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ لَا يُحْصَى ؛ ففِي « الْجَوْهَرِ » عَنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ قَالَ : (كُنَّا جُلُوسًا فِي مَقْبَرَةِ تَريمَ وَمَعَنَا الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بِاعْلُوِيٍّ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ تَريمَ : فِي مَقْبَرَةِ تَريمَ سَبْعُونَ بَدْرِيًّا . فَقُلْتُ لَهُ : مَا كِفَاكُمُ يَا أَهْلَ تَريمَ مَا فِيكُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ حَتَّى تَرِيدُونَ قَرِيبًا مِنْ رُبْعِ أَهْلِ بَدْرٍ ؟ ! فَقَالَ لِي الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ : مَا لَكَ وَلِلْعِتْرَةِ يَا وَلَدِي ؟ هَذَا كَلَامٌ نَقَلَهُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ) اهـ

وَمَعَادَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ صَحِيحٍ مَا يَقُولُ فِيهِ الثَّقَةُ الْإِمَامُ : أَنَّهُ مَرْوِيُّ مِنَ الْخَلْفِ عَنِ السَّلَفِ ، وَمَعَ هَذَا فَهَلْ يُمَكِّنُ بَقَاؤُهُمْ بِدُونِ جَامِعٍ ؟

وَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ بِوُجُوبِ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ مُسْتَدْلًا بِمَا أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ [٥٩٤] وَأَبُو دَاوُدَ

(١) المسموع أنه دعا لهم بثلاث دعوات : أن ينبت الصالحون والأولياء فيها كما ينبت البقل ، وأن يعذب ماؤها ، وأن لا تخبر فيها نار حتى قيام الساعة . بمعنى بقاء عمارتها ودوامها . والله أعلم . ينظر : « المشرع » (٢٥٢ / ١) ، « أدوار التاريخ » (٩١) .

(٢) « المشرع » (٢٦٩ / ١) ، السلطان عامر هذا . تقدم ذكره في قيدون ، ولم نعرّف به حينها . فنقول : هو الملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة القرشي الأموي ، آخر سلاطين اليمن من بني طاهر ، تولى بعد أبيه سنة (٨٩٤ هـ) ، ومات سنة (٩٢٣ هـ) ، كان شديد الشكيمة ، أقام في زيد ، واستولى على صنعاء ، وله مآثر كثيرة ، وأقام مساجد ومدارس عديدة باليمن ، قتل بجبل نُقْم قرب صنعاء . « الأعلام » (٢٥٣ / ٣) .

[٤٥٥] وأَبْنُ مَاجَه [٧٥٨] بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ : أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِنَاءَ الْمَسَاجِدِ فِي الدُّوْرِ ، وَأَنْ تُطَيَّبَ وَتُنَظَّفَ ، وَأَمَرَ عُمَرُ أَهْلَ الْأَمْصَارِ بِنَاءَ مَسَاجِدِهِمْ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَبْنُوا مَسْجِدَيْنِ يُضَارُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ ، رَوَاهُ الْبُغْوِيُّ .

وَالْأَصْلُ فِي الْأَمْرِ : الْوَجُوبُ ، وَرَجَّحَ أَبُو حَجْرٍ الْهَيْتَمِيُّ - كَمَا فِي « الْمَرْعَى الْأَخْضَرِ » - النَّدْبَ .

ومهما كان الأمر . . فالمؤكد أنَّ جامعَ تَريمَ كانَ مَبْنِيًّا مِنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ ، وَإِنَّمَا جُدِّدَ أَوْ وَسَّعَ - كجامعِ شَبامَ - فِي سَنَةِ (٢١٥ هـ) ، ثُمَّ تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْعِمَارَةُ وَالتَّرمِيمُ ، وَمتى أَغْفَلَ الشُّلِّيُّ الْعِمَارَاتِ السَّابِقَةَ عَنْ سَنَةِ (٥٨١ هـ) . . فَأُولَى أَنْ يُغْفَلَ الْعِمَارَةُ الْقَدِيمَةُ ^(١) .

أَمَّا الْعُلُوِّيُّونَ : فَقَدْ تَفَرَّسْنَا فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ هَذَا وَمِنْ « الْأَصْلِ » أَنَّ أَمْتَنَاعَهُمْ عَنْ سُكْنَى مَدِينَتِي حَضَرَمَوْتَ لَمْ يَكُنْ فِي الْبَدءِ إِلَّا لِأَجْلِ التَّنَافُسِ الْمَذْهَبِيِّ ، وَرَأَيْتُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ مَجْمُوعِ كَلَامِ الْحَبِيبِ عُمَرَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ مَا يُصَرِّحُ بِوُجُودِ أَصْلِ التَّنَافُسِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمَوْرُخِينَ يُكْثِرُونَ مِنْ عِلْمِ الْمُهَاجِرِ وَمَنْ بَعْدَهُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ عَلَوِيِّ خَالِجِ قَسَمٍ ، وَيَذْهَبُونَ بِهِ إِلَى غَايَاتٍ بَعِيدَةٍ ، وَلِلشُّكِّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مَنَافَذُ كَثِيرَةٌ أَشْرْنَا إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا فِي الْمَبْحَثِ الثَّلَاثِ مِنَ الْحَسِيَّسَةِ ، لَا سَيِّمًا وَقَدْ جَاءَ فِي الْحِكَايَةِ التَّاسِعَةِ مِنْ « الْجَوْهَرِ » [١/ ٦٣ (خ)] لِلشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْخَطِيبِ ^(٢) - وَهُوَ غَرِيدُ مَدِيحِ الْعُلُوِّيِّينَ وَصَنَاجَةُ ثَنَائِهِمْ - : (أَنَّ الشَّيْخَ الْإِمَامَ سَالِمَ بْنَ فَضْلِ كَانَ مِنْ كِبَارِ الزَّاهِدِينَ الْوَرَعِينَ الْعَامِلِينَ ، وَكَأَنَّ الْعِلْمَ أَرَادَ أَنْ يَنْدَرَسَ فِي حَضَرَمَوْتَ فَأَحْيَاهُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ سَافَرَ فِي طَلَبِهِ وَمَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْعِرَاقِ وَغَيْرِهِ يَطْلُبُ الْعِلْمَ ، وَأَهْلُهُ يَظُنُّونَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ عَادَ وَمَعَهُ أَحْمَالٌ مِنْ كُتُبِ الْعِلْمِ ، حَدِيثًا وَفَقْهًا وَغَيْرَهَا ، ثُمَّ دَرَسَ فِي بَلَدِهِ ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهِ

(١) وَقَدْ وَسَّعَ جَامِعُ تَريمَ مُؤَخَّرًا تَوْسِعةً كَبِيرَةً فِي عَامِ (١٣٩٢ هـ) ، وَلِلشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ بَكِيرٍ رِسَالَةٌ أَلْفَهَا بِهَذِهِ الْمُنَاسَبَةِ سَمَّاها : « الْجَامِعُ فِي تَارِيخِ الْجَامِعِ » ، طُبِعَتْ .

(٢) تَوَفَّى الشَّيْخَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ سَنَةَ (٨٥٥ هـ) بِتَريمَ ، كَمَا فِي « شَنْبَلِ » ، وَ« تَارِيخِ الشُّعْرَاءِ » (١/ ٧٧) ، وَ« الْحَامِدِ » (١/ ٣٠٠) .

طلبة العلم من كل مكان ، وحصل العلم على يديه خلق كثير ، حتى إنه ربما بلغ في تريم ثلاث مئة مفت في عصر واحد ، ومصنفون كثير ؛ كالإمام علي بن أحمد بامرؤان ، المتوفى سنة « ٦٢٤ هـ » ، والإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد ، المتوفى بتريم سنة « ٦١٣ هـ » ، والإمام محمد بن أحمد بن أبي الحب ، المتوفى سنة « ٦١١ هـ » اهـ

ومن الأجلاء كما يروى عن سيدنا الأستاذ الأبر عيدروس بن عمر من يلحق منته بنشر العلم بما كان من هجرة الإمام أحمد بن عيسى ووضع الفقيه المقدم للسلاح ، وتحرير الشيخ علي بن أبي بكر للشجرة .

ومن علماء تريم لذلك العهد : الشيخ علي بن محمد بن علي بن حاتم ، المتوفى - كما في « تاريخ باسراجيل » - بتريم في شعبان سنة (٦٠٣ هـ)^(١) .

ومنهم : الفقيه الصالح علي بن يحيى بن ميمون ، المتوفى بتريم سنة (٦٠٤ هـ)^(٢) . أما الشيخ سالم بن فضل بن محمد بن عبد الكريم بن محمد بافضل هذا صاحب الرحلة إلى العراق . فقد توفي شهيداً بتريم سنة (٥٨١ هـ)^(٣) ، صرح بذلك العلامة الجليل عبد الله بن أبي بكر بن قذري باشعيب ، ولم يذكر ذلك صاحب « الجواهر » ، مع أن مثل ذلك لا يخفى عليه ، لكن ليس بغريب منهم إغفاله ، فقد أغفلوا ذكر قتل السيد سالم بن بصري^(٤) ، والظاهر أن شهادة الشيخ سالم بافضل حصلت لا على يد

(١) « شنبل » (ص ٦٥) ، وكان مولده بها سنة (٥٤٠ هـ) ، كان عالماً فقيهاً محققاً ، تلقى علومه عن المشايخ آل أكر .

(٢) ذكره المؤرخ شنبل (ص ٦٦) ، وسماء : علي بن يحيى باميمون .

(٣) ترجمته مفصلة في : « صلة الأهل » (٤٠-٦٧) ، و « أدوار التاريخ » (١٩٣-١٩٩) ، و « الحامد » (٤٧٢/٢-٤٧٥) .

(٤) ذكر المؤلف خبر مقتل الإمام ابن بصري المتوفى سنة (٦٠٤ هـ) اعتمد فيه على ما في بعض نسخ « تاريخ شنبل » ، ولكن العلامة الشاطري رحمه الله قال : (التحقيق : أنه توفي ولم يقتل ، كما أجمع على ذلك المؤرخون الذين هم أقرب إلى عصره ومن يليهم ، باستثناء بعض نسخ « تاريخ شنبل » فقط) اهـ « الأدوار » (٢٠٢/١) ، و « تاريخ شنبل » (٦٦) ، ولكن الذي في النسخة المطبوعة منه أنه توفي ولم يذكر القتل .

الغزُّ أمراء الأيوبيين ؛ لأنها لو كانت على يدهم .. لم يكن مانعٌ من ذكرهم ، كما ذكروا قتلهم لآلٍ أكدَر وغيرهم وما لم أنبئه عليه في هذا الكلام .. فمن « الجواهر الشفاف » .

وهل هنا فوائد :

الأولى : إنَّ في الكلام ما يدكُّ على أنَّ البلادَ كانت ملاءىً بالعلم ، ثمَّ أندرسَ حتَّى أحياءُ الشَّيخِ سالمٍ بافضل ، ولئن لم يُصرِّحِ الخطيبُ بتلاشي العلمِ في البدء ، بل جاء بفعلِ المقاربة .. فإنَّه صرَّحَ به قوله في الآخرة : (فأحياءُ) ، وأمَّا امتلاءُ الدِّيارِ الحضرميةِّ بالعلمِ في الزَّمانِ الأوَّل .. فشاهدُه ما نقرُّه في كثيرٍ من المواضع - بهذا و« أصله » - من كثرةِ رجالِ الحديثِ فيها إذ ذاك ؛ فمعاجمُ الرُّجالِ كـ « تهذيب التَّهذيب » و« لسانِ الميزان » مشحونةٌ بأسمائهم وتراجمهم ، وقد مرَّ نحوُ هذا في الحسينية .

وقد جاءَ في (ص ١٢٨ ج ١) من « المشرع الرَّوي » : (أنَّ السَّادةَ في مدَّةِ إقامتهم بيتِ جُبَيْرٍ يُكثرون الدُّخولَ إلى مدينةِ تريمَ ، ووجدوا بها من أربابِ العلومِ والآدابِ وأصحابِ الفُهومِ والألبابِ ما شغلهم عن الأهلِ والوطنِ ، وأذهلهم عن كلِّ خِلٍّ صفيٍّ وسكَّن) اهـ

ولئن أشكلَ وجودُ أربابِ العلومِ لذلك العهدِ مع قولِ الخطيبِ : أنَّ العلمَ كادَ أن يتلاشى حتَّى أحياءُ الشَّيخِ بافضلِ المقتولِ بتريمَ سنةَ (٥٨١ هـ) .. فإنَّ المدَّةَ ليست بالقصيرةِ ، بل صالحةٌ لوجودِ العلماءِ ، ثمَّ أندراسِ العلمِ بموتهم .

وكانت وفاةُ السَّيِّدِ علويِّ بنِ محمَّدٍ بالصَّومعةِ من بيتِ جُبَيْرٍ ، سنةَ (٥١٢ هـ) ، ووفاءُ أبيه من قبله .. فلا مدفعَ للنَّصِّ ، ولا إشكالَ ؛ فقد جرى بأعيننا ما يُشبههُ من التَّقْلِبَاتِ في الأزمنةِ المتقاربةِ ، ولئن حاولَ بعضهم أن يغبِّرَ على ما ندلُّ به لعلمِ الحضارمةِ من كثرةِ روايتهم بزعمه أنَّ أكثرهم منسوبونَ إلى القبيلةِ .. فجوابُهُ : أنَّ مَثْرَى القبيلةِ ودولتها ببلادِ حضرموتَ كما بيَّناه بـ « الأصل » وأشرنا إليه في شبام ، حتَّى لقد اختلفوا - كما في « التَّاج » - في سببِ التَّسميةِ ، فقليل : إنَّ البلدَ سُمِّيَتْ بأسمِ القبيلةِ ،

وقيل العكس ، وهذا أبلغ ما يكون في التلازم ، فشرف العلم حاصل على كل حال .
وفي « تاريخ ابن خلكان » [٣٨/٣] : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ لَهَيْعَةَ - أَوَّلَ قَاضِيٍّ بِمِصْرَ مِنْ
جَهَةِ الْخُلَيفَةِ - حَضَرَنِي ؛ نِسْبَةً إِلَى الْبَلَدِ .

وَالثَّانِيَةُ : أَتَرَى الْخَطِيبَ يُهْمِلُ ذِكْرَ الْعُلُوِّينَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ - وَقَدْ وَقَفَ نَفْسُهُ
عَلَى خِدْمَتِهِمْ وَبِثَّ فِضَائِلَهُمْ وَالتَّغْنَى بِمَنَاقِبِهِمْ - لَوْ كَانَ أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَازِي أَوْلِيكَ ؟
لَا وَاللَّهِ ! نَعَمْ ؛ كَانَ السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ بَضْرِيٍّ مِنْ أَرَاكِينِ الْعُلُومِ لَذَلِكَ الْعَهْدِ ، فَمَا لَهُ لَمْ
يَذْكُرْهُ ؟ فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مَعَ غَزَارَةِ عِلْمِهِ أَنْزَلَ عَنْ دَرَجَةِ أَوْلِيكَ فِيهِ ، وَإِمَّا أَنَّهُ لَا تَأْلِيفَ لَهُ
وَأَوْلِيكَ مَوْلُفُونَ .

وَالثَّلَاثَةُ : ذَكَرَ صَاحِبُ « الْمَشْرِعِ » وَنَقَلَ عَنْهُ شَارِحُ « الْعَيْنِيَّةِ » : أَنَّ الشَّيْخَ سَالِمَ
بِافْضَلٍ صَاحِبَ الرُّحْلَةِ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَعَلِيِّ بْنُ أَحْمَدَ بَامِرْوَانَ ، وَالْقَاضِيَّ أَحْمَدَ بْنَ
مُحَمَّدٍ بَاعِيسَى الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٦١٨ هـ) ، وَالشَّيْخَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبَ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ
(٦٤٢ هـ) . . أَخَذُوا عَنِ السَّيِّدِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ مِرْبَاطِ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ
(٥٥١ هـ) ، أَوْ سَنَةَ (٥٥٦ هـ) عَلَى اخْتِلَافِ الرُّوَايَةِ ، وَفِي أَخْذِهِمْ عَنْهُ شَيْءٌ مِنَ
الْبُعْدِ :

أَمَّا الشَّيْخُ سَالِمٌ . . فَلِغَيْبَتِهِ لَطَلِبُ الْعِلْمِ ، ثُمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَى تَرْيَمٍ إِلَّا وَصَاحِبُ مِرْبَاطٍ
بَعِيدٌ عَنْهَا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالاحْتِمَالُ فِيهِ مِنْ جَهَةِ السَّنِّ أَقْرَبُ مِمَّنْ سِوَاهُ^(١) ، وَيَقْرُبُ مِنْهُ
أَبْنُ أَبِي الْحَبِّ الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٦١١ هـ) ؛ إِذْ لَمْ يَتَأَخَّرْ مَوْتُهُ عَنْ صَاحِبِ مِرْبَاطٍ إِلَّا خَمْسًا
وخمسينَ عَامًا ، ثُمَّ أَبْنُ أَبِي عُبَيْدٍ ؛ إِذْ لَمْ يَزِدْ مَا بَيْنَ وَفَاتِهِمَا عَلَى سَبْعٍ وَخَمْسِينَ
عَامًا .

أَمَّا بَامِرْوَانٌ . . فَالْفَرْقُ بَيْنَ وَفَاتِهِ وَوَفَاةِ صَاحِبِ مِرْبَاطٍ تِسْعٌ وَسِتُّونَ عَامًا ، وَبَيْنَهُمَا
وَبَيْنَ وَفَاةِ بَاعِيسَى اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ سَنَةً ؛ لِأَنَّ وَفَاتَهُ سَنَةَ (٦٢٨ هـ) وَأَبْعَدُ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْخَطِيبِ ؛ إِذِ الْبَوْنُ شَاسِعٌ جَدًّا يَقْرُبُ مِنْ سَنَةِ ثَمَانِينَ سَنَةً مَعَ تَبَاعُدِ الدِّيَارِ .

(١) لأن بين وفاتيهما نحو (٣٠) عاماً .

أَمَّا سَيِّدِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي بَكْرٍ . . فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِي « الْبَرَقَةِ » إِلَّا أَخَذَ الشَّيْخِ سَعِيدِ
الْظَّفَارِيِّ وَأَبْنِ أَخِيهِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ، وَهَذَا هُوَ الْقَرِيبُ ؛ لِقُوَّةِ
الْمَنَاصِرَةِ ، وَكَثْرَةِ الْمَعَاصِرَةِ ، وَقُرْبِ الْمَجَاوِرَةِ ، وَلِإِرْجَاعِ جَمِيعِ ذَلِكَ فَإِنِّي لَمْ أُطْلِ فِيهِ
التَّحْدِيقَ ، وَلَمْ أَمُرَّ عَلَى « الْبَرَقَةِ » بِأَسْرِهَا . . فَلَا مَوْأَخِذَةَ إِنْ وَجَدَ غَيْرُ مَا ذَكَرْتُهُ فِي
مَوْضِعٍ مِنْهَا لَمْ أَسْتَحْضِرْهُ ، وَمَعَ مَا أَسْتَقْرَبْنَاهُ مِنْ أَخَذِ الشَّيْخِ سَالِمٍ بِأَفْضَلٍ عَنْ صَاحِبِ
مِزْبَاطِ يُبْعِدُهُ أَنَّهُ عَاصِرَ الْقُطْبِ الْجِيلَانِيِّ وَجَاوِرُهُ فِي طَلْبِهِ بِالْعِرَاقِ ، وَلَمْ يَذْكُرِ
الْمُؤَرِّخُونَ لَهُ أَخْذًا عَنْهُ ، وَلَوْ كَانَ . . لَتَلَقَّيْنَا عَنْهُ تَلَامِيذُهُ بِأَخْذِهِ عَنْهُ ، وَانْتَشَرَتْ بَيْنَهُمْ
طَرِيقُهُ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِلَّا . . لَتَوَاتَرَ ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْخَبَرَ الَّذِي
تَتَوَقَّفُ الدَّوَاعِي عَلَى تَوَاتُرِهِ كَهَذَا لَا يَثْبُتُ بِرَوَايَةِ الْآحَادِ وَإِنْ كَانُوا عُذُولًا ، فَكَيْفَ وَلَمْ
يَرَوْهُ أَحَدٌ قَطُّ ؟

مَعَ أَنَّ الْقُطْبَ الْجِيلَانِيَّ أَشْهُرُ وَأَذْكُرُ مِنْ أَبِي مَدْيَنَ ، وَقَدْ أَشْتَهَرَ أَخْذُ الْفَقِيهِ الْمُقَدَّمِ
عَنْهُ أَشْتَهَارَ الشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ ، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِالْوَاسِطَةِ ، وَقَدْ أَمَكَّنَ الشَّيْخُ سَالِمٌ أَنْ
يَأْخُذَ عَنِ الْجِيلَانِيِّ بِدُونِهَا ، وَكُلُّ مَا تَحِيلَ كِتْمَانُهُ . . لَا يُقْبَلُ بِرَوَايَةِ الْآحَادِ .

قَالَ الْغَزَالِيُّ : فَإِنْ قِيلَ قَدْ تَفَرَّدَ الْآحَادُ بِنَقْلِ مَا تَتَوَقَّفُ الدَّوَاعِي عَلَيْهِ ، حَتَّى وَقَعَ
الْخِلَافُ فِيهِ ، وَذَكَرَ عِدَّةُ أُمُورٍ ؛ أَقْوَاهَا فِي الْإِشْكَالِ : انْشِقَاقُ الْقَمَرِ ، فَلَمْ يَنْقُلْهُ إِلَّا
أَبْنُ مَسْعُودٍ وَعِدَّةٌ يَسِيرٌ مَعَهُ ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَرَاهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ وَبَادٍ وَحَاضِرٍ ، وَقَدْ
أَجَابَ بِأَنَّهُ آيَةٌ لَيْلِيَّةٌ ، وَإِنَّمَا وَقَعَ لِحِظَةٍ وَالنَّاسُ نَائِمُونَ ، فَلَمْ يَرَهُ إِلَّا مَنْ نَاصَرَ النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرِيشٍ وَنَبَهَهُ عَلَى النَّظَرِ لَهُ .

وَكَمْ مِنْ زَلْزَلَةٍ وَأَنْقِضَاضٍ كَوَكَبٍ وَأُمُورٍ هَائِلَةٍ مِنْ رِيحٍ وَصَوَاعِقٍ بِاللَّيْلِ لَا يَنْتَبَهُ لَهَا
إِلَّا الْآحَادُ ، عَلَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا مَنْ قِيلَ لَهُ : أَنْظُرْ إِلَيْهِ .

وَقَدْ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَقِيبَ التَّحْدِي ، ثُمَّ أَلْتَأَمَ مِنْ سَاعَتِهِ . اهـ بِمَعْنَاهُ وَأَكْثَرُ لَفْظِهِ .

فَلَا شَكَّ فِي أَنَّ عَدَمَ أَخْذِ الشَّيْخِ سَالِمٍ عَنِ الْقُطْبِ الْجِيلَانِيِّ خَبِيرًا يَتَفَسَّرُ بِمَا فِي
« الْأَصْلِ » .

وغير بعيد من الفقيه القحح أن تنفر نفسه من أهل الطرائق ومن على شاكلتهم ،
فالحرب عوان بين الطائفتين ، حتى لقد كان الإمام أحمد ابن حنبل يكره الحارث
المحاسبي ؛ قيل : لنظره في علم الكلام ، ثم إنه هجره فاستخفى الحارث من
العامّة ، ولمّا مات . . لم يصل عليه إلا أربعة نفر ، وفي ذلك العهد كانت الصّولة
للحديث والفقه ، ثم أُدبِلت للتصوّف ، وكذلك الأيام تداول بين الناس .

وفي « الفتاوى الحديثيّة » لابن حجر : أنّهم بالغوا في ردّ إنكار الإمام أحمد على
الحارث ، ولعلّ ذلك بعده بزمان ، أمّا في حياته : فلو ردّوه . . لصلّوا عليه .

وما كان بافضل ليدع أخذ الجيلاني ويأخذ عن صاحب مرباط .

والرابعة : أنّ صاحب « الجواهر الشّفاف » بينما هو يُكثر من إقبال الناس على
العلويين من حين جاؤوا . . كاد أن يناقض تماماً في قوله : (وأعلم يا أخي - وفكّ الله
وإيانا - أنه لم يزل السّادات من مشايخنا الأجلاء ، والفقهاء والفضلاء من علمائنا -
سلفاً وخلفاً - يجلسون آل باعلوي ، خاصّتهم وعامّتهم ، ويعظمونهم ويوقّرونهم ،
ويحترمونها الحرمة الزائدة الكاملة ، ويؤنزلونهم المنزلة العالية ؛ لأجل شرفهم الظاهر
النبوي ، وما نحن نفتصر على ذكر واحد وعشرين^(١) من الشيوخ الكبار منهم :

شيخنا أبو العباس فضل بن عبد الله بافضل ، والشيخ مُحَمَّد بن أبي بكر عبّاد ،
والشيخ سلطنة بنت عليّ الزبيدي ، والشيخ معروف باعبّاد ، والشيخ مُحَمَّد بن
أحمد بن أبي الحبّ ، والشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي ، والشيخ مُحَمَّد بن عبد الله
باعبّاد ، والشيخ أحمد بلعيف صاحب ظفار ، والشيخ أحمد بن عبد الرّحيم باوزير ،
والشيخ عبد الله بن إبراهيم باقشير ، والشيخ عبد الله بن مُحَمَّد باحكم باقشير ،
والشيخ مُحَمَّد بن حكم باقشير ، والشيخ إبراهيم بن يحيى بافضل ، والشيخ
عبد الرّحمن بن حسان ، والشيخ عبد الله بن مُحَمَّد بن أبي عيسى العمودي ، والفقيه
الكبير بامهرة الشّامي ، والقاضي مُحَمَّد بن سعيد كبن ، والشيخ حسن بن عبد الله بن

(١) سيذكر الشيخ المؤلف رحمه الله تعالى عشرين ، لا واحداً وعشرين ، فلعل اسماً سقط سهواً .

أبي الشُّرُورِ ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بَايَعُوق ، وَلَعَلَّ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ سَعِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَنْدِيُّ نَزِيلُ الْهَجْرَيْنِ (اهـ بمعناه

ووجه المناقضة : أَنَّ طَبَقَةً يَكُونُ فِيهَا ثَلَاثُ مِئَةٍ مُفْتٍ ثُمَّ لَمْ يَجِدِ الْخَطِيبُ مَنْ يَذْكُرُهُ مِنْهُمْ مَعَ شِدَّةِ حَرْصِهِ عَلَى التَّعْدَادِ وَالتَّكْثِيرِ إِلَّا وَاحِدًا هُوَ أَبُو أَبِي الْحَبِّ فَقَطْ^(١) ؟ إِنَّ هَذَا الْحَدَّ ظَاهِرٌ فِي الْمَنَاقِضَةِ .

أَمَّا الْبَاقُونَ فَلَيْسَ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ تَرْيَمٍ إِلَّا ثَلَاثَةٌ ، وَهُمْ :

إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى بِأَفْضَلٍ^(٢) ، وَلَيْسَ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ ، وَلَكِنَّهُ مَتَأَخَّرٌ ، كَانَتْ وَفَاتُهُ فِي سَنَةِ (٦٨٤ هـ) ، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ أَبُوهُ وَجَدُّهُ ، وَهُمْ أَوَّلَى بِالْعَدِّ لَوْ كَانُوا هُنَاكَ .

وَالثَّانِي : فَضْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَضْل ، وَقَدْ مَرَّ فِي الشُّخْرِ أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ سَنَةَ (٨٠٥ هـ) أَيَّامَ السَّقَّافِ .

وَالثَّلَاثُ : مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بَايَعُوق ، وَلَا أَذْكَرُ تَارِيخَ وَفَاتِهِ ، وَرَبِّمَا كَانَ وَالِدَ الْقَاضِي بَتْرِيمِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بَايَعُوق ، وَكَانَ مُعَاصِرًا لِلْسَّقَّافِ .

وَفِي « الْمَشْرِع » وَالْحِكَايَةِ (٣٨٧) مِنْ « الْجَوْهَرِ » أَنَّ هَذَا الْقَاضِيَّ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ خَشِنٍ قَبِيحٍ عَلَى الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، فَدَعَا عَلَيْهِ . . فَعَمِيَ .

وَفِي الْحِكَايَةِ (٣٣٤) مِنْهُ : أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بَايَعُوقَ تَكَلَّمَ وَهُوَ عَلَى مَنْبَرِ الْقَارَةِ بِكَلَامٍ قَبِيحٍ عَلَى السَّقَّافِ وَهُوَ حَاضِرٌ ، فَلَمْ يُجِبْهُ .

وَفِي الْحِكَايَةِ (٣٤٣) : أَنَّ بَايَعُوقَ هَذَا كَانَ مِنْ مُشَايِخِ حَضْرَمَوْتَ ، يَشْهَدُ لَهُ بِذَلِكَ عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ بَاصِلِيب ، الْمَلَقَّبُ بِالرُّخَيْلَةِ .

(١) هو الفقيه العلامة الشيخ محمد بن أحمد بن يحيى بن أبي الحب الخطيب الأنصاري التريمي ، ولد حوالي (٥٤٥ هـ) ، وتوفي ليلة الأحد (٢٤) ذي الحجة (٦١١ هـ) ، ترجمته في « الشعراء » (٦٢/١ - ٥٩) .

(٢) ترجمته في « الصلة » (٧٧-٨٥) .

وفي « المسلك السوي » لسَيِّدِي أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ العَبْسِيِّ : (أَنَّ الرِّخِيلَةَ هَذَا مِنْ مُرِيدِي الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ) اهـ

وَمِنْ التَّعَاجِبِ أَنْ يَشْهَدَ لِبَازِغِيْفَانَ بِالْمَشِيخَةِ مَعَ مَا كَانَ مِنْهُ إِلَى شَيْخِهِ السَّقَافِ .

وَأَمَّا أَبُو الشَّرُورِ . . فلا أَعْرِفُ مَنْ هُوَ ، نَعَمْ ؛ سَبَقَ فِي بَيْتِ جَبْرِ أَنَّ الشَّيْخَ يَحْيَى بْنَ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَاتِمِيِّ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٥٤٠ هـ) كَانَ مِنْ تَلَامِيذِ سَيِّدِنَا عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَوِيِّ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَمَادِحِيهِ ، وَهُوَ أَقْدَمُ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ ، لَكِنَّ الْإِعْتِبَارَ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَكْثَرِ الْغَالِبِ .

وَقَدْ دَلَّلْنَا فِي « الْأَصْلِ » عَلَى انْحِرَافِ الشَّيْخِ سَالِمٍ بِأَفْضَلٍ عَنِ الْعَلَوِيِّينَ ، وَانْتِفَاءِ ذِكْرِهِ هُنَا بَيْنَ مُحِبِّيهِمْ وَمُعْظَمِيهِمْ مِمَّا يُؤَكِّدُهُ ، وَهُوَ أَكْبَرُ عِلْمَاءِ تَرْيَمَ لَذَلِكَ الْعَهْدِ ، بَلْ حَضَرَمَوْتَ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

وَدَلَّلْنَا فِيهِ أَيْضًا عَلَى أَنَّ السَّيِّدَ سَالِمَ بْنَ بَصْرِيٍّ ذَهَبَ ضَحِيَّةً اسْتَبْدَادِ السُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَاشِدٍ ، وَكَانَ أَبُو أَبِي الْحَبِّ مَعَ مِيلِهِ إِلَى الْعَلَوِيِّينَ يَتَشَبَّعُ لِلْسُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَاشِدٍ تَشَبُّعًا شَدِيدًا ، فَكَأَنَّمَا نَطَقَ بِلِسَانِهِ الْأَوَّلُ حَيْثُ يَقُولُ [مِنْ الْكَامِلِ] :

عَجِبَا لَهُ أَبْيَكِيهِ مِلَّةً مَدَامِعِي وَأَقُولُ لَا شَلْتَ يَمِينُ الْقَاتِلِ
وَلَوْ خُلِصَ وَدُهُ . . لِعَادَى مَنْ يَعَادِيهِ ؛ إِذْ قَدْ قَالَ الْعَتَابِيُّ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

تَوَدُّ عَدُوِّي ثُمَّ تَزْعُمُ أَنَّي صَدِيقَكَ لَيْسَ النَّوْكَ عَنْكَ بِغَائِبٍ
لَكِنَّهُ رَثِي سَالِمًا مِلَّةَ دُمُوعِهِ ، وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِلْقَاتِلِ ، كَأَنَّمَا إِحْدَى يَدَيْهِ أَصَابَتْ الْأُخْرَى فَقَطْ ، عَلَى أَنَّهُ لَا يِلَامُ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ ؛ فَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ يُطَنَّبُونَ فِيهِ مَعَ فَعْلَتِهِ الَّتِي فَعَلَ - فِيمَا إِخَالَ - وَهُوَ مِنَ الظَّالِمِينَ .

عَلَى أَنَّ ثَنَاءَهُمْ عَلَيْهِ لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ تَأْثِيرٍ مِنَ الضَّغْطِ حَسَبَمَا تَمَثَّلَ بِهِ الْإِمَامُ الْغَزَالِيُّ مِنْ قَوْلِهِ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

وَلَمْ أَرْ ظُلْمًا مِثْلَ ظُلْمِ يَنَالِنَا يُسَاءُ إِلَيْنَا ثُمَّ نُؤْمَرُ بِالشُّكْرِ

ومهما يكن من الأمر... فليسع ابن أبي الحب ما وسعهم من ذلك ، على أي تقدير كان .

وفي « سفينة الأرباح » : أن ابن أبي الحب هو ناظم القوافي التي أولها :
تَبَارَكَ ذُو الْعُلَا وَالْكَبِيرِيَاءِ تَفَرَّدَ بِالْجَلَالِ وَبِالْبَقَاءِ
وكأنني بمن يطالع على هذا من الأغبياء فيتوهم الغضب من فضلهم به ، وليس كذلك ، وإنما واجبي إنصاف التاريخ وتمحيص الحقائق ما وجدت إليه سبيلاً من اتخاذي منه أكبر حجة للمجد والشرف ، وقد كان جدُّهم عليُّ بن أبي طالب - كرم الله وجهه وهو خيرٌ منهم - مبغوضاً بين الناس ، لا يوجد بمكة والمدينة عشرون رجلاً يُحبُّه ، وأصل ذلك في الصحيح ؛ إذ جاء فيه أنه كان له وجهٌ من الناس أيام فاطمة ، ومفهومة الواقع في محل الخطي أنهم تنكروا له بعقب وفاتها .

وقد قال معن بن زائدة [من الطويل] :

إِنِّي حُسِدْتُ فَزَادَ اللَّهُ فِي حَسَدِي لَا عَاشَ مَنْ عَاشَ يَوْمًا غَيْرَ مَحْسُودٍ

وقال ناصح الدين الأرجاني [من الطويل] :

وظَلَّ نِسَاءُ الْحَيِّ يَحْسُدْنَ وَجْهَهَا وَلَا خَيْرَ فِي نَعْمَى بِغَيْرِ حَسُودٍ

وقال حبيب [في « ديوانه » ١٠٣/٢ من الكامل] :

تَلَكُمُ قُرَيْشٌ لَمْ تَكُنْ أَخْلَامُهَا تَهْفُوْ وَلَا آرَاؤُهَا تَقَسِّمُ
حَتَّى إِذَا بُعِثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ مِنْهُمْ غَدَتِ أَحْقَادُهُمْ تَتَضَرَّمُ

وقال غيره [من البسيط] :

مُحْسَدُونَ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةٌ مَنْ عَاشَ يَوْمًا سَلِيمًا غَيْرَ مَحْسُودٍ

وفي شرح قول المتنبي [في « المكبري » ٣١٩/١ من الخفيف] :

مَا مَقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةٍ إِلَّا كَمَقَامِ الْمَسِيحِ بَيْنَ الْيَهُودِ

من كتابي « أعود ألندي » [٣٢٤-٣١٥/٢] إطناب في الموضوع ، وكلام ممتع يأتي

أكثره هنا ، ولكن لا حاجة إلى الإطالة مع إمكان الإحالة .

وأضرِبَ بطَرْفِكَ حيثُ شئتُ . . فلنْ تجدَ أحداً مِنَ العلويِّينَ اتَّفَقَ لَهُ ظهورٌ وجاهٌ ضخمٌ إلاَّ أقشعرَّ لَهُ بطنُ تريم ، خلا ما كانَ مِنَ العيدروسِ الأكبرِ ، فلقد استجهرَ النَّاسُ بمَجْدِ وجودِ أنقطعَ لهما الحسودُ ، فكانَ كما قالَ أبْنُ الرُّوميِّ [مِنَ الكاملِ] :

مَا أَنْتَ بِالْمَحْسُودِ لَكِنْ فَوْقَهُ إِنَّ الْمُبِينَ الْفَضْلَ غَيْرُ مُحَسَّدٍ
يَتَحَسَّدُ الْقَوْمُ الَّذِينَ تَقَارَبَتْ طَبَقَاتُهُمْ وَتَشَابَهَتْ فِي السُّودِ
فَإِذَا أَبَرَ أَمِيرُهُمْ وَبَدَا لَهُمْ تَبْرِيزُهُ فِي فَضْلِهِ لَمْ يُحَسَّدِ
على أَنَّ العادةَ لم تنخرم فيه ؛ بآيةِ أَنَّهُ لَمْ يأخذْ عنه ولم يتنفع به . . إلاَّ أولادُهُ والسَّيِّدُ عمرُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ صاحبُ الحمراء فقط ، فلعلَّ ما يُذكرُ مِنَ إقبالِ النَّاسِ عليه في حياتِهِ مبالغٌ فيه وإنما اشتدَّ ظهورُهُ بانتشارِ الدَّعايةِ لَهُ بعدَ وفاته^(١) .

والخامسةُ : لَمْ يَكْثِرِ التَّأْلِيفُ فِي العلويِّينَ إلاَّ بعدَ ظهورِ السَّادةِ آلِ العيدروسِ^(٢) ، فلقد كَلَّفْتُ الفاضلَ التَّزِيَةَ الشَّيْخَ أَمباركَ عُميرَ باحريش - قاضي تريم سابقاً وسيثون الآنَ ، إِذْ كانَ محبّاً لآلِ عبدِ اللَّهِ بنِ شَيْخٍ وعارفاً بمآثرِهِم - أَنْ يُلَخِّصَ لِي أَسْمَاءَ ما يعرفُ من مؤلَّفَاتِهِمْ ، فأحصى لِي كثيراً منها ؛ من ذلك : أحدَ عشرَ مؤلَّفاً لِلسَّيِّدِ الجليلِ شَيْخِ بنِ عبدِ اللَّهِ^(٣) .

ومِنها : كتابُ « الشَّجَرَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي تحقِيقِ أنسابِ السَّادةِ الْعَلَوِيَّةِ » لابنهِ الْعَلَامَةِ النَّسَابَةِ عبدِ اللَّهِ بنِ شَيْخٍ^(٤) .

(١) فِي « المِشْعَرِ » (٣٤٥ / ٢) قولٌ آخرُ ينظرُ منه .

(٢) أي : من أواسط القرنِ العاشرِ الهجري ؛ لأنَّ جدَّهُم العيدروسُ الأكبرُ توفي سنة (٨٦٥ هـ) .

(٣) هو السَّيِّدُ الإمامُ شَيْخُ بنِ عبدِ اللَّهِ الأكبرِ بنِ شَيْخِ بنِ الإمامِ عبدِ اللَّهِ العيدروسِ ، المولودُ بتريم سنة (٩١٩ هـ) ، والمتوفى بالهند سنة (٩٩٠ هـ) ، والدُّ صاحبُ « النورِ السافر » ، ومؤلفُ « العقدِ النبوي » . وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ ذكرها ابنه صاحبُ « النورِ السافر » فلتراجعُ منه .

(٤) هو (الأوسط) صاحبُ القبةِ بتريم ، المولودُ بها سنة (٩٤٥ هـ) ، والمتوفى ساجداً في صلاةِ العصر

سنة (١٠١٩ هـ) .

ومنها : سَنَةٌ وعشرون مؤلفاً للعلامة الصوفي ، ألفقيه المورخ ، السيد عبد القادر بن شيخ^(١) .

ومنها : « إيضاح أسرار علوم المقرئين » للعلامة الجليل محمد بن عبد الله بن شيخ .

ومنها : مؤلفات أخيه شيخ بن عبد الله^(٢) ، وهي : « نصيحة الملوك » و « أسسلة » في ثلاثة مجلدات كبار .

ومنها : عدّة رسائل للسيد زين العابدين بن عبد الله^(٣) ، صنو اللذين قبله .

ومنها : مؤلفات ابنه جعفر الصادق^(٤) .

ومنها : « عشرة مؤلفات » للعلامة الشاعر المجيد جعفر الصادق الثاني ابن محمد المصطفى بن زين العابدين^(٥) .

و « رسائل » أخيه عبد الله بن محمد^(٦) ، ولكنها قليلة .

وأما خاتمة محققهم السيد عبد الرحمن بن مصطفى^(٧) نزيل مصر . فقد ذكر

-
- (١) ولد بالهند سنة (٩٧٨هـ) ، وتوفي بها سنة (١٠٣٨هـ) ، ترجم لنفسه في « النور السافر » في سنة (٩٧٨هـ) . وذكر أسماء مؤلفاته ، فلتراجع .
 - (٢) شيخ بن عبد الله الأوسط بن شيخ . ولد بتريم سنة (٩٩٣هـ) ، وتوفي بالهند سنة (١٠٤١هـ) ، له إجازة من عمه عبد القادر أوردها الشلي في « الجواهر » .
 - (٣) مولده بتريم سنة (٩٨٤هـ) ، وتوفي بها سنة (١٠٤١هـ) سنة توفي أخوه شيخ سابق الذكر .
 - (٤) جعفر الصادق - الأول - بن زين بن عبد الله ، ولد بتريم سنة (٩٩٧هـ) ، وتوفي بسورت بالهند سنة (١٠٦٤هـ) .
 - (٥) جعفر الصادق الثاني . ولد بتريم سنة (١٠٨٤هـ) ، وتوفي بسورت سنة (١١٤٢هـ) ، أفرد السيد عبد الله جعفر مذهب بترجمة . وله مؤلفات ذكرها محمد ضياء شهاب في « التعليقات » (١١٠ / ١) ، والسقاف في « الشعراء » (٨١ / ٢) .
 - (٦) عبد الله بن محمد المصطفى . هو الملقب الباهر ، ولد بتريم ، وتوفي بها سنة (١١٢٧هـ) أو (١١٢٨هـ) ، أفرد سبطه حفيد أخيه العلامة عبد الرحمن بن مصطفى بمصنف سماه : « حديقة الصفا » .
 - (٧) عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ بن محمد المصطفى بن زين العابدين علي بن عبد الله بن شيخ . . . =

سيدي الأستاذ الأبرُّ في « عقده » أنها تزيد عن الستين والمسمى منها في العريضة التي قدّمها لي الشيخ أبارك منها ثمانية وخمسون ، وهذه ثروة طائلة وفروها للعلم بحضرموت ، وقد قرأ عليّ الشيخ أبارك جملة منها ، فغسلت صدري عن كثير من الكدورات - ولا سيما « إيضاح أسرار علوم المقرّبين »^(١) - وأنعشت روحي ، وذكرتني أيام والدي ، ونفّث عني وغثاء المسائل الفقهية ، إلا أنّ في بعضها ما يخلص إليه الانتقاد ، نحو الغلو في الشيخ وإنزاله في أعلى ممّا يستحق ويجوز ، وفي بعضها ما يشبه كلام الشيخ ابن عربي فيأتي فيها ما يقال فيه ، وقد جودت القول عن ذلك في الجزء الثاني من « الأصل » ، في شرح البيت (٤٤) ، ومن أحسن ما أتى على طرفي النقد والعذر ما نقلته عن شيخ الإسلام ابن تيمية فليكشف منه .

أما كرم السادة آل العيدروس . . فحدّث عنه ولا حرج .

فمنهم : الشيخ الكبير عبد الله بن شيخ^(٢) ، حكى أنّه استأذنه جماعة من أهل العلم ليسافروا من أجل ديون لزمته ، فقال لهم : (واحد ولا جماعة) فركب إلى الحجاز ، ثم إلى الهند ، فأكرمه بعض ملوكها بما يكفي لهم أجمعين ، وما هي إلاّ مدّة يسيرة وعاد ، فمثل المكارم ، وتحمل المغارم .

خذوا هنيئاً مريئاً يا بني علوي منه أمانين من خوفٍ ومن عدم^(٣)

- = إلخ . ولد بتريم سنة (١١٣٦ هـ) ، وتوفي بمصر سنة (١١٩٢ هـ) ، درس في تريم وبها تخرج على آبائه وأعمامه وشيوخ عصره . . رحل إلى العديد من البلدان . . فسطع نجمه وظهر ، وطار صيته في الآفاق وانتشر ، وكان مستقره بمصر القاهرة وبها توفي ، وأشهر تلامذته : السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح « القاموس » و « الإحياء » ، ومما صفه في حق شيخه المترجم : « النفحات القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية » وغير ذلك ، وترجم له في « معجم شيوخه » .
- (١) وقد طبع « الإيضاح » وصدر عن دار الحاوي ، وصُحّح بمعرفة العلامة الحبيب يحيى بن أحمد العيدروس رحمه الله تعالى .
- (٢) هو الأوسط صاحب القبة بتريم ، المتوفى بها سنة (١٠١٩ هـ) .
- (٣) الأبيات من البسيط ، وهي لأبي تمام في « ديوانه » (٩٤/٢ - ٩٥) ، ولكنّ الشيخ المؤلّف رحمه الله تعالى تصرف فيها .

نَالَ أَلْمَحَامِيدَ إِمْلَاقَ فِقِيلَ لَهُمْ شِيمُوا نَدَاهُ إِذَا مَا أَلْبَرَقُ لَمْ يُشَمَّ^(١)
فَمَا أَلرَّيْبُ عَلَى أَنَسِ أَلْبِلَادِ بِهِ أَشَدَّ خُضْرَةَ عُودٍ مِنْهُ فِي أَلْأَزَمِ
وَمِنْهُمْ : أَلْغَيْثُ أَلْهَتُونُ^(٢) أَلْسَيِّدُ جَعْفَرُ أَلصَّادِقُ أَلْأَوَّلُ ، فَقَدْ كَانَ يُرْسَلُ فِي كُلِّ عَامٍ
لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ مُحَافِظِ أَلْأَشْرَافِ بِمِئَةِ رِيَالٍ .

هَذَا أَلَّذِي بَجَحَ أَلزَّمَانُ بِذِكْرِهِ وَتَزَيَّنَتْ بِحَدِيثِهِ أَلْأَسْمَارُ^(٣)
وَمِنْهُمْ : أَلشَّرِيفُ أَلْعَالِي أَلْمَقْدَارُ أَلْسَيِّدُ عَلِيُّ زَيْنُ أَلْعَابِدِينَ أَلثَّانِي^(٤) ، كَانَ يُرْسَلُ
لَأَبِيهِ عَشْرِينَ أَلْفَ رِيَالٍ سَنَوِيًّا ، فَضْلًا عَنْ صِلَاتِهِ لِأَرْحَامِهِ وَغَيْرِهِمْ .

وعلى كل حال . . فللسادة آل العيدروس - ولا سيما آل عبد الله بن شيخ - أَلنَّضْلُ ،
وإلى بيوتهم تنتهي مناصب أَلْفَضْلِ .

لَوْلَا أَحَادِيثُ سَتَّهَا أَوَائِلُهُمْ مِنْ أَلْهَدَى وَأَلنَّدَى . . لَمْ يُعْرِفِ أَلسَّمَرُ^(٥)
وأنا في شكٍّ بعدُ ممَّا جَاءَ فِي « مَجْمُوعِ كَلَامِ أَلْحَبِيبِ عَمَرِ بْنِ حَسَنِ أَلْحَدَّادِ » عَنْ
أَلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَسْوَدَانَ مِنْ قَوْلِهِ : (مَا كَانَ ظَهْرُ سَادَتِنَا آلِ بَاعْلُوِيٍّ فِي غَيْرِ جِهَتِهِمْ إِلَّا
بَعْدَ ظَهْرِ دِيْوَانِ أَلْحَدَّادِ) ؛ فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ مَعَ مَا لآلِ أَلْعِيدْرُوسِ مِنْ أَلشُّهُرَةِ أَلَّتِي طَبَّقَتْ
أَلْأَفَاقَ ، وَمَلَأَتْ زَوَايَا أَلشَّامِ وَأَلْحِجَازِ وَأَلْهِنْدِ وَأَلْعِرَاقِ . وَأَللَّهُ أَعْلَمُ .

وَأَلسَّادَةُ : جَاءَ فِي « أَلْمَشْرِعِ » [٢٥٣/١] عَنْ بَعْضِ أَلْمَشَايِخِ : (أَنَّ حَارَةَ
أَلْأَزْمَرَةِ^(٦) هِيَ أَلْمَدِينَةُ أَلْقَدِيمَةُ ، وَهِيَ أَلَّتِي فِي شَرْقِيِّ أَلْجَامِعِ ، مَمْتَدَّةٌ إِلَى أَلْجَنُوبِ ،

(١) شيموا : انظروا .

(٢) الهتون : الهاطل .

(٣) البيت من أَلْكَامِلِ ، وَهُوَ لِأَبِي الطَّيِّبِ أَلْمُتَنِّيِّ فِي « أَلْعُكْبَرِيِّ » (٨٦/٢) . بَجَحَ : فَرَحَ .

(٤) واسمه تَامًّا : عَلِيُّ زَيْنِ أَلْعَابِدِينَ بْنِ مُحَمَّدٍ مُصْطَفَى بْنِ عَلِيِّ زَيْنِ أَلْعَابِدِينَ أَلْأَوَّلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ . .
تُوفِيَ بِتَرْيَمِ سَنَةِ (١١٣٦ هـ) .

(٥) البيت من أَلْبَسِيطِ .

(٦) هكذا هي في « أَلْمَشْرِعِ » ، وَفِي أَلطَبْعَةِ أَلْأَخِيرَةِ أَلَّتِي أَشْرَفَ عَلَى طَبْعِهَا وَتَصْحِيحِهَا أَلْعَلَامَةُ أَلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ
أَلشَّاطِرِيِّ عُلُقَ عَلَيْهَا بِهَذِهِ أَلْعِبَارَةِ : (أَلصَّحِيحُ « حَارَةُ أَلْأَزْرَاءِ » ، وَهِيَ حَارَةُ جَنُوبِ شَرْقِيِّ تَرْيَمِ
أَلْقَدِيمَةِ ، وَفِيهَا مَسْجِدُ أَلسَّقَافِ ، وَسُمِّيَتْ بِهَذَا أَلْإِسْمِ لَكثْرَةِ أَلنَّخِيلِ أَلْمَعْرُوفِ بِأَلزَّارِ فِيهَا) أَهـ

ثُمَّ اتَّسَعَتْ عِمَارَتُهَا ، وَهِيَ تَزِيدُ وَتَنْقُصُ بِحَسَبِ الْوَلَاةِ وَالزَّمَانِ ، وَالْأَمْنِ وَالرَّخَاءِ
وَضِدِّهَا (اهـ)

وهذا لا يناسب ما يُكثَرُ الرُّوَاةُ مِنْ سَكَانِهَا وَعِلْمَائِهَا وَصِلَحَائِهَا ، وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُ
الْخَطِيبِ : أَنَّهُ رَبَّمَا بَلَغَ فِي عَصْرِ وَاحِدٍ ثَلَاثَ مِئَةِ مُفْتٍ بَتْرِيم .

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْفَقِيهِ طَطَّةً ^(١) - بَطَاءَيْنِ - وَكَانَ أَهْلُهُ مِنْ تَرِيمٍ
ثُمَّ أُنْتَقَلَ إِلَى ظَفَارٍ - قَالَ : (أَعْرِفُ فِي تَرِيمٍ ثَلَاثَ مِئَةِ مُفْتٍ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ) .

وَعَنِ الْفَقِيهِ عَلِيِّ بْنِ سَلَمٍ قَالَ : (قَالَ لِي وَالِدِي : أَرَوْ عَنِّي يَا وَلَدِي أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّهُ
وَقَعَ فِي تَرِيمٍ ثَلَاثَ مِئَةِ فَقِيهِ مُفْتٍ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ) .

وَعَنِ الشَّيْخِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي عَلَوِيٍّ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ : (تَذَاكُرْتُ أَنَا
وَالشَّيْخُ أَبُو الْعَفِيفِ فِي تَرِيمٍ وَالْهَجْرَيْنِ وَشَبَامَ ، فَقَالَ لِيَ الشَّيْخُ : فِي تَرِيمٍ أَرْبَعُونَ
مَسْجِداً) .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بَاجِرِي ، عَنْ الْفَقِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بَاحَاتِمٍ قَالَ : (قَالَ
خَالِي : أَجْتَمَعَ عَلَى دَكَّةٍ مَسْجِدِ آلِ بَاحَاتِمٍ ^(٢) الَّذِي بَتْرِيمٍ أَرْبَعُونَ فَقِيهاً مِنْ آلِ
بَاحَاتِمٍ) .

وَعَنِ الْفَقِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَبَّادٍ أَنَّهُ قَالَ : (بَلَغَ الْأَصَفُّ الْأَوَّلُ فِي جَامِعِ تَرِيمٍ يَوْمَ
الْجُمُعَةِ أَنَّ أَهْلَهُ كُلَّهُمْ فَفَهاً مِنْ كَثَرَةِ فَفَهائِهَا) .

وَرَوَيْنَا : (أَنَّهُ كَانَ فِي تَرِيمٍ سَبْعُ مِئَةِ قَبِيلَةٍ لَا تَخْلُو كُلُّ قَبِيلَةٍ عَنْ أَحَدٍ مِنَ
الصَّالِحِينَ ، سِوَى قَبِيلَةٍ وَاحِدَةٍ) .

هَذَا كُلُّهُ مِنْ « جَوْهَرِ الْخَطِيبِ » ، وَأَكْثَرُهُ مَوْجُودٌ فِي « الْبَرَقَةِ » وَ« الْمَشْرِعِ » ،
وَبَعْضُهُ مَذْكُورٌ - أَيْضاً - فِي « مَقَالِ النَّاصِحِينَ » لِجَا مَالٍ - وَسَبَقَ كَثِيرٌ مِنْهُ فِي الْحُسَيْسَةِ -
وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ الْعَظِيمَةِ لَا يُمَكِّنُ أَنَّ تَكُونَ فِي قَرْيَةٍ صَغِيرَةٍ ، وَمَتَى كَانَ بَانِيهَا

(١) توفى الفقيه أحمد بن محمد ططّة بظفار سنة (٦٩٠هـ) « شنبل » (ص ١٠٧) .

(٢) مسجد باحاتم : هو مسجد عاشق المعروف اليوم ، وكان يسمى مسجد بلعشر .

تريمُ بنُ حَضْرَمَوْتٍ . . فَلَنْ تَكُونَ إِلَّا كَبِيرَةً مِنَ الْبَدَءِ ؛ لَكَبِيرِ شَأْنِهِ ، وَضَخَامَةِ دَوْلَتِهِ^(١) .

أَمَّا مَا جَاءَ أَنَّ بَتْرِيمَ أَرْبَعِينَ مَسْجِدًا . . فَمَحْمُولٌ عَلَى مَا قَبْلَ وَفَاةِ الشَّيْخِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بِمَدَّةٍ ، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ سَنَةَ (٦٦٩ هـ) ، أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ تَعَدَّدَتْ فِيهَا الْمَسَاجِدُ بِكَثْرَةِ مُفَرِّطَةٍ ، وَأَكْثَرَ الْعُلُوِّيُّونَ مِنْ بَنَائِهَا .

وَكُنْتُ أَسْتَشْكِلُ ذَلِكَ بِمَا سَبَقَ عَنِ ابْنِ الْخَطَّابِ وَبِمَا ذَكَرَهُ الشَّيْطُوطِيُّ فِي كِتَابِهِ « هَدْمُ الْجَانِي »^(٢) مِنْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بِنَاءُ مَسْجِدٍ بِجَانِبِ مَسْجِدٍ قَدِيمٍ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى الْبِنَاءِ وَلَا زَحْمَةٍ فِي الْقَدِيمِ بَيْنَ الْمَصْلُوحَيْنِ . حَتَّى قَالَ لِي وَالِدِي - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ - : إِنَّ الْغَرَضَ مِنْ كَثْرَةِ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ الصَّغِيرَةِ . . إِنَّمَا هُوَ : الْعَزَلَةُ وَالْإِعْتِكَافُ وَأَدَاءُ النَّوَافِلِ الْمَطْلُوبَةِ شَرْعًا فِي الْمَسَاجِدِ كَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ ابْتَنَى مَسْجِدًا بِفَنَاءِ دَارِهِ مَعَ وَجُودِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، أَمَّا جَمَاعَةُ الصَّلَوَاتِ . . فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا فِي مَسَاجِدَ مَعْلُومَةٍ لَا تَتَعَدَّدُ إِلَّا بِمَقْدَارِ الْحَاجَةِ ؛ كَمَسْجِدِ آلِ أَحْمَدَ الْمَعْرُوفِ الْيَوْمَ بـ : « مَسْجِدَ بَاعِلَوِي » .

وَأَوَّلُ « رِبَاطٍ » بُنِيَ بِتْرِيمَ هُوَ رِبَاطُ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى بِافْضَلٍ ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ (٦٨٤ هـ) ، قَالَ الْخَطِيبُ فِي « جَوْهَرِهِ » : (وَكَانَ يُقِيمُ بِهِ عَلَى التَّوَكُّلِ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ فُقَرَائِهِ) .

وَفِي الْحِكَايَةِ (٣٣) مِنْهُ : (أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَثْمَانَ الشَّمْهُونِيِّ - نَسَبُهُ إِلَى شَمْهُونَ ، قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى ظَفَّارٍ - قَدَّمَ عَلَى أَوْلَادِ الْفَقِيهِ إِلَى تْرِيمَ ، فَتَلَقَّاهُ عَلَوِيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَلَمَّا تَقَدَّمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِلَى الدَّارِ لِهَيْئَةِ الضِّيَافَةِ . . تَقَدَّمَ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ يَحْيَى بِافْضَلٍ فَطَلَبَ مِنْ عَلَوِيِّ بْنِ الْفَقِيهِ أَنْ يُؤَثِّرَهُ بِالشَّمْهُونِيِّ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَأَطَاعَهُ ، فَذَهَبَ بِهِ إِلَى رِبَاطِهِ ، وَأَنْزَلَهُ فِيهِ) اهـ

وَالْمَفْهُومُ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا أَنَّهُ كَانَ رِبَاطًا حَقِيقَةً ، غَيْرَ أَنَّ مَنْ لَا أَذْكَرُ أَسْمَهُ آلَانَ مِنْ

(١) الجدير بالتنبيه أن تريم لم تمر في دور واحد في عمارتها . . بل مرت في أدوار عديدة ، ذكرها العلامة القاضي عمر بن أحمد بن عبد الله المشهور في رسالته : « بغية من تمنى في توضيح بعض معالم تريم الغنى » .

(٢) واسمه : « هدم الجاني على الباني » ، مطبوع ضمن « الحاوي للفتاوي » (١٧٧-١٩٣) .

علماء تريم أخبرني بأنه لم يكن رباطاً ، وإنما بناه الشيخ سالم بأفضل مسجداً من يوم
بناؤه ، فوسعه الشيخ إبراهيم ورّممه فنسب إليه ، وما سمي رباطاً إلا لأن موضعه كان
مرتباً خيل المهاجر بن أبي أمية المخزومي ومن معه من الصحابة الواردين لقتال أهل
الردّة ، وهو اليوم مشهور بمسجد الرباط .

قال الشلي : (وكان الشيخ عمر بن محمد بأفضل الشهير بالعطاس ملازماً له في
عبادته ، وكان قد تهدم بعض جدرانهِ ، فهدمه جميعه ، وجدّد عمارته في سنة
٩١٧هـ)^(١) .

وأشهر مساجد تريم : مسجد آل أحمد^(٢) ، بناه السيّد محمد بن علي خالع قسم
بعد استيطانهم بتريم^(٣) ، نقل طينته ولبنه من بيت جبير على العجل التي تجرّها الأبقار
والبغال إلى تريم .

وفي « المسلك السوي » : ملاحظة من الأستاذ الحداد على قولهم : إن باني
مسجد آل أحمد هو السيّد محمد بن علي ، وقال : إن بناءه كان من قبله . والله أعلم .
ثم جدّد الشيخ عمر المحضار عمارته ما عدا الصّف الأول ، وعليه أوقاف كثيرة ،
يُصرف ما يفيض عن مصالحه وإطعام ضيفانه وتفطير الصائمين فيه إلى أولاد الشيخ
عبد الله باعلوي ؛ لاشتراطه ذلك في وقفه الذي وقفه عليه ، وكان ثمن ما وقفه عليه
يزيد عن مئة ألف دينار^(٤) . وكان يقوم بنفقة العلويين - في تريم - جميعهم في أيامه ،
ولما مات^(٥) . . تركوا للمسجد ما يكفيهم وأقتسموا الباقي . ولما أنتهت نقابة العلويين

(١) « المشرع » (٢٧٠ / ١) ، و « شنبل » (٢٥١) .

(٢) وهو المعروف بمسجد باعلوي .

(٣) أي : بعد سنة (٥٢١هـ) .

(٤) قال في « المشرع » (٤٠٧ / ٢) : (ووقف على مسجد بني علوي المنسوب إليه نخيلاً وأراضي وآبار
ماء وعيون ، وعلى الواردين إلى المسجد المذكور من الضيفان بما قيمته (٩٠,٠٠٠) تسعون ألف
دينار) اهـ وفي « مواهب القدس » (١٠٤) (خ) معلومات هامة عن المسجد وعمارته . . فلتنظر
منه .

(٥) سنة (٧٣١هـ) .

إلى الشَّيخِ عمرَ المحضار^(١) . . أمرَ بردَّ الأوقافِ لآلِ عبدِ اللهِ باعلويٍّ ؛ لاختصاصِها بهم ، فوافقه إلاَّ أخاه عقيلًا^(٢) ؛ فإنَّه أمتنعَ وبقي ما عنده منها تحتَ يده ، ثمَّ أستمَرَ بعده معَ أولاده إلى الآن . قاله الشُّلِّيُّ في (ص ٢٦٤ ج ١) من « مشرعه » .

وقال في ترجمة السيِّد عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّد بنِ أَحْمَد بنِ حَسَنِ بروم : (وكان قليلَ الغلالِ ، كثيرَ العيالِ ، وقد سعى في توليةِ أوقافِ آلِ عبدِ اللهِ باعلويٍّ ، فولاهُ السُّلطانُ أمرَها ، وأنفقَ على ألقراءٍ منهم ومنَ غيرِهِم ، وصارَ يعملُ كلَّ ليلةٍ طعاماً للفقراءِ والمساكينِ والغرباءِ الأوافدين ، وأستمَرَ على ذلكَ مدَّةَ سيرةٍ ، ثمَّ سعى كلَّ واحدٍ في استرجاعِ ما كانَ تحتَ يده منَ الوقفِ ، وعادَ على ما كانَ عليه أولاً ، وجرت في ذلكَ أمورٌ وإحْنٌ في الصُّدورِ ، ثمَّ سعى لبرُومِ إمامِ العارفينَ ، زينُ العابدين^(٣) ، في إمامةِ مسجدِ الجامعِ ، ورَتَّبَ لَهُ ما يكفيه معَ عياله ، وأستمَرَ على حاله إلى أن ماتَ في سَنَةِ (١٠٣٩هـ) وقد نَيْفَ على السَّبعينَ (اهـ بمعناه^(٤))

ومنهُ تعرفُ أنَّ النَّاسَ مثلُ النَّاسِ ، وأنَّ الأطماعَ تحيدُ بأهلِ تلكَ العصورِ الصَّالحةِ عن وجهِ الحقِّ كما تحيدُ بأهلِ زماننا ، وإلَّا . . فما فعله عقيلٌ منَ الحرامِ الصَّرفِ الَّذي لا يحتملُ التَّأويلَ ، ومعَ ذلكَ فإنَّ الشُّوافَ يقولُ فيه :

أَمَّا عَقِيلُ الْعَاقِلِ مَّا حَذَّ لِفَضْلِهِ نَاقِلِ
حُبُّ الْمُهَيْمِنِ بَاقِلِ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ لِّلَّهِ ؟
فما بالُ حُبِّ الْمُهَيْمِنِ لَمْ يَنْهَهُ عَنِ أوقافِ آلِ عبدِ اللهِ باعلويٍّ ؟ ! واللهُ يقولُ : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ .

وطالما عَيَّرْنَا الْعَمَّ سَقَافَ بَنِ مُحَسَّنِ بِأَسْتِلايِهِ عَلَى مَالِ بِأَسْمِ طَلَبَةِ الْعِلْمِ بَسِيثُونَ لَهُ
مندوحةٌ فيه ؛ إذْ كَانَ مِنْ شَرْطِهِ لِأَبِيهِ أَنْ يَصْرِفَهُ لِمَنْ شَاءَ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ نَزَلْ بِهِ حَتَّى

(١) المتوفى سنة (٨٣٣هـ) .

(٢) توفي عقيل ابن السقاف سنة (٨٧١هـ) بترميم .

(٣) هو العيديرُوس المتوفى سنة (١٠٤٠هـ) .

(٤) « المشرع » (٢/٤٢٤-٤٢٥) .

أخرجناه وَضَيْقَنَا عَلَيْهِ الْأَنْفَاسَ فِي الْمَجْلِسِ فخرَجَ مِنْهُ ، وَلَوْ أَنَّهُ عَلِمَ بِصَنِيعِ عَقِيلٍ .
لَاتَّخَذَ مِنْهُ مَا يَكْفِيهِ لِلتَّدْلِيلِ .

وَلَا يُحْصَى مَنْ أَنْجَبَتْهُمْ تَرْيَمُ مِنْ رَجَالَاتِ الْفَضْلِ وَأَرَاكِينِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ ، وَقَدْ أُفْرِدَ
كُلُّ ذَلِكَ بِالتَّأْلِيفِ ^(١) .

وَالطَّبَقَةُ الْأُولَى مِنْ « جَوْهَرِ الْخُطْبِ » هُمْ : عَلِيُّ بْنُ عَلَوِيِّ خَالِعِ قَسَمٍ ، وَأَبْنُهُ
مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَلَوِيِّ صَاحِبِ مِزْبَاطٍ ^(٢) ، وَسَلَامُ بْنُ بَصْرِيِّ ^(٣) ، وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ
يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ سَلِيمَانَ الْخُطْبِيِّ ^(٤) ، وَلَوْلَدُهُ مُحَمَّدٌ ^(٥) .

وَسَالِمُ بْنُ فَضْلِ ، وَلَوْلَدُهُ يَحْيَى بْنُ سَالِمٍ ^(٦) ، وَالْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ
بَاعِيسِي ^(٧) ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ^(٨) ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْخُطْبِيُّ ،

(١) كـ « المشرح الروي » ، و « الجوهر » ، و « البُزْدُ النعيم » لآل الخطيب ، وكتب كثيرة لا يتسع المقام
لذكرها كلها . ومن المتأخرين . . صف الفقيه الصالح الشيخ عمر بن عبد الله الخطيب المتوفى بتريم
سنة (١٤١٩ هـ) كتاباً سماه : « التمهيد الكريم » جمع فيه فوائد وتراجم متنوعة عن علماء تريم ، وهو
مفيد بالجملة ، وفيه تراجم نادرة لبعض شيوخه .

(٢) ولد بتريم ، ونشأ في حجر والده ، وبه تخرج ، وارتحل إلى البلدان للأخذ والطلب . « المشرح »
(٣٩٢-٣٩٤) ، « الأدوار » (١٩١ / ١) .

(٣) مولده بتريم ، وبها وفاته سنة (٦٠٤ هـ) ، حفظ القرآن صغيراً ، ثم اشتغل بالعلوم على الشيخ سالم
بافضل ، وطبقته من آبائه وبني عمومته من آل أبي علوي . « المشرح » (٢٥٤-٢٥٧) ، « الأدوار »
(١٩٩ / ١) ، « الحامد » (٤٧٦ / ٢) .

(٤) لم يُؤرخ وفاته ، ووُصِفَ في « البُزْدُ النعيم » بأنه : (الذي انتهت إليه نوبة الفقه والفتوى بتريم ، وكان
إماماً عالماً فاضلاً ذا ورع حاجز) .

(٥) توفي الفقيه محمد بتريم سنة (٦٠٩ هـ) ، كما هو عند شنبل (ص ٧٣) ، وذكر عن الشيخ محمد هذا
أنه كان يُشَمُّ من فمه رائحة المسك .

(٦) ترجمته في « صلة الأهل » (٦٨-٧١) ، ولم يُؤرخ وفاته ، وفي « الشعراء » : أنه توفي سنة
(٦٤٠ هـ) .

(٧) توفي سنة (٦٢٦ هـ) ، وقبره عند قبور آل باعلوي بتريم .

(٨) هو الإمام العلامة الفقيه المحقق أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن زكريا - وقيل : بن عبيد -
التريمي الحضرمي ، توفي سنة (٦١١ هـ) كما في المطبوع من « شنبل » ، وعند غيره سنة
(٦١٣ هـ) .

وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْحَبِّ ، وَبَاحْبِلِيلَ ، وَحُسَيْنُ بْنُ جُدَيْعٍ ، وَحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ
بِالذَّعِيرِ ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بِالْوَيْدِ^(١) ، وَأَحْمَدُ بْنُ يَسْلَمَ بِاحِيدَرَةَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ
بِاجْلَحْبَانَ ، وَهَذَا كَمَا مَرَّ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ تَرِيمٍ وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَطِيبُ فِي « جَوْهَرِهِ » أَحَدًا
مِنْ غَيْرِهَا سِوَاهُ .

وَمِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ - وَإِنْ أَغْفَلَ بَعْضُهُمُ الْخَطِيبُ - : الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي مَاجِدٍ^(٢) ،
وَكَانَ آخِرَ عَمَرِهِ بِظَفَارَ ، وَالْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ بِامَاجِدٍ^(٣) ، وَالْإِمَامُ فَضْلُ بْنُ
إِبْرَاهِيمَ بِاحْوَأَشٍ^(٤) .

وَالْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بِاحَاتِمٍ ، مَمْدُوحُ نَشْوَانَ بْنِ سَعِيدٍ - الْيَمَانِيُّ بِلْدَاءِ الْحَمِيرِيِّ
نَسْبًا - بِقَوْلِهِ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

رَعَى اللَّهُ إِخْوَانِي الَّذِينَ عَهِدْتُهُمْ بِيَطْنِ تَرِيمٍ كَالْتُجُومِ الْعَوَائِمِ^(٥)
عَلِيًّا حَلِيفَ النَّجْدَةِ ابْنَ مُحَمَّدٍ وَابْنَا أَخِيهِ الْغُرِّ أَبْنَاءَ حَاتِمٍ
وَكَمْ فِي تَرِيمٍ مِنْ فَقِيهِ مُهَذَّبٍ وَسَيِّدُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَحْيَى بْنُ حَاتِمٍ
أُولَئِكَ أَهْلُ الْفَضْلِ فِي ظِلِّ فَاضِلٍ عَظِيمٍ مِنَ الْأَمْلَاقِ عَالِي الدَّعَائِمِ^(٦)

(١) اسمه عند شنبُل : علي بن أحمد ، وأرخ وفاته سنة (٦٠٢هـ) ، قال : وقبر بالفريط بتريم ، ولويد :
بالذال المعجمة كما ضبطها الخطيب في « الجواهر » .

(٢) هو الفقيه إبراهيم بن أبي بكر بن يحيى بن فضل الملقب بأبي ماجد (باماجد) ، من علماء مربوط ،
وتوفي بها ، أصله من تريم ، وهاجر إلى ظفار . « السلوك » (٢ / ٤٧٠) .

(٣) ابن أخي السابق ؛ فهو أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر باماجد . إلخ ، أخذ عن عمه وبه تفقه ، وأخذ
عنه العلم الفقيه سعد بن سعيد بن مسعود المنجوي بالولاء ، أحد من وزر لأحمد بن محمد ، ثم لابنه
إدريس آل الجبوظي . « السلوك » (٢ / ٤٧٠-٤٧٢) .

(٤) باحوأش ، بالحاء المهملة والشين المعجمة وتشديد الواو : موضع معروف بتريم ، وفيه مساكن السادة
آل الجند ، اشتراه أحدهم ، وهو السيد عبد الرحمن بن علي . . وسوره وبني فيه منازل له ولأولاده .
ولازالوا به إلى اليوم ، ولعل أصله بستان ينسب لهذه الشخصية أو لأسرته .

(٥) العوائم : التي تسبح في السماء .

(٦) كان الحاكم بحضرموت لما زارها نشوان : هو شَجْعَةُ بن راشد المتوفى سنة (٥٩٤هـ) ، أخو
السلطان عبد الله .

أَنْسَتْ بِهِمْ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ بُزْمَةً فَكَانَتْ لَيَالِيهَا كَأَخْلَامِ نَائِمٍ
وَفَارَقَتْهُمْ كُرْهًا وَنَارُ فِرَاقِهِمْ تَأَجَّجُ مَا بَيْنَ الْحَشَا وَالْحَزَائِمِ
أَلَا هَلْ لِأَيَّامٍ تَقْضَتْ بِرَجْعَةٍ أَوْ أَبْكِي عَلَيْهِمْ بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ
وَهَلْ لِيَزْمَانِ الْوَضِلِ بِالْوَضِلِ عَوْدَةٌ وَهَيْهَاتَ لَيْسَ الصَّدْعُ كَالْمُتَلَائِمِ
لَيْسَ بَعْدَتْ أَحْبَابُنَا فَقُلُوبُنَا تَرَاءَى بِوُدٍّ غَيْرِ وَاهِيِ الْعَزَائِمِ
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مِنْ صَدِيقٍ بِقَلْبِهِ جِرَاحُ فِرَاقٍ مَا لَهَا مِنْ مَرَاهِمِ

وشفعه بمشور ؛ منه : (ما تريم إلا جنة نعيم ، في حوزة ملك كريم ، حامي
الذمار والحریم ، لو فارقها . . لأضحت كالصّريم^(١)) ، وقد صحّ عن الرّسول فيما روي
من المنقول : سلطان عادلٌ خيّر من مطرٍ وإبلٍ ، وسلطان غشومٌ خيّر من فتنة تدوم) .

وقد ذكرت في « الأصل » أنّ نشوان^(٢) هذا جريء اللسان سيء الأدب ، وقد كفره
بعض علماء اليمن بشيء من شعره ، ولولا أنّه اعتصم بأحد الأئمة^(٣) وكان أخا له من
أمّه - كما قال ياقوت - . . لأريق دمه .

وذكر ابن السبكي : أنّ الكراميّة أذعوا على ابن فورك القول بأنقطاع نبوة محمّد
صلّى الله عليه وآله وسلّم ورسالته بموته ، وسعوا به في ذلك إلى محمود بن
سبكتكين ، وأنّ ابن حزم زعم أنّه قتله بالسّم على ذلك ، ثمّ بالغ في تكذيب جميع
ذلك ، وأرجع إن أردت التّبسّط في الموضوع إلى ما ذكره في ترجمة الأشعريّ وابن
فورك من « طبقاته » ، وقد اعترف بأنّ الكراميّة هي التي قتلت ابن فورك بالسّم ، ولم
يذكر أنّ ابن سبكتكين انتقم منهم ، وذلك مع ظهور اللّوث ، وانتصاب القرائن ممّا
يبعث على تصديق أنّه ألقاتل ؛ إذ لن يخفى ذلك عليه وقد جزم به « التّاج » .

(١) الصّريم : اللّيل المظلم .

(٢) نشوان بن سعيد ، الأمير العلامة اللغوي المؤرخ ، كان فقيهاً ، شاعراً مجيداً ، استولى على قلاع
وحصون ، وقدمه أهل جبل صبر حتى صار ملكاً ، وكان مقيماً ببحوث ، وبها مات في (٢٤) ذي
الحجة من سنة (٥٧٣ هـ) . من مصادر الترجمة : « معجم الأدباء » (١٩ / ٢١٧) ، « بغية الوعاة »
(٣١٢ / ٢) ، « أعلام الزيدية » (١٠٦٠)

(٣) وهو أحمد بن سليمان الزيدي ، المتوكل على الله ، المتوفى سنة (٥٦٦ هـ) .

وَمِنْ جَرَاةِ نَشْوَانِ قَوْلُهُ : (وَصَحَّ عَنْ الرَّسُولِ . . إلخ) ، فَمَا رَأَيْتُهُ حَدِيثًا بِهَذَا
الْلَفْظِ بَعْدَ أَنْ كَشَفْتُ عَنْهُ فِي « مَزِيلِ الْإِلْبَاسِ » فَضْلًا عَنْ أَنْ يَصَحَّ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ
مَجَازِفٌ ، وَكَمَا جَازَفَ فِي التَّقْوِيلِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ . . فَلَنْ
يَتَوَرَّعَ عَنِ الْمَجَازِفَةِ فِي مَدْحِ سُلْطَانِ يَتَّهَمُ ، وَأَطْنَتْهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ رَاشِدٍ .

وَجَاءَ فِي مَادَّةِ (سَمَا) مِنْ « التَّاجِ » أَنَّهُ قَالَ^(١) : (كُلُّ مُؤَنَّثٍ بِلا عِلَامَةٍ تَأْنِيثٌ يَجُوزُ
تَذْكِيرُهُ ؛ كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالشَّمْسِ ، وَالنَّارِ وَالْقَوْسِ وَالْقَدْرِ ، وَهِيَ فَائِدَةٌ جَلِيلَةٌ .
وَرَدَّ عَلَيْهِ شَيْخُنَا^(٢) ذَلِكَ وَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ غَيْرُ مَعُولٍ عَلَيْهِ عِنْدَ أَرْبَابِ التَّحْقِيقِ) اهـ

وَمَا سَقْتُهُ إِلَّا لِفَائِدَةٍ ، وَلِمَا فِيهِ مِنْ أَمَارَةٍ مَجَازِفَةٍ قَائِلُهُ نَشْوَانٌ وَإِلْقَائِهِ الْكَلَامَ عَلَى
عَوَاهِنِهِ ، وَلِلنَّحَاةِ فِي الْمَوْضُوعِ كَلَامٌ لَا يَتَّسِعُ لَهُ الْمَجَالُ .

وَمِنْ أَشْعَارِهِ الَّتِي أَسَاءَ بِهَا الْأَدَبَ حَتَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ [مِنْ
الْكَامِلِ] :

إِيهِ قُرَيْشُ كُلُّ حَيٍّ هَالِكٌ أَطْنَتُّمْ أَنَّ النَّبُوءَةَ سَرَمَدٌ ؟
مِنْكُمْ نَبِيٌّ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ فَالْيَوْمَ هَلْ مِنْكُمْ نَبِيٌّ يُوجَدُ ؟
إِنَّ النَّبُوءَةَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ خَتِمَتْ وَقَدْ مَاتَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ !
أَمَّا الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ عِنْدَ الْخَطِيبِ^(٣) . . فَهِيَ أَكْثَرُ رِجَالِ الْكِتَابِ ، وَأَوَّلُهُمْ : الشَّيْخُ
عَلِيُّ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ^(٤) .

وَأَمَّا الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ فِيهِ . . فَقَلِيلَةٌ ؛ لِأَنَّ الْمَنِيَّةَ عَاجَلَتْهُ فِي الْقَرْنِ الثَّاسِعِ .

وَقَدْ مَرَّ فِي حُصُونِ آلِ فُلُوقَةَ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدَ

(١) وهو قول « شمس العلوم » للقاظي نشوان .

(٢) شيخ الحافظ مرتضى الذي يعول عليه في « التاج » هو العلامة الشمس محمد الطيب الفاسي .

(٣) ذكر المؤلف أن الخطيب جعل علماء تريم وساداتها على (٣) طبقات ، والذي بين أيدينا في مخطوط
« الجوهر » ، أنهم (٤) طبقات . . فلتنظر منه .

(٤) توفي بتريم سنة (٦٩٩ هـ) .

اليافعي عن رجالِ حَضْرَمَوْت ، وإنَّهُمْ لجديرونَ بقولِ الْعَرَنَدَسِ الْكَلَابِيِّ [كما في « ديوانِ الحماسة » مِنَ الْبَسِيطِ] :

لَا يَنْطِقُونَ عَنِ الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا وَلَا يَمَارُونَ إِنْ مَارَوْا بِإِكْتَارِ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَأَقِيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي
وذكرَ الطَّيِّبُ بامخرمةَ تريمَ فقال : (وقد خرجَ مِنْهَا علماءُ فقهاءُ فضلاءُ ، ومشايخُ أجلاءُ .

مِنْهُمْ : أَلْفَقِيَهُ يَحْيَى بْنُ سَالِمٍ أَكْدَرَ بَلَجَ ، وَأَلْفَقِيَهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بَكِيرٍ ، قُتِلَا مَعًا فِي سَنَةِ ٥٧٧هـ ^(١) ، وَمِنْهُمْ أَلْفَقِيَهُ سَالِمٌ بِأَفْضَلٍ صَاحِبُ « الْأَذِيلِ » عَلَى « تَفْسِيرِ الْقَشِيرِيِّ » ، وَأَلْفَقِيَهُ شَرْفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ ضَمْنَجٍ ، وَالذُّلَّيْبِيُّ صَاحِبُ « شَرْحِ التَّنْبِيهِ » ^(٢) ،

(١) وفي بعض نسخ « شنبل » ومعظم التواريخ . . أن ذلك حدث في سنة ٥٧٦هـ . ولا زالت تعرف إحدى مقابر تريم بمقبرة أكدر ، ويقول العامة : بكدر .

(٢) آل السبتي . . أصلهم من تريم ، تديروا مرباط ثم ظفار ، ثم قدموا الشحر بسبب خوف صاحب ظفار أحمد بن محمد الجبوظي منهم وارتياحه فيهم لضعف سلطانه .

١- وأول من قدم الشحر : هو القاضي أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى السبتي ، المذكور هنا ، ونسبته إلى ضمعج ، وهو ضمعج بن أوس الصحابي ، وكان الشيخ أحمد قد سكن حيريج أولاً ، بعد قدومه من ظفار ، ثم استدعاه عبد الرحمن بن إقبال صاحب الشحر وجعله حاكماً بعد إبراهيم بن علي باشكيل (الذي توفي بتريم سنة ٦٦٢هـ) ، ثم توفي بالشحر بعد المذكور سنة بضع وستين وست مئة ، وكان تفقهه على الشيخ محمد علي القلعي ، وخلف شيخه المذكور في موضع درسه بعد وفاته سنة (٦٣٠هـ) ، وهو مصنف « شرح التنبيه » وليس ابنه ، كذا عند الجندي في « السلوك » سنة (٤٥٨/٢) .

٢- وخلفه في العلم والصلاح ابنه عبد الرحمن بن أحمد . . توفي سنة بضع وسبعين وست مئة ، وكان حاكماً على الشحر (أي قاضياً) .
وخلفه ابنه أحمد .

٣- فأما أحمد . . فتفقه بالشيخ أبي الخير الذي خلف والده في المنصب ، وتولى الإفتاء والقضاء ، وأعقب ولدين هما : محمد ، ورضي الدين ، وتوفي حدود سنة (٦٩٠هـ) .

٤- تفقه محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بآبيه وتولى الإفتاء والقضاء ، وتوفي سنة (٧١٢هـ) .

٥- رضي الدين أبو بكر بن أحمد ، ولد سنة (٦٩٣هـ) ، وتفقّه بأخيه محمد ، وبخاله محمد بن سعد باشكيل ، وهو مصنف « شرح الرحبية » ، فرغ منه سنة (٧٣٧هـ) ، وهو شرح مشهور جداً ، =

والفقيه أحمد بن فضل^(١) ، والفقيه الصالح الزاهد علي بن محمد بن علي بن يحيى بن حاتم ، والفقيه علي بن أحمد بامروان^(٢) ، والفقيه الشيخ جمال الدين محمد بن علي باعلوي^(٣) ، والفقيه عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد ، صاحب «الإكمال لما وقع في التنبيه من الإشكال» ، والفقيه محمد بن أحمد بن أبي الحب ، توفي سنة «٦١٢هـ» ، وفي تريم علماء وعباد وزهاد لا يحصون ، ومقبرتها مشهورة بالبركة ، ومدفون في جبانة تريم أربعون من أهل بدر (اهـ كلام القاضي مسعود وفيها جمع السادة الأشراف آل باعلوي ؛ كالشيخ عبد الرحمن^(٤) وأولاده وحفدته وغيرهم ، خلق لا يحصون .

ولما رأى الشيخ علي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أسعد أليافي مشايخ الكيمن ، ووصل إلى حضرموت ورأى ما فيها من الصالحين . . أنشد [من الطويل] :

مَرَزْتُ بِوَادِي حَضْرَمَوْتَ مُسَلِّمًا فَأَلْفَيْتُهُ بِالْبِشْرِ مُبْتَسِمًا رَحْبًا

= وطبع مرات عديدة ، وهو من أنفع الشروح وأبركها . وكانت وفاته سنة (٧٦١هـ) . ومن مصنفاته أيضاً : « مختصر شرح الوسيط » ، و« مختصر شرح مسلم » عاصره الجندي وذكره في « السلوك » (٤٦٠ / ٢) .

(١) هو العلامة القاضي أحمد بن محمد بن فضل بن محمد بن عبد الكريم بافضل ، أخذ عن عمه الفقيه سالم بن فضل وتخرج به ، توفي حدود (٦٠٠هـ) ، « صلة الأهل » (٧٤٧٤) .

(٢) هو الشيخ الفقيه العلامة علي بن أحمد بن علي بن سالم بامرؤان ، مولده سنة (٥٥٥هـ) ، ووفاته في (٣) رجب (٦٢٤هـ) . « السلوك » (٤٨٠ / ٢) ، « المشرع » عدة مواضع ، « شنبل » (٤٠) ، (١٨١) .

(٣) هو الشيخ الأستاذ الكبير الشهير بالفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط . . مولده بتريم سنة (٥٧٤هـ) ، وكان ذكياً عالماً فقيهاً جليلاً ، ويعتبر الفقيه المقدم رمز التحول من عصر السلاح إلى عصر التصوف ، وهو مؤسس المدرسة العلوية التي سادت في حضرموت وخارجها حتى أيامنا هذه . ترجمته مبثوثة في العديد من المصادر التاريخية الحضرمية . وللشيخ علي السكران : « الأنموذج اللطيف » في مناقبه مطبوع مع « البرقة » . وينظر : « الأدوار » (٣٠١) ، « المشرع » (٧ / ٢) - (٢١) ، وغيرها .

(٤) هو السقاف ، ولد سنة (٧٣٩هـ) بتريم ، وتوفي سنة (٨١٩هـ) عن (٨٠) عاماً ، ويلقبه بعض النسابة بالمقدم الثاني لكثرة ذريته ، وترجمته في معظم المراجع والمصادر الحضرمية كـ « المشرع » و« الغرر » وغيرها .

وَأَلْفَيْتُ فِيهِ مِنْ جَهَابِذَةِ الْعُلَا أَكْبَرَ لَا يُلْفُونَ شَرْقاً وَلَا غَرْباً
هَذَا آخِرُ كَلَامٍ بَامْخَرَمَةَ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ أَكْثَرُهُ ^(١) .

وَقَدْ سَبَقَ فِي حَضَنِ فَلَوَقَةٍ عَنْ شَنْبِلٍ أَنَّ الْأَثْبِتَ فِي مَنْشِدِ الْبَيْتَيْنِ إِنَّمَا هُوَ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسْعَدَ ، لَا وَلَدُهُ عَلِيٌّ ، فَلْيُنْظَرْ .
وَالسَّادَةُ الْعُلُوثِيُّونَ بِحَضْرَمَوْتَ عَلَى طَبَقَاتٍ ثَلَاثٍ :

الْأُولَى : مِنَ الْمُهَاجِرِ إِلَى الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ ؛ فَكَانُوا عَلَى أَزْيَاءِ الصَّحَابَةِ فِي هَيْئَتِهِمْ
وَأَسْلَحَتِهِمْ ، كَمَا نَقَلَهُ سَيِّدِي الْأُسْتَاذُ الْأَبْرُّ عَنْ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ بْنِ يَحْيَى فِي
تَرْجُمَتِهِ عَنْ «عَقْدِهِ» ^(٢) .

الثَّانِيَّةُ : مِنَ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ إِلَى الْعِيدَرُوسِ .
أَمَّا الْفَقِيهُ الْمَقْدَمُ . . فَإِنَّهُ :

مِنْ أَلْبِيضٍ يَسْتَأْمُونَ وَالْعَامُ كَالْحُجِّ جُذُوباً وَمَطَارُونَ فِي الْحُجَجِ الْغُبْرِ ^(٣)
مَغَاوِيرُ فِي الْجُلَى مَغَايِيرُ فِي الْحِمَى مَقَارِيحُ لِلْغُمَى مَدَارِيكَ لِلْوَتْرِ
وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَرَكَ السِّلَاحَ وَسَلَكَ طَرِيقَ الصُّوفِيَّةِ وَلَبَسَ الْخَوْدَةَ ، وَهِيَ مَا يُقَالُ لَهُ
بِمَكَّةَ وَحَضْرَمَوْتَ : (الْقُبْعُ) ، ذَكَرَهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَكَمٍ صَاحِبُ
«الْفَلَائِدِ» فِي كِتَابِهِ : «مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ فِي مَنَاقِبِ السَّادَةِ آلِ بَاقِشِيرِ» .
وَفِي الْحِكَايَةِ (٢٩٥) مِنْ «الْجَوْهَرِ» : (أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ السَّقَّافَ يَلْبَسُ
الْخَوْدَةَ) .

وَفِي الْحِكَايَةِ (١٣٤) مِنْهُ : (أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ مَوْلَى الدَّوِيلَةِ يَلْبَسُ الْقُبْعَ) .
وَفِي الْحِكَايَةِ (١٤٥) مِنْهُ : (أَنَّ خَادِمَ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلُوِيٍّ يَلْبَسُ الْخَوْدَةَ ، وَخَادِمَ
بَاعِبَادٍ يَلْبَسُ الطَّاقِيَّةَ) .

(١) نسبة البلدان (ق ٥٩) .

(٢) كما في «عقد اليواقيت» في (المقدمة) .

(٣) البيتان من الطويل ، وهما للشريف الرضي في «ديوانه» (٥٠٥ / ١) .

وفي الحكاية (٣٢١) مِنْ « الجوهري » : (أَنَّ السَّيِّدَ عُبُودَ بْنَ عَلِيٍّ كَانَ يَلْبَسُ
الْخُوْذَةَ فِي سَنَةِ ٧٨٧ هـ) .

ولكن هل هجروا لها العمامة رأساً ، أم لا يلبسونها إلا في الرِّسْمِيَّاتِ ؟ كلُّ
مُحْتَمِلٌ ، وَالْأَوَّلُ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَى كَلَامِ بَاقِشِيرٍ وَالَّذِي يُفْهَمُ مِنْ مَوْضِعٍ مِنْ « عَقْدِ »
سَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، وَلَكِنْ يَغْبِرُّ عَلَيْهِ أَنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ بْنَ الْفَقِيهِ
الْمُقَدِّمِ أَشْتَهَرَ بِصَاحِبِ الْعِمَائِمِ ^(١) ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَحْتَرَقَ عَلَيْهِ مِنْهَا عَدَدٌ بِسَبَبِ الْأَسْتِغْرَاقِ
فِي الْمَطَالَعَةِ ، إِلَّا أَنَّ يُجَابَ بِأَنَّ لِبْسَهُ لَهَا لَمْ يَكُنْ بِحَضْرَمَوْتَ ، وَإِنَّمَا كَانَ بِمَقْدَشُوهُ ؛
إِذَا هَاجَرَ إِلَيْهَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ عَلَى الْعَلَامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الصَّمَدِ الْجَوْهِيِّ .

وفي هجرة هذا الإمام في طلب العلم تأكيد لما سبق في الحسيّة وأوائل هذه
المسودة من إشراف العلم على التلاشي ، حتّى هاجر الشَّيْخُ سالمٌ بأفضل في تجديده ،
وجاء صاحبُ العِمَائِمِ يَتَقَيَّلُ أَثَارَهُ ؛ إِذْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحِيطَ الشَّيْخُ سالمٌ بِأَطْرَافِ فنونه .

وقد قرأ صاحبُ العِمَائِمِ الحديثَ والفقهَ والتفسيرَ والتَّصَوُّفَ وعلومَ العربيّةِ وبرعَ
فيها ، وشارك في الأصلين والمعاني والبيان والمنطق ، وكان يقرأ « المَهْذَبَ » على
الجوهري في سنة ، و« التَّنْبِيْهَ » و« الأوسيطَ » و« الوجيزَ » في الأخرى قراءة بحثٍ
وتحقيقٍ ، كما كان الشَّيْخُ عليُّ بْنُ أَحْمَدَ بامروانَ يفعلُه ^(٢) .

فالتَّذَلُّلُ بهجرة صاحبِ العِمَائِمِ إِلَى مَقْدَشُوهُ عَلَى قَلَّةِ الْعِلْمِ بِحَضْرَمَوْتَ . . صالحٌ
لَا يُنْتَقَضُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الشَّيْخِ سالمٍ ؛ لِأَنَّ مَرَّ أَنْفَاً ، وَلِأَنَّ الْوَاحِدَ غَيْرُ كَافٍ ^(٣) وَإِنْ
أَنْتَشَرَ عَنْهُ الْعِلْمُ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

(١) ترجمته في « المشرع » (٣٧٣ / ١) .

(٢) جاء في « المشرع » (٣٧٣ / ١) : (وكان - أي : صاحب العِمَائِمِ - في أول طلبه سمع أن علي بن
أحمد بامروان كان يقرأ كل واحد منها في سنة - أي : الثلاثة الكتب المذكورة - ، فطلب من الله أن يرزقه
ذلك ، فاستجاب الله دعاءه وأعطاه ما تمناه) اهـ

(٣) ولتباعد الزمان ؛ فسالم بأفضل توفي سنة (٥٨١ هـ) ، وصاحب العِمَائِمِ سنة (٧٦٧ هـ) ، فبين
وفاتيهما (١٨٦) سنة .

وَلْيُذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴿١﴾ ولا ينتقض بما كان من تأثير الهجرة في الطلب بما لا يكون في الإقامة .

وقد حَمَقُوا رجلاً سارَ في طلب العلم من العراق وعنده علي بن طالب ، وكان الإكباب على السراج في المطالعة صار طبعياً لصاحب العمائم ، وإلا . . فمن حق اللبيب أن يعتبر بواحدة ، وقديماً كان يقال : (مَنْ لدغته الأفعى . . خاف من الحبل) فهو مع الاستغراق يهون من وطأة الإشكال الذي ذكرت - عنده - ما أخرجه أبو نعيم في « الحلية » [٣١٢/٣] بسنده إلى عطاء بن أبي رباح قال : (إن كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتعجن ، وإن قصتها لتكاد أن تضرب الجفنة) .

توفي صاحب العمائم بتريم آخر سنة (٧٦٧ هـ) ، وتنتهي هذه الطبقة بالعيدروس ، وجلهم كما قال الشريف في « ديوانه » ٤٠٥/١ من الطويل :

أَقَامُوا بِأَقْطَارِ الْعُلَا وَتَنَاقَلُوا عَلَيْهَا وَأَبْدَوْا فِي الْعُلَا وَأَعَادُوا
إِلَى حَسْبٍ مِنْهُ عَلَى الْبَذْرِ عِمَّةٌ وَفِي عَاتِقِ الْجُزَاءِ مِنْهُ نِجَادٌ
إِذَا وَقَفُوا فِي الْمَجْدِ خَافُوا نَقِيضَهُ فَتَمُّوا عَلَى عُنْفِ السِّيَاقِ وَزَادُوا

وهؤلاء هم الذين يقول المغربي في « رحلته » أنهم أشبه بالملائكة .

وأما الطبقة الثالثة . . فمن العيدروس إلى تمام القرن الثالث عشر :

فَأَسْتَأْنَفُوا الْعِزَّ مُخْضَرّاً زَمَانُهُمْ كَأَنَّمَا الدَّهْرُ فِيهِمْ رَوْضَةٌ أَنْفٌ^(١)
تَسْعَى الْبِكَارَ مُعْنَاءً وَقَدْ مَلَكَتْ أُولِي الْجُمَامِ عَلَيْهَا الْجِلَّةُ الشُّرْفُ

ثم رأيت في مناقب سيدنا الحسن بن عبد الله الحداد المسمى : « المواهب والمين » لحفيده العلامة علوي بن أحمد بن الحسن ما نصه : ولم يلبس بعد الحج إلا الخوذة وألبست من غزل الحاي والشبير فوق الشقة ، وفي البيت الشقة والكوفية البيضاء المخزومة ، والعمامة للجمعة والزيارة والأوايين في البلد ، وسروال وقميص من البفت وفوقه أيضاً بفت ، وكان حجته في سنة (١١٤٨ هـ) .

(١) البيتان من البسيط ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (٨-٧/٢) .

وفي (ص ٢٩٢ ج ١) منه : طَلَبْتُ مِنَ السَّيِّدِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ مُصْطَفَى الْعِيدِرُوسِ قُبْعاً مُخَيَّطاً مِنَ الْهَنْدِ ، مُرَادِي الْبُسَّةِ يَوْمَ الْزَيْنَةِ مِثْلَ الْوَالِدِ ، فَأَعْطَانِي إِيَّاهُ بَعْدَ أَنْ أَسْتَشَارَ الْوَالِدَ فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَبِسْتُهُ يَوْمَ الْزَيْنَةِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِي قَبْلِي ، ثُمَّ لَبَسَ مِثْلَهُ الْآخُ عَلَوِيٌّ فِي الْزَيْنَةِ الثَّانِيَةِ .

وفي أوائل القرن الرابع عشر كان بناء الرُّبَاطِ بترميم^(١) ، ومن أكبر القائمين به والساعين له : الصَّدرُ الجليلُ ، السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ أَحْمَدَ الْحَدَّادُ^(٢) .

وهو رجلٌ غزيرُ المروءةِ ، جَزُلُ الرَّأْيِ ، يُثْنِي عَلَيْهِ شَيْخُنَا الْمَشْهُورُ ، وكثيراً ما يسمِّيه : (الْغَصْنَ الرُّطِيبَ) يريدُ بهِ الْمَبَالِغَةَ فِي الْمَدْحِ ، وَلَكِنَّهُ مَمْتَلِئٌ مِنَ الرِّخَاوَةِ ، وَقَدْ عَابُوا عَلَى الْخَوَارِزْمِيِّ قَوْلَهُ فِي الصَّاحِبِ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

وظَرِيفٌ كَأَنَّ فِي كُلِّ فِعْلٍ مِنْ أَفَاعِيلِهِ عَرَائِسٌ تُجَلَّى

وقالوا - كما في « اليتمة » [٢٥٤/٤] - إن المحتشمين لا يوصفون بِالظَّرْفِ ؛ إِذْ هُوَ مِنْ أَوْصَافِ الْأَحْدَاثِ وَالشَّبَابِ وَالْقِيَانِ ، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ بِهِذِهِ الْفُرْطَةُ حَتَّى شَبَّهَ أَفَاعِيلَهُ بِالْعَرَائِسِ تُجَلَّى ، فَلَوْ أَنَّهُ مَدَحَ مُخْتِئاً . لَمَا زَادَ .

ولكنني نقضتُه أواخرَ الجزء الثالثِ من « بضائع التَّابُوتِ » .

ومَنْ سَاعَدَ عَلَى بِنَاءِ ذَلِكَ الرُّبَاطِ : السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ سَقَّافِ الْجَنِيدُ ، وَالسَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمِ السَّرِيِّ ، وَالشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ عِرْفَانَ ، وَكَانَ إِلَيْهِمُ النَّظَرُ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِمْ ، وَفِي الشَّرْحِ أَنَّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ يُبَدَّلُ بغيرِهِ ، وَلَمَّا تَوَفَّى أَحْمَدُ بْنُ سَقَّافِ أُبْدِلَ بِأَخِيهِ عَلَوِيٍّ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَدَاخَلَ بِالْأَمْرِ إِلَّا قَلِيلاً ، بَلْ فَوَضَّ الْأَمْرَ إِلَى رِفَاقِهِ ، وَلَمَّا

(١) كان بناؤه في سنة (١٣٠٤هـ) .

(٢) المتوفى سنة (١٣١٣هـ) بالحوطة ، وكان المذكور ممثلاً عن آل الحداد الذين هم رابع خمس أسر تعاظمت على إنشاء الرباط . وهي : آل الحداد ، وآل الجنيد ، وآل الشاطري ، وآل السري ، وآل عرفان بارجاء .

وسلمت إدارته للسيد الجليل العلامة عبد الله بن عمر الشاطري بعد عودته من الحجاز أوائل سنة (١٣١٤هـ) ، ولم يزل مقيماً على التعليم فيه إلى أن توفي سنة (١٣٦١هـ) .

تُوفِّيَ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ سَنَةَ (١٣١٣هـ) . . خَلَفَهُ وَلَدُهُ عَيْسَى ، وَلَمَّا تُوُفِّيَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ عَرَفَان . . أُقِيمَ فِي مَقَامِهِ السَّيِّدُ عَمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّاطِرِيِّ ، وَلَا أَدْرِي بِمَنْ أُبْدِلَ السَّيِّدُ مُحَمَّدَ السَّرِيِّ ، وَأُظِّلُ الْوَضْعَ تَغْيِيرَ .

وَكَانَ السَّيِّدُ عَمَرُ الشَّاطِرِيُّ وَعَيْسَى الْحَدَّادُ الْكُلُّ فِي الْكُلِّ ؛ فَالْحَدَّادُ يَتَسَلَّمُ مَا لِلرَّبَّاطِ مِنْ إِيْرَادٍ بَسْنِغَافُورَةٍ وَيُرْسَلُهُ إِلَى عِنْدِ السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ ، وَهُوَ يَصْرِفُهُ بَغَايَةِ الْأَمَانَةِ وَالتَّدْبِيرِ فِي مَصَارِفِهِ كَمَا يَأْتِي .

وَلَمْ يَزَلْ رِبَاطُ تَرْيَمَ مَعْمُورًا بِالْعِلْمِ مِنْ يَوْمِ بُنِيَ ، وَحَصَلَ بِهِ نَفْعٌ عَظِيمٌ ، وَتَخَرَّجَ بِهِ كَثِيرٌ مِنْ تَرْيَمَ ، وَمِنْ أَلْبِيضَاءٍ وَدُوعِنَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَقَالِيمِ ، وَالْحَالُ أَنَّ إِيْرَادَهُ الشَّهْرِيَّ لَا يَزِيدُ عَنْ أَرْبَعِ مِثَّةِ رِبِّيَّةٍ هِنْدِيَّةٍ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ يَجْتَمِعُ فِيهِ مِثْنَا طَالِبٍ دَاخِلِيَّوْنَ ، وَفِي ذَلِكَ شَهَادَةٌ لِنَظَرِهِ السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ الشَّاطِرِيِّ^(١) بِالرُّوْعِ الْحَاجِزِ ، وَالتَّدْبِيرِ الْكَامِ ، وَالتَّزَاهَةِ الَّتِي لَا تَعْلُقُ بِهَا تَهْمَةٌ .

وَكَانَ الْقَائِمُ بِالدَّرْسِ الْعَامِّ فِيهِ بُكْرَتِي السَّبْتِ وَالْأَرْبَعَاءِ هُوَ شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا أَلْوَالِدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَشْهُورُ حَيَاتِهِ^(٢) ، ثُمَّ وَلَدُهُ الصَّالِحُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِلَى أَنْ تُوُفِّيَ بِتَرْيَمَ سَنَةَ (١٣٤٤هـ) ، وَقَدْ يُشَارِكُهُ وَيَخْلُفُهُ فِي ذَلِكَ شَيْخُنَا أَلْعَلَّامَةُ عَلَوِيِّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورُ .

وَأَمَّا إِدَارَةُ تَعْلِيمِهِ : فَقَدْ كَانَتْ إِلَى أَلْعَلَّامَةِ الْجَلِيلِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ الشَّاطِرِيِّ^(٣) ، وَهُوَ الْقَائِمُ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّدْرِيسِ فِيهِ ، مَعَ مَنْ يُخَصِّصُهُمْ لَهُ مِنْ تَلَامِيذِهِ^(٤) .

(١) المولود بتريم في رمضان (١٢٧٢هـ) ، والمتوفى بها في يوم الإثنين (٢) شوال سنة (١٣٥٠هـ) ، وهو والد الحبيب عبد الله بن عمر .

(٢) حياته : طول حياته .

(٣) ولد الإمام الجليل والحبر النبيل الحبيب عبد الله بن عمر الشاطري بتريم في رمضان سنة (١٢٩٠هـ) ، وتوفي بها في (٢٩) جمادى الأولى سنة (١٣٦١هـ) . وقد أفرده بالتأليف تلميذه العلامة الفقيه السيد محمد بن سالم بن حفيظ بكتاب سَمَاءَ : « نفع الطب العاطري » في مجلد (مخطوط) ، استوعب فيه ذكر شيوخه وما قيل فيه في حياته وبعد مماته ، رحمه الله .

(٤) وتلاميذه رحمه الله ورضي عنه كثرة كاثرة ، وفيهم من تولى الإفتاء في بَقَاعِ وبلدان شتى ، ومنهم من =

وبعد وفاة السيد علي بن عبد الرحمن انتهت إليه رئاسة العلم بتريم جميعها ، فوفّاها حقّها ، وانتفع به القاصون والدانون انتفاعاً جمّاً ، وكان هذا الرّباط بذرة خير أثّت وربّت في جميع البلاد^(١) ، وما زال على ذلك إلى أن توفي سنة (١٣٦١ هـ) ، فعظمت الرّزّة بموته ؛ لأنّ مغوّز فقده لم يُرَقّع كما كان من قبله .

وخلفه على رئاسة العلم بتريم والتّدرّس العامّ في الرّباط وغيره : أخونا الفاضل الجليل ، النّاطق بالحقّ ، الحافظ لسير السّلف الصّالح ، علويّ بن عبد الله ابن شهاب^(٢) ، مدّد الله في أيّامه ، ونفع به .

وبقيت إدارة تعليم الرّباط للسّيد محمّد بن عبد الله بن عمر الشّاطري^(٣) وأخويه حسن وأبي بكر فرجو أن يسلكوا ذلك المنهاج ، ويستضيئوا بذلك السّراج ؛ لبقى الرّباط على مثل حاله من الإنتاج .

ثمّ إنّ لطبقة الفقيه المقدّم فمن بعده من الأعمال والرياضات ومجاهدات النّفوس ما لا تستقرّ له العقول ، ولا تصوّره الأفكار ، ولا تقدّر على تصديقه القلوب إلّا بعد ضرب الأمثال من المشاهدات ، وقياس أولئك على من بقي من فريقهم وانتهاج طريقهم إلى أوائل أعمارنا ؛ فقد شاهدنا وشاهد أقراننا كثيراً ممّن على ذلك النّمط ، حسّبما مرّ في سيئون ، ممّا يصدّق قول المغربي^(٤) السّابقي : إنهم بالملائكة أشبه .

= أسس أربطة في بلده . كالعلامة الجليل الحسن بن إسماعيل الحامد (ت ١٣٦٧ هـ) صاحب رباط عينات ، والعلامة السيد محمد الهدار (ت ١٤١٨ هـ) صاحب رباط البيضاء ، والعلامة السيد عبد الله بن عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر (ت ١٣٨٤ هـ) صاحب رباط الشحر ، وغيرهم كثير ، وما هؤلاء إلا نماذج وأمثلة رحمهم الله تعالى .

(١) أثّت : كثرت وعظمت . ربت : نمت .

(٢) هو الحبيب الإمام الورع الصّالح الزاهد الولي علوي بن عبد الله بن عيّدروس بن شهاب الدين ، مولده بتريم في محرم سنة (١٣٠٣ هـ) ، وبها وفاته في (١٢) رمضان سنة (١٣٨٦ هـ) ، أفرده بالترجمة السيد النخوي اللغوي عمر بن علوي الكاف (ت ١٤١٢ هـ) بكتاب سمّاه : « تحفة الأحباب » .

(٣) وهو الملقب بالمهديّ ، مولده بتريم سنة (١٣٢٨ هـ) ، درس في الرّباط ولازم والده وتخرج به ، وقام بشؤون الرّباط بعد والده ، وبعد هجوم الشيوعيين على الحكم في البلاد . هاجر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة ووافته منيته في أبو ظبي في محرم سنة (١٤٠٥ هـ) .

(٤) يشير إلى « رحلة المغربي إلى تريم » التي جرت في سنة (٨٦٥ هـ) ، وهو شخص مجهول لا يعرف =

وَمِنْ بَعْدِ الْعِيدَرُوسِ الْأَكْبَرِ^(١) اُنْتَشَرَتِ الْمَعَارِفُ وَيَنْعَتِ الْعُلُومُ ، وَلَكِنْ بَدَأَتْ
الْمَجَاهِدَاتُ تَنْقُصُ ، وَالْخَلَلُ يَدْخُلُ عَلَى طَرِيقِ الْعُلُومِ ، وَلِهَذَا كَانَ الْقَطْبُ الْحَدَّادُ
يَأْخُذُ بِكُلِّ عَادَةٍ كَانَتْ مِنْ أَيَّامِ الْعِيدَرُوسِ فَمَنْ قَبْلَهُ بِدُونِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الدَّلِيلِ ؛ لِتَلَزُّمِهِمْ
بِالسُّنَّةِ الْمَطْهُرَةِ تَلَزُّماً شَدِيداً ، وَأَمَّا مِنْ بَعْدِهِ . . فلا يَقْبَلُ شَيْئاً إِلَّا بِدَلِيلِهِ الْوَاضِحِ ، وَنَقَلَ
غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : مَا جَاءَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَسَلَّمَ . . فَعَلَى الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ ، وَمَا جَاءَنَا عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . . نَخْتَارُ أَحْسَنَهُ
وَلَمْ نَخْرُجْ عَنْ أَقْوَالِهِمْ ، وَمَا جَاءَنَا عَنِ التَّابِعِينَ . . فَهَمُ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ . وفي رواية :
زَاحِمُنَاهُمْ . وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ أَرَاكِينُ عُلُومٍ ، وَمَصَابِيحُ هُدًى أَمْثَالُ النُّجُومِ .
وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ فِيهَا كَوَاكِبٌ تَوَقَّدُ لِلْسَّارِي . . لَكَانُوا كَوَاكِبًا^(٢)
وَإِنَّ زَمَاناً يَظْهَرُ فِيهِ أَمْثَالُ الْقَطْبِ الْحَدَّادِ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بَلْفَقِيهِ^(٣) وَابْنَهُ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ^(٤) وَأَقْرَانِهِمْ . . لَغَيْرُ مَلُومٍ .
لَقَدْ حَلُّوا مِنَ الشَّرَفِ الْمَعْلَى وَمِنْ حَسَبِ الْعَشِيرَةِ حَيْثُ شَاؤُوا^(٥)

= اسمه ، وجرى كلام حول صحة ومصداقية هذه الرحلة ، لكن الشيخ محمد بن عوض بافضل أوردها
بتمامها في نهاية « صلة الأهل » ، وعضدها بكونها قرئت على مولانا الحبيب أحمد بن حسن العطاس
فأيدها ، ينظر « الصلة » (٣٤٢-٣٢٦) .

(١) هو الإمام عبد الله بن أبي بكر السكران ، تقدم ذكره في عدة مواضع ، توفي سنة (٨٦٥ هـ) ، وتنظر
أعماله وأحواله ومجاهداته في « المشرق الروي » ، « الغرر » ، « فتح الرحيم الرحمن » في مناقبه
لتلميذه السيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء ، ومؤلفات آل العيدروس المتقدم ذكرها في سير
أهلهم وآبائهم رضي الله عنهم .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبي تمام في « ديوانه » (١٢٦ / ١) .

(٣) العلامة الجليل الشأن ، رفيع المقدار ، مولده بتريم سنة (١٠٤٤ هـ) ، وبها وفاته سنة (١١١٢ هـ) أو
(١١١٠ هـ) ، كان من أقران الإمام الحداد ، وقرأ هو وإياه « المختصر الكبير » على السيد
عبد الرحمن بن عبد الله باهارون .

(٤) الإمام وجيه الدين ، المعروف عند أهل تريم بعلامة الدنيا ، ولد بتريم سنة (١١٠١ هـ) ، وتوفي بها
سنة (١١٦٣ هـ) . ونبغ في العلوم وقرأ بالعشر جمعاً وإفراداً ، وسمع وأجيز وحدث وأجاز ، وصنف
الكتب المفيدة النافعة .

(٥) البيتان من الوافر ، وهما لدعبل الخزاعي .

فَلَوْ أَنَّ السَّمَاءَ دَنَتْ لِمَجْدٍ وَمَكْرُمَةٍ دَنَتْ لَهُمُ السَّمَاءُ
وَمِنْ أَوَاخِرِهِمْ بتریم : شیوخُ مشایخنا ؛ كَالسَّادَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ بَلْفَقِيهِ^(١) ،
وعبدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عِيدِيد^(٢) ، وعبدُ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ شَهَابٍ^(٣) ، وأحمدُ بْنُ عَلِيٍّ
الْجَنِيدِ^(٤) .

وَمِنْ أَوَاخِرِهِمْ : مفتي الدِّيارِ الْحَضْرَمِيَّةِ ، شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ ، صَاحِبُ
الْمَوْلاَفَاتِ الْفَائِقَةِ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَشْهُورِ^(٥) ، الْمَتَوَفَّى بِتَرْيَمِ (١٥) صَفَرِ
سَنَةِ (١٣٢٠ هـ) ؛ فَإِنَّهُ وَمَنْ سَبَقَهُ مِنْ شُيُوخِهِ وَمَشَايِخِهِمْ بِتَرْيَمٍ لَكَمَا قَالَ الْمَتَنِّي (في
« الْعُكْبَرِيِّ » ١٧١ / ٢ مِنْ الْكَامِلِ] :

نُسِقُوا لَنَا نَسَقَ الْحِسَابِ مُقَدَّمًا وَآتَى فَذَلِكَ إِذْ أَتَيْتُ مُؤَخَّرًا^(٦)

- (١) الفقيه الحبر ، مفتي حضرموت ، ولد بتریم سنة (١١٨٩ هـ) ، تفقه بأبيه ولازمه حتى توفي سنة (١٢١٧ هـ) ، وأخذ عن جمع من علماء تريم ، انظرهم في « عقد الیواقیت » : (١٣٠ - ١٥٠) ، توفي عشية الأربعاء (١٨) ذي القعدة (١٢٦٦ هـ) . وترك مصنفات جامعة .
- (٢) العالم الناسك الجليل ، مولده بتریم سنة (١١٩٥ هـ) ، وبها وفاته سنة (١٢٥٥ هـ) ، أخذ عن جملة من أجلاء عصره ، وعنه أخذ ابن أخته السيد أحمد بن علي الجنید وترجم له في إجازته للإمام الأبرکما في « عقد الیواقیت » (١ / ١٢٥) .
- (٣) السيدُ الفقيهُ العالمُ الصالح ، أحد العبادة السبعة بحضرموت ، مولده بدمون سنة (١١٨٧ هـ) ، وبها وفاته سنة (١٢٦٥ هـ) ، من شیوخ صاحب « العقد » ، وترجمته فيه ضافية (١ / ١١٢ - ١١٩) فنحیل القاریء علیها ، وله مؤلفات وأثار مکتوبة .
- (٤) الحبيب العلامة المتفطن المقرئ المسند ، مولده بتریم سنة (١١٩٥ هـ) ، وبها وفاته في (٢) شوال سنة (١٢٧٥ هـ) ، أخذ عن أئمة عصره ، ترجمته في « عقد الیواقیت » (١ / ١٢٣ - ١٢٧) ، لتلميذه الإمام الأبر ، وأفرده بالتصنيف السيد العلامة عبد القادر بن عبد الرحمن بن عمر الجنید نزیل (دار السلام) عاصمة تنزانيا في مجلّدٍ حافلٍ ، وضم إليها تراجم أعلام أسرته المباركة ، وقد طبع بسنغافورة بعنوان : « العقود المسجدية » .
- (٥) الإمام الحبر الفقيه العلامة الورع ، مولده بتریم سنة (١٢٥٠ هـ) ، وبها وفاته في (٦) صفر (١٣٢٠ هـ) ، كما في « الشجرة » . وفي « منحة الإله » : (١٧) صفر . أفرده بالترجمة ابنه الورع الصالح الحبيب علي بكتاب سَمَاه : « شرح الصدور » ، منه نسخٌ بتریم ، وكان صاحب الترجمة مرجع أهل حضرموت قاطبة في الفقه ونوازل الأحوال ، وله مصنفات جليلة شاهدة بعلو كعبه .
- (٦) المعنى كما قال الواحدی : (جُمع لنا الفضلاء في الزَّمان ، ومضوا متابعين متقدمين عليك في =

وقد كَانَ بطلاً شجاعاً ، يباشرُ إبطالَ الباطلِ بِنَفْسِهِ ، ولا يخافُ في اللَّهِ لومةَ لائمٍ ،
فَرَزَىءَ الْإِسْلَامَ بِهِ رُزْءاً أَلِيماً ، وَفَقَدَتْ تَرِيمُ بِفَقْدِهِ رُكْنَاً عَظِيماً ، وَكَانَ - وَاللَّهِ - كَمَا قَالَ
الْأَفْوَهُ الْأَوْدِيُّ [مِنَ الْوَاغِي] :

لَقَدْ أَبْقَى مَكَانَكَ فِي لُؤْيٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ خَلْلاً مُبِيناً
فَأَنْسَ شَخْصُكَ الْجَدْتَ الْمَعْقَى وَأَوْحَشَ قَبْرُكَ الْمُتَهَجِّدِينَ

إِذَا كَانَ آخِرَ مَنْ يُسْتَحْيَى مِنْهُ ، فَأَنْفَتَحَ بَابُهُ لِلْمَلَاوِمِ أَلْبَابُ ، وَلَمْ يُخَفْ مِنْهَا عِتَابُ ،
وَخَرَجَ الْأَمْرُ عَنِ الْحِسَابِ ، وَنَجَمَتِ الْقُرُونُ^(١) ، وَتَطَلَّعَتِ الضُّبَابُ^(٢) .

قَدْ كَانَ بَعْدَكَ أَنْبَاءٌ وَهَيْئَةٌ لَوْ كُنْتَ شَاهِدَهَا لَمْ تَكْثُرِ الْخُطْبُ^(٣)
وَتَوَاتَرَ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يَتْرِكِ الْجَمَاعَةَ فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَعِنْدَ هَذَا ذَكَرْتُ
مَا أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ [٥٠/٥] بِسَنَدِهِ إِلَى يَحْيَى الْقَطَّانِ قَالَ : كَانَ الْأَعْمَشُ مِنَ النِّسَاكِ ،
وَكَانَ مُحَافِظاً عَلَى الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ وَعَلَى الصَّفِّ الْأَوَّلِ .

وَبِهِ إِلَى وَكِيعٍ قَالَ : كَانَ الْأَعْمَشُ قَرِيباً مِنْ سَبْعِينَ سَنَةً لَمْ تَفُتَّهُ التَّكْبِيرَةُ الْأُولَى . أَمَّا
شَيْخُنَا . . فَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ تَفُوتَهُ التَّكْبِيرَةُ ؛ لِأَنَّهُ طِيلَةَ أَيَّامِهِ إِمَامًا .

وَكَانَ الْمُرْشَحَ لِرِئَاسَةِ الْعِلْمِ بَعْدَهُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورُ^(٤) ،

= الوجود ، فلما أتيت بعدهم . . كان فيك من الفضل ما كان فيهم ؛ مثل الحساب ، يذكر تفاصيله أولاً ،
ثمَّ تجمل تلك التفاصيل ، فيكتب في آخر الحساب ، وكذلك أنت ، جمع فيك ما تفرَّق من الفضائل
والعلم والحكمة) .

(١) نجمت : ظهرت وطالت .

(٢) جمع ضُبٍّ ، لأنها تختبئ في الجحور حتى تأمن من عدم وجود أحد .

(٣) البيت من البسيط .

(٤) هو الشريف المنيف العلامة المسند الرحالة المتفتن الداعية . . علوي بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن
محمد المشهور . . آل شهاب الدين ، ويخطئ البعض فيظنون ابن مفتي تريم ، والحال أنه من أبناء
عمومته ، ولد بتريم سنة (١٢٦٢هـ) ، وبها توفي سنة (١٣٤١هـ) ، رحل إلى العديد من البلدان
داعياً إلى الله ومذكراً ، وقد جمع ترجمته وألف عن حياته وأسفاره وشيوخه . . حفيد ابنه ، السيد
الداعي إلى الله أبو بكر بن علي بن أبي بكر بن علوي المشهور بحفظه الله في كتاب سماه « لوامع النور » =

ولكنهم دفعوه عنها بالراح^(١) وتعصبوا عليه ، ونادوا بالقانت الأواب السيد علي بن عبد الرحمن المشهور^(٢) خليفة عن والده في الدروس ، فقام بها ، ولكن كان حظُّه من العبادة والزَّهادة أوفر من العلم ، توفي سنة (١٣٤٤ هـ) .

ومما كنت أستخرج به العجب والاعتبار ممن يحضرني : أنني شهدت موسم زيارة نبي الله هود عليه السلام سنة (١٣٤٠ هـ) ، وكان حَفلاً عظيماً ، حضره أوالد المفضل مصطفى بن أحمد المحضار في جماعة من أهل دوعن ، ومع أن أكثر الخطابة إلي في تلك المحافل الشريفة . لا أجلس أنا والأخ الفاضل عبد الله بن عمر الشاطري إلا في الأطراف ؛ لكثرة الأجلاء من الأسيخ ، وأكثرهم من الغناء تريم . ثم شهدت في سنة (١٣٥٠ هـ) فكنت أنا والأخ عبد الله بن عمر في الصدر ، وبه ذكرت أن بعض فقهاء الشافعية جلس مجلس شيوخه ، فأطال الوقوف بالباب يبكي ، ثم أنشد من الكامل :

خَلَبَ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّؤْدِدِ^(٣)

وجرت بين شيخنا العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور ، وبين علماء تريم بمن فيهم من تلاميذه مناقضات في عدَّة مسائل .

منها : ما إذا قال رجلٌ : أنفق على أهل بيتي . ولم يقل : على أن ترجع علي . وطال التَّراخُ في ذلك ، وأصفقوا على خلافه ، وساعدتهم عليه طلبة العلم بسيئون ، وهو مصمَّم على رأيه ، ولا أحفظُ حاصلَ ذلك .

= في ثلاثة أجزاء ، طبع الأولان في مجلِّد وبقي الثالث مخطوطاً .

- (١) الرِّاح - جمع راحة - : باطن اليد .
- (٢) ولد الحبيب علي بن عبد الرحمن بتريم في (٢١) ربيع الثاني (١٢٧٤ هـ) ، وتوفي في (٩) شوال (١٣٤٤ هـ) ، من عبَّاد تريم وزهادها ، له أحوال وأخبار جلييلة ، وجمع بعض تلامذته نبذة من كلامه ، وترجمته في مجموع سَمَاء : « لَمَعَةُ النُّور » .
- (٣) انظر القصَّة في « شذرات الذهب » (١٧ / ٢) ، وصاحب القصَّة هو شيخ الشافعية ، العلامة الشاشي ، أبو بكر محمَّد بن أحمد بن الحسين ، رحمه الله تعالى .

ومنها : أَنَّ أَخَاهُ عَمَرَ^(١) كَانَ عَلَى قَضَاءِ تَرِيم ، فَبَلَغَهُ ثُبُوتُ شَوَالٍ فَصَادَقَ عَلَيْهِ ، وَأَمْتَنَعَ شَيْخُنَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورُ مِنَ الْمَوَافَقَةِ ، وَتَبِعَهُ أَهْلُ تَرِيم ، وَلَمَّا عَيَّدَ سَيِّدُنَا عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَصَلَّى فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي بِجَوَارِ بَيْتِهِ لَا فِي الْجَامِعِ . . غَاظَبُوهُ وَهَاجَرُوهُ ، وَجَرَتْ أُمُورٌ إِلَى أَنْ سُوِّيتِ الْمَسْأَلَةُ حَسَبَمَا فِي « الْأَصْلِ » .

وَمَتَى عَرَفْتَ أَنَّ السَّيِّدَ عَمَرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورَ كَانَ عَلَى الْقَضَاءِ بِتَرِيمَ لَذَلِكَ الْعَهْدِ . . فَأَعْلَمَ أَنَّهُ حَكَمَ عَلَى السَّيِّدِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلَوِيِّ الْكَافِ بِحَبْسٍ لِأَمْرِ أَقْتَضَى ذَلِكَ ، فَتَقَدَّ ، وَلَكِنَّهُ أَضْطَغَنَهَا عَلَيْهِ ، فَكَمَنَ لَهُ لَيْلَةً مَخْرَجَهُ آخِرَ اللَّيْلِ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَضْرِبُهُ بِصَمِيلٍ^(٢) مَعَهُ ضْرِبَةً لَمْ تُغْنِ شَيْئاً ، فَأَخَذَ الصَّمِيلَ - وَكَانَ جَلْدًا - وَكَادَ أَنْ يَسْطُوبَهُ ، وَلَكِنْ كَانَ مَعَ عَلَوِيِّ السَّيِّدِ عَلِيُّ بْنُ سَقَافِ الْجَنِيدِ ، فَتَلَقَّى الْقَاضِيَ بِلُكْمَةٍ مِنْ وَرَاءِ أُذُنِهِ أَلْفَاهُ بِهَا صَرِيحاً ، فَتَمَكَّنَ عَلَوِيُّ مِنْ ضْرِبِهِ كَيْفَمَا أَرَادَ .

وَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي أَكْثَرَ مِنَ الْكَتَبِ يَسْتَصْرِخُ النَّاسُ وَيَسْتَنْجِدُ بِالسُّلْطَانِ مُحْسِنِ بْنِ غَالِبٍ ؛ وَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ ضَرْبَ الْقَاضِي وَالْجَرَاءَ عَلَيْهِ سَيَكُونُ وَبَيْلَ الْعَاقِبَةِ ، فَلَمْ تَحْبِقْ فِي ذَلِكَ شَاءٌ ، وَكَانَ بَعْضُهُ كِيَاداً لِلْحَبِيبِ عَلَوِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ إِذْ كَانَ أَهْلُ الثَّرْوَةِ وَالنُّفُوزِ ضِدَّهُ .

وَلَمْ تَطُلْ بَعْدَهَا أَيَّامُ السَّيِّدِ عَمَرَ ، بَلْ مَاتَ وَشَيْكَا رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَتَرَكَ أَوْلَاداً ؛ مِنْهُمْ :

الْفَاضِلُ الذَّكِيُّ النَّبِيُّ : عِيدَرُوسُ ، مُحَرَّرُ جَرِيدَةِ « حَضَرَمَوْتَ »^(٣) ، وَيُعْجِبُنِي مِنْهُ

(١) عمر بن عبد الرحمن المشهور . . العلامة القاضي ، طلب العلم بتريم ، وكان مع أخيه علوي كفرنسي رهان ، وله إجازة من العلامة محمد بن عبد الله باسودان ، وله مساع في الخير ؛ منها : إدخال رافعات الماء إلى تريم ، رحل إلى جاوة بعد استقالته من قضاء تريم ، وسكن في بانقيل ، وبها توفي سنة (١٣٢٢هـ) .

(٢) الصميل : الهراوة .

(٣) ولد بتريم ونشأ في حجر والده قاضي تريم ، واهتم به عمه العلامة علوي ، وأخذ عن علماء تريم ، ثم هاجر إلى سنغافورة ، وعمل بها في التجارة ، وأسس جريدته المشهورة : « حضر موت » سنة (١٣٤١هـ) ، وكان صدور أول عدد منها الخميس (٧) ربيع الثاني (١٣٤١هـ) ، واستمرت (١١) =

رَقَّةً طَبْعِهِ ، وَسَلَامَةً ذَوْقِهِ ، وَحُسْنَ تَأَثُّرِهِ بِبَلِيغِ الْكَلَامِ ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ رَاضِياً عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا بَجَرِدَتِهِ .

وشبيهة بقصة القاضي مع علوي الكاف ما ذكره ابن حجر في ترجمة كثير بن شهاب من « الإصابة » [٥٧١/٥] : (عن المرزباني : أَنَّهُ ضَرَبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَجَّاجِ بْنِ الْمُحَصِّنِ فِي الْخَمْرِ ، فَلَمْ يَكُنْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ جَاءَ لَيْلاً إِلَى كَثِيرٍ فَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ ضَرْبَةً أَثَرَتْ فِيهِ ، ثُمَّ هَرَبَ) .

أَمَّا علوي . . فَلَمْ يَهْرَبْ ، وَلَكِنَّ الْقَاضِي هَرَبَ - إِذْ عَزَّهُ الْإِنصَافُ فِي الدُّنْيَا - إِلَى الْآخِرَةِ يَطْلُبُهُ فِيهَا ، وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ .

وذكر أبو العباس المبرِّد في « الكامل » [٥٦٢/٢] : (أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ تَقَدَّمَ إِلَى الْقَاضِي سَوَّارِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي أَمْرِ ، فَلَمْ يُصَادَفْ عِنْدَهُ مَا يُحِبُّ ، فَاجْتَهَدَ فَلَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ ، قَالَ : فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ - وَكَانَتْ فِي يَدِهِ عَصَا - [مِنَ السَّرِيعِ] :

رَأَيْتُ رُؤِيَاءُ ثُمَّ أَوْلَتْهَا وَكُنْتُ لِأَخْلَامِ عَبَّارًا
بِأَنْتِي أَخْبَطُ فِي لَيْلَتِي كَلْبًا فَكَانَ الْكَلْبُ سَوَّارًا

ثُمَّ أَنهالَ بعصاه على سَوَّارٍ فَلَمْ يَزَلْ يَضْرِبُهُ حَتَّى مُنِعَ مِنْهُ ، فَمَا عَاقَبَهُ سَوَّارٌ بِشَيْءٍ) .

وكان السَّيِّدُ علويُّ المشهورُ شهماً وقوراً ، رَكِيزُ الْمَجْلِسِ ، جَمِيلُ الشَّارَةِ ، عَذِبَ الْكَلَامِ ، كَثِيرُ الرِّحَالِ إِلَى الْحِجَازِ وَالْهِنْدِ وَالسَّوَاهِلِ الْأَفْرِيقِيَّةِ وَمِصْرَ وَجَاوَةَ ، وَفِيهَا جَرَتْ لَهُ قَضِيَّةٌ مَعَ شَيْخِنَا الْوَالِدِ عَثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَقِيلٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ أَثْنَى عَلَيْهِ بِحَضْرَةِ الْمُسْتَشْرِقِ الْهَوْلَنْدِيِّ الْمَسْمُومِ (سنوك)^(١) فَرُغِبَ فِي الْاجْتِمَاعِ بِهِ ، وَلَمَّا حَضَرَ

= سنة كاملة إلى عام (١٣٥٢هـ) . وكانت وفاته بإندونيسيا سنة (١٣٨٤هـ) .

(١) هو مستشرق هولندي ، اشتهر بسنوك ، واسمه الكامل كرستيان سنوك هرخونيه ، ولد سنة (١٢٧٣=١٨٥٧م) ، ومات سنة (١٣٥٥هـ=١٩٣٦م) . تعلم في ليدن وستراسبورج ، ودخل الحجاز وأقام بجدة شهراً ، وتسمّى بعبد الغفار ، ودخل مكة ، وكتب دراسات ضافية عن علماء جَاوَةَ المقيمين بها ، وكان جلوسه في « سوق الليل » لمدة (٥) أشهر . ثم بعد انكشاف أمره . . سار إلى بتاوي ومكث بها (١٧) سنة . ثم عاد إلى بلاده وعين أستاذاً للغة العربية بجامعة ليدن ، ثم مستشاراً في =

الهولندي إلى منزل السيد عثمان للميعاد.. تأخر السيد علوي ، وكان أشار عليه بعض أصحابه أن لا يذهب ، فغضب المستشرق وكاد يُسيء الظنَّ بالسيد عثمان ، وكانت النتيجة أن نفى الوالد علوي من جاوة بعد أن دُعي للمحكمة مراراً ، وأودى بطول الانتظار ، الذي لا تحمله قلوب الأحرار .

وله مؤلفات وأشعار ونظم لمولد النبي الشريف^(١) ، توفي أول سنة (١٣٤١ هـ) .
ومن أدباء تريم وعلماؤها : الذكي النبي ، السيد حسن بن علوي بن شهاب^(٢) ، وقد لقي امتحاناً ؛ منه : أنه علّق طلاق نساؤه بتعليق كان الأصحّ أنحلّله ، فأجروه عليه وأخذوه به ، حسبما فصل به « الأصل » .

ومنه : أنهم قطعوا أذن حماره ، ولطخوا باب بيته بالعذرة ، فذهب مغاضباً إلى سنغافورة ، وأنشأ قصيدة يتذمّر فيها ؛ منها قوله [من الخفيف] :

وَعَلَيْكَ السَّلَامُ طَيْبُهُ مِنِّي وَعَلَيْكَ الدَّمَارُ يَا حَضْرَمَوْتُ
وقد استعان في هذه القصيدة بجملة أبيات من قصيدة للجحاف اليماني ، أحد شعراء « اليتيمة » .

وفي سنة (١٣٢٠ هـ) كان موجوداً بتريم ، وكان والدي - رضوان الله عليه - موجوداً بها للتغزية بسيد عيدروس بن علوي العيدروس ، فبينا والدي يتكلّم في الحث على الجدّ في شوال قريباً منه في رمضان ، إذ ربّ الشهرين واحد.. تمثّل له السيد حسن - وكان حسن الإنشاد ، فخم الألفاظ ، يملأ شذقيه بالحروف - بقول

= الأمور الإسلامية والعربية بوزارة المستعمرات الهولندية . من أشهر كتبه : « مكة في القرن التاسع عشر » ، ترجم إلى العربية ونشره نادي جدة الأدبي ، ثم أعيد نشره ضمن فعاليات المثوية ، وغير ذلك . « الأعلام » (٢٢١ / ٧) ، وذكر مصادر متعددة لترجمته .

وجاء في « الجامع » لبامطرف أنه أسلم على السيد عثمان بن يحيى ، وفيه نظر ..

(١) واسمه : « الدرر المنظمة » ، طبع بزنبار سنة (١٣٣٠ هـ) ، ثم في سوريا سنة (١٣٩٤ هـ) على يد بكري رجب . « اللوامع » (١٥٠ / ١) .

(٢) مولده بتريم سنة (١٢٦٨ هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٣٢ هـ) ، وتلقى علومه ومعارفه بها على يد الحبيب عبد الرحمن المشهور وطبقته ، ثم هاجر إلى سنغافورة سنة (١٣٢٠ هـ) .

الشَّرفِ أَبْنِ الْفَارُضِ [في «ديوانه» ٨ من الرَّمَلِ] :

فِي هَوَاكُم رَمَضَانُ عُمْرُهُ يَنْقُضِي مَا بَيْنَ إِخْيَاءٍ وَطَيِّ
فَكَادَ وَالِدِي يَطِيرُ كَمَا هِيَ عَادَتُهُ عِنْدَ مِثْلِ ذَلِكَ . وَلَهُ فِي سَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ قَصَائِدُ
غُرَاءُ^(١) .

وَالْبَيْتُ فِي الْحَقِيقَةِ جَزَلٌ تَظْهَرُ بِهِ صَعْلُكَةُ قَوْلِ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ [في «ديوانه» ٤١٨/٢
مِنَ الْوَافِرِ] :

إِذَا مَا الْمَرْءُ صَامَ عَنِ الدَّنَايَا فَكُلُّ شُهُورِهِ شَهْرُ الصِّيَامِ
وَحَوَالِي سَنَةِ (١٣٢٤هـ) هَجَا أَعْيَانَ الْعُلُوِّينَ بِسِنَاغُورَةٍ - لَكِنْ بِالتَّعْرِيزِ
لَا بِالتَّصْرِيحِ - بِقَصِيدَةٍ طَبَعَهَا وَوَرَّعَهَا بَيْنَ النَّاسِ ، وَهَذَا مَطْلَعُهَا [مِنَ الْخَفِيفِ] :
لَا تَلْمُهَا فَالْلَوْمُ مِنْهَا سَجِيَّةٌ وَفِي بِالْبَطْشِ وَالشَّقَاءِ حَرِيَّةٌ
وَكَانَ الصَّدْرُ الشَّهْمُ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيٍّ السَّقَّافُ أَحَدَ
أَغْرَاضِ سِهَامِ تَعْرِيزِهِ وَمَطَاعِنِهِ ، وَبِمَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي الشَّعْرَ - كَقَضِيَّةِ الْعَيْنِيِّ مَعَ
الْحَافِظِ أَبْنِ حَجَرٍ - طَافَ مَقَاوِلَ الشُّعْرَاءِ ، فَاشْتَدَّتْ الرَّجَّةُ ، وَعَظُمَتِ الضُّجَّةُ ، إِلَّا أَنَّ
صَاحِبَنَا السَّيِّدَ عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ^(٢) ، أَلْمَتَوْفَى بِتَرْيَمَ سَنَةِ (١٣٤٩هـ)
أَقْدَعَ فِي الْجَوَابِ بِمَا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ .

وَأَمَّا السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافُ . . فَاسْتَعَانَ بِي ، وَلَكِنْ لَمْ تَكُنِ
الْمُسْتَأْجَرَةُ كَالْتَّكَلُّفِ ، وَإِنَّمَا كُنْتُ لَهُ كَمَا كَانَ مَتَمِّمٌ فِي رِثَاءِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَمَطْلَعُ
قَصِيدَتِي [مِنَ الْخَفِيفِ] :

هَوْنِي أَيْهَا الطَّمُوحُ الْأَيُّمَةُ مَا لَقِيَنِي مِنَ الْعَنَاءِ وَالْأَذِيَّةِ
وَاتَّفَقَ أَنْ أَجَازَ أَدْبَاءُ حَضْرَمَوْتَ لَذَلِكَ الْعَهْدِ - وَمِنْهُمْ : كَاتِبُ هَذَا ، وَالسَّيِّدُ

(١) وهي يرمتها في «الشعراء» (٢٧-٢٦/٥) .

(٢) مولده بتريم سنة (١٢٦٥هـ) ، ووفاته كما ذكر المؤلف . ترجمته في : «تعليقات ضياء شهاب»
(٤٨٧/٢) .

عبدُ الله بنُ عمرَ الشَّاطِريّ ، والسَّيِّدُ حسنُ بنُ عبدِ الله الكافُ ، والشَّيْخُ مُحَمَّدُ بنُ مُحَمَّدٍ باكثر - أبياناً للشَّيْخِ بكرانَ باجَمال^(١) ، فلامَهُمُ السَّيِّدُ حسنُ بنُ شهابٍ ، ولم يُحِبَّ اتِّصالَ كلامِهِم بكلامِهِ ، وقرَّعَهُم على ذلك بشديدٍ ملامِهِ ، ونقدَ أبياتَ باجَمال برسالةً مختصرةً ، أنشأ يقولُ فيها [مِن الطَّويلِ] :

وَقَائِلَةٌ مَآذَا لَهُ أَنْتَ شَارِحُ فَقُلْتُ لَهَا : شِعْراً ، فَقَالَتْ : لِمَنْ يُغْزَى
فَقُلْتُ : لِبَاجِمَالٍ ، قَالَتْ : فَقُلْ لَهُ : فَقُلْتُ لَهَا : مَاذَا؟ فَقَالَتْ : بِهِ يُخْزَى

وفي حدودِ سَنَةِ (١٣٢٣هـ) نشرَ رسالَتُهُ الْمَسْمُوءَةَ : « نَحْلَةُ الْوُطَنِ »^(٢) ، وفيها انتقاداتٌ أَسْتثنَى مِنْهَا بعضَ المشهورينَ بِالْعِلْمِ وبعضَ أَهْلِ الْكُرَّةِ ، فَأَثَارَتْ عَلَيْهِ غَضَباً ، حَتَّى لَقَدْ يَشْفَعُ النُّسخَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا مِنْهَا لوالدي برسالةً خصوصيّةً ، فَأَمَرَنِي بِالْجَوَابِ لِشُكْرِ الْمَلِكِ بِهِ ، ففعلتُ ، وَلَمَّا نَشَرَ رسالتي بمجلةٍ « الْمَنَارِ » . . عَدُّوا ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَتَقَارَضُونَ الْإِثْنَاءَ مَعَ الْعَلَامَةِ النَّبْهَانِيِّ^(٣) ، وَقَدْ أَوْجَرَهُمْ^(٤) بغَضِّ الإمامِ مُحَمَّدٍ عَبْدُهُ وتلميذِهِ صاحبِ « الْمَنَارِ » ، وَجَرَتْ لِي مَعَهُمْ بِهَذَا الشَّانِ محاوراتٌ وأخبارٌ .

وكانَ هوَ والسَّيِّدُ الْجَلِيلُ مُحَمَّدُ بنُ عَقِيلٍ على رأيٍ واحدٍ ، ثُمَّ نَزَعَ بَيْنَهُمَا الشَّيْطَانُ بِالْآخِرَةِ ، وَتَشَاتَمَا هَذَا بِجَرِيدَةِ « الْوُطَنِ » وَذَلِكَ بِجَرِيدَةِ « الْإِصْلَاحِ » و« الْحِسَامِ » .

(١) الشَّيْخُ الْفَاضِلُ الْأَدِيبُ بَكَرَانُ بنُ عَمْرِو بنِ بَكَرَانَ بنِ زَيْنٍ باجَمالَ ، مولده بالغرفة سنة (١٢٨٩هـ) ، ووفاته بتريم سنة (١٣٣٧هـ) ؛ إِذْ بَارَحَ سَيُّونَ بَعْدَ وَفَاةِ شَيْخِهِ الْحَبِيبِ عَلِيِّ الْحَبْشِيِّ وَانْتَقَلَ إِلَى تَرِيمٍ .
« تاريخ الشعراء » (١٣١/٥) .

(٢) اسمها كاملاً : « نَحْلَةُ الْوُطَنِ فِي اسْتِنْهَاضِ هِمَمِ ذَوِي الْفِطَنِ وَمِنْ بِهِ قَطَنٌ » ، فَرِغَ مِنْهَا سَنَةَ (١٣٢٣هـ) ، تَقَعَ فِي (٤١) صَفْحَةً ، وَقَدْ كَتَبَ عَنْهَا السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْحَبْشِيُّ مَقَالََةً فِي كِتَابِهِ : « أوليات يمانية » .

(٣) يعني به حسان العصر الشَّيْخُ الْعَارِفُ الرَّبَّانِيُّ يَوْسُفُ بنَ إِسْمَاعِيلِ النَّبْهَانِيِّ الْبِيرُوتِيِّ ، الْمَوْلُودُ سَنَةَ (١٢٦٥هـ) ، وَالْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٥٠هـ) ، صَاحِبُ الْمَوْالِفَاتِ الْجَلِيلَةِ فِي الْجَنَابِ النَّبَوِيِّ الْمَعْظَمِ ، الْفَائِظَةُ النَّظِيرُ ، تَرْجَمَتُهُ مَعْرُوفَةٌ وَأَخْبَارُهُ مَشْهُورَةٌ ، وَكَانَ مَحِبًّا لِلْسَّادَةِ آلِ بَاعْلَوِيٍّ وَمَعْظَمًا لَهُمْ ، وَلَهُ إِجَازَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ أَوْرَدَهَا بِرُمَّتِهَا فِي « جَوَاهِرِ الْبَحَارِ » آخِرَ الْجُزْءِ الثَّانِي .

(٤) أي : أَشْرَبَهُمْ ، مَأْخُوذٌ مِنْ وَجَّرَهُ الدَّوَاءُ إِذَا سَقَاهُ إِيَّاهُ بِالْقُوَّةِ .

وَمِنْ اللَّطَائِفِ : أَنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَنِ عِيدِيدٍ^(١) كَانَتْ لَهُ حُؤُولَةٌ مِنْ آلِ يَحْيَى ،
وعندما قدم على أميرِ سومطرة . . لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ ، وَبَيْنَا هُوَ هُنَاكَ . . بَعَثَ لَهُ السَّيِّدُ
حَسَنُ بْنُ شَهَابٍ عِدَّةً مِنْ « جَرِيدَتِهِ » يَقُولُ فِيهِ : إِنَّ سَيْلاً هَائِلاً خَرَجَ مِنْ وَادِي عِيدِيدٍ ،
فَهَوَى بِدَارِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ عَلَى أُمِّهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ ، يَرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ قَلْبَهُ بِذَلِكَ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُ
مِنْ آلِ يَحْيَى ابْنَةُ عَمِّ السَّيِّدِ ابْنِ عَقِيلٍ ، وَلَكِنَّ الْخَبَرَ قَدْ أَنْتَهَى إِلَى السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ
حَسَنِ عِيدِيدٍ بِحَصُولِ غَيْثٍ هَنِئٍ لَا ضَرَرَ فِيهِ وَلَا عَيْثَ ، فَسَرَّ بِالْجَرِيدَةِ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى
الْأَمِيرِ يَغْصُرُ عَيْنِيهِ ، فَرَّقَ لَهُ وَأَكْرَمَهُ بِأَضْعَافٍ مَا يُؤْمَلُ ، فَمَا كَادَ يَصُلُّ إِلَى سِنْغَاوُورَةَ . .
إِلَّا وَخَفَّ إِلَى بَيْتِ السَّيِّدِ حَسَنِ بْنِ شَهَابٍ يُخْبِرُهُ وَيَشْكُرُهُ ، وَيَقُولُ لَهُ مَا مَعْنَاهُ : أَرَدَتْ
مَسَاءَتِي فَأَجْتَلَبْتُ مَسَرَّتِي .

وَقَدْ يُحْسِنُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَذْهَبُ

وَلَمَّا نَشَرَ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَقِيلٍ « نَصَائِحَهُ » . . رَدَّ عَلَيْهِ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ « الرُّقِيَّةِ
الشَّافِيَةِ » ، وَنَقَضَهَا عَلَيْهِ شَيْخُنَا الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَهَابٍ بِرِسَالَةٍ سَمَّاها : « وَجُوبُ
الْحَمِيَةِ مِنْ مَضَارِّ الرُّقِيَّةِ » ، وَأَتَّفَقَ أَنَّ كَانَ الْأَدِيبُ السَّيِّدُ عَقِيلُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ يَحْيَى
بِسِنْغَاوُورَةَ فَضَمَّهُمْ حِفْلاً - وَفِي صَحَّةِ السَّيِّدِ عَقِيلٍ أَنْحِرَافٌ - فَأَرَادَ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ يَحْيَى أَنْ يُحَرِّكَ
الْمَوْقِفَ الَّذِي شَمَلَهُ الْعَبُوسُ مِنْ أَجْتِمَاعِ الْأَضْدَادِ ، فَقَالَ لِعَقِيلٍ : لَعَلَّ الْعِلَاجَ نَفْعَكَ ؟
فَقَالَ : لَا ، وَلَكِنْ نَفَعْتَنِي الْحَمِيَةُ . فَوَجَمَ لَهَا السَّيِّدُ حَسَنُ ، وَتَغَامَزَ الْقَوْمُ .

وَمَا كَانَ رَدُّ السَّيِّدِ حَسَنِ بْنِ « الرُّقِيَّةِ » عَنْ ضَمِيرٍ وَأَعْتِقَادٍ ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَتْ
« الْكُنْهَلَةُ » أَثَارَتْ عَلَيْهِ بَعْضَ السَّخَطِ . . أَحَبَّ أَنْ يَغْسِلَهُ بِ« الرُّقِيَّةِ » .

وَلَهُ مَدَائِحُ فِي سَيِّدِنَا الْأَسْتَاذِ الْأَبِيرِ عِيدِرُوسِ بْنِ عَمَرَ ، مَطْلَعُ إِحْدَاهُنَّ [مِنْ الطُّولِ] :

(١) مولده بتريم سنة (١٢٩٠هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٦١هـ) ، كان عالماً فاضلاً ، طلب العلم بتريم ،
وله اعتناء بالأخذ عن الشيوخ ، وقد ضَمَّهم في « ثَبَت » كبير جمعه له تلميذه ومحبه القاضي مبارك
باخريش وسماه : « إتحاف المستفيد بذكر من أخذ عنهم وواخاهم السيد محمد بن حسن بن أحمد
عيديد » ، يقع في (٤٤٠) صفحة مع فهرسه . وجمع عنه نبذة في ترجمته وأخباره القاضي المذكور
وسماها : « البلبل الغريد » تقع في (٥٨) صفحة .

يُحَدِّثُ عَنْكَ الْوَقْتُ أَنَّكَ صَاحِبُهُ فَلَا غَرَوْا إِنْ شُدَّتْ إِلَيْكَ رَكَائِبُهُ

وله مدائح في عالمِ حَضْرَمَوْتَ على الإِطْلَاقِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ شَهَابٍ ؛ مِنْهَا
قَصِيدَةٌ سَيَّرَهَا إِلَيْهِ إِلَى الْهِنْدِ ، يَقُولُ فِيهَا [مِنْ الْخَفِيفِ] :

تَرْجُمَانُ الْعَوِيصِ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِدَقِيقِ الْمَدَارِكِ الْمَرْضِيَّةِ
ذَاكَ شِبْلُ الْغَنَّا أَبُو بَكْرٍ الْحَا وَيِ بَرِّغَمِ الْعِدَا لِأَسْنَى مَزِيَّةِ
وَرِثَ الْمَجْدَ تَالِدَا وَطَرِيفَا بِطَرِيقِ التَّعْصِيبِ وَالْفَرَضِيَّةِ

ومنها :

عُذِّ إِلَى السَّفْحِ بِالتَّعْيِيرِ مِنَ الْغَنَّا سَاءَ وَأَغْنَمَ مِنَ الزَّمَانِ الْبَقِيَّةِ
وَتَدَارِكُ تَرْيِمَ مِمَّا عَرَاهَا فَهِيَ أَمَسَتْ بِحَالَةٍ وَخَشِيَّةِ
فَهِيَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْكَ وَعَنْ مِثْ لِكَ يَا بَنَ الْكِرَامِ لَيْسَتْ غِيَّةِ
وَلَيْتَن صَالَتِ الزَّعَانِفُ فِيهَا إِنَّمَا هُمْ سَحَابَةٌ صَيْفِيَّةِ
يَا أَبَا الْمُرْتَضَى وَيَا الْحَكَمُ الْمَرْ ضِي وَنَجَلَ الرُّضَا وَذَا الْأَرْيَحِيَّةِ
قَدْ حَدَانِي إِلَيْكَ فَضْلُكَ وَالْعَهْدُ دُ وَنَفْسٌ مَشْغُوفَةٌ وَوَفِيَّةِ
شَطٌّ مِنْهَا مَزَارُهَا وَرَمَاهَا حَظُّهَا بَيْنَ أُمَّةٍ هَمَجِيَّةِ
جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَنَا بِتَرْيِمِ وَحَبَانَا بِسُوحِهَا الْأُمْنِيَّةِ

وبيقائي على صداقةِ الْعَلَامَةِ أَبِي عَقِيلٍ تَحَرَّشَ بِي السَّيِّدُ الْحَسَنُ ، فَجَرَتْ لِي مَعَهُ
مَنَاقِضَاتٌ كَانَتْ كِفْتِي فِيهَا الْأَرْجَحُ ، إِلَّا أَنِّي أَفْذَعْتُ لَهُ فِي بَعْضِ الْقَصَائِدِ وَالْمَقَالَاتِ
مِمَّا أَخْجَلُ مِنْ ذِكْرِهِ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي نَزْوَةِ الشَّبَابِ وَجَمَاحِ الطَّبِيعَةِ ، وَكَانَ لَهُ الْفَضْلُ
إِذْ بَدَأَنِي بِالْمَصَالِحَةِ ، وَتَمَثَّلَ لِي بِقَوْلِ الْمُتَنَبِّي [فِي « الْعُكْبَرِيِّ » ٤ / ٢٤١ مِنْ الْخَفِيفِ] :

وَمُرَادُ التَّنْفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ نَتَعَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى
وَكَانَ - كَمَا يَفْهَمُ حَسَبًا مَرَّ - يَتَقَعَّرُ فِي الْإِنْشَاءِ وَالْكَلامِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَثْقُلُ ظِلُّهُ
بِذَلِكَ ، وَهُوَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَأَخْتِصَاصُهُ بِالنَّحْوِ أَكْثَرُ .

ولو أَنَّنِي أَطَّلَعْتُ عَلَيْهَا قَبْلَ الْجِدَالِ حَوْلَ تَهْنِئَتِي لِشَيْخِنَا أَبِي بَكْرٍ بْنِ شَهَابٍ . . لَسَاغَ

لي - حينَ قالَ : مَنْ تعني بقولِكَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

صَفَا الْوَقْتُ حِيناً لِلثَّعَالِبِ وَأَعْتَلَتْ أَسَافِلُهُ لَمَّا تَنَاءَتْ صُدُورُهُ
- أَن أَقُولَ : أَعْنِي بِهِمُ الزَّعَانِفَ وَالْهَمَجَ الَّذِينَ ذَكَرْتَهُمْ فِي قَصِيدَتِكَ ، وَلَكِنِّي كُنْتُ
جِدُّ عَارِفاً بِمَا فِي « نَحْلَتِهِ » ، وَأَنَسَانِي الشَّيْطَانُ أَنَّ أَذْكُرُهُ لَهُ يَوْمئِذٍ ، غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ أَغْنَانِي
عَنْهُ بِمَا هُوَ أَدْخَلُ فِي الصَّوَابِ ، وَأَفْحَمُ فِي الْجَوَابِ ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ .
تُوفِّيَ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ شَهَابٍ بَتْرِيمَ فِي سَنَةِ (١٣٣٢ هـ) .

وَمِنْ أَغْنِيَاءِ تَرْيَمٍ وَأَجَوَادِهَا : السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ ، لَهُ فِي
السِّيَاسَةِ أُمُورٌ عَظِيمَةٌ ، وَفِي السَّمَاخَةِ أَخْلَاقٌ كَرِيمَةٌ ، مَذْكُورٌ بَعْضُهَا فِي « الْأَصْلِ » .
فَتَى فَيَصِلِي الْعَزْمَ تَعْلَمُ أَنَّه نَشَأَ رَأْيُهُ بَيْنَ الشُّيُوفِ الصَّوَارِمِ ^(١)
أَسَاءَتْ يَدَاهُ عِشْرَةَ أَلْمَالِ بِالنَّدَى وَأَحْسَتَا جِدًّا خِلَافَةً حَاتِمَ
تُوفِّيَ بِالشَّحْرِ سَنَةَ (١٢٧٤ هـ) .

وَمِنْ أَغْنِيَائِهَا ؛ بَلْ أَغْنَى أَهْلِهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ : السَّيِّدُ الْفَاضِلُ شَيْخُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
الْكَافُ ، كَانَ صَالِحاً مُتَوَاضِعاً ، يُحِبُّ الْعِلْمَ ، لَا يَكَاذُ يَفُوتُهُ شَيْءٌ مِنْ دُرُوسِ شَيْخِنَا
الْمَشْهُورِ ، وَكَانَ يَحْفَظُ « الْإِرْشَادَ » ، وَكَتَبَهُ بِخَطِّ يَدِهِ نَحْوَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً بِالْأَجْرَةِ فِي أَيَّامِ
فَقْرِهِ ، وَلَهُ أَعْتَنَاءٌ بَعْدَ غِنَاهُ بِقِرَاءَةِ « الْإِحْيَاءِ » بِدَارِهِ فِي كُلِّ صَبَاحٍ ، يَحْضُرُهُ ثُلَّةٌ مِنْ
الْمَسَاكِينِ فَيَقْدِمُ لَهُمُ الْفُطُورَ . وَلَهُ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ ، وَمَبْرَأَتٌ جَزِيلَةٌ ، أَوْصَى بِثُلْثِ مَالِهِ لِمَا
كَانَ يَعْتَادُ مِثْلَهُ فِي أَيَّامِهِ مِنَ الْبَرِّ ، وَمَعَ لَيْنِ جَانِبِهِ لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْدِّينِ . . . كَانَ شَدِيدَ الشَّكِيمَةِ
عَلَى الْأُمَرَاءِ وَالْمُعْتَدِينَ ، وَجَرَتْ لَهُ مَعَهُمْ أُمُورٌ مَذْكُورَةٌ بـ « الْأَصْلِ » .
وَلَمَّا أُنْشِدَتْهُ قَوْلِي [مِنَ السَّرِيعِ] :

يَمُوتُ شَيْخُ الْكَافِ فِي مَالِهِ كَمُوتِ بَاحْشَوَانَ فِي فَقْرِهِ ^(٢)

(١) البيتان من الطَّوِيلِ ، وهما لأبي تَمَّامٍ فِي « دِيوانِهِ » (١١٦ / ٢) . فَيَصِلِي : نِسْبَةٌ إِلَى الْفَيْصَلِ وَهُوَ
السَّيْفُ الْقَاطِعُ ؛ أَيِ : عَزَمَهُ قَاطِعُ كَالسَّيْفِ .

(٢) بَاحْشَوَانَ : يَرْمِزُ بِهِ إِلَى عَامَةِ النَّاسِ بِحَضْرَمُوتِ .

.. طَرِبَ لَهُ وَأَسْتَجَادَهُ ، وَكَرَّرَهُ وَأَسْتَعَادَهُ . تَوَفَّى بِتَرِيمِ سَنَةِ (١٣٢٨ هـ) عَنْ جُمْلَةٍ
أَوْلَادٍ ، أَنْجَبَهُمْ : حُسَيْنٌ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ ^(١) ، وَأَبُو بَكْرٍ ^(٢) .

وَقَدْ كَانَ أَبْنُ عَمَّتِهِمْ حَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكَافِ ^(٣) مَعْدُوداً فِي عِلْمَاءِ
تَرِيمٍ وَأَدْبَائِهَا ، لَهُ عَاطِفَةٌ جَمِيلَةٌ ، وَشِعْرٌ عَذْبٌ ، تَهْزُ الْأَرِيحِيَّةُ عَوْدَهُ ، وَيَسْتَمْطُرُ
الْكَلَامُ الْعَذْبُ جُودَهُ .

وَمِنْ خَيْرٍ مَا فِيهِ .. عَظْفُهُ عَلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ، وَأَسْتَصْغَارُهُ نَفْسَهُ بِجَنْبِ مَنْ لَا يُوزَنُ
بِهِ مِنْهُمْ ؛ إِذْ كَانَ وَافِرَ الْحِظِّ مِنَ الْإِنصَافِ ، وَقَدْ خَسِرَ الْعِلْمُ بِتَرِيمٍ وَغَيْرِهَا خَسَارَةً كَبْرَى
بِمَوْتِهِ فِي سَنَةِ (١٣٤٦ هـ) .

وَمِنْ مَتَأَخَّرِي عِلْمَاءِ تَرِيمٍ وَأَدْبَائِهَا : السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَوْضٍ الشَّاطِرِيُّ ^(٤) ،
الْمَتَوَفَّى بِهَا سَنَةَ (١٣٦٠ هـ) ، كَانَ شَهْمًا ذَكِيًّا نَبِيهَا ، لَهُ فَهْمٌ وَقَادٌ وَفِكْرٌ نَقَادٌ وَرِثُهُمَا
عَنْ جَدِّهِ لِأُمِّهِ شَيْخِنَا الْعَلَامَةِ أَبِي شَهَابٍ ، وَكَانَ مَتَفَنِّئًا مَتَوَاضِعًا ، مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ ،
طَيِّبَ السَّرِيرَةِ ، كَثِيرَ الْبَحْثِ ، جَمَّ التَّحْقِيقِ ، غَزِيرَ الْأَطْلَاعِ .

وَلَا بَأْسَ بِإِيرَادِ قَضِيَّةٍ يَشْفَعُ لِحُرُوجِهَا عَنْ سَمْتِ الْمَقْصُودِ دَلَالَتُهَا عَلَى حَالَةِ الْبِلَادِ
فِي الْمُبَاحِثِ الْعِلْمِيَّةِ :

(١) وَلَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْخٍ فِي سَنَافُورَةَ سَنَةِ (١٣٠٤ هـ) ، وَقَدِمَ إِلَى تَرِيمِ سَنَةِ (١٣١٠ هـ) بِصَحْبَةِ
وَالِدِهِ ، وَدَرَسَ فِي (مَعْلَمَةِ بَاغْرِب) ثُمَّ أَخَذَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ عَلَى شَيْخِ تَرِيمٍ فَقَرَأَ عَلَى عَدَدٍ مِنْ
الشُّيُوخِ ، ثُمَّ سَافَرَ سَنَةَ (١٣٢٥ هـ) لِإِدَارَةِ أَعْمَالِ وَالِدِهِ ، تَوَفَّى فِي حُدُودِ سَنَةِ (١٣٧٠ هـ) .

(٢) وَلَدَ بِسَنَافُورَةَ سَنَةِ (١٣٠٥ هـ) ، وَهُوَ أَجَلُ رِجَالِ آلِ شَيْخِ الْكَافِ بِجُهُودِهِ الْإِصْلَاحِيَّةِ الْجَبَّارَةِ فِي
حَضْرَمَوْتِ ، تَرَجَّمَ لَهُ ضِيَاءُ شَهَابٍ فِي « تَعْلِيقَاتِهِ » (٤١٦/٢ - ٤١٨) .

(٣) وَلَدَ السَّيِّدُ الْحَسَنُ بِتَرِيمِ سَنَةِ (١٢٩٧ هـ) ، وَنَشَأَ يَتِيمًا فِي حِجْرِ أَخَوَيْهِ الْحُسَيْنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَعَمَّهُ
شَيْخٌ ، وَنَشَأَ عَلَى حُبِّ الْعِلْمِ وَالْعِلْمَاءِ ، وَشَغَفٍ بِالْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، وَحَفِظَ كَثِيرًا مِنَ الْمَتُونِ . لَهُ
مَصْنُفَاتٌ مُفِيدَةٌ .

(٤) وَلَدَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِ بِتَرِيمِ سَنَةِ (١٣١٢ هـ) ، نَشَأَ بِهَا وَطَلَبَ الْعِلْمَ وَجَدَ فِي الطَّلَبِ ، وَكَانَ أَخَذَهُ
عَنْ شَيْخِ عَصْرِهِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ الشَّاطِرِيِّ الَّذِي أَبْنَاهُ عِنْدَ مَوْتِهِ بِقَوْلِهِ فِي حَقِّهِ : إِنَّهُ شَابٌّ لَا صَبُوءَ
لَهُ . دَرَسَ بِمَدْرَسَةِ جَمْعِيَةِ الْحَقِّ ، وَأَسَّسَ فِي عَامِ (١٣٣٧ هـ) « جَمْعِيَةَ نَشْرِ الْفَضَائِلِ » ، وَكَانَتْ لَهُ
آرَازُهُ الْإِصْلَاحِيَّةُ ، وَلَهُ آثَارٌ عِلْمِيَّةٌ .

فَقَدْ اتَّفَقَ أَنَّ سُئِلْتُ عَنْ رَجُلٍ مَاتَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ ، وَقَدْ أَوْصَى بِوَصَايَا ، وَكَانَتْ أُمُّهُ مِنْ وَرَثَتِهِ ، فَنَذَرْتُ بِنَصْفِ مَا أَنْجَرَ لَهَا بِالْإِرْثِ فِيهِ لآخرَ نَذراً معلقاً بما قَبْلَ مَرَضِ مَوْتِهَا يَوْمَ ، ثُمَّ أَنْفَكْتُ التَّرَكَّةَ مِنْ حَجَرِ الدَّيْنِ وَالْوَصِيَّةِ .

فَأَجَبْتُ بِأَنَّ الْأَشْخَرَ^(١) أَطْلَقَ صَحَّةَ تَعْلِيْقِ النَّذْرِ بِالْمَرْهُونِ عَلَى صِفَةِ تَوْجُدِ بَعْدَ الْأَنْفِكَائِ ، وَهُوَ كَلَامٌ مُطْلَقٌ ، وَقَالَ أَبُو حَجْرٍ فِي « فِتَاوِيهِ » : (وَيَصِحُّ النَّذْرُ بِالْمَرْهُونِ ، لَكِنْ إِنْ عُلِّقَ بِالْفِكَائِ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ ؛ لَتَعْلُقِ حَقَّ الْغَيْرِ بِهِ . نَعَمْ ، إِنْ كَانَ الْمَنْذُورُ الْعَتَقَ . . تَأْتِي فِيهِ تَفْصِيلُ عَتَقِ الْمَرْهُونِ) اهـ

وَفِيهِ تَقْيِيدٌ لِمَا أَطْلَقَهُ الْأَشْخَرُ ، وَعَلَيْهِ فَالنَّذْرُ الْمَذْكُورُ فِي السُّؤَالِ لَا يَصِحُّ إِذَا كَانَتْ التَّرَكَّةُ مَرْهُونَةً رَهْناً شَرْعِيّاً حَالِ صَدُورِهِ ؛ إِذْ لَا تَعْلُقُ فِيهِ بِالْفِكَائِ ، هَذَا مَعْنَى الْجَوَابِ .

وَكَانَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ عَمَرَ الشَّاطِرِيُّ قَدْ أَجَابَ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِصَحَّةِ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يَنْتَقِ شَيْءٌ مِنْ وَصَايَا الْمُوصِي وَقْتَ وَجُودِ الصَّفَةِ ، وَصَادَقَ عَلَيْهِ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ فَضْلُ عَرْفَانَ ، وَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَيْهِمْ جَوَابِي . . شَطَبَ الشَّيْخُ فَضْلُ مَصَادَقَتَهُ ، وَصَمَّمَ الْعَلَامَةُ الشَّاطِرِيُّ وَكَتَبَ نَحْوَ صَفْحَتَيْنِ فِي الرَّدِّ عَلَيَّ ، وَنَقَضَتْهُ بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ .

وَبَعْدَ مَدَّةٍ وَصَلَنِي الْوَجِيهُ السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شَيْخِ الْكَافِ ، وَقَالَ لِي : إِنَّ السَّيِّدَ أَحْمَدَ الشَّاطِرِيَّ يَرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ كِتَابَتَكَ الْأَخِيرَةَ ، وَلَكِنْ يَخْشَى أَنْ لَا تُنْصَفَهُ .

فَقُلْتُ لَهُ : مَعَاذَ اللَّهِ ، وَإِنِّي لَأَتَمَّنِّي أَنْ يَظْهَرَ لِي صَوَابُ مَا يَقُولُ ؛ لِيَقَعَ لِي شَرَفُ الرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ ، وَلَأَسْلَمَ مِنْ تَكْدِيرِ خَاطِرِهِ ؛ لِأَنَّهُ كَمَا قِيلَ لِي : سَرِيعُ الْأَنْفَعَالِ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ ، فَلْيَكْتُبْ مَا شَاءَ ، ثُمَّ إِنْ قَدَرْتُ عَلَى رَدِّهِ بِالنَّصِّ مِنْ لِسَانِ الْقَلَمِ وَالْبَرِيدِ وَاقِفٌ . . فَتِلْكَ أَمَارَةُ الْحَقِّ الْبَرِيِّ مِنَ التَّكْلِيفِ ، وَإِنْ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى نَقْضِهِ . . صَادَقْتُ عَلَيْهِ مَعَ الْبَرِيدِ نَفْسَهُ فِي الْحَيْنِ وَالسَّاعَةِ . وَهَذَا غَايَةُ مَا يُمْكِنُ مِنْ تَفْسِيرِ الْإِنْصَافِ .

(١) هُوَ الْعَلَامَةُ الْفَقِيهَ الْمُحَقِّقُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْأَشْخَرُ الْيَمَنِي ، مَوْلَدُهُ سَنَةَ (٩٤٥ هـ) ، وَوَفَاتَهُ سَنَةَ (٩٩١ هـ) ، مِنْ قَرْيَةِ بَيْتِ الشَّيْخِ بِقَرْبِ الضَّحَى فِي الْيَمَنِ ، تَفَقَّهُ فِي زَيْدٍ . لَهُ مَصْنُفَاتٌ نَافِعَةٌ .

فجاء في كتابته الأخيرة ما نصّه : (وكلُّ ما قالوه ونقلوه لا دليلَ لهم فيه . . فاستدلّوا لهم به غلطٌ واضحٌ ، منشؤه توهمهم أنّ مجردَ التعلّيقِ يُسمّى تصرُّفاً ، والصّوابُ خلافُه) .

فكتبتُ عليه - وحاملُ رسالتهم المخصوصُ لها واقفٌ - ما معناه : لقد أخذَ العلامةُ الشَّاطِريُّ بطرفي الفضلِ ؛ إذ حصرَ نقطةَ الخلافِ المتشترِ ، فلنقفَ عندها ، ثمَّ إنَّ قدرنا على نصٍّ صريحٍ في أنّ التعلّيقَ يُسمّى تصرُّفاً ، وإلّا . . سلّمنا وسقيناه على الظّفر^(١) .

لكنَّ جاءَ في فصلِ استثناءِ الطَّلَاقِ مِنَ « المنهاجِ » معَ بعضِ مزجٍ مِنَ « التَّحْفَةِ » [٦٨/٨] كـ « النِّهَايَةِ » [٤٧٠/٦] : (وكذا يَمْنَعُ التَّعْلِيْقُ بِالْمَشِيئَةِ أَنْعِقَادَ وَقْفٍ وَعَتَقٍ تَنْجِيزاً وتعليقاً ، ويمينٍ ونذرٍ ، وكلُّ تصرُّفٍ غيرَ ما ذكرَ ، مِنْ كُلِّ عَقْدٍ وحلٍّ وإقرارٍ ونِيَّةٍ عبادَةٍ) اهـ

وتعلّيقُ النَّذْرِ عَقْدٌ فهوَ داخلٌ في مسمّى التَّصَرُّفِ ، وقالوا في (الوصِيَّةِ) : (إنَّ التَّلَفُّظَ بِالْوَصِيَّةِ هُوَ التَّصَرُّفُ ، والإِجَازَةُ حَيْثُ اشْتَرَطْتَ مِنَ الْوَارِثِ فَإِنَّمَا هِيَ تَنْفِيْذٌ عَلَى الْمَذْهَبِ) اهـ وكذلك التَّلَفُّظُ بتعلّيقِ النَّذْرِ هُوَ التَّصَرُّفُ .

وفي (الإِقْرَارِ) مِنَ « التَّحْفَةِ » [٣٧٣/٥] و « النِّهَايَةِ » [٨٣/٥] : (لو وهبَ ولدَه عيناً وأقبضَه إياها ثمَّ أقرَّ بها لآخر . . قُبِلَ عَلَى ما في « أَلْيَانِ » ، لكنَّ بِناءَ الْأَذْرُعِيَّ عَلَى ضَعِيفٍ هُوَ أَنَّ الرُّجُوعَ يَحْصُلُ بِمَجْرَدِ التَّصَرُّفِ) اهـ

والشَّاهِدُ : في تسميةِ الإِقْرَارِ تصرُّفاً ؛ فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ تصرُّفاً . . كَانَ تعلّيقُ النَّذْرِ آخَرَى بَأَن يُسَمَّى تصرُّفاً ، عِنْدَ ذَلِكَ أَنْقَطَعَ الْخِصَامُ وَأَنْفَصَلَ التَّرَاعُ .

وجاءَ العلامةُ الشَّاطِريُّ لزيارةِ الطَّبِيبِ بَسِينُونِ فزارني ، وأَضَفْتُهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، وَكَانَ يَوْمًا سَعِيدًا مشهوداً ، تساقينا فِيهِ الشُّرُورَ ، وَتَجَادَبْنَا أَطْرَافَ الْأَنْسِ ، وَتَنَازَعْنَا كَأْسًا لَا لَغْوٍ فِيهَا وَلَا تَأْنِيْمَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ إِلَى تَرْيَمَ ، وَجِئْتُ إِلَى مَازِلَ بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ،

(١) أي : كافأناه على فوزه ونجاحه .

وحضر جماعة من أهل العلم والأدب ، وعندما أنبسطنا وشرعنا في المحاورات والنكات . . لم يرُغنا إلا دخول قاضي تريم لذلك العهد السيد علوي بن عبد الله الجفري بهيئة غير عادية ، وما كاد يضم ثيابه للجلوس . . حتى قال : (يا عم عبد الرحمن . . نطلب منك أن توضح لنا الصواب في المسألة التي اختلفتم فيها أنتم والأخ أحمد الشاطري) فدار بي القضاء ، وأظلم علي المنزل ؛ لأنني وقعت بين أمرين : إما التعرض لمشقة صاحب المنزل ، وهو علي عزيز . وإما توهم الحاضرين الانقطاع ، وهو أمنية الحساد ، وأكثرهم من العلويين .

فلم يكن بُد من شرح الصواب مع بسط العذر للسيد أحمد بعبارة الأشعر التي نقلها عن « الروضة » بما يمنعه كلام « الروض » و « شرحه » ، وهو لا يزيد على حسن الإصغاء ، إما عن إكرام لي ، وإما عن اقتناع بما قررته .

ولما سكوت صنيع القاضي إلى حضرة المكرم الأخ أبي بكر بن شيخ الكاف . . قال : أنا أمرته ؛ لنذكي نار الحرب بينكم ونقف مع النظارة . فقلت له : حسبك الله ، لقد نغصت علينا المجلس .

ثم أطلعت بعد ذلك على عبارات بعضها يؤيد ما قلته ؛ منها : قول ابن حجر في (الرهن) من « حاشية الفتح » : (وإذا لزم الرهن . . امتنع على الراهن بلزومه بيع و هبة) اهـ^(١)

وظاهره : أن عقدها يقع باطلاً وإن لم يتصل به قبض وإن لم تفوت التوثيق ؛ لأن التلقظ بالهبة سبب للقبض الممتنع اتفاقاً ، فليكن هو ممتنع أيضاً .

ومنها قوله في « الفتاوى الكبرى » : (أن وقت الإلزام والالتزام . . هو وقت التلفظ بالنذر) . ومنه قوله في « التحفة » : (أن لزوم النذر يوم النذر) .

ومنها قوله فيها [١٤٥/٨] قبيل (الرجعة) : (لأن العبرة بوقت التعليق لا بوقت وجود الصفة على المعتمد) اهـ

ومنها أن العلامة السيد عبد الرحمن بن محمد العيدروس من رسالة له ما نصه :

(١) « فتح الجواد » (١ / ٤٥٤-٤٥٥) .

(وذلك أن التعليق عندنا تصرف ناجز الآن ، وأثره يقع عند وجود الصفة) اهـ
 ووجدتُ عبارة قد توافقه ؛ وهي قولُ الرَّمْلِيِّ أثناءَ (الطَّلَاقِ) : (ليسَ لَهُ تعيينُ
 الطَّلَاقِ في أَلَّتِي بانَتْ مِنْهُ قَبْلَ وجودِ الصِّفَةِ ؛ تفريعاً على أَنَّ الاعتبارَ بحالَةِ الصِّفَةِ
 لا بحالَةِ وجودِ التَّعليقِ) اهـ

إِلَّا أَنَّهُ لا تصریح في هذه بِاعتمادِ الفرعِ عليه مع إمكانِ الفرقِ بينَ هذه ومسألَتنا .
 فلا يصحُّ قياسُها عليها مع وجودِ الفارقِ .

مع أَنَّهُ لو وُفِّقَ للاعتمادِ عليها . لتركَّ لَهُ حالُهُ ؛ لِمَا أَحَدَثْتُ عِنْدِي مِنَ الشَّكِّ ،
 مع أَنَّ العَلَامَةَ أَبْنَ حَجَرَ مخالَفٌ للرَّمْلِيِّ في هذه ، فقد جاءَ في « الفتاوى الكبریٰ » :
 (فيمن علقَ بالطَّلَاقِ وَحِثَ ، وله زوجتانِ ماتت إحداهما : أَنَّ البلقينِ بحثُ أَنَّ العِبرةَ
 بحالَةِ التَّعليقِ ، فَلَهُ تعيينُ المِيتَةِ ، لكنِ اعترضَ بَأَنَّ الَّذِي يظهرُ خلافُهُ ؛ نظراً لحالَةِ
 الوقوعِ . وَالأوَّلُ أوجهٌ) اهـ

وذكرَها الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بَارِزَةً في « اختصاره للفتاوى » المذكورة ، ولم يذكرَ لَهُ
 مخالفاً مع التزامِهِ بذكرِ المخالفينَ ، إِلَّا أَنَّ يَفْرُقَ بَيْنَ البائِنَةِ بِاختيارِهِ وبدونِهِ . واللهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ إِنَّ في قولِ السَّيِّدِ أَحْمَدَ الشَّاطِرِيِّ : (إِذَا لَمْ يَنْقُ شَيْءٌ مِنْ وَصَايَا أَبْنِ
 الْمَرْأَةِ . . .) بحثاً ؛ لِأَنَّ العَلَامَةَ أَبْنَ حَجَرَ في « تحفته » [١١١/٥] عباراتٍ متناقضةً في
 الموضوعِ ، ففي حجرِ التَّرَكَةِ بِالَّذِينَ يَقُولُ : (وَكَالَّذِينَ الْوَصِيَّةُ الْمَطْلُوقَةُ ، فيمتنعُ
 التَّصَرُّفُ في قدرِ الثُّلُثِ ، كذا قيلَ ، والقياسُ : أمتناعُ التَّصَرُّفِ في الكلِّ) اهـ
 وقالَ في (الإقرارِ) [٣٨٧/٥] : (لَأَنَّهُا - يعني الوَصِيَّةُ - إِنَّمَا تَعْلَقُ بِالثُّلُثِ) .

وقالَ أَوَّلَ (الفرائضِ) [٣٨٥/٦] : (فَالْوَصِيَّةُ بَعْدَ الْقَبُولِ مانعةٌ مِنَ التَّصَرُّفِ في
 العينِ الموصى بها ، وفي ثلثِ غيرِ الْمُعَيَّنِ شائِعاً) اهـ

ومن متأخري علماء تريم : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْخَطِيبُ^(١) ، توفِّيَ
 سَنَةَ (١٣٣١ هـ) ، كَانَ مِنْ كِبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

(١) مولده بتريم ، ويدعى هو وأولاده بآل البكري نسبة لجده أبي بكر . الفقيه التريمي . ترجم له في
 « إتحاف المستفيد » (٢١٨-٢٢٩) .

وَمِنْهُمْ : ابْنُهُ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَحْمَدَ^(١) ، كَانَ فَقِيهًا مُحَقِّقًا مُشَارِكًا فِي غَيْرِهِ ، وَلَهُ فُتَاوَى - جَمَعَهَا السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ حَفِيزٍ - نَافِعَةٌ ، تُوَفِّيَ أَوَّلَ سَنَةِ (١٣٥٦هـ) .

وَمِنْهُمْ : الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَطِيبُ ، كَانَ فَقِيهًا جَلِيلًا تَقِيًّا صُوفِيًّا ، لَهُ تَعَلُّقٌ كَثِيرٌ بِوَالِدِيهِ وَسَيِّدِي الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ ، وَلَا أَدْرُكُ وَقْتَ وَفَاتِهِ ، غَيْرَ أَنَّهَا بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ وَالثَّلَاثِ مِثَّةً .

وَمِنْهُمْ : قَاضِي تَرْيَمِ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ بِافْضَلٍ^(٢) ، كَانَ وَرَعًا نَزِيهًا عَابِدًا ، تُوَفِّيَ بِتَرْيَمِ سَنَةِ (١٣٢٤هـ) .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ فَضْلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِافْضَلٍ^(٣) ، كَانَ مُضْرَبَ الْمَثَلِ فِي الْوَرَعِ^(٤) ، تُوَفِّيَ سَنَةِ (١٣٠٨هـ) .

وَمِنْهُمْ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ قُعَيْطِبَانَ^(٥) ، كَانَ مُحْبُوبًا وَمُعْتَقَدًا ، تُوَفِّيَ سَنَةِ (١٣١٦هـ) .

(١) ولد بتريم سنة (١٢٨٦هـ) ، وطلب العلم صغيراً وجد واجتهد ، وأخذ عن معظم شيوخ عصره ، وله « إجازة » أشبه بثبت أجاز بها العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد ، وقد أرفقها السيد سالم بن حفيظ مع « الفتاوى النافعة » ، وجعلها في أولها مستيعضاً بها عن ترجمة الشيخ أبي بكر ؛ لكفايتها وقيامها بذلك المقام ، حج وأدرك السيد أحمد دحلان .

(٢) ترجم له السيد محمد بن حسن عيديد في « إتحاف المستفيد » (٢٣٤-٢٤٠) ، وقال عنه : « وكان صاحب الترجمة شيخاً فاضلاً محباً لأهل البيت النبوي ، معروفاً بالسر والصدق والأمانة بين الناس ، ولم يزل متحلياً بتلك الأوصاف الحميدة والخصال الفريدة ، حتى توفاه الله يوم الجمعة (١١) رجب الحرام سنة (١٣٢٤هـ) » اهـ .

(٣) وهو المعروف بلقب : فضل الطبيب ، ترجمته في « صلة الأهل » (٢٨٧-٢٩٢) ، و« إتحاف المستفيد » (٢٤٢) ، وهو من ذرية الشيخ عبد الله بلحاج صاحب المختصرات .

(٤) من أخبار ورعه بل من كراماته أنه يميز بين الحلال والحرام بانتفاض عرق في يده مع أنه بصير لا يرى ، وفي « صلة الأهل » جملة من أخباره . وكان يلقب بالطبيب لأنه كان يعرف مرض الشخص بالجنس بيده ويصف له العلاج الناجح ، واشتهر عنه هذا . . أخذ عن كثير من شيوخ عصره ، حج (٣٤) حجة لقي فيها عدداً من الأكابر ، أخذ عنه جمع ، منهم : السيد محمد بن سالم السري ، والسيد سالم بن حفيظ ، والسيد محمد حسن عيديد ، وترجموا له في « أئبتانهم » .

(٥) قُعَيْطِبَان : بالتصغير ، وهو من آل باجرش سكان تريم ، وباجرش ينطقه التريميون بضم الجيم بينما أهل =

ومنهم : الشيخ فضل بن عبد الله عزفان بارجاء^(١) ، إليه انتهى الفقه اليوم تريم ، وله مشاركة في غيره ، وهو من أخص تلاميذ شيخنا الأستاذ الأبر ، وله فيه مدائح جميلة ، وكان كثير الرجوع إلى الحق عندما يتبين له ، فلا يتعصب على رأيه إلا بمؤثر من غيره ، وجرت بيننا وبينه مناقضات ؛ منها :

مسألة جرت بين السادة آل جنيّد أصرّ فيها على رأيه ، حتّى لقد قلت له في آخر رسالة كانت مقطع الكلام وفصل التّراع : (وظني بالشيخ إدراك الصّواب فيما قرّرتُه ؛ لأنّه أجلّ في نظري من أن يخفى عليه ، غير أنّه يكتب فيما أحسب تحت محاباة أو ضغط ممّن يكره الحقّ ، ولاسيّما إذا جاءه على يدي ، ويأبى الله - بركة المشايخ الأبرار ودعائهم والأخذ عنهم - إلا أن ييحيني عرائسه ، ويُسّر لي نفائسه ، ويلبسني فروته ، ويحلني ذروته ، ويقرّع لي مروتَه :

وفي تعب من يجحد الشمس ضوءها ويجهّد أن يأتي لها بضريب^(٢)

وإنّي لعلّ ما درجت عليه من احترام الشيخ ومحبّته ، وكيف لا ؟ وقد وردنا معاً على المنهل العذب ، وأستقينا جميعاً من العين الصّافية ، وربطنا به جامعة الأخذ عن عدّ العلم الخسيف ، وجبل المجد المنيف ، وزينة الزّمان الآخر ، وقرة عين المكارم والمفاخر... إلخ) .

وفي هذه الأيام يتألّق عارضُ التّراع بينه وبين آل تريم ، في قضية حاصلها : أنّ رجلاً من آل بافضل له ابنٌ وبنتٌ من امرأةٍ من آل باحرمي ، قيل إنّهُ أضاعهما في أيّام الأزيمة حتّى مات الابنُ جوعاً ، ثمّ أشبلت الأمُّ على البنتِ وفدّتها بروحها إلى أن أدركت ، فخطبها رجلٌ مكفّي من آل عزفان ، فمَنع حتّى أراضه بسبعين ربيّة فقيل ، ثمّ

= شبام يفتحونها . والشيخ المترجم كان صالحاً محبوباً لدى علماء تريم ، مولده ووفاته بها ، ومن استجاز منه : السيد محمد بن حسن عديد ، والسيد سالم بن حفيظ ، وكلاهما ترجم له في « ثبته » .

(١) مولده بتريم سنة (١٢٩١هـ) ، وبها وفاته ، له أبحاث وفتاوى قيمة آلت إلى أبنائه ، ثم بيعت مع مكتبته وآلت بالشراء للقاضي العلامة عبد الرحيم بن مسعود بارجاء بسيتون .

(٢) البيت من الطويل ، وهو لأبي الطيّب المتنبّي في « العكبري » (٥٦/١) .

أغراه أصحابه فرجع عن القبول ، وعقد لها بفقر عناداً ، فأدعت البنت أن بينها وبينه رضاءاً محرماً .

فأفتى الشيخ فضل بإبطال العقد ، وصادفت على جوابه ؛ لاتفاق ابن حجر والرملي وغيرهما من المتأخرين على أن إقرار المرأة بالرضاع يمنع النكاح إذا كان قبله ، وإذا كان بعده من دون إذنها في المعقود له ، وقبل الدخول يجعلها المصدقة فيه بيمينها .

وهذا مما لا ينبغي الاختلاف بعده ؛ لأنه النص الملجم ، لكن الدراهم كانت في الجانب الآخر ، وهي التي عليها يدور التنفيذ ، لا النصوص ! على أن مقابل الأصح في قول « المنهاج » [٢٩٩/٢] : (ولو عيّنت كفواً وأراد الأب غيره فله ذلك) هو الأحرى بالاعتماد ، ولذا اختاره الشبكي ، وهو الموافق للأحاديث الصحيحة الثابتة ، ولقواعد الشريعة .

وفي « مجموع » الجدي علي بن عمر عن أحمد مؤذن : (ومن قواعد الترجيح : أن القول المرجوح في المذهب يتأيد بمن قال به من الأئمة الأربعة ، وهذا من الغوامض التي قل أن توجد عند أبناء العصر بعد أن كانت عند مشايخنا من الواضحات) اهـ

وقرر العلامة الشيخ محمد بن عبد الله بأسودان أن المرجوح يرجح بالمرجح الخارجي ؛ كالفسخ ؛ لتضرر المرأة . ونقله عن « العقد الفريد » للسهمودي^(١) .

وقد ألف العلامة ابن زياد رسالة في وجوب مراعاة المصلحة على الولي في النكاح^(٢) .

وفي (الوصية) من « الثحفة » [٣٨-٣٧/٧] و« النهاية » [٦٦/٦] أنه : (يجب على الولي قبول الوصية فوراً بحسب المصلحة ، فإن امتنع مما اقتضته المصلحة عناداً . . أنعزل) اهـ

وأطلت القول بما يدفع كل شبهة ، ثم رأيت ما ذكره العلامة ابن القيم عن ذلك في « زاد المعاد » . . فإذا فيه كثير مما ذكرته في جوابي قبل أن أطلع عليه ، فكان فرحي

(١) هو « العقد الفريد في أحكام التقليد » .

(٢) واسمها : « إيضاح النصوص المفصحة ببيان تزويج الولي الواقع على غير الحظ والمصلحة » .

بذلك أشدَّ كثيراً من فرح ابن ميادة إذ توارَدَ مع الحطيئة في قوله [من الطويل] :

مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ تَهَلَّلَ وَاهْتَزَّ اهْتَزَّازَ الْمُمَهَّنِدِ^(١)

وبما تفرَّزَ مع قول الشافعي : (إذا صحَّ الحديث . . فهو مذهبي) يتحقَّقُ المنصفُ أنَّ مقابل الأصحَّ هو الأصحُّ ، ولا سيَّما في هذه القضية ؛ لما مرَّ بك من المرجَّحات الخارجيّة إن لم تنته إلى دفع بافضل عن الولاية رأساً .

أمَّا إذا كان الأمرُ كما في السُّؤال . . فلا شكَّ أنَّه ساقطٌ عن الولاية ، وإنَّما كان كلامي مبنياً على بقاءه بصفته ، وبكلام ابن القيم أزداد قلبي طمأنينةً ، وصدري أنشراحاً ، وما أظنُّ مؤمناً يطلُّ عليه ثمَّ يُدخله شكٌّ بعدُ فيما أستوضحته .

وقد بلغني أنَّ القُطْبَ الحَدَّادَ - والله أعلم - كان لا يزوج أبكار بناته البالغات إلا بعد الاستئذان ، ويتأكَّد ذلك بما عرف من حاله أنَّه لا يفارق « الزَّاد » حضراً ولا سفيراً ، وكذلك كان أستاذي الأبرَّ رضوان الله عليهم .

وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةٌ أَرَشُدِ^(٢)
على أنَّ الغيَّ عن أولئك بعيدٌ ، وإنَّما ذكرناه للتأكيد ، على حدِّ قوله : ﴿ وَلَئِنَّا أَوْ
لِيَاكُم لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

ولو أردتُ الاستقصاء وأن أذكرَ مثلَ أولاد سيدي عيدروس بن علوي^(٣) الثلاثة :
مُحَمَّدٍ ، وعمر^(٤) ، وعبد الله^(٥) ، الدَّاخِلِينَ تحت قول حبيب [في «ديوانه» ١٤٤/٢ من الكامل] :

(١) روى صاحب «الإيضاح في علوم البلاغة» (٣٨٠) : (أنشد ابن ميادة لنفسه : «مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ إِذَا مَا أَتَيْتَهُ . . . البيت ، فقل له : أين يُذهب بك؟ هذا للحطيئة ، فقال : الآن علمت أنَّي شاعر ؛ إذ وافقته على قوله ولم أسمع » .

(٢) البيت من الطويل ، وهو للريد بن الصَّمة ، كما في «ديوان الحماسة» (٣٣٧/١) .

(٣) هو السيد الشريف عيدروس بن علوي بن عبد الله بن علوي ، مولده بتريم سنة (١٢٥٠هـ) ، ووفاته بها في (٢٧) رجب (١٣٢٠هـ) . ترجمته في : «إتحاف المستفيد» .

(٤) السيد عمر بن عيدروس ، مولده بتريم سنة (١٢٨١هـ) ، ووفاته بها في (٢١) ذي الحجة سنة (١٣٢٨هـ) ، كان فاضلاً ذا هبة وكلمة نافذة ، حافظاً لكتاب الله ، يصدع بالحق ، آمراً بالمعروف ناهٍ عن المنكر . مترجم في «الإتحاف» (٣٩٣٨) ، «تعليقات» ضياء شهاب (١٢٠/١) .

(٥) ولد الحبيب عبد الله بتريم سنة (١٢٨٤هـ) ، وبها توفي يوم السبت (٥) محرم سنة (١٣٤٧هـ) ، =

بِثَلَاثَةِ كَثَلَاةِ الرِّاحِ اسْتَوَى لَكَ لَوْنُهَا وَمَذَاقُهَا وَشَمِيمُهَا^(١)
وَبِثَلَاثَةِ الشَّجَرِ الْجَنِيِّ تَكَافَأَتْ أَفْنَانُهَا وَثَمَارُهَا وَأُرُومُهَا^(٢)
وَبِثَلَاثَةِ الدَّلْوِ اسْتَجِيدَ لِمَاتِحِ أَغْوَادُهَا وَرِشَاؤُهَا وَأَدِيمُهَا^(٣)

وَالشَّابُّ النَّاشِءُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ أَحْمَدَ الْعِيدَرُوسِ^(٤)
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣١٦هـ) ، وَالْفَاضِلُ الْعَلَّامَةُ الصُّوفِيُّ عَبْدُ الْبَارِيِّ بْنِ شَيْخِ
الْعِيدَرُوسِ^(٥) الْمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٥٨هـ) ، وَمَنْ عَلَى غَرَارِهِمْ مِنَ السَّابِقِينَ
وَاللَّاحِقِينَ ، لَوْ أَرَدْتُ ذَلِكَ . . لِزَادَ السَّيْلُ ، وَطَفَحَ الْكَيْلُ .

وَقَدْ أَخْرَجَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْجَنِيدُ بِسَنَدِهِ إِلَى الْقُطْبِ الْحَدَّادِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : (وَدِدْتُ لَوْ
أَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةَ تَفَرَّقُوا بِنَوَاحِي تَرْيَمَ ؛ لِيَعِمَّ بِهِمُ الْخَيْرُ وَيَكْثُرَ بِهِمْ دَفْعُ الشَّرِّ) ،
وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا كُلُّهُمْ جِيرَانًا بِالنُّوَيْدِرَةِ ، وَهُمْ : مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ
بَاهَارُونَ^(٦) ، وَالْجَنِيدُ بْنُ عَلِيٍّ بَاهَارُونَ^(٧) ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ مَشْهُورِ بْنِ شَهَابِ

= ترجمته في : « إتحاف المستفيد » (٣٩) ، و« لوامع النور » (٢٦/٢) ، وغيرها .

(١) بثلاثة : بممدوحين ثلاثة .

(٢) الأروم : الأصول .

(٣) الماتح : الذي يخرج الماء من البئر . وريشائها : حبليها . أديمها : جلدتها .

(٤) هو السيد الشريف عبد الله بن زين العابدين بن أحمد بن الحسين بن مصطفى بن شيخ ، وجده الحسين
أخو الإمام عبد الرحمن صاحب مصر . كان المترجم سيداً شريفاً فاضلاً عفيفاً ، له جاه وحشمة ،
توفي بتريم في (٢٨) جمادى الأولى سنة (١٣١٦هـ) .

(٥) السيد الشريف الحبيب عبد الباري بن شيخ بن عيدرُوس بن محمد بن عيدرُوس بن شيخ بن محمد
المصطفى بن زين العابدين . . إلخ ، يجتمع مع ابن مصطفى في جده شيخ . ولد المترجم بتريم سنة
(١٢٩٠هـ) ، وتوفي بها في (١٥) محرم (١٣٥٨هـ) ، وجمع تلميذه السيد محمد بن سقاف بن
زين بن محسن الهادي مجموعاً سماه : « بهجة النفوس » اشتمل على نبذة من مواعظه وترجمته ،
وجمع حفيده سيدي يحيى جزءاً في ترجمته . انظر : « إتحاف المستفيد » (٦٠) ، و« تعليقات »
السيد ضياء (١١٠/١) ، و« الخبايا في الزوايا » (٦٠-٦١) .

(٦) الملقب : الصويلح ، كان معاصراً للإمام الحداد ، لا يعلم تاريخ وفاته ، وهو غير السيد محمد بن
عبد الله الصويلح بَاهَارُونَ صاحب « مسجد بَاهَارُونَ » بنويدة تريم .

(٧) من السادة الأفاضل الأخيار الصالحين ، مولده ووفاته بروغة سنة (١١١٧هـ) ، وقبر بتريم .

الَّذِينَ^(١) ، وعمرُ بنُ علويٍّ عبيدٌ ، وكانوا يُصلُّونَ العصرَ في باعلوي ، ولمَّا عجزوا.. صلُّوها في المسجدِ الَّذي بناه الحَدَّادُ بالثويدرة ، فسَمَّاهُ « مسجدُ الأَوابين » ؛ لأنَّهم يُصلُّونَ فيه .

وفي تريم كثيرٌ مِنَ المدارس :

منها : مدرسةُ أَبِي مُرَيْمَ^(٢) ، وهو السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْفقيهِ الْمُقدِّمِ ، الَّذي يقولُ فِيهِ السَّقَّافُ : (لَوْ وَقَعَ أَجْتِهَادُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَرَ فِي الْعِبَادَةِ عَلَى جَبَلٍ .. لَدَكَّهُ)^(٣) ، توفِّيَ سَنَةَ (٨٢٢ هـ) بَعْدَ أَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ عَلَى يَدَيْهِ ثَمَانِ مِئَةٍ^(٤) شَخْصٍ ، كُلُّهُمْ يقرأُ عَلَيْهِ بَعْدَ الْقُرْآنِ رِيعَ « التَّنْبِيهِ » .

وأقدمُ مدرسةٍ في تريم - فيما إِيْخَالُ - هِيَ مدرسةُ الشَّيْخِ سَالِمِ بَافْضِلٍ ، أَلْوَاقِعَةُ بِحِذَاءِ مَسْجِدِهِ^(٥) ، بِجَوَارِ دَارِ السَّيِّدِ بوبكر خرد^(٦) ، أَلْمُتَوَفَّى بِتَرِيمِ سَنَةَ (١٣١٢ هـ) .

ومِنْهَا : مدرسةُ الشَّيْخِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَاجِّ^(٧) ، وَهِيَ أَلْوَاقِعَةُ فِي غَرْبِي الْجَبَانَةِ ، تَسْمَى الْيَوْمَ بِـ « مَسْجِدِ شُكْرَةٍ » .

ومِنْهَا : مدرسةُ بَاغْرِبِ^(٨) ؛ مِنْ أَكَابِرِ الْمُعَلِّمِينَ بِهَا : الشَّيْخُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

(١) أول من لقب بالمشهور من السادة آل شهاب الدين ، وإليه ينسب آل المشهور قاطبة ، أحد الأوابين ، توفي بتريم آخر سنة (١١٣٠ هـ) ، وهو حفيد الشيخ شهاب الدين الأصغر .

(٢) وكانت تعرف بعلامة أبي مرَّيم ، ينظر ما كتبه عنها السيد عمر الكاف في « الخبايا » (١٨٣-١٧٢) .

(٣) « المشرع » (٣٢/٢) .

(٤) في « المشرع » : (ثلاث مئة) .

(٥) وهي في حارة الخليف في الجهة الغربية الجنوبية ، ويعرف المسجد اليوم باسم : « مسجد الدويِّلة » بالتصغير ، نسبة للشيخ محمد الدويِّلة بافضل الذي أخربه وعمره من جديد .

(٦) هو السيد أبو بكر بن عبد الله (ت ١٢٤٤ هـ) بن علي .. خرد ، ولد بتريم سنة (١٢٣٦ هـ) ، وتوفي بها سلخ ذي الحجة سنة (١٣١٢ هـ) ، كان عالماً عاملاً ذكياً نبهاً أمراً بالمعروف ، وكانت تعتريه حلة .

(٧) هو ابن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن مؤلف المختصرات ، توفي سنة (٩٧٩ هـ) ، ترجمته في « صلة الأهل » (١٧٤-٢٠٥) ، ولم تذكر هذه المدرسة في « خبايا الزوايا » .

(٨) تنسب هذه المدرسة أو المعلمة للشيخ الكبير عبد الله بن أبي بكر العيدروس (ت ٨٦٥ هـ) ، =

باغريب ، المتوفى سنة (١٢٠٧هـ) ، أطنب في مدحه الحبيب علوي بن أحمد بن حسن الحداد في كتابه « المواهب والمنى » ، وقال : إنه تعلم لديه من السادة أكثر من الألف ؛ منهم أوالد أحمد ، وألم حامد بن عمر ، ومن في طبقتهم وأولادهم وأولاد أولادهم فقد تعلم عنده بعد والده ثلاث طبقات من أهل تريم غير السادة الألف .
ومن أواخر من علم بها الشيخ الصالح عمر بن سعيد بن أبي بكر باغريب^(١) ، توفي بتريم سنة (١٣٤٧هـ) .

ومنها : مدرسة آل باجمعان ، من « المشرع » [٦٦ / ٢] : (ولما بنى السيد محمد بن عمر بافقيه المتوفى بحيدر آباد مدرسته التي بتريم . . فوَضَ تدريسها إلى العلامة الشيخ أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب ، المتوفى بتريم سنة (١٠٦١هـ) ، فدرس بها احتساباً ألياً ، ثم ترك ذلك) .

وقد جاء في « النور المزهري » : (أن السيدين أبا بكر وعلوي^(٢) ابن علوي الكاف ماتا بفليمان ، وأوصيا بمالهما المقدّر بستين ألف ريال بحضرموت للأرحام والمساجد والمدارس) اهـ

وهذا الجمع يدل على كثرتها .

وفُتحت في الأخير مدرسة على نفقة خيرات المرحوم شيخ بن عبد الرحمن الكاف^(٣) ، إلا أنهم لم يبنوا لها منها مكاناً ، وقد تخرج منها جماعة^(٤) ؛ أنجبهم :

= واشتهرت بنسبتها إلى آل باغريب لكونهم لازموا التدريس بها منذ زمن بعيد .

(١) مولده بتريم ، وبها وفاته في التاريخ المذكور ، وأخذ عنه جماعات ، منهم : السيد سالم بن حفيظ ، والسيد محمد بن حسن عديد ، وترجماه في « ثبتهما » .

(٢) هو السيد علوي الملقب يسرين ، لقّب باسم سفينة شراعية له سماها بهذا الاسم . . فأضيف إليها ، توفي سنة (١٣١٢هـ) بفليمان بجاة ، وكان بها مولده . أما أبو بكر المذكور هنا . . فهو ابن السيد علوي يسرين ، توفي أيضاً بفليمان .

(٣) كان افتتاح مدرسة الكاف سنة (١٣٥٢هـ) ، وكانت مدرسة خاصة بأولاد آل شيخ الكاف ، وبني عمومهم ، ثم أدرجت في مدرسة جمعية الأخوة والمعونة ، وأطلق اسم الكاف على مدرسة جمعية الحق ، وكان من المدرسين بها السيد عمر الكاف ، والسيد محمد بن حفيظ .

(٤) الذين سيذكرهم المؤلف هنا . . ليسوا من خريجي مدرسة الكاف ، إنما هم خريجو مدرسة جمعية =

الشيخ سالم سعيد بكير^(١) ، وأمبارك عمر باخريش ، فيها أنفتحت أذهانهم ، وإن كانا إنما توسعا في الفقه بعد انفصالهم عنها ، وأصلهما من الحرائين ، ثم تشرفوا بالعلم والذكاء والفهم ، إلى تواضع ونسك ، إلا أنه مشوب بشيء من التّعصب ، فتراهم لا يرجعون عن رأي ، ولا يدعون لحجة .

ومحمد بن أحمد بن عمر الشاطري^(٢) ، ذكي نبه ، وشاعر فقيه .

ومن اللطائف : أن ناظرها السيد عبد الولي بن طاهر أراد أن يضحك من السيد أحمد بن حسين بن عبد الرحمن بن سهل ، فاستدعاه وهو ماراً بالطريق ، وقال له : تكلم على الطلبة .

فقال لهم : (لا أزيدكم على كلمة ، لقد دامت شوارع تريم ملأى بمراكب المدعوين لعذيرة ختاني ثمانية أيام ، ثم إن غداً اليوم رطلان من التمر المنزوع النوى من السوق - وهي هذه - فلا يمكن لأحد أن يغتر بالذنيا ويسكن إليها ، وأسلام) .

= الحق ، وإنما اشتبه الأمر عليه ؛ لأن جمعية الحق التي أسست سنة (١٣٣٤ هـ) قلب اسمها إلى مدرسة الكاف بعد سنة (١٣٥٢ هـ) لأسباب عدة . وهذا الأمر حدث بعد تخرج هؤلاء الأعلام منها بزمان . فليعلم .

(١) ولد المفتي العلامة الفقيه الشيخ سالم سعيد بكير - مصغراً مشدداً - باغيثان بتريم سنة (١٣٢٣ هـ) ، والتحق في صغره بمدرسة جمعية الحق ، وتخرج بالعلامة أحمد بن عمر الشاطري ، والعلامة حامد السري ، والشيخ حسن عرفان .

آلت إليه مقاليد الإفتاء سنة (١٣٥٦ هـ) عقب وفاة الشيخ أبي بكر الخطيب - آنف الذكر - ولم يزل على العمل الصالح متجراً في المتجر الرابع حتى دعاه داعي المنون في (١٢) جمادى الثانية سنة (١٣٨٦ هـ) .

(٢) العلامة الأوحى ، والجهيد العبقرى المسدد ، مؤسس جمعية الأخوة والمعونة ، ومفتي الدولة الكثيرة ، والقاضي بالمجلس العالي بالمكلا ، والمفتش في المحاكم الشرعية ، ورئيس بلدية تريم ، ثم المشرف الاجتماعي بمدارس الفلاح الثانوية بجدة . صاحب المؤلفات الرائقة ، والمجالس الزهية الشاققة . كان مولده بتريم يوم الإثنين (٢٨) جمادى الثانية سنة (١٣٣١ هـ) ، وحياته حافلة بجلال الأعمال التي يضيق عنها نطاق هذه الأسطر ، ومن أراد المزيد . فعليه بمقدمة « شرح الياقوت » . هاجر المترجم إلى السعودية سنة (١٣٩٣ هـ) ونال الجنسية السعودية ، ولم يزل بها حتى دعاه داعي المنون فلبى نداء ربه صائماً عشية السبت (٣) رمضان المعظم من عام (١٤٢٢ هـ) .

وفي تريم أودية وشعاب مُشرقة بالأنوار ؛ لأنها كانت متجهدة عباد الله الأخيار ،
حتى إن من أهل تريم من وقفته العبادة إلى حد أن صبيانهم يسألون أمهاتهم عنهم ،
فيقلن لهم : أخذتهم الجبال بالليل للتهجد ، والمساجد بالنهار للاعتكاف والعلم
والعبادة ؛ منهم - كما في (ص ١٧٥) من « شرح العينية » ، والحكاية (١٧٤) من
« الجوهر » - : السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ عَلَوِيِّ بْنِ الْفَقِيهِ الْمَقْدَمِ ، المتوفى سنة (٦٧٥ هـ) ، فيه
يتأكد قول المغربي : إنهم بالملائكة أشبه .

من تلك الأودية : النعير^(١) - كزبير - السابق ذكره في ثناء السَّيِّدِ حَسَنِ بْنِ شَهَابٍ
على وحيد حضر موت السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ شَهَابٍ .

ومنها : خيله^(٢) ، وسبب تسميته بذلك - كما سمعت من أفواه المُعَمَّرِينَ - : أنها
لمَّا ظهرت نواصي خيل الصحابة . قالت امرأة : خيله . قالت الأخرى : خيلتين .
وقالت الثالثة : أربع مئة ما يعتدين . وأهل تريم إلى اليوم يَغْضَبُونَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ ،
وَالْغَوَاءُ تَعِيرُهُمْ بِهِ .

وما فيه من عار ، ولكن يأتي فيه ما تمثّل به ابن الزبير لمّا عُيِّرَ بأنه ابن ذات النطاق
وهو :

وَعَيَّرَنِي الْوَأَشُونَ أَنِّي أَحِبُّهَا وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ عَارُهَا
وتمثّل بعجزه الإمام الغالب أيضاً في إحدى رسائله .

وفي حدود سنة (١٣٣٢ هـ) ألّف في تريم (جمعيّة الحق) ، وطلبت من

(١) يقع شعب النعير إلى الجهة النجدية من شعب خيله ، ويميّز من قبل البغض إلى شعبين ، فيقال : شعب
النعير الصغير والكبير . تبعّد فيه كثير من الصالحين ؛ منهم : الشيخ الكبير عبد الرحمن السقاف ،
والشيخ عبد الله العيدروس ، وابنه العدني ، والشيخ عبد الرحمن بن علي . . وغيرهم من السادة
والمشايخ . ويمر ماء هذا الشعب من حافة النويدرة إلى ساقية حامد إلى نُخْر الحاوي إلى مسيلة عديم .
« بغية من تمنى » (ص ٢٦) .

(٢) شعب خيله : شعب مبارك ، وكان سيدنا الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ، وحفيده الإمام عبد الله
باعلوي ممن يتعبد فيه . ينفذ ماؤه ما بين البيوت ويمر تحت مسجد الشيخ علي إلى ساقية حامد إلى
نُخْر الحاوي إلى مسيلة عديم . « بغية من تمنى » (٢٥-٢٦) .

السلطان المحسن أن يوليها مائة البلاد ، ففعل وأمل الناس من ذلك خيراً ، فأنعكس الظن ، وتضاعفت المكوس ، وكانت على قلتها تؤخذ بأحترام وتواضع . . فصارت على كثرتها تؤخذ بتجبر وإهانة ، ولم تزل والاستبداد روحها ، والمستشارون لا يزدون على الموافقة ، والمعارضة تكاد تكون بينهم من المستحيلات ، ولذا فإن رئيسها لا يتبدل إلا فترات قليلة لتحليل الشرط .

وظهرت بعد ذلك (جمعية الأخوة والمعونة) ، وبدأت بنشر التعليم في البوادي ، ثم ظهرت الأغراض وشهوات الاستعلاء ، ومحبة النهي والأمر ، فكانت كسابقتها^(١) .

ومن أعمالها : أنها اتهمت نظار أوقاف المساجد بتريم فأنزعتهما منهم بمبرر وبدون مبرر ، ولكن كان الإصلاح أنزر ، والإنفاق أغزر ، فبعد أن كانت مغلاّت أكثر المساجد تزيد من نفقاتها . . صارت تنقص ، مع التّقصير في العمارة ، بل قيل : إن الذين أرتكب بعض المساجد فوق ذلك .

وقد جاء في (ص ٢٥٤ ج ١) من « المشرع » : (أن من خواص تريم طيب عيشها ، خصوصاً لأهلها الذين لا تعلق لهم بالدول) اهـ^(٢)

وذلك مجرب ، أمّا الذين يتعلقون بها لتكون لهم الكبرياء في الأرض . . فلا يزدون على أن ينشبوا أنفسهم في المتاعب ، وينشبوا غيرهم في المصاعب .

ومن البلاء الذي لا يعدله بلاء : أن مقررات الإقليم كله من ساحله إلى أقصاه ، سواء كانت من الأفراد أو من الهيئات . . لا تكون كما يشاء الحق والإنصاف ، وإنما تكون مشابة بالمحاباة أو بالحبس أو بالأغراض ، وكله ناشئ عن نقص الأخلاق ، وهو من أكبر المصائب ، لا أكبر منه إلا عدم التفكير في علاجه مع اشتغال الجماء الغفير من الخاصة عليه عن معرفة بأحوال أنفسهم ، وتعهد منهم فيما يفعلون ، ومهارة

(١) ينظر كلام مؤسسها السيد محمد الشاطري عنها في كتابه : « أدوار التاريخ الحضرمي » (٤٢٥-٤٢٣/٢) .

(٢) في « المشرع » جاءت العبارة هكذا : (الذين لا تعلق لهم بالدول والدنيا) اهـ وهي واضحة المعنى والمغزى .

فيما يَستميلونَ به سواهم منَ الأخذِ بالحياءِ وما أشبههُ ، وقليلٌ منَ يقعُ في تلكَ الرذائلِ عن غيرِ شعورٍ ، وإنما يرتبكُ فيها بمؤثراتٍ تخفى عليه فيبقى على ظنِّهِ الخيرَ بنفسِهِ وهو خائنٌ لها وللنَّاسِ ، ففي المَقامِ صَعوبةٌ لا تنحلُّ إلَّا بأيدي العلماءِ والمُحقِّقينَ ، ولذا كانَ السَّلفُ يوصونَ بالكتِّبِ الغزاليَّةِ ؛ لأنَّها النُّجْمُ الوهاجُ في عِلْمِ النَّفْسِ والأخلاقِ ، ولأنَّ فيها لأمراضِ الأخلاقِ ، أنجعَ علاجٍ .

ومنَ التَّعاجيبِ أنَّ من هؤلاءِ من يقرؤها ويخالفها على خطِّ مستقيمٍ ؛ كأنَّما يتقرَّبونَ إلى اللَّهِ بمجردِ قراءةِ ألفاظِها .

وكانَ لآلِ علويٍّ ولآلِ جديدٍ حافتانِ بتريم^(١) يصونونَ فيها أولادَهُم عن الاختلاطِ بالأضدادِ ، ولا يُمكنونَهُم منَ مجاوزتِهِما إلَّا بعدَ تمكُّنِهِم منَ الدِّينِ والأخلاقِ ، وفي «الأصلِ» إشارةٌ إلى ما بحضرموتٍ منَ الحُوطِ وإنكارِ بعضِ النَّاسِ أمرَها ، وكثيرٌ منَ أعقابِ أولئك المنكرينَ ومتأثرِيهم في زماننا يُجلُّونَ جمالَ الدِّينِ الأفغانيِّ ، ولا يتفطنونَ إلى ما جاء في سياقٍ لَهُ من قولِهِ : فذهبتُ إلى مقامِ عبدِ العَظيمِ ، وهو حرمٌ من دخله كانَ آمناً .

وفيها الآنَ كثيرٌ منَ الحافاتِ ؛ منها في غربِ تريمٍ إلى السَّمالِ : حارةُ الخليفِ بكسرِ الخاءِ وفتحِ اللامِ على أسمٍ وإدِ معروفٍ في شعبِ جبلِ ذكَّرةُ البكريِّ .
وكندةٌ كثيراً ما تُسمَّى قراها في الآفاقِ على ما كانت أسماءُ بلادِها بحضرموتٍ .
ثمَّ الرُّضَيْمةُ ، ثمَّ السَّحِيلُ ، ثمَّ التَّوَيْدِرَةُ .

ومِنها في الجَهةِ الشَّرقيَّةِ : الشُّوقُ ، ثمَّ المَجَفُّ .
ولآلِ تريمٍ تعصَّبُ شديداً مع أهلِ الحُوفِ ، يسري من السَّفَلَةِ إلى العُجَلَةِ ومنَ الحَاكَةِ

(١) كانَ العلويونَ - والمقصودُ بنو أحمد بن عيسى - عندما سكنوا تريمَ اختلطوا لأنفسِهِم محلَّةَ عرفت بالحوطة ، وهي الواقعة بين مسجدِ باعلوي ومسجدِ العيدروس ومسجدِ السَّقاف - حالياً - واحتوت هذه الحوطة على بيوت آل علوي وآل بصري وآل جديد . وقيل غير ذلك .
ومعنى الحافة ، كالحارة : وهي كل محل تدانت مساكنه والتف بعضها على بعض . وما سبق من تحديد بحافات لا يتعارض .

إلى العلماء ، وكان يتعاضمني ما أسمعُهُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى رَأَيْتُ مَا ذَكَرَهُ الْخَطِيبُ فِي الْحِكَايَةِ (٢٠٥) مِنْ « جَوْهَرِهِ » [٢٢١خ] : (أَنَّهُ نَشَبَ حَرْبٌ بَيْنَ أَهْلِ حَافَّةِ السُّوقِ وَأَهْلِ حَافَةِ الْخَلِيفِ ، وَجَرَى بَيْنَهُمْ قَتْلٌ ، وَكَانَ أَهْلُ السُّوقِ أَكْثَرَ ، فَكَمَنُوا لِأَهْلِ الْخَلِيفِ ، فَعَلِمُوا بِذَلِكَ ، فَشَكُوا إِلَى الشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَطِيبِ ، فَقَالَ لَهُمْ : إِذَا كَبُرَتْ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ . . فَقَعُوا عَلَيْهِمْ ، ففَعَلُوا وَهَزَمُوهُمْ) .
وكانت وفاة الشَّيْخِ أَحْمَدَ هَذَا فِي سَنَةِ (٧٠٨ هـ) ، وَوفاة أَخِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي سَنَةِ (٧٣٠ هـ) ، وَوفاة أَخِيهِمَا مُحَمَّدٍ سَنَةَ (٧٥٥ هـ) ، فَعَرَفْنَا مِنْ تَعْصُّبِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ لِأَهْلِ حَافَتِهِ أَنَّ آلَ تَرِيمٍ لَمْ يَرِثُوهُ عَنْ كِلَالَةٍ ^(١) .

وَمِنْ النُّوَادِرِ : أَنَّ سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورَ - عَلَى وَرَعِهِ وَتَقْوَاهُ وَكَمَالِهِ - حَكَمَ أَيَّامَ كَانَ عَلَى الْقَضَاءِ بِحَكْمٍ لِأَحَدِ أَهْلِ السَّحِيلِ بِشَاهِدِينَ مِنْ أَهْلِ السَّحِيلِ أَيْضاً عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ السُّوقِ ، وَكَانَ هُوَ - أَعْنِي سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَشْهُورَ - إِذْ ذَاكَ يَسْكُنُ السَّحِيلَ ، فَأَمْضَى الْحَكْمَ ، وَنَائِبُ الدَّوْلَةِ وَهُوَ عَلِيُّ عَبْدُ الدَّائِمِ أَحَدُ عِبِيدِهِمْ حَاضِرٌ ، أَلْزَمَهُ بِتَنْفِيذِهِ ، فَأَتَتْهُمْ وَقَالَ لَهُ : لَا أَنْفُذُهُ ، وَلَا أَرَى صَحَّتَهُ ؛ مَدَّعٍ مِنَ السَّحِيلِ ، وَشُهُودٌ مِنَ السَّحِيلِ ، وَقَاضٍ مِنَ السَّحِيلِ ، هَذَا حَكْمٌ بَاطِلٌ !!

قَرَأُ تَرِيمَ :

وَحَوَالِي تَرِيمَ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَى ، مِنْهَا مَا يَخْرُجُ عَنْ سُورِهَا الْمَوْجُودِ الْيَوْمَ ؛ كَعَيْدِيدٍ ^(٢) ، وَهُوَ وَادٍ مَشْرِقُ الْبَهْجَةِ ، وَاضِحُ النَّظَارَةِ ، سَاطِعُ الثُّورِ ، وَقَعٌ بِسَفْحِ مَخَارَانَ ^(٣) الْجَنُوبِيِّ ، وَهُوَ الْجَبَلُ الَّذِي يَكُونُ بِحَضِيضِهِ الشَّرْقِيُّ الْخَلِيفُ السَّابِقُ ذَكَرُهُ .

(١) وللشيخ الفاضل عبد الله بن حسين بافضل - الملقب : رحيم بكسر الراء وتشديد الياء ، وكان مؤرخاً ، توفي سنة (١٤٠٠ هـ) - مجموعٌ في أخبار وحوادث الحُوفَ بتريم .

(٢) وادي عيديد : يقع في الجهة الغربية الجنوبية لمدينة تريم ، وهو وادٍ عظيم كثير الديار والسكان ، وفيه كثير من بساتين النخيل ، وله ذكر في شعر الإمام الحداد .

(٣) شعب مخاران : في جبل الفريط ، غربي المدينة ، يلي شعب عيديد إلى الجهة النجدية (الشمالية) .
انظر : « البغية » (٢٥) .

وكان العلامة الجليل السيّد مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ مَوْلَى عَيْدِيدٍ^(١) - المترجمُ له في «المشروع» [٤٠١-٣٩٩/١] و«الغرر» و«شرح العينية» [٢٠٧-٢٠٥] وغيرها ، بل جاء في «الفتح المبين» للعلامة الجليل عبد الرحمن بن مصطفى نزيل مصر : أنَّ مناقبه مخصوصة بالتأليف ، أحبَّ الانجماع عن الناس آخر حياته ، فأبتنى بعيديد مسجداً وداراً صغيرين ، واعتزل الخلق ، وأقبل على العبادة ، ولا ينزل إلا للجمعة المفروضة أو العيادة المندوبة ، ثم بنى عنده أصحابه حتى صار قرية معمورة .

وكان السيّد مُحَمَّدٌ هذا شديد الخوف من الله ، حتى لقد ذكر صاحب «مفتاح السعادة والخير» عن شيخه عبد الرحمن بن عليٍّ ، عن والده عليٍّ بن أبي بكر : (أنَّ السيّد عبد الله بن مُحَمَّدٍ بن حكيم باقشير إذا قام للصلاة . . . انتفض وجري دمعته على خديه ولحيته طيلة صلاته ، حتى لقد حصل لدموعه أثر ظاهر على خديه ، قال الشيخ عليٌّ : وكذلك رأيت ألقية مُحَمَّدَ بن عليٍّ صاحب عيديد) اهـ

ومثل هذا الأثر على الخد من الدمع مشهور عن ابن الخطّاب رضي الله عنه ، ومثل ذلك الخوف مذكور عن زين العابدين عليٍّ بن الحسين .

وكان والد السيّد مُحَمَّدٍ مولى عيديد^(٢) من مراجيح العلماء الأتقياء ، وهو معروف بصاحب الحوطة - محلّ بقرب تريم ، لعلّه الذي بينها وبين الحاوي ؛ فإنه لا يزال يُطلق عليه لفظ الحوطة إلى الآن - أنجم فيها عن الخلق ، وكان ولده مُحَمَّدٌ سكن قبل عيديد قريباً من حوطة والده .

أخذ أبو مُحَمَّدٍ عن الشيخ السّقف ، وتوفي سنة (٨٣٨هـ) ، وكانت وفاة ولده مُحَمَّدٍ سنة (٨٦٢هـ) ، ولهم ذرّيّة صالحة بعيديد وغيرها ؛ منهم :

(١) وإليه ينسب السادة آل عيديد ، وتمام نسبه : محمد بن علي - صاحب الحوطة - ابن محمد بن عبد الله بن أحمد (ت ٧٢٥هـ) ابن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه . وسيأتي أن وفاته سنة (٨٦٢هـ) . وقبر في قبر جده أحمد بن عبد الرحمن في الرضة .

(٢) ترجمته في «المشروع» [٥١٦-٥١٥/٢] ، و«الغرر» ، و«الجوهر» ، و«إتحاف المستفيد» (٣٤٥-٣٤٠) .

السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ مَوْلَى عَيْدِيدٍ ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بَاقُشِيرٍ فِي كِتَابِهِ « مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ وَالْخَيْرِ » : (وَأَعْقَبَ الشَّيْخُ حَكَمُ بَاقُشِيرٍ بِنْتًا يُقَالُ لَهَا : حَكِيمَةُ ، تَحْفَظُ الْقُرْآنَ ، تَرْوِجُهَا السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ صَاحِبُ عَيْدِيدٍ بِإِشَارَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْعِيدَرُوسِ ، وَكَانَ هُوَ الَّذِي دَفَعَ عَنْهُ الْجِهَازَ ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ سَارَ الشَّيْخُ حَكَمُ إِلَى شَعْبِ هَوْدٍ وَأَخَذَ مَعَهُ عَلِيًّا يُرَوِّضُهُ وَيُرَبِّيهِ ، وَيُقِيَا عَلَى أَجْتِهَادٍ فِي الْعِبَادَةِ ، وَكَانَ أَكْثَرُ قُوَّتِهِمْ هُنَاكَ ثَمَرُ الْأَرَاكِ) .

وَتَوَفَّى عَلِيُّ الْمَذْكُورُ فِي سَنَةِ تِسْعِ مِئَةٍ وَتِسْعِ عَشْرَةٍ (٩١٩ هـ) ^(١) .

وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ ، صَاحِبُ عَيْدِيدٍ ^(٢) ، لَهُ « وَصِيَّةُ جَامِعَةٍ » مِنَ الْعَلَامَةِ أَبِي حَجَرٍ الْهَيْتَمِيِّ بِتَارِيخِ صَفَرِ سَنَةِ (٩٥٥ هـ) ، أَوْرَدَهَا الْفَاضِلُ الشَّيْخُ أَمْبَارُكُ عَمْرٍو بَاحْرِيشٍ ^(٣) فِي كِتَابِهِ « إِتْحَافُ الْمُسْتَفِيدِ » الَّذِي جَمَعَهُ عَلَى لِسَانِ شَيْخِهِ الصَّالِحِ الْمُنَوَّرِ الْقَلْبِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ عَيْدِيدٍ ، وَفِيهِ تَعْرِيفٌ بِكَثِيرٍ مِنَ السَّادَةِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِمْ وَغَيْرِهِمْ .

وَقَدْ مَرَّ فِي سِيئُونَ أَنَّ بَهَا مِنْهُمْ الْفَاضِلَ الصَّالِحَ السَّيِّدَ حَسِينَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ عَيْدِيدٍ ، شَرِيفٌ كَرِيمٌ ، مُوْطَأٌ الْأَكْنَافِ ، رَحْبُ الْفَنَاءِ لِلْأَضْيَافِ ، وَلَا زَالَ مَحْمُودَ السَّيْرِ ، مَعَانًا عَلَى الْمَرْوَةِ وَالْخَيْرِ ، وَإِيَّانًا . آمِينَ .

وَمِنْ سَكَّانِ عَيْدِيدٍ : الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَطِيبُ ^(٤) ، تَوَلَّى خُطَابَةَ جَامِعِ تَرِيمٍ وَهُوَ أَبُو خَمْسِ عَشْرَةِ سَنَةً ، وَدَامَ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ ، وَقَدْ نَيْفَ عَلَى السَّبْعِينَ فِي سَنَةِ (١٣٣٣ هـ) ، وَكَانَ فَاضِلًا خَاشِعًا نَاسِكًا ، شَرِيفَ السَّيْرِ ، وَلِذَا نَجَعُوا لَهُ بِخُطَابَةِ

(١) « إتحاف المستفيد » (٣٢٧-٣٢٨) ، وذكر فيه أنه طلق ابنة باقشير لعدم رغبته في الزواج آنذاك .

(٢) توفي بمكة ، ولم تؤرخ وفاته ، وله أخ يلقب بالمحجوب ، توفي بالشحر سنة (٩٧٣ هـ) ، وهناك اضطراب بين ما ورد في « الفرائد الجوهريّة » للسيد الكاف (٨٣٥ / ٣) ، وبين ما جاء في « إتحاف المستفيد » (٣١٩) .

(٣) نقلاً عن خط العلامة مفتي تريم الشيخ أبي بكر بن أحمد الخطيب ، تقع في (٦) صفحات .

(٤) أحمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن حسين الخطيب ، المتوفى سلخ محرم بكرة الجمعة سنة (١٣٣٣ هـ) ، كان رجلاً فاضلاً صالحاً ، ترجم له في « الإتحاف » برقم (١٧٥) ، وترجم له في « الرسالة الجامعة لخطباء تريم » (٥٨-٦٠) .

تريم صغيراً ، مع أَنَّ مقابلَ الْأَظْهَرِ عَدَمُ صَحَّةِ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُ ؛ لِأَنَّهَا لَا تَتَعَقَّدُ بِهِ ؛ إِذْ كَانَ مِنْ قَرْيَةٍ مُسْتَقَلَّةٍ لِنَفْسِهَا .

وَيُذَكَّرُ أَنَّ سَيِّدَ الْوَادِي الْحَسَنَ بْنَ صَالِحِ الْبَخْرِ حَضَرَ خُطْبَتَهُ وَصَلَّى خَلْفَهُ . وَلَمَّا مَاتَ . . طَمَعَ فِيهَا وَلَدُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْقِيَ عَلَيْهَا مِنْ بَعْدِهِ ، فَلَمْ يَرْضَهُ الْخُطْبَاءُ^(١) ، وَأَنْتَرَعَوْهَا مِنْهُ عَنُوءَ ، وَسَلَّمُوهَا لِمَنْ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ ، وَهُوَ : الْعَلَامَةُ اللَّتْقِيُّ ، الْعَابِدُ النَّزِيهُ ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْخَطِيبِ^(٢) ، كَانَ غَزِيرَ الْعِلْمِ ، طَوِيلَ الْحِلْمِ ، كَرِيمَ الشَّمَائِلِ ، كَثِيرَ الْفَضَائِلِ ، فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ .

وَكَانَتِ الْخُطَابَةُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا فِي هَذَا الْبَيْتِ ثُمَّ لَمْ تَتَحَوَّلْ^(٣) ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا مَرَضَ الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَطِيبِ^(٤) ، وَكَانَ أَوْلَادُهُ صَغَارًا . . طَلَبَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِنَفْسِهِ ، وَلَكِنْ قَامَ ابْنُ أُخْتِهِ الْفَقِيهُ الْمُحَقِّقُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلَوِيِّ عَمِّ الْفَقِيهِ^(٥) ،

(١) أي : أسرة آل الخطيب ، المتولون لهذه الوظيفة منذ زمن قديم .

(٢) هو العلامة المفتي الفقيه محمد بن أحمد بن سالم بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب التريمي ، ولد بها سنة (١٢٨٤هـ) ، وتوفي سنة (١٣٥٠هـ) ، كان فقيهاً نحرياً حاذقاً ، دَرَسَ برباط تريم وزاوية الأوابين وزاوية سرجيس وزاوية بروم ، ومن شيوخه : المفتي المشهور ، والسيد علوي المشهور ، والشيخ أحمد الخطيب . ترجمته في : « تذكرة الباحث المحتاط » للمؤرخ عبد الله بن حسن بلفقيه ، و« الرسالة الجامعة في ذكر من تولى الخطابة بتريم » للشيخ أبي بكر الخطيب (٦١ - ٦٩) (خ) . والمترجم هو الخطيب الثاني والثلاثون ممن رقوا منبر جامع تريم منذ نحو (١٠٠٠) سنة .

ومن الآخذين عنه : ابن أخيه الشيخ العلامة الفقيه عمر بن عبد الله بن أحمد بن سالم ، المولود بتريم سنة (١٣٢٦هـ) ، والمتوفى بسنغافورة سنة (١٤١٨) ، كان علامة نحرياً ، طوَّحَتْ بِهِ الْأَسْفَارُ إِلَى سِنْغَاوُورَةِ ، وَأَقَامَ بِهَا مُفْتِيًا وَمُرْشِدًا وَقَاضِيًا وَخَطِيبًا حَتَّى تَوَفَّى عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللَّهِ .

(٣) جاء في « برد النعيم » أن أول من تولى الخطابة منهم هو جدهم الجامع الشيخ الإمام محمد بن سليمان بن أحمد بن عباد بن بشر في القرن الثالث الهجري ، ثم قام بعده ابنه علي ، فابنه إبراهيم بن علي ، فيحيى بن إبراهيم ، فإبراهيم بن يحيى ، فعلي بن إبراهيم ، فمحمد بن علي المتوفى سنة (٦٠٩هـ) ، وهو والد الشيخ علي صاحب الوعل الآتي ذكره .

(٤) وهو الملقب بصاحب الوعل لكرامة جرت له ، توفي سنة (٦٤١هـ) كما في « تاريخ شنبل » ، له مناقب وحكايات في « الجوهر » ، و« البرد » .

(٥) توفي السيد الفقيه أحمد بن عبد الرحمن سنة (٧٢٠هـ) ، ترجمته في « المشرع » (١٣٧/٢ - (١٣٨) .

فحدبَ عليهم^(١) ، ونابَ فيها عنهم ، ولَمَّا تَسَنَّمَ ذُرْوَةَ الْمَنبَرِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ . . بكى وأستبكى بما طابَ وراقَ ، حتَّى أنحفَظَ خبرُهُ ، وبقيَ ذِكْرُهُ خالداً في الأوراقِ ، ولَمَّا تَاهَلَ أولادُ خاله . . دفعها إليهم .

وكانت وفاةُ أَلْفَقِيهِ أَحْمَدَ هَذَا فِي سَنَةِ (٧٢٠ هـ)^(٢) .

وفي (قسم ألفيء والغنيمَة) مِنْ « الثَّحْفَةِ » [١٣٨-١٣٩/٧] و« الْنَهَايَةِ » [١٤١/٦] :
(وَأَسْتَنْبَطَ السُّبْكِيُّ مِنْ إعْطَاءِ مُؤَمَّنِي الْمُرْتَزِقِ مِنْ أولَادِ زَوْجَاتِ : أَنَّ أَلْفَقِيَةَ أَوِ الْمَعِيدِ أَوِ الْمُدْرَسِ إِذَا مَاتَ . . يُعْطَى مَمُونُهُ مِمَّا كَانَ يَأْخُذُهُ مَا يَقُومُ بِهِ ؛ تَرْغِيئاً فِي الْعِلْمِ ، فَإِنْ فَضَّلَ شَيْءٌ . . صُرِفَ لِمَنْ يَقُومُ بِالْوُظَيْفَةِ ، وَلَا نَظَرَ لِاخْتِلَالِ الشَّرْطِ فِيهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ تَبِعُوا لِأَبِيهِمْ ، فَمَدَّتُهُمْ مَغْتَفَرَةٌ فِي جَنْبِ مَا مَضَى كَزَمِنِ الْبَطَالَةِ ، وَالْمَمْتَنَعُ إِنَّمَا هُوَ تَقْرِيرُ مَنْ لَا يَصْلُحُ أَبْتَدَاءً .

وَرُدَّ بِظُهُورِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْمُرْتَزِقِ وَغَيْرِهِ ؛ بَأَنَّ الْعِلْمَ مَحْبُوبٌ لَا يَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ شَيْءٌ) اهـ

وَكَاثُمُهُمَا يُشِيرَانِ إِلَى مَا جَاءَ فِي « طَبَقَاتِ ابْنِ السُّبْكِيِّ » [١٨١/٨] مِنْ قَوْلِهِ : (أَشَاعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنَّ الْوَالِدَ كَانَ يَرَى تَوْلِيَةَ الْأَطْفَالِ وَظَائِفَ آبَائِهِمْ مَعَ عَدَمِ صِلَاحِيَّتِهِمْ إِذَا قَامَ بِالْوُظَائِفِ صَالِحٌ ، وَيَرْجَحُهُمْ عَلَى الصَّالِحِينَ ، وَتَوَسَّعُوا فِي ذَلِكَ ، وَنَحْنُ أَخْبَرُ بِأَبِينَا ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ رَأْيُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَإِنَّمَا كَانَ رَأْيُهُ فِيمَنْ كَانَتْ لَهُ يَدٌ بِيضَاءُ فِي الْإِسْلَامِ - مِنْ عِلْمٍ وَغَيْرِهِ - وَتَرَكَ وَلَدًا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَأَهَّلَ بِأَنْ يُبَاشَرَ وَظِيفَتُهُ مَنْ يَصْلُحُ لَهَا وَتَكُونُ الْوُظَيْفَةُ بِأَسْمِ الْوَلَدِ ؛ لِأَنَّ التَّوْلِيَةَ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ : تَوْلِيَةِ اخْتِصَاصٍ ، وَتَوْلِيَةِ مَبَاشَرَةٍ .

فَتَوْلِيَةُ الْأَخْتِصَاصِ لِلصَّبِيِّ ، وَتَوْلِيَةُ الْمَبَاشَرَةِ لِلْمُبَاشِرِ .

وَمَتَى ثَبَّتَتْ وِلَايَةُ الْأَخْتِصَاصِ لِلطِّفْلِ . . كَانَ مُسْتَحَقًّا لِلْوُظَيْفَةِ اسْتِقْلَالًا ، فَيَأْخُذُهَا عِنْدَ صَلَوحِيَّتِهِ مِنْ دُونِ أَحْتِيَاجٍ إِلَى تَجْدِيدِ وِلَايَةِ .

(١) حَدَبَ عَلَيْهِمْ : أَنْحَنَى عَلَيْهِمْ ، وَالْمَرَادُ : عَطَفَ عَلَيْهِمْ .

(٢) وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالْفَقِيهِ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مَحْفُوظَاتِهِ : « الْوَجِيزُ » لِلْغَزَالِيِّ .

وإن لم يمكن أن يتأهل ؛ كنبت وزوجة في إمامة مسجد ، أو ابن أيسث أهليته .
فهؤلاء لا أوليهم مطلقاً .

وإنما أقول لمن أوليه : التزم بالنذر الشرعي أن تدفع إليهم كيت وكيت ما دام كذا
من معلوم هذه الوظيفة . .) إلى آخر ما أطال به .

وليس بالنص فيما سبق عن « الثحفة » و « النهاية » ، ولكنّه تفصيل لما نقله عنه
مجملاً فيحقيق له الاعتماد ، وإنما ذكرته لما فيه من الفائدة ، ولأنّه لا يعدم شبهة بقضية
أولاد الشيخ علي وابن عمتهم الفقيه أحمد في الجملة .

ثم رأيت ابن عابدين نقل في حاشيته « رد المحتار على الدر المختار » عن البيهقي
ما نصّه [٤٤/٥] : (أقول : هذا مؤيد لما هو عرّف الحرّمين الشريفين ومصر والرّوم ،
من غير تكبر من إبقاء أبناء الميت - ولو كانوا صغاراً - على وظائف آبائهم مطلقاً ، من
إمامة وخطابة وغير ذلك ، عرّفاً مرضياً ؛ لأنّ فيه إحياء خلف العلماء ومساعدتهم على
بذل الجهد في الاشتغال بالعلم ، وقد أفتى بجواز ذلك طائفة من أكابر الفضلاء الذين
يعول على إفتائهم) اهـ

وما ذكره ابن الشبكي من التفصيل هو الحسن الجميل ؛ لأنّه الجامع للمصلحتين :
تولية الصالح مراعاة للمسلمين ، ومواساة الأبناء قياماً بواجب فضل العلم .

الْحَاوِي^(١) :

هو قرية صغيرة في شرقيّ تريم ، كانت منفصلة عنها ، ولكنها أدخلت في سورها
الذي بناه الأمير سالم بن عبود بن سالم الكثيري في سنة (١٣٣٠ هـ) وقتما كان على
إمارتها ، وقد أنفق فيه أموالاً جزيلة ، أستدان بعضها من أخيه بدر بن عبود على ضوء
وعيد من السلطان محسن بن غالب وأغنياء تريم بالوفاء ، فلم يفعلوا ، فأنظلم سالم
وظلم أخاه .

(١) ويسميه الإمام الحداد : حاوي الخيرات . وهو غير حاوي الحوطة الذي تقدم ذكره في معرض الكلام
على القرى المحيطة بها .

وكان بالحاوي جماعة من آل الجفري سكنوها قبل أن ينزل بها الحداد^(١) ، وكان السيّد علوي بن شيخ بن حسن بن علوي الجفري مؤاخياً للقطب الحداد ، وصهر الحداد إلى السيّد حسن بن علوي الجفري على بنته .

ومن آل الجفري السيّد الشهير شيخ بن محمد بن شيخ الجفري ، صاحب مليون ؛ فقد وصل الحاوي سنة (١١٨٧ هـ) ، وأخذ عن العلامة الحسن بن عبد الله الحداد ، وبدأ به في الأرجوزة التي نظمها في الإسناد ، وشرحها بكتابه المسمى : « كنز البراهين » .

وكان بالحاوي بيت ومسجد صغير للحبيب عمر بن أحمد المنقر ، وهو جد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الغاني بتسميته عن كل وصف ؛ إذ كان كما قيل [من الوافر] :

وَكَا نَ مِنَ الْعُلُومِ بِحَيْثُ يُقْضَى لَهُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِالْجَمِيعِ
فَلا حاجة للإطنا ب والآثار ناطقة بفضله ، والإجماع منعقد على تقديمه .

وفي سنة (١٠٨٣ هـ) أبنى الحبيب الحداد داره بالحاوي وبقي يتراوح بينه وبين داره بترميم .

وفي سنة (١٠٩٩ هـ) - وهي سنة ميلاد أبيه الحسن - استوطنه صيفاً وشتاءً ، وانتشرت علومه في البلاد ، وأخذ عنه الحاضر والباد .

ولنا إليه طرق كثيرة ؛ من أقربها : أنني أخذت عن السيّد محمد بن أحمد بن

(١) سيدنا الإمام ، شيخ الإسلام ، مجدد الدين على رأس المئة الحادية عشر من هجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، ولد سنة (١٠٤٤) ، وانتقل إلى الدار الآخرة سنة (١١٣٢ هـ) .

لم تعرف حضرموت أحداً مثل هذا العلم في العلم والعبادة والصلاح والدعوة إلى الله ، وقد انتشرت دعوته وكتبه في أقطار الدنيا ، وألفت في مناقبه المؤلفات الرائعة ، وصنفت المصنفات البديعة ، فكتب تلميذه السيد محمد بن زين بن سميح « غاية القصد والمراد » في مجلدين طبعاً ، وذيله بـ « بهجة الزمان » في تراجم الشيوخ والتلامذة ، واختصرها في « بهجة الفؤاد » .

وللإمام الحداد من البنين : علوي ، والحسن ، والحسين ، وزين العابدين ، وسالم ، ومحمد .

عليّ بن عبد الله السَّقَافِ المتوفى سنة (١٣٠٧هـ) عن مئة وخمسة عشر عاماً ، وهو أخذ عن أبيه عن جدّه عن القطبِ الحَدَّادِ .

وأخذ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ أيضاً عن العلامةِ الجليلِ أحمدَ بنِ حسنِ بنِ عبدِ الله الحَدَّادِ ، وأدركَ من زمانِهِ أنِّي عشرَ عاماً .

والحبيبُ أحمدُ أخذَ عن جدّه القطبِ الحَدَّادِ ، وأدركَ من زمانِهِ خمسَ سنينَ .

ومنها : أنِّي أخذتُ عن الحبيبِ المعمّرِ مُحَمَّدِ بنِ إبراهيمَ بلفقيه ، وهو أخذَ عن عمّه الحبيبِ عیدروسٍ ، وهو أخذَ عن الأُستاذِ عبدِ الله بنِ علويّ الحَدَّادِ .

وكانَ السُّلطانُ ياقوتُ يهدي للقطبِ الحَدَّادِ الأكسيةَ الفاخرةَ والشّالاتِ المُثَمِّنةَ والعمايمَ الَّتِي تبلغُ ثمانينَ ذراعاً في عرضِ ذراعٍ ونصفٍ ، وإن كانوا لَيَلْبَسُونَهَا اثنتي عشرةَ لَيَّةً ، ثمَّ يُدخلونها الخاتمَ فتمرُّ فيه ، وكانَ يُعطي بعضها لابنِهِ الحسنَ فيلبسُها ؛ لولعِهِ في شبابِهِ بالثَّيابِ الفاخرةَ ، ولكِنَّهُ لَمَّا عادَ مِنَ الْحَجِّ في سنة (١١٤٨هـ) . . . أخشوشَنَ ، فلم يلبسْ إِلاَّ الخُوذةَ والبَثَّ - مِن غزلِ الحايي والسَّيِّير - فوقَ الشُّقَّةِ ، ويقتصرُ في البيتِ على الشُّقَّةِ والكوفيَّةِ البيضاءِ المخزّمةِ ، ويلبسُ العمامةَ للجمعةِ مع السُّروالِ والقَميصِ ، ويلبسُ البَثَّ مِن فوقِ القَميصِ .

وفي أخبارِهِ - أعني الحسنَ بنَ الحَدَّادِ - أَنَّهُ تركَ الرِّداءَ رأساً بعدَ رجوعِهِ مِنَ الْحَجِّ ، وذكرَ الشَّيْخُ عمرُ بنُ عوضٍ شيبانَ عن سيِّدنا الأُستاذِ الأبرَّ عیدروس بنِ عمرَ أَنَّهُ يقولُ : كانت الطَّبَقَةُ الَّتِي قبلنا يكتفونَ بالقمصانِ الحضرميّةِ ، وقليلٌ مِنَ الأعيانِ مَنْ تكونُ عندهُ مصدّرةُ بَثٍّ ، وأمّا الجُبُّ . . فلا يلبسونها إِلاَّ في الأعيادِ .

توفيَ سيِّدنا عبدُ الله بنُ علويّ الحَدَّادُ في سنة (١١٣٢هـ) عن ثمانٍ وثمانينَ سنةً إِلاَّ ثلاثةَ أَشْهُرٍ ، وخَلَّفَ عدَّةَ أولادٍ وبناتٍ ، وهم : علويّ وحسنٌ وزينٌ وحسينٌ وسالمٌ ومحمَّدٌ ، وكلُّهُم أَسَنُ مِنَ الحسنِ إِلاَّ زيناً ؛ فَإِنَّهُ بعدهُ .

وقامَ في مقامِهِ بأمرِهِ ولداهُ علويّ وحسنٌ ؛ إِذ قالَ لهما في حياتِهِ : (أَقْمَتُكُمَا مقامي وأنْبَتُكُمَا عني) ، ونَزَلَ لهما في آخرِ عمرِهِ عن إمامَةِ الصَّلَاةِ ، فكانَ يؤمُّهُ علويّ إن

حضر ، وحسنٌ إن غاب ، غيرَ أنَّ أكثرَ إقامةِ علويٍّ وأولادهِ بالسَّيرِ .

وكانَ الحسنُ لا يفارقه ؛ فهوَ الَّذي تكثرُ إمامتهُ له ، وإذا زاروا هوداً عليه السَّلامُ .
كانَ الَّذي يُسلمُ بالنَّاسِ عندَ الكبيرِ : علويٌّ ، وعندَ الضَّريحِ : الحسنُ .

وكانَ هوَ الَّذي يحملُ عن أبيه عامَّةَ أمرِهِ في أيَّامِ حياته ، وذَكَرَ السَّيِّدُ علويُّ بنُ أحمدَ : أنَّ السَّيِّدَ مُحَمَّدًا الجفريَّ وزينَ العابدينَ الحبشيَّ وسائرَ الدَّرَسَةِ تَأَخَّرُوا عن الحضورِ على علويٍّ بعدَ والدِهِ ؛ لأنَّهُ لم يُدرِّسْ في حياةِ أبيه ، ولمَّا رأى الحسنُ تفاقلهم عن دروسِ أخيه . . حَضَرَ عندهُ وأتمَّ عليه « سُنَنَ أَبِي داودَ » الَّتِي ماتَ والدُهُ في أثناءِ قراءتِهِ إياها عليه ، وأَرَادَ السَّيِّدُ زينُ العابدينَ أنْ يعملَ قَبَّةً على ضريحِ القطبِ الحَدَّادِ ، فمَنَعَهُ آلُ العيدروسِ ، وأمَّا الصُّندوقُ . . فقدِ اسْتَوْفينا قَصَّتَهُ في « الْأَصْلِ » .

وعنِ السَّيِّدِ حسينِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ القطبِ الحَدَّادِ أَنَّهُ قالَ : سمعتُ ناساً من تريمٍ - منهمُ السَّيِّدُ شيخُ بنِ مُحَمَّدِ بنِ شهابٍ - يقولُ : لولا حسنٌ . . لمَّا قامَ منصبُ آلِ الحَدَّادِ ، لا يقدرُ علويٌّ ولا غيرهُ على ما تحمَّلهُ حسنٌ ؛ لأنَّ الحسينَ توفِّيَ والدُهُ وهوَ مريضٌ ، وزَيْنٌ صغيرٌ ، وعلويٌّ مائلٌ عن تدبيرِ ما النَّاسُ فيه ، وإنَّما هوَ صاحبُ عبادةٍ ، وأمَّا الحسنُ . . فقد جمعَ العِلْمَ والعملَ والفتوةَ ورجاحةَ الرَّأْيِ .

توفِّيَ الحسنُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحَدَّادِ في سنة (١١٨٨ هـ) عن تسعينَ عاماً إلاَّ تسعةَ أشهرٍ ، وقامَ في مقامِهِ ابْنُهُ العالي المنارُ ، الجليلُ المقدارُ : أحمدُ بنُ حسينٍ ، إلاَّ أَنَّهُ لم يَسْلَمْ من منازعةِ السَّيِّدِ عليِّ بنِ علويِّ بنِ القطبِ الحَدَّادِ له ، غيرَ أَنَّهُ توفِّيَ وشيكاً في سنة (١١٨٩ هـ) .

وأستقلَّ بعدهُ الحبيبُ أحمدُ بنُ حسنٍ بالمنصبِ ، وكانَ أهلاً ؛ لتمامِ كفاءتِهِ ، وهوَ صاحبُ العلومِ الزَّاخرةِ ، والمؤلَّفاتِ الشهيرةِ ، وأكثرُها فائدةً وأجملُها عائدةً : « سفينةُ الأربابِ » في مجلَّداتٍ ثلاثةٍ كبارٍ .

وقد جاءَ في « المَواهبِ والمَنَنِ » الَّذي اسْتَعْنَتْ بِهِ في المَوضُوعِ : أَنَّهُ - أعني مؤلِّفُهُ الحبيبُ علويُّ بنُ أحمدَ بنِ حسنٍ - قرأ « سفينةَ الأربابِ » على جدِّهِ الحسنِ .

وجاء فيه أيضاً : أَنَّ للحبيبَ حَسَنَ « سفينَة » لا نظيرَ لها في كلِّ فنٍّ مِنَ العلومِ النَّافِعةِ ، غَرِقَتْ فيما غَرِقَ على الحبيبِ أَحْمَدُ بنِ حَسَنِ حينَمَا انْكَسَرَ بِهِ المَرْكَبُ في حَجَّهِ سَنَةِ (١١٥٧ هـ) ، فَعَمَلَ « سفينَة الأَرْباح » على غرارِها .

وَذَكَرَ الحبيبُ علويُّ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنِ : أَنَّ مِنْ نَظَمِ والدِهِ في حادثةِ الغَرَقِ قولُهُ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

لَكَ الْحَمْدُ أَمَّا مَا نُحِبُّ فَلَا نَرَى وَنَسْمَعُ مَا لَا نَسْتَهِي . . فَلَكَ الْحَمْدُ
وهو صريحٌ في أَنَّ الحبيبَ علويَّ بنَ أَحْمَدَ قرأ ما أَلْفَهُ أبوهُ مِنْ « سفينَةِ الأَرْباح » على جَدِّهِ بعدَ ما غرقت « سفينَتُهُ » ، لكنَّ العَجَبَ العَجَابَ أَنَّ الحبيبَ أَحْمَدَ لم يُشِرْ في خطبَةِ « سفينَتِهِ » إلى ما كَانَ مِنْ تأليفِ والدِهِ ! وَلَا بدَّ أَنْ يثقلَ على الحَسَنِ إغفالُ ابْنِهِ لذكرِهِ .

وَمِنْ مؤلَّفَاتِهِ : فتاواه المُسَمَّاةُ : « القول الصَّواب » ، وشَرْحُ على راتبِ جَدِّهِ سَمَاءُ : « سبيل الهداية والرَّشاد » ، ومنسكٌ في الحجِّ ، و« ألفوائد السَّنِيَّة في تريم وحضرموت وما خُصَّ بِهِ السَّادَةُ العلويَّة » ، وهو الَّذِي حَرَّرَ « تثبيت ألفؤاد » ورَتَّبَهُ في نحوِ أربعين كُرَّاساً . ثُمَّ رَأَيْتُ العجلونيَّ المَوتوفَى سَنَةَ (١١٦٢ هـ) يعزو ألبيتَ السَّابِقَ وهو : (لك الحمد أما ما نحب) إلخ للمتنبي ، وهو مخطئٌ في ذلك ، كما أَنَّ الحبيبَ علويَّ بنَ أَحْمَدَ لم يصب في عزوهِ لوالدِهِ ، وإنَّما قالَهُ مَتمَثِّلاً .

توفِّيَ الحبيبُ أَحْمَدُ بنُ حَسَنِ في سَنَةِ (١٢٠٤ هـ) عن سبعٍ وسبعين عاماً .

وَحَلَفَهُ أبْنُهُ عَمْرُ بنُ أَحْمَدَ ، وَكَانَ عَلامَةً فاضلاً ، توفِّيَ سَنَةَ (١٢٢٦ هـ) .

وَحَلَفَهُ أخوهُ حَسِينُ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَسَنِ وَكَانَ فاضلاً سَخِيّاً ، وَجِدَ سَنَةَ (١١٨٠ هـ) وتوفِّيَ سَنَةَ (١٢٤٨ هـ) .

وَحَلَفَهُ أبْنُهُ حَسَنُ بنُ حَسِينِ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ ، وَجِدَ سَنَةَ (١٢٠٥ هـ) وتوفِّيَ سَنَةَ (١٢٨٤ هـ) .

وَحَلَفَهُ أبْنُهُ عليُّ بنُ حَسَنِ ، وَكَانَ جليلَ القَدْرِ عَظِيمَ الخَطرِ ، مُعَظِّماً عِنْدَ النَّاسِ ،

ولهُ هِيئَةٌ فِي الصُّدُورِ ، تُوَفِّي سَنَةً (١٣٠٩هـ) ، وَكَانَ وَلَدُهُ الْعَالَمُ النَّاسِكُ الْمَتَّبِلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ غَائِبًا بِجَاوَةَ ، وَلَكِنَّهُ وَصَلَ عَلَى وَشِكٍ أَنْقِضَاءِ أَجَلِ أَبِيهِ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى جَاوَةَ سَرِيعًا ، فَكَأَنَّمَا كَانَ عَلَى مِيعَادٍ مِنْ مَوْتِ وَالِدِهِ ، وَلَمَّا قَرَعَ مِنْ أَمْرِهِ . . . أَنْقَلَبَ عَلَى إِبْرِهِ .

وَقَدْ أَحْضَرَنِي عَلَيْهِ وَالِدِي فِي قَدَمَتِهِ تِلْكَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ ، وَالْبَسَنِي ، وَشَابَكَنِي ، وَأَجَازَنِي ، كَمَا قَدْ اسْتَجَازَ لِي مِنَ وَالِدِهِ عَلِيٌّ بْنُ حَسَنِ ، وَاجْتَمَعْتُ بِهِ - أَعْنِي الْحَبِيبَ عَبْدَ اللَّهِ - بِمَنْزِلِهِ فِي جَاوَةَ أَوَائِلَ سَنَةِ (١٣٣٠هـ) ، وَكَانَ صَادِعًا بِالْحَقِّ ، شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ الْجَاهِ وَالْكَرْتَاةِ مِنَ الْغُلُوتَيْنِ ، وَطَالَمَا احْتَجَبَ عَنْهُمْ وَرَدَّهُمْ عَنْ بَابِهِ ، تُوَفِّي بِبَانْقِيلٍ مِنْ أَرْضِ جَاوَةَ فِي سَنَةِ (١٣٣١هـ) .

وَأَمَّا الَّذِي خَلَفَ عَلَى الْمَنْصِبِ بَعْدَ السَّيِّدِ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ . . . فَهُوَ السَّيِّدُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْقُطُبِ الْحَدَّادِ ، وَكَانَ شَهْمًا فَاضِلًا عَالِيَّ الْهَمَّةِ قَوِيَّ النَّفْسِ ، تُوَفِّي بِخَلْعٍ رَاشِدٍ فِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ (١٣١٣هـ) .

وَخَلَفَهُ الْحَبِيبُ حَسَنُ بْنُ عَمَرَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْقُطُبِ الْحَدَّادِ ، وَكَانَ أَيْضًا الْقَلْبِ ، كَثِيرَ الْتَوَاضُعِ ، صَادِقَ الْإِخَاءِ لَوْلَا الَّذِي ، تُوَفِّي فِي الْقَعْدَةِ مِنْ سَنَةِ (١٣٢٢هـ) .

وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ عَلِيٌّ بْنُ حَسَنِ ، وَكَانَ شَهْمًا كَرِيمًا ، فَحَصَلَتْ عَلَيْهِ أَذِيَّةٌ مِنْ آلِ تَرِيمٍ ، فَكَرَبَ إِلَى جَاوَةَ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

وَخَلَفَهُ عَلَى الْمَنْصِبِ أَخُوهُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ حَسَنِ ، وَتُوَفِّيَ فِي مُحَرَّمٍ مِنْ سَنَةِ (١٣٥٢هـ) .
وَخَلَفَهُ السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَدَّادِ ، وَتُوَفِّيَ فِي جَمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ (١٣٥٣هـ) .

وَخَلَفَهُ السَّيِّدُ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ إِلَى أَنْ تُوَفِّيَ فِي رَجَبٍ مِنْ سَنَةِ (١٣٥٤هـ) .

وَخَلَفَهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ ، ثُمَّ تَنَازَعَ هُوَ وَأَبْنَاءُ أَخِيهِ عَيْسَى ، فَانْفَصَلَ عَنِ الْمَنْصِبِ وَأَبْتَنَى لَهُ دَاراً فِي غَرْبِي خَلْعٍ رَاشِدٍ ، غَرَسَ حَوْلَهَا كَثِيراً مِنَ النَّخْلِ وَتَدَيَّرَهَا مَعَ تَرُدُّدِهِ إِلَى الْحَاوِي بِتَرِيمٍ .

وَخَلَفَهُ عَلَى الْمَنْصِبِ الْوَلَدُ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ ، فَهُوَ الَّذِي عَلَيْهِ الْيَوْمَ ، وَلَكِنَّهُ مَضْغُوطٌ عَلَيْهِ كَسَائِرُ الْمَنَاصِبِ بِسَبَبِ اشْتِدَادِ رَكْنِ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرَةِ بِالْإِنْكِلَابِ .

وَفِي الْحَاوِي جَمَاعَةٌ مِنَ آلِ بَاسَلَمٍ ، قَالَ الْحَبِيبُ عُمَرُ بْنُ حَسَنِ : (كَانَ جَدُّ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ جَدُّ آلِ بَاسَلَمٍ مِنَ الْمَغْرِبِ يَكَاتِبُ الْحَبِيبَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَلَوِيِّ الْحَدَّادِ ، ثُمَّ وَصَلَ حَضْرَمَوْتَ وَتَزَوَّجَ بِهَا . وَآلُ بَاسَلَمٍ تَطُولُ أَعْمَارُهُمْ زَائِداً عَلَى النَّاسِ) .

وَمِنْ كَلَامِ الْحَبِيبِ عُمَرَ بْنِ حَسَنِ أَيْضاً : (أَنَّ الْحَبِيبَ عَبْدَ اللَّهِ الْحَدَّادَ عِنْدَهُ سِتَّةُ أَوْلَادٍ ، يَلَازِمُهُ مِنْهُمْ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ ، وَالْبَاقُونَ يَسْكُنُ بَعْضُهُمُ الْحَاوِي ، وَبَعْضُهُمْ بَقِيَ بِتَرِيمٍ ، وَهُوَ يَتْرُكُ حَبَالَهُمْ عَلَى غَوَارِبِهِمْ ، فَيَسَافِرُونَ حَيْثُ شَاؤُوا ، وَأَكْبَرُهُمْ مُحَمَّدٌ . وَكُلُّ مَنْ تَزَوَّجَ مِنْ أَوْلَادِ الْحَبِيبِ عَبْدَ اللَّهِ . . . بَنَى لَهُ دَاراً لَا تَصِلُ نَفَقَتُهَا إِلَى عَشْرِينَ رِيالاً ، وَيَقُولُ لَهُ : أَسْكَنْهَا ، وَهُوَ يُوَاسِيهِمْ) اهـ

وَكَذَلِكَ كَانَ سَيِّدِي الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَسَنِ بْنِ طَاهِرٍ ، إِذَا زَوَّجَ أَحَدَ أَوْلَادِهِ . . . أَفْرَدَهُ بَدَارٍ وَأَعْطَاهُ بَقَرَةً وَحَمَاراً وَسَائِرَ آلَاتِ الْحَرْثِ وَنَفَقَةً خَمْسَةَ أَشْهُرٍ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ بِالْخِيَارِ ؛ إِنْ شِئْتَ . . . جَعَلْتَنِي أَبَا ، وَإِنْ شِئْتَ . . . جَعَلْتَنِي أَخَا ، وَإِنْ شِئْتَ . . . جَعَلْتَنِي كَوَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وَكَانَ الْحَبِيبُ عُمَرُ بْنُ حَسَنِ الْحَدَّادُ مِنَ خِيَارِ الْعُلَوِيِّينَ وَصُلَحَائِهِمْ ، وَكَانَ كَأَبَائِهِ وَأَقْرَبَائِهِ يَسْكُنُ الْحَاوِي ، ثُمَّ حَدَثَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَنْصِبِ الْحَبِيبِ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ شَجَارٌ عَلَى خَادِمَةٍ مَنَعَهَا الْحَبِيبُ عَلِيٌّ عَنِ الْخِدْمَةِ فِي بَيْتِ الْحَبِيبِ عُمَرَ ، فَانْتَقَلَ إِلَى نَوِيدِرَةِ تَرِيمٍ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا عَلَى الْعِلْمِ وَالْعِبَادَةِ حَتَّى تَوَفَّى ظَهَرَ الْأَرْبَعَاءِ (٢٣) ذِي الْحِجَّةِ الْحَرَامِ مِنْ سَنَةِ (١٣٠٨ هـ) أَي : قَبْلَ وَفَاةِ الْحَبِيبِ عَلِيٍّ بْنِ حَسَنِ بِمُدِيدَةٍ قَصِيرَةٍ .

وَمِنْ « الْمَوَاهِبِ وَالْمَنْ » : أَنَّ فسادَ يافعٍ زادَ في سنة (١١٧٩ هـ) .

ومنها : أَنَّ محسنَ بنَ عمرَ بنِ جعفرٍ نهبَ دُمُونَ وضواحي تريمَ ، فجاءَ الحبيبُ طاهرُ بنُ مُحَمَّدٍ بنِ هاشمٍ يقولُ للحسنِ بنِ عبدِ اللَّهِ الحَدَّادِ : (ما بقيَ لأحدٍ جاءَ عندَ هذا الظَّالمِ غيرُكَ ؛ فَإِنْ شَفَعْتَ في رَدِّ أموالِ المساكينِ ، وإلَّا . . فَلَائِمٌ عَلَيْكَ) ، فتوجَّهَ إليه فيها . . فَرَدَّهَا .

ومنها : عَنِ الحبيبِ عمرَ بنِ زَيْنِ بنِ سميطةٍ : أَنَّهُ سَمِعَ بعضَ السَّادةِ من تريمَ يُفَضِّلُ الحسنَ بنَ عبدِ اللَّهِ على العَلامَتينِ : عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أَحْمَدَ بلفقيهِ وطاهرِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ هاشمٍ .

ومنها : أَنَّ السُّلْطَانَ صالِحَ بنَ ناصرِ بنِ أَحْمَدَ الرَّصَّاصِ هَمَّ بالخروجِ إلى حضرموتَ ، ثُمَّ انْتَهَى ، ثُمَّ عَزَمَ بعدُ ، فَضَلَّ في الرَّمْلِ عتادُهُ مِنَ الْبَارودِ والرَّصَّاصِ ، وتفرَّقَ شملُ أصحابِهِ وَكَثُرَ فِيهِمُ المَوْتُ والمرَضُ ، وعادَ خائباً .

ومنها : أَنَّ الحبيبَ حسناً خَرَجَ هوَ وأولادُهُ وقرابَتُهُ وأتباعُهُ إلى بَيْتِ جُبَيْرٍ فذهبَ أَحَدُ أَحْفَادِهِ ومَعَهُ الخدمُ يأمرُهُم أَنْ يَجْمَعُوا الْقَضْبَ مِنَ الْآبَارِ الَّتِي حوالِيهِ لمراكبيهِم ، وَالْمُتَبَادِرُ أَنَّهُمْ يأخذونها - على عادةِ المناصبِ - بدونِ مقابلٍ ، وهوَ مِنَ الْمُشْكَلَاتِ ؛ كَمِثْلِ ما سَبَقَ في المَبْحَثِ الثَّالِثِ مِنَ الْحُسَيْسَةِ ، إِلَّا أَنَّ يُقَالُ : إِنَّهَا مرصودةٌ للمصالحِ فتلزمُ مواساتها ؛ بآيَةِ أَنَّهُمْ لا يأخذونَ إِلَّا للخيلِ ، فقد يَحْتَمِلُ ، إِلَّا أَنَّهُ مِنَ الْبَعِيدِ أَنْ تكونَ مراكيبُ الحسنِ وأتباعِهِ خيلاً كُلُّهَا معَ كثرةِ الخيلِ إِذْ ذاكَ بحضرموتَ ؛ فقد كانَ السُّلْطَانُ عيسى بنُ بدرٍ يزورُ القُطْبَ الحَدَّادَ في أربعينَ عِناً ، وكانَ فِرَاشُ مدرَسةِ القُطْبِ الحَدَّادِ بالحَوايِ حصيراً من دونِ وسادةٍ ، وأما في منزلهِ . . فسجادةٌ عليها وسادةٌ .

وفي أَيَّامِ الحسنِ فَرَشَ منزلهُ الواسعَ بالسُّجَّادِ الفارسيِّ من غيرِ الهنديِّ .

وتزوَّجَ القُطْبُ الحَدَّادُ بَنِيَّ ثَلاثينَ امرأةً ، أربعَ عشرةَ مِنَ الشَّرائِفِ ، والبواقي من غيرهنَّ ، وأُمُّ وَلَدِهِ مُحَمَّدٍ مِنَ آلِ كَثِيرٍ .

ولسيف بن محمدٍ الكثيري كَانَ تَأْلِيفُ « رِسَالَةِ الْمُرِيدِ » ، وَعَنِ الْأُسْتَاذِ الْأَبَرِّ أَنَّ سَيِّدَنَا الْحَدَّادَ يَقُولُ : لَمْ نُسَمِّ الْأَذَى الْأَفْنَى لَهُ « رِسَالَةَ الْمُرِيدِ » ؛ لِأَنَّهُ رَجَعَ عَنِ الْإِرَادَةِ ، وَكثيراً مَا يُوكِّلُ أَبْنَاهُ الْحَسَنَ فِي قَبُولِ الْنِكَاحِ لَهُ ، وَكَانَ لَا يَزِيدُ عَلَى مَسْحَةِ وَاحِدَةٍ لِرَأْسِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَمَسْحُهُ كُلَّهُ ، وَقَدْ سَرَّنِي هَذَا لِمُوَافَقَتِهِ لِمَا أَنَا عَلَيْهِ مِنْ زَمَانٍ قَبْلَ أَنْ أَعْلَمَ بِهِ ، وَقَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ أَنَّ جَدِّي الْمَحْسَنَ بْنَ عَلَوِيٍّ كَانَ عَلَى مِثْلِهِ .

وَقَدْ لَقِيَ الْقُطْبُ الْحَدَّادُ أَذَى كَثِيراً مِنْ إِخْوَانِهِ ، قَالَ الْحَبِيبُ عَمْرُ بْنُ حَسَنِ : إِنَّهُ اشْتَرَى مَالَ أَهْلِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، كُلَّمَا اشْتَرَاهُ . . أَدْعَى عَلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ . قِيلَ لَهُ : وَكَذَلِكَ الْحَبِيبُ حَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ الْعِيدَرُوسُ ، فَقَالَ : يَرْحَمُهُ اللَّهُ رَحْمَةً الْأَبْرَارِ .

وَأَكْثَرُ مَا وَقَعَ الْأَذَى عَلَى الْقُطْبِ الْحَدَّادِ مِنْ أَخِيهِ عَمْرٍ^(١) ، حَتَّى لَقَدْ سَمِعْتُ - لَكِنْ مِمَّنْ لَا أَتَقُ بِهِ - أَنَّهُ أَدْعَى عَلَيْهِ بِمِثَّةٍ بِهَارٍ ذَهَبَ ، فَمَا زَالَ أَهْلُ التَّدْبِيرِ وَمَحْبُوُّ الْإِصْلَاحِ يَسْفِرُونَ بَيْنَهُمْ حَتَّى تَمَّ الصُّلْحُ عَلَى مِثَّةٍ بِهَارٍ تَمْرٍ مِنْ نَخِيلٍ وَادِي الذَّهَبِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّةِ ذَلِكَ .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّمَا كَانَتْ الدَّعْوَى فِي بِهَارٍ وَاحِدٍ مِنَ الذَّهَبِ . وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ .
ثُمَّ مَا زَالُوا بِهِ حَتَّى أَبْعَدُوهُ عَنْهُ ، وَنَقَلُوهُ إِلَى الْحَاوِي الْأَذَى أَخْطَطُهُ فِي شِمَالِ حَوْطَةٍ آلِ أَحْمَدَ بْنِ زَيْنٍ .

وَفِي قَضَاءِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بَاكثِيرٍ : تَوَجَّهْتُ عَلَى الْحَدَّادِ دَعْوَى لَزِمَتْهُ بِهَا أَلِيمِينَ . . فغَلَّظَهَا عَلَيْهِ ، وَجَاءَ مَعَهُ بِمَصْحَفٍ مِنْ تَرِيمٍ ، فَقَالَ لَهُ الْحَدَّادُ : (أَمَا عِنْدَنَا مَصَاحِفُ ؟ !) وَفِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فَوَائِدُ :

(١) وَلَدَ الْحَبِيبِ عَمْرٍ بَتَرِيمٍ ، وَنَشَأَ فِي كَنَفِ وَالِدِهِ ، وَتَرَبَّى بِأَخِيهِ الْإِمَامِ ، وَلَهُ مِنْهُ وَصِيَّةٌ طَوِيلَةٌ ، قَالَ فِيهَا : (هَذِهِ وَصِيَّتِي لَكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ، كُنْ صَالِحاً حَتَّى يَتَوَلَّاكَ ، وَإِذَا تَوَلَّاكَ . . فَلَا تَحْتَاجُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ . أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكَ ، وَزُودَكَ التَّقْوَى ، وَيسرْ لَكَ الْخَيْرَ أَيْنَمَا تَوَجَّهْتَ ، وَكَانَ لَكَ حَيْثَمَا كُنْتَ وَإِيَّانَا وَأَحِبَّائِنَا . .) إلخ . أَمْلَاهَا سَنَةُ (١١٧٥ هـ) فِي شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ بِالتَّمَّاسِ مِنْ أَخِيهِ عَمْرٍ الْمَذْكُورِ . وَبِهَذَا يَتَحَقَّقُ لَنَا أَخْذُ أَخِيهِ عَمْرٍ عَنْهُ وَأَدْبَهُ مَعَهُ ، وَهَذَا يَنَافِي الْبَيْتَ مَا رَوَاهُ غَيْرُ الثَّقَةِ لِلْمُؤَلَّفِ ، وَاللَّهُ يَتَوَلَّى الْجَمِيعَ . يَنْظُرُ لِلْمَزِيدِ : « نُورُ الْأَبْصَارِ » لِلْعَلَّامَةِ عَلَوِيِّ بْنِ طَاهِرِ الْحَدَّادِ : (٣٤-٣٥) .

منها : أَنَّ خروجَ القاضي إلى الحاوي إمَّا لتحليفِ الحَدَّادِ على عَيْنِ المَدَّعَى به ؛
لاشتباههِ وتَعَذُّرِ نَقْلِهِ ، وإمَّا لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ بِهِ الحَضُورُ إلى مجلسِ الحُكْمِ .

والمسألة حيثنَّ خلافيةً ، فبعضُهم يُلْزِمُهُ الحَضُورَ لأجلِ اليمينِ ، وبعضُ يُلْزِمُ
القاضيَ إرسالَ مَنْ يُحْلِفُهُ في مكانهِ ، وهو الَّذي أَطْثَنِي رَجْعَتُهُ ، والبحثُ مستوفى في
المسألتينِ (٥٧٠) و (٩٧٦) من كتابي : « صوبُ الرُّكَّامِ في تحقيقِ الأحكامِ » .

وقد اختلفَ السَّلفُ في الصَّبْرِ لليمينِ ، فكرههُ بعضُهم حتَّى خرجَ مِنَ المَالِ أَنفَهُ ،
ولَمْ يَزَ بِهِ آخِرُونَ بِأَسَا .

وقد ترفعَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ الظَّاهِرِيُّ مَعَ خَصْمٍ لَهُ إلى القاضي إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ ،
ولمَّا توجَّهتِ اليمينُ على أَبِي دَاوُدَ . . قَالَ لَهُ القاضي : أَيَحْلِفُ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ ؟
قَالَ : مَا يَمْنَعُنِي وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِالْحَلْفِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ ؟ قَالَ القاضي :
أَيْنَ ذَلِكَ ؟!

قَالَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَسَتَنُفِثُكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَقٍ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ ،
وقوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْنِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَقٍ لَتَأْتِيََنَّكُمْ ﴾ ، وقوله : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ .

وَالْقِصَّةُ مَبْسُوطَةٌ فِي كِتَابِي : « بِلَابُ التَّغْرِيدِ » .

وفي المسألة (١٣٨١) مِنْ « الصَّوْبِ » صرَّحَ الإمامُ في « النِّهَايَةِ » ^(١) بِأَنَّ أَلْيَمِينَ
لَا تَجِبُ ، وَأَقْرَهُ الْأَرَاغِيُّ ، لَكِنْ قَالَ أَبُو عَبْدِ السَّلَامِ : لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ :

أَمَّا يَمِينُ المَدَّعَى عَلَيْهِ : فَإِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً . . فَحَرَامٌ ، وَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً : فَإِنْ كَانَ
الْحَقُّ مِمَّا يُبَاحُ بِالْإِبَاحَةِ ؛ كَالْمَالِ . . وَجِبَتْ أَلْيَمِينَ دَفْعاً لِمُفْسَدَةِ كَذِبِ خَصْمِهِ . . إِلَى
آخِرِ مَا أَطْلُتُ بِهِ .

ومنه : أَنَّ أَبْنَ حَجَرٍ اسْتَوْجَهَ عَدَمَ وَجوبِ أَلْيَمِينَ فيما يَقْبَلُ الْإِبَاحَةَ ، وَوَجوبَهَا فيما
لَا يَقْبَلُهُ إِذَا تَعَيَّنَتْ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) أي إمام الحرمين في « نهاية المطلب » .

ودعوى السَّيِّدِ عمرَ بنِ علويِّ الحَدَّادِ على أخيه بِالذَّهَبِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ مِمَّا تَحِيلُهُ الْعَادَةُ ، لَكِنْ قَالَ فَقَهَاؤُنَا بِوَجوبِ إِحْضَارِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَإِنْ أَحَالَتْهَا الْعَادَةُ ، وَهُوَ مِنْ أَلْبَعْدِ بِمَكَانٍ ، لَا سِيَّما مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى رَدِّ كُلِّ دَعْوَى وَكُلِّ شَهَادَةٍ ، بَلْ وَكُلِّ إِقْرَارٍ يَكْذِبُهُ الشَّرْعُ أَوْ الْحِسُّ . وَالْبَحْثُ مُسْتَوْفَى فِي الْمَسْأَلَةِ (٥٥٩) مِنْ « الصَّوْبِ » .

وَبَعْضُ النَّاسِ يَنْتَقِدُ فِعْلَ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ وَيَعُدُّهُ مِنْ إِسَاءَةِ الْأَدَبِ ، وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ آدَاءٌ لِلوَاجِبِ ، وَبُعْدٌ عَنِ الْمَحَابَةِ ، مَعَ أَنَّ الْقُطْبَ الْحَدَّادَ لَمْ يُلَاحِظْ عَلَيْهِ إِلَّا أَسْتَصْحَابَ الْمُصْحَفِ مِنْ تَرِيمٍ .

وَقَدْ أَطَالَ الشَّيْخُ عَلِيُّ فِي تَرْجُمَةِ الْقُطْبِ الْحَدَّادِ وَوَفَّاهُ حَقَّهُ ؛ لِأَنَّهُ مِنْ كِبَارِ مُشَايخِهِ ، بَلْ أَكْبَرُهُمْ ، وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى الْحَاوِي كُلِّ يَوْمٍ بَعْدَ الظُّهْرِ ، وَلَمَّا حَصَلَتْ عَلَيْهِ الْأَذِيَّةُ مِنَ الدَّوْلَةِ . . لَمْ يَعْتَصِمَ إِلَّا بِالْإِقَامَةِ فِي الْحَاوِي .

وَمِنْ قُرَى تَرِيمٍ : الْمُحَيِّضَرَةُ .

وَكَانَتْ لِلسَّادَةِ آلِ سَمِيطٍ ، وَهُمْ وَآلُ شَبَامٍ قَبِيلَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَمِنْهُمْ الْقَاضِي بَتَرِيمَ عَلَوِيُّ بْنُ سَمِيطٍ ، تَعَمَّرَ كَثِيرًا ، وَأَضَرَّ فِي آخِرِ وَقْتِهِ ، وَلَكِنَّهَا أَنْعَمَتْ أَلَانً . وَلَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي حُرُوبِ يَافِعٍ وَآلِ كَثِيرٍ .

وَمِنْهَا : الْحَيَوَارُ^(١) ، وَقَدْ أُدْخِلَتْ بَعْضُ ذُبُورِهِ فِي سُوْرِ تَرِيمٍ ، وَعُمِّرَتْ فِيهَا دِيَارٌ كَثِيرَةٌ .

وَمِنْهَا : بَرِيحٌ ، كَانَتْ بَيْنَ دَثُونٍ وَتَرِيمٍ ، وَلَا أَثَرَ لَشَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا الْمَقْبَرَةُ .

أَمَّا أَحْوَالُ تَرِيمِ الدَّوْلِيَّةِ : فَكَمَا سَبَقَ فِي شَبَامٍ ذَرُوءُ مِنْهَا ، وَهِيَ كَرَسِيُّ مَمْلَكَةِ آلِ قَحْطَانَ الْمُنْفَرَّعَةِ وَلَا يَتَّهَمُ عَلَى حَضَرَمَوْتَ عَنْ إِمَارَةِ الْهَزِيلِيِّ عَلَى شَبَامٍ فِي حَدُودِ سَنَةِ (٢٧٠هـ) ، وَقَدْ قَالَ صَاحِبُ « الْبَرْدِ النَّعِيمِ » : (إِنَّ وَلَا يَتَّهَمُ أَمْتَدَّتْ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ سَنَةٍ) اهـ

(١) وَجَرى بِهَا فِي (١٢٦٢هـ) وَمَا بَعْدَهَا إِبَانُ حُكْمِ غَرَامَةِ عِدَّةِ حَوَادِثَ . يَنْظُرُ : « الْعِدَّةُ الْمَفِيدَةُ » (٣٤٣-٣٤٢/١) وَمَا بَعْدَهَا .

والحال أنها باعتبار أصلها امتدت إلى أطول من ذلك بكثير .

ومدافئهم بالرُضيمة من تريم ، وكانوا - كما في «الأصل» - يدفنون هلكاهم بها في صناديق ، وفي كلام القطب الحداد أن بالرُضيمة صناديق من ذهب ، فلعل الصناديق التي كانوا يدفنون موتاهم فيها كانت من الذهب كما الملوكة تفعل ، ومن مآثور الكلام : أن أُم الإسكندر أمسكت على صندوق الذهب الذي وضعوا ابنها فيه ليُدفن بعد أن قال كل من الحكماء كلمته الماثورة ، فقالت : لقد جمعت هذا في حياتك . . فجمعتك بعد مماتك .

ثم انتهى الأمر إلى آل أحمد والصبريات ، وجرى بينهم بعضهم بعضاً وبينهم وبين غيرهم أمور طويلة عريضة ، فصلنا منها في «الأصل» ما شاء الله أن نُفصل ، ثم صار الأمر لآل كثير ، ثم للإمام ، ثم ليافع .

وسبب اتصال يافع بحضرموت : أنهم زاروا حضرموت في أيام الشيخ أبي بكر بن سالم ، وأحبوه ، واعتقدوا فيه الصلاح ، ثم زاروها في أيام ابنه الحسين ، كما سيأتي عند ذكره في عينات ، ثم خرجوا مع أحد سلاطينهم - وهو : السلطان عمر بن صالح بن الشيخ علي هريرة ، أليافي وطناً ، ألهمداني نسباً - نجدة للأمير بدر بن محمد المزدوف^(١) ، بإشارة من الحبيب علي بن أحمد أو من أخيه شيخ بن أحمد على اختلاف الرواية ، أو منهما كما هو الأقرب . . وكانت طريقهم بأرض العوالي ، فأكرمهم سلطانها ، ثم قدموا على العمودي بدوعن فأضافهم ، ثم اتفقوا مع سلطان آل كثير عمر بن جعفر في بخران سنة (١١١٧هـ) وهناك أنهزم آل كثير وأستولت يافع على جميع بلدان حضرموت الوسطى والسفلى ؛ مثل : هين ، وشبام ، وسيئون ، وتريم .

وبعد أن ضبطها عمر بن صالح . . ركب إلى الشحر وأستولى عليها ، ثم بلغه أن أهل هين نكثوا وأخرجوا يافعاً منها ، فعاد لهم وأخضعهم ، ورجع إلى يافع وقد

(١) المتوفى سنة (١١٢٠هـ) ، وهو بدر بن محمد المزدوف بن عمر بن بدر بوطويق ، تولى الحكم بعد

وفاة والده سنة (١٠٧٣هـ) . ينظر : « تاريخ الدولة الكثيرية » (٨٩-٩٤) .

أَقْتَسَمَتْ يافعُ بِلَادَ حَضْرَمَوْتَ ، فَكَانَتْ شِبَامَ وَهَيْنَ لِلْمُوسَطَةِ^(١) ، وَسَيْثُونَ وَمَرِيْمَهُ لآلِ الْضَنْبِيِّ^(٢) ، وَتَرِيْمُ لِلْبَعُوسِ^(٣) - وَفَوْقَهَا بِنَادِقُ مِنَ الْعُلُوقِ الْغَالِيَةِ - وَالْدَوْلَةِ ، أَقَامَ أَنَاسُ مِنْهُمْ بِسَيْثُونَ ، وَنَاسٌ فِي بَاجِلِحِيَّانَ ، بِحَصْنِ بِنَاءِ آلِ مَطْهَرٍ ، فِيهِ بَثْرٌ عَذْبَةٌ أَلْمَاءِ .

وَأَمَّا بَنُو قَاصِدِ الْيَافَعِيِّونَ^(٤) الْمَرُؤُوسُونَ بِأَبْنِ عَفِيفٍ . . فَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ نَاسٌ قَلِيلٌ فِي هَذَا الْتَّجْهِيزِ ، مِنْهُمْ : آلُ يَزِيدَ ، رِئَاسَتُهُمْ بِحَضْرَمَوْتَ لِلْبَطَاطِيِّ ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَكَانَ مَسْكَنُهُمْ بِالْهَجْرَيْنِ وَالْقَرْهَ ، وَفِيهِ نَاسٌ أَيْضاً مِنَ الْكَلْدِيِّينَ^(٥) ، وَنَاسٌ مِنْ قَبِيلَةِ يَهْرٍ^(٦) ، يُقَالُ لَهُمْ : الْكُشَاظِيرُ ، أَقَامُوا بِغِيلِ ابْنِ يُعْمِينَ ، فَنَسَبُهُ بَعْضُ الْنَّاسِ إِلَيْهِمْ .

وَأَمَّا الْكُسادِيُّ : فَكَانَ مِنْ ذِي نَاحِبٍ^(٧) ، وَجَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْمُكْلَاءِ . اهـ مِنْ

(١) الْمُوسَطَةُ : حَلْفُ قَبْلِي فِي يَافَعٍ ، عَاصِمَتُهُمْ بِلَدَةُ الْقَدَمَةِ ، حَيْثُ مَقَرَّ شَيْوُخُهُمْ آلُ النَّقِيبِ . . وَمِنْ قَبَائِلِهِمْ : آلُ الْخَلَّاقِي ، الْعَلَسِي ، الرِّيُوي ، الْقَعِيطِي ، السَّعْدِي ، السَّعِيدِي ، الْجَرَادِي ، الْيَسْلَمِي ، الرَّشِيدِي ، الْحَوْثَرِي ، الْعُرُوي ، الْعِيسَانِي ، الْحَنْشِي ، وَتَفْصِيلُ مَنَاطِقِهِمْ فِي : « مَعْجَمُ الْمُقْحَنِي » (١٦٨٤) .

(٢) قَبِيلَةُ مِنْ يَافَعِ الْعَلِيَا ، يَمْتَازُونَ بِقُوَّةِ الشَّكِيمَةِ ، يَدِينُونَ بِالطَّاعَةِ لآلِ الشَّيْخِ عَلِيٍّ .

(٣) لَبْعُوسٌ = الْأَبْعُوسُ : قَبِيلَةُ وَجِيلٌ فِي يَافَعٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ : (مَكْتَبُ الْبُعْيسِي) ، وَجِيلٌ لَبْعُوسٌ هُوَ مَرْكَزُ مَدِيرِيَةِ يَافَعٍ إِحْدَى كِبَرِيَّاتِ مَدِيرِيَّاتِ مَحَافِظَةِ لَحْجٍ ، وَلِلْأَبْعُوسِ فِرْعَانُ مِهْمَانٌ ؛ هُمَا : الْحَوْرِي ، وَالسَّيْلِي .

(٤) بَنُو قَاصِدٍ : قَبِيلَةُ مِنْ يَافَعِ السُّفْلَى (وَالْمَقْصُودُ بِالسُّفْلَى : مَدِيرِيَّاتِ رِصْدٍ وَجَعَارٍ فِي أَبِينِ) ، مِنْ قَبَائِلِهِمْ : آلُ يَزِيدَ ، آلُ الْبَطَاطِيِّ ، آلُ الذِّيَّانِي ، آلُ الْعَرْمِي ، آلُ طَاهِرٍ .

(٥) الْكَلْدِيُّ : نَسَبُهُ إِلَى كَلْدَ ، بَطْنٌ مِنْ قَبَائِلِ يَافَعِ السُّفْلَى ، دِيَارُهُمْ فِي الْقَارَةِ مِنْ أَعْمَالِ أَبِينِ مَدِيرِيَةِ رِصْدٍ . وَمِنْ فُرُوعِهَا : ١- الْجَلَادِي : وَهُمْ : هَوَيْدِي ، وَعَطُوي ، وَمَعْلِيسِي ، وَهَيْثَمِي . ٢- مَنْصَرِي : بَرْكَانِي ، عِيَّاشِي ، جَدْسِي . ٣- يَوْسُفِي . ٤- سَاعِدِي . ٥- جَرِيدِي . ٦- بَاقَرِي . ٧- دَاوُدِي . . وَغَيْرُهُمْ .

(٦) يَهْرٌ : قَبِيلَةُ حَمِيرِيَّةٌ يَافَعِيَّةٌ كَبِيرَةٌ ، سَكَنَتْ بِلَادَ يَافَعٍ ، وَنَسَبُهَا إِلَى وَادِي يَهْرٍ ، وَهُوَ وَادٍ خَصِيبٌ يَلْتَقِي مَسِيلَهُ مَعَ وَادِي بَنَا جَوَّارٍ قَرْيَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ، وَيَشْكَلُ مَرْكَزاً إِدَارِيّاً مَعَ مَدِيرِيَّاتِ يَافَعٍ : أَعْمَالُ مَحَافِظَةِ لَحْجٍ . وَتَرْتَبِطُ يَهْرُ الْمَنْطَقَةُ بِمَنْطَقَةِ الْمَفْلَحِي بِطَرِيقِ إِسْفَلْتِيَّةٍ طَوَّلَهَا (١١ كَم) .

(٧) وَذُو نَاحِبٍ هَذَا هُوَ وَادٍ فَسِيحٌ فِي أَعَالِي مَرْتَفَعَاتِ يَافَعِ الْعَلِيَا ، تَحْدُثُ عَنْهُ الشَّيْخُ النَّاحِبِيُّ فِي : « رَحْلَةُ إِلَى يَافَعٍ » (٢٧ ، ٢٩) .

« بستانِ العجائبِ » لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ سَقَّافِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سالمٍ .

وفيه مخالفةٌ لما سبقَ في المُكَلَّا عن سببِ اتِّصالِ الكساديِّ بِالْمُكَلَّا ، ولبعضِ ما في « الْأَصْلِ » ، إِلَّا أَنَّهُ خِلَافٌ يَسِيرٌ ، لا يَضُرُّ بِأَصْلِ الْخَبَرِ ، بل يَتَسَرُّ الْجَمْعُ لِلنَّاظِرِ بَيْنَهُمَا بِأَدْنَى تَأَمُّلٍ .

وَمِنْ (يَهَرَ) رَئِيسُ الْحَضَارِمِ بِالسُّومَالِ الْإِيطَالِيَّ الْحَاجُّ مُحَمَّدُ عِبَادِي بْنُ عَاطِفِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ جَبْرَانَ الْأَرَجَانِيَّ ، وَفِي « إِكْلِيلِ الْهَمْدَانِيَّ » : أَنَّ ذَا يَهَرَ أَحَدُ أَذْوَاءِ حَمِيرٍ ، وَهُوَ أَبُو الْحَارِثِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ سَدِّ بْنِ زُرْعَةَ بْنِ سَبَأِ الْأَصْغَرِ ، وَفِيهِ يَقُولُ أَسْعَدُ بْنُ تَبَعٍ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

وَقَدْ كَانَ ذُو يَهَرَ فِي الْأُمُو رِيَاضٍ مِّنْ شَاءَ لَا يُؤْمَرُ

وَقَصْرُ ذِي يَهَرَ عَلَى بَعْضِ يَوْمٍ مِنْ صَنْعَاءَ بِمَوْضِعٍ فِي بَيْتِ حَنْبَصٍ ، وَهُوَ قَصْرُ جَاهِلِيٍّ يَسْكُنُهُ فِي عَهْدِنَا أَبُو نَصْرِ الْحَنْبِصِيُّ نَسَبُهُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ ، وَفِيهِ يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِهِ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

لَعَمْرُكَ مَا الْكَلْبِيُّ إِنْ عُدَّ عِلْمُهُ وَعِلْمُ جُبَيْرٍ وَالْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ
وَدَغْفَلَ فِي شُجَيْرَةٍ وَأَبْنِ شَرِيَةٍ بِأَعْرَفٍ فِيمَا حَاوَلُوا مِنْ أَبِي نَصْرِ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ وَهَبِ بْنِ شَرْحِبِيلَ بْنِ عَرِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَهَبِ بْنِ يَعْفَرَ بْنِ زَيْدِ بْنِ شَمْرِ بْنِ شَرْحِبِيلَ بْنِ أَشْمَرَ بْنِ زُرْعَةَ بْنِ شَرْحِبِيلَ بْنِ وَهَبِ بْنِ نَوْفِ بْنِ يَعْفَرَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَرْحِ بْنِ يَعْفَرَ ذِي يَهَرَ . اهـ
بِاخْتِصَارِ لَفْظٍ

وَمِنْهُ تَعْرِفُ أَنَّ الشَّنَاطِيرَ لَيْسُوا مِنْ يَافِعِ أَنْفُسِهِمْ ، وَلَكِنْ قَدْ آخَتْهُمْ .

وَقَدْ أَنْقَسَمَتْ لَبْعُوسُ فِي تَرْيِمٍ وَأَرْبَاضِهَا إِلَى فَرَقٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، أَقْوَاهُمْ آلُ غَرَامَةَ ، وَرَئِيسُهُمْ سَالِمُ بْنُ غَرَامَةَ صَاحِبُ حَصْنِ الدُّكَيْنِ الْوَاقِعِ فِي شَرْقِيِّ دَثُونٍ ، وَكَانَ ابْنُ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ عَوِضَ غَرَامَةَ يَنَازِعُهُ ، وَلَمَّا مَاتَ فِي حَدُودِ سَنَةِ (١٢٢٦ هـ) . . صَفَا لِعَبْدِ اللَّهِ الْجَوُّ ، وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا ، لَا يَمَلَأُ أَهْلُ الْهَوْلِ صَدْرَهُ قَبْلَ مَوْقِعِهِ ، وَلَا يَضِيقُ بِهِ ذِرْعًا إِذَا

وقع ، ولا يقتضي حاجاته من حملة السلاح إلا بالسيف ، وقد قال المتنبي [في
« العُكْبَرِي » ١٦٠ / ٤ : من البسيط] :

مَنْ أَقْتَضَى بِسْوَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ بَلَمْ^(١)
وكان يُنكرُ بطبعه غلوَّ القُبُورِيِّينَ فوافَقَتْهُ آراءُ الوَهَّابِيَّةِ ، وأكثرَ التَّعلُّقَ بوحيدِ عصرِهِ ،
وفريدِ دهرِهِ ، مقدِّمِ الجماعةِ ، وشيخِ الصَّنَاعَةِ ، الَّذِي أَنْتَهَتْ إِلَيْهِ رِياسَةُ الْعِلْمِ بتريم ،
الْعَلَّامَةِ الْجَلِيلِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهِنْدَوَانِ^(٢) ، المتوفى بتريم سنة
(١٢٤٨ هـ) ، وقد اتَّهَمَهُ الْعُلُوِّيُّونَ بِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعَلِّمُ عَبْدَ اللَّهِ عِوَضَ غرامةِ آراءِ
الْوَهَّابِيَّةِ ، ويَحْتُثُّ عَلَى الْإِذَازِمِ بِهَا وَمُؤَاخَذَةِ النَّاسِ بِمَقْتَضَاهَا ، فتأمروا عَلَى قَتْلِهِ ،
فهربَ إِلَى بَيْتِ جَبْرِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَبْدُ اللَّهِ غرامةَ عَلَى حِمَايَةِ بتريم ؛ لِأَنَّهُ لَا يَمْلِكُهَا
كُلُّهَا .

وفي أَيَّامِهِ كَانَ وَصُولُ الْوَهَّابِيَّةِ إِلَى تريم سَنَةَ (١٢٢٤ هـ) ، بِقِيَادَةِ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ
قَمَلَا ، فَطَوَى بِهِمْ حَضْرَمَوْتَ ، وَلَمْ يُفْسِدْ حَزْناً وَلَا أَهْلَكَ نَسْلاً ، وَإِنَّمَا هَدَمَ الْقَبَابَ ،
وَسَوَّى الْقُبُورَ الْمُشْرِفَةَ ، وَأَلْقَى الْقَبْضَ عَلَى الْمَنَاصِبِ آلِ عِينَاتِ وَآلِ تاربه وَأَهَانَهُمْ ،
وَأَتْلَفَ قَلِيلاً مِنَ الْكُتُبِ كَثْرُهُ بَعْضُ الْعُلُوِّيِّينَ - كصاحبنا الْفَاضِلِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ - بِدُونِ مَبَرِّرٍ مِنَ الدَّلِيلِ^(٣) ، وَأَقَامُوا بتريم نَحْوَاً مِنْ أَرْبَعِينَ
يَوْماً ، وَعَاهَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ عِوَضَ غرامةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَمَانِيٍّ عَلَى أَنْ يَكْفِيَ الْأَذَى
عَنْ بِلَادِهِمَا عَلَى شَرَطٍ أَنْ يَقُومَا بِنَشْرِ دَعْوَتِهِ الَّتِي لَاقَتْ هَوًى مِنْ نَفْسِهِمْ ، وَقَبُولاً مِنْ
خَوَاطِرِهِمْ .

وَوَجَدْتُ أَيْضاً مَعَاهِدَةً بِتَارِيخِ سَنَةِ (١٢٢٢ هـ) بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ صَالِحِ بْنِ ثَابِتٍ ،

(١) المعنى - كما في « العُكْبَرِي » - : من طلب حاجته بغير السيف . . أجاب سائله عن قوله : هل أدركت
حاجتك؟ بقوله : لم أدرك .

(٢) هو حفيد العلامة أحمد بن عمر الهندوان ، المتوفى سنة (١١٢٢ هـ) ، أحد أقران الإمام الحداد ومن
تربطهم به صفة ومحنة .

(٣) ومثله جاء في بعض أعداد مجلة « الرابطة » .

وعبد الله بن سلطان بن ثابت ، ومنصّر بن محمّد ، وناجي بن محمّد آل قملا ، وجعلا عبد الله بن سلطان أميراً من قبيلهما على الكُسر .

ووجدت أيضاً معاهدة بينهما وآل العطّاس بحريضة وأمرًا من قبيلهما عليها السيّد عليّ بن أحمد العطّاس كما يروي جميع ذلك شيخنا العلامة أحمد بن حسن العطّاس . وكذلك توجد معاهدة بين آل قملا والسّادة آل المسيله .

وقال السيّد علويّ بن أحمد بن حسن في مقدّمته لـ « ديوان جدّه » : (وذكر الشّيخ عقيل بن دغمش أنّهم خرجوا إلى حضرموت ثلاث مرّات . فالأولى : سنة (١٢١٨ هـ) ، وردّهم جعفر بن عليّ لما ملك شبام .

والثانية : سنة (١٢٢٤ هـ) ، وجرى منهم ما تقدّم في تريم ، وأخذوا نحواً من أربعين يوماً ، ثم ساروا منها كلّهم .

والثالثة : خرجوا سنة (١٢٢٦ هـ) ، ووصلوا قريباً من شبام وفازوا بالقتل والانهاز ، ورجع منهم من رجع شذراً مذر) اهـ

وقد سبقت الإشارة في تريس وغيرها إلى ميل الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه إلى بعض آراء الوهابيّة ، ومن أدلّة ذلك : أنّه أثنى على قسّم وأهلها بقصيدة استهلّها بقوله : (لنا بمغنى قسّم أهل وإخوان) انتهى بها إلى مدح آل تميم عموماً ، والمقدّم عبد الله بن أحمد خصوصاً ، فقال [من البسيط] :

لَا تَنْسَ أَوْلَادَ رَوْحِ هُم قَبَائِلُهَا	قَدْ هُدِمَتْ لِإِلْعَادِي مِنْهُمْ أَرْكَانُ
فَابْنُ يَمَانِيهِمْ رَأْسُ الْأَسْوَدِ لَهُ	فِي الْحَرْبِ صَيْتٌ وَفِي الْإِحْسَانِ عُنْوَانُ
كَمْ مِنْ فَتَى مِنْهُمْ عِنْدَ الْلَقَا فَرِحُ	كَأَنَّ أَعْدَاهُ إِذْ يَغْشَاهُمْ ضَانُ
كَمْ كَسَرُوا لِإِلْعَادِي مِنْهُمْ قِمَمًا	حَتَّى غَدَا حَدُّهُمْ بِالْأَمْنِ مَلَانُ
جِيرَانُهُمْ فِي مَحَلِّ الْعِزِّ عِنْدَهُمْ	كَأَنَّهُمْ فِي رُبُوعِ الْقَوْمِ ضَيْفَانُ
أَقُولُ حَقًّا بِأَنَّ اللَّهَ نَاصِرُهُمْ	لَأَنَّهُمْ لِأَهْنِئِلِ الْبَيْتِ أَغْوَانُ

وفي سنة (١٢٢٩ هـ) أرسل الأمير عبد الله عوض غرامة ثلثة من جنده للتحرش بأهل المسيله فلم يجرؤوا ، وعند أنصرافهم ألتقوا بجماعة من السّادة عسكر الحبيب

طاهر ، إمّا مصادفةً ، وإمّا طمعوا فيهم لمّا رأوهم أنقلبوا بدون طائل ، ومعهم العلامةُ السَّيِّدُ سالمُ بنُ أبي بكرٍ عديد ، فأنهزم السَّادةُ بمجرّد ما سمعوا إطلاق الرّصاص ، مع أنّ جندَ غرامة لم يتعمّدوا إصابتهم ، وإنّما أرادوا كفّهم وتخويفهم ، فأنهزموا هزيمةً فاحشةً ، حتّى لقد سقط إزارُ أحدهم فهرب عُريّاناً! فقالت إحدى شواعر تريم :

إِذَا أَقْبَلُوا يَافِغِ الْمَثْقَلِينَ تَقْعُونَ سَادَةً حَتَّى حِزَمَكُم تَلِينَ

أخبرني بهذا الثَّقةُ الثَّبتُ السَّيِّدُ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ عوضٍ الشَّاطِريّ ، عن جدّه لأُمّه شيخنا ابنِ شهاب . ولم يتبعهم جندُ عبدِ الله عوض ، غير أنّ رصاصةً أصابت السَّيِّدَ سالمَ عديد^(١) فسقط ميتاً مع البارود ، وفي اليومِ الثَّاني أرسلَ إليهم الأَميرُ عبدُ الله عوض بتعزيةٍ يقولُ فيها : (إِنَّا لَا نَرِيدُ ذَلِكَ وَلَا نَحْبُهُ ، وَإِنَّمَا كَانَ قَتْلُهُ عَلَى غَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنَّا ، لَكِنَّ شُؤْمَ أَعْمَالِكُمْ ، وَالتَّفَاتِكُمْ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ ، وَعِبَادَتِكُمْ لِلْأَمْوَاتِ وَالْقُبُورِ . . هُوَ الَّذِي جَرَّ عَلَيْكُمُ الْمَصَائِبَ ، وَسَيَجْزِي عَلَيْكُم مَا هُوَ أَعْظَمُ) اهـ

ويقال : إنّ هذه المكاتبة كانت من إنشاءِ إمامِ تريم لذلك العهد - المتقدّم ذكره - السَّيِّدِ أبي بكرٍ بنِ عبدِ الله الهمداني ، والله أعلم .

وحصلت من عبدِ الله عوض غرامة مساعداتٍ ماليّةٍ للأَميرِ عليّ بنِ قَمَلا كلّفَ بها الرّعايا ، حتّى لقد رأيتُ وثيقةً فيها أنّ نوابَ وَقَفِ الْمُحَضَّرِ باعوا بئرين لَهُ بَيْتِ جَبِيرِ بثلاثِ مئةٍ وعشرين رِيالاً على سبيلِ الْعُهُدَةِ ، في دفعِ ضررِ ابنِ قَمَلا وعبدِ الله عوض عن مالِ الْمُحَضَّرِ ، وعليها إمضاءُ الْقَاضِي حَسَنِ بْنِ عَلَوِيٍّ مَدِيحِجٍ^(٢) ، وتاريخُها سَنَةُ (١٢٦٣ هـ) ، ولعلّه كان غلطاً ؛ إذ تاريخُ وصولِ ابنِ قَمَلا إلى تريم إنّما كان سَنَةَ (١٢٢٤ هـ) ، أو سَنَةَ (١٢٢٦ هـ) على اختلافِ الْقُؤُولِ فِي ذَلِكَ ، وأمّا سَنَةُ (١٢٦٣ هـ) . . فبعدَ وفاةِ عبدِ الله غرامةً بمدّةٍ ، ما لم يَكُونُوا أَسْتَدَانُوا ذَلِكَ الْقَدْرَ ثُمَّ لَمْ تَسْنَحِ الْفُرْصَةُ لِلتَّعَهُدِ إِلَّا بَعْدُ ، وَفِيهِ فَائِدَتَانِ :

(١) كان موته صريعاً في محرم (١٢٢٩ هـ) ، وقد كان عالماً عاملاً ذكياً نبيهاً ولياً صالحاً .

(٢) هو السيد حسين بن علوي بن عبد الله بن سالم عقيل مديحج ، كان سيداً فاضلاً فقيهاً ، تولى القضاء بتريم ، توفي بها في صفر (١٢٦٨ هـ) .

الأولى : التَّوَشُّعُ ببيع الموقوف ، إلاَّ أَنَّهُ قد يُجَابُ بَأَنَّ الْأَصْلَ في أَمْوَالِ الْمَسَاجِدِ الْمَلِكُ .

والثَّانِيَّةُ : بَيْعُهُ عَهْدَةً وَالْأَعْلَبُ أَنَّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بَدُونِ ثَمَنِ الْمَثَلِ ، وَهُوَ مَمْتَنَعٌ فِي مَالِ الْمَسْجِدِ ، وَقَدْ صَرَّحُوا بِامْتِنَاعِ بَيْعِ مَالِ الْمَحْجُورِ عَهْدَةً مُطْلَقًا ، وَالْمَسْجِدُ مِثْلُهُ فِيهِ هَذَا الصَّنِيعُ فَسَحَةٌ وَتَسَامُحٌ .

ولعبدِ اللَّهِ عوض أخبارٌ عجيبةٌ ذكرنا مِنْهَا نَتْفًا بِـ « الْأَصْلِ » ؛ وَمِنْهَا : أَنَّ بَعْضَ أَعْيَانِ السَّادَةِ رَكِبَ إِلَى زِيَارَةِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبَيْنَا هُوَ خَارِجٌ مِنْ تَرِيمٍ وَأَمَامَهُ خَشَارَةٌ^(١) مِنْ الْحَاكَةِ وَمَنْ لَفَهِمْ يَرْتَجِزُونَ بِمِثْلِ قَوْلِهِمْ : يَا شَيْخَنَا يَا مُحَضَّرُ . . إِذْ غَضِبَ غَرَامَةً وَأَسْتَلَّ سَيْفَهُ لِيُعْمِدَهُ بِطُلَى زَعِيمِ الْحَاكَةِ وَأَنْتَصَبَ لِمَسَاوِرَتِهِ بَعْضُ السَّادَةِ آلِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ، لَوْلَا أَنَّ شَيْخَ مَشَايِخِنَا - وَهُوَ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنٍ بَلْفَقِيهِ - تَدَارَكَ الْأَمْرَ وَقَالَ لَهُمْ : (قُولُوا : سُبْحَانَ مَنْ لَا يَفْنَى وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ) ، فَارْتَجَزُوا بِهَا ، فَسَرَّ عَبْدُ اللَّهِ غَرَامَةً وَقَالَ : (أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ) وَهِيَ كَلِمَتُهُ الَّتِي يُوشَّحُ بِهَا كَلَامُهُ ، وَلَا يَزَالُ الْأَكْرَةُ يَتَغَنَّوْنَ بِهَا إِلَى الْيَوْمِ .

وبِهِ ذَكَرْتُ قَوْلَ الْعَلَامَةِ أَبِي حَجَرٍ : (فَائِدَةٌ : أَحَدُثَ الْمُؤَدِّثُونَ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَقِبَ الْأَذَانِ لِلْفَرَائِضِ ، مَا عَدَا الصُّبْحَ وَالْجُمُعَةَ ؛ فَإِنَّهُمْ يُقَدِّمُونَ ذَلِكَ فِيهِمَا عَلَى الْأَذَانِ ، وَإِلَّا الْمَغْرِبَ ، لِضَيْقِ وَقْتِهَا ، وَسَبَبُهُ : أَنَّ الْحَاكِمَ^(٢) لَمَّا قُتِلَ . . أَمَرَتْ أُخْتُهُ الْمُؤَدِّثِينَ أَنْ يَقُولُوا فِي حَقِّ وَلَدِهِ : السَّلَامُ عَلَى الْإِمَامِ الطَّاهِرِ ، ثُمَّ أَسْتَمَرَ السَّلَامُ بَعْدَهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ حَتَّى أَبْطَلَهُ صِلَاخُ الدِّينِ ، وَجَعَلَ مُحَلَّهُ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا ، وَنِعْمًا

(١) الخُشَارَةُ : الرَّدِيءُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا غَوَاةُ النَّاسِ .

(٢) هُوَ السُّلْطَانُ الْعَبِيدِيُّ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ نَفْسِهِ ، فَرَعُونَ زَمَانَهُ ، الَّذِي جَعَلَ النَّاسَ يَسْجُدُونَ لَهُ وَيَسْبَحُونَ بِحَمْدِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ . . مَاتَ لَعَنَهُ اللَّهُ سَنَةَ (٤١١ هـ) ، وَاسْمُهُ مَنْصُورُ بْنُ نَزَارٍ . يَنْظُرُ : « الْأَعْلَامُ » (٣٠٦-٣٠٥ / ٧) .

فعل . وقد أفتى مشايخنا وغيرهم بأنَّ الأصل سنَّة ، والكيفيَّة بدعة ، وهو ظاهر (اهـ)
بنوع اختصار

ولا يبعد عنه ما كان من عمر بن عبد العزيز من إبداله ما اعتاده بنو أمية بآية : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ إلى آخرها .

وكان عبد الله غرامة شديداً على الأعداء ، لئن العريكة للضعفاء ، سهل الجانب لهم ، وله أصحاب من الحاكّة والأراذل يتنادرون عليه كأنه أحدهم ، وهو يُجرُّهُمْ على نفسه ليأنس بهم ، وتسقط كلفة التَّحَقُّظ فيما بينهم ، فهو :

مُنْقَرَّ مُرٌّ عَلَى أَغْدَائِهِ وَلَدَى الْأَذْنَيْنِ حُلُوٌّ كَالْعَسَلِ^(١)

عاش وسيفه يقطرُ مُهْجاً ، ويسيلُ دماً ، من آل تميم وغيرهم من حملة السِّلَاح ، وكان لا يأخذ صلحاً فيمن يقتله من آل تميم قط ، توفي بتريم سنة (١٢٥٥ هـ) بعد أن خبط الزَّمان خبطاً ، وضبط الرِّجال ضبطاً ، وكان كما قال بشار [في « ديوانه » ١٤٥-١٤٦ من المقارب] :

فَتَى لَا يَبِيْتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرِبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ
يُحِبُّ أَلْعَطَاءَ وَسَفَكَ الدِّمَاءَ فَيَغْدُو عَلَى نَعَمٍ أَوْ نَقَمٍ

وتلقَى رايةً مجده باليمين ولده عبد القوي وهو في إبان البلوغ ، فكان كما قالت الخنساء [في « ديوانها » ٧١ من المقارب] :

طَوِيلُ النِّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

وكما قال الرضي [في « ديوانه » ١/ ٤٦٤ من البسيط] :

مُتَيِّمٌ بِالْعُلَا وَالْمَجْدُ يَأْلُفُهُ وَمَا مَشَى فِي نَوَاحِي خَدِّهِ الشَّعْرُ

وقد برز به على قول المتنبي [في « العكبري » ٨/ ٢ من الطويل] :

أَرَى الْقَمَرَ ابْنَ الشَّمْسِ قَدْ لَبَسَ الْعُلَا رُوَيْدَكَ حَتَّى يَلْبَسَ الشَّعْرَ الْخَدُّ

(١) البيت من الرَّمَل ، وهو للبيد في « ديوانه » (١٣٣) . مقرر : شديد المرارة .

وقد ذكرنا في «الأصل» أَنَّ بعضَ أعدائِهِ ألقى زاملاً بينَ يديه ، منه قوله :
 مِنِّي سَلَامَ الْفَيْنِ يَا عَبْدَ الْقَوِي يَا شَيْخَ يَافِعِ يَا عَرِيضَ السَّاعِدَيْنِ
 وهو مثل قول السَّيِّدِ الحَمِيرِيِّ يمدحُ قاتِلَ طَلْحَةَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ [مِنَ الْكَامِلِ] :
 وَأَعْتَرَّ طَلْحَةَ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الْفَنَّا عَبْلُ الذَّرَاعِ شَدِيدُ أَصْلِ الْمَنْكِبِ
 ثُمَّ إِنِّي بَعْدَ أَنْ أَفْتَتَنْتُ زَمَانًا بَيْتَ الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ السَّابِقِ . . عَرَفْتُ أَنَّهُ نَظَرَ فِيهِ إِلَى
 قَوْلِ أَبِي عِبَادَةَ [في «ديوانه» ٣٠٨/٢] مِنْ الْبَسِيطِ :

وَلِلْفَتَى مُهْلَةً فِي الْحُبِّ وَاسِعَةٌ مَا لَمْ يَمُتْ فِي نَوَاحِي خَدِّهِ الشَّعْرُ
 وفي سَنَةِ (١٢٦١هـ) اشْتَرَى آلُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَثِيرِيُّونَ نَاصِفَةَ الْخَلِيفِ مِنْ آلِ هَمَامِ
 الْيَافَعِيِّينَ بِنَحْوِ مِائَةِ رِيَالٍ ، وَأَدْخَلُوا إِلَيْهِ بَعْضَ عِبِيدِهِمْ ، وَبَقُوا هُمْ وَإِيَّاهُمْ عَلَى
 التَّنَاصُفِ بِالْإِصْطَافِي .

وفي سَنَةِ (١٢٦٢هـ) بَاعَ عَبْدُ الْقَوِيِّ غَرَامَةَ عَلَى آلِ عَبْدِ اللَّهِ نَاصِفَةَ مَا تَحْتَ يَدِهِ
 بِتَرِيمٍ ، وَتَمَّتِ الصَّفَقَةُ بِالْمَسْلُوكِ بِمَحْضَرِ الْعَلَامَةِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ عَمْرِو بْنِ يَحْيَى ، وَالسَّيِّدِ
 الْجَوَادِ حُسَيْنِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ سَهْلٍ ، عَلَى نَحْوِ أَرْبَعَةِ آلَافِ رِيَالٍ فَرَانِصَةً - أَوْ سِتَّةِ
 آلَافٍ ، لَا نَحْفَظُ تَحْقِيقَ ذَلِكَ ^(١) - وَعَلَى أَنْ تَكُونَ الْمَالِيَّةُ كُلُّهَا فِي أَيْدِي آلِ عَبْدِ اللَّهِ ،
 بِشَرَطِ أَنْ يَدْفَعُوا لِعَبْدِ الْقَوِيِّ ثَمَانِيَةَ رِيَالَاتٍ يَوْمِيًّا إِزَاءَ دَخْلِ النَّاصِفَةِ الْبَاقِيَةِ لَهُ .

وَلَمَّا دَخَلَ آلُ عَبْدِ اللَّهِ فِي رَمَضَانَ مِنْ نَفْسِ السَّنَةِ . . عَظُمَ الْأَمْرُ عَلَى عَبْدِ الْقَوِيِّ ؛
 لِأَنَّهُمْ دَخَلُوهَا عَلَى غَيْرِ الصَّفَقَةِ الْمَشْرُوطَةِ بَيْنَهُمْ مِنْ أَمْتِنَاعِ الْمَظَاهِرَاتِ وَالزَّوَامِلِ ، وَبَعْدَ
 الْمَرَاஜَعَاتِ وَالْأَخْذِ وَالرَّدِّ . . أَذْكَى عَلَيْهِمْ نَارَ الْحَرْبِ ، وَكَانَ عَبْدُ بَنُ سَالِمٍ يُضْمِرُ
 الْغَدْرَ لِعَبْدِ الْقَوِيِّ ، فَرَكِبَ إِلَى الْجِهَاتِ الْقَبْلِيَّةِ فِي شَعْبَانَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوا إِلَى تَرِيمٍ
 أَصْلًا ، وَأَقْبَلَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ (١٢٦٣هـ) بِنَحْوِ أَلْفَيْنِ وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ ، فَكَثُرُوا
 عَبْدَ الْقَوِيِّ وَضَاقُوا بِهِ ، وَلَكِنَّهُ ثَبَتَ ثَبَاتَ الرُّوَاسِي ، ثُمَّ تَوَاضَعُوا قَرِيبًا مِمَّا تَمَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ

(١) الذي في «العدة» (٣٤١/١) : أنها (٤٠٠٠) أربعة آلاف ريال فرانصة .

أَوَّلًا ، وأَرَادَ السَّيِّدُ حَسِينُ بْنُ سَهْلٍ تَأْطِيدَ الصُّلْحِ ، فَسَعَى لِيُمَثِّلَ حَالَ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ مَعَ رَمْلَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ حَتَّى صَهَرَ الْأَمِيرَ عَبْدُ بْنُ سَالِمٍ إِلَى آلِ غَرَامَةَ ، فَأَقْتَرَنَ بِأُخْتِ عَبْدِ الْقَوِيِّ^(١) ، وَجَرَتْ أُمُورٌ طَوِيلَةٌ عَرِيضَةٌ مُسْتَوْفَاةٌ بِـ « الْأَصْلِ » ، وَلَكِنْ سَكَنَى تَرِيمَ لَمْ تَطْبَ لِنَفْسِ عَبْدِ الْقَوِيِّ وَأَصْحَابِهِ اللَّبْعُوسِيِّينَ ؛ إِذْ كَانَتْ تِلْكَ الْأُسْرَةُ لَذَلِكَ الْعَهْدِ حَقِيقَةً بِقَوْلِ الْمَعْرِيِّ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

كَانَتْ تَضُمُّ رِجَالًا بَيْنَ أَغْنِيهِمْ مَعَاطِسُ لَمْ تُذَلِّلْ عِزَّهَا الْخُطُمُ^(٢)
فَبَارَحَ تَرِيمًا إِلَى الْمُكَلَّأِ ، وَأَوْدَعَ بَعْضَ سِلَاحِهِ مِنَ الْعُلُوقِ الْغَوَالِي السَّابِقِ ذِكْرُ وَقْعِهَا لِلْبَعُوسِ ، مَعَ اقْتِسَامِ يَافِعَ بِلَادَ حَضْرَمَوْتَ عِنْدَ زَعِيمِ آلِ عَامِرٍ الْكَثِيرِيِّينَ مُحَمَّدِ بْنِ عِزَّانَ بْنِ عَبْدِاتٍ ، فَلَمْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِ ؛ لِنَفَاسَتِهَا .

وَتَتَابَعَ بَعْدَ عَبْدِ الْقَوِيِّ غَرَامَةَ جَلَاءُ آلِ لَبْعُوسٍ مِنْ تَرِيمَ إِلَى عِنْدِ آلِ الطَّيِّبِ بَسِيتُونَ ، وَهَكَذَا قُضِيَ عَلَى دَوْلَةِ غَرَامَةَ ، وَسَبْحَانَ مَنْ لَا يَدُومُ إِلَّا مُلْكُهُ^(٣) .

ودولة تريم اليوم للسلطان عبد الله بن محسن بن غالب وأخيه السلطان محمد ، حَسَبًا مَرَّ فِي سَيْتُونَ .

والحكومة الإنكليزية تحاولهم على الاعتراف بقيادة السلطنة لأمير سيئون لتتوحد الدولة الكثيرة مع بقاء حقهم من الاستقلال في حدودهم ، وهم من ذلك في شماسٍ شديد ، وَلَكِنَّهُ لَا يُسْتَعْرَبُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْمِيَا سِرَةِ .

وَقَوْلُنَا : إِنَّ آلَ هَمَّامٍ يَافِعِيُونَ . . هُوَ الْمَشْهُورُ ، وَلَا يَنَافِيهِ مَا يَوْجَدُ فِي كَلَامِ الْحَبِيبِ عَلَوِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الْحَدَّادِ مِمَّا يُؤْهِمُ خِلَافَهُ ؛ كَقَوْلِهِ : إِنَّ بَيْنَ عَسْكَرِ تَرِيمَ آلِ هَمَّامٍ وَيَافِعٍ كُلٌّ مِنْ لَقِيَّ خَادِمٍ أَحَدٍ قَبْضُهُ ؛ لِأَنَّ بَعْضَ الْبُيُوتِ قَدْ يَخْتَصُّ بِالْأَسْمِ ؛ مِثْلُ آلِ السَّقَّافِ .

(١) في « العدة » (٣٤٤ / ١) : أَنَّهُ بَنَى بَابَةَ عَبْدِ الْقَوِيِّ .

(٢) الْخُطُمُ - جَمْعُ خُطَامٍ - : كَالزَّمَامِ ، وَهُوَ هُنَا كُنْيَاةٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَخْضَعُونَ وَلَا يَذَلُّونَ لِأَحَدٍ ؛ كَمَا أَنَّ الْحَيَوَانَ أَوْ الْفَرَسَ الْوَحْشِيَّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ الزَّمَامَ لَا يَخْضَعُ لِأَحَدٍ .

(٣) لمعرفة المزيد من تفاصيل هذه الأخبار . . ينظر : « العدة » (٣٤١ - ٣٥٤) .

المُسْنَدُ

وما وراءها إلى عينات

إذا خرجَ الخارجُ مِنْ تريمَ وذهبَ شرقاً . فأوَّلُ ما يكونُ عن يمينه : المُسْنَدُ ، وإليها تُنسَبُ الحربُ التَّمِيمِيَّةُ الكَثِيرَةُ ، فيقالُ : (حربُ المُسْنَدِ) ، وَمِنْ حديثها بالاختصارِ :

أنَّهُ لَمَّا اسْتَقَرَّ عُبُودُ بْنُ سَالِمٍ فِي تريمَ . . طَمَعَ فِي مِثَاوِي آلِ تميمَ ، وَكَانَ يَتَوَهَّمُ سَهولَةَ إِخضاعِهِمْ ؛ لِمَا كَانَ يَسْمَعُ بِهِ مِنْ غَطْرَسَةِ عَبْدِ اللَّهِ عَوْضَ غَرَامَةٍ عَلَيْهِمْ وَأَحْتِمَالِهِمْ إِثَابَهَا ، وَلَمَّا قُرِعَ النَّعْجُ بِالنَّبْعِ . . أَبَتْ عِيدَانُهُ أَنْ تُكْسَرَ ، وَدَامَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ سَبْعَ سِنِينَ - وَقَدْ سَبَقَ فِي سِيثُونَ أَنَّ السُّلْطَانَ غَالِبَ بْنَ مُحْسِنٍ قَدِمَ مِنَ الْهِنْدِ إِلَى تَارِيهِ غُرَّةَ جُمَادَى الثَّانِيَةِ مِنْ سَنَةِ (١٢٧٢هـ) ، وَبَقِيَتْ تِلْكَ الْفِتْنَةُ إِلَى سَنَةِ (١٢٧٤هـ) ، حَيْثُ انْعَقَدَ الصُّلْحُ لِمَدَّةِ سَبْعِ سِنِينَ عَلَى شُرُوطٍ مِنْهَا : أَنْ يَدْفَعَ السُّلْطَانُ غَالِبُ بْنُ مُحْسِنٍ عَشْرَةَ آلَافٍ رِيَالٍ فَرَانَصَةً^(١) غَرَامَةً لِلْحَرْبِ لِلْمَقْدَمِ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَمَانِيٍّ قَائِدٍ رَأْسَةَ آلِ تميمَ .

وَحُدِّدَتْ بَيْنَهُمْ يَوْمئِذٍ الْحُدُودُ ، وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَحَرَّرَ آلُ تميمَ ، وَأَمْتَدَّ سُلْطَانُ الْمَقْدَمِ مِنْ شَرْقِيٍّ تريمَ إِلَى مَا وَرَاءَ قَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَتَمَرَّنَ آلُ تميمَ عَلَى الْحَرْبِ وَالضَّرْبِ ، وَنَجَّدَهُمْ عَلَيْهَا اخْتِلَاطُهُمْ بِيَاغٍ ؛ فَكَثُرَ مَا يَهْزُؤُ آلُ كَثِيرٍ بِالْحَمْلَةِ فِي تِلْكَ الْفِتْنَةِ عَلَى آلِ تميمَ فَيَنْهَزُمُونَ ، وَلَكِنْ مَتَى حَضَرَ عَنْدهُمْ آلُ الظُّبَيِّ مِنْ سِيثُونَ فَهَزُّوا عَلَيْهِمْ بِالْحَمْلَةِ سَمِعُوا صَليلاً سَيُوفِ آلِ الظُّبَيِّ عِنْدَ سَلْهَا . . أَحْجَمُوا وَقَالُوا : إِنَّ فِي الْمَكَانِ غَيْرَ أَهْلِهِ .

وَلَيْسَ التَّمِيمِيُّونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ جُلُودَ التَّنْمُورِ ، وَعَادُوا أَبْطَالاً لَا يَهَابُونَ الْمَوْتَ ،

(١) الرِّيَالَاتُ الْفَرَانَصَةُ الَّتِي كَانَ النَّاسُ يَتَعَامَلُونَ بِهَا آنَ ذَلِكَ هِيَ رِيَالَاتٌ تَمْسَاوِيَةٌ مِنَ الْفِضَّةِ الْخَالِصَةِ ، وَيُسَمِّيَهَا الْبَعْضُ قُرُوشَ فَرَانَصَةٍ ، وَهِيَ الْمَضْرُوبَةُ بِاسْمِ الْقَدِيسَةِ الْمَسِيحِيَّةِ مَارِيَا تِيرِيْزَا ، رَاهِبَةٌ عَاشَتْ فِي التَّمْسَا - فِينَا - فِي الْعَصْرِ الْوَسْطَى ، وَقَدْ انْتَهَى عَهْدُ التَّعَامُلِ بِهَا فِي حَضْرَمَوْتَ فِي وَقْتٍ لَيْسَ بِالْبَعِيدِ .

ولا تتخاذل أرجلهم عند الصَّوتِ ، وصارَ أكثرُ أهلِ تريم تحتَ رحمةِ آلِ تميم ؛ لأنَّ أكثرَ أموالهم^(١) تحتَ سيطرتهم ، وكانوا يأخذونَ منها الشَّيءَ الكثيرَ ، حتَّى تواضعوا هُم وإيَّاهُم بواسطةِ السَّيِّدِ حسينِ بنِ حامدِ المحضارِ وزيرِ القعيطيِّ على الخمسِ ، وكتبتَ بينهم الوثائقُ بذلك .

ولمَّا أنبسطَ نفوذُ آلِ عبدِ اللهِ بواسطةِ الحكومةِ الإنكليزيَّةِ وساعدَهُمُ القعيطيُّ^(٢) . . منعوا آلَ تميمٍ منَ ذلكَ الرِّسمِ ، وحرَّرتْ في ذلكَ فتوى منَ الشَّيخِ فضْلِ بنِ عبدِ اللهِ عرَفانَ ، وصادقَ عليها الجَمَاءُ الغفيرُ ، وكنْتُ مَعْنُ صادقَ عليها عن غيرِ تروٍّ ولا يزالُ ذلكَ مُشكلاً عليَّ ؛ لأنَّني إذا رأيتُ ما جاءَ في غيرِ موضعٍ منَ « مجموعِ الأجدادِ » : (أنَّ رجلاً بيدهِ نخلٌ يقاسمُ آخرَ في ثمرتهِ سنينَ ، ثمَّ أمتنعَ بالآخرةِ وقالَ : لا أُعطيكَ شيئاً منَ ثمرتهِ إذْ لا حقٌّ لك فيها ولا في النَّخلِ ، فأقامَ المدَّعيَ بيَّنةً بأنَّه يُقاسمُهُ سنيناً عديدةً على الرُّبعِ مثلاً . . كانَ القولُ قولَ صاحبِ النَّخلِ بيمينه ، وإقامةُ البيَّنةِ منَ المدَّعيِ بمجردِ المقاسمةِ غيرِ مسموعةِ ، فلا يُحكمُ لَهُ بشيءٍ منَ النَّخلِ ولا منَ ثمرتهِ) اهـ بمعناه .

ويؤيِّدهُ ما في فقهِ السَّادةِ الزَّيْدِيَّةِ منَ أنَّ الحقَّ لا يثبتُ بالبيَّنةِ باليدِ كما في (ص ١٣٥ ج ٤) من « شرحِ الأزهارِ » ، ويزيدهُ قوَّةَ قولُ جدِّي علَّامةِ وادي الأحقافِ علويِّ بنِ سقَّافٍ : (وليسَ لشارحٍ^(٣) ولا لحرَّاثٍ ولا لمفحَّطٍ^(٤) يدٌ) .

إذا رأيتُ مثلاً هذا . . سكنَ خاطري ، ولكنَّ يَختلجني الشَّكُّ إذا رأيتُ قولَ « الثَّحْفَةِ » في (زكاةِ النَّباتِ) [٢٤٣/٣] : (وصرَّحَ أئمَّتُنَا بأنَّ النُّواحيَ الَّتِي يؤخذُ الخَراجُ منَ أراضيها ولا يُعلمُ أصلُهُ . . يُحكمُ بجوازِ أخذهِ ؛ لأنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهُ بحقٌّ) . ونحوهُ في (البَيعِ) . ونحوهُ قولُها في مبحثِ (أحكامِ الدِّمَّةِ) : (والأراضي الَّتِي

(١) المقصودُ بالمالِ هنا : الأُخْجال والأراضي الزراعيَّة - الجروب - وما أشبهها .

(٢) وذلك في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري .

(٣) الشَّارِحُ : الحافظُ الَّذِي يحفظُ الزُّرعَ .

(٤) المفحَّطُ = الملقحُ : وهو الَّذِي يقومُ بتأبيرِ النخلِ وتلقيحها بيده .

عليها خراجٌ لا يُعرفُ أصلُهُ . . يُحَكِّمُ بحلِّ أَخْذِهِ ؛ لاحتمالِ أَنَّهُ وضعَ بحقٍّ) .

وما جاءَ في « النِّهَايَةِ » و« فتاوى أبْنِ حَجَرٍ » مِنْ قولِهِما : (إِنَّهُ لا يجوزُ لمالكٍ جدارِ هَذِمُهُ وفيهِ كَوَّةٌ ينزلُ مِنْها الضَّوُّ إلى دارِ جارِهِ ؛ لاحتمالِ أَنَّ فَتَحَها كانَ لَهُ بحقٍّ) اهـ . . فَإِنَّها كَالصَّرِيحِ في خلافِ الْأَوَّلِ ، لاسيَّما وقد رَأَيْتُ في بعضِ الثَّوَاتِقِ الْقَدِيمَةِ أَنَّها مُشْتَرَاةٌ مِنْ بابِ السُّلْطَنَةِ ، فدلَّ ذلكَ على أَنَّ خَراجَ سُلْطانيٍّ يُباعُ وَيُشْتَرى .

وفي « بستانِ الْعِجَابِ » لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ سَقَّافِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ أَنَّهُ : (كانَ لآلِ بْنِ يَحْيَى مالٌ بِالْعِجْزِ ، ساوَمَ فِيهِ الْحَبِيبُ شَيْخُ بْنُ أَحْمَدَ ، فَقالتْ لَهُ الشَّرِيفَةُ علويَّةُ بنتُ الشَّيْخِ عليِّ بْنِ أَحْمَدَ : يا عَمَّ شَيْخُ ، لا تشتري مالَ الدَّيَّوانِ لآلِ أَحْمَدَ بْنِ عليٍّ .

قالَ : إِنَّهُ مالٌ واسعٌ رخيصٌ الثَّمَنِ . قالتْ لَهُ : لا تُطْفِئِ نَورَنا بِنارِ الدَّيَّوانِ . فتركَ ذلكَ ولم يَشْتَرِهِ) اهـ

وفيه قيامُ الشُّبْهَةِ معَ أَطْرادِ الْعادَةِ ببيعِهِ وشرائِهِ .

فإن قيلَ : هَلَّا يَكُونُ ما اشتهَرَ مِنْ أبنائِ أَلِيدٍ على الشَّرْاحَةِ^(١) كافياً في عدمِ اعتبارِ تَرْتُّبِ أَلِيدٍ ؟ قلتُ : غايَةُ ما يَمَكُنُ مِنْ ذلكَ الاشتهارُ بِالْتَّركِ أَنْ يَكُونَ بِمِثابَةِ الْخَبَرِ الصَّحِيحِ ، وقد صرَّحَ أَبُو حَجَرٍ بأنَّهُ لا يرفعُ أَلِيدٌ أَلْتِي لا يُعرفُ أصلُها ما لَمْ يَكُنْ مَعَهُ إقرارٌ أو بَيِّنَةٌ ، وقد بسطْتُ الْقَوْلَ على هَذَا في الْمَسْأَلَتَيْنِ (١٤١٨) و (١٤٧٤) مِنْ « صوبِ الرُّكَّامِ » .

ثمَّ رَأَيْتُ الْكَبْسِيَّ نَقَلَ في « تاريخِهِ » عن كُلِّ مِنْ الْخَزرجِيِّ وَالْجَنْدِيِّ : أَنَّ طُغْتَكِينَ بْنَ أَيُّوبَ لَمَّا اسْتَوْلَى على الْيَمَنِ . . دَعَتْهُ نَفْسُهُ إلى شراءِ أَرْضِهِمْ بِأَسْرِها ، وأَمَرَ الْمُشْتَمِنِينَ أَنْ يُثْمِنُوا لِتَكُونَ الْأَرْضُ كُلُّها لِلْحُكُومَةِ بعدَ دَفْعِ ثَمَنِها ، وَمَنْ أَرادَ حَزَتْ شَيْءٍ مِنْها . . فَلْيَصِلْ إلى الدَّيَّوانِ ، وليستأْجِرْ مِنْ وُكَلَاءِ الْحُكُومَةِ ، وَلكنَّ عاجِلَتَهُ الْمَنِيَّةُ دونَ تَنْفِيذِ ذلكَ بِالْيَمَنِ ، ومعلومٌ أَنَّهُ وصلَ إلى حَضْرَمَوْتَ .

(١) جاءَ في هامشِ المخطوطِ : (لعلَّ سَيِّدِي مفتي حَضْرَمَوْتَ لم يبلغْه أَنَّ هَؤُلَاءِ مَقْرئينَ بِالْحَقِّ لِأَهْلِ المالِ ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَأْخُذُونَهُ مِنَ الْمالِ هوَ مَجْرَدُ حَقِّ الشَّرْاحَةِ) .

وَأَنَّ مَوْتَهُ لَمْ يَكُنْ إِلَّا بَعْدَ رَجُوعِهِ عَنْهَا ، فَلَعَلَّهُ قَدْ نَفَّذَ فِيهَا هَذِهِ الْفِكْرَةَ ؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا عبيدٌ مَنْ غَلَبَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، فَلَنْ يَمْتَنِعُوا مِنْ شَيْءٍ ، تَصْدَاقَ قَوْلِ مروانَ بْنِ أَبِي حَفْصَةَ يَخَاطِبُ مَعْنًا [في « ديوانه » ٧٥ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَطِئْتَ خَدُودَ الْحَضَرَمِيِّينَ وَطَأَةً بِهَا مَا بَنُو مِنْ عِزَّةٍ قَدْ تَضَعَضَعَا
فَأَقْعَوْا عَلَى الْأَسْتَاهِ إِقْعَاءَ مَغْشَرٍ يَرَوْنَ اتِّبَاعَ الْذُلِّ أَوْلَى وَأَنْفَعَا
فَلَوْ مُدَّتِ الْأَيْدِي إِلَى الْحَزْبِ كُلِّهَا لَكَفُّوا وَمَا مَدُّوا إِلَى الْحَزْبِ إِضْبَعَا
وَأُخْرَى : وَهِيَ أَنَّ التَّجِيرَ وَخُبَايَه وَأَعْمَالَهُمَا فُتِحَتْ عَنْوَةً ، فَيَأْتِي فِيهِمَا مَا يَأْتِي فِي سِوَادِ الْعِرَاقِ ^(١) .

وَمَنْ وَرَاءَ الْمُسْنَدِ إِلَى الشَّرْقِ : خُبَايَه
وَفِيهَا كَانَتْ رِياضُ الْقَطَا ، بِشَهَادَةِ قَوْلِ يَاقُوتَ [١٠٩/٣] : (وَالرِّيَاضُ عِلْمٌ لَأَرْضٍ
بِالْيَمَنِ ، كَانَتْ بِهَا وَاقِعَةُ لِلْبَيْدِ بْنِ زِيَادٍ الْبِيضِيِّ بَرْدَةً كُنْدَةً أَيَّامَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) .
وَقَالَ الشَّاعِرُ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :

فَمَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْقَطَا أَلَمْ بِهَا عَارِضٌ مُنْطَرُ
وَمَعَ هَذَا فَقَدْ تَشَكَّكَ فِي [٩٤-٩٣/٣] فِي مَوْضِعِ رَوْضِ الْقَطَا ، وَذَكَرَ قَوْلَ الْأَخْطَلِ
[في « ديوانه » ٢٣٠ مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَيَا لِمُعْرَسَاتِ حَلٍّ وَأَرْزَمَتْ بِرَوْضِ الْقَطَا مِنْهُ مَطَافِيلُ حُقْلٍ ^(٢)

(١) سِوَادُ الْعِرَاقِ : هُوَ رَسْتَاقُ الْعِرَاقِ ، أَيْ : قَرَاهُ وَمَزَارَعَهُ وَضِيَاعَهُ الَّتِي فَتَحَهَا الْمُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، سَمَّيَ بِذَلِكَ لِسِوَادِهِ بِالزَّرْعِ وَالنَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ لِأَنَّهُ تَاخَمَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ الَّتِي لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا شَجَرَ ، كَانُوا إِذَا خَرَجُوا مِنْ أَرْضِهِمْ . . ظَهَرَتْ لَهُمْ خَضِرَةُ الزَّرْعِ وَالْأَشْجَارِ فَيَسْمُونَهُ سِوَادًا . وَهُوَ فِي الْعَرَفِ : مِنْ حَدِيثَةِ الْمُوصِلِ طَوْلًا إِلَى عِبَادَانَ ، وَعَرْضًا : مِنَ الْعَذِيبِ بِالْقَادِسِيَّةِ إِلَى حُلْوَانَ ، فَيَكُونُ طَوْلُهُ : (١٦٠) فَرَسَخًا . وَيَنْظُرُ : « مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ » مَادَّةُ (سِوَاد) لِيَعْلَمَ كَمْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَجِبُونَ مِنْ هَذَا السِّوَادِ ، إِذْ بَلَغَ فِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ إِلَى مِثَّةٍ وَثْمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ مِليونَ دِرْهَمٍ .

(٢) الْمُعْرَسَاتُ : اسْمُ مَوْضِعٍ . أَرْزَمَتْ : حَنَّتْ . الْمَطَافِيلُ : الطَّبَاءُ الْقَرِيبةُ الْعَهْدُ بِالتَّجَارِ . الْحُقْلُ : الْمُجْتَمَعَةُ .

ولعلَّه متعدّدٌ في جهاتٍ كثيرة^(١) .

وفي خباياه جماعةٌ من آلٍ قصيرٍ ، ومن أخبارهم : أَنَّ أثنين من آلٍ قصيرٍ وآلٍ الجحيل - وهما أبنا مسعود بن عوض - وآخر من آلٍ دحدح أهل خباياه ساروا إلى دثون في طلب صلح من آل سلمه ، وأخذوا معهم ولداً صغيراً جداً من سوق تريم ، ولمّا أنتهوا إلى دثون . . طلبوا منهم الصلح في قتل عندهم لآل سلمه طفل ، فقال آل سلمه : ستشاورُ ، فقال لهم أحد آلٍ قصيرٍ : باتشاورون نساكم . فغضبوا وقتلوا آل قصيرٍ ، فبعث آل مرساف إلى حيمد سعيد دلال تريم : هل يلزمهم عارٌ من وجود طفلهم مع آل قصيرٍ . فلم يكن إلاّ إرسال ثلاثِ سودٍ لهم ، فحطّوا على آل سلمه ودخلوا الفجير ، فأحاط بهم آل سلمه ، فركبوا اللّيل وأخذوا على آل عبد الشّيح بالمسيله ، وأقاموا بها سبع سنين والحرب قائمةٌ بينهم وبين آل سلمه ، وقُتل فيها نحوٌ من أربعين ما بين قبائل ومساكين .

ومن المشهور : أَنَّ الشّيو لا تفيضُ عنها وإن كثرت ، ومن أمثال العامة : (ماء خباية فيها ولا يكفيها) ، وبعضهم يحملُ على القلّة ، وآخرون يقولون : إنّ بها أرصاداً تمنع ذلك ، وليس بأغرب ممّا ذكرناه في مواضعه عن سدبه والقارة واللّسك .

التّجيرُ

هو من وراء خُبايه شرقاً . وفي « صفة جزيرة العرب » [١٦٩] لابن الحائك ما يوهّم قُربَهُ من القطن ، وليس بصحيح . وعدّه في موضعٍ منها [٣٢٢] في محافد اليمن - أي : قصورها المشهورة - وعدّه منها في الجزء الثامن (ص ٩٠) من « الأكليل » وقال : (إِنَّهُ لِبَنِي مَعْدٍ يَكْرَبُ مِنْ كَنْدَةَ) اهـ

وكأنّه إنّما أخذه من فيئة الأشعث بن قيس بن معد يكرب الكندي إليه في حادثته المشهورة .

(١) خباية : يوجد موضع بنفس الاسم قريب من شبام ، كان به مال للإمام أحمد بن عمر بن سميّط ، وكان به منزل صغير كان يسكنه في الصيف ، وقد اندثر الآن ولم يبق منه سوى آثار لأساساته .

وفيه [٨/٩٠-٩١] : أَنَّ آلَ نَشَقِ بْنِ بَكِيلٍ كَانُوا بِرَوْثَانَ^(١) بَيْنَ الْجَوْفِ وَمَأْرَبَ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ - يَعْنِي رَوْثَانَ - إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ رَوْثَانُ فِي الدَّهْرِ مَسْكِنَا وَمُجْتَمَعَا مِنْ ذِي الْجَرَابِ وَيَمْجِدِ
فَفَرَّقَهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ وَأَصْبَحُوا قُرَى حَضْرَمَوْتَ سَاكِنِينَ وَسُرُدُ^(٢)
وفيه شاهدٌ قويٌّ لكثرة السَّاقِطِينَ مِنْ هَمْدَانَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ فِي الْقَدِيمِ فَضْلًا عَنِ
الْحَدِيثِ .

وقد مرَّ في الْمَقْدَمَةِ قولُ أَبِي دَهْبَلٍ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :
أَعْرِفْتَ رَسْمًا بِالنَّجْدِ رِعْفًا لَزَيْنَبَ أَوْ لِسَارَةَ
لِعَزِيزَةَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ عَلَى مُحَيَّاهَا النَّضَارَةَ
وقال ميمونُ بْنُ قَيْسٍ الْأَعَشِيُّ [في « دِيوانه » ١٠٠-١٠١ مِنْ الطُّوَيْلِ] :

أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا وَبِتَّ كَمَا بَاتَ السَّلِيمُ مُسَهَّدَا^(٣)
وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَا^(٤)
وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَائِنٌ إِذَا أَصْلَحْتَ كَفَّايَ عَادَ فَافْسَدَا
كُهُولًا وَشُبَّانًا فَقَدْتُ وَثَرَوَةَ فَلِلَّهِ هَذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا
وَمَا زِلْتُ أَبْغِي الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ وَلَيْدًا وَكُهْلًا حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا
وَأَبْتَذِلُ الْعَيْسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِي مَسَافَةَ مَا بَيْنَ (النُّجَيْرِ) وَ(صَرْخَدَا)^(٥)

وقال عليُّ بْنُ هُوْدَةَ يَذْكُرُ مَنْ أَرْتَدَّ مِنَ الْعَرَبِ [مِنْ الْمُتَقَارِبِ] :
وَلَسْنَا بِأَكْفَرَ مِنْ عَامِرٍ وَلَا عَطْفَانٍ وَلَا مِنْ أَسَدِ^(٦)

-
- (١) روثان : مدينة قديمة العمارة كانت قائمة في الغائط بين الجوف ومأرب ، وهي اليوم خرائب وأطلال .
(٢) إلى هنا ينتهي كلام « الإكليل » ، وسرد : وإد شهر بتهامة ، شمالي الحديدة .
(٣) السليم : الذي لدغته أفعى . وسمي بذلك تفاؤلاً ؛ كما سُميت الصَّحراءُ : مفازة .
(٤) خُلَّة : صحبة . مَهْدَد : اسم امرأة .
(٥) العيس المراقيل : النوق الكريمة . النجير وصرخد : موضعان .
(٦) الأبيات في « معجم البلدان » (١٦٩ / ٢) .

وَلَا مِنْ سُلَيْمٍ وَأَلْفَافِهَا وَلَا مِنْ تَمِيمٍ وَأَهْلٍ (أَلْجَنْد)
وَلَا ذِي الْخِمَارِ وَلَا قَوْمِهِ وَلَا أَشْعَثَ الْعُرْبِ لَوْلَا النُّكْدُ
وَلَا مِنْ عَرَانِينَ مِنْ وَائِلٍ بِسُوقِ (النُّجَيْرِ) وَسُوقِ النَّقْدِ

وَقَالَ كَثِيرٌ يَصِفُ غَيْثًا [فِي « دِيوانه » ١٢٨ مِنْ الطُّوِيلِ] :

وَطَبَّقَ مِنْ نَحْوِ النُّجَيْرِ كَأَنَّهُ بِأَلَيْلٍ لَمَّا خَلَفَ النَّخْلَ ذَامِرٌ^(١)

الْجَرْبُ

بَكْسِرِ الْجِيمِ وَفَتْحِ الرَّاءِ^(٢) ، مَكَانٌ وَاسِعٌ ، كَانَتْ بِهِ قَرْيَةٌ جَرَتْ فِيهَا الْحَادِثَةُ
الْمَشْهُورَةُ سَنَةَ (٩٥٨ هـ) ، وَهِيَ : أَنَّ بَدْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بُوْطُوْرِيَّ حَصَرَ فِيهَا خَمْسَ مِائَةٍ
مِنْ عِبِيدِ آلِ يَمَانِيٍّ ثُمَّ قَتَلَهُمْ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ ، حَسَبَمَا فِي « الْأَصْلِ » .

وَفِي « مَجْمُوعِ كَلَامِ الْحَبِيبِ عُمَرَ بْنِ حَسَنِ الْحَدَّادِ » أَنَّهُ : (كَانَ يَطْلَعُ مِنْهَا سَبْعُونَ
مِنْ أَلْعَلُوِيِّينَ عَلَى سَبْعِينَ حِمَارًا كُلَّ لَيْلَةٍ يُصَلُّونَ الْعَصْرَ فِي مَسْجِدٍ بِأَلْعَلُوِيِّ) .

رَوْغَةُ

هِيَ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ وَرَاءِ الْجَرْبِ إِلَى شَرْقٍ . قَالَ فِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » [٤٨٧ / ٢]
عَنْدَ ذِكْرِ السَّيِّدِ عَقِيلِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَبْنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمَلِ اللَّيْلِ بْنِ حَسَنِ الْمَعْلَمِ^(٣) :
(هُوَ السَّخْنِيُّ الْعَالِمُ الْمَشْهُورُ ، صَاحِبُ مَسْجِدِ رَوْغَةِ ، أَلْمَتَوْفَى بِهَا ، أَلْمَقْبُورُ بِتَرْيَمِ)

(١) فِي « الدِّيوانِ » : (النُّجَيْلِ) بِدَلِّ (النُّجَيْرِ) . أَلَيْلٍ : اسْمُ مَوْضِعٍ .

(٢) ضَبَطَ الْجَرْبَ هَكَذَا غَرِيبٌ ، لِمَخَالَفَتِهِ عَرَفَ أَهْلَ حَضْرَمَوْتَ ، وَالْجَرْبُ عَنْدهُمْ مَعْرُوفٌ وَهُوَ بَفَتْحِ
الْجِيمِ وَسُكُونِ الرَّاءِ . بَلْ كَذَلِكَ ضَبَطَهُ بِأَفْقِيهِ فِي « تَارِيخِهِ » ، وَالْعِيدَرُوسُ فِي « النُّورِ السَّافِرِ » كِلَاهُمَا
فِي حَوَادِثِ سَنَةِ (٩٥٨ هـ) .

(٣) سَقَطَ اسْمُ عَبْدِ اللَّهِ بَيْنَ مُحَمَّدٍ جَمَلِ اللَّيْلِ وَحَفِيدِهِ أَحْمَدَ ، وَالْاسْمُ تَامًا . . هَكَذَا : عَقِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِنِ
أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ جَمَلِ اللَّيْلِ . . إلخ .

سنة (١٠٠٩هـ) ، عَقِبُهُ بروغه ؛ مِنْهُمْ : أَلْعَلَامَةُ الْفَاضِلُ مُحَمَّدُ الْبَاقِرُ^(١) بَنُ عَمْرِ بْنِ عَقِيلِ الْمَذْكُورُ ، تَوَفِّيَ سَنَةَ « ١٠٨٩هـ » .

وَجَاءَ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ الْجَلِيلِ مُحَمَّدٍ^(٢) جَمِلِ اللَّيْلِ بْنِ حَسَنِ الْمَعْلَمِ : (أَنَّ لَهُ مَسْجِدًا بِرَوْغَةٍ^(٣) ، وَهُوَ الَّذِي يَبْعُدُ عَنْهَا فِي شَرْقِيَّهَا قَلِيلًا ، وَهُوَ مِنَ الْمَسَاجِدِ الْمَشْهُورَةِ بِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ) .

وَمِنْ أَهْلِ رَوْغِهِ : السَّيِّدُ الْفَاضِلُ الصَّالِحُ الْكَبِيرُ عَلَوِيُّ بْنُ عَلِيٍّ الْهِنْدَوَانُ^(٤) ، لَهُ عِبَادَةٌ وَأَوْرَادٌ وَأَذْكَارٌ ، وَلِلنَّاسِ فِيهِ اعْتِقَادٌ جَمِيلٌ ، وَهُوَ وَاسِعُ الْفَنَاءِ ، رَحْبُ الْفَضَاءِ ، جَمِيلُ الطَّبَائِعِ ، كَرِيمُ الصَّنَائِعِ ، ثِمَالُ الْآيَاتِ ، وَمَجْمَعُ الْكِرَامِ ، لَهُ بِرَوْغِهِ مَسْجِدٌ جَمِيلٌ ، وَلَهُ بِوَالِدِي اتِّصَالٌ أَكِيدُ ، وَإِخَاءٌ صَادِقٌ ، وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَاءِ لِي ، جَمَّ الْأَعْتِنَاءِ بِي ، وَكَانَ يُسَرُّ وَالِدِي بِمُسْتَقْبَلِ جَمِيلٍ لِي بِشَائِرِ عَظِيمَةٍ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ ، وَالْأَنْظَارِ الصَّائِبَةِ ، فَأَرْجُو أَنَّ يُحَقِّقَ اللَّهُ ذَلِكَ . تَوَفِّيَ وَدُفِنَ بِتَرْيَمِ سَنَةَ (١٣٣٥هـ) .

وَمِنْ وَرَاءِ رَوْغِهِ : مِشْطُهُ وَكَوْدَةُ آلِ عَوْضٍ .

(١) محمد الباقر . ولد سنة (١٠٢٦هـ) ، وتوفي سنة (١٠٨٩هـ) ، مترجم في « المشرح » ، و« عقد الجواهر » ، وهو من أقران الشلي وأصدقائه ، وتزوج عنده الإمام الحداد ، وأعقب من ابنته ولده السيد علوي .

(٢) السيد الجليل ، الشهير بالشبية ، وبصاحب رَوْغِهِ ، من العارفين الأكابر ، ولد بتريم سنة (٧٥٠هـ) ، وتوفي بها سنة (٨٤٥هـ) ، له مناقب فخيمة . ترجمته في : « المشرح » ، و« الفرر » ، و« الجوهر الشفاف » ، و« شرح العينية » .

(٣) وكان يكثر العبادة والصلاة فيه ، ومن هنا أطلق عليه لقب : جمل الليل .

(٤) هو السيد الشريف الجليل القدر علوي بن علي بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن عبد الله بن عمر الهندوان . إلخ .

ولد بروغه سنة (١٢٦٩هـ) ، وقرأ القرآن الكريم وأتقنه موهبة من الله بدون أخذ عن شيخ ، كان صاحب جاه وكرم ، وله سعي في الإصلاح بين القبائل وتسكين الفتن ، وكانت وفاته في (٢) شعبان (١٣٣٥هـ) ، وأثنى عليه في « شمس الظهيرة » . وكان له أخ يكبره يسمى : أبا بكر ، توفي قبله سنة (١٣٣٢هـ) ، وكان يعظم أخاه المترجم غاية . أخذ عنه المؤلف ، والسيد محمد بن حسن عبيد ، والسيد سالم بن حفيظ . . وترجما له في « ثبتهما » .

أَمَّا مِشْطَه : ففيها جماعةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ أَبِي بَكْرٍ ^(١) بْنِ عِيدروسِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ
الْشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ .

قَالَ فِي « شَمْسِ الظَّهْرِ » [٢٩٥/١] : (وَمِنْهُمْ آلَانُ عَبْدُ اللَّهِ ^(٢) بْنُ أَبِي بَكْرٍ ،
شَرِيفٌ فَاضِلٌ عَابِدٌ) اهـ

وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ حَفِيفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ^(٣) ، عَالِمٌ فَاضِلٌ ، لَهُ أَعْتَاءٌ
بِتَحْصِيلِ الْفَوَائِدِ وَأَقْتِنَاصِ الشُّوَارِدِ ، مِنْ فَضْلِهِ عَلَيَّ أَنَّهُ جَمَعَ مِنْ رَسَائِلِ وَالِدِي الْمُفِيدَةِ
مَا دَخَلَ فِي سِتَّةِ مَجْلَدَاتٍ ، وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ فِتَاوَى الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَحْمَدَ الْخَطِيبِ ،
كَمَا سَبَقَ عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي تَرْيَمٍ .

وَقَدْ تَمَنَيْتُ أَنْ لَوْ ذَكَرَهُ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ الْمَشْهُورُ فِي « شَمْسِ الظَّهْرِ » ؛ لِأَنَّهُ عُرِضَتْ
ذَلِكَ ، وَلَهُ بِهِ اخْتِصَاصٌ كَثِيرٌ ، وَقَدْ صَهَرَ إِلَيْهِ عَلَى بِنْتِ ابْنِهِ ^(٤) ، غَيْرَ أَنَّ الْأُسْتَاذَ
لَا يَحِبُّ الْمَحَابَاةَ ، وَكَأَنَّهُ ظَنَّ فِي ذِكْرِهِ شَيْئًا مِنَ الْهَرَاءِ الَّتِي يُنْكِرُهَا طَبْعُهُ ، فَتَحَامَاهُ مَعَ
الْإِسْتِحْقَاقِ ، وَلَوْ ذَكَرَهُ . لَكَانَ ثَانِي أَثْنَيْنِ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ مِمَّنْ جَاءَ ذِكْرُهُمْ فِي « شَمْسِ
الظَّهْرِ » ، أَحَدُهُمْ : السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْكَافِ السَّابِقُ ذَكَرَهُ فِي الْهَجَرِينَ .

وَالسَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ حَفِيفٍ هَذَا أَحَدُ مَنْ صَادَقَ عَلَى جَوَابِ الشَّيْخِ عَمَرَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ
مُحَمَّدٍ بَاعِثْمَانَ الَّذِي كَتَبَهُ سَنَةَ (١٣٢٠ هـ) فِي صَالِحِ السُّلْطَانِ عَمَرَ بْنِ عَوْضِ الْقَعِيطِيِّ
ضِدَّ أَبْنَاءِ أَخِيهِ .

(١) توفي السيد أبو بكر يعينات سنة (١٠٨٤ هـ) .

(٢) هو السيد عبد الله بن عیدروس بن عمر (الثاني) ابن عیدروس بن عمر (الأول) ابن أبي بكر بن
عیدروس بن الحسين . . إلخ ، وابنه السيد حفيظ ولد سنة (١٢٦٢ هـ) ، وتوفي (١٣٤٠ هـ) .
والسيد عبد الله هذا هو الجد الأدنى للسيد الحبيب سالم بن حفيظ بن عبد الله الذي سترجم له
المصنف .

(٣) ولد الحبيب سالم ببلدة بندواسة بجاوة سنة (١٢٨٨ هـ) ، وتوفي بمشقة في (٢٩) رجب
(١٣٧٩ هـ) ، وسيرته وترجمته تطول ؛ إذ كان من أعيان السادة في وقته ، وله مشيخة كبيرة ، وله
يعود الفضل في تدوين تراجم الكثير من علماء حضرموت وربطهم بمن تقدمهم .

(٤) هي الشريفة نور بنت علي بن عبد الرحمن المشهور ، والدة السيد محمد بن سالم بن حفيظ .

ولَهُ وَلَدٌ نَبِيَّةٌ ذَكِيٌّ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ ، أَسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ ^(١) ، طُلِبَ لِلْقَضَاءِ فَرَّغَ عَنْهُ ، وَقَبِلَ أَنْ يَكُونَ مُسَاعِداً لِلْقَاضِي ، خَارِجاً عَنِ التَّبَعَةِ .

وَأَمَّا كَوْدَةُ آلِ عَوْضٍ : فَلَالِ عَوْضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مِرْسَافٍ ^(٢) وَفِيهَا كَانَتْ أَكْبَرُ حَوَادِثِ الْمُسْنَدَةِ ، حَسَبَمَا فَضَّلَ بِهِ « الْأَصْل » .

وَمِنْ سَكَانِهَا : الشَّيْخُ سَعْدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الصَّبَّانُ بَاغَرِيْبٍ ^(٣) ، لَهُ رِيَاضَاتٌ وَعِلْمٌ بِأَسْرَارِ الْأَسْمَاءِ وَالْحُرُوفِ وَالْأَوَاقِفِ ، تُوَفِّيَ سَنَةَ (١٣١٩ هـ) .

وَفِي سِبَاخِ مَشْطِهِ قَرِيباً مِنْ مَسْجِدِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ جَمَلِ اللَّيْلِ الْوَاقِعِ بِوَادِي رَوْغِهِ . . . اعْتَزَلَ السَّيِّدُ أَبُو بَكْرٍ ^(٤) بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَمْرِ بْنِ حَسَنِ ابْنِ الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْعُلَوِيِّينَ ، زَهْدٌ فِي الدُّنْيَا وَأَهْلِيهَا ، وَأَنْجَمَ عَنِ النَّاسِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، وَكَانَ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ بَتْرِيمَ ، يُطْلَعُ إِلَيْهَا مَاشِياً وَقَدْ جَاوَزَ السَّبْعِينَ سَنَةً ، وَلَهُ خَطٌّ حَسَنٌ ، كَتَبَ بِيَدِهِ جُمْلَةً مِنْ الْكُتُبِ ، وَطَرِيقَتُهُ شاذِلِيَّةٌ ، وَيَحْفَظُ كُتُبَ ابْنِ عَطَاءٍ اللَّهِ . تُوَفِّيَ سَنَةَ (١٢٣١ هـ) ، وَدُفِنَ بَتْرِيمَ هـ مِنْ « النَّوْرِ الْمُزْهِرِ شَرْحَ قَصِيدَةِ مَدَهْرِ » لِلْسَّيِّدِ أَحْمَدَ الْجَنِيدِ .

وَمِنْ وَرَاءِ مَشْطِهِ وَالْكُودَةِ : قَوْزُ آلِ مِرْسَافٍ .

(١) العلامة الفقيه المحقق مفتي حضرموت ، الشهيد السعيد ، ولد بمشطه سنة (١٣٣٢ هـ) ، ونشأ في حجر والده ، طلب العلم وجد واجتهد ، له مشيخة كبيرة ومقامه في الدعوة إلى الله شهير ، اختطفته أيدي الملاحدة الشيوعيين في عام (١٣٩١ هـ) ، ولم يدر عن خبره بعدها .

(٢) من قبائل آل تميم .

(٣) ولد الشيخ سعد في ربيع الأول سنة (١٢٣٥ هـ) بسيئون ، وانتقل إلى الكودة سنة (١٢٥٤ هـ) بأمر من شيوخه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر لتعليم الناس ولتولي عقود الأنكحة وقسمة التركات وكتابة الوثائق . وأقام خطيباً في جامع مشطه لمدة (٤٣) سنة ، أخذ عنه جماعة ؛ منهم : السيد سالم بن حفيظ ، قرأ عليه بعض المختصرات في مسجد جمل الليل بروغهِ وغيرها ، والسيد محمد بن حسن عديد ، وترجماه في « ثبتهما » ، توفي في (٢٧) ذي القعدة (١٣١٩ هـ) ، وصلى عليه السيد عمر بن عيديرُوس العيديرُوس .

(٤) وهو الملقب بابن حَسَنَ ، كان صالحاً شريفاً زاهداً ، توفي وهو يكتب بخطه قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ، مذكوراً في « عقد اليواقيت » .

ثم : باعطير ، وهي قرية لأبأس بها ، يخاف سگانها من الموت ، ويغضبون من ذكره ، ومتى أراد الذاهبون إلى نبي الله هود إغصابهم . . حملوا رداءً على هيئة الجنزة فيكادون يقاتلون .

وما أعرف سبب ذلك حتى أخبرني رمضان سالم بُسري من قَسَمَ بأن أهل مشطه ونواحيها يشاركونهم في الغضب من ذلك بسبب أنه مات على أحدهم بعير ، فصلوا عليه صلاة الجنزة .

وقال : إن جماعة حضروا بشعب هود عليه السلام أحدهم : السَّيِّدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ مَطْهَرٍ مِنْ قَسَمَ ، والثاني : السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ سَالِمٍ مِنْ عِينَات ، والثالث : السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ حَفِيطٍ مِنْ مَشْطَةِ ، والرابع : السَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مُحَمَّدٍ المشهور من تريم ، والخامس : من سيئون ، والسادس : أحمد بن زين بن عَقِيلِ بْنِ سَالِمٍ ، وتواضعوا على مدارس ختمه على شرط أن لا يغيب أحد عن الحضور ، ولما انتهوا إلى قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ . . أشاروا إلى الأول ؛ لأنه لقب بلادهم .

ولما وصلوا منها إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ ﴾ . . ضحكوا على الثاني ؛ لأن لقب عِينَات : صفاه .

ولما قرؤوا الأعراف وجاء قوله : ﴿ يَجْرُؤُهُ إِلَيْهِ ﴾ . . سخروا من صاحب سيئون ؛ لأن لقبهم الجر .

ولما انتهوا إلى قوله تعالى في سورة يوسف : ﴿ وَنَزَّادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴾ . . ضحكوا على السَّيِّدِ سَالِمِ بْنِ حَفِيطٍ .

وعند تلاوة قوله تعالى من النحل : ﴿ وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ ﴾ . . تنادروا على مفتي حضر موت لأن لقب تريم هو خيله كما سبق فيها .

ولما وصلوا إلى قوله تعالى في (يس) : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ . . جاءت نوبة السادس ؛ لأن لقب القرية منكوسة ، وهو منها .

وَمِنْ وراءِ باعطير : أَنْفُ الْجَبَلِ الْمَسْمُومِ بِالسُّوَيْحْلِيِّ .
وَمِنْ خَلْفِهِ : عَيْنَاتِ . وَأَمَّا عَنْ يَسَارِ الذَّاهِبِ مِنْ تَرِيمٍ إِلَى الْمَشْرِقِ . . فَأَوَّلُ
مَا يَكُونُ :

دُمُونُ (١)

وَهِيَ مَسَاكِنُ آلِ سُلَمَهَ ، وَهِيَ قَبِيلَةُ جُلْهَا مِنْ آلِ تَمِيمٍ كَانَتْ لَهُمْ خَشُونَةٌ ، وَلَهُمْ وَلَهَا
ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ آلِ كَثِيرٍ وَيَافِعٍ وَآلِ تَمِيمٍ فِي الْمُسْنَدَةِ وَغَيْرِهَا .

وَأِنَّمَا قُلْنَا : (جُلْهَا مِنْ آلِ تَمِيمٍ) ؛ لِأَنَّ الْمَسْمُومَ أَنَّهُمْ نَزَاعٌ مِنْ قِبَائِلِ شَتَّى ،
رَغَبَهُمُ الْعَلَامَةُ الْجَلِيلُ السَّيِّدُ عَلِيُّ بْنُ شَيْخِ بْنِ شَهَابٍ السَّابِقُ ذَكَرَهُ أَوَائِلَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ
مِنْ « الْأَصْلِ » فِي سُكْنَى دُمُونَ لِحِمَايَتِهَا ، وَكَانَ أَكْثَرُ دُمُونٍ مُلْكًا لِلْسَّيِّدِ عَلِيٍّ
الْمَذْكُورِ ؛ بِشَهَادَةِ الْوُثَائِقِ الْكَثِيرَةِ الشَّاهِدَةِ بِأَنْتِقَالِ الْأَمْلَاقِ عَنْهُ وَعَنْ وَرَثَتِهِ ، وَكَانَ
عَالِمًا جَلِيلَ الْقَدْرِ ، تَرَجَّمَ لَهُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ الْجَنِيدُ ، تَوَفَّى بِالشَّحْرِ سَنَةِ (١٢٠٣ هـ) .

وَمِنْ أَهْلِ دُمُونِ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ شَهَابٍ ،
نَجَعَ إِلَى جَاوَةِ ، وَجَمَعَ ثَرَوَةً طَائِلَةً ، حَتَّى كَانَتْ لَهُ قَرْيَةٌ فِي جَانِبِ بَتَاوِي تَسْمَى :
(مِينَتِيغ) ، وَهُوَ الَّذِي أَعَانَ السَّيِّدَ عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْحَبَشِيِّ عَلَى الرِّبَاطِ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفًا
مِنْ الرُّبِّيَّاتِ ، وَلَهُ غَرَائِبُ ؛ مِنْهَا :

أَنَّهُ قَدِمَ مِنْ سَنَغَاوَرَةَ بِكَمِّيَّةٍ وَافِرَةٍ مِنَ الْأَفْيُونِ ، وَلَمَّا وَصَلَ بِهِ مِينَاءَ بَتَاوِي وَهُوَ
مَمْنُوعٌ . . أَشَاعَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ ، فَتَوَارَدَ الْأَعْيَانُ لَهُ وَشَيَعُوهُ ، وَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ . . نَبَشَهُ ،
وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ عَلِيُّ ، وَلَهُ مَوْلُفٌ ذَكَرَ فِيهِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْعُلُوِّيِّينَ ، وَهُمْ : الْمَهَاجِرُ أَحْمَدُ بْنُ
عَيْسَى ، وَعَلِيُّ بْنُ عَلُوِيٍّ خَالِعُ قِسْمٍ ، وَالْفَقِيهُ الْمَقْدُمُ ، وَسَمَّاهُمُ الْأَبْطَالُ الثَّلَاثَةُ ، غَيْرَ
أَنَّهُ - كَمَا قِيلَ - حَافِلٌ بِالْأَخْطَاءِ .

وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ سَمَّاهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ ، وَأَرْسَلَهُ إِلَى تَرْكِيَا ، فَتَخَرَّجَ فِي مَدَارِسِهَا ، وَلَمَّا

(١) وهي غير دمون التي سبق ذكرها في الهجرين والمعنية بشعر امرئ القيس . . كما سبق التنبيه عليه ثمة .

عَادَ . جعلَ إليه أمرَ ميتيغ ، فهتَكَ الأستار ، وضربَ الأبشار ، وسارَ فيها سيرةً متكبرٍ
جَبَّار ، ولمَّا زادَ تجرُّؤُهُ وقتَلَ واحداً . رُفِعتَ عليه دعوى ، وحكمَ عليه بالإعدام ،
فدافعَ عنه أبوه ، ورهنَ تلكَ القريةَ ، وخلَّصَهُ ، ولما خافَ أن يغلقَ الرِّهْنُ . . باعها
وعملَ بما بقيَ تجارةً رأسَ عليها عبدُ المطلبِ ، فأضاعها ، ثمَّ توفيَ عليُّ بنُ أحمدَ
قريباً .

ولهُ ولدٌ يسمَّى ضياءً ، لَهُ أدبٌ ولطفٌ وشهامَةٌ ، وماتَ عبدُ المطلبِ وقد دخلتِ
الآنَ تلكَ القريةُ في بناوي لاتساعِ العمارةِ ، وأرتفعَ ثمنُها أرتفاعاً هائلاً .

وكانَ في وادي دثون^(١) عيونٌ جاريةٌ ، تسقي كثيراً مِنَ المزارعِ والنَّخيلِ
والبساتينِ ، فشمَلها ما كانَ مِنْ تعدِّي معنِ بنِ زائدةَ بسكْرِها^(٢) .

وكانَ الشَّيْخُ عبدُ الكبيرِ باحميدٍ يتعبَّدُ في هذا الوادي ، وأنبطَ اللهُ لَهُ عينا^(٣) تجري
على الأرضِ باقيةً إلى اليومِ ، إلاَّ أنَّها لا تصلُ إلى المزارعِ ولا إلى قريبِ منها ، وإنَّما
ينتفعُ بالشُّربِ مِنْها الممتجعونَ إذا أجذبتْ نُجودُهُم ، وتسقي نُخيلاتٍ بقرِها . وماؤُها
وَشِلٌّ^(٤) يتقاطرُ مِنْ شِقِّي حَجَرَةٍ واحدةٍ ، يخرجُ أحدهما حارًّا والآخرُ بارداً ، وَلَكِنَّ
المشاهدةَ الآنَ لا تُصدِّقُهُ ، معَ أَنَّهُ جاءَ في حوادثِ سَنَةِ (٦١٧ هـ) مِنْ « تاريخِ شنبَل »
أنَّ عبدَ العَظيمِ باحميدٍ أنبطَ غيلَ دثونَ وزرعَ عليه ، وقد ذكَرَ سيِّدي أحمدُ بنُ حُسينِ
الحِدادُ بفوائدهِ في دثونَ هذهِ ما قيلَ في دثونَ الهجريينِ ، فإِذَا أَن يَكُونَ انتقالُ فكرِ ،
وإِذَا أَن يَكُونَ السَّبَبُ في التَّسميَةِ واحداً .

(١) وادي دثون : وادٍ واسعٍ مفرِّع ، به من النخيل المصطفة والأراضي الزراعية الواسعة الطيبة ما يروق
للعين . وهو يشكل مع وادي عيديد ما يمكن أن يعبر عنه بالجناحين لمدينة تريم ، ويقع في الجهة
الجنوبية (الشمالية) لها ، بينما عيديد في الجهة البحرية (الجنوبية) الغربية منها ، كما تقدم .

وفي « بغية من تمنى » مزيد تفصيل وإيضاح ، ينظر (١١-١) .

(٢) أي : إغلاقتها وطمسها . وفي « أدوار التاريخ » (١٤١-١٤٢) ، و « الحامد » (٢٢٠-٢١٥)
ذكر لبعض أفاعيله . . فلتنظر منهما .

(٣) أنبط له عيناً : أخرجها له .

(٤) وَشِلٌّ : قليل يتقاطر .

وفي جنوبها إلى شرقها :

الفَجِيرُ ، وهو بيوتٌ قليلةٌ ، حواليتها مزارعٌ ومغارسٌ نخيل^(١) .

والشَّيْبَرُ : وهو مَصِيفُ الْقَطَبِ الْحَدَّادِ ، وبه وجوده^(٢) ، وكان العِيدروسُ الْأَكْبَرُ يتنابّه ، بل قيلَ : إِنَّهُ مَوْضِعُ وجودِهِ أيضاً^(٣) .

ثمَّ : حَصْنُ دُكَيْنِ^(٤) ، وهو ثَغْرٌ دَثُونٌ ، وقد سَبَقَ ذِكْرُهُ في أَخْبَارِ آلِ غَرَامَةِ .

ورأيتُ في بعضِ الْمَذْكُورَاتِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ عَوْضَ غَرَامَةِ هَجَمَ عَلَى هَذَا الْحَصْنِ في سَنَةِ (١٢٢٤ هـ) ، وَأَخَذَهُ مِنْ عَمِّهِ سَالِمٍ .

ثمَّ الْغَوَيْضَةُ^(٥) ، لآلِ بَاشَعِيْبٍ ، وسيأتي ذِكْرُهُمْ مَعَ مَا يَنَاسِبُهُ في الْوَاسِطَةِ .

وَمِنْ وِراءِ الْغَوَيْضَةِ : حَصْنٌ بَلْغَيْثٍ .

ثمَّ : الْحَجَّيْلُ ، فِيهِ نَخْلٌ كَثِيرٌ ، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِ شَيْخِنَا أَبْنِ شَهَابٍ فيما يَعْرضُهُ عَلَى مَعْشُوقِهِ ليرضَى بَوْصَالِهِ مِنْ قَصِيْدَةٍ حَمِيْنِيَّةٍ :

رُحَيْلَةُ فِي الْحَجَّيْلِ الْبَرْكُ فِي خَيْرِ مَغْرَسِ

وبِهِ يَظُلُّ آلُ تَرِيْمٍ مَرْجِعُهُمْ مِنْ زِيَارَةِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، ثُمَّ لَا يَدْخُلُونَ إِلَّا بِالْعَشِيِّ في زَفٍّ عَظِيْمٍ .

(١) وبها مسجد للسادة آل الوهط (ذرية السيد عمر أبين الشيخ الإمام علي السكران) لازال قائماً بأساساته وجدرانه قبلي ديار الفجير ، وهذه الفجير غير التي تقدمت في ضواحي سينون ، والفجير هذه بني فيها مسجد الحبيب عبد الرحمن القاضي بن أحمد شهاب الدين الأخير ، وهو الذي تقام فيه الجمعة حالياً . « بغية من تمنى » (٦) .

(٢) وموضع مولد الإمام لازال معروفاً إلى اليوم ، يقال له (الحَدَّ = الأحد) .

(٣) في « بغية من تمنى » (٥٤) كلام هام حول هذه المنطقة . فلينظر منه .

(٤) يقول القاضي المشهور عن بير الدُكَيْنِ أنها : (تقع قريباً من بير السوم القرية من مسجد بروم) . . وقال : (بير الدكين ، المعروفة والمعمورة بالزراعة والنخيل ، وقد كانت مشحونة بالسكان كما بلغنا) اهـ (ص ٦) .

(٥) وسماها القاضي المشهور بالغويطة ، ولعل الاسم تحرف على العامة . وذكر أن بها مسجداً قديماً يقال له : مسجد النور ، وكان يسكنها آل باشعيب قديماً ، ولا يوجد لهم أثر بها اليوم . « بغية » (٦) .

ثُمَّ : الْفَرَطُ . ثُمَّ : وادي جرمان^(١) .

ثُمَّ : قاهر ، قرية آل عبد الشيخ ، وهم قبيلة كريمة من آل تميم ، ولكن جرت بينهم في الأخير دويهة تصفر منها الأنامل ؛ وذلك أن ناصر بن سالم أحد آل سلمه أخذ حنلين من الحطب لآل الكاف في أيام فتنة بين آل سلمه وآل تريم ، وكان الجمال يحمل سكيناً من سالم بن عبود بصفة الخفارة ، فلم يُبال بها ناصر بن سالم ، فلم يكن من آل عبد الشيخ إلا أن صعدوا الجبل الذي يطل على آل سلمه وأصبحوا يطلقون عليهم الرصاص حتى حجز بينهم آل تميم على شرط أن يردوا الحطب ويدفعوا بندقيّة عربونا في الخفارة ، فسوّيت المسألة ، وأنحسم العار في أعرافهم .

وصادف أن وصل السيّد حسين بن حامد المحضار إلى عينات ، وأستدعى آل تميم ، فحضروا ، ولما نهض ناصر بن سالم راجعاً إلى دثون . . تبعه سالم بن عبود ، ولما فصلا عن عينات . . هتف به سالم وذكره بصنيعه ، فتساورا للقتال ، ولكن كان سالم أسبق بأستعدادِهِ بحشو بندقيّته من قبل ، بخلاف ناصر ، فما كان إلا أنما مطمئناً ، فسقط تشحط في دمه ، وأراد سالم أن يملأ ماضغيّه عند أصحابه الذين لم يزالوا يلسعونهُ بقارص الكلام .

ومع غضب السيّد حسين بن حامد من هذا الصنيع الذي يمسُّ بشرفه وشرف حكومته ، فلولا وجوده . . لما أنعقد بينهم صلح أبداً ، ولكنه أجبرهم عليه - وفي آل سلمه طواعية وحياء - فأطلبوه وبذلك أنتفخ سالم بن عبود ، ولكنها ضربة بناقة وضربة بطعنة .

ففي سنة (١٣٦٢ هـ) ورد سالم بن عبود بن عبد الشيخ هذا إلى قسم ، وبمعيّته السيّد عبد الله بن إبراهيم بن علوي السقاف الملقب : بن سحاق ؛ لبح في منظرته ، وكان ممنوعاً من دخول قسم لوحشة بينه وبين المقدّم عبد بن علي بن أحمد بن

(١) وجرمان جبل مذكور ضمن حدود تريم (الأسوار) . وهو على طريق الذهاب من تريم إلى عينات وقسم ، وباعلاه حصن بلغيث الذي ذكره المؤلف آنفاً . ولا زال هذا الحصن قائماً إلى الآن بجدرانته ، وهو أحد ثغور تريم أيام يافع . « بغية من تمنى » (١٦) .

يماني ، فلم يكن من ابن يمني إلا أن أمر بن سحاق بمغادرة قسم في الحال ، فرأى سالم أن شرفه مُسَّ بذلك فحقدّها ، حتّى مرّت سيّارة فيها المقدّم وإخوانه يخفرونهم أحد آل عبد الشّيح ، فأطلق سالم الرّصاص عليهم فأردى السّائق وواحدًا من آل يمني ، ولكنّه استشعر الخوف من خال أولاده وهو محمّد بن عليّ بن عبد الشّيح ، فأفرخ روعه^(١) ، وطيب خاطرّه ، ثم لم يشعر سالم بن عبود إلا والرّصاص ينهال عليه من دار محمّد بن عليّ بدون أن يصبوه ، ولكنّه لما خفّ لأخذ بندقيته من موضع مكشوف . . أهلكوه ، ثم حصروا ولده ، ولكنّه ثبت حتّى قالوا له : إنّ المسألة أنتهت ، كان لآل يمني قتيلٌ فنأروا به ، وأنجلى به العارُ أيضاً عن ابن عبد الشّيح الذي خفرونهم ، وما بقي إلا أن تخرج معنا إلى عينات وننادي في سوقها بأنفصال القضيّة وأنّ دماءنا بعد اليوم واحدة .

فقال : لا يطمئن قلبي إلا إن تعهد لي خال إخواني محمّد بن عليّ بن عبد الشّيح . فتعهد له وأعطاه وجهه ، فأطمأن إليه وخرج من داره ، وسار هو وإياه وآل عبد الشّيح وبعض آل يمني ، ولما كانوا في أثناء الطريق . . قال لهم محمّد بن عليّ : دونكم صاحبكم ، فكثفوه وأطلق عليه أحد آل يمني - وهو ابن سالم بن أحمد - الرّصاص ، فخرّ صريع الغدر والخيانة - فقبحها الله - وكان الأولى إغفال هذه القبيحة ، ولكن الغدر يؤلم قلبي ، ويخرق جوفي ، وقد قال أبو الطّيب المتنبّي (في «المكبري» ١٥٢/٤٠ من ألوفرا) :

إِذَا أَتَتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَيْثِمٍ وَلَمْ أَلِمِ الْمُسِيءَ فَمَنْ أَلُومُ ؟

ولو كان هذا الصّنيع قبيل اليوم بخمسين عاماً . . لما طمع محمّد بن عليّ أن يشرب ماء ، أو يجلس مجلساً ، أو يقعد على فراش أحد ، ولو قعد على فراش من لم يعلم ثم شعر بعد . . لكان ممّا يوجبّه عليه عرفهم أن يحرقه ، فرحمة الله على أهل الوفاء ، ولعنة الله على أهل الخيانة .

(١) أفرخ روعه : أذهب فزعه .

اللسك

هي من القرى القديمة ، وقد كاد يُهجَرُ اسمُها ؛ إذ صارَ النَّاسُ لا يُطْلِقُونَ عليها إلا لفظاً : (القرية) فقط^(١) .

وفي جبلها مدفنُ عبادِ بنِ بشرِ الصَّحابيِّ^(٢) ، على بحثٍ فيه أَسْتوفيتُهُ بـ «الأصل» .
يَسْكُنُهَا جماعةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ سالمٍ ، قالَ في «شمسِ الظَّهيرةِ» [٢٣٤/١] : (وَمِنْهُمْ أَلَانٌ - يعني سَنَةَ «١٣٠٧هـ» - : السَّيِّدُ الْعَابِدُ زَيْنُ بْنُ صَالِحٍ^(٣) ، وجماعةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ زَيْنِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ سالمٍ ، وَمِنْهُمْ : آلُ علويِّ بْنِ عبدِ الرَّحْمَنِ^(٤) بِالْقَطِيعَاتِ مِنْهَا) .

ومِنْهُمْ السَّيِّدُ عَبَّاسُ بْنُ علويِّ بْنِ عبدِ الرَّحِيمِ بْنِ سالمِ بْنِ عبدِ الْقَادِرِ بْنِ عبدِ اللَّهِ بْنِ عمرِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ زَيْنِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ زَيْنِ بْنِ عَقِيلِ بْنِ سالمٍ ، يَسْكُنُ أَلَانٌ - كَأَبَائِهِ - بِالْمَدِينَةِ الْمُشْرِفَةِ ، وَهُوَ مَلِجُ الْعَلَوِيِّينَ ، بل وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْحَضَارِمِ فِيهَا ، وَقَدْ خَنَقَ الْخَمْسِينَ ، وَإِلَيْهِ مَشِيخَةُ الْعَلَوِيِّينَ فِيهَا كَأَبَائِهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ تَوَلَّاهَا بِهَا مِنْهُمْ : السَّيِّدُ عبدُ الْقَادِرِ بْنُ عبدِ اللَّهِ بْنِ عمرٍ .

وكانَ لها شأنٌ عظيمٌ ، ولا سِيَّما في أَيَّامِ السُّلْطَانَيْنِ عبدِ الْمَجِيدِ وَأَبْنَيْهِ عبدِ الْحَمِيدِ ؛ إِذْ كانتَ عبارةً عَن دَوْلَةٍ فِي باطنِ الدَّوْلَةِ ، ثُمَّ وَهَتْ أَسْبَابُهَا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَسْمُ ، وَأَصَابَهَا مَا أَصَابَ الْمَنْصَبَةَ بِحَضْرَمَوْتَ .

(١) وقد تضاف فيقال : قرية اللسك ، وفي بعض التعليقات أن اللسك هو اسم الجبل المطل على القرية ، وهو صريح ما جاء في «البرد النعيم» للشيخ محمد بن عبد الله الخطيب .

(٢) هو الصحابي عباد بن بشر الأوسي الأشهلي الأنصاري ، قتل في حضرموت ، وكان قدم صحبة زياد بن لبيد البياضي إلى تريم ، وتزوج بها عند آل باعيسى وحملت منه ، ثم ذهب إلى القرية لأخذ الزكاة من أهلها . . فامتنعوا وقتلوه . . فقتل ، ثم دفن في كهف بجبل اللسك ، ولم يزل قبره معروفاً إلى اليوم . ومن أراد المزيد . . فعليه بـ «البرد النعيم» .

(٣) هو السيد الشريف العابد الصالح : زين بن صالح بن زين بن عمر ، من آل حفيظ بن محمد بن عكيل بن سالم ، مولده بالقرية سنة (١٢٣٧هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٠٩هـ) .

(٤) وهم : آل علوي بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن زين بن عكيل . . إلخ .

وكان السَّيِّدُ علويُّ بنُ عبدِ الرَّحِيمِ حسنَ الأداءِ جميلَ القراءةِ ، وكانَ أحدَ أئمَّةِ المسجدِ الحرامِ المدنيِّ ، وعندَ نوبتِهِ في الجهريةِ يحتشدُ النَّاسُ ، وربَّما أغشيَ على بعضهم من حُسْنِ أدائِهِ ، ولذا طلبَهُ السُّلطانُ عبدُ الحميدِ العثمانيُّ ليُصَلِّيَ بِهِ التَّراويحَ ففعلَ إحدى السنينَ ، وأرادَهُ أَنْ يقيمَ عندهُ بما يَتمنَّاهُ ، فأبى إلاَّ الرجوعَ إلى المدينةِ المشرفةِ ، وبها كانت وفاتهُ سنةَ (١٣٤١ هـ) عن تسعينَ ربيعاً .

وفي حوادثِ سنةِ (٩١٠ هـ) مِنْ « تاريخِ شنبَل » : أَنَّ السَّيِّدَ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الرَّحْمَنِ اللَّسَكِيَّ توفِّيَ ذلكَ العامَ ^(١) .

وكانتِ اللَّسَكُ قاعدةً مُلكِ آلِ جَسَّارٍ ^(٢) ، ولها ذِكرٌ كثيرٌ في الحروبِ الَّتِي بينَ الصَّبرَاتِ وآلِ أحمدٍ وآلِ كثيرٍ ، ويأتي ذرؤُ منه في الوساطةِ .

وفي الحكايةِ (١٥٥) مِنْ « الجواهرِ » ما يُفهمُ منه أَنَّ دارَ مُحَمَّدٍ بنِ أَبِي السُّعودِ في اللَّسَكِ ، وهو ممَّن عاصرَ الشَّيخَ عبدَ اللَّهِ باعلويَّ . وسبقَ في حريضةٍ أَنَّ الحبيبَ عمرَ بنَ عبدِ الرَّحْمَنِ العُطَّاسَ كانَ - كتابتهُ - في اللَّسَكِ ، فانتقلَ بإشارةٍ شيخِهِ إلى حريضةٍ .

وفي اللَّسَكِ جماعةٌ مِنْ آلِ مرَسافٍ ؛ منهم آلُ قحطانَ آلَاتِي ذِكرُهُم في حصَنِ العَرِّ .

عِينَات

مِنْ أَشْهَرِ قُرَى حَضْرَمَوْتِ ^(٣) ، على نحوِ ثَلَاثِ مرحلةٍ مِنْ تَريمٍ . وأوَّلُ مَنْ اختَطَّها آلُ كثيرٍ في سنةِ (٦٢٩ هـ) ^(٤) .

(١) هو الشريف عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن السقاف ، جد الشيخ أبي بكر بن سالم .

(٢) آل جَسَّار من بطون آل كثير ، كما هو صريح كلام شنبَل في عدة مواضع من « تاريخه » ، وأقدم تاريخ ذكروا فيه . . سنة (٨٠١ هـ) ، قتل فيها أحمد بن جَسَّار الأحمدي ، وذكروا في حوادث سنة (٨١٢ هـ) .
فائدة : ذكر المصحفي في « معجمه » خمس أسر وعوائل عرفت بِآلِ جَسَّار . . فلتنظر منه .

(٣) وهي شرقيَّ تَريم ، تبعد عنها مسافة (٨ كم) تقريباً .

(٤) وهذه هي عِينَات الجنوبية ، وهي القديمة ، تقع في وادي بُوَحه أو نوحه ، أما الجديدة . . فسيذكرها المؤلف رحمه الله تعالى .

وفي سنة (٧٨٧هـ) هَجَمَ آلُ الصَّبْرَاتِ على عِينات وأخربوها^(١) ، وقتلوا سبعةً مِنْ آلِ كثيرٍ حواليها ، وساعدَهُم راصعٌ على ذلك .

وفي سنة (٨١٧هـ)^(٢) بنى آل كثيرٍ عِينات ، ثم أَخربَهَا آلُ أَحْمَدَ في تلكَ السَّنةِ نَفْسَهَا ، وقتلوا ثمانيةً : اثْنين مِنْ آلِ كثيرٍ وخمسةً عبيدٍ ورامٍ ، وكثيراً ما تَقَلَّبَتْ بها الْأَحْوالُ ، وَأَصْرَتْ بها الْحروبُ الواقعةُ بينَ آلِ كثيرٍ وآلِ يمانِيٍّ وَالصَّبْرَاتِ وَالغَزَّ ، حَسَبَما فَصَّلَ بعضُهُ في « الْأَصْلِ » ، وقد أندثرَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا آثارُها ألباليةً ، هذه هي عِينات القديمة .

وأما الجديدةُ : فأوَّلُ مَنْ بنى بها ركنُ الإسلامِ ، وَعَلِمَ الْأعلامُ ، الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ^(٣) بنُ سالمٍ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافُ ، أَلَمُتَوْفَى بها سنة (٩٩٢هـ) ، وقد ترجمَهُ الشُّلِّيُّ في « الْمَشْرِعِ » [٥٨/٢] و« أَلَسْنَا ألباهِرِ » [حوادث ٩٩٢هـ] ، وأفردَ مناقبَهُ الْعَلَّامَةُ أَبُو سِرَاجٍ وغيرُهُ بِالتَّأليفِ ، وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ في غنى - بشهرتهِ أَلَّتِي تُغْنِي - عَنِ التَّعْرِيفِ .

تَجَاوَزَ قَدْرَ الْمَدْحِ حَتَّى كَانَهُ بِأَكْبَرِ مَا يُفْنَى عَلَيْهِ يُعَابُ^(٤)

وفي « الرِّياضِ الْمُؤَنِقَةِ » لِلْعَلَّامَةِ السَّيِّدِ عَلِيِّ بنِ حَسَنِ الْعَطَّاسِ : (أَنَّ سَيِّدَنَا الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ بنَ سالمٍ أَبْتَلَيْ بِعِلَّةِ الْبَرَصِ ، وَأَنَّ تَلْمِيزَهُ أَحْمَدَ بنَ سَهْلٍ بنِ إِسْحاقَ أَنْتَقَدَهُ . . فَأَصَابَهُ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ يُقَالُ لَهُ : هِرُّ أَلِيمِن) اهـ

وَمِنْ خَطِّ سَيِّدِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ الْأُسْتَاذِ الْحَدَّادِ : (أَنَّ أَلَمْتَعَلَّقَ بِالشَّيْخِ مَعَ الْبُعْدِ أَحْسَنُ مِنْ الْحَاضِرِ عِنْدَهُ ؛ لِغَلْبَةِ رُؤْيَةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى الْحَاضِرِ ، وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ

(١) « شَنْبِل » (١٤٦) .

(٢) في المطبوع من « شَنْبِل » (٨١٩هـ) (ص ١٦٣) .

(٣) الإمام الجليل ، شيخ الإسلام ، الطود الأشم ، فخر الدنيا والدين . . مولده يوم السبت (٢٣) جمادى الأولى سنة (٩١٩هـ) ، ووفاته ليلة الأحد (٢٧) ذي الحجة سنة (٩٩٢هـ) أسس عِينات الجديدة سنة (٩٤٦هـ) كما مال إليه بعض المؤرخين ، في سن مبكرة .

(٤) البيت من الطَّوِيل ، وهو لأبي الطَّيِّبِ المَتَنِّيِّ في « الْعُكْبَرِيِّ » (١ / ١٩٤) .

أبو بكر بن سالم: لو سألتُ الله - أو قال - لو تشفَعْتُ في أحدٍ مِنَ الْكُفَّارِ ولِعِيَالِي وأُخْدَامِي . .
لرجوتُ الإجابةَ لأولئك الْكُفَّارِ ؛ لِأَنَّ الْمَخَامِرَةَ تُذْهِبُ الْاحْتِرَامَ (اه مختصراً
ولمّا مات . . وقع رداؤه على ابنه عمر المحضار^(١) .

ومن كلامه : (ما أبتلي أهلُ حَضْرَمَوْتَ إِلَّا بِقَذِحِهِمْ فِي الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بنِ سالمٍ ،
وما شَكُّوا في ولايته إِلَّا لِسُوءِ حَظِّهِمْ ، وَلِكُنْه كُفْيَ شَرِّهِمْ بِالْعَطَاءِ وبغيره ، وكلُّ مَنْ
شكَّ في الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ . . فهو أليوم يُبْغِضُنِي ويراني خصمه ، بل زادوا وطعنوا في
العرض ، ولكننا نرثي لَهُمْ ، وندعو لَهُمْ) اهـ

وفيه فوائد ؛ منها : أَنَّ الْإِتِّفَاقَ لم ينعقد على فضل الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ إِلَّا فِي الزَّمانِ
المتأخِّرِ ، وإلّا . . فَالنَّاسُ كَالنَّاسِ ، ولا يزالون مختلفين .

توفي بعينات سنة (٩٩٧ هـ) ، وله أعقاب^(٢) منتشرون بمرخة وبيحان ، وروضة
بني إسرائيل ، وحبان وخمور وأهند ، وجاوة ودوعن وغيرها .

ومنهم : السَّيِّدُ حسين بن مُحَمَّد بن علي بن عمر المحضار ، وصل إلى مَسْوَرَةِ
أَرْضِ الرِّصَاصِ فَأَقْرَنَ بِابْنَةِ السُّلْطَانِ ، فَأَقْطَعَهُ مَكَاناً بِمَرْخَةٍ يُسَمَّى الْهَجَرَ ، لا يزال إلى
يومنا هذا ، والمحاضيرُ فيه على استقلائهم .

وقد سبق في بالحاف وبيير علي أَنَّ منصبهم في سنة (١٣٤٩ هـ) أمضى على الوثيقة
التي وقّع عليها أعيان تلك الجهات وسلطينها بالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لي وكفاني الله شرَّ ألفتين
برأي مولانا الإمام يحيى حَسَبَمَا تقدّم .

ومنهم آل دَرَعَان : السَّيِّدُ أحمدُ المحضار^(٣) ، وأولاده : مساعدٌ وسالمٌ ، لَهُم

(١) تنبيه ضروري : الشيخ عمر المحضار هذا ابن الشيخ أبي بكر بن سالم هو جدّ كافة السادة آل المحضار
المنتشرين في أنحاء المعمورة ، فهو جدهم الأعلى وإليه مرجعيتهم . وليس ينسب أحد منهم للشيخ
عمر المحضار الكبير المتوفى سنة (٨١٣ هـ) الذي هو ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف ؛ إذ لم يعقب
هذا سوى ابنته عائشة التي هي زوجة ابن أخيه عبد الله العيدروس ووالدة ابنه الشيخ الإمام أبي بكر
العدني ، رحمهم الله أجمعين ونفعنا بهم .

(٢) عقبه من ابنه أبي بكر بن عمر ، العالم العامل الصالح ، المتوفى بعينات سنة (١٠٥٩) .

(٣) من سكان أرض الرِّصَاصِ ، وليسوا آل القويرة كما قد يتبادر لذهن القارئ ، ودرعان بلدة هناك ، =

أَخْبَارُ فِي النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ تَنْفُخُ الْأَدْمَعَةَ ، وَتَمْلَأُ الْأَفَنَدَةَ .
وَلَهُمْ خَيْلٌ عَتِيقَةٌ ؛ مِنْهَا : الْكُويْخَةُ ، لَهَا خَبَرٌ وَعِلْمٌ .

وَاللَّسِيْدُ أَحْمَدُ بْنُ دُرْعَانَ هَذَا وَفَادَهُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَنَزَلَ بِالْقَوَيْرَةِ عَلَى نَسَبِهِ
الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَضَّرِ ، وَطَالَ ثَوَاؤُهُ حَتَّى مَلَ ، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ
أَنْصِرَافُهُ إِلَّا بِجَائِزَةٍ ، وَفِي عَيْشِ الْإِمَامِ الْمُحَضَّرِ يُنْسُ إِذْ ذَاكَ ، فَلَمْ يَجِدْ حِيلَةً إِلَّا أَنْ
قَالَ لَهُ : نَرِيدُ إِكْرَامَكَ ، لَكِنْ مَا لَدَيْنَا شَيْءٌ إِلَّا ثَمَانِيَةُ رِيَالٍ عِنْدَ غَرِيمٍ مُمَاطِلٍ ، قَالَ
لَهُ : أَعْطِنِي تَحْوِيلًا عَلَيْهِ وَسَأُخْرِجُهَا مِنْ عَيْنِهِ ، فَأَحَالَهُ عَلَى صَدِيقٍ لَا يَزَالُ عِنْدَهُ
بِالْقَوَيْرَةِ صَبَاحَ مَسَاءٍ مِنْ آلِ بَرُومَ ، فَلَمَّا أَقْبَلَ عَلَى دَارِهِ وَهُوَ بَظَهَرِ الْكُويْخَةِ . . سُرَّ وَظَنَّ
مَعَهُ خَيْرًا ، وَلَمَّا عَرَفَ بَاطِنَ الْأَمْرِ . . قَالَ : لَا شَيْءَ عِنْدِي لِلْحَبِيبِ أَحْمَدَ ، قَالَ لَهُ :
مَا كَانَ لِيكَذِبَ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي بِمَطْلِكَ ، وَلَئِنْ لَمْ تَدْفَعْهَا . . لِأُوجِرَنَّكَ سِنَانًا هَذَا
الرُّمَحَ ، فَخَرَجَ لِيَهْرَبَ ، وَلَكِنَّ ابْنَ دُرْعَانَ قَدْ أَغْلَقَ السُّدَّةَ وَأَخَذَ الْمِفْتَاحَ ، فَصَعَدَ إِلَى
سَطْحِ دَارِهِ يَصِيحُ ، حَتَّى أَجْتَمَعَ الْجِيرَانُ ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ ابْنُ دُرْعَانَ وَقَالَ : لَا أَخْرِجُ
إِلَّا بِالْثَمَانِيَةِ الرِّيَالِ بَعْدَ الْغَدَاءِ ، فَعَمَلُوا لَهُ غَدَاءً وَنَقَدُوهُ الْمُبْلَغَ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى عَيْنَاتٍ ، ثُمَّ
عَادَ إِلَى الْقَوَيْرَةِ ، وَمِنْهَا رَكَبَ إِلَى مَرْخَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْخَ عَمَرَ الْمُحَضَّرَ عَزَمَ عَلَى حَمَلِ السِّلَاحِ لَصَدِّ عَوَادِي الظَّلَمَةِ ، فَلَمْ
يُؤَافِقْهُ إِخْوَانُهُ ، فَتَزَلَّ بَرَضَى مِنْهُمْ ^(١) بَأَنَّهُ يَخْلِفُهُ أَخُوهُ الْحُسَيْنُ ^(٢) .

= وهذا اللقب مما يستدرك به على « المعجم اللطيف » للعلامة الشاطري رحمه الله .

(١) أبناء الشيخ أبي بكر بن سالم الذكور (١٣) أبناء ، مضى ذكر المحضار وسيأتي ذكر الحسين ،
وبيقته : عبد الرحمن ، وجعفر ، وعبد الله الأكبر . هؤلاء الثلاثة لا عقب لهم . وسالم ، له ذرية
قليلة ثم قرضوا . وشيخان ، له عقب برخية ووادي العين والهند وسورابايا . وعبد الله الأصغر .
وعلي ، توفي سنة (٩٨٢ هـ) ، عقبه بالسواحل وسيحوت . والحسن ولد سنة (٩٦٨ هـ) ، وتوفي
(١٠٥٨ هـ) ، وإليه ينسب آل يوفطيم . وأحمد ، توفي بالشحر سنة (١٠٢٠ هـ) ، ابنه ناصر من
شيوخ الإمام الحداد توفي سنة (١٠٨٢ هـ) ، وعقبه من ابنه شيخ بالشحر . والحامد ، توفي بعينات
سنة (١٠٣٠ هـ) . وصالح .

(٢) الحسين بن الشيخ أبي بكر ، إمام عصره ، وفريد دهره ، كان إماماً عالماً عاملاً فقيهاً ، محبياً للسنّة
مميّناً للبدعة ، مولده بعينات ، وتربى ونشأ في حجر والده وتحت نظره ، وكانت وفاته بها في =

أَعَزُّ وَأَتَقَى ابْنِي نِزَارِ بْنِ يَعْرُبٍ وَأَوْثَقُهُمْ عَقْدًا بِقَوْلِ لِسَانٍ^(١)
وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا وَأَطْوَلُهُمْ يَدًا وَأَعْلَاهُمْ فِعْلًا بِكُلِّ مَكَانٍ
ترجمته الشُّلِّيُّ في « المشرع » [٢١٢-٢١٠/٣] وَوَهَمَ فِي قَوْلِهِ : (إِنَّهُ وَلِيَّ الْأَمْرِ بَعْدَ
أَبِيهِ) ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَلِهْ كَمَا قَدَّمْنَا إِلَّا بَعْدَ أَخِيهِ .

وبعدَ أَنْ تَرَبَّعَ عَلَى كُرْسِيِّ الْمُنْصِبَةِ . . حَصَلَ عَلَيْهِ أَدَى مِنْ آلِ كَثِيرٍ ، فَسَارَ إِلَى مَكَّةَ
وَأَقَامَ بِهَا سَبْعَ سِنِينَ قَدِمَ فِي أَثْنَاءِهَا رُؤْسَاءُ يَافِعٍ إِلَى مَكَّةَ وَكَانَ حَصَلَ عَلَيْهِمْ تَعَبٌ مِنْ
الزَّيْدِيَّةِ ، فَتَاكَدَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الْأُلْفَةُ ، وَتَأَطَّدَتْ قَوَاعِدُ الْحَلْفِ ، وَوَعَدُوهُ إِنْ
نَصَرَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذُوا بِبَيْدِهِ ، وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ بِأَنَّهُمْ وَصَلُوا فِي أَيَّامِهِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ .

تَوَفِّيَ بَعِينَاتِ سَنَةِ (١٠٤٤ هـ) . وَوَقَعَتْ عِمَامَتُهُ عَلَى وَلَدِهِ أَحْمَدَ^(٢) ، وَقَامَ بِمَقَامِ
أَبِيهِ أَحْسَنَ قِيَامٍ إِلَى أَنْ تَوَفِّيَ ، فَاجْتَمَعَ رَأْيُ السَّادَةِ عَلَى تَقْدِيمِ ابْنِهِ سَالِمٍ السَّابِقِ ذِكْرُهُ فِي
الْغِيْضَةِ ، وَكَثُرَتِ الْخَيْرَاتُ فِي أَيَّامِهِ ، وَاتَّسَعَ جَاهُهُ ، وَكَثُرَتْ مِنْ أَرْضِ الظَّاهِرِ وَجِبَلِ
يَافِعٍ ، وَحَصَلَتْ لَهُ أَمْوَالٌ طَائِلَةٌ .

ثُمَّ إِنْ الزَّيْدِيَّةَ اسْتَوْلَتْ عَلَى يَافِعٍ فَانْقَطَعَ الْمَدَدُ مِنْهَا ، وَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَيْهِ عَزْمُ الزَّيْدِيَّةِ
عَلَى غَزْوِ حَضْرَمَوْتَ^(٣) . . ارْتَحَلَ إِلَى الْحِجَازِ ، فَحَجَّ ثُمَّ اسْتَقَرَّ بِالْغِيْضَةِ وَسَارَ مَعَهُ
بِأَهْلِهِ ، وَبَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِالْغِيْضَةِ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا . . أَجْتَوَتْهَا^(٤) زَوْجَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ
مُحَمَّدِ بْنِ شَيْخِ بْنِ أَحْمَدَ فَأَذِنَ لَهَا فِي الْرُّجُوعِ إِلَى عَيْنَاتٍ مَعَ ابْنِهِ عَلِيِّ بْنِ سَالِمٍ ، وَتَنَازَلَ

= (١٠٤٤ هـ) ، وَهِيَ السَّنَةُ الَّتِي وَلَدَ فِيهَا الْإِمَامُ الْحَدَادُ . وَهُوَ كَوَالِدُهُ أَعْقَبَ (١٣) وَلَدًا . وَغَالِبٌ مِنْ
تَرْجَمَ لِأَبِيهِ تَرْجَمَ لَهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَشْهَرَ أَبْنَائِهِ وَأَعْظَمَهُمْ جَاهًا . وَمِمَّا يَذْكَرُ فِي مَنَاقِبِهِ : حَرْبُهُ الشَّدِيدَةُ عَلَى
الدَّخَانِ وَالْمَدَخِنِينَ ، وَكَانَ يَشْنَعُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَلَهُ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ فِي هَذَا الصَّدَدِ .

- (١) الْبَيْتَانِ مِنَ الطَّوِيلِ .
- (٢) أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٠٦١ هـ) ، تَرْجَمَ لَهُ فِي « الْمَشْرِعِ » (٢ / ٢١٠) ، وَكَانَ الشُّلِّيُّ قَدْ
زَارَهُ وَعَرَفَهُ . وَخَلَفَ مِنَ الْبَنِينَ (١٠) .
- (٣) وَذَلِكَ فِي حُدُودِ عَامِ (١٠٧٠ هـ) .
- (٤) أَيِ : لَمْ تَطْبِ لَهَا السَّكْنَى بِهَا .

لَهُ عَنْ وَلايَةِ عَيْنَاتٍ ، وَأَبَاحَ لَهُ أَمْوَالَهُ بِحَضْرَمَوْتٍ ، وَكَانَ يَرْسُلُ لَهُ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا يَكْفِيهِ ، لِكُلْفِ الْمُنْصَبَةِ^(١) .

وكانتْ لَهُ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مِنْ عَيْنَاتٍ إِلَى الْغُرِّ تَرْعَى بِهَا مَوَاشِيهِ وَنَعْمُهُ ، وَكَانَ يَشْرِكُ السَّادَةَ آلَ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ فِيمَا يَصِلُ إِلَيْهِ مِنَ الْفَتْوحِ .
وَبِإِثْرِ أَنْصَرَفَ الزَّيْدِيَّةُ عَنْ حَضْرَمَوْتٍ . . أَرَادَهُ النَّاسُ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا ، فَلَمْ يَرْضَ^(٢) .

وَبَعْضُهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ الشَّيْخَ عَمَرَ بِامْخَرَمَةِ لِحَظَّةٍ بِطَرْفِ الْغَيْبِ ، إِذْ يَقُولُ :
سَلِّمِ الْأَمْرَ يَا سَالِمَ وَخَلِّ الْحَرَارَةَ خَلَّذَا الْكَوْنُ يَا بْنَ أَحْمَدَ عَلَى اللَّهِ مَدَارَهُ
عَادَ رَبِّ السَّمَاءِ يَغْطِفُ عَلَيْنَا بِغَارَةٍ يَوْمَ قَالُوا لَنَا الزَّيْدِيُّ تَوَلَّى (شَهَارَةَ)
لِأَنَّ شَهَارَةَ حَافَةٌ مَعْرُوفَةٌ بِسَيْثُونَ ، وَالْأَمْرُ مُحْتَمَلٌ ؛ فَإِنَّ الشَّيْخَ عَمَرَ فِرَاسَاتٍ كَثِيرَةً
صَادِقَةً ، وَلَكِنَّ شَهَارَةَ مِنْ ثُغُورِ الْيَمَنِ فِي غَرْبِي صَنْعَاءَ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا إِمَامُ الزَّيْدِيَّةِ فِي
أَيَّامِ الشَّيْخِ عَمَرَ بِامْخَرَمَةِ^(٣) . تَوَفَّى الْحَبِيبُ سَالِمُ بْنُ أَحْمَدَ بِالْغَيْضَةِ سَنَةَ (١٠٧٧ هـ)^(٤) .
وَبِإِثْرِ مَوْتِهِ أَحْضَرَ وَلَدُهُ عَلِيٌّ سَائِرَ إِخْوَانِهِ وَكَتَبَ لِلْغَائِبِينَ مِنْهُمْ ، وَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي
لَا أَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ بِأَعْبَاءِ الْمُنْصَبَةِ إِلَّا بِأَمْوَالِ وَالِدِي ، وَقَدْ صَارَتْ لَكُمْ ، فَخَذَوْهَا
وَأَقِيمُوا مَنْ تُحِبُّونَ . فَقَالُوا لَهُ : بَلْ أَبْحَنَاهَا لَكَ كَمَا كَانَ أَبَاكَهَا لَكَ أَبُونَا ، وَلَا تَرُدُّ عَمَّا
كَنتَ تَنْفَعُهُ عَلَيْنَا فِي أَيَّامِهِ .

وَقَدْ أَدْرَكَ الْحَبِيبُ عَلِيٌّ بْنُ سَالِمٍ عَامًا مِنْ حَيَاةِ جَدِّ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ ، وَفِي أَيَّامِهِ عَادَ
الظَّاهِرُ وَجَبَلُ يَافِعٍ لِأَهْلِهِ بِوِاسْطَةِ السُّلْطَانِ مَعُوضَةَ بْنِ سَيْفِ بْنِ عَفِيفٍ وَالسُّلْطَانِ
صَالِحِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ هَرَهْرَةَ فَدَرَّتِ الْأَمْوَالُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ لِإِخْوَانِهِ : اقْتَسِمُوا مَا تَرَكَهُ

(١) أي : مؤنتها .

(٢) أخبار الحبيب سالم هذه من كتاب « بستان العجائب » (١٤-٤) (خ) .

(٣) شهارة اليمن مدينة شهيرة في بلاد الأهنوم تقع شمالي حجة ، دخلها الأتراك سنة (٩٩٥ هـ) .

(٤) وجاء في « الفرائد الجوهريّة » أن وفاته سنة (١٠٨٧ هـ) ، وما ذكره المؤلف نقلاً عن « بستان

العجائب » ، والله أعلم بالصواب .

أَبُوكُمْ ؛ فَقَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ عَنْهُ . وَأَبْقَى مَا كَانَ يُجْرِيهِ عَلَيْهِمْ . تَوَفَّى سَنَةَ (١٠٩٦ هـ) عَنْ إِحْدَى وَخَمْسِينَ سَنَةً ، وَكَانَتْ إِقَامَتُهُ بِالْمَنْصِبَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ عَامًا^(١) .

وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَالِمِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ ، فَقَامَ بِالْمَنْصِبَةِ وَسَنُهُ نَحْوُ الْعَشْرِينَ ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهَا السَّيِّدُ شَيْخُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ . تَوَفَّى أَحْمَدُ هَذَا سَنَةَ (١١١١ هـ) ، بَعْدَ أَنْ مَكَثَ فِي الْمَنْصِبَةِ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامًا^(٢) .

وَخَلَفَهُ عَلَيْهَا وَلَدُهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَالِمِ ، وَأَتَسَعَ جَاهُهُ بِسَبَبِ اتِّسَاعِ نَفوذِ يَافِعٍ فِي أَيَّامِهِ ، حَتَّى لَقِدَ كَانَ الشُّعْبُ الْمَشْهُورُ بِحُسْنِ مَاءٍ وَرَدِهِ إِقْطَاعًا لَهُ^(٣) .

وَكَانَ شَدِيدَ الْوَرَعِ وَالْتَوَاضِعِ ، وَسَاءَ الْتِفَاهُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقُطْبِ الْحَدَّادِ بِسَبَبِ وَاشٍ مِنَ الطَّغَامِ^(٤) قَالَ لَهُ : إِنَّ الْحَدَّادَ يَحَاوُلُ مَنْصِبًا مِثْلَ مَنْصِبِ جَدِّكَ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمِ ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ .

فَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْقُطْبِ الْحَدَّادِ إِلَّا أَنْ وَرَدَهُ لِلتَّرَضِيَةِ إِلَى عَيْنَاتِ ، وَبَعْدَ الْإِيْنَاسِ قَالَ لَهُ : إِنِّي سَأِلْتُكَ : هَلْ خَزَائِنُ اللَّهِ مَلَأَى أَم لَا ؟ فَقَالَ : بَلْ مَلَأَى .

قَالَ لَهُ : وَهَلْ يَنْقُصُهُ أَنْ يُعْطِيَ أَحَدًا مِثْلَ مَا أَعْطَى الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ ؟ فَقَالَ لَهُ : لَا . فَقَالَ الْحَدَّادُ : إِنَّ الَّذِي أَعْطَى الشَّيْخَ أَبَا بَكْرٍ يُعْطِينَا مِنَ الْهَدَايَةِ ، وَيُعْطِيكَ وَيُعْطِي غَيْرَنَا مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ .

فَاعْتَبَرَ السَّيِّدُ أَحْمَدُ وَجَعَلَ يُلْطِخُ الْحَدَّادَ بِزَبَادٍ^(٥) مِنْ وَعَاءٍ كَبِيرٍ حَتَّى نَفَذَ وَهُوَ ذَاهِبٌ عَنْ شَعُورِهِ . ثُمَّ كَانَ يَزُورُ الْحَدَّادَ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ أَوْ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَعَ كَثْرَةِ أَشْغَالِهِ وَعُظْمِ مَنْصِبِهِ ، وَيَسْتَعْرِقُ سَحَابَةَ الْيَوْمِ فِي قِرَاءَةِ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ عَلَيْهِ ، وَفِي أَوَّلِ قَدَمَةٍ قَدَمَهَا

(١) أخبار الحبيب علي بن سالم في « بستان العجائب » (١٤-١٨) .

(٢) « بستان العجائب » (١٨-٢٠) ، ويلقب الحبيب أحمد هذا بالمدفع ؛ لكثرة كراماته وصلاحه .

(٣) وكان جأه واصلًا إلى بلاد القبله والظاهر وبيحان ، وردمان إلى قرب رداع .

(٤) الطَّغَامُ : أَوْغَاد النَّاسِ ، وَذَكَرَ مُؤَلِّفُ « الْبِسْتَانِ » أَنَّهُ مِنْ أَحَدِ الْأَخْدَامِ .

(٥) الزباد : طيب كالمسك ، غالي الثمن ، يستخرج من أوعية في بدن بعض السنانير المعروفة بهر الزباد ، ويكثر في بلاد الحبشة والصومال وشرق أفريقيا .

على الحَدَّادِ قَالَ - أعني الحَدَّادَ - [مِنَ الْوَاوِ] :

جَزَاكَ اللَّهُ عَنْ ذَا السَّغْفِي خَيْرًا وَلَكِنْ جِئْتَ فِي الزَّمَنِ الْأَخِيرِ

وإليه الإشارة بقوله مِنَ الْآخِرَى [في «ديوانه» ١٧٧ مِنْ الرَّمْلِ] :

زَارَنِي بَعْدَ الْجَفَا ظَنِّي النُّجُودِ

وفي كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميطة ما يفيد أنَّ صاحبَ القِصَّةِ معَ القطبِ الحَدَّادِ هوَ السَّيِّدُ محسنُ بنُ حسينِ ابنِ الشَّيخِ أَبِي بكرٍ ، ولعلَّ الكاتِبَ وَهَمَ في ذلك ؛ لأنَّ الصَّوابَ هوَ ما ذكرناه .

والحبيبُ أحمدُ بنُ عليٍّ هذا هو الَّذي كَتَبَ لِلسُّلْطَانِ عمرَ صالحِ بنِ أحمدَ ابنِ الشَّيخِ عليٍّ هريرةَ ليُخْرِجَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَمَّا كَثُرَتْ بِهَا الظُّلُمُ وَالْفَوْضُوَّةُ ، كذا في «بستانِ العجائبِ» [ص ٣١] لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بنِ سَقَافٍ .

وَالَّذِي بـ «الأصلِ» عَنِ الشَّيخِ عليٍّ بنِ عبدِ الرَّحِيمِ ابنِ قاضي في ترجمته لِلسَّيِّدِ شيخِ بنِ أحمدَ ما يُصْرِّحُ بأنَّه هوَ الَّذي تَوَلَّى الأمرَ بعدَ أبيه ، وأنَّه هوَ الَّذي كَتَبَ لِيافعَ مساعدةً لبدرِ بنِ مُحَمَّدٍ المزدُوفِ على عمرَ بنِ جعفرٍ ، وأنَّه تَوَفَّى سَنَةَ (١١١٩ هـ) وَأَنَّ أخاهُ عليًّا إِنَّمَا تَوَلَّى بعدهُ ، وهذا هوَ الْأَثْبُتُ^(١) .

ثُمَّ إِنِّي أَطْلَعْتُ بعدَ هذا على «رحلةِ عمرَ بنِ صالحٍ» ، وفيها ما حاصلُهُ : (كَانَ نهوضنا إلى حَضْرَمَوْتَ في أوَّلِ شهرِ القعدةِ سَنَةَ (١١١٧ هـ) ، كَتَبَ إلينا مولانا سيِّدنا وصاحبُ أمرنا قطبُ الحقيقةِ والطَّريقَةِ ، الشَّيخُ الحبيبُ : عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ بنِ سالمِ بنِ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ الشَّيخِ أَبِي بكرِ بنِ سالمٍ أَنْ نَخْرُجَ إلى حَضْرَمَوْتَ ؛ لأنَّ السُّلْطَانَ عمرَ بنَ جعفرٍ طغى وبغى ، وعظَّم شعائرَ الزَّيْدِيَّةِ ، وأستولى على الشَّخْرِ ، وهربَ السُّلْطَانُ عيسى بنُ بدرٍ إلى عِينات ، فهجَمَ عليه بها هوَ

(١) والذي في «هدية الزمن» للعبدي ، و«تاريخ الدولة الكثيرة» (٨٩) وما بعدها . . يؤيد ما ورد في

«بستان العجائب» . . فلا معنى بعد هذا لما قاله ابن قاضي ، ولا سيما إذا قرأنا نص «رحلة ابن

هريرة» الآتي هنا .

وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الزَّيْدِيَّةِ ، وَأَخَذَهُ مِنْهَا قَهْرًا ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى حَضْرَمَوْتَ كُلِّهَا ، وَأَرْسَلَ
بَعِيسَى بْنَ بَدْرِ إِلَى عِنْدِ الْإِمَامِ ، ثُمَّ أَنْكَفَأَ عَلَى آلِ هَمَّامٍ وَيَافِعِ الَّذِينَ بِالشَّخْرِ
وَحَضْرَمَوْتَ ، فَأَخْرَجَهُمْ مِنَ الْقَلَاعِ ، وَسَلَّمَهَا لِلزَّيْدِيَّةِ ، وَأَسْتَهَانَ بِالسَّادَةِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ
عَزَمْنَا . . . ثُمَّ أَسْتَأَقَ (الرَّحْلَةَ) إِلَى آخِرِهَا .

تُوفِّيَ الْحَبِيبُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بَعِينَاتِ سَنَةِ (١١٤٢هـ) (١) .

وَخَلَفَهُ عَلَى الْمَنْصِبَةِ ابْنُهُ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ ، وَكَانَ مُضِيئًا يَذْبَحُ كُلَّ يَوْمٍ سِتًّا
مِنَ الْأَغْنَامِ ، سِوَى مَا يَذْبَحُهُ لِلوَارِدِينَ ، وَلَهُ وَلُوعٌ شَدِيدٌ بِالْقَنْصِ ، وَكَانَ كَرِيمًا
شَفِيقًا ، حَتَّى لَقَدْ غَضِبَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ أُمُّ أَكْبَرَ أَوْلَادِهِ بِنْتُ آلِ يَحْيَى مِنْ زَوَاجِهِ بغيرِهَا ،
وَأَبَتْ أَنْ تَعُودَ إِلَّا بِمِئَةِ دِينَارٍ ، وَلَمَّا حَصَلَهَا . . . أَذْنَهُمْ فَعَمِلُوا ضِيافَةً عَامَّةً دَعَا إِلَيْهَا أَهْلَ
عِينَاتٍ أَجْمَعِينَ ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاهِبٌ إِلَيْهِمْ . . . سَمِعَ أَمْرًا تَقُولُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَاهُ : نَحْنُ
جَائِعُونَ عَارُونَ وَلَا عَيْدَ لِي وَلَا لِأَيْتَامِي ، وَأَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ بَايَذْفَعُ لِبِنْتِ آلِ يَحْيَى مِئَةَ دِينَارٍ !!
فَظَهَرَ عَلَيْهَا وَرَمَاهَا بِالضَّرَّةِ ، وَقَالَ لَهَا : حَلَالٌ لَكَ حَرَامٌ عَلَى بِنْتِ آلِ يَحْيَى .

فَامْتَنَعَتْ مِنْ قَبُولِهَا لِعِلْمِهَا بِالْمَهْمَةِ ، فَلَمْ يَأْخُذْهَا مِنْهَا ، وَبَعَثَ لآلِ يَحْيَى
بِالاعتذارِ ، فَعَظَّمَ الْأَمْرَ عَلَيْهِمْ وَأَخْبَرُوا بِنْتَهُمْ ، فَقَالَتْ : إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُخْلَفُ
وَعَدًا ، وَلَا يَبِيتُ عَلَى جَنَابَةٍ ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مَعَ ضَيْفٍ ، وَلَنْ يَتَأَخَّرَ إِلَّا لِمُهِمٍّ . وَبَحِثْ
عَنِ الْوَاقِعِ حَتَّى عَرَفْتُهُ ، فَذَهَبَتْ هِيَ وَأَوْلَادُهَا إِلَيْهِ ، فَكَادَ يَجُتُّ جَنُونُهُ مِنَ الْفَرَحِ ؛ لِأَنَّهُ
بِهَا مَغْرَمٌ ، وَشَكَرْتُهُ عَلَى صَنِيعِهِ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنْ لَمْ تَزُرْ . . . زَرْنَاكَ .

وَقَدْ تَرَجَّمَهُ الْجَنِيدُ فِي «النُّورِ الْمُزْهِرِ» تُوفِّيَ سَنَةِ (١١٧٧هـ) ، وَفِي «شَمْسِ
الظُّهْرِ» أَنَّ وَفَاتَهُ كَانَتْ فِي السُّجُودِ وَهُوَ يُصَلِّي الظُّهْرَ (٢) .

(١) أخبار الحبيب علي بن أحمد في «البستان» (٢٠-٣٨) .

(٢) ترجمته الواسعة المستفيضة في «بستان العجائب» (٧٦-٣٨) ، وذكر أن وفاته ليلة الإثنين سلخ جمادى
الأولى سنة (١١٧٧هـ) ، توفي بعد أن صلى سنة العشاء القبلية ثم أمر المؤذن أن يقيم الصلاة فأقام ثم
جلس وهلل وخرجت روحه . وفي «تراجم الشجرة» : أنه توفي ساجدًا في صلاة الظهر . والله
أعلم .

وفي كلام سيدي الأستاذ الذي جمعه والدي : (أن سبب وفاته أن سبحة لسعته في جبهته وهو يصلي الظهر فمات) .

وفيه أيضاً : (أن العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باوزير كان يتحرّج عن طعمه حتى جاء الحبيب طاهر بن محمد بن هاشم فأخبره بما في نفسه ، فقال له : إنه صاحب الوقت ، له الحق في أموال المسلمين) اهـ

وخلفه ولده سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين ، وكان أبيض السريرة ، لا يعرف شيئاً من أمر الدنيا ، وهو الذي وصلت مواساة صاحب المغرب لسادات حضر موت في أيامه^(١) ، وأختلفت الرواية :

فألذي قاله السيد محمد بن سقاف أنه رضي بأكياس الدراهم الحريّة المزركشة بأفضة قياضاً عمّا له ولأستره منها .

والذي قال غيره : أنه أراد الاستئثار بجميعها ، فما زالوا به حتى أقتنع بالأكياس زيادة عن نصيبه مثل الناس .

وفي أيامه طلبت يافع بتريم مواساة من أهلها فتقلت عليهم ، فذهب أحد آل شامي

(١) ما سمّاه المؤلف : (مواساة) . . سمّاه العلامة علوي بن طاهر (مال الفيء) ولمعرفة المزيد من خبر (مال الفيء) وخلاصة هذا الخبر : أن أمير المؤمنين الشريف محمد بن أمير المؤمنين الشريف عبد الله بن مولاي إسماعيل العلوي الحسيني سلطان المغرب ، المولود سنة (١١٣٤ هـ) ، والمتوفى سنة (١٢٠٤ هـ) ، أرسل مالاّ جزيلاً إلى الحرمين الشريفين ليفرق على السادة الأشراف ، وهو مما أخذه من نصارى الدنيمارك ونصارى بلنسيان ، وكان فرض عليهم جزية (٥٠) قنطاراً عن كل سنة . وكان قدر ذلك المال (٥٠٠٠) خمسة آلاف سبيكة ذهباً ، كل سبيكة وزنها مئة دينار . . كان نصيب أشراف حضرموت منها (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف ريال فرانصة أو أكثر ، وصل كل نفر منهم ذكر وأنثى صغير وكبير ثمانية ريات إلا ربع .

ولحصر السادة العلويين وضبط أعدادهم قام بالمهمة الشاقة السيد الجليل علي شيخ بن شهاب الدين . . فسار إلى السواحل الحضرية والبلدان والقرى ، وألحق الفروع بالأصول ، وحرر ذلك تحريراً تاماً ، وتوفي في الشحر سنة (١٢٠٣ هـ) ، وكان شريف مكة لذلك العهد هو الشريف سرور بن مساعد ، الذي بنى مسجد سرور بتريم . ينظر : « عقود الألباس » (١٥٩-١٧٢) ، و « بستان العجائب » (٨١-٨٣) .

بهدية تافهة إلا أنها ملوثة ، فعزم على يافع أن لا يأخذوا شيئاً فأنتهوا ، وكذلك الحال
كان في العام الذي بعده . توفي سنة (١٢١١ هـ)^(١) .

وخلفه ابنه أحمد بن سالم ، وكان كثير الخيرات والمبرات ، وفي أيامه كان وصول
الوهابية إلى حضرموت بطلب من بعض السادة وآل كثير ، ولم يكن لهم عسكر كثير ،
وإنما كانوا ينشرون دعوتهم فيستجيب لهم الناس ، وكان ممن استجاب لهم : آل علي
جابر بخشام غربي شبام ، وبعض السادة ، وبعض آل كثير ، وعبد الله عوض غرامة
تريم . فتمكنوا بذلك من هدم القباب وتسوية القبور .

ولما علم الحبيب أحمد بن سالم بوصولهم إلى تريم . استدعى منصب آل الحامد
السيد سالم بن أحمد بن عيدروس ، وأتفقوا على الدفاع عن عينات . وأستدعى
الحبيب أحمد من أطاعه من يافع وآل تميم ، والحبيب سالم من أطاعه من الصيعة
والمناهيل .

ولما علمت الوهابية غرامة بذلك . . كتب الأخير كتاباً للمنصبين يقول لهم فيه :
(إن ابن قملا وصل بقوم - ما تعقل - من القبلة ، وقصدتهم دخول عينات ، وإن
دخلوا . . بايخربون قباب مشايخنا ومناصبنا ، والأولى أن تصلون أنتم ويكون
الاتفاق ، وأحتملوا المشقة في الوصول ، وهذه منا نصيحة ومحبة وشفقة ، وما يشق
عليكم يشق علينا . .) في كلام طويل^(٢) .

وكانوا يعرفون محبة وموالاته لهم فأطمأثوا بكتابه ، فوصلوا إلى تريم ، وألقوا
عليهم القبض ، وألقوهم تحت المراقبة ، وأرسلوا العسكر إلى عينات ، وقالوا لأهل
عينات : إن أحدثتم أدنى أمر . . بعثنا لكم برؤوس المناصب . فتركوهم يفعلون
ما شاؤوا ، وخافوا منهم خوفاً شديداً ، وكلفوهم غرامة شديدة دفعوا فيها حلي
نسايتهم^(٣) .

(١) ترجمته وأخباره في « البستان » (٧٧-٩٠) .

(٢) ولو لم يكن من غرامة من الغدر والخيانة إلا هذه . . لكفته .

(٣) تنظر التفاصيل في « البستان » (٩٧-٣٠٣) .

ثُمَّ إِنَّ آلَ قَمَلًا تَصَادَقُوا هُمْ وَالْمَقْدَمُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَفَتَحَ لَهُمُ الطَّرِيقَ إِلَى شَعْبِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . فهدموا قَبْتَهُ .

وبِإِثْرِهِ رَجُوعِ آلِ قَمَلًا مِنَ الْجَهَةِ الْحَدَرِيَّةِ . . أَطْلَقَ غَرَامَةً سَرَاخَ الْمَنَاصِبِ .

وَلَا يُشْكِلُ نَسَبُهُ كَبِيرَ الْأَمْرِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ عَوْضِ غَرَامَةٍ ، مَعَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي أَيَّامِ عَمِّهِ ؛ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ غَلِبَهُ عَلَى رَأْيِهِ أَوْ اسْتَمَالَهُ إِلَيْهِ ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ فِيهِ شَكٌّ أَوْ مَجَامَلَةٌ فَالْقَى عَهْدَتَهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ عَوْضِ .

وبِإِثْرِهِ وَصُولِ الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ إِلَى عَيْنَاتٍ . . أَرْسَلَ وَلَدَهُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى جَبَلِ يَافِعٍ ، وَأَتَى بِأَقْوَامٍ ، وَأَذَكَّى نَارَ الْحَرْبِ عَلَى غَرَامَةٍ ، وَضَيَّقَ عَلَيْهِ الْخَنَاقَ .

هَذَا مَا يَقُولُهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ بْنُ سَقَّافٍ ، وَفِيهِ خِلَافٌ أَوْ تَفْصِيلٌ لِمَا فِي شَرْحِ بَيْتِ آلِ تَمِيمٍ مِنَ « الْأَصْلِ » ؛ إِذِ الَّذِي فِيهِ : أَنَّ السَّيِّدَ أَبَا بَكْرَ بْنَ أَحْمَدَ إِنَّمَا يَنْهَضُ إِلَى يَافِعٍ لِيَأْتِيَ بِقَوْمٍ يَحَارِبُ بِهِمُ السَّيِّدَ سَالِمَ بْنَ أَحْمَدَ الْحَامِدَ ، وَأَنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا تَرِيمَ بَعْدَ اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا فِي أَوَّلِ رَمَضَانَ مِنْ سَنَةِ (١٢٣٧هـ) . . أَرْضَوْهُمْ بِخَمْسِ مِئَةِ رِيَالٍ فَرَقَوْهَا عَلَى سَيْثُونَ وَتَرِيمَ وَعَيْنَاتٍ ، وَلَمْ يَكُنْ حَرْبٌ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ . مَعَ أَنَّهُ لَا يَبْعُدُ أَنَّ الْحَبِيبَ أَرْسَلَ ابْنَهُ أَبَا بَكْرٍ إِلَى يَافِعٍ مَرَّتَيْنِ ؛ أَوَّلًا : لِحَرْبِ غَرَامَةٍ ، وَثَانِيًا : لِحَرْبِ السَّيِّدِ سَالِمٍ ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْآخِرَةِ قِتَالًا .

وَفِي « الْأَصْلِ » عَنِ الْجَنِيدِ : أَنَّهُ انْتَقَدَ عَلَى الْحَبِيبِ أَحْمَدَ بْنِ سَالِمٍ هَذَا كَثْرَةُ حُرُوبِهِ مَعَ قُوَّتِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَصِيَامِهِ لِلْأَشْهُرِ الْحَرَمِ ، وَأَنَّ الْحَبِيبَ طَاهِرَ بْنَ حُسَيْنٍ أَجَابَهُ بِمَا يَزِيلُ سُوءَ ظَنِّهِ بِهِ ، فَلِيَكْشِفَ مِنْهُ .

وَمِنْ هَذَا الْمَنْصَبِ كَانَتْ تَوَلِيَةُ الْقَضَاءِ لَجَدَّنَا مُحْسِنِ بْنِ عَلَوِيِّ بَسَيْثُونَ وَأَعْمَالُهَا بِوَثِيقَةٍ مُحَرَّرَةٍ فِي ذَلِكَ بِتَارِيخٍ مُحَرَّمِ سَنَةِ (١٢٣٦هـ) ، وَفِي ذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَى نَفْوذِ أَمْرِهِ ، وَأُتْسَاعِ سُلْطَانِهِ ، وَدُخُولِ يَافِعٍ تَحْتَ طَاعَتِهِ .

وَقَدْ حَجَّ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ سَالِمٍ ، وَأَكْرَمَ شَرِيفُ مَكَّةَ^(١) وَفَادَتُهُ ، وَأَهْدَاهُ كِسْوَةَ

(١) كَانَ ذَلِكَ زَمَنَ الشَّرِيفِ يَحْيَى ابْنِ الشَّرِيفِ سُرُورِ بْنِ مُسَاعِدٍ ، وَكَانَ مُحَمَّدُ عَلِيٍّ بَاشَا وَلاَهُ عَلَى مَكَّةَ سَنَةً =

فاخرة ، و فرساً عربيّة مُحَلَّاةً ، وألفاً وخمسن مئةً مِنَ الرِّيالاتِ الْفَرانِصَةِ . وكانت لَهُ نفقاتٌ جليلةٌ ، وصدقاتٌ جزيلةٌ . توفِّيَ سَنَةَ (١٢٤٢هـ) .

ووقع رداؤه على ابنه أبي بكر ، وكانت لَهُ عبادةٌ ومحاسنٌ وإيثارٌ لِلسَّلَمِ ، فأصطلَحَ هوَ وابنُ يمانِيٍّ والمناهيلُ وأهدروا الدِّماءَ الَّتِي طُلَّتْ^(١) بَيْنَهُمْ ، وَلَكِنَّ يافعاُ أَساءَتْ عَلَيْهِ الْأَدَبَ ، ونهبوا في عِنااتِ ، ووصلَ إِلى سِئونَ لِيُصلَحَ بَيْنَهُمْ . فلم يَقبلوا لَهُ كلاماً . توفِّيَ سَنَةَ (١٢٦١هـ) .

وقامَ في مقامِهِ ابْنُهُ سَقَّافُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بنِ أَحْمَدَ بنِ سَالِمٍ وفي أَيَّامِهِ اُنتَشَرَ الْجَهْلُ ، فحرصَ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ طَاهِرٍ على كَشْفِ غمِراتِهِ ، فبعثَ بِالْحَبِيبِ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَحْيَى فلم يُحسِنْ سِياسَتَهُمْ ، فردَّوهُ مَكسورَ الْخاطرِ ، ثُمَّ إِنَّ جَدِّي الْمَحْسَنَ زارَ شَعْبَ الْمَهاجِرِ فلاقى بِهِ بَعْضَ أَبْناءِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنِ ، فزَيْنَ لَهُ زِيارَةَ أَبِيهِ ، فتوجَّهوا معاً إِلى الْمَسِيلَةِ ، فكلفَ عَلَيْهِ الْحَبِيبُ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يذْهَبَ إِلى عِنااتِ لِيذكرَ آلَ الشَّيْخِ ، فأعْتَذَرَ أَوَّلًا بِأَنَّ مَعَهُ صِغارَ أولادِهِ ، فلم يَقبلَ لَهُ عِذاراً ، فذهبَ وأقامَ لَدَيْهِمْ أَرْبَعِينَ يَوْماً ، وحصلَ بِهِ نَفْعٌ عَظِيمٌ لا يَحْصُلُ مِثْلُهُ في أَعْدادٍ مِنَ السَّنِينَ ؛ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ سَلِيمَةٌ ، وأَذْهَانُهُمْ نَقِيَّةٌ .

وفي أَيَّامِهِ وصلَ السَّيِّدُ عَمْرُ بْنُ عَلِيٍّ بوعلامة^(٢) - السَّابِقُ ذِكرُهُ في الْمُكَلَّأ - إِلى عِنااتِ ، وسارَ هوَ وإِياهُ إِلى دُوعن^(٣) .

ثُمَّ حجَّ في سَنَةِ (١٢٨٠هـ) ، وتوفِّيَ سَنَةَ (١٢٨٣هـ)^(٤) ، وأبْنُهُ سَالِمٌ في بَنْدِرِ الْمُكَلَّأ ، فنادوا بِهِ مَعَ غِياهِ مِنْصَباً ساعَةَ دَفْنِ أَبِيهِ ، وكتبوا لَهُ وَلِلنَّقِيبِ صِلاحِ بْنِ مُحَمَّدٍ

= (١٢٢٨هـ) بعد القبض على عمه غالب بن مساعد ، فاستمر فيها إلى سنة (١٢٤٢هـ) ، حيث فصل عنها وسار إلى مصر ومات بها سنة (١٢٥٢هـ) .

(١) طُلَّتْ : هُذِرَتْ .

(٢) واسمه : عمر بن علي بن شيخ بن أحمد بن علي . . إلى آخر النسب ، يلقب بأبي عَلامَة ، مولده في سورابايا .

(٣) الخبير في « البستان » (١٤١-١٤٧) . وكانت وفاة الحبيب عمر بوعلامة في شبام سنة (١٢٧٩هـ) .

(٤) أخباره في « البستان » لابنه محمد بن سقاف (١٣١-١٥٣) .

الكسادي وأولاد عمر بن عوض القعيطي وهم مجتمعون بالمكلا ، وعندهم يافع من الجبل ومن حضر موت ، وناس من الأعجام المسلمين ، يقال لهم : الرويلة ، من كابل^(١) ، يريدون بذلك إخراج غالب بن محسن الكثيري من الشحر ، فتم لهم ما يريدون .

وكان الحبيب سالم هذا أدى نسكه مع أبيه ، ثم توفي سنة (١٢٩٥ هـ)^(٢) .

ونادوا بأبيه أحمد منصبا مع أن سنه لم يكن يومئذ إلا تسعا ، فكان كما قال مروان بن أبي حفصة [في « ديوانه » ٧٥ من الطويل] :

فَبَانتْ خِصَالُ الْخَيْرِ فِيهِ وَأَكْمَلَتْ وَمَا بَلَغَتْ خَمْسًا سِنُوهُ وَأَرْبَعًا
وكان عمه الفاضل السيد محمد بن سقاف غائبا بجاوة ، فترك كل شيء وخف إلى حضر موت أهتماما بتعليمه .

وفي حدود سنة (١٣٠٦ هـ) اتصل - بواسطة عمه محمد والسيد بوبكر منصب الآتي ذكره - بسيدي الأستاذ الأبرر اتصالا أكيدا ، ولبس منه ، وأخذ عنه ، وتحكم له ، وعهدي به وهو مائل بين يدي الأستاذ في مصلى والدي بعلم بدر من أرباض سينون مع أنه من عشية الليلة التي مثل في صباحها بين يدي سيدي الأبرر كان يمشي إلى حفل المولد العام ، وشيوخ العلويين - ومنهم الأستاذ - يمشون وراءه كما يقول أوالد مصطفى المحضار عن مشاهدة ، وهو المقدم عليهم في القعود والقيام .

وفي ذلك العهد كان وصول الفاضل الجليل المنصب أبي بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر^(٣) ، من ذرية الحبيب عبد الله بن شيخان ابن الشيخ أبي بكر صاحب لامو إلى

(١) جاء بهم السلطان عوض بن عمر القعيطي لقتال غالب بن محسن الكثيري .

(٢) في (٤) من ذي الحجة من تلك السنة ، وأخباره وترجمته في « البستان » لأخيه محمد : (١٥٣-١٩١) .

(٣) ذكر في « الفرائد الجوهريّة » ، ولم يؤرخ لوفاته . ويلقب أجداد المترجم بآل بته ؛ نسبة لجدهم أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الله بن شيخان بن الحسين ؛ وبته هي مدينة من مدن سواحل أفريقيا الشرقية ، هاجر إليها السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر حفيد المذكور هنا ، ووالد السيد =

حضرة الأستاذ ، وهو رجلٌ شهمٌ ، ذو أيدٍ وقوّةٍ ، فلقد شهدتُ سيدي الأستاذَ الأبرَّ تحتَ نخلةٍ من بستاننا ظليلةٍ بعدَ الظُّهرِ إذ سقطَ عذقٌ والنَّاسُ ملتفُّونَ ، وكادَ يقعُ على عمامةِ سيدي الأستاذِ ، فنهضَ المنصبُ بوبكرٍ نصفَ نهضةٍ وتلقاهُ بيدٍ واحدةٍ كأنَّه كُرَّةٌ ، معَ أنَّه لا ينقصُ وزنه عن أربعينَ رطلاً .

ولهُ أَطْلَاعٌ على أسرارِ الأسماءِ والحروفِ ، ومعرفةٌ بالأوفاقِ ، ولهُ خطٌّ جميلٌ . . . وكتبَ « رسالة » - أظنُّها تتعلَّقُ برحلتهِ وأتصالهِ بالأستاذِ - ذكرَ فيها أخذَ الحبيبِ أحمدَ بنِ سالمٍ عنِ الأستاذِ ، وفَرْقَانِ ما بينَ حالهِ قَبْلَ أخْذِهِ وبعْدَهُ ، وأطنَّبَ في ذلكَ بصورةٍ مشوِّقةٍ لمَ يَنقُ بذهني مِنْهَا إِلَّا أليسيرُ ، ولا لومُ ؛ فقد كنتُ يومئذٍ حوالي السَّابعةِ مِنْ عمري ، ولولا أَنَّ خطَّهُ كانَ بديعاً حسناً ، وأنَّ الرِّسالةَ كانتَ مزينةً بالألوانِ والنَّقوشِ . . . لَمْ يَنقُ لَهَا أثرٌ عندي البتَّةَ ، لكنَّ وجودَها بالصِّفَةِ الَّتِي تستلفتُ أنظارَ الصِّبيانِ هو الَّذي حمَلَنِي مِنْهَا ما لا تزالُ بقاياهُ بالذِّكْرَةِ على بُعْدِ العَهدِ وصِغَرِ السِّنِّ ، معَ أنَّي لمَ أنظُرْها إِلَّا وقتَ وجودِهِ بحضرموتَ ، وهو عام (١٣٠٦هـ) كما تقدَّم .

توفِّيَ الحبيبُ أحمدُ بنُ سالمٍ فجأةً سَنَةَ (١٣٢٤هـ) ^(١) ، ووقعَ رداؤُهُ على ولدهِ عليٍّ ، وكانَ شابّاً نشيطاً ، مضافاً كثيرَ الإصلاحِ بينَ الجنودِ ، وكانَ السَّيِّدُ حسينُ بنُ حامِدٍ يكرهُهُ ويَحْسُدُهُ ؛ لامتدادِ نفوذِهِ وجاهِهِ ، ولهُ معهُ مواقفٌ لَمْ يَلِنْ فِيهَا جانبُهُ ، ولمَ يَزَلْ نعلُهُ ، ولمَ يعطِ المَقادَةَ ، ولمَ يُسَلِّسِ الزِّمامَ .

حجَّ في سَنَةِ (١٣٤٥هـ) ، وأكرمَ وفادَتُهُ المَلِكُ أبْنُ سعودٍ ، وأعطاهُ خنجراً ومئةَ جنيهِ مِنَ الذَّهَبِ ، وتوفِّيَ سَنَةَ (١٣٤٩هـ) ^(٢) .

= عبد الرحمن المنصب الذي ذكره المؤلف . ينظر : « حاضر العالم الإسلامي » للأمير شكيب أرسلان (١٧٨/٣) ، و « تعليقات ضياء شهاب على شمس الظهيرة » (٢٩٤-٢٩٥) .

وبالمناسبة : فإن سلاطين جزر القمر هم من آل الشيخ أبي بكر بن سالم . ينظر « تعليقات السيد ضياء » (٢٩٤/١١) .

(١) كانت وفاته في (٢٨) رجب من السنة المذكورة ، وقبته هي سابع قباب آل الشيخ بعينات ، وينظر طرف من أخباره في « البستان » (١٩١-) إلى آخره .

(٢) كانت وفاته في (٣) شعبان من السنة المذكورة .

وخلّفه ولده المبارك أحمد بن علي^(١) ، وقد أعتنى بتربيته الشابّ العفيف شيخ بن أحمد بن سالم عم أبيه^(٢) ، وأحضره على العلماء ، ودبر أمور دنياه ، حتّى لقد مات أبوه مديناً بأثني عشر ألف ريال (١٢٠٠٠) ، ولم يكن ضيفه ولا خرجه بأقلّ من خرجه أبيه ، ومع ذلك فقد قضى جميع ديون والده ، ومرت الأزمه وفناؤه رحب ، وضيفه كرم ، وخاطرته رخو ، وكاهله خفيف بفضل تدبير السيّد شيخ ، فجزاه الله خيراً .

وله فوق ذلك من المحاسن ، ولين النحيمة^(٣) ، وكرم الطبيعة ، وأستواء السّرّ والعلانية ، والخبرة بأحوال الزّمان ، والتمرّن على سياسة أهله . . ما لا يساهمه أحد فيه .

وللسّادة آل الحامد بن الشيخ أبي بكر منصب بعينات ، وجاه ضخّم لدى الصّغير^(٤) والمناهيل^(٥) وغيرهم .

(١) مولده في حدود (١٣٣٠هـ) ، وتوفي سنة (١٤١٤هـ) ، وقد جاوز السبعين ، وخلفه في المقام ابنه السيد المنصب حسن بن أحمد بن علي ، وهو القائم بالمقام اليوم ، تربي تحت نظر والده وجده عم أبيه الحبيب شيخ الآتي ذكره .

(٢) بل هو عمه مباشرة ، ولعل هذا سهو من المؤلّف عليه رحمت الله ، ولد الحبيب البركة الشهم المعمر شيخ بن أحمد بن سالم بعينات سنة (١٣٢٠هـ) أو قبلها ، ونشأ في حجر والده ، وأدرك من حياته بضع سنوات ، وله سيرة زكية عطرة ، وترجمته حافلة بالأخذ عن الأكابر ، وأدرك تنصيب حفيد أخيه الحبيب حسن بن أحمد بن علي بعد وفاة والده سنة (١٤١٤هـ) كما تقدم ذكره ، توفي فجر الأربعاء (٢٨) رجب الحرام من سنة (١٤١٩هـ) عن عمر ناهز المئة من السنين ممتعاً بكامل حواسه وقواه ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

(٣) النّحيمة : الطّبيعة .

(٤) الصّغير : من بادية حضرموت ، ومرجعهم إلى كندة ، وهم كما في « الإكليل » للهمداني (٤١ / ٢) : من بني الصّغير بن الأشموس بن مالك بن حريم بن مالك الصّدفي .

وهم قسمان كبيران : آل علي بالليث ، وآل محمد بالليث ، ومساكنهم في شمال غرب حضرموت ، ويحد أرضهم من الشمال : الربع الخالي ، ومن الجنوب : الكرب ونهد وحضرموت ، ومن الشرق : العوامر من المشقاص ، ومن الغرب : بلاد دهم ويام وعبيدة . وتسمى هذه المنطقة : حجر الصّغير ، أو : ريذة الصّغير ، وبعض منهم يسكن في أسفل دوعن ، وهم آل محفوظ في الهجرين وخريخر ، وآل قصير ، وآل مداعس ، وآل بن مساعد .

(٥) أجود ما قيل في نسب المناهيل : أنهم من بني ظنة هاجروا إلى حضرموت إبان هجرة قبائل نهد إليها ، =

وفي « شمس الظهيرة » [٢٨٨/١] : أَنَّ الْقَائِمَ بِمَنْصِبِ جَدِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ هُوَ : السَّيِّدُ عِيدروسُ بْنُ سَالِمٍ ، ذُو الْكُسَيْرَةِ الْحَمِيدَةِ ، تُوْفِّيَ بَعِينَاتٌ سَنَةَ (١١٧٠هـ) ، وَعَقْبُهُ هُنَاكَ^(١) .

ومنهم : وَلَدُهُ الْمَنْصَبُ الْجَلِيلُ سَالِمُ بْنُ مُحْسِنٍ ، وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ الْمَنْوَرُ أَلْبَارُ عَبْدِ الْقَادِرِ ، تُوْفِّيَ وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ صَالِحٌ^(٢) .

ومنهم : أَلْفَاظِلُ الْعَالَمِ أَلْوَاعِظُ السَّيِّدُ حَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ^(٣) ، تَخَرَّجَ بِرِبَاطِ تَرِيمٍ عَلَى أَلْفَاظِلِ الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ الشَّاطِرِيِّ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى عَيْنَاتٍ وَأَبْتَنَى بِهَا رِبَاطًا^(٤) ، هُوَ مُقِيمٌ بِهِ عَلَى نَشْرِ الْعِلْمِ ، وَقَدْ أَنْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ النُّوَاحِي .

= وقيل : إِنْهُمْ مِنْ قِضَاعَةٍ وَيَنْسُبُونَ هُمْ وَالْمَهْرَةَ إِلَى جَدٍ وَاحِدٍ . وَقِيلَ : إِنْهُمْ مِنْ آلِ الْمَنْهَالِ مِنْ بِلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ، « الْإِكْلِيل » لِلْهَمْدَانِيِّ (٢٤٠/١) .

ويميل بعض الباحثين إلى أَنَّهُمْ مِنْ بِلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ كَمَا ذَكَرَ الْهَمْدَانِيُّ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا هَاجَرُوا مِنْ مَسَاكِنِهِمْ حِوَالِي نَجْرَانَ إِلَى شَرْقِي حَضْرَمَوْتَ خِلَالَ هِجْرَةِ نَهْدٍ ، وَسَكَنُوا مَعَ بَنِي ظَنَّةٍ فَنَسَبُوا فِيهِمْ . وَأَوَّلُ مَا وَرَدَ ذِكْرُهُمْ فِي التَّارِيخِ سَنَةَ (٩٧٨هـ) عِنْدَمَا سَعَى مُحَمَّدُ كَعْشَمُ الْمَنْهَالِيُّ فِي صَلَاحِ بَيْنِ السُّلْطَانِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَدْرِ بَوَطُورِقٍ وَقَبِيلَةِ الْمَهْرَةِ . ثُمَّ ظَهَرُوا كَقُوَّةٍ عَسْكَرِيَّةٍ تُحِيطُ بِعَيْنَاتٍ ، وَسَكَنُوا بَعْدَ ذَلِكَ الْجِزَاءَ الشَّمَالِي الشَّرْقِي مِنْ وَادِي الْمَسِيلَةِ ، وَيَتَوَغَّلُونَ شِمَالاً فِي الْجِزَاءِ الشَّرْقِيِّ لَصَحْرَاءِ الرَّبِيعِ الْخَالِي ، وَيَبُوتُهُمْ كَثِيرَةٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ سَكَنَ الشَّحْرَ مِنَ السَّوَاخِلِ الْحَضْرَمِيَّةِ . تَنْظُرُ أَخْبَارُهُمْ فِي : « الْأَدْوَارِ » (٣٥٤/٢) ، « الْبَكْرِيِّ » (١٠٦/٢) ، « جَوَاهِرِ » (٢٠٣/٢) ، « بَابُطِينَ » ، أَوْ « الْمُقْحَفِيِّ » . وَسَيَأْتِي لِلْمُؤَلِّفِ كَلَامٌ عَنِ الْمَنْهَالِيِّ فِيمَا يَأْتِي .

(١) سَلَالَةُ السَّيِّدِ عِيدروسِ بْنِ سَالِمِ بْنِ الشَّيْخِ عَمْرِ بْنِ الْحَامِدِ بْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ . . مُمْتَشِرَةٌ فِي تَارِيخِهِ وَسَيُونِ وَسِيَحُوتِ وَعَمَدِ وَرُخْيَةِ وَجَاوَةٍ .

(٢) هَؤُلَاءِ السَّادَةُ الْمَنَاصِبُ الْأَفَاضِلُ تَسْلُسَلَتْ فِيهِمْ مَنْصِبَةُ مَقَامِ الشَّيْخِ الْحَامِدِ ، وَلَا زَالَ الْحَبِيبُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ قَائِمًا بِالْمَقَامِ إِلَى الْيَوْمِ حَفَظَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٣) هُوَ الْحَبِيبُ الْحَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عِيدروسِ بْنِ سَالِمٍ . . إلخ . مَوْلَدُهُ بِعَيْنَاتٍ سَنَةَ (١٣٠٥هـ) ، قَدِمَ تَرِيمَ صَغِيرًا وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ مِنْ عَمْرِهِ ، وَأَقَامَ فِي الرِّبَاطِ طَالِبًا لِلْعِلْمِ حَتَّى سَنَةِ (١٣٢٤هـ) ، تُوْفِيَ بِعَيْنَاتٍ فِي (٨) شَوَالِ سَنَةِ (١٣٦٧هـ) . وَلِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بَاحْتَانَ : « الشَّرَفُ الْأَصِيلُ فِي مَنَاقِبِ ابْنِ إِسْمَاعِيلِ » ، مَذْكُورٌ فِي قَائِمَةِ مُؤَلَّفَاتِهِ .

(٤) كَانَ بَنَاوَهُ لِلرِّبَاطِ فِي سَنَةِ (١٣٤٠هـ) ، وَنَجَزَ خِلَالَ عَامَيْنِ تَقْرِيْبًا ، ثُمَّ زَادَ فِيهِ وَعَمْرُهُ وَقَوَى بِنَاؤَهُ سَنَةَ (١٣٤٥هـ) بَعْدَ أَنْ دَهَمَهُ سَيْلٌ كَبِيرٌ أَثَّرَ فِي بَنَائِهِ الْأَوَّلِ .

وفي عينات جماعة من آل باوزير ؛ منهم : العلامة الشيخ عبد الرحمن بن أحمد باوزير^(١) .

وجماعة من آل بافضل^(٢) ؛ منهم : العلامة الشيخ رضوان بن أحمد بافضل^(٣) ، من أعيان أهل العلم والصلاح ، وحسبك أن سيدي عبد الله بن حسين بلفقيه على تحريره يشهد له بذلك ، توفي سنة (١٢٦٥هـ) .

وأول من نقل منهم من تريم إلى عينات : الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بارضوان ، المتوفى سنة (١١٨٨هـ)^(٤) .

وفي عينات جماعة من آل بايعقوب^(٥) ، أظنهم من أعقاب قاضي تريم في عصر السقف الشيخ بوبكر بن محمد بن أحمد بايعقوب ، وناس من آل باحنان وآل باعبد وغيرهم .

حبوطة

هو موضع قرية قديمة ، ولا أعرف مكانه بالتعيين ، له ذكر كثير في التواريخ ؛ منه ما جاء في (ص ١٩٠ ج ٢) من « المشرح » ، ومنه ما جاء في حوادث سنة (٨٦٠) من « تاريخ سنبل » : أنها وقعت خصومة بين صاحب مريمه وصاحب حبوطة .

إلا أن هذا قد يُراد منه قارة الحبوطة المتاخمة لمريمه في الشمال ؛ لأنهما متقاربتان ، ولكن يغبر عليه أنه لا يُطلق على قارة الحبوطة لفظ حبوطة فقط ؛ ثم

(١) كان معاصراً لأبناء الشيخ أبي بكر وأحفاده ؛ ومنهم : الشيخ محمد بن عبد الرحمن البيتي باوزير ، له مكاتبات من الشيخ أبي بكر بن سالم ، وكلاهما مذكوران في كتب المناقب .

(٢) ويعرفون بآل بارضوان بافضل .

(٣) مولده بعينات في رمضان سنة (١٢١١هـ) ، وبها وفاته ليلة الثلاثاء (٢٤) رمضان سنة (١٢٦٥هـ) . تنظر ترجمته الحافلة في « صلة الأهل » (٢٨٤-٢٧٣) .

(٤) ترجمته في « صلة الأهل » (٢٥٧-٢٥٨) ، وترجم لوالده قبله وذكر أنه من الآخذين عن الإمام الحداد .

(٥) وهم آل بايعقوب ، وليسوا من آل يعقوب شراحيل سكان شام . . فليعلم .

عَرَفْتُ أَنَّ حَبْوَةَ أَسْمَ لَوَادٍ عَلَى يَسَارٍ أَذَاهِبٍ إِلَى عَيْنَاتٍ ، وَفِي غَرِبَةٍ : قَوْز آلِ مِرْسَافٍ .

وَلَمْ يَبْقَ بِحَبْوَةِ مِّنْ آثَارِ الْقَرْيَةِ الْقَدِيمَةِ إِلَّا مَسْجِدٌ يُنْسَبُ إِلَى السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ الْحُسَيْنِ
أَبْنِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ، لَا تَزَالُ نَظَارَتُهُ لآلِ عَمَرَ بْنِ حُسَيْنٍ إِلَى الْيَوْمِ .

التُّقْرَةُ

فِي شِمَالِ عَيْنَاتٍ أَشْتَدَّ جَرْفُ السُّيُولِ فِي أَحْدُودِهَا الْمَعْرُوفِ مِّنْ حَوَالِي سَنَةِ
(١٣٠٦هـ) ، وَكَلَّمَا جَاءَ سَيْلٌ وَجَرَفَ شَيْئًا . غَاضَ مَاءُ النَّهْرِ الَّذِي يَجْرِي تَحْتَ
الْأَرْضِ ، وَيُظْهَرُ مِنْهُ مَاءُ الْآبَارِ فِي وَادِي حَضْرَمَوْتَ مِنْ أَعْلَاهَا ؛ لِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِمَاءِ
النَّقْرَةِ ، وَعِنْدَئِذٍ يَغُورُ مَاءُ الْآبَارِ ، حَتَّى لَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْأَزْكَانِ^(١) مِنْ شِبَامٍ أَنَّهُ
يَعْرِفُ جَرْفَ السُّيُولِ هُنَاكَ بِمَا يَغُورُ مِنْ مِيَاهِ الْآبَارِ بِسَحِيلِ شِبَامٍ .

وَهَلَكَ بِذَلِكَ نَخْلٌ كَثِيرٌ لِّآلِ عَيْنَاتٍ ، وَزَادَ أَهْتِمَامُ النَّاسِ لَذَلِكَ ، وَنَهَضُوا عِدَّةَ
مَرَّاتٍ لِحَسْمِ شَرِّهِ بِنَائِهِ بِالْحَصَى الْمُخَكَّمِ ، وَلَكِنَّهُمْ تَارَةً تَقْصُرُ بِهِمُ التَّنْفِقَةُ ، وَأُخْرَى
يُصْلِحُونَهُ صَلاَحًا غَيْرَ مُتَّقِنٍ فَيَكْتَسِخُهُ أَوَّلُ سَيْلٍ يَمُرُّ بِهِ .

وَفِي الْأَخِيرِ أَهْتَمَّتِ الْحُكُومَةُ الْإِنْكِلِيزِيَّةُ بِإِصْلَاحِهِ لِسَبِّينَ ؛ أَحَدُهُمَا : حَسْمُ شَرِّهِ ،
وَالْأُثَانِي : لِإِيجَادِ أَعْمَالٍ لِلْعَاطِلِينَ - مِّنَ الْأَكْرَةِ وَغَيْرِهِمْ - مِّنَ الْمَالِ الَّذِي خَصَّصَتْهُ
لِلْإِسْعَافِ بِحَضْرَمَوْتَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَجْتَوُوا ذَلِكَ الْمَكَانَ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ وَاسْتَوْخَمُوهُ ،
وَهَلَكَ مِنْهُمْ بَشَرٌ كَثِيرٌ لِعَدَمِ مَلَائِمَةِ الْأَهْوِيَةِ لَهُمْ هُنَاكَ ؛ بِسَبَبِ كَثَرَةِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ
وَالْمِيَاهِ .

غَيْرَ أَنَّ الْجَوْعَ أَضْطَرَّهُمْ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى الْأَعْمَالِ هُنَاكَ ؛ لِأَنَّ شَرِّهُ مُحَقَّقٌ ، وَشَرُّ
ذَاكَ مُشْكُوكٌ فِيهِ ، وَقَدْ تَمَّ بِنَاؤُهُ عَلَى أَقْوَى مَا يَكُونُ فِيمَا يَتَعَالَمُ بِهِ النَّاسُ ، وَيُقَالُ : إِنَّ

(١) أَي : الْحَصَافَةُ وَالذِّكَاةُ .

الحكومة أنفقت عليه أكثر من ثلاث مئة ألف ربيّة هندية^(١) ، وهو مبلغ هائل جدّاً ، فلا يتمعن أن تجد الشيوّل طريقاً إلى أجترافه إن توفّر ولو بعض أسباب الأمانة في هذا الإنفاق العظيم لبنائه .

قَسَم

هو في شرقيّ العِجِز ، وهو أرضٌ واسعةٌ اشتراها سيّدنا عليّ بنُ علويّ بنِ محمّد بنِ علويّ بنِ عبيد الله بنِ أحمد بنِ عيسى بعشرين ألف دينار ، وسَمّاها : قَسَمَ بِأَسْمِ أرضٍ كانت لأهله بالبصرة ، وغرَسها نخيلاً ، وبنى بها داراً ينزلها أيّام الرُّطب ، ثمّ بنى جماعةً بيوتاً عند داره حتّى صارت قريةً ، ولهذا سُمّي : خالِعَ قَسَمَ ، توفيّ بتريم سنة (٥٢٧ هـ) .

وفي الحكاية (١٨١) مِنْ « الجواهر » ما يفهم منه أنّها لا تُقامُ جُمعةٌ بِقَسَمَ في حدودِ سنة (٧٨٦ هـ) ، وذلك أنّه قال فيها : (قال بعض الثّقات : طَلَعْتُ معَ الشَّيْخِ محمّد بنِ أحمد بنِ عبدِ الله باعلويّ بعدما كُفَّ بصره مِنْ قَسَمَ إلى جامعِ العِجِزِ ليصليّ فيه الجمعة) اهـ

وما كانَ على ضعفه وذهابِ بصره ليذهب مِنْ أَجْلِ صلاةِ الجمعةِ لو كانت تُقامُ في بلده .

وكانَ الشَّيْخُ محمّدٌ هذا كثيرَ العبادة ، شديدَ المجاهدة ، أقامَ في آخرِ عمره بمدينة قَسَمَ وأستوطنها ، وبها توفيّ سنة (٧٨٧ هـ)^(٢) ، ودُفِنَ بمقبرتها المُسمّاة بِالْمَصْفَ ، وهو المُلقَّبُ جَمَلُ اللَّيْلِ^(٣) .

وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ : علويّ بنُ أحمدَ قَسَمَ بنِ علويّ الشَّيبَةِ ابنِ عبدِ الله بنِ عليّ بنِ

(١) في نسخة : (ست مئة) .

(٢) كما في ترجمته في « المشرع » (٣٣٣-٣٣٤) .

(٣) ويعرف بجمل الليل الأول ؛ تميّزاً له عن تلميذه جمل الليل الثاني محمد بن حسن المعلم . . السابق

ذكره في روغه .

عبد الله بن محمد جمل الليل^(١) ، كَانَ لَهُ عَقِبٌ بَقَسَمَ انْقَرَضُوا ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شَيْخُ بْنُ
عبد الله بمليار .

وفي «الأصل» ما يُعَرَفُ مِنْهُ أَنَّ أَمْرَ قَسَمَ كَانَ لِمَنْصِبِ عِيْنَات .

وآخرُ مناصبها ولاية على قَسَمَ : الحبيب أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن
أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الحسين ، المتوفى سنة (١٢٣٦هـ) ، فغلبه
عليها المقدم عبد الله بن أحمد بن عبد الشيخ بن يمان بن سعيد بن العبد بن أحمد ،
وهذا النسب مقطوع به بينهم .

ثم إنهم يقولون : إِنَّ أَحْمَدَ - هَذَا - أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَمَانٍ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ
يَمَانٍ بْنِ سُلْطَانِ بْنِ دُوَيْسِ بْنِ رَاصِعِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ يَمَانٍ بْنِ لَبِيدِ الظَّنِّي .

وربما سقط شيءٌ من هذا النسب ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَقْطُوعِ اتِّصَالُ سُلْسِلَتِهِ .

ثم صارت إلى ولده أحمد بن عبد الله ، واتسع نفوذه من ضواحي قَسَمَ الجنوبيَّة إلى
ماوراء شُعْبِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عليه السلام . وكانت له ولأبيه شهامةٌ مُلْكٌ وأُبْهُةٌ سُلْطَانِ .

لَهُمْ أَوْجُهُ يَنْضُ حِسَانٌ وَأَذْرُعٌ طَوَالٌ وَمِنْ سِيَمَا الْمُلُوكِ نَجَارٌ

وما سمعتُ والذي يذكرُ أحداً بِالشَّهَامَةِ وَجَمَالِ الشَّارَةِ سِوَاهُ ؛ لَانْقِطَاعِهِ بِالْعِلْمِ
وَالْعِبَادَةِ عَنْ مَجَارِي الْأَخْبَارِ وَعَمَّا النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَجْهَرَهُ لَمَّا رَأَاهُ يَتَخَلَّعُ تَخَلَّعَ
الْأَسَدِ فِي جَنَازَةِ الْحَبِيبِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ سَنَةَ (١٣٠٧هـ) ، وَوَرَاءَهُ زَهَاءُ الْأَرْبَعِ مِثَّةٍ
مِنْ أَبْطَالِ آلِ تَمِيمٍ .

(١) لعل في العبارة خللاً ؛ إذ جمل الليل الأول لم يُعَقَّبْ سوى قليل انقراض ، قال في « شمس الظهيرة »
(٣٣٦/١) : (ولمحمد ابن : هو عبد الله ، ولعبد الله ابن هو : أحمد ، انقراضوا) اهـ

وأما أحمد قَسَمَ بن علوي الشيبية . فهو ينسب إلى عبد الله بن علي بن عبد الله باعلوي ؛ فهو ابن
عم محمد جمل الليل الأول ؛ وكلاهما حفيد الشيخ عبد الله باعلوي ، وليس كما ذكر المؤلف فليتبّه ،
والله أعلم .

وأما علوي بن أحمد قسم بن علوي الشيبية - الذي ذكر هنا - . فقد توفي بقسم سنة (٩١٨هـ) .

وأما جدّهم علوي الشيبية . فوفاته بتريم سنة (٨٦٢هـ) .

ثُمَّ خَلَفَهُ وَلَدُهُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ ، وَكَانَ شَهِمًا كَرِيمًا شَجَاعًا مَتِينًا الدِّينَ ، وَلَهُ غُلُوٌّ فِي
الْعُلُوِّينَ حَتَّى لَقِدَ سَمَى وَلَدَهُ : (عَبْدَ عَلَوِيٍّ) يَعْنِي بِهِ شَيْخَنَا الْجَلِيلَ عَلَوِيَّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ
الْهِنْدَوَانَ السَّابِقَ ذِكْرُهُ فِي رَوْغِهِ .

وَلَمَّا عَجَزَ عَنْ نَفَقَاتِ حَاشِيَتِهِ وَعَبِيدِهِ - وَهُمْ كَثُرُوا - . . تَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ ، وَهَاجَرَ كَثِيرٌ
مِنْهُمْ إِلَى السَّوَاوِحِلِ الْأَفْرِيقِيَّةِ ، وَأَوَّلُ ذَلِكَ كَانَ بِإِثْرِ الْمَجَاعَةِ الَّتِي أَشْتَدَّتْ بِأَسْفَلِ حَضْرَمَوْتِ
سَنَةِ (١٣١٥ هـ) ، وَعِنْدَئِذٍ أَحْتَاجَ إِلَى مُسَاعِدَةِ الْقَعِيطِيِّ ، وَمَا زَالَتِ الْمَفَاوِضَاتُ جَارِيَةً
حَتَّى أُنْعَقَدَ بَيْنَهُمُ الْحِلْفُ الْمُؤَكَّدُ بِتَارِيخِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ (١٣٣٧ هـ) .

وَفِي نَفْسِ هَذَا التَّارِيخِ كُتِبَتْ بَيْنَهُمْ وَثِيقَةٌ حَاصِلُهَا : أَنَّ الْمُقَدَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ
يَمَانِيٍّ ^(١) - عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ أَوْلَادِهِ وَإِخْوَانِهِ - وَهَبَ بِلَادَهُ الَّتِي لَهُ الْوِلَايَةُ عَلَيْهَا - وَهِيَ قَسَمُ
وَالْحُونُ وَالسَّوْمُ وَعِصْمُ وَبَرْهُوتُ وَفُغْمَةُ وَسَنَّا وَنَوَاحِيهَا وَمَتَعَلَقَاتُهَا - لِلْمَكْرَمِ السُّلْطَانِ
غَالِبِ بْنِ عَوْضِ بْنِ عَمَرَ الْقَعِيطِيِّ ، فَتَلَقَّاهَا بِالْقَبُولِ ، وَشَلَّ ^(٢) ، وَأَعْتَرَفَ السُّلْطَانُ
غَالِبُ بْنُ عَوْضٍ بِأَنَّ الْأَمِيرَ - مِنْ طَرَفِهِ - عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ وَأَوْلَادُهُ مَا تَنَاسَلُوا .

هَذَا حَاصِلُ تِلْكَ الْوَثِيقَةِ وَعَلَيْهَا إِمْضَاءُ السُّلْطَانِ غَالِبٍ وَالْمُقَدَّمِ ، وَشَهَادَةُ السَّيِّدِ
حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ وَعَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ شِمْلَانَ وَجَمَاعَةٍ مِنْ يَافَعٍ .

وَفِي (٢٣) الْقَعْدَةِ سَنَةِ (١٣٥٥ هـ) كَتَبَ السُّلْطَانُ صَالِحُ بْنُ غَالِبٍ مَا نَصَّهُ :
وَبَعْدُ : فَقَدْ أَيْدَ عَظْمَةُ السُّلْطَانِ صَالِحُ بْنُ غَالِبٍ الْقَعِيطِيُّ عَبْدَ عَلَوِيَّ بْنَ عَلِيٍّ بْنِ
أَحْمَدَ بْنِ يَمَانِيٍّ مُقَدِّمًا عَلَى كَافَّةِ آلِ تَمِيمٍ مُحَلِّ وَالِدِهِ الْمَرْحُومِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ
يَمَانِيٍّ ، وَلَهُ عَلَى الدَّوْلَةِ الْقَعِيطِيَّةِ مَا لَوَالِدِهِ ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَى وَالِدِهِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ .
وَعَلَيْهِ إِمْضَاؤُهُ بِخَطِّهِ .

ثُمَّ إِنَّ الْمُقَدَّمَ لَمْ يَحْصِلْ عَلَى شَيْءٍ يَسْتَحِقُّ الذِّكْرَ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ الْمَرْجُوءَةِ مِنْ
الْحُكُومَةِ الْقَعِيطِيَّةِ سِوَى الْمَوَاعِيدِ - الْمَعْرُوفِ شَأْنُهَا - مِنَ السَّيِّدِ حُسَيْنِ بْنِ حَامِدٍ فِي

(١) توفي علي بن أحمد هذا سنة (١٣٥٥ هـ) ، كما يؤخذ من نص خطاب السلطان صالح الآتي ،
المتضمن توليته خلفاً لوالده .

(٢) شَلَّ : تحمل ، وقد تكررت في عدد من نصوص المعاهدات في هذا الكتاب .

أَيَّامِهِ ، بل كثيراً ما كانت الحكومةُ الْقَعِيطِيَّةُ بعدهُ ضدَّ آلِ تميمٍ كما يُعرَفُ بعضُهُ ممَّا سبقَ .

وقد أَضَرَّ الْمُقَدَّمُ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بِالْآخِرَةِ ، وَثَقَلَ سَمْعُهُ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ أَنْ حَاجَّ فِي سَنَةِ (١٣٥٤ هـ) ، وَتَوَفَّى مَرَجَعَهُ مِنَ الْحَجِّ ، وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا مُتَوَاضِعًا لِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالَّذِينَ ، مِنْصَفًا لِلضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَخَلَفَهُ وَلَدُهُ عَبْدُ عَلَوِيِّ ، وَلَهُمْ مَعَ الْمَنَاهِيلِ أَحْوَالٌ طَوِيلَةٌ مُسْتَوَفَاةٌ فِي « الْأَصْلِ » ، وَيَأْتِي بَعْضُهُ فِي الْعَرِّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَمِنْ أَخْبَارِهِمْ : أَنَّهُ حَصَلَ بَعْدَ وَفَاةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ نَزَاعٌ عَلَى الْإِمَارَةِ بَيْنَ وَلَدِهِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَبَيْنَ عَوْضِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عَوْضِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْخِ ، وَعَبْدُ الشَّيْخِ هَذَا هُوَ الْجَدُّ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ فِيهِ ، بِأَخْتِلَافِهِمْ أَفْتَرَقَ مَلَأَ آلِ تَمِيمٍ ، فَكَانَ آلُ عَبْدِ الشَّيْخِ وَآلُ مِرْسَافٍ وَآلُ سَعِيدٍ وَآلُ عُثْمَانَ فِي جَانِبِ عَوْضِ بْنِ صَالِحٍ ، وَآلُ سُلَمَةَ وَآلُ شَيْبَانَ وَآلُ شَمْلَانَ وَآلُ قَصِيرٍ وَالْقَرَامِصَةُ وَآلُ مُحَدٍّ فِي جَانِبِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ .

وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ كَانَ تَجْهِيْزُ آلِ كَثِيْرٍ عَلَى آلِ تَمِيمٍ بَعْدَ أَنْ عَقَدُوا حِلْفًا مَعَ عَوْضِ بْنِ صَالِحٍ وَلَمَّا اسْتَوْلَى السُّلْطَانُ الْكَثِيْرِيُّ عَلَى الْمُسْتَنْدَةِ وَعَلَى أَمْكِنَةِ الْفَلَاهِمَةِ وَضَرَبَ دِيَارَ آلِ شَيْبَانَ بِالْمَدَافِعِ وَتَحَمَّلَ نِسَاءَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِلَى سِنَا ، وَكَانَ عَوْضُ بْنُ صَالِحٍ قَدْ مَاتَ وَخَلَفَهُ ابْنُهُ صَالِحٌ فَأَضَارَتْهُ الرِّحْمُ ، وَسَيَّرَ قَصِيْدَةً لِأَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ مُرَابِطٌ بِالسُّوَيْرِيِّ يَقُولُ فِيهَا :

أَحْمَدُ زَمِيمَ الْجِيْشِ ثَاقِلَ حِمْلُهُ	مَعَ الْقَبِيْلَةِ قَدْ بَلَغَ مَجْهُودُهُ
ذَرِي الْأَسَدِ جَمَعَ الْمَلَا تَشْهَدُ لَهُ	بِأَرْضِ جَاوَةٍ لَا جِهَاتٍ هُنُوْدُهُ
عَصَبُ بَنِي مَالِكٍ وَرَبْعُهُ جُمْلُهُ	فِي عَارِ بْنِ فَلْهُوْمٍ لِي مَقْصُوْدُهُ
خَذُوا كُوَاتِ الْخُشْمِ هُنَّ وَالسَّهْلَةُ	مَعَ عِدَانَةٍ بِاعْلَالِ أَعْبُوْدُهُ
خَلَّوْا دِيْرَهُمْ قَايْسُوهَا سَهْلُهُ	تَرْجَعُ مَحَلَّتْهُمْ بِرُوسِ نَجُوْدُهُ
ذَا قَوْلٍ مِنْ صَالِحٍ مُرَادُهُ فَضْلُهُ	بِإِنِّ سَالِمٍ أَلَّلِي طَالِبُكَ مُرْدُوْدُهُ

فلما وصلته . . سرَّ بها ، وأمر المعلم سعيد عبد الحق أن يتولَّى الجواب ، فأنشأ قصيدة جاء فيها قوله :

قلْ له وزدْ قلْ له وعادكْ قلْ له ساعة أتنا أبيتك المرصودة
الفجر وصلت والقبائل جُملة في حضرتي أربع مئة معدودة
فرحو بحجَّة من كلامك جَزلة حتى أصبحت كل القُبل مقيودة
يا ريت لك عيناً تشوف السَّهلة أيضاً وشَرقيها ديزْ مهدودة
ونحنْ خُوة بيننا متصلة والمرء ما يتركه لحم زُودة

فلم يكن من صالح بن سالم إلا أن ردَّ حلف الكثيري وأنضمَّ إلى أحمد بن عبد الله ، فاستفحل أمرهم ثم قام الصلح بينهم وبين الكثيري ، ودفع غرامة الحرب ، وحددت الحدود كما فصل بـ «الأصل» .

ومن أخبارهم : أنَّ عوض بن صالح بن عوض كان في أيام حرب حصن العز في جانب آل تميم ، وعلي بن أحمد بن يمان في جانب آل كثير وآل تريم . وفي عواد الحجة سنة (١٣٤٣ هـ) جاء في أتباعه لمعاينة المقدَّم علي بن أحمد بن يمان ، فبينا هو يلقي الزوامل على أصحابه . . أصابته رصاصة بين عينيهِ ، قيل : إنها من حيدر بن حميد أسعيد أحد دلي آل تريم ، وكان ولي دمه - وهو الشَّهم العربي القحَّ عبد الهادي بن سالم بن صالح بن عبود بن عبد الشيخ - غائباً ، فحضر وخاطبوا المناهيل وآل مرساف أن يعطيهم بعض حصونه ليحصرُوا علي بن أحمد ، فلم يرض ؛ لأنَّه كان حليماً ، وأراد علي بن أحمد أن يبرِّء نفسه فلم يقدر ، وقال له عبد الهادي : إن سلِّمتم من القتل . . فلن تسلموا من التدبير ، ولما رأى أنَّ الزَّمان قد حرب أبناء عمِّه . . لم يرد أن يكون هو والزَّمان عليهم وبينهم رحمة ماسَّة ، وصهر أكيد ، فتوجَّه إلى السَّواحل الأفرقيَّة في سنة (١٣٤٨ هـ) ومعه ابنه أحمد ، ولا يزالان بها إلى اليوم على وجه نقي ، وسير مرضي .

ومن أخبارهم : أنَّ آل يمان ذهبوا في سنة (١٣٤٩ هـ) لجذ ما لهم من الخريف

بِالسُّوْمِ ، فَأَغْتَنِمَ الْفُرْصَةَ مَبْخُوثُ الْمَنْهَالِيِّ ، أَلْمَلَقْتُ ب : (البس) وَقَصَدَ دَارَ سَالِمِ بْنِ أَحْمَدَ بِصِفَةِ الْأَضْيَفِ ، فَلَمَّا قَابَلَهُ . . أَطْلَقَ عَلَيْهِ الرَّصَاصَ ، وَهَرَبَ ، وَلَكِنَّهُ - أَعْنَى الْبَسَ - غَزَا إِلَى الْقَبْلَةِ فِي هَذَا الْعَامِ ، فَلَاقَى حَتْفَهُ ، وَكَانَ قَتْلُهُ لِسَالِمِ بْنِ أَحْمَدَ غَدْرًا فِي أَوْفَى صَلَاحِ بَيْنِهِمْ .

وَفِي قَسَمِ جَمَاعَةٍ مِنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَافِ ، أَلْمَتَوَفَّى بِتَرِيمَ سَنَةِ (٨٥٧ هـ) ، وَهَمَّ آلُ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .

قَالَ فِي « شَمْسِ الظَّهِيرَةِ » : وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ الْفَاضِلُ الْكَرِيمُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٢) ، لَهُ أَيَادٍ عَظِيمَةٌ ، وَأَوْقَافٌ جَسَمِيَّةٌ ، وَقَفَ عَلَى مَسْجِدِ السَّقَافِ مَالًا بَنَحَوْ خَمْسَةَ آلَافٍ رِيَالٍ ، تَوَفَّى بِقَسَمِ سَنَةِ (١٢٢٧ هـ) .

وَمِنْهُمْ آلَانُ بَتْرِيمَ : حَفِيدُهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ^(٣) بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، شَرِيفٌ فَاضِلٌ مُتَوَاضِعٌ .

وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ عَلَوِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شَيْخِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَافِ ، رَجُلٌ صَالِحٌ لَهُ ثَرَوَةٌ ، تَوَفَّى سَنَةَ (١٣٥٢ هـ) عَنْ (٨١) ، وَلَهُ جَمَلَةٌ أَوْلَادٍ ؛ أَكْبَرُهُمْ مُحَمَّدٌ ، لَهُ عِدَّةُ أَوْلَادٍ ؛ أَكْبَرُهُمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ . وَمِنْهُمْ عَثْمُ عَمْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ شَيْخٍ ، تَوَفَّى بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ فِي سَنَةِ (١٣٥٨ هـ) ، وَكَانَ عَالِمًا فَاضِلًا .

وَفِي قَسَمِ نَاسٍ مِنْ آلِ فَدَعْقِ ^(٤) .

-
- (١) السادة آل بن إبراهيم سكان قسم من ذرية السيد إبراهيم بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عقيل الشُعُودِي - نسبة إلى أخواله آل بالشُعُود - أبن عبد الله بن عبد الله ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف .
- (٢) السيد أبو بكر هذا ، أمه من آل باقشير سكان العِجْز ، توفي بقسم بموضع يقال له : الغدِيرُ بالتصغير .
- (٣) هو السيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن أبي بكر - السابق الذكر - توفي بقسم عشية الإثنين (٨) جمادى الأولى (١٣١٨ هـ) ، وليس له عقب ، وورثه زوجته ، وعَصَبَتُهُ السيد علوي إبراهيم بن شيخ بن أبي بكر ، المتوفى بقسم في ذي القعدة (١٣٥٢ هـ) .
- (٤) فدق لقب لثلاث أسر من العلويين :

١- آل أحمد بن محمد بن علوي بن محمد مولى الدويلة ، ذكرناهم في الخون قريبا . =

قال في « شمس الظهيرة » [٣٦٧/١] : منهم محمد بن عمر ، سيّد جليل ، توفي سنة (١٢٧٨هـ) ^(١) .

ومن آل فدعق الفاضل النّبيّ السّيّد حسن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن حسين بن فدعق ، نزيل مكّة المشرفة الآن ، وله بها عدّة أولاد ؛ منهم أربعة على أسماء الخلفاء الراشدين ، أنجبهم عليّ .

وفي قسم أيضاً ناس من ذريّة السّيّد أَمبارك مدهر بن عبد الله وطب بن محمد المنفر ، المتوفى سنة (٨٨٤هـ) ^(٢) .

قال في « شمس الظهيرة » [٣٦٤/١] : (منهم) الشّريف النّجيب السّاعي للعلماء ، والمحبّ لهم : عبد الله بن عبد الرّحمن ^(٣) ، المتوفى بمكّة سنة « ١٢٩٥هـ » .
ومنهم : عبد الله بن محمد ^(٤) ، شريف نبيّة مكرّم للضيّفان .

٢- آل عمر فدعق بن عبد الله وطب بن محمد المنفر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله باعلوي ، توفي سنة (٩١٠هـ) بقسم ، وكان مؤذن الجامع بها ، أعقب (٦) بنين ، أعقب منهم (٣) ، وهم : علي وعلوي وإبراهيم .

٣- آل فدعق بن محمد بن عبد الله بن مبارك بن عبد الله وطب . توفي بالبيضاء من أرض اليمن . عقبه من ولديه : حسين المتوفى بقسم ، وعقيل المتوفى بالهند سنة (١٠٨٩هـ) .

(١) هو السيد محمد بن عمر بن حسين بن علوي بن حسين بن فدعق . إلخ .

(٢) لعل تداخلاً حصل هنا بين السيد أَمبارك بن عبد الله وطب بن محمد المنفر المتوفى سنة (٩١٦هـ) كما تقدم وهو جد السادة آل فدعق ، وبين السيد أَمبارك مدهر بن عبد الله بن أحمد مدهر بن محمد بن عبد الله وطب ، ويلقب ببركات ، توفي بظفار ، وتوفي والده عبد الله سنة (٩٩٦هـ) ، وهذا الأخير هو الذي ينسب إليه آل مدهر سكان قسم .

ومن نسل السيد مبارك مدهر هذا : آل مطهر مدهر ، ذرية السيد مطهر - المتوفى بقسم سنة (١١١٧هـ) - أبن عبد الله بن علوي بن مبارك .

(٣) هو السيد المتواضع عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل مطهر مدهر ، وفاته بمكة سنة (١٢٩٠هـ) كما في « الشجرة » ، أو (١٢٩٥هـ) كما في « الشمس » .

(٤) السيد الشريف الصّالح عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عقيل . إلخ ، ابن عم المتقدم قبله . مولده بقسم سنة (١٢٦٤هـ) ، وبها وفاته سنة (١٣٣٨هـ) ، أخذ عن جمع من أعيان عصره . واستجاز منه الحبيب سالم بن حفيظ ، وترجم له في « منحة الإله »

ومنهم : عُمُهُ الْمَعْمَرُ كَثِيرُ الصَّيَامِ وَالذَّكْرِ : عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (١هـ)

وعبدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا هُوَ ابْنُ عَقِيلٍ مَطْهَرٍ مَدَهْرٍ ، رَاوِيَةٌ لِأَخْبَارِ الْأَوَائِلِ ، تُوْفِي بِقِسَمِ سَنَةِ (١٣٣٨هـ) ، وَكَانَ بِهَا جَمَاعَةً مِنْ ذُرِّيَّةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَعِ ^(١) ، يُقَالُ لَهُمْ : آلُ بَرَهَانَ الدِّينِ ، أَنْقَرَضُوا ^(٢) .

وَمِنْ أَهْلِ قِسَمِ : السَّيِّدُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ سَالِمٍ الْجَفَرِيُّ ، أَحَدُ مَشَايِخِ الْحَبِيبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ بْنِ يَحْيَى .

وَفِي قِسَمِ جَمَاعَةٌ يُقَالُ : إِنَّهُمْ مِنْ بَقَايَا آلِ النَّجَّارِ أُمَرَاءِ سَيِّئُونَ فِي السَّابِقِ ؛ مِنْهُمْ الْآنَ : رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الشَّيْخِ .

العِجْزُ ^(٣)

قَالَ يَاقُوتُ [٨٧ / ٤] : (قَالَ الْكَلْبِيُّ : هِيَ قَرْيَةٌ بِحَضْرَمَوْتَ مَذْكُورَةٌ فِي قَوْلِ الْحَارِثِ بْنِ جَحْدَمٍ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

تَنَاولَهُ مِنْ آلِ قَيْسِ سَمِيدٌ وَرِيَّ الزَّنَادِ سَيْدٌ وَأَبْنُ سَيْدٍ
فَمَا غَضِبَتْ فِيهِ تَمِيمٌ وَلَا حَمَتْ وَلَا أَنْتَطَحَتْ شَاتَانِ فِي قَتْلِ مَزِيدٍ
ثَوَى زَمَنًا بِالْعُجْزِ وَهُوَ عِقَابُهُ وَقَيْنُ لَأَقْيَانٍ وَعَبْدٌ لَأَعْبُدِ)

وَكَانَ مَزِيدٌ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَا حَرْزِ بْنِ جَابِرِ الْعَنْبَرِيِّ أَدْعَايَا قَتَلَ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَشْعَثِ الْكَنْدِيُّ ، فَأَقَادَهُمَا بِهِ مُصَعَّبٌ ، فَتَوَلَّى قَتْلَهُمَا الْحَارِثُ بْنُ جَحْدَمٍ بِيَدِ الْقَاسِمِ بْنِ

(١) السادة آل الورع ، هم ذرية السيد أبي بكر الملقب بالورع لشدة خوفه وورعه ، المتوفى بتريم سنة (٧٠٦هـ) ، وفي بعض التواريخ ومنها « تاريخ شنبل » أنه توفي سنة (٧٥٠هـ) ، وهو ابن أحمد ابن الفقيه المقدم ، المتوفى شهيداً غريقاً بقسم سنة (٧٠٦هـ) كما تقدم .

وإلى أحمد ابن الفقيه تنسب أسر كثيرة ؛ منها : آل البار ، وآل المقدي ، وآل بلفقيه ، وآل خُنَيْمَان ، وجماعات أخرى .

(٢) السادة آل برهان الدين ، من نسل السيد أحمد الحوت بن عبد الله الورع .

(٣) وقد اندثرت هذه القرية في هذه الأيام ، ويسمى موضعها : العِجْزُ ينطقها العامة بكسر العين والجيم .

محمَّد بن الأشعث ، وبمناسبة ذلك أنشأ الحارث تلك الأبيات ، و (العجز) فيها مضبوط بضم العين وسكون الجيم ، وإلا . . لتغيَّر الوزن .

وفي كتاب « مفتاح السعادة والخير في مناقب السادة آل باقشير » : وبلدة العجز هي بفتح العين وضم الجيم ، مأخوذة من عجز الإنسان - وهو أسفله - كما أفصح بذلك الإمام عبد الملك بن هشام في كتابه « التيجان في ذكر ملوك اليمن في سالف الأزمان » ، وصرح بوصول ذي القرنين إليها حين جاء لزيارة نبي الله هود عليه السلام ، وهي آخر قرية معمورة يقصدها القاصد .

وبعد أن ذكر ابن الحائك قرى أخطأ في ترتيبها من حيث المواقع ، وبعضها لا أثر له ، أو تبدل اسمه . قال : (ثم العجز ، قرية عظيمة مقسومة نصفين بين حمير ، نصف للأشياء ، ونصف لبني فهد) اهـ^(١)

وقد سبق هذا مع ما يتعلّق بالأشياء في وادي ابن علي .

وفي « مفتاح السعادة والخير » [ج ٧٦] - أيضاً لمؤلف « القلائد » - (ومن أهل العجز : السادة بنو مشيرح ، وهم من الصدف من كندة ، رؤوس العرب كما ذكره الإمام أبو شكيل في « تاريخه »^(٢)) ، لهم بالعجز مسجد معروف بالبركة ، تغلّظ فيه الأيمان ، فتعجل عقوبة الكاذب .

وقد انقرضت قبيلتهم - فيما نعلم - إلا أن يكون أنقلب اسم القبيلة باسم آخر .

وقبورهم - كما يذكّر عن جدّي سهل - في جانب الثرية القبلي النجدي (اهـ

والكتاب المذكور كما يُعرف من اسمه في مناقب آل باقشير ، فعليه الإحالة في ذكر رجالهم ومناقبهم^(٣)) ، ويطربني منها قوله : إن السيّد عبد الله بن الفقيه محمّد بن حكيم

(١) صفة جزيرة العرب (ص ١٦٩) .

(٢) هو القاضي مسعود ، و « تاريخه » هذا . . قديم مفقود ، وهو الذي حفز العلامة الطيب بامخرمة بتأليف كتابه « النسبة إلى المواضع والبلدان » . وانظر : ذلك في مقدّمته .

(٣) وقد ترجم لجمهرة منهم ، وجميعهم ينسبون إلى الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأخير ابن عبد الله بن إبراهيم القديم باقشير ، كان معاصراً للفقيه المقدم ، وله أخذ عن ابن الجعد اليمني ، ومنه تناسل أفراد آل باقشير .

باقشير - جدّ صاحب « ألقلائد » - إذا قامَ إلى الصَّلَاةِ . . جَرَتْ دموعُهُ على خَدَيْهِ ، ولا تزالُ تقاطرُ على لحيَتِهِ ، حتَّى وَقَعَ لها أثرٌ ظاهرٌ ، وقد أسلفنا هذا في عيديد .

قال سيدي الأستاذ الأبرُّ : وأخذَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ حَكَمٍ عنِ الشَّيْخِ عمرَ بن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بن عبدِ اللهِ بامْهَرَةَ الحَضْرَمِيِّ ، وهو أَخَذَ عن جماعةٍ مِنَ أَلْفَهَاءِ وأجازوه ؛ منهمُ الشَّيْخُ الإمامُ مُحَمَّدُ بْنُ علويِّ بنِ أَحْمَدَ ؛ والشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بكرٍ عبادٍ ؛ وألفيهُ عمرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حِضَارُمُ ؛ والشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي بكرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بنِ حفصِ العَمْدِيِّ ، وغيرُهم .

وفي « مفتاح السَّعَادَةِ والخير » ذِكْرُ كثيرٍ لِلْعَجْزِ يخرجُ بنا أَسْتَقْصَاؤُهُ إلى الإِطَالَةِ .

وقد مرَّ في عيديد ذِكْرُ الشَّيْخِ حَكَمٍ بنِ عليِّ بنِ مُحَمَّدٍ باقشير ، ولو لم يكن لهم إلاّ مؤلَّفُ « ألقلائد » وهو الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدٍ باحكمِ باقشير^(١) . . لكفاهم فخراً وذكراً .

فَتَى كَانَ يَغْلُو مَفْرَقَ الْحَقِّ قِيلُهُ إِذَا أَلْعَمَاءُ الصَّيْدُ عَضَلَقِيلُهَا^(٢)
ومن ذلك إنكارُهُ على بدرٍ بوطويرٍ ما عملَهُ بالإفرنج بعدَ الْعَهْدِ أو شبهه حَسَبَما في « الْأَصْلِ » ، معَ أَنَّ الْمَنَافِقِينَ يُنَوِّنُونَ على مَنْ أَسْتَعَانَ بِالْكَفَّارِ على الْمُسْلِمِينَ وَسَلَّمْ لَهُمْ أَسَارَاهُمْ .

وفي ترجمة السَّيِّدِ أَحْمَدَ بنِ أَلْفِيهِ الْمُقَدَّمِ مِنْ « الْمَشْرِعِ » [١٩٠/٢] أَنَّهُ كَانَ يَتَرَدَّدُ كثيراً إلى قَرْيَةِ الْعَجْزِ الشَّهِيرَةِ وَيُقِيمُ بِهَا ؛ لكَثْرَةِ مَنْ فِيهَا مِنَ الصَّالِحِينَ ، فَاتَّفَقَ أَنْ فَاضَ

(١) الشَّيْخُ عبدُ اللهِ بنِ مُحَمَّدٍ بنِ حَكَمٍ الملقب (سهل) أبْن عبدِ اللهِ بنِ الفقيهِ مُحَمَّدِ بنِ الفقيهِ حَكَمِ بنِ الشَّيْخِ عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمِ الأخيرِ أبْن عبدِ اللهِ بنِ إبراهيمِ باقشير . مولده كما ذكر عن نفسه في « المفتاح » (سنة ٨٩٠هـ) ، ونشأ يتيماً في حجر والدته ، التي دفعت به إلى الفقيه عبد الله بلحاج والسيد الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ علي السكران ، وبهما كان تخرجه . . وطلب العلم ورحل إلى البلدان ، وأخذ بشبام عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن باصهي أحد شيوخ والده وغيرهم . ومن الآخذين عنه : الشيخ أبو بكر بن سالم ، والسيد شيخ بن عبد الله العيدروس صاحب « العقد » والد مؤلف « النور السافر » وغيرهما .

(٢) البيت من الطويل .

بها سيلٌ عظيمٌ ، فغرقَ صاحبُ التَّرجمة ، وحصلت له الشَّهادةُ وذلك سنة (٧٠٦ هـ) ،
ودُفِنَ بِالْقَرَبِ مِنْ مَسْجِدِ الْعَارِفِ بِاللَّهِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَاقْشِير^(١) .

الواسطة^(٢)

هي قاعدةُ مُلْكِ الصَّبرِ ، بشهادةِ ما في « الْأَصْلِ » عن « مفتاح السَّعادة والخير »
[خ٦٣] : (أَنَّ عِيسَى بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّبْرِيُّ وَالْيَ الْوَاسِطَةُ تَعَمَّرَ كَثِيرًا ، وَمَاتَ وَلَا وَلَدَ
له^(٣) ، فَوَلِيَ بَعْدَهُ عَقِيلُ بْنُ عِيسَى بْنِ مَجْلِبِ الصَّبْرِيِّ^(٤) ، وَهُوَ ابْنُ أُخْتِهِ ، وَلَيْسَ مِنْ
فَخِذِهِ ، وَكَانَ لِهَذَا تَعَلُّقٌ بِالصَّالِحِينَ مِثْلُ خَالِهِ ، فَصَالَ آلُ أَحْمَدَ عَلَى الْوَاسِطَةِ فَأَرَادَ
الْخُرُوجَ لِقَاتِلِهِمْ - وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ سِوَى سَبْعَةِ فِرْسَانٍ مَعَ عَسْكَرٍ قَلِيلٍ لَا يُكَافِئُ آلَ أَحْمَدَ
- فَمَنَعَهُ أَصْحَابُهُ مِنَ الْخُرُوجِ ، فَلَمْ يَمْتَنِعْ ، وَهَجَمَ عَلَى آلِ أَحْمَدَ ، وَتَبَعَهُ أَصْحَابُهُ
فَقَتَلُوا كَثِيرًا مِنْ آلِ أَحْمَدَ ، وَمَا زَالُوا يَقْتُلُونَهُمْ وَيَطْرُدُونَهُمْ إِلَى فُرْطِ بِاشْحَارِهِ) اهـ

وللِوَاسِطَةِ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي حَوَادِثِ آلِ يَمَانِيٍّ وَالصَّبرِ وَغَيْرِهِمْ بِـ « الْأَصْلِ » .

وفي الْوَاسِطَةِ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ آلِ بَاشْعِبٍ وَفَضْلَانِهِمْ ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
بَاشْعِبٍ ؛ أَحَدُ تَلَامِيذِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ^(٥) .

(١) وقد كان السادة بني علوي كثيرون التردد على العجز ، وكثير منهم تزوجوا عند آل باقشير ، كالسيد محمد بن حسن المعلم جمل الليل ، والشيخ عمر المحضار الكبير ، وغيرهما .

(٢) والنسبة إليها : الواسطي ، وهي تدخل في مشتبه النسبة ؛ لوجود جمهرة من أعلام المسلمين يعرفون بهذه النسبة ، إلا أنهم ينسبون إلى واسط في العراق التي اختطها الحجاج ، أما هذه الواسطة . فأعلامها معروفون ومحضورون .

(٣) مات عيسى الصبري في آخر يوم من صفر سنة (٩١٥ هـ) .

(٤) عقييل بن عيسى هذا هو الثاني ؛ إذ هناك رجل آخر بنفس الاسم ، توفي سنة (٨٥٢ هـ) ، كما في « شنبيل » (١٨١) .

(٥) لعل هنا سبق قلم ، فتلميذ الشيخ أبي بكر بن سالم إنما هو حسن بن أحمد بن إبراهيم ، وليس حسن بن إبراهيم ، وإنما وقع في ترجمة السيد عبد الرحمن المعلم المنفر في « المشرح » (٢٨٦/٢) أنه أخذ عن حسن بن إبراهيم ، وهو خطأ مطبعي ، والصواب ما ذكر ، وقد ترجم له الشلي في « الجواهر والدرر » .

وفي ترجمة السيّد عقيل بن عمران من «المشعر» [٤٤٢/٢] : أَنَّهُ أَخَذَ عَنِ الشَّيْخِ
حَسَنِ بَاشَعِيبٍ بِالْوَاسِطَةِ .

وفي ترجمة السيّد أبي بكر بن سعيد الجفري المتوفى سنة (٨٨٠ هـ) أَنَّهُ أَخَذَ عَنِ
الْعَارِفِ بِاللَّهِ حَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ بَاشَعِيبٍ ، وَفِي مَقْدَمَةِ « دِيَوَانِ الْحَدَّادِ » عَنِ الْحَبِيبِ
أَحْمَدَ بْنِ زَيْنِ الْحَبْشِيِّ : أَنَّ سَبَبَ إِنْشَاءِ الْقَصِيدَةِ الْمُسْتَهْلَةِ بِقَوْلِهِ [من المنسرح] :

إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي أَكْبَدُهُ يَنْقَى عَلَيَّ فَلَسْتُ أَصْطَبِرُ
مَا أَخْبَرَنِي سَيِّدِي عَبْدُ اللَّهِ الْحَدَّادُ قَالَ : وَقَعْتُ لِي مَسَائِلُ أَظْنُهَا ثَلَاثًا ؛ فَلَمْ يُجِبْنِي
عنها أَحَدٌ بَتْرِيمَ ، فَرَأَيْتُ الشَّيْخَ حَسَنَ بَاشَعِيبٍ تَلْمِيزَ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ فِي مَسْجِدِ
أَلِ أَبِي عَلَوِيٍّ فَأَجَابَنِي عَنْ اثْنَتَيْنِ ، وَقَالَ لِي فِي الثَّلَاثَةِ : إِنَّمَا يَجِيبُكَ عَنْهَا السَّقَّافُ ،
فَوَقَعَ فِي خَاطِرِي : أَنَّهُ السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ صَاحِبُ مَكَّةَ ، فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ ، فَأَجَابَنِي .

وفي ترجمة السيّد عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن المعلم بن إبراهيم بن
عمر بن عبد الله وطب المتوفى بقسم في سنة (١٠٥٧ هـ) : أَنَّهُ أَخَذَ عَنِ الْإِمَامِ الْعَارِفِ
الْأَدِيبِ حَسَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بَاشَعِيبٍ .

ومنهم : الْعَلَامَةُ الْفَقِيهُ الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ قَدْرِيٌّ بَاشَعِيبٍ ، لَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي « مَجْمُوعِ
الْأَجْدَادِ » . وَمِنْ فَوَائِدِهِ : أَنَّهُ نَقَلَ فِي رِسَالَةٍ لَهُ عَنِ التَّاجِ السُّبْكِيِّ أَنَّهَا تَسْمَعُ دَعْوَى مَنْ
يَدَّعِي عَلَى تَارِكِ الصَّلَاةِ وَلَوْ لَغَيْرِ الْحَسْبَةِ ، فَيَقُولُ : أَدَّعَى عَلَى هَذَا أَنَّهُ تَرَكَ صَلَاةَ
كَذَا ، وَقَدْ أَضْرَرَنِي ، فَأَنَا مُطَالِبٌ بِحَقِّي . اهـ

وفي ترجمة الشَّيْخِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الرَّحِيمِ بْنِ قَاضِي : أَنَّهُ مِنْ أَقْرَانِ الْقُطُبِ الْحَدَّادِ .
ومنهم : الشَّيْخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَدْرِيٍّ^(١) صَاحِبُ « أَلْبَاكُورَةِ » ، أَحَدُ مَشَايِخِ
السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ الْجَنِيدِ^(٢) .

(١) الشيخ عبد الله بن أبي بكر القدري باشعيب ، مولده بالواسطة ، ووفاته بها سنة (١١١٨ هـ) كما في « تاريخ
الشعراء » ، وقد طلب العلم بمكة ، وأخذ بها عن جماعة ، واشتهر باعتناؤه بعلم التجويد والقراءات ، وله
مصنفات ؛ منها : « باكورة الوليد في علم التجويد » ، وهي منظومة شرحها السيد أحمد الجنيد .

(٢) لعل المؤلف رحمه الله اشبه عليه الأمر ؛ فوفاة باشعيب سنة (١١١٨ هـ) ، ومولد السيد الجنيد سنة =

ومنهم : الشَّيْخُ حَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بِاشْعِيبٍ صَاحِبُ كِتَابِ « عَافِيَةِ الْبَاطِنِ » .

وعلى الإجمال : فَإِنَّهُمْ بَيْتُ عِلْمٍ وَصَلَحٍ ، وَلَهُمْ مَوْلاَفَاتٌ ، وَلِبَعْضِهِمْ تَرَاجُمٌ فِي « خِلَاصَةِ الْأَثَرِ » لِلْمَحَبِّي .

وعَنِ الشَّيْخِ رِضْوَانَ بْنِ أَحْمَدَ بَارِضَوَانَ بِافْضَلٍ قَالَ : (رَأَيْتُ عَلَى هَامِشٍ تَصْنِيفَ - فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ لِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بِاشْعِيبٍ ^(١) ، أَظَنَّهُ بِخَطِّ الْمُؤَلِّفِ - خَبْرًا عَنِ الْفَقِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِاشْعِيبٍ ، وَهُوَ مِنْ آلِ شُعَيْبٍ أَهْلِ شِبَامٍ ؛ مِنْهُمْ الشَّيْخُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ شُعَيْبٍ صَاحِبُ التَّصْنِيفِ الْمَشْهُورِ فِي الْفِقْهِ ، وَلَهُ شَرْحٌ عَلَى « الْمَنَهَاجِ » ، لَهُ إِقَامَةٌ بِمَكَّةَ وَلَعَلَّهُ تَوَفَّى بِالْحَرَمَيْنِ .

وَلَيْسَ لَهُمْ اتِّصَالٌ بِآلِ شُعَيْبٍ الْمَسْفَلَةِ ^(٢) ؛ فَجَدُّ أَهْلِ الْمَسْفَلَةِ : الشَّيْخُ الْعَارِفُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَعِيدٍ شُعَيْبٍ الْخَطِيبُ ، أُنْتَقَلَ مِنْ تَرِيمٍ ، وَهُمْ مَشْهُورُونَ بِ« آلِ شُعَيْبٍ الْخَطِيبِ » ، وَمِنْهُمْ بَنُو عَقِيلٍ بِالرَّيْدَةِ ، كَانَ مِنْهُمْ نَاسٌ أَهْلُ حَالٍ مُنْتَظِمٍ ، وَمِنْهُمْ الْآنَ نَاسٌ بَزِيٍّ الْبَادِيَةِ .

وَمِنْ آلِ شُعَيْبٍ الْمَسْفَلَةِ : بَنُو عَيْسَى أَوْ بَنُو عَلِيٍّ بِظَفَارٍ ، كَانُوا بَيْتَ عِلْمٍ وَصَلَحٍ ، وَمِنْهُمْ قُضَاةُ الشَّرِيعَةِ ، لَهُمْ ذِكْرٌ فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْعِيدَرُوسِ ، وَلَأَحَدِهِمْ مَدَائِحُ فِي الشَّيْخِ ، وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ بَقِيَ مِنْهُمْ قَلِيلٌ ، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ بِعُمَانَ يَحْمِلُونَ السَّلَاحَ مَعَ السُّلْطَانِ ابْنِ سَيْفٍ عَالِمِينَ بِالنِّسْبَةِ لِآلِ أَبِي شُعَيْبٍ .

وَسَمِعْتُ بَعْضَ شَيْوَخِ آلِ شُعَيْبٍ بِشِبَامٍ يَذْكُرُ أَنَّ أَصْلَ آلِ شُعَيْبٍ بِشِبَامٍ مِنْ أَرْضِ الْجَوْفِ ، وَأَلَّهُهُ أَعْلَمُ) اهـ
وَقَدْ مَرَّ بَعْضُهُ فِي شِبَامٍ .

= (١١٩٥ هـ) ، فَمِنْ الْمَحَالِ قَطْعًا إِدْرَاكُهُ لَهُ ، وَإِنَّمَا قَامَ بِشَرْحِ « الْبَاكُورَةِ » وَسَمَّى شَرْحَهُ : « سَلَمُ الْمَرِيدِ » .

(١) هُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَدْرِي السَّابِقُ ذَكَرَهُ ، وَاسْمُ كِتَابِهِ هَذَا : « الزَّهْرُ الْبَاسِمُ فِي رَبِيِّ الْجَنَاتِ فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ صَاحِبِ عَيْنَاتِ » .

(٢) الْمَسْفَلَةُ : مِنْ قَرَى رِيْدَةِ الصَّيْعَرِ .

وفي ترجمة السيّد عبد الله باعلويّ من «المشعر» [٤٠٦-٤٠٧هـ] : (أَنَّهُ أُعْطِيَ تَلْمِيزُهُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بِاشْعِيبِ الْأَنْصَارِيِّ أَرْضاً وَاسِعَةً ، فغَرَسَهَا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ نَخْلاً ، وَتُسَمَّى بِبِاشْعِيبِ . وَوَقَفَ عَلَى ضَيْفِ بَلَدِهِ الْمُسَمَّاةِ بِالْوَاسِطَةِ نَخْلاً وَأَرْضاً) اهـ .
وهو أَوَّلُ مَنْ أُنْتَقَلَ مِنْ تَرْيَمَ إِلَى الْوَاسِطَةِ .

وَمِنْ آلِ بِاشْعِيبِ الشَّيْخُ عُيَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَادِي بْنِ صَالِحِ بِاشْعِيبِ ، طَلَبَ الْعِلْمَ بِتَرْيَمَ عَلَى أَخِيْنَا الْعَلَامَةِ السَّيِّدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو الشَّاطِرِيِّ ، وَهُوَ الْآنَ بِمَكَّةَ . وَلَهُ تَعَلَّقَ بِرَجُلِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ : الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَوْضِ بْنِ بِلَازَنْ السَّابِقِ ذَكَرَهُ فِي رِبَاطِ بَاعِشَن .

وَمِنْ أَهْلِ الْوَاسِطَةِ : الشَّيْخُ مَهْنًا بْنُ عَوْضِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَحْمَدَ بَامَزْرُوعٍ بِامْطَرَفِ الْقَزْلِيِّ^(١) ، كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ تَعَلَّقَ بِكُتُبِ الصُّوفِيَّةِ ، فَأَخَذَهُ الْجَذْبُ ، تَرَجَّمَ لَهُ فِي « خِلَاصَةِ الْأَثَرِ » [٤٤٢/٤] ، وَأُورِدَ لَهُ أَشْعَارٌ ؛ مِنْهَا قَوْلُهُ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

لِلْقَادِسِيَّةِ فِتْنَةٌ لَا يَشْهَدُونَ الْعَارَ عَارَا
لَا مُسْلِمِينَ وَلَا يَهُودَ وَلَا مَجُوسَ وَلَا نَصَارَى

كَذَا رُوِيَ ، وَقَدْ رَأَيْتُ الْبَيْتَيْنِ^(٢) فِي مَادَّةِ (بَغْدَاد) مِنْ «مَعْجَمِ يَاقُوتَ» مَعْرُوفِينَ لغيرِهِ ، وَالْأَوَّلُ شَبِيهُ بِمَا أُنْشَدَهُ الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِي عَمْرِو لِبَعْضِ بَنِي أَسَدٍ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

إِنْ يَنْخَلُوا أَوْ يَجْبُؤُوا أَوْ يَغْدُرُوا لَا يَخْفَلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِينَ نَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

قال المحبّي : (وكانت ولادة مهناً - كما أخبرني بعض تلاميذه - في شوال سنة ١٠٠٤هـ) ،

(١) مهنا بن عوض بامزروع ، من المزاريع المتفرعين من قبيلة القنازلة الكندية ، وإلى القنازلة ينسب آل بامطرف وآل بامزروع ، لكن خف استعمال الناس لهذا الاسم منذ زمن بعيد . ولد بالواسطة بحضرموت سنة (١٠٠٤هـ) ، وكانت وفاته بالمدينة المنورة سنة (١٠٦٩هـ) ، ودفن قريباً من قبة سيدنا إبراهيم ابن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ترجم له في «خبايا الزوايا» ، وعاصره الشلّي وترجم له في «الجواهر والدرر» .

(٢) ولكن بتغيير بسيط .

وتوفيَّ بـ (المدينة) سنة (١٠٦٩هـ) ، وأبوه عوضٌ من تلاميذ الشيخ أبي بكر بن سالم) .

وفي (ص ٩٤ ج ٢) من «عقد شيخنا» : نروي حزب الشيخ أبي بكر بأسانيد إلى الشيخ المُحدِّث حسن بن عليّ العُجيميّ المكيّ بروايته له عن الشيخ الصُّوفيِّ مهنا بن عوضٍ بامزروع عن والده عن الشيخ أبي بكر بن سالم .

وفي «مجموع الجَدِّ طه بن عمر» عن أحمد مؤدِّن : (أَنَّ عليَّ باشعيبَ نائبَ الواسطة أثبتَ هلالَ شعبانَ سنة ١٠٧١هـ) ، وهو رجلٌ عاميٌّ محضٌ لا يعرفُ شيئاً من الفقه ، وصادقه الحبيبُ عليُّ بنُ الحسينِ ابنِ الشيخ أبي بكر بن سالم ، ثمَّ أنخسفَ القمُرُ ليلةَ (١٦) على حسابِهِ ، فتحقَّقَ تهوُّرُهُ في الإثباتِ . ثمَّ ثبتَ رمضانٌ عندَ ولدِ بامطَرفٍ في الغيلِ بغوغاءَ ، وأنفذَ الثُّبوتَ إلى الشَّحرِ ليلةَ الجمعةِ ، فلم يَرَهُ ليلةَ السَّبْتِ إلَّا الآحادُ ، فتبيَّنَ أَنَّ إثباتَ بامطَرفٍ والكتابةَ بِهِ تلاعبٌ بالدينِ) اهـ .
وقد مرَّت الإشارةُ إلى بعضِهِ في الغيلِ .

وفي الواسطة ناسٌ من آلِ دخنانَ التَّميميِّينَ ، وناسٌ من آلِ عثمان التَّميميِّينَ .
وفي شمالِ الواسطة قريةٌ يُقالُ لها : سويدف ، فيها مشايخٌ من آلِ بني صالحٍ باجابر ، وناسٌ من آلِ عثمان وآلِ سعيد التَّميميِّينَ ، وناسٌ من آلِ عبد الباقي العَوامِرِ .
ثم : وادي الواسطة .

وهناكَ أوديةٌ كثيرةٌ ؛ كوادي حسين ، ووادي هجره ، ووادي عولك .
ومن قَسَمَ إلى جهةِ الشَّرْقِ : وادي الخُون^(١) ، فيه نخلٌ جميلٌ .
ولهُ وادٍ يُسمَّى : وادي ضرغون ، يذهب غرباً في الجبلِ الَّذي عن شمالِهِ ، وفيهِ ثلاثةُ مَعَايِنَ ، يُقالُ لأحدها : معيانُ العليا ، وللثَّاني : مِعيانُ العينِ ، وللثَّالثِ : مِعيانُ سُويدف .

(١) وادي الخون : يقع إلى الجنوب من نجد العوامر ، وهذا الوادي به تربة طيبة صالحة للزراعة ، ولكنه متروك غير معمور .

وفي شمالِ هذا : وادي الشُّكِل . وفي غربيهِ : وادي سويدف .

وهذه المعايينُ تَسْقِي نخيلَ الخونِ الَّتِي يُضْرَبُ المَثَلُ بها في النَّفَاسَةِ ، ويفيضُ
الزَّائِدُ مِنْ مائها إلى المَخاضَةِ الَّتِي في شرقيِّ قَسَمٍ على طريقِ الذاهبينِ إلى شِغْبِ هُودٍ
عليه السلام .

وفي الخونِ قريةٌ يُنسَبُ إليها السَّيِّدُ علويُّ الخونِ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ عبدِ اللَّهِ
باعلويٍّ ، أنقرضَ عَقْبُهُ سنةَ (١٠٣٩ هـ) (١) ، والسَّيِّدُ عبدُ الرَّحْمَنِ بنُ أحمدَ الخونِ .

ومن وراءِ الخونِ : ألفرطُ ، والكُودِ ، وباحفاره ، ووادي سبيه ، ووادي جب .

ثم : حصنُ العر ، وهو حصنٌ بأعلى قارةٍ فاردةٍ ، باقيةٌ آثارُهُ الشَّاهدةُ بحكمةٍ وقوَّةٍ
بانيهِ مِنَ الحجارةِ المنحوتَةِ ، حتى لقد أنكَرَ بعضُ السُّواحِ الأُجانبِ أن يكونَ مِنْ بناءِ
الحضارمِ ، وتوهَّم أنَّه مِنْ بناءِ حكماءِ اليونانِ ومُهندسيهِمْ ؛ لأنَّهُ بصنيعِهِمْ أَشْبَهُ ،
وما دَرَى أنَّ عَاداً هُمُ الَّذِينَ يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً يَعْبَثُونَ ، وَيَتَّخِذُونَ مَصانِعَ لَعَلَّهُمْ
يَخْلُدُونَ ، وأنَّ ثُموداً نَعَمُ الَّذِينَ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بيوتاً فَرِهينَ ، واللهُ يَقُولُ : ﴿ وَقَدْ
تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ ﴾ (٢) .

وتعدُّ منازلُهُم وحضارتُهُم أقدمَ مِنْ حضارةِ اليونانيِّينَ بألوفِ السَّنِينَ .

وقد مرَّ في حصنِ الغُرابِ ما ينبغي النَّظَرُ إليه عندَ هذا ، ولا يبعدُ أن يكونَ هذا

(١) في المطبوع من « شمس الظهيرة » (٣٥١ / ١) : أنها سنة (١١٣٩ هـ) .

(٢) قال صلاح البكري في « تاريخه » (٤٩٤٨ / ١) : (. . أطلال حصن العر ، وهي عبارة عن بقايا من
الحيطان الضخمة ، يرجع عهدُها إلى ما قبل الإسلام ، قائمة على تل منعزل ، ممتدة إلى مسافات
بعيدة ، شديد الانحدار ، وهذا الحصن المتهدم كان فيما مضى قلعة تشرف على ذلك الإقليم .
وفي سفح التل توجد بئر مطمورة . ولا تزال آثار الطريق الذي يؤدي إلى القمة متميزة ، وما زالت
بقايا الأبنية مبشرة حول قمة التل على ارتفاع (٥٠) قدماً .

وهناك ممرٌ صغير في الصخر ، منحدر من الجهة الجنوبية الشرقية ، حيث توجد بضع درجات
كانت المدخل الرئيسي للقلعة ، وعلى الأعمدة المتهدمة نقوش دقيقة تدل على مهارة صانعها ؛ فقد
رسم صوراً للصيد ، بها فرسان يحاربون الأسود وجهاً لوجه ، وصوراً أخرى جميلة للوعل الذي يلعب
دوراً مهماً في خرافات حضرموت ، ورسم أيضاً عناقيد العنب كزخارف جميلة للأعمدة (اهـ

الْحَصْنُ هُوَ حَصْنُ جَعْفَرِ بْنِ قُرْطِ بْنِ الْهَمَيْسِعِ - الْمَسْمُوعِ : عَلْعَال - الَّذِي لَجَأَتْ إِلَيْهِ بَلْقَيْسُ فِي خَبَرِهَا الْمَشْرُوحِ بِـ « الْأَصْلِ » .

وفي « صفة جزيرة العرب » [١٧٣-١٧٤] لابن الحائك ذكرُ العرِّ وثوبه في عِدَادِ سَرُورِ حَمِيرَ وَأَوْدِيَّتِهِ بِتَرْتِيبِ مَشَوَّشٍ .

وفي « القاموس » : أَنَّ الْعَرَّ أَسْمٌ لَجَبَلٍ عَدَن .

ولعلَّ الْعَرَّ وثوبه المذكورين عندَ أَبْنِ الْحَائِكِ على أَسْمِ الْعَرِّ هَذَا وثوبه الَّتِي تَلِيهِ ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ إِذَا كَانَا عَادِيَيْنِ . . فهما أَقْدَمُ مِنْ ذَيْنِكَ بِكَثِيرٍ .

وحوالي هذا الْحَصْنِ كَانَتِ الْوَاقِعَةُ الْهَائِلَةُ لِلْمَنَاهِيلِ عَلَى آلِ تَمِيمٍ ، حَسَبَمَا فَضَّلْتُ بِـ « الْأَصْلِ » .

ومن قَتَلَى آلِ تَمِيمٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ : مَنْصُورٌ وَهَادِي وَعَلِيٌّ آلُ قَحْطَانَ .

أَبَوْا أَنْ يَفِرُّوا وَأَلْفَنَّا فِي نُحُورِهِمْ وَلَمْ يَزْتَقُوا مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سُلْمًا وَلَوْ أَنَّهُمْ فَرُّوا . . لَكَانُوا أَعَزَّةً وَلَكِنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ أَكْرَمًا

وقديماً كَانَ يُقَالُ : ضَحَّى بَنُو أُمَيَّةَ بِالَّذِينَ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ ، وبِالشَّجَاعَةِ يَوْمَ الْعَقْرِ . . وكذلك ضَحَّتِ الْمَنَاهِيلُ بِنَاسِ بَنِي تَمِيمٍ يَوْمَ الْعُرِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ مِنْهُمْ لِيوْثٌ غَرِيفٌ ، وَغِيوْثٌ خَرِيفٌ .

لَعَنَرُكَ مَا تَذَرِي الْقَوَائِلُ مِنْهُمْ أَسَلْتُ رِجَالًا أَمْ طُبَى قُضِبَ بِئْرٌ^(١) هُمْ اسْتَفْرَغُوا مَا كَانَ فِي الْبَيْضِ وَأَلْفَنَّا فَلَمْ يَنْقُ إِلَّا ذُو أَغْوِجَاجٍ وَذُو كَسْرِ

وفي الْأَخِيرِ ضَبَطَتِ الْحُكُومَةُ الْقَعِيطِيَّةُ هَذَا الْحَصْنَ ، وَجَعَلَتْ فِيهِ عَسْكَرًا أَوْ شَابًا لِيَسُوا مِنْ صَمِيمٍ يَافِعٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَقَرَّتْهُمْ الْمَنَاهِيلُ وَلَمْ تَسْتَكِفْ ، حَتَّى سَمِعُوا مَا يُولُمُهُمْ مِنْ بَعْضِ نَوَابِ الْقَعِيطِيِّ الَّذِينَ طَالَمَا تَأَلَّمْنَا مِنْ سِيَاسَتِهِمْ الْعَوْجَاءِ - كَمَا سَبَقَ - فِي الشُّحْرِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَقَادِيرَ الرِّجَالِ ، وَلَا يُنْزِلُونَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ، فَلَمْ

(١) البيتان من الطويل ، وهما للشريف الرضي في « ديوانه » (١ / ٥٠٤) .

يَكُنْ مِنَ الْمَنَاهِيلِ إِلَّا أَنْ هَجَمُوا عَلَى الْحَصَنِ وَجَرَّدُوا الْعَسْكَرَ مِنَ السِّلَاحِ ،
وطردوهم ، وكسروا ناموسهم .

ولم يبالِ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالْعَارِ سِوَى يَافَعِيِّ وَاحِدٍ كَانَ بَيْنَهُمْ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَرْضَ إِلَّا بِالْقَتْلِ ،
وكان ذلكَ في سنة (١٣٦٦هـ) ، وَأَشَاعَ بِإِثْرِهَا مَنْ فِي صَدْرِهِ ضَبٌّ ضَغْنٍ عَلَى
الْحُكُومَةِ الْقَيْعِطِيَّةِ : أَنَّ الدَّوْلَةَ الْبَرِيطَانِيَّةَ فَصَلَّتِ الْعُرْزَ وَمَا نَزَلَ عَنْهَا شَرْقاً عَنِ الْمَمْلَكَةِ
الْقَيْعِطِيَّةِ ، وَعَقَدَتْ مَعَ الْمَنَاهِيلِ مَعَاهِدَةً مُسْتَقَلَّةً طَمَعاً فِيمَا ظَهَرَ بِتِلْكَ الْبَقَاعِ مِنْ آثَارِ
الْبَتْرُولِ . وما أَظُنُّ هَذَا يَصِحُّ بِحَالٍ ، وَإِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّثُ سَفِيهاً . . يَكُونُ الْمُسْتَمْعُ
عَاقِلاً ؛ لِأَنَّ الْحُكُومَةَ الْإِنْكِلِيزِيَّةَ أَعْقَلُ مِنْ أَنْ تَكُونَ كَالصَّائِمِ الَّذِي وَقَعَ عَلَى حَشْفَةٍ
فَأَفْسَدَ بِهَا صَوْمَهُ ، مَعَ أَنَّهُ لَا يَتَعَذَّرُ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْبَتْرُولِ مَعَ بَقَاءِ الْأَرْضِ فِي حِوْزَةِ
الْقَيْعِطِيِّ ؛ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ .

ثُوبُهُ

هِيَ مِنَ الدِّيَارِ الْقَدِيمَةِ . لَهَا ذِكْرٌ عِنْدَ ابْنِ الْحَائِكِ كَمَا سَبَقَ فِي الْخُونِ ، وَقَالَ فِي
مَوْضِعٍ آخَرَ بَعْدَ الْعِجْزِ : (ثُمَّ يَنْحَدِرُ الْمُنْحَدِرُ مِنْهَا إِلَى ثُوبِهِ ، قَرْيَةٌ بِسَفْلَى حَضْرَمَوْتَ
بَوَادِي ذِي نَخْلٍ ، وَيَفِيضُ وَادِي ثُوبِهِ إِلَى بَلَدٍ مَهْرَةٍ ، وَحَيْثُ قَبْرُ النَّبِيِّ هُوْدٍ عَلَيْهِ
السَّلَامُ) اهـ^(١)

وَأَطْلَالُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ظَاهِرَةٌ إِلَى الْيَوْمِ ، وَهِيَ فِي شِمَالِ السَّوْمِ إِلَى الْغَرْبِ ، بَيْنَهَا
وَبَيْنَهُ نَحْوُ نَصْفِ سَاعَةٍ ، يَنْزِلُهَا الْمَنَاهِيلُ ، وَيَضْرِبُونَ بِهَا الْخِيَامَ ، وَبِهَا آثَارٌ كَثِيرَةٌ
مَطْمُورَةٌ بِالْثَّرَابِ .

وَأَخْبَرَنِي الْوَلَدُ الْفَاضِلُ الْأَدِيبُ عَبْدُ الْقَادِرِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ^(٢) :

(١) الصفة (١٦٩-١٧٠) .

(٢) وتعود معرفة الحبيب عبد القادر بهذه الأماكن لسكنائه بها مدة ؛ إذ كان مدرّساً في قسم في الفترة ما قبل
سنة (١٣٩٠هـ) ، وكان معه فيها الأستاذ النحوي الأديب السيد حسين بن عيّدروس عيديد وتصاحباً
مدة ، قرأ فيها الأستاذ حسين شيئاً من كتب النحو على الحبيب عبد القادر كـ « شرح القطر » لابن
هشام .

أَنَّ بَعْضَهُمْ خَرَجَ إِلَيْهَا فِي السَّنِينَ الْأَخِيرَةِ ، فَوَقَعَ عَلَى ضَرْبِيَّةٍ ^(١) مِنْ الْأَذْهَبِ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِثَالٌ . وَفِي هَذَا الْمَكَانِ غَيْرَانُ وَكُتَابَاتُ حِمِيرِيَّةٌ ، وَهَذِهِ الْأَضْرِيَّةُ نَمُودَجٌ مِمَّا وَرَاءَهَا مِنْ الْكَنْوَزِ الْمَدْفُونَةِ .

وَمِنْ وَرَاءِ ثَوْبِهِ إِلَى الشَّرْقِ : وَادِي سَخُورَةِ .

السَّوْم

لَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِ ابْنِ الْحَاثِكِ السَّابِقِ عَنْ ثَوْبَةٍ : (بَوَادٍ ذِي نَخْلٍ) اهـ .
إِلَّا أَنَّ وَادِي ثَوْبِهِ غَيْرُ أَوْدِيَةِ السَّوْمِ ، يَسْكُنُ فِيهَا جَمَاعَةٌ مِنْ آلِ بَاحُمِيدٍ ، وَآلِ الْبُسْرِيِّ ، وَآلِ سَعِيدَانَ ، وَآلِ بَرْكَنْزٍ ، آلِ قَفْلَةٍ مِنْ آلِ نَهْيِدٍ مِنْ آلِ تَمِيمٍ .

وَفِيهَا مَسْجِدٌ لِلْإِمَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، وَفِي « شَمْسِ الظَّهْرِ » [٢٢٨/١] :
(أَنَّ فِي السَّوْمِ جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ، يُقَالُ لَهُمْ : آلُ بَنِي بَرَاهِيمَ) ^(٢) .

وَفِيهَا أَيْضاً : (سَهْلُ بْنُ أَحْمَدَ ^(٣)) بْنِ مُحَمَّدٍ حَدَلَقَاتٍ ^(٤) - الْمَتَوَفَّى بِتَرْيَمَ سَنَةِ ٨٢٧ هـ - « ابْنِ عَلَوِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ مَوْلَى الدَّوِيلَةِ ، عَقْبُهُ : آلُ زُحُومٍ بِشْتِيرٍ ^(٥) قَرَبَ النَّبِيِّ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَآلُ صَالِحٍ ، وَآلُ فَدَعْقٍ ^(٦) ؛ وَمِنْهُمْ : آلُ بِالْبَطْقِ بِالسَّوْمِ ،

(١) أَي : نَقُودٌ مَضْرُوبَةٌ .

(٢) وَآلُ بَنِي بَرَاهِيمَ هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَارِيءِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ . . بَنُو عُمُومَةِ سُكَّانِ قَسَمِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ أَخِيهِ عَقِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا سَبَقَ فِيهَا .

(٣) يَلْقَبُ السَّيِّدَ أَحْمَدَ هَذَا بِصَاحِبِ يَبْحَرٍ ، تَوَفَّى سَنَةَ (٨٧٣ هـ) .

(٤) السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ حَدَلَقَاتٌ هَذَا مُتَرَجِّمٌ فِي « الْمَشْرِعِ » (١/٣٨١-٣٨٢) .

(٥) شَتِيرٌ : وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْحُمُومِ ، يَصُبُّ قَرِيباً مِنْ قَبْرِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَسْفَلِ حَضْرَمَوْتِ .

(٦) آلُ فَدَعْقٍ هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّةُ السَّيِّدِ فَدَعْقِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَهْلٍ ، وَهُمْ مِنْ بَادِيَةِ السَّادَةِ ، غَيْرِ آلِ فَدَعْقِ

سُكَّانِ قَسَمِ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بِأَعْلُوِيٍّ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ سَكَنَ قَسَمَ ؛ وَمِنْهُمْ : السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ زَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَدَعْقٍ ، الْمَتَوَفَّى بِقَسَمِ سَنَةِ (١٢٩٠ هـ) .

وَأَلَّ ابْنُ سَالِمِينَ بَغْضَهُ ، وَأَلَّ ابْنُ زَيْنٍ بِالسَّوْمِ ، وَأَلَّ بَيْتُ مُحَمَّدٍ بِالسَّوْمِ وَفَغْضَهُ (١)
وفي الحكاية (٤٠٥) مِنْ « الْجَوْهَرِ » : (رَوَى أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ
عَلِيٍّ بْنِ عَلَوِيِّ ابْنِ الْفَقِيهِ كَانَ مَقِيمًا بِالسَّوْمِ الْأَخْرَمِ ، وَأَبْنُهُ مُحَمَّدٌ ^(٢) إِذْ ذَاكَ بِظَفَارٍ ،
فَارْجَفُوا بِمَوْتِ وَلَدِهِ ، فَكَذَّبَهُمْ) . تَوَفَّى عَبْدُ اللَّهِ سَنَةَ (٨١٨ هـ) .

وفي الحكاية (٤٣٧) : (عَنْ الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بِاعْلَوِيِّ : أَنَّ وَالِدَهُ كَانَ سَاكِنًا بِأَمَةٍ ^(٣)
فِي عَرِيشِ السَّوْمِ ، فَفَاضَ وَادِي عِرْزِهِ بِسَيْلٍ عَظِيمٍ ، وَهُوَ السَّيْلُ الْمَشْهُورُ الَّذِي أَهْلَكَ
كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ ، فَلَمْ يَضُرَّهُمْ إِلَّا قَلِيلًا بَدَفْنِ أَثَانِهِمْ ، ثُمَّ أَدْرَكُوهُ) .
وكَانَ بِالسَّوْمِ نَخْلٌ كَثِيرٌ مَثْمَرٌ ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ مَا يَدْخُلُ عَلَى الْمَقْدَمِ أَحْمَدَ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَمَانِيٍّ مِنْ مَغْلِهِ وَجَبَابَتِهِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي بَهَارٍ ، وَكَانَ أَكْثَرُ تَمَرٍ حَضَرَمَوَاتٍ مِنْ
ذَلِكَ الْجَانِبِ ، لَكِنَّ السَّيُولَ أَجْتَاكَ ذَلِكَ النَّخْلَ وَلَمْ يَنْتَقِ إِلَّا الْقَلِيلُ ، وَشَرُّ ذَلِكَ مِنَ
أَخْذِ النَّقْرِ .

وحوالي السَّوْمِ أودية كثيرة ؛ منها : وادي سخورة .

ثمَّ : وادي عِرْزِهِ السَّابِقُ ذِكْرُهُ فِي حِكَايَةِ « الْجَوْهَرِ » ، وَهُوَ وَادٍ تَنْهَرُ إِلَيْهِ السَّيُولُ مِنْ
جِبَالٍ بَعِيدَةٍ .

وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّوْمِ مَوْضِعٌ يُقَالُ لَهُ : مُكَيْثُونٌ ، بِهِ آثَارٌ قَدِيمَةٌ ^(٤) .

(١) الصفة (٣٢٨/١) .

(٢) ترجم له في « المشرح » (٣٦٦-٣٦٧) .

(٣) أم الشيخ عبد الله باعلوي هي الشريفة فاطمة بنت الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن علوي عم الفقيه
المقدم ، لم يعقب والدها سواها .

(٤) تقع أطلال مكينون ، ويقال لها : مكنون ، على مقربة من السوم ، ولا زالت بقايا الأبنية القديمة
قائمة ، ويتصل بهذه الخرائب مكان متسع كان مقبرة لذلك الحي ، والقبور طويلة ، مما يدل على أن
أصحابها كانوا عماليق ، وقد رصفت الأحجار على القبور بشكل دوائر . ويقرب وادي سخورة فوق
الصخور على ارتفاع (٣٠٠) قدم تقوم قلعة ثوبه (ثوبى) ، ولا زالت حيطانها حافظة شكلها بالرغم
من سقوطها وتراكمها بعضها على بعض . وتوجد حصون كثيرة واستحكامات متهدمة في ثوبه والعُر ،
وهذا يدل على أن هذا الإقليم كان منطقة حربية لحماية حدود المملكة . عن « تاريخ حضرموت
السياسي » للبكري (٥٦-٥٧) .

ثُمَّ : شَطَبُ ، وَمَشَاطِرُ ؛ كما في خريطة قَدَّمَهَا لِي الصَّابِطُ الْإِنْكَلِيزِيُّ الْمَكْرَمُ
وطس ، فَقَلَّدَنِي مَنَّا ، وَأَسْتَحَقُّ مِنِّي عَلَيْهَا شُكْرًا ، وَأَوْقَعَنِي فِي الْعَجَبِ إِذْ خَفَّ فِي
مُسَاعِدَتِي بِهِذِهِ الْخِدْمَةِ عِنْدَمَا تَثَاقَلَ الْعُلُوِّيُونَ .

ثُمَّ : عِصَم ، وَهُوَ : مَنْزِلٌ يَنْزِلُ بِهِ زُورَاؤُ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِيهِ آلُ سَعْدٍ مِنْ
آلِ تَمِيمٍ .

وفي شماله : وادي عِصَم . ثُمَّ : الْعِصْيَةُ لآلِ تَمِيمٍ . ووادي عنحي .

فُغْمَةُ

يَسْكُنُهَا جَمَاعَةٌ مِنْ ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ مَوْلَى الدَّوِيلَةِ ، وَآلُ بَلَحِيشِ مِنْ آلِ
تَمِيمٍ .

وفي « بستانِ الْعَجَائِبِ » : (أَنَّهَا كَانَتْ قَرِيَّتَيْنِ : إِحْدَاهُمَا لِمَوْلَى الدَّوِيلَةِ وَفِيهَا لَهُ
مَسْجِدٌ ، وَالْأُخْرَى لِابْنِهِ السَّقَّافِ وَفِيهَا لَهُ مَسْجِدٌ ، وَكَانَ يُقَالُ لِلأُولَى : الدَّوِيلَةُ) اهـ
بمعناه .

وَهُوَ إِذَا أُنْتَقَالَ نَظَرٌ مِنْ يَبْحَرِ إِلَيْهَا ، وَإِذَا أَنْ تَكُونَ مِثْلَهَا فِي الْأَنْقِسَامِ بَيْنَ السَّقَّافِ
وَأَبِيهِ .

وفي جنوبها : وادي يَبْحَر . وفي شمالها : وادي فُغْمَةٍ .

ثُمَّ : يَبْحَرُ ، وَهِيَ الدَّوِيلَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَتْ مَوْضِعًا لِلْصُّوَصِ
وَقَطَّاعِ الطَّرِيقِ ، فَأَحْتَمَى بِهِ كَمَا فِي الْحِكَايَةِ (١٢٥) مِنْ « الْجَوْهَرِ » ^(١) .
وَالْجَدِيدَةُ ، الْمُنْسُوبَةُ إِلَى ابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافِ ^(٢) .

(١) ويشبه هذا ما قام به الحبيب علي بن حسن العطاس في الموضع الغيوار الذي سمي بالمشهد .

(٢) وذلك بعد خراب القديمة الدويلة ، جاء في « الشجرة الكبرى » في ترجمة الشيخ محمد مولى الدويلة :
(فانحدر وبنى المسجد القبلي الذي على الجُزْف ، وقد انهزم حَمَامُهُ مِنَ السَّيْلِ ، وَأُصْلِحَ . ثم اختطَّ
بعده يبحر الشرقية ابنه السقاف وبنى بها مسجده المعروف ، وبنيت حوله بيوت ، وصارت قرية يقال =

وفي الحكاية (١٢٧) مِنْ « الجوهري » : (أَنَّ لَالَ محرم - وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ آلِ كَثِيرٍ - حصناً قريباً مِنْ يبحر) .

وفي الحكاية (١٣٣) منه : (أَنَّ مولى الدَّوِيلَةِ سابقَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ النَّهْدِيِّ . . فسبَّقه ، مع أَنَّهُ على حمارٍ والنَّهْدِيُّ على فرسٍ) .

ثمَّ : تِنْعَةُ : وهي مِنْ قُدَامَى الْبِلْدَانِ . قَالَ ياقوتُ : (روى عن الدَّارِقُطْنِيِّ أَنَّهُ قَالَ : تِنْعَةُ هُوَ بَقِيلُ بْنُ هَانِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ ذُهَلٍ بْنِ شَرْحِبِيلِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمِيرِ بْنِ الْأَسودِ بْنِ الضَّبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ حَضْرَمَوْتَ ، وَهُمْ الْيَوْمَ - أَوْ أَكْثَرُهُمْ - بِالْكُوفَةِ ، وَبِهِمْ سُمِّيتَ قَرْيَةٌ بِحَضْرَمَوْتَ بِقُرْبِ وادي برهوت الَّذِي تَسْمَعُ مِنْهُ أَصْوَاتُ أَهْلِ النَّارِ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي الْأَنْبَارِ .

وقد نسب بهذه النسبة جماعةٌ مِنْهُمْ إِلَى الْقَبِيلَةِ ، وَمِنْهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ .

مِنْهُمْ : أَوْسُ بْنُ ضَمْعَجٍ ^(١) الْتَنْعِيُّ أَبُو قُتَيْبَةَ .

وعياضُ بْنُ عياضِ بْنِ عَمْرِو بْنِ جبلةَ بْنِ هَانِيٍّ بْنِ بَقِيلِ الْأَصْغَرِ ابْنِ أَسْلَمَ بْنِ ذُهَلِ بْنِ نَمِيرِ بْنِ بَقِيلٍ وَهُوَ تِنْعَةُ ، روى عن أبي مسعودٍ ، حديثُهُ عند سلمةَ بْنِ كُهَيْلٍ .

وعمرُو بْنُ سويدِ الْتَنْعِيُّ الْكُوفِيُّ الْحَضْرَمِيُّ ^(٢) ، روى عن زيدِ بْنِ أَرْقَمٍ .

وَأَخُوهُ عامِرُ بْنُ سويدٍ يروي عن عبدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ ، وعنه جابرُ الْجَعْفِيُّ وَغَيْرُهُ ^(٣) اهـ

= لها : يبحر الجديدة ، والكلُّ الآن خراب ، لم يبق إلا المساجد والتربة رضي الله عن الجميع ونفع بهم) اهـ

(١) أَوْسُ بْنُ ضَمْعَجٍ الْكُوفِيُّ الْحَضْرَمِيُّ ، ويقال : التَّنْعِيُّ ، ولعله بالولاء ، حدث عن أبي مسعود الأنصاري ، وسلمان الفارسي ، والسيدة عائشة رضي الله عنهم . وعنه : ابنه عمران ، وأبو إسحاق السبيعي ، وإسماعيل بن رجاء ، قال خليفة بن خياط : إنه كان موجوداً سنة (٧٤هـ) في ولاية بشر بن مروان . وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة . وقال ابن سعد : أدرك الجاهلية وكان ثقة معروفاً ، قليل الحديث ، وذكره ابن حبان في « الثقات » . وحديثه عند مسلم والأربعة . ترجمته في « تهذيب التهذيب » (١٩٣/١ - ١٩٤) .

(٢) نسبته عند ابن حجر في « التهذيب » : الثَّقَفِيُّ .

(٣) معجم البلدان (٤٩/٢) .

وعلى ذكرِ أوس بنِ ضَمْعَجٍ أَعُوذُ بِالْقَارِئِ إِلَى مَا سَبَقَ فِي (يبعث) عن ياقوتٍ مِنْ
قَوْلِ التَّنَوُخِيِّ [مِنْ الطُّوَيْلِ] :

لَعَمْرِي لِنَعْمَ الْحَيِّ مِنْ آلِ ضَجْعَمٍ ثَوَى بَيْنَ أَحْجَارٍ بِبَرْقَةٍ حَارِبٍ
إِلَى مَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُنَاكَ : (إِلَى أَبْنَاءِ مَعْشَرٍ وَأَبْنَاءِ
ضَمْعَجٍ) .

وحوالي تنعه مكانٌ يُقَالُ لَهُ : السَّبْعَةُ الْوُدَيَانُ .

ثمَّ : شَقِيرٌ^(١) السَّابِقُ ذِكْرُهُ بِهِ دِيَارُ آلِ مَوْلَى الدَّوِيلَةِ .

ثمَّ : حَصْنُ ابْنِ كُوبٍ التَّمِيمِيِّ ، لَا يَزَالُ بِهِ نَاسٌ مِنْهُمْ إِلَى الْآنَ .

ثم : وادي بَرْهُوت^(٢) : وَالْكَلَامُ فِيهِ مُنْتَشِرٌ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ الْحَائِكِ^(٣) وَصَاحِبُ
« الْقَامُوسِ » وَيَاقُوتُ [٤٠٥/١] وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَالْإِخْبَارِيِّينَ ، فَلَا
حَاجَةَ إِلَى الْإِطَالَةِ بِمَا لَا مَطْمَعَ فِي حَصْرِهِ وَلَا يَقِينَ مِنْ صَحَّتِهِ .

وَفِي الْأَخْبَارِ لَهُ ذِكْرٌ كَثِيرٌ ، وَهُوَ وَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ ، مِنْهُ كَلِيبُ بْنُ سَعْدِ الْبَرْهُوتِيِّ ، وَفَدَّ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَنْشَدَ قَصِيدَةً ، مِنْهَا - كَمَا عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ
[٣٥٠/١] وَالشُّيُوطِيِّ وَغَيْرِهِمَا - قَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

مِنْ (وَشَرِّ بَرْهُوتَ) تَهْوِي بِِي عُدَاْفَرَةً إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ يَخْفَى وَيَنْتَعِلُ^(٤)
شَهْرَيْنِ أَعْمَلْتُهَا نَصًّا عَلَى وَجَلٍ أَرْجُو بِذَلِكَ ثَوَابَ اللَّهِ يَا رَجُلُ^(٥)

(١) ولعلها تقرأ : (شتير) ، بالتاء بعد الشين المعجمتين ، وتقدم ذكره .

(٢) برهوت : اسم هضبة أسفل وادي ابن راشد من أعمال مديرية سيئون ، بها مزارع وسكان ، وبها مغارة
برهوت . ويُرجع المؤرخ عبد القادر الصبان رحمه الله التسمية إلى قبيلة البراهيت من حمير .

(٣) « صفة جزيرة العرب » (٢٤٢) و (٣١٩) و (٣٢٣) .

(٤) العُدَاْفَرَةُ : النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ الْأَمِينَةُ الرَّثِيقَةُ .

(٥) ونص الخبر عند ابن سعد في « طبقاته الكبرى » [٣٥٠/١] : أخبرنا هشام بن محمد ، قال :
حدثني عمرو بن المهاجر سنان ، قال : كانت امرأة من حضرموت من تنعه يقال لها : تهناة بنت
كليب ، صنعت لرسول الله كسوة ثم دعت ابنها كليب بن أسد بن كليب فقالت : انطلق بهذه الكسوة
إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأثابها بها وأسلم ، فدعى له ، فقال رجل من ولده : يعرض بناس =

وَحَدَّثَنِي مَنْ سَارَ إِلَى بَثْرَةَ^(١) وَقَالَ : إِنَّهَا عِبَارَةٌ عَنْ غَارٍ يَتَسَعُّ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى ، وَهُوَ مُظْلِمٌ وَفِيهِ رَوَائِحٌ مَنَكْرَةٌ . قَالَ : وَلَمَّا أَنْتَهَيْنَا إِلَى حَيْثُ أَنْطَفَأَتِ الشَّرْجُ . . لَمْ نَجْسُرْ عَلَى التَّقَدُّمِ ؛ لِأَنَّ أَنْطَفَاءَهَا دَلِيلُ فَقْدِ الْهَوَاءِ الْمَغْذِي لِلْأَنْفَاسِ^(٢) .

= من قومه :

لَقَدْ مَسَحَ الرَّسُولُ أَيْمَانَنَا
شِبَابُهُمْ وَشِيْبُهُمْ سَوَاءً
وَقَالَ كُلِّبٌ حِينَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :
مَنْ وَشَزَ بَرَهَوْتَ تَهْوِي بِي عُذَافَةَ
تَجُوبُ بِي صَفْصَفًا غُبْرًا مَنَاهِلَهُ
شَهْرَيْنَ أَعْمَلْتُهَا نَصَا عَلَى وَجَلٍ
أَنْتَ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نُخَبِّرُهُ
وَهَا هُنَا وَقْفَةٌ عِنْدَ قَوْلِهِ : (وَبَشَرْتَنَا بِكَ التَّوْرَةَ . .) ، مِمَّا يَدُلُّنَا عَلَى وَجُودِ لِلدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ
بِحَضْرَمَوْتَ قَبْلَ مَجِيئِ الْإِسْلَامِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) أَي : بَثْرَ بَرَهَوْتَ .

(٢) يَعْنِي بِهِ الْأَكْسَجِينِ ، وَيَذْهَبُ بَعْضُ السِّيَاحِ الْأُورِيبِيِّينَ الَّذِينَ زَارُوا هَذِهِ الْبَثْرَ بَعْدَ دِرَاسَةٍ ، إِلَى أَنَّهُ مَوْضِعُ بَرْكَانٍ قَدِيمٍ يَظْهَرُ أَنَّهُ انْفَجَرَ فَأَهْلَكَ مِنْ حَوْلِهِ . وَلَعَلَّ مِمَّا يُؤَيِّدُ هَذَا الرَّأْيَ . . مَا يُقَالُ : إِنَّهُ يَسْمَعُ لِهَذَا الْمَكَانِ أَصْوَاتَ كَالرَّعْدِ مِنْ مَسَافَاتٍ ، وَأَنَّهُ يَقْدَفُ بِحَرَارَةٍ وَدُخَانٍ ! وَيَنْظُرُ « تَارِيخُ الْبَكْرِي » (١ / ٥٦-٥٥) .

وَقَدْ وَرَدَتْ أَحَادِيثُ نَبَوِيَّةٌ عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي « الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ » (٩٨ / ١١) (١١٦٧) ، وَ« الْأَوْسَطِ » (١٧٩ / ٤) (٣٩١٢) ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . . مَاءُ زَمْزَمَ . . وَفِيهِ : « وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ . . مَاءُ بَوَادِي بَرَهَوْتَ ، بَقِيَّةُ بِحَضْرَمَوْتَ كَرَجَلِ الْجَرَادِ مِنَ الْهَلَامِ ، تَصْبِيحُ تَتَدَفَّقُ ، وَتَمْسِي لَا بَلَالُ لَهَا » . وَفِي رِوَايَةٍ : « وَاللَّهُ مَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءٌ شَرٌّ مِنْ مَاءِ بَثْرَ بَوَادِي بَرَهَوْتَ » .

فَفِي الْأَحَادِيثِ تَصْرِيحٌ بِأَنَّ بَرَهَوْتَ اسْمٌ لِلْوَادِي وَاسْمٌ لِلْبَثْرِ ، لَكِنْ لَا وَجُودَ لِلْبَثْرِ الْيَوْمَ ، إِنَّمَا هِيَ مَغَارَةٌ أَشْبَهَ بِكَهْفٍ . . وَجَاءَ فِي كِتَابِ : « الْأَصْنَافِ » لِلْكَلْبِيِّ (ص ٥٠) : (يُقَالُ : أَمْرَعُ مِنْ نَوْذٍ ، وَأَجْدِبُ مِنْ بَرَهَوْتَ ، وَبَرَهَوْتَ وَادٍ بِحَضْرَمَوْتَ ، بِقَرَبِ قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا : تَنْعَةُ) اهـ

وَمِمَّنْ دَخَلُهَا مِنَ الْمَسْتَشْرِقِينَ : الْهَوْلَنْدِيُّ فَانَ دَرْمِيُولِينَ (وَقَدْ طُبِعَتْ رِحْلَتُهُ) ، وَالنَّمْسَاوِيُّ فَانَ وَايزَمَانَ . . وَحَاصِلُ مَا قَالَاهُ : أَنَّ هَذِهِ الْمَغَارَةَ تَقَعُ عَلَى ارْتِفَاعٍ (٣٠٠) قَدَمٍ مِنْ سَفْحِ الْجَبَلِ ، وَلَهَا طَرِيقٌ مُعَيَّدٌ نَقَرَ فِي الصَّخَرِ ، كَانَتْ الْجَمَالَ تَسِيرُ عَلَيْهِ لِحُلْبِ السَّمَادِ مِنْ فَضَلَاتِ الْخَفَافِيشِ .

وَتَتَشَعَّبُ هَذِهِ الْمَغَارَةُ إِلَى شَعْبٍ ، كَمَا أَنَّ فِي أَقْصَاهَا مَنَحْدَرًا .

وَاسْتَتَجَا : أَنَّ بَرَهَوْتَ كَهْفٌ جَبْرِي لَيْسَ بِهِ أَثَرُ بَرْكَانِي ، وَأَنَّ الرُّوَائِحَ الْخَبِيثَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْكَبْرِيتِ بَلْ =

وهذا الوصف قريب مما نشره العلامة الجليل السيد محمد بن عقيل في «مقتطف» جمادى الأولى من سنة (١٣٤٧هـ) (١).

وأخرج أبو نعيم في ترجمة مجاهد صاحب «التفسير» من «الحلية» بسنده إلى الأعمش : أن مجاهداً ذهب إلى حضرموت إلى بئر برهوت .

شعب نبي الله هود عليه السلام

هو شعب متقد بالنور ، حلي بالشور ، شبيه بمنى من حيث الدور ، فلا بدع أن يجيء فيه موضع قول الشريف الرضي [في «ديوانه» ٥٧٠/٢ من الطويل] :
فَوَا لَهْفِي كَمْ بِي مِنَ الْخَيْفِ لَهْفَةً تَذُوبٌ عَلَيْهَا قِطْعَةٌ مِنْ فُؤَادِيَا
وكيف لا يكون كذلك وهو مهبط وحي ، ومعقل نبوة ، ومختلف ملائكة ، ومنتزل سَكِينَةٌ !!؟

وقد دلت في «الأصل» على وجود نبي الله هود في حضرموت بالدلائل

= من تحول الصخور ويول الخفافيش ، وأن الحرارة ليست من عامل بركاني ولكن من أثر الحرارة الخارجية .

وأخرج أبو نعيم بسنده في «الحلية» (١٩٢/٥) من حديث حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «لتقصدنكم نار هي اليوم خامدة في وادٍ يقال له : برهوت ، يغشى الناس فيها عذاب اليم... إلخ» الحديث ، وهو حديث غريب كما قال الحافظ .

قال السيد صالح الحامد (٨٢/١) : (وقد رأيت فيما نقله ابن هشام من أخبار يعرب بن قحطان : أنه أتاه آت فقال له : يا يعرب ؛ هلا جعلت نقباً في الجبل الأغر من أرض برهوت في غربي حضرموت ؛ فإنه معدن عقيان ، وانقر شرقيه ؛ فإنه معدن لجين ؛ ففعل ، ثم إنه يستخرج الجواهر من العقيق ، فكثر اللجين والعقيق في أرض يمن) اهـ

وهذا يوقع في النفس احتمالاً آخر ؛ وهو : أن هذه المغارة نقبت وحفرت ؛ بحثاً وطمعاً وراء معدن مظنون في هذا الجبل .

(١) الذي نشر في «المقتطف» الجريدة المصرية المعروفة آنذاك.. هو ملخص رحلة السيد محمد المذكور ، وكان دخوله إلى المغارة بصحبة السيد محمد بن علي الحبيد وحاصل رحلتها : أنهما يريان أنها بقايا بركان قديم خمد . «الحامد» (٨٢/١) .

المجلوة ، ومن أقواها هذه الآية المتلوة : ﴿ وَذَكَرَ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ
النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

والأحقاف هي حَضْرَمَوْت دون نزاع^(١) ، والأصل بقاء ما كان على ما كان حتى
يُعلم خلافه ، فينبغي أن يُعقد عليه الإجماع .

وما أخرجه الحاكم من التحاق نبي كل أمة تهلك بمكة^(٢) . . عامٌ موقوف ،
يُخصّصه ما أخرجه ابنُ إسحاق في « المبتدأ » وابنُ عساكر في « التآريخ » عن عروة بن
الزُّبَيْرِ : (أَنَّهُ مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ هُوْدٍ وَصَالِحٍ تَشَاغَلَا بِأَمْرِ
قَوْمِهِمَا حَتَّى قَبَضَهُمَا اللَّهُ وَلَمْ يَحْجَا) .

ولئن ذُكِرَ حَجُّ هُوْدٍ في « مسند أحمد »^(٣) فما سنده بأشمل ممَّا مرَّ عن ابنِ إسحاق
وابنِ عساكر .

وقد ذكرَ ابنُ هشام في « التَّيجَانِ » : (أَنَّ هُوْدًا وَأَوْلَادَهُ يَحْجُّونَ ثُمَّ يَعُودُونَ إِلَى
دِيَارِهِمْ) .

وفي جواره كَانَ قَبْرُ لِقْمَانَ بْنِ عَادٍ الْمَلَطَاطِ بْنِ سَكْسَكِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ حَمِيرَ ، صاحبُ
النُّسُورِ السَّبْعَةِ كما في « إكليل » ألهمداني^(٤) [١٨٤ / ٨] وذكره غيره أيضاً . ولقبرِ هُوْدٍ
ذُكِرَ طَوِيلٌ في (ج ٨ ص ١٣١-١٣٣) منه .

(١) والأحقاف - جمع حَقَف بالكسر - والحقف : الموعِج من الرمل ، أو الكثيب منه إذا تقوس ، أو الرمل
المستطيل المشرف .

(٢) أخرج الحاكم في « المستدرک » بسنده (٦١٥ / ٢) : عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط
قال : (إنه لم تهلك أمة إلا لحق نبيها بمكة فيعبدُ فيها حتى يموت ، وإن قبر هود بين الحجر
وزمزم) .

(٣) أخرج الإمام أحمد في « المسند » (٢٣٢ / ١) : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِوَادِي عَسْفَانَ حِينَ حَجَّ . . قَالَ : « يَا أَبَا بَكْرٍ . . أَيُّ وَادٍ هَذَا ؟ » ، قَالَ :
وَادِي عَسْفَانَ ، قَالَ : « لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُوْدٌ وَصَالِحٌ عَلَى بَكَرَاتٍ حُمْرٍ ، خُطِمَتْهُمَا اللَّيْفُ ، أَرْزُهُمُ الْعَبَاءُ ،
وَأَرْزِدَتْهُمُ النَّمَارُ ، يُلْبَوْنَ يَحْجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ » .

(٤) ومما جاء في « الإكليل » من خبر لقمان : أَنَّهُ أُعْطِيَ مَا لَمْ يُعْطِهِ غَيْرُهُ فِي زَمَانِهِ ، أُعْطِيَ حَاسَةً (١٠٠)
رجل ، وكان طويلاً جداً ، وهو الحكيم المذكور في القرآن ، وزعم البعض نبوته .

ولِذِكْرِ منبرِهِ ، ولقبرِ قضاةِ بْنِ مالِكِ بْنِ حَمِيْرٍ جَدِّ قَبَائِلِ قضاةٍ فِي الشَّامِ وَالْيَمَنِ
حديثٌ آخَرُ فِيهِ مِنْ (ص ١٥٦-١٥٨) ، وَهُوَ لَا يَخْرُجُ عَمَّا سَبَقَ فِي وادي عَمْدٍ عَنِ
« الشَّهَابِ الرَّاصِدِ » : أَنَّ قَبْرَ قضاةٍ بِجَبَلِ الشَّخْرِ ؛ لِأَنَّ شِعْبَ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ دَاخِلٌ
فِي مَسْمَى الشَّخْرِ .

وَقَالَ فِي (ص ١٧٦-١٧٧) مِنْهُ : (إِنَّ قَبْرَ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَحْقَافِ ، بِمَوْضِعٍ
يُقَالُ لَهُ : الْحَفِيْفُ فِي الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ) ^(١) ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِمَا فِي « الْأَصْلِ » ، وَذَكَرَ
أَنَّ : « قَبْرَ قحطَانَ بْنِ هودٍ بِمَارِبَ » .

= وسبب تلقيبه بصاحب النور السبعة . أنه كان يدعو بعد الصلوات بقوله :
اللَّهُمَّ يَا رَبَّ الْبَحَارِ الْخُفْصِرِ وَالْأَرْضِ ذَاتِ النَّبْتِ بَغْدَ الْقَطْرِ
(أَسْأَلُكَ عُمرًا فَوْقَ كُلِّ عُمرٍ)

فتروي : قَدْ أُجِيبَتْ ، وَأُعْطِيََتْ سؤْلُكَ ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخُلُودِ ، فَاخْتَرِ إِنْ شِئْتَ بَقَاءَ سَبْعِ بَقَرَاتٍ
عُفْرِ فِي جَبَلٍ وَغَيْرِ لَا يَمْسُهُنَّ ذَكَرٌ ، أَوْ بَقَاءَ سَبْعَةِ أَنْسَرٍ كُلِّمَا هَلَكَ نَسْرٌ عَقِبَ بَعْدَهُ نَسْرٌ ، فَاخْتَارَ النَّسُورَ .
قَالَ وَهْبٌ : فَيَذْكَرُ أَنَّهُ عَاشَ (٢٤٠٠) سَنَةً ، وَقَالَ عُبَيْدُ بْنُ شَرِيَّةَ : (١٧٦٤) سَنَةً . وَكَانَ هُوَ
وَنَسُورُهُ مَثَلًا فِي الْعَرَبِ ، وَاسْمُ نَسْرِهِ الْأَخِيرِ (لُبْدٌ) .
وفيه قول النابغة :

أَمْسَتْ خِلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ
قَالَ وَهْبٌ : لَمَّا دَنَا الْمَوْتَ مِنْ لُقْمَانَ بْنِ عَادَ . . قَالَ : يَا قَوْمَ دَعُونِي مِنْ سُنَنِ الْجَبَّارِينَ وَاسْلُكُوا بِي
سَبِيلَ الصَّالِحِينَ ، احْفَرُوا لِي ضَرْحًا وَارُونِي فِيهِ تَرَابًا وَحَصْبًا ، وَلَا تَجْعَلُونِي لِلنَّاظِرِينَ نَصَبًا ، فَدَفَنَ
بِالْأَحْقَافِ إِلَى جَوَارِ قَبْرِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(١) بِمَكَانٍ كَانَ يُقَالُ لَهُ : الْهَيْيْتُ ، وَفِي هَذَا مُوَافَقَةٌ لِمَا وَرَدَ عَنِ الْكُتَيْبِ الْأَحْمَرِ فِي الْأَثَرِ الَّذِي رَوَى عَنْ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ .

ونصه : مَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي « تَفْسِيرِهِ » ، عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَئِنْ عَادُوا لِنَآئِمِهِمْ
هُودًا... ﴾ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ حَدَّثَنَا سَلْمَةُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْخَزَاعِيِّ ، عَنْ أَبِي الطَّفِيلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ قَالَ : سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنْ حَضْرَمَوْتَ : هَلْ رَأَيْتَ كُتَيْبًا أَحْمَرَ يَخَالِطُهُ مَدْرَةٌ حُمْرَاءَ ، ذَا أَرَاكَ وَسَدْرَ
كَثِيرٍ ، بِنَاحِيَةِ كَذَا وَكَذَا مِنْ حَضْرَمَوْتَ ، هَلْ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَوَاللَّهِ إِنَّكَ تَنْعَتُهُ نَعْتَ
رَجُلٍ رَأَاهُ . قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي قَدْ حَدَّثْتُ عَنْهُ . فَقَالَ الْحَضْرَمِيُّ : وَمَا شَأْنُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ :
فِيهِ قَبْرُ هودٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ . اهـ

وَذَكَرَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَيْضًا رَوَايَاتٍ عَنِ السَّدِيِّ وَابْنِ إِسْحَاقَ ، حَاصِلُهَا : أَنَّ الْأَحْقَافَ فِي =

وَأَمَّا نَسَبُ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . فَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي (ج ١ ص ١٦١ - ١٧٧)
مِنْ « الْأَكْلِيلِ » ، (إِنَّهُمْ اِخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَى خَمْسِ فِرَقٍ) .

قَالَتِ الْأُولَى : إِنَّهُ قَحْطَانُ بْنُ هُودٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَاحٍ بْنِ خَلْدٍ بْنِ الْخُلُودِ - وَهُوَ
مُخَلَّدٌ - أَبْنِ عَادٍ بْنِ عَوْصٍ بْنِ إِرَمَ بْنِ سَامٍ بْنِ نُوحٍ . قَالَ أَبُو نَصْرٍ : وَالنَّاسُ يَغْلُطُونَ فِي
عَابِرٍ ، وَهُوَ هُودُ بْنُ أَيْمَنَ بْنِ حُلْجَمٍ بْنِ بَضْمٍ بْنِ عَوْضِينَ بْنِ شَدَّادٍ بْنِ عَادٍ بْنِ الْهَادِ بْنِ
عَادٍ بْنِ عَوْصٍ بْنِ إِرَمَ بْنِ عَوْصٍ بْنِ عَابِرٍ بْنِ شَالَخٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ هَذَا النَّسَبَ فِي
بَعْضِ مَسَانِدِ حَمِيرٍ فِي صَفَاحِ الْحَجَارَةِ .

وعابِرُ بْنُ شَالَخٍ هُوَ هُودُ بْنُ شَالَخٍ ، وَلَا نَسَبَ لِحَمِيرٍ فِي عَادٍ .

وَأَمَّا قَوْلُ عُلْقَمَةَ بْنِ ذِي جَدْنٍ [مِنَ الْوَاغِرِ] :

وَمَضْنَعَةُ بِذِي رَيْدَانَ أُسْتُ بَنَاهَا مِنْ بَنِي عَادٍ قُرُومُ . .
فَحَيْفُ مِنْ عُلْقَمَةَ ، وَرَبَّمَا كَانَ الَّذِي بَنَاهُ مِنْ حَمِيرٍ أَبْنَاءُ رَجُلٍ مِنْهُمْ يُسَمَّى
عَادَاً ؛ فَالْأَسْمَاءُ مُسْتَعَارَةٌ ، وَقَدْ جَاءَ فِي حَمِيرٍ عَمَالِقَةُ ، وَالْعَمَالِقَةُ إِنَّمَا هُمْ بَنُو لَؤْذَ بْنِ
سَامٍ ، فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ ذَهَبَ إِلَى الْقِدَمِ فَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدِيمٍ : عَادِيٌّ ، قَالَ بَعْضُ
طَبَّاءٍ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

وَبِالْجَبَائِنِ لَنَا مَغْقَلٌ صَعَدْنَا إِلَيْهِ بِسُنْرِ الصُّعَاذِ
مَلَكْنَاهُ فِي أُولَيَاتِ الزَّمَانِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَمِنْ قَبْلِ عَادِ
ذَهَبَ إِلَى مَجَرَّدِ الْقِدَمِ .

وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ حَمِيرَ لَيْسَتْ مِنْ عَادٍ . . قَوْلُهُ جَلٌّ وَعَلَا بَعْدَمَا ذَكَرَ مَهْلَكَ عَادٍ :
﴿ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴾ ، فَلَا بَاقِيَةَ لَهُمْ وَلَا لَشُمُودٍ ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَتُؤَدُّنَهَا لِقَبْرِهَا ﴾ ،

= حضرموت ، وهي منازل عاد .

أما الحديث هذا - حديث الكتيب - فقد خرجه العلامة سالم بن عبد الله الشاطري في رسالة « نيل
المقصود » فليُنظر فيها ، وللأخ السيد علي بن محمد بن حسين العيدروس كتاب سماه : « بذل الجهود
في الروايات والأخبار المروية في فضائل نبي الله هود عليه السلام » ، وتحقيق مكان قبره وغير ذلك .

وَحَمِيرٌ تَمَلُّاُ الْبِلَادَ إِلَى الْيَوْمِ ، وَهَذِهِ الْحُجَّةُ ضَعِيفَةٌ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّ فِي الْمَشْرِقِ : جَابَلُقُ ، يَسْكُنُهَا بَقَايَا عَادٍ ، وَفِي الْمَغْرِبِ : جَابِرُسُ ، وَيَسْكُنُهَا بَقَايَا ثَمُودَ » .

وَالْعَرَبُ كَثِيرًا مَا تُطْلَقُ الْكَلَّ عَلَى الْبَعْضِ .

وَقَالَ الْفَرَقَةُ الثَّانِيَةُ - وَهُمْ الْأَكْثَرُ - : هُوَ قَحْطَانُ بْنُ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ ، ثُمَّ أَفْتَرَقَتْ هَذِهِ الْفَرَقَةُ .

فَقَالَ أَقْلُهُا : إِنَّ عَابِرَ هَذَا لَيْسَ بِهُودٍ الْمُزْسَلِ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَادٍ ، وَإِنَّ هُودًا الْمُزْسَلِ إِلَى عَادٍ كَانَ مِنْ أَنْفُسِهَا وَأَوْسَطِهَا .

وَقَالَ أَكْثَرُ هَذِهِ الْفَرَقَةِ : إِنَّ عَابِرَ بْنَ شَالِحِ بْنِ أَرْفَخْشَدَ بْنِ سَامٍ هُوَ النَّبِيُّ الْمُزْسَلُ ، وَإِنَّهُ عَاشَ (٤٢٠) سَنَةً ، وَعَاشَ عَادُ بْنُ عَوْصٍ ثَلَاثَ مِئَةِ سَنَةٍ وَمَا مَاتَ حَتَّى مَلَأَ أَوْلَادُهُ الْبِلَادَ ، وَأَدْرَكَ أَوَّلَ مَلِكِ الْخُلُجَانِ مِنْ وَلَدِهِ ، وَهُوَ الَّذِي هَلَكَتْ عَادُ فِي عَصْرِهِ ، وَاحْتِجَّ هُنُلَاءَ بِحُجَّتَيْنِ ؛ إِحْدَاهُمَا : قَوْلُ عِلْقَمَةَ بْنِ ذِي جَدْنٍ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

سَأَبْكِي لِقَوْمِي حَمِيرًا أَنْ تَجْرُمُوا وَأَصْبَحَ مِنْهُمْ مُلْكُهُمْ مُتَمَرِّقًا
تُرَاثَ نَبِيِّ اللَّهِ هُودِ بْنِ شَالِحِ بَيْنَهُ بَيْنِي قَحْطَانُ غَرْبًا وَمَشْرِقًا
وَقَوْلُ الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيِّ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

فَمِنَّا سَرَاةُ النَّاسِ هُودٌ وَصَالِحٌ وَذُو الْكِفْلِ مِنَّا وَالْمُلُوكُ الْأَعَظَمُ
وَقَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ [مِنَ الطُّوَيْلِ] :

فَنَحْنُ بَنُو قَحْطَانَ وَالْمُلُكِ وَالْعُلَا وَمِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ هُودُ الْأَحَابِرِ
وَأَذْرِيسُ مَا إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ وَلَا مِثْلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَبْنَاءُ عَابِرِ
قَالَ يَعْرُبُ [مِنَ الْوَاغِرِ] :

بَيْنِي أَبُوكُمْ لَمْ يَغْدُ عَمَّا بِهِ وَصَّاهُ قَحْطَانُ بْنُ هُودِ
وَالْحُجَّةُ الثَّانِيَةُ : أَنَّهُمْ ذَكَرُوا أَنَّ حَمِيرَ بْنَ سَبَأٍ سَيَّرَ جُرْهُمَا إِلَى الْحَرَمِ وَأَرْضِ
الْحِجَازِ ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ هَيَّ بْنَ بَيٍّ بْنِ جُرْهُمَ بْنِ يَقْطَنَ بْنِ عَابِرِ .

وقال الخزاعي : هو هيُّ بنُ بَيِّ بنِ جرهم بنِ الغوث بنِ يشدد بنِ سعد بنِ جرهم فلما صاروا بأسفل مكة . . إذا هم بهاجرَ ومعها أبْنُها إسماعيلُ بنُ إبراهيم ، ولمَّا أخبرَهم بنسبه . . عرفوه ، وذكروا القرابة ، ورعَّبهُم قريهَم في مجاورته ، فكان حميرُ بنُ سبأ في درجة إبراهيم في النسبِ إلى عابرٍ ؛ إذ هو إبراهيمُ بنُ آزر ، وهو تارخ بنُ شاروخ بنِ أروعاء بنِ فالخ بنِ عابر ، وحميرُ بنُ سبأ بنِ يشجب بنِ يعرب بنِ قحطان بنِ عابر ، وكذلك من قال : إنَّ عابرَ هو هودُ بنُ عبدِ الله بنِ خالد بنِ الخلود بنِ عاد بنِ عوص بنِ إرم بنِ سام بنِ نوح ، وهذا أقربُ القولينِ إلى ما يلائمُ الصواب .

وقالت الفرقةُ الرابعةُ : إنَّ حميرَ وجرهم قبلَ عادٍ وثمودَ بدهورٍ طويلةٍ ، وإنَّ جرهمَ لم تكن يومَ عثرت على إسماعيل وأُمِّه وعلى زمزمَ سيارَةَ منَ اليمنِ ، وإنَّما كانَ حميرُ بنُ سبأ ، سيَّرهُم إلى جبالِ الحَرَمِ وُلَاةً على العماليقِ وعبدِ ضخم ، فكانوا بنجدٍ والطائفِ وأجبلِ الحَرَمِ ، فأقاموا دهوراً لا يدخلونَ واديَ مكةَ - إذ كانَ خاويًا - إلَّا لرعي ، حتَّى خرجَ الحارثُ بنُ مضاض بنِ عمر بنِ سعد بنِ الرقيب بنِ ظالم بنِ هيَّ بنِ بَيِّ بنِ جرهم بنِ قحطان في عصبَةٍ تروُدُ من جرهم ، فوجدوا إسماعيلَ وأُمَّهُ فعرفتهُ بالنسبِ ، فرغبَ في المَقامِ معهما ، فأقامَ وجميعُ جرهم معه ، وتزوَّجَ إسماعيلُ إلى العماليقِ ، ثمَّ إلى الحارثِ بنِ مضاض .

أقول : وهذا بالحقيقة لا يردُّ ما قبله ، بل يؤيِّدهُ ؛ إذ لم يزد بينَ الحارثِ وهيَّ بنِ بَيِّ إلَّا خمسةٌ ، وهذه لا تُغبِّرُ على شيءٍ كما يتوضَّحُ من قولِ الفرقةِ الخامسةِ : إنَّ الاحتجاجَ بمَعَادَةِ آبَاءِ سببٍ ضعيفٍ ؛ لاختلافِ أعمارِ النَّاسِ (اهـ بنوعِ تصرُّفٍ واختصارٍ .

والقولُ الَّذي ينبغي اعتمادهُ هو ما تكررَ عندَ الهمدانيِّ وغيره : إنَّ حميرَ أبْنُ سبأ بنِ يشجب بنِ يعرب بنِ قحطان بنِ هودٍ .

وأما الشُّوقُ الَّتِي تقومُ في ذلكَ الشَّعبِ . . فقد مرَّ خبرُها في واديِ العينِ ، وكانت هذه الشُّوقُ كما بـ «الأصلِ» عن «بلوغِ الأربِ» تقامُ في النِّصفِ من شعبانَ ، وما زالَ عليه الأمرُ بحضرموتَ إلى ما قبلَ اليومِ بنحوِ مِئتي سَنَةٍ ، فتغيَّرَ قليلاً .

وفي مكاتبة بتاريخ (٥) شعبان سنة (١٢٠٢ هـ) مِنَ السَّيِّدِ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَدَّادِ سَيَّرَهَا لِلْسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ مَوْلَى خَيْلِهِ . . . تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَأْخُرَ الزِّيَارَةِ عَنْ نَصْفِ شَعْبَانَ إِنَّمَا كَانَ بَعْدَ الْقَطْبِ الْحَدَّادِ ، غَيْرَ أَنَّ فِي « مَجْمُوعِ كَلَامِ الْقَطْبِ الْحَدَّادِ »^(١) مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ بَدْءَ التَّغْيِيرِ كَانَ فِي أَيَّامِهِ ، فَصَارَ أَهْلُ سَيْتُونَ وَمَنْ فِي غُرَيْبِهِمْ يَدْخُلُونَ الشَّعْبَ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ شَعْبَانَ ، وَيَنْفِرُونَ فِي الْعَاشِرِ ، وَالْتَّرِيمَ يَرِدُونَ فِي الثَّاسِعِ وَيَنْقَلِبُونَ فِي الْحَادِي عَشَرَ ، وَالْأُيُنَاتُ يَدْخُلُونَ فِي الْعَاشِرِ وَيَصْدُرُونَ فِي الثَّانِي عَشَرَ .

ثُمَّ حَاوَلَ الْعَلَامَةُ السَّيِّدُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ إِرجاعَ الْأَمْرِ إِلَى مَا كَانَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ هُنَاكَ لِلنَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَتَمَّ لَهُ الْأَمْرُ بَعْدَ مَرَاஜَعَاتٍ^(٢) ، ثُمَّ اخْتَلَفَ أَهْلُ تَرِيمَ وَالْأُيُنَاتِ عَلَى شَرَفِ الْمَجْلِسِ الْحَافِلِ وَقِرَاءَةِ دَعَاءِ شَعْبَانَ وَإِمَامَةِ الْعِشَائِينَ فِيهِ ، وَأَهْلُ أُيُنَاتٍ يَقْنَعُونَ بِالْمَقَاسِمَةِ ، لَكِنَّ أَهْلَ تَرِيمَ لَا يُرْضِيهِمْ إِلَّا الْأَسْتِثْنَاءُ بِالْجَمِيعِ ، وَتَفَاقَمَ الْأَمْرُ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى حَرْبٍ صُورِيَّةٍ كَعَادَةِ حُرُوبِ آلِ حَضْرَمَوْتَ ، ثُمَّ لَمْ تُسَوِّ الْقَضِيَّةُ إِلَّا بِإِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ بِالْآخِرِ .

وَلَقَدْ حَضَرَتْ تِلْكَ الْمَحَافِلَ الْمَشْهُورَةَ بِذَلِكَ الشَّعْبِ الشَّرِيفِ كَثِيرًا مِنَ الْمَرَّاتِ ، أَوَّلُهَا الَّتِي لَا أَزَالُ جَامِعًا مِنْهَا يَدَيَّ عَلَى غِذَاءِ الرُّوحِ وَتَبَاشِيرِ الْفَتْوحِ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِمَعِيَّةِ وَالِدِي وَشَيْخِي الْأُسْتَاذِ الْأَبْرَّ عِيدَرُوسَ بْنِ عَمَرَ ، حَوَالِي سَنَةِ (١٣١١ هـ) ، وَفِيهَا كَانَتْ مُحَاوَرَاتٌ فِقْهِيَّةٌ ، سَبَبُهَا :

أَنَّ سَيِّدِي عَمَرَ بْنَ عِيدَرُوسَ بْنِ عَلَوِيِّ الْعِيدَرُوسِ وَإِخْوَانَهُ وَالشَّيْخَ الْجَلِيلَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ الْخَطِيبِ فِي نَاسٍ مِنْ تَرِيمَ تَبَعُوا سَيِّدِي الْأُسْتَاذَ الْأَبْرَّ عِيدَرُوسَ بْنَ عَمَرَ

(١) المعروف بـ « تَثْبِيثُ الْفَوَادِ » .

(٢) وَكَانَ قَدْ وَرَدَ إِلَيْهِ خُطَابٌ مِنْ عُلَمَاءِ تَرِيمَ وَمَنَاصِبِهَا بِتَوْقِيعِ السَّادَةِ : أَحْمَدَ بْنِ حَامِدٍ بَاعِلُوي ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بَلْفَقِيهِ ، وَعَلِيَّ بْنِ حَسَنِ بْنِ عَمَرَ الْحَدَّادِ ، وَكَافَّةِ سَادَةِ تَرِيمَ مُؤَرِّخًا فِي فَاتِحَةِ شَعْبَانَ (١٣٢٦ هـ) ، يَطْلُبُونَ مِنْهُ الْقُدُومَ إِلَى تَرِيمَ لِلْقِيَامِ بِالزِّيَارَةِ بِمَعِيَّتِهِ ، وَالنَّزُولَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ إِعَادَةِ التَّرَاتِيبِ السَّلَفِيَّةِ لِهَذِهِ الزِّيَارَةِ . وَقَدْ دَوَّنَ تَفَاصِيلَ هَذِهِ الرِّحْلَةِ وَمُعْجَرَاتِهَا تَلْمِيذُهُ الْعَلَامَةُ عَلَوِيُّ بْنُ طَاهِرِ الْحَدَّادِ ، وَهِيَ مُوجُودَةٌ مُتَدَاوِلَةٌ فِي عِدَّةِ كُرَارِيسَ ، وَقَدْ قَرَأَهَا عَلَى شَيْخِهِ وَأَقْرَافِهَا ، وَفِيهَا فَوَائِدُ عَزِيزَةٌ .

في جمع العشاء تقديماً مع المغرب بمسجد العجز مع الذهاب ، مع أن ما بين تريم والشعب لا يبلغ القصر ، والظاهر أن سيدي الأستاذ الأبر يقصر ويجمع في سائر صلواته ، لكن لا أثبت حفظاً إلا ما كان تلك الليلة .

ثم كانت بعدها مرأت كثيرة ، وأذكرها عندي - لأكثرية جمعها - هي التي كانت في سنة (١٣٢٤ هـ)^(١) .

وقد تداول الخطابة في محافلها جماعة من الأفاضل ، وهم : السيّد عليّ بن محمّد الحبشي . وسيدي الوالد علويّ بن عبد الرحمن السقاف . والسيّد عمر بن عيدروس ، المتوفى عن عمر قصير في آخر سنة (١٣٢٨ هـ) بتريم ، وكان خطيباً مفوهاً ، أمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، يتكلّم على الناس في أيام الشيوخ المراجيح ، وكان بدء خطابته أنه قرأ رسالة لسيدي الأستاذ الأبر في مجمع مولد السيّد عليّ بن محمّد الحبشي ، ثم علّق عليها وتيسر له من بعدها الكلام .

ولا أذكر غير هؤلاء ، إمّا لسيان ، أو لانحصارها فيهم .

وقد حضر ذلك العام سيدي العلامة المتفنن في أنواع المعارف شهاب الدين أحمد بن أبي بكر ابن سميّ في جمع ليس بالقليل من آل شام .

وحضرتها أيضاً في سنة (١٣٤٠ هـ) ، وكانت مشهودة من نواحي حضر موت . .
دوعن فما دونها ، والسواحل فما وراءها ، وكانت الخطابة خاصة بي في اليوم الثاني عشر ، وفي صباح اليوم الثالث عشر كانت للعلامة الفاضل السيّد أحمد بن عبد الرحمن ابن عليّ السقاف ، المتوفى بسينون سنة (١٣٥٧ هـ) ، وبعد ظهره لي وللأخ العلامة السيّد عبد الله بن عمر الشاطري ، وفي اليوم الرابع عشر - وهو أعظمها حقلاً يترأسه منصب الشيخ أبي بكر بن سالم - كانت الخطابة إليّ وإلى الأخ الفاضل حسن بن إسماعيل عالم آل الشيخ أبي بكر بن سالم .

وفي سنة (١٣٥٠ هـ) كان أكثر الخطابة إليّ ، وشاركني العلامة الفاضل الجليل

(١) سنة توفي والد المؤلف .

الْأَخُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الشَّاطِرِيِّ فِي الْيَوْمِ التَّاسِعِ ، وَالْفَاضِلُ النَّبِيُّ الْأَخُ حَسَنُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ . وَكَانَتِ الزِّيَارَةُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ أُعِيدَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، بِخِلَافِ سَنَةِ (١٣٤٠ هـ) .

وَكَانَ الذَّكِيُّ اللَّغُوِيُّ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى مُعْنَا ذَلِكَ الْعَامَ^(١) ، فَأَخْتَرَلَ خُطْبَتِي فِي حِفْلِ السَّادَةِ آلِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ سَالِمٍ ، فَأَضَيْفْتُ إِلَى مَجْمُوعَةِ الْخُطَبِ .

وَفِي تِلْكَ الْمَرَّةِ كَانَتْ ضِجَّةٌ خَفِيفَةٌ بِسَبَبِ أَنَّي كُنْتُ مُقِيمًا بِتَرِيمٍ ، وَمِنْهَا عَزِمْتُ إِلَى شِغْبِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ آلِ سَيْثُونَ وَمَنْ لَفَهُمْ ، وَقَدْ طَالَ مَجْلِسُ الْخُطَابَةِ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ حَتَّى وَجِبَتْ الظُّهْرُ ، فَصَلَّيْتُهَا بِهِمْ وَالْعَصْرَ مُقَدِّمًا مَعَهَا مَقْصُورَتَيْنِ ، فزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ لَا رِخْصَةَ لِي ؛ لِأَنَّ الْمَسَافَةَ مِنْ تَرِيمٍ إِلَى شِغْبِ نَبِيِّ اللَّهِ هُوْدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ تَبْلُغِ الْقَصْرَ ، فَقُلْتُ لَهُمْ : إِنِّي بِرُكُوبِي مِنْ تَرِيمٍ أَنْشَأْتُ سَفْرًا طَوِيلًا مِنْهَا إِلَى الشَّعْبِ وَإِلَى سَيْثُونَ إِيَابًا ، بِدُونِ تَخَلُّلِ إِقَامَةٍ قَاطِعَةٍ لِلسَّفَرِ ، وَذَكَرْتُ لَهُمْ قَوْلَ الْعَلَامَةِ أَبِي حَجْرٍ فِي « الثُّحْفَةِ » : (يَقَعُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْحَجَّاجِ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ مَكَّةَ قَبْلَ الْوُقُوفِ بِنَحْوِ يَوْمٍ نَاقِصٍ الْإِقَامَةِ بِمَكَّةَ بَعْدَ رُجُوعِهِمْ مِنْ مَنَى أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ فَأَكْثَرَ ، فَهَلْ يَنْقَطِعُ سَفَرُهُمْ أَوْ يَسْتَمِرُّ إِلَى عَوْدِهِمْ مِنْ مَنَى ؛ لِأَنَّهُ مِنْ مَقْصِدِهِمْ ، فَلَا تُؤَثِّرُ نِيَّةُ الْإِقَامَةِ إِلَّا عِنْدَ الشُّرُوعِ فِيهَا ؟ لِلنَّظَرِ فِيهِ مَجَالٌ ، وَكَلَامُهُمْ مُحْتَمَلٌ ، وَالثَّانِي أَقْرَبُ) اهـ .

فَاقْتَنَعَ بَعْضُهُمْ ، وَأَصَرَ آخَرُونَ عَلَى تَخَطُّطِي . . وَلِلنَّظَرِ أَلْبَحَثُ .

ثُمَّ ذَكَرَنِي الْوَلَدُ الْفَقِيهُ عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ أَلْبَحَثَ طَالَ فِي الْمَسْأَلَةِ أَيَّامَ تَدْرِيسِي فِي « الْمُنْهَاجِ » وَالْتِزَامِي بِإِمْلَاءِ عِبَائِرِ « الثُّحْفَةِ » وَ« النِّهَايَةِ » وَ« الْأَسْنَى » وَحَوَاشِيهِمَا مِنْ حِفْظِي بَعْدَ التَّلْعِيقِ وَكَانَ سَيِّدِي الْوَالِدُ عَلَوِيُّ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّقَّافُ هُوَ الَّذِي قَلَّدَنِي ذَلِكَ وَالْعُودُ رِيَّانُ ، وَالْعَارِضُ عَرِيَانُ ، وَالشُّيُوخُ كَثِيرٌ ، وَعَدَدُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَفِيرٌ ، فَكُنْتُ كَمَا قَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسَعَةَ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

قَلَّدَتْهُ عُرَى الْأُمُورِ نِزَارٌ قَبْلَ أَنْ تَهْلِكَ السَّرَاةُ الْبُحُورُ

(١) أَي : سَنَةِ (١٣٥٠ هـ) .

لا كما قال الأسود [مِنَ الْوَافِرِ] :

وَسَادَتْ بَعْدَ مَهْلِكِهِمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمٌ بَذَرَ لَمْ يَسُودُوا
وبما نالَ مِنَ التَّوْفِيقِ ، وأَشمَلَ ، على التَّحْقِيقِ . . كَانَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهُ إِلَّا الشَّادُّ
قال : وَلَمَّا قَرَّرْتَ نَحْوَ مَا هُنَا . . وَافَقَ الْأَكْثَرُونَ ؛ كَالْأَجْلَاءِ : الْفَاضِلِ السَّيِّدِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُسَيْنٍ ^(١) ، وَالسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ حَامِدِ بْنِ عَمْرِ ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ
بَاكثِيرٍ ، وَالشَّيْخِ عَوْضِ الصَّبَّانِ ، وَعَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرٍ ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ شَيْخِ بْنِ
مُحَمَّدٍ ، وَجَعْفَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَسَالِمَ بْنِ صَافِي ، وَالشَّيْخِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ بَارِجَاءَ ،
وغيرهم .

وخالفَ الشَّيْخَانِ عَمْرُ عبيدٍ ومُحْفُوظُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ آلِ حَسَّانَ ، وَأَشْتَدَّ الْجِدَالُ ،
وتشادقتِ الرِّجَالُ ، وَأُحْضِرَ « الْإِيْعَابُ » وَفِيهِ مَا هُوَ أَصْرَحُ مِنْ « التُّحْفَةِ » وَقَدْ نَظَّمَهُ ^(٢)
الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بَاكثِيرٍ بِقَوْلِهِ [مِنَ الرِّجَالِ] :

وَمَنْ يَسِرْ مِنْ نَحْوِ (سَيُّئُونَ) إِلَى	زِيَارَةِ النَّبِيِّ هُوْدٍ مَثَلًا
وَكَانَ لَمَّا وَصَلَ (الْغَنَّا) نَوَى	عَوْدًا إِلَى (سَيُّئُونَ) بَعْدَ أَنْ أَوَى
فَالآنَ لَا تُرَخِّصَنَّ لَهُ وَلَا	حِكْنَ إِنْ يُجَدِّدَ قَضَدَ هُوْدٍ مُقْبَلًا
فَفِي الذَّهَابِ وَالْإِيَابِ كَانَ لَهُ	تَرْخُصٌ وَالنَّقْلُ فِي ذِي الْمَسْأَلَةِ
جَاءَ صَرِيحُ النَّصِّ فِي « الْإِيْعَابِ »	عَزَاهُ فِي « الْمَجْمُوعِ » لِلْأَصْحَابِ
وَالشَّافِعِيِّ وَهُوَ أَنَّ مَنْ أَتَى	لِلْحَجِّ مِنْ بِلَادِهِ مُوقَّتًا
ثُمَّ أَتَى (مَكَّةَ) نَاوِيًا إِقَامًا	مَةً تُنَافِي نَحْوَ قَضَرٍ مُطْلَقًا
فَلْيَرْخِّصَنَّ ذَهَابًا وَإِيَابًا	وَذِي وَتِلْكَ كَالْغُرَابِ وَالْقُرَابِ

ومَعَ هَذَا أَصَرَّ الشَّيْخَانِ عَمْرُ وَمُحْفُوظُ عَلَى خِلَافِي ، فَأَنَا أُمَهِّدُ الْعُذْرَ لِمَنْ أَنْكَرَ
عَلَيَّ بَعْدُ ؛ لِأَنَّ لَهُ بِهِذَيْنِ عَلَى ثَقُوبٍ فَهَمَّهُمَا أُسُوءٌ .

(١) والد السيد علوي المذكور آنفًا .

(٢) وللشيخ محمد باكثير نظم لكثير من المسائل الفقهية والنحوية وقبورها .

هَذَا حَاصِلُ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَوْلَدُ عَلَوِيِّ فَتَذَكَّرْتُهُ .

وَبَعْدَ هَذَا كَلَّمَهُ ذَكَرْتُ أَنَّ سَيِّدِي الْأُسْتَاذَ الْأَبْرَّ عِيدَرُوسَ بْنَ عَمَرَ فِي زِيَارَتِهِ السَّابِقِ ذَكَرُهَا أَقَامَ بِتَرِيمٍ قَبْلَ أَنْ يُنْشِئَ السَّفَرَ إِلَى الشَّعْبِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ صَحِيحَةٍ وَهُوَ يَقْصُرُ وَيَجْمَعُ كَمَا تَقَدَّمَ ، وَكَفَى بِهِ حُجَّةً ، وَلَوْ أَنَّنِي ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ عِبِيدٍ وَمَحْفُوظِ آلِ حَسَّانَ . . لَأَدْعَنَا لِمَا ذَهَبْتُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنِّي نَسِيتُ ، وَمَا أَنْسَانِي إِلَّا الشَّيْطَانُ .

أَمَّا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ : « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » . . فَقَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ ، وَالْأَكْثَرُونَ عَلَى أَنَّهُ عَامٌّ مَخْصُوصٌ بِالْمَسَاجِدِ ، فَلَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا لِتَقَارِبِهَا فِي الْفَضِيلَةِ . . مَا عَدَا الثَّلَاثَةَ ؛ لِمَيَّزِهَا بِزِيَادَتِهَا فِيهِ ؛ إِذْ لَا يَحْرُمُ بِالْإِتِّفَاقِ شَدُّهَا لِلتَّجَارَةِ وَطَلَبِ الْعِلْمِ وَزِيَارَةِ الْأَحْبَابِ وَالصَّالِحِينَ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ قَدْ نَصَّ إِمَامُ الْحَرَمِينَ - وَمِثْلُهُ الْقَاضِي حُسَيْنٌ - عَلَى تَحْرِيمِ السَّفَرِ لِزِيَارَةِ الْقُبُورِ ، وَاخْتَارَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضٍ فِي « إِكْمَالِهِ » ، وَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ مُتَأَخِّرِي الْمَالِكِيَّةِ ، وَقَامَ وَقَعْدَ فِي ذَلِكَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو تَيْمِيَّةَ ، وَخَطَّاهُ قَوْمٌ ، وَصَوَّبَهُ آخَرُونَ ، وَمَعَهَا يَكُنْ مِنَ الْأَمْرِ . . فَلْيَسَعُهُ مَا وَسَّعَ الْجَوْنِيُّ وَالْقَاضِي حُسَيْنٌ وَعِيَاضٌ ، وَلَكِنَّهُمْ أَفْرَدُوهُ بِاللُّومِ ، وَالْقَوْلُ وَاحِدٌ .

وَقَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ : مَنْ نَذَرَ الْمَشْيَ إِلَى مَسْجِدٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ لِيُصَلِّيَ فِيهِ . . كَرِهْتُ ذَلِكَ ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ » .

وَقَالَ أَبُو كُجٍّ - مِنْ كِبَارِ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ - : إِنَّ الزِّيَارَةَ قُرْبَةٌ تَلْزَمُ بِالنَّذْرِ .
وَالْخَطْبُ يَسِيرٌ لَمْ يُوسَّعْ إِلَّا الْحَسَدُ وَالتَّعَصُّبُ ، وَإِلَّا . . فَالْتَّشَرُّيبُ فِي مَوْضِعِ
الْإِخْتِلَافِ مَمْنُوعٌ .

وَأَيَّامُ الشَّعْبِ - بِمَا فِيهَا مِنَ الصِّفَاءِ وَالْأَنْسِ وَالْأَفْرَاحِ وَالْمَزَاوِرَاتِ - أَشْبَهُ بِأَيَّامِ مَنْى^(١)

(١) وَذَلِكَ مِنْ عِدَّةِ وَجُوهِ ؛ مِنْهَا : أَنَّ الْإِقَامَةَ بِهَا لَا تَتَجَاوَزُ الْأَرْبَعَةَ أَيَّامًا . وَالرُّوحَانِيَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَغْمُرُ الْحُضُورَ . وَأَنْ غَرَضَ الْقَادِمِينَ إِلَيْهَا هُوَ التَّعْبُدُ وَالْخُلُوةُ فِي ذَلِكَ الشَّعْبِ . وَوُجُودُ الْأَسْوَاقِ بِهَا كَمَا فِي مَنْى . وَكَوْنُهَا فِي وَادٍ لَا يَقْصِدُهُ أَحَدٌ إِلَّا فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ الْمَوْسَمِ وَخُلُوهَ بَاقِيِ أَيَّامِ السَّنَةِ .

مِنَ الْجَرَادَةِ بِالْجَرَادَةِ ، وفيها الدُّعَاءُ يُجَابُ ، وَالْغَمَى تَنْجَابُ^(١) ، وَالرُّحْمَى لَا تَنْتَقِرُ^(٢) ، وَشَقَاشِقُ الْخَطْبَاءِ لَا تَقْرُ ، وَثَمَّ تَذَرُفُ الْعَيُونُ ، وَتَغْرُقُ الْجَفُونُ ، وَتَبْتَلُ الْأَرْدَانُ^(٣) ، وَتَقْشَعُرُ الْأَبْدَانُ ، وَتَرْجِفُ الْقُلُوبُ ، وَيَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ ، وَيَتَحَدَّثُ النَّاسُ فِي خُطَابَةِ جَدِّي الْمَحْسَنِ بِتِلْكَ الْمَشَاهِدِ عَنْ أَمْرِ عَظِيمٍ .

وَقَدْ عَلِمَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ أَنَّهُ إِذَا قَالَ : أَمَّا بَعْدُ . . فَهُوَ خَطِيبُهَا^(٤) وَتَتَعَقَّدُ ثَمَّ الْأَسْوَاقُ الْمَجْلُوبَةُ إِلَيْهَا الْأَغْنَامُ وَالْإِبِلُ مِنْ أَطْرَافِ بِلَادِ الْمَهْرَةِ وَالْمَنَاهِيلِ ، غَيْرَ أَنَّ الْآخِرِينَ^(٥) لَا يُمَكِّنُونَ الْأَوَّلِينَ^(٦) مِنْ دُخُولِهَا إِلَّا فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ ، أَمَّا مَا قَبْلَهُ . . فَلَهُمُ الْأَثَرَةُ بِهِ .

وَمِنْ وَرَاءِ شَعْبِ نَبِيِّ اللَّهِ هُودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَادِي يَنْحُبُ^(٧) ، وَوَادِي يَسْحَرُ .

ثَمَّ : مَقَاشِغُ ، وَهِيَ قَرْيَةٌ بِالْيَمَةِ لَيْسَ بِهَا إِلَّا الْأَنَارُ الْقَدِيمَةُ . ثَمَّ : سَنَا .

وَفِي « شَمْسِ الظُّهَيْرَةِ » [٣٢٨/١] فِي ذِكْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ يَبْحَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَذَلَقَاتِ : (مِنْ عَقِبِهِ آلُ بَيْتِ الْهَادِي بِالْبَادِيَةِ : بِالْجَزْعِ وَرَاطِحِ ، وَآلُ بَارُزِينَةَ بِالْجَزْعِ ، وَسَنَا قُرْبَ هُودٍ ، وَآلُ مَخْضَرَمَ بَسْنَا وَقُغَمَهُ) اهـ

وَفِيهَا أَنَاسٌ مِنْ آلِ تَمِيمٍ .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ سَنَا عَلَى أَسْمٍ : سَنَا بِنِ السَّكُونِ بِنِ الْأَشْرَسِ بِنِ كِنْدَةَ ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي

(١) تَنْجَابُ : تَنْشَقُّ .

(٢) تَنْتَقِرُ : تَخْصُصُ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ .

(٣) الْأَرْدَانُ : الْأَكْمَامُ ، وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ شِدَّةِ الْبَكَاءِ ؛ حَيْثُ لَمْ يَبْقَ مَعَ الْبَاكِي مَنَادِيلُ يَمْسَحُ دُمُوعَهُ بِهَا فَيَمْسَحُهَا بِأَكْمَامِهِ .

(٤) الْبَيْتُ مِنَ الطَّوِيلِ .

(٥) أَيِ : الْمَنَاهِيلِ .

(٦) أَيِ : أَهْلُ الْمَهْرَةِ .

(٧) بَفَتْحِ فَسْكَوْنِ فِضْمٍ ، وَإِدِّ بِالْغَرَبِ مِنْ سَنَا فِيمَا وَرَاءَ شَعْبِ النَّبِيِّ هُودٍ ، وَهُوَ مِنَ الْأَوْدِيَةِ الَّتِي تَسِيلُ مِنْ نَجْدِ الْمَنَاهِيلِ فَتَصُبُّ جَنُوبًا فِي وَادِي حَضْرَمَوْتَ . « مَقْهَفِي » (١٩٢٦/٢) .

« روضة الألباب وتحفة الأحاب » لعز الإسلام محمد بن عبد الله بن علي بن الحسين الشهير بأبي علامة : أن تريم وشبام وسنا بنو السكون بن الأشرس بن كندة بن عفير ، وذكر أن تريماً وسناً بحضرموت .

وقد سبق هذا في شبام ، لكن المقصود هنا : كون سنا بحضرموت ، سواء كان ابن السكون أو ابن حضرموت .

ومن أقرب شيء أن تكون سنا هذه على اسم حَسَبما جرت عادتهم بذلك من تسمية البلاد بأسماء الشَّكَّان .

وفي آخر « فتاوى شيخنا المشهور » عن الغساني : أن حضرموت ابن سبأ الأصغر ؛ فمن ولده : الحارث وفوه وسيان وربيعه وشبام وسبأ . اهـ والظاهر أن سبأ المعطوف على شبام محرف عن سنا بالفوقية ؛ ليوافق ما في « روضة الألباب » من جهة .

طُبُوقُم

على عشرين ساعة من سنا إلى جهة الشرق بليدة يقال لها : طُبُوقُم ، لا يُقيم بها الشَّكَّان إلا ريشما يزرعون ويحصدون .

وقبيلها : موضع سد سنا^(١) السابق ذكره في الحسيّة - على الصورة المذكورة آخر هذه الصفحة - فالأخدود ما بين الخطين الأحمرين ، وقد أنخفض الآن أنخفاضاً هائلاً .

والبياض الذي بجانب الخطين الأحمرين والأزرقين هو مستوى الأرض .

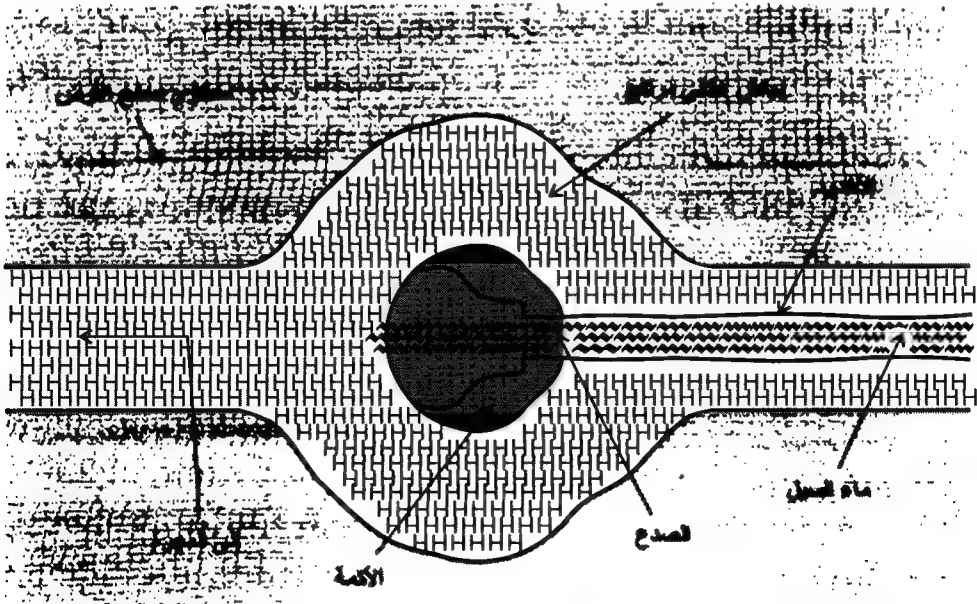
(١) سد سنا : هو سد قديم كانت تنهر إليه سيول الأمطار النازلة من نجد المناهيل ثم تذهب إلى بلاد المهرة . وقد كانت المنطقة الواقعة بين قبر هود عليه السلام ووادي سنا من أخصب البقاع في حضرموت ، ومن أكثرها خيرات وأوفرها غلات ، ولكن حينما انهد هذا السد الذي كان قائماً في شمال وادي سنا فيما يرجع إلى ما قبل الإسلام . . أجذبت تلك المنطقة وأجذب معها كل الوادي إلى المهرة . اهـ « مقحف » (٨١٤ / ١) .

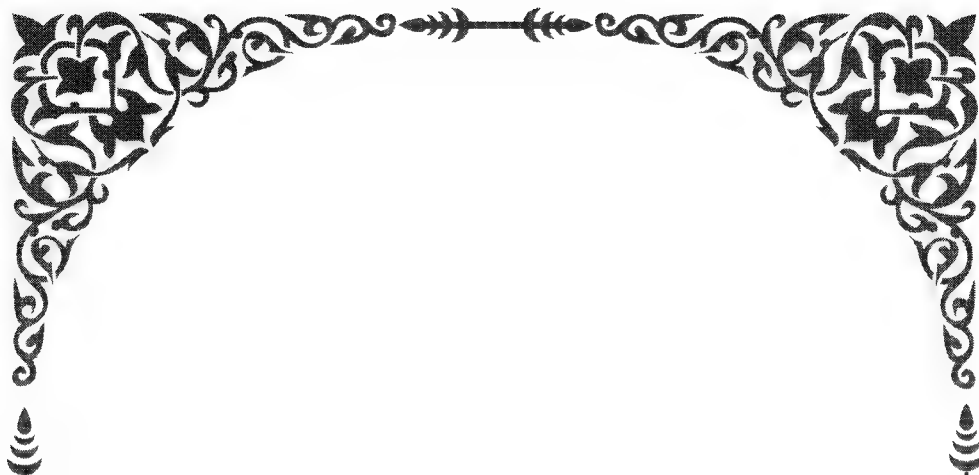
والبياضُ الّهلالِيّ في الجانبينِ كانَ مرتفعاً عن سطحِ الأرضِ بقليلٍ ، ومنهُ تفيضُ السُّيولُ ؛ لأنّها متى أقبلتْ . . صدمتها ألاكامُ المرسومةُ بالحمرةِ فأرتدتْ إلى جانبيها المرسومينِ بالزُّرقَةِ ، ثمَّ لا تفيضُ إلا من ذينكَ الجانبينِ ، ومنهما تنهرُ إلى أرضِ المهرةِ ، غيرَ أنَّ الأكمةَ المرسومةَ بالحمرةِ كانت رخوةً فصَدَعَهَا السَّيْلُ ، ومنذُ جَرَفَتْهَا . . بدأ يخذُ في الأرضِ ، فأرتفعَ سطحُها عن مجرى السَّيْلِ ، وكلّما أعمقَ الماءُ في الأخدودِ . . زادَ حرمانُها منَ الماءِ .

وزعمَ بعضُ أهلِ الحَدَسِ والنَّظَرِ منَ أهلِ شبام أنَّهم يعرفونَ وصولَ ماءِ السَّيْلِ إلى النُّقْرةِ بزيادةِ جَريِ الماءِ في المسيلِ الواقعِ في جنوبِ شبام ؛ إذ يكونُ جَريُّه قَبْلَ وصولها رهواً ، فإذا أنتهى إليها . . أشتدَّ جدّاً . وهو مقبولٌ ؛ إذ قالوا بأنَّ الحجرَ السَّاقِطَ منَ علوِّ أو الماءِ المنصبِّ منه تتضاعفُ قوَّتُه بمقدارِ بُعْدِ المسافةِ ، وهذا من نوعهِ ، وقد سَبَقَ في النُّقْرةِ والحسيِّيةِ والكُسْرِ ما يتعلَّقُ بهذا^(١) .

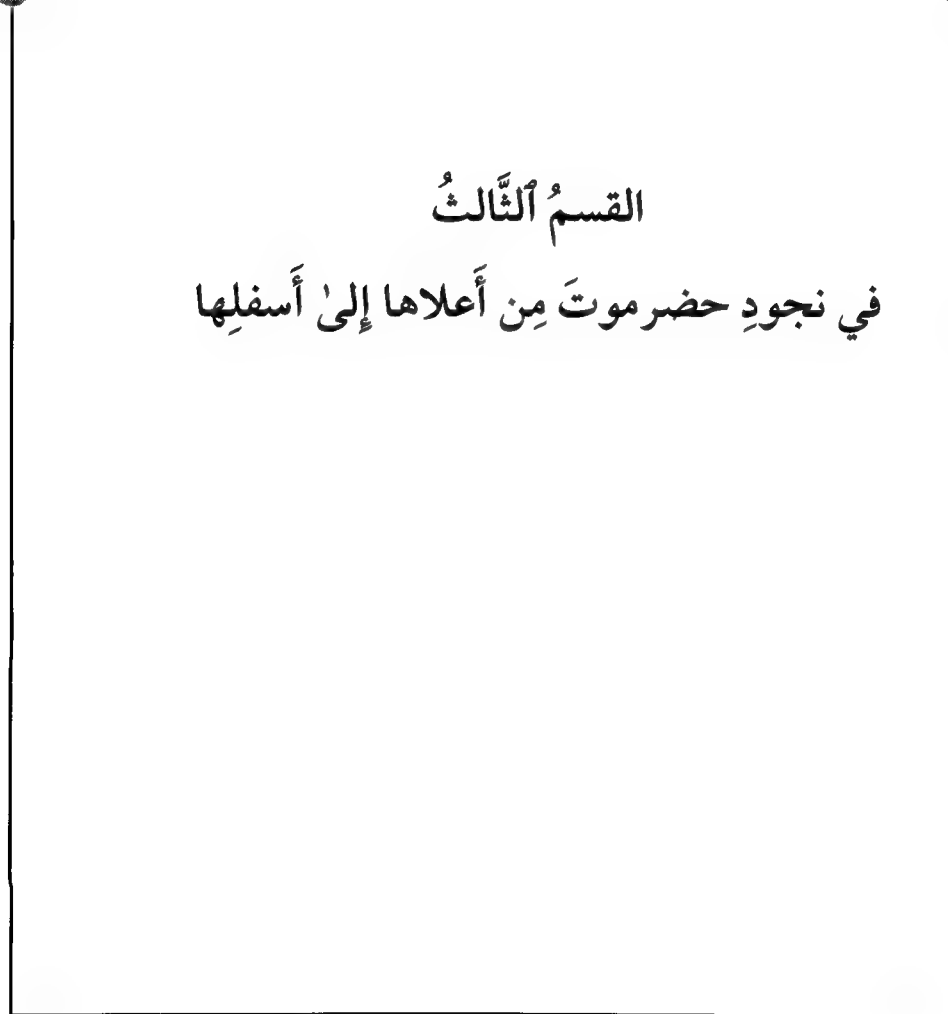
* * *

(١) وهذه صورة تقريبية لما أراده المؤلف رحمه الله تعالى .





القسمُ الثالثُ
في نَجودِ حُضرموتَ مِنْ أَعلاها إِلى أَسفلِها



1. The first part of the document discusses the importance of maintaining accurate records of all transactions and activities. It emphasizes that proper record-keeping is essential for transparency and accountability, particularly in financial matters. The text suggests that organizations should implement robust systems to track every aspect of their operations, from procurement to sales, to ensure that all data is reliable and accessible.

2. The second section focuses on the role of technology in modern business operations. It highlights how digital tools and software can streamline processes, reduce errors, and improve overall efficiency. The author argues that embracing technology is not just a competitive advantage but a necessity for staying relevant in today's fast-paced market. Examples of various digital solutions are provided, along with advice on how to select and integrate them effectively.

3. The third part of the document addresses the challenges of managing human resources. It discusses the importance of hiring the right talent, providing ongoing training, and fostering a positive work environment. The text notes that while technology can assist in many tasks, the human element remains irreplaceable. Strategies for recruitment, retention, and professional development are outlined, emphasizing the need for clear communication and fair compensation.

4. The final section covers the importance of financial management and budgeting. It explains how a well-defined budget can help organizations allocate resources wisely and avoid unnecessary expenses. The author provides practical tips for monitoring financial health, such as regular audits and maintaining a contingency fund. It also touches upon the importance of understanding tax implications and seeking professional advice when needed.

القسمُ الثالثُ

في نجودِ حضرموتٍ من أعلاها إلى أسفلها

إعلم : أنَّ ما سبقَ في القسمينِ الأولِ والثَّاني كُلَّهُ غَوْرٌ^(١) ، إلَّا ما كانَ من نحوِ
الضُّلَيْعَةِ وبعضِ ما قبلَهَا في الثَّاني ؛ فَإِنَّهَا مِنَ السَّوْطِ ؛ فَإِنَّهُ نَجْدٌ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ، فِيهِ
مُضَارِبُ آلِ بَلْعَيْدٍ ، وَهُمْ قَبِيلَةٌ لَا تَزَالُ لَهَا خَشُونَتُهَا إِلَى الْيَوْمِ - كَمَا سَبَقَ - لَا يِبَالُونَ
بِعَسْكَرِ الْقُعَيْطِيِّ ، بَلْ كُلَّمَا لَاقَوْهُمْ .. قَتَلُوهُمْ . وَهُمْ عِدَّةُ دِيَارٍ : آلُ مَزْعَبٍ ، وَآلُ
بَاكِرْشٍ ، وَالْجَهْمَةُ ، وَسَلَّمٌ ، وَبَلْخُولٍ ، يُقَدَّرُ مَجْمُوعُهُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ رَامٍ .

وَفِي « سَبَائِكِ الذَّهَبِ » : (أَنَّ بَنِي الْعُبَيْدِ - بَضْمُ الْعَيْنِ - : بَطْنٌ مِنْ سَلِيحٍ مِنْ
قِضَاعَةٍ ، وَهُمْ مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ ، وَإِلَيْهِمْ يَشِيرُ الْأَعَشَى بِقَوْلِهِ [فِي « دِيَوَانِهِ » ١٣٥ مِنْ
أَلْوَاغٍ] :

وَلَسْتُ مِنْ أَلْكَرَامِ بَنِي الْعُبَيْدِ

وَالنَّسَبَةُ إِلَيْهِمْ : عُبَيْدِي ؛ كَمَا قَالَ وَافِي هَذِيلٍ : هَذَا لِي) .

وَقَالَ فِي « الْعَبَرِ » : (كَانَ لَهُمْ مَلِكٌ يَتَوَارَثُونَهُ بِالْحَصَنِ الْحَصِينِ الْبَاقِيَةِ آثَارُهُ فِي
بَرَّةٍ سَنَجَارٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْفَرَاتِيَّةِ ، إِلَى أَنْ كَانَ آخِرُهُم الضَّيْرُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْعُبَيْدِ) أَهـ
وَالْعُبَيْدُ هُوَ ابْنُ الْأَبْصَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أَشْجَعِ بْنِ سَلِيحِ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ
الْحَافِي بْنِ قِضَاعَةٍ .

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ بِهِ كَوْنُ آلِ بَلْعَيْدٍ أَهْلِ السَّوْطِ هُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ .. وَجُودُهُمْ فِي نَوَاحِي
قِضَاعَةٍ ، وَقُرْبُهُمْ مِنْ يَبْعَثَ ، وَقَدْ سَبَقَ فِيهِ أَنَّ سَكَانَةَ الَّذِينَ كَتَبَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبْنَاءِ ضَمْعَجٍ ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ ضَمْعَجٍ ، وَأَنَّ ضَمْعَجَ هُوَ

(١) أَيْ : مُنْخَفَضٌ مِنَ الْأَرْضِ .

أَبْنُ سَعْدِ بْنِ سَلِيحٍ بْنِ حُلْوَانَ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ الْحَافِي بْنِ قِضَاعَةَ .

وَلِسَلِيحٍ الْقُضَاعِيُّ خَبِرَ مَعَ غَسَّانَ أَسْتَوْفَاهُ أَبْنُ شَرِيَّةَ^(١) ، وَسَبَقَ ذَرُوءُ مِنْهُ فِي يَبِيعَثَ .
وَأَمَّا نُجُودُ حَضْرَمَوْتَ . . فِقِسْمَانِ :

أَحَدُهُمَا : الْجَنْبِيُّ ؛ وَفِي أَعْلَاهُ : كَوُزُ سَيِّبَانَ ، وَالْحَالِكَةُ ، وَالْمَكَابِرَةُ ،
وَالْخَرِبَةُ ، وَبَحْسَنَ .

وَمِنْهَا تَكُونُ الطَّرِيقُ مِنَ السَّاحِلِ إِلَى وَادِي حُمَمَ ، ثُمَّ الْخَرِبَةُ ، وَدَوْعُنُ .
وَوَادِي حُمَمَ^(٢) ، هُوَ وَادٍ طَوِيلٌ كَثِيرُ النَّخِيلِ وَالْأَشْجَارِ وَالْعَيُونِ ، يَسْكُنُهُ آلُ
بَاهَبَرِيِّ ، مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وَلَهُمْ ذِكْرٌ كَثِيرٌ وَلَا سَيِّمَا فِي حُرُوبِ الْقَرْنِ الْعَاشِرِ ، وَفِيهِ
نَاسٌ مِنَ السَّادَةِ آلِ الْعَطَّاسِ وَغَيْرِهِمْ .
ثُمَّ : حُورِيَّةُ^(٣) .

وَمِنْهَا تَنْشَعِبُ الطَّرِيقُ إِلَى وَادِي الْعَيْنِ ، وَإِلَى وَادِي بَنِ عَلِيٍّ .
وَفِي شِمَالِ حُورِيَّةٍ إِلَى الشَّرْقِ : رِيْدَةُ الْمَعَارَةِ وَرِيْدَةُ الْجُوْهِيَّيْنَ ، وَمِنْهُمَا تَشْرَعُ
الطَّرِيقُ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَإِلَى عَقْبَةِ الْفَقْرِ ، وَعَقْبَةِ الْعَرْشِ ، وَعَقْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ غَرِيبٍ ،
وَعَقْبَةُ عَيْثِهِ ، تَنْزِلُ هَذِهِ كُلُّهَا إِلَى السَّاحِلِ ، وَقَدْ أَصْلَحَتْ فِي الْأَخِيرِ طَرِيقٌ لِلْسِّيَّارَاتِ
فِي هَذَا الْجَبَلِ .

وَالْمَسَافَةُ بِمَشْيِ السِّيَّارَةِ بِالتَّقْرِيْبِ مِنَ الْغُرَفِ إِلَى أَوَّلِهِ - عَقْبَةُ الْغَزِّ - نَحْوُ ثَلَاثِ

(١) هُوَ عُبَيْدُ بْنُ شَرِيَّةَ الْجَزْهُمِيُّ ، تُوْفِيَ حَوَالِي (٦٧هـ) ، رَاوِيَةٌ مِنَ الْمَعْمَرِيْنَ ، إِنْ صَحَّ وَثِيْقُ وَجُودِهِ . .
فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ صَنَّفَ الْكُتُبَ مِنَ الْعَرَبِ ، مِمَّا يَنْسَبُ لَهُ : « كِتَابُ الْمُلُوكِ وَأَخْبَارُ الْمَاضِيْنَ » طُبِعَ مَعَ
كِتَابِ : « التَّيْجَانِ وَمُلُوكِ حَمِيرِ » الْمُنْسُوبِ لِابْنِ هِشَامٍ ، وَسَمَّاهُ نَاشِرُهُ : « أَخْبَارُ عُبَيْدِ بْنِ شَرِيَّةٍ فِي
أَخْبَارِ الْيَمَنِ وَأَشْعَارِهَا وَأَنْسَابِهَا » . وَلَهُ : « كِتَابُ الْأَمْثَالِ » ، وَيَرَى بَعْضُ الْمُسْتَشْرِقِيْنَ أَنَّ عُبَيْدًا هَذَا
مِنْ مَخْتَرَعَاتِ بَعْضِ الْمُؤَرِّخِيْنَ ، يَنْظُرُ : « الْأَعْلَامُ » (١٨٩/٤) .

(٢) يَنْظُرُ فِي وَصْفِ هَذَا الْوَادِي وَالطَّرِيقِ الْمُؤَدِيَةِ مِنَ السَّاحِلِ عِبْرَهُ إِلَى وَادِي دَوْعَنِ . . كِتَابُ « الشَّامِلِ »
(٨٩ - ٩١) وَمَا بَعْدَهَا .

(٣) حُورِيَّةٌ : قَرْيَةٌ وَوَادٍ فِي طَرِيقِ الْقَوَافِلِ لِلْقَادِمِ مِنَ الْحَرَشِيَّاتِ ، وَرَأْسُ حُورِيَّةٍ الْآنَ هُوَ مَفْرَقُ الطَّرِيقِ
الْمُؤَدِيَةِ إِلَى وَادِي دَوْعَنِ الْيَمَنِ وَالْأَيْسَرِ ، يَنْظُرُ تَفْصِيلَ هَذِهِ الطَّرِيقِ فِي « الشَّامِلِ » (٩١ - ٩٣) .

ساعات ، ومنها إلى ريدة الجوهيين والمعاراة ثلاث ساعات .

ومن الرّيدتين إلى عقبة الفقره يكثرُ آلازورارُ والانعطافُ ؛ لكثرة القورِ والسناخيبِ
بذلك الطّرفِ ، فبطُن ذلك الجبلِ الَّذي يلي حضرموتَ أشبهُ بظهرِ الضّبِّ ، وأمّا ما يلي
عقبة الفقره في شمالها . فأشبهُ بذنبه ، والسّيّاراتُ فيه يحيطُ بها خطرُ السّقوطِ إذا لم
يَمُهرَ السّائقونَ .

والمسافةُ إلى الفقره نحو ثلاثِ ساعاتٍ .

ومنها إلى الشّحرِ نحو ساعتين^(١) .

وفي هذا النّجدِ جُولُ عبول ، وهو الَّذي توفّي به سيّدنا العيدروسُ الأكبرُ مرجعه
من الشّحرِ إلى تريم^(٢) ، على ثلاثِ مراحلٍ من تريمَ ومرحلتين من الشّحرِ .

وفيه أيضاً : مَقْدُ الْعَبِيدِ^(٣) ، سَمِّيَ بذلك لسببِ يتعالَمُ به الحضارمةُ ولا ندرى
ما نصيبه من الصّحّة ، إلّا أنّ آثارَ القبولِ ظاهرةٌ عليه ؛ وهو : أنّ أحدَ سلاطينِ
حضرموتَ باتَ به مع عبيده في ليلةٍ شاتيةٍ ، وهو ممّا ينطبقُ عليه قولُ أبي الطّيبِ (في
« المعبري » ١٨/١ من الكامل) :

وَعِقَابُ لُبْنَانٍ وَكَيْفَ يَقْطَعُهَا وَهُوَ الشِّتَاءُ وَصَيْفُهُنَّ شِتَاءُ

فجمعوا عليه الرّحَالَ والفراشَ ، وباتوا هم في نقلِ الحجارةِ من مكانٍ إلى آخر .
فأندفعَ عنهم البردُ بحرارةِ الأعمالِ ، وأصبحَ السّلطانُ ميتاً من شدّته .

وفي أواخرِ هذا النّجدِ : غَيْلُ بَنِ يَمِينِ^(٤) ، ولسويدِ بنِ يَمِينِ ذِكْرٌ كثيرٌ في شعرِ إمامِ
الإباضيةِ إبراهيمِ بنِ قيسٍ ، وقلْتُ في « الأصل » : يحتَمِلُ أن يكونَ سويدُ صاحبَ

(١) لمعرفة تفاصيل هذه الطرق والوديان . يراجع « الشامل » (٩١) و (١٠٣) وما بعدها .

(٢) « المشرع » (٣٦١ / ٢) .

(٣) وهذا المقد في طريق النازل من رأس حويرة إلى وادي دوعن ، والمقد : هو كل موضع جبلي صعب
الصعود ، وأطلق على بعض المواضع .

(٤) غيل بن يمين : بلدة في وادي المسيلة ، ترتبط إدارياً بمديرية الشحر ، وتبعد عنها أكثر من
(٢٠٠ كم) ، كما تبعد عن سيئون نحو (١٥٠ كم) ، وتصب سيولها في وادي سنا .

هذا الغيل ، ويحتمل أن يكون المراد من شعر إبراهيم إنما هو جد آل يمين النهديين الموجودين اليوم بالشور ، وسُقولة اليمنة ، على مقربة من طريق حريضة .

وقد سبق في حجر : أن طائفة من آل دغار يُقال لها : آل ابن يمين لا تزال بقاياها بقرية في حجر يُقال لها : الحسين ، فلا يبعد أن تكون هي ، لا سيما وأن القرائن المتوفرة في شعر إبراهيم بن قيس تؤكد ذلك .

ويُقال للغيل المذكور : غيل السناظير أيضاً ؛ نسبة ليافع الذين استولوا عليه وقت اقتسامهم لحضرموت .

وفي حوادث سنة (٩٣٦هـ)^(١) استولى السلطان بدر بوطويري على غيل ابن يمين ، ونهب أولاد يمين وطردهم ، فاجؤوا إلى الحُموم ، وما كاد يتصل هذا الخبر بالسلطان محمد أخي بدر بوطويري . . . إلا وتكدّر وأغتاط وأظهر أنه محشوم ، واتسع الخلاف بينه وبين أخيه ، إلى أن سَفَرَ المصلحون ، وأرجع بدر أمر الغيل إلى أخيه محمد فردّه لأولاد يمين .

وفي رحلة السلطان عمر بن صالح هرهرة أن جعفر بن يمين قُتل مع السلطان عمر بن جعفر الكثيري في المعركة التي كانت بين يافع وآل كثير في بخران سنة (١١١٧هـ) .

وللغيل هذا ذكر كثير في أخبارهم وحروبهم ، ثم استولت عليه طائفة من يافع يقال لهم السناظير ، ولذا ينسب بعضهم إليهم كما سبق في تريم .

وسيول هذا الغيل تدفع إلى وادي سنا ، وأمّا ماؤه الجاري . . فالغالب عليه الإهمال .

وهو من النقاط المعينة لسلاطين آل عبد الله الكثيري في المعاهدة ذات الإحدى عشرة مادة ، ولم يُذكر في وثيقة اقتسام الممالك بين السلطانتين منصور ومحسن أبني غالب بن محسن ، المحررة فاتحة رجب سنة (١٣٣٦هـ) ، فهو باق بينهما على

(١) تفاصيلها في « تاريخ بافقيه » (١٩٢) .

الشَّرَكَةِ الشَّائِعَةِ ، وَأَكْثَرُ مُعَوَّلِ الدَّوْلَةِ الْكَثِيرِيَّةِ فِي حِمَايَتِهِ عَلَى الْحُمُومِ إِزَاءَ أَمْتِيَّاتٍ لَهُمْ فِيهِ ، وَهُمْ الَّذِينَ طَرَدُوا عَنْهُ الشَّنَاطِيرَ مِنْ يَافِعِ سَنَةِ (١٢٧٥ هـ) .

وفيه جماعةٌ من ذُرِّيَةِ السَّيِّدِ عَمَرَ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ قَطْبَانَ ، وبالبادية حوَالِيهِ جماعةٌ من بادِيَةِ الْعُلُوِّيِّينَ^(١) كَبَيْتِ سَهْلٍ ، وَبَيْتِ حُمُودَةَ ، وَبَيْتِ قَزْمُوصٍ ، وَبَيْتِ عَقِيلٍ ، وَبَيْتِ الْحَنْشَشِ ، وَبَيْتِ مَحْسَنِ ، وَبَيْتِ الْأَخْصَفِ ، وَبَيْتِ كَذْحُومِ^(٢) .

منهم جماعةٌ أَشْتَهَرُوا بِالنَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ الْخَارِقَةِ ؛ كَالسَّيِّدِ حَسَنِ بِالْحَنْشَشِ ، وَالسَّيِّدِ عَمِيرٍ ؛ فَقَدْ كَانَا مُضْرِبَ الْأَمْثِلِ فِي ذَلِكَ .

..... إِنْسَاءً إِذَا نَزَلُوا ، جِنَاءً إِذَا رَكِبُوا

لا ، بَلْ كَانُوا جِنَاءً وَشِيَاطِينَ دَائِمًا ، حَتَّى إِنَّ الْأَمْهَاتِ لَيُرَوِّغْنَ بِهِمُ الصَّبِيَّانَ لَيْسَكْتُوَا عَنِ الْبِكَايَةِ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شَرًّا وَقِيَادَةً لِلْغَارَاتِ .

ومنها غَارَةٌ سَنَةِ (١٣١٨ هـ) ؛ فَقَدْ نَهَبُوا قَافِلَةَ الْحَجِيجِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْمَكَلَاءِ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ، وَفِيهَا السَّيِّدُ سَالِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ السَّقَّافِ ، وَالسَّيِّدُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْبَحْرِ ، وَكَانَ السَّيِّدُ حَسَنٌ بِالْحَنْشَشِ هُوَ الْقَائِدُ الْعَامُّ لَتِلْكَ الْغَزْوَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ بَعْدَ مَا نَهَبُوا الْحَاجَّ . . هَاجَمْتَهُمْ سِنْبَانٌ وَالْعَوَابِثُ وَهُمْ غَارُونَ فَقَتَلَتْ مِنْهُمْ نَحْوًا مِنْ خَمْسِينَ ، وَأَخَذَتْ مَا اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا مِنْ أَمْوَالِ الْحُجَّاجِ عَلَى نِيَّةِ إِرْجَاعِهِ لَهُمْ ، ثُمَّ خَاسُوا بِتِلْكَ النَّيَّةِ ، وَبَيْنَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ . . عَظَفَ عَلَيْهِمُ السَّيِّدُ حَسَنٌ بِالْحَنْشَشِ بِقَوْمِهِ وَكَثُرَتْ الْقَتْلَى مِنَ الْجَانِبِيِّينَ ، وَلَمْ يَحْجُزْ بَيْنَهُمْ إِلَّا حُرُّ النَّهَارِ ، وَكَانَ الْوَقْتُ خَرِيفًا .

(١) بادية العلويين تنسب إما : إلى أحمد بن أبي بكر السكران ، ومنهم الذين ذكرهم المؤلف ، أو : إلى علوي بن محمد مولى الدولة ؛ ومنهم : آل زحوم ، وببيت فدق ، أو : إلى أحمد بن الفقيه ، ومنهم : بيت بوبكر ، وببيت الرديني « المعجم اللطيف » (٦٦-٦٢) .

(٢) في « المعجم اللطيف » لم يذكر هذا الاسم ، لكن ذكر بيت دحوم وببيت كُحُوم وهم من آل أحمد السكران ، وببيت زحوم من آل مولى الدولة ، وهم غير آل زحوم آل بابجَار ، من فروع آل بابجابر سكان بروم . . فليعلم .

وهذه من كُبريات حوادثِ باديةِ حَضْرَمَوْتِ إِنْ لم تكن أَكْبَرُها على الإِطلاقِ ؛ فلقد
أُسْتَنْتَ مِنْ جِيفِهِمُ الْجِبَالُ وَسِنَقَتْ أَلْوَحُوشُ^(١) مِنْ لِحُومِهِمْ .

وفي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا النَّجْدِ طَرِيقٌ أُخْرَى لِلسَّيَّارَاتِ ، تَخْرُجُ مِنَ الْمَكْلَأِ ،
وَتَمُرُّ فِي أَعْلَى وادي حَمَمٍ إِلَى جِبَالِ دُوعَنْ ، ثُمَّ تَنْزِلُ بِجَحْيِ الْخَنَابِشَةِ ، وَمِنْهُ إِلَى
الْكَسْرِ ، ثُمَّ إِلَى شِبَامِ .

وَهَنَّاكَ تَتَّصِلُ الطَّرِيقَانِ ، وَتَدْخُلُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّجْدَيْنِ أَوْدِيَةٌ كَثِيرَةٌ كَعَمْدِ
وَوَادِي دُوعَنْ وَوَادِي الْعَيْنِ وَوَادِي بَنِ عَلِيٍّ وَشُحُوحٍ وَوَادِي تَارِبِهِ وَبَايُوتٍ وَالْقَرَى أَلَّتِي
فِي جَنُوبِ الْغُرَفِ إِلَى عَقْبَةِ الْغَزِّ .

فَهَذِهِ كُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي النَّجْدِ الْجَنُوبِيِّ ، وَكُوَادِي سَرٍ وَبَيْهَوْضٍ وَجُعِيمِهِ وَوَادِي مَدْرِ
وَوَادِي الذَّهَبِ وَالْخُونِ وَغَيْرِهَا ، فَكُلُّهَا دَاخِلَةٌ فِي النَّجْدِ الشَّمَالِيِّ كَمَا سَنَذْكُرُهُ بَعْدَ
أَسْطَرٍ .

وَأَمَّا الثَّانِي : فَالنَّجْدُ الشَّمَالِيُّ^(٢) ؛ وَهُوَ جَبَلٌ يَنْقَادُ مِنْ قُرْبِ سَيْنُحُوتَ شَرْقًا إِلَى
مَحَاذَاتِ الْعَبْرِ غَرْبًا ، إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَدِقُّ فِي طَرَفِيهِ ، وَتَعْقِبُهُ فِي الْغَرْبِ آكَامٌ وَقُورٌ^(٣) .
وَعَرَضُهُ تَارَةً يَنْبَسِطُ إِلَى مَسَافَةِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ ، وَأُخْرَى يَنْقَبِضُ إِلَى خَمْسَةِ أَيَّامٍ فَقَطْ ، وَمِنْهُ
تَنْشَعِبُ الْأَوْدِيَةُ إِلَى وَادِي الْجَابِيَةِ ، وَوَادِي سَوْرٍ ، وَوَادِي هَيْنَنٍ ، وَأَوْدِيَةُ سَرْزٍ ،
وَجُعِيمِهِ ، وَمَدَزٍ ، وَثَبِي ، وَوَادِي الْغَبِيرَا الَّذِي يَنْهَرُ إِلَى دَثُونٍ ، وَوَادِي الْخُونِ ،
وَسُوَيْدِفٍ ، وَوَادِي عَرْدِهِ ، وَوَادِي طُبُوقَمٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الظُّطِيِّ ، وَبَعْدَهُنَّ وَادِي عَشَارِهِمْ ،
وَهُوَ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَهْرِيِّ وَغَيْرِهَا .

وَأَرْتِفَاعُهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى الرَّمَالِ أَقَلُّ مِنْ أَرْتِفَاعِهِ فِي جِهَةِ جَنُوبِهِ إِلَى حَضْرَمَوْتِ
بِكَثِيرٍ ، حَتَّى لَقَدْ تَخْتَلَطُ أَطْرَافُهُ بِرَمَالِ الدَّهْنَاءِ ، كَمَا سَيَأْتِي عَنْ بَيْرِ ثُمُودَ .

(١) سِنَقَتْ : شَبَعَتْ إِلَى حَدِّ التَّخَمَةِ .

(٢) يَنْظُرُ تَفَاصِيلَ جُغْرَافِيَةَ هَذَا النِّجْدِ فِي « الشَّامِلِ » (١٢٠ - وَمَا بَعْدَهَا) .

(٣) تَكَرَّرَتْ كَلِمَةُ قُورٍ ، وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِهَا جَمْعُ قَارَةٍ ، وَالْقَارَةُ : هِيَ الْأَرْضُ ذَاتُ الْحِجَارَةِ السُّودَاءِ ، أَوْ هِيَ
الْجَبَلُ الصَّغِيرُ الْمُنْقَطِعُ عَنِ الْجِبَالِ .

وفي أوّل هذا التّجدِ غرباً : ريدة الصّيعر^(١) ، قال ألهمداني في عدادِ قرى
حضر موت : (وريدة العباد وريدة الحرّميّة)^(٢) .

وقال عمرو بن معد يكرب الزّبيدي [مِن الوافر] :

أولئك مغشّري وهم خيالي وجدي في كتيبتهم ومجدي
هم قتلوا عزيزاً يوم لَحَجٍ وعلّمة ابن سغد يوم نجدٍ
وما أظنه يعني إلا هذا التّجد ؛ لأنّه أقام طويلاً على مقربة منه بالكسر .

والصّيعر - كما عند ألهمداني^(٣) وأجمع عليه مؤرّخو حضرموت - : قبيلة من
الصّدف تنسب إليها ريدة ؛ ليفرق بينها وبين ريدة أرضين^(٤) .

وقال في موضع آخر : (وكان الصّدف بحضرموت من يوم هم ، ثمّ فاءت إليهم
كندة بعد مقتل ابن الجون يوم شعبِ جبلة لما أنصرفوا عن غمرِ ذي كندة ، وفيهم
الصّدف ، وتجيّب ، والعباد من كندة ، وبنو معاوية بن كندة ، ويزيد بن معاوية ،
وبنو وهب ، وبنو بدّا بن الحارث ، وبنو الرّائش بن الحارث ، وبنو عمر^(٥) بن
الحارث ، وبنو ذهل بن معاوية ، وبنو الحارث بن معاوية ، ومن السّكون فرقة ،
وفرقة من همدان يقال لهم : المَحَاتِل ، وفرقة من بلحارث بن كعب بريدة الصّيعر ،
وإليها تنسب الإبل الصّيعريّة ، والأسلّة الصّيعريّة ، وفيها يقول طرفة [في « ديوانه » ٢٠٢
مِن الطّويل] :

(١) تقع منطقة الصيعر في شمال غرب حضرموت ، يحدها من الشمال : الربع الخالي ، ومن الجنوب :
هين ، وسور ، وحصن الغراب ، ومن الغرب : الربع الخالي ويافع ، ومن الشرق : وديان سرّ .
وهذه المنطقة من أقفر مناطق القطر الحضرمي وأجدها ، وأنزرها ماءً ، وتندعم النباتات في
المرتفعات ، ولا ترى هناك أثراً يدل على الحياة ، وفي المنخفضات توجد شجيرات النبق والسنت
وقليل من الأعشاب القصيرة . « تاريخ البكري » (١٠٨/٢ - ١٠٩) .

(٢) صفة جزيرة العرب (١٧٠) .

(٣) في « الإكليل » (٤١/٢) .

(٤) ونسبهم كما في « الإكليل » : (بنو الصيعر بن الأشموس بن مالك بن خريم بن مالك الصدي) اهـ

(٥) في « الصفة » : (عمرو) .

وَبِالسَّفْحِ آيَاتٍ كَأَنَّ رُسُومَهَا يَمَانٍ وَشَتَهُ رَيْدَةً وَسُحُولٌ (١) اهـ

وقد ناقشناه في «الأصل» إذ زعم أن فئنة كندة إلى الصدف بحضرموت أول عهدهم بها ؛ إذ لا يتفق مع وجود السبعين ملكاً منهم بها متوجين ؛ آخرهم الأشعث بن قيس .
وقد صرح بأن العباد من كندة ، وفي «التاج» [٣٣٨/٨] و«أصله» : (أن العباد من القبائل الستى التي اجتمعت على النصرانية ، مع احتمال أن يكون جد العباد الكنديين أحد أولئك ؛ فإنه لا مانع منه) .

وفي [٧٨/٨] من «خزانة الأدب» للبغدادى : (أن الصدف بطن من كندة ينسبون اليوم إلى حضرموت) اهـ

وقد تفرع كثير من قبائل حضرموت عن الصنير كما تكرر مثله في هذا المجموع كآل باجمال ، وآل باضهي ، وآل بابقي ، وآل باحنين ، وآل باكثير ، وآل الجزو ، وآل باحلوان ، وآل باغانم ، وكانوا ببور ، وآل بامطرف ، وآل بامزروع .
وبقي أهل الريدة على حالهم لم يتغير أسمهم ولا أسم بلادهم ، وقد سبق في الغرفة وغيرها أن آل باحلوان من قضاة .

والصنير قبيلتان : آل مسلم ، وآل حاتم ، وكل قبيلة تنقسم إلى بطون كثيرة (٢) ،

(١) صفة جزيرة العرب (١٦٦) .

(٢) الصنير : من بادية حضرموت ، ومرجعهم إلى كندة ، وهم كما في «الإكليل» للهمداني (٤١/٢) : من بني الصنير بن الأشموس بن مالك بن حريم بن مالك الصدي .

وهم قسمان كبيران : آل علي بليث ، وآل محمد بليث ، ومسكنهم في شمال غرب حضرموت ، ويحد أرضهم من الشمال : الربع الخالي ، ومن الجنوب : الكرب ونهد وحضرموت ، ومن الشرق : العوامر من المشقاص ، ومن الغرب : بلاد دهم ويام وعبيدة . وتسمى هذه المنطقة : حجر الصنير ، أو : ريدة الصنير ، وبعض منهم يسكن في أسفل دوعن ، وهم آل محفوظ في الهجرين وخريخر ، وآل قصير ، وآل مداعس ، وآل بن مساعد . قال بعض الرحالة الغربيين عن الصنير وقبائلهم : وقبيلة الصنير هذه تعرف بذئاب الصحراء ، وهي قبيلة كبيرة قوية ، وكانت قبائل جنوب الجزيرة كلها تخافها وتخشى بأسها لأنها تنهبها دون شفقة ، وتسطو عليها ، ولم يتمكن أوربي من الوصول إلى ربوعهم إلا «بوسكاف» الذي اصطاد الوعول في بلادهم عام (١٩٣١م) ، وإلا «انجرامس» الذي قام بزيارة خاطفة لأطراف أراضيهم سنة (١٩٣٤م) اهـ وهذا الرحالة هو المستر =

ورئيس الصَّيْعَرِ كُلُّهُمْ آلَان : سعدُ بْنُ طَنَافٍ بْنِ رُمَيْدَانَ^(١) ، ورئيسُ آلِ عليٍّ بَلَيْثُ منهم ، يقالُ لَهُ : عليُّ بْنُ عِيْضَةَ ، ومَقْدَمُ آلِ يَرْبُوعِ مِنْهُمْ^(٢) ، يَسْلَمُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، ومَقْدَمُ آلِ عُبيدُونَ^(٣) : سعيدُ بِالْحَاشِدِي .

وكثيرٌ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَجِعُ وَبَارَ ، وَيَأْخُصُّ آلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ^(٤) ؛ ففِيهَا مِنْهُمْ نَحْوُ مِئَتَيْ رَامٍ .

وَوِبَارٍ : هِيَ الرُّمَالُ الَّتِي مِنْ وَرَاءِ جَبَلِهِمْ ، إِلَّا أَنَّ كُلًّا مِنْ أَهْلِ النَّجْدِ يُسَمِّي مَا يَجَاوِرُ نَجْدَهُ بِاسْمِ غَيْرِ الَّذِي يُسَمِّيهِ الْآخَرُ ، فَالصَّيْعَرُ يَسْمُونُ مَا يَلِي نَجْدَهُمْ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ : (عِيْوَه) بِكسْرِ الْعَيْنِ وَسكونِ الْيَاءِ وَفَتْحِ الْوَاوِ .

وَفِي الْآخِرِ رَعَاهَا آلُ مَعْرُوفٍ^(٥) مِنْهُمْ ، ثُمَّ نَجَعُوا إِلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ نَجْرَانَ بِسَبَبِ الْجَدْبِ ، وَأَذِنَ لَهُمْ أَمِيرُ نَجْرَانَ وَهُوَ رَجُلٌ شَهْمٌ ، وَعَرَبِيٌّ قُحٌّ مِنْ صَمِيمِ تَمِيمٍ ، لَهُ مَرْوَةٌ وَشَمَمٌ ، يُقَالُ لَهُ : تُرْكِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَاضِي - أَنْ يَضْرِبُوا خِيَامَهُمْ فِي أَطْرَافِهَا ، كَمَا أَذِنَتْ الْفُرْسُ لِحَاجِبِ بْنِ زَرَّارَةَ .

ثُمَّ وَقَدْ مِنْهُمْ أَرْبَعُونَ عَلَى أَرْبَعِينَ نَجِيَّةً ، يَرَأْسُهُمْ أَثْنَانٍ - يُقَالُ لِأَحَدِهِمْ : قُنْبِيرٌ ، وَالْآخَرُ هُوَ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَالِمِ بْنِ مُعَيْقِلٍ - حَتَّى وَصَلُوا الْريَّاضَ ، فَتَرَكُوهُمْ أَرْبَعَةَ

= « تيسير » في كتابه « رمال العرب » (ص ٢٠٩) . عن المقحفي ، وبابطين .

الذي ذكره غير المؤلف وعليه إجماع المؤرخين الحضارمة - فيما اطلعنا عليه - أن الصيعر يجتمعون على قبيلتين : الأولى : آل محمد بليث ، والثانية : آل علي بليث . وأما آل حاتم . . فهم من آل محمد ، وأما آل مسلم . . فهم من آل علي ، وتفاصيل أسرهم وفخائذهم في : « الشامل » (١٢٣) ، و« المقحفي » (٩٣٠ / ١) ، وينظر : « تاريخ البكري » (١٠٨ / ٢) ، و« الأدوار » (٣٦٠) .

(١) آل وميدان : من آل علي بليث .

(٢) آل يربوع : من آل علي بن سليمان من آل حاتم من آل محمد بليث .

(٣) آل عبيدون : من السادسة - الباسدوس - من آل محمد بليث .

(٤) آل عبد الله بن عون : من آل معروف - سكان عيوة - من آل محمد بليث .

(٥) هم آل معروف بن معيقل ، من آل محمد بليث من الصيعر ، ومن فروعهم : آل ملهي ، وآل عبد الله بن

عون .

أَيَّامٍ ، وفي الخامسِ أو السَّابعِ اجتمعوا بملكِ الحجازِ ونجدٍ ورأوا مِنْ بَشَرِهِ وإِكْرَامِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمَلُونَ ، وقَدَّموا لَهُ مَطِيَّةً عَلَى سَبِيلِ الْهَدْيَةِ أَشْتَرَوْهَا عَمَّا يَقُولُونَ بثلاثِ مئةِ رِيَالٍ ، لَكِنَّهُ بَعِيدٌ ؛ لِأَنَّ إِبْلَهُمْ لَا تَبْلُغُ ذَلِكَ وَلَا نَصِيفُهُ ، وَبَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ بِهِ أَجَرُوا عَلَيْهِمْ حُكْمَ الضِّيَافَةِ ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَدِيمَ الْإِذْنَ لَهُمْ بِالْإِقَامَةِ فِي مِشَارِفِ نَجْرَانَ ، فَأَحَالَهُمْ عَلَى مَا يَرَى فِيهِ الْمَصْلَحَةَ أَمِيرُهَا ، وَدَفَعَ لِكُلِّ مَنْ الرِّئَاسَةِ أَرْبَعِينَ رِيَالاً ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِمَّنْ سِوَاهُمْ عَشْرِينَ ، مَعَ مَا يَلْزَمُ مِنَ الزَّادِ ، وَلَمَّا عَادُوا إِلَى نَجْرَانَ . . أَبْقَاهُمْ أَمِيرُهَا مَدَّةً ، ثُمَّ طَرَدَهُمْ ، فَعَادُوا إِلَى عِيُوْهُ ، هَكَذَا أَخْبَرَنِي عَنْهُمْ أَمْبَارُ بْنُ يَسْلَمَ بْنِ زَيْمَةَ بْنِ أَمْبَارِكِ الْعُوَيْنِيِّ .

وكما رفعوا ثمنَ ناقَتِهِمْ إِلَى مَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ . . كَتَمُوا - فِيمَا أَرَى - بَعْضَ مَا أَعْطَاهُمْ أَمْلُكُ ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ التَّنَزُّرَ لَا يَتَّفِقُ مَعَ مَا سَارَتْ بِهِ مِنْ سَمَاحَتِهِ الرُّكْبَانِ وَضُرْبَتِ الْأَمْثَالِ ؛ فَهُوَ الَّذِي :

يَهْمِي النَّدَى وَالرَّدَى فِي رَاحَتِهِ فَلَا عَاصِيَهُ نَاجٍ وَلَا رَاجِيَهُ مَخْرُومٌ
وَعَدُّ الصَّيْعِرِ لَا يَزِيدُ عَنْ أَلْفِي رَامٍ ، وَقَدْ عَاهَدَهُمُ الضَّابِطُ السِّيَاسِيُّ الْإِنْكَلِيزِيُّ
انْجِرَامَسَ مِنْذُ أَحَدِ عَشَرَ عَاماً مَعَاهِدَةً اعْتَرَفَ لَهُمْ بِأَسْتِقْلَالِهِمْ ، وَأَنْتَهُمْ لَيْسُوا تَبْعاً لِأَحَدٍ
مِنْ سُلَاطِينِ حَضْرَمَوْتَ ، وَعَلَى أَنْ لَا رُسُومَ عَلَيْهِمْ فِي بِلَادِهِمْ ، وَعَلَى أَنْ الْعَبْرَ مِنْ
حُدُودِهِمْ ، كَذَا أَخْبَرَنِي مَنْ أَطَّلَعَ عَلَى الْمَعَاهِدَةِ^(١) .

(١) قام انجرامس بزيارة المناطق الحدودية عام (١٩٣٤ م) تقريباً ، وقام بتحديد القبائل التي تتبع القعيطي والتي تتبع الكثيري ، وقرر أن تكون القبائل القاطنة في المناطق الحدودية تابعة للقعيطي وخاصة قبائل الصيعر والكرب .

والسبب في ذلك : هو اتفاقية عدن عام (١٩١٨ م) ، التي حددت الأراضي التابعة للكثيري بشكل دقيق ، بينما أعطت للقعيطي الحق في التوسع .

وفي تشرين الثاني (نوفمبر) عام (١٩٣٦ م) وجّه انجرامس أنظار السلطان القعيطي إلى أهمية توسيع نفوذه إلى قبائل حضرموت النائية ، كما حضّر حاكم شبام القعيطي للقيام بهذا التوسع ، وناقش معه احتمالات إقامة حامية للقعيطي في حصن العبر .

أما الاتفاقية أو المعاهدة التي أشار إليها المؤلف . . فتعرف باسم : اتفاقية انجرامس للسلام مع قبائل حضرموت كتبت عام (١٩٣٧ م) .

وَالْجَاهِلِيَّةُ عِنْدَهُمْ جَهْلَاءُ ، وَشَأْنُهُمْ شَأْنُ الْعَرَبِ فِي السَّلْبِ وَالنَّهْبِ ، وَكَثِيرًا مَا يَتَنَاهَبُونَ هُمْ وَالْعَوَامِرُ وَالْكَثِيرُ النَّعَمَ بِأَنْوَاعِهَا ، وَلَكِنَّ أَوْلَاءَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِنْتِصَافِ مِنْهُمْ ، إِلَّا إِذَا أَنْصَضُوا إِلَى الْمَهْرَةِ وَالْمَنَاهِيلِ ، وَتَجَمَّعُوا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، وَأَمَّا هُمْ ؛ أَغْنَى الصَّيْعَرِ وَالْمَنَاهِيلِ ، وَالْمَهْرَةِ ، وَيَامَ ، وَدَهَمَ ، وَالْكَرْبَ . . فَلَا يَتَنَاهَبُونَ إِلَّا الْإِبِلَ ؛ لِبَعْدِ الشَّقَّةِ .

وَفِي الشِّتَاءِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ غَزَتْ آلُ حَاتِمٍ إِلَى بَعْضِ الْبَوَادِي الدَّاخِلَةِ فِي الْحُدُودِ السُّعُودِيَّةِ ، فَغَنِمُوا إِبِلًا كَثِيرًا ، فَاحْتَجَّتْ عَلَيْهِمْ حُكُومَةُ عَدَنَ ، فَقِيلَ : إِنَّهُمْ أَرْجَعُوهَا كُلَّهَا أَوْ بَعْضَهَا ، وَقِيلَ : لَمْ يَرُدُّوا شَيْئًا .

وَفِي جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ غَزَتْ طَائِفَةٌ مِنْ قَبِيلَةٍ يُقَالُ لَهُمْ : (الْقَحْطَانِيُّونَ) مَكَانًا فِي شَرْقِي الْعَبَرِ وَشِمَالِهِ ، يُقَالُ لَهُ : (شِمَالُ) ، وَفِيهِ أَخْبِيَّةٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الصَّيْعَرِ وَالْكَرْبِ وَنَهْدٍ ، فَالْتَحَمَ الْقِتَالُ وَدَامَ نَحْوَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ ، وَأَنْجَدَهُمْ عَسْكَرُ الْبَادِيَةِ الْمُحَافِظُ عَلَى الْأَمْنِ بِطَرْفِ حَضْرَمَوْتَ مِنْ جِهَةِ الْحُكُومَةِ الْإِنْكِلِيزِيَّةِ ، وَلَكِنَّهُ قَلِيلٌ جَدًّا ، فَلَمْ يَنْجِهْ مَعَ الْفَافِهِ إِلَّا الْهَرَبَ بَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ثَمَانِيَّةٌ عَشَرَ ، وَنُهَبَتْ إِبِلُهُمْ وَسَائِرُ مَا مَعَهُمْ ، وَبَيَّانُ الْقِتَالِ : سَبْعَةٌ مِنَ الْكَرْبِ ، وَسَبْعَةٌ مِنَ الصَّيْعَرِ ، وَأَتْنَانٍ مِنْ نَهْدٍ ، وَأَتْنَانٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَيَزْعُمُ الْمُنْهَوِبُونَ أَنَّهُمْ وَمَنْ لَفَّهُمْ قَتَلُوا ثَلَاثَةً مِنَ الْقَحْطَانِيِّينَ ، وَلَكِنَّهُ زَعْمٌ بَدُونِ تَعَيُّنٍ ، وَعَلَى هَذِهِ . . فِقَسْ مَا سِوَاهَا .

وَعَنْ أَمْبَارِكِ بْنِ يَسْلَمَ الْعَوْنِيِّ عَنْ صَالِحٍ بِالْخَلِيسِ الصَّيْعَرِيِّ الْكَسِيلِيِّ قَالَ : غَزَوْتُ عَلَى ظَهْرِ الْجَبَلِ مِنْ نَجْدِنَا إِلَى نَجْدِ الْمَهْرَةِ ، فَلَمَّا قَارَبَ الْجَبَلَ الْإِنْتِهَاءَ . . اسْتَدَقَّ حَتَّى صَارَ مِثْلَ السَّيْفِ ، فَتَزَلْنَا عَنْهُ وَنَحْنُ سِتَّةٌ عَلَى سِتٍّ مِنْ الْمَطَايَا ، فَلَقَانَا سُومَالِيًّا^(١) عَلَى جَبَلٍ فِي طَلَبِ اللَّبَانِ ، فَهَابَنَا ، فَأَمَنَّا ، وَسَلَّانَاهُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟

قَالَ : مِنْ عِيَانٍ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنْ سِيحَوْتَ ، يَجْرِي فِيهِ غَيْلٌ ، تَقَامُ فِيهِ الْأَسْوَاقُ .

= باختصار من كتاب : « سياسة بريطانيا تجاه حضرموت » رسالة ماجستير بجامعة بغداد ، للسيد صادق عمر مكنون (١٢١-١٢٥) .

(١) أي : صومالي ، ولا يزال كثير من الناس ينطقونها بالسَّين .

قلنا له : مَنْ هناك؟ قَالَ : تُجَارُ ببضائعهم يتأهبون لقيام الشوق .

فأبقيناها مع أحدنا عند المطايا ، ولما قاربناهم . . ألفينا عندهم مهرياً يخلب ناقة له ، فأرديناها وأنتهنا ستين مطية مع ما قدرنا عليه من خفيف البضائع ، وضربنا أباط الإبل مساءها وألوم الثاني وردهة من الليلة الثانية ، فكل أصحابي وأرادوا التّعريس ، فنهيتهم فلم يسمّوا ، فأكلوا وأغفوا ، ولم يكد يطرفني النوم من الذعر حتى أنتهت فقمّت أعس^(١) فشممت رائحة الوزيف^(٢) من عرق جمال النجدة ؛ لأنها تأكل منه ، فأقبلت على أصحابي فسبقتنني إليهم البنادق ، واعتصمت بأكمة ، وناديت القوم في أن يعود كل بحلاله ، فأجابني الشؤص أحد آل علي بن كثير وكان معهم فقال : أنتظر حتى نتشاور ، ولما ناديت مرة أخرى . . قال : إن الذين قتلتم أخاهم بالأمس وهو يخلب ناقتة أبوا ؛ فجاء موضع قول أبي مكعب [من البسيط] :

إِنَّ الَّذِينَ قَتَلْتُمْ أُمْسَ سَيْدَهُمْ لَا تَحْسَبُوا لَيْلَهُمْ عَنْ لَيْلِكُمْ نَامَا
ولهذا البيت قصّة جاءت في (ج ١٠ ص ٢٥٠) من « خزانة الأدب » .

وأمر جماعة أن يكمنوا لي على الطريق ، وكان أحد أصحابي نجاً براحتين من النهب ، فأقتعدناهما ، فلم يقدر علينا الكمين ؛ لأنهما كما قال القطامي [من البسيط] :

يَمْشِينَ رَهْوَاً فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ وَلَا الصُّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَكِلُ
وكانت هذه القضية في حدود سنة (١٣٥٠هـ) ، وأثار الصدق لائحة عليها .

وفيه فوائد كثيرة ؛ أهمها : أَنَّ الجبل لا ينتهي إلا على قرب سيحوت حسبما قدّمنا ، وقد نقلنا في شرح البيت (٣٦) في الجزء الأول من « الأصل » عن أبي شكيل : (أَنَّ مدينة تريم في شمال لَسْعَا ، وجبالها اثنان امتدّان من الشرق إلى الغرب ، فيها قوم من المَهْرَةِ كالوحوش ، يتكلمون بلغة عاد ، وإليهم تُنسب الإبل المهرية) اهـ

(١) أعس : أسير في الظلام أترقب المارة .

(٢) صغار السمك بعد تجفيفه .

وما كان الخليسي مع أصحابه في المراجعة إلا كدريد بن الصّمة^(١) في الحادثة التي غزا فيها بني كعب بن الحارث بنجران فتبعوهم وقتلوا أخاه عبد الله^(٢) في حبون^(٣) وأستردوا منهم ما أخذوا ، وفي ذلك يقول قصيدته التي منها [من الطويل] :

بَذَلْتُ لَهُمْ نَضْجِي بِمُنْعَرَجِ اللَّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النَّضْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ ، وَإِنْ تَرَشَّدَ غَزِيَّةُ أَرُشِدِ
تَنَادَوْا فَقَالُوا أَرَدَتِ الْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْتُ أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَ كُمْ الرَّدِي؟
لَيْسَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَلَا طَائِشاً خُلُوَ الْجَنَانِ وَلَا أَلِيدِ
وفي أرض الصّيعر بئر يقال لها : مَنُوخ ، فيها ماء ، إلا أنه ينضب عند قلة
الأمطار^(٤) ، وهذه البئر في منطقة يقال لها : مَنُوخ .

- (١) هو دريد بن الصّمة الجشمي البكري ، من هوازن ، من الأبطال الشعراء ، عمر في الجاهلية ، قتل يوم حنين على جاهليته سنة (٨ هـ) ، ولم يسلم ، وكانت هوازن خرجت به معها لقتال المسلمين ، وكان قد عمي ، فأدركه ربيعة بن رفيع السلمي فقتله ، وأخباره كثيرة . « الأعلام » (٣٣٩ / ٢) .
(٢) كان مقتل عبد الله بن الصّمة بخليف دكم بأعلى حبون ، قتله بنو الحارث بن كعب ، وفيه يقول أخوه دريد :

تَدَاوُوا فَقَالُوا : أَرَدَتِ الْخَيْلُ فَارِساً فَقُلْتُ : أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَ كُمْ الرَّدِي؟
وَقَتَلَ بِهِ أَخُوهُ دَرِيدٌ : ذَوَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ قَارِبٍ ، وَقَالَ :
قَتَلْتُ بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذَوَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنِ زَيْدٍ بْنِ قَارِبِ
« الصفة » (٣٠٥) ، « الاشتقاق » (٢٩٢) .

- (٣) حَبُون : قال الهمداني : (وهو وإد يغيب من بلد يام من سَنَحان (سمنان) ، وهي كثيرة الأَرطَى ، وبه بئر زياد الحارثي ، جاهلية) . وقال الحجري : (بلدة في نجران يسكنها قبائل من يام ثم من مواجد ، وفيها حصن العان من حصون نجران أيضاً) . وهو عند ياقوت بلفظ : حَبُونى ، بالفاء مقصورة . « الصفة » (٣٠٥) ، « البلدان اليمانية عند ياقوت » (٨٨) .

- (٤) تقع بئر مَنُوخ في منطقة مَنُوخ الواقعة في الجنوب الشرقي لوادي عيوة .
وفي غربي هذه المنطقة على بُعد (٥٥) ميلاً تقع منطقة زَمَخ ، وبها بئر ، وبها مركز حربي بته الحكومة القعيطية يبعد عن مركز العَبَر نحو (٣٧) ميلاً ، وفي شمال زمخ رمال الدهناء أو الربع الخالي .

وقد كانت زمخ ومَنُوخ وشمود تشكل مركزاً تجارياً مرموقاً ، ولكن أفناها ما أفنى القرون الماضية .
يراجع « الشامل » (١٢١-١٢٣) .

وقد بَنَتْ فِيهِ الْحُكُومَةُ مَرَكْزاً عَلَى أَكْمَةِ صَخْرِيَّةٍ عَالِيَةٍ ، وَهِيَ فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ لَوَادِي عِيَوَه .

وَفِي غَرْبِي هَذِهِ الْمُنْطَقَةِ عَلَى بُعْدِ خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ مَيْلاً : مَنَظِقَةُ زَمِخْ ، وَفِيهَا بَثْرُ مَهْمَةٍ يَسْتَقِي مِنْهَا الْغَزَاةُ الْقَادِمُونَ مِنْ بَوَادِي نَجْرَانَ ، وَيَحْمِلُونَ مَا يَكْفِيهِمْ مِنَ الْمَاءِ فِي غَزْوِهِمْ لِلصَّيْعِرِ ، وَأَلْ كَثِيرٍ وَالْعَوَامِرُ وَالْمَنَاهِيلُ وَالْمِهْرَةُ ، وَكَذَلِكَ هَلْوَائِ يَتَزَوَّدُونَ مِنْهَا لَغَزْوِ يَامِ وَالْقَبَائِلِ الشُّعُودِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ .

وَمَرَكْزُ زَمِخْ يَبْعُدُ عَنْ مَرَكْزِ الْعَبْرِ بِسَبْعَةِ وَثَلَاثِينَ مَيْلاً .

وَعَنْ قَرْيَةِ الْحَجَرِ بَرِيدَةِ الصَّيْعِرِ نَحْواً مِنْ أَرْبَعِينَ مَيْلاً .

وَفِي شِمَالِهَا : رِمَالُ الدَّهْنَاءِ ، أَوْ الرُّبُعِ الْخَالِي .

وَمَوْقِعُ زَمِخْ بِمَكَانٍ كَبِيرٍ مِنَ الْأَهْمِيَّةِ ، وَلِذَا بَنَتْ فِيهِ الْحُكُومَةُ الْإِنْكِلِيزِيَّةُ عَلَى حَسَابِ الْحُكُومَةِ الْقُعُيْطِيَّةِ مَرَكْزاً لَصَدِّ عَوَادِي الْغَزَاةِ أَوْ تَخْفِيفِهَا .

وَأَمَّا بَيْرُ ثُمُودَ - الْآتِي ذِكْرُهَا - فَتَبْعُدُ عَنْ مَنَظِقَةِ زَمِخْ بِمِثْلَيْنِ وَثَلَاثَةِ وَسَبْعِينَ مَيْلاً فِي جِهَةِ الشَّرْقِ .

وَسُكَّانُ مَنَظِقَةِ زَمِخْ : آلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ مِنَ الصَّيْعِرِ ، وَهُمْ بَدَوُ رَحْلٍ .

وَفِي وَادِي دُهِرٍ مَكَانٌ يُسَمَّى : زَمَخَاً ، وَبَثْرُ تُسَمَّى : بَثْرُ زَمِخْ ، وَلَكِنَّهَا أَقَلُّ شَهْرَةٍ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي نَحْنُ بِسَبِيلِهِ .

وَسُكَّانُ مَنَظِقَةِ مَنُوحَ : آلُ عَلِيٍّ بَلِيْثٍ مِنَ الصَّيْعِرِ ، وَسَيَاتِي فِي وَبَارٍ أَنَّهَا تَمَتَّعَتْ بِالثَّرْوَةِ زَمَاناً طَوِيلاً ، وَأَنَّهَا كَانَتْ طَرِيقَ التَّجَارَةِ الْأَهَمِّ بَيْنَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ . وَقَدْ كَانَتْ كُلُّ مَنَظِقَةٍ ثُمُودَ وَمَنُوحَ وَزَمِخْ مُدُنًا عَظِيمَةً لِلتَّجَارَةِ ؛ وَلَكِنْ أَفْنَاهَا مَا أَفْنَى الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ ، وَلَا شَكَّ أَنَّ آثَارَهَا مَطْمُورَةٌ بِالرَّمَالِ .

وَمِنْذُ أَرْبَعِينَ يَوْماً غَزَتْ يَامُ وَقَتَلَتْ ثَلَاثَةً مِنَ الْكُرْبِ ، وَغَنِمَتْ مِثَّةَ رَاحِلَةٍ ، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنْهَا إِلَّا وَاحِدٌ ، وَلَمْ يُصَبَّ إِلَّا اثْنَانِ .

وَفِي مَكَانِ الْمَحَارِقَةِ مِنْ أَرْضِ الصَّيْعِرِ شَيْءٌ مِنَ النَّخْلِ ، وَلَا نَخْلَ فِي سِوَاهَا مِنْ

أَرْضِهِمْ ، وَالطَّرِيقُ مِنْ رِيْدَةِ الصَّيْعِرِ مَفْتُوحَةٌ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، وَمِنْ أَقْرَبِهَا طَرِيقُ وَادِي هَيْنَ ، وَمِنْ سَرٍّ إِلَى مَكَانِ آلِ عَلِيٍّ بَلَيْثٍ فِي الرِّيْدَةِ مَسِيرُ يَوْمٍ وَنَصْفٍ .

وَمِنْذُ ثَمَانِ سِنَوَاتٍ تَقْرِيْبًا أَمْطَرَتِ الطَّائِرَاتُ الْإِنْكَلِيزِيَّةُ نَارَهَا عَلَى حَصَنِ يَسْلَمَ بْنِ يَرْبُوعٍ مُلْهِيٍّ ، وَحَصَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْنٍ فَهَدَمَتْهُمَا ، ثُمَّ سُوِّيتِ الْقَضِيَّةُ عَلَى مَا تَرِيدُ الْحُكُومَةُ مِنَ الْمَوَافَقَةِ عَلَى الْحِلْفِ الْأَسَاقِي ذِكْرُهُ عَمَّا قَرِيبٍ .

وَبَلَّغْنِي أَنَّ الْحُكُومَةَ جَعَلَتْهُمْ بِالْآخِرَةِ تَبَعًا لِلْمُعِيطِيِّ بِرَغْمِ الْأَسْتِقْلَالِ الَّتِي اعْتَرَفَتْ لَهُمْ بِهِ فِي ذَلِكَ الْحِلْفِ .

نَجْدُ آلِ كَثِيرٍ

هُوَ مِنْ وَرَاءِ نَجْدِ الصَّيْعِرِ إِلَى الْمَشْرِقِ^(١) ، وَفِيهِ سَعَةٌ وَأَوْدِيَةٌ ؛ مِنْهَا : فَرْعٌ ، وَالْقَوِيعُ ، وَظِلْمٌ ، وَالْحَوِيَاءُ ، وَنَخْطٌ ، وَطُرُونٌ ، وَفِيهِ مِنْ آلِ عَامِرٍ : آلُ كُذَّهْ ، وَآلِ دَوِيسٍ ، وَآلِ عِدَابٍ . . مَا يَبْلُغُ مَجْمُوعُهُمْ مِثْلَ رَامٍ .

وَفِيهِ مِنْ آلِ عَمْرِ : آلِ السَّيْنِ ، وَآلِ بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . . نَحْوُ سِتِّينَ رَامِيًّا . وَفِيهِ مِنْ أَلْفَخَائِذِ آلِ الصَّقِيرِ ، وَآلِ زَيْمِ ، وَآلِ عَلِيٍّ بْنِ سَعِيدٍ . . نَحْوُ أَرْبَعِينَ رَامِيًّا ، وَلَوْلَا أَنَّ بَقِيَّةَ السَّيْفِ أَبَقَتْ عَدَدًا . . لَأَتَتْ عَلَيْهِمُ الْمَغَازِي وَأَسْتَأَصَلَتْهُمْ الْخُرُوبُ .

وَفِي أَرْضِهِمْ تَنْمُو أَلْعُلُوبُ نَمَاءً عَجِيْبًا ، وَمِنْهَا تُجَلَّبُ الْأَخْشَابُ لِلْعِمَارَةِ إِلَى شِبَامٍ وَسَيْثُونَ وَتَرِيْمَ وَمَا بَيْنَهُنَّ . وَغُودُ أَلْعُلُوبِ - أَيِ : شَجَرِ السَّدْرِ - إِذَا نَضَجَ وَأَصْفَرَّ لَا تَقْدَرُ عَلَيْهِ دَابَّةُ الْأَرْضِ .

وَفِي أَخْبَارِ بَدْرِ بْنِ طَوِيرٍ : مَا يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَسْرَتِهِمْ - لِعَهْدِهِ - كَانُوا بِهِذَا النَّجْدِ .

وَفِي أَخْبَارِ بَدْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : أَنَّهُ لَمَّا أَنْكَسَرَ مِنْ جَيْشِ الْإِمَامِ وَلَّى مِنْهُمْ إِلَى جِبَالِ أَخْوَالِهِ ؛ فَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ مَثْرَى آلِ كَثِيرٍ كَانَ بَادِيَّةً لَذَلِكَ الْعَهْدِ بِهِذَا النَّجْدِ .

(١) نَجْدُ آلِ كَثِيرٍ : يَحْدُهُ شِمَالًا : الرَّمَالُ ، وَجَنُوبًا : وَادِي حَضْرَمُوتِ الْأَكْبَرِ ، وَشَرْقًا : نَجْدُ الْعَوَامِرِ ، وَغَرْبًا : رِيْدَةُ الصَّيْعِرِ . وَتَسِيلُ مِنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ : وَادِي جَعِيمِهِ ، وَوَادِي نَعَامٍ ، وَوَادِي يَبْهُوْضٍ . « الشَّامِلُ » (١٢١) . وَهُوَ نَجْدٌ قَلِيلُ الْخَيْرِ كَنَجْدِ الْعَوَامِرِ .

نجدُ العوامِ

هو في شرقي نجدِ آل كثير ، ومن أوديته : يبا ، والدُّخان ، وأمباركه ، والعرج ، وغيرُهُنَّ^(١) ، ورجالُهُم لا يزيدونَ عن مئةٍ وخمسينَ ، وفي أرضِهِم بئرٌ يقالُ لَهَا : تميس ، لكنَّها بعيدةٌ عن أماكِنِهِم لا تنفَعُهُم أَيَّامُ الظَّما ، فيفضُّلونَ عليها الانتقالَ إلى تاربه .

وفي نجدِ العوامِ يزكو النخلُ كثيراً ، غيرَ أَنَّهُ يذوي ويموتُ إذا تابعت عليه الجدوبُ ، ولأَوَّلِيهِم في تعهِّدِهِ اعتناءٌ أكثرُ من متأخريهِم ، وإلَّا . . فنخلُ تاربه لا يعدُّ في جانبِهِ شيئاً مذكوراً .

ولسيدي الفاضلِ علويِّ بن عبد الرَّحمنِ المشهورِ - السَّابِقِ ذِكْرُهُ في تريم - رحلاتٌ إلى النُّجْدَيْنِ لنشرِ الدَّعوةِ الدِّينِيَّةِ والإرشادِ إلى طريقِ الحقِّ ، غيرَ أَنَّ المادَّةَ لا تساعدهُ ، وما أشدَّ اهتمامَهُ بحفْرِ الآبارِ وبنائِةِ الأحواضِ والصَّهاريجِ ؛ لأنَّها ضروريَّةٌ هناك لو ساعدتهُ القدرةُ ، لكنَّ الأمرَ كما قالَ أبو الطَّيِّبِ « في المكبري » ٣٧٠ / ٢ من الخفيفِ :

وَالْغَنَى فِي يَدِ اللَّيِّمِ قَيْحٌ قَدَرْتُبِحِ الْكَرِيمِ فِي الْإِمْلَاقِ
وبناءً على هذا تكلَّمتُ معَ سماحةِ المَلِكِ أبْنِ السُّعودِ في ذلكَ أواخرَ سنةِ (١٣٥٤هـ) ؛ إذ كانتَ حضرموتُ تَمُتُ إِلَيْهِ بِحُزْمَةٍ وذِمَامٍ بما كانَ بها لأَوَّلِيهِ مِنْ الْإِلِمَامِ ؛ إذ هتَفَ بِهِمَ منها صريحُ في حدودِ سنةِ (١٢١٧هـ) ، فإذا همَ لذلكَ الْعَهْدِ كما قالَ الشَّريفُ الرَّضِيُّ « في ديوانِهِ » ٤٢١ / ٢ - ٤٢٢ مِنْ الطُّويلِ :

مِنْ الْقَوْمِ مَا زَرُّوا الْجُبُوبَ عَلَى الْخَنَا وَلَا قُرِعَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِمَلَامِ

(١) ومن أودية العوام : وادي القيلة وهذيل ، بهما : آل وعيل . ووادي جبّا ، به آل عبد الباقي ، ووادي العربي ، وإليه تفيض وديان النجد ، ثم يفضي إلى وادي الخون . ووادي الذهب ، به آل براهيم من آل جعفر بن عمر . وحصون السلاسل لآل كليلة . « الشامل » (١٢٠) . وتقدم الكلام على العوام في (تاربه) ، ومن أراد المزيد . فعليه « بالشامل » (١٢٠ - ١٢١) .

سَرِيعُونَ إِنْ نُودُوا لِيَوْمِ كَرِيبَةٍ جَرِئُونَ إِنْ قِيدُوا لِيَوْمِ خِصَامٍ
يُهَابُ بِهِمْ مُسْتَلِيمِينَ إِلَى الرَّدَى عَلَى عَارِفَاتٍ بِالطَّعَانِ دَوَامٍ
عَنَاجِيحٌ قَدْ طَوَّخْنَ كُلَّ حَقِيبَةٍ مِنَ الرِّكْضِ وَاسْتَهْلَكْنَ كُلَّ لِجَامٍ
نَزَائِعُ مَا تَنَفَّكَ تَطْرِي صُدُورُهَا جُيُوبَ ظِلَامٍ ، أَوْ ذُبُولَ قَتَامٍ
يُخَالِطْنَ بِالْفُرْسَانِ كُلَّ طَرِيدَةٍ وَيَبْلُغْنَ بِالْأَزْمَاحِ كُلَّ مَرَامٍ
تلكَ هيَ حالُهُم قَبْلَ أَنْ يَنُغْمِسُوا فِي الْكَرْفِ ، أَمَّا بَعْدَهُ . . فَمَا أَرَاهُم يَقْدِرُونَ عَلَى
مِثْلِ ذَلِكَ الشَّرَفِ ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ .

وقد قَوَّرتُ في « بلابلِ التَّغْرِيدِ » ما يَنشأُ عَنِ الْكَرْفِ مِنَ الْأَضْرَارِ وما يَنجِزُهُ بِهِ مِنَ
الْمَصَائِبِ ، وَدَلَّلْتُ عَلَيْهِ بما لا يَوجَدُ في سِوَاهُ .

تَكَلَّمْتُ مَعَ الْمَلِكِ فِي بِنَايَةِ الْأَحْوَاضِ وَالصَّهَارِيحِ بِذَلِكَ الْنَجْدِ فَوَعَدَ ، غَيْرَ أَنَّ
الظُّرُوفَ وَالْأَسْتِعْجَالَ حَالًا عَنِ اسْتِنْجَازِ ذَلِكَ ^(١) ؛ إِذْ لَا بَدَّ وَأَنْ تَقُومَ دُونَهُ عِقَابٌ كَأَدَاءٍ
مِنَ الْمَالِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ بِذَلِكَ ، وَهِيَ تَطْلُبُ مِنَ الْإِنْتِظَارِ ما لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ أُمَثَالِي مِنَ
الْأَحْرَارِ ، وَلَقَدْ أَخْبَرَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ مِّمَّنْ لَا أَشْكُ فِيهِمْ عَنِ الْأَمِيرِ الْخَطِيرِ الثَّقَةِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ أَخَاهُ الْمَلِكَ أَمَرَ لِي عَامِئِدَ بِمِئَةِ دِينَارٍ مِنَ الْذَّهَبِ . .
فَأَخْتَانِهَا وَزِيرُ الْمَالِيَّةِ ، وَمَا أَدْرِي هَلِ الْفُرْصَةُ بَاقِيَةٌ لِبِنَاءِ الْخَزَائِنِ إِلَى الْيَوْمِ أَمْ قَدْ
فَاتَتْ ؛ فَإِنَّ جَمْعِيَّةَ الْأَخَوَةِ وَالْمَعَاوَنَةِ أَرَادَتْ أَنْ تَبْنِيَ مَسْجِدًا بِالْعَبْرِ - وَهُوَ نَظِيرُ تِلْكَ
النَّاحِيَةِ - فَلَمْ يُسَمَّحْ لَهَا .

نَجْدُ الْمَنَاهِيلِ ^(٢)

هُوَ فِي شَرْقِ نَجْدِ الْعَوَامِرِ ، وَقَدْ اخْتَلَفَتْ عَلَيَّ رِوَاةُ الْبَادِيَةِ فِي بَيْرِ ثُمُودَ ، وَجَبَلٍ - أَوْ
قَارَةَ - حَبَشِيَّةٍ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُمَا مِنْ أَوَاخِرِ نَجْدِ الْعَوَامِرِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَجْعَلُهُمَا مِنْ

(١) كَانَ ذَلِكَ فِي حِجِّ عَامِ (١٣٥٤ هـ) .

(٢) نَجْدُ الْمَنَاهِيلِ : يَقَعُ بَيْنَ وَادِي الْمَسِيلَةِ عِنْدَ حُدُودِ الْمَهْرَةِ فِي الْجَنُوبِ ، وَبَيْنَ قَبْرِ هُودٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ شِمَالًا . وَتَصُبُّ مِنْهُ إِلَى وَادِي حَضْرَمَوْتَ الْكَبِيرِ هَذِهِ الْأَوْدِيَةُ : وَادِي يَشْحَرِ ، وَوَادِي فُغْمَةٍ ، =

أوائل نجد المناهيل أما جبل حَبَشِيَّة^(١) - بفتح الحاء المهملة وسكون الباء وكسر الشين المعجمة وتشديد الياء المثناة من تحت المفتوحة - فعلى مقربة من بير ثمود .

ويقولون : إنهم يسمعون دويًا منه يدل على وجود شيء من المخزونات ناراً أو غازاتٍ أو غيرها .

وأما بير ثمود . . فإنها - كما سبق - في جانب ذلك التجد الشمالي الذي يقصر ارتفاعه جداً إلى الدّهناء ، فهي في أطرافها . وبقاؤها بهذا الاسم من قديم الزمان إلى الآن يؤكد ما تقدّم في وادي سز ونبي الله صالح عليه السلام .

ويُشاع أنّ حواليتها منابع غزيرة للبتروْل ، يتأثّد بتردّد رجال الحكومة الإنكليزيّة إلى ذلك المكان ، وشدة اهتمامهم به ، وتكثّمهم بعملياتهم وحفرياتهم فيه .

وذكر لي الولد الفقيه عبد القادر الرّوش أنّه رأى بمكة سنة (١٣٦٤ هـ) عدداً ثامناً من الجريدة المُسمّاة بـ : (العالم العربي) - التي لم يصدر منها إلا سبعة أعداد - جاء فيه : (أنّ من أغزر منابع بترول العالم : منابع اليمن ، ثمّ حضرموت ، ثمّ الظّهْران) اهـ

وأمرت الولد النّبيّل سالم خرد أن يراجع لي مسألة أذكرها عن القطب الحدّاد ،

=

ووادي ينبج ، ووادي عنج ، ووادي عصم ، ووادي عرده ، ووادي فغمه .

ونجد المناهيل نجد قليل الخير ؛ لقلة مياهه ، ويرعى سكانه جمالهم بالرمل ، ويوردون مورد المهرة ، وينتهي حد هذا النجد تقريباً عند خط الطول : (٤٩ - ١٢ - ٥٠) ، وسوق المناهيل : سيحوت ، يتوصلون إليها عن طريق وادي المسيله .

وفي الوديان المذكورة تنمو الأعشاب بوفرة ، وترعى العنوز والنعاج والجمال ، وتوجد قرى المناهيل وهي مكونة من بيوت وأكواخ مبنية من الطين ، ويسكن البعض منهم في كهوف الجبال . ينظر : « الشامل » (١٢٠) ، « البكري » (١٠٦ / ٢) .

(١) قال صاحب « الشامل » (١٧) : (بلغنا أنه يوجد في القارة المسماة : حَبَشِيَّة فوق صيقة سنا بطرف غيل بن يمين بناءً بحجارة فيها كتابات ، وعندها كهية البثر . . فربما أن يكون ذلك فوق فوهة بركان) اهـ ويقال : إن اسم الحبشة الذي سميت به إثيوبيا جاءها من اسم قبيلة حبشات ، إحدى بطون الأجايز التي هاجرت إلى إثيوبيا من منطقة جبل حبشية بحضرموت . « الهجرة اليمنية » لبامطرف (٩) .

فراجع « تثبت ألفؤاد » فتعسّرت عليه ؛ لعدم ترتيبه ، ولكنه وقع على أهم منها ، وذلك أنه جاء فيه [٧٣-٧٢/١] ما يأتي :

لولا أن هذه - يعني تريم - دار هجرتنا . . لخرجنا منها ، ولا موضع لهجرتنا إلا مرباط ، غير أنه لا يمكننا ذلك لثقل الكلفة في التحمل بالنساء والصغار والولدان .
ثم قال : نحفظ عن بعض جداتنا عن أبيها - وهو من أهل الكشف - أنه أغمي عليه عند موته بحضورها ، ثم أفاق فقال : عادكم تقولون : يا حيا دولة الكثيري ، ثم أغمي عليه ، ثم أفاق فقال : يأتي على الناس زمان ما لهم مفر إلا ثمود ، ثم مات على إثر ذلك .

وقال الحداد - أيضاً باثر ذلك - :

مَا فِي تَرِيمٍ إِلَّا الْوَطَنُ إِنَّ الْإِبِلَ تَهْوَى الْعُطْنُ

وقد سبق في صيف من أرض دوعن أن القطب الحداد كان يذكر الانتقال إليها أيضاً .
وما جاء من ذكر المفر إلى ثمود عن ذلك الرجل الصالح في الحالة التي لا يتهم فيها الكاذب . . يُبشّر بمستقبل ضخم لتلك النواحي ، بدأت تتمخض به الأيام . والله العالم وحده ماذا يكون الحال عند الأولاد فيما بعده ، جعل الله العاقبة إلى خير .
وغير بعيد أن يأتي هنا موضع ما سبق في ميفع .

وقد ظهر تصديق فraise ذلك الرجل الصالح الأولى : بتمني الناس أيام الدولة الكثيرية التي تضععت ثم بادت بيفع ، وما تصديق الفraise الثانية ببعيد .

وفي نجد المناهيل : وادي قتاب ، وهو واسع جداً ، حتى لقد قيل : إنه أوسع من وادي حضرموت على العرف المصغر مرات^(١) .

وفيه أيضاً : وادي قبصوم ، وهو واسع أيضاً ، واقع في جهة الشمال إلى الشرق من وادي عيوه - بكسر العين المهملة وسكون ألباء المثناة من تحت وفتح ألواو - زنة عيوه الصعيرة .

(١) أي : في تحديد حضرموت السابق أول الكتاب .

ومن بعدها : رَمَاهُ ، عَلَى وَزْنِ قَطَاهُ .

والمناهيلُ فرقتان : آلُ بنِ مَعْشَنِ وعَدُدهم نحوُ ثمانِ مئةِ رامٍ ، وآلُ كَزِيم وعَدُدهم نحوُ سبعِ مئةٍ ، وكانَ على رِئاستِهِم الْبَيْخِثُ بْنُ اللُّوَيْطِيِّ ، وَهُوَ مِمَّنْ أَمْضَى عَلَى نَسْخَةِ مِنَ الْوُثِيقَةِ الَّتِي أُرْسِلَتْ لَعَلِّي سَعِيدٍ بَاشَا .

ومَعَ تَوَقُّعِهِ عَلَى تِلْكَ الْوُثِيقَةِ . . أَمْضَى لِي عَلَى مَا هَذَا نَصُّهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَبِتَارِيخِ عَشْرِ جَمَادَى الْأُولَى سَنَةِ (١٣٣٥ هـ) فَقَدْ شَلَّ وَتَحَمَّلَ بَيْخِثُ بْنُ اللُّوَيْطِيِّ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ كَافَّةِ الْمَنَاهِيلِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْعَلَمِ الشَّرِيفِ بِكُلِّ مَنْفَعَةٍ يَقْدُرُ عَلَيْهَا لِلْحَبِيبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ السَّقَّافِ ، وَأَنْ يُوَالِيَ مَنْ وَالَاهُ وَيُعَادِيَ مَنْ عَادَاهُ ، وَيَسْمَعَ نَصِيحَتَهُ وَشَفَاعَتَهُ ، وَيَقُومَ مَعَهُ وَمَعَ عِيَالِهِ مِنْ بَعْدِهِ بِالْحَقِّ وَالشَّرِيعَةِ وَيُنَصِّرَهُمْ عَلَى مَنْ تَعَدَّى عَلَيْهِمْ بَدًّا بَوْفَا مَا ذَكَرَ فَتَرِثَ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ بَعْدَهُ إِلَى أَنْ يَرِثَ الْأَرْضَ وَرَائُهَا ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ بَدًّا بِمَا ذَكَرَ الْبَيْخِثُ بْنُ اللُّوَيْطِيِّ .

وَكَتَبَ بِأَمْرِهِ وَشَهِدَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ سُلَمَةَ وَقَدْ قُتِلَ الْبَيْخِثُ الْمَذْكُورُ فِي حَرْبِهِ مَعَ أَمِيرِ قَسَمٍ .

وَرَأْسُ جَمِيعِ الْمَنَاهِيلِ الْآنَ عِيْضُهُ بْنُ الْحَرِيزِ بْنِ طَنَافٍ .

وَفِي الْأَخِيرِ غَزَتْهُمْ قِبَائِلُ الْجَهَةِ الْغَرْبِيَّةِ فَأَخَذُوا عَلَيْهِمْ كَثِيرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَجَمَعُوا جُمُوعَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِنْ الْمَهْرَةِ وَالْعَوَامِرِ وَغَيْرِهِمْ . . فَأَنْهَزَمُوا وَكَانُوا كَالضَّبْعِ ذَهَبَتْ تَطْلُبُ لَهَا قَرْنًا . . فَعَادَتْ بِلَا أَذْنَيْنِ .

وَأَكْثَرُ الْمَنَاهِيلِ وَالْعَوَامِرِ وَالْكَثِيرِ وَالصَّيْعِرِ مِنْ سَكَّانِ هَذِهِ النُّجُودِ . . قِبَائِلُ رَحْلٍ ، يَتَّبِعُونَ مَوَاقِعَ الْقَطْرِ ، لَا بِيوتَ لَهُمْ إِلَّا الْأَخْيَامُ غَالِبًا ، وَلَكِنَّهُمْ يَصْدَحُونَ^(١) الْأَمْطَارَ عَنْ أَغْنَامِهِمْ وَنَعْمِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَإِلَّا . . لَلَأَقْوَا مِنْهَا أُنْعَابًا وَأُنْكَالًا .

(١) يَصْدَحُونَ : مِنَ الصَّدْحَةِ ؛ وَهِيَ : رَقِيَّةٌ تَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّهَا تَمْنَعُ الْمَطَرَ أَنْ يَصِيبَ مَكَانًا وَقَدْ أَصَابَ كُلَّ مَا حَوْلَهُ مِنَ الْأَرْضِ .

وذكر لي من طالع « الصُّبْحُ الْمُنبِي عن حَيْثِيَّةِ الْمُتَنَّبِي »^(١) [٥٤-٥٢] : (أَنَّ فِيهِ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ ؛ فِيهَا : أَنَّ الْمُتَنَّبِيَّ خَدَعَ وَاحِدًا بِمَا أَرَاهُ مِنْ نَتِيجَةِ الصَّدْحَةِ ، فَأَمَنَ بِنَبْوَتِهِ ، وَذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ تَعْمَلُهُ الْعَرَبُ بِأَصْغَرِ حِيلَةٍ ، وَقَدْ رَأَيْتُ كَثِيرًا مِنْهُمْ بِالْكَوْنِ وَحُضْرَمُوتَ وَالْكَسَاكِسِكِ يَفْعَلُونَ هَذَا ، حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ لَيَصْدَحُ عَنْ غَنَمِهِ ، وَعَنْ إِبِلِهِ ، وَعَنْ الْقَرْيَةِ ، فَلَا يَصِيحُهَا شَيْءٌ مِنَ الْمَطَرِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ السَّحْرِ) اهـ

وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ مِنْ آثَارِ إِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَمِنْ أَسْرَارِ الْحُرُوفِ ، فَلَا يَلِزُ أَنْ يَكُونَ سِحْرًا^(٢) ، لَا سِيَّما وَأَنَّ لَهُ حَقِيقَةً ظَاهِرَةً .

وبار

وَمِنْ وَرَاءِ هَذَا الْجَبَلِ الضَّارِبِ بِجَرَائِهِ مِنْ نَحْوِ الْعَبْرِ إِلَى مَشَارِفِ سِيحُوتَ : صِيهُدُ حُضْرَمُوتَ ، أَوْ وَبَارَ ، أَوْ رَمْلُ عَالِجَ ، أَوْ الدَّهْنَاءُ ، أَوْ الْبَحْرُ السَّافِي ، أَوْ الرُّبْعُ الْخَالِي ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ عَلَيْهَا - كَمَا أَشْرْنَا إِلَى بَعْضِهِ فِي « الْأَصْلِ » - وَلَا عِبْرَةٌ بِمَا طَرَأَ مِنْ تَخْصِيصِ الدَّهْنَاءِ بِمَا جَاوَرَ نَجْدًا مِنْ رَمَالِهَا ؛ قَالَ يَاقُوتُ فِي (ص ٤٤٢) مِنْ الْجُزْءِ الْآخِرِ : (وَكَانَتْ مَنَازِلُ عِيْلٍ يَثْرَبُ ، وَمَسَاكِنُ أُمَيْمٍ بِرَمْلِ عَالِجَ - وَهِيَ أَرْضُ وَبَارَ - وَمَسَاكِنُ جُزْهِمٍ بِتَهَائِمِ الْيَمَنِ ، ثُمَّ لَحَقُوا بِمَكَّةَ . . .) ، وَأَطَالَ فِي ذَلِكَ بِمَا تَكْفِي الْإِحَالَةُ عَلَيْهِ .

وَكَانَ الْحَبِيبُ أَحْمَدُ بْنُ حَسَنِ الْعَطَّاسُ يَقُولُ : (إِنَّهَا تَصِلُ مَا بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَنَجْدِ وَأَرْضِ الْعَوَامِرِ وَالْمَنَاهِيلِ وَجِبَالِ حُضْرَمُوتَ النَّجْدِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ ، وَأَقْرَبُ الْمَنَازِلِ إِلَيْهَا مِنْ جِهَةِ الْإِحْسَاءِ رَمْلَةُ يَبْرِينَ) اهـ

وَقَوْلُهُ : (النَّجْدِيَّةُ) ؛ يَعْنِي : الشَّامَلِيَّةَ ، وَلَعَلَّ يَبْرِينَ هَذِهِ الَّتِي يَعْنِيهَا الشَّمْرَدُلُ

(١) اسم كتاب من تأليف العلامة يوسف البديعي الحلبي الأديب ، المتوفى سنة (١٠٧٣هـ) ، وهو دمشقي الأصل ، تولى قضاء الموصل . ترجم له المحيي في « الخلاصة » (٤ / ٥١٠) .

(٢) لأن السحر إنما هو تخيل ووهم يضرب على الأعين قال تعالى : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَفَبُوهُمْ ﴾ .

في بيته السابق في المقدمة^(١) ، وسبطُ أبْنِ التَّعاوِذيِّ بقوله [مِنَ الْكاملِ] :
 إِنْ كَانَ دِينُكَ فِي الصَّبَابَةِ دِينِي فَقَفِ الْمَطِيَّ بِرَمْلَتِي يَبْرِينِ
 وهوَ مِنْ قصيدةِ شاعرةٍ يمدحُ بها صلاحَ الدَّيْنِ ، ويعارضُ بها قصيدةَ صردرِ
 المُستهلَّةَ بقوله :

أَكْذَا يُجَازِي وَدُّ كُلِّ قَرِينِ

وفي الجزء الأول [ص ٢١٩] مِنْ « الْإِكْلِيلِ » : (أَنْ مَعْدَأْ كَانَتْ بِتِهَامَةٍ ، فَلَمَّا قَارَبَتْ
 بِلَدَ حَكَمِ أَبْنِ سَعْدِ بْنِ مَذْحِجٍ . حَارَبَتْهُمْ سَعْدُ الْعَشِيرَةِ وَأَخْرَجَتْهُمْ إِلَى الْحِجَازِ ، وَفِي
 ذَلِكَ يَقُولُ عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ الْعَدَوَانِيُّ [مِنْ الْوَافِرِ] :

فَسَعَدْتُ أَرْحَلْتُ مِنْهَا مَعْدَأً وَكَيْفَ تُصَاقِبُ الدَّاءَ الدَّفِينَا^(٢)
 وَمِمَّا يَنْسَبُ إِلَى تَبَعٍ فِي ذَلِكَ قَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

عَطَفْتُ خَيْلِي عَلَى عَيْلَانٍ إِذْ قَفَلْتُ فَأَنْزَلْتُهُمْ بِدَارِ الْجُوعِ يَبْرِينَا
 أَرْحَلْتُهُمْ مِنْ بِلَادِ الرِّزْقِ كُلَّهُمْ فَمَا يَذُوقُونَ رُمَّاناً وَلَا تِينَا
 ويطونُ قيسٌ تنجِعُ في البلادِ شرقاً وغرباً ، وتوغَّلُ في بلدانِ الأعاجمِ ، وفيهمُ
 السُّلْطَانُ ، وما تُحَدِّثُ نفوسُها بمأربَ أَنْ تَطْرَفَهَا^(٣) إِلَى غَيْرِهَا ؛ فضلاً عن التَّزْوِلِ بها)
 اهـ باختصار .

وقد ذكرنا في غير هذا الموضع : أَنَّ أَلِيْمَنَ ما زالت قاهرةً لعدنانَ حتَّى كانَ يومُ
 حِزَازٍ وعلىَ عدنانَ وائلٌ ، ففُهِرُوا أَلِيْمَنَ ، ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بَعْدَ عِدْنَانَ فِي الْإِسْلَامِ ؛ فَإِنْ
 أَرَادَ الْهَمْدَانِيُّ ما قَبْلُ ، وإلَّا . . فكلأُهمُ مردودٌ ، وهوَ لم يكنْ إلَّا في أَلْقَرَنِ الرَّابِعِ
 وَحَمِيرُ مَقْهُورَةٌ لا قَاهِرَةٌ ، ومروُوسَةٌ لا رَئِيسَةٌ ، وهذا جاءَ في أَلْبِينِ لِمُنَاسِبَتَيْنِ
 مَارَتَيْنِ . . فلنعدْ لِمَا نَحْنُ فِيهِ .

(١) والبيت هو :

بلغن أقصى الرمل من يبرينا وحضرموت وبلغن الصينا

(٢) تصاقب : تجاور وتلتصق .

(٣) أي : تنزل بأطرافها .

وَقَالَ الْبَكْرِيُّ فِي « مَعْجَمِهِ » [١٣٦٦/٤] : قَالَ أَبُو عَمِيرٍ : وَبَارٍ بِالْذَّهْنَاءِ ، بِهَا إِبْلٌ وَحُوشِيَّةٌ^(١) ، وَبِهَا نَخْلٌ كَثِيرٌ ، لَا يَرِدُهُ أَحَدٌ وَلَا يَجِدُهُ ، وَزَعَمَ أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ إِلَى تِلْكَ الْأَرْضِ . . . فَإِذَا تِلْكَ الْإِبْلُ تَأْكُلُ مِنَ الْتَمَرِ ، وَتَرُدُّ مَاءَ هُنَاكَ ، فَركَبَ مِنْهَا فَحْلًا فَتَبِعَتْهُ تِلْكَ الْإِبْلُ عَلَى تَوْحُشِهَا ، فَذَهَبَ بِهَا إِلَى أَهْلِهَا .

وَقَالَ الْخَلِيلُ : إِنَّهَا كَانَتْ مَسَاكِنَ عَادٍ ، وَلَمَّا أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ . . . وَرَثَهَا الْجَنُّ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٣٦) أَمَدَّكُمْ بِأَنْتَعِيزٍ وَبَيْنَ (١٣٧) وَحَنَنْتِ وَعُيُونٍ .

وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيُّ : كَانَ مِنْ شَأْنِ دَعِيمِصَ الرَّمْلِ : أَنَّهُ لَمْ يَكْدُ يَدْخُلُ أَحَدٌ أَرْضَ وَبَارٍ غَيْرُهُ ، وَلَمَّا أَنْصَرَفَ عَنْهَا . . . وَقَفَ بِالْمَوْسِمِ يَقُولُ [مِنْ الطَّوِيلِ] :
فَمَنْ يُعْطِنِي تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَعْجَةً هِجَانًا وَأُذْمًا أَهْدَهَا لِوَبَارٍ
فَلَمْ يَلْتَفِتْ لَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْسِمِ سِوَى رَجُلٍ مِنْ مَهْرَةَ أَعْطَاهُ مَا سَأَلَ وَتَحَمَّلَ مَعَهُ
فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ بِأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، فَلَمَّا تَوَسَّطُوا الرَّمْلَ . . . طَمَسَتْ الْجَنُّ بَصَرَ
دَعِيمِصَ ، وَأَعْتَرَتْهُ الْأَصْرَفَةُ ، وَهَلَكَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا) اهـ

وهَذَا مِنَ الْخَرَافَاتِ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ الْيَوْمَ لَهَا فِيهِ جِيئَةٌ وَذَهَابٌ ، وَمَا بِأَحَدٍ بِأَسْ .
وَالنَّحَاةُ عَلَى اخْتِلَافٍ فِي إِعْرَابِ وَبَارٍ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَبْنِيهَا عَلَى الْكُسْرِ ؛ لِأَنَّهُ الْمَطْرَدُ
فِيمَا كَانَ آخِرُهُ رَاءَ وَزَنَ فَعَالٍ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْرِبُهَا إِعْرَابَ الْمَمْنُوعِ مِنَ الصَّرْفِ .
وَالطَّرْقُ مَفْتُوحَةٌ لِلْسِّيَّارَاتِ فِي هَذِهِ الرَّمْلَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْبِيدٍ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ ، وَمِنْهُ
تَعْرِفُ خَطَأَ الْفَرَزْدَقِ إِذْ ضَرَبَ الْمَثَلَ بِخَفَاءِ طَرِيقِهَا فِي قَوْلِهِ [فِي « دِيوَانِهِ » ٣٩٥/١ مِنْ
الْكَامِلِ] :

وَلَقَدْ ضَلَلْتَ أَبَاكَ يَطْلُبُ دَارِمًا كَضَلَالِ مُلْتَمِسِ طَرِيقَ وَبَارٍ
وَقَدْ يَجَابُ بِأَنْ لَيْسَ الْمَرَادُ قَلَّةَ السَّالِكِينَ ، وَلَكِنْ قَلَمًا تَثْبُتُ الْأَثَارُ عَلَى الرَّمَالِ ،

(١) بِمَعْنَى وَحْشِيَّةٍ غَيْرِ الْيَفَةِ .

وإلا... فهي مسلوكة من قديم الزمان إلى الآن ، وقد سلكها العلأء أبْنُ الحَضْرَمِيِّ في قتال المرتدِّين ، ونذت^(١) إيلهم وهم نزولٌ ، وأصابهم من الكرب والعطش أمرٌ عظيمٌ ، ثمَّ ظهرَ لهم ماءٌ فمشوا إليه ، وعادت إيلهم وعليها أزوادهم ، فأمتطى كلُّ بغيره ، وكتبَ إلى أبي بكرٍ - كما عند الطبري [في تاريخه ٣/ ٣١٣] - يقولُ له : (أما بعد : فإنَّ اللهَ تبارك وتعالى فجَّرَ لنا الدَّهْناءَ فيضاً لا تُرى غوارِبُه^(٢)) ، وأرانا آيةً وعبرةً بعدَهم وكرِبٌ ؛ لنحمدَ اللهَ ونمجِّدَه .

فلا يتعذَّرُ سلوكُ السَّيَّاراتِ بها من حَضْرَموتَ إلى العَبْرِ ، ولا من العَبْرِ إلى نجرانَ ، وقد سلكها المستشرقُ فليبي .

ولمَّا اجتمعتُ بملكِ الحجازِ ونجدٍ في سنة (١٣٥٤ هـ) . . قالَ لي : إِنَّ الحُكُومَةَ الإنكليزيَّةَ أرسلتْ إليَّ وفداً في رمضانَ من هذا العامِ يقولُ لي : لا بدَّ من إصلاحِ حَضْرَموتَ ، وتمَّ الكلامُ على إرسالِ وفدٍ من عندي ومن عندِ الأخِ يحيى ومن عندهم للاستفتاء ؛ فإنَّ اختاروا الأخَّ يحيى . . فيها ، وإنَّ اختاروني . . فعلي أن أذبَّ عنهم بما أذبَ به عن أهلي وولدي ، وإنَّ اختاروا الإنكليزَ . . فشانهم وأنفسهم .

هذا معنى ما قاله لي يومئذٍ ؛ إن لم يكن بلفظه .

وكم كان سرورُ النَّاسِ بذلكَ لمَّا خابرتُهم به مرجعي من الحجِّ ، ثمَّ لم يكن إلا أن جاء فليبي وكان يتقمَّصُ الإسلامَ ، ولا ينبغي إلا أن نحملَ باطنه على ظاهره ، فكان الكَلَّ في الكَلِّ .

وسبقَ في المقدِّمة ما يقربُ من كلامِ الحبيبِ أحمدَ بنِ حَسَنِ العَطَّاسِ عن الطَّيِّبِ بامخرمةَ عَنِ القَاضِي مسعودٍ .

وقالَ الهَمْدَانِيُّ : وفي شعرِ الأَخْضَرِ بنِ شهابِ التَّغْلِبِيِّ الَّذِي يذكُرُ فيه منازلَ العربِ

[من الطويل] :

(١) نذت : تفلَّت وشردت .

(٢) غوارب الماء : أعالي موجه .

وَصَارَتْ تَمِيمٌ بَيْنَ قُفٍّ وَرَمْلَةٍ لَهَا مِنْ جِبَالٍ مُتَتَايٍ وَمَذَانِبُ
وَكَلَبٌ لَهَا خَبْتُ فَرَمْلَةٍ عَالِجٍ إِلَى الْحَرَّةِ الرَّجْلَاءِ حَيْثُ تُحَارِبُ
والرَّجْلَاءُ : هِيَ الَّتِي تُرْجَلُ صَاحِبُهَا فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الرُّكُوبِ فِيهَا .

وَأَمَّا مَا يَزَعُمُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ فَرَطِ نَعُومَةٍ رَمَلٍ بَعْضُهَا بَحِثُ يَغْرُقُ مِنْ يَقَعُ فِيهِ . .
فَقَدْ أَشْرْتُ فِي « الْأَصْلِ » إِلَى اسْتِحَالَتِهِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَخْبَارَ كَثُرَتْ بِالْآخِرَةِ عَنْهُ .
وَيَزَعُمُ بَعْضُهُمْ أَنَّ فِي هَذِهِ الْفَلَاةِ بَحْرًا ، وَمَعَ اتِّسَاعِهَا وَكَثْرَةِ أَعَاجِبِهَا
وِغَرَائِبِهَا . . . فَإِنَّهُ لَا يَبْعُدُ ؛ لِأَنَّ الْبَدْوَ وَالشَّيَاحَ قَدْ قَتَلُوهَا عِلْمًا ، وَلَمْ يَذْكُرُوهُ ،
وَلَكِنَّهُمْ ذَكَرُوا أُمَّ الصَّمِيمِ .

أم الصميم

وَهُوَ مَوْضِعٌ فِي الرُّبْعِ الْخَالِيِّ ، قَرِيبٌ مِنْ مَسْقَطِ ، يُرَى مِثْلَ الثَّرَابِ ، وَهُوَ مَاءٌ إِذَا
وَقَعَ فِيهِ الْإِنْسَانُ . . غَرَقَ ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِوَاسِعٍ ، وَزَعَمَ بَعْضُ سُيَاحِ الْأَجَانِبِ مِمَّنْ
يَدَّعِي أَنَّهُ قَتَلَهَا عِلْمًا : أَنَّهَا تَسَعُ مِئَةَ مِيلٍ فِي مِثْلِهَا ، لَا تَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ ، وَأُورِدَ الطَّائِفِيُّ
فِي الْمِرَاثِيِّ مِنْ « حِمَاسَتِهِ » [٣٩٨/١] أَرْبَعَةَ آيَاتٍ لِابْنِ رَوَاحَةَ السَّبْنَسِيِّ مِنْهَا [مِنْ الطَّوِيلِ] :
وَمَا زَالَ مِنْ قَتْلَى رَزَاحٍ بِعَالِجٍ دَمٌ نَاقِعٌ أَوْ جَاسِدٌ غَيْرُ مَاصِحٍ^(١)
وَفِي مَضْرَبِ الْمَثَلِ بِسَعْتِهَا يَقُولُ الْبَحْرِيُّ [فِي « دِيَوَانِهِ » ٣٧٠ / ٢ مِنْ الْكَامِلِ] :

لَيْسَ الَّتِي ضَلَّتْ تَمِيمٌ وَسَطَهَا الدَّ هَنَاءٌ لَا بَلَّ صَدْرُكَ الدَّهْنَاءُ
وَقَالَ الْهَمْدَانِيُّ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ مِنْ « الصِّفَةِ » بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَوْدِيَةَ كَثِيرَةً : (وَكُلُّ هَذِهِ
الْأَوْدِيَةِ فِيهَا نَخْلٌ وَمَسَاكُنُ وَزُرُوعٌ ؛ وَهِيَ تَسْمَى الْثَنَايَا ؛ ثَنَايَا الْعَارِضِ وَهُوَ قُفٌّ

(١) قَالَ شَارِحُ « دِيَوَانِ الْحِمَاسَةِ » : رَزَاحٌ : أَسْمٌ قَبِيلَةٌ مِنْ خَوْلَانَ . وَرَمْلٌ عَالِجٌ : أَسْمٌ مَوْضِعٌ . وَالنَّاقِعُ :
الْثَّابِتُ . وَالْمَاصِحُ : الْذَّاهِبُ . وَالْجَاسِدُ : الْجَامِدُ . وَالْمَعْنَى : أَنَّ دَمَاءَ قَتْلَى رَزَاحٍ بِعَالِجٍ لَمْ تَزَلْ
طَرِيقَةً أَوْ جَامِدَةً غَيْرَ ذَاهِبَةٍ ؛ أَيِ : بَاقِيَةً عَلَى حَالِهَا فَلَا تُغْسَلُ إِلَّا بِأَخَذِ الثَّارِ مِنْ أَعْدَائِهَا .

مستطيلٌ ، أدناه بحضرموتَ وأقصاهُ بالجزائر (اهـ^(١))

وقد أطلتُ القولَ عن وبارِ هذه بـ «الأصلِ» ، ومنهُ : أنَّها تمتَّعتْ بالشَّرفِ قروناً طويلةً ، واستثمرتْ توسطَ موقعها بينَ الشَّرقِ والغربِ ، فكانتْ مركزَ التَّجارةِ العظيمةِ ، ومخزنَ البضائعِ الأهمِّ ؛ إذ كانتِ الشُّفُنُ تقصدُ سواحِلَها - ومنها : إلى عمانَ وظفارٍ وسيحوتِ الشَّحْرِ - مِن السُّنْدِ والهندِ والصَّينِ وجاوةِ وأفريقيا وغيرها مِن الجهاتِ الغربيَّةِ ؛ كما أشارَ إليه صاحبُ «الشَّهابِ الرَّاصِدِ» وغيرُهُ .

وأكثرُ الدَّهْناءِ لتمييمِ ، ولهم إقطاعٌ مِن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّمَ حَسَبَما أَظُنُّني ذكرتهُ في «الأصلِ» .

وقالَ الفرزدقُ في هجائه لعمرو بنِ عفراءَ [في «ديوانه» ٥٩/١ مِن الطَّويلِ] :

وَلَمَّا رَأَى الدَّهْنَا رَمْتُهُ جِبَالَهَا وَقَالَتْ : دِيافِي مَعَ الشَّامِ جَانِبُهُ^(٢)
فَإِنْ تَغَضَّبَ الدَّهْنَا عَلَيْكَ فَمَا يَبْهَا طَرِيقُ لِرِيَّاتٍ تُقَادُ رَكَائِبُهُ^(٣)
ومعناه : أَنَّ الدَّهْناءَ لا تقبلُ زياتاً مثلك .

وقلَّما ذُكرتِ الدَّهْناءُ في «خزانة الأدب» .. إلأَ وقالَ صاحبُها : وهو موضعٌ ببلادِ تميمٍ ، كما في شرحِ هذه الأبياتِ [٢٣٧/٥] منها ، وشرح قولُ أبي زبيدِ الطَّائِي [مِن الخفيفِ] :
فَلَحَا اللهُ طَالِبَ الصُّلْحِ مِنَّا مَا أَطَافَ الْمُبْسُ بِالدَّهْنَاءِ
في (ص ١٥٥) منه : والمُبْسُ : حادي الإبلِ ، وفيه تكثيرٌ لسالكِها ؛ إذ جعلهُ مضربَ مثلٍ على عكسِ ما سبق .

وقالَ عنِ الفرزدقِ ذو الرُّمَّةِ [في «ديوانه» ٧٢ مِن البسيطِ] :

حَنَّتْ إِلَى نَعَمِ الدَّهْنَا فَقُلْتُ لَهَا أُمِّي بِلَالاً عَلَى التَّزْفِيقِ وَالرَّشْدِ

(١) صفة جزيرة العرب (٢٥٣) .

(٢) دِيافِي : منسوبٌ إلى بلدةٍ في الشَّامِ ؛ أسمُها : دِيافٌ ، وأهلُها نَبَطُ الشَّامِ ، وإذا أرادوا التَّعريضَ برجلٍ أَنَّهُ نَبَطِيٌّ نسبوه إليها .

(٣) الرِّيَّاتُ : بائعُ الرِّيتِ .

وقد شرحها صاحب « الخزانة » في [٤٢٤/٩] ، وقال : (وألدهنا : موضع ببلاد
تميم ، يُمدُّ ويُقصرُ) .

وقد أعترف كثيرٌ من الإفرنج أنَّ المحيطَ الهنديَّ كانَ بحيرةً عربيَّةً من القرنِ الثَّامنِ
إلى نهايةِ القرنِ الخامسِ عشرٍ كما سبقَ في تريمَ بمناسبةِ ذكرِ الملاحِ العظيمِ أحمدَ بنِ
ماجدٍ عندما ذكرنا علماء آلِ با ماجدٍ .

ولوبَّارٍ هذهِ ذكرٌ كثيرٌ من الأشعارِ ؛ منها قولُ النَّابغةِ [من الكامل] :
فَتَحَمَّلُوا رَحْلاً كَأَنَّ حُمُولَهُمْ دَوْمٌ بِيْشَةً أَوْ نَخِيلٍ وَبَارٍ^(١)
وفي مضربِ المثلِ بنخلِها ما يؤكِّدُ قولنا بغزارةِ خيراتها ، وكثرةِ بركاتِها ، وقد
أطالَ ياقوتٌ فيها بما لا حاجةَ إلى ذكرِهِ ؛ لأنَّ الكتابَ موجودٌ ، ولأنَّ بعضَهُ ممَّا يشكُّ
فيه العاقلُ ، ويحتاجُ في تصديقِهِ إلى سذاجةٍ وافرةٍ .

وممنَ نصرَ على أنَّها هيَ رمالُ عالِجٍ : ياقوتٌ وأبنُ خلدونٍ وغيرُهما .
وفي « شرح ديوان الحماسة » [٢٤٢/١] : أنَّ مروانَ الحمارَ آخرَ ملوكِ بني مروانَ
كتبَ لمعدانَ بنِ عبيدِ بنِ عديٍّ : ثمَّ واللهِ لأبيلنَّ الخيلَ في عرصاتِكَ . فقالَ معدانُ
للرَّسولِ : قلْ لهُ : تُبيلُ الخيلَ في عرصاتي وبينِي وبينكَ رملُ عالِجٍ ، وحولي عديدُ
طيءٍ ، وخلفَ ظهري الجبلانِ؟! فأجهدَ جهْدَكَ ؛ فلا أبقي اللهُ عليكِ إنْ أبقيتَ . في
حديثٍ طويلٍ .

وقالَ ذو الرُّمَّةِ [في « ديوانه » ٤٥ من الطَّويل] :
أَبَيْتُ عَلَى مَيِّ كَثِيْباً وَبَعْلَهَا عَلَى كَالنَّقَا مِنْ عَالِجٍ يَنْبَطُحُ
وقالَ أبنُ الأشعثِ الجنبِيُّ يصفُ صيْهَدَ حضر موتَ هذهِ - وكانَ سلكَها إلى وادي
نَجْرانَ كما فعلَ فلبِّي - [من الكامل] :

هَلَّا أَرَقْتُ لِإِرْقٍ مُتَهَجِّدٍ بَرَقَ تَوَلَّعَ فِي حَبِيٍّ مُنْجِدٍ

(١) بيْشة : وإِدِ بطريق اليمامة .

بَرَقِ يُذَكِّرُكَ الْجَرِيدَةَ أَنَّهَا
فَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ ثُمَّ رَاجَعْتُ أَلْهَوَى
عَلَقْتُ عَلاَتِقَهَا طَوَالَ الْمُسْنَدِ
يَوْمَ الشَّرَى وَدَعَوْتُ أَنْ لَا تَقْعُدِي

منها :

فَإِذَا مَفَازَةٌ صَيَّهْدٍ بِشَوْفَةٍ
وَتَظَلُّ كُذْرٌ مِنْ قَطَاهَا وَلَهَا
بَلَدٌ تَخَالُ بِهَا الْغُرَابُ إِذَا بَدَا
فَسَأَلْتُ حِينَ تَغَيَّيْتُ أَغْلَامُنَا
قَالُوا : الْمَجْرَةُ أَوْ سُهَيْلٌ بِأَدْيَا
نَتَجَشَّمُ الْأَهْوَالَ نَبْغِي عَامِرًا
تِيهِ تَظَلُّ رِيَّاحُهَا لَا تَهْتَدِي
وَتَرْوَحُ مِنْ دُونِ أَلْمِيَاهِ وَتَغْتَدِي
مَلِكًا يُسْرِبِلُ فِي الرِّبَاطِ وَيَزْتَدِي
مِنْ حَضْرَمَوْتَ بِأَيِّ نَجْمٍ نَهْتَدِي؟
ثُمَّ أَهْتَدُوا لِقُفُولِكُمْ بِالْفَرْقَدِ
مُتَحَزِّينَ عَلَيْهِ أَنْ لَمْ يُوجَدِ

وقال الهمداني في الجزء الأول [ص ١٩٥-١٩٧] من «الإكليل» : (ذهب في الدَّهْنَاءِ
بعهدنا قطارٌ فيه سبعونَ محملاً من حاجِّ الحضارمِ ، صادرينَ من نجرانَ ، لحقَ هذا
القطارُ في أعقابِ النَّاسِ ، ولم يكن فيه دليلٌ ، فساروا ليلةً وأصبحوا وقد تياسروا عن
الطَّرِيقِ ، وتمادى بهمُ الحورُ حتَّى أنقطعوا في الدَّهْنَاءِ ، فلم يُدرَ ما خبرُهم ؛ لأنَّ أحداً
لا يدخلُ ذلكَ المكانَ ، ولو دخله . . لم يظفرَ بموضعِهِم ؛ لسعةِ ذلكَ الخرقِ . . فهي
فلاةٌ واسعةٌ جدّاً ، وفيها بقايا قصورٍ في جانبِها الغربيِّ ممَّا يصلُّهُ العُمرانُ ، يُعدُّنها
النَّاسُ في زمانِنَا . . فيجدونَ فيها الدَّهَبَ وما لم يسرعِ إليه أَكُلُ الثَّرَابِ مِنَ الْفَضَّةِ) اهـ
وفيه كثرةُ حاجِّ الحضارمِ لذلكَ العهدِ ؛ لأنَّه إذا كانَ الألاحقُ سبعينَ محملاً . . فما
بالكُ بالسَّابقينَ ؟

ويشبهُ أن تكونَ هذه الْقِصَّةُ هِيَ بِنَفْسِهَا الَّتِي سَمِعْتُهَا عَنْ شَيْخِنَا الْعَلَّامَةِ أَحْمَدَ بْنِ
حَسَنِ الْعِطَّاسِ ، وذكرْتُها في «الأصل» ، وهي : أَنَّ مِثْلَهُ وَأَرْبَعِينَ دَخَلُوا الدَّهْنَاءَ
مُرْدَفِينَ عَلَى سَبْعِينَ مِطْيَةً ، كُلُّ أَثْنَيْنِ عَلَى وَاحِدَةٍ ، فغرقوا في بحرِ الرَّمْلِ ما عدا واحداً
تَخَلَّفَ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، وَانْتَظَرَهُ صَاحِبُهُ عَلَى مِطْيَتِهِ ، فَجَاءَتْ حَيْثُ هَانِلَةٌ وَالتَّهَمَتْ
الْجَمَلَ وَرَاكِبَهُ وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا قَاضِي الْحَاجَةِ .

وكنْتُ أَسْتَبْعِدُهَا ؛ لما أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَحَالَاتِ ؛ حَتَّى رَأَيْتُ كَلَامَ الْهَمْدَانِيِّ ،
فَظَنَنْتُ أَنَّهُ هِيَ ، إِلَّا أَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهَا التَّغْيِيرُ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وفي الْمَقْدَمَةِ : أَنَّ وَبَارِ اسْمُ لِحَضْرَمُوتَ بِأَسْرِهَا ، وَلَكِنَّ بَعْضَهُم يَخْضُهُ بِهِذِهِ
الْفَلَاقَةِ الَّتِي قَلَّمَا تَجَلَّسُ مَعَ أَحَدٍ مِنْ بَادِيَةِ الْعَوَامِرِ . . إِلَّا حَدَّثَكَ بِالْأَعَاجِيبِ عَنْ
أَشْجَارِهَا ، وَعَنْ جَنَّتِهَا ، وَعَنْ حَيَوَانَاتِهَا ؛ وَمِنْهَا النَّعَامُ ، وَبِهَا يَكْثُرُ بَيْضُهَا ، وَمِنْ
الْمَعْلُومِ أَنَّهَا لَا تَبْيَضُ إِلَّا فِي خَصْبٍ مِنَ الْأَرْضِ ، قَالَ جَابِرُ بْنُ حَرِيشٍ يَصِفُ أَرْضاً
بِالْخَصْبِ وَالرِّخَاءِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

لَا أَرْضَ أَكْثَرُ مِنْكَ بَيَضَ نَعَامَةٍ وَمَذَانِيَا تَنْدِي وَرَوْضاً أَخْضَرَا
وقال الْجَاحِظُ فِي كِتَابِ « الْحَيَوَانِ » : زَعَمَ نَاسٌ أَنَّ مِنَ الْإِبِلِ وَحْشِيَّةً وَكَذَا
الْخَيْلُ ، وَقَاسُوا ذَلِكَ عَلَى الْحَمِيرِ وَالْحَمَامِ وَالسَّنَانِيرِ وَغَيْرِهَا .

وَزَعَمُوا أَنَّ مَسْكَنَ الْإِبِلِ الْوَحْشِيَّةِ بَوَارِ ، قَالُوا : وَرَبَّمَا خَرَجَ الْجَمْلُ مِنْهَا لِبَعْضِ
مَا يَعْضُ فَيَضْرِبُ فِي أَدْنَى هَجْمَةٍ مِنَ الْإِبِلِ الْأَهْلِيَّةِ ، وَمِنْ هَذَا التَّنَاجُ كَانَتْ الْإِبِلُ الْمَهْرِيَّةُ .
وفي « لِسَانِ الْعَرَبِ » لِابْنِ مَنْظُورٍ : (أَنَّ الْحَوْشَ الْحَوْشِيَّةَ : إِبِلُ الْجَنِّ . وَقِيلَ :
الْمَتْوَحَّشَةُ . وَيُقَالُ : إِنَّ فَحْلًا مِنْهَا ضَرَبَ فِي إِبِلٍ لِمَهْرَةٍ بِنِ حِيدَانَ فَتَنْجَتِ النَّجَائِبُ
الْمَهْرِيَّةُ مِنَ تِلْكَ الْفُحُولِ الْوَحْشِيَّةِ . . فَهِيَ لَا يَكَادُ يُدْرِكُهَا التَّعَبُ) . وفي « الْأَصْلِ »
ذَكَرَ جَمِيلٌ مِنَ الْأَشْعَارِ فِي وَبَارِ .

وَمِنْ أَشْهُيْ مَا يَحْدُثُكَ الْخَبِيرُ عَنْ وَبَارِ : حَسَنُ الثَّرِيَّةِ ، وَزَكَاءُ الْمَنْبِتِ ؛ فَإِنَّ الزَّرْعَ
يُحْصَدُ مِنْهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ بِالسَّقِيَّةِ الْوَاحِدَةِ ، وَالْعَوَامِرُ يَسْمُونُ الْمَكَانَ الصَّالِحَ لِلْعِمَارَةِ
مِنْهَا : الْحَجَرُ ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْتَجِرُونَهُ لِمَرَاعِيهِمْ ؛ كَمَا يَسْمِي الْأَصْغَرُ الْمَكَانَ النَّازِلَ عَنْ
نَجْدِهِمْ فِيمَا يَلِيهِمْ مِنْهَا : عِيَوَه .

وخيَامُ الصَّيْعِرِ وَالْعَوَامِرِ وَالْمَنَاهِيلِ مَنْتَشِرَةٌ بِكَثْرَةٍ فِي هَذِهِ الْأَرْمَالِ .

هَذَا مَا تَلَقَّيْتُهُ بِشَأْنِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعَوَامِرِ ، يُصَدِّقُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً ، إِلَّا أَنَّ عِنْدَهُمْ
نَصِيباً كَافِئاً مِنَ الْبِلَادَةِ وَسُوءِ الْفَهْمِ . . فَالْعَهْدَةُ عَلَيْهِمْ .

خاتمة الكتاب

وهذا آخر ما أنتهى إليه القلم في الموضوع ، ولم يصل إليه إلا بعد الحِران^(١) ،
وصوارف الاقتران ، وذلك أنني لما خرجت عن سيئون^(٢) . . عرض ما يوجب تصنيف
« السيف الحاد لقطع الإلحاد »^(٣) ، ثم لما قاربت الحسيّة . . نجم ما يقتضي تأليف
« نسيم حاجر في تأييد قولي عن مذهب المهاجر » ، وبإثره أنفست العزيمة ،
وضعت الهمّة ، حتّى عالجتها بمثل قول أبي الطيّب [في « المكبري » ١٤٥/٤ من ألفايفر] :

وَلَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
فَانْبَعَثُ ثَالِثَةً ، لكن بخطأ قصيرة ، وصذر ضيّق ، مع أنّ الموضوع ليس من
فني^(٤) ، ولا يليق بسني ، وإنّما كان الأحرى هو الإقبال على الدّار الأخرى ،
وأستقيل الله من العثار ، ومن غثاء الإكثار ، وقد قالوا : إنّ أعراض الخلق حفرة من
حفر النيران ، وقف على شفيرها القضاة والمحدثون ، وأهل التّاريخ فيهم يدخلون .
وأنا في المدح أخوف منّي في القدح ؛ إذ قرّرت في « بلابل التّغريد » أنّ لا غيبة
لفاسق مطلقاً ؛ فكيف بها للمصلحة؟

فإنّي لأرجو أنّ أنال بدمهم من الله أجراً مثل أجر المُرابِط^(٥)
وقد صرّحوا بجواز الغيبة للتّحذير من الشرّ كجرح الشّهود والرّواة .
وقاعدة : (ما جاز بعد امتناعه) تقتضي الجواب .

(١) الحِران : الشدة .

(٢) أي : عقب الانتهاء من تدوين ما يتعلق بها .

(٣) ألفه في الرد على كتاب « وحدة الأديان » للصّافي ، طبع بعد سنة (١٣٦٧ هـ) .

(٤) هذا من هضم النفس وكسرها ، وإلا . . فمن لهذا الفن الذي لم يدع فيه رحمه الله شاذة ولا فائدة إلا
وأوردها ، ولا فائدة وحسن عائدة إلا واقتادها . . سواء ، ولكنه اعتذر بما يأتي . . فأبان عن حسن
اعتذاره .

(٥) البيت من الطويل ، وهو لبشار بن برد في « ديوانه » (١٨٥) .

والتحذير من الشرِّ أحدُ أمورِ سِتَّةِ تستباحُ بها الغيبةُ من دونِ خلافٍ ، وزادَ صاحبُ «الأنوارِ» سابعاً : وهو النصيحةُ العامةُ ، ولكن قال ابنُ حجرٍ : إنَّه داخلٌ تحتَ التحذيرِ من الشرِّ ، ونقلَ عن المحققينَ : أنَّه لا يجوزُ للمؤرِّخِ أن يذكرَ من المساوئِ إلا ما يقدحُ في العدالةِ ؛ لبيانِ الجرحِ . . . إلخ ما ذكرَ .

ولئن قصَّرتُ في شيءٍ من ذلكَ في حقِّ من يُخشى بهُ الاغترارُ . . فلخطرِ المقامِ ، وأنا أستغفرُ اللهَ ، وأرجو أن يكونَ فيما أذكرُهُ بهذا الكتابِ وغيره من الكتبِ والأشعارِ والخطبِ ما يكفي للخروجِ من الحرجِ .

وأما في المذحِ . . فكيف لا أخافُ وأنا لا آمنُ معَ الاحتياطِ فيه السَّوَرُ على الغيبِ ، والثناءُ بالأمورِ القليليةِ - وفيه ما فيه - إذ لم تتوفرِ القرائنُ من الإثمِ والعيبِ ، وعسى أن يكونَ لي مخرجٌ ممَّا قرَّرتُهُ في الجزءِ الأولِ من «الأصلِ» في مبحثِ الثناءِ ، وقد زادني خوفاً : ما جاءني في مكاتبةٍ من شيخِ مشايخنا العلامةِ أَلْجَلِيلِ عبدِ اللهِ بنِ حسينٍ بلفقيهٍ من قوله : (فأمائلُ البلدِ عندنا لم يبلغوا العشرةَ) اهـ ومتى كانت تريمٌ وهي مهْدُ العلمِ ووكُرُ الولايةِ لا يبلغُ الأمائلُ - فضلاً عن العدولِ - بها في ذلكَ العصرِ الطَّيِّبِ عشرةً ، فما بالك بما سواها؟ ، وتأكدَ ذلكَ بما جاء في حُكْمِ^(١) بتاريخِ سنةِ (١٢٧٦هـ) من قاضي تريمٍ لذلكَ العهدِ الشَّيخِ سعيدِ بنِ أحمدَ بنِ سعيدِ الكُبَيْرِ : أنَّه قَبْلَ شَهَادَةِ سَيِّدِي عِيدَرُوسِ بنِ علويٍّ بنِ عبدِ اللهِ العِيدَرُوسِ في دعوى للسَّيِّدِ عوضِ بنِ عمرَ بنِ أحمدَ الشَّاطِرِيِّ^(٢) ، وقالَ : لأنَّه من الأمائلِ . ولم يَقُلْ : من العدولِ .

وذكرَ غيرُ واحدٍ من الثَّقَاتِ : أنَّ الحبيبَ عبدَ اللهِ بنَ حسينِ بنِ طاهرٍ شهدَ مرَّةً برؤيةِ الأهلalِ لدى القَاضِي ، ولمَّا أرادَ العملَ بشهادتهِ . . قالَ لهُ : تمكثُ حتَّى أخبرَكَ بحالي وفِعلي ؛ فرُبَّما ترى فيه ما يُسْقِطُ شهادتي ؛ فإنِّي كنتُ أخرجُ إلى بعضِ آبارٍ وهناك

(١) أي : حكم قضائي .

(٢) توفي السيد عوض بتريم سنة (١٣٢٥هـ) ، وهو الجد الأول للعلامة أحمد بن عمر بن عوض . . مؤلف «الياقوت النفيس» ، وهو شقيق السيد أحمد بن عمر جد العلامة عبد الله بن عمر الشاطري .

رجلٌ وزوجتهُ يسنون ، وأقعدُ عندهم ، وربما يكونُ في هذا ما ينافي العدالة . اهـ
ومعاذَ الله أن يكونَ خروجُهُ إلاَّ لبعضِ شغلِهِ في شيءٍ من آبارِهِ ، ثمَّ يعرضُ لَهُ
القعودُ المُشارُ إليه .

وأنا قد أَطْنَبْتُ في الثَّناءِ على رجالِ هَاتَيْنِ الطَّبَقَتَيْنِ^(١) ، لكنَّ المحامِلَ كثيرةٌ ،
وفوائدَ حَسَنِ الظَّنِّ أَثيرةٌ بَثيرةٌ ، وإنِّي لأحاولُ جَهْدِي عندَ الكِتَابَةِ عَن آيِّ إِنْسَانٍ - ما لم
أَنْسَ التَّحْقِظَ أحياناً - أَنْ أَتَخَلَّى عن عواطفِ إعظامي وحبِّي لَهُ ؛ لأكونَ أبعدَ عن
المغالاةِ في فضائلِهِ ، كما فَعَلْتُ في والدي ، وسيدي الأُستاذِ الأَبَرِّ ، وشيخِهِ الإمامِ
البحرِ ، فكلُّ عارفٍ يَعْلَمُ أَنِّي مُقَصِّرٌ فيما كُتِبْتُ عنهم .

وَلَوْ أَبْصَرُوا لَيَلَى أَقْرَوا بِحُسْنِهَا وَقَالُوا بِأَنِّي فِي الثَّناءِ مُقَصِّرٌ
وقد بلغني : أَنَّ بعضَهُم أَشْتَكَى إلى الشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بِاسْوَدَانَ قراءَتَهُ في
شيءٍ مِنْ كِتَابِ الْأَخْلَاقِ على الحبيبِ أَحْمَدَ بْنِ عَمَرَ بْنِ سَمِيطٍ مِنْ غيرِ تقريرٍ مِنْهُ الْبَتَّةَ ،
فقالَ لَهُ : يَكْفِيكَ قراءَتُهُ ؛ أَيَ مَعْرِفَةٍ ما هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ وَالْأَخْلَاقِ
الْفاضِلَةِ ، تصدَّقْ ما أخرجَهُ أَبُو نعيمٍ في « حَلِيتِهِ » [٣٦٢/٣] بسنَدِهِ إلى الزُّهْرِيِّ قالَ :
(كُنَّا نَأْتِي الْعَالِمَ ، فما نَتَعَلَّمُ مِنْ أَدَبِهِ . أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ عِلْمِهِ) .

وما أخرجَهُ أيضاً فيها [٧/٣] : بسنَدِهِ إلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ قالَ : (إِنَّ الرَّجُلَ رَبُّما
جَلَسَ إلى أَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيِّ فيكونُ لِمَا يَرى مِنْهُ أَشَدَّ أَتْباعاً مِنْهُ لو سَمِعَ حَدِيثَهُ) .

وللهِ دُرٌّ أَبِي الطَّيِّبِ في قولِهِ [في « المُعْجَرِي » ١٥٥/٢ مِنْ الطُّوِيلِ] :
وَأَسْتَغْظِمُ الْأَخْبَارَ قَبْلَ لِقَائِهِ فَلَمَّا التَّقَيْنَا صَغَرَ الْخَبَرَ الْخُبْرُ
وقولِ عَصْرِيَّةِ ابْنِ هانِيءٍ الْأَنْدَلُسِيِّ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

كَانَتْ مُسَاءَلَةُ الرُّكَّابِ تُخْبِرُنِي عَنْ جَعْفَرِ بْنِ فَلَاحٍ أَطِيبِ الْخَبَرِ
حَتَّى التَّقَيْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أَذْنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصْرِي

(١) لعله يقصد طبقة الحبيب عبد الله بن حسين (القرن الثالث عشر) ، وطبقة العيدروس والشاطري
المذكورين ؛ أي : أوائل القرن الرابع عشر لأنه عاصر وقتهما .

كما أَنَّنِي أَكَلَّفْتُ قَلَمِي تَكْلِيفاً دَقِيقاً أَن لَا تَكُونَ كِتَابَتُهُ عَمَّنْ تَنْفَرُ عَنْهُ نَفْسِي تَحْتَ تَأْثِيرِ
أَيِّ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْعَاطِفَةِ ، بَلْ إِنَّنِي لَا آمَنْ أَن يَذْهَبَ بِي التَّحَرِّيُّ فِيهِ إِلَى الْمَغَالَاةِ ؛
تَفَادِياً مِنْ مِثْلِ الطَّنْبَعِ إِلَى التَّقْصِيرِ ، وَإِنَّنِي لَكَثِيراً مَا أَفْتَرَضُ الْحَبِيبَ بَغِيضاً وَعَكْسَهُ ؛
لَأَكُونَ أَدْنَى إِلَى التَّرَاهَةِ ، وَأَنَايُ عَنِ الْهَوَادَةِ^(١) .

ولم يعزب عن ذهني ما ذكرته أوائل « الْأَصْلِ » عَنِ ابْنِ السُّبْكِيِّ مِنْ إنْكَارِ مَا عَلَيْهِ
بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ يُعَرِّضُ بِالْإِمَامِ الذَّهَبِيِّ مِنْ تَقْصِيرِ الْخَطَا ، وَقَرْمَطَةِ الْكَلَامِ فِي تَرْجُمَةِ
مَنْ لَا يُوَافِقُهُ هَوَاهُ مَتَوْهُمَا أَن لَا ضَيْرَ عَلَيْهِ - مَتَى اجْتَنَبَ الْمَذَامَ - أَن لَا يَسْتَوْفِيَ
الْمَحَاسِنَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَلْزُمُهُ اسْتِيفَاؤُهَا ، وَإِنْ تَفَضَّلَ بِهِ فِي حَقِّ مَنْ يَحِبُّهُ وَيُوَالِيهِ ، أَوْ
مَا يَقْرُبُ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ .

ولكنني أَجْمَدُ عَنْ نَزْرِ خَوَاصِّ لِبَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ إِذَا لَمْ نَنْهَضْ لِلتَّغْطِيَةِ عَلَى
سَيِّئَاتِهِمْ ، وَعَذْرِي فِي ذَلِكَ : أَنَّنِي إِنْ ذَكَرْتُهُم بِالْعَجْرِ وَالْبَجْرِ . . أُسَوِّدُ التَّارِيخَ ، وَإِنْ
حَلَيْتُهُم بِالْمَحَاسِنِ . . كَانَ غَشّاً وَظُلماً لِمَنْ يَفْضُلُهُم بِالتَّرَاهَةِ مَعَ خُلُوهِ مِنْ تِلْكَ الْفَضَائِلِ
الَّتِي تَشِينُ مَتَى وَزِنْتَ بِتِلْكَ الْمَسَاوِيءِ السَّوْدَاءِ ، فَبَعْدَ أَنْ أَعْتَلَجْتَنِي الْخَوَاطِرُ ، وَأَتَعَبَنِي
الْتَّرَدُّدُ . . رَأَيْتُ الْجُمُودَ أَحْزَمَ ، وَالْإِغْضَاءَ أَلْزَمَ ، وَالْإِقْتِصَارَ عَلَى التَّعْرِيفِ أَسْلَمَ ، وَقَدْ
قَالَتْ إِحْدَى أُخَوَاتِ أُمِّ زَرْعٍ : (زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبْرَهُ) . . . إلخ .

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَشَايِخِي وَلِمَشَايِخِهِمْ وَهَلُمَّ
جِراً ، وَلِزَوْجِي وَأَوْلَادِهَا ، وَلِلْمُسْلِمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ
الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْهُ فِي مُنْتَصَفِ جُمَادَى الْآخِرَةِ مِنْ سَنَةِ (١٣٦٧ هـ) .

* * *

(١) الهوادة : اللين .



الفهارس العامة

1872

1873

1874

1875

1876

1877

1878

1879

1880

1881

1882

1883

1884

1885

1886

1887

1888

1889

1890

1891

1892

1893

1894

1895

1896

1897

1898

1899

1900

1901

1902

1903

1904

1905

1906

1907

1908

1909

1910

1911

1912

1913

1914

1915

1916

1917

1918

1919

الأعلام التي ذكرها المؤلف وترجم لها في طيات الكتاب

- أ -

- أبو بكر بازرة ٣٢٦
أبو بكر بن حسن بن محمد ابن جعفر ٣٤٩
أبو بكر بن عبد الرحمن بن طاهر ٨٢٥
أبو بكر بن أحمد الخطيب ٩٢٠
أبو بكر بن أحمد بن سالم بن أحمد بن علي ٩٨٦
أبو بكر بن إبراهيم بن عبد الرحمن السقاف ٩٩٨
أبو بكر بن سالم بن عبد الله السقاف ٩٧٥
أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي بكر ٩٨٧
أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب العلوي ٨٥٨
أبو بكر بن عبد الله الهندوان ٩٥٠
أبو بكر بن عبد الله بن أحمد العطاس ٢٨٨
أبو بكر بن عبد الله بن علي مولى عديد ٩٣٣
أبو بكر بن عبد الله بن محمد (ابن حسن) ٩٦٦
أبو بكر بن عبد الله بن محمد باكثير ٦٥٣
أبو بكر بن عمر باكثير ٦٥١
أحمد الأشرم ٢٧٥
أحمد بن أبي بكر بن عبد الله ابن زين ٥١٤
أحمد بن جعفر بن علي السقاف ٧٠٢
أحمد بن حسن بن عبد الله الحداد ٩٣٩
أحمد بن حسين بن عمر بن هادون ٤٢٦
أحمد بن زين الحبشي ٥٧٨
أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن
سالم ٩٨٤
أحمد بن سالم بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي
٩٩٤
أحمد بن طاهر بن أحمد ٨٢٦
- أحمد بن طه باحميد ٦٧١
أحمد بن عبد الرحمن بفلح ٢٦٤
أحمد بن عبد الرحمن بلحاج ٢١٣
أحمد بن عبد القادر باعشن ٣٤٧
أحمد بن عبد الله باعبيد ٣١٩
أحمد بن عبد الله بن أبي بكر الخطيب ٩١٩
أحمد بن عبد الله بن حسين ٨٢٥
أحمد بن عبد الله بن سالم الكاف ٢٧٢
أحمد بن عبد الله بن عمر الخطيب ٩٣٣
أحمد بن عبد الله بن عيدروس ٣٥٦
أحمد بن عبود بن عيسى الزبيدي ٨٠٤
أحمد بن علوي العيدروس ٧٦٣
أحمد بن علي بن أبي بكر ٩٨٩
أحمد بن علي بن أحمد ٩٨٢
أحمد بن علي بن سالم ٩٨٠
أحمد بن عمر باجابر ٢٩١
أحمد بن عمر بن زين بن سميظ ٥١٢
أحمد بن عمر بن عبد الله باضريس ٣٧٩
أحمد بن عمر بن عوض الشاطري ٩١٥
أحمد بن عمر بن يحيى ٨٢٨
أحمد بن محضار العيدروس ٧٦٨
أحمد بن محمد المحضار ٣٢٨
أحمد بن محمد باذيب ٥١٧
أحمد بن محمد بارجاء ٦٨١
أحمد بن محمد باكثير ٦٨٢
أحمد بن محمد بن عبد الرحيم باجابر ٢٩٢
أحمد بن محمد بن عبد الله ابن شهاب ٩٦٨

أحمد بن محمد بن علي بوطويرق ٨٠٥
أحمد بن ناصر البطاطي ٤١٥
أحمد بن ناصر بن أحمد بن أبي بكر بن سالم
٢٠٦

أحمد بن هاشم المساوي ٢٧٧
أحمد بن هاشم بن أحمد الحبشي ٧٦٩
إسماعيل الجرداني ٢٤٩
إمبارك بن عمر بن شيبان ٨٥٠
إمبارك بن محمد عجاج ٤٦٣
إمبارك عمير باحريش ٧١٧

- ب -

بو بكر بن عبد الرحمن بن جعفر ٨٠٧
بويكر بن محمد بامطرف ١٤٦

- ج -

جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ٥٧٩
جعفر بن سالم بن مرعي ٥٧٤
جعفر بن طه الحداد ٥٦٢
جعفر بن علي بن عانوز ٦٤٦
جعفر بن منصور بن غالب الكثيري ٧٣٣

- ح -

حسن بن أحمد بن حسن الحداد ٦٣٢
حسن بن إسماعيل بن علي ٩٩٠
حسن بن سالم بن أحمد العطاس ٢٨٨
حسن بن صالح البحر ٥٨٨
حسن بن عبد الله بن عبد الرحمن الكاف ٩١٥
الحسن بن عبد الله بن علوي الحداد ٩٣٩
حسن بن علوي بن شهاب ٩٠٩
الحسن بن علي الصادق الجفري ٦٦٦
حسن بن عمر بن حسن بن عبد الله الحداد ٩٤١
حسن بن عوض بن زين مخدم ٧٧١

الحسن بن محمد بن إبراهيم بلفقيه ٤٧٧
حسين بن حامد المحضار ٣٣٠

حسين بن حامد بن عمر العطاس ٣٤٢
حسين بن عبد الرحمن بن سهل ٢١٠
حسين بن عبد الله بن حسين ابن علوي ٨٥٣
حسين بن عبد الله عيديد ٦٧١
حسين بن علوي ابن أحمد بن علوي ٧٥١
حسين بن محمد ابن أبي بكر بن سالم ٢٧٦
حسين بن محمد ابن عمر المحضار ٩٧٦
حسين بن محمد البار ٣٥٦
حسين بن محمد الحبشي ٧٠٧
حسين بن محمد بن عبد الله الحسيني ٧٥٤

- ر -

رضوان بن أحمد بافضل ٩٩١

- ز -

زين بن حسن بن محمد بلفقيه ٤٧٨
زين بن صادق بن زين ٨٤٨

- س -

سالم بن أحمد باحميد ٦٧١
سالم بن أحمد بن علي ٩٨٣
سالم بن حفيظ بن عبد الله ٩٦٥
سالم بن طه الحبشي ٥٨٥
سالم بن عبد الرحمن باصهي ٥١٧
سالم بن عبد الله بن سعد بن سمير ٦٠١
سالم بن علوي بن سقاف ٦٦١
سالم بن فضل بن محمد بافضل ٨٧٥
سالم بن محمد باوزير ١٥٢
سالم بن محمد بن سالم بن حميد ٦٥٥
سالم بن محمد بن يماني ٥٧١
سالم عبود بلعمش ٣٦٨

سالمين بن عوض بن عبيد ٨٠٦

سعد بن أحمد بن عبد الله الصبان باغريب ٩٦٦

سعد بن سعيد الظفاري ٢٠٤

سعد بن علي الظفاري ٢٠٣

سعيد باحفظ الله ٣٧٠

سعيد بن سالم الشواف ٤٥٩

سعيد بن عبد الله باعبيد ٣١٩

سعيد بن عوض بن كده ٥٦٠

سعيد بن عيسى العمودي ٣٣٧-٣٨٧

سعيد بن قطامي ٧٧٧

سعيد بن محمد الشاعر ٥٥٢

سعيد بن محمد بن علي باعشن ٣٤٨

سقاف بن أبي بكر بن أحمد بن سالم ٩٨٦

سلطانة بنت علي الزبيدي ٧٥٧

سلمة بن يزيد الجعفي ٢٤٨

- ش -

شيخ بن عبد الرحمن الكاف ٩١٤

شيخ بن محمد الحبشي ٧٠٨

شيخ بن محمد بن شيخ الجفري ٩٣٧

شيخان بن علي بن هاشم السقاف العلوي ١٣٦

شيخان بن محمد الحبشي ٦٢٩

شيخان جمل الليل ٣٨٤

- ص -

صادق بن زين بن محمد ٨٤٨

صافي بن عبد الرحمن بن صالح ٣٧٨

صالح بن أبي بكر الحبشي ٥٨٥

صالح بن أحمد بن صالح الحامد ٨٠٢

صالح بن عائض بن خجير ٨٠٦

صالح بن عبد الله بن ثابت ٤٧١

صالح بن غالب بن عوض القعيطي ١٨٧

صالح بن محمد بن أحمد الحبشي ٥٨٠

صلاح أحمد الأحمدى ٤٩٠

صلاح البكري ٤٨١

- ط -

طالب بن جعفر بن سالم ٥٧٤

طالب بن مرعي ٥٦٥

طاهر بن عمر الحداد ٣٨٩

طه بن جعفر بن طه الحداد ٥٦٢

طه بن عبد القادر بن عمر السقاف ٧٥٨

طه بن علي بن عبد الله الهدار الحداد ٥٦٣

طه بن عمر (الثاني) السقاف ٦٨٧

طه بن عمر الصافي السقاف ٦٨٦

- ع -

عائظ بن سالمين بن عبد الله ٦٠٣

عامر بن طاهر بن نهيد ٤٦١

عامر بن كده ٥٦١

عباس بن علوي بن عبد الرحيم ٩٧٣

عبد الحسين بن حميد بن امبارك بامعبد ٦٦

عبد الحق بن هاشم الجربي ٤٢٧

عبد الرحمن الأخضر بن عمر باهرمز ٤٥٨

عبد الرحمن بن أحمد باشيخ ٣٦٢

عبد الرحمن بن أحمد بن عبد القوي بافضل ٩٢٠

عبد الرحمن بن إبراهيم باعلوي ٣٤٧

عبد الرحمن بن حسن بن طالب باصادق ٣٢٤

عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي ٨٠٣

عبد الرحمن بن محمد المشهور ٩٠٤

عبد الرحيم بن محمد ابن قاضي باكثير ٦٥٢

عبد القادر الجرداني ٢٤٩

عبد القادر بن أحمد الحداد ٩٠٠

عبد القادر بن أحمد بن طاهر ٨٢٦

عبد القادر بن أحمد بن عبد الرحمن الحداد ٩٤١

عبد القادر بن أحمد بن محمد باكثير ٦٨٢

عبد الله بن علوي العيدروس ٧٥٥
عبد الله بن علوي بن الفقيه المقدم ٦٥
عبد الله بن عمر باطويل ٣٤٨
عبد الله بن عمر بن عبد الله باجماع ٣٨٦
عبد الله بن عمر بن يحيى ٨٢٦
عبد الله بن عوض بن ناصر ٦٠٩
عبد الله بن محسن بن غالب الكثيري ٧٣٣
عبد الله بن محمد باحسن ٢٠٦
عبد الله بن محمد بن أحمد الحبشي ٥٨٠
عبد الله بن محمد بن حسن ابن عيسى ١٩٩
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عوض باوزير
١٢٦
عبد الله بن محمد بن عقيل مدهر ١٠٠٠
عبد الله بن محمد عباد القديم ٦١٠
عبد الله بن هادون بن أحمد المحضار ٣٣٣
عبد الله عوض غرامة ٩٤٩
عبد الله قدرى باشعيب ١٠٠٤
عبد المعطي بن حسن بن عبد الله باكثير ٥٠٥
عبد الواحد بن صلاح ابن روضان ٨٣
عبود (عبد الله) القحوم العمودي ٣٦٥
عبيد الله بن أحمد ٨١٤
عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف ٦٨٨
عتيق باجير ٥٥٦
عثمان بن أحمد العمودي ٣٣٨
عثمان بن عبد الله بن يحيى ٨١٩
عثمان بن محمد بن عمر العمودي ٣٠٥
عقيل بن عبد الله بن يحيى ٨٣٣
عقيل بن عثمان بن عبد الله ٨٢٢
عقيل بن محمد بن أحمد جمل الليل ٩٦٣
علوي بن أحمد المحضار ٣٣١
علوي بن أحمد بن علوي العيدروس ٧٦٤
علوي بن إبراهيم بن شيخ السقاف ٩٩٨
علوي بن سقاف بن محمد ٦٥٦

عبد القادر بن سالم بن علوي العيدروس ٧٦٤
عبد القادر بن عبد الله بن محمد الحبشي ٨٠٣
عبد القادر بن علي العيدروس ٧٦٨
عبد القادر بن عمر بن مبارك (الشعيرة) ٨٥١
عبد القادر بن محمد السقاف ٤٠١
عبد القادر بن محمد بن حسين ابن أحمد ٦١٨
عبد الله الصالح المغربي ٨٠
عبد الله بن أبي إسحاق الزيايدي ٦٥١
عبد الله بن أبي بكر النوام ٣٧٠
عبد الله بن أحمد بازرة ٣٢٦
عبد الله بن أحمد باسودان ٣١٧
عبد الله بن أحمد بافارس باقيس ٣٣٦
عبد الله بن أحمد بافلاح ٢٠٣
عبد الله بن أحمد بن عبود (ابن الطير) ٤٧٩
عبد الله بن أحمد بن عمر ٨٢٩
عبد الله بن حسن بلخير ٣٦٤
عبد الله بن حسن بن صالح البحر ٥٩٥
عبد الله بن حسن بن طالب باصادق ٣٢٤
عبد الله بن سالمين بن مرعي ٦٠٨
عبد الله بن سعد بن سمير ٦٠١
عبد الله بن سعيد باجنيد ٣٧١
عبد الله بن سعيد بافضل ٤٨٦
عبد الله بن شيخ (الأوسط) ٨٨٥
عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ابن شيخ
الأصغر) ٢٠٧
عبد الله بن صالح العمودي ٣٣٧
عبد الله بن صالح بن أحمد باكثير ٥٠٦
عبد الله بن طه بن عبد الله ٣٩٦
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بافضل ٢٠٠
عبد الله بن عبد الرحمن بن حسين ٨٢٥
عبد الله بن عثمان ٣٧٥
عبد الله بن علوي الحبشي ٨٥٥
عبد الله بن علوي الحداد ٩٣٧

علوي بن طاهر ٣٩٨

علوي بن عبد الرحمن المشهور ٩٠٥

علوي بن عبد الرحمن بن علوي ٧١٤

علوي بن عبد الرحيم بن سالم ٩٧٤

علوي بن عبد الله بن محمد باحسن ٢٠٤

علوي بن عثمان بن يحيى ٨٢١

علوي بن علي الحبشي ٧٠٦

علوي بن علي الهندوان ٩٦٤

علوي بن علي بن علوي الجنيدي ٢١١

علوي بن محمد بن عبد الرحمن ٨٥٤

علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف ١٤٣

علي بن أبي بكر بن محمد النصيري ٨١٦

علي بن أحمد ابن علي هريرة ٥٠١

علي بن أحمد بن سالم بن أحمد ٩٩٥

علي بن أحمد بن سالم بن سقاف ٩٨٨

علي بن أحمد بن سعيد باصبرين ٣٠٧

علي بن أحمد بن علي بن سالم ٩٨٠

علي بن حسن بن حسين الحداد ٩٤٠

علي بن حسن بن عبد الله العطاس ٤٢٤

علي بن سالم ابن يمانى ٥٧٢

علي بن سعيد باوزير ٥٤٥

علي بن صالح بن أحمد الحامد ٨٠٢

علي بن عبد الرحمن ابن أحمد بن زين الحبشي ٥٨٦

علي بن عبد الرحمن بن عبد الله الحبشي ٨٠٤

علي بن عبد الرحيم ابن قاضي باكثير ٦٥٣

علي بن عبد القادر العيدروس ٧٦٧

علي بن عبد الله باراس الكندي ٣١٦

علي بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف ٧٠١

علي بن عقبة الخولاني ٤١٩

علي بن علي بايزيد ٢١٢

علي بن عمر الجرو ٥٥٦

علي بن محمد الحبشي ٧٠٧

علي بن محمد بن عبد الله مولى عديد ٩٣٢

علي بن محمد بن عقيل ٨٣٧

علي بن محمد بن علي مولى عديد ٩٣٣

علي بن محمد بن عمر المالكي ٧٧

علي بن منصور بن غالب الكثيري ٧٣٣

عمر الصافي بن عبد الرحمن السقاف ٦٨٦

عمر المحضار بن أبي بكر ٩٧٦

عمر باعثمان ٣٦٢

عمر بن أبي بكر باجنيد ٣٧١

عمر بن أحمد باصرة ٣٥١

عمر بن أحمد بن عمر باسودان ٣١٩

عمر بن حسن الحداد ٩٤٢

عمر بن زين بن علوي بن سميط ٥١٢

عمر بن سقاف بن محمد السقاف ٦٦٤

عمر بن طه بن عمر الصافي السقاف ٦٨٧

عمر بن عبد الرحمن الثاني البار ٣٥٥

عمر بن عبد الرحمن بن علي العيدروس ٥٤٨

عمر بن عبد الرحمن بن محمد ابن علي البار ٣٥٤

عمر بن عبد الرحيم بارجاء ٦٨٠

عمر بن عبد الله الشبامي ٥١٠

عمر بن عبد الله باغريب ٩٢٥

عمر بن عبد الله بامخرمة السيباني ٦٨٣

عمر بن عبد الله بن سالم بن شحبل ٢٦٣

عمر بن عبد الله بن عمر ٨٢٦

عمر بن عبد الله بن محمد الحبشي ٥٨٦

عمر بن عبيد حسان ٧٠٩

عمر بن عقيل بن عبد الله ٨٣٧

عمر بن علوي باعقيل ٤٠١

عمر بن عمرو بن مخاشن ٤٤٥

عمر بن عوض بن عمر القعيطي ١٨٧

عمر بن عوض بن عمر شيان ٦٣٣

عمر بن عيدروس ١٠٢٤

عمر بن عيسى باركوه السمرقندي ٦١٧

عمر بن محمد بن عمر ابن سميط ٥١٣

محمد بن أحمد الخطيب ٩٢٠
 محمد بن أحمد المحضار ٣٣١
 محمد بن أحمد المخشب ٣٧٣
 محمد بن أحمد باجر فيل الدوعني ١٤٣
 محمد بن أحمد بافضل ١٤٤
 محمد بن أحمد بامشموس ٣٥٨
 محمد بن أحمد بن علي السقاف ٧٠٢
 محمد بن أحمد قعيطبان ٩٢٠
 محمد بن إبراهيم بلفقيه ٤٧٧
 محمد بن بو بكر باخشب ٣٦٨
 محمد بن جعفر العطاس ١٤٩
 محمد بن جعفر بن عبد الله ٨٤٨
 محمد بن حسين ابن أحمد ٨٠٨
 محمد بن حسين الحبشي (والد الحبيب علي)
 ٧٠٧

محمد بن حسين الحبشي الرشيد ٣٢٨
 محمد بن حسين بن علوي ٧٥١
 محمد بن حمران الجعفي ٢٤٧
 محمد بن زين بن علوي بن سميط ٥١١
 محمد بن سالم باخشوين ٩٨
 محمد بن سالم بن حفيظ ٩٦٦
 محمد بن سعد بن علي كبن الطبري ١٩٩
 محمد بن سعيد بن أحمد الذبحاني ١٩٧
 محمد بن سعيد بن عوض بن كده ٥٦٠
 محمد بن سقاف بن محمد ٧١٣
 محمد بن سقاف مولى خيله ٧٣٧
 محمد بن سلمة الكندي ٦٥٤
 محمد بن طالب ٣٣٤
 محمد بن طاهر الحداد ٣٩٠
 محمد بن عبد القادر بن عبد الله الحبشي ٨٠٣
 محمد بن عبد الله الحبصي ٩٤٩
 محمد بن عبد الله باكرت ٢٣٥
 محمد بن عبد الله بن سراج ٢١٣

عمر بن هاشم المساوي ٢٧٧
 عمر عبود بلخير ٦٣٢
 عمرو بن معد يكرب ٤٤٦
 عوض بن جعفر بن مرعي ٦٠٨
 عوض بن سنكر ٢٥٧
 عوض بن عبد الله بن شحبل ٢٦٣
 عوض بن عبد الله بن عانوز ٦٤٥
 عوض بن عمر القعيطي ١٧٨
 عوض بن محمد باذيب ٥١٨
 عيدروس بن حسين ابن أحمد العيدروس ٥٤٧
 عيدروس بن حسين بن سالم ابن شيخ السقاف ٢١١
 عيدروس بن سالم بن علوي ٦٦٢
 عيدروس بن سالم بن عيدروس البار ٣٥٧
 عيدروس بن عبد القادر العيدروس ٧٦٥
 عيدروس بن عمر (الأستاذ الأكبر) ٦٢١

- غ -

غالب بن عوض بن عمر القعيطي ١٨٠

- ف -

فضل بن عبد الرحمن بن عبد الله بافضل ٩٢٠
 فضل بن عبد الله بن فضل بافضل ١٩٩
 فضل بن عبد الله عرفان بار جاء ٩٢١

- ق -

قيس بن سلمة المراني الجعفي ٢٤٧

- م -

محسن بن جعفر بونمي ١٤٨
 محسن بن عبد الله العولقي ١٥٨
 محسن بن علوي بن سقاف السقاف ٧١٣
 محمد بروم ٣٤٤
 محمد بن أبي بكر عباد ٥٠٧

محمد بن عبد الله بن محمد عباد ٦١٢

محمد بن عثمان بن يحيى ٨٢١

محمد بن عقيل بن عبد الله ٨٣٤

محمد بن علوي بن أحمد (صاحب العمائم) ٨٩٨

محمد بن علوي بن عثمان ٨٢١

محمد بن علوي بن محمد ٨٥٤

محمد بن علي مولى عديد ٩٣٢

محمد بن عمر بازرعة ٣٢٦

محمد بن عمر باقضاء بامخرمة ٤١٨

محمد بن عمر بن بكران بن سلم ١٤٧

محمد بن عوض العمودي ١٠٥

محمد بن عوض بلاذن ٣٥٠

محمد بن محمد بارحاء ٦٨١

محمد بن محمد باكثر ٦٨١

محمد بن محمد بلخير ٣٦٤

محمد بن محمد بن حسين ابن أحمد ٨٠٩

محمد بن هادي بن حسن ابن سقاف ٧٢١

محمد بن ياسين باقيس ٣٣٥

محمد عامر بن سند ٥٤٨

مزاحم بن أحمد باجابر ١٠٧

مصطفى بن أحمد المحضار ٣٣٢

معروف بن عبد الله بن محمد باجمال ٥٠٨

منصور بن غالب الكثيري ٧٣٣

مهنا بن عوض بامزروع بامطرف ١٠٠٦

- ن -

ناصر بن طالب ٧١

ناصر بن علي ٤١٢

نشوان بن سعيد ٨٩٣

نصار بن جميل بن فاضل ٥٧٨

- ه -

هاشم بن عبد الرحمن بن عبد الله ٨٢٥

هود بن أحمد السقاف ٧٥١

- ي -

يحيى بن قاسم الجمهوري اليافعي ٤١٣

يسلم بن عديان ٤٦١

يعقوب بن يوسف باوزير ١٢٢

يوسف بن أحمد باناجة ٣٢٦

يوسف بن عابد الحسني الفاسي ٧٥٢

يوسف بن عبد الله الفاسي ٧٥٥

* * *

الأعلام التي ترجمناها بهوامش الكتاب

- أ -

أبو بكر بن أحمد باحميد ٣٧٧

أبو بكر بن أحمد بن عبد الرحمن ٨٩٥

أبو بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب ٩٢٠

أبو بكر بن سالم بن عبد الله السقاف ٩٧٥

أبو بكر بن سالم بوبكر الراقي ٨٥٥

أبو بكر بن شيخ بن عبد الرحمن الكاف ٩١٥

أبو بكر بن طه بن عبد القادر السقاف ٧٥٩

أبو بكر بن عبد الله ابن محمد مولى عبيد ٩٣٣

أبو بكر بن عبد الله بن طالب ٢٨٦

أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن زين ٥١٥

أبو بكر بن عمر بن عبد الله ٨٢٨

أبو بكر بن محمد بن عبود باذيب ٥١٧

أبو بكر بن محمد سالم ابن يوسف ٤٤٠

أحمد البيض بن عبد الرحمن ٢٠٩

أحمد الغزالي بن محمد المشهور البيتي ١٠٣

أحمد المشهور بن طه بن علي الهدار الحداد ٣٩٨

أحمد بن إسماعيل (ابن الأشرف) ١٠٨

أحمد بن إسماعيل بن العباس الرسولي ٧٩

أحمد بن الحسن بن القاسم (صفي الإسلام) ١٧٠

أحمد بن الحسين بن أبي بكر بن سالم ٩٧٨

أحمد بن جعفر بن أحمد السقاف ٧٠٢

أحمد بن حسن بروم ١٠٦

أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس ٢٨٦

أحمد بن حسن بن علي الكاف ٤١٨

أحمد بن حسين بن محمد العطاس ٥٦٥

أحمد بن زين الحبشي ٥٧٨

أحمد بن سعيد بالوعار ٤١٦

أحمد بن صالح بن أحمد ابن أبي بكر بن سالم

٢١٨

أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد ٨٩٥

أحمد بن عبد الرحمن بن علوي ٩٣٤

أحمد بن عبد الرحيم العمودي ٣٧٥

أحمد بن عبد القادر باعشن ٣٤٧

أحمد بن عبد القادر بن عقبة الشبامي ٥١٠

أحمد بن عبد الله الخطيب ٩٣٣

أحمد بن عبد الله بامخرمة ٤١٨

أحمد بن عبد الله بن سالم الكاف ٢٧٢

أحمد بن عبد الله بن شيخ ٢٠٨

أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس ٤١٩

أحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بلحاج ٢٠١

أحمد بن عبد الله بن عيروس البار ٣٥٦

أحمد بن عبد الله بن محمد الأكبر (الساكت) ٣٥٦

أحمد بن عبد الله خرد ٣٤٣

أحمد بن علي الجنيد ٩٠٤

أحمد بن علي بن أبي بكر بن سالم ٩٨٩

أحمد بن عمر بن زين بن سميط ٥١٢

أحمد بن عمر بن عوض الشاطري ٩١٥

أحمد بن محمد المحضار ٣٢٨

أحمد بن محمد باعيسى ٨٩١

أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري ٦٧٤

أحمد بن محمد بن عبد الرحيم باجابر ٢٩٢

أحمد بن محمد بن علي باشميل ٣٦٩

أحمد بن محمد بن فضل بافضل ٨٩٦

أحمد بن محمد بن يحيى السبتي ٨٩٥
 أحمد بن ناصر بن أحمد بن أبي بكر ٢٠٦
 أحمد عبد الله بركات ٥٣٠
 إبراهيم بن عمر بن عقيل ٨٣٧
 إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني ٥٢٦
 إسحاق بن عقيل بن عمر ابن يحيى ١٠٧
 إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل الجهضمي ٤٧٠
 إسماعيل بن إسماعيل الضحوي ٦٣٣
 أمبارك عمير باحريش ٧١٧
 أنجرامس ١٣٠

- ب -

بكار بن قتيبة الثقفي ٤٦٩
 بكران بن عمر باجمال ٩١١
 بويكر بن عبد الله بن علي خرد ٩٢٥

- ج -

جعفر الصادق بن زين بن عبد الله العيدروس ٨٨٤
 جعفر الصادق بن محمد المصطفى العيدروس ٨٨٤

جعفر بن أحمد بن زين الحبشي ٥٧٩
 جعفر بن منصور بن غالب الكثيري ٧٣٤
 جوهر العدني ١٩٥

- ح -

حامد بن حسن الحامد (بيّاع السيول) ٥٦٥
 حامد بن عبد الهادي بن عمر ٣٢٣
 حسن بايماني ٣٧٧
 حسن بلخير ٣٦٣
 حسن بن أحمد الحداد ٦٣٢
 حسن بن أحمد العيدروس ٧٦٦
 حسن بن أحمد بن زين ٥١٤
 الحسن بن إسماعيل بن علي ٩٩٠

حسن بن سالم بن أحمد العطاس ٢٨٨
 حسن بن عبد الله بن عبد الرحمن الكاف ٩١٥
 حسن بن علوي بن شهاب ٩٠٩
 الحسين بن أبي بكر بن سالم ٩٧٧
 حسين بن أبي بكر بن سعيد ٢١٠
 حسين بن أحمد بن زين بافقيه ٣٢٣
 حسين بن حامد بن عمر العطاس ٣٤٢
 الحسين بن سلامة النوبي ٥٢٤
 حسين بن طاهر بن محمد ٨٢٤
 الحسين بن عبد الرحمن بن محمد جمل الليل ٢١٠
 حسين بن عبد الله الحاج ٩٢٥
 حسين بن عبد الله عديد ٦٧١
 حسين بن علوي مديحج ٩٥٢
 حسين بن محسن الشامي العطاس ٤٣٦
 حسين بن محمد البار ٣٥٦
 حنظلة بن الشرقي (أبو الطمحان القيني) ٢٧٥

- د -

داود بن عبد الرحمن بن قاسم (حجر القديمي) ٨٥٩

- ر -

ربيعة بن الحسن الشامي ٥٠٧
 رضوان بن أحمد بافضل ٩٩١

- ز -

زرعة بن عمرو بن زرعة الأوسط (ذو نواس الأصغر) ٧٥
 زين العابدين بن عبد الله (الأوسط) العيدروس ٨٨٤
 زين بن أحمد ابن سميط ٥٢٨
 زين بن حسن بن محمد بلقيه ٤٧٨
 زين بن صالح بن زين بن عمر ٩٧٣

- س -

سارجنت ٨

سالم بن أحمد بن الحسين ابن أبي بكر بن سالم
٢٣٧

سالم بن بصري ٨٩١

سالم بن حفيظ بن عبد الله ٩٦٥

سالم بن عبد الرحمن بأسويدان ٥١٩

سالم بن عبد الرحمن بأصهي ٥١٧

سالم بن عبد الله ابن سمير ٦٠١

سالم بن محمد باوزير ١٥٢

سالم بن محمد بن سالم بن حميد ٦٥٥

سالم بن محمد بن عبد الرحمن الحبشي ٣٢٧

سالم سعيد بكير باغيثان ٩٢٧

سعد الدين بن علي الظفاري ٢٠٣

سعد بن أحمد بن عبد الله الصبان باغريب ٩٦٦

سعد بن سعيد الظفاري ٢٠٤

سعود بن عبد العزيز بن محمد ١٧٤

سعيد بن أحمد الذبحاني ١٩٧

سعيد بن عبد الله بن سعيد بأشميل ٣٦٩

سعيد بن عمر بلحاف ٦٧

سعيد بن عيسى العمودي ٣٨٧

سعيد بن محمد بن علي باعشن ٣٤٨

سعيد بن محمد معنوز بافيل ٣٨٧

سقاف بن علوي بن محسن السقاف ٦٩٠

سقاف بن محمد بن عمر الصافي ١٠

- ش -

شبيان بن صالح ابن إسحاق ٤٥٧

شيخ بن أحمد بن سالم ٩٨٩

شيخ بن أحمد بن عبد الله ٢٠٨

شيخ بن سقاف بن أحمد بن علوي ٧٥١

شيخ بن عبد الله (الأكبر) العيدروس ٨٨٣

شيخ بن عبد الله (الأوسط) بن شيخ العيدروس
٨٨٤

شيخ بن محمد الحبشي ٧٠٨

شيخان بن محمد شيخان الحبشي ٦٢٩

- ص -

صالح بن أحمد بن عبد الكبير باقيس ٢٨١

صالح بن سعيد بن هادي ٥٦٥

صالح بن عبد الله العطاس ٢٧٦

صالح بن علي بن صالح الحامد ٨٠٢

صالح بن محسن بن أحمد ابن عبد الله الحامد

٢٧٣

صلاح بن محمد بن عمر القعيطي ٤٨٤

- ط -

طاهر بن حسين بن طاهر ٨٢٤

طه بن أبي بكر بن طه السقاف ٧٥٩

طه بن علوي ابن عمر الصافي ٧١٤

- ع -

عامر بن طاهر بن نهيد ٤٦١

عامر بن عبد الوهاب بن داود ٨٧٣

عباس بن عبد الله بن جعفر الحداد ٥٦٢

عبد الباري بن شيخ بن عيدروس ٩٢٤

عبد الرحمن الطويل بأصهي ٥٢٢

عبد الرحمن بن أحمد بن محمد السبتى ٨٩٥

عبد الرحمن بن راشد بن إقبال ١٦٦

عبد الرحمن بن شيخ بن عبد الرحمن الكاف ٩١٥

عبد الرحمن بن عبد الله بأفضل ٩٢٠

عبد الرحمن بن عبد الله بكير ١٥٣

عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه ٤٧٦

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه ٩٠٣

عبد الرحمن بن عبد الله بن عتيق ٦٧٢

عبد الرحمن بن علي بن حسان ٧٠٩
عبد الرحمن بن عيسى ٤٠٢
عبد الرحمن بن محمد المشهور ٩٠٤
عبد الرحمن بن محمد باصهي ٥٢٧
عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن أبي بكر ٣٤٣
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ٩٩٨
عبد الرحمن بن مزروع ٥٣٢
عبد الرحمن بن مصطفى بن شيخ العيدروس ٨٨٤
عبد الرحيم بن محمد ابن قاضي باكثير ٦٥٢
عبد الرحيم بن محمد بن عبد الله المعلم باكثير ٢٠٥
عبد الصمد باكثير ١٥١
عبد العزيز بن محمد بن سعود ١٧٣
عبد القادر بن أحمد الحداد ٩٠٠
عبد القادر بن أحمد بن محمد باكثير ٦٨٣
عبد القادر بن شيخ العيدروس ٨٨٤
عبد القادر بن عمر بن مبارك (الشعيرة) ٨٥١
عبد الكبير بن عبد الكبير بن عبد الله باحميد ٦٦٩
عبد الكريم الملاح ٢١٦
عبد الله ابن أبي بكر العيدروس ٩٦٥
عبد الله بن أبي بكر عديد ٩٠٤
عبد الله بن أبي بكر مقييل ٣٦٧
عبد الله بن أحمد بافلاح الشحري ٢٠٣
عبد الله بن أحمد بلفقيه ٩٠٣
عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة ٤١٧
عبد الله بن أحمد بن عمر ٨٢٩
عبد الله بن أحمد بن محسن الناجي الياضي ١٢٧
عبد الله بن أحمد بن محمد باشميل ٣٦٩
عبد الله بن الحسين بن محسن الشامي العطاس ٤٣٦
عبد الله بن حسن باطيران العمودي ٣٤٤
عبد الله بن حسن بن عبد الله الحداد ٦٣٢
عبد الله بن حسين بلفقيه ٩٠٤

عبد الله بن حسين بن محسن السقاف ٦٩٠
عبد الله بن راشد بن شجعتة ٧٥٥
عبد الله بن سالم بن عبد الله بن زين ٢٠٩
عبد الله بن سعد بن سمير ٦٠١
عبد الله بن شيخ العيدروس (ابن شيخ الأكبر) ٢٠٧
عبد الله بن شيخ بن عبد الله العيدروس (الأوسط) ٨٨٣
عبد الله بن صالح بن هاشم الحبشي ٧٢١
عبد الله بن طاهر ٣٩٨
عبد الله بن عبد الرحمن ابن عقيل مدهر ٩٩٩
عبد الله بن عبد الرحمن العمودي (أبو ست) ٣٤٤
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر بافضل ٢٠٠
عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عبيد ٨٩١
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد ٢٠٧
عبد الله بن علوي الحبشي ٨٥٥
عبد الله بن علوي الحداد ٩٣٧
عبد الله بن علوي بن حسن ابن عمر العطاس ٢٨٧
عبد الله بن علي بن شهاب ٩٠٤
عبد الله بن علي بن عمر الكثيري ٥٦٨
عبد الله بن عمر الشاطري ٩٠١
عبد الله بن عمر باجماع ٣٨٦
عبد الله بن عمر باشراحيل ٧٧٠
عبد الله بن عمر باعباد ٣٧٦
عبد الله بن عمر بن عبد الله باشراحيل ٧٧١
عبد الله بن عمر بن عبد الله بامخرمة ٢٠٢
عبد الله بن عمر بن محمد ابن سميط ٥١٤
عبد الله بن عمر بن محمد بلخير الدوعني ٣٩
عبد الله بن عمر بن يحيى ٨٢٦
عبد الله بن عوض باحشوان ١٢٦
عبد الله بن عيدروس بن علوي ٩٢٣
عبد الله بن فضل بن محمد الحاج ٢٠١
عبد الله بن محسن بن محمد ابن عمر العطاس ٢٨٧

عبد الله بن محفوظ بن محمد ابن الإمام الحداد ٢٢٤
عبد الله بن محمد ابن خالد باعباد ٢٢٧
عبد الله بن محمد الحبشي ٩
عبد الله بن محمد المصطفى ٨٨٤
عبد الله بن محمد باحمد بن ٣٦٣
عبد الله بن محمد باسحلة (باسنجلة) ٢١٢
عبد الله بن محمد بن حكم باقشير ١٠٠٢
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عقيل مدهر ٩٩٩
عبد الله بن محمد بن عبد الله جمل الليل باعلوي ١٩٨
عبد الله بن محمد بن عوض بن قطنة ٦٥٢
عبد الله بن معروف بن محمد باجمال ٥٥٠
عبد الله عوض بكير ١٥٣
عبد الله قدرى باشعيب ١٠٠٤
عبد المجيد خان بن محمود خان العثماني ١٧٥
عبد الهادي بن عبد الله بن عمر الجيلاني (الطبيب) ٣٢٢
عبود القحوم العمودي ٣٦٥
عبيد الله بن محسن بن علوي السقاف ٦٨٨
عبيد بن شريّة الجرمي ١٠٣٤
عثمان بن عبد الله بن يحيى ٨١٩
عقيل بن عثمان بن عبد الله ٨٢٢
عقيل بن عمر باعمر العماني ٦٧
عقيل بن عمر بن يحيى ٨١٩
علوي بن سالم بن زين بن أبي بكر ٣٤٣
علوي بن سقاف بن محمد ٧١٣
علوي بن طاهر ٣٩٨
علوي بن عبد الرحمن المشهور ٩٠٥
علوي بن عبد الرحمن بن علوي ٧١٤
علوي بن عبد الله بن عيّدروس بن شهاب ٩٠٢
علوي بن عبيد الله بن أحمد (المبتكر) ٧٦٣
علوي بن علوي الكاف (يسرين) ٩٢٦

علوي بن علي الهندوان ٩٦٤
علوي بن علي بن علوي الجنيد ٢١١
علوي بن محمد بن سهل مولى خيله ٧٠٣
علوي بن محمد بن طاهر الحداد ٣٩٥
علوي بن محمد بن عمر الصافي ٧١٣
علي بن أحمد باكثير ٦٨٣
علي بن أحمد بامروان ٨٩٦
علي بن أحمد بن حسن العطاس ٢٨٨
علي بن أحمد بن سعيد باصبر بن ٣٠٧
علي بن أحمد بن عبد الله باجخيف ٣٦٨
علي بن إبراهيم بن يحيى ٨٩١
علي بن الحسين بن علي ابن أحمد البيض ٢٠٩
علي بن سعيد باصليب (الرخيلة) ٢٧١
علي بن صلاح بن محمد القعيطي ٤٨٤
علي بن عبد الرحمن المشهور ٩٠٦
علي بن عبد القادر بن سالم العيّدروس ٧٦٧
علي بن عقبة الزيايدي الخولاني ٤١٩
علي بن علي بايزيد ٢١٢
علي بن محمد ابن عقيل جمل الليل ٣٢٣
علي بن محمد الحبشي ٧٠٧
علي بن محمد الخطيب (صاحب الوعل) ٩٣٤
علي بن محمد باحميش ٣٠٧
علي بن محمد بن زين باعبود ٧٧٠
علي بن منصور بن غالب الكثيري ٧٣٤
عمر المثنى بن عمر العطاس ٢٧٧
عمر بن أبي بكر باحويرث ٣١٦
عمر بن أحمد الشاطري ٩٠١
عمر بن أحمد بن أبي بكر بن سميط ٥١٦
عمر بن أحمد بن علوي السقاف ٧٥٠
عمر بن أحمد بن عمر بن حسين ٣٢٠
عمر بن أحمد بن محمد ابن سعيد العمودي ٢٧٣
عمر بن امبارك بن عوض بادّبا ١٥٤
عمر بن جعفر بن علي ابن بدر بوطويرق ١٧١

عمر بن زيد ٣٧٦

عمر بن سالم بن أبي بكر باذيب ٥١٠

عمر بن سعيد بن أبي بكر باغريب ٩٢٦

عمر بن سقاف بن محمد ٦٦٥

عمر بن عبد الرحمن المشهور ٩٠٧

عمر بن عبد الرحمن بن علي العيدروس ٥٤٨

عمر بن عبد الله ابن سالم الخطيب ٩٣٤

عمر بن عبد الله بن حسين العطاس ٢٨١

عمر بن علوي الحداد ٩٤٤

عمر بن عيدروس بن علوي ٩٢٣

عمر بن محمد بن عمر ابن سميط ٥١٣

عوض بن أحمد الجرو ٥٥٥

عوض بن أحمد عقبة (سديس) ٥١٠

عوض بن عبد الله بامختار ٦١٧

عوض بن محمد بن أبي بكر الراقي ٨٥٥

عون الرفيق باشا بن محمد الحسني ١٧٩

عيدروس بن حسين ابن أحمد العيدروس ٥٤٧

عيدروس بن سالم بن علوي ٦٦٢

عيدروس بن سالم بن عيدروس البار ٣٥٧

عيدروس بن علوي بن عبد الله ٩٢٣

عيدروس بن عمر بن عبد الرحمن المشهور ٩٠٧

عيسى بن بدر بن علي ابن بدر بوطويرق ١٧٢

عيسى بن محمد بن أحمد الحبشي ٢٧٨

- غ -

غالب بن عوض بن عمر القميطي (أبونا آدم) ١٨٠

غالب بن محسن بن أحمد الكثيري ٧٢٩

- ف -

فان درمولن ١٨

فضل بن عبد الرحمن بن عبد الله بافضل ٩٢٠

فضل بن عبد الله بن فضل بافضل ١٩٩

فضل بن عبد الله عرفان بارجاء ٩٢١

فضل بن علوي بن محمد (مولي خيله) ٢٣٩

فيصل بن الحسين بن علي الحسني ١٢٧

- ق -

القذال سعيد القذال ١٣١

قيس بن عاصم بن سنان المنقري ٣٦٥

- ك -

كريستيان سنوك هرخونيه ٩٠٨

- م -

محسن بن جعفر بونمي ١٤٨

محسن بن علوي بن سقاف السقاف ٧١٣

محفوظ بن سعيد المصلي اليافعي ٦٤٠

محمد الباقر بن عمر بن عقيل ٩٦٤

محمد باعلي باشميل ٣٦٩

محمد بايزيد ٢٧١

محمد بن أبي بكر الأشخر ٩١٦

محمد بن أحمد ابن أبي الحب الخطيب ٨٨٠

محمد بن أحمد السقاف ٨٣٦

محمد بن أحمد المحضار ٣٣١

محمد بن أحمد باحميش ٣٠٧

محمد بن أحمد بغلف ٣٦٣

محمد بن أحمد بن حسن (باساكوته) ٣٤١

محمد بن أحمد بن سالم الخطيب ٩٣٤

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العلوي النعمي

١٥١

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد ٨٩٥

محمد بن أحمد بن علوي جمل الليل ٣٨٥

محمد بن أحمد بن علي الحجري الصنعاني ٤٤٩

محمد بن أحمد بن عمر الشاطري ٩٢٧

محمد بن أحمد بن عمر بن يحيى ٨٢٩

محمد بن أحمد بن محمد الجفري ٤١٨

محمد بن أحمد عقيلة ٧٧٤

محمد بن أحمد قعيطبان ٩٢٠

محمد بن إسماعيل الكبسي ١٦٩

محمد بن الحسين بن القاسم ١٦٩

محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي ١٩٦

محمد بن يوبكر عبد الله باخشب ٣٦٨

محمد بن حرمي بن معاذ الشحري ١٩٧

محمد بن حسن عديد ٩١٢

محمد بن حسين بن محمد الحبشي ٢٧٨

محمد بن زين بن محمد باعبود ٧٧٠

محمد بن سالم بن حفيظ ٩٦٦

محمد بن سالم بن عبد الله بن زين ٢٠٩

محمد بن سراج باجمال ٦١٥

محمد بن سعد بن كبن الطبري ١٤٤

محمد بن سعد بن محمد باشكيل ١٩٦

محمد بن سعيد باطويح ٢١٥

محمد بن سقاف ابن أبي بكر بن سالم ٤٩٠

محمد بن طاهر بن عمر الحداد ٣٩٠

محمد بن عبد الرحمن بن شهاب ٨١٩

محمد بن عبد القادر الإسرائيلي ٧٨

محمد بن عبد القادر بامطرف ١٤٦

محمد بن عبد الكبير بن عبد الله باقيس ٢٨١

محمد بن عبد الله بافيل ٣٨٧

محمد بن عبد الله باكرت ٢٣٥

محمد بن عبد الله بن عمر الشاطري ٩٠٢

محمد بن عقيل بن عبد الله السقاف ٢٣٩

محمد بن عقيل بن عبد الله بن يحيى ٨٣٤

محمد بن علي القلعي الظفاري ٧٩٠

محمد بن علي بن إبراهيم ٨٩١

محمد بن علي بن علوي (صاحب مرباط) ٨٩١

محمد بن علي بن عمر الكثيري ٥٧٠

محمد بن علي بن محمد باعلوي ٨٩٦

محمد بن عمر باجمال ٥٠٨

محمد بن عمر بن إمبرك بن عبد الله بحرق ٢٠٢

محمد بن عمر بن سليم ١٤٧

محمد بن عوض العمودي ١٠٤

محمد بن مبارك البركني ٢٧٩

محمد بن محسن بن علي ابن أبي بكر ٢٧٨

محمد بن محسن بن عمر العطاس ٢٨٨

محمد بن محمد بن محمد السقاف ١٧٦

محمد بن محمد بن معبد الدوعني (أبو معبد) ٦٥

محمد بن مسعود بن سعد باشكيل ١٤٥

محمد بن هادي بن حسن ابن سقاف ٧٢١

محمد بن ياسين باقيس ٣٣٥

محمد جمل الليل بن حسن المعلم (الشبية) ٩٦٤

محمد رشاد بن أحمد البيتي ١٠٣

محمد سعيد بن محمد بابصيل ٤١٧

محمد طاهر بن مسعود الذباغ ١٢٨

مصطفى بن حسن العيدروس ٧٦٦

معروف بن عبد الله بن محمد باجمال ٥٠٨

منصور بن نزار العبيدي ٩٥٣

مهنا بن عوض بامزروع ١٠٠٦

- ن -

نشوان بن سعيد ٨٩٣

- ه -

هادون بن أحمد العطاس ٧

هشام بن محمد بن السائب الكلبي ٤٨

- ي -

يحيى بن سالم بن فضل ٨٩١

يعقوب بن صالح الحريضي ٢٨٣

يوسف بن إسماعيل النبهاني ٩١١

يوسف بن عابد الحسني الفاسي ٧٥٢

* * *

الفهرس الألفبائي لأسماء المدن والقرى والمواضع التي ذكرت في الكتاب

بَحْرَان ٤٦٢	- أ -	أصبعون ٧٩
بحسن ١٠٣٤		* أم الصميم ١٠٥٧
* بحيره ٥٥٦		أنف الجبل = السويحلي ٩٦٨
البدية ٢٦٤		أيروب ٢٣٨
براقش ٤٥١		
البرج ٢١٩		- ب -
برط ٦٣٣		باب المنذب ٨٥
* بروم ١٠٥		* بابكر ٦٠٩
بريح ٩٤٦		باحسان ٤٦١
بريكة (لآل محمد التميمين) ٨٣٢		باحفارة ١٠٠٨
البريكة (لآل ثابت) ٥٦٤		باخبره ٥٤٦
* بُضْء ٣٣٧		بارفعه ٥٦١
بضي ٨٣٩		* الباطنة (من الكسر) ٤٧٦
البُقْرين ١٣٨		الباطنة (من وادي العين) ٤٣٠
* بلاد الماء ٣٤٤		* باعبد الله ٨٠٧
بلاد منوب ٤٨٠		باعطير ٩٦٧
بلاد يام ٢٥٦		باعلال ٨٣٢
بَلْعَقَبَة ٥٦٧		* بالحاف ٦٧
* بليل ٦٠٧		بالسان ٥٤٦
البهاء = الحوطة الغربية ٥٧٨		بامشجع ٥٤٣
بور ٧٦٢		بامعد ٥٦٥
البويرقات ٤٣٠		بامعدان ٥٦٥
بويش ١٣٨		باهزيل ٥٦٥
بيت جبير ٨٤٥		باوردان ٢٨٠
بير الأعمش ٧٦٣		بايوت ٨٤٠
بير المديني ٧٧٩		
بير المير ٨٠٣		

بئر بشهر ١١٠

بئر ثمود ١٠٥٠

بئر عبد الله بن مصطفى ٨٤٩

* بئر علي ٧١

بئر غمدان ٢٩٠

البيضاء = نشق ٤٥١

- ت -

* تاريه ٨٠٠

تبالة ٢١٦

التَّبِقُول ٥٧١

* تريس ٦٥٠

* تريم ٨٧١

تفیش ٤٨٠

تمران ٧٥٩

تَنْعَة ١٠١٤

تَوْخَرِي ٥٤٥

تولبة ٣٧٤

- ث -

* ثبي ٨٥٢

ثغر عدن = حيق بني مجيد ٧٤

ثلة عضد ١٣٨

ثوبان ٢٢١

* ثوبة ١٠١٠

- ج -

جاحز ٢٧٦

جاذب ٢٣٨

جبال دوعن ٩٥

جبال نعمان ٩٥

جبل حبشية ١٠٥٠

جبل دمع ٧٧٥

جبل دَمَخ ٧٧٥

* الجبيل ٣٣٦

جحورب ٥٤٥

الجحي ٥٤٥

* جحي الخنايشة ٣٧٠

جدفرة الصيغر ٥٦٥

الجدفرة (لآل الشرعي والمسامير) ٥٤٦

الجدفرة (لآل العطاس) ٢٨٠

الجدفرة (من جفل) ٥٦٧

الجديدة ٣٧٢

* جَدَع ٧٥٦

الجرادف ٢١٩

* الجرب ٩٦٣

جردان ٢٤٦

جروب آل جعفر المسيطي ٥٦٥

جروب البريكة ٥٦٤

جريف ٣٧٢

* جَعِيمَة ٥٤٤

جِفْل ٥٦٧

جمعوض ٢٢٢

الجوة ٥٦٧

جوة آل مهنا ٤٧٦

جوة الخناق ٤٦١

جوجة ٤٩٤

جول آل عبد المانع ٧٩

جول عبود ١٠٣٥

الجويب ١٤٠

- ح -

الحارة ١٣٧

حارة الخليف ٩٣٠

حافة العبيد ١١١

الحالكة ١٠٣٤

الحزم (من هينن) ٤٥٧	الحالمين ١٢٩
حَسَوَة ٢٦٢	الحامي ٢٢٢
* الحسوسة ٣١٢	الحاوي ٧٧٣
* الحسيّسة ٧٨٠	* الحاوي (حاوي الحوطة) ٥٦٢
الحسين ٩٧	الحاوي (حاوي تريم) ٩٣٦
الحصن (شرقي محيف) ٢٣٨	حباير ٢١٩
* حصن آل الرباكي ٥٦٩	حب ٢٧٧
حصن آل الزوع ٤٨٧	حبره (لآل ماضي) ٢٧٦
* حصن آل فلوقة ٨٥٨	حبرة (من وادي بن علي) ٥٦٦
حصن آل كوير ٤٧٥	الحبس ٢١٩
حصن ابن ضوبان ٨٣٩	* حبوطة ٩٩١
حصن ابن عياش ١٧١	حبون ١٠٤٥
حصن ابن ميمون ٤١٠	الحثم (من هينن) ٤٥٦
* حصن الحوارث ٧٤٧	* حجر ٩٢
حصن الخناشبة ٣٧٤	حجر ابن دغار ٩٤
حصن الدولة آل جعفر ٨٠٥	حجر علوان ٩٤
حصن الرّكّة ٤٣٦	الحجيل ٩٧٠
حصن الرّكّيّة ٥٤٦	الحديبة ٥٧٤
حصن السعيدية ٤٩٥	حراد ٨٠٥
* حصن الشاوش ٥٧٦	حرة ابن ميمون ٤١٠
حصن الشيخ سالم بن يمان ٥٧١	حرة العين ٤٧٤
حصن العر ١٠٠٨	حرة باعبد الله ٢٥٦
* حصن العز ٨٥٧	حرة بدر بن ميمون ٤١٠
* حصن الغراب ٧١	حرة مرشد بن ميمون ٤١٠
حصن القروقر ٥٥٤	الحرشيات ١٣٨
حصن المداشلة ٤٩٠	حرو (من المكلا) ١٨٢
حصن المعز ١٠٠٨	حرو (في وادي عدم قرب ساه) ٨٣٩
حصن الهاجري ٥٥٤	الحريّة ٥٤٤
حصن ياخطيب ٣٧٧	حريز ٨٠٦
حصن بلغيث ٩٧٠	حريضة ٢٨٣
حصن بن كوب ١٠١٥	* الحزم ١٥٤
* حصن جره ٨٥٠	* الحزم (بسفع جبل الخبة) ٥٤٧
	الحزم (من غيل عمر) ٨٤١

* حوطة سلطنة ٧٥٧
 حوف ٢٣٨
 حوفا ٣٧٨
 * الحول ٦١٠
 حول (من بيعث) ٢٩٤
 حويرة ١٠٣٤
 حويلة آل الشيخ علي ٤٩٨
 حيد الجزيل ٣٧٤
 حَيريج ٢٣١
 حيق بني مجيد = ثغر عدن ٧٤
 حَيْلة بأصليب ٢٧١
 الحيوار ٩٤٦

-خ-

خباية ٩٦٠
 الخت ٥٤٦
 الخديد ٤٧٦
 * خديش ٣٤٥
 الخرابة ٤٧٩
 الخربة ١٠٣٤
 الخربة (من المكلا) ١٣٨
 خربة باكرمان ٢٧٢
 * الخريبة ٣١٤
 خشامر ٤٩٣
 الخشعة ٤٥٤
 * خلع راشد = الحوطة ٥٧٧
 خلفوت ٢٣٧
 * خمور ٤٩٤
 خموسة ٥٦٤
 الخميلة ٢٧١
 الخندق ٥٤٥
 خنفر ٢٧٨
 الخنم ٥٦٤

حصن دكين ٩٧٠
 حصن صداع ١٥٥
 حصن قسبل ٥٥٤
 حصن كندة = حصن فرحة ٤٦١
 حصن مطهر ٨٤٦
 حصون آل الشيخ أحمد بن علي ٤٩٩
 حصون آل العاس ٦٤٤
 حصون آل الفاس ٦٤٤
 * حصون آل جعفر بن بدر ٦٤٧
 حصون آل خالد بن عمر ٦٤٢
 حصون آل عون ٦٤٤
 * حصون آل كثير ٦٤٢
 * حصون آل منياري ٦٤٧
 حصون آل مهري ٦٤٤
 * حصون العوانزة ٦٤٥
 حصويل ٢٣٧
 * حضرموت ٤١
 حكمة ٨٣٩
 * حلبون ٣٣٥
 الحمام ٢٩٣
 الحمراء ١٢٩
 حنور ٩٨
 حوته ١٠٢
 * حورة ٤٣٧
 الحوش ٧٩
 * الحوطة = خلع راشد ٥٧٧
 حوطة العيدروس ٤٦٢
 الحوطة الغربية = البهاء ٥٧٨
 * حوطة الفقيه ٧٧
 حوطة القعيطي = الریضة ٤٨٣
 حوطة النور ٤٩٠
 حوطة باوزير ٥٤٥
 حوطة حميشة = كيرعان ٤٣٥

ديار الصويل ٥٦٦
ديار بني بكر ٤٨١
الديس ١٣٨
الديس الشرقية (قرب الحامي) ٢٢٣

- ذ -

الذنائب ٩٣
ذو النّخيل ٥٨
ذو ناخب ١٧٢
ذو يجور ٣١٩
* ذي أصبح ٥٨٧

- ر -

رأس الفرتك ٧٤
الرابية (قرب البويرقات) ٤٣١
الرابية (قرب قعوضة) ٤٣٢
راوك ٨٤١
رباط باعشن ٣٤٧
رباط باكويل ٢٧٢
* رحاب ٣٥٩
رحابة ٥٧١
الرحب ٢٧٨
الرحبة ٧٧
الرحم ٢٨١
* رخية ٢٥٩
رخيوت ٢٣٨
الردود ٧٥٩
رِسِب ٨٤٠
* الرشيد ٣٢٥
رضوم ٧٩
رضيح ٨٣٨
رضيمة ٥٤٦

خور يضغط ٢٢٧
الخون ١٠٠٨
خيصيت ٢٣٧
خيله (لآل بقشان) ٣٧٧

- د -

دار آل الرشيد ٤٨٧
دار آل النقيب ٤٨٧
دار ابن صريمان ٤٦٣
دار الراك ٤٩٢
دحامة آل قصير ٨٤٦
* الدحقة ٥٤٨
الدخناء ٤٥١
درفات ٢٣١
دفيقة ٢١٦
الدلفة ٨٤١
* دمع ٨٣٠
دمخ حساج ٢٣٠
دمقوت ٢٣٨
* دمون ٩٦٨
* دُهر ٢٥٨
* دوعن ٣٠٥
الدوفة ٣٧٤
الدويلة = يبحر ١٠١٣
ديار آل أحمد (من القطن) ٤٩٠
ديار آل أحمد بن علي آل باجري ٧٧٢
ديار آل سعد ٤٩١
ديار آل شملان ٦٧٣
ديار آل عبود ٥٦٧
ديار آل علي بن سعيد ٦٧٣
ديار آل مبارك ٥٦٤
ديار آل مطرف ٨٠٧
ديار الزمالكة وآل منيف ٥٦٤

رغوان (من الجوف) ٤٥١
 الرقة ٧٩
 ركبان ٤٥٣
 ركة محيصن ٥٦٥
 ركيكة ٤٧٩
 رماه ١٠٥٢
 الرمضاء ٢١٩
 * الرمل ٨٤٧
 الرمل (من الكسر) ٤٧٥
 الرمل القديمة ٨٤٩
 رهطان ٤٥٤
 روبه ٩٨
 روضة آل باهديلة ٥٤٦
 روضة آل مهري ٥٤٦
 * روضة بني إسرائيل ٧٨
 الروضة ٥٦٦
 * روضة ٩٦٣
 روكب ١٣٨
 ريون ٤٢٨
 * الريدة ٢٢٩
 ريده آل بارشيد ٧٩
 ريده الجوهرين ٨٣٩
 ريده الدّين = ريده أرضين ٢٩٥
 ريده الصيغر ١٠٣٩
 ريده المعارة ١٠٣٤
 ريده بامسدوس ١٧١
 ريسوت ٧٢
 * الريضة ٨٤٦
 الريضة (من دوعن) ٣٤٦
 الريضة = حوطة القعيطي ٤٨٣
 الريده ٧٧٥

- ز -

زاهر باقيس ٢٨١
 الزبارة ٢٦٢
 زبيد (شمال بلاد الغريب) ٥٦٧
 زمخ (غرب منوخ) ١٠٤٦
 زمخ (من وادي دهر) ١٠٤٦
 زهر الجنان ٥٦٤

- س -

ساحة آل علي الحاج ٤٨٨
 ساحة الجهاورة ٤٨٨
 ساحة الحضارمة ٤٨٧
 * ساه ٨٤٢
 السبعة الوديان ١٠١٥
 السّبير ٩٧٠
 السحيل ٥٤٦
 * سحيل آل مهري ٥٤٦
 سحيل الفقرا ٥٦٧
 السحيل القبلي = سحيل بدر ٨٠٠
 سحيل غانم ٥٧١
 سحيل محسن ٨٠٦
 سد سنا ١٠٢٩
 * سدبه ٤٣٥
 سدة العيدروس ١٧٤
 * سدة باتيس ٢٦٥
 سراواه ٢٨٠
 السعيدية ٤٩٥
 السفولة (لآل حويل) ٤٧٩
 السفولة (لآل سيف) ٥٦٥
 السفيل (من وادي العين) ٤٣٠
 سكدان ٨٤١
 سلمون ٢٦٤

السلهبي ٤٧٩	شرح باسالم ١٣٨
* السليل أو السيرير ٥٤٩	شرح باوهاال ٢٤٥
* سُمل ٨١٤	شرح مدرك ٥٤٦
سنا ١٠٢٨	شرح نعام ٥٤٤
* السهلة ٨٣١	الشرقي ٢٧٢
سهوة ٢٦٤	* شرمه (شرمة الكساسيب) ٨١٢
الشُور (قرب وادي الجابية) ٤٥٤	* شرمه (في الشحر) ٢٢٥
سور بني الحارثة ٢٦١	شريف ٨٣٨
السوط ٢١٩	شريف (لآل محمد بن عبد الله) ٤٦١
* سوط آل سميع ٢٦٦	شطب ١٠١٣
السوق (أعلى أصبعون) ٨٢	* الشعب ٦٠٢
السوق (في تريم) ٩٣٠	شعب آل نهيد ٤٧٦
* السوم ١٠١١	شعب النور ٢١٨
* السوم (شرقي تريس) ٦٦٤	شعب خيله ٩٢٨
سونة ٨٣٩	* شعب نبي الله هود عليه السلام ١٠١٧
السويحلي = أنف الجبل ٩٦٨	الشعبة (شعبة بامحمد) ٢٧٣
سويدف ١٠٠٧	شكلنزه ٢١٩
السوري ٨٤٦	الشوف ٢٤٥
* سيئون ٦٧٤	
سييان ٩٥	- ص -
سيحوت ٢٣١	الصاري ٨٣٨
	صبيخ ٣٧٢
	الصدارة ٩٥
	الصدف ٣٤٦
	الصعيد ٧٩
	صقر ٢٣٧
	صلاله ٢٤٠
	صمع ٢٦١
	صنا ٢٦١
	صنعنون ٥٤٦
	صهية ٥٤٤
	* صوران ٤٧٢
	* الصومعة ٨٤٤

العبر ٤٥٣
 عتاب ٢٣٦
 عثه ٨٤٠
 * العجز ١٠٠٠
 العجلانية ٤٧٥
 العدان ٤٧٨
 * العرسمة ٣٦٧
 العرض ٨٤١
 عرض آل بلعلا ٤٩١
 عرض آل حويل ٤٧٩
 * عرض آل مخاشن ٤٤٤
 عرض الريخة ٥٦٤
 عرض باقار ٣٧٢
 عرض باهشم ٣٧٢
 عرض بوزيد ٤٣٥
 عرض عبد الله ٧٧٦
 * عرض مسرور ٤٩٨
 عرض مولى خيلة ٧٧٩
 عرف ٢١٩
 عُرقة (قلعة في بروم) ١٠٦
 العرقوب ٥٤٦
 * عزما ٢٥٦
 * عزان ٧٧
 عسد الجبل ٢٢٩
 عسنب ٤٩٥
 عشة القمر = غب القمر = غية ٧٤
 عصم ١٠١٣
 العصية ١٠١٣
 عطف بالرشيد = عطف ميفعة ٨٤
 العطوف ٧٩
 العقبة ٥٦٤
 عقبة العرشه ١٠٣٤
 عقبة الغز ٨٤٣

صيعق العجر ٩٥
 * صيف ٣٨٤
 صيقة آل عامر ٨٤٢
 صيلع ٤١٥

- ض -

ضباب ٢٤٥
 ضبعان ٤٨٠
 ضبوت ٢٣٧
 الضبيعة ٨٤١
 ضري ٣٧٧
 * الضليعة ٢٩٥
 ضوران ١٧١

- ط -

* طبوقم ١٠٢٩
 طمجان ٢٧٤
 طهيف ٤٨٠

- ظ -

الظاهر ٥٦٤
 ظاهرة آل كليب ٤٧٩
 ظاهرة آل نهيد ٤٧٩
 الظاهره ٥٦٤
 * الظاهره (شرقي قموضه) ٤٦٥
 ظفار ٢٣٨
 ظلوم ٥٦٦

- ع -

العادي ٥٦١
 العادية ٤٧٨

عقبة الفقرة ١٠٣٤
 عقبة عبد الله غريب ١٠٣٤
 عقبة عثه ١٠٣٤
 عقدة آل المصلي ٤٩١
 عقدة الشاوش ٤٩١
 عقدة الوهالين ٥٦٤
 العُقْدَه ٥٧٤
 العقيقة ٥٤٤
 العكابرة ١٠٣٤
 عكبان ٤٥٤
 عكرمة ٣٠٥
 علم بدر ٧٢٣
 علوجة ٢٦٥
 عمد ٢٧٦
 عمقين ٢٤٥
 عندل ٢٩٠
 عَنَق ٢٧٨
 عنييدة ٤٧٦
 العنين ٤٩٠
 * عوره ٣٥١
 عوقد ٧٣
 عيديد ٩٣١
 العيص ٢٢١
 العين (غربي علبان) ٤٥٦
 * عين بامعبد ٦٥
 * عينات ٩٧٤
 عيوه ١٠٤١

- غ -

الغارين ٨٣٢
 غب القمر = عشة القمر = غبة ٧٤
 * الغرف ٨١٨
 * الغرفة ٦١٠

غصيص ٤٧٦
 غنيمة آل عبري ٤٦١
 غنيمه ٨٠٥
 غورب ٤٣٠
 الغويضة ٩٧٠
 * الغيل ١٤٠
 غيل ابن عمر ١٤٠
 غيل ابن يمين = غيل الشناظير ١٠٣٥
 غيل باسودان ١٤٠
 غيل بدر ٨٠٦
 غيل بلخير ٣٦٣
 غيل عمر ٨٤١
 الغيل ٦٠٨

- ف -

الفتك (من قرى محيفيف) ٢٣٨
 الفجير (قرب دمون) ٩٧٠
 الفجير (من ضواحي سيئون) ٧٣٦
 الفرط (قرب الباطنة) ٤٨٠
 الفرط (قرب الخون) ١٠٠٨
 الفرط (من ضواحي سيئون) ٩٧١
 فرط قبوسة = فرط الحمير ٥٥٠
 فريشه ٤٧٩
 الفشلة (في عرض آل مخاشن) ٤٨٠
 الفشلة (في وادي منوب) ٤٨٠
 * فغمه ١٠١٣
 الفغوة ٥٨٧
 فنده ٤٧٩
 الفوهة ٥٥٤
 الفيديمي ٢٣٨
 قَيْل ٣٨٦

- ق -

* القارة (بجانب النقمة) ١٥٣

* القارة (لآل ثابت) ٤٧١

قارة آل عبد العزيز ٥٥٠

قارة ابن محرقة ٢١٩

* قارة الجبوظي ٧٦٠

* قارة الشناhez ٨١٥

* قارة العمر ٧٦٠

قارة جشيب = قارة جشير ٧٧٩

قارة دخان ٣٤٦

قاهر ٩٧١

* قبر تبع ٣٤٦

قبر نبي الله حنظلة عليه السلام ٧٧٣

* قبر نبي الله صالح عليه السلام ٤٩٥

قرحة آل باحميش ٣٠٦

القرن ٧٤٠

القرن (مرفاً الديس) ٢٢٣

قرن ابن عدوان ٢٨١

قرن المشايخ آل العمودي ٢٩٣

* قرن باحكيم ٣١٣

قرن باشريح ٢٦٤

قرن باظبي ٢٧٢

* قرن ماجد ٣٦٥

* القرنين ٦٦٦

* القرنين (من وادي دوعن) ٣٥٤

قزة آل البطاطي ٤١٢

* قسم ٩٩٣

قَشِن ٢٣٧

قصر ذي يهر ٩٤٩

قصير ٢٢٧

القطار ٥٤٦

* القطن ٤٨٣

القطيب ١٣٠

* قعوضه ٤٦٣

القفل (لآل رطاس) ٧٧٩

القفل (لآل منيف) ٤٦٢

قلات ٤٩٧

القمر ٧٢

القوز ٥٧٤

قوز آل مرساف ٩٦٦

* القويرة ٣٢٨

* قيدون ٣٨٧

القيرح ٥٦٤

- ك -

* كُخلان ٨٤٣

كساح ٨١١

* الكسر ٤٤٧

كنينة ٩٤

كوت سرور ٨٤١

كودة آل عوض ٩٦٦

الكوده ١٠٠٨

كور سيان ١٠٣٤

* كوكه ٣٤٥

كيرعان = حوطة حميشة ٤٣٥

- ل -

لينة باراشيد ٩٥

لحروم ٢٩٠

لخماس ٤٦٢

* اللسك ٩٧٣

لصف ٥٤٥

لعمق ٢٦٣

لفحون = نفحون ٢٨٠

* المشهد ٤٢٤
المصنعه ٥٦٦
مضارب الكرب ٢٥٥
مطارح ٥٤٥
مَغْبَر ٢٢٨
معيان العليا ١٠٠٧
معيان العيينة ١٠٠٧
معيان المساجدة ٢١٩
معيان سويدف ١٠٠٧
معين ٤٤٩
مقاشع ١٠٢٨
المقد ٢٢٣
مقد العبيد ١٠٣٥
مقبيل ٧٧٩
مكان آل البرقي ٦٠٨
مكان آل الصقير ٦٧٣
مكان آل الوعل ٥٦٢
مكان آل جعفر ٨١١
مكان آل حصن ٥٤٥
مكان آل غريب ٨١١
مكان آل فحشا ٥٦٢
مكان آل كحيل ٦٠٨
مكان آل كرتم ٨١١
مكان آل معتاشي ٧٧٩
* المكلا ١٠٩
مكينون ١٠١٢
ملفوق ٧٤٠
المنبعث ٤٧٥
منخوب ٢٧٨
المنغلقة ٤٥٦
منوخ ١٠٤٥
المنيطرة ٤١٠
مهينم ٢٢٨

المتنه ٤٧٩
المجف ٩٣٠
* المحترقة ٥٥٥
المحجر ٥٤٣
محل الصقعان ٥٦٧
محمدة ٩٤
المحيضرة ٩٤٦
محيف ٢٣٧
مخاران الجنوبي ٩٣١
المخارم ٢٦٢
مخلاف خولان ١٧٠
مخية ٢٧٢
المخينيق ٤٧٥
المدهر ٤٧٩
* مدودة ٦٦٨
مريخ ٥٤٤
مرير ١٧٥
* مريمه ٧٥٠
مسایل الصيوق ٩٨
مسجد النور ٥٦٦
* المسحرة ٤٩٢
* المسندة ٩٥٧
مسه ٤٠٨
مسيال وادي بن علي ٥٥٤
مسيل عدم ٨٢٤
مسيلة آل شيخ ٧٥٩
* مسيلة آل كدّه ٥٦٠
* المسيلة ٨٢٤
مشاط ٢٩٣
مشاطر ١٠١٣
مشطه ٩٦٥

الموزع ٤٩٢

موشح ٥٦٥

* ميخ ٤٢٨

* ميفع ٨٩

* ميفعة ٧٩

- ن -

نباع ٢٦٢

النجاعين ٢١٩

* نجد آل كثير ١٠٤٧

النجد الجنوبي ١٠٣٤

النجد الشمالي ١٠٣٨

* نجد العوامر ١٠٤٨

* نجد المناهيل ١٠٤٩

* النجير ٩٦١

نحول ٤١٢

* نخر عمرو ٥٠٢

* نخر كعده ٧٧٩

النخش ٥٦٦

نسرة ٤٠٩

نشطوت ٢٣٧

نشق = البيضاء ٤٥١

* نعام ٥٤٣

النعير ٢٧٧

النعير (من تريم) ٩٢٨

نفحون = لفحون ٢٨٠

* النقرة ٩٩٢

* النقعة (شمال الغيل) ١٥١

* النقعة (لآل جنيد) ٤٤٣

* نقعة آل جنيد (شمال حوره) ١٥٢

نقق ٤٩١

النويدرة ٨٤١

- ه -

الهجر ٨٤

* الهجرين ٤١٠

* هدامه ٥٥٩

* هدون ٣٦١

هروت ٢٣٧

الهشم ٤٣٠

هشيمة ٥٤٤

هينن ٤٥٦

- و -

الواد ٩٩

وادي الأيسر = وادي عمر ٣٧٤

وادي الجابية ٤٥٤

وادي الحوياء ١٠٤٧

وادي الخون ١٠٠٧

وادي الدخان ١٠٤٨

* وادي الذهب ٨٥٦

وادي السر ١٧٠

وادي الشكيل ١٠٠٨

وادي العرج ١٠٤٨

* وادي العين ٤٣٠

وادي الغبر ٤١٢

وادي الغبرا ١٠٣٨

وادي القويح ١٠٤٧

وادي المشاجرة = وادي يبعث ٢٩٥

وادي النبي ٣٠٦

وادي الواسطة ١٠٠٧

وادي امباركه ١٠٤٨

وادي برهوت ١٠١٥

وادي بن راشد ٤٥

* وادي بن علي ٥٦٤

* وادي منوب ٤٧٩	وادي جب ١٠٠٨
وادي منوه ٣٠٦	وادي جرمان ٩٧١
وادي نخط ١٠٤٧	وادي حسين ١٠٠٧
وادي هجره ١٠٠٧	وادي حمم ١٠٣٤
وادي هينن ٤٥٦	وادي حموضة ٣٠٦
وادي بيا ١٠٤٨	وادي سبيه ١٠٠٨
وادي يبحر ١٠١٣	وادي سخورة ١٠١٢
وادي يبعث = وادي المشاجرة ٢٩٥	* وادي سر ٤٩٥
* وادي يبهوض ٤٩٧	وادي سور ١٠٣٨
وادي يشمه ٧٢٣	وادي شحوح بن ثعلب ٦٦٧
وادي يسحر ١٠٢٨	وادي شحوح بن يمانى ٦٦٧
وادي ينحب ١٠٢٨	وادي ضرغون ١٠٠٧
الواسط ٢١٨	وادي طبوقم ١٠٣٨
* الواسطة ١٠٠٣	وادي طرون ١٠٤٧
* وبار ١٠٥٣	وادي ظيلم ١٠٤٧
الوجر ٢٧٤	وادي عبد الله بن سلمان ٨٠٥
الوجب ٤٧٦	وادي عرده ١٠١٢
وردة مصبح ٤٥٩	وادي عشارهم ١٠٣٨
وزيرية ١٢٢	وادي عصم ١٠١٣
- ي -	وادي عُقران ٤٩٢
يبحر = الدويلة ١٠١٣	* وادي عمد ٢٦٦
يبحر الجديدة ١٠١٣	وادي عمر = وادي الأيسر ٣٧٤
يبرين ٤٤٢	وادي عمقين ٢٤٥
* يبعث ٢٩٢	وادي عنحي ١٠١٣
يترب ٥٣	وادي عولك ١٠٠٧
* يرقق ٦٤٥	وادي فرع ١٠٤٧
يشبم ١٧٦	وادي فغمه ١٠١٣
* يشحر ٨٣٢	وادي قتاب ١٠٥١
يون ٩٨	وادي قيصوم ١٠٥١
	وادي مدر ٧٧٥

* * *

فهرس موضوعات الكتاب

٧	مقدمة علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر
٢١	بين يدي الكتاب
٢٨	وصف النسختين الخطيَّتين
٢٩	عملنا في الكتاب
٣٠	خاتمة
٣١	صور المخطوطات
٣٩	مقدمة المؤلف
٤١	حضر موت
٤٣	- حدود حضر موت
٤٦	- أسماء حضر موت
٥٢	- من خصائص حضر موت

القسم الأول

٦٥	في مرافق حضر موت وما داناها من أعلاها إلى أدناها
٦٥	عين بامعبد
٦٧	بالحاف
٧١	بير علي
٧١	حصن الغراب
٧٧	عَزَّان
٧٧	حوطة الفقيه
٧٨	روضة بني إسرائيل

٧٩	ميفعة
٨٤	- وصف وادي ميفعة
٨٥	- قبائل ميفعة
٨٩	ميفع
٩١	- وصف أرض ميفع ووبائها
٩٢	حَجَر
٩٧	- فروع قبيلة نَوَّح السببانية
١٠٣	- أعقاب السَّادة بني علوي بوادي حجر
١٠٥	- تمر حَجَر
١٠٥	بُرُوم
١٠٩	الْمُكَلَّا
١١٠	- تاريخ الْمُكَلَّا القديم وإمارة آل كساد
١٢٠	- الْمُكَلَّا تحت حكم الْقُعَيْطِيَّ
١٢٠	- معاهدة الحماية
١٢٤	- فائدة في حكم المقبرة إذا دثرت
١٢٥	- التعليم في الْمُكَلَّا
١٣١	- كلمة توجيهية عن التعليم عموماً
١٣٢	- أحوال الْمُكَلَّا الداخلية، وأهمها القضاء
١٣٥	- أشهر مساجد الْمُكَلَّا
١٣٧	- بعض أعيان الْمُكَلَّا وعلمائها في السابق
١٣٨	- ضواحي الْمُكَلَّا وقراها
١٣٩	شُحَيْر
١٤٠	الْغَيْل
١٤٣	- الأعلام والعلماء في غيل باوزير
١٥١	النَّقْعَة
١٥٣	الْقَارَة

١٥٤ الحَزْمُ وَصَدَاع
١٥٥ - قيام دولة العولقي في الحزم
١٥٨ - استطراد في الكلام على فحولة الشعراء
١٦١ الشُّخْر
١٧٢ - دولة آل بريك
١٧٥ - حادثة مريز
١٧٦ - نهاية آل بُريك
١٧٨ - استتباب الحكم للقعيطيين
١٨١ - حادثة الحموم سنة (١٣٣٧هـ)
١٨٨ - معاهدة الاستشارة بين صالح بن غالب والحكومة الإنكليزية
١٩٦ - أعلام الشُّخْر
٢٠١ - القضاء في الشُّخْر
٢٠٤ - السادة العلويون بالشُّخْر
٢٠٦ - آل الشيخ أبي بكر بن سالم سكان الشُّخْر
٢٠٧ - آل العيدروس بالشُّخْر
٢٠٨ - آل بافقيه بالشُّخْر
٢٠٩ - آل عديد بالشُّخْر
٢٠٩ - آل البيض بالشُّخْر
٢١٢ - المدارس بالشُّخْر
٢١٥ - تجارة أهل الشُّخْر
٢١٦ - غياض الشُّخْر
٢٢١ - مراسي بحر الشُّخْر إلى ظفار
٢٢٣ - نسب الحموم
٢٢٤ - السادة آل المقدي
٢٢٥ شَرْمَة
٢٢٩ الرَّيْدَة

- ٢٣٧ قِشْن -
- ٢٣٧ من قرى قِشْن ونواحيها -
- ٢٣٨ من قرى محيف ونواحيها -

القسم الثاني

- ٢٤٥ في أواسط حضرموت من أعلاها إلى أدناها
- ٢٤٥ حدود حضرموت من الغرب -
- ٢٤٦ جَرْدَان -
- ٢٥٠ شَبُوة
- ٢٥٢ خبر علي ناصر القَرْدَعِي -
- ٢٥٦ عِرْزَمَا
- ٢٥٨ دُھَر
- ٢٥٩ رَخِيَّة
- ٢٦٢ - المَخَارِم
- ٢٦٣ - آل شحبل
- ٢٦٤ - سَهْوَة
- ٢٦٤ - حادثة الكسادي وآل العمودي
- ٢٦٥ سِدَّة بَاتَيْس
- ٢٦٦ سَوَاط آل سَمِيدَع
- ٢٦٦ وادي عَمْد
- ٢٧١ - بلدان وادي عمد
- ٢٨٢ - قبائل الجعدة
- ٢٨٣ - حريضة
- ٢٨٤ - قدوم آل العطاس إلى حريضة
- ٢٩٢ يَبْنِث
- ٢٩٥ الضِّلِيعَة
- ٣٠٢ - خبر ثورة باعقيل

٣٠٥	دوعن
٣١٢	الحسوسة
٣١٣	قرن باحكيم
٣١٤	الخُرَيْبَة
٣٢٥	الرَّشِيد
٣٢٨	القُوَيْرَة
٣٣٥	حَلَبُون
٣٣٦	الجُبَيْل
٣٣٧	بُضْه
٣٤٤	بلاد الماء
٣٤٥	خَدِيش
٣٤٥	كُوكِه
٣٤٦	قَبْرِتَيْع
٣٥١	عُورَه
٣٥٤	القُرَيْن
٣٥٩	رَحَاب
٣٦١	هَدُون
٣٦٣	غِيل بَلْخَيْر
٣٦٥	قرن ماجد
٣٦٧	العرسمة
٣٧٠	جَحْي الخَنَابِشَة
٣٨٤	صِيف
٣٨٧	قيدون
٣٨٩	- السادة آل الحداد بقيدون
٤٠٠	- آل باعقيل السقاف
٤٠٧	- حادثة الخنابشة وباهبري

٤٠٨ مِسِه
٤٠٩ نسرة
٤١٠ الهَجْرين
٤١٢ القرى المحيطة بالهجرين
٤١٢ قزة آل البطاطي
٤١٥ صيلع
٤١٦ أعلام الهجرين
٤١٩ آل ابن محفوظ حكام الهجرين
٤٢٤ المشهد
٤٢٨ آثار المشهد
٤٢٨ ميخ
٤٣٠ وادي العين
٤٣٣ من أخبار العوابة
٤٣٥ سدّبه
٤٣٧ حَوْزَه
٤٤٢ وجود أسماء أعجمية في حضر موت
٤٤٣ النَّقْعَة (نقعة آل جنيد)
٤٤٤ عرض آل مخاشن
٤٤٤ من أواخر حروب نهد
٤٤٧ الكَسْر
٤٤٨ براقش
٤٤٩ معين
٤٥٣ بلاد العبر وما وراءها
٤٥٦ هينن
٤٥٧ آل ابن إسحاق بهينن
٤٦١ من قرى الكسر

٤٦٣	قُعُوضه
٤٦٥	الظاهره
٤٦٨	- كلمة عن المحاكم
٤٧١	القارة (قارة آل ثابت)
٤٧٢	صوران
٤٧٣	- التحقيق في ضوران وضروان
٤٧٦	الباطنة (من وداي الكسر)
٤٧٩	وادي مَنُوب
٤٨١	- كلام للمؤلف عن الجمعيات
٤٨٣	القَطَن
٤٨٧	- قرى القَطَن وحصونه
٤٩٢	المَسْحَرَة
٤٩٤	خَمُور
٤٩٥	وادي سَزْ وقبر نبيّ الله صالح عليه السّلام
٤٩٧	وادي يَبْهُوض
٤٩٨	عرض مَسْرُور
٥٠٢	نُخْر عمرو
٥٠٤	شِبَام
٥١١	- السادة آل سميط سكان شبام
٥١٧	- من أعلام آل باذيب
٥١٩	- مناقب أهل شبام
٥٢٤	- جامع شبام
٥٢٤	- آل باذيب سكان شبام
٥٢٧	- القضاء في شبام
٥٢٧	- آل شَمَاخ
٥٢٨	- بعض نوادر الشّباميين

٥٣٠ من نوادر الشيخ أحمد بركات
٥٣٣ أحوال شبام السياسية
٥٤٣ نَعَام
٥٤٤ جَعِيمَة
٥٤٤ قرى جعيمَة
٥٤٦ سَحِيلُ آل مَهْرِي
٥٤٧ الحَزْم
٥٤٨ الدَّخَقْ
٥٤٩ السَّلِيلُ أو السَّرِير
٥٥٥ المَخْتَرَقَة
٥٥٦ بِحَيْرِه
٥٥٦ الشيخ عتيق باجبير ونوادره
٥٥٩ هَدَامِه
٥٦٠ مَسِيلَة آل كُدّه
٥٦٢ الحاوي (حاوي الحوطة)
٥٦٤ وادي بن علي
٥٦٤ - قرى وادي بن علي
٥٦٨ - من أخبار أهل الوفاء وضدها
٥٦٩ حصن آل الرُّبَاكِي
٥٦٩ - الإشارة إلى موقع قارة الأشباء
٥٧٦ حصن الشَّاوُوش
٥٧٧ الحَوَظَة (في وادي بن علي)
٥٨٧ - أرباض الحوطة
٥٨٧ ذي أصبح
٥٩٦ - زوجة المصنف ونُتِف من أخبارها
٦٠١ - المشايخ آل ابن سمير

٦٠٢	الشَّعب
٦٠٣	كلام نفيس عن الغدر واستطراد إلى ذكر فلسطين
٦٠٧	بَلَيْل
٦٠٩	بابكر
٦١٠	الحَوَل
٦١٠	الغُرْفَة
٦١٥	- آل باجمّال
٦١٦	- نسب آل باعبّاد
٦١٨	- آل الحبشي سكان الغرفة
٦٣١	- آل الحداد سكان الغرفة
٦٣٤	- تاريخ الغرفة السياسي
٦٣٥	- حرب ابن عبدات في القرن الرابع عشر
٦٤٢	حصون آل كثير
٦٤٥	يَرْقَق
٦٤٥	حصون العَوَانِزَة
٦٤٧	حصون آل جعفر بن بدر من الفخائذ
٦٤٧	حصون آل منيباري
٦٤٨	- الحلف بين القعيطي وآل منيباري
٦٥٠	تريس
٦٥١	- آل باكثير في تريس
٦٥٥	- السادة آل الجفري سكان تريس
٦٦٣	- أحوال تريس السياسية
٦٦٤	السَّوْم (شرق تريس)
٦٦٦	القَرَيْن
٦٦٧	شُحُوح
٦٦٨	مَدُودَة

٦٧٠	- ذكر آل باحميد
٦٧٢	- بعض سكان مدوده
٦٧٤	سيئون
٦٧٩	- تاريخ سيئون القديم وجامعها
٦٨٠	- اعلام آل بارحاء
٦٨١	- آل باكثير
٦٨٦	- تاريخ وتراجم آل السقاف
٦٨٨	- ترجمة والد المؤلف
٦٩٨	- ذكر بعض العلماء ممن أخذ عنهم المؤلف
٧٠٦	- آل الحبشي سكان سيئون
٧٠٩	- آل حسان
٧١٢	- القضاء بسيئون
٧٢٢	- خصائص سيئون
٧٢٨	- أحوال سيئون السياسية
٧٣٦	- ضواحي سيئون
٧٤٧	حصن الحوارث
٧٥٠	مرؤمته
٧٥٢	- بعض من تدير مريمه
٧٥٦	جذع
٧٥٧	خوطة سلطنة
٧٥٩	- آل الزبيدي سكان الحوطة
٧٦٠	قارة الحبوذي وقارة العرّ
٧٦٢	بور وحنظلة بن صفوان عليه السلام وعرض عبيد الله بن أحمد بن عيسى
٧٦٢	- بور
٧٦٣	- آل بانجار ولالة بور
٧٦٣	- آل العيدروس مناصب بور

٧٧٣	- قبر حنظلة
٧٧٦	- عرض عبد الله
٧٧٦	- آل باجري
٧٧٩	- بعض قرى بور
٧٧٩	- نُخْر كُغْدِه
٧٨٠	- الحُسَيْسَة
٨٠٠	- تَارِبِه
٨٠١	- آل الحامد سكان تاربه ثم سيئون
٨٠٧	- باعْبَدَ الله
٨٠٩	- السادة آل بوفطيم
٨١١	- بعض القرى من وراء باعبد الله
٨١٢	- شرمة الكساسيب
٨١٤	- سُمَل
٨١٥	- قارة الشَّناهِز
٨١٨	- الغُرف
٨٢٤	- المَسِيلَه (مسيلة آل شيخ)
٨٢٥	- آل طاهر سكان المسيله
٨٢٧	- حادثة النويدرة
٨٣٠	- دَمَحْ
٨٣١	- السَّهْلَة
٨٣٢	- يَشْحَر
٨٣٧	- التاجر فَرج يسر وقصة ثروته
٨٣٨	- بعض القرى من وراء يشحر
٨٤١	- غيل عمر ومنازله
٨٤٢	- سَاه
٨٤٣	- كُخْلان

٨٤٤	الصَّومعة
٨٤٦	الرَّيْضَة
٨٤٧	الرَّمْلَة
٨٥٠	حصن جرّه
٨٥٢	ثبي
٨٥٢	- استطراد لذكر صهاريج عدن
٨٥٣	- آل العيدروس بثبي
٨٥٥	- السادة آل الحبشي سكان ثبي
٨٥٦	وادي الذهب
٨٥٧	حصن العزّ
٨٥٨	حصن آل فلُوقة
٨٧١	تريم
٨٧٣	- جامع تريم
٨٨٥	- كرم السادة آل العيدروس
٨٨٩	- الكلام عن مسجد باعلوي
٨٩١	- طبقات علماء تريم
٨٩٥	- ذكر طائفة من علماء تريم الأقدمين
٨٩٧	- طبقات العلويين بحضرموت
٩٠٠	- رباط العلم الشهير بتريم
٩١٥	- قضية فقهية جرت بين المؤلف والسيد الشاطري
٩٢٣	- أعلام تريم ممن عاصروهم المؤلف
٩٢٥	- مدارس تريم
٩٢٦	- المدارس الحديثة بتريم
٩٣١	- قرى تريم
٩٣٣	- المشايخ خطباء تريم
٩٣٥	- استطراد في مسألة تولية الصبي

٩٣٦	- الحاوي
٩٣٧	- آل الحداد سكان الحاوي
٩٤٢	- آل باسالم
٩٤٤	- استطراد في حكم قضائي توجه على الإمام الحداد
٩٤٦	- عودة إلى قرى تريم
٩٤٦	- أحوال تريم الدولية
٩٤٩	- ذكر آل غرامة حكام تريم
٩٥٧	- المسند وما وراءها إلى عينات
٩٥٧	- حرب المسند
٩٥٨	- استطراد في مسألة فقهية أفتى فيها المؤلف
٩٦٠	- خباية
٩٦١	- النجير
٩٦٣	- الجرب
٩٦٣	- رَوْغَه
٩٦٥	- مشطه
٩٦٦	- كَوْدَة آل عوض
٩٦٧	- باعطير
٩٦٨	- دَمُون
٩٧٣	- اللُسْك
٩٧٤	- عِينات
٩٧٦	- السادة آل المحضار سكان أرض الرصاص
٩٩١	- حبوطة
٩٩٢	- النُقْرَة
٩٩٣	- قَسَم
٩٩٨	- أعيان الأسر العلوية الساكنة بقسم
١٠٠٠	- العِجْز

١٠٠٢	- تراجم أعيان آل باقشير
١٠٠٣	الواسطة
١٠٠٣	- المشايخ آل باشعيب
١٠٠٥	- التفريق بين آل شعيب وآل باشعيب
١٠١٠	ثوبه
١٠١١	السَّوم
١٠١٢	- الأودية حوالي السوم
١٠١٣	فُغْمه
١٠١٧	شعب نبي الله هود عليه السلام
١٠٢٩	طُبُوقم

القسم الثالث

١٠٣٣	في نجود حضرموت من أعلاها إلى أسفلها
١٠٣٤	- النجد الجنوبي
١٠٣٨	- النجد الشمالي
١٠٤٠	- قبائل الصيعر
١٠٤٧	نجد آل كثير
١٠٤٨	نجد العوامر
١٠٤٩	نجد المناهيل
١٠٥٣	وبار
١٠٥٧	أم الصميم
١٠٦٢	خاتمة الكتاب
١٠٦٧	الفهارس العامة
١٠٦٩	- فهرس الأعلام التي ذكرها المؤلف وترجم لها في طيات الكتاب
١٠٧٦	- فهرس الأعلام التي ترجمناها بهوامش الكتاب
١٠٨٣	- الفهرس الألفبائي لأسماء المدن والقرى والمواضع التي ذكرت في الكتاب
١٠٩٧	- فهرس موضوعات الكتاب